
المقتطف
AL-MUKTATAF

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثاني والسبعين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٢٨ — الموافق ٨ رجب سنة ١٣٤٦

كلمات للدكتور صروف

عظمة الكون

من كوَّن هذا الكون ? من سنَّ له النواميس التي يجري عليها ? ومن يستطيع ان يدرك عظمته ? من يستطيع ان يعلم قصده من خلقه ? كم من ملايين السنين مرَّ منذ كوَّن نظامنا الشمسي وجهَّزه بقوة لا يحدّ العقل مقدارها، بقوة تمكن هذا النظام من السير بها والدوران المتوالي ملايين من القرون ? ما لنا نحاول ادراك ما يستحيل علينا الوصول اليه من اجرام السماء ونحن اعجز من ان ندرك نواميس ما في ارضنا من الكائنات بل ما في بيوتنا من الاحياء بل ما في اجسامنا من الاعضاء . كيف يتحول طعامنا الى دم ? ان كنت تعلم ذلك فاصنع من الطعام قطرة دم . كيف تنقبض قلوبنا وتنبسط ثانية بعد ثانية مدى الحياة ? ان كنت تعلم ذلك فاصنع قلباً ينقبض وينبسط لذاته ولو ساعة واحدة . اي معمل من معامل فورد او كروسلي يستطيع ان يصنع آلة تغتذي من الخبز واللحم وتتحرك دواماً سنة بعد اخرى كما تتحرك قلوبنا . وقس على ذلك افعال المعدة والامعاء والكبد والطحال والرئتين والكليتين . . .

وما يصدق على جسم الانسان يصدق على اجسام العجماوات كلها حتى النمل والبعوض وما لا يرى منها لصغره . ويصدق ايضاً على انواع النبات والمكروبات . الكون عظيم فلا بدَّ من ان يكون المكوِّن أعظم وان تكون قدرته شاملة وعينه ترقب مخلوقاته ونحن كلنا عراة لديه ظواهرنا وبواطننا

أعظم عظماء العصر

تتوالى القرون وتكرُّ العصور ويصبُّ نهر الحياة في بحار الابدية ملايين من النفوس لا يحفظ من اسمائهم الاَّ عدد قليل ، الواحد منهم بعقام الف بل بعقام الوف. هؤلاء هم عظماء الزمان من فلاسفة ومعلمين وساسة وقوَّاد وروَّاد ومستنبطين وكتَّاب وشعراء . والعمران مدين لهم بما حازهُ من الارتقاء علماً وعملاً فاذا كان ظهورهم خاضعاً لناموس من النواميس الطبيعية فالبحث عنهُ واجب حتى اذا عُرف استطاعت الامم ان تكثر عظماءها ونوابغها فيزيد بهم تقدمها وارتقاؤها . وهذه هي الغاية القصوى من المباحث الطريفة التي يقوم بها بعض علماء النفس في قياس الذكاء واختيار النوابغ في حداثتهم على اساس ذلك القياس وتتبّع سيرهم بعد تخرجهم لاثبات صحة الاختيار على ما بيّناهُ في مقالة « مقاييس الذكاء » في مقتطف اغسطس الماضي

ولقد شغف الناس من قديم العصور بالبحث عن العظماء والمفاضلة بينهم وتدوين سيرهم لان حديث البحث عنهم في زوايا التاريخ حديث شائق يسير فيهِ الباحث والقارئ جنباً الى جنب يتنقلان على اجنحة الفكر والخيال بين عصور التاريخ المتعاقبة وهي تتفتح رويداً رويداً عن ازهار الفكر والعمل التي اثمرت واينعت ثمارها فيما نراهُ في عمراننا الحاضر من العجائب والغرائب

فمن هم عظماء العصر الحاضر ؟ وهل منهم من يخلد اسمهُ في التاريخ لكتاب كتبهُ او لمبدإٍ كشفهُ او لاختراع اخترعهُ او لصورة صوّرها او لمملكة بناها فيقرن الى الخالدين في تاريخ العصور ؟

لا ريب في ان الجواب عن هذا السؤال صعبٌ ان لم يكن متعذراً لاننا لا نزال مع هؤلاء الرجال في غمرات العمران الحاضر لا نعلم حق العلم ما قد يبقى لهم من اثر في رفع بنائهِ . واذا انتخبنا خمسة من كبار المفكرين وطرحنا عليهم هذا السؤال اجاب كلٌّ جواباً قد يختلف عن جواب الآخر . وما ذلك الاَّ لان كلاًّ منهم قد يحسب ناحية من نواحي العمران اكبر شأناً من غيرها . فمنهم من يحسب العلم العملي اعظم ما يمتاز بهِ هذا العصر على غيرهِ من العصور فيجعل اديصن على رأس العظماء . ومنهم من يُعلي قيادة الجيوش فيختار الماريشال فوش او هندنبرج وهلم جرًّا

رأي اميل لدوغ

وقد اطلعنا على مقالين في هذا الموضوع الاول لاميل لدوغ وهو من نوابغ الكتاب الالمان وقد دعي «كارليل اوربا الجديد» نشرهُ في اثناء الصيف الماضي في جريدة الصندي اكسبرس قال فيهِ : ان الشهرة غير العظمة ولو كان كل شهير عظيماً لكان تشارلي تشابلن اعظم العظماءِ وما ذلك الاَّ لان وسائل المخاطبات واذاعة الاخبار ونشر الدعوى ارتقت ارتقاءً عظيماً يسهل معهُ على اي جمعية من الجمعيات ان تشهر اسم رجل بين ليلة وضحاها . مَنْ مِن قراء المقتطف لا يعرف اسم تشبلن وماري بكفورد ولندبرغ ودمبسي . ومع ذلك اي اثر لهؤلاء في العمران . ان عظمتهم اذا قيست بالعظمة الخالدة في مباحث مدام كوري ومخترعات اديصن ومذهب اينشطين وكتابات دانزيو وبرنارد شو

وقد كان الناس في العصور القديمة يؤلهون البطل المغوار والقائد الكميَّ فكان القوَّاد من اشهر مشهوري التاريخ واعظم عظمائهِ . اما اليوم فقد تغيرت اساليب الحروب وصار القائد العام جزءًا صغيراً من نظام متقن الوضع معقد التركيب . من يستطيع اليوم ان يذكر لنا اسماء القواد الذين قادوا جيوش الحرب الكبرى الى ساحات الوغى ، مع ان اسماءهم كانت على كل الشفاه منذ عشر سنوات قبلما وضعت الحرب اوزارها . بل من يعرف المارشال فوش اذا سار في شوارع باريس مع ان فضل الانتصار في الحرب الاخيرة يرجع الى ذكائهِ ونبوغهِ

ثم انتقل الى رجال السياسة فقال انهُ يعتقد ان اعظم رجال السياسة في هذا العصر هو الاستاذ مازاريك رئيس جمهورية تشكوسلوفاكيا . فانهُ كان استاذاً حين تصوَّر صورة لشعبهِ وقد استقلَّ استقلالاً تامًّا امرهُ الى ابنائهِ يديرون دفة شؤونهِ ويعلون منار آدابهِ ويبرزون مخدرات تاريخهِ من غير سيطرة او رقابة . هذا الاستاذ كان اول من حلم هذا الحلم الخلاَّب ، وكان اول من وضع طريقة عملية لتحقيقهِ وكان اول من حققهُ . فهو بانٍ من بناة التاريخ ، ورجال السياسة البناة قلائل في هذا العصر . ولعل موسوليني احدهم . ولكنهُ لم يصل بعد الى غايتهِ في الرواية التي يمثلها في ايطاليا

وبعد ذلك انتقل الى رجال الفنّ فقال انهُ لا يرى بينهم رجلاً واحداً يصحّ ان يوضع في مصاف العظماء الذين تحلى بهم جيد التاريخ في عصورهِ المختلفة كرفائيل وانجلو ودَه فنشي وبيتوفن وغيرهم . ولكنَّ في فئة الكتّاب كاتباً هو في الحقيقة « فولتير

القرن العشرين» يريد به جورج برنارد شو الكاتب الانكليزي الارلندي الاصل وقد دعاه مدير جوقة شكسبير التي قدمت القاهرة في نوفبر الماضي «بشكسبير القرن العشرين»

على ان لدوغ يرى ان العظمة في هذا العصر هي للعلم — العلم النظري والعلم العملي وفي ذلك يرى اينشتين واديصن اعظم عظماء العصر . ويدور حولها كما تدور السيارات حول الشمس اعلام العلم في مختلف الامم كبوهر ورذرفورد ومدام كوري وماركوني وارهينيوس وبلانك وطمسن ورينط وغيرهم

راي لورد اكسفرد

نظر لورد اكسفرد الى المسألة نظر انكليزي فذكر من رجال الادب والتأليف برناردشو مؤلف روايات تمثيلية . هربرت ج . ولز كاتب ومؤلف روايات . توماس هاردي شاعر ومؤلف روايات . رديرد كبلنغ شاعر ومؤلف . السر جورج تريفليان مؤرخ . لورد هلداين مؤلف فلسفي النزعة . السر جيمس بري مؤلف روايات تمثيلية ويحسب من صف برناردشو مع اختلاف في الاسلوب والنزعة الفكرية . السر جيمس فريزر مؤلف وباحث . لورد بلفور مؤلف فلسفي النزعة . روبرت بردجز شاعر العرش البريطاني . ارنولد بنت مؤلف روايات

ولا نعلم لماذا اغضى لورد اكسفرد عن ذكر ييتس الشاعر الارلندي الذي نال جائزة نوبل للآداب منذ بضع سنوات مع ان كثيرين من الذين ذكرهم لم ينالوا هذا الشرف

ثم انتقل الى فئة العلماء فذكر الانقلاب الحديث في قواعد الطبيعيات وبناء المادة وقال ان السر جوزف طمسن والسر ارنست رزرفورد اعظم علماء العالم اثراً في احداث هذا الانقلاب. فالاول اكتشف الكهرب (الالكترون) والثاني وضع قواعد المذهب الجديد في بناء المادة . ومن علماء الانكليز الذين يحسبون في المقام الاول بين علماء العصر السر اوليفر لدج والاستاذ ادنجتون استاذ الرياضيات في جامعة كمبردج وهو من الرياضيين الممتازين ومن اكبر انصار مذهب اينشتين . والاستاذ استُن صاحب المباحث المشهورة في النظائر « ايسوتوب » والاستاذ جينز العالم الفلكي المشهور

وقسم لورد اكسفرد الخطابة الى ثلاثة انواع فقال: ان الخطابة في الكنائس قد انحطت انحطاطاً ظاهراً والوعاظ الذين يجذبون الناس الى سماع عظاتهم صاروا نادرين يستثنى من ذلك «الدّين» رالف انج Inge راعي كنيسة مار بولس بلندن والدكتور هنسن. قال :

وكان لورد فشر امير البحرية الانكليزية من اكثر الناس مواظبة على حضور الوعظ ايام الاحاد وقد روي عنهُ انهُ كان يذهب الى ثلاث كنائس مختلفة في يوم احد واحد لسماع الوعظ. فلو انهُ بُعث حيًّا الآن لكان قلَّل الذهاب الى الكنائس لقلة الوعاظ البارعين

اما الخطابة في المحاكم من نوع خطابة ديموستينوس وشيشرون فقد تغيرت بحكم الطبع لان المحامين في العصور القديمة كانوا يضحون بمصالح موكليهم على مذبح البراعة في الخطابة وصار نجاح كثير من القضايا الكبيرة رهن البحث والتحقيق ودقة التحليل وتقديم الادلة وذكر السوابق لا فصاحة النطق وقوة المعارضة

اما الخطابة في البرلمان فميدان واسع لاصحاب هذه الموهبة. وعندهُ ان هذا النوع من الخطابة قد بلغ اوجه في عصر پت وبرك وفوكس وشريدان

قال: وحين انظر في اسماء الخطباء في مجلس النواب لا ارى رجلاً بلغ الرتبة الاولى بين الخطباء الا ونستن تشرشل. اما بلفور وبركنهد فقد انتقلا الى مجلس اللوردات حيث يقل لمعان السيوف في المناقشات السياسية. ومن اغرب الظواهر في برلماننا ألاّ نجد خطيباً من حزب العمال بلغ الرتبة العليا بين الخطباء مع ان المفهوم ان كثيراً من نجاح حزب العمال عائد الى اقناع الجماهير بصحة مبادئهم

اما رجال الاعمال كرجال السياسة والادارة وقواد الجيوش وامراء الاساطيل ومديري البنوك واصحاب الصناعات الكبيرة فاننا لا نجد بينهم اشخاصاً متفوقين بحيث يسيطرون على غيرهم وذلك اذا استثنينا الحاكمين بامرهم في ايطاليا واسبانيا وروسيا. يريد بذلك موسوليني وبريمو ده ريفيرا ولنين. اما لنين فقد توفي وترك الزعامة في روسيا نهباً مقسماً بين المتطالين اليها يستحلون في سبيله كل حرام والظاهر ان الحزب الذي يديرهُ ستالين قابض الآن على مقاليد الامور هناك

نقول: ولو نظر لورد اكسفرد نظرة عالمية في الاجابة عن السؤال الذي وجّه اليه لاضاف الى الاسماء التي ذكرها دانتزيو وبرندللو الايطاليين وروman رولان الفرنسوي ونوت همسن النروجي وهوپتمان ومان الالمانيين من رجال الادب. ولذكر بوهر وبلانك ومدام كوري واديصن وماركوني وتوغوشي وبرانلي وارهينيوس وملكان بين رجال العلم. وبرغسن وديوي بين رجال الفلسفة. وفزدك الواعظ الاميركي وبوانكاره وبريان وسعد زغلول بين الخطباء. وفورد وركفلر بين رجال المال والاعمال المتفوقين. ومازاريك ومصطفى كمال بين رجال السياسة البناة

حكاية أمٍّ عصرية

[كاتبتان من اميرات الكتاب في الغرب والشرق تعالجان في هذا المقال مشكلة من ادق المشكلات الاجتماعية العصرية . ألا وهي مشكلة امرأة من بنات هذا العصر المتنور ، في طبيعتها ذلك الدافع الفطري القوي يدفعها الى السكون في كنف الحب وطلب البهجة والسعادة عن طريق حفظ النوع — ولكنها مع ذلك نزاعة الى الحرية في ظل رجل كريم يحترم لها رأياً ويرعى لها كرامة . فماذا تفعل اذا قلب لها الدهر ظهر المجن فلا هي تنعم بالحب ولا بالكرامة الموفورة ثم يزيد الدهر عنداً وعتواً فيسلبها ولدها الذي غذته بدمها وانفقت في تعليمه « احر اعوام شبابها » — ماذا تفعل . طالع أيها القارىء هذا المقال فان فيه من الشعور الدقيق والقول المحكم ما يشجي النفس ويغذي العقل معاً — المقتطف]

نعتُ الأمّ بالعصرية قد يحتاجُ الى شيء من الشرح . إذ يقولون : ان المرأة كانت دائماً في صميمها كما هي اليوم . فقد خرج من جنسها النسوي أرقى الامهات وأفضلهنّ وأرشدهنّ وأوعبهنّ لمعنى الامومة المقدسة وواجبها . كما خرجت من الجنس نفسهِ الامهاتُ الجاهلات المهملات الشريرات اللاتي كنّ عنصر الغمّ والشقاء والانحدار في حياة أبنائهنّ

وهذا صحيح من حيث الغريزة النسوية الاصلية . على أنّ المرأة تطوّرت في ثقافتها وإدراكها وعواطفها عن طريق تطوُّر العالم ، وأحوالها اليوم غيرها بالامس ليس بمحض اختيارها وهواها بل بحكم الاحوال القاهرة . فبعد ان كانت في الماضي مضطرة إلى السكنى في بيت أبيها أو زوجها تراها الآن وفي مقدورها أن تكون ذات منزلٍ خاص ، وعملٍ خاص ، ومكانةٍ تنالها بفضل جهودها وشخصيتها لا بفضل نسبها وثروة اسرتها . ومن هذه الحالة الجديدة تولّدت افكارٌ جديدة ومسؤوليات جديدة في المرأة العصرية أمّاً وزوجة وعازبة

وتقدّمت الكاتبة الفرنساوية « كوليت » ببطلةٍ من هذا الطراز في روايةٍ صدرت قبل الحرب . وتأثرتها فئة من الكتاب والكاتبات فوصفوا فتياتٍ ونساءً من اهل الطبقة المتوسطة (bourgeoisie) عانينَ مشقة العراك بين التقليد الموروث

في جماعتهنّ وبين مهماز الحياة يسوقهنّ الى الاستقلال في الشؤون ، والاتكال على النفس ، واستثمار ما لديهنّ من موهبة او مهنة . الاّ انهنّ كنّ المستثنى يومئذ بين جمهور الفرنسيات المستسلمات لعادات قومهنّ ، مهما قضى ذلك الاستسلام على آمالهن ومهما ضيّق من جوّ حياتهنّ

اما الآن في الروايات كما في الواقع ، تراهنّ موفورات العدد اولئك الحسان المطلّقات ، والارامل الحديثات السنّ ، والعاشقات المهجورات ، والفتيات الممتازات بثقافتهنّ وجاذبيتهنّ ، اللائي تضطرهنّ رقة الحال في اسرتهنّ إلى الجهاد والعمل منذ خروجهنّ من المدرسة ، لكسب قوتهنّ كالشاب سواء بسواء . وفواجع الكدّ والعناء تظلم حياتهن ، وتذيب مرائرهنّ وسط الحمى الباريسية ، وهنّ بعد في ذلك العمر الذي تشعر فيه المرأة بالحاجة الى يدٍ قوية تُدير شؤونها ، وإلى قلب رجلٍ تركنُ اليه فيكون لها الملجأ والمعين

في هذا العمر وهذه الحال ، قدّمت لنا الكاتبة الفرنساوية « سيمون ماي » بطلة روايتها المؤثرة المدعوة « صغيري » (Mon petit) لان تلك البطلة ، واسمها آني ، كانت امّاً . وحول نعمة الامومة وشقوة العواطف يدور موضوع هذا الكتاب المفعم الماً وحياةً وصدقاً

***

ليست آني بالنفس الضعيفة والكائن الغبيّ المغرور . ولا هي تلك « الانثى » المتخنّثة شأن فئة من النسوة الضيقات الادراك الركيكات العواطف في مختلف المراتب . ولا هي من اولئك الطائشات الدعيّات المتخذات كلمة « تحرير المرأة » اداةً لاشباع الاطماع ، والجري وراء الملذات والملاهي من قاعات الرقص والسمر إلى موائد الميسر واللاتي يظنهنّ البعض كلّ المرأة العصرية

بل هي كانت طرازاً نبيلاً امثل من نساء اليوم . ورغم رقيها الفكريّ والخلقيّ كان يلجّ بها « ظمأ الحب » . لان الحاجة الى عذوبة الحنان والاحتماء في كنف رجل محبّ ذكيّ لا تتلاشى (كما يظنّ كثيرون) في نفوس النساء الموهوبات ذوات القدرة العقلية والشجاعة الادبية والكرامة الشخصية . بل ، على النقيض ، قد يكنّ اشدّ بنات جنسهنّ شعوراً بتلك الحاجة التي هي نتيجة تكوينهنّ الجسدي ووراثتهنّ النسوية الطويلة

— « بنات جيلي ، تقول آني ، يطمعن في ان يكنَّ اكثر واشرف من ادوات للتوليد »

على ان هذا القول لا يمنعها من ان تكون خير الامهات

وقد بدأت آني حياتها بغلطة فادحة ، وهي الزواج الباكر . . والمرأة التي تنشد في الرجل صديقاً وشريكاً لا سيداً قلـما استطاعت في سنّ التاسعة عشرة ان تميز بين السيد والطاغية . تزوَّجت دون رغبةٍ بل بمحض عامل « التلاؤم الاجتماعي ». وتلك المرأة الودودة العطوف الصريحة الشجاعة ، حملت الى منزل زوجها مع اثواب العرس العزم الصادق على ان تكون له رفيقةً صالحة ، و« اخاً نسويًّا » مخلصاً . والحب ؟ كلا لم يكن في قلبها ذرَّة من الحب ، ولكن شيء باهظ من « جوع الحب »

ولو كانت اكبر سنًّا او اوسع خبرة لاستطاعت الوقوف على عيوب هـذا الرجل وخشونته قبل الزواج ، ولكانت ادركت انها لن تحتمل الحياة معهُ متغاضية عن عيوبهِ الاَّ اذا احبتهُ او كانت على كثير من الايمان والتقوى . وآني كانت ابنة جيلها في الارتياب الدينيّ كما ان الحب لم يكن يدفعها نحو زوجها

ولم تكدْ تمرّ الايام الاولى على زواجها حتى ألمّت آني بكلّ ما كان عليها ان تعرفهُ خلال الخطوبة . عرفت خلق زوجها وعرفت انها « لن تحتمل » . وقد زاد في شعورها ذلك ان زوجها لم يكن ينظر اليها كمثيلة وشريكة ، ولم يعاملها معاملة العطف والحنو . كان شغوفاً ولـكن بجمالها ولم يتخيَّـل ان وراء الهيكل الجسديّ فكراً وقلباً وعواطف. بل انكر ذلك صراحاً وأذلَّـها فيما كانت تحسبهُ أنفس ما لديها ، وجاهر — كثيفاً — باحتقارهِ للمرأة التي تزعم انها تطمع في غير الجمال الجسديّ وإرضاء الرجل عن سبيلهِ . وان منتهى ما يجب ان تصل اليهِ من الافكار هو انهـا اداة للمسرات ووسيلة للتوليد

لم يكن يفتهُ في خشونتهِ وكثافتهِ ، ألمها وحبوط آمالها . فكان يروقهُ ان يُخضع هذه الضحية الممتازة بين « قطيع النساء » والتي كانت أعزّ نفساً من ان تبثّ الشكوى أو ان تفرّج من كربتها بالبكاء . وانقضت ثمانية شهور وهي تظنُّ ان الوقت والعادة يخفّـفان من نكدها وشقوتها ، بيد أنها غدت ثائرة على هذا الرجل متمردة على حكم القدر

ألا ليتها حرَّة تمضي الى باريس فتعمل للارتزاق ولقُوت العقل وإنماء الشخصية إنماء تعرف انها ذات استعدادٍ لهُ ! بل ليتها فكَّرت في ذلك قبل هـذا الزواج

الاخرق ! ليتها فكَّرت ان السعادة أيسر ما تكون في الحياة الزوجية ، ولكن مع الزوج الذي لا يسهل دائماً الاهتداء إليهِ لمن هي ذات نفس كنفسها المتوهجة المشتاقة !

***

هنا يباغتها طارىءٌ غير منتظر . إذ تمرض والدتها وتشرف على الموت . فتسارع إلى خدمتها وتمريضها وتحيطها بجميع مظاهر الحب والحنان . وفي ابان ذلك تدرك حقيقة أليمة وهي أنها في طريق . . . الامومة

فماذا عساها تصنع الآن هذه المرأة ابنة جيلها المثلى بيقظة النفس وشبوب الفكر ورقة القلب ، وفي الوقت نفسه سليلة امهات وجدَّات ضحَّين بحياتهن كلها في سبيل الولد وهنَّ لا يعرفن معنى الشخصية المستقلة ،واستسلمن دون مناقشة لقيد الاستمرار فكنَّ « عبدات للرجل وأسيرات قانون الزواج الذي لا يرحم » ؟

آني المتمردة على ذلك الزواج الممقوت ، تصبح حيال الامل الجديد إنسانةً متبصرةً وجيعة . تشعر بارتباطها بالكائن الصغير المخبوء بين جوارحها ، الذي أيقظتهُ للحياة دون التماس منهُ ودون علم منها أو رغبة . تشعر بأنها مسؤولة ليس عن حياتهِ الجسدية فقط ، بل عن حياتهِ الادبية خصوصاً . وبأنها هي الوالدة عليها ان تكون للصغير « امًّا » بأصدق معاني الامومة وأنبلها

أتعود إلى زوجها ؟ إذاً سيسيطر ذلك الرجل الفظُّ على الحياة البريئة الجديدة ، ويحيطها بجوٍّ من كثافتهِ وحماقتهِ ، ويطبعهُ بطابعهِ المشؤوم ، وينشئهُ نشأةً لا يدرك عقلهُ المشوَّه السقيم ما فيها من المفاسد والسيئات . سيعدّ الطفل ليكون نسخة أخرى منهُ . . . إذن ما العمل ؟

أتسعى إلى الطلاق ؟ إنَّ في الطلاق حلاً لقيدها ولكن فيهِ كذلك الحرمان من صغيرها الذي ينتزعهُ منها القانون بقوتهِ القاهرة ليضعهُ تحت رحمة والدهِ ويطلق يدهُ في تربيتهِ وتنشئتهِ .ما الحيلة إذن ؟ واذا بخاطرةٍ تفاجئها : ليس امامها إلاَّ الهرب !

أجل الهرب بهذا البرعم الانساني الذي يجهل زوجها وجوده . الهرب ليكون طفلها لها ولنفسهِ وللحياة الحرَّة الصالحة الجميلة . فتحملُ حلاها وكميةً من النقود ورثتها عن والدتها وتتوجَّه إلى باريس لتضيع بين الالوف فيها والملايين . وفي تلك الحالة الفسيولوجية التي تستدعي الرفق والوقاية وعناية المحبين ، تعيش آني وحدها في

غمٍّ وتقتير ، وتنفق من صحتها وشجاعتها لتضمن لولدها القوت والحرية . . .

***

كنْ كما شئت قويَّ الارادة ثبت الجنان ، ان الدموع سترطب جفنيك غير مرةٍ وانت تساير هذه المرأة في حياتها الباريسية إذ هي تجدُّ في طلب العمل فلا تلقى إلاَّ الخيبة المتكررة والهزيمة اللاجّة ، وإذ هي تبكي يائسة بين جدران غرفتها الحقيرة ، وإذ تقاسي آلام الولادة وحدها في المستشفى دون وجه صديق ينحني عليها ، او نظرة شفيقة تخفف من بلواها . وإذ تعود إلى السعي والجدّ فتراها بائعةً في مكتبةٍ قديمة ، ثم عاملةً في تجليد الكتب بالاشتراك مع صديقة لها . ثمَّ مستشهدةً بالحبّ الوجيع اليائس — الحبّ الاول ! — الذي تغالبهُ وتضحي بهِ لاجل طفلها . ثم عاملةً ليل نهار لتقدم لطفلها حاجتهُ . ثم مهزومةً مرةً اخرى بخداع « صديقتها » التي سلبتها كلَّ ما تملكهُ . وهي التي كانت بالامس من ربات الملاحة والكياسة والاناقة ، تمرُّ اليوم أمام نافذة دكان فتستوقفها هيئتها المنعكسة في مرآةٍ صقيلة قاسية فاذا بها :

« قدٌّ نحيل سقيم يكسوهُ ثوب قاتم في الاصل ولكنهُ بهت بتتابع الاستعمال وإذ تقع عليهِ اشعة الشمس يبدو كالحاً أغبر . وحذاء يظهر التشقق في مختلف نواحيهِ . وبشرة تحدّث عن شعاع المصباح الاخضر الذي ينير المكتب الذي تشتغل الآن فيهِ ، لان ذلك المكتب مظلم حتى في رابعة النهار . لم تكن تنتبه قبل هذه المرة لتبدل هذا الوجه ، وجهها ، حيث دلائل التعب تقضي على محاولة الابتسام . هذا وجه عابس متكمش ، وجه اللاني ينكد عيشهنَّ الغمّ والهمّ في عمل محتوم متواصل . يعملن في الخارج لكسب القوت ، ويقمن في الداخل بكل ما يقتضيهِ المنزل من خدمة وتدبير وتقتير . ذلك العمل الآليّ الذي لا اختيار فيهِ ولا لذة ، الذي يجعل الذكاء بلادة اذ يلتهم القوى ، ويقضي على الملاحة ، ويحوّل الشباب الى شيخوخة باكرة . . . »

لم يكن لديها حتى ولا الوقت الكافي لمعاشرة ولدها والاشتراك في العابهِ والتمتع بقبلاتهِ . لان ساعات راحتها كانت قليلة لا تقوم بمقتضيات مزاجها واعصابها . ولم يكن الصغير يراها الاَّ منهمكة ، كئيبة ، معرضة عنهُ . هي التي كانت تنتحر انتحاراً لاجلهِ ، لانهُ املها الوحيد في العالم وعلاقتها الفردة بالحياة . . .

***

في تلك الحالة الكئيبة — وقد جاز ولدها السنة العاشرة — يفدُ اليها رسول

يخبرها بأن زوجها علم بحالتها ومقرّها وبأن هذا الولد ولده . فيريد ان يستقدمهُ اليهِ ليعنى بتنشئتهِ على ما تقتضيهِ مكانتهُ الاجتماعية وينيلهُ حظهُ من الثروة وعيشة الهناء والرخاء. وعلى ذلك فهو يطالب بولدهِ، ويطلب الطلاق منها ليتسنى لهُ الزواج من غيرها

...الا ان القدر اقدر من شجاعة الشجاع ! آني تعلم ذلك لانها رغم جهدها وتضحيتها ، لن تفلح في ان تجعل هذا الولد اكثر من عاملٍ بسيط ، وتصارح نفسها بانها لا يجوز لها ان تسقطهُ من مرتبتهِ وتقضي عليهِ بالفقر والحرمان ... فماذا هي فاعلة تلك الام التي عاشت لولدها أحرَّ أعوام شبابها ؟ اتكابر وتتمنع وتحرم الصغير مما قد يلومها عليهِ في المستقبل ، ويعقها لاجلهِ ؟ أم تسلّمهُ فتُحرم هي منهُ ولا تراهُ إلاَّ في مواعيد معيَّنة ولحظات معدودة كأنهُ شخص غريب عنها ؟ تفكر طويلاً وتفكر كثيراً فتعزّي نفسها بأنها طبعت ولدها بطابعها في عمرٍ يستبقي تأثراته مدى الحياة فلا يتغلب عليها طابع آخر . . . وتدرك ان واجبها المباشر في الاذعان ... فتذعن . . .

وماذا عساها تصنع الآن وقد انتُزع منها الامل الوحيد وانحلَّت الرابطة التي تصلها ببني جنسها ؟ أتنتحر ؟ قد يعمد إلى ذلك بعض أبطالِ الروايات ونفرٌ من مخذولي القدر — أحياناً . ولكن آني انسانة حيَّة ، لا بطلة رواية فحسبُ، وامرأة شجاعة نبيلة رغم الخيبة والانكسار

إنَّ المرأة التي لا تزال شابَّة مليحة ذات قلبٍ رحب الجوانب ، وثاب النزعات وذات ذكاء نادر ونفس كثيرة الخوالج ، طموحاً إلى شرب كأس الحياة والسعادة ، تلك المرأة التي لا عائل لها ، ولا ملجأ ، ولا منزل ، وقد انتُزع منها وحيدها — يبقى لها ما قد ياغتها بهِ الحظُّ المجهول

تيَّارٌ قويٌ جديد من بحر الحياة يتدرها ، فهل في مقدورها ، هي المنفردة الحزينة الشقيَّة ، ان لا تستسلم لهُ طالبة التعزية والمؤاساة ... أو على الاقل النسيان ؟

***

هذا هو الكتاب الحيّ المؤثر الذي شغلت مطالعتهُ ساعات من اسبوعي هذا الواصل بين الخريف والشتاء . فتعرفت فيهِ الى كاتبة شابة بارعة وصفت بحذق وصدق وفنّ طرازاً وجيعاً من نساء اليوم ومظهراً حقاً من طغيان الاقدار ورأفتها في مدِّ الحياة وجزرها . . .

« ميّ »

مركوني يتكلم : فماذا يقول ؟

رأيهُ في حاضر اللاسلكية ومستقبلها

يقال — والعهدة على القائل — ان ماركوني هبَّ الى استنباط التلغراف اللاسلكي لانهُ مُنع من مخاطبة فتاة كان يهواها وهو في التاسعة عشرة من عمرهِ لما كان يطلب العلم في جامعة بولونا، فحاول ان يبتكر طريقة لمخاطبتها من غير ان يخشى واشياً او رقيباً ففاز بامنيتهِ . ولما سئل في ذلك اجاب « اردت ان اتخاطب مع بعض الناس الذين لم تسعني مخاطبتهم الاَّ كذلك » ولم يزد

لله درُّ تلك الفتاة ! انها شرارة الطبيعة التي اضرمت في عقل مركوني نار نبوغهِ الكامن فنفح الحضارة بهذا الاستنباط العجيب وفتح باباً جديداً ولجهُ المستنبطون وراءهُ فحققوا المعجزات . حبذا لو عُرف اسمها، اذاً لخلد في تاريخ العلم، خلود بياتريس موحية الشعر والحكمة الى دانتي ، في تاريخ الآداب

ويقال ايضاً انهُ لما فاز مركوني في نقل اشاراتهِ اللاسلكية من انكلترا الى اميركا في ١٢ دسمبر سنة ١٩٠١ نشرت الصحف نبأ هذا العمل العجيب فقوبل بما لا مزيد عليهِ من الريبة حتى ان اديصن نفسهُ قال « لا اصدّق ما يروى » والمخترع ده فرست كان كذلك شديد الشك في صحتهِ مع انهُ كان يعالج مسائل اللاسلكية حينئذٍ . فعاد مركوني ونشر بامضائهِ رسالة موجزة ايّد فيها ما روتهُ الصحف فلما اطلع عليها اديصن قال « اصدّق الآن . ولا اشكُّ في ان مركوني سينجح في توسيع نطاق ابتكارهِ . العمل عظيم ومركوني مستنبط مبدع »

كان هذا منذ ٢٦ سنة . اما الآن فان وزارة التجارة الاميركية تقدر عدد الذين يصغون الى ما يذاع من المحطات اللاسلكية في انحاء العالم بنحو ٩٠ مليون شخص . وقراءُ المقتطف يعرفون ان التلفون اللاسلكي البعيد المدى صار امراً واقعاً يسير في اثرهِ نقل الصور الفوتغرافية والرؤية عن بعد والرؤية في الظلام ونقل القوة الكهربائية لاسلكيًا . ومع ذلك يقول العارفون اننا لانزال في فاتحة عصر جديد تتناول فيهِ الكهربائية اللاسلكية كلَّ فرع من فروع العمران وكلَّ عمل من اعمال الحياة. فماذا يكنهُ المستقبل القريب من العجائب والغرائب؟ لا شك ان لماركوني الحقَّ الاول في الكلام.

وقد تكلّم فاقتطفنا ما يلي من كلامهِ نقلاً عن مجلة الستردي ايفننج بوست الاميركية

كانت الغاية الاولى من المباحث اللاسلكية ولا تزال ابتكار طريقة للتخاطب. وقد كانت هذه المخاطبات في البدء مبنيّة على اشارات مورس التلغرافية فكان ما يُعرف الآن بالتلغراف اللاسلكي او الاثيري. ثم ثبت انهُ في الامكان نقل الصوت الانساني على أجنحة الامواج اللاسلكية فتحقق بذلك التلفون اللاسلكي، وتفرع عن التلفون اللاسلكي بناء المحطات الكبيرة تذاع منها الخطب والعظات والقصص والاغاني والاخبار والموسيقى وما اليها. ثم تمكن المستنبطون من ابداع ما يمكّن المسافرين على متن باخرة ان يخاطبوا من عرض البحر اصدقاءهم او عملاءهم المقيمين على اليابسة. وتلا ذلك استعمال الاجهزة اللاسلكية لمعرفة اتجاه البواخر والطيارات وتسيير بعض الآلات عن بعدٍ. وكان نفر منهم يشتغل في ابتكار طريقة لنقل الصور الفوتغرافية ففاز بذلك على اساليب مختلفة وتلا نقلَ الصور نقلُ الرسوم الهندسية وخرائط الظواهر الجوية وصور الكتابة نفسها. واحدث فروع البحث اللاسلكي هو السعي لتحقيق الرؤية عن بعدٍ ونقل القوة الكهربائية من غير اسلاك

ثم تطرق السنيور مركوني الى ذكر تجاربهِ في ابتكار نظام البم الذي توسعنا في وصفهِ في اجزاء المقتطف السابقة وخلاصتها ان محطات الراديو الاميركية والاوربية تستعمل امواجاً لاسلكية طويلة في نقل الصوت يتراوح طول الموجة منها بين مائتي متر و ٦٠٠ متر في المحطات الصغيرة ويبلغ ثلاثة آلاف متر او اكثر في المحطات الكبيرة التي تتولى ادارة المخاطبات اللاسلكية التلفونية والتلغرافية بين اوربا واميركا. وقد كان ميل اصحاب هذه المحطات الى زيادة طول الموجة لزيادة وضوح الرسائل التي تحملها. ولا يخفى ان الآلات التي تبنى لتوليد الكهربائية التي تبعث هذه الامواج في الفضاء كبيرة النفقة وعلى هذا ترى ان دقيقة واحدة من المخاطبات التلفونية اللاسلكية بين انكلترا والولايات المتحدة تكلف ١٥ جنيهاً

قال : خطر لي سنة ١٩١٦ ان اجرّب استخدام الامواج اللاسلكية القصيرة التي يقلُّ طول الموجة منها عن مائة متر فلقيت في هذه التجارب نجاحاً فاق ما كنت اتوقعهُ. ووجدت ان القوة الكهربائية اللازمة لتوليد هذه الامواج واذاعتها في الفضاء صغيرة قليلة النفقة لا تذكر ازاء القوة الكهربائية التي يعتمد عليها في المحطات الكبيرة ونفقاتها الطائلة

وعدت الى مباحث هرتز فوجدت ما يثبت ان الامواج اللاسلكية يمكن عكسها كما تعكس امواج النور فاتجهت الى امتحان ذلك في مباحثي فثبت لي انهُ اذا استخدمنا عواكس تعكس الامواج اللاسلكية لدى صدورها من محطة الارسال استطعنا من ان نوجهها في جهة واحدة كأنها نور مصباح كشاف فيمكن كتمانها عن كل المحطات التي لا تكون في سبيل هذا النور وتزداد بذلك وضوحاً وجلاء

هذه هي الاركان التي يقوم عليها نظام البيم وعندي انها الاركان التي لا بدَّ ان يقوم عليها كل تقدم جديد في المباحث اللاسلكية وتطبيقها على مقتضيات العمران

وقد رغبت الينا الحكومة الانكليزية في انشاء محطات لهذا النوع من المخاطبات اللاسلكية بين انكلترا وولاياتها الحرَّة في السنتين الماضيتين فحققنا رغبتها والامواج التي نستعملها في المخاطبات بين لندن واستراليا الآن لا يزيد طول الموجة منها على ٢٦ متراً . وقد تمكنَّا من ارسال اشارات لاسلكية الى اليابان بقوة كهربائية لا تزيد على خمس كيلو وط او ما يكفي لانارة خمسة مصابيح كهربائية عادية مع ان القوة الكهربائية اللازمة للمخاطبات التلفونية اللاسلكية بين اوربا واميركا بالامواج الطويلة لا تقلُّ عن الف كيلو وط . فيتضح لك مما تقدم تفوّق النظام الجديد المبني على استخدام الامواج القصيرة على النظام القديم . والقوة التي نستخدمها في المخاطبات الامبراطورية لا تزيد على ٢٠ كيلو وط ثم تقوَّى ١٠٠ ضعف باستخدام العواكس ، ونستطيع ان نرسل بها من ٢٥٠ كلمة في الدقيقة الى ٣٠٠ كلمة . ولما كانت محطة الاستقبال غير محطة الارسال ففي الامكان ان نرسل ٢٥٠ كلمة وان نستقبل مثلها في دقيقة واحدة

فاذا نظرنا الى السرعة والوضوح وقلة النفقات وجدنا ان نظام اليم يفوق التلغراف السلكي واللاسلكي المبني على استخدام امواج طويلة . اما من جهة كتمان الرسائل فلا يزال التفوق فيه للتلغراف السلكي

هذا بيان موجز للاتجاه الجديد في المباحث اللاسلكية . فماذا ينتظر ان يبنى عليه في المستقبل القريب من المخترعات التي قد يكون لها اثر في العمران ؟

يرى ماركوني ان استعمال نظام البيم في المخاطبات اللاسلكية يؤدي حتماً الى رخص اجورها فيزيد انتشارها . ولا ينتظر ان تحلَّ محلَّ المخاطبات بالتلغراف العادي في بلدان متجاورة في قارة واحدة كبلدان اوربا التي يربط احدها بالآخر شبكة من الاسلاك التلغرافية ولكنها لا بدَّ ان تعمَّ القارات والبلدان المترامية الاطراف القليلة

العمران كاسيا وجنوب اميركا وافريقية حيث يتعذرمدّ الاسلاك التلغرافية من غير نفقات كبيرة . وقد لا تنقضي سنة قبلما نرى تعديلاً جديداً في المخاطبات التلغرافية اللاسلكية يزيد سرعتها زيادة كبيرة . ذلك ان ارسال الصور الفوتغرافية لاسلكيًا اصبح امراً مطروقاً في الصحافة الاوربية والاميركية فمتى اتقنت وسائل هذا الارسال صار في الامكان ارسال صورة « رسالة » دفعة واحدة كما ترسل صورة فوتغرافية بدلاً من ان ترسل كلماتها كلمة كلمة . وغني عن البيان ان هذا يزيد سرعة الارسال ويقلل نفقاته . فيصبح حينئذٍ نظام مورس التلغرافي في خبر كان وتصير اجرة التلغرافات تقاس بالسنتمتر المربع لا بالكلمة

ولا بدَّ من ان تتقن طرق الرؤية عن بُعد وهي تختلف عن نقل الصور الفوتغرافية اختلافاً بيّناً لانها تنقل الحوادث كما هي فيستطيع قوم في القاهرة ان يجلسوا في نادٍ ويشاهدوا على لوحة امامهم سباق الخيل في دربي او تتويج ملك من الملوك او ملاكمة بطلين من ابطال الملاكمة وهلمَّ جرًّا . وعندي ان صنع آلات صغيرة يستطيع الفرد العاديّ ان يشتريها بقليل من المال ويستعملها في بيته امر غير قريب التحقيق قريباً . على ان شركات السنما قد تشتري آلات كبيرة منها وتقيمها في دور الصور المتحركة فاذا جاء الجمهور ليشاهد الصور المتحركة شاهد حقيقة ما هو جارٍ في مختلف انحاء الارض مشاهدة العين . وبدلاً من ان يرى رواية مثلت وصوّرت في هُليوُد باميركا قبل سنة أو سنتين يستطيع ان يرى ما يمثل على مراسح لندن وباريس ونيويورك وبرلين من الروايات المختلفة . ان تاريخ الاستنباط واحد لا يتغير يكشف المبدأ اولاً ثم يخرج الى حيز العمل ثم تتعهدهُ الايدي والعقول فيتقن فتظهر لهُ فوائد عامة فيقبل اصحاب المعامل على صنعهِ فيرخص ويعمُّ

ومن الفوائد الكبيرة التي ينتظرها السنيور مركوني من الراديو القصير الامواج استعمالهُ في معرفة اتجاه البواخر في البحر والطيارات والبلونات في الهواء . وقد أُستعمل مراراً لهذا الغرض قبلاً . فلما طار الطيارون الاميركيون من سان فرنسسكو الى جزائر هواي في الصيف الماضي كانوا يضبطون اتجاههم وموقعهم بما يرد عليهم من الانباء اللاسلكية من سان فرنسسكو . قال : لست طيّاراً ولا خبرة لي في شؤون الطيران ولكني ارى ان انتظام السفر الجوّي بين اوربا واميركا يتوقف الى حدّ بعيد على اتقان استعمال الراديو لمعرفة مكان الطيارة واتجاهها ومجال البحث في هذا الموضوع متسع جدًّا

وينتظر التوسع في استعمال الراديو لادارة الآلات عن بعد. فقد نجح المستر جون هاز همند بادارة السفن عن بعد بواسطة امواج لاسلكية. وثبت انهُ في الامكان ادارة الطيارات والسيارات كذلك. وقد صنع حديثاً احد المستنبطين الاميركيين جهازاً غريباً في بابهِ يتأثر بامواج الصوت على اختلاف قوتها فتدار فيهِ آلات صنعت لتعمل عملاً خاصًّا وبعد ما تم الآلات عملها تبين الآلة بطريقة ميكانيكية ما تمَّ فيها. فمجال الاستنباط والابتكار في هذا الميدان غير محدود. ويراد بالتحكم في ادارة الآلات عن بعد احداث تأثير خاص في الآلة بواسطة الامواج اللاسلكية فتتحرك الآلة من نفسها حينئذٍ تحت هذا التأثير. ولكن اذا تمَّ نقل القوة الكهربائية من غير اسلاك كما تنقل الموسيقى والصوت البشري الآن صار في ايدينا قوة غير محدودة. والمباحث الآن جارية على قدم وساق في هذا الموضوع وقبل التقدم فيهِ يجب ان يهتمَّ الباحثون باتقان نظام اليم واول ما يجب اتقانهُ هو استنباط عواكس تعكس الامواج الكهربائية في شعاعة متوازية الجانبين فلا تنتشر في كل الانحاء بعد خروجها من مصدرها انتشاراً يضعف قوتها. وقد ثبت ان القوة التي تصدر من مرسِل لاسلكي يُفقد اكثرها في السير بالفضاء فلا بدَّ من اتقان وسائل الارسال حتى لا تفقد الامواج اكثر قوتها كذلك. فاذا تمكن الباحثون من حلّ هاتين المسألتين على وجهٍ صحيح صار في الوسع ارسال القوة الكهربائية لاسلكيًّا وحينئذٍ لا يستطاع ارسالها مسافة طويلة لانها حين تنحني حتى تسير مع سطح الارض تفقد كثيراً من قوتها بالاشعاع والانكسار مما يجعلها عديمة النفع

وختم مركوني مقالتهُ بقولهِ ان المشاكل التي امامنا لا تحصى. والفضل في تقدم الراديو هذا التقدم السريع لا يعود الى رجل فرد بل هو نتيجة المباحث التي قام بها مئات من الباحثين والعلماء والمهندسين في انحاء الارض. وانا اعرف مئات والوفاً من هؤلاء الباحثين مكبون الآن على كشف الحقائق وحلّ المعضلات المرتبطة بالراديو وعليهِ فلا يصحُّ لاحد ان يقول «ان شيئاً في اللاسلكي متعذر او مستحيل»

ان ما تمَّ حتى الآن وسَّع نطاق حواسنا الانسانية الضعيفة. فنحن نتخاطب اليوم على مسافة الوف من الاميال وغداً نرى بعضنا بعضاً رغم الاوقيانوسات والجبال. وهذا نوع من التخاطب لا يحدّهُ حدٌّ ولا يقيدهُ قيد وبهِ يتم تبادل الافكار والآراء تبادلاً حرًّا فتنتشر حقائق العلم واصول التهذيب. وهو في رأيي افعل قوة في تقريب الشعوب بعضها الى بعض وتوطيد اركان السلام

خمسة في سيارة

[السفر مدرسة الحياة ، والارض كتاب لا يقرأ منهُ المقيم في بلدٍ واحد الاَّ صفحةً واحدة . لان الارتحال يصقل الطبع ويثقف العقل ويهذب النفس ويقيد الخيال بقيود الحقيقة ويطلق الفكر من اغلال التحزب الاجتماعي والتاريخي ويوسع افق النظر الى الحياة والعمران . فاذا كان المسافر ذا نظر نقاد راوياً لحوادث التاريخ وعبرهِ خبيراً بطبائع الشعوب وآدابها ملمًّا باصول العمران ونظمهِ ، وكان ذا قلم بليغ رشيق العبارة سلس الاسلوب جاءَت كتاباتهُ عن اسفارهِ من امتع الكتابات والذها وافيدها . وقد اجتمعت هذه الصفات الممتازة لصديقنا الاستاذ سامي الجريديني ويسرّنا انهُ قد عزم على ان يتحف قراء المقتطف بطائفة من اخبار اسفارهِ جرى في كتابتها على اسلوب جديد في الادب العربي . وهذه مقالتهُ الاولى]

١

كانوا خمسة في سيارة ، ثلاثة رجال وامرأتان

اما راوي الحكاية فمصريّ غادر بلدهُ الى فرنسا بغية الترويح عن النفس وحبًّا في التعرف بكل ما يجدّ في المدنية الاوربية من مليح وقبيح. واما الاربعة الآخرون فانكليزي وزوجتهُ وفرنساوي وزوجتهُ

وليس ما يرويهِ صاحبنا المصري الآن بالحكاية الخيالية بل وقائع حدثت يوماً اثر يوم في رحلةٍ دامت ثلاثة شهور وبعض شهر

فما الذي جمع هؤلاء الخمسة في سيارة وكيف اتفقوا فيما بينهم على هذه الرحلة ؟ الى القارئ الجواب :

كان صاحبنا المصري وحيداً فريداً في « جرينوبل » عاصمة ما كان ملكاً لاولياء العهد ابان المملكة الفرنسية . وليست هذه البلدة مما يُحسب نزهة لانها قائمة بالجبال تمنع عنها الهواء في الصيف فيكاد المقيم يختنق لا يشفع فيهِ اختراق نهر الايزر لها من ناحية الى اخرى ولكنها واقعة في قلب جبال الالب فيتخذها السياح مقرًّا ينتشرون منهُ الى ما قرب او بعد من هذه الجبال

وكان ينزل في فندق فخم ربما كان احسن ما بُني في جرينوبل مجهزاً باحدث ما

اوجده طلاب الراحة المصرية من جهاز ولكنهُ واسع الاطراف مترامي الابعاد قليل السكان فيشعر النازل فيهِ انهُ في غابةٍ واسعة مكسوة باحسن الاثاث ويحل فيها النُّدُل والخدم محل السباع او الضباع

فكان حقاً عليهِ ان يسعى الى التعرف بمن يفرج عنهُ كربة الوحدة والانفراد

وكان يجتمع في مساء كل يوم في بهو هذا الفندق نفر من سكان البلدة — ولعلهم من اعيانها — يرقصون، ولم يكن صاحبنا من هواة الرقص فانهُ يجهل مباديهُ المصرية فكان الامر اكبر عائق في سبيل تعرفهِ الى الناس. فكان يحرق الارم غيظاً ويهمّ ان يذهب الى هذه المدارس المعدّة للرقص المتفشية في كل انحاء العالم ولكنهُ كان خجولا كثير الاعتداد بنفسهِ فلا هو يرغب في العودة الى التلمذة وتلقي الدروس — حتى دروس الرقص لشدة ما لاقى من هول الامتحان في شتى المدارس التي دخلها . ولا هو يعترف بسهولةٍ بجهلهِ الرقص اذا ما ضمهُ ناد من انديتهِ فكان يحتال الحيلة بعد الاخرى حتى لا يدرك القوم ضعفهُ فيدعي مرة وجع رجلهِ واخرى صداعاً في رأسهِ او يختبئ ناحية يتحدث الى عجوز تحملق في الراقصين وتؤثر النظر الى ما يعيد اليها ذكرى شبابها على التحدث الى رجل لا ينفعها

وساقهُ طالعهُ مساء يوم الى الجلوس بعيد العشاء الى مائدة منفرداً وحدثتهُ نفسهُ فطلب كاساً من الوسكي فتلعثم الخادم واعتذر قائلاً ان الفندق خلو هذه الليلة من الوسكي الا زجاجة واحدة احتكرها هذا السيد الانكليزي الجالس ههنا امر بها تقيَّد الى حسابهِ . واشار الى الرجل . وكان الانكليزي ادرك مغزى الكلام فنهض من مقعدهِ واقترب من صديقنا المصري وعرض عليهِ ما يشاء من الوسكي وكانهُ استأنس برجل يحب الوسكي حبه لهُ فقعد الى جانبهِ واخذا يتجاذبان شتى الاحاديث واقبلت عليهما زوج الانكليزي سيدة رشيقة القوام بيضاء اللون شقراء ما بقي لها من شعر، فقدم الزوج صاحبنا المصري الى السيدة .فلا تسل عن جزعهِ حالما ابتدأت موسيقى الرقص بعد راحة وسكون فكان يتظاهر بالاهتمام بحديث تافه ويحتدُّ وينشط للكلام محولا انظار رفيقيهِ من الرقص الى موضوع كلامهِ حيلةً حتى لا يدعو السيدة الى الرقص معهُ — فانهُ ان لم يدعها اخلَّ بواجب اللياقة وان دعاها فضح نفسهُ . وكان السيدة فطنت الى الامر فاحبت ان تزيد في عذابهِ ففاجأتهُ سائلة لماذا لا يرقص وهلا يحب الرقص نبغت واُخذ على غرة وقال ان برجلي الماً شديداً استعصى علاجه وقد امرني

الطبيب ألاّ اجهدها فسكتت السيدة تأدباً وحسن تربية فانها لم تشاهد في مشيته عرجاً ولم تلمح في احدى رجليه عوجاً

وكان الطقس جميلاً والجو صافياً مما يبشر بصحو وشمس مشرقة في اليوم التالي فقال الانكليزي انا ذاهبون غداً في سيارة من سيارات السياح التابعة لشركة السكة الحديدية الفرنسية المدعوة .P.L.M لنشاهد دير الشارتروز في قمة من قمم جبال الالب معروفة بهذا الاسم فهل تعرف المكان ؟ قال صاحبنا اني اعرف المكان وقد زرته في مثل هذه الايام من السنة الماضية ولكنني اذهب معكما فالبقعة جميلة والنزهة نادرة المثال لا تمل" فاتفق الثلاثة على ان يصبحوا الى مكتب الشركة في الساعة الثامنة من الغد. وكان الندُ والتقى الثلاثة امام السيارة وهي كبيرة ضخمة تسع ثمانية عشر راكباً اعدتها شركة السكة الحديد فيما بين باريز وليون والبحر المتوسط سبباً تزيده الى اعمال سككها الحديدية . فركب الثلاثة كلٌ في مكان أُعد له وسارت السيارة بسياحها تخترق الجبال صعوداً في طرق مهدت كأنها طريق سلطاني معبد منذ سنين

وكان مقعد السائح المصري الى جانب سيدة تصحب زوجها ومقعد الانكليزي وزوجه في الامام على غير بعد منه . وهبت الريح فطارت قبعته عن رأسه وهو لا عهد له بلبس هذه القبعات فلم يكن ليحكم وضعها على رأسه فصاح واشار الى السايق بالوقوف ولكن الرجل جاره كان في مقعد على مقربة من الباب فاسرع في النزول وجاءه بقبعته فاخذها صاحبنا شاكراً يعقد الخجل لسانه . وكانت الحادثة سبباً في الاخذ باسباب الحديث فعرف منه انه يقطن الفندق نفسه في جرينوبل وانه رغم كونه فرنساوياً فهذه اول زياراته لدير الشارتروز واشتركت السيدة في الحديث فلما علمت موقع موطن صاحبنا من بلاد الله قالت وانا شرقية مثلك . انني مولودة في باريز ولكنني من ابوين لبنانيين. فجمعتهما رابطة الشرق وقال لها فلنكن عصبة على هؤلاء الغربيين فضحك الزوج وقال يا لهذه الدنيا ما اضيقها على رحبها فقد جمعت هذه السيارة على ما اظن نحواً من عشرة اجناس من اقاصي الارض وليس كفرنسا بلد تجمع كل العالم في ضمن حدودها

ووقفت السيارة في محطة من محطات الرحلة فعرّف صاحبنا صديقيه الجديدين بصديقيه الانكليزيين وجلسوا ولغتهم الافرنسية يتبادلون الكلام . وماكاد يستقر بهم السفر في غاية رحلتهم حتى اصبحوا كأنهم اخوان الصفا من عهد قديم

ذلك ان هؤلاء الغربيين ادباً وحسن سلوك في المعاشرة يحبّب اليك الجلوس اليهم فتنسى انك غريب عنهم كل هذا الى تحفظ في الحديث فلا يناقشونك في شيء من امور الدين او شؤون السياسة بل يصرفون الكلام كله الى سوى ذلك مما يتعلق بالفنون والعادات والاجتماع لعلمهم ان الدين والسياسة امران يختلف فيهما الناس فلا تصح مناقشتهما فيهما لئلا يولد اختلاف النظر والميل نفوراً لا يحمد في رحلة غايتها الترويح عن النفس والتمتع بالطبيعة وعمل الانسان فيها

والطريق الى دير الشارتروز يأخذ على الانسان حواسه وشعوره ويكاد يذهب بعقله . فانك لتخترق الجبال واحداً بعد الآخر صعوداً فتشرف على اودية ملأى بالحراج والغابات وتنظر الى فوق فاذا الشلالات تنحدر وتنساب كالحيات البيضاء .هنا صخر قائم بنفسه اجرد أملس تظنهُ جبلاً قد انقدَّ عما سواهُ من الجبال.وهنا نهر يجري ببطء يسمعك خريراً فيحبّب اليك النعاس ثم ينحدر فجأة شلالاً يروع الناظرين .وهنا غابة حلّقت اشجارها وناطحت السحاب صُفّت واحدة اثر اخرى كأنها بنيان مرصوص والشمس تلوح في كبد السماء ولا تصل اليك لما يحجبها عنك من الحراج والمطر يهطل فلا يبلّلك الاَّ بعد ان يملأ الاشجار ماء

هكذا حتى قُدّر فبلغ المطيُّ بنا الدير . وما ادراك ما هذا الدير

ثكنة جمعت مئات الغرف والدهاليز في متسع من الارض عظيم . تدخلهُ من باب موصد دون الذين لا يدفعون رسم الدخول وتمرُّ في ميدان مبلط الى باب آخر هو مفتاح الدير فيلقاك رجل من بقايا العمالقة يحمل شارباً يقاس بالذراع فيقف ويأمر الداخلين بالالتفاف حوله والمرور بحيث يشير عليهم ثم يأخذ بسرد تاريخ الدير منذ نشأته الاولى الى حين طردت الحكومة الفرنساوية سنة ١٩٠٤ او ١٩٠٢ كل ما فيه من رهبان والحقتهُ باملاكها وجعلتهُ خالياً خاوياً اثراً حجريًّا بعد مغاور عبادة ومقابر قساوسة احياء

وحكاية هذا الدير غريبة — والعهدة على ذي الشاربين الضخمين — فانهُ حدث منذ بضع مئات من السنين انهُ كان على كرسي الكنيسة في جرينوبل مطران مشهور بالتقوى ولهُ تلامذة ومريدون عديدون . فرأى ذات ليلة كما يرى النائم ان قمراً يحيط به سبعة نجوم قد هبط اليه وسجد لهُ وظل ينتقل الى ان وقع على مكان في جبل الشارتروز . فلم يعبأ بالامر وقال اضغاث احلام

وبينا هو في مجلسه اذ قال قائل ان تلميذك القس فلان (وليعذر الاتقياء نسياني اسم هذا القديس واظنهُ برينو) جاءك من بلد بعيد زائراً فامر بهِ يدخل عليهِ. فجلس التلميذ بين يديهِ واستأذنهُ بان يقدم لهُ سبعة من اخوانهِ قدموا معهُ. فلما تكامل العدد قال القس الزعيم انهُ جاء يعرض على معلمهِ ومهذبهِ امراً وهو ان النعمة قد هبطت عليهِ فعزم على ان يؤلف رهبنةً يكون من نظامها كيت وكيت وانهُ يطلب بركة المطران وصلواته

وذكر المطران رؤياهُ وقال هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وامرهم ان يجعلوا مقر رهبنتهم في الموضع من جبل الشارتروز حيث أُلهم في الرؤيا

فانقاد القس للامر وجاء الى ذلك الموقع من الجبل واسس الرهبنة هناك. وانك لترى شعارها حتى الآن سبعة نجوم وقمر

على ان الوحي على قول الكفار لم يحكم الاصابة. فان الدير الذي قام على موقع رؤيا المطران من الجبل لم يلبث في شتاء سنة من السنين ان جُعلَ عاليه سافله من صخرة كانها جبل قدَّت من جبل آخر تدحرجت عليهِ وطمست معالمه ولم ينج من رهبانه الاَّ القليلون. وهؤلاء جاءوا وبنوا هذا الدير الحالي في مرتفع آخر يبعد كثيراً عن موقع الرؤيا

ولكنَّ المؤمنين يردون قول الكافرين ويقولون ما اخطأ الوحي ولا ضلَّ السبيل ولكن المطران خانتهُ الذاكرة فما دلَّ على موقع الجبل كما أُوحي اليهِ

فكان اصحابنا الخمسة يسيرون في قافلة يربي عددها على الخمسين وراء هذا الرجل ذي الشاربين. اما السيدة اللبنانية زوج الفرنساوي فكانت تمر امام حايط رسم عليهِ الصليب او علقت فيهِ صورة للعذرا الاَّ رسمت علامة الصليب بيدها على صدرها. اما الانكليزية فكانت تعجب بكل ما ترى وكان المصري يلتفت ليرى موضع الاعجاب فلا يهتدي اليهِ. اما الانكليزي فكان يسرع في الخطى مقطباً الجبين حانقاً على الدير واهله لمنعهم التدخين في الغرف فحرم من لذة غليونه. وكان الافرنسي الوحيد الذي يظهر الاهتمام بما في البناء من هندسة متقنة نادرة المثال وما على الواح الزجاج من فن في التصوير

فلما انقضى اجل الزيارة واخذ اصحابنا الخمسة مقعدهم في مكان خارج الدير فوق صخرة تظللها الاشجار انفكت عقدة لسان المصري فقال

ان آية هذا الدير النظام التي كانت عليهِ رهبنة الشارتروز. فهذه رهبنة تنتمي الى

دين لا يفرق بين سيد وخادم ولا يخير الواحد عن الآخر الاَّ بالايمان . فما بالهم جعلوا من الرهبان فرقاً — هذه فرقة تخدم وتلك فرقة لا يجوز لها اطلاق الشارب بل عليها الاكتفاء باطلاق اللحية وتلك تطلق الشارب واللحية . وهؤلاء العامة يدفنون في الدير ولكل ماية منهم او اكثر بقعة واحدة عليها صليب صغير . اما الرئيس او الجنرال فلهُ في مدفنه صليب خاص بهِ . ولذا ترى صلبان الرؤساء اكثر من صلبان الرهبان على ان موتى هؤلاء تزيد على موتى اولئك بكثير

قال الانكليزي . ذلك النظام . انزع الرئيس والمرؤوس من الدنيا ترَ الفوضى والخراب العاجل

المصري — اذاً ليس هناك مساواة حتى تحت الارض

الانكليزي — المساواة ليست في الطبيعة ويجب ألاَّ تكون في البشر . ثم وضع غليونه في فمه واشعلهُ وجلس جلسة فهم الباقون منها انهُ قد شبع من الكلام

قال المصري : اني لا ازال اعجب لهؤلاء الرهبان كيف كانوا يطيقون الحياة في هذا الدير . أنظرتم حجراتهم ؟ ان الواحدة منها لا تزيد على ذراعين في ذراع . فراشه قليل من القش في مزود كمزود البقر لا يرى النور الاَّ من كوة تقاس بالاصبع فاذا صحا من نومه فالى الركوع والعبادة

واغرب الغرائب ان هؤلاء الرهبان كانوا كلهم قوماً مهذبين مثقفين فان الرهبنة لم تقبل في عضويتها الاَّ البارعين في اللاتينية ولم يكن يسمح بلغة اخرى داخل هذا الدير

قالت السيدة الانكليزية : هو الايمان يفعل العجائب فاذا كانت حبة خردل منهُ تنقل الجبل من موضعهِ فما بالك بما يفعلهُ ايمان هؤلاء

الفرنساوي — انهم كانوا يعتاضون عن هذه الدنيا بطيب خمر الشارتروز فقد تقنوا صنعتهُ واحتكروا سرهُ فتلذذوا بطعمهِ واثروا من بيعهِ

فغضبت زوجه وقالت تالله تفتأ تأخذ الامور هازلاً اني لا احب هذا القول منك

فرفع كتفيهِ وضحك وسكت

وضربَ في بوق السيارة فهمَّ القوم بها واخذت تنحدر بهم قافلةً الى جرينوبل في غير الطريق الذي اتوا منهُ . ولكنهُ لا ينقص عن الطريق الاول روعة وجمالاً

فلما بلغوا فندقهم وتناولوا طعام عشائهم انصرف كل الى مخدعه على ان يصبحوا فينظموا رحلتهم الثانية

سامي الجريديني

صروف اللغوي

كان شيخنا هذا رجلاً حصيفاً جيد المنزَعة حسنَ الرأي ممكَّناً لهُ فيما كان يعترضهُ من مسائل اللغة قويًّا على الاحوال التي تجري لهُ من أوضاعها فيما يُعانيهِ من النقل ويزاولهُ من الترجمة على اختلاف مناحيها وكثرة فنونها وعلى أنها لا تزال كل يوم تنبعث من علمٍ وتحتفل من رأيٍ وتمدُّ مدَّ السيل كأنها دنيا عقلية لا يبرح عقلُ الانسان دائباً يخلق فيها ويبنيها من معاني الكون وأسرارهِ فلا الكون ينفد لتتم ولا هي تتم قبل أن ينفد الكون

وثبت شيخنا على ذلك عمرَ دولة من الدول في خمسين سنة ونيف يضرب قلمهُ في السهل والصعب وفي الممكن والممتنع . وإنهُ ليمرُّ في كل ذلك مرًّا لا ينثني ويحذو حذواً لا يختلف كأن الصعب عندهُ نسقُ السهل والممتنع صَوْغُ الممكن فلو قلتُ إنهُ بُني في أصل خلقهِ وتركيبهِ على أن يكون قوة من قوى التحويل لتحقيق المشابهة العقلية بين الشرق والغرب لما أبعدت ، ولو زعمتُ أن ذلك القلم الحي لم يكن الا عِرْقاً في جسم الانسانية لكان عسى

وانتهى شيخنا في العهد الاخير الى أن صار يُعدّ وحدهُ حجة اللغة العربية في دهر من دهورها العاتية لا في الاصول والأقيسة والشواذ وما يكون من جهة الحفظ والضبط والإتقان ، بل فيما هو أبعد من ذلك وأردُّ بالمنفعة على اللغة وتاريخها وقومها ، بل فيما لا تنتهي اليهِ مَطمعة أحد من علمائها وكتابها وادبائها ، إذ وقع الإجماع على انهُ انفرد في إقامة الدليل العملي على سعة العربية وتصرفها وحسن انقيادها وكفايتها وأنها توآتي كل ذي فن على فنهِ وتمادُّ كلَّ عصر عادتهِ وأنها من دقة التركيب ومطاوعتهِ مع عمام الآلات والادوات بحيث ينزل منها رجل واحد بجهدهِ وعملهِ منزلة الجماعات الكثيرة في اللغات الاخرى كأنها آخر ما انتهت اليهِ الحضارة قبل أن تبدأ الحضارة

ولا يذهبنَّ عنك الفرق بين رجل حافظ والكتابُ أحفظ منهُ وهو من الكتاب خرج والى الكتاب يرجع ، وبين رجل يكون ترجماناً من تراجمة العقل الانساني المعنيِّ بتأويل الكون وتفسيره والطائرِ بالالفاظ الانسانية على أجنحة العلوم والفنون والمخترعات والمعاني ، فان ذاك ينقل عن الواضع ثم لا يتعدى هذه المنزلة ولا يتجاوز

مُتُونَ الالفاظ ، وأما هذا فلا يزال يضطرب مع الالفاظ ومعانيها يجاذبها ويدافعها ثم لا يزال يضع يده في النسيج اللغوي يسدّي ويلحم فهو مدفوع الى المسالك الدقيقة من مذاهب الوضع وطرقهِ وأساليب الاخذ والانتزاع ، وهو مقيد أبداً بخاصّ المعنى وخاص اللفظ على التعيين والتحديد لا يجد فسحة من ضيقين ، فان لم يكن مثل هذا في منزلة الواضع فهو في المنزلة بعده ولا ريب

اما اللغوي الاكبر عندي هو هذا الكون ، وما العالم باللغة وفنونها الاّ وسيلة لتهذيب الطريقة تهذيباً عقليًّا فيجب من ثمّ ان يكون للغوي رأي وعلم وذكاء وبصر ويجب ان يطابق النواميس فلا يتعادى ما بينهُ وبينها لانهُ وسيلة إنطاقها ليس غير. ومن ذلك أرى الدكتور صروف في الغاية فقد كان ينزع في مذهبهِ اللغوي منازع علمية دقيقة تُوزَن وتقاس وتختبر في حينٍ لا تزيغ ولا تهنُ ولا تختلّ ، وتراها تنطلق وهي مقيدة وتتقيد وهي مطلقة ، إذ كان لا يعتدّ اللغة عربيةً للعرب بل عربية للحياة وما تهدمهُ وتبنيهُ وما تُحدثهُ وتنسخهُ فهي على اصولها فيمن قبلنا ولكن فروعها فينا نحن وفيمن يلينا وفيمن بعد هؤلاء فلنا ان نتولاها على تلك الاصول وعلى ما يشبهها في الطريقة حين تنتقل الحال ويتغير الرسم ولعلةٍ إن وجبت ولقياس إن جاز . والدكتور بهذا الاعتبار يشتد في التمسك بالقواعد والضوابط ولا يترخص في شيء منها غير انهُ لا يكون كأقوام يرون الفروع من الجذوع قد خرجت فيحسبون الثمرات سبيلُها من الجذوع أيضاً . . . . وان لم تجيء منها فستجيء منها

عرض لي يوماً احد هؤلاء اللغويين فانتقد في المقطم قصيدة من القصائد التي رفعتها الى جلالة الملك فؤاد وتمحّل في نقده ودلَّل ببعض ما نقلهُ من كتب اللغة فكان فيما تكلم فيهِ لفظا (الأزاهر والورود) فقال انهما ليسا من اللغة ولم يجريا في كتبها ، وكان من ردّي عليهِ أن قلت لهُ ان العرب جمعوا الجمل ستة جموع وجمعوا الناقة سبعة لانها اكرم عليهم منهُ وان لكل حياة صوَرها الدائرة في ألفاظها ، فالزهر والورد عند المولدين والمحدثين اكرم من الجمل والناقة عند العرب او هذان كهذين ثم هما من خاص الالفاظ المولدة فلنا ان نجمعهما على كل صور الجمع التي يسوّغها القياس لان هنا العلة الموجبة التي لم تكن مع العرب فيهما . فمن الصحيح ان نقول زهور وازهار وازاهر وازاهير الخ فلما لقيت الدكتور بعد نشر هذا الرد هنأني بهِ ثم قال فيما قال : يحسبون ان العرب هم الجمل والناقة وليس غير ما استجمل وما استنوق . . . . أما هذا

الدهر الطويل العريض فليس عندهم شيئاً وهم يستطيعون ان ينكروا على المولدين الف كلمة ولكن هل في استطاعتهم ان ينكروا على التاريخ الف سنة ، فذكرت له الاصل الذي قرره ابو علي الفارسي في العربي الصحيح نفسه من انهُ ليس كل ما يجوز في القياس يجب ان يخرج به سماع فاذا أخذ انسان على طريقة العرب وامَّ مذهبهم فلا يُسأل ما دليلهُ وما سماعهُ وما روايتهُ ولا يجب عليهِ من ذلك شيء . حتى قال ابو علي : لو شاء شاعر او ساجع او متسع ان يبني بالحاق اللام (١) اسما وفعلا وصفة لجاز لهُ ولكان ذلك من كلام العرب وذلك نحو قولك : خَرْجَجٌ أكثرُ من دخالل ، وضرْبَبَ زيدٌ عمراً ومررت برجل ضرْبَبٍ وكرْمَمٍ ونحو ذلك. قال تلميذه ابن جني فقلت لهُ أترتجل اللغة ارتجالاً قال ليس بارتجال لكنهُ مقيسٌ على كلامهم فهو اذاً من كلامهم

وسألني مرة عن وجه الخلاف بين ما يسمونهُ القديم والجديد فقلت لهُ : ان الخلاف ليس على جديد ولا قديم ولكن على ضعف وقوة فان قوماً يكتبون وينظمون ولكن لم تُقسَم الفصاحة والبلاغة على مقدار ما يطيقونهُ من ذلك ولا يتسع الصحيح لآرائهم في اللغة والادب وقد أرادوا ان يسعوا كل ذلك من حيث ضاقوا ويطاولوهُ من حيث تقاصروا وينالوهُ من حيث عجزوا فظنوا بالامر ما يظن انسان يمشي على الارض ويعرف انها تدور فيؤوّل ذلك بأنهُ هو يدير الارض على محورها بحركة قدميهِ . . . . نحن نقول اسلوب ركيك فيقولون لا بل جديد ، ونقول لغة سقيمة فيقولون بل عصرية ، ونقول وجه من الخطأ فيقولون بل نوع من الصواب وهلمَّ جرًّا وسحْباً . . . . ثم قلت لهُ : أفتجد انت الركاكة واللحن والخطأ والغثاثة وإنَّ واخواتها باباً جديداً او امراً مبتدَعاً او شيئاً يحتاج الى اسم جديد غير اسمهِ العربي ؟ قال لا وانا معك في هذا وطريقتي في المقتطف ان اللغة في قواعدها عربية ولكن من قواعدها ان لكل مقام مقالاً فنحن نكتب كتابة صحيحة ونريد بها ان ترفع العامة ولا تنزل بالخاصة فنخدم العربية من الجهتين

ثم نشر بعد ذلك في عدد شهر مايو سنة ٩٢٧ مقالاً جعل عنوانهُ (اسلوبنا في الترجمة والتعريب) وابتدأهُ بهذه العبارة : « اللغة جسم حي نامٍ وشأن من يحاول منعها من النمو شأن الصينيين الذين يربطون اقدام بناتهم لكي لا تنمو وتبلغ حدها الطبيعي ، ولكن اذا كان النمو مشوَّهاً فلا بد من تقييدهِ وتهذيبهِ » . وكل ما نقولهُ نحن هو

(١) زيادة حرف من جنس لام الكلمة والحاقه بها

التقييد والتهذيب واتقاء الشوهة أن تُلم باللغة وأساليبها فتترادف على محاسنها بمعائبها وتطمس مفاتنها بمقابحها ، فان هذه المعائب والمقابح اذا هي استجمعت وانساغت في لغة من اللغات لبستها باشكالها فلا تزال تتكرر منها حتى لا تبقي لها وصفاً يعرف. والحسن وحده هو الذي يحد بالاوصاف والتعاريف وهو الذي يدقق فيه ويبالغ في قياسه وتقديره ، فان وقع فيه الفضول واختلطت الحدود وضعفت الملاءمة وجرى الوصف ناقصاً وزائداً فقد خرج الى القبح ، وان خرج الى القبح لم يعد الناس يحدُّون له حدًّا او يعبأُون له بقاعدة ووجدوا فيه كل الاوصاف الجميلة مقلوبة منكرة لانهُ هو جمال مقلوب . (فتقييد التشويه وتهذيبهُ) كلمتان فيهما الكلام كله او هما المصراعان لهذا الباب . ومن اجل ذلك كنا نعد الدكتور من حجتنا على اصحاب الجديد لانهُ اوسعهم احاطة واكثرهم علماً وامدّهم عملاً ثم لن يدانيهُ احد منهم الاَّ اذا جمع لنفسه عمرين وهل في الجديد رجل ذو عمرين . . . ؟

قلنا ان الشيخ كان في المنزلة التي تلي منزلة الواضع وقد دفعتهُ العلوم الى ذلك دفعاً لانهُ مقيد بخاص المعنى في كل ما يترجم او يعرب ثم بالخصائص العلمية الدقيقة التي لا تحتمل في أدائها ما تحتمل المعاني الادبية ، وقد تصدَّر للكتابة والترجمة منذ شباب هذا العصر ومنذ بدأ الناس يقرأون العلوم الحادثة في الشرق ، فلا جرم لم يكن لغوياً كأبي عمرو وابي زيد والخليل والاصمعي وابي حاتم وابي عبيدة واضرابهم ممن يحملون عن العرب ويؤدون ما حملوهُ ، ولا كان لغوياً في طريقة سيبويه والكسائي والزجاج والاخفش واليزيدي واشباههم ممن ينظرون في اللغة وعللها واقيستها وشواذها ، ولكنهُ لغوي فيما بعمر بين الشرق والغرب يحمل باسان ويؤدي بلسان غيرهِ ويوافق بين المعاني الجديدة والالفاظ القديمة ويشابك بين خيوط التاريخ في هذه وهذه ويأخذ اللغة للاستعمال لا للحفظ وللتعليم لا للتدوين وللمنفعة لا للمباهاة وللفائدة لا للتنبُّل ، ويترجم وانَّ في خيالهِ العالم الواسع الذي ينقل عنهُ بعلمائهِ وادبائهِ وكتبهِ ومجلاتهِ ومصطلحاتهِ ، ويكتب وان لهُ تلك الملكة الدقيقة التي كونتها العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية وغيرها، فلم يكن بدٌّ من ان يبتدع وان تكون لهُ طريقة يوافق فيها ويخالف وقد بسط هو القواعد التي اخذ بها وجرى عليها فكتب فيها مقالاً في مقتطف شهر يوليو لسنة ١٩٠٦ واعاد نشرهُ في عدد شهر مايو لسنة ١٩٢٧ وهو يوافق فيه اكثر العلماء وخاصة الامام الجاحظ مع ان قاعدة الجاحظ لم تكن يومئذٍ معروفة ولكن

كلا الشيخين حصيف الرأي تامُّ الاداة في عملهِ قويُّ الحسبة والتدبير فيما يأخذ وما يدع . وخلاصة رأي الدكتور انهُ ينظر في الكلمة الاعجمية فان اصاب لها مرادفاً في العربية يحدّدها ويفي بها فذاك والاَّ امرَّها في كتابتهِ.وهو مقيد بفائدة القارىء وماهو أخف على قارئهِ في المؤونة وأبين لهُ في الدلالة فان كانت اللفظة الاعجمية أوفى وأشبع في الاستعمال عدل اليها .قال: وغني عن البيان اننا التزمنا ان نجاري العلماء في المصطلحات العلمية التي تفقد دلالتها بتعريبها كالحامض الكبريتوس والكبريتيك الخ فان لكل من هذه الملحقات والزوائد التي فيها معنىً خاصًّا يدل على تركيب الحامض المراد كما يعلم دارسو الكيمياء . قال فمن يسمي الحامض الكبريتيك بالحامض الكبريتي كمن يسمى الفرس حماراً لان لكل منهما رأساً وذنباً ....

والجاحظ يقول في مثل ذلك : ان رأيي في هذا الضرب من هذا اللفظ أن اكون ما دمت في المعاني التي هي عبارتها والمادة فيها على ان ألفظ بالشيء العتيد الموجود (يعني اللفظ العلمي الاصطلاحي) وادع التكلف لما عسى ألاَّ يسلس ولا يسهل الاَّ بعد الرياضة الطويلة .. ولكل صناعة الفاظ قد جُعلت لاهلها بعد امتحان سواها فلم تلزق بصناعتهم الاَّ بعد ان كانت بينها وبين معاني تلك الصناعة مشاكلات

فأنت ترى الجاحظ لا يمتنع من الالفاظ الاعجمية والعامية كما هي ما دامت المعاني قائمة وقاعدتهُ هي الاخف والادل والافهم والاشبع،وهذا بعينهِ يقول الدكتور فيهِ : « يشترط في حسن التعبير أن يؤدي المعنى المراد الى ذهن السامع باقل ما يكون من الوقت والكلفة والاسراف في القوة العصبية »

وقد كلفى بعضهم في خطأ الدكتور من ناحية الالفاظ الاعجمية وإقحامها في كتابتهِ وانهُ يجنح الى ذلك بأوهى سبب . ولا اراهُ خطأً بل انا ارد ذلك الى ما بينتهُ آنفاً من امر الناقل والواضع ولا يعجزنا ان نجد لصنيع الدكتور نصا يقوم بهِ وينهض بحجتهِ فقد قال ابو علي الفارسي : ان العرب اذا اشتقت من الاعجمي خلطت فيهِ .فاذا كان هذا في الاشتقاق وهو لا يكون الاَّ من اصل فكيف بالتعريب . على انهُ لا خلط ولا اضطراب انما هو سبيل الوضع وحكمة الدلالة وان اللغة هكذا تجيء ثم يأتي بعد ذلك النحويُّ يقول لماذا ولا ن ....

وقد اعجبني حسن تقسيم الدكتور لقواعدهِ التي بسطها في مقالهِ المستفيض حتى إني لأراهُ باباً جديداً في التقسيم المعروف عند علماء البلاغة واللغة لابتذال الالفاظ

وغرابتها اذ لم يبق عندنا غريب ومبتذل ولا بيننا عرب ومحدثون

بيد ان من تلك القواعد ان الاستاذ يترخص في الالفاظ العامية وهو يجد فصيحها ويقول في ذلك : « اذا أسمعت للفلاح المصري كلمة بذار مرة في الاسبوع او في الشهر سمع كلمة (تقاوي) مائة مرة والف مرة ، فرأينا ان محاولة تنبير لغة العامة في هذه الكلمات وامثالها ضرب من العبث واضاعة للوقت وتضييع للفائدة فجاريناهم فيما نكتبهُ لهم » . وهذا ما كنت اجادلهُ فيهِ ولا اسلم لهُ بشيء منهُ لانهُ اغفل اصلاً اجتماعياً عظيماً فان عامتنا غير منقطعة من العربية الفصحى ولا يزال فيهم ميراثها من القرآن والحديث وكلام العلماء في امور دينهم ، وهذه هي وسائل مزجهم بالفصيح وردهم اليهِ ولا تزال هذه الوسائل تفعل ما تفعلهُ النواميس المحتومة ولولاها لما بقي للفصحى بقية بعد

وقد كان جاء الى مصر من بضع سنين رجل من امريكا هو من تلاميذ الدكتور القدماء فنزح الى ذلك البر فاتجر فأثرى وفشت لهُ نعمة عظيمة . ولما لقيتهُ لقيت في يدهِ صحيفة وضع فيها مسائل في اللغة والنحو وكان أعدها ليسأل عنها وفي اولها هذا السؤال : لماذا يقال فصُح الرجل فصاحة فهو فصيح ثم يقال شعر شعراً فهو شاعر . الم يكن القياس ان يقال شعُر شَعارةً فهو شعيرٌ ، والفصاحة والشعر من باب واحد ؟

وهذا السؤال وان كان في ظاهر الرأي لغواً وعبثاً ولكنهُ دقيق في تاريخ اللغة واقيستها ولا محل لبسط الكلام عليهِ في هذا الموضع غير اني أنهيت الخبر للدكتور صرُّوف وقلت لهُ ان صاحبك هذا يضع قواعد اللغة في الميزان الذي في حانوتهِ .... وانت كذلك تعالج بعض الالفاظ احياناً ببعض الغازات والحوامض . قلت هذا لاني لم اسلّم لهُ قط فيما كان يراهُ في مثل البذار والتقاوي على انهُ قيّد الكلام بقولهِ (فيما نكتبهُ لهم) وهذا احتراس يدافع عنهُ بقوة كما ترى

ولا يمتري احد في ان هذه النهضة اللغوية التي ادركناها وعملنا فيها لم تكن سوى نمو طبيعي لعمل رجال أفذاذ نظن الدكتور صروف في طليعتهم لانهُ كان اطولهم جهاداً واكثرهم عملاً واظهرهم اثراً وكان المقتطف يجيء لها كل شهر كانهُ قطعة زمنية مسلطة بناموس كناموس النشوء حتى لأمّ هذا المقتطف ان يكون عصراً من العصور قد خرج في شكل الكتابة . ولقد كاشفني الدكتور في آخر ايامهِ انهُ كان يود لو ختم عملهُ بوضع معجم في اللغة يصلح ان يقال فيهِ انهُ معجم الشعب وفصّل لي طريقتهُ إذ كنت اكلمهُ في كتاب لغوي افتتحتُ العمل فيهِ من زمن ولا يعرف احد من امرهِ خبراً فقال لي

خذ بين طريقتي وطريقتك وامضِ انت في هذا العمل فاني لو وجدت فراغاً لما عدلت بهذا الاثر شيئاً وما كل سهل هو سهل

على ان شيخنا هذا لو قد كان تفرغ للغة وتوفر عليها واجتمع لها بذلك العمر وتلك العلوم والادوات لكان فيها بأمة من الاشياخ الماضين من لدُنْ ابي عمرو بن العلاء الى الدكتور يعقوب صرُّوف، ولكن لعلّ الدهر اضيق من ان يتسع او هو اوسع من ان يضيق .... لإمام آخر كابي علي الفارسي يفرغ سبعين سنة لفرعٍ واحد من علوم اللغة هو علم القياس والاشتقاق والعلل الصرفية ويجعلهُ همه وسدَمهُ على ما قال تلميذه ابن جنّي : « لا يعتاقهُ عنهُ ولد ولا يعارضهُ فيهِ متجر ولا يسوم بهِ مطلباً ولا يخدم بهِ رئيساً فكأنهُ انما كان مخلوقاً لهُ »

وكانت للدكتور طريقة جريئة في رد الالفاظ العربية الى اصولها والرجوع بها الى اسباب اخذها واشتقاقها وتصاريفها من لغة الى لغة ، وأعانهُ على ذلك ثقوب فكرهِ وسعة علمهِ ودقة تمييزهِ وميلهُ الغالب عليهِ في تحقيق ناموس النشوء وتبين آثارهِ في هذه المخلوقات المعنوية المسماة بالالفاظ . وكان معجباً بكل ما جاءهُ من هذا الباب ولو كان من خطإٍ لانهُ الى الرأي يقصد وللطريقة يمكّن ومع الخاطر يجري

وهذا باب يحتاج الى التسمُّح والتساهل إذ لا يمكن تحقيقه ولا تتفق الحيطة فيهِ وليس الاّ ان يتلوّحَ شيء منهُ ويسنح شيء وتتلامح علةٌ ويعرض سبب . ثم هو في الدكتور من بعض الدلالة على استحكام ملَكة الوضع فيهِ ونزوعهِ الى ان يقتاس بقياسهِ ويستخرج من علله. وقد تراهُ يبعد في ذلك فينصب لك الدليل من وراء بضعة آلاف سنة ، وأنا الساعة أعانُ ذاكرتي وأديرها من ههنا وههنا لاجد كلمة قال لي مرة في تاريخها ان العرب اخذوها عن اليونان حين كانت مكة نفسها جارية في حكمهم ، ولكني أُنسيتُ هذه الكلمة إذ لم أرتبطها واذ كنت لا أرى هذا المذهب ولا أحسن ان اقول فيهِ قولاً واعتدُّ كل ما يقال فيهِ من باب تلفيق الادلة كأنهُ ذنبُ ذلك الاعرابي الذي يريد ان يجعل في الناس منهُ مثل غرائز النعم .... فيقول « إلا ترَهْ تظنهْ »

والدكتور صروف رجل ماليّ في المال وفي اللغة جميعاً فمذهبهُ القصد في الدلالة والقصد في الوقت والقصد في القوة وقد صرفته ثلاثتها عن الشعر وعما كان في حكمهِ من تحبير النثر وتوشيته على أنهُ يحسنها لو أراد ولو سخَتْ نفسه بالوقت ينفقهُ ولا يتعرّف قدر ما مضى منهُ في هذه الساعات بل في ساعة الكون الكبرى التي يتعاقب فيها

عقرباً النهار والليل كما كان ينفق البارودي يوماً في بيت او بيتين

وكان شيخنا في آخر مجالسي معهُ قبل وفاته بشهر او نحوهِ اطلعني على كل ما نشرهُ في مجلدات المقتطف من شعرهِ فاعجبت باشياء منهُ واشرت على صديقنا الاستاذ فؤاد صروف ان يعيد نشر قصيدة الرفّاش التي ترجمها الدكتور عن الانجليزية في نسق سلس موشح القوافي والتي يقول فيها صاحبها يصف مخازي المدنية :

مخازٍ توالت فصالت وصارت   على اللحم دوداً وفي العظم سوساً

وسألني الدكتور بعد ان فرغت من شعرهِ : في اي طبقة تعدّني من شعرائهم ؟ ففكرت قليلاً ثم قلت لهُ : في طبقة الدكتور صروف . فضحك لها كثيراً

وكانت لهُ آراء في الشعر العربي غيّر بعضها في آخر عهدهِ ومما قالهُ لي مرة : ان الذي يريد ان يخلد ذكرهُ في هذا الشرق فلا ينسى، لا ينبغي لهُ ان يطمع في هذا الا اذا بنى هرماً كهرم الجيزة وهي كلمة فلسفية كبيرة تنطوي على شرح طويل يعرفهُ من يعرفهُ

وقد كادت قاعدة القصد التي اومأت اليها تنتهي بهِ في آخر مدتهِ الى القول باسقاط الاعراب بتةً واظن ذلك خاطرا سنح لهُ فأخذ باولهِ وترك ان ينظر في أعقابهِ فزرته مرة في شهر يناير لسنة ١٩٢٧ وكان يصحح تسويدة جواب كتبهُ عن سؤال ورد عليهِ في هل يمكن الرجوع الى اللغة الفصحى في القراءة والتكلم وما الفائدة من ذلك ؟ فلما امرَّ الجوابَ على نظرهِ دفعهُ اليَّ فقرأتهُ فاذا هو يرى ان كل حركة من حركات الاعراب والبناء يتهوَّر فيها وقتٌ ما . قال : فاذا قضينا على ابناء العربية ألاّ يتكلموا الاّ كلاماً معرباً نكون قد اضعنا عليهم ثلث الوقت الذي يقضونه في التكلم من غير فائدة تجنى

ولقد جادلته في ذلك ولججت في الخلاف معه وقلت لهُ ان هذه قاعدة مالية ثم انك اغفلت امر العادة وما تيسرهُ ، وفي الكلام ايجاز يقوم مع الاعراب هذا المقام حين لا يكون من الايجاز بدٌّ وفي اللهجات العامية من الحشو ومط الصوت وفساد التركيب ما يذهب باكثر من ثلث الوقت ، فأحسبهُ اقتنع وان كنت رأيتهُ لم يقتنع

وانهُ ليحضرني بعد هذا كلام كثير في فضائل الدكتور وآدابهِ وشمائل نفسهِ الزكية ومنزعهِ في الاخلاق الطيبة الكريمة، ولو ذهبت أفصّل لخرجتُ الى الافاضة في فنون مختلفة ولكني اجتزىء من كل ذلك بأنهُ كان يظهر لي دائماً كأنهُ في ظل من محبة الله

مصطفى صادق الرافعي

الدكتور صروف والادب

ينشأ بعض الناس على استعداد متساو للعلم والادب تبينهُ المناسبات وترجحهُ ضرورات النشأة الاولى ، فاذا صادف صاحب ذلك الاستعداد في مبدأ حياته ما يميل بهِ الى ناحية العلم خرج عالماً يستفيد من ميولهِ الادبية صقلاً في العبارة وافتناناً في الذوق والتخيل أو تجني عليهِ تلك الميول فتقعد بهِ في منتصف الطريق بين شأو العالم وشأو الاديب فلا يبلغ النهاية القصوى في مطلب من هذين المطلبين . واذا صادفهُ ما يميل بهِ الى ناحية الادب خرج اديباً يستفيد من ميولهِ العلمية قصداً في التعبير وضبطاً في التفكير واتقاناً في التقسيم والترتيب او تجنى عليـهِ تلك الميول ايضاً فتشلّ خيالهُ وتجفف معين ذوقهِ فلا هو الى التحقيق الذي يبتغى من العلم ولا هو الى الجمال الذي يبتغى من الادب

هل كان الدكتور صروف من اصحاب هذا الاستعداد الشائع بين الملكات العلمية والملكات الادبية؟ او هل كان عالماً بالمصادفة لانهُ لم يكن اديباً بالمصادفة ؟ ان الجواب عن هذا السؤال لا يلقي بالمسئول في حيرة ولا تردد ، فانك تستطيع ان تجيب عنهُ بالنفي وانت آمن كل الامن من السهو او الخطإِ . فانما نشأ الدكتور صروف عالماً لانهُ طبع على ملكات العالم الامين لفكرهِ الحريص على حقيقتهِ ، وانما أفاد الادب فائدتهُ النفيسة من جانب القصد والتحقيق لان الادب في ذلك الزمان كان احوج شيء الى قصد العبارة وتحقيق المعنى ، وكان — ولم يزل في اكثر فروعهِ — كلاماً لا مغزى لهُ ولا روح فيهِ ولا غاية لهُ وراء الالفاظ المرصوفة والجمل المحفوظة والتزويق الذي لا يرضاهُ ذوق الجمال ولا ذوق التمحيص والتدقيق

تقرأ المقال مما كان يكتبهُ «المنشئ البليغ » في العهد الذي بدأ فيهِ صروف حياتهُ الكتابية فلا تخطئ ان تجدهُ معرضاً للزهو بكثرة المترادف والمتوارد والاسجاع والفواصل او معرضاً للغلط في النحو والصرف والركاكة في المفردات والتراكيب ،فهو على أحسنهِ منظومة كأنها عقود الهَمَج تجمع من المحار والصدف كل ما لمع وزها وخلا من النسق والجوهر ، وهو فيما دون ذلك لا لمعة ولا زهو او لا اصداف ولا جواهر ! وهذا كل الادب الذي كانوا يعرفونهُ قبل خمسين سنة ، وأكاد اقول انهُ هو كل الادب

الذي يعرفهُ عندنا اناس لا يزالون يُذكَرون بالقاب الكتاب والبلغاء ويحسبون بيننا اذا حسب دعاة الفكر والثقافة !

فما برح بعض « الادباء » في الشرق العربي يطلبون من الادب كل شرط الا شرط القصد و« المناسبة لمقتضى الحال »، ويظنون ان الاديب اذا اجاد التنميق والترصيع ودس في كتابتهِ زهرة هنا ودمعة هناك ونجماً في الحاشية ووجنة او عيناً او غديرة شعر او ابتسامة ثغر في الطوايا .... فلا عليهِ بعد ذلك ان يجيء كلامهُ مطابقاً للغرض او بعيداً منهُ بُعْد النقيض من النقيض، ولا احد يلومهُ على الكذب في الوصف والمخالفة للواقع . مذ كانوا يطلبون من الصورة اللون والورق والاطار ولا يطلبون الشبه الذي هو الصورة كلها في الحقيقة او هو الشيء الذي من أجلهِ تصنع الاصباغ والاوراق والاطر .. !

ونعمت القناعة هذه لولا انها أفلاس الفناء وهم يقولون ان القناعة كنز لا يفنى !

لقيني اديب من هؤلاء الادباء فاظهر اعجابهُ ببيت من الشعر رثى بهِ احد الشعراء زعيماً قضى في نحو السبعين ووصف رفاته بانهُ « مثل ريحان الضحى » . فقلت لهُ : او لا ترى ان هذا الرثاء ليس مما يليق بالمرثي ولا يحسن ان يقال الا في بنت غضيرة في ريعان الشباب ؟ قال : أجل ، ولكن اليست الصياغة جميلة .. ؟ قلت هـذا كاهدائك ثوب الفتاة الى الشيخ الجليل ثم قولك اذا اعترض عليك معترض « نعم ! ولكن الثوب من حرير » واقسم اني ما اقنعت ذلك « الاديب » ولا تركتهُ الا على ذوقهِ الذي استحب ذلك الرثاء

فمن شاء ان يعرف كيف كان الادب في العهد الذي ظهر فيهِ المقتطف فلينزل عن هذه الدرجة بمقدار خمسين سنة وليقس على جهالة هذا الفريق من قراء الادب تلك الجهالة المطبقة التي كانت فاشية يومذاك بين جميع القراء والادباء . فاذا استطاع ان يستجمعها في خيالهِ فقد استطاع ان يعرف فضل صاحب القلم « القاصد » والعبارة القويمة والمعنى المحكم بين اناس لم يبصروا من الادب في جيلهم الا الفوضى والخلل والخواء من كل معنى يستطيبه الذوق او يسلّم بهِ الفكر السليم

لقد كان القصد رسالة صروف في عالم الادب وكان هو حاجة ذلك العصر من الاصلاح في الكتابة والثقافة . واكبر به من رسالة وابلغ بهِ من حاجة . فانك اذا

علّمت انساناً ان يعني شيئاً يقولهُ وان يقول ما يعنيهِ فقد خلقت لهُ فكراً او ارسلت فكرهُ المعطل من سباتهِ ، وقد نفضت عن ذهنه آفة الجمود فاطلقتهُ من حجر وقومته من عوج وهديتهُ من ضلالة . وليست هذه بالرسالة القليلة من اديب منقطع لفنهِ متوفر على اصلاحهِ بل من العالِم الذي لهُ رسالات اخرى ينقطع لها ويتوفر عليها

كان صروف مطبوعاً على القصد والتحقيق لانهُ عالم يقول ما يعلم ويلتزم ما يفهم. واذا كان الادب ممنوًا بالخلط والضلالة فقصد العلماء هو خير ما يرام لهُ وهو طبهُ الذي يأتيهِ من غير داره اذا كانت دارهُ مقفرة من دوائهِ

دخلت على العالم الفقيد يوماً فالفيته مشغولا بالبحث عن كلمة « شهية » يقول انهُ لا يعرفها في لغة العرب بمعنى قابلية الطعام ويحرص على ان يستوثق من معناها قبل ان يبت في استعمالها . وحادثتهُ مرة اخرى في اسلوب اللورد كرومر فقال انهُ يعجب لذلك السياسي الذي لا يزيد في كلامهِ ولا ينقص . فاذا كانت معلوماتهُ واحصاءاته تذهب بهِ الى هنا (واشار الدكتور الى موضع على المائدة) لم يذهب هو الى هناك (واشار الى موضع آخر جدّ قريب من الاول) فهذه امانة في السياسة وامانة في العبارة تدلان على قدرة ادبية وذهن مستقيم

بهذه الامانة القادرة بدأ الدكتور حياته الكتابية فكان منذ خمسين سنة ونيف يكتب بالاسلوب الذي يجري عليهِ الكتاب المجددون في هذه الايام . فأنت تقرأ فصولهُ الاولى في المقتطف وفصولهُ الاخيرة فيهِ فلا ترى بينهما فرقاً في العناية بالصدق والتحري للاصابة ولا تحسُّ الترقي بعد الترقي الاَّ فيما استزادهُ الفقيد من علم بمفردات اللغة ومرانة على التعبير وتوسع في الاطلاع . وماذا تقول في فضل كاتب مجدد اكبر من انهُ سبق المجددين الى هذه المزية بعمر كامل ؟ وانهُ كان مجدداً في اختيار الفاظهِ وآرائهِ قبل ان نشعر في جيلنا هذا بالحاجة الى التجديد ؟

على ان صروفاً شارك في الادب بغير القصد والدقة العلمية . فحفظ شعراً كثيراً كان يضعهُ أحسن الوضع في اماكن الاستشهاد من مقالاتهِ الوصفية ، ونظم شعراً كأجمل ما نظم العلماء في الحكمة وسر الوجود . وبين يدي الساعة ابيات لهُ في النيل نظمها قبل عشرين سنة فكانت خيراً من كثير مما يؤثر عن «الشعراء» في ذلك الحين وفيها يقول :

ابا مصر ومصدر نعمتيها لقد شاخ الزمان وانت كهلُ
بنى لك آل فرعونٍ صروحاً عبدت بها ، وانت لذاك اهل
فما نفس رأت نماً غزارا وخصباً لا يقوم لديهِ مَحْلُ
وكان الشكر مرمى ناظريها وربُّ الكون لم يدركهُ عقل
بعشركة اذا شكرت صنيعا عن الادراك صانعه يُجلُّ
فان الفضل يعرفهُ ذووهُ وفضل النيل لا يعلوهُ فضل

ولهُ ابيات نظمها في سر الحياة عندما بلغ الثانية والسبعين يقول فيها :

سبعون حولاً لقد مرت وما وجدت نفسي مقراً لها في العالم الفاني

. . . .

فرضان اما فناء والبناء لهُ لغوٌ ، واما بقاء شاءهُ الباني
اما واجسامنا ليست سوى صور مشكلات باشكال والوان
كهارب حركتها النفس فانتظمت في شكل مستودع للنفس جثماني
حتى اذا تم في الدنيا تطورها طارت الى منزل في الكون روحاني
وللتطور احكام مقررة والنفس والجسم في الاحكام سيان
لا بد للعلم من يوم يفوز بما يبيّن الحقُّ فيهِ خير تبيان

فهذه الابيات وامثالها من نظم العالم الفقيد ابلغ واصدق من اشعار كثيرة حفظت لنا اسماء فلاسفة وحكماء لم نعرف لهم اثراً غيرها ولا سمعنا بهم الا لانهم قائلوها ، فلو لم يكن صروف عالماً يذكر بمقامهِ الرفيع في العلم لكان في شعرهِ بقية للذكر والرواية ، ولو لم يعلمنا بقصدهِ وتحريهِ كيف نكتب ونؤدي حق الامانة لكانت بحوث المقتطف وتراجمهِ سهماً راجحاً لهُ بين سهوم الادباء والمشاركين في الآداب

فلتكن زهرة الادب منظومة بين اجمل الازهار التي يزدان بها اكليلنا حين نتقدم بهِ راكعين الى ذلك الضريح ، ولتبارك عرائس البلاغة عالماً رفع لها قربان العلم فكان أجدى لها من قرابين عبادها الغافلين ، وكشفها بنورهِ فكان أبين عن جمالها من دخان لا تبين فيهِ نار ولا نور

عباس محمود العقاد

النساء والرجال

وجوه الاختلاف والتشابه بين الفريقين

بحث فلسفي ادبي

١

كان الكاتبان الروسيان الشهيران ، غوركي وتشايكوف يتمشيان في شبه جزيرة القريم ، فالتقيا اتفاقاً بليو تولستوي ، جالساً عند شط البحر ، مطرق الراس ، غائصاً في بحار الافكار ، فجلسا الى جانبيه ، وشرعا يتحدثان في موضوع « النساء » وهو يصغي اليهما صامتاً وقتاً طويلاً . واخيراً رفع رأسه بغتة وقال : اني انما اقول الحقيقة فيهنّ حين اكون « رجلٌ هنا ورجلٌ في القبر » . فاقولها واقفز الى نعشي واردّ غطاءه عليّ ، قائلاً لهنّ افعلن ما شئتنّ

وقد سأل الكونت كيزرلنغ ، الكاتبَ الانجليزيّ الشهير برنارد شو، ان يكتب فصلاً لكتابه في « الزواج » . فابى قائلاً : لايجرؤ رجل على ان يقول الحقيقة في الزواج ما دامت امرأتهُ على قيد الحياة

ومع ذلك نقول : — ١ : ان الكتابات في هذا الموضوع اكثر الكتابات في الدنيا رواجاً واقلها ثقة . أما رواجها فلانها تهمنا مباشرة . واما عدم الثقة بها فلانها ترجمة اصحابها باقلامهم . وكل ترجمة بقلم صاحبها يخالطها كثير من الوهم لانها تكون غالباً صوت انتقام . ولا يرفع ذلك الصوت الاّ الجنود المدحورون .فاذا كتب رجل فيهنّ فجراحهُ هي التي تتكلم .ولذلك لا تصلح كتاباته للاسناد .وحين يفوز الرجل في ميدان المرأة ينتهي الامر عادة بالزواج.وبعد ذلك يصمت صمتاً شرعيًّا — اذ لا يتكلم اثنان في وقت واحد — واذا غُلب انصرف الى تأليف الكتب

على انّ ما يكتبهُ النساء في تحليل خلق الرجال اكبر شأناً من كتابات شوبنهوزر ونيتشه وويننجر وغيرهم . لان النساء تفهم الطبيعة الانسانية فهماً دقيقاً ، والمرأة في ذلك اكثر حذقاً وتعقلاً من الرجل البطيء الفهم المتردّد الرأي . على انّ النساء ابرع من ان يعلنّ انفسهنّ بالكتابة فيكتفينَ بقول ايوب انهن حفزن اعداءهن للكتابة عنهنّ .وكل امرىء عادي يعرف موضوعنا من جهةٍ واحدة ، فهو بذلك يعرفهُ نصف معرفة . وقد لا يعرف من ذلك النصف الاّ نتفاً . وقد تكون معرفتهُ بتلك النتف

معرفة غير تامة . فلنحترس ما استطعنا احتراساً

وسنقسم الطبيعة الانسانية (قسمة مبنية على التحكم) الى الغرائز الاساسية. ونسأل : كيف يختلف النساء عن الرجال في كل منها ؟ فنفترض ان الرجل يولد مجهّزاً ببعض الغرائز — كتحصيل الغذاء والحرب والهرب واللعب — وهي غرائز تتجه الى حفظ الفرد . وغرائز اخرى تتجه الى حفظ الجماعات : كالكلام وحب المدح والالفة والاجتماع : وهناك غرائز تتجه الى حفظ النوع : كالزواج والعناية الوالدية . وفي هذا الباب اقوال لا تزال ميداناً للبحث والجدل نعرض عنها ، إذ ليس لها علاقة حيوية بموضوعنا. فيهمنا ان نعرف هل النساء والرجال مجهزون بهذه الغرائز على اختلافها في الكم والكيف . ونبدأ بالغرائز الجنسية او التناسلية

٢ : حتى البيولوجي العارف بحقائق الطبيعة والحياة تدهشهُ سيادة الانثى وتفوقها في عالم الحيوان . فان الذكر في بعض انواع الحلميات مخلوق صغير يتصل بالانثى كزائدة او كعضو اضافي ، وهو غاية في الصغر اذا قيس بها . ففي دودة البحر المدعوة « بونيلا » تجد الانثى تفوق الذكر حجماً ٩٦ ضعفاً وانثى الفراش اطول من الذكر ١٦ ضعفاً ، واثقل منهُ عشرة اضعاف . وملكة النحل اكبر من اي ذكر من ذكور النحل التي تستميت في طلابها . وسيدة العناكب تفوق الذكر بهذا المقدار حتى انها تأكلهُ في كثير من الاحيان

ولكن ذكور ذوات الفقرات وذوات الثدي تفوق اناثها قوة . فان ارتقاء وظيفة الامومة ، واستبدال النشوء الخارجي بنمو الجنين في الرحم ، القى على الانثى اثقل القيود ، في حين ان الذكر بقيَ حرًّا طليقاً ، وغالباً غير مسئول . فيقتل في حروب التنازع على القوت التي لا نهاية لها او يزداد قوة وعتوًّا

وللانثى صفة بيولوجية كحاضنة الجنس مباشرة . اما شأن الذكر فثانوي من هذا القبيل . وقد اتفقت الطبيعة والمختبر العلمي على تبيان قلة شأن الذكر ازاءها . وجمع جاك لوب بيوض صفارة البحر ونجم البحر غير الملقحة فاستولدها بعد ما عالجها بالحوامض او القلويات او الاملاح او السكر او الكحول او الاثير او الكلوروفورم او الستركنين ، وغيرها . فكأن كلاًّ من هذه المواد حلَّ محل الذكر بسهولة . فوضح ان الانثى هي الاصل في النوع وان الذكر فرعها . وللذكر شأن ثانوي في عمل التناسل الذي هو مدار الحياة . فيقف في ازمات الولادة جانباً ، عديم النفع ، وقد ادرك انهُ

اداة ثانوية في عمل استمرار النوع وان الانثى الصق منهُ بالحياة من هذا القبيل منها تدفق مجاري الحياة بلا انقطاع بحيث يكون الخلق عمل جسدها ودمها بنوع خاص . فيبتدئ يفهم لماذا اوجب الاقدمون واصحاب الاديان العظيمة عبادتها

٣ : عمل المرأة خدمة النوع ، وعمل الرجل خدمة المرأة والولد . ولهما اعمال اخرى ، لكنها تحسب ثانوية ازاء هذه . وقد اودعت الطبيعة هذه الاعمال الجوهرية التي يقوم بها الجنسان من غير انتباه خاص ، كلٌّ ما لهُ قيمة وسعادة في الحياة . لذلك كان عمل الذكر العناية بالذين يعتمدون عليهِ واعداد قوتهم والمخاطرة في سبيل ذلك فهو يهجر البيت في طلاب القوت ، كمندوب الغذاء الخاص كما ان المرأة عماد الطبيعة في حفظ النوع واستمرارهِ ،ففرض الرجل العظيم احراز القوت ، واذا طلب غيرهُ من الاشياء ، او اذا طلب كل الاشياء فلانَّ هذه تمثل ثروة تضمن الحصول على الغذاء في اوقات الحاجة . فيحب الذكر الطعام محبة فائقة ، ويسهل استعبادهُ بهذه الوسيلة ، لانهُ اكثر من الانثى شغفاً بالاكل والشرب .ولذلك امتلكت امنا حواء قلب ابينا آدم بتفاحة . فالنساء يمتلكن الرجال بواسطة المعدة

٤ : وبسبب اقتحام الذكر المخاطر في انتجاع القوت صار محارباً . فالقتال بين الحيوانات يقوم بالمخالب والانياب ، وبين افراد الناس بالمزاحمة الاقتصادية ، وبين الدول بالجيوش والاساطيل والصحف. اما طبيعة الانثى فتجنح الى طلب الملجإ دون الحرب . وفي بعض انواع الحيوان تخلو الانثى من فطرة القتال . وحين تقاتل مباشرة فانما تقاتل للدفاع عن اولادها .ولكن يغلب انها قليلة الميل الى العنف. ويغلب ان يظهر عنفها حين يستولي عليها اضطراب فسيولوجي . وهي اكثر صبراً من الرجل مع انها اقل منهُ شجاعةً في مواقف الحياة الخطيرة وازماتها الشداد ،فثباتها غير محدود في مصادمات الحياة الصغيرة التي تتجدد كل يوم ولا نهاية لها .فتتحمل المرض ساكنة صابرة ،واما الرجل فلا صبر لهُ على تحمل الامراض لانهُ لم يتعوَّد السكينة فيملأُ الدنيا صراخاً . فغريزة الحرب في المرأة نيابية ، اي انها تعتمد على الرجل في الذود عنها وعن ولدها . فهي تسر بالزعيم القوي من الرجال . وفيها عنصر غريب يرقص طرباً لرؤية القوة . وقد يسيطر اعجابها بالقوة على مطالبها الاقتصادية فتتزوج ولو مجنوناً اذا كان شجاعاً . وتعبد الرجل القادر على القيادة . فاذا اتصفت بالتمرُّد في عصرنا فذلك لان الرجال ضعفت فيهم سجايا القوة والاقدام . ولعلَّ ذلك ناشئ عن تفشي

الانتظام الممل في الاعمال الصناعية وقلة الابتكار في الاشغال العقلية مما اضعف الاعصاب وجعل الانسان اليف العبودية قليل الشجاعة والاقدام

تفوز المرأة في معاركها ليس بالقتال ، ولا بالشجاعة بل بالثبات والمواظبة . ان غريزة المحاربة في الذكر اكثر شدَّة وظهوراً منها في الانثى ، ولكنها اقلّ رسوخاً . فانهُ اميل الى المفاوضات مع العدو والتسليم لهُ طمعاً بالصلح ولكن المرأة تفوز بالمواظبة والمثابرة . ان نابليون الذي تمكن من سيادة قارة باسرها عجز عن سيادة امرأتهِ . فقال : ان قوة سجيتي مضرب الامثال . ولكنني ، في عائلتي ، لن ازال ذلك الضعيف العاجز . وقد عرفت سيدات البيت ذلك فيَّ ففي اول عاصفة ثارت بيني وبينهنَّ فزن عليَّ بمواظبتهنَّ وهنَّ يفعلن بي ما يشأن لاني اتعب من المقاومة . » هذا النغم هو النغم السائد في كل الالحان العائلية . فان الرجل ينكسر غالباً قبل نشوب المعركة . واذا كان النصر حليفهُ فلتبكِ المرأة فيكون بكاؤها كفيلاً بالفوز . ومن اوليات الحرب عند المرأة الحكيمة « اذا فشلتِ فابكي ثم ابكي وابكي »

٥ : في الافعال التي تحسب من غرائز العمل — كالزحف والمشي والرماية والقفز والتسلق والجري واللعب — تجد الانثى دون الذكر فيها . فانهُ يميل الى الحركة وقد يتطرف فيها . اما هي فيلها الى السكون الذي يزيد على الحاجة . اي انها اكسل منهُ ويغلب ان يقلّ سعيها كلما زاد نيلها . فهي الجنس الاشد خطراً ، لان الكسل يلد التهاون والعَبَث ولكي يكون الانسان فاضلاً وسعيداً وجميلاً يجب ان يكون مشغولاً

٦ : اذا كانت المرأة تفوق الرجل في الحب فهو يفوقها كثيراً في الصداقة . الرجال يستطيعون ان يكونوا اصدقاء بعضهم لبعض واما النساء فيقفن عند حد التعارف . ولا يرغبن في الصداقة المجرَّدة التي يرغب فيها الرجال فيعسر عليهن تسلية بعضهنَّ بعضاً الا اذا تحدثنَ في الامور الخاصة . وذلك امر طبيعي كما قال لارشوفوكول قديماً : « ان سبب قلة اكتراث اكثريتهنَّ للصداقة هو ضئالتها تجاه الحب الذي سبق فاستهواهنَّ » فالحب كما قال الشاعر امر ثانوي عند الرجال ولكنهُ عندهنَّ هو كل الوجود

٧ : من الغرائز ما يصون الافراد ، وتفوُّق الرجال في هذه طبيعي وواضح . اما الغرائز التي تصون الجماعات ، والتي غرضها حفظ النوع فالتفوق فيها للانثى . فهي اكثر من الرجل حبًّا للعشرة وللاجتماع لكنها لا تسأل عمَّا هي افضل الالعاب والتسليات والملاهي وحفلات الطرب ، بل عن اي الاجتماعات يحضرها اكثر الناس واشرفهم .

فهي اقل منهُ ميلاً للعزلة . واقل من ذلك ميلاً للنسك . لانها اكثر احتياجاً اليهِ منهُ اليها . ولا ريب في ان سبب ذلك حاجتها الى دفاعهِ وقيادتهِ

٨ : لما كانت اجتماعية بطبعها فهي اكثر منهُ كلاماً وقد شاع بين الناس انها منخل الاسرار . فهي اكثر صراحة لان رائدها العاطفة والشعور. ووجهها ككلامها ينم على ما في فؤادها . لانها لم تتعلم ككبار التجار ألاَّ تجعل وجهها مرآة ضميرها في الاحوال المتعاقبة من عسر ويسر ، ومسرة وألم . وبقوَّة هذه الليونة في وجهها برعت في ادراك دلائل الفكر والعاطفة في الآخرين. ولذلك كان خداعها اعسر جدًّا من خداع الرجل

٩ : ويتنوع حب المرأة للاجتماع بعاملي الحين والتقليد ، فيغلب فيها ان تسلّم الزعامة للرجل ، حتى في امر الحب . فان زعامتهُ في هذا الميدان واضحة كل الوضوح. انها عديمة الثقة في ذاتها لان ضعفها الجسدي ، واعتمادها على الرجل اقتصاديًّا ، يثقلان كاهلها ، ويحيدان بها عن مناحي الثورة والمغامرة . فتلوذ بالعادة والقانون ، والاخلاص للتقليد القديم اخلاصاً دينيًّا . وتأخذ بالازياء الحديثة في الملابس والزينة والآراء . فعقلها اكثر تعرضاً من عقل الرجل لاثر الخرافات والخزعبلات التي تحل محل تقدم الفكر تقدماً منظماً . لذلك يعزيها الوسيط بظهور الاشباح ، ويغتذي عقلها بالطقوس والاوهام الجديدة

١٠ : المرأة اقل جرأة من الرجل على تغيير المألوف . فهي تبرز الى العالم شخصيات اقل توغلاً في الجنون، واقل تفوقاً في الذكاء . والتباين بين افرادها اقل منهُ بين افرادهِ .لان اضطرار الرجال الى تغيير المحيط وتنويع البيئة والصنائع والمهن والتجارة آل الى تلبُّسهم بالوف الصوَر . ولكن عمل المرأة في البيت عمل تقليدي قديم ، والتبعات التي ورثتها عن اسلافها ، في كيفية اقتناص القرين وتربية الطفل، تجعل المرأة تجري على سنن واحد ونفسيَّة واحدة. فصيغت النساء في ذلك على مثال واحد، فهنَّ يتشابهنَ في النفس،مع اختلاف الوجوه . ولعلَّ ذلك يعلل سهولة التنقل في الحب على الرجل ، من امرأة الى اخرى . لانهُ انما يتعلّم بذلك اسماء جديدة ، لا فنًّا جديداً ، حتى انهُ يستعمل كلاماً واحداً بل رسائل واحدة مع مختلف الحبيبات . اما المرأة التي احبت ثمَّ فقدت حبيبها فانها ترى خسارتها لا تعوَّض .لانها قرنت روحها بالصورة الخاصة التي احبتها . وحيثما تتجه فقلبها يتبعها على اجنحة الذاكرة

(عن الانكليزية لول دورانت) — حنا خباز

اديصن في الثمانين

يعالج اعقد المسائل التي عالجها في حياته

يتنبأ بوقوع حرب — بحثه في المطاط — سر من اسرار نبوغه

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حدّ الاربعين

ان اديصن امير المخترعين وساحر الكهربائية لا يقول هذا القول مع انهُ بلغ الثمانين من العمر . فهو يقضي تسع ساعات كل يوم في معمله واربع ساعات او خمساً في مكتبته يطالع ويبحث في كل ما يتعلق بالمطاط كأنهُ لا يزال في شرخ شبابه يستثيرهُ المصباح الكهربائي او الفونغراف او الصور المتحركة التي كشف غوامضها بفكره الثاقب وجلاها للعالم مع مئات غيرها من المستنبطات التي سهّلت امور المعيشة وزادت رفاهة الناس

انقضت خمسون سنة وابناء العالم المتمدن يتساءلون كلّ يوم — « ترى ماذا يعالج اديصن من المشاكل الآن ؟» لان كل اختراع من اختراعاته احدث انقلاباً في الافكار والعادات وطرق المعيشة والعمل

فمن مستنبطاته : الميكروفون والتازيمتر . الاول آلة دقيقة تحس بامواج الصوت الضعيفة القادمة من مكان بعيد او الصادرة من آلة ضعيفة . والثاني يشعر بامواج الحرارة كما يحس الاول بامواج الصوت . ومنها المميوغراف او « البالوظة » وما تفرع عنها من استعمال الورق المغشى بغشاء دقيق من الشمع . الاولى احدثت انقلاباً في الاساليب التجارية . والثانية في لف المأكولات وتوزيعها . ومنها آلة لطحن الاسمنت طحناً دقيقاً واخرى تدعى المرسل الكربوني وقد كانت كبيرة الاثر في نجاح التلفون . واخرى لتوزيع القوة الكهربائية . ومنها الترام الكهربائي والمجافون (مقوي الصوت) وغيرها . فانك اذا اضفت هذه المستنبطات الى مبتكراته المشهورة كالآلة التي استنبطها في حداثته فجعلت ارسال رسائل تلغرافية كثيرة على سلك واحد ممكناً والمصباح الكهربائي والفونغراف والصور المتحركة والبطرية الكهربائية القلوية صحّ لنا ان ندعو هذا العصر منذ خمسين سنة الى اليوم « عصر اديصن »

ما هي العوامل التي توجّه عقل اديصن في جهة خاصة من التفكير والبحث ، ومتى اتجهت افكاره كيف يعمل على اخراج فكره الى حيّز العمل ، وما هو السرّ الذي مكّن

رجلاً واحداً من ان يقلب حضارتنا العملية رأساً على عقب ؟

ظلت هذه المسائل تدور في رأس الكاتب الاميركي فرنك ستوكبردج فلم يرَ بدّاً في الاجابة عنها من الذهاب الى اديصن نفسه . فحدثهُ اديصن في المعضلة الاخيرة التي اخذ يعالجها وهي معضلة صنع الكاوتشوك (المطاط)

قال اديصن : ليس في الولايات المتحدة من المطاط ما يكفي حاجتها اليهِ اكثر من سنة واحدة . وكنت ذات يوم اتحدث مع هنري فورد وهارفي فيرستون[1] فامتدَّ بنا الحديث الى النظر فيما تفعلهُ الامة الاميركية اذا نشبت حرب عامة وانقطعنا عن المصادر التي نستورد منها مطاطنا الخام . وهذه الحرب واقعة لا محالة . فماذا نفعل ؟

اننا لا نستطيع ان نخوض غمار هذه الحرب من غير مطاط . فكل وسائل المواصلات والانتقال قائمة على استعمالهِ . فقرَّ قرارنا على أنَّ اخطر ما يجب ان ننظر فيهِ هو ايجاد مصدر جديد للمطاط يمكننا من الحصول على مقدار كافٍ منهُ في بلادنا . وهذه هي المسألة التي اعالجها الآن

قال الكاتب : اذاً لا يهمك المطاط من الوجهة التجارية . فقال : كلاَّ انهُ لا يهمني على الاطلاق . وقد اقبلنا على هذا العمل ونحن نعلم كلَّ العلم اننا لا نستطيع ان نزاحم مصادر المطاط الطبيعية في المناطق الاستوائية . فاجور العامل هناك ستة غروش في اليوم . والعامل الاميركي لا يستطيع ويجب ألاَّ نطلب اليه ان يعمل عمل هؤلاء باجور مثل اجورهم . وعلى هذا فليس في الامكان استخراج المطاط في الولايات المتحدة على وجهٍ يمكننا من مزاحمة زراعيهِ في المناطق الاستوائية . يستثنى من ذلك مطاط الجواجول واستخراجهُ مقيد بقيود شديدة ومقدار ما يستخرج منهُ لا يكفينا اذا نشبت الحرب لاننا نحتاج كل سنة الى ٤٠٠ الف طن من المطاط وكلها ترد علينا من الخارج . فاذا انتشر رواق السلام على ممالك الارض فليس علينا خطر من هذا القبيل لان بعض هذه المزارع يخصُّ شركات اميركية فنشتري منها بعض ما نحتاج اليهِ والباقي نشتريهِ من مزارع اخرى وتنقلهُ بسفننا ما زالت مسالك البحار حرَّة امامها

فاديصن وفورد وفيرستون يريدون ان يبتكروا طريقة لاستخراج مقدار كافٍ من المطاط تعتمد عليهِ الامة الاميركية اذا نشبت حرب عالمية ومُنعت بواخرها عن استيرادهِ من اسيا واميركا الجنوبية . ويجب ألاَّ تزيد نفقة الرطل الواحد من هذا

(١) صاحب اكبر معامل المطاط في الولايات المتحدة

المطاط الجديد عن ريالين. ولكي يكون ذلك ممكناً يجب ان تستعمل الآلات في استخراجهِ من الاشجار. واستخراجُ المطاط من الاشجار متعذر فيجب ان يُعمد الى نبات آخر تكون مادة المطاط في كل خلاياهُ لا في خلايا الجذع دون غيرها كما هي الحال في اشجارهِ

فقال الكاتب : اذاً لنتوسع في زراعة الجواجول — وهو شجيرات تتخلل مادةُ المطاط كلَّ خلاياها فتقلع الشجيرة في وقت معين فتغسل وتطحن ثم تعالج معالجة كيماوية فيستخرج المطاط منها ويبلغ مقدار المستخرج منهُ نحو عشرة في المائة من وزنها . فلنتوسع اذاً في زراعتها في صحارى كاليفورنيا واريزونا ونيومكسيكو وتكساس

قال اديصن : ان ذلك غير مستطاع لانَّ تطبعها بطبائع الاقليم الذي تنقل اليهِ يستغرق وقتاً ونحن لا يسعنا ان ننتظر الى حين نشوب الحرب حتى نبدأ بزرعهِ وبعد زرعهِ لا بدَّ من انقضاء خمس سنوات قبل ما يبلغ درجة يمكن عندها استخراج المطاط منهُ. فلا بدَّ من ان نجد نباتاً نستطيع ان نستخرج مطاطاً منهُ بعد مرور سنة فقط على نشوب الحرب . ويجب ان يكون هذا النبات مما يزرع في ارض لا نحتاج اليها في عهد السلم او لا تحتاج الى كثير من العناية قبل استعمالها

قال الكاتب : تريد ان تجد نباتاً يزرع كما تزرع الحنطة ويحصد مثلها ؟

فقال اديصن : هذا ما نريد . نريد نباتاً يستطيع الفلاح ان يبذرهُ بآلات كما يبذر الحنطة فينضج في ثمانية اشهر او تسعة ثم يحصد بالآلات ثم يستخرج منهُ المطاط بالآلات ايضاً . ويجب ان يكون مما يستطيع ان يصبر على برد الصقيع اذ ليس في الولايات المتحدة ، حتى في الولايات الجنوبية منها ، بقعة لا يصيبها الصقيع على مدار السنة

لكني لا اريد ان اتكلم عن اشجار المطاط وشجيراتهِ الاَّ بعد ان ادرس ما استطيع درسهُ من الحقائق التي كشفها العلماء والباحثون عنهُ فابدأ حيث انتهى غيري . ولكني لا ازال في اول الطريق وقد جمعت لذلك مكتبة وافية وها انا ذا اقضي خمس ساعات كل ليلة في مكتبتي اطالع هذه المؤلفات وادوّن ما يعنُّ لي من الملاحظات واستعين بنفر من كتابي على ترجمة ما يكتب باللغات التي لم اتعلمها

قال الكاتب : ولقيت احد معاوني اديصن فقال لي: انهُ بلغ اديصن في احد ايام الصيف الماضي ان كتاباً جديداً في المطاط طبع ونشر في المانيا فاصدر اوامرهُ في الحال الى وكيلهِ لكي يرسل رسولاً الى المانيا على اول باخرة تبرح نيويورك ليعود بالكتاب فارسل الوكيل تلغرافاً طلب بهِ ارسال الكتاب مع اول باخرة تبرح همبرج

فوصل باسرع مما كان اديصن ينتظر ولم يعرف اديصن ذلك إلا بعد أن نشرت هذه المقالة في مجلة « العلم العام » الاميركية

واستأنف اديصن كلامهُ قائلاً : ولا ازال حتى الآن اطالع هذه المؤلفات واقارن بين محتوياتها مستخلصاً الحقائق الاساسية حتى يسهل اليَّ ان انظر الى الموضوع من كل جهاته نظراً مبنيًّا على المعرفة الصحيحة

وهذا سرٌّ من اسرار نبوغهِ . ان من القصص المشهورة عن اديصن انهُ كان في نشأتهِ الاولى بائع صحف لم يتلقَّ الاَّ قليلاً من مبادىء العلوم في اثناء اشهر ثلاثة قضاها في مدرسة ابتدائية .والحقيقة ان والديّ اديصن كانا على جانب من سعة العيش وان امهُ علمتهُ في البيت تعليما وافياً وثقفتهُ باصول البحث والدرس لانها كانت قبل زواجها من ابيهِ معلمة فاضلة .ويقال انهُ طالع كتاب جبون في « انحطاط الامبراطورية الرومانية وسقوطها » وكتاب هيوم في « تاريخ انكلترا » وكلَّ كتاب علمي امكنهُ الحصول عليهِ عدا «مبادىء نيوتن» قبل بلوغهِ الثانية عشرة من العمر.وانهُ صار بائع صحف في محطات السكة الحديدية لان عملهُ هكذا مكنهُ من الاطلاع على احدث الرسائل التي تطبع وتنشر ولان هذا العمل كان يترك لديهِ متسعاً كبيراً من الوقت للمطالعة في مكتبة دترويت العمومية ، وكان يكسب منهُ مالاً يكفيهِ لشراء المواد الكيماوية التي يجرب بها تجاربهُ . وقد قال فيهِ احد معاونيهِ : « لا اعلم رجلاً ارسخ في اصول العلم من اديصن »

وهو يفعل الآن باصناف النباتات التي قد تصلح لاستخراج المطاط كما فعل في البحث عن خيوط الخيزران يوم كان منهمكاً في صنع مصباحهِ الكهربائي . فبثَّ العيون والارصاد في اليابان وجنوب اميركا وغيرها من البلدان التي يزرع فيها الخيزران فبعثوا اليهِ بكل اصنافهِ وكانت نحو ستة آلاف صنف فجرب تجاربهُ فيها كلها حتى تخير افضلها . وقد ارسل معاونيهِ الى انحاء اوربا واميركا الشمالية والجنوبية واسيا وافريقيا فجمعوا حتى الآن ٢٥٠ صنفاً من نباتات المطاط ومنها ما يمكن زرعهُ وحصدهُ في سنة واحدة . وهو عاكف على البحث في خصائصها وطبائعها وما يمكن ان تصير اليهِ بالانتخاب الصناعي . هذه صورة جديدة لامير المستنبطين — يقبل وهو في الثمانين على حل معضلة معقدة متشعبة الاطراف، فيقضي من ١٢ الى ١٤ ساعة كل يوم يبحث وينقب ويمتحن ولسان حالهِ يقول«ساقيم على ذلك الى ان اعرف كل ما يمكن معرفتهُ عن المطاط»

الفيلسوف : او الحكمة البشرية

قصة فلسفية

لفولتير

من الفضول ان يحاول كاتبٌ في هذه الايام ان يزيد القراء علماً بفولتير . لانهُ اشهر من ان يوصف واعرف من أن يعرّف . وُلدَ هذا النابغة العظيم في باريس سنة ١٦٩٤ . وتلقى دروسهُ الابتدائية في احدى مدارس الآباء اليسوعيين . وشرع ينظم وهو بعد في طور الحداثة . ومع شدة رغبة ابيهِ في ان يتعلم فنّ المحاماة ظلَّ مكبّا على مزاولة الكتابة . وقد حوكم غير مرّة وحُكم عليهِ بالسجن بسبب قصائد الطعن والهجاء التي نظمها . وكثيراً ما نفتهُ الحكومة من فرنسا . فقضى جانباً كبيراً من حياتهِ في الجلاء . وظلّ اكثر من نصف قرن حائزاً قصب السبق العقليّ والزعامة الفنيّة في اوربا كلها ومجليًا في حلبة كتابة الروايات التمثيلية والتواريخ والنبذ ووضع القصص ونظم القصائد الحكمية والهجائية . فكان من اعظم كتاب فرنسا واشهر المفكرين في العصر الحديث . اما قصصهُ وهي كثيرة العدد ففلسفية المغزى مفرغة في قوالب تاريخية ومنها قصة ممنون الفيلسوف الآتية : —

القصة

خطر ببال ممنونٍ ذات يوم ان يصير فيلسوفاً ذائع الصيت مستطير الشهرة. وقلّ من لم يدُرْ في خلدهِ ان يركب مطية هذا العزم الغريب . فقال ممنون في نفسهِ : ليس عليّ ، لكي اصير فيلسوفاً كبيراً وارتع في ظلّ السعادة الوارف ، سوى ان اكبح جماح النفس الامّارة بالسوء واجرّدها من كلّ ما يهيج عواطفها او يحرّك ساكن شهواتها . وليس اسهل من هذا الامر كما لا يخفى على كلّ ذي بصيرة . واوّل شيء افعلهُ هو ان اكون دائماً على حذر من الوقوع في شرك الحبّ . وكلما ابصرت عيناي امرأة حسناء اقول لنفسي : هذان الخدّان الاسيلان الناضران سوف يعروهما التغضّن والذبول . وهاتان العينان الساحرتان تركد ريحهما بعد الهبوب وتخمد نارهما بعد الشبوب . وهذا الصدر العاجيّ يصير الى الترهل والاسترخاء وهذا الرأس يكر

صبح المشيب على ليل شعره الدجوجيّ فلا يترك لعينه من اثر. وهذه القامة الهيفاء التي من دونها الصعدة السمراء في الدقة والاستواء ينيخ عليها الكبر فتعود كالعرجون القديم

«لو فكّر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيهِ لم يسبهِ»

والشيء الثاني ان الزم خطة الاعتدال ولا اتحوّل عنها قيد شعرة . فأغمض عينيّ واسدُّ اذنيّ دون كل من يحاول اغرائي بتناول مسكر يعبث بصحوي او بحضور اجتماع يستخفني فيهِ الطرب للخروج عن دائرة الادب ، متحفظاً على الدوام بما للافراط ومجاوزة حدود الاعتدال من سوء العاقبة ووخيم المرتع ، كالدوار والصداع والغثيان وفقد العقل وخسارة الصحة وضياع الوقت. فلا اتناول من الطعام الاَّ ما يعوّض التلف الطبيعيّ . اي اني آكل لاعيش لا اعيش لآكل . فارفل



فولتير

بحلة صحة لا يبلى جديدها وتظلُّ افكاري في صفاء لا يشوبهُ كدر ومضاء لا يعتريهِ كلال . وهذا كلهُ سهل التداول وقريب المنال

ثم قال يجب ان اعنى بتدبير اموري . فشهواتي مقصورة على كل ما تمسُّ الحاجة اليهِ ولا يتعدَّى حدّ الاعتدال . وثروتي في حرز حريز لانها مودعة عند خازن اموال نينوى .فاعيش والحالة هذه مستقلاً مستغنياً عن الناس وتلك اعظم بركة واكبر نعمة . لن اضطرّ بحكم الضرورة الى الوقوف امام الحاكم. فلا احسد احداً وما من احد

يحسدني . وهذا سهل الى الغاية . لي اصدقاء ساحفظ ودَّهم وارعى عهد صداقتهم ولن يقع بيني وبينهم ما يثير عاصفة الخلاف والنزاع . لن انتقد ما يقولون ولا ما يفعلون وهم سيعاملونني بموجب هذه القاعدة . وليس في هذا كله اقلُّ صعوبة

ولما فرغ ممنون من وضع الرسم لخطّة فلسفتهِ المزعومة اقفل عليهِ في صوانهِ واطلَّ من نافذة غرفتهِ فرأى امرأتين تسيران في الشارع امام بيتهِ .وكانت احداهما عجوزاً على وجهها امارات الهدوء والاطمئنان والاخرى صبيَّة جميلة الصورة تلوح على محيّاها علامات القلق والاضطراب . وهي ممعنة في التنهُّد والبكاء . وكان تنهدها وبكاؤها يزيدان جمالها تجلّياً ووضوحاً لعين الناظر اليها .فأثر ذلك في قلب فيلسوفنا ، لا من جهة حسنها [لانهُ عزم اشدّ العزم على عدم الاكتراث لهذا الامر] بل من جهة الضيق الذي رآهُ يشدُّ عليها النطاق ويحمّلها من عبئهِ مالا يطاق . فأسرع من فورهِ نازلاً اليها وكلّمها محاولاً مؤاساتها بعلاج فلسفتهِ . فقصّت عليهِ ، بابسط اساليب الكلام واشدّها وقعاً وتأثيراً ، ما تعانيهِ من الخسف والضيم من عمٍّ وهميٍّ لها احتال عليها وسلبها ميراثاً وهميًّا واسرف في نكايتها ، مدعية انها تخاف بأسهُ وترهب ما في استطاعتهِ ان يذيقها من مرارة النكال والعذاب . الى ان قالت لهُ : — « أراك رجلاً ذا عقل ثاقب ورأي صائب . فإن تفضّلت بالمجيء معي الى بيتي والوقوف على حقيقة احوالي فمن المحقق عندي انك تستطيع انتشالي من الورطة التي انا فيها » وما عتم ممنون ان صحبها الى بيتها لينظر في امرها فلسفيًّا ويشير عليها بما فيهِ خيرها وصلاحها

ولما وصلا الى بيتها ادخلتهُ الى حجرةٍ حافلةٍ بفاخر الرياش وعابقة بشذا الندّ والعود . فجلسا كلاهما على سرير أنيق متقابلين .وشرعت السيدة تبثّ شكواها وتفيض في تفصيل ظلامتها والفيلسوف يلقي اليها السمع بما لا مزيد عليهِ من العناية والاهتمام . وكانت تتكلم مطرقةً خاشعةً ، تفتح اجفانها من وقت الى آخر لتذرف دمعة سخينة او لكي تلاقي عيناها عيني صاحبنا ممنون وتخلبا قلبهُ بسحر بيان يقصر عنهُ ابلغ لسان . وكان الحديث يساق بالطف لهجة وعلى ارقّ اسلوب ويزداد رقة ولطافة كلما تلاقت الاعين ونابت عن الالسن . فوجّه ممنون كلَّ اهتمامهِ والتفاتهِ الى مسألتها هذه وشعر بأنهُ يزداد ميلاً الى بذل كل ما في وسعهِ لتفريج كرب هذه المرأة الفاضلة المنكودة الحظّ . وكانا في بدء الامر جالسين على الاريكة متقابلين كما سبق الكلام . ولكنَّ حرارة الحديث فعلت فيهما فعل جاذبية الاتصال وزحزحتهما عن مجلسهما هذا فأخذا

يتقاربان شيئاً فشيئاً .واسهب ممنون في اخلاص النصيحة لها والمشورة عليها حتى فرغت جعبة الكلام وضاق امامها مجال الحديث

واذ ذاك دخل عليهما الرجل الذي لم يصعب على احد توقُّع مفاجأته لها وهو العمّ ! باغتهما مدججاً بسلاحهِ وعيناهُ تقدحان شرر الغيظ والغضب وانذرهما بموت محتوم لا مفرَّ منهُ ولا مهرب . اما المرأة ففرَّت افلت من جرارة العيار ولم يخفَ عليها ان عمها لا يتأخر عن العفو بمبلغ معين من المال . واضطرَّ ممنون ان يفتدي نفسهُ بكل ما كان في يدهِ

وقفل الفيلسوف راجعاً الى بيتهِ في صفقة المغبون يجرّ ذيل الارتباك والاستحياء فلقي دعوة من بعض أصدقائهِ الاصفياء لتناول العشاء معهم . فقال في نفسهِ : إن لم اقبل هذه الدعوة وبقيت وحدي في بيتي توجهت افكاري كلها الى التأمل في هذا المركب الخشن الشائن الذي أقدمتُ عليهِ ، مدفوعاً بعامل الطيش والرعونة ، فأفقد شهوة الطعام واعرّض صحتي للمرض والاعتلال . فمن الصواب إذن ان أُلبي دعوة اصدقائي واتناول معهم طعاماً لا أتعدَّى فيهِ حدود الاعتدال . ومن المحقق عندي ان حلاوة لقائهم والائتناس بهم تنسيني مرارة الحماقة التي ارتكبتها في هذا الصباح . وبناء عليهِ ذهب الى اصدقائهِ الذين رأوا على وجههِ علامات القلق والاضطراب فلجّوا في وجوب تناولهِ شراباً يبدّدُ سُحُب القلق ويعيد اليهِ اطمئنان النفس وصفاء البال . فقال ممنون الفيلسوف ان قليلاً من الخمر ، مأخوذاً بالرفق والاعتدال ، يفرّح قلب الله والانسان . فتناول القليل وتدرّج منهُ الى الكثير فسكر . وبعد العشاء عرضوا عليهِ ان يشاركهم في القمار فأجابهم اليهِ بحجة ان اللعب اليسير بين الاصدقاء خير تسلية يقضى بها وقت الفراغ . ولكنهُ خسر كل ما كان معهُ وفوقهُ اربعة اضعافهِ ديناً . ثم شجر بين المقامرين خلاف على امرٍ تحوَّل الى نزاع شديد فحمل واحد منهم على ممنون وبادرهُ بضربة على وجههِ قلعت عينهُ وغادرتهُ اعور . ثم حملوهُ الى بيتهِ سكران يشكو خسارة مالهِ وفقد احدى عينيهِ

وفي صباح اليوم التالي ارسل خادمهُ الى خازن اموال نينوى لكي يأتيهُ بقليل من الدراهم ليوفي بها ما عليهِ من الديون لاصدقائهِ . فعاد اليهِ الخادم واخبرهُ بان خازن الاموال اختلس جميع المبالغ المودعة عندهُ واعلن إفلاسهُ وغادر مئات من الذين استودعوهُ اموالهم يتجرعون غصص الضنك والفقر . فانقضَّ هذا الخبر على ممنون

انقضاض الصاعقة لانهُ جاء ضغثاً على إبالة . وما ابطأ ان نهض ووضع عصابة على عينهِ وانطلق ذاهباً الى قصر الملك ليعرض شكواهُ من ذلك المفلس المحتال . وهناك لقي عدداً كبيراً من السيدات الساحبات ذيول النشوز والطموح. واذا بواحدة منهنَّ عرفتهُ فنظرت اليهِ شزراً وصاحت باعلى صوتها : « يا له من منظر هائل قبيح ! » وانبرت لهُ سيدة اخرى كانت معرفتها لهُ اشدّ واتمّ نحيتهُ قائلاً : — « عِمْ صباحاً ايها السيد ممنون . ارجو ان تكون على خير ما تروم .قل لي ايها السيد ممنون اراك اعور .فكيف كان ذلك »؟ ثم اعرَضتْ عنهُ وذهبت من غير ان تنتظر جواباً عن سؤالها. فلجأ ممنون الى زاوية في ردهة القصر واختبأ فيها ريثما يتاح لهُ ان يجثو عند قدمي الملك . ولما سنحت لهُ هذه الفرصة ومثل بين يدي جلالتهِ كفّر لهُ وقبّل الارض ثلث مرات قدامهُ ورفع اليهِ عريضة الشكوى . فشملهُ الملك بعين الرضى والرعاية واحال العريضة على واحد من مرازبتهِ لينظر فيها ويخبرهُ بفحواها . فخلا المرزبان بممنون وقال لهُ كالحاً متجهماً : — « إصغَ اليَّ ايها الاعور ! اراك رجلاً هزأة يسخر الناس منهُ ويضحكون عليهِ . ولولم تكن كذلك لم تجسر على رفع عريضتك الى الملك مباشرة من غير ان تعرضها عليَّ . ثم انهُ بلغ من قحتك ان تشكو مفلساً اميناً خانتهُ الاقدار وهو مستظلّ بظلّ حمايتي لانهُ ابن اخ لوصيفة سرّيتي . فنصيحتي لك أن ترعوي عن غيّك وتودع هذه الدعوى زوايا النسيان اذا كنت تفضّل العور على العمى »

***

قلنا انهُ رسم لفلسفتهِ خطة يتقي بها الوقوع في شرك الحبّ ويجتنب الافراط في المآكل والمشارب ويتنكب طرق الملاهي ومفسدات الاخلاق والجلوس حول مائدة القمار والاحتراز مما يفضي الى التخاصم والتحاكم . وفي برهة يسيرة ، لا تزيد على اربع وعشرين ساعة ، علق بحبال امرأة سلبتهُ مالهُ وتمرّغ في حمأة المسكر وتقمّص عار القمار واشتبك في شجار اورثهُ الاعورار وانساق الى التقاضي حيث لقي مالا يوصف من الازدراء والاحتقار !!

ففارق قصر الملك ، الى بيتهِ في دهشةٍ ذهبت برشده وحزنٍ ضاق بهِ صدره ويأسٍ خانهُ عليهِ صبرهُ . ولما اقترب من بيتهِ تصدى لهُ بعض رجال الحكومة وحالوا دون دخولهِ اليهِ لانهم كانوا مشغولين بإخراج امتعتهِ لكي تباع ويوفى بثمنها الدين الذي عليهِ لاصدقائهِ. فصفق صفقة الآسف الأوّاه وسقط مغشيًّا عليهِ تحت شجرة

كبيرة . ولما أفاق من إغمائهِ نظر فرأى تلك المرأة الحسناء التي مكرت بهِ واحتالت عليهِ ، مجتازة من هناك ومعها عمها . وحينما أبصراهُ وشاهدا العصابة على عينهِ قهقها كلاهما ضاحكين عليه ومستهزئين بهِ . وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب . وعند ما تصرّم الشفق وأرخى الظلام سدولهُ افترش ممنون بعض الهشيم بجانب بيتهِ واضطجع عليه . فعرتهُ برداء رجت أعضاءهُ وعقبتها حمى شديدة شوتهُ بنارها . ثم ران على اجفانهِ الكرى واذا بروح سماويّ ظهر لهُ في الحلم

وكان هذا الملك الكريم يتألق كلهُ بنور يبهر الابصار ولهُ ستة أجنحة جميلة . ولكن لم يكن لهُ رأس ولا عجز ولا نظير يشبّهُ بهِ . فسألهُ ممنون : —

— من انت ؟

— ملاكك الصالح الحارس

— رحماك يا ملاكي الطاهر : أعد اليّ عيني وصحتي ومالي وعقلي

وقص عليه بالتفصيل فقده لهذه الامور الاربعة في يوم واحد فقال لهُ الملك: —

— إنّ هذه مخاطر لن نتعرّض لها في عالمنا

— اين تقيم ايها الروح الكريم ؟

— في مكان يبعد الف وخمس مئة مليون ميل من الشمس — في كوكب صغير قرب الشعرى اليمانية التي تراها من هنا

— لله ما اجمل هذا الوطن : ومن المحقق انهُ ليس هناك فتيات ينصبن فخاخ المكر والخداع لغبيّ معتوهٍ مثلي ولا اصدقاء خلصاء يختلسون مالهُ ويقلعون عينهُ ولا خزّان اموال يستحلّون الحرام ويدّعون الإفلاس زوراً وبهتاناً ولا مرازبة يسخرون منك وينكرون عليك ما تطلبهُ من العدل والانصاف

— نعم ليس عندنا والحمد لله شيء مما ذكرت . ونحن في مأمن من حبّ النساء وختلهنّ لانهُ ليس لعينهنّ من اثر عندنا . وبمنجاة من الافراط في طعام او شراب لاننا لا نأكل ولا نشرب . ولا خطر علينا من احتيال المفلسين لاننا لا نملك ذهباً ولا فضة . ولا نخاف على عيوننا من الاذى لانهُ ليس لنا أجساد كاجسادكم . ولا نخشى حيف المرازبة وجورهم لاننا كلنا هنالك متساوون، لا فرق بين الواحد والاخر على الاطلاق

— ولكن كيف تقضون وقتكم يا سيدي وانتم محرومون معاشرة النساء والتمتع بالطعام والشراب ؟

— نقضيه برعاية العوالم الاخرى الموكلين بحراستها . وقد جئتُ الآن لمؤاساتك

— ويلاه ! لماذا لم تأتِ امس وتَحُلْ دون ما ارتكبتهُ من اعمال الخرق والطيش؟

— لاني كنتُ مشغولاً عنك باخيك الاكبر حسن المتشرف بخدمة صاحب الجلالة سلطان الهند . فهو الآن ، من كلّ وجهٍ ، اولى منك بالعطف والمؤاساة . لانهُ بدرت منهُ بادرة نزق وطيش أسخطت السلطان فأمر ان تُسمَل عيناهُ ويزجّ في غيابة السجن موثق اليدَين والرجلين . أما انت فما قليل يتغير مصيرك فتنقل من حال الى حال . نعم لن يرجى ان تستردّ عينك المقلوعة . ولكنك فيما سوى ذلك ستنال قسطك من صفاء العيش ونعيم البال ، إن لم تحاول قط بعد الآن أن تصير فيلسوفاً كاملاً

— اذن تعليل نفسي بهذا الامر ضرب من المحال ؟

— نعم . ان الحصول على الفلسفة الكاملة مستحيل كاستحالة التماس الكمال في الحكمة والقوّة والقدرة والسعادة . وهذا الكمال الذي تنشدهُ عزيز المنال حتى علينا نحن . وبيننا وبينهُ بون شاسع . نعم انهُ يسهل الحصول عليهِ في عالم واحدٍ فقط . ولكن في العوالم المالئة اطراف الفضاء ، ويبلغ عددها مئة الف مليون ، يجري كلّ شيء تدريجاً . فالحكمة والغبطة في الثاني اقلُّ منها في العالم الأوَّل . وفي الثالث اقلُّ منها في الثاني وهلم جرّاً الى الاخير حيث الجميع سواسية في الحماقة والبلاهة

— اذن ليست كرتنا الارضيَّة سوى مستشفى لمجانين هذه العوالم التي ذكرتها :

— ليست كذلك تماماً. لكنها اقرب شبهٍ لهُ . اذ إنهُ يجب وضع كل شيء في محلهِ

— إذن لا صحة لقول الشعراء والفلاسفة أن كلّ شيء صائر الى الأصلح والافضل

— لا . ذلك صحيح من حيث النشوء التدريجي بالنسبة الى العوالم كلها

فتنهّد ممنون المنكود الحظ وقال : لا اصدّق شيئاً من هذا حتى تردّ عيني اليّ ! !

ترجمة : اسعد خليل داغر

في الشهر القادم

قصة الجرح الخفى

للكاتب المجري كارولي كيسافولدي

انتقال الافكار : أحقيقة ام وهم

تعليل معقول للتلبثي وبيان بعض حوادثه الغريبة

للمقتطف رأي مشهور في مسألة مناجاة الارواح وقراءة الافكار يُلخّص في انهُ لا ينفي مناجاة الارواح او قراءة الافكار نفياً باتاً ولكنهُ يرتاب في صحتهما لان احد منشئيهِ المرحوم الدكتور صروف لم يقف اثناء مزاولتهِ لهذه المباحث على ما يثبتهما اثباتاً ينفي كل ريب . وكان رحمهُ الله يقول: « ان كلَّ ما اطلعنا عليهِ من هذا القبيل وكلَّ ما امتحناهُ بانفسنا لم نجد فيهِ ما يخرج عن التخيُّل والخداع او مالا يفسَّر بالاستهواء الذاتي او ببعض النواميس الطبيعية المعروفة او مالا يمكن ردُّهُ الى غيرهِ ممَّا لا يتعذر تفسيرهُ او ما فيه شبهة قوية » . ولكنهُ كان ميَّالاً في اكثر الاحايين الى القول بان بعض الناس يستطيع ان يدرك ما في نفوس غيرهِ بغير الحواس المعروفة وهذا هو التلبثي او انتقال الافكار . فان لادراك ما في نفس الغير بلا واسطة الحواس اثراً في كل انسان بل في العجماوات ايضاً . فان الكلب يفهم احياناً ما يدور في نفس صاحبهِ . فاذا كان لهذه القوة اثر في بعض العقول ولو كان طفيفاً جدًّا فلا يبعد ان يكون قويًّا في غيرها وانهُ يقوى ايضاً بالممارسة . وقد يصير صاحب هذه القوة بارعاً في الاستعانة بالحواس الظاهرة كالاعتماد على النظر في وجوه ممتحنيهِ ولمسهم كأن النظر واللمس ينبهان فيهِ هذه القوة المدركة كما تنبهُ الحواس الظاهرة المشاعر الباطنة

وقد اطلعنا الآن على مقالة في السينتفك اميركان للدكتور والتر فرنكلن برنس وهو من اشهر الباحثين الاميركيين في المسائل النفسية ذكر فيها حوادث غريبة من قبيل انتقال الافكار مسندة الى نفر من اشهر الباحثين كالدكتور ريشه استاذ الفسيولوجيا بجامعة باريس والاستاذ غلبرت مري استاذ اللغة اليونانية وآدابها بجامعة اكسفرد . والدكتور مرفي احد اساتذة جامعة كولومبيا الذي اخذ يضع البحث في انتقال الافكار على اساس تجريبي ليخلص منهُ الى نتيجة يصح الاعتماد عليها فاقتطفنا منها ما يأتي :

١

ذكر الدكتور ريشه استاذ الفسيولوجيا بجامعة باريس ان الوسيطة ليوني قضت يوم ٢ يوليو سنة ١٨٨٨ في معملهِ ولما بلغت حالة استهواء شديد في الساعة الثامنة مساء سألها السؤال التالي : ماذا حدث للمسيو م. لنغلوى . فقالت انهُ قد حرق نفسهُ .

قال : واين مكان هذا الحرق من جسمهِ . فقالت : في يدهِ اليسرى . على انهُ لم يحرقها بالنار . لا اعرف اسم المادة . ولكن لماذا لا يحترس عند صبها . قال : وما لون هذه المادة . فقالت : ليست حمراء بل سمراء اللون. انهُ حرق يدهُ حرقاً بالغاً وقد تقرحت البشرة

كانت كل كلمة فاهت بها هذه الوسيطة صحيحة بحذافيرها . فالحادثة التي وصفتها كانت قد وقعت قبل اربع ساعات من وصفها لها . على ان الوسيطة كانت قد قضت النهار كلهُ في معمل الاستاذ ريشه فلم يكن في امكانها ان تتصل بخبر الحادثة دع عنك تفاصيلها. وقد اكد الدكتور ريشه انهُ لم يذكر خبر الحرق الذي اصاب المسيو لنغلوى في يدهِ اليسرى لاحد . وقد حدث هذا الحرق من انصباب عنصر البروم وهو اسمر الى الحمرة فاحترقت البشرة وحدث فيها تقرّح

لو كانت هذه الحادثة مفردة في بابها لما تمكن احد من اقناعي بصحتها . بل كنت انسب الى الدكتور ريشه خطأً في روايتها او ضبط وقائعها ولقلت ان خبر الحرق اتصل بالفتاة بعيد وقوع الحادثة وان القصة كلها مزيج من الخداع والانخداع

ولكن الحوادث التي من هذا القبيل متعددة وقد قام على تحقيق بعضها نفر من اولي العلم والخبرة ممن يصح الاعتماد على قولهم والثقة في امانتهم . وكثير من هذه قديم. فلدى مراجعة اعمال جمعية المباحث النفسية الانكليزية ثبت لي ان المستر ملكوم جوثري من اقدم الباحثين وابرعهم الذين عنوا بالبحث عن الوسطاء الذين تظهر فيهم قوة التلبثي وقد اطلعتُ في اعمال هذه الجمعية لسنة ١٨٨٣ على وصف لمائة وخمسين تجربة من تجارب تلبثي الصور اي ان العامل يصوّر صورة من غير ان يدع الوسيط يراها ثم يطلب الى الوسيط ان يرسمها على حدة ويقارن بين الصورتين . وقد استخدم في اكثر هذه التجارب وسيطتين والصور التي يراها القارىء في هذا المقال منقولة عن اعمال الجمعية وهي تمثل نتائج سلسلة من التجارب تمت في جلسة واحدة

وسنة ١٨٨٥ جرب المستر جوثري تجارب كثيرة مع فتاتين من بائعات المخازن بلندن واليك وصف بعضها . والوسيطة تدعى رلف . وقد حضر هذه التجارب مس ردمند وسيطة والدكتور هكس رئيس الجمعية المكرسكوبية بلفربول والمستر برتشل سكرتير الجمعية الادبية والفلسفية بلفربول ورجل يدعى المستر جونصن . وكانت الوسيطة في اثناء التجارب معصوبة العينين وظهرها الى الحضور

التجربة الاولى — وخز كل من الحاضرين يدهُ اليسرى بدبوس . فقالت الوسيطة : هل هو الم وخز هنا (واشارت الى راحة كفها الايسر)

التجربة الثانية — وخز كل من الحاضرين قفاهُ (مؤخر عنقهِ) بدبوس . قالت الوسيطة : هل هو وخز في العنق (ولمست قفاها)

التجربة الثالثة — حمل المستر ج . ساعة ذهبية ملامسة رداءهُ فقالت الوسيطة : انتظر الى شيء اصفر . هل هو مستدير . شيء يشبه البرتقالة ولكنهُ ليس برتقالة

التجربة الرابعة — حمل المستر ج . مقصاً مقفلاً من الصلب اللامع . فقالت الوسيطة : هل هو شيء لامع . لقد رأيت لمحة من النور اللامع ولكن لم أرَ الشكل

التجربة الخامسة — استقر رأي الحاضرين على قطعة من الحرير الاخضر الى الزرقة في شكل مربع غير منتظم فقالت الوسيطة : هل هو ازرق . اخضر الى الزرقة . شكلهُ غير محدود

وفي جلسة اخرى جرَّب المستر جوثري والمستر جونصن تجارب من هذا القبيل مع فتاتين فكان الرجلان يضمران صورة من الصور الزيتية المشهورة ويكتبان اسمها على ورقة من غير ان يلفظاهُ ثم يطلبان الى الفتاة ان تعرفهُ . فكتبا اسم صورة عنوانها « متأخر » وكانت قد عُرضت قبل ذلك في احد المتاحف فسمتها الفتاة ووصفتها وصفاً دقيقاً . ثم اضمرا وكتبا اسم الصورة الزيتية المشهورة التي صورها دهِ فنشي وعنوانها « العشاء الاخير » وكان المستر جوثري قد تصور السيد المسيح حاملاً بيده كأساً قد دسَّ فيها يهوذا شيئاً فقالت الوسيطة : « هي صورة تمثل الايام الاخيرة لرجل . يظهر ان هناك رجلا في حالة النزع وحولهُ جمهور غفير . ارى سريراً ورجلاً مائتاً وقربهُ رجل حامل ورقة او شيئاً آخر او هو نفسهُ حاملها »

ثم اضمر صورة « دانتي يلتقي بحبيبتهِ بياتريس » فلم تفلح الوسيطة في استظهارها ثم اضمر صورة « الفرار الى مصر » فسمتها باسمها في اربع دقائق

وسنة ١٨٨٩ جرَّب الاستاذ هنري سدجوك وزوجتهُ تجارب الغاية منها امتحان قوة نقل الافكار اذا كانت هذه الافكار ارقاماً . فكان العامل يأخذ من كيس في يدهِ رقعاً عليها ارقام مختلفة ويسأل الوسيطة — وقد كانت منوَّمة تنويماً مغنطيسيًّا عن الرقم الذي يتناولهُ . وقد جربت هذه التجارب في اناس مختلفين بعد تنويمهم فلم ينجح منهم سوى اربعة وكان نجاح المس ب . باهراً يستلفت النظر ففي احد الجلسات سُئلت ان تعرف ١٢ رقماً مختلفاً فاصابت في معرفة تسعة منها واخطأت في ثلاثة . وما اصابت

في معرفته كانت قوها فيهِ قاطعاً من غير تعثّر او ترديد

وسنة ١٨٩٠ جرّب البارون فون شرنك نوترغ سلسلة من التجارب لخصها في اعمال جمعية المباحث النفسية ويؤخذ من وصف الاحتياطات التي اتخذها حين القيام بهذهِ التجارب انهُ لم يكن فيها مجال للخداع . وقد كانت من قبيل التجارب الاولى المذكورة والمصوّرة في هذا المقال

ومن العلماء الذين اشتهروا بقوة التلبثي الاستاذ جلبرت مري استاذ اللغة اليونانية وآدابها في جامعة اكسفرد . وقد امتحن ٢٣٦ مرة في ثماني سنواتٍ امتحانات مختلفة اصاب اصابة تامة في ٨٥ منها واصابة غير تامة في ٥٥ منها واخطأ في ٩٦

ومن المسائل التي امتحن بها جملة من رواية تمثيلية لتشيكوف الروسي قالتها ابنة ممثلة وهي «حينما كنت في باريس صعدت ببلون». ودعي السرغلبرت فقال «في روسيا من كتاب دُمْ دُمْ دُمْ (اشارت الى التمهل في الكلام) صعدت ببالون حينما كنت دم دم صعدت ببالون.حينما كنت بباريس صعدت ببالون» ويظهر من ذلك ان الكلام تمثل في ذهنهِ تدريجاً . ثم اختاروا موضوعاً من رواية للروائي دستويفسكي يدور على رجل فقير مات كلبهُ في مطعم . فلما دخل السرغلبرت قال : « ان الناس هزأوا بالمسكين ولكنهم حزنوا وارادوا ان يتلطفوا معهُ »ولم يكن السر غلبرت قد قرأ الرواية

ومما امتحنوهُ بهِ ايضاً قول الملكة فكتوريا وهي ابنة صغيرة « ساكون عاقلة» اذ قيل لها انها ستصير ملكة . فقال «هذا شيء من كتاب بل في صورة حينما قيل للملكة فكتوريا انها ستصير ملكة»فكان جوابهُ قريباً من الحقيقة ولو لم يذكر الكلمة التي قالتها

واقترح احدهم الحادثة التي قُتل بها توماس أبكت في كنيسة كانتربري الكاتدرائية وهي حادثة مشهورة في تاريخ انكلترا . فدخل السر غلبرت وقال . « حادثة فظيعة . شخص قتل في كنيسة . ظننت اولاً حدثت في ثورة البلشفك ولكنني اظن انها قتل توماس أبكت »

وقد ذكرنا في مقتطف دسمبر سنة ١٩٢٥ ما يفعلهُ رجل الماني يدعى لدوغ كهن فانهُ يقرأ ما يكتب في ورقة ولو لم يرَ الكتابة . وقد جرّب اعمالهُ هذه امام جماعة من اكبر علماء الطب والفسيولوجيا والرياضيات . وكانت احدى جلساتهِ امام الاستاذ لكلنش من اكادمية العلوم الفرنسوية والاستاذ ڤاله من اكادمية الطب والدكتور اوستي رئيس المعهد الفلسفي . وغيرها امام الاستاذ ريشه وغيرهِ من اقطاب اكادمية

الطب . فشهدوا لهُ بهذه المقدرة الغريبة . ووصف هذه التجارب واقوال العلماء فيها من اغرب ما يقرأ وقد نشرناها في مقتطف دسمبر سنة ١٩٢٥ فلتراجع هناك

٢

هل يتساوى الناس في مقدرتهم على الشعور بما يجول في افكار الغير واستحضاره ام يتفاوتون في ذلك ؟ والذين تظهر فيهم هذه المقدرة الغريبة الا يجوز ان تكون معرفتهم بما يضمر من قبيل الاتفاق ؟

هذه مسائل دقيقة وللاجابة عنها اجابة علمية مقنعة لا بدَّ من البحث العلمي الدقيق الذي يخضع للقياس والمقارنة . والباحثون الاميركيون سباقون في هذا الميدان . فان ثلاثة من اساتذة جامعة كولومبيا اعلنوا انهم سيجربوا تجربة واسعة النطاق ليصلوا من نتائجها الى معرفة توزيع هذه القوة بين الناس . فاستأجروا محطة من محطات الراديو واذاعوا منها بيان تجربتهم . ذلك انهم يفكرون في رقم او صورة او عمل او الم ويصف احدهم نوع الشيء الذي يفكرون فيه فاذا كان رقماً قال انهُ رقم يتراوح مثلاً بين الواحد والالف واذا كان عملاً قال انهُ من قبيل الاشغال الفكرية او الاعمال الصناعية وهلمَّ جرًّا . ثم طلبوا الى الذين يصغون اليهم ان يكتبوا ما يتراءى لهم ان هؤلاء الاساتذة يفكرون فيه . فجاءتهم ٢٥٠٠ رسالة شطَّ فيها اكثر كاتبيها عن الحقيقة ولكن اثنين عرفوا اكثر ما أُضمر معرفة حيَّرتهم

وفي جامعة هارفرد استاذ يدعى ايستربروكس يعنى بهذه المباحث ويجريها على قواعد الامتحان العلمي الدقيق . ومن تجاربهِ ان يُجلس في غرفة احد طلبة الجامعة ويجلس هو في غرفة في جوارها وامامهُ آلة دقيقة الصنع متصلة بآلة في الغرفة الثانية. فاذا ادار الاستاذ الآلة التي امامهُ قطعت من نفسها رزمة من ورق اللعب فينظر الاستاذ الى الورقة التي قطعت الرزمة عندها ويصبُّ فكرهُ عليها . وتكون الآلة قد اعطت اشارة في الغرفة الثانية فيحاول الطالب ان يصرف الورقة التي ينظر اليها استاذهُ ويفكر فيها . وحتى الآن لم تصدر نتائج هذه المباحث ولكنها بوّبت تبويباً علميًّا يظهر منهُ اجابة الذين امتحنوا في معرفة الورقة هل هي حمراء او سوداء وهل هي بستوني» او «ديناري» وهل هي سبعة او عشرة او رجل الخ والمشتغلون بهذه المباحث ينفقون الساعات والايام في استنباط وسائل جديدة للبحث والامتحان حبًّا للعلم وسعياً وراء المعرفة

ماذا اطالع في عزلتي

لغليوم الثاني امبراطور المانيا سابقاً

لا يدرك الرجل قيمة الكتب الاَّ حين يُقضى عليهِ بان يمكث في عزلة تمرُّ بهِ الدقائق والساعات كأن الدهر موثق لا يسير ، او حين ينتظر حدوث حادث خطير تدور عليهِ كل آمالهِ . فلما كنت في بوتسدام كانت شؤون الامبراطورية تمنعني من الغوص على لآلئ المعاني في بحار الكتب مع اني تثقفت كواحد من آل هوهنزلورن بآداب الالمان الحديثة تثقيفاً كاملاً . ولما انتظمت في سلك الجيش طالعت كثيراً من الكتب الحربية وتبعاً لارادة والدتي كنت اطالع الكتاب المقدس فكان من الاركان التي بني عليها تثقيف عقلي وتهذيب نفسي

فلما وضعت الحرب اوزارها وجئت الى دورن بدأت ادرك ادراكاً صحيحاً قيمة الصداقة الادبية التي تمكنت اواصرها بيني وبين اصحاب المؤلفات التي اطالعها . فانا مدين لكثير من المؤلفين الراحلين بساعات من السرور الذي لا قرار لهُ كنت اقضيها في مطالعة الكتب التي خلفوها لهدي الناس وتهذيبهم

وكثيراً ما يتعود الطفل ان يلذَّ لهُ نوع خاص من الكتب، يحببهُ اليهِ معلموهُ والقائمون على تهذيبهِ فيبقى هذا النوع من الكتب احب اليهِ من غيرهِ في شبابهِ وكهولتهِ . لذلك احسب كتاب الجنرال فريدرك فون برنهاردي الذي عنوانهُ « السيطرة العالمية وسقوطها » احبَّ كتاب اليَّ . وارجو ألاَّ يحمل هذا التصريح على غير محملهِ الصحيح او يؤوَّل بما لم يقصد منهُ بعد كل الحوادث التي حدثت وتركتني هنا منفيًّا يخالط الشيب لمتي ويقعدني الحزن والاسى . فان كتاب برنهاردي كان يشوقني منذ صباي وقد قرأت كثيراً من صفحاتهِ الأخاذة مراراً لا بل قرأت بعضها ما يزيد على اثنتي عشرة مرة

اما الروايات فلا اطالعها اذ لا تسبيني وقائعها . لاني ارى ان حوادث الحياة على ما هي في حقيقتها افتن للب القارىء من مبتكرات الخيال. اعطني كتاب « سبيل الارادة الى القوة » تأليف نيتشه او كتاب « فلسفة معارك فردرك الكبير » واني قانع بان امكث مع العظماء في ساعات مجدهم وخذلانهم . كذلك لا تشوقني الآداب العصرية وانا من الذين يرون ان عصر الآداب الخالدة قد انقضى . أفي العالم اليوم رجل يكتب

كتاباً من طبقة كتاب غروشوس « تاريخ كامل لرومية القديمة » او من طبقة كتاب « روسيا ضد اوربا » الذي وضعهُ كارل بليبترن ؟

واذا نظرنا الى الآداب الانكليزية التي احترمها احتراماً عظيماً هل نجد بين كتاب الانكليز المعاصرين كاتباً يقدر ان يبني عبارة او يصف خاطراً كما كان يفعل تشارلز دكنز او وليم تكري ؟ وهل من شاعر بينهم ينظم كيرون ؟ لا شك ان هذا العصر عصر واقعي ونزعتي الادبية المتفوقة واقعية ، ولكني مع ذلك لا اعرف كاتباً في شعب من الشعوب — اذا استثنينا كاتباً وكاتبين — نستطيع ان نقرنهُ الى اعلام الادب السابقين

هذا كتاب « حياة نبوليون » اطالعهُ الآن لان سيرتهُ تشبه سيرتي من وجوه كثيرة فلما نفي نبوليون قرأ سيرة يوليوس قيصر في منفاهُ . وانا اقرأ سيرة نبوليون . ومن يدري ألا يوجد رجل آخر بعد قرنٍ من الزمان يُنفى فيطالع سيرتي وسيرة نبوليون معاً . ولقد تعلمت كثيراً من اللغات الحية فاتسع امامي ميدان المطالعة وانا احب الاداب الفرنسوية واوثر مطالعتها في المساء فتريح اعصابي بعد مطالعة الكتب الالمانية او الانكليزية التي لها مقام خاص عندي . ولديَّ تاريخ الحرب الفرنسوية البروسية وهو من اعزّ اصدقائي

قلت : اني لا اطالع روايات على الاطلاق ولكن يجب ان اصحح هذا القول اذ الواقع اني لا اطالع الروايات العصرية فقط . ولكن حين اتنزهُ مشياً على الاقدام اتأبط احد روائيي فرنسا كهيغو او جول فرن وقد اقضي ساعة كل اليوم اطالع كتب دكنز في الاصل الانكليزي . ومن الكتاب المعاصرين الذين تطيب لي مطالعتهم رُدْيرد كبلنغ

اما كتب السِيَر والترجمات فمن احب الكتب اليَّ وعندي ان كتاب السرسدني لي في سيرة « الملك ادورد السابع » افضل ما كتب في سيرة « صانع السلام » . والكتاب الذي يحتوي على رسائل الملكة فكتوريا يلذ لي بنوع خاص لانها جدتي لامي

وارى ان كتب السِيَر التي تكتب الآن ليست من المؤلفات الخالدة في هذا النوع من الادب لان اكثرها يُعنى عناية خاصة بالصغائر في حياة المترجَم وهذا كاف لان يقضي عليها . على اني اطالع الجرائد بشغف وهي اعلق بالنفس من اكثر الكتب . ولعل سبب ذلك اهتمامي الخاص بشؤون الامم . ولولا اصدقائي العديدين — اشارة الى كتبهِ — الذين صحبتهم معي الى منفاي لكان بيتي هذا جهنماً لا تقارب ولكني انسى في صحبتهم اني رجل نفي من بلادهِ او ملك قد ثلَّ عرشهُ

محاولات لانشاء مجمع لغوي

ووضع دائرة معارف عربية

لنحو خمسين سنة خلت ، في اواخر عهد الخديو اسماعيل ، كثر سواد المشتغلين بالادب والكتابة في الصحف. ونشأ منهم جيل جديد هو جماعة الداعين الى الانفكاك من قيود السجع والمحسنات البديعية وبرقشة الالفاظ . واستبدال هذا اللعب بالعبارة الرصينة المحكمة والتدقيق في تخير اللفظة الصحيحة للمعنى المقصود

وكانت الصحف السياسية وقتذاك حديثة العهد . فكثر استخدام الكلمات السياسية الافرنكية من فرنسوية وايطالية وتركية . وهكذا فعل المترجمون في دوائر الحكومة. وناقلو الكتب المدرسية ومؤلفوها . فاختلط العامي بالمعرب . ودعا المرحوم عبدالله فكري باشا حوالي سنة ١٨٨١ الى انشاء اكاديمية لصيانة اللغة . ولكن الاحوال السياسية واهمها الثورة العرابية منعت من تحقيق غرضهِ

المجمع اللغوي الاول

وبقيت هذه الفكرة نائمة حتى تولى الحكم الخديو عباس سنة ١٨٩٢ ، وفي هذه السنة نشط المستر وليم ويلكوكس المهندس المعروف داعياً الى الكتابة باللغة العامية . فكانت هذه الدعوة من اكبر الاسباب لتأليف المجمع اللغوي العربي الاول الذي هيأ اسبابهُ السيد محمد توفيق البكري

ففي النصف الاخير من سنة ١٨٩٢ اجتمع في دار السيد البكري بالخرنفش حضرات الاساتذة العلماء : الشيخ الشنقيطي الكبير والشيخ محمد عبده والشيخ حمزه فتح الله والشيخ حسن الطويل وحفني بك ناصف والسيد محمد بك بيرم ومحمد بك المويلحي ومحمد بك عثمان جلال ومحمد بك كمال . وتذاكروا في انشاء مجمع يؤدي للغة العربية ما تؤديهِ الاكادمية الفرنسية للغة الفرنسية . ووضعوا لذلك قانوناً. وولوا السيد البكري الرآسة والسيد محمد بيرم السكرتارية . وعقدوا سبع جلسات كان آخرها جلسة يوم ١٧ فبراير سنة ١٨٩٣

ومما يذكر من اعمال هذا المجمع كنموذج لمباحثهِ انهُ في الجلسة الرابعة التي عقدت مساء ٤ فبراير سنة ١٨٩٣ عرض السيد البكري عشر كلمات عربية ترجمة لعشر

كمات اجنبية وهي : مرحى لكلمة برافو (ومرحى تقال للرجل اذا اصاب المرمى) ومدره للافوكاتو ، ومسرة للتليفون ، وعم صباحاً لبون جور ، وعم مساء لبون سوار، وبهو للصالون ، وقفاز للجوانتي ، ونمرة لنمرو ، ووشاح للكوردون . والقى الرئيس (السيد البكري) خطبة في اخلاق المتنبي اخرج فيها من اشعار المتنبي ما يستدل به على اخلاقه . والقى المرحوم محمد بك عثمان جلال تخميسه لقصيدة « بانت سعاد »

وفي الجلسة التالية (الاخيرة) القى السيد البكري خطبة في « الوفاقات والعادات » بحث فيها بعض العادات والاحوال التي اتفق فيها العرب والافرنج المعاصرون كالتهادي بالزهور والرياحين في ايام المواسم والاعياد . ورفع ما على رؤوسهم للتعظيم . واقامة التماثيل والانصاب لمشهوري الرجال . وقص اذناب الخيل . وارسال ذيول النساء . والانحناء للسلام . وتصوير الملوك على السكة المضروبة من الدنانير والدراهم . ووضع الرنوك . وانشاء بيوت متاحف الآثار . والاستئذان قبل الدخول . ووضع قائمة باسماء الاطعمة . والمثاقفة . ووجود فرق للفوضويين الخ الخ

والقى محمد بك المويلحي خطبة مسهبة في اغراض المجتمع وعشر كلمات ترجمة لمسميات اجنبية وهي : الطنف للبالكون ،والحرّاقة لمركب التوربيد ، والجديلة للموضة وبطاقة الزيارة للكارت ده فيزيت ، والمربه للكلوب ، والحذاقة لشهادة الدراسة كالبكالوريا،والمعطف للبالطو او الباردسو ،وحصب الطريق لفرشها بالمكدام،والشرطي او الجلواز او التؤتور لرجل البوليس ، والمشجب او الشجاب للبورت مانتو(الشماعة)

وتناقلت الصحف اليومية والاسبوعية هذه الكلمات العشرين . فتصدى لنقدها المرحوم جرجي بك زيدان في الهلال (عدد مارس سنة ١٨٩٣) وردّ عليه المرحوم السيد عبدالله نديم في مجلته (الاستاذ) فماد صاحب الهلال وناقش هذا الرد في مجلته (عدد ابريل سنة ١٨٩٣) . وبعد ثلاث سنوات انشأ المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي مجلة البيان وتناول هذه الالفاظ ومحّصها فزيف اكثرها . وفي خلال مناقشة نديم لزيدان كتب نديم تعليقات وملاحظات على اعمال المجتمع قال فيها ما خلاصته :

يكون المجتمع عاماً في كل ما يتعلق في الفنون العربية . ويقسم الاعضاء بحسب اختصاصهم فقسم للغة ، وثان للتاريخ وتقويم البلدان ،وثالث للترجمة ،ورابع للرياضيات. ويقدّم جوائز لمن يقدم اليه رسالة في فن بعينه او يحقق مطلباً يخصصهُ . وينشئ قاعة للخطابة ويضع للدخول اليها لسماع المحاضرات رسماً من قرشين الى ستة قروش .

ويصدر مجلة شهرية تتضمن ابحاثهُ ومحاضراتهِ

المجمع اللغوي الثاني

وسنة ١٩٠٧ انشأ خريجو دار العلوم وعلى رأسهم المرحوم حفني ناصف بك « نادي دار العلوم » وابانوا في المادة الثانية من قانونهِ الغرض من انشائهِ وهو (١) التنقيب عن الكتب النافعة والسعي في نشرها . (٢) تنقيح وتصحيح ما تدعو اليهِ الحاجة من الكتب المفيدة (٣) تأليف كتب سهلة فيما لم تدوَّن فيهِ مؤلفات قريبة التناول (٤) وضع اسماء عربية للمسميات الحديثة التي ليس لها اسماء عربية معروفة (٥) البحث في الفاظ العامة ورد ما لهُ اصل عربي منها الى اصلهِ والتنبيه على الدخيل منها (٦) الاصطلاح على طريقة لكتابة الالفاظ الاعجمية بلغة عربية (٧) تسهيل فن رسم الحروف (٨) تأليف رسائل في الاداب والاخلاق (٩) محاضرات علمية وادبية

وقرَّ رأيهم على ان يبدأوا بتطهير اللغة العربية من ادران العجمة الفاشية فيها . ويبحثوا عن كل الكلمات التي تستعمل بدل الكلمات الاجنبية التي هاجمت العربية من كل ناحية وقبل ان يشرعوا في العمل قال قائلون منهم : ما المانع من ابقاء الاسماء الاعجمية واستعمالها في فصيح الكلام ؟ وقال آخرون : ان حق التعريب قاصر على العرب الموثوق بعربيتهم وقد انقرضوا الآن ، فلم يبق الا اختيار ما يناسب من الفاظ العربية المناسبة من المناسبات المقررة في علم البيان وهي الطريقة التي اتبعها مترجمو الفنون وواضعو العلوم في عصر الدولتين الاموية والعباسية

ولما شجر هذا الخلاف عقد اعضاء النادي ثلاث جلسات متوالية للمناقشة والمساجلة . فخطب المرحوم الشيخ محمد الخضري في جلسة ٣٠ يناير سنة ١٩٠٨ في « اتباع طريقة في تسمية المسميات الحديثة واصطلاحات العلوم والافكار على طريقة التوسع في استعمال الاسماء العربية »

وخطب الاستاذ الشيخ احمد السكندري في جلستي ٣٠ يناير و١٣ فبراير في « منع طريقة التعريب في تسمية المسميات الحديثة واتباع طريقة التوسع في استعمال الالفاظ العربية خصوصاً القليل الاستعمال منها الخفيف على السمع لتقليل الاشتراك ما امكن »

وتعاقب الخطباء في جلستي ١٣ فبراير و٢٠ فبراير. فخطب كل من الاستاذ حبيب غزاله بك الموظف في مصلحة الصحة ، والشيخ احمد سلامة من اساتذة مدارس الحكومة ، والمرحوم احمد فتحي زغلول باشا وكيل وزارة الحقانية، وسعادة احمد زكي باشا

سكرتير مجلس الوزراء ، واخيراً المرحوم حفني ناصف بك رئيس النادي . ثم صدر قرار اجماعي بتوقيع رئيس النادي هذا نصهُ :

« في الساعة العاشرة من مساء يوم الخميس ٢٠ فبراير بعد سماع ما قالهُ جميع الخطباء في موضوع تسمية المسميات الحديثة قرر نادي دار العلوم ان يكون العمل على النحو الآتي :

« يبحث في اللغة العربية عن اسماء للمسميات الحديثة باي طريق من الطرق الجائزة لغة فاذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الاعجمي بعد صقلهِ ووضعهِ على مناهج اللغة العربية . ويستعمل في اللغة الفصحى بعد ان يعتمدهُ المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض

« مصر في ١٩ محرم ١٣٢٦ رئيس النادي : حفني ناصف »

ثم انشأ النادي مجلته «صحيفة دار العلوم» ونشر في احد اعداد السنة الثانية منها (١٩١٠) نبذة قال فيها ما مؤداهُ :

لم ينس القراء ما قام بهِ النادي من وضع مسألة الاسماء للمسميات الحديثة . ثم نظر بعد ذلك في العمل . والطريقة التي سار عليها هي انهُ ينتخب عشرة من الاسماء الاعجمية او العامية فيرسل الى كل من اعضائهِ نسخة ليكتب كلٌّ منهم ما يراهُ مناسباً لذلك الاسم من الكلمات العربية البسيطة او المركبة ثم تعاد هذه الاسماء الى النادي في موعد معين فتبحثها اللجنة العلمية وتختار من الكلمات اقربها مناسبة لمعنى الكلمة الأعجمية أو العامية وتنشرها في صحيفة النادي . فاذا مرّ شهر ولم يبد احدٌ ملاحظة عليها اعتبرت رأياً عاماً لجميع أعضاء النادي حتى تكون لعامة من يشتغلون باللغة العربية

ووالت نشر هذه الكلمات في اعداد المجلة مُردفة بالكلمة العامية او الاجنبية الكلمة المختارة واسباب اختيارها مع الاشارة الى الكلمات التي تخيرها غير اعضاء النادي من كتاب الصحف والمجلات والكتب او كانت شائعة قبل ان يقرها النادي

ويبلغ عدد الكلمات التي نشرت في السنة الثانية للمجلة ١٥٠ كلمة مع شروح لا بأس بها . وهذه الكلمات في شؤون ومواضيع مختلفة بلا رابطة ولا ترتيب . الا بضع كلمات فيما تتركب منهُ آلة الحرث عرضها الاستاذ عبد الرحمن النوابي على اللجنة وقرأها الاستاذ الشيخ محمد الخضري وقدم تقريراً عنها

وجاء في احد اعداد المجلة : « قد اطلع على هذه الكلمات استاذنا الحافظ حضرة

صاحب الفضيلة الشيخ حمزة فتح الله ، فاقر اكثرها واستعاض بعضها بما هو اليق وقد اتبعت اللجنة كثيراً مما اصلحهُ »

المجمع اللغوي الثالث

وبينما كانت جحيم الحرب العظمى تقذف العالم بالنار ، ورحاها تدور طاحنة — دعا المرحوم اسماعيل بك عاصم نخبة من اهل الادب وصفوة كتاب الصحف الى وليمة صنعها في بيته احتفالاً بانقضاء اربعين سنة على مجلة المقتطف

وفي هذه الجلسة تذاكر الحاضرون في تأليف مجمع لغوي . وكان صاحب الدولة عدلي يكن باشا وزير المعارف يومذاك والاستاذ احمد لطفي السيد مديراً لدار الكتب المصرية . فشجع وزير المعارف الداعين الى هذا العمل واذن لهم في عقد جلساتهم ولجانهم التحضيرية في دار الكتب

فاجتمع كل من حضرات العلماء والادباء والباحثين : الشيخ سليم البشري . والشيخ محمد ابو الفضل الجيزاوي . والشيخ عبد الرحمن قراعة . والشيخ محمد بخيت . والشيخ محمد شريف سليم . وحفني ناصف بك . واسماعيل رأفت بك . واحمد لطفي السيد بك . والشيخ احمد السكندري . والاستاذ ذبيح بهروز . والشيخ احمد ابراهيم . والدكتور يعقوب صرُّوف . والدكتور فارس نمر . وعبد الحميد مصطفى باشا . وعبد الحميد فتحي بك . وعثمان فهمي بك . وحلمي عيسى باشا . واحمد زكي باشا . وعاطف بركات بك . والشيخ مصطفى العناني . والسيد محمد علي البيلاوي . وامين واصف بك والشيخ رشيد رضا . واحمد كمال باشا . واحمد تيمور باشا

وعقدوا ٢٤ جلسة كانت اولاها يوم ٢٤ يونيو واخراها يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩١٩ ثم اشتغل فريق من الاعضاء بالحركة الوطنية . وتوقف عقد الجلسات الى يوم ٢٩ دسمبر سنة ١٩٢٥ فعقدت جلسة واحدة انتخب فيها المرحوم عبد الحميد ابو هيف بك مدير دار الكتب سكرتيراً للمجمع والاستاذ محمد الهراوي رئيس كتاب دار الكتب مساعداً لهُ . وقد تولى رآسة المجمع في بدء نشأته الاستاذ البشري شيخ الازهر . ثم اخلفهُ في الرآسة الشيخ ابي الفضل خليفتهُ في المشيخة

وقضى اعضاء المجتمع جلسات عدة في مناقشات في مسألة الترجمة والتعريب فانقسموا فريقين . قال الفريق الاول : بوجوب الترجمة فاذا تعذرت يلجأ الى التعريب . وقال الفريق الثاني : بادخال الكلمات الافرنكية العلمية بنصها بعد صقلها

ووضعها في اوزان عربية ان تيسر ذلك . ثم وضعوا قانون المجمع . وابانوا في الفصل الاول منهُ رأيهم في مسألة الترجمة والتعريب . فجاء فيهِ ما يؤخذ منهُ :

ان غرض المجمع هوخدمة اللغةالعربية وخصوصاً وضع معجم واف بحاجة الزمن شامل اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات . ويكلف المجمع لجاناً او افراداً جمع مصطلح كل علم او فن واعداده. ولكل لجنة او فرد ان يطلب من المجمع ان يدعو الى الانضمام اليهِ من يرى دعوته من الاخصائيين. ويعرض ما تم من ذلك على المجمع لبحثهِ وتقرير ما يراهُ ، واذا تم جزء صالح للنشر جاز نشرهُ على حدة قبل اتمام المعجم

وللمجمع ان يزيد في اللغة للضرورة . ويراعي في الزيادة دفع الحرج ، فيستبدل بالكلمة العامية او الاعجمية التي لم تعرب قبل غيرها من الالفاظ العربية الموضوعة للدلالة على معناها . فاذا لم يهتد المجمع الى كلمة عربية اقرّ الكلمة العامية ، او عرب الكلمة الاعجمية مع مراعاة المادة الثالثة (الزيادة للضرورة ومراعاة دفع الحرج)

ويكون وضع الكلمات بطريق المجاز او الاشتقاق او النحت او غير ذلك مما لم يقع اجماع على منعهِ . ويفضل الاخذ من الكلمات المهجورة وتذكر الكلمات في المعجم بمعانيها القديمة ويضاف اليها استعمالها في المعاني الجديدة التي يقرها المجمع . وينبه على ما كان من وضع المجمع

وتقرر ان يؤلف المجمع من ثمانية وعشرين عضواً منهم ثلاثة يعرف احدهم اللغة العبرية والثاني الفارسية والثالث السريانية زيادة على معرفة كل منهم اللغة العربية . وللمجمع ان ينتخب اعضاء مراسلين يكون لهم حق حضور الجلسات ولكن لا يكون لهم اصوات في القرارات

والف لجنة لتحضير العمل ، وخمس لجان للبحث اللغوي

وقدمت اليهِ رسائل ومباحث عدة ضمها الى مجموعة اعمالهِ ، نذكر منها :

(١) رسالة في مصطلحات علوم الفلسفة الحديثة لامين بك واصف

(٢) رسالة في تسمية العناصر الكيماوية باسماء عربية للشيخ محمد سليم شريف

(٣) مذكرة في الترجمة والتعريب للدكتور يعقوب صروف

(٤) رد على مذكرة الدكتور صروف للشيخ احمد السكندري

(٥) مذكرة في التعريب والترجمة للشيخ شريف . وفيها اسماء اجزاء المحرات

(٦) « « « وتفسير كلمة « ضرورة » الواردة في القانون للشيخ احمد ابراهيم

(٧) رسالة من لجنة الصناعة والتجارة في اسماء اجزاء المحراث
(٨) « في لغة التمثيل والمسرح لاسماعيل عبد المنعم افندي

المجمع اللغوي الرابع

وفي سنة ١٩٢٣ دعا صاحب العطوفة ادريس راغب بك فئة صغيرة من اللغويين والباحثين الى جلسة عقدها في داره بشارع الحلوني (عابدين) للمذاكرة في انشاء مجمع لغوي . وكان ممن حضروا هذه الجلسة الاستاذ محمد مسعود بك فاقترح توسيع دائرة الدعوة لتشمل الكثيرين ممن يرتجى الخير من بحثهم وتنقيبهم . فاجيب الاقتراح ووضع قانون المجمع ولائحته الادارية . والف مجلس الادارة وعين ادريس راغب بك رئيساً للمجمع وعبد الفتاح عباده افندي سكرتيراً له

وظل هذا المجمع ينعقد في دار رئيسه اسبوعيًّا . ثم كلما دعت الحاجة الى انعقاده. وكان اهم ما قام به انهُ الف ١٤ لجنة للاتفاق على مسميات لمصطلحات العلوم والفنون.

وقد نُصَّ في جدول اللجان على ان للجنة اللغة ثلاثة اعمال وهي (الاول) ان تستخرج من المعجمات والكتب (في حدود المادة ٣١ من قانون المجمع) الالفاظ العربية المقابلة للالفاظ العامية أو الاجنبية المستعملة الآن في غير الفروع المعينة لها اللجان الاخرى (الثاني) ان يرجع اليها أعضاء اللجان الاخرى في تمحيص الكلمات عند الحاجة واستشارتها في ذلك (الثالث) ان تتناول الكلمات التي تضعها كل لجنة فتفحص عنها وتعلق عليها ملاحظاتها اللغوية والفنية ثم ترفعها مع تقريرها الى هيئة المجمع العامة للنظر والبت فيها

وتوزع عشرون من الاعضاء اجزاء قاموس لسان العرب العشرين ليستخرج كلٌّ منهم من الجزء الذي تسلمهُ الالفاظ العربية التي تقابل الالفاظ العامية اوالافرنكية التي تدور على اسلات الالسنة واسنة الاقلام . وقد قام بعض الافراد والجماعات بما تصدوا لهُ .ورتبت اعمالهم وتقاريرهم في سلات المجمع ولكن لم يعلن للجمهور شيء منها

المجمع الخامس المنتظر

واخيراً فكّر صاحب المعالي علي الشمسي باشا وزير المعارف في تأليف هيئة تشرف على حركة الترجمة العلمية وما تحتاج اليهِ من المصطلحات . وطلب من سكرتيره البرلماني الاستاذ الشيخ عبد العزيز البشري وضع تقرير في هذا الصدد فكتب تقريراً مسهباً فصّل فيهِ حالة اللغة العربية من ايام الجاهلية حتى الآن وما ادخل اليها من اسماء

اشياء لم يكن للقوم بها عهد ومصطلحات للعلوم والفنون اخذوها عن اليونان والفرس. ثم أتى باخبار المجامع العلمية واللجان والمساعي الفردية التي بذلت لتخير الالفاظ العربية الصحيحة بدلاً من العامي والدخيل والاجنبي واقترح في آخر تقريره انشاء مجمع لغوي يختار أكثر اعضائه من موظفي الحكومة وتجري عليهم مكافآت مالية. ويبدأ هذا المجمع عمله بوضع فهرس لدائرة معارف يؤلف من قاموس مدرسي ثم تدون المادة العلمية للدائرة بمعاونة مترجمين اخصائيين

واقترح الاستاذ احمد لطفي السيد بك مدير الجامعة ان يرأس المجمعَ العتيد كبيرٌ من موظفي الحكومة. ويُختار الاعضاء ممن لهم اثر ظاهر يدل على ميلهم لخدمة العلم او اللغة مقابل مكافأة سنوية قدرها مائة جنيه ومكافأة عن كل جلسة قدرها ثلاثة جنيهات. ويكون اختصاص المجمع: وضع معجم لغوي يفي بحاجة الوقت الحاضر. واجراء مسابقة في التأليف والترجمة. وفحص ما يقدم اليهِ من المؤلفات في العلوم والآداب ورفضها او اجازتها ومكافأة اصحابها

واقترح الاستاذ حافظ عوض بك صاحب جريدة كوكب الشرق ان يؤلف المجمع من خمسين عضواً او ستين تتبعهم هيئة من المترجمين لا يقلُّ عددافرادها عن العشرين. ويقصر اختيار الاعضاء على من لهُ اثر معروف في عالم التأليف في الفرع الذي يختار لهُ. ويحسن ان يكون الاعضاء من اهل اليسار او ممن تكون لهم وظيفة عملها قليل وراتبها كبير او ما شابه ذلك ليسهل انقطاعهم للعلم وانصرافهم اليهِ

واقترح الدكتور محمد شرف الطبيب ألاَّ يقتصر المجمع على المشتغلين بالادب واللغة بل يكون معهم جماعة من المهندسين والاطباء وعلماء الزراعة والصناعة والمتضلعين من اللغات السامية كالعبرية والارامية والسريانية والحبشية وبعض المستشرقين. « ولتسهيل التفاهم بين اهل البلاد المختلفة المتكلمة بالعربية وتوحيد المسميات ينبغي الاتصال بالمنتديات اللغوية في دمشق وبغداد والقدس اتصالاً وثيقاً واختيار اعضاء من اهلها يمثلون بلادهم »

وبعد فلا جدال في ان المباحثات والمساجلات والآراء التي ابديت منذ خمس وثلاثين سنة الى الآن سواء في موضوع الترجمة والتعريب او طريقة تأليف المجمع المنشود او وضع دائرة المعارف اصبحت كافية لتنفيذ هذه لاغراض خدمةً للغة العربية واهلها

توفيق حبيب

كيف وزعت جوائز نوبل

منذ انشائها

الالمان يفوزون باكثرها ويتلوهم الفرنسويون

جمع الفرد نوبل الكيماوي الاسوجي ثروة طائلة من صنع الديناميت وقبل وفاته سنة ١٨٩٦ وقف اكثر ثروته على تأسيس خمس جوائز سنوية قدرها نحو اربعين الف جنيه يكافأ بها النوابغ في المباحث الكيماوية والطبيعية والطبية والادب الكمالي النزعة والسعي الى توطيد اركان السلام من غير نظر الى جنسية الباحثين او دينهم . ووزعت هذه الجوائز للمرة الاولى في ١٠ دسمبر سنة ١٩٠١ بعد انقضاء خمس سنوات على وفاة منشئها . فنال جائزة الآداب سلي برودوم الفرنسوي ، وجائزة الطبيعيات الاستاذ رنتجن ، وجائزة الكيمياء فانت هُف ، وجائزة الطب الدكتور بهرنغ

وقد وزعت هذه الجوائز منذ انشائها الى الآن ٢٧ مرة على ١٤١ رجلاً واربع سيدات . نالها منهم ٢٤ للطب والفسيولوجيا و٣٣ للطبيعيات و٢٣ للكيمياء و٢٦ للآداب و٢٨ للسعي الى توطيد السلام . وقد فاز الالمان بثلاثين جائزة منها اكثرها في الكيمياء والطبيعيات . والفرنسويون باربع وعشرين جائزة منها . والانكليز باحدى وعشرين والاسوجيون بتسع . والاميركيون بثمانٍ . والسويسريون بسبع . والدنماركيون بستٍ والهولنديون بستٍ ايضاً . وكل من نروج وبلجيكا والنمسا وايطاليا باربع . واسبانيا بثلاث وبولونيا باثنتين . وروسيا بجائزة واحدة

اما جوائز الآداب فقد فازت كل من الامبراطورية البريطانية وفرنسا والمانيا باربع منها وكل من اسبانيا والدنمارك واسوج ونروج وبولونيا بجائزتين . واما جوائز السلام ففازت فرنسا باكثرها تليها سويسرا والولايات المتحدة الاميركية

وقد فازت السيدات بخمس جوائز منها اثنتان فازت بهما مدام كوري احداها في الطبيعيات والاخرى في الكيمياء . وفازت الكاتبة الاسوجية سلمى لجرلوف بجائزة الآداب . ومنحت سيدة (لم نطلع على اسمها) جائزة السلام . وقد منحت جائزة الآداب عن سنة ١٩٢٦ للكاتبة الايطالية غراتزيا ديلده

اكبر الرحلات الجوية الحديثة

١

رحلة البلون نورج من رومية الى الاسكا مارًّا فوق القطب الشمالي

تمهيد

كثيراً ما تكون الحقيقة اغرب من مبتكرات الخيال واية قصة خيالية اكثر غرابة من حكاية تقدم الطيران في القرن العشرين ، آلة تكاد تكون اداة لهو وتسلية اكثر منها مطية للنقل والانتقال استنبطها الاخوان ريط الاميركيان سنة ١٩٠٣ فلم يستطيعا ان يبقيا بها في الجوّ اكثر من بضع ثوان ، لم ينقض عليها ربع قرن حتى ارتقت وتنوعت فصارت سرعة بعض الطيارات تقارب ٣٠٠ ميل في الساعة وفي امكان بعضها ان تبقى نحو خمسين ساعة في الجوّ او ان تحلق الى اربعين الف قدم او اكثر. وازدادت الثقة في امكان الاعتماد عليها فاتخذها الابطال من الروّاد مطية لهم يجتازون بها المسافات الشاسعة هازئين بالصحاري والبحار ومفازات الجليد. وتناولتها الشركات التجارية تزاحم بها وسائل النقل من قطارات وسفن. وتاريخ ارتقاء العمران انما هو تاريخ رجال الهمة والاقدام الذين لا تقعدهم المصاعب عن المضي في جهادهم نحو اغراضهم العليا ، ولا يبطرهم النجاح فيلهون بفوز سابق عن احراز فوز جديد لانهم ينظرون الى كل انتصار يحرزونهُ في ميدان الابتكار والعمل نظرهم الى درجات السلم يرتقي الانسان عليها الى ما هو فوقها

ولقد كان تاريخ السنتين الماضيتين حافلاً بحديث الطيارين واخبار جرأتهم واقدامهم ، فمنهم من اجتاز المحيط الاتلنتيكي في مرحلة واحدة ، ومنهم من طار الى القطب الشمالي، ومنهم طار بطيارات تجارية من لندن الى دهلي بالهند ، ومنهم من اجتاز جنوب المحيط الاتلنتيكي من افريقيا الى البرازيل او طار من لندن الى استراليا ثم آب الى لندن او اجتاز المحيط الهادئ من سان فرنسيسكو الى جزائر هواي ، وهم في كل ذلك مقدمة لجيوش العمران تغزو مملكة الجوّ وتخضع عناصرها لمطالب الانسان وقد سبق لنا فنشرنا في المقتطف وصف اشهر الرحلات الجوية التي وقفنا عليها ،

منها رحلة امندصن الجوية الاولى الى منطقة القطب الشمالي ، ورحلة الكومندر برد الاميركي الى القطب الشمالي وايابهُ منهُ ، ورحلة لندبرغ من نيويورك الى باريس وغيرها مما اعدنا نشرهُ في كتاب « الروَّاد » الذي كان لهُ في نفوس جمهور القراء واهل الفضل أجمل أثر وابلغ وقع . وقد رأينا ان ننقل الى قراء المقتطف هذه السنة وصف بعض الرحلات الجوية الاخرى التي تمت في السنوات الاخيرة وما تعرَّض لهُ اصحابها من المخاطر والمهالك وكيف صبروا عليها يحدوهم الامل بفتح جديد ويدفعهم الاقدام والجرأة والتفاني في سبيل الاكتشاف. لذلك كانت كتاباتهم والكتابات عنهم من امثل ما تنشرهُ المجلات لقرائها لانهُ يحوي كثيراً من الحقائق العلمية مفرغة في قالب روائي واقعي يسترعي انتباههم ويستثير شغفهم بمطالعتها . فنبدأ برحلة البلون نروج من رومية الى الاسكا ماراً فوق القطب الشمالي والرحلة من قلم واضع رسوم البلون وربانهِ في اثناء الرحلة الجنرال اومبرتو نوبلي الايطالي

الطيارة او البلون

قال الجنرال نوبلي :

في مايو سنة ١٩٢٥ كان العالم المتمدن ينتظر على احرَّ من الجمر اخبار الرحلة الجوية التي قام بها امندصن وصحبهُ الى القطب الشمالي على متن طيارتين فكان ذلك باعثاً لي على التأمل في مسألة ارتياد الاصقاع الشمالية بالطيارات والبلونات. وبعد التأمل وجدت ان مفازات الجليد في الاصقاع المتجمدة الشمالية غير منبسطة انبساط الرمل في الصحراء فكثيراً ما تنشز منها قطع تكون بالطيارات افتك من انياب الاسد بفريستهِ . فثبت لي ان نزول طيارة على سطح مفازة من الجليد امر حافل بالخطر . واذا سلمنا ان ذلك في الامكان فاستئناف الطيران من الامور المتعذرة لان هذه المفازات الجليدية دائمة التحرك تتبع في حركتها الانواء والرياح . وعلى الضدّ من ذلك وجدت ان الطيران بالبلون الى المناطق التي حول القطب اصلح جدًّا من الطيران بالطيارات لانهُ في امكاننا ان نبطئ سير البلون ونقترب من سطح الارض من غير ان نحط عليها فنستطيع ان ندوّن الارصاد ونصف الارض التي نمرّ فوقها . وهذا متعذر في الطيارة

وعليهِ خطر لي ان اعدّ بعثة ايطالية لارتياد الاصقاع القطبية الشمالية تكون مطيتها بلون وفي يونيو سنة ١٩٢٥ كنت قد وضعت بيان هذه البعثة وغرضها وبرنامج رحلتها

ومن جملة ما وضعتهُ نصب عيوننا استكشاف المناطق التي حول القطب لا مجرَّد السبق اليهِ والاوبة منهُ . وكنت قد عزمت أن نجعل قاعدة أعمالنا جزيرة سبتسبرجن نطير منها الى جهات سيبيريا والبحار المتجمدة شمالها وإلى القطب الشمالي

وانا لكذلك طلب اليَّ الكابتن روالد امندصن ان نلتقي فالتقينا وبسط امامي رأيهُ في استخدام بلون لاجتياز المنطقة المتجمدة الشمالية من سبتسبرجن الى الاسكا مارين فوق القطب . وكان قد خطر لهُ هذا الرأي على حدة على اني كنتُ اسبق منهُ اليهِ ، ولكننا اتفقنا واخذت على عاتقي اعداد كل المعدات الفنية اللازمة لهذه الرحلة ، وقد تمَّ اعدادها كلها في ايطاليا تحت اشرافي

البلون نورج

وقع اختياري على البلون N1 من بلونات البحرية الايطالية وهو من نوع البلونات المرنة بُني سنة ١٩٢٣ وطار للمرة الاولى في مارس سنة ١٩٢٤ يسير بقوة ثلاث آلات قوة كلٍّ منها ٢٥٠ حصاناً واحدة منها كافية لتسيير البلون بسرعة ٣٧ الى ٢٣ ميلاً في الساعة ويسع ١٨٥٠٠ متر مكعب من الهدروجين او نحو ٦٥٠ الف قدم مكعبة وطولهُ ٣٤٨ قدماً وعلوهُ ٧٩ قدماً وعرضهُ ٦٢ قدماً ومقدار ما تسعهُ احواضهُ من البنزين نحو سبعة اطنان ونصف تكفي لان تسيرهُ مسافة ٤٣٥٠ ميلاً بسرعة ٥٠ ميلاً في الساعة وهو متوسط سرعتهِ

ثم ازلنا من هذا البلون كلَّ ما بني فيهِ لتوفير اسباب الراحة والرفاهة على قبطانهِ وضباطهِ وذلك لكي نتمكن من زيادة ما يحملهُ من البنزين ومواد الغذاء وغيرها مما يلزم لنا في رحلتنا الطويلة . ولما فعلنا ذلك صار في امكاننا تحميلهُ حملاً يبلغ احدى عشر طناً نحو سبعة اطنان منها وقود

وادخلنا عليهِ اصلاحات من شأنها ان تحفظ كثيراً من اجزائهِ من اثر البرد الشديد والجليد الذي قد يتكوَّن عليها في الاصقاع المتجمدة . وقوَّينا مقدَّمهُ حتى يسهل ربطهُ الى الابراج التي اعددناها خصوصاً لذلك . وبعثنا برجالنا الى مختلف المدن الاوربية التي نوينا النزول فيها ليقيموا هذه الابراج ثم اطلقنا عليهِ اسم « نورج » تكريماً لاشتراك نادي الطيران النروجي معنا في اعداد معدات الرحلة المالية . وقد اشتركت الحكومة الايطالية في هذه النفقات بنحو ثلثها ودفع المستر الزورث الاميركي

وهو احد رجال الرحلة نحو سدسها وجُمع الباقي ببيع امتياز الاخبار والصور لبعض الجرائد وشركات السينما

انتقاد الرحلة

وقبلما تمت معدات الرحلة اخذت الصحف توجه الينا سهام الانتقاد المر لاننا جعلنا مطيتنا بلوناً صغيراً اذا قيس بالبلون الذي كان الالمان ينوون بناءه لاستكشاف الاصقاع القطبية واننا بذلك نعرض رجال البعثة للخطر الشديد وغالوا في الانتقاد حتى اتهمونا بان الاستعداد الذي كان جارياً على قدم وساق انما كان ليوهم الناس وان القيام بالرحلة المذكورة لن يتمَّ . فلم يفتَّ ذلك في عضدنا . فاني اخبرت كل عضو من اعضاء البعثة عن المخاطر التي قد تعرض لها وان كفة النجاح في هذه الرحلة توازي كفة الفشل فابدى كلٌّ منهم رغبتهُ في المغامرة والاقدام عليها رغبةً في العلم والاكتشاف

وكنا قد اتفقنا مع امندصن وصحبهِ على ان نلتقي بهم في سبتسبرجن وعلى هذا فقد تعين علينا ان نطير بالبلون من رومية الى سبتسبرجن فاخترنا لذلك الطيران من رومية الى بولهام شرق انكلترا اولاً ثم منها الى اوسلو عاصمة نروج ثم الى لننغراد ففادسو بشمال نروج فخليج الملك بجزيرة سبتسبرجن

من رومية الى انكلترا

في الساعة التاسعة والدقيقة الاربعين من صباح ١٠ ابريل سنة ١٩٢٦ اصدرتُ الاوامر للقيام من مطار رومية وكنت مشغولاً بداخل البلون فلم اتمكن من توديع زوجتي وابنتي اللتين كانتا في ميدان الطيران مع اقارب رجال البعثة

ولما حلقنا في الجوّ حمنا فوق المدينة الخالدة لتحيتها فمررنا فوق الكرينيال والكابتول والفاتيكان وقد قيل لي ان اجراس كل الكنائس كانت تقرع في تلك الساعة وداعاً لنا وان راهباً ركع وصلى حينما رآنا مارين فوقهُ

كان الجوّ صافياً والبحر رهواً فمررنا فوق الشاطىء الايطالي وكانت تصلنا رسائل الوداع اللاسلكية من مختلف الهيئات والاندية من حين الى آخر . وارسلنا من البلون رسالة الى ملك ايطاليا واخرى الى موسوليني وكان على متن بارجة في طريقهِ الى طرابلس الغرب

بعيد الغروب وصلنا الى الشاطىء الفرنسي وكانت الريح تهب من ورائنا فتدفعنا معها الى الامام . ولكن الانباء الجوية الواردة علينا كانت تشير الى عاصفة امامنا . ولما

وصلنا بلدة روشفور رأينا مطارها مناراً وابواب مرفإ البلونات الجوي فيها مفتحة على مصاريعها والرجال مستعدين لاستقبالنا وابرق الينا مدير المطار يقول : ان كلّ شيء على قدم الاستعداد لاستقبالنا الاّ ان هبوب ريح يمنعنا من الدخول الى المرفإ فعزمنا للحال ان نستمر في سيرنا الى لندن

ولم نكد نغادر روشفور حتى هبت علينا ريح شديدة خفضت سرعتنا الى بضعة كيلو مترات في الساعة ،واستمرت تهبُّ وتشتد في هبوبها حتى بلغت اقصى شدتها عند الفجر فكانت ساعات الليل ملآى بالمصاعب والوجل لاننا عرفنا انهُ اذا زاد هبوب الريح نفد ما معنا من البنزين فنصبح حينئذٍ كريشة في مهب الريح تتقاذفنا العاصفة وقد تدفعنا الى فوق المحيط الاتلنتيكي وهناك الويل الاكبر

وكان قد انقضى عليَّ يومان قبل ما برحنا رومية لم انل نصيباً من الراحة فبلغت درجة الاعياء على اني جمعت ما بقي فيَّ من قوة حين رأيت العاصفة قد اخذت بتلابيبنا حتى ابقى مسيطراً على تسيير البلون بدلاً من ان نترك الامر للرياح تلعب بنا كما تشاء

ولما اجتزنا لندن اخذت الريح تسكن وفي الساعة الثالثة والدقيقة العشرين بعد ظهر اليوم التالي لقيامنا من رومية وصلنا الى بولهام في جوّ لا بأس بهِ ولم نتمكن من انزال البلون الى الارض وربطهِ الى البرج الذي اقيم هناك قبل الساعة الخامسة والدقيقة الخمسين اي بعد ما انقضى علينا نحو ٣٢ ساعة ونصف ساعة في الجوّ اجتزنا في اثنائها ١٤٠٠ ميل . وبعد ما اخذنا نصيباً من الراحة فحصنا محركات البلون وسائر اجزائهِ وملأنا احواضهُ بالبنزين والزيت وساعدنا رجال المطار في كل ذلك مساعدة نذكرها لهم بالشكر الجزيل

من انكلترا الى نروج الى روسيا

في الساعة الحادية عشرة من مساء ١٣ ابريل قمنا من بولهام ووجهتنا اوسلو عاصمة نروج . فلم يحدث لنا في هذا الجانب من الرحلة ما يستلفت النظر لولا انتشار الضباب فوق البحر الشمالي فلم نتمكن ضبط الطريق الذين كنا سائرين فيهِ بضع ساعات فانحرفنا قليلاً الى شواطىء الدنمارك

وصلنا الى اوسلو في الساعة الاولى بعد ظهر اليوم التالي اي بعد مسيرة ١٣ ساعة من بولهام وكانت المدينة مغمورة بشمس الربيع فكان منظرها من اجمل المناظر التي

رأيناها وكان مشهد الوف الناس المحتشدين في شوارعها وعلى سطوح منازلها لاستقبالنا من اوقع المشاهد في النفس

قضينا بعد الظهر في اوسلو وفي الليل قمنا منها رغم انتشار ضباب كثيف منعنا من مشاهدة جمال الطبيعة في تلك البلاد فاجتزنا نروج واسوج وبحر البلطيق من غير ان نرى معالمها ولما صرنا فوق روسيا كان الضباب قد انقشع فاتجهنا قليلاً الى الجنوب الى بلدة قلكا على حدود استونيا ولتفيا ومنها اتجهنا الى كاتشينا من ضواحي لننغراد الجنوبية فوصلناها في الهزيع الاول من الليل والمسافة بين بولهام وكاتشينا ١٧٠٠ ميل او اكثر قليلاً من المسافة بين رومية ولندن

وبعدما ادخلنا البلون الى المرفأ سرنا الى القصر الامبراطوري . وكنت حين بدأت اعد معدات الرحلة في رومية قد اعلنت الحكومة البلشفية انَّا نصل لننغراد في ١٥ ابريل فلما وصلناها في الميعاد المضروب هزتني هذه الدقة واستخفني السرور

في اثناء اقامتنا في روسيا تبارى رجال الحكومة العلماء ورجال الطيران في اكرامنا ومساعدتنا وكانت المساعدة التي نلناها من رجال الطيران والجيش على اكبر جانب من الفائدة وما من طلب طلبتهُ الاَّ ووافقت الحكومة عليهِ ونفذتهُ في الحال . فامدتنا مصلحة الظواهر الجوية ومصلحة الراديو بانباء الجوّ وتقلباتهِ . وكان يتألب علينا المهتمون بشؤون الطيران لرؤية بلوننا ومعداتنا وبعضهم اجتاز مسافات شاسعة لهذا الغرض. واقامت لنا اكادمية العلوم بلننغراد مأدبة فاخرة خطب فيها الاستاذ رنين قائلاً :

« ان العمل الذي اخذتموهُ على عواتقكم وهو اختراق المنطقة القطبية واستكشافها يثير المخاوف ويستثير الهمم في وقت واحد ويحملنا على ان نحني رءوسنا احتراماً امام اقدامكم وشجاعتكم . ان مهندسي الطيران ادرى الناس بالمصاعب التي تحول دون تحقيق الغرض الكبير الذي تصديتم لهُ ، ولا يسعنا ان نمحي من مخيلاتنا صورة المخاطر العظيمة التي قد تتعرضون لها فوق مفازات الجليد في منطقة لم يردها رائد حتى الآن . لذلك لا نستطيع ان نقف غير معجبين بعملكم ننتظر بفارغ صبر اخبار وصولكم سالمين »

ان هذه الاقوال وامثالها تدلّ دلالة واضحة على ما خالط الخبيرين الروسيين من المخاوف على بعثتنا . وامتدت بنا الاقامة في روسيا الى اوائل مايو لان البعثة التي تقدمتنا الى سبتسبرجن لاعداد المعدات فيها لاستقبال البلون على ما يكفل سلامتهُ لم تصل الى مقرها قبل ٢٥ ابريل فابرقتُ الى مديرها احثهُ على الاسراع في انجاز اعمالهِ

من روسيا الى سبتسبرجن

وفي اوائل مايو ، وقد بدأت حرارة الربيع تدبُّ في الارض والهواء جاءتنا الانباء بان كلَّ شيء في خليج الملك مستعدٌّ لاستقبالنا فقمنا من كاتشينا في صباح اليوم الخامس من مايو في الساعة التاسعة والنصف صباحاً ووجهتنا ڤادسو بشمال نروج

كانت الريح تهبُّ شديدة فاتجهنا الى لننغراد عاصمة الامبراطورية الروسية سابقاً وسرنا فوق نهر النيفا وكانت البواخر الراسية فيه تنفخ في صفاراتها تحيةً لنا . واجتزنا بحيرة لادوغا والريح تهبُّ في وجوهنا فتعيقنا عن التقدم نحو هدفنا وآلات البلون تهتز وترتج كانها تعطلت عن العمل حتى بلغ بنا الخوف انها ستقف عن الحركة . وبعد ما قضينا سبع ساعات على هذا المنوال سكنت الريح فاكملنا باقي رحلتنا الى ڤادسو من غير حادث ما . وكانت البلاد التي مررنا فوقها خالية من المشاهد التي تحرك النفس لان اكثرها مستنقعات وبطاح مكسوة بالثلج وبعض الحراج

غربت الشمس في تلك الليلة نحو الساعة العاشرة ولكن الظلام بين منتصف الليل والفجر لم يحلك كثيراً . وفي الساعة الثانية والنصف صباحاً ذرَّ قرن الغزالة من الشمال ولم تغرب عنا قبل بلوغنا بلدة تلر بالاسكا في ١٤ مايو

كان الجوّ بارداً فبلغت درجة الحرارة حينئذٍ ١٦ درجة فوق الصفر بميزان فارنهيت او نحو ٩ درجات تحت الصفر بميزان سنتغراد . وفي الساعة الرابعة والدقيقة الاربعين توقف احد محركات البلون عن الدوران فاستأنفنا رحلتنا تدفعنا الى الامام قوة محركين . وفي الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين وصلنا الى ڤادسو بعد طيران ٢٠ ساعة من لننغراد . وڤادسو هذه قرية نروجية صغيرة على شاطىء البحر فهبطنا حتى تمكنا من ربط البلون بالبرج الذي اقامهُ رجالنا هناك ووجدنا ان لدينا من البنزين اكثر مما نحتاج اليه للوصول الى خليج الملك فتزودنا منهُ مقداراً استعداداً للطوارىء . وبرحنا ڤادسو في الساعة الثالثة بعد الظهر متجهين الى سبتسبرجن مارين فوق بحر بارنتس المخيف . وكان الجوّ غائماً وذرى الامواج يعلوها الزبد والريح تهبّ في اعتدال . ولقينا في طريقنا مطراً وثلجاً

وفي الساعة الثانية والدقيقة العشرين من صباح اليوم الثاني لمحنا جبال سبتسبرجن عند الافق فسرنا اليها فبلغناها في الساعة السادسة صباحاً بعد مسير نحو ١٥ ساعة من ڤادسو فاستقبلنا فيها الكابتن امندصن والمستر الزورث الاميركي وصحبهما ورجال بعثتنا

احدث المكتشفات الاثرية

في قورينه بطرابلس الغرب

اختلف الكتاب واصحاب الرأي في فوائد النظام الفاشستي واضراره ولكنهم اجمعوا على ان السنيور موسوليني مبدع هذا النظام خدم الامة الايطالية اكبر خدمة ببثهِ الهمة والنشاط في نفوس ابنائها وايقاظهِ روح الاقدام والمغامرة في صدورهم. ومما يذكر لهُ بالشكر عنايتهُ بالمباحث الاثرية في مختلف انحاء ايطاليا ومستعمراتها، رغم الاعمال السياسية والادارية التي تستغرق وقتهُ وانتباههُ. فقد ذكرنا في مقتطف اغسطس الماضي عنايتهُ بالنقب عن كنوز هركولانيوم التي دمّرت وطمرت لما ثار بركان بزوف سنة ٧٩ ب م واهتمامهُ بالنقب في مدينة رومية نفسها عن آثارها الفخمة. وقد جاءتنا المجلات الاوربية والاميركية حافلة باخبار المكتشفات الاثرية في جزيرة صقلية وجزائر لمنوس ورودس وكريت وطرابلس الغرب في لبدة و(لبتوس ماغنا) وقورينه. فعناية ايطاليا بالآثار القديمة والنقب عنها الآن تضاهي عناية انكلترا والولايات المتحدة وقد تفوقها. وقد اطلعنا على مقالة للاستاذ كارلو انتي احد مديري البحث في قورينه نشرها في «مجلة اخبار لندن المصوّرة» وصف فيها المباحث الاثرية الخارجة هناك فاقتطفنا منها ما يلي:

الآثار في لبدة شرق مدينة طرابلس الغرب رومانية واما الآثار في قورينه شرق بنغازي فيونانية قديمة ولها مقام كبير من الوجه الفني والتاريخي لذلك عني وزير المستعمرات الايطالية وحاكم مقاطعة قورينه اليونانية بطرابلس الغرب بالنقب عن آثار هذه المدينة القديمة نقباً وافياً يجلو آثارها الفنية والتاريخية لعلماء التاريخ ومحبي الفنون. وما يعلّق على آثارها من الشأن الكبير عائد الى انها من المدن اليونانية التي انشأها اليونان في القرن السابع قبل الميلاد (سنة ٦٣١ ق. م) فزهت وازدهرت طوَال ١٣ قرناً من غير انقطاع حتى جاء العرب فدمروها. ولم يقم على انقاضها مدن اخرى يعبث ابناؤها بآثارها النفيسة المطمورة تحت اطباق الثرى فبقيت سليمة من السرقة والعبث. وما بني عليها حديثاً من المباني قد امرت الحكومة الايطالية بنقلهِ الى مكان آخر ليكون عمل النقب كاملاً

وقد جاءت الآثار التي وجدت فيها اولاً سنة ١٩١٣ ثم سنة ١٩٢٣ مصداقاً لما كان ينتظرهُ المؤرخون وعلماء الآثار . فقد وجد في حماماتها عشرات من التماثيل البديعة بينها تمثال مشهور « لزهرة قورينه » هو معروض الآن في متحف ترمي بروميه ومنها تمثال فاخر للاسكندر الكبير معروض في متحف بنغازي على مقربة من قورينه. وقد عثر على كتابات طويلة في الحمامات البزنطية تحتوي على حقائق كثيرة عن تاريخ قورينه وعبادات اليونان

فلما تسلم السنيور موسوليني مقاليد الامور في ايطاليا سنة ١٩٢٥ عني بتجديد المباحث الاثرية في هذه البقعة وندب لذلك لجنة من علماء التاريخ والآثار المختصين بينهم الاستاذ برنيه من اساتذة جامعة فلورنسا والاستاذ كارلو انتي من اساتذة جامعة بادوى والاستاذ اوليفيريو من مصلحة الآثار في مقاطعة قورينة . ويعاون هؤلاء الاساتذة نفر كبير من الكتّاب والمهندسين والمصورين والبنائين والرسّامين وجمهور غفير من العمال الوطنيين . وغاية الحكومة الايطالية ان تكشف الانقاض عن المدينة رويداً رويداً وتعيد بناءها على ما كانت عليهِ من الفخامة والعظمة

العمل كبير متشعب وقد لا يتمهُ جيل واحد من الاثريين . فالمدينة يحيط بها سور طولهُ اكثر من كيلومترين وفيها معبد لابلون يضاهي افخم معابد اليونان في فخامتهِ وجمالهِ وهناك معابد اخرى كثيرة وضواحٍ للسكن تحتوي على انقاض مشاهد وملعب وقصر امبراطوري . وحول المدينة بقعة تمتدُّ الى ثلاثين كيلومتراً فيها كثير من الآثار النفيسة ولم يكشف من هذه الكنوز المطمورة سوى جانب قليل من معبد ابلون ومعبد اجورا. وقد بذل الباحثون جهدهم في السنوات الثلاث الاخيرة للكشف عن معبد ابلون الذي كان مقرّ العبادة في قورينه

ومن الطبيعي ان يعثر الباحثون على كثير من التماثيل الفاخرة في هذا المعبد .ومما عثروا عليهِ تمثال صغير من الحديد اثبت ان اليونان حاولوا في اوائل عهدهم استعمال الحديد لصنع التماثيل وتمثال رخامي مشوّه من القرن السادس ق.م ورأس من البرونز لخطيب فاز في مناقشة علنية من القرن الخامس ق . م ووجدوا كثيراً من التماثيل التي نقلها الرومان عن اصول يونانية مفقودة وهي ذات شأن تاريخي كبير لانها السبيل الوحيد الى معرفة درجة الرقي الفني عند قدماء اليونان . وبين هذه التماثيل تمثال بديع لامرأة تدعى اغريبينا يمثلها اصدق تمثيل وعلى وجهها امارات الحزن والشقاء

الراحلون

من شعراء العصر

— ١ —

هل من ذاكرٍ اولئك الراحلين ، كانوا اعلام الشرق ، وملوك الكلام ، وأئمة الادب العربي ، خلّف بعضهم من الاثر المحمود : ما لا يفضله ما بأيدينا اليوم من الآثار الحديثة ، وعاند الدهر آخرين ، فلم يُبق لهم سوى : اقوال مبعثرة ، في صحف نُشرت وطويت ، واظنها قرئت ونسيت

عرفت من اولئك الرجال كثيرين ، وما زلت اذكر ما علمتهُ من اخبارهم ، وما لم أتعمد حفظهُ من اشعارهم ، وهم ثلاث فرق : « الفصحاء » وهم من جروا في شعرهم على سنة العرب ، وانصرفوا الى تخير الالفاظ ، ووضعها في مكانها ، فلا يستطيع غيرهم تبديلها مما هو خير منها ، وبذلك كانت اشعارهم لغوية ، قد يجد سواهم فيها ، ما لا يلذ لهُ استماعهُ . و« البلغاء » : وهم من قصدوا الى تصيّد المعاني ، في اودية الخيال ، ورغبوا عن حديث الرسوم والاطلال ، الى ما شهدوا من جديد اعقبهُ جديد . « والظرفاء » : وهم من قصروا اشعارهم على ما يروق اهل الظرف ، من غزل ، ومداعبة ، ومراسلة ، وحكاية ، في لفظ رقيق ، يفهمهُ خاصة الناس ، وعامتهم ، واكثر هؤلاء بعيدون عن المديح ، لا يشغلهم الا ما هم فيهِ من لذة العيش ، او نكد الحياة

***

اما من عرفت من « الفصحاء » ، فكانوا اربعة : السيد محمد توفيق البكري ، شفاه الله ، وهو الآن في حكم الراحلين ، يعيش منذ اعوام طوال في احد المستشفيات بالاقطار السورية ، والمرحوم يحيى السلاوي بك ، والمرحوم الشيخ احمد مفتاح ، والمرحوم محمود باشا سامي البارودي ، هؤلاء من انا ذاكرهم اليوم ، في رسالتي الاولى ، وسأذكر في الثانية البلغاء ، وفي الثالثة الظرفاء ، كل ذلك بما يفيد ويروق من الايجاز ، إن شاء الله

السيد محمد توفيق البكري

عرفتهُ في سنة ١٩٠٢ عند الاستاذ العلامة الدكتور فارس نمر ، وكانت ادارة

المقطم في ذلك الحين ، بين شارعي الساحة وعبد العزيز ،كان متوقد الذكاء ، حاضر البديهة ، قوي الحجة ، حلو الفكاهة ، وكان مجلسهُ حافلاً برجال الادب والسياسة ، وكان لاشتغاله بالسياسة كثير الخصوم ، وقد حاربهُ اهل الدسائس بما حسبوهُ ذاهباً بكرامتهِ ، فلم يفلحوا ، وعفا عن اكثرهم

ومن آثارهِ : « فحول البلاغة » و « صهاريج اللؤلؤ » . واذكر من شعرهِ اياتاً من قصيدة مدح بها المرحوم السلطان عبد الحميد الثاني، من سلاطين آل عثمان، والا بيات :

اما ويمين الله ، حلفة مقسمٍ لقد قمت بالاسلام عن كل مسلمِ
فلولاك بعد الله ، امست ديارهُ بأيدي الاعادي مثل نهب مقسّمِ
لقد سرّ هذا النصر قبراً بطيبةٍ وبيتاً ثوى عند الحطيم وزمزمِ
فحيِّ امير المؤمنين وملكهُ ثناء البرايا من فصيح واعجمِ

ولم يسلم بعض شعرهِ من كلمات : تؤذي السمع ، وقد علق بخاطري بيت من ذلك الشعر ، هو قوله :

اصبح وادي الصَّرخَدِ عجلان كالسيف الصَّدى

وانا لا اعرف ما هو الصرخد ، ولم ابحث عنهُ في المعجمات ، لاني لا اريد ان اعرفهُ ، واقسم بالله : لو سمع اللفظة طفل ، لفزع وبكى، حاسباً ان الصرخد شيء من امثال (الغول) و(البُعبُع)

ومن لطائفهِ : ان الكاتب المعروف ، المرحوم ابراهيم المويلحي بك ، زارهُ في ذات يوم ، فقال لهُ السيد توفيق : ان مولانا الخديوي سيسافر في هذه الايام، ليفتح خزان اسوان ،فماذا اعددت لهُ يا ابا خليل ؟ قال: اعددت لهُ تاريخاً بديعاً ،سأنشرهُ تحت رسمهِ ،قال: وما هو ؟ قال : (يفتح الخزان عباس) ، قال البكري : هذا شطر من الشعر ، ولستَ يا ابراهيم شاعراً ، وانا شاعر ، فأنا احق بهِ منك ، أتبيعهُ بعشرين جنيهاً ، قال ابراهيم : لا ابيعهُ الاَّ بمائة جنيه ، لا تسويف في دفعها ،فضحك البكري وقال :كيف صدّقت اني رغبت في الشراء ، هذا الشطر لا يصلح لان يكون تاريخاً ، لانهُ منبيٌ بما سيكون ، فخير لهُ ان يضاف الى احد الحضور

ومن الجليّ : ان البكري لم يُرد بنقدهِ الاَّ ان يمازح صديقهُ ، وهكذا كان لطيف المزاح ، كما كان شديداً متيناً في نقدهِ الجدّي ، اذكر انهُ انتقد قصيدة لي ،

قرأتها في مجلسهِ ، فجعلها في نظري من احقر الكلام ، ثم ارضاني ، بان استنشدني غيرها ، واظهر اعجابهُ ، وللسيد البكري من الاحاديث والاخبار ،مالا يستطاع حصره في مثل هذا المقال

المرحوم يحيى السلاوي بك

هو ابو النصر يحيى السلاوي ،الشاعر العربي الفصيح ،صاحب « عكاظ الادب »، هاجر من مصر الى فروق ، بعد الثورة العرابية ، وعرفتهُ في سنة ١٨٩٧ ، وكان عضواً في مجلس المعارف العلمي ، الذي كان معروفاً باسم (معارف أنجمن) ، وكان يجيد اللغة التركية ، تعلّمها بعد هجرتهِ ، الى ان عُدّ من اوائل كتّابها ، واذا كان في شعرهِ العربي،لا يفضل امثال البكري والبارودي واحمد مفتاح ،فهم كذلك لا يفضلونهُ ، أذكر لهُ في وصف الشجاع هذين البيتين من قصيدة لهُ ، قال رحمهُ الله :

بها كل مرهوب الكفاح غضنفرٍ شديد القوى عَبْل أظافرهُ حُمرُ
اذا مدّ يوم الروع للسيف كفهُ تقاعس عنهُ الموت وانخذل الدهرُ

وكان في حديثهِ كمن يخطب ، لا يتكلم بغير العربية ، الفصحى ، وكان جريئاً في الحق ، وهذا ما اضرَّ بهِ في سني حياتهِ بفروق ، هجا جواسيس السلطان عبد الحميد الثاني ، بهذه الابيات :

قد سعدتم سعادة الأبدِ يا وجوه الكلاب في البلدِ
ما عسى بعد ان ينازعكم في سحاف الالوان من أحدِ
إنما العيش للكلاب اذا ظلّ عيش الاسود في نكدِ

فكاد السلطان ينفيهِ ، لولا شفاعة البعض من المقربين ، وما زال السلاوي يكافح الايام ، ويجهر بما لا يجوز الجهر بهِ في زمانهِ ومكانهِ ، الى ان نُفي ومات في منفاهُ ، وكانت مجموعة اشعارهِ ضخمة ، لكنها لم تطبع ، ولا يدري احد لها خبراً

المرحوم الشيخ احمد مفتاح

العالم اللغوي ، والشاعر الناثر ،صاحب (مفتاح الافكار) و(رفع اللثام عن اسماء الضرغام) ، وهو استاذي ، واستاذ كثيرين ، من رجال الفضل في مصر ، كفضيلة الاستاذ عبد العزيز جاويش ، وفضيلة الاستاذ مصطفى عناني ، احد صاحبي (الوسيط : في الادب العربي وتاريخهِ)

كان كالبلبل ، يعشق الرياض ، فيصدح بما يطرب ويرقص، من شعر اتصل روحهُ بمثل ما قال النابغة الذبياني :

طفلة ، شثنة الخلخل ، بيضا ء ، لعوب ، لذيذة في العناقِ
ضربت صدرها اليَّ ، وقالت : يا عديًّا ، لقد وقتكَ الاواقي

وهذا الشعر ، عدا لفظهِ الخالب ، وسحرهِ الغالب ، لا يكتب منثوراً ، الاَّ كما جاء منظوماً ، وهكذا جاءت آيات احمد مفتاح

كان يزورني واخي المرحوم ولي الدين يكن ،في منزلنا (بمنيل الروضة) فنجلس الى شاطيء النيل ، بين ماء وزرع ، نتطارح ونتساجل، ومما اسمعنا من شعرهِ ،قصيدة هنأ بها صديقاً لهُ ، أُنعم عليهِ برتبة ، اذكر منها مطلعها وبيتاً في التهنئة أما المطلع فهو :

طرق الخيال: مُعرِّسين عُجالا والليل ، شمَّر للسرى اذيالا

واما بيت التهنئة ، فقولهُ :

هي رتبة ، ستكون سلّم غيرها وكذاك بدر التم ، كان هلالا

ومما اذكرهُ لهُ :

قرعت نبع الليالي ، وهي جامحة يزجى لي الويلَ ،منها البؤس والحربُ
والحُرُّ يزداد بالايام تجربة كما يصفى بنار الصائغ الذهبُ

وكان على خصاصته مبسوط اليد ، ذا عفة واباء ،زارهُ في ذات يوم رجل بائس، طلب اليهِ ان ينظم لهُ أبياتاً يمدح بها احد الامراء ، فأملى عليهِ عشرة ابيات ، أخذها الرجل وانصرف ، ثم عاد اليهِ بعد يومين ، ودلائل السرور بادية عليهِ ، فحيي الاستاذ وقال لهُ : أعطاني الامير فوق ما أمّلت ، هذه خمسون من الجنيهات ، يكفيني نصفها، ولك النصف الآخر ، وهو بعض ما يجزى بهِ شعرك ، فغضب الاستاذ ، وقال : اني اتقاضى من الحكومة عشرين ، وليس لك من عائدة ، وانت عائل ، وانا موحد في هذه الدار ، فلا تظلم نفسك ، خذ ما وهبك الامير ، واذا نفدَ مالك ، فاني معينك على قدر المستطاع

ومات الاستاذ في دارهِ، وما درى جيرانهُ بموته الاَّ بعد ثلاثة أيام ، هكذا يموت الشاعر في الشرق ، ولا يعلم بموتهِ احد ، ولم يطبع الاستاذ ديوانه ، فليس لهُ سوى ما نشر في الصحف ، وهو قصائد معدودة من الصعب جمعها

المرحوم محمود باشا سامي البارودي

رب السيف والقلم ، الشاعر الساحر ، بقوة بيانهِ ، المعروف ، بالفاظهِ المختارة ، وقوافيه المتينة ، واسلوبهِ العربي ، كل ذلك في سهولة وانسجام ، لا نظير لها وهو القائل:

ردّي التحية ، يا مهاة الاجرعِ ، وصلي بحبلك ، حبل من لم يقطعِ
وترفقي بمتيم ، علقت بهِ نار الصبابة ، فهو دامي الأضلعِ

والقصيدة مطوّلة . والقائل :

ما اطول الليل على الساهرِ أما لهـذا الليل من آخر

ومن هذه القصيدة قوله :

أسمع في قلبي : دبيب المنى ، وألمح الشبهة : في خاطري

لهُ ديوان قيم مطبوع ، ولهُ (مختارات البارودي) ، واظنها طُبعت قبل ديوانهِ ، عرفتهُ بعد عودتهِ من منفاهُ ، وكنت ازورهُ كلما استطعت ، لاقتبس من فضلهِ ، ولكونهِ صهر أسرتنا ، وكان زواره كثيرين ، والكل مستفيد بعلمهِ

جاءهُ في ذات يوم : الشاعر المجيد احمد شوقي بك ، فاسمعهُ قصيدة عامرة الابيات ، فاظهر البارودي اعجابهُ بها ، ولما جاء شوقي الى قولهِ :

عنّت بنا أصلا ، تفري بنا اسلاً مهزوزة دلَلاً ، مشروعة تيها

قال البارودي : لماذا قلت (دللاً) يا شوقي ، قال لم أجد سواها ، قال ضع مكانها (شَكلاً) ، فالمعنى واحد ، ولكن شتان ما بين اللفظين ، فامتثل شوقي شاكراً ، وكان البيت :

عنّت بنا اصلاً تفري بنا اسلاً مهزوزة شكلاً ، مشروعة تيها

وللبارودي تاريخ عظيم ، غير مجهول ، يعلمهُ من قرأوا ديوانه ، ومن عاشروه ، أما اخبارهُ الادبية ، فلا يستطاع حصرها

هذا ما تيسر لي ذكرهُ بالايجاز ، من اخبار من عرفتهم ، من فصحاء الشعراء الراحلين ، والفصل التالي في اخبار البلغاء

حلوان يوسف حمدي يكن

التباين الخلقي

امراض النفس — خور العزيمة والبخل

بسطت في مقالي السابق فضل التربية في تقويم النفوس المنحطة التي تشب على الشرور وبيّنت ما لها من قوة جذابة للتحلي بالكمالات والفضائل . وربما يكون من المفيد في المستقبل تبيان شأنها في انهاض الامم وتكوين الحضارات في مقال على حدة

وقد يحار الباحثون — وهذا اثر التربية وفعلها في النفس مما دل دلالة كافية على المرونة النفسية الفطرية للتطبع حسب تباين الطوارىء والمؤثرات الخلقية — في تعليل تطرف فلاسفة الاخلاق فيما تطوحوا فيهِ من المبادئ ومنهم ريبو Ribot القائل : « ان السجية الحقة لن تكون الاَّ فطرية » ولوبون Lebon القائل : « قلما تقوى التربية على تحويل الشعور . اذ الشعور عبارة عن تراكم صفات متوارثة على طول الزمن من جد لاب لابن لحفيد الى ان تنتهي بمولود يظهر على سجايا خاصة هيهات للتربية ان تزعزع من اصولها او تهد من اركانها او تمحو اثرها »

اذ من البديهي ان في هذه الآراء من التطرف ما لا يحتمل التسليم بهِ لمخالفتهِ للواقع واقل ما فيهِ نكران فضل التربية في تطهير الاخلاق مما يكون فيها من ادران . بل فيها نكران واضح لما ينجم من النقائص والمفاسد عن الوسط المنحط الملوث بالجرائم والآثام التي تصاب بها النفس بصرف النظر عن منشإِها حتى لو كان شريفاً راقياً

واضحى من البديهيات التسليم بأن الوسط الفاسد قطعة من الجحيم يحرق بلظاهُ نسيج الغرائز الشريفة الموروثة وغير الموروثة و يشلُّ ارادتها بما يثيره في الروح من الشهوات المنحطة التي تبعد المرء عن طريق الاعتدال والاستقامة وتميت ضميره وتدفعهُ الى الاستخفاف بمراجعة العقل واستشارتهِ قبل الاقدام على اي عمل كان مهما كانت مغبتهُ . وتذهب عنهُ نضارة الحياء فيقدم على النقائص والمزريات بلا خجل ولا وجل ولا رادع وحين ذلك تتعرض ارادتهُ للاصابة بامراض شتى تسمى بالامراض النفسية تتسمم بها الى ان تموت

والامراض النفسية كثيرة نذكر هنا منها ماكان شديد الاثر في الانحطاط الذي اصاب الشرق وكان من اهم اسباب سقوطهِ وفقدانهِ لحريتهِ وانطفاء جذوة ذكاء ابنائهِ

الذي يرجع الى تألقهِ تمدين العالم الانساني وخروجهِ من طورهِ المادي الهمجي الى طور الفكر والابتداع والاكتشاف والعمل فنقتصر على ذكر مرضين : خور العزيمة والبخل

خوَر العزيمة

خور العزيمة ضعف يصيب الارادة مباشرة فيقعدها عن واجبها ويصرفها عن الذود عن حقها والتمسك بحريتها وكرامتها اذا هددتها المطامع من قبل الطغاة الذين لا يعبأون بالشرائع والانظمة ولا يخشون الله في تعسفهم واضطهادهم للناس وما لهم من حق في الحياة الكريمة. والمصابون بهذا المرض يستهدفون الى الاستسلام لارادة الغير التي لا تتفق ومصالح المجموع فيفتك المرض بمصدر الحكم من الباهم ويصيب النفس في مركزها العصبي المعد للتقدير والتكييف واعطاء الاشياء حقها وخاصة ما كان لهُ علاقة بتهذيب النفس وتخلقها بالفضائل والمحامد التي تبث في النفس معاني الرجولية الصحيحة. ولم يقتصر هذا المرض في الشرق على هذه العواقب المنهكة للصفات بل كان فيهِ سبباً لتفشي الرياء والكذب والوشاية وهي مناقص شائنة لا زلنا نراها سائدة في بلاد كثيرة شرقية بعد أن هاجرت بلاد الغرب من زمان بعيد فعبقت اخلاق رجالهِ عبق الازهار والرياحين

وكما يصيب هذا المرض الافراد يصيب الحكومات التي تتغلب فيها كلمة الفرد على كلمة المجموع وحينئذٍ يكون من اهم اعراضهِ القيام بالحكم بواسطة نفر استعاضوا العلم والمقدرة بالرياء والزلفى وتقديم المصلحة الفردية على المصلحة العمومية. فتنقلب السياسة المدبرة للحكم شر منقلب وتصبح سياسة هدم وتخريب بدلاً من ان تكون سياسة انشاء اهم اغراضها فائدة الجمهور وتدبير شؤونهِ فيهجر هذا الوسطَ الموبوء العلم والعلماء والفكر والمفكرون والحرية والاحرار لكثرة الضغط عليهم ويبقى فيها المضللون يفسدون فيها وتنفسح امامهم منافذ واسعة للانتقام من منتقدي اعمالهم الجائرة وخيانتهم امانة واجباتهم الحكومية. ويكون العهد عهد مفاسد تنخر من هيكل الوطن ومرافقهِ وامواله ما ينخرهُ السوس في البذور فتسقط كرامة الامة وهيبتها ويطمع فيها كل طامع

هذا ما نراهُ يجزع حالاً بالشرق وكان جزاء وفاقاً لخائري العزيمة من رجالهِ وجزاءً كذلك وفاقاً لكل حكم قام على المصلحة الفردية دون المصلحة القومية ، وهو هو الذي يعالج الشرقيون الآن الخروج من ويلاتهِ بكل ما يملكون

كل هذه الويلات كانت عواقب ذلك المرض الذي اصاب رجال الشرق في عزائمهم . اما لو انهم يربّون ارادتهم على الثبات والمضاء في حقوقها والتمسك بها والاقدام على اعمالها

غير هيابة لما يعترضها من العوارض والمطامع وتعلمت كيف تتلافاها وتحتقرها وتذللها بحنكة ودهاء وذكاء فان نصيبهم لا شك يكون القبض على ناصية الامور يكللها السبق في مضمار التزاحم لا فرق بين الفرد او الحكومة ويكون لهم منه الشرف الذي لا يقدر

هذا وفي تقوية العزيمة فوائد جمة اهمها انضاج النفس . ومتى تم للنفس نضوجها فانها تستقي مادتها من ينبوع لا ينضب لهُ نبع ولا ينقطع لهُ جريان بحيث لو انعدم منها شيء من غير طائل تجددت قوى اكثر غزارة واوفر تدفقاً من الاولى الى ان تصيب هدفها وتنال مطلبها فتهنأ وتستريح

ولا غرو فمتى تقوت الارادة لدى فرد تساوت في نظر صاحبها الامور كلها صغيرها وكبيرها ، سهلها وصعبها ، حقيرها ونفيسها ولا يخيفهُ من عواقبها شيء مهما عظم وخطر بل يملي عليها ارادتهُ املاء الجندي الظافر على عدوهِ المقهور الذي يلقي بين يديهِ سلاح الامان والتسليم لشروطهِ ورغباتهِ ولقد صدق الحكيم القائل :

لا يرتقي شعب بغير عزائم والفلك لا تجري بغير شراع

البخل

ان السعادة التي نرجوها لحياتنا تنالها بشيئين : العلم النافع والعمل الصالح . فواجب الشبيبة ان تسعى الى هذا الخير وتفقه ان سعادتها رهن وضعها هاتين الوسيلتين نصب عيونها وتذكر ان الدنيا التي تعيش فيها دار فكر وعمل وكدح تحتاج الى نشاط ويقظة وان المال الذي ابتكرهُ الانسان جاء ليكون سبب الهناءة لصاحبهِ وسبيلاً الى المصلحة العامة . فهو قوة لازمة لخير البشر يسعى اليهِ الانسان بمواهبهِ وبالعمل الشريف ليعيش بكرامة وشرف ويسد حاجته وحاجة اولاده واهلهِ ويعاون بهِ اخوانهُ في الانسانية وبهذا يحسن التصرف فيهِ . اما اذا أساء التصرف فيهِ فانهُ ينقلب الى النقيض ويصبح من اكبر اسباب الشرور والالم . هذا وبالارض التي نعيش عليها خيرات وافرة بباطنها وظاهرها لا تعد ولا تحصى اعدت كلها متاعاً للانسان متى كد وسعى وعمل معتمداً على حرفتهِ او مهنتهِ او علمهِ الذي يضيء امامه طريق العيش اضاءة نور النهار للعين المبصرة

فالمال وسيلة ترمي الى غاية ، هي سد حاجات الفرد وحاجات المجموع . هي الاستعانة بهِ على محاربة الشرور التي ابتكرتها الجهالة او البطالة أو الخرافة او الجريمة او التي أوجدتها الطبيعة فتخفف آلامها المادية والادبية وغايتهُ اعداد وسائل الهناءة البشرية والتكمل الانساني بجميع مستلزماتهما ومقتضياتهما وتمهيد اسباب التمدن والحضارة في

العالم بتشييد منارات العلم والصناعة في انحائه وتربية النفوس على ان تتضامن بعضها مع بعض في السراء والضراء وترتبط باواصر الاخاء وتتعامل بالرفق والرحمة والحسنى وصفاء النية والامانة وتتعاون حتى تكافح الاحقاد وتمحو العداوات وتستأصل جذورها والفاقات والامراض وتخفف من وطأتها وتسهل الحياة اجمالاً للنوع الانساني

فهذه الغايات السامية لا يعرفها الاَّ الممتازون الكرماء من بني الانسان اصحاب الارواح النبيلة التي تقوم بالاعمال المجيدة حبًّا للمصلحة العامة ولخير الانسان

اما البخلاء فانهم يجهلونها جهلاً تامًّا لان نفوسهم مصابة بمرض ابعد في نتائجهِ من خوَر العزيمة وهذا المرض يدفعهم الى التلذذ بالحرمان من تلك الخيرات التي اعدها الله متاعاً حلالاً للأحياء حرماناً يشمل ذواتهم ويتعداهم الى غيرهم من ابنائهم واهليهم ومعارفهم والناس كل بحسب ما يحتاج اليهِ

فالبخل مرض قتال يحبب الى النفس التلذذ بالحرمان تلذذها بجمع كنوز الارض وتكديسها واعتقالها في مكان ضيق لا تصل اليهِ يد انسان . ولا يتناولها اخذ ولا عطاء ولا يتمتع بها صاحبها ولا يدع غيرهُ يتمتع بها ، ويضع هذا المرض على عين المصاب بهِ غمامة لا تجعلهُ تبصر عناية الله من ايجادها النعم على الارض بل تدفعهُ الى معارضتهِ في مشيئته بان يقبض عليها ويحرم نفسهُ والناس منها . هذا ومن اخطر اعراض ذلك المرض قلب الغاية لتكون وسيلة والوسيلة لتكون غاية . فان المال وسيلة ترمي الى الغايات السامية التي اسهبنا الكلام عليها . وبالمال واحسان التصرف فيهِ انقلبت الارض في بلاد الغرب واميركا غير الارض وازينت واخذت زخرفاً بديعاً من صروح جميلة ومتنزهات وطرقات واسعة ممهدة منسقة تظللها الاشجار من جوانبها وتعمّها دور التربية والتعليم ودور الصناعات والمتاجر والمستشفيات المجانية ودور العجزة والشيوخ واليتامى والاطفال المعوزين

وباعمالهم المجيدة علمنا رجال المال سواء في اميركا او اوربا قوة المال في الذهاب بالحضارات الى الامام وترقية التربية وتعميمها وانضاج العقول الى اعلى المراتب وتخفيف مصائب الانسانية بما يدعو الى تسجيل الفخر الابدي لهؤلاء الاساتذة الذين بهرونا باخلاقهم المتينة ومداركهم الواسعة التي تعمل للخير العام واملوا علينا دروساً في العظمة تنال بالمبرات

فهل لبخلاء الشرق ان يتأثروا بشيء من تلك الاعمال

عثمان مرتضى

باب الزراعة والاقتصاد

دستور مصر الاقتصادي

اقوال وآراء لطلعت حرب بك

مقتطفة من مجموعة خطبه

﴿ ١ — سياستنا المالية ﴾ ان لكل بلد في العالم سياسة مالية يجب ان يسير عليها، واستقلالاً اقتصاديًا يجب ان يعمل على الحصول عليه والاستمرار فيه. والمهيمن على هذه السياسة وهذا الاستقلال الاقتصاديين في كل بلد من بلاد العالم هو بنكها الوطني الذي يحصل على امتياز اصدار البنكنوت ويكون فوق البنوك يشرف عليها ولا يزاحمها في اعمالها، وظيفتهُ مساعدة البنوك بان يخصم اوراقها ويقرضها على قراطيسها متى احتاجت الى المال ويفرج الازمات ويتدارك بقدر الطاقة حدوثها وهو ميزان الحركة التجارية والسوق المالية وبارومتر وفرة المال المعد للاعمال وندرته ويحدد سعر الفائدة في البلاد بحسب ذلك ويخزن الذهب العين الى يوم الحاجة اليه يحفظهُ في البلاد فلا يخرج منها الاَّ بقدر ولضرورة تحسين سعر كامبيو البلاد او لضرورة قصوى تقتضيها مصلحة البلاد

وهو المهيمن الاعلى على الثقة والاعتمادات المالية فيها وبالجملة هو بنك البنوك لهُ وظيفة واعمال خاصة غير مزاحمة البنوك واليه تنتهي جميع العمليات المالية في البلاد — هذا البنك الوطني المسيطر على السياسة المالية لكل بلد ضمنت كل حكومة عدم تسلط اي يد اجنبية عليه. وهذه هي وظيفة البنك الاهلي في مصر الذي كان يجب ان يكون أهليًا بكل معاني الكلمة. اهليًا في رأس ماله. اهليًا في ادارته كما هو الحال في جميع بلاد الدنيا العاملة على حفظ استقلالها الاقتصادي. اما في مصر فان الاسهم جعلت لحاملها وأصبحنا لا ندري ولا هو يدري في يد من هي الآن او بعد ساعة ومعلوم ان حملة الاسهم هم اصحاب الرأي الاعلى ولهم الحكم في تسيير اعمال شركتهم وهو في مصر يزاحم البنوك الموجودة فيها في اعمالها وقد كان لهُ العذر في عدم تغيير خطته لانهُ لم يكن في البلاد بنوك اهلية ليكون بنكها ولا يمكن ان يكون بنكًا لبنوك اجنبية قد لا تتفق

في الغالب مصلحتها مع مصلحته فاذا ابطل اعمال البنوك العادية لا يستفيد هو ولا تستفيد البلاد شيئاً بل الذي يستفيد هو البنوك الاجنبية المزاحمة الاخرى فضلاً عن ان ربحهُ من البنكنوت المتداول في البلاد كان لحد سنة ١٩١٤ قليلاً لعدم التعود كثيراً عليها فلم يكن في الامكان مطالبته بان يعدل عن الاعمال الاخرى الاَّ اذا وجد لهُ ربح يعادل ما يخسرهُ من الاعمال المذكورة

هذا الربح لا يكون الاَّ اذا وجدت بنوك اهلية برؤوس اموال اهلية تستعمل البنك الاهلي كبنك البنوك فيربح من معاملتها ويترك لها اعمال البنوك العادية ويعامل الافراد بواسطتها فيؤدي وظيفة بنك البنوك الحقيقية

لهذا اردنا ان يكون لنا بجانب البنك الاهلي بنك مصر تدارك فيهِ ما فات لدى تأسيس البنك الاول . ولا اظن ان البنك الاهلي يرفض اتفاقاً يحصل بين شركتنا وبينهُ على الاساس السابق يكون فاتحة خير لها وللبلاد خصوصاً وقد اصبح تداول البنكنوت شائعاً في مصر واصبح لهُ من ربحهِ المال الكثير . على ان لا شيء يمنعنا — بل هو الواجب المفروض علينا — من ان نجعل البنك الاهلي اهليًّا بالفعل بحصر اسهمهِ او معظمها في يدنا نحن المصريين مهما قال ذوو الغرض . . . ما دمنا وطدنا العزم على السير للامام باخلاص وعزيمة لا تكل

﴿ ٢ — خطة بنك مصر ﴾ غاية ما نقولهُ إنَّا اردنا ان يكون للبنك سياسة خاصة وصبغة اهلية متى تحققت لا نعبأ على يد من تنفذ . فانا نولي وظائف البنك للاكفأ مهما كانت جنسيتهُ وديانتهُ . ونحن مستعدون للاستفادة من خبرة ومعلومات اي اجنبي كمستشار فني او كموظف لا كحاكم ولا مسيطر يحول مجرى سياسة البنك الى غير ما ارادهُ اصحاب الاموال وتقتضيهِ مصلحة البلاد . وإن كان الرجال الصالحون للاعمال المالية بمصر قليلين فليس الذنب عليها ، ولذلك ظروف معلومة ، لن تحول دون البدء في خلق الجيل الذي يصلح . فمن لم تخرجهُ المدرسة فالعمل كفيل بايجادهِ . والوظيفة تخلق العضو

قيل لنابليون حينما وضع نظام بنك فرنسا الحالي : انهُ ليس في فرنسا رجال ماليون خبيرون باعمال البنوك ، فقال لهم : هذه طائفة يجب خلقها . وقد خلقت واصبحت فرنسا بعد قرن يضرب المثل بخبرة رجالها الماليين وعلمهم

فلماذا لا يصدق على مصر ما صدق على غيرها ؟

في البلاد اموال كثيرة مخزونة ومعطلة كما قلنا ، وظيفتها في الاصل التداول بين الناس ولها في كل حركة بركة وفي كل دورة ربح لرابح ففي خزنها وقوف هذه الحركة وضياع لهذا الربح والفائدة التي تعود على البلاد من زيادة ارباح بنيها فضلاً عن تعرض هذا المال للضياع بالسرقة او الحريق او ما أشبه . وفي البلاد ودائع وامانات كثيرة ... لو استثمرت في الشؤون المصرية وسوعدت بها التجارة والصناعة والزراعة المصرية لزادت الثروة المصرية اضعافاً مضاعفة ، ولكان ذلك عاملاً قويًّا على إصلاح حالنا الاقتصادية وايجاد الكفاءة المالية التي هي الاساس المتين للرقي المطلوب . وهذا ما سيجعلهُ بنك مصر نصب عينيهِ فهو يشجع المشروعات الاقتصادية المختلفة التي تعود عليهِ وعلى البلاد بالربح العظيم . ويساعد على ايجاد الشركات المالية والتجارية والصناعية والزراعية ، وشركات النقل بالبر والبحر ، وشركات التأمين بانواعها ويتعهدها حتى تنمو وتقوى ويشتد ساعدها . وبالجملة يعمل على ان يكون لمصر صوت في شؤونها المالية ويدافع عن مصالحها كما تدافع البنوك عن مصالح بلادها . ومن فوائده انهُ لا يتأثر بالاشاعات المكذوبة فلا يقفل بابهُ عن الناس لاقل إشارة ترد اليهِ من الخارج بسبب او بلا سبب فتحذو حذوهُ بقية البنوك لانهُ بنك البلد واعلم بما يجري فيهِ

﴿ ٣ — بنك مصر والمضاربة ﴾ لن يشتغل بنك مصر على الاطلاق في المضاربة لنفسهِ ، ولن يساعد الغير عليها . ولن يقرض الاموال المودعة لديهِ لآجال طويلة ، فلذلك بنوك اخرى خصيصة بهِ

نريد ان يفهم الكل ان بنك مصر ليس جمعية خيرية ، ولا ملجأ للعاطلين ، ولكنهُ محل تجارة يعمل عملاً تجارياً على مبادىء واصول قويمة لن يحيد عنها ان شاء الله تعالى

وسيعمل على بث روح العمل والتعاون والتضامن والنظام في الشبيبة وانماء ملكة الاقتصاد والتجارة فيهم والحث على وضع اساس التربية الاقتصادية العملية في البلاد وجعل تعليم الحساب والنظام الحسابي اساساً في مناهج التعليم فيها

﴿ ٤ — القناصل وسياستنا الاقتصادية ﴾ إننا نعلم ان إنماء ثروة البلاد وتحقيق استقلالها الاقتصادي على اساس برنامج قوي واسع الاطراف انما تقوم بهِ الطبقات العاملة في البلاد تعاونها حكومة دستورية رشيدة . ونعلم ايضاً ان العمل على تحقيق هذا الاستقلال واجب مفروض على كل مصري ، وهذا الواجب اساسهُ في الحياة الفردية والحياة العامة التوسيع في الايراد والتوفير من النفقات حتى يفيض من الايراد

ما تتكوَّن بهِ ثروة فردية او ثروة عمومية . لهذا نحن لا نطلب الى حضرات القناصل ان يقوموا بما هو مفروض على بقية الافراد والجماعات العاملة من الامة المصرية ولكننا نطلب اليهم ان يعملوا كما كان يعمل اسلافهم من الاجداد الغابرين . نطلب اليهم ان يزدادوا معرفة باحوال بلادنا الاقتصادية بحيث لا يكون ابتعادهم عن مصر سبباً في عدم تعرف شؤونها الاقتصادية . ثم نطلب اليهم ان يدرس كل منهم في جهتهِ احوالها الاقتصادية من جميع الوجوه وان يتفهم ما تنتج وما يصلح من إنتاجها لبلادنا وما تحتاج اليهِ من منتوجاتنا ويرشد عن طرق الانتفاع من التبادل التجاري بين البلدين . وان يتفهم طرائق كل قوم يعيش بين ظهرانيهم في الانتاج والتوزيع ويرشدنا عن الجديد من هذه الاساليب ارشاداً يصح ان يكون محل التجربة للانتفاع بهِ في بلادنا او يبقى قائماً في ذاتهِ فان من الاساليب ما لا نرى في تطبيقهِ اليوم نفعاً وقد نرى في اقتباسهِ في الغد فائدة

بهذا العمل الذي يجمع بين تفهم الحالة الاقتصادية في مصر والارشاد عنها في الخارج وتفهم الحالة الاقتصادية في الخارج وارشاد مصر عنها وتسهيل الانتقال والاتصال بين مصر والخارج . بهذا العمل تقومون ايها السادة القناصل فوق ما هو مفروض عليكم بصفتكم مصريين بواجب الوظيفة الجليلة فتعملون على مثال الاجداد في توفير اسباب السعادة والرفاهية للبلاد ويكون لكم شرف الاشتراك في بناء الاستقلال الاقتصادي إن لم يكن لجيلنا الحاضر ولاولادنا فللاحفاد

﴿ ٥ — غاية التعليم ﴾ الامريكيون لا يعلمون ابناءهم ليملأُوا ادمغتهم بالعلم ويخرجوهم من المدارس والجامعات ادوات اعمال كما يخرجون الاجزاء المتشابهة للآلة الواحدة من مصانع الفولاذ والحديد . كلا . انما هم يعلمونهم ليفتقوا اذهانهم وليتخذوا التعليم ومعاهد التعليم فرصة لتربية الاخلاق وتعويد المتعلمين على النظام وعلى ضبط النفس بالنفس من غير خشية العقاب وعلى الابتكار والاستقلال الشخصي مع احترام حرية الغير . وبالجملة على اخراج رجال قادرين ان يقودوا انفسهم ويقودوا الغير ويعملوا لانفسهم ويعملوا للخير العام

﴿ ٦ — بنك مصر واللغة العربية ﴾ هذا اول بنك قومي مصري تأسس باموال مصرية بحتة . وبادارة مصرية محضة . وقررنا ان تكون المراسلات فيهِ وبينهُ وبين عملائهِ باللغة العربية . وان تكون حساباتهُ باللغة العربية . فهزأ بنا الهازئون وقالوا

« ان المحاسبة من واردات الغرب . وانها فن من فنونه غير قابل للانتقال الى الشرق بغير لغة من لغات الغرب» ولكنا اهملنا استهزاءهم واجرينا مراسلاتنا وكتبنا وتقاريرنا باللغة العربية . واني أؤكد لحضراتكم — ولي صلة متينة ببنك مصر وبادارته منذ اليوم الاول من انشائه — اننا ما وجدنا اية صعوبة في تعريب معنى من معاني هذا الفن او في تعريب اصطلاح من اصطلاحاته . وكان مما ساعدنا على سهولة التطبيق في العمل أن كانت قد انشئت قبيل الحرب مدرستان للتجارة تكونت فيهما طائفة من الشبان تلقوا العلم فيهما باللغة العربية فسهل قيادهم في حياة البنك العملية

سوق القطن
بعد صدور التقارير الرسمية

كان أظهر ما وقع في سوق القطن في الاسبوعين الاولين من شهر دسمبر الماضي خمسة امور هامة لها دلالة كبيرة على اتجاه سير السوق في المستقبل. واول هذه الامور ان الكساد المستحوذ على تجارة المغزولات والمنسوجات القطنية ليس ناجماً عن كثرة المخزون من المصنوعات القطنية عند التجار وفي الاسواق ولا عن قلة الطلب عليها بل عن غلاء القطن الخام بالاسعار التي كان يباع بها في شهري سبتمبر واكتوبر حتى باسعاره الحالية واحجام المستهلكين عن دفعها بعد ما يضاعفها اصحاب المنازل والانوال بحجة غلاء اجور العمال وسواها لاسيما ان الناس باتوا يدركون الآن ان ارتفاع اسعار القطن الخام لا مسوغ لهُ في الوقت الحاضر ويعلمون ان الموجود منهُ يزيد على مقطوعية العالم كثيراً علاوة على ان الاحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لا تساعد على رفع اسعاره وهم يرون امامهم اسعار الحرير تعود الى مستواها قبل الحرب وان الحرير الصناعي صار يغنيهم برخصه واتقان صنعه ومتانته بعض الغنى عن المصنوعات القطنية حتى عن الحرير نفسه ايضاً

والامر الثاني هو ان سوق العقود طهرت من صغار المضاربين والمتطفلين عليها ان لم يكونوا كلهم فجلهم فلم يعد الذعر يستحوذ عليها كما كان يقع قبلاً لأيسر سبب او عند ذيوع اقل اشاعة لما كان هؤلاء المتطفلون يهرعون الى تصفية مراكزهم درءاً للخسارة او جنياً للربح فيزحمون السوق ويحدثون فيها هرجاً ومرجاً يفضيان الى تقلقلها وتدليها .

والظاهر ان هذا العامل قد زال كلهُ او الجانب الاكبر منهُ من السوق الآن ولاسيما من بورصتي نيويورك والاسكندرية فاستقرت الحالة فيهما بعض الاستقرار رغماً من العوامل العديدة التي عملت على معاكستها وخصوصاً في الاسبوع الذي آخرهُ ١٤ دسمبر الحالي مما لو اتفق بعضهُ للسوق قبل هذه الايام لارتجت منهُ اشد ارتجاج وتدهورت اشنع تدهور. ونحن لا نذكر انهُ مرَّ على سوق القطن من ابتداء محصوله الحالي اسبوع سادتها فيه السكينة والهدوء وانحطاط العزيمة كما سادتها في الاسبوع المذكور ولا يبعد أن تكون هذه السكينة توطئة لوثبة تنهض بالسوق او مقدمة لاستقرارها على قرار وطيد

والامر الثالث ان سوق القطن اخذت تعود الى مجاريها الطبيعية وتسير بمقتضى سنة العرض والطلب بعدما ارتفع عنها كابوس المضاربة

والامر الرابع وهو الاغرب ان بورصة نيويورك اعتمدت في ثباتها في ايام من الاسبوع المتقدم ذكرهُ على ثبات بورصة لفربول مما يدل على ما وصلت اليه الحالة في بورصة نيويورك من الضعف والوهن اللذين خلفتهما فيها المضاربة بعد ما خفت سورتها وخمدت جذوتها نوعاً

والامر الخامس ان بورصة الاسكندرية كان جل اعتمادها في ثباتها وتمسك الاسعار فيها في الايام الاخيرة من ذلك الاسبوع على بورصة لفربول لا على بورصة نيويورك خلافاً للمألوف في السنة الحالية والسنوات الماضية

وقد هبطت اسعار القطن المصري من آخر شهر سبتمبر الى ١٥ دسمبر ٧٥ غرشاً القنطار فيكون القطر قد خسر في هذين الشهرين مالا يقل عن ½٤ مليون جنيه من جرَّاء تطفل صغار المضاربين على السوق والنضال القائم بين حزبي الصعود والنزول علاوة على ان التقلقل الذي حلَّ بالسوق والتقلبات السريعة التي انتابتها حملت تجار البضاعة الحاضرة على الاحجام عن شراء القطن فبات زرَّاعهُ من جراء ذلك ومن تشديد البنوك في ضيق شديد واضطر بعضهم الى بيع قطنهم باسعار تنقص ريالاً الى ثلاثة ريالات عن سعر سوق البضاعة الحاضرة فازدادت بذلك الخسارة اضعافاً

« باحث صغير »

—o:o—

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

كيف تحتفظين

بشبابك الغض وصحتك الجيّدة وقوامك المعتدل

الطعام — الرياضة — الحمامات الباردة — البشاشة — الرقص — النوم

بينا نحن منهمكون في اعداد حديث تجد فيه قارئات المقتطف لذة وفائدة اطلعنا على مقال مسهب في جريدة الصندي اكسرس يحتوي على اراء طائفة من اشهر سيدات الانكليز في «كيف يحتفظنَ بصحتهن وشبابهن» فرأينا ان نلخص آراءهنَّ فيما يلي:

اللايدي مندل

لا اخرج من بيتي في الصباح قبل القيام بالتمارين الرياضية المبنية على الطريقة الاسوجية وقد انقضى عليَّ اربعون سنة لا افوّت يوماً القيامَ بهذه التمارين بين حمّام الصباح وتناول الفطور. اني لا اجدُ مسرّة خاصة في هذه التمارين ولكن بعد القيام بها اشعر باني قمت بما يجب عليَّ نحو جسدي فاسرُّ

وعندي ان اهم الامور في حفظ الصحة الاحتفاظ بدورة الدم حتى تكون نشيطة وطبيعية لان ضعف الدورة الدموية يسبب امراضاً كثيرة عن طريق مباشر وغير مباشر. كذلك الاكل فوق الشبع من اكبر اسباب الامراض. وانا لا آكل الاَّ مقداراً قليلاً جدًّا من اللحم والاطعمة النشوية. لا شك في ان السير على نظام غذائي كهذا يتعبني في بعض الاحيان ولكن اجد جزائي في صحة جيدة وهذا يكفيني

اللايدي كونارد

اكثر الامراض سببها النهم وعندي اننا يجب ألاَّ نتناول اكثر من طعامين في اليوم . فاذا كانت السيدة من اصحاب الاعمال لا بد لها من تناول الفطور . واذا لم تكن من اصحاب الاعمال فلتكتفِ بكاس من الماء حتى الغذاء والراجح ان اكثر الناس يأكلون فوق حاجتهم الى الاكل

اني امشي كل يوم ما استطيع وما يسمح لي بهِ الوقت في الهواء الطلق وآكل واشرب أقل ما يمكن . وحينما اشعر بتوعك في صحتي اتوقف عن تناول كل طعام مدة ثلاثة ايام . وهذا يشفيني من غير ريب

اتناول كثيراً من البرتقال واشير على كل أحد ان يفعل ذلك لان البرتقال من أفيد المآكل المعروفة وكثيراً ما يهمل مع الاسف

البرنس تروبتسكوي

حالة الجسم هي صورة لحالة العقل والنفس وعليهِ جعلت همي منذ زمن الاَّ افكر الاَّ بالامور السارة .فاذا كانت النفس في حالة سرور وبهجة بقي الجسد متمتعاً بالصحة التامة . ولا اريد بذلك ان ادعو الى الخمول والكسل ونبذ القواعد الصحية المعروفة والتعرض للامراض باهمالها .ولكن لكلّ غاية ولذة في الحياة فاذا شغلنا نفوسنا بتحقيق هذه الغايات ابقينا عقولنا مبتهجة ونتج عن ذلك ان اجسادنا تبقى متمتعة بنعيم الصحة

اني لا اتناول طعاماً خاصًّا ولا اعنى عناية خاصة بالرياضة الجسدية بل اعمل كل ما اراهُ امامي ، ورائدي البشاشة والابتسام

اللايدي رايتشل ستيوارت

لا اعنى عناية خاصة بصحتي ولكن بعض اصدقائي يرون ان الاحتفاظ بصحتي الجيدة سببهُ ولعي بممارسة التزلق Skating

المس تالوله بانكد

العمل (تريد التمثيل لانها ممثلة مشهورة) يشغل كلّ وقتي لانّ التمثيل مرتين كلّ يوم وستة ايام في الاسبوع لا يترك لي متسعاً من الوقت لعمل آخر . على اني احب السباحة واسبح كل ما سنحت لي الفرصة

واعتقد ان المشي من انفع انواع الرياضة ولذلك لا استعمل سيّارتي الاَّ للسفر الطويل وامشي حين اريد قضاء حاجاتي في المدينة

واذا اضطرت سيدة ان تسهر ليلة او ليلتين متواليتين الى ما بعد منتصف الليل فلتعوض ذلك بالتزام جانب الراحة والنوم اذا امكن بعد تناول الشاي وقبل تناول طعام العشاء فان هذه الراحة تعدّها للسهرة التالية

مسز ليونل تنسن

للصحة الجيدة قاعدتان — الرياضة والطعام . وانا اقوم بممارسة التمارين الرياضية كل صباح كأنها فروض دينية واتناول بيضاً ولبناً وزيت زيتون كلّ صباح

الرقص رياضة مفيدة ولكني لا اشير بهِ لانهُ يكون غالباً في دور مقفلة حيث الهواء فاسد ولو كان الرقص في الهواء الطلق لفضلتهُ على اكثر انواع الرياضة البدنية

واعتقد ان ضعف صحة النساء عائد الى تفشي عادة الميل الى النحافة بينهنّ . واني اشكر الله لان التطرف في هذه العادة آخذ في الزوال

مسز ولفر اشلي

اعمل كل النهار وارقص متى سنحت لي الفرصة . والرقص لا يفيد كثيراً متى كان داخل الغرف المقفلة لانحباس الهواء فيها ولكن ما زال جوّ انكلترا لا يسمح بالرقص في الفضاء « فلنرد ما يكون » . وعندي ان الرقص افضل انواع الرياضة البدنية على الاطلاق اذ يحفظ الجسم ليناً نشيطاً والثغر باسماً والوجه بشوشاً

اني لا آكل لحماً على الاطلاق ولا اشرب خمراً ولكني لا اشير على كل سيدة ان تتبعني اذ يجب على كل سيدة ان تبحث بحثاً دقيقاً عما يتفق مع مزاجها من المآكل وما لا يتفق فتتناول الاول وتصدف عن الثاني

مسز روزيتا فوربس الرحالة

اغطس في حمام ماء بارد كلّ صباح مهما كان الجوّ بارداً . ولا اتغطى في ليالي الشتاء باكثر من شرشفين خفيفين ولا ادخن اكثر من اربع سجاير في اليوم ولا اشتغل على الاطلاق بعد تناول طعام العشاء واشرب كثيراً من الماء كلّ يوم بين طعام وطعام ولكن لا اتناول اكلاً ما بين طعام وطعام . واكثر رياضتي البدنية من نوع المشي والرقص

الوقاية من الحمى التيفودية والباراتيفودية

يحسن بنا ان نسرد اولاً مصادر المرض وكيفية انتشارهِ لكي نفهم جيداً طرق الوقاية منهُ فنقول :

مصادر المرض — كل مصاب بهذه الحمى هو مصدر لانتشارها فان مكروبات هذا المرض تفرز من الجسم مع البراز والبول . واشد الاصابات خطراً على المجموع هي الاصابات الخفيفة التي لا تظهر فيها اعراض المرض جيداً ولا تلزم المريض ان يلتزم الفراش خصوصاً في هذه الايام التي انتشر فيها التطعيم الواقي ضد هذا المرض فان بعض المطعمين يصاب بحمى خفيفة جداً مع اسهال او قيء يُظَن انهما مسببان عن برد او طعام فاسد مع انهما في الحقيقة اعراض حمى تيفودية خفيفة في شخص مطعم بالطعم الواقي فشخص مثل هذا خطر على البيئة التي يروح ويجيء فيها اذ لا تؤخذ ضده الاحتياطات التي تؤخذ عادة ضد كل مريض بهذه الحمى

حاملو الميكروبات — اما انهم اشخاص لا تظهر عليهم اي اعراض مرضية ولكنهم يفرزون باستمرار المكروبات المرضية مع برازهم او بولهم او انهم ناقهون من هذه الحمى يستمرون في افراز هذه المكروبات اوقاتاً مختلفة بعد شفائهم

كيفية انتشار المرض — انتقال العدوى مباشرة من المريض الى الاصحاء ليس عاملاً كبيراً في انتشار هذه الحمى اذا اتخذت الاحتياطات العادية التي يجب اتخاذها كما سنبين ذلك فيما يلي

اما اهم طرق انتقال العدوى فهي : ١ً الماء والثلج والمثلجات ٢ً اللبن ٣ً الخضراوات والسلطات التي تؤكل بدون طبخ ٤ً بعض الاسماك الصدفية ٥ً الذباب وهو عامل مهم في نقل المكروبات من المفرزات التي تحتوي على مكروبات المرض الى الطعام

كيفية الوقاية — طرق الوقاية اما عمومية او خصوصية . اما الطرق العمومية فيجب اتخاذها بواسطة الهيئات الصحية المشرفة على صحة المدينة وتتكون من عزل المريض وتطهير غرفته وسريره وملابسه ومفرزاته ومراقبة المخالطين له مدة كافية مع تلقيحهم بالطعم الواقي

وكذلك يجب على المصالح الصحية مراقبة مياه الشرب بعد ترشيحها مع فحصها فحصاً بكتريولوجياً كل يوم او كل بضعة ايام ومراقبة المرشحات نفسها . ويجب أن تصان منابع المياه (حيث تؤخذ المياه للترشيح) من اتصالها بالاقذار والمواد البرازية . كذلك تجب مراقبة الالبان والخضراوات والاسماك الصدفية فاذا أُشتبه في ان احدها مصدر العدوى اتخذت ضده الاحتياطات الضرورية مع اصدار الامر بعدم بيعه للجمهور خصوصاً الاسماك الصدفية اذا امكن . وتجب محاربة الذباب وقتله في اماكن تفريخه وان توضع

على المطابخ واماكن الاكل الستائر اللازمة لمنع دخوله اليها . كذلك يجب التفتيش عن حاملي الميكروبات وعزلهم مع محاولة تطهيرهم من عدواهم اذا أمكن

ومن اهم الاشياء التي يجب على الحكومة او البلديات النظر فيه انشاء مرشحات عمومية في البلاد كي يتمكن الاهالي من استعمال مياه نظيفة وانشاء مجارٍ عمومية توصل بها جميع المساكن

اما الاحتياطات الخصوصية فتتلخص في التلقيح الواقي ضد الحمى التيفودية ويحسن ان يطعم كل شخص اذا امكن وكذلك يجب على ارباب العائلات ان يغلوا اللبن قبل شربهِ وألاّ يأكلوا الخضراوات والفواكه الاّ مطبوخة جيداً وان يحتاطوا في منازلهم ضد الذباب والغبار

أما غرفة المريض فيجب الاعتناء بنظافتها اعتناء تامًّا وان تؤخذ كل الاحتياطات حتى لا يدخلها الذباب وان تطهر مفرزات المريض حين افرازها باضافة الحامض الفنيك التي او محلول الجير

وعلى الممرضة ان تعتني بنظافة ايديها وتطهيرها دائماً وألاّ يدخل غرفة المريض الاّ الاطباء والممرضات واذا فُرض واراد احد الاقارب مشاهدة المريض فيحسن بهِ ان يلبس جلباباً نظيفاً يخلعهُ حين الخروج وان يطهر يديهِ جيداً بغسلهما بمحلول الليسول والماء والصابون

ويجب على الذين يعتنون بتحضير الطعام ألاّ يخالطوا المريض او يدخلوا غرفتهُ بتاتاً

وحين يدخل المريض في دور النقاهة وقبل ان يسمح لهُ بمخالطة الاصحاء يجب فحص مفرزاتهِ فحصاً بكتيريولوجياً جملة مرات حتى يثبت خلوها من المكروبات المعدية

مصر الدكتور جورج قصيري

بلانش شوبري

براهين قاطعة على الذكاء الشرقي

نشرنا في مقتطف ابريل الماضي صفحة ٤٥٢ مقالة موجزة عن نبوغ الآنسة بلانش شوبري في الضرب على البيانو والقاء القطع الروائية التمثيلية وذكرنا فوزها بالجائزة المالية الكبرى التي منحت في مباراة موسيقية اقيمت بمدينة سان بولو وامتها

المباريات من كل انحاء البرازيل . وقد اطلعنا الآن في جريدة سورية من البرازيل على بيان ما نالتهُ هذه الفتاة النابغة من المكانة والشهرة في الاندية الموسيقية ولدى رجال الحكومة فاقتطفنا منهُ ما يلي . قالت الجريدة :

كل يوم تأتينا الحوادث المحلية ببرهان جديد على نبوغ الفتاة اللطيفة بلانش شوري كريمة الدكتور نجيب شوري في عالم الموسيقى والالقاء بلغات متعددة . فلم تكد الصحف البرازيلية والايطالية تصمت من فوزها الاخير ونيلها الجائزة الاولى بالضرب على البيانو بين مئات الفتيات واذا بصحف عاصمة الاتحاد تنشر رسالة جديدة تضمنت كلمة جهيرة وقطعت قول كل خطيب وناقد . والرسالة بعث بها الى النابغة التي لم تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها الطبيب الاثر الدكتور كرلوس دي كمبوس حاكم الولاية السابق الذي استأثرت بهِ رحمة الله من شهرين . ولبست الامة البرازيلية عليهِ الحداد لكونه جمع بين عظمة الحاكم ودهاء السياسي ونبوغ الخطيب وتضلع الكاتب وتفنن الموسيقي . نعم لقد كان رحمهُ الله موسيقيًّا من الطبقة الاولى وقد وضع قطعتين للاوبرا نالتا تحبيذ الناقدين من كبار متفنني الافرنج . ولذلك اهتمت الصحف البرازيلية لرسالتهِ التي ارسلها الى بلانش شوري وعلقت عليها الفصول الطوال . ونحن بدورنا ننقل الرسالة لان فيها ما يمسُّ الشرقيين ويتناول نبوغهم لاسيما والكتاب من نابغة في الموسيقى قال :

ايتها الانسة بلانش شوري

مع اذكى تحياتي اعلنك استلام رسالتك التي بعثت بها اليَّ بتاريخ ٢٩ الجاري وفيها تقبلين دعوتي لتعزفي وتلقي في قصر الحكومة ولذلك ارجوك ان تسرعي ما امكن وتحددي اليوم الذي تتمكن فيهِ من استقبالك لنطرئ من جديد ذكاء ونبوغ المتفننة البرازيلية الساحرة والممتازة في الموسيقى والالقاء وأني لك بكل اعتبار

كرلوس دي كمبوس

وبمجرد تلاوة هذه الرسالة يدرك المطالع الذكي المستوى الرفيع الذي بلغتهُ بلانش شوري في عالم الموسيقى بحيث اصبحت موضوع فخر البرازيليين وحكامهم

وقد بلغ من اهتمام صحف عاصمة البرازيل ومجلاتها الكبيرة بالنابغة بلانش شوري ان الكاتب والشاعر الطائر الشهرة الدكتور الفرد موريرا مدير مجلتي الالستراسون برازيليرا والبارا تودوس نشر في الاخيرة رسوماً متعددة لها . والجميل في ان المجلة

وجهت نداء للنابغة المذكورة كي تلبي دعوة ساكني عاصمة الاتحاد لتلقي وتعزف في أعظم مسارح العاصمة ليتاح للاهالي اطراء مناقبها . وهكذا فعلت جمعية «استثمار الفن» في مدينة كميناس المؤلفة من اوجه عائلات الولاية وانبلها . ولعمر الحق انهُ لو ظلت بلانش شوبري سائرة على هذا المنهج لاصبحت معبودة البرازيليين وكعبة آمالهم في عالم الفن والموسيقى

[المقتطف] وقد نشرت الجريدة التي نقلنا عنها ما تقدم صورة بالزنكوغراف لرسالة الحاكم وتوقيعهِ عليها

اثنتان وثلاثون مضغة

يقال ان غلادستون الشهير كان يمضغ كل لقمة اثنتين وثلاثين مضغة . وقد عمّر غلادستون الى التسعين ورأس الوزارة البريطانية لما كان في الثمانين . وما من رجل مصاب بمعدته يستطيع ذلك

لقد منحتنا الطبيعة اسناناً واضراساً لمضغ الطعام فاذا مضغنا طعامنا مضغاً كافياً هان هضمهُ في المعدة . لان المضغ يحوّل الطعام الى كتلة ليّنة يسهل على المفرزات المعدية ان تخترقها وتفعل بها وتمدها حتى تهضم نهائيًّا في الامعاء

فقلة المضغ تؤدي الى سوء الهضم وهذا قد يصير مزمناً فيحدث تمدداً في المعدة وهو من اصعب الادواء على الشفاء

تطرية اليدين في الجو البارد

خذي ثلاث ملاعق سفرة من الغليسرين
وملعقة سفرة من الكولونيا
وملعقة سفرة من عصير الليمون
وملعقة سفرة من ماء الورد

وامزجيها معاً فيكون لديك زجاجة عادية الحجم يفيد استعمال ما فيها في تطرية اليدين « القشبتين » المتشققتين او الذراعين اللذين خشنهما التعرض للهواء البارد . وقد يستعمل للوجه ايضاً ولكن يغلب استعمالهُ لليدين والذراعين

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستجاز على المطولة

النساء والتعليم الالزامي

محاربة الامية وتقليل العاطلات

لا يخفى ان للقطر المصري بصفة خاصة وللاقطار الاسلامية بصفة عامة مشكلة نسوية تسترعي الانتباه وتدعو الى تفكير عميق هي مشكلة اجتماعية ذات مظاهر اقتصادية وتؤثر في مجموع الشعب تأثيراً واضحاً بل شديداً . وذلك لان الحجاب يمنع المرأة عن اكمال تعليمها وتهذيبها وان كان لا يمنع تعليمها بتاتاً فهو قيد والتربية والتعليم لا يعرفان القيود والحواجز بل ان الرجل الذي يتعلم ويتهذب ثم لا يكثر من الاسفار والاختلاط بطبقات الناس لا يعد كامل التهذيب واسع دائرة التجارب فاذا قرن التعليم بالسفور النسوي واحيطا بسياج من الاخلاق الفاضلة في كل الاوساط والبيئات كان من ذلك نعمة كبرى لمجموع نساء الامة وبالتالي لجمهور الامة ذكوراً واناثاً . واذا بقيت نساء مصر مقصورات في الخدور بعيدات عن نور العلم والعرفان وليس لجميعهن عائل يعولهن او مصدر شريف يحصلن منهُ على مادة الحياة فسوف يزداد ذلك القدر البائس منهن وهن اللاتي « لسن ذوات يسار من جهة وليس لهن صناعة شريفة من جهة اخرى » وستواجه الحكومة والامة بعد زمن ليس بالبعيد مشكلة العاطلات من النساء اللاتي فقدن العائل والمعين ولم تحل ايديهن بحلية العمل الحر الشريف. ويزيد في تفاقم الحال كثرة الطلاق وانحلال الروابط الزوجية لاسباب مختلفة

وفي مقدور وزارة المعارف شيء من اصلاح هذه الحال الموجودة الآن بشكل غير واضح لانظار العموم والتي لا بدَّ ان تتطور بعد ذاك تطوراً لهُ نتائجهُ السيئة الخطيرة واليك البيان : —

نص الدستور المصري على وجوب نشر التعليم العام بين ذكور المصريين واناثهم وجدَّت الحكومة منذ بضع سنوات في انشاء المدارس الالزامية في القرى والدساكر والمدن الكبرى وعما قليل يزيد المتعلمون وتقل الامية. ألا يكون من الاصوب والادنى الى العدالة والمروءة والحالة هذه ان تفكر وزارة المعارف تفكيراً جديًّا في احلال السيدات محل الرجال في القيام بمهمة التعليم في المدارس الاولية بل والمدارس الابتدائية في بعض الحالات ؟ اذا قيل ان عدد المعلمات قليل قلنا لكن ما تعدونهُ من مدارس المعلمين خاصًّا باعداد المعلمات والمعلمات ارخص اجوراً من المعلمين والمعلمون اقدر على الانصراف لمهام اخرى من المعلمات والمرأة بطبيعتها وبما نشأت عليهِ من الحنو والصبر والرقة اقدر على سياسة الاطفال من الرجل فهي اولى منهُ بولايتهم واذا قيل ان مدارس البنات اقل من ان تغذي مدارس المعلمات بما يلزمها من الطالبات قلنا وماذا يمنع من اكثار مدارس البنات بين اولية وابتدائية لتغذى مدارس المعلمات فتخرج هذه كل عام خير معينات على التربية والتهذيب وافضل هاديات الى سبل الخير والرشاد؟

حسين لبيب ناظر مدرسة النحاسين

زلّة مؤلف قديم

في كتاب منشور بين الناس

كتاب الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز من مؤلفات الامير يحيى بن حمزه العلوي اليمني المولود سنة ٦٦٩ والمتوفى سنة ٧٤٩ قد فرغ من تأليفهِ سنة ٧٢٨ وطبع بمطبعة المقتطف سنة ١٩١٤ م على نفقة دار الكتب المصرية وقد باشر تصحيحهُ العلامة المفضال الشيخ سيد علي المرصفي احد ادباء مصر الافذاذ فلدار الكتب المصرية فضل النشر لهذا الكتاب القيم بين الناس وقد انتفعوا بهِ كما انتفعوا بصنويه: اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لعلم المحققين عبد القادر الجرجاني — بيد اني عثرت على زلة في صفحة رقم ١٣٨ من الجزء الاول عند بيان الشواهد على اسرار الفصاحة وعجائب البلاغة فذكرت آية سورة الاعراف هكذا : «ان ربكم الله الذي خلق السموات

والارض (وما بينهما) في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبهُ حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ألا لهُ الخلق والامر تبارك الله رب العالمين »

بزيادة (وما بينهما) الموضوعة بين قوسين وحسبت اول وهلة انها زيدت من قلم الناسخ او تحريف الطابع ولكني رأيت المؤلف — سامحهُ الله وعفا عنهُ — يدلل على ما في الآية الكريمة وما اشتملت عليهِ من عذوبة الفاظ ، وسلاسة تراكيب ، ونظام عجيب ، وتأليف انيق ، واسلوب بديع ، وغير ذلك من مواقع الفصاحة والبلاغة الى ان قال في صفحة رقم ١٤١ قوله : (وما بينهما) يشير بهِ الى مهاب الريح وتصاريفها من اجل اصدار الزروع وتحريك السفن وجري السحاب لارسال الامطار وطلوع الشمس والقمر من اجل الاضاءة والانارة للعالمين ، والنجوم للاهتداء في ظلمات البر والبحر — وهكذا استطرد المؤلف في الشرح والتبيان وذكر العلل والنكت البلاغية باسهاب الى ان قال في صفحة رقم ١٥١ : صرح بلفظ السماء والارض وابهم الامر في خلق ما وراءهما بقولهِ : (وما بينهما) اراد ايضاحه وبيانهُ الخ . . . .

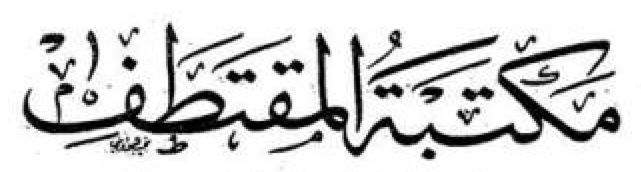
فترى ان قلم المؤلف قد طغى في ذكر الآية الكريمة بزيادة (وما بينهما) عليها كما طغى بالتبعية في شرح الآية والإسهاب في بلاغتها من صفحة ١٣٨ لغاية صفحة ١٥٣ فكل ما سطرهُ القلم في هذه الصفحات غير مستقيم وكل الاعتراضات والاجابات ليست في محلها لانها بنيت على غير أساس صحيح

ومع تعثر القلم وطغيانه فالكتاب لهُ قدره الكبير وشأنه العظيم ، ولا ينقص من قيمتهِ ولا يضعف من شأن مؤلفهِ ما قد يقع فيهِ من مثل ذلك فكثيراً ما تخون الذاكرة والانسان معرض للنسيان والخطل — وقد قال المؤلف في مقدمة كتابهِ :

« لا أسلم نفسي من خطأ وزلل ، ولا أعصم قولي عن وهم وخطل ، فالفاضل من تعد سقطاته وتحصى غلطاته »

ولم أقصد — علم الله — بكتابة ما قد كتبت ونشره بين القراء للتشهير بأحد او انتقاص لإنسان أو اظهار فضل ، إن اريد الا الاصلاح ما استطعت اليهِ سبيلا ولتنبه دار الكتب المصرية على هامش الكتاب عند إعادة طبعهِ بما يفيد ما قد ذكرنا والله وحده المنفرد بالكمال

محمد نصر العادلي (دبلوم عال)
والمدرس بمدارس وزارة الاوقاف



الثورة الفرنسية ونابوليون

تأليف الدكتور محمد صبري — طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة — صفحاته ٣٠٤
قطع وسط مزدان بصور كثيرة

هذا كتاب مدرسيّ موجز في تاريخ الثورة الفرنسية ونابوليون « وايجاز الحوادث الكبرى ايجازاً علميًا شاملاً من ادق واجبات المؤرخ لان الايجاز يقتضي الالمام بالحوادث ووزن كل دقيق وجليل فيها ثم اداءها في اقرب لفظ الى ابعد معنى ، وما الايجاز الاَّ قطعة من عقل المؤرخ وشخصيتهِ ومقياس يبين عن ذكائهِ وذوقهِ وخبرتهِ »

وقد ابان هذا الموجز عن ذكاء الدكتور صبري وذوقهِ وخبرتهِ . فانك اذا نظرت الى ترتيب الكتاب وسياق الحوادث فيهِ عرفت ان المؤلف ملمّ باشهر ما كتب عن الثورة الفرنسية الماماً مكنهُ من ترتيب موادهِ وسياقها على اسلوب يقرّب تناولها تناولاً منتظماً للقراء بوجهٍ عام وللطلبة بوجهٍ خاص

لا تذكر الثورة الفرنسية مرة الا ويقوم شبح الموت في مخيلتنا فنراهُ مخيماً فوق شوارع باريس وتمثل امامنا صورة المقصلة تقطع عليها اعناق الابرياء وترن في آذاننا اصوات البائسين ونرى صور الجماهير امام الباستيل تدك حصونهُ ثم امام قصور النبلاء والاشراف تقود اصحابها صاغرين . فما هي اذاً حسنات الثورة الفرنسية التي خلدت من اجلها في بطون التاريخ ؟

اقرأ هذا الموجز تعرف ان الثورة الفرنسية اصلاح اجتماعي سياسي حدث في فرنسا في اواخر القرن الثامن عشر فقلب النظام القديم وما ينطوي تحتهُ من خلل في ادارة البلاد وتشويش في النظام الاقتصادي السائد فيها وفقد للمساواة القانونية بين طبقات الشعب المختلفة . ولكن الثورة تقلبت على وجوه مختلفة وتداولتها ايدٍ مختلفة قبلما تمَّ لها قلب هذا النظام واقامة نظام جديد على انقاضهِ وحديث ذلك من امتع احاديث التاريخ واعلقها بالنفس ولاسيما حديث نبوليون اشهر رجل في التاريخ . وقد نجح الدكتور صبري في تقديمهِ للقراء في كتابهِ هذا فعسى ان يقبلوا عليهِ لانهُ جدير بذلك

المعارك الفاصلة في التاريخ

تأليف حنا خباز — نشرته ادارة الهلال بمصر — صفحاته ٢١٦ قطع وسط

كم من معركة اصطلت نارها بين عنصرين مختلفين من عناصر البشر او بين مدنيتين متناقضتين من مدنيات التاريخ او بين اصحاب مذهبين متعارضين من مذاهب السياسة او الاقتصاد فكان الفوز النهائي في تلك المعارك حدًّا من حدود التاريخ خُذل عندهُ عنصر وتسوّد آخر كما في معركة متوروس او ضعفت مدنية وزهت اخرى كما في معركة ماراثون او كُبتت فكرة وانتشرت فكرة اخرى كما في معركة سراتوغا

هذه هي المعارك الفاصلة في التاريخ وقد ذكر منها المؤلف عشرين معركة اولها معركة ماراثون وآخرها المعارك النهائية في الحرب الكبرى

نذكر اننا لما درسنا التاريخ القديم ووصلنا الى معركة ماراثون التي فاز فيها اليونان على الفرس وقف الاستاذ هنيهة ليمكن في عقول تلاميذهِ نتائج تلك المعركة التي كان لها اثر كبير في التاريخ فذكر اهم هذه النتائج وهي اندحار الاستبداد الشرقي الممثل في نظام الحكم الفارسي امام قواعد الحكم الدمقراطي في دويلات اليونان وقال انهُ لو فاز الفرس في ماراثون لسيطر حكامهم على ابناء اليونان كما سيطروا على ابناء الفرس ولما كنا شهدنا في بلاد اليونان نهضة فنية فكرية لا تزال الى الآن المثال المحتذى في قواعد الفن واساليب التفكير

كذلك يقال في معركة متوروس التي اندحر فيها هسدروبال اخو هنيبال فكانت بدء فوز رومية على قرطاجنة وسيطرتها على العالم المعروف حينئذٍ. فان الاستاذ برستد المؤرخ الاميركي المشهور يقول في احد كتبهِ التاريخية ان النزاع بين رومية وقرطاجنة لم يكن نزاعاً بين مدينتين قويتين كل منهما تسعى الى السيطرة على الاخرى والانفراد بالسيادة في البلدان المجاورة للبحر الابيض المتوسط بل كان نزاعاً بين عنصرين كبيرين من البشر هما العنصر المعروف بالهندي الاوربي والعنصر الساميّ وما كانت رومية وقرطاجنة سوى مقدمتي هذين الجيشين الكبيرين المصطفين للقتال على جانبي البحر الابيض المتوسط فالفوز في معركة متوروس لم يكن فوزاً لرومية فقط بل فوزاً للعنصر الهندي الاوربي على العنصر السامي. وقد قيل ان هنيبال صاح لما رأى رأس اخيهِ هسدروبال يتدحرج امامهُ «قرطاجنة اني اشهد انخذالك»

وما يقال في معركة ماراثون ومعركة متوروس يقال ايضاً في معارك التاريخ الفاصلة كمعركة تورس وتحطيم الاسطول الاسباني ومعركتي طرف الغار وواترلو ومعركة سراتوجا في الحرب الاميركية الاهلية ومعارك الحرب الكبرى الاخيرة مع اختلاف قليل في البسط والتعليل . وقد فصّل الاستاذ خباز كل هذا في كتابهِ الممتع فنشكر لهُ عنايتهُ بتأليفهِ ولادارة الهلال عنايتها بطبعهِ ونشرهِ

عصر المأمون

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعي بك — المجلد الثاني — صفحاته ٤٣٩ قطع كبير

بين ايدينا الآن المجلد الثاني من كتاب عصر المأمون — (راجع مقتطف نوفمبر ١٩٢٧ باب التقريظ والانتقاد) وهو لا يقل عن سابقهِ في دقة البحث وحسن الترتيب وجودة الطبع . وقد اشعنا فيهِ نظرنا فألفيناهُ — كما يدل عليهِ عنوانهُ — ملحقاً للكتاب الاول والثاني من المجلد الاول ، فهو عبارة عن آثار أدبية من نثر ونظم للعصر الاموي ثم للعصر العباسي ، وقد عُني مؤلفهُ عناية خاصة بذكر جملة صالحة من آثار كاتب خاص وشاعر خاص لتمثيل عصرهما فاتخذ من عبد الحميد الكاتب وعمر ابن ابي ربيعة مثالاً امويًّا . وذكر جملة من الغزل الاباحي واكثر من شعر زعيم هذا النوع عمر بن أبي ربيعة كما ذكر انواع الغزل واكثر من شعر زعيم كل نوع منها . ثم ذكر طائفة من كتاب هذا العصر وشعرائهِ والمختار من آثارهم ليكون تصويرهُ للحياة الادبية في عصر بني امية صادقاً

ثم سلك هذا السبيل في العصر العباسيّ ، اذ اتخذ الربيع محمد بن الليث وبشار بن برد مثالاً عباسيًّا . وذكر كثيرين من كتاب هذا العصر وشعرائهِ كما ذكر نبذة تاريخية لحياة كل شاعر او كاتب من الذين اورد لهم شيئاً من آثارهم الصالحة. والكتاب مطبوع طبعاً حسناً مع ضبط مفرداتهِ وشرح الغامض من كلماتهِ

وعلى الجملة فهذا المجلد مجموعة ادبية قيمة نشكر لحضرة الدكتور حسن اختيارهِ لموادها وجمال ترتيبها ودقتهُ في ضبط كلماتها وتفسير غريبها ، وعنايتهُ التامة بطبعها في مطبعة دار الكتب المصرية التي اصبحت مضرب المثل بجودة الطبع واتقانهِ

رحلة الاندلس

تأليف محمد لبيب البتنوني بك — صفحاته ١٦٠ قطع المقتطف — مزدان بالصور

ذكرنا في غير مكان من هذا الجزء ان السفر مدرسة الحياة لان الارتحال من بلد الى بلد يثقف العقل ويهذب النفس ويقيد الخيال الجامح بقيود الحقيقة الواقعة لذلك كانت كتب الرحلات من امتع الكتب واوقعها في النفس لان كاتبيها يسردون لك في اسلوب روائي شائق حوادث التاريخ وعبره ويصفون عادات الامم ونظمها ومشاهد الطبيعة والعمران بين رياض وغياض وانهار وجبال ومبانٍ وقصور ومكاتب وجوامع وكنائس مما يمثل للقارئ حقيقة الحال في البلاد التي تصدى الكتاب لوصفها . ومن هذا القبيل رحلة البتانوني بك الى الاندلس . ومجال القول في الاندلس ذا سعة لانَّ فيها آثار عمران مجيد قديم كان للعرب اكبر يدٍ في اعلاء شأنهِ وقد اجاد المؤلف في وصفهِ وتحقيقهِ فنشكر لهُ عنايتهُ بالرحلة الى بلد قلما يرحل اليهِ طلاب النزهة والفائدة مع انهُ من اجمل بلدان الله قاطبة ولهُ تاريخ مجيد يسرُّ النفس ويثقف العقل

تفسير القرآن الحكيم

الاستاذ السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الغراء من اشهر علماء الاسلام الذين يعوَّل على ما يكتبون في الشريعة الاسلامية لانهُ عالم في هذا الباب متضلع منهُ ولقد اصدر الجزء الاول من تفسير القرآن الحكيم الذي فسر بهِ القرآن على انهُ هداية للبشر في كل زمان ومكان وتوسع في ايراد المأثور من التفسير عن الرسوم والسلف الصالح . وهو تفسير يناسب روح العصر كتب بلغة سهلة سلسة يسهل على العامي فهمها ويرضى عنها المتعلم ولقد ضمنهُ فضيلة السيد رشيد تفسير المرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده الذي نقلهُ عنهُ اثناء درسهِ عليهِ في الازهر الشريف وزاد عليهِ زيادات جوهرية عظيمة الفائدة. وكان قد صدر من هذا التفسير سبعة اجزاء قبل الجزء الاول ولذلك اشتد الشوق اليهِ وهو يقع في ٥٢٠ صفحة بالقطع المتوسط وفيهِ فهرس مطول على الحروف الهجائية ليسهل على المراجع الوصول الى بغيتهِ وثمنهُ ٢٠ قرشاً ويطلب من مكتبة المنار بشارع زين العابدين رقم ٦٣ بمصر

البستان

وهو معجم لغوي

عُرف العالم اللغويّ الجليل الشيخ عبدالله البستاني اللبناني بغزارة علمهِ وسعة اطلاعهِ في فقه اللغة العربية وحفظ مفرداتها ومعرفة غريبها ، فرغب اليهِ قيمو مطبعة بيروت الاميركانية في وضع معجم لغويّ يكون عوناً لكل كاتب وأديب وهو عمل شاق مجهد لمن يتصدى لهُ جليل النفع عظيم الفائدة لمن يجدهُ ميسّراً بين يديهِ . وقد قام بهذا العمل الجليل ووضع معجمهِ اللغويّ وسماهُ (البستان) . وبين ايدينا الآن المجلد الاوّل منهُ وقد راعى في ترتيبهِ اول حرف من الكلمة كترتيب (محيط المحيط واقرب الموارد) متوخياً فيهِ ضبط الكلمة المراد تفسيرها مع الدقة في ايراد معناها بعبارة موجزة سلسة وضبط ما يجب ضبطهُ . وتسهيلاً لتناولهِ جعلت كل كلمة يراد تفسيرها في اول سطر جديد وطبعت بحرف اسود تمييزاً لها عن شرحها . وهو يقع في ١٣٨١ صفحة من الحجم الكبير مبتدئاً بباب الهمزة ومنتهياً بباب الصاد . وقد طبع طبعاً متقناً على ورق جيّد بالمطبعة الاميركانية ببيروت فنحثّ الادباء على اقتنائهِ . وقد ارجأنا التوسع في الكلام عليهِ الى حين صدور المجلد الثاني الذي يحتوي على مقدمة المؤلف والخطة التي سار عليها في تأليف معجمهِ النفيس

سيرة عمر بن عبد العزيز

وضع هذه السيرة ابو محمد عبد الله بن عبد الحكم (٢١٤ هـ) رواية ابنه ابي عبد الله محمد (٢٦٨ هـ) على ما رواهُ الامام مالك بن أنس واصحابهِ وقد عني حضرة الاديب الفاضل السيد احمد عبيد صاحب المكتبة العربية بمصر ودمشق الشام بطبعها عناية فائقة فضبط الآيات القرآنية وراجع عدة اصول مما جعلها ممتازة بالاتقان وختمها بثلاثة فهارس ابجدية للاماكن والبلدان والكتب والرجال والنساء والقبائل وهي تقع في نحو مائتي صفحة بقطع المقتطف

نزهة الطرف في قراءة الكف

كتاب صغير الحجم مصور يشرح شرحاً وافياً اسرار الكف وما تدل عليهِ خطوطها وعلاماتها من حوادث المرء ماضيهِ وحاضرهِ ومستقبلهِ باسلوب سهل العبارة وهو من وضع القانوني حنا اسعد المحامي وعنيت بنشره مكتبة العرب بالفجالة بمصر

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) البهق

ادفو . ألا يوجد من الادوية ما هو ناجع لمرض البهاق وما هي الحكمة من انهُ يأتي في الشتاء وينعدم في الصيف ؟

ج . البَهَق في المعجم بياض رقيق في ظاهر البشرة ولعلهُ المرض المعروف علميًّا باللوكودرميا Lucodermia وهو مرض جلديّ يزيل المادة الملونة من البشرة فتعلوها بقع بيضاء وقد تتجمع هذه البقع وتتصل بعضها ببعض فيصير الجسم ابيض . وقد نشر الدكتور استقن طبيب مستشفى بور سعيد وصفاً لحادثة من هذا القبيل في مجلة اللانست الطبية. وهذا المرض مجهول السبب والعلاج

(٢) التشخيص الطبي

ومنهُ . رجل يشعر بضعف عام في كل اجزاء جسمهِ حتى ليشعر احياناً ان رأسهُ خفيف جدًّا ولا يمكن لجسمهِ ان يحملهُ والحال انهُ لا يسعل ابداً في كل ادوار هذا المرض فكيف تعللون ذلك

ج . تشخيص الامراض من اصعب فروع الطبّ ولكي يتمكن الطبيب من تشخيص مرض غير واضح الاعراض يلزم لهُ ان يفحص العليل فحصاً مدققاً ويطلع على تاريخهِ وتاريخ اسرتهِ ودقائق الاصابة حتى يستدلّ على ما يمكنهُ من تشخيص المرض تشخيصاً صحيحاً . وقد أرينا ما ذكرتموهُ من الاعراض التي يشعر بها صديقكم لطبيب فقال انهُ لا يستطيع ان يحكم على أي مرض من الامراض يصيب الرجل المذكور وعليهِ نشير عليكم ان تأخذوا في ذلك رأي طبيب قريب منكم لانهُ يستطيع حينئذٍ ان يفحص المريض فحصاً دقيقاً ليعرف علتهُ ويشير عليكم

بافضل الطرق لعلاجها

(٣) الكوليرا

ومنهُ . بماذا تسمّون المرض الذي يبتدىء بقيء واسهال شديدين ثم تسقط درجة الحرارة او يبرد جسم المريض جداً ثم يفارق الحياة بعد ثلاثة أيام او أربعة من الاصابة

ج . يغلب انهُ الكوليرا او تسمم ناتج عن اكل طعام فاسد مسموم

(٤) خلاصة في التدرن الرئوي

القاهرة . نرجو ان تكتبوا مقالة عن احدث علاج طبي للسل وهل يمكن ان يقوم اي طبيب مصري بهذا العلاج فان هذا الداء الوبيل اخذ يفتك بالناس وذعر منهُ العباد حتى رأينا وزارة الاوقاف تنشئ الخطب المنبرية حاثة على الوقاية منهُ . واذا لم يتيسر لكم تحرير المقال فتكرموا بالكتابة بشيء من الاسهاب على أحدث الطرق العلمية لعلاج التدرن الرئوي في باب المسائل ولكم الفضل

ج . أسباب التدرن الرئوي . السبب المباشر هو الاصابة بباشلس التدرّن اما من بصاق المرضى او من لبن البقر المصابة بالتدرن . اما الاسباب التي تعدُّ الجسم للاصابة بهذه المكروبات فهي ضعف الصحة ضعفاً عاماً يسببهُ الاجهاد والبرد وعدم التعرض لاشعة الشمس في الهواء الطلق . واولاد المصابين معرّضون للاصابة بالسل لانهم يولدون وينشأون في بيئة تكثر فيها مكروبات السل فيكون تعرضهم لها اكثر من تعرض غيرهم

الوقاية . أهم وسائل الوقاية من السل هي ما يأتي : (١) عدم الاختلاط مع المصابين (٢) تطهير بصاق المصابين فيجب على كل مصاب ان يبصق في مبصقة خاصة فيها أحد المطهرات ويجب ايضاً غسل مناديل المريض وفراشهِ وملابسهِ على حدةٍ وتعقيمها حين غسلها ويجب تطهير حجرتهُ بعد وفاتهِ (٣) اغلاء اللبن او بسترتهُ قبل شربهِ (٤) تقوية الجسم بالغذاء الجيد والرياضة الكافية في الهواء الطلق والتعرض لنور الشمس وعدم التعرض للامراض المضعفة للجسم وخصوصاً النزلات الشعبية والرئوية

العلاج . لم يكشف حتى الآن علاج نوعي ناجع للسل ويعتمد الاطباء على الغذاء الجيد والهواء الطلق الجاف والتعرض لاشعة الشمس واستعمال الادوية التي تقوي الجسم بوجهٍ عام مع وصف الادوية اللازمة للمضاعفات اذا حصلت ومخففات السعال اذا ضاق بهِ المريض ذرعاً

وقد جرّب الاطباء الحقن بالتوبركلين ولكن لم تثبت لهُ فائدة عامة وقد كثرت في الآونة الاخيرة الاعلانات عن ادوية

تشفي من السل ولكن لم تثبت فائدة احداها ثبوتاً علميًّا وعمليًّا

(٥) اعمال النائم

الاسكندرية . من الناس من ينهض وهو نائم ويتمم بعض الاعمال التي كان يعملها قبلما نام ثم اذا استيقظ كان خالي الذهن من انهُ هو الذي اتمها وهو نائم . وقد بلغني ان رجلاً صيدلانيًّا كان يترك صيدليتهُ في المساء وآنيتها غير مغسولة وبعض ادويتها في غير اماكنها ثم يأتي في الصباح فيجد الآنية مغسولة والادوية في اماكنها وهو لا يدري مَن فعل ذلك في غيبتهِ . وسأل الحارس عن ذلك فقال لهُ انك انت تأتي ليلاً وتدخل الصيدلية وتغسل آنيتها فلم يصدقهُ . وفي ذات ليلة اتى ليلاً وفتح الصيدلية على جاري عادتهِ فاقفلها الحارس وراءهُ وتركهُ فيها الى الصباح واستيقظ حينئذٍ فصدَّق ما قالهُ لهُ الحارس . فكيف تعللون ذلك

ج . هذه الحالة تعرف بالسمنبولزم اي المشي في النوم (من سمنوس نوم وامبولو امشي) وهي اضطراب في النوم سببهُ زيادة او نقصان في فعل مراكز التعقل والحركة في الدماغ حينما تكون المراكز المتسلطة على الوعي مستغرقة في النوم. والظاهر ان فعل مراكز التعقل والحركة في هذا الصيدلاني يزيد او يكون منتبهاً حينما تكون المراكز العصبية المتسلطة على وعيهِ نائمة فيفعل ما يفعل وهو غير شاعر بهِ . والمصابون بهذا الداء او الخلل قد يعملون اعمالاً كثيرة يعجزون عن عملها وهم مستيقظون فيمشون على الجدران العالية ويقطعون الانهار العميقة وهم مغمضو العيون لا يبصرون شيئاً

(٦) الآثار المصرية

اسوان. المعلوم ان طائفة من انفس الجداول الاثرية واهم السجلات التاريخية محفوظ في عواصم اوربا فهل اخذتهُ الدول من مصر هبة وهل يمكن استردادهُ لان البلاد المصرية احق بهِ

ج. ان اكثر ما وصل الى اوربا من الآثار المصرية التي من هذا القبيل ابتاعهُ الاوربيون من الفلاحين او من الذين يفتشون عن الآثار في هذا القطر . وما وصل اليها وما هو محفوظ في متاحفها والمتحف المصري قليل جدًّا بالنسبة الى ما اتلفهُ سكان هذا القطر منذ الف وخمس مائة سنة الى الآن . اما ردهُ الى مصر فليس في الامكان الاَّ اذا شاء اصحابهُ ان يردوهُ كرماً منهم ولكن لا ضرر من وجودهِ في متاحف اوربا لان الاوربيين يعتنون بحفظهِ وهم الذين عرفوا قيمتهُ وكشفوا معناهُ ولولاهم لطمست آثار مصر ابد الدهر

(٧) لثغة اللسان

اسيوط . احد معارفي متلعثم اللسان يتكلم بصعوبة شديدة ويكاد كلامهُ لا يفهم مطلقاً . وقد اشير عليهِ ان يتكلم متمهلا فهل يستفيد من ذلك وما سبب هذه اللعثمة ولماذا خصَّ البعض بها دون سواهم

ج . اللعثمة خلل في النطق وراثي او مكتسب قلما يظهر قبل السنة الرابعة او الخامسة ولكنهُ قد يظهر بعد ذلك كثيراً على اثر الحمى او غيرها من الآفات وسببهُ القريب في الحنجرة وقد تشترك الرئتان معها فيهِ وهذه الآفة تقبل الشفاء وقد تشفى من نفسها من غير علاج وتقلُّ بالتقدُّم في السن غالباً واذا عقد المصاب نيتهُ على اصلاح نطقهِ فكثيراً ما ينجح . ولا بدَّ من ان يعوّد نفسهُ على التنفُّس المنتظم واخراج الصوت من الصدر . والتمهُّل في الكلام مفيد ولا بدَّ من الاعتماد على رأي طبيب مجرَّب

(٨) قدم الورد

لبنان . هل الورد نبات قديم وهل ذكر في اشعار الجاهلية من العرب

ج . عُرف الورد من قديم الزمان وكان عند اليونان والرومان رمزاً الى الصبا والجمال وكانوا يخصونهُ بمعبوداتهم افرديتي واروس واورورا ورأيناهُ منقوشاً على مبانيهم القديمة في بعلبك وغيرها . وقد اعتنى المصريون بزرعهِ من ايام الفراعنة وخصصوهُ للمعبود هورس وكان عندهم رمزاً الى الرزانة والامانة

وهو مذكور في زهرية عنترة العبسي وزهرية مقري الوحش وكلاهما من الجاهلية

قال الاول

والورد بين مبهَّج ومفوَّجِ ومبهرج ومرهَّج ومجلّلِ
يزهو باحمر كالعقيق واصفرٍ كالزعفران وابيض كالسنجلِ

وقال الثاني

والورد يحكي بالغصون مجامراً نارٌ على ماء الحيا لم تخمدِ
وكذلك النسرين اصبح باسماً في ثغرهِ تبرٌ برائحةٍ ندي

فذكرا انواع الورد الاحمر والاصفر والابيض دلالة على انها كانت كثيرة في حدائقهم او انهم رأوها في الشام او في العراق

(٩) التمدن في الشرق

ومنهُ . هل استفاد الشرق من التمدُّن وما الدليل على ذلك

ج . يظهر انكم تريدون بالتمدُّن اساليب التمدُّن الاوربي الحديث مثل العلوم الطبيعية والميكانيكية والمباحث الجديدة في اصل الامراض والوقاية منها والاساليب الجديدة للاعمال كالتلغراف والتلفون والسكك

الحديدية وآلات الحياكة والحدادة والنجارة وما اشبه فان كان هذا هو مرادكم فلاشك ان نوع الانسان يستفيد من اجتناء ثمرات العلم والعمل سواء كان في الشرق او في الغرب . وان كنتم تشيرون الى ما يصحب الاوربيين من إباحة السكر وبعض ضروب الخلاعة فهذه ليست من التمدن الاوربي ولا من لوازمهِ ولكنها شرور نامية في كل مكان وقد تكون اينع في اوربا منها في غيرها كما ان الاعشاب تجود في التربة المعدَّة للزرع الجيد اكثر مما تجود في الارض البائرة . واما اذا اردتم التمدن بمعناهُ المطلق كمقابل للتوحش فلا شبهة في ان الشرق والغرب والشمال والجنوب تستفيد من اخذ التمدن وترك التوحش . هذا اذا لم يقع اختلاف في معنى الفائدة فاذا قال قوم ان كثرة الوفيات افيد من قلتها لانها تقلل السكان فتقل المزاحمة على المعيشة . وان ترك المرضى بلا علاج افيد من معالجتهم لان المعالجة تطيل الآجال فيزيد السكان وتزيد المزاحمة . وان انتشار العلوم والفنون يزيد مطامع الانسان فتكثر مشاغلهُ وتقل راحتهُ فيكون الجهل افيد من العلم — اذا قال قوم كذلك فلا جدال معهم لانهم يفهمون بالفائدة غير ما يفهمهُ اصحاب التمدن الاوربي

(١٠) ضرورة الملح للجسم

بيروت . هل الملح لازم للجسم وما هو المقدار اللازم منهُ

ج . الملح لازم للجسم واكثر ما يحتاج اليهِ الجسم من الملح نتناولهُ مع الطعام وخصوصاً في اللحوم التي نأكلها . اما مقدار ما يجب ان نتناولهُ من الملح العادي فيتوقف على نوع المآكل التي يأكلها الانسان عادة . فاذا كان اكثر طعامهِ من قبيل الفاكهة والمسكَّرات وجب ان يتناول مقداراً من الملح اكبر من المقدار الذي يجب ان يتناولهُ متى كان اكثر طعامهِ من قبيل اللحوم والمواد البروتينية

(١١) تقوية الدم

ومنهُ . ما هو افيد شيء لتقوية الدم وتكثيرهِ

ج . الغذاء الجيد الكافي والاقامة في مكان طيب الهواء مطلقهِ والرياضة المعتدلة واخذ بعض الادوية المقوية كمركبات الحديد وقلة الشغل العقلي

(١٢) نمو الجسم بعد البلوغ

ومنهُ . هل ينمو الجسم طولاً بعد البلوغ

ج . نعم وقد يستمرُّ نموهُ الى نحو السنة الخامسة والعشرين

باب الأخبار العلمية

مقتطف يناير ١٩٢٨

اجتمع لدينا في هذا الجزء من المقتطف طائفة مختارة من المقالات لاشهر الكتاب والعلماء في الشرق والغرب نذكر منها مقالة [لاديصن] تدور على مباحثه الجديدة في استخراج المطاط من نبات كالبرسيم صفحة ٤٠ . ومقالة [لماركوني] اشهر المشتغلين بمسائل اللاسلكية وتطبيقها تكلم فيها على احدث المباحث اللاسلكية ومستقبلها صفحة ١٢ . ومقالة [لغليوم الثاني] امبراطور المانيا سابقاً عنوانها ماذا اطالع في عزلتي صفحة ٥٦ .ومقالة [للورد اكسفرد] و [لاميل لدوغ] كارليل اوربا الجديد عنوانها اعظم عظماء العصر صفحة ٢ . وكلام [للدكتور برنس] رئيس جمعية المباحث النفسية الاميركية سابقاً موضوعهُ انتقال الافكار : وهم ام حقيقة صفحة ٥١ . ووصف لرحلة البلون نروج من رومية الى الاسكا مارًا فوق القطب الشمالي بقلم ربانهِ [الجنرال نوبلي] صفحة ٦٧.ووصف لتمثال جديد للزهرة يضاهي تمثال زهرة ميلو للاستاذ [كارلوانتي] احد مديري البحث الاثري في قورينه بطرابلس الغرب صفحة ٧٤.وقصة فلسفية كاملة [لفولتير] عنوانها الفيلسوف نقلها الى العربية الاستاذ اسعد خليل داغر صفحة ٤٤ . وبحث ادبي فلسفي في وجوه الاختلاف والشبه بين الرجال والنساء للدكتور [ول دورانت] مؤلف تاريخ الفلسفة نقلهُ الى العربية حنا افندي خباز صفحة ٣٥ . وخلاصة التقدم الذي اصاب فروع العلم في العام الماضي لجماعة من علماء اميركا

هذا بعض ما نقلناهُ لقراء المقتطف من مآثر العلماء والكتاب الغربيين . وقد عنينا بان لا تكون محتويات المقتطف من مآثر كتابنا في الشرق اقل من محتوياتهِ السابقة الذكر قدراً او قيمة . فيجد القارئ في هذا الجزء كلمة حكيمة للمرحوم [الدكتور صروف] عنوانها عظمة الكون وقد صدَّرنا بها مقتطف هذا الشهر ثم مقالتين عن صرُوف اللغوي وصرُوف الاديب الاولى للاستاذ [مصطفى صادق الرافعي] صفحة ٢٣. والثانية للاستاذ [عباس محمود العقاد] صفحة ٣٦ . ومنها مقالة للآنسة

[مي] في موضوع يلامس كلَّ قلب ويشغل كل عقل الا وهو موضوع الامهات العصريات وما يلاقيه بعضهن من انواع العذاب والشقاء صفحة ٦ . ومنها مقالة للاستاذ [سامي الجريديني] المحامي يصف فيها بعض رحلاته في اوربا باسلوب ادبي جديد صفحة ١٥ . ومنها مقالة عن تاريخ المجامع اللغوية في مصر الحديثة للاستاذ [توفيق حبيب] صفحة ٥٨ . ومقالة في التباين الخلقي وامراض النفس لسعادة [عثمان مرتضى باشا] صفحة ٨١ . وكلام [لحمدي يكن بك] عن نوادر بعض شعراء مصر الراحلين كالبارودي والسلاوي ومفتاح وغيرهم . ومقالة جمعنا فيها طائفة مختارة من اقوال [طلعت بك حرب] مقتطفة من مجموعة خطبه .وكلام للاستاذ [حسين لبيب] ناظر مدرسة النحاسين على تعليم البنات الالزامي في مصر . ومقالة عن سوق القطن بعد صدور تقريري الحكومتين المصرية والاميركية

وابواب المقتطف كعادتها تتناول شؤون المرأة وتدبير المنزل . ومسائل الزراعة والاقتصاد ووصف المطبوعات المصرية ونقدها ومسائل القراء واجوبتها واحدث الانباء العلمية والعمرانية

وقد خصَّصنا لهذا الجزء وللاجزاء التي تلوهُ غلافاً يماثل غلاف ارقى المجلات الاوربية والاميركية وطبعناهُ باربعة الوان فعسى ان يحسن في نظر القراء .ولم ندخر وسعاً في جعل مباحث المقتطف مما يجمع بين اللذة والفائدة العلمية والعملية

العلم والعمران في العام الماضي

الطب والعلاج

اعلن نوغوشي العالم الياباني في اثناء العام الماضي انهُ كشف مكروب التراخوما وتلاهُ الدكتور سمول من اطباء مدينة فلادلفيا فاعلن انهُ كشف نوعاً من الاجسام الدقيقة تسبب الحمى الروماتزمية. ولم يؤيَّد حتى الآن احد الاكتشافين

وثبت للدكتور هوبتايكر احد اطباء بوسطن ان عدم انقباض المرارة سبب في تكوين الحصى فيها وعقبهُ باحث ياباني فارتأى ان عدم وجود بعض انواع الفيتامين في الطعام يساعد على تكوين الحصى في المرارة والكليتين وغيرها من اعضاء الجسم . وقد توسع الباحثون في درس طبائع فيتامين (هـ) (E) وعلاقته بالعقم وعثيل المواد الحديدية في الجسم . وتقدمت المباحث في فوائد الاشعة التي فوق البنفسجي وتطبيقها فقد ثبت انهُ اذا تعرضت امٌّ مرضع لهذه الاشعة ظهر الفيتامين المضاد للكساح في لبنها وانهُ اذا عرِّضت انواع مختلفة كبعض الحبوب

والشعير وغيرها لهذه الاشعة ظهر فيها هذا الفيتامين

وقد اكتشف بعض الباحثين ان الاكريفلافين وهو احد اصباغ قطران الفحم الحجري علاج نوعي لحمى مالطة . وصنع مضاد للتسمم في حالات « بنت الحمرة » يقال انهُ مفيد جداً . ويرجح ان يصنع مضاد للتسمم من قبيلهِ لمكروب حمى النفاس ومكروب الحصبة

الظواهر الجوية

تقدم علم الظواهر الجوية تقدماً بيّناً في تطبيق المبادئ المعروفة على مطالب العمران كالانباء بالعواصف والفيضانات وغيرها . واجلُّ خدمة قام بها المشتغلون بهذه المباحث في السنة الماضية تنبيههم الى فيضان المسسبي قبل حدوثهِ ببضعة شهور مما ادى الى خلاص الوف الناس من الموت غرقاً . وقد صار في الامكان اذاعة نتائج المباحث الجوية بالراديو الى البواخر والطيارات فتنجو بها من عواصف ثائرة او بحارٍ هائجة او رياح شديدة الهبوب

الطيران

كان التقدم في الطيران من اظهر ظواهر العام الماضي. فقد بنت شركة بكارد الاميركية اقوى محرك هوائي بُني حتى الآن قوتهُ ١٣٠٠ حصان ويبرَّد بالهواء . وقد صنع نوع من المحركات في اميركا لا يزيد وزن المحرك منها على ٧٥٠ رطلاً وقوتهُ ٥٢٠ حصاناً . وبنيت محركات اخرى تستمر ٥٤ ساعة في دورانها او اكثر وكثرت الطلبات على مصانع الطيارات حتى لم يكن في امكانها ان تلبيها كلها. وفي الولايات المتحدة الآن معملان للطيارات يصنع كل معمل منها ثلاث طيارات كلَّ يوم . واكثر اجزاء الطيارات قد ارتقى واتقن ولا بدَّ ان نرى قريباً كلَّ محركات الطيارات تبرَّد بالهواء واكثر الطيارات تبنى كلها من المعدن وطيارات تجارية كبيرة تسيرها محركات كثيرة ويصير الطيران في الليل امراً عاديًّا فينام المسافر في سرير كاسرة السكة الحديدية

المخاطبات والمواصلات

ان سنة ١٩٢٧ ستخلد في تاريخ العلم لانها السنة التي تحققت فيها الرؤية عن بُعْدٍ . ولا بدَّ من انقضاء زمن تتقن في خلالهِ آلاتها حتى يمكن التوسع في صنعها وبيعها والربح منها

ويجب الاَّ ننسى انهُ في بدء العام الماضي في ٨ يناير فتحت المخاطبات التلفونية اللاسلكية بين لندن ونيويورك فعم التوسع في استعمالها انكلترا والولايات المتحدة وكندا ومستعمراتها النائية

الزراعة

لم يكشف في المباحث الزراعية

اكتشاف يستلفت النظر ولكن التقدم اصاب اكثر فروعها على السواء . فقد اتقنت الوسائل في تسميد التربة وثبت على ان النباتات تستفيد فائدة كبيرة اذا استطاعت ان تمتص اكسيد الكربون الثاني من جذورها فضلاً من امتصاصه باوراقها من الهواء. وقد استحدثت انواع جديدة من الخضراوات والفواكه بالانتخاب الصناعي

هندسة البناء

اكبر الاعمال الهندسية التي تمت في سنة ١٩٢٧ كانت اكمال نفق موفات بولاية كولورادو الاميركية وطولهُ ستة اميال واكمال نفق هُلند الذي بني تحت نهر الهدصن بين نيويورك ونيوجرزي للسيارات وطولهُ ميلان. وقد تم بناء كبري مضيق كاركينز بكليفورنيا وهو قائم على قنطرتين اتساع كل منهما ١١٠٠ قدم ووضعت رسوم كثير من الكباري الضخمة في الولايات المتحدة وبدئ العمل في بعضها . واكمل بناء بيت لتوليد القوة الكهربائية بالماء المنحدر من خزانات مصل شولس الاميركية والآلات التي اقيمت فيها تولد ١٩٠ الف حصان

الهندسة الكهربائية

اتقنت المستنبطات الكهربائية الآلية وتنوعت وحلَّ لحم عوارض الصلب في المباني الجديدة بواسطة نور القوس الكهربائي محل استعمال المسامير لربطها بعضها ببعض واتقنت الوسائل لنقل القوة الكهربائية باسلاك الى اكثر من ٥٠٠ ميل

التصوير الفوتغرافي

من الآراء المشهورة ان اللونين الاحمر والاصفر يظهران في الالواح الفوتغرافية قاتمين وان اللون الازرق يظهر مفتوحاً وعليهِ كان يظن ان طفلاً ازرق العينين اشقر الشعر يظهر في صورة فتوغرافية ولون شعرهِ قاتم ولون عينيهِ مفتوح. ولكن الباحثين في معامل كوداك صنعوا فلماً شديد الاحساس باللون الاحمر والاصفر فقوَّضت دعائم الرأي السابق

وقد اتقنت السنما الناطقة وصنعت آلات فوتغرافية تصور من يقف امامها اذا رمى قطعة نقود في شقّ خاص فيها وتنوعت الآلات الفوتغرافية وتنوعت اغراضها فمنها ما يستعملهُ مديرو البنوك لتصوير التحاويل الكبيرة ومنها ما يستعملهُ اصحاب الدور التي تحتوي على نفائس ثمينة لتصوير السارقين

علم النفس والخلق

تقدمت المباحث في قياس الذكاء تقدماً بيّناً ووضعت لذلك مسائل دقيقة وقدَّم الاستاذ سيرمن الانكليزي ادلة على ان في النفس الانسانية قوة ذكاء

اساسية هي الاساس الذي يقوم عليها تفوق المواهب المختلفة وعليهِ فالمتفوق في ناحية من نواحي الفكر يرجح انهُ يتفوق في غيرها اذا انصرف اليها . واتسع البحث في درس الحيوانات من الوجهة النفسية ومقارنتها بالانسان

الطبيعيات

وضع الاستاذ شرويدينغر السويسري مذهباً جديداً في بناء الجوهر الفرد ملخصهُ ان الكهارب التي تدور حول البروتون ليست سوى نظام دقيق من الامواج مثل النور واشعة اكس. فاذا صح هذا المذهب وجب ان تُثبت التجارب انكسار الكهارب وانتشارها متى اصابت سطح بلورة كما تنكسر اشعة اكس وتنتشر . ويظهر ان بعض التجارب قد ايّد هذا الرأي

ويرتأي السر ارنست رذرفورد ان نواة الجوهر الفرد التي تدور حولها الكهارب في عنصر من العناصر المشعة هي بدورها نظام شمسيّ مؤلف من نواة كالشمس وحولها سيارات تدور حولها . وان هذه السيارات هي جواهر من الهليوم في حالة غير طبيعية

الجغرافية

كان الطيران من اميركا الى اوربا وما اتصل بهِ من تدوين الارصاد الجوية وكشف الطرق لانشاء الخطوط الجوية التجارية في المستقبل اكبر الاعمال الجغرافية التي تمت سنة ١٩٢٧

الفلك

كشفت اربع مذنبات جديدة ورصد كسوف الشمس الكلي الذي حدث في ٢٩ يونيو الماضي وظهر كليًّا في بلاد الانكليز . وثبت للاستاذين نيكلصن وبتي ان حرارة سطح القمر تهبط الى بضع درجات تحت درجة الهواء السائل حينما يخسف خسوفاً كليًّا . وتأيدت مباحث كوبلنتز ولمبلاند ومنزل في ان حرارة الاماكن الدافئة على سطح المريخ فوق درجة الصفر . وصُوّرت الزهرة والمريخ والمشتري وزحل صوراً بالفوتغرافيا الملوّنة فظهرت حقائق جديدة عن الجوّ الذي يحيط بكل من هذه السيارات ، وانشئت تلسكوبات كبيرة في جنوب افريقيا وجامعات يايل وهارفرد ومشيغن ينتظر ان تعود على المباحث الفلكية بفوائد جمة

علم المعادن

اتقن صنع مزيج معدني من الالومنيوم صلب كالفولاذ وخفيف كالالومنيوم وهو الآن عماد صانعي الطيارات المعدنية . وصُنعت امزجة معدنية جديدة من الصلب لا يفعل بها الصدأ . وقد استعملت اشعة اكس لمعرفة بناء المعادن

الكيمياء

تقدمت المباحث الكيماوية تقدماً باهراً في صنع كثير من المركبات الهيدروكربونية الغازية والسائلة والجامدة من المثاني والبرافين . واتسعت المباحث التي غايتها تركيب المطاط تركيباً كيماويًّا واكتشف أحد الباحثين انهُ يستطاع استحضار مستحلب من المطاط ثم طلاء الآنية بهِ بطريقة الترسيب الكهربائي. واستعمل غاز الاثيلين والبروبيلين للتخدير في العمليات الجراحية محلَّ الاثير واستخدم غاز الاثيلين لانضاج الاثمار بعد جنيها فجّة . واتسعت صناعة الحرير الصناعي من خلات السلولوس

تأبين الدكتور صروف

في الارجنتين

جاءتنا جريدة الاتحاد اللبناني التي تصدر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين طافحة باخبار الاحتفال التأبيني الجليل الذي أقامتهُ الجالية السورية لتكريم ذكرى المرحوم الدكتور صروف واشتركت فيهِ جمعية الشبيبة اللبنانية والنادي السوري اللبناني وجمعية الشبيبة الحمصية وفرع بونس ايرس لجمعية الملجإِ الصحي التدرني وجمعية سيدات المستشفى السوري اللبناني وجمعية الاتحاد اللبناني وجمعية سيدات اعمال الرحمة . وتمثلت فيهِ اكبر الصحف العربية والارجنتينية وحضرهُ نخبة ابناء الجالية السورية اللبنانية فغصَّ بهو النادي السوري اللبناني بكبار القوم وكانت صورة المرحوم الدكتور صروف قد أقيمت في صدر النادي مجللة بالسواد وكان البهو عارياً عن كل زينة حداداً على الفقيد

وخطب في هذه الحفلة السيد مسعود ابي سليمان رئيس جمعية الشبيبة اللبنانية ومحرر جريدة الاتحاد اللبناني وتلاهُ الدكتور يوسف سلام فخطب بالنيابة عن النادي السوري وعقبهُ التاجر المشهور فؤاد افندي حداد وكيل المقتطف بالارجنتين فاميركو عقاد فالقى خطبة بليغة باللغة الاسبانية فنايف افندي رشيد بالنيابة عن الملجأ التدرني وقد خطب بالعربية فميشيل قزما بالاسبانية نائباً عن جمعية الشبيبة الحمصية فبطرس افندي الزغبي فألقى قصيدة عصماء كانت مسك الختام

في باريس

وجاءنا من حضرة النطاسي البارع الدكتور يوسف حريز نزيل باريس انهُ اقام في دارهِ حفلة بسيطة لتكريم ذكرى الدكتور صروف حضرها لفيف من سيدات وسادة سوريين يقدرون الفقيد حق قدرهِ وخطب فيهم الدكتور حريز خطبة وانشد قصيدة حبّذا لو اتسع المجال

لنشرهما . والى القارىء فقرة من الخطبة قال :

« نقل العرب عن اليونان في القرنين التاسع والعاشر معظم ما وصلت اليه ايديهم من معارف القوم ولم تكن هذه المعارف والعلوم سوى خلاصة ما اتصل بالاغريق من معارف الشرق دانيه وقاصيه ودام هذا النقل منذ اوائل الدولة الاموية واشتدّ ساعده في صدر الدولة العباسية حتى اخنى على بغداد ما اخنى على لبد

« وجاءت اوربا فنقلت عن العرب في القرن الثاني عشر على الاخص وكانت خلاصة هذا النقل عمدة ما يدرس في في جامعاتها الكبرى حتى ان الرئيس ابن سينا — وترون رسمهُ في بهو هذه العيادة بقلم جبران خليل جبران — ترجم الى لغات اوربا خمساً وثلاثين مرة ودُرّس عدة قرون دون انقطاع كما اثبت ذلك في اطروحتي الطبية وموضوعها « اثر الطب العربي في تطور الطب الافرنسي »

« واقبل ما يُدعى بالنهضة الجديدة في اوربا فكان المقتطف صلة غير منقطعة منذ اكثر من نصف قرن بين علوم الغرب واميركا وبين العالم العربي

« فاذا كان حنين بن اسحاق في مقدمة مترجمي الكتب اليونانية الى العربية في الجيل التاسع ببغداد وكان جيرار الكرماني صنوهُ في نقل معارف العرب الى اللاتينية في القرن الثاني عشر في طليطلة فان الدكتور يعقوب صروف كان في طليعة من عرّب وترجم العلوم الحديثة من لغات اوربا في اواخر القرن التاسع عشر وفي صدر القرن العشرين وكذا فعل أندادهُ الاطباء زلزل وشبلي وشميل وامين أبو خاطر وسواهم

« هو في عداد الافذاذ القلائل الذين اهتموا بنشر المعارف في الشرق فاذا كنا نكرمهُ ونخلد ذكرهُ فتكريم أصحاب الجدّ واجب والاعتراف بجميل أصحاب الاعمال فرض مقدس

« ولما كان اجتماع صروف بابن سينا وبالشيخ ابراهيم اليازجي لا مندوحة عنهُ في عالم الارواح رأيت ان اترك للراحل الكريم دقيقة يُلقي في غضونها خطبة خرساء بحضور ابن سينا »

(وهنا فُتحت عارضتا حاجز كانتا مضمومتين فظهر آخر رسم للدكتور صروف في المقتطف وقد كبرتهُ ريشة رسام باريسي ماهر والقى الرسم خطبتهُ الخرساء مدة دقيقة)

وقد بعثنا بالخطب التي جاءتنا من الارجنتين وبخطبة الدكتور حرز وقصيدته الى لجنة التأبين مكررين شكرنا لجميع الذين عنوا بتكريم ذكرى فقيدنا الكريم آملين

ان يكون تكريمهم باعثاً لشبان الشرق على العناية بالعلم ونشره بين الناس هدى لهم

بيت داروِن مزار وطني

اشار السر ارثر كيث في خطبة الرآسة التي القاها في مجمع تقدم العلوم البريطاني الى وجوب جمع مبلغ من المال لشراء بيت دارون بدون في مقاطعة كنت والعناية بحفظهِ. فلما اطلع الدكتور جورج بكستون برون على كلام السر ارثر ابرق اليهِ بعرض على مجمع تقدم العلوم ان يشتري هذه الدار بمالهِ ويجعلها ملكاً للامة الانكليزية ويعهد الى مجلس الادارة بمجمع تقدم العلوم البريطاني في حفظها لتكون مزاراً لابناء الانكليز . وقد بلغت قيمة هذه الهبة نحو ١٥ الف جنيه يدفع جانب منها لشراء الدار ويوقف الجانب الآخر عليها فينفق من ريعهِ على حفظها . وقد ارتأى السر ارثر ان يخصَّص جانب من هذا الريع لجائزة علمية توهب مرة كل سنتين لاحد الباحثين المتفوقين في العلوم البيولوجية

الاب لويس شيخو

فجع العالم العربي في ٧ دسمبر الماضي بوفاة علَم من اعلامهِ الاب لويس شيخو اليسوعي عن ٦٨ سنة قضى معظمها في خدمة العلم والادب والبحث في خزائن العرب عن المخطوطات النفيسة وتمحيصها ونشرها والتعليق عليها . فان في الكتب الكثيرة التي عني بتأليفها او جمعها وطبعها ومقالاتهِ الممتعة التي نشرها في مجلتهِ المشرق المفيدة من دلائل البحث والتحقيق وآثار العناء الشديد ما يبقي لهُ اطيب ذكر بين الكتاب الذين خدموا العربية وابناءها ويجعل وفاتهُ خسارة عامة على العالم العربي

ومن اشهر كتبهِ التي الفها او جمعها وطبعها مجاني الادب في ١٠ اجزاء . الآداب العربية في عهد الجاهلية . تاريخ شعراء النصرانية وآدابهم في عهد الجاهلية . الآداب العربية في القرن التاسع عشر . تاريخ بيروت وآثارها . علم الادب في ٤ اجزاء . عدا ٢٥ مجلداً من المشرق عني بكتابة اكثر مقالاتها

بعض مشهوري الانكليز

نشرنا امام الصفحة الثانية من هذا الجزء صفحة تحتوي على صور ١٥ رجلاً من مشهوري الانكليز ومعهم العالم اينشتين ولم يتسع لدينا المجال لكتابة اسمائهم هناك فنذكرها اتماماً للفائدة . وهم من اليمين الى اليسار

الصف الاول : ونستن تشرشل . لورد بركنهد . « الدين » انج . الصف

الثاني : توماس هاردي . رديرد كبلنغ . السر جيمس بري . الصف الثالث . الاستاذ ادنجتون اللورد بلفور . العالم اينشتين . الصف الرابع . السر جيمس فريزر . اللورد هلدين . هربرت ج . ولز . الصف الخامس . لويد جورج . روبرت بردجز برنارد شو

هبات علمية

عرض المستر ركفلر الابن على حكومة فلسطين ان يهبها ٤٠٠ الف جنيه لتشييد متحف في القدس اذا كانت الحكومة تقدم الارض التي يشيّد عليها . ومن الشروط التي يشترطها ان يكون المتحف للآثار فقط (الاركيولوجيا). ويقال ان الحكومة قبلت هبتهُ وشروطهُ وينتظر ان تشتري ارضاً في كرم الشيخ قرب بوابة هيرودس خارج سور المدينة الى الشرق منها . وبعد بناء المتحف يبقى من الهبة ما يكفي ريعهُ للانفاق على حفظ المتحف والعناية بهِ

ومنح وقف المستر ركفلر ايضاً مليون ريال اميركي لجامعة بيروت الاميركية لتنفق على اعمال التعليم والتهذيب

كوكب ومذنب جديدان

كشف الاستاذ شواسمن والدكتور وخمن من المتصلين بمرصد برنجدورف بالدنمارك كوكباً جديداً في الساعة الحادية عشرة من مساء ١٨ نوفمبر الماضي . والكوكب في برج الثور على مقربة من صورة الجبار تسع درجات الى الشرق من الدبران وهو من القدر العاشر

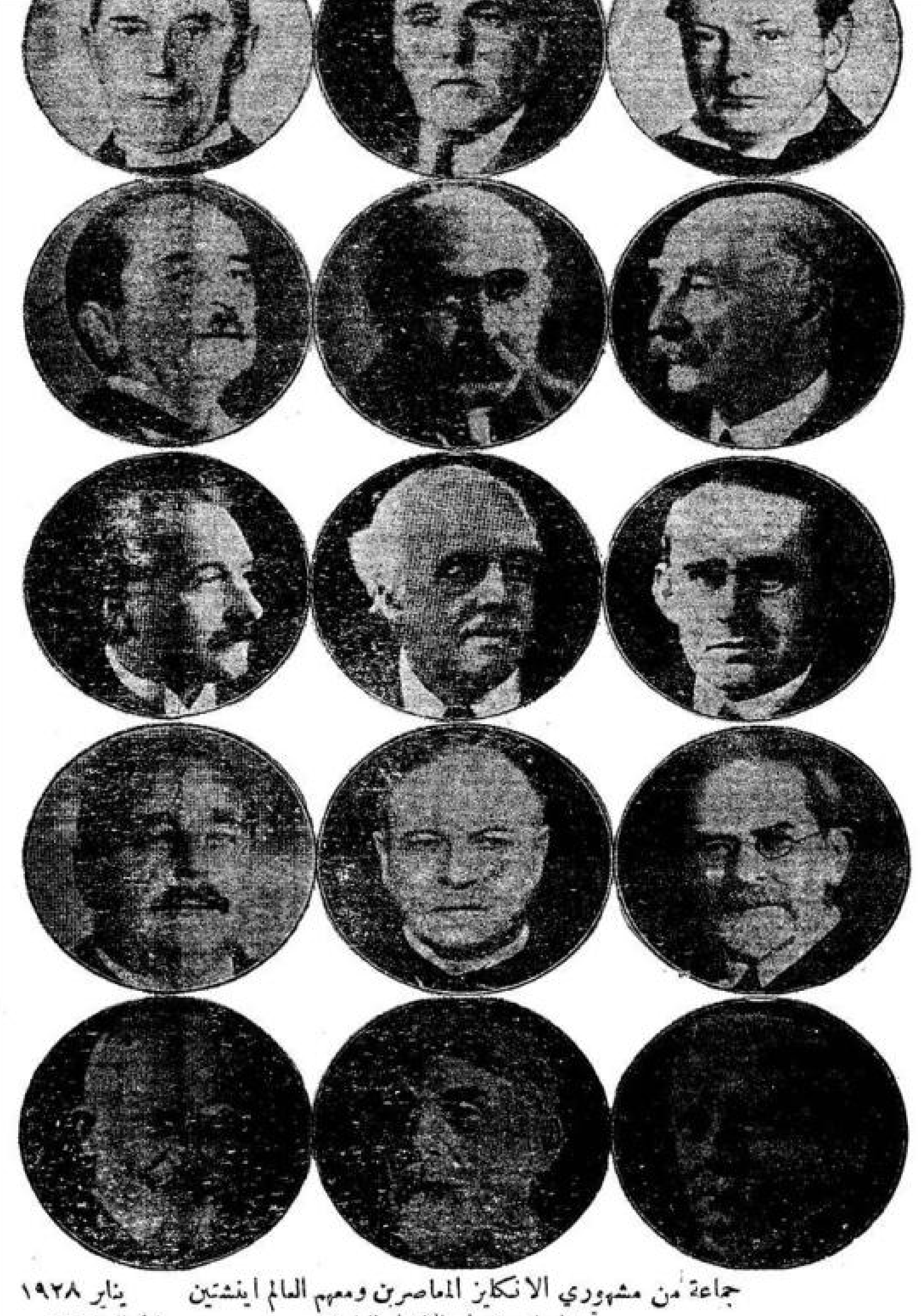
واكتشفا ايضاً مذنباً جديداً في ١٥ نوفمبر من القدر الرابع عشر

الاخبار العلمية

ضاق نطاق هذا الجزء من المقتطف عن ان يسع كل الاخبار العلمية التي اقتطفناها من اشهر المجلات الاوربية والاميركية لاننا نشرنا فيهِ مقالة «العلم والعمران في العام الماضي» وهي خلاصة طيبة لتقدم فروع العلم باقلام نخبة من علماء اميركا . فوعدنا بسائر الاخبار الى الجزء القادم ان شاء الله

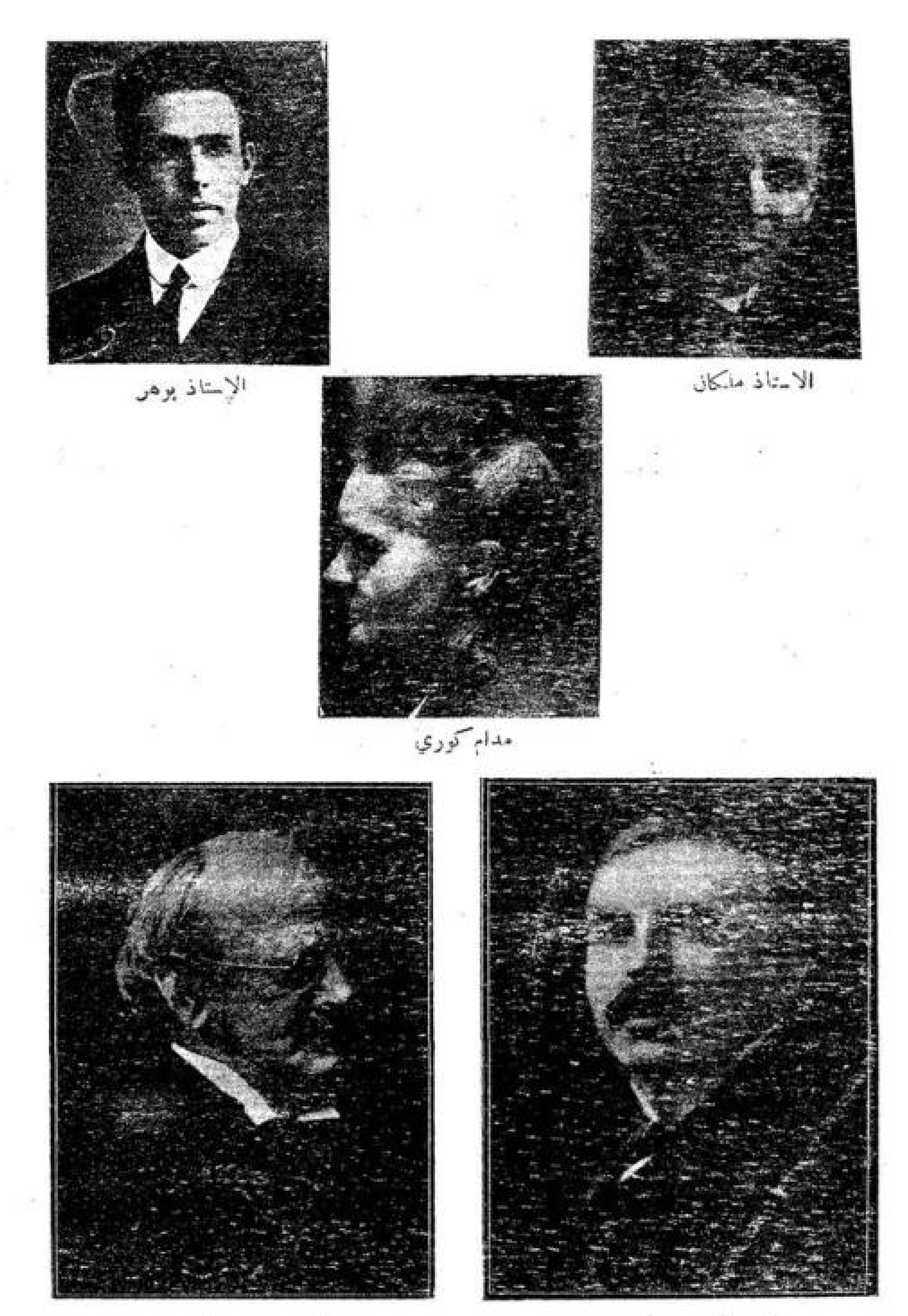
صورة الغلاف

ترمز الصورة التي طبعناها على غلاف هذا العدد الى الانسان يتأمل كواكب السماء متسائلاً عن وجود الاحياء فيها . والجرم الكبير الذي امامهُ هو المريخ اقرب السيارات الينا ويرى بعض العلماء انهُ مأهول . وقد فصّلت اراؤهم في «بسائط علم الفلك» حين الكلام على المريخ



جماعة من مشهوري الانكليز المعاصرين ومعهم العالم اينشتين
تجد اسماءهم في باب الاخبار العلمية

يناير ١٩٢٨
امام الصفحة ٢



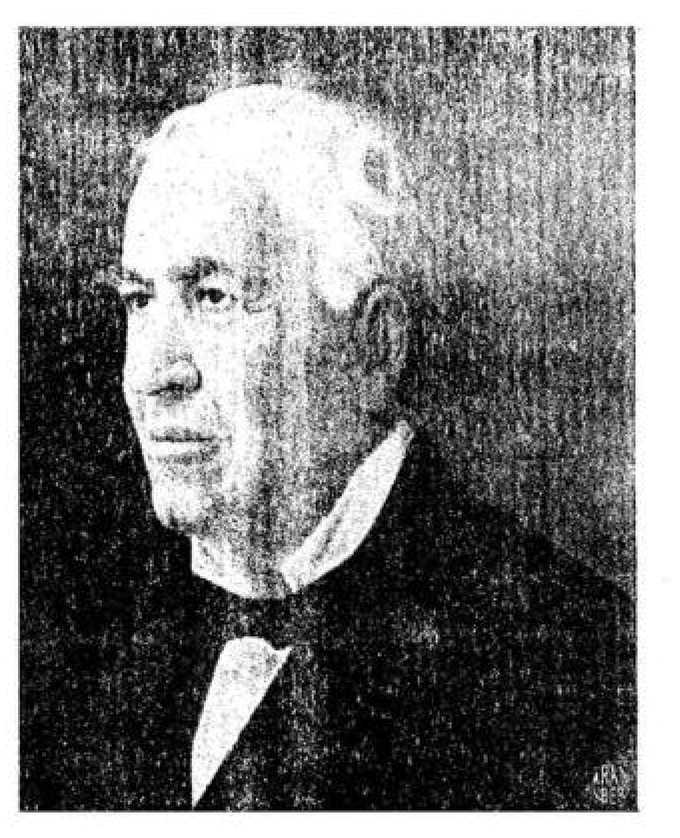
الاستاذ ملكان

الاستاذ بوهر

مدام كوري

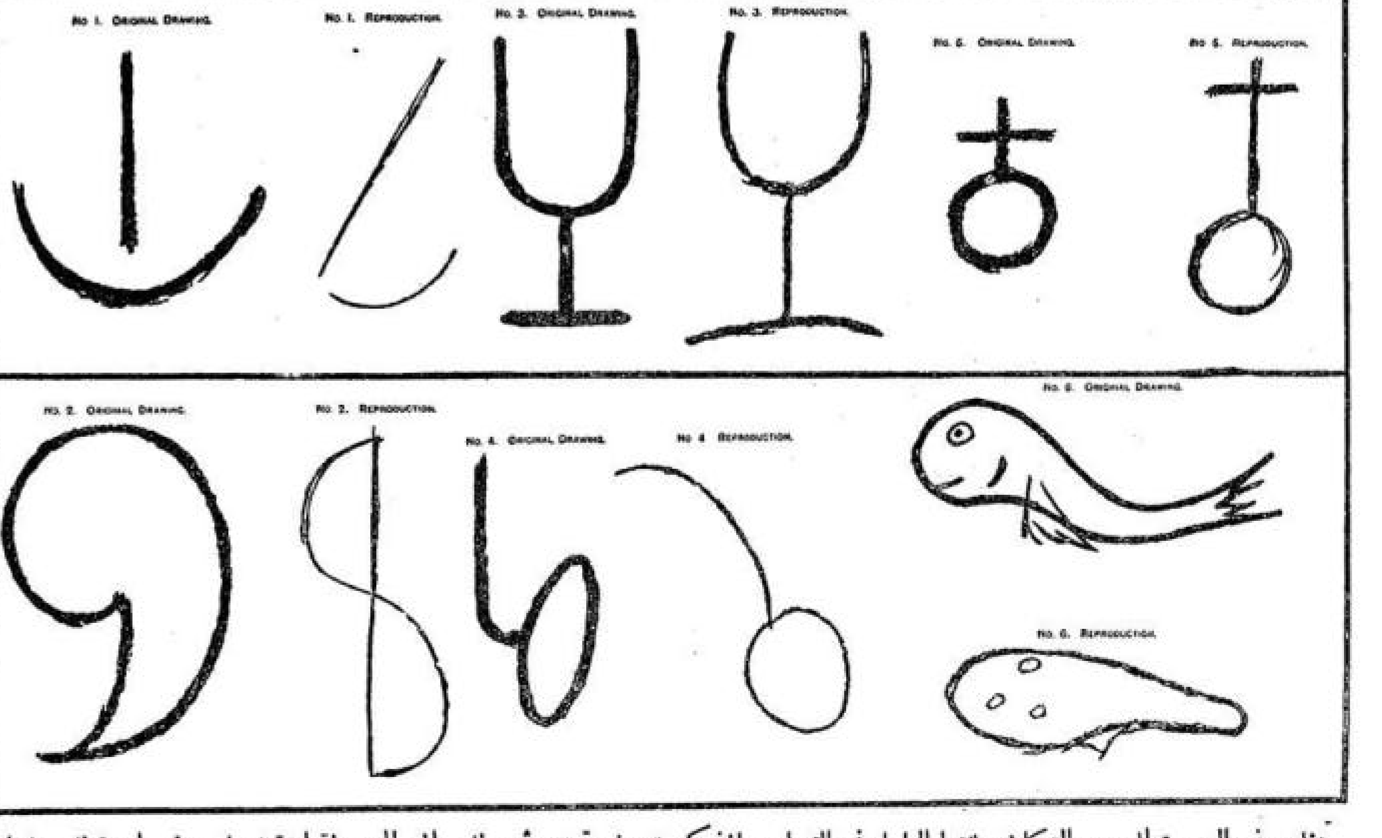
السر ارنست رذرفورد

السر جوزف طمسون



صورتان لاديصن امير المستنبطين

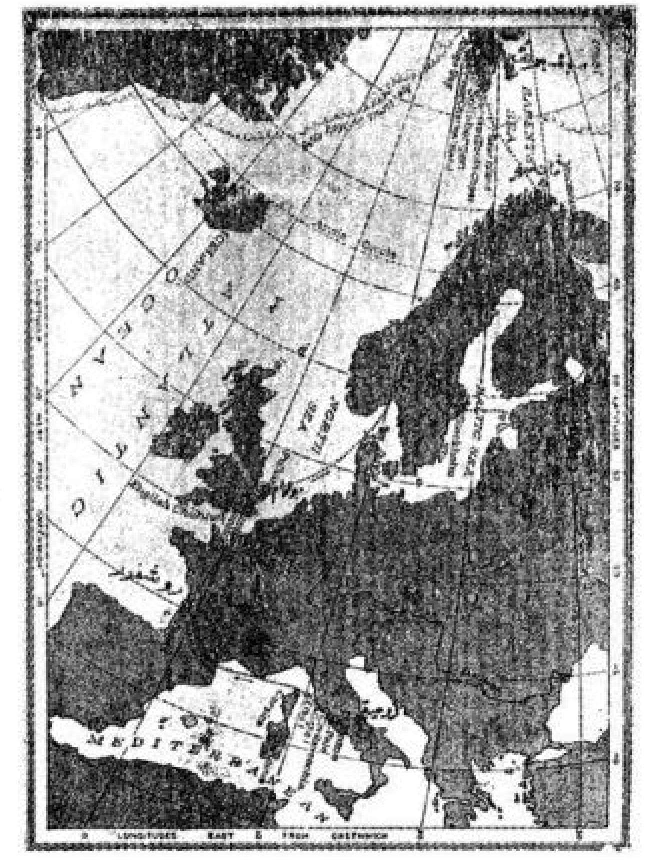
مقتطف يناير ١٩٢٨
امام الصفحة ٤٠



تمثل هذه الصورة الرسوم التي كان يرسمها العامل في التجارب المذكورة صفحة ٥٢ ثم يطلب الى الوسيطة ان ترسمها من غير ان تطلع عليها فالرسم الاول ابتداء من الشمال هو الرسم الذي وضعهُ العامل وما يليهِ ما رسمتهُ الوسيطة وهكذا دواليك

مقتطف يناير ١٩٢٨

امام الصفحة ٥٢



مسير البلون نروج من رومية الى سبتسبرجن

البلون نروج

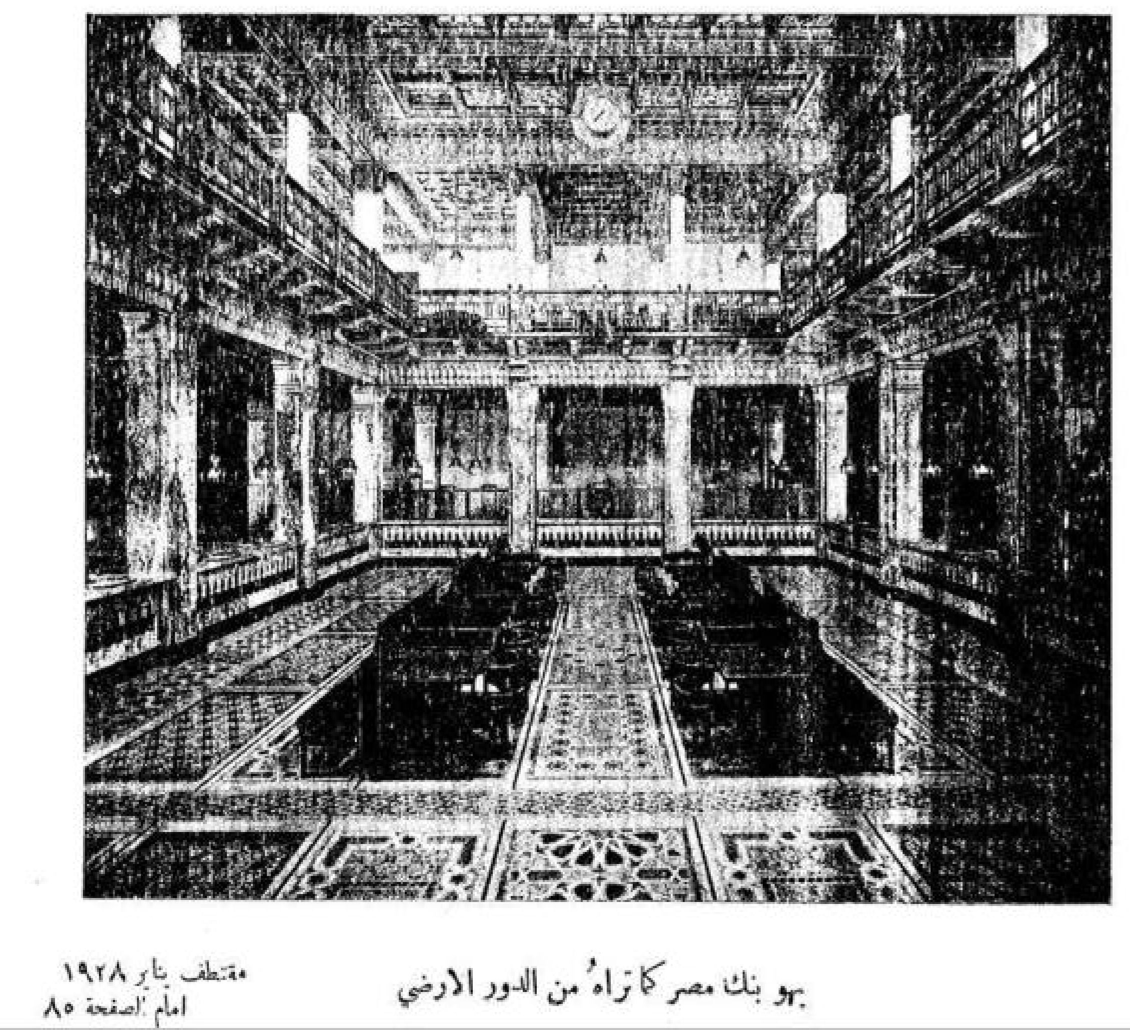
مقتطف يناير ١٩٢٨
امام الصفحة ٦٨



الجنرال نوبلي — الطيار ده بنيدو — السنيور موسوليني

مقتطف يناير ١٩٢٨

أمام الصفحة ٧٢



بهو بنك مصر كما تراه من الدور الارضي

مقتطف يناير ١٩٢٨
امام الصفحة ٨٥



مقتطف يناير ١٩٢٨

امام الصفحة ٩٤

الجزء الاول من المجلد الثاني والسبعين

صفحة



المقتطف
AL·MUKTATAF

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثاني والسبعين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٨ — الموافق ٩ شعبان سنة ١٣٤٦

كلمات للدكتور صرّوف

سر الوجود

ما هي الحياة ؟ اين كان الاحياء قبلما وُلدوا والى اين يمضون بعد ما يموتون ؟ وما هي الحكمة في هذا الخلق ؟ لماذا يولد مائة طفل فلا يبلغ العشرين ثلاثون منهم ولا يبلغ الخمسين عشرة ؟ ولماذا تبيض السمكة مليون بيضة فلا يبلغ الاَّ اثنان من اولادها اشدها وتثمر الشجرة الوفاً من الاثمار قبلما يتفق لاحدى بذورها ان تنبت وتخلف نسلاً ؟ وعلامَ تظهر الازهار والرياحين في الغابات والادغال حيث لا تراها عين انسان ولا يتمتع بها ذوق حيوان ؟ يجيبك العالم الطبيعي بسلسلة من العلل والمعلولات مفادها ان كلَّ حلقة من حلقات الوجود متصلة بغيرها وان الغرض منها ترقية الاحياء بنوع عام . يقول لك ان قوى الطبيعة ومكروباتها تجتمع على عناصر الجماد فتحلها وتركبها وتجعلها غذاء للنبات فينمو بها ويصير غذاء للحيوان . وكلما سقطت ورقة اقبلت عليها المكروبات فحللتها واعادتها الى التراب غذاء لما يخلفها . وكلما مات حيوان انحلَّ جسمهُ وعاد الى الارض والهواء غذاء للنبات . . . وانواع النبات والحيوان ترتقي جيلاً بعد جيل وقرناً بعد آخر حسب النواميس الطبيعية القاضية ببقاء الاصلح للبقاء . والانسان غير مستثنى من ذلك بل تجري عليهِ نواميس الطبيعة كما تجري على غيرهِ . يولد معرَّضاً للآفات الطبيعية فتتغلب عليهِ او يتغلب عليها ويموت من غير نسل او يخلف نسلاً . وتتوالى الاعقاب والاحقاب والارتقاء مستمرٌّ . وما الفرد سوى دقيقة في جسم هذا الوجود يقوم بهِ جزءٌ من اجزاء الرقي . هذه خلاصة اقوال العلماء الطبيعيين فهل كشفت الغطاء عن سر الوجود وازاحت الستار عن معنى الحياة ؟

آلات كالاحياء

غرائب المستنبطات الحديثة

تأخذنا الدهشة وتستولي علينا الحيرة حين نقف امام آلة من آلات الطباعة الحديثة وقد وضعت لفة من الورق كالبرميل على كل من جانبيها ، فتدار الآلة بالكهربائية ، فينفكُّ الورق من نفسهِ ويجري بين اساطين الآلة صاعداً نازلاً جارياً ملتفاً وتنهال الصحف من الآلة كالماء الجاري مطبوعة مقصوصة مطوية عشرين الفاً اوثلاثين في الساعة. ولا يشعر المرء بحركة المطبعة الا من صوتها لان دوران اساطينها اسرع من ان تتبينهُ العين . مع ذلك نحسب آلة من هذا القبيل امراً عاديًّا لاننا ألفناها واعتدنا القراءة عنها ورؤية صورها وصور امثالها من الآلات التي تغزل او تنسج او تصهر او تسبك او تنقل او ترفع او تقطع ، فكأنها كلها احياء عاقلة تماثل الاحياء العاقلة ذكاء وارادة وتفوقهم قوة ومضاء ودقة في اعمالها

كل هذا والآلة المذكورة وما هو من قبيلها لا تعمل عملاً يحتاج الى التعقل والاختيار. فما قول القارىء بآلة تستطيع ربة البيت ان تديرها بالتلفون فتأمرها ان تطفىء النار تحت قدر الطعام فتفعل او آلة اخرى تحسب حسابات رياضية معقدة في خمس دقائق اذا حاول رياضي بارع حسابها استغرقت اسبوعاً من وقتهِ او اكثر . او آلة اخرى صنعت في شكل الحنجرة تنفخ بها الهواء بمنفاخ فتنطلق منها الفاظ الاحرف المختلفة وما يتركب منها .حقاً ان الانسان ابدع في السيطرة على عناصر الطبيعة والنفوذ الى مكامن اسرارها بل هو في صنع هذه الآلات الدقيقة العاقلة تقريباً مبدع ايّ مبدع ، لايجاريهِ في ابداعهِ الا الكيماويُّ الذي سلب الطبيعة اسرار التركيب والخلق وجاراها في صنع المواد الآلية ولا بدَّ يوماً من ان ينتزع منها سرَّ الحياة كما ترى في مقال آخر في هذا الجزء ، فيحرز الفوز الذي يدنيهِ من عروش الآلهة

وقد اطلعنا في مجلة العلم العام الاميركية على اوصاف آلتين من هذا القبيل فاقتطفنا منها ما يلي :

التلفكسُ Televox

المستنبط رجل اميركي من مهندسي شركة وستنهوس الكهربائية يدعى ونزلي .

والاستنباط الذي اطلق عليهِ اسم التلفكس عبارة عن آلة لاسلكية للاستقبال اكثر تعقيداً من الآلات العادية تحتوي في داخلها على محطات كهربائية صغيرة كلٌّ منها تتأثر بصوت يختلف طول امواجهِ وقوتها عن الصوت الذي تتأثر بهِ المحطة الاخرى . فاذا تأثرت احدى هذه المحطات بالصوت الذي يلائمها فعلت فعلاً خاصًّا أُعدت لهُ من تلقاء نفسها كأنْ تقفل المفتاح الكهربائي الذي يحمي الوجاق الذي يطبخ عليهِ الطعام

وهذه الآلة ليست متصلة بالتلفون بل صنعت لها يد كهربائية واذن كهربائية من قبيل سماعة تلفون شديدة الاحساس بالاصوات المختلفة . فاذا قرع جرس التلفون ارتفعت اليد الكهربائية الى سماعتهِ وقربتها من اذن الآلة فتصغي الى الاصوات التي تحدث فيها . فاذا كانت امواج الاصوات من طول معيَّن وقوة معينة تأثرت بها احدى المحطات الكهربائية الصغيرة التي في داخلها وفعلت الفعل الذي أُعدت لهُ . ومع ان الآلة اعدت حتى تتأثر بالصوت البشري اذا اختلفت قوتهُ ، فلسهولة ادارتها صنعت لها اربع اشارات صوتية مختلفة

ولبيان عمل هذه الآلة افرض ان زوجتك في بيت صديقة لها وان في بيتك آلة من هذا القبيل . فتطلب زوجتك نمرة التلفون الذي في بيتك وحالما يقرع الجرس فيهِ ترفع يد التلفكس الكهربائية سماعة التلفون فتحدث في رفعها صوتاً خاصًّا يدل زوجتك على انها متصلة بدارها . عندئذٍ تُحدث الزوجة بآلة خاصة اشارة صوتية خاصة من قوة معينة كأن معناها « هالو . استعد للعمل » فتجيبها الآلة بصوت آخر مؤداهُ « اني مستعد — ماذا تأمرين » . فتحدث حينئذٍ اشارة صوتية مؤلفة من صوتين كأنهما اشارتا تلغراف يفهم منها التلفكس « افتح الزرّ الكهربائي الذي يشعل النار تحت قدر الطعام حتى يكون الطعام جاهزاً للعشاء » فيفعل ويجيبها باشارة مؤداها انهُ فعل . وهكذا تستطيع زوجتك ان تأمر هذه الآلة بسلسلة من الاشارات الصوتية فتفعل ما هي معدة لهُ من الافعال الكهربائية وبذلك تستغني عن الخادم في البيت يقوم بهذه الاعمال في اثناء غيابها

وقد صنعت ثلاثة آلات من هذا القبيل لدائرة من دوائر الحكومة في وشنطن وأُقيمت حرَّاساً في احواض الماء التي توزع منها المياهُ على المدينة . فيستطيع القائم على ادارة هذه الاحواض ان يعرف مستوى الماء فيها معرفة دقيقة بمخاطبة الآلات المذكورة على الاسلوب المتقدم

الانتغراف Integraph

مستنبط هذه الآلة الغريبة الدكتور ڤانيفر بُش استاذ علم نقل القوة الكهربائية في معهد مستشوستس الصناعي بمدينة بوسطن وقد عاونهُ فيهِ نفر من مساعديهِ

وصفها المستنبط بقولهِ: « هي آلة لجمع الارقام بلغت الغاية القصوى في صنعها » فان الآلات العادية التي من هذا القبيل تتناول الارقام والكميات الرياضية المحدودة ولكن هذه الآلة تتناول الكميات الرياضية غير المحدودة التي يطلق عليها اسم « المتغيرات » variabies وقيمة هذا التغير تختلف باختلاف غيرها من المتغيرات التي تتصل بها وتعتمد عليها . فانك مثلا اذا نقلت سلّماً من الخشب ملقيًا على جدار من الجدران تغيرت المسافة بين رأس السلم وسطح الارض والمسافة بين اسفل السلم والجدار وكلتا القيمتين متغيرتان وتغير الواحدة رهن تغير الاخرى . وقد كان هم الرياضيين ان يبتكروا طرقاً رياضية للتوحيد بين هذه الكميّات المتغيرة ومن هنا نشأ حساب التمام والتفاضل . فقد يطلب الى مهندس مثلاً ان يحسب معدل الارتفاع او الانخفاض في مستوى نهر من الانهر فيبتدئ اولاً بمسح الروافد ودرجة انحدار الارض التي تجري فيها ومقدار المطر الذي يقع في الاراضي التي تخترقها وغير ذلك من الاحوال المتغيرة التي لا بدَّ من معرفتها ثم يوحّد بينها ويستخرج منها نتيجة واحدة .وبعض هذه المسائل الهندسية شديدة التعقيد لا يستطيع المهندس ان يحلّها في اقلّ من شهرٍ وقد يتعذر حلها عليهِ بالطرق الرياضية المعروفة

ومن الغريب ان عقل «الانتغراف» الكهربائي ليس اكثر ولا اقل من مقياس او «متر» كهربائي كالمقياس الذي يقيس مقدار ما يستعمل من القوة الكهربائية لانارة دارك

يأخذ الرياضيّ المعادلات الرياضية المختلفة التي ترمز الى الحقائق المختلفة التي يُطلب توحيدها ليستخرج منها نتيجة واحدة يرمي اليها فيضع رسماً بيانيًا لكل منها ويدخل كلاً من هذه الرسوم في مكان خاص من الآلة الواحد بعد الآخر . فتمر ابر خاصة في الآلة على الخطوط المنحنية التي على الرسوم فتختلف القوة الكهربائية في الآلة قوة وضعفاً باختلاف المنحنيات التي تمرُّ عليها ابرها .فيكون مقدار القوة التي يدوّنها المقياس الكهربائي لمجموع هذه الرسوم هو العدد الموحّد للكميات المختلفة والجواب المطلوب للمسألة المعقدة . والمقياس متصل بمحرك يحرك قلماً فبدلاً من ان يعطيك نتيجة المسألة ارقاماً يرسمها لك رسماً بيانيًا وهو ما يطلبهُ المهندس في الغالب

المجرم القديم

تعليل آخر لجريمته

الفجيعة العظمى في الحياة هي النضال مع قوى لا يستطيع الانسان ان يسيطر عليها فيرى نفسه مع الحياة في جلاد عنيف هي تدفعه في غماره وهي هي التي تنزع منه ثمرات الفوز المبين . كثيرفي صدره نزعة شديدة الى الابداع والابتكار او ميلا قوياً الى السيادة والسلطان او توقاً غلاباً الى التنعم في ظل الحب فيقف قواه على تحقيق مطالبها العليا . وحين يشعر ان غصن النصر يكاد يلتوي بين يديه تديله من غضبها وجورها ضربة أثر ضربة . فاما ان تظهر عجزه عن الابداع او تقوض صرح المجد الذي بنته له في موج من المنايا على اركانه من الاسل او تقلب له نعيم الحب جحيماً يتقلب فيه على نيران الغيرة اللاذعة او الشرف المسلوب. وفي المقال التالي وصف بليغ لفجيعة رجل من اعلام التاريخ رنا الى الخلود عن طريق الابداع الفني فلما تبين له عجزه لجأ الى الحب فصدف عنه حبيبه فاراد ان ينتقم من الحياة وابنائها فجعل هيكل افسس المشهورطعمة لنيران لا تبقي على عجائب الفن ولا تذر

من الأوليات التي نحفظها عن ظهر قلب منذ حداثتنا ان عجائب الدنيا القديمة سبع : (١) أهرام مصر . (٢) حدائق بابل المعلقة . (٣) تمثال جوبتر الأولمبيّ . (٤)منارة الاسكندرية . (٥) تمثال رودس .(٦) هيكل ارتميس في أفسس. (٧) مدفن الملك موزل

وإذا استثنينا أهرام مصر ، شعار هذا الوادي الخالد ، فإن أيدي الحدثان قد عملتْ في تلك العجائب القديمة فلم يبقَ من شهرتها الذائعة إلاّ الأخربة الدارسة . وقلّما تفرّغنا لبحث الاسباب الطبيعية أو الزمنية التي أودتْ بكلّ من هاتيك العجائب. على أنّ لاحداها — هيكل افسس — شهرة مزدوجة بأن تاريخ دماره غير خافٍ عنا . ومفاده ان ذلك الهيكل المشاد لعبادة الالهة ارتميس المعروفة باسم ديانا ،أحرقه مجنونٌ يُدعى ايرستراتس ، شاء ان يكون كبعض الغزاةِ الفاتحين الذين يخلّدون أسماءهم بما يهدمون من أثرٍ عظيم . وقد جاء بفعلته الشنعاء سنة ٣٦٥ قبل الميلاد في نفس الليلة التي وُلد فيها اسكندر المكدوني . وكان من حنق أهالي افسس انهم أصدروا أمراً بحرم التلفّظ باسمه أو الالماع إلى ذكرهِ ، على أن يكون الاعدامُ جزاء

مخالفة هذا الامر . وكذلك استُعمل اسم ايرستراتس فيما بعد في جميع اللغات للدلالة على الخامل الاحمق الذي يأتي الأمر المنكر للحصول على شهرة ولو شائنة

***

بيد ان الشعراء أحياناً يرحمون . فتحركت الشفقةُ في قلب الشاعر الالماني ريتر وأنشأ حول هذه الحقبة التاريخية رواية تمثيلية كان ايرستراتس بطلها التعس المقهور في ذلك العهد ، أي حوالي منتصف القرن الرابع قبل المسيح ، كانت بلادُ الاغريق في اوج الخطر والعظمة . بل كأنما هي بما انتهت اليهِ خلقت حاسة العظمة نفسَها التي تجيشُ الآن في صدورنا كلّما ذُكرت إغريقيا وتاريخها المجيد . فاذا كان هذا مبلغ العظمة فينا بعد كرّ العصور ، فكيف بهِ في نفوس الاغريق وهم « يحيون » عظمتهم ويخلقونها يوماً بعد يوم في ترنح الكبرياء وشهوة المنافسة والتفوُّق ؟

يذكر التاريخ في هذا الباب ، ان القائد تمستوكليس قضى ليلتهُ ساهراً معذَّباً إذ بلغهُ انَّ زميلهُ القائد الاثيني ملتيادس تغلَّب على الفرس وعاد منهم بالغنائم والسلائب ، فقال كلمتهُ المأثورة : « إنّ الغار الذي تكلَّل بهِ ملتيادس يقصي النوم عني ! » . وفي هذه الكلمة بعض الدلالة على ما كان في القوم من حبِّ المنافسة والتفوُّق بعضهم على بعض

كلُّ مظهر عظيم من قدرة الشعب كان يخلَّد في قصيدةٍ رائعة ويسجَّل في تحفةٍ فنيَّة ممتازة . وبهذهِ الوسيلة تعلَّم الرجالُ كيف ينقلبون أبطالاً ، وشاء الابطال أن يصيروا آلهة . والبلاد فوق جمال موقعها وصفاء سمائها ، تضيء بنورٍ أسنى من نور شمسها وأنقى . ألا وهو نور الحياة الجديدة والجمال الفنّان الذي خُلق حديثاً على يدِ الاغريق . وأثينا بين الاقطار الاغريقية مركزُ المجدِ وقمَّةُ الخلودِ ، لأنها هي التي جاءت بالعبقرية ، والبرثنون ، والديمقراطية ، والحكمة . وعلى كرسيها الديمقراطي يحكم رجل سعيد مجيد ، هو بريكليس

ومن ضفة البحر المقابلة ينهض في أفسس رجلٌ آخر ، هو ايرستراتس ، ليمثل الشقاء حيال السعادة ، والخيبة ازاء الانتصار

***

بدلاً من ان يرى الشاعرُ الالماني في ذلك المجرم مجنوناً أخرق ، شاء ان يخلق منهُ

المظهر الآخر من العظمة المخذولة ، فيأتي بشخص تاريخي خالد في مذلته واندحاره يقدم لكل منا ولو لمحة سريعة من شخصيته في احوال خاصة . إذ من ذا الذي لم يذق مرارة الخيبة وعقم الجهود ، ولو مرة واحدة في حياته ؟ قرأ الشاعر في ذلك الشقاء السحيق فاخرج منه لباب الحياة . وما مقدرة الفنان إلا في كونه يرى من جوانب النفس وسرائر الضمير ما لا يلمحه الآخرون ، فيعمد إلى وسائله الخاصة ليُرينا تلك الخفايا بعينه ويحملنا على اكتناهها بادراكه واستعداده . فينال منا موافقة سريعة مقرونة بشيء من الدهشة . ولئن سهل ذلك في الحوادث القديمة اكثر منه في الحوادث الجديدة الشائعة ، فذلك لا ينفي ان الفن واحد وسحره متشابه في القديم والجديد على السواء

فايرستراتس في هذه الرواية ذو مزاج فني قوي صادق في شذوذه وتلهفه وتوجعه ، حري بالاهتمام والرحمة لانه جبار بانفعاله وطمعه ، قزم بعمله وانتاجه . يطمع في نحت التماثيل الرائعة وإبداع آيات الجمال . فلا يفلح في ان يكون اكثر من عامل ضئيل يصنع النصب السخيفة المعنى والتماثيل الصغيرة للاوثان والمعبودات . فكيف يحتمل هذه الضعة وهذا العجز ، وهو عائش في ظل هيكل أرتميس العظيم ؟

شاد بايونيوس تلك المعجزة المرمرية تجاه البحر في مدينة أفسس فكان ذلك الهيكل موضع الاعجاب والحسد من العالم الاغريقي و« البربري » جميعاً . فالاعاجم كالاثينيين والاسبارطيين يقصدون اليه ، ووفود الحجاج تتهافت عليه من كل صوب للعبادة الدينية والحاسة الفنية معاً . أما هو ، ايرستراتس ، فيزداد شعوراً بعقمه وقحطه إذ يجلس في ظل تلك الجدران المحدثة عن خلود العبقرية ، ويحدج في الافاريز الشاهقة مفكراً بان الفنان القديم وضع من هذه الرؤيا الفخمة الحجر الاخير في صرح مجده

حول الهيكل تنبض الحياة الغنية المتنوعة . هو ذا اليوم المعين لتكريم ارتميس . فالشعب يهتف رافعاً التوسلات وفروض العبادة إلى الالهة . والسفن تفرغ في المرفأ المحصحص هناك وفود العابدين والقادمين من سراقسطه . والمواكب المؤلفة من الكهان ورؤوس الاغريق والشبان والشابات تخرج من الهيكل في عزيف وترنيم ، وكأن فيها يتمثل العالم الاغريقي بدينه الجزل السعيد وعبادته للجمال المحسوس . وفي هذا المرح

العام ، ايستراتس وحده شقيٌّ مفجوع . وإذا بوالدته الكفيفة التي يحبُّها تخرج من منزلها الحقير وتأتي اليهِ لتؤاسيهِ وتطيب خاطره . فيجيبها في حرقةٍ وانتحاب :

— « لقد قدتني صغيراً إلى هنا أمام الهيكل وقلت لي باكية : « ألا فليتملكك يا بني ، حبُّ الشهرةِ الطائرة لتكون خليقاً بابيك الذي هرق دمهُ في سبيل المجد والعظمة ! ألا فلتقدك شهوة الشهرة الدائمة ، يا بنيَّ ! » . إذ ذاك طويتُ ركبتيَّ أمام مذبح أرتميس ، وهمستْ شفتاي الغضتان بصلاةٍ حارَّة فقلتُ : أنيليني الشهرة ، ايتها الالهة العظيمة ! »

عادت والدتهُ إلى المنزل الحقير متعثرة في حزنها وخيبتها . تخرج عليهِ حين ذاك ايجيزيا تاجر تماثيل ارتميس بنهرهُ ويدعوهُ إلى العمل الذليل المملول . فلم يسمعهُ ايستراتس . ولا هو سمع صوت الفتاة الايونية التي تهواهُ ، كليسيا سليلة بايونيوس الجميلة ، مع انهُ كان يبادلها الحبَّ . غير انَّ شهوة المجد الجائمة في نفسهِ جعلتهُ قاسياً شرساً ، واوصدت قلبهُ دون كلّ عاطفةٍ رقيقة حلوة . في حين كليسيا لا تعرفُ من الحياة إلاَّ الحب ومسالكهُ ، وحاجتها الى المرح والهناء لا تدرك معنى الغم والجهاد . فهي الشباب كل الشباب الذي يتوقُ الى التمتع بعيدهِ العابر السريع الزوال . فتخاطبهُ قائلة :

— « سماعاً يا ايستراتس ! إنما نحن آثمون إذا استسلمنا للكدر والاسف في هذا النور الصافي . هيَّا نغنم اللذات في هذا النسيم العليل وهذه الضحوة الفاترة ! ولا نطمعنَّ حتى ولا بابدال حظنا بحظ باني الهيكل نفسهِ : لانهُ هو قضى ومضى ، أما نحن فمن ابناء الحياة ! »

— « كلاَّ ، كلاَّ ، يجيب ايستراتس ، لسنا من ابناءِ الحياة ولا نحن باحياء لاننا لم نتفوَّق على احد . الحياة فوز وانتصار وإلاَّ فموت امرئٍ من الموت . أبناءُ الحياة هم فيدياس النحات المثَّال وهميروس الشاعر وسائر افذاذ العبقرية . اولئك يظلون احياء يرتعون في شباب إلهي وجمال لايذبل حتى يوم تدرس آثارهم وتذرُّ الرياحُ الاربع ترابهم . اما نحن فكأننا لم نولد ، ويا ليتنا ما ولدنا ! »

ايستراتس الشقي يدرك شأن الرسالة من العظماء الى بني الانسان ، يدرك شأنها الخطير في حياتهم ولاسيا بعد مماتهم. هم الذين نظموا في خيالهم عالماً كاملاً جميلاً ثم حققوهُ بفنونهم واعمالهم — فلاسفة كانوا ، أم ساسة ، ام قواداً ، ام فنانين أم شعراء ،

فصارت الصور التي اوجدوها في عالم المحسوس جزءاً نفيساً من الثروة العامة . بل لولا ما جاء بهِ إبداعهم لمرّت الاجيالُ والاحقابُ والدنيا اقل غنىً ورفعةً وجمالاً ، ولتوالت الشعوبُ وليس بينها وبين الانعام كبير فرقٍ . تلك هي الرسالة التي تطبع العظماء بطابع المجد ويظهر ان كلَّ الغاية مما تكنّهُ الازمنة وتبديهِ الامكنة ان يكون غذاءً لمجدهم ووسيلة لتشعُّع عبقريتهم ... وهذه فجيعة ايرستراتس : لانهُ مع ادراكهِ ذاك لا يستطيع ان يكون « عظيماً » ! عقلهُ ومخيلتهُ وعواطفهُ تصخب بعناصر الابداع فلا تأتي يدهُ بغير الفنّ المشوّه الزري ...

***

ولكن ها هي ذي فرصةٌ سانحة ! إذ ان مدينة أفسس عزمت على استبدال تمثال ارتميس الخشبيّ المحطم بآخر من المرمر تزين بهِ صرح الهيكل ، وعهدت بهذه المهمة إلى ايرستراتس صانع التماثيل الوضيعة . وانما اختارتهُ لذلك لانهُ من أبناء أفسس ولانهُ ألف صنع تماثيل الآلهة

رعدةُ الفنّ والابتكار تنتابُ ايرستراتس : مباركةٌ أنتِ يا أرتميس ، فقد أصغيت إلى توسُّل الطفل الذي عاش عند اعتابكِ ! وقد آن الاوان ليعرفهُ الناس خلاقاً !

فاحتبس في مخدعهِ مبالغاً في تجريد نفسهِ من المسرات ، معرضاً عن كليسيا وعن أحاديث الغرام ، ساهراً ليلةً بعد ليلة في التخيُّل والقياس والجهاد والعناء . يحاول ويجرّب وينحت ويبني ويهدم ، ثم يبني من جديد ولكنهُ لا يجني غير الفشل . في خاطرهِ تتجسّم الصورة وتعظم الهيئة ، ولكن هيهات لليد ان تطيع العقل المبدع . . . وعلى ذلك تنصرمُ الليالي وتمرُّ الايام ، فيتذمر الشعبُ ويعمدُ إلى فتح مسابقة بين ايرستراتس فنّان مدينة أفسس وفنانٍ اثينيّ دعوهُ اليهم ، ألا وهو بركسيتيلس العظيم

قدم بركسيتيلس على ظهر سفينة أثينية فهرع الشعب الى لقائهِ وسارت امامهُ قيان أيونيا عازفات على القيثارات ، منشدات اناشيد الترحيب والفرح ، مبديات جمالهنّ وكانهُ يتهيأ للتجلّي أمام كلٍ من يقدرهُ . ومشى في الموكب الحافل الكهنة والشيوخ والفتيان ، ودخل الفنان دخولَ الفاتح الظافر . وكانما هو في اتجاهه نحو الهيكل المتألّق في الافقِ البهيّ ، يحملُ معهُ عظمة أثينا وبلعميها ، ويلقي على جدران أرتميس ومضاتٍ من ضياء البرثنون العالي تحيةً من فيدياس وترافقهُ أناشيد صوفوكليس في جلبة بهيجة من تغريد الاطيار بين أغصان الزيتون المقدسة

وشتان بين ابرستراتس وهذا الذي جاء ينافسهُ! فبركسيتيلس يحب الحياة السائغة خالصة من الغمّ والكد، وما الحياة عنده سوى التمتّع باللحظة العابرة، وإذا عمل فشأن من يلهو ويلعبُ ولا يعنيهِ شيءٌ من منزلة المجد والخلود. بخلقهِ ذاك جاز الهوّة القائمة بين ابرستراتس وحبيبتهِ فتلاقى الاثينيُّ وكليسيا على معنى الحياة وتفاهما على لذاذة الحبّ. ذلك التعس القاصر ينقلبُ عدوًّا للحياة بسبب الفنّ الذي يعصاهُ، وهذا السعيد الظافر يخلقُ الالاهات من مشهد الفتيات وما الالاهات عندهُ إلا هنَّ، وفي ملامحهنَّ الساحرة تمتزجُ الالوهية بالانسانية ويتوحّد الفن والحياة . . .

***

الجمالُ هو الجسر الواصلُ بين الارض والسماء. ففي أثينا نحت بركسيتيلس تمثال افروديت الاهة الجمال فما كان ناسخاً إلا جمال غادةٍ أثينية. وهنا في افسس سيستوحي جمال ارتميس من جمال بناتها

لمح بركسيتيلس الفتاة كليسيا أمام الهيكل، بينا غادات أفسس ينشدن حولهُ، فلمعت عيناهُ ببريق الالهام. أليست هذه أرتميس بعينها تُعلن نفسها لفنانها؟ وهذا الشباب الباهر الزائل، وتلك اللحظات الزاخرة بنعم الحب التي جحدها ابرستراتس، سيجني منها بركسيتيلس خير ما يُجنى ويخلدها في المرمر الامين. فكيف لا تميل كليسيا إلى الاثينيّ وتهواهُ، هي التي ذاقت مرارة الهجرانِ والهوان؟ وفي الوقت نفسه كيف لا تزكو الفجيعة في نفس ابرستراتس المقهور رجلاً وفنّاناً جميعاً؟

إنهُ يحاول مرةً اخرى ليعرف فشلاً جديداً. في حين أتمَّ الاثينيُّ تمثاله البديع المجسّم شباب كليسيا وجمالها بعد ان زانها بخيالهِ وألّهها بفنهِ. فعرضها في معملهِ للمتفرجين. ومضى ابرستراتس ضحية الارق والجهد العقيم، يندبُ الحبَّ الذي لم ينعم بهِ والمجد الفارّ منهُ، ويعزقهُ شيطان الحسد والكراهة لهذا الغريب الذي سلبهُ كل شيءٍ لاهياً جزلاً. وحيال التمثال الرائع شعر بانهيار احلامهِ واطماعهِ وآمالهِ. شعر بضآلة شخصيتهِ العاجزة. فحمل ازميل اليوناني الملقى بقرب التمثال وانقلب راجعاً الى بيتهِ وفي نَفَسٍ واحد حطم التماثيل المشوّهة وقطع الرخام العصية التي جرّب فيها فنّهُ وحظّهُ ولهفتهُ . . .

وإذ غادر منزله وقعت عيناهُ على كليسيا تبكي حبيبها الذي فرغ من عملهِ المجيد

هنا فأثينا تناديه لمجدٍ جديد ، والاثينيات الفاتنات يدعونهُ لغرام جديد . فيقول لها ايرستراتس :

— « بهذا الازميل حطمت تماثيلي ، نخيبتي مطبقة ولمنافسي جميع أكاليل الظفر. فعودي أنتِ إليَّ يا كليسيا ، يامتعة اللحظةِ العابرة ! أنيليني العيد البهيج السريع الذي لم اعبأ بهِ قبل اليوم ! أتقيمين على عهد من يمضي دون اسف ولا التفات ، ولن يذكرك مرة بعد الفراق ؟ »

— « إني احبهُ ، تجيب كليسيا ، وسأبقى في حبي امينة »

فيهتف ايرستراتس : « ايها العالم الجميل ، أتكون بحذافيرك مخلوقاً لمتعةِ ذلك الرجل ؟ ألا تنيلني حتى ولا الفتات المتساقط من مائدتهِ ؟ ولا الزهرة الذابلة المتناثرة من اكليلهِ ؟ أبهذا الظلم إذن توزّع الآلهةُ عطاياها ، وأنا الأحمق الابلد أثقُ برحمتها وعدلها ؟ »

***

أطبق اليأسُ على الرجل وتمّت الفجيعةُ ولا مجال بعدُ في قلبهِ للتلهّف والاسى. وإذ يخيم الظلام يرتفعُ من احشاء الليل ضرام ودخان يلتهم الهيكل المظيم ، وامامهُ ايرستراتس مشوّش الشعر ، زائغ البصر ، يحمل جذوة متقدة وهو يصيح صيحة المجنون في نشوة القنوط . انهُ قاصرٌ دون ايّ شيء ولكنهُ قضى على كل شيء . فلا هيكل بعد اليوم ولا تماثيل ، ولا أعمدة نخمة ولا آثار هناك خالدة !

أيسجن ويحكم عليهِ بالموت ويحذف اسمهُ من سجلّ ابناء البشر ؟ أجل ! على ان الموت خيرٌ من الحياة التي خدعتهُ . ولئن قضتِ الاقدارُ عليهِ فلقد قضى هو على سواهُ . فالفتاةُ التي علقت بهوى غيرهِ تلقي بنفسها في البحر ، والهيكلُ الذي لم يطبع بطابعهِ لن تقوم لهُ بعد اليوم قائمة ، وباطلا كان مجيء بركسيتيلس وباطلا كان عملهُ وحبهُ ووحيهُ !

كذلك هدم روح الشر والحسد والعجز والكراهة معجزة العالم القديم . ولكن يشفع بايرستراتس ، في نظر الشاعر الالماني ، عذابهُ ويأسهُ واستشهاده الطويل . فهو مظهر آخر ومظهر صادق صميم من توق الانسانية المتفجّعة وعبقريتها المجاهدة المندحرة . . .

« مي »

اسرار الحياة على لوح المكرسكوب

علم « تشريح الخلايا » احدث علوم الحياة [1]

البروتوبلازم ملازم للحياة . وكل الاحياء من ادناها الى اعلاها ، من المكروبات الى الانسان نفسهِ ، مبنية من جواهر هذه المادة العجيبة . ففي البروتوبلازم تظهر الافعال التي يمتاز بها الاحياء على غير الاحياء . حتى صفاتنا التي نمتاز بها عن الاحياء الاخرى قائمة في بناء البروتوبلازم الكيماوي والطبيعي

اذا نظرنا اليهِ نظراً سطحيًّا وجدناهُ مادة هلامية تكاد تكون شفافة تشبهُ زلال البيض سواءٌ كان في اوراق زهرة من الورد او في خلايا دماغ بشري . على انهُ لا ريب في ان هناك فروقاً اساسية بين جواهر هذه المادة التي تقوم بها الحياة وتميز الاحياء بعضها عن بعض . لماذا تنمو خلية الفرخة (البيضة) ديكاً وخلية السنديان سنديانة ؟ ولماذا تنفق خلايا الاوراق طُوال حياتها في صنع الغذاء وخلايا الجذوع في نقل الغذاء من الاوراق الى الجذور وخلايا الجذور في امتصاص الماء والاملاح من التراب ؟ ان سبب ذلك نوع البروتوبلازم الذي تتكون منهُ هذه الخلايا . نعم ان للبيئة والوراثة شأناً في تحديد هذا العمل ولكنهُ صغير لا يكاد يذكر ازاء شأن التركيب الكيماوي والطبيعي . فمسائل الولادة والنمو والتناسل والوراثة والتصرف والصحة والمرض — بل كل مسائل الحياة كلها — ليست الاَّ مظاهر مختلفة لبناء البروتوبلازم الكيماوي والطبيعي

والبحث في الخلايا الحية تعتورهُ مصاعب جمة . اولها واهمها هو حفظ المادة التي يراد تناولها بالدرس والبحث حيةً طبيعيةً في تصرفها . لانهُ متى وضعنا طائفة من الخلايا الحية في انبوب الكيماوي واضفنا الى هذا الانبوب احدى المواد الكيماوية اللازمة لتسهيل البحث ، وتناولناها بآلات حادة او قاطعة تغيَّر تصرف هذه الخلايا الطبيعي فيصبح غير طبيعي ونضحي وفي ايدينا مادة حية ولكنها لا تتصرف كما تتصرف في حالتها الطبيعية . وبذلك يمتاز علم الفلك على العلوم البيولوجية . لان الفلكي لا يمسُّ الجرم الذي يدرسهُ ويبحث فيهِ . ولكن رغماً عن هذه الصعوبة الكبيرة التي تعيق

(١) عن السينتفك اميركان للدكتور سيفرز استاذ علم النبات في جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة

البيولوجيين عن البحث ، لقد تمكن جمهورهم من الفوز بمعرفة حقائق كثيرة دقيقة عن بناء البروتوبلازم الطبيعي والكيماوي

***

ولا بدَّ في درس الخلايا الدقيقة والمادة الحية التي تتكون منها من الاعتماد على آلات دقيقة وعدسيات تستطيع تكبير جواهر الاجسام التي تحت النظر الى حدٍّ بعيد بحيث يتمكن الباحث من بلوغ درجة بعيدة من الدقة في عمله . وبين هذه الآلات آلة تمكن الباحث من تشريح الخلايا الحيَّة بابر معدنية دقيقة وهو ينظر اليها بمكرسكوب قوي او من استفرادها بامتصاصها بانبوب زجاجي دقيق . وقد نتج عن هذه المباحث نتائج على جانب كبير من الشأن يصح عندها ان يطلق على هذا النوع من البحث اسم «علم» وقد دعاها العالم بترفي «مكريرجي» Micrurgy وهي لفظة مبنية من «ميكرو» ومعناها «صغير» و «ارغون» ومعناها «عمل» . وتاريخ هذا العلم الحديث يلخص فيما يأتي :

رأى الطبيب باربر ان لا مندوحة لهُ عن استنباط طريقة لاستفراد مكروب واحد من المكروبات التي يتناولها بالبحث المكرسكوبي فابتكر طريقة لاستعمال انبوبة دقيقة جدًّا من الزجاج لتحقيق غايته . وطريقة استعمال هذه الانبوبة هي ان يأخذ مجموعة من المكروبات ويبسطها على لوح المكرسكوب فتكبَّر فيرى المكروبات منشورة امامهُ فيمدّ انبوبتهُ الدقيقة فيمتص بها قليلاً من السائل الذي تسبح فيهِ المكروبات فيعزل مكروباً واحداً ويزرعهُ على حدة في مزدرع جديد

وجاء بعدهُ من قال انهُ اذا كان في الامكان استعمال انبوبة دقيقة لاستفراد مكروب واحد فلا بدّ ان يكون في الامكان استعمال ابر معدنية دقيقة لتشريح خلية من الخلايا على لوح المكرسكوب ليستطيع الباحث ان يتناول دقائقها بالبحث الدقيق . وتعهدت الايدي آلة باربر فارتقت وتنوعت وتعقدت وصارت الآن آلة علم جديد من علوم الحياة . وفائدة هذه الآلة وهذا الاسلوب في درس بناء الخلايا تماثل فائدة المكرسكوب في بدئهِ في درس انسجة الجسم ومعرفة طرق بنائها

***

تشرّح الخلية الدقيقة سواء اكانت بيضة نجم البحر او كرية من كريات الدم الحمراء او ذرة من ذرات اللقاح او جنين فرخة في بدء تكونهِ كما يشرح الجسم البشري ولكن

على لوحة المكرسكوب لان هذه الخلايا دقيقة جداً قد لا يزيد طول احداها على ستة اجزاء من ألف جزء من البوصة وقد يبلغ احياناً في صغره ودقته ثلاثة اجزاء من عشرة آلاف جزء من البوصة وهو قطر الكرية من كريات الدم الحمراء . فاننا اذا رصفنا مليوناً ونصف مليون من هذه الكريات احداها الى جانب الاخرى غطت مساحة لا تزيد على مساحة ظفر السبابة

اما الفوائد التي تجنى من هذه المباحث فجمة منها معرفة وظائف الاجزاء الدقيقة التي تتألف منها الخلية . ففي نواة احد الحيوانات التي من نوع البروتوزوى والحيوان منها خلية واحدة — نواة اخرى صغيرة (Nucleolus) . اما النواة الكبيرة فعرفت وظائفها من قبل واما الصغرى فلم تعرف الاَّ حديثاً باستخدام اساليب هذا العلم الجديد . ذلك ان الطبيب تايلر نزع هذه النواة الصغيرة بابرة دقيقة جداً ولاحظ تصرف الخلية بعد ما نزعت منها فعرف انها تعيش بدونها بضعة ايام ثم تموت . ولكي يثبت ان نزع هذه النواة هو سبب الموت لا تشريحها بالابرة الدقيقة نزع النواة يوماً او اكثر من يوم ثم اعادها فدبَّ دبيب الحياة من جديد في الخلية التي كانت قد اشرفت على الموت وعت وتكاثرت . هذا مثل واحد على الحقائق الجديدة التي كشفها اصحاب هذا العلم الحديث في تشريح الخلايا وفسيولوجيتها

على ان اصحاب هذه المباحث يعنون بالاكثر في درس صفات البروتوبلازم الطبيعية امثال لزوجته ومرونته وقوته على المد وتركيبه ووجود الاغشية حول الخلايا واثرها في حياتها وحيويتها

ومن المسائل التي تناولها الباحثون كثافة البروتوبلازم في اجزاء الخلية في ادوار مختلفة من حياتها . فثبت لهم ان اجزاء الخلية تختلف كثافة حين تستعدُّ للانقسام وان الاختلاف في لزوجة المادة الحية ومرونتها لهُ علاقة حيوية باعمال الخلية في اثناء نموها وانقسامها

تؤخذ كرية من كريات الدم الحمراء مثلاً وتوضع على لوحة المكرسكوب — او في الحقيقة تعلق في نقطة ماء تتدلى من سقف صندوق زجاجي صغير يوضع على لوحة المكرسكوب — ثم تغرز فيها ابرتان وتشدان فتمغط الكرية حتى يصير قطرها اربعة اضعاف قطرها الطبيعي . ثم تشرح وتنتزع نواتها منها وتعالج كما عولجت الخلية قبلاً اي تغرز فيها ابرتان ثم تشدان فتمغط النواة . وقد ثبت ان البروتوبلازم

الذي تكون منهُ نوى هذه الخلايا هو اكثر انواع البروتوبلازم مرونة ولزوجة اذ في الامكان مغط نواةٍ قطرها ستة اجزاء من عشرة آلاف جزء من البوصة فيصير طولها اربعة عشر جزءًا من الف جزء من البوصة اي تمغط النواة حتى يصير قطرها نحو ٢٤ ضعف قطرها الطبيعي . ومتى ازيلت الابر التي شدّت بها الخلية او النواة حتى تمغطها تعود الى حجمها الطبيعي

وقد أبتدعت طريقة اخرى لمعرفة مرونة البروتوبلازم . ذلك انهم يأتون بغبار النكل الدقيق ويأخذون ذرة منهُ على طرف ابرة مغشاة بالجلاتين . ثم تدخل هذه الابرة وعلى طرفها ذرة من هذا الغبار في جسم خلية وتترك فيهِ . ثم يؤتى بقطعة من المغناطيس المكهرب وتوصل بتيار كهربائي فتصبح قطعة الحديد مغناطيساً قويًّا يجذب ذرة النيكل فتسير مسافة في جسم الخلية بقوة انجذابها الى المغنطيس وتقاس هذه المسافة بآلة دقيقة . ثمَّ يوقف سير التيار الكهربائي فتعود ذرة النكل الى مكانها الاول . وهكذا تقاس نسبة المرونة في انواع البروتوبلازم المختلفة بعضها الى بعض

***

هذا آخر ما بلغهُ العلم الحديث في تشريح الخلايا ودرس طبائع مادتها الحية وخواصها فما هي الفائدة العملية التي قد تنجم عن هذه المباحث النظرية ؟

لقد اثبتنا غير مرة في هذه المجلة ان العلم يُطلَب لذاتهِ اولاً ثم تطبّق حقائقهُ ومبادئهُ على مقتضيات الحياة والعمران وان تاريخ ارتقاء العلوم ابان ان اكثر المكتشفات العظيمة لم تجنَ منها فائدة عملية ما في بدء عهدها ثم صارت اساساً لاعظم ما نراهُ في عصرنا من مقومات العمران . وضربنا لذلك المثلَ بمباحث العالم فاراداي الاولى في طبائع الكهربائية وتحقيق قواعدها ونواميسها وكيف صارت في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين اساساً للتلغراف والتلفون السلكيين واللاسلكيين والمصباح الكهربائي ووسائل النقل والانتقال والركن الاكبر الذي قامت عليهِ النهضة الصناعية في انحاء العالم المتمدن

وهذا العلم الحديث لا يشذّ عما سبقهُ من العلوم ، مع انهُ قد يفوقها في ان نواحي الاستفادة منهُ ظاهرة لكلّ عين تنظر الى ما وراء الظواهر . وعلى ذلك نضرب المثل التالي :

اذا نظرنا الى البروتوبلازم بالمكرسكوب وجدناهُ شبيهاً بمستحلب انما يختلف عن

المستحلبات في انهُ لزج مرن وهي سائلة غير لزجة ولا مرنة . ولكن من المواد البروتينية ما هو هلامي القوام يشبهُ البروتوبلازم في مرونتهِ فهل المواد البروتينية في البروتوبلازم مقرُّ هذه الصفة الملازمة للمادة الحية ؟ واللبن مستحلب ايضاً اذا نظر اليهِ بالمكرسكوب ولكنهُ اذا تخثر صار مرناً كالهلام ولم يظهر ادنى اثر لمحتوياتهِ الدهنية في عمل التخثر هذا لان المواد البروتينية فيهِ اي الكاسين هي التي تتخثر

والبروتوبلازم يبلغ في كثير من الاحيان درجة بعيدة من المرونة . وهذه صفة من صفات المواد الهلامية لا تشاركها فيها السوائل والمذوبات الآلية المخففة . فيظهر من ذلك ان البروتوبلازم مادة هلامية لا مجرَّد مستحلب عادي . وانهُ من حيث مرونتهُ مادة هلامية بروتينية وان في هذه الحقائق يجب ان نبحث عن اغمض اسرار الحياة

والبحث في مرونة البروتوبلازم ادَّى بالباحثين الى معرفة كثير من خصائص كريات الدم الحمراء . ذلك انهُ ثبت لهم ان كريات الدم الحمراء غير المرنة اي التي لا تقبل الضغط كما تقدم هي في الغالب كريات مريضة . وقد يبنى على هذه الحقيقة اساليب جديدة لامتحان صحة الناس بامتحان كريات دمهم الحمراء من هذا القبيل

ومن المعروف ان لعنصري البوتاسيوم والصوديوم اثراً كبيراً في المباحث البيولوجية الطبية . وان عنصر البوتاسيوم كثير في النواحي السرطانية ومقدارهُ فيها مقياس للاطباء يقيسون بهِ قوة السرطان في الجرذان . وعليهِ اخذ الطبيبان تشمبرز ورزنكوف يجربان تجارب دقيقة في حقن الخلايا الحية باملاح واصباغ مختلفة لمعرفة اثرها في حيوية البروتوبلازم وتركيبهِ . فمباحث من هذا القبيل مهما كانت نظرية في البدءِ لا بدَّ ان يبنى عليها ما هو عمليٌّ فيما بعد

اضف الى ما تقدم المباحث الدقيقة التي يقوم بها العلماء لمعرفة العلاقة بين الكهربائية والحياة على وجه دقيق يتضح لك ان البحث في صفات البروتوبلازم الطبيعية لا بدَّ ان يؤدي الى توسيع نطاق المعرفة عن طبيعة المادة الحية وفلسفة افعالها في احوال مختلفة من الصحة والمرض . وعلى اساس هذه الحقائق فقط يستطيع الاطباء ابتكار طرق طبيعية وافية لمعالجة الامراض وشفائها

قال ڤيبر العالم الفسيولوجي النمسوي الشهير : « ان مسائل الحياة هي مسائل البروتوبلازم » وهذا القول شعار ودستور لاصحاب هذا العلم الجديد

كلب يتعلم القراءة

وحقائق عن تعليم الحيوان

كان لورد افبري من كبار الماليين . لكن اشتغاله بالمال لم يمنعه من الاشتغال بالعلم ولاسيما المباحث العلمية الكثيرة التجارب التي تسلي المشتغل بها كالبحث عن طبائع النمل والنحل . وما يلي خلاصة مقالة له من هذا القبيل ننقلها الى القراء لما تحتوي عليه من الحقائق العلمية مفرغة في قالب شائق

اتى بقطعتين متساويتين من الكرتون (المقوّى) طول كلٍّ منهما ٢٥ سنتمتراً وعرْضها سبعة سنتمترات وطبع على واحدة منهما كلمة طعام بالانكليزية « food » بحروف كبيرة ولم يطبع على الثانية شيئاً ووضع الاولى على صحفة فيها قليل من الخبز واللبن . والثانية على صحفة فارغة واتى بكلب أليف من الكلاب الصغيرة التي لها شعر طويل جعد وهي مشهورة بشدة نباهتها وسمح لهُ ان يرفع القطعة عن الصحفة التي فيها الخبز واللبن ويأكل ما فيها وكرر لهُ ذلك مراراً حتى شبع . ثم اعاد ذلك مدة عشرة ايام متوالية فصار الكلب يميز بين القطعة التي عليها الكتابة والقطعة الخالية منها . وبعد ذلك طرح القطعتين على الارض وامرهُ ان يأتي بهما فصار اذا جاءهُ بالقطعة التي عليها الكتابة يعطيهِ لقمة من الخبز واذا جاءهُ بالاخرى يطرحها ولا يعطيهِ شيئاً واستمرَّ على ذلك شهراً من الزمان فصار الكلب يميز بين هاتين القطعتين تمييزاً واضحاً

واتى بقطع كثيرة من الكرتون طبع على واحدة منها كلمة « خارج » وعلى الثانية كلمة « شاي » وعلى الثالثة كلمة « عظم » وعلى الرابعة كلمة « ماء » وعلى قطع اخرى كلمات اخرى لا يهمّ الكلب امرها وابقى بينها قطعاً بيضاء لا كتابة عليها فتعلم الكلب بعد زمن قصير ان يميز بينها ويأتيهُ بالقطعة المطلوبة منها فاذا جاع اتاهُ بالقطعة التي عليها كلمة « طعام » واذا عطش اتاهُ بالقطعة التي عليها كلمة « ماء » واذا اشار اليهِ بالخروج من البيت اتاهُ حالاً بالقطعة التي عليها كلمة « خارج » واسرع بها الى باب البيت

وكان يغير لهُ اوضاع هذه القطع واماكنها حتى لا يهتدي اليها من وضعها بل من شكل الكتابة التي عليها . ثم خاف ان يكون اهتداؤهُ اليها من رائحتها فطبع كلمة طعام على قطع كثيرة وكذلك كلمة شاي وهلمَّ جرًّا وكان اذا جاءهُ بقطعة عليها كلمة طعام

يأخذها منهُ ويضع قطعة غيرها بين القطع فيهتدي اليها ويأتيه بها فيأخذها منهُ ويضع غيرها وهلمَّ جرًّا حتى لقد يبدل لهُ ١٨ قطعة فلا يتعذر عليهِ الاهتداء اليها دلالة على انهُ كان يميزها برسم الكتابة التي عليها لا بشيء آخر. وكان يضع قطعة عليها كلمة «ماء» في غرفة يمر بها مرات عديدة كل يومٍ وكان الكلب يتبعهُ دائماً في خروجهِ ودخولهِ ويمرُّ بهذه القطعة فلا يلتفت اليها الاَّ حينما يعطش فيلتقطها ويأتيهِ بها

وكان يخطىء احياناً ولكنَّ خطأهُ قليل جدًّا. طلب منهُ مرةً ان يجلب لهُ القطعة التي عليها كلمة طعام مراراً كثيرة فاتى بها ثمانين مرةً واتى بالقطعة التي عليها كلمة شاي ٣١ مرةً وكان مع هاتين القطعتين عشر قطع اخرى فاتى باثنتين منها مرة واحدة وكان على واحدة منها كلمة تقرب من كلمة طعام وهي كلمة باب door والمشابهة كبيرة بينها وبين كلمة طعام food فلم يخطىء اكثر مما يخطىء ولد عمرهُ ست سنوات

وانحرفت صحتهُ ذات يوم وكان واحد يتغدَّى مع اللورد افبري واراد ان يمتحنهُ امامهُ فاشار اليهِ ليأتيهُ بالقطعة التي عليها كلمة طعام فلم يفعل فلجَّ عليهِ فاتاهُ بالقطعة التي عليها كلمة «بيت» فانتهرهُ موبخاً فعاد واتاهُ بالقطعة التي عليها كلمة شاي فسكب لهُ فنجان شاي فلم يشرب منهُ مع انهُ كان مغرماً بشربهِ وهي المرة الواحدة التي ابى فيها شربهُ

وكان عند اللورد افبري كلبة من الكلاب الكبيرة كانت ترى هذا الكلب يجلب القطع ويعطى الطعام فلم يخطر ببالها ان تفعل فعلهُ مع انها رأتهُ يفعل ذلك مراراً لا تحصى

ثم اراد ان يرى هل تميز الكلاب الالوان بعضها عن بعض فاتى بست قطع من الكرتون ولوَّن اثنتين منها باللون الاصفر واثنتين بالازرق واثنتين بالبرتقالي وجعل يمسك قطعة منها بيدهِ ويشير اليهِ ليأتيهُ بالقطعة الملوَّنة مثلها وكان اذا جاءهُ بالقطعة المطلوبة يطعمهُ شيئاً يستطيبهُ واذا جاءهُ بقطعة غيرها يأخذها منهُ ولا يطعمهُ شيئاً ويأمرهُ ان يأتي بغيرها . واستمرَّ على ذلك ثلاثة اشهر فلم يدرك الكلب التمييز بين هذه الالوان الثلاثة فظن ان سبب ذلك خلل في باصرتهِ لانَّ من الناس من لا يميز بين بعض الالوان ويقال لهذا الخلل العمى اللوني . فامتحنهُ في تمييز الاعداد فرسم على لوحة خطاً واحداً وعلى لوحة اخرى خطين وعلى لوحة ثالثة ثلاثة وحاول تعليمهُ الفرق بينها واستمرَّ على ذلك عشرة اسابيع فلم يفلح . ولكنهُ لا يحسب ان تجاربهُ تدل دلالةً قاطعة على ان الكلب لا يمكن ان يميز بين الواحد والاثنين والثلاثة فان

العالم لروى استدل على ان الغراب يعد الى حد الاربعة وذلك انهُ اراد ان يصيد غراباً من قترة وكان الغراب حذراً لا يدنو منها ما دام احد فيها فادخل اليها رجلين ثم اخرج رجلاً منهما فلم يدنُ الغراب منها كأنهُ علم ان واحداً من الاثنين لا يزال فيها . ثم ادخل اليها ثلاثة رجال واخرج اثنين منهم فلم يدن الغراب منها ايضاً كأنهُ ميّز انهُ لا يزال فيها واحد . فادخل اليها ستة رجال ثم اخرج خمسة منهم فضاع الحساب على الغراب وحسب ان الرجال خرجوا كلهم من القترة فدنا منها

ورأى لتشنبرجان العندليب يعز العدد الى الثلاثة ايضاً مثل بعض المتوحشين فانهُ يغذّيه بثلاث دودات كل يوم يطرح لهُ الدودة الاولى فيلتقطها ويذهب يأكلها ثم يعود فيطرح الدودة الثانية فيفعل كما فعل اولاً . ويعود اليهِ فيطرح لهُ دودة ثالثة فيذهب ولا يعود الا في اليوم التالي

وقال اللورد افبري انهُ كان اذا وجد بيضتين في عش واخذ واحدة منهما عرف الطائر ذلك وترك عشهُ ولكن اذا كان في العش اربع بيضات واخذ واحدة منها فالغالب ان الطائر لا يدرك ذلك فلا يترك عشهُ

ثم ذكر لورد افبري بعض التجارب التي اجراها ليعرف بها مدارك النمل والنحل فقال انهُ افرغ جهدهُ ليعلم هل كان النمل يسمع الاصوات المختلفة كصوت الزمارة والصفارة فلم يظهر انه يسمع شيئاً منها . فحاول ان يعلم هل كان يدعو بعضه بعضاً بصوت لا يسمعهُ فنصب امام قرية من قراهُ ستة اعمدة صغيرة من الخشب ارتفاع كل منها نحو اربعة سنتمترات ووضع على رأس ثلاثة منها قليلاً من العسل ووضع عليهِ بعض النمل فجعل يأكل منهُ حالاً ولو سمح لهُ ان ينزل ويعود الى قريته لاهتدى كثير من النمل الى العسل ولكنهُ لم يسمح لهُ بذلك بل رفعه بيدهِ ووضعه حيث لا يمكنهُ الرجوع الى قريتهِ ووضع غيرهُ بدلاً منهُ واستمرّ على ذلك اربع ساعات وقال : انهُ لو كان النمل ينادي بعضهُ بعضاً لنادت هذه النملات غيرها ليأتين ويأكلنَ معها ولكنها لم تفعل بدليل انهُ لم يصعد على هذه الاعمدة الثلاثة الا سبع نملات وصعدت على الاعمدة الاخرى التي لا عسل عليها سبع نملات اخرى فصعودها عليها من باب الاتفاق وهي تسعى في طلب رزقها لا بنداء خاص من اخواتها . ثم ترك بعض النمل يأكل العسل ويرجع ادراجهُ الى قريتهِ فلم تمضِ مدة طويلة حتى اجتمع على العسل ٤٣ نملة . وكرر هذه التجربة مراراً عديدة فكانت النتيجة واحدة

وظهر لهُ من تجربة اخرى ان النمل اذا اراد ان يعرب عن مرادهِ لغيرهِ لم يعرب عنهُ بالكلام بل بوسائط اخرى فانهُ كشف قرية من قرى النمل الصناعية للشمس فخرج النمل منها وتفرَّق ثم ظلَّل جانباً منها حتى اظلم فاهتدى اليهِ بعض النمل وعاد يفتش عن غيرهِ ويأتي بهِ اليهِ وكانت النملة المهتدية تقبض على اختها وتحملها على ظهرها وتذهب بها الى ذلك المكان المظلم ثم تعود وتأتي بغيرها . فالنمل جمهوري اشتراكي تسعى كل نملة منهُ الى اشراك غيرها فيما تجدهُ من المنافع ولكنهُ لا يستطيع التعبير عن مرادهِ بالكلام ولا بالاشارة فيلجأ الى هذه الواسطة . اما استدراج النمل بعضهُ بعضاً اذا اكتشف طعاماً فالمرشد فيهِ الرائحة لا الكلام

وعاد من التجارب في النمل الى التجارب في النحل لما هو مشهور من ان النحل يسمع وانهُ اذا طار خشرم منهُ زعقوا لهُ وقرعوا النحاس ونحوهُ لكي يجتمع ويعود الى خليتهِ فاتى بصندوق موسيقي ووضعهُ في حديقة فيها خلايا النحل وادارهُ ووضع عليهِ قليلاً من العسل حتى يسمع النحل صوت الموسيقي وهو يأكل العسل فيحسب ان بينهما علاقة واستمرَّ على ذلك عشرة ايام ثم رفع الصندوق ووضعهُ في مكان مرتفع يطلُّ على الحديقة فلم تهتد اليهِ نحلة من النحل مع ان صوتهُ كان يملأ الحديقة. ثم اعادهُ الى الحديقة فاهتدى النحل اليهِ حالاً . وبعد تجارب كثيرة من هذا القبيل استنتج ان النحل لا يسمع مطلقاً فلا يستطيع ان يهتدي الى العسل من صوت الصندوق او انهُ يسمع ولكن المدة التي سمع فيها الصوت الموسيقي غير كافية لتجعلهُ يعلّق وجود النحل بهِ واثباتاً لامرٍ من هذين الامرين وضع العسل على الصندوق الموسيقي وعلى لوح من الزجاج ووضع الصندوق واللوح في الحديقة على بعدين متساويين من المكان الذي كان يضع الصندوق اولاً فيهِ وبعد نصف ساعة رأى على العسل الذي على الصندوق كثيراً من النحل واما العسل الذي على لوح الزجاج فلم يهتدِ النحل اليهِ . وكرَّر هذه التجربة فوجد النحل يذهب الى العسل الذي فوق الصندوق لا الى العسل الذي فوق لوح الزجاج ولكنهُ رأى ان النحل يهتدي الى الصندوق سواءٌ كانت الآلة الموسيقية دائرة او غير دائرة اي سواءٌ خرج منهُ صوت او لم يخرج فلم يكن ارشادهُ اليهِ بالصوت . ولعلَّ شكل الصندوق هو الذي هدى النحل الى العسل

ومن رأي بعض العلماءِ ان النمل والنحل يسمعان الاصوات العالية جدًّا التي لا يسمعها الانسان وانهُ ان كان لها اصوات فتكون من هذا القبيل

اي الرجال المهذب

للدكتور بطلر
رئيس جامعة كولومبيا بنيويورك

الدكتور بطلر من اكبر المفكرين الاميركيين في هذا العصر وقد كان استاذاً للفلسفة في جامعة كولومبيا قبل ان يصير رئيساً لها . والاستاذ خولي ناقل هذه المقالة استاذ لعلم التعلم والتهذيب في جامعة بيروت الاميركية ومن كتاب العربية المجيدين . والموضوع جدير بالنظر والتأمل فنلفت انظار القراء الى هذا المقال النفيس

قام كومينيس البوهيمي منذ مائتين وخمسين سنة وطلب ان تنشأ مدرسة كلية في لندن يجتمع فيها رجال العلم من كل صوب ويؤلفون كتاباً يضمنونهُ مجموع حكمة البشر وعلومهم على اسلوب يلائم حاجات الناس في الحاضر والمستقبل . وكان مشروعهُ هذا جذاباً لاهل القرن السابع عشر ولا غرو فقد كان معتقدهم اذ ذاك ان العلوم ليست الا كمية من الحقائق او المحفوظات ينبغي على المتعلم استيعابها

ولا يزال هذا المعتقد شائعاً بين اهل هذا الزمن . فكم من مرة يستدلُّ على تهذيب فلان بعدد ما يعرفهُ من اللغات او بتعدد العلوم التي تلقاها في المدرسة وبمقدار ما وعاهُ من الحقائق في ذاكرته ثم يظهر بالاختبار ان مثل هذا الاستدلال باطل وان للتهذيب الحقيقي مظاهر اخرى ابعد مرمى وافضل عائدة

فما هو التهذيب إذَنْ؟ هل هو ان يعرف الانسان احوال الطبيعة معرفة تامة منظمة؟ فان كان كذلك فكل عالم من المتقدمين والمتأخرين يكون في مصاف غير المهذبين . او التهذيب ان يكون للانسان ميل خاص للنظر في بدائع الفنون والآداب ويقضي ايامهُ بالتلذذ التصوري كانهُ في عالم الخيال لا الاعمال ؟ فان كان كذلك فكثيرون من اهل العلم والعمل ممن قادوا افكار معاصريهم وشخَّصوا المبدأ الكمالي في زمانهم واظهروا اسمى الصفات العقلية والادبية يعدون من جملة غير المهذبين

ومعلوم ان حشد المعارف يحدق بنا الآن من كل جهة ويذهلنا بوجوه اختلافهِ ومراميهِ وعلى كلٍّ ان يتنحى عن الكثير ويختار القليل . فما احرج الموقف وما اصعب الاختيار وما اكثر الذين لا يحسنون التروي فيعون من المعارف ما لا يجرُّون منهُ مغنما

ولا يدفعون بهِ مغرماً فكأنهم يكتفون بقول الناس عنهم فلان عالم حافظ لا يفوتهُ شاذ ولا ضرب من تخريجات الكلام مع ان واحدهم لا يملك من حطام الدنيا شيئاً يذكر ولا يمكنهُ استخدام محفوظاتهِ التي يتنافس بها مع رجال الزمان الطالبين الرزق من ابوابهِ الناحتين الخير من معادنهِ

وعليهِ فمبدأُ التعلم لحشد المعارف واعتبار كميتها بصرف النظر عن امكان استخدامها والانتفاع بها يسقط من نفسهِ فلنبحث عن مبدإٍ آخر في وجهة اخرى

ان المتأمل في حقائق الحياة المحلل ماجرياتها يرى ان المعارف والفواعل اجمالاً لا ترد على وتيرة واحدة ولا تؤثر في العقل تأثيراً واحداً وهي سنَّة الله في خلقهِ بها تحفظ الموازنة بين افراد الهيئة الاجتماعية ويحصل التعاضد والتعاون وتقسيم الاعمال لاختلاف المبادىء والمشارب والافكار والمساعي والنيات

انظر الى آلة نفيسة ترَ ان اجزاءها لا يصح التبادل بينها لان ثمَّ حاجات ورغائب لا تسدُّ ولا تنال بانابة هذا الجزء عن ذاك. ومثل ذلك اوجه التمدُّن العلمية والادبية والفنية والنظامية والدينية فمع انها تشتبك بعضها ببعض اشتباكاً وتظهر كأنها غير مستقلة بعضها عن بعض فهي بالحقيقة مستقلة بمعنى انهُ لا يمكن لاحدها ان ينوب مناب الآخر او ان يقوم مقامهُ فينبغي ان يكون لكلٍ من هذه الاوجه الخمسة علاقة ما في كل تعليم غايتهُ التهذيب . وهذا التعليم متى انتهى الى التثقيف لا يقاس بالفاظٍ وتعبيرات علمية او ادبية او فنية او دينية بل بما ينتجهُ من الصفات في عقل المدرَّب وسلوكهِ. والى هذه الصفات ينظر المستدلُّ على حسن التهذيب لا الى ظواهر المعرفة ومقدار موعيات الذاكرة او محفوظات الذهن . وتوصلاً الى ذلك اذكر خمسة ادلة لحسن التهذيب

اتقانه استعمال اللغة الوطنية

وهذا امر حديث في عالم التهذيب لان اللغات الاوربية الحديثة لم تعتبر من وسائل التهذيب الاَّ بعد ما انتقض حصر وسائط التعليم باللغة اللاتينية عند نهاية الاعصر المتوسطة . ففي سنة ١٥٤٩ عضد جاك دي بلاي درس اللغة الافرنسية بتصريحهِ «انها ليست مفتقرة كما يظن الكثيرون » ووضع ملكستر بعدهُ بقليل كتاباً في التعليم اضطرَّ ان يبين فيهِ سبب وضعهِ في الانكليزية عوضاً عن اللاتينية — كأن التأليف ينبغي ان يظل محصوراً في اللاتينية

وهكذا كانت الحال في اللغة الالمانية وبقي اثرٌ منها ايضاً حتى قام الامبراطور غليوم الثاني وصرّح لمجمع برلين المدرسي سنة ١٨٩٠ ان التدريس مفتقر الى اساس وطني وان اساس كل الدروس يجب ان يكون الالمانية كما انهُ يجب على المعلمين ان يمرنوا الصغار ويربوهم لينشأُوا المانيين لا روماً ولا رومانًا وان الالمانية يلزم ان تكون المركز الذي يدور حولهُ كل فرع من فروع التعلم وان بروجرام مدارس الحكومة ينبغي ان ينقح تنقيحاً يجعل لدرس الالمانية وآدابها المحل الاول

فاذا كان اول دليل عند العالم الاوربي على حسن التهذيب جودة استعمال اللغة الوطنية فانٍ درجة شباننا وطلبة مدارسنا من التهذيب الحقيقي واكثرهم قاصرٌ عن التعبير عن افكارهِ بلغتهِ تعبيراً تامًّا مفهوماً فانهُ اذا اراد احدهم ان يذكر حادثة تاريخية او يشرح مسألة علمية او يصف منظراً رائعاً تعذَّر عليهِ استعمال اللغة التي ينطق بها لانها غير فصيحة ولم يجد في محفوظاتهِ من الالفاظ والتراكيب ما يفي بالغرض المطلوب

واذا شاء احدهم ترجمة مقالة ما فانهُ يلاقي الامرَّين في التفتيش عن الفاظ واوضاع علمية لغوية تطابق المقصود اذ ليس لهُ ان يشتق صيغة جديدة لما يعرض امامهُ من الالفاظ العلمية الجديدة في اللغات الاوربية الحية او ان يسوق كلمة لغير معناها الحرفي المنقول عن سادتهِ العرب فكان القواعد وجدت قبل الالفاظ وكان الانكليزية مثلاً او الافرنسية انسب من العربية واقدر على اشتقاق الكلمات اوكان اللغة غير خاضعة لناموس النمو شأن الصلد الاصم اوكان في لغة العصور الخوالي ما يسد كل عوز في لغة العصر الحالي ويقوم بكل مطلب

فاليكم ايها اللغويون ارفع صوتي الضعيف واقول لا تضيقوا على الكتّاب والطلبة الاحداث ولا تسدوا باب التعريب بل تسامحوا في اوضاع الكلمات واقبلوا من المعرَّب ما كان سهلاً منسجماً واعلموا ان مفردات اللغة واصطلاحاتها متى تداولتها اقلام الكتاب وتنازعتها عوامل الاستعمال عاش منها جانب وهلك جانب طبقاً لناموس بقاء الانسب المسلط على عالمي النبات والحيوان

حسن السلوك

الا ترى انهُ يستحيل على الشخص ان يكون حسن السلوك في كل زمان ومكان ما لم يكن مقتنعاً في نفسهِ بفضل هذا الخلق وجمالهِ . فحسن السلوك إذن مظهرٌ لما

انطوت عليهِ النفس واستحسنهُ العقل فان كان مصنّعاً فحكمهُ حكم غشاء خارجي يمزّقهُ اقل مسٍّ لانانية صاحبهِ. ولا يكون الانسان حسن السلوك ما لم يكن في نفسهِ ترفّع واحترام يقودانهِ الى احترام غيرهِ وخير محك لانسانية الشخص سلوكهُ مع من دونهُ لان سلوكهُ مع المساوين لهُ او مع من هم فوقهُ مكيّف باغراض شتى يصعب معها معرفة الحقيقي من المزيّف

ولكن معلوماً انهُ بقدر ما نظهر لاخواننا من الاحترام والمراعاة والتلطف يحكم علينا فيما اذا كان سلوكنا هذا عرضاً مفارقاً او خلقاً ناشئاً عن حسن تربية مغروساً في افكارنا مثمراً في افعالنا . قال الفيلسوف كنت منذ قرن ونيف ان الانسان يحيا بنفسهِ لنفسهِ لا ليكون آلة تحركها ارادة هذا او اميال ذاك وعليهِ فاعمالهُ سواء كانت مختصة بهِ وحدهُ او متعلقة بغيرهِ من الاحياء العاقلة ينبغي ان تعتبر صادرة من حي مطالب لهُ من الحقوق الاجتماعية ما لغيرهِ. وبديهي ان حسن السلوك مبني على ادراك هذه الحقيقة وكل تهذيب يقصر عن غرس المبدإ الادبي في الانسان ولا يحملهُ على السلوك الحسن الناشيء عنهُ فهو حقير في ذاتهِ ناقص في مرماهُ

قوة التروي والتعود عليه

قال الكاتب : كثيراً ما عيرنا نحن الحدثين وبالاخص الاميركيين باننا مُغفلو ملكة التروي وخصائصها السامية وذلك ناشيء عن اشغالنا الشاغلة ومناحينا المتعددة واعدامنا الابعاد والوقت بالبخار والكهربائية . نرى العالم باسرهِ قريباً منا وماجرياتهُ ترد الينا بواسطة الجرائد اليومية فيطير فكرنا من منيلا الى بكين ومن بكين الى الترنسفال ومن الترنسفال الى هفانا . تمزقنا العواطف المتضاربة وتشغل افكارنا تصوُّرات شتى تتبع بعضها بعضاً بسرعة غريبة نقصر معها عن التروي في اية حقيقة كانت من الحقائق العظمى. هذا ما يوجههُ الينا المنتقدون وحقيق ما هو

قال سقراط : ان الحياة بدون النظر الداخلي وفحص النفس لا تعتبر حياة — الحياة التي لا ترى علل ما جرى لها في الماضي ولا تعين غاية لها في المستقبل الحياة التي لا غرض لها ولا تدرك ما يمر بها باطناً او ظاهراً هذه الحياة هي حياة حيوان لا حياة انسان. وهنا تظهر المقابلة بين العقل المهذب والعقل غير المهذب . لصاحب العقل المهذب فطنة وترو واعتبارات خاصة تحملهُ ابداً على العمل في الحالات الجديدة التي ينشرها

لديهِ سجلُّ الزمان مقتنعاً بصحة ما يعمل لا يقلع عنهُ الاَّ اذا ظهرت لديهِ ادلة اوضح واكمل تحملهُ على ذلك. لصاحب العقل المهذب اقيسة من الحقائق والحكمة والاختبار البشري يقيس بها كل امرٍ جديد يطرأُ عليهِ وهذه الاقيسة لا تكتسب الاَّ بحسن التأمل والتروي. اما العقل غير المهذب ففريسة للتخيلات الطيارة وضحية للتعاليم الملبَّسة

وما اصدق ما قالهُ رنان: ان اول شرط لارتقاء العقل هو ان يكون لهُ حرية. وعنى بحرية العقل عتقهُ من سلطة ما لا يعقل واطلاقهُ ليختار المعقول المطبق على المبادىء القويمة اذ لا بدَّ لكل رجل مهذب من جملة مبادىء يعتصم بها ويدرج تقدمهُ عليها. ولا مشاحة ان درس الفلسفة هو الذي يرقي قوة التروي في الانسان الى ان يصبح عادة بحكم الاعادة ومثل ذلك درس آداب اللغة والنظامات السياسية والعلوم الطبيعية من وجه فلسفي. واعلم انك متى اخذت تسأل كيف «كيف» «ولماذا» فانت على طريق العلم والفلسفة ومبدأ التروي. والرجل الحقيقي التهذيب يسأل هذين السؤالين على الدوام وتكون النتيجة انهُ يمارس التروي والتبصر في اقوالهِ وافعالهِ

قوة النمو

من العقول ما يرقى الى درجة معينة ثم يتبلور مجازاً او يجمد ويأبى النمو فيما بعد فيعيش صاحبهُ وكان عقلهُ في عالم الغيبوبة لا يعمل من الاعمال الاَّ ما يبقيهِ حيث هو لا حركة ولا تقدُّم ولا قوة جديدة. ولا دافع على الدرس المتواصل والتعلم الذاتي اللذين هما ركنا التهذيب ومجلسا نموهِ

ولا مراء ان العقل النامي المرتقي مدى الحياة هو غاية في الجمال ومدعاة لاعجاب الناس. وهذا ما رفع المستر غلادستون الى مناصبهِ العديدة واحلَّهُ اخيراً المكانة الاولى عند امتهِ وجعلهُ مثلاً للشبان محبي الرفعة والجاه وهو مثال ما يفعلهُ كل عقل مدرَّب يصاحبهُ سعة النظر ورحابة الصدر وعمق التروي وبعد المرمى اثمار التهذيب ومظاهر نموهِ

ثم انهُ من الضروري لهذا النمو ان يكون للانسان غرض عام لان التضييق العقلي والادبي يضاد النمو فهو والنمو في حرب مستمرة. ولا ينكر ان جانباً من التهذيب الحالي هو غير التهذيب الصحيح لانهُ يجعل النمو صعباً ان لم نقل مستحيلاً. وهذا ما يعترض بهِ على بعض مديري المدارس الاجنبية في بيروت وغيرها وهو انهم يسوقون تعاليمهم وذرائع تهذيبهم للطلبة في وجهة لا تفسح للعقل مجالا للتروي ولا تعوّدهُ ارجاع

المعلولات الى علاتها والاستفهام عن الغامض « بكيف » « ولماذا »

ومن اعداء النمو ايضاً التفرغ الباكر في الحياة لعلم ما فانهُ يحدد مجال المعرفة والمصلحة ويقود الانسان الى التقصير عن ادراك نسبة مصلحتهِ الخاصة الى مصالح غيرهِ . قال الاسقف سبولد في خطاب لهُ : ان الحياة مجلس قوة يرتقي فيهِ الانسان الى درجة الادراك الذاتي ومنها الى درجة معرفة عالم الحق والنظام والمحبة حيث يبطل العمل الناشئ عن الغريزة المحضة ويتسلط العقل والضمير على افعال الانسان وتصرفاتهِ . ثم متى ترقى هذا التسلط تعمداً واختياراً فذلك هو التهذيب والتربية

المقدرة على العمل

لقد فات الزمان حينما كانت الغاية الكمالية من التهذيب الانسحاب من العالم ومتاعبهِ للاعتزال والتعمق في التأملات والتخيلات الفارغة واليوم لا يعتبر الرجل حقيقي التهذيب ما لم ينتظم في سلك العمل ويبرهن عن درجة معارفهِ بتشغيل ذهنهِ ولسانهِ ويدهِ ويسعى في تحسين الهيئة التي تضمهُ ثم يترك العالم ارقى مما لقيهُ . فالعمل ثمرة العلم ودليل على حيوية التهذيب . اعمل يا من تدعي العلم وبسط المعرفة وسعة الاطلاع وكثرة المحفوظات . اعمل ايّ عمل شئت على شرط ان تتقنهُ وتنفع بهِ . عبّر عما تعرفهُ بطريقة مفيدة ولا تتحسس العمل تحسساً ولا تكتفِ بالمعارف الوجدانية ولا تتوانَ عن اظهار شيء منها للغير فتكون اشبه برجل على جانب نهر يحاول العبور الى الجانب الآخر وقوة الماء تصدهُ ويرى لديهِ من الاخشاب والادوات ما يستطيع بها صنع رمث يركبهُ ولكنهُ لا يمد لذلك يداً ويقضي الايام حيث هو . والذي يعلم ان اميركا اكتشفت سنة ١٤٩٢ ويجهل الاحوال التي صاحبت ذلك الاكتشاف ولا يعرف علاقة هذا التاريخ بغيرهِ فاكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ او سنة ١٢٩٤ عندهُ سيان

هذه الخصائص الخمس هي ادلتي على حسن التهذيب وبها يعرف المهذبون وفي ساحتها يلتقي الطبيب باللغوي والطبيعي بالفيلسوف وكلٌّ يعرف ان صاحبهُ عالم مهذب مع ان وجوه معارفهم مختلفة ومواقف مراميهم متضاربة ولكنهم متحدون بالاخاء مرتبطون بربط الصفات التي نشأت في عقولهم مما تدربوا عليهِ من العلم والعمل . وليكن معلوماً ان بدون هذه الصفات لا يكون الرجل حقيقي التهذيب مهما اتسعت معارفهُ بل يكون اشبه شيء بمتحف الآثار يدي بدائع الصنائع وهو ميت بذاتهِ

دلائل حسن التهذيب

والتغيُّر في اساليب التعليم

تعليق على مقالة الدكتور بطلر ورجاء الى ناقلها

امام علماء التعليم والتهذيب في هذا العصر مشكلة عظيمة هي اعداد الفتيان والفتيات للاقبال على مشاكل الحياة التي تتبدل كلَّ يوم اقبال واثق بالنفس مصمم على الفوز. وذلك لان الحضارة سائرة في طريق التغيُّر سيراً حثيثاً — ففي الافكار تنبهٌ وتبدُّل وفي الاخلاق والعادات ثورة وانقلاب وفي امور المعيشة ووسائل العمران الآلية تقدّم وارتقاء وفي جميع فروع العلم وابواب البحث اكباب على كشف المجهول واستقصاء الاسباب الاولى. ترى في الطبيعيات والكيمياء والفلك والرياضيات مذاهب جديدة لبناء المادة وطبيعة النور وتعليل الجاذبية وسكنى السيارات. وفي العلوم العملية مستنبطات جديدة تطوّق الارض بامواج خفية وتنقل على اجنحتها الصور والاصوات. وفي المباحث التاريخية والاثرية مكتشفات خطيرة لا بدَّ ان يكون لها أثر كبير في احقاق الحق وتصحيح ما ذهب اليهِ الكتاب الاقدمون في اصل الانسان ومهد الحضارة وما اليهما. وفي الآراء الدينية انقلاب ظاهر على رأسهِ نفر من ابناء الكنيسة يرمون الى جعل التعليم الديني عصريًّا حتى يستمدَّ قوتهُ وتأثيرهُ من ملاءمتهِ لاساليب التفكير الحديث. فالامور التي على طالب العلم والتهذيب ان يتعلمها كثرت وتعقدت. واذا شئنا ان نعدّهُ ليسير مع غيرهِ في مضمار الحياة والعمران وجب علينا ان نعلمهُ ليواجه المشاكل الجديدة بطرق جديدة من التفكير والعمل. وهذا منشأ المشكلة التي يواجهها علماء التعليم

ولذلك عنينا بنشر مقالة الدكتور بطلر مع انهُ انقضى على كتابتهِ لها نحو ربع قرن حين كان استاذاً للفلسفة في جامعة كولومبيا. فاننا وجدنا فيها كثيراً من الحقائق والمبادئ التي لم تخلق جدتها. تُرى هل تغيرت آراؤهُ في دلائل حسن التهذيب بما حدث في اساليب الحضارة وطرق التفكير والبحث واركان الاخلاق والعادات من انقلاب وتغير؟

اننا نتقدم بهذا السؤال الى الاستاذ بولس الخولي استاذ علم التعليم والتهذيب في جامعة بيروت الاميركية احد خريجي جامعة كولمبيا الممتازين راجين منه الاَّ يضنّ على قراء المقتطف بمقال في هذا الموضوع العصري الخطير

خمسة في سيارة

٢

جرينوبل بلدٌ افرنسي محافظ على التقاليد الافرنسية . لا يعبأ بالاجانب الاَّ قليلاً وذلك من ناحية السياح الذين يقصدون الى التصعيد في جبال الالب ومن ناحية التلامذة الذين يأمون جامعتهُ

والصبغة الافرنسية غالبة على امرها في جميع ابواب الحياة الاجتماعية . فحبُّ التوفير ظاهر على كل اعمال الناس . والتقاليد التجارية العتيقة لا تزال سائدة في المصانع والحوانيت الاَّ ماكان منها خاصًّا بلبس النساء . والقهوات تملأُ شوارع البلد ولا تمتلئْ بالناس الاَّ القليل منها . وما يسمونهُ بمعدات الراحة العصرية من محلات لغسل الايدي او اماكن للمراحيض لا وجود لهُ الاَّ على حالة قذرة فيرى المسافر وكأنهُ يعيش في عصر اجداده في الريف

على ان لهذا البلد شهرة واسعة في الهندسة الكهربائية ومدرستهُ في هذا الفن في مقدمة المدارس الاوربية . اما الفندق الذي حطَّ بهِ الرحال اصدقاؤنا الخمسة فلا غبار عليهِ وكانت غرفة المصري منهم رحبة نظيفة ولكنهُ لم يمتع بالنوم ليلهُ من شرما كان يسمع من الجلبة والضوضاء في الغرفتين المجاورتين لغرفتهِ اليمنى منهما واليسرى على السواء

فكأن الحرية التي اعتاد الغربي الاستمتاع بها قد مدت جذورها حتى جاوزت الحد فواحدهم اذا حلَّ فندقاً ظنهُ ملكاً لآبائهِ واجدادهِ فيتصرف فيهِ تصرف المالك فيذهل عن جيرانه عند ما يدخل غرفته — والفاصل بينهُ وبينهم جدار من ورق او خشب لا يغني عن السمع شيئاً — فيغنيّ تارة ويضرب الارض بحذائهِ تارة اخرى ويمزح مع خادم الغرفة مرة او يداعب زوجه مرة ثانية

فلم تكن هذه الحال مما يطمئن اليها صاحبنا المصري ولم تكن لهُ من جرأة الاوربيين والاميركيين ما يجعلهُ ينتهر جاره ان اصمت وماكان لهُ من الاهتمام بحقهِ ما يحدو بهِ الى الشكوى الى مدير الفندق

وهذه نتيجة محتمة — او منطقية على قولهم — لتربيتهِ . فكأنَّ الغاية العظمى من تهذيب الاولاد وتربيتهم في البلاد التي اصطلح الناس ان يدعوها بالشرق الادنى —

وعند المتكلمين بالعربية على التخصيص — هي ان يكون خاضعاً خجولاً قانعاً متكلاً على القضاء والقدر

فالطفل منهم يصبح ويمسي بين انتهار الام وتوبيخ الاب ان هو ماشى الطبيعة التي اوجدتهُ فقفز ولعب وصاح وكسّر او سأل واستفهم . ولا تزيد تعاليم ابويه لهُ عن قولهما هذا عيب. قف استح . قبّل يدي جدك . لا تجاوب من هو اكبر منك سناً . فيكبر المسكين بين دافع الطبيعة الحرة وبين دافع التربية السقيمة خجولاً حائراً ويصير رجلا متردداً مستعبداً او في نفسه قابلية العبودية للاشخاص وللتعاليم وللمبادىء. وليس هذا مما يؤهلهُ لخوض معترك الحياة الشاق ودفع الناس بالمنكب حيث لا يجدي الدفع بالتي هي احسن

فلما اصبح الصباح واجتمع برفقائه رأى شكواهُ شكواهم ولكنهُ وجدهم ضاحكين للامر عابثين بهِ فسكت ولم يبدِ اعتراضاً . وتقدم الرفيق الافرنسي باقتراح قال : ها نحن خمسة اتفقنا على السياحة فيما بعد او قرب من هذه الجبال وما وراءها فما بالنا لا نكتري سيارة نستمتع بها كيفما نشاء فنذهب ونجيء حيثما نريد غير مقيدين بتلك السيارة الضخمة ومواعيدها وما تجمع من الراكبين . فاستحسن الجميع رأيه واجمعوا ان يكونوا في سيارة واحدة . وكان امراً مقضيًّا — فسميت هذه الرحلة (خمسة في سيارة) تخليداً لهذا الرأي الثاقب

وتصدرت السيدتان السيارة : الانكليزية الى اليمين والافرنسية اللبنانية الى الشمال وصاحبنا المصري على الرغم منهُ بينهما وقعد الزوجان مواجهين . وهذا ادب جم وفضل لا تجدهُ الاَّ في معاشر الفرنجة . فايثار الغريب على القريب لا يكون الاَّ فيمن رقّ مزاجه وارتقت نفسه

وسارت السيارة تنهب الارض ماكان سهلاً منها وتتئد فيما ارتفع او انحدر قاصدة الى ما اتفق الخمسة على زيارته — قمة من قمم جبال الالب ترتفع الى اكثر من ألفي متر عن سطح البحر

وكان الجوّ صحواً والشمس مشرقة وجمال الطبيعة يأخذ بمجامع القلوب وكان السفر طربوا لروعة ما رأوا فساد عليهم السكون موجهين كل قواهم الى رؤية ما حولهم. فمن جبال شامخة مكسوة ثلجاً الى جبال تنحدر من تلك فتغطيها الاشجار الباسقة الى سهول خضراء ترعى فيها الابقار والاغنام وخرير الماء المتصبب من الشلالات يعير الطبيعة موسيقى لا بأس بها حينما تمتنع العصافير عن التغريد . وظلت السيارة في تصعيدها

حتى آذنت الشمس بالظهر او كادت وكان الركب قد بلغ قمة فيها محطة هي خان صغير يشرب فيهِ السائح او يأكل او ينام . فشرب القوم واخذوا يمرحون على رأس الجبل ويلعبون كأنهم اطفال — ذلك ان سحر الطبيعة ينسي الانسان مدنية المدن نسياناً مؤقتاً فيعدو بهِ طبعه الغريزي الى عصر طفولتهِ لاعباً مسروراً ذاهلاً عن كل ما في الوجود من بؤس وشقاء.

وكان اسرُّ ما سرَّ صاحبنا المصري بقعة متحيزة مكاناً منفرداً من تلك القمة بيضاء من غير سوءٍ — هي الثلج الذي سمع بهِ ونظرهُ عن بعد على قمم الجبال ولكنهُ لم يكن قد لمسهُ عن قرب قط . فسار اليهِ ووقف الى جانبهِ وجلس يأخذ منهُ بيده كما يلتقط الولد حليةً وعاد بقطعة منهُ الى رفاقه يقول لهم انها اول مرة لهُ في حياتهُ رأى فيها الثلج عيناً لعين ولمسهُ يداً ليد— فضحك القوم وهنأوهُ بفوزهِ المبين . ثم عادوا الى السيارة تنحدر بهم الى قرية تنتسب الى القديس جوليان على ان يتناولوا فيها غذاءهم

ومرّوا بنفق يخترق جبلاً وهو النفق الذي مرَّ من فوقه — ولم يكن بعد نفقاً— نابوليون غازياً ايطاليا وجلسوا في مكان يدعى « مطعم نابليون » فرأوا هناك جمعاً لا يحصى من السياح في سياراتهم وكلهم جالس في هذا المكان لان رجل نابوليون وطأته

وليس في الدنيا كاسم نابوليون سحر يأخذ على الناس عقولهم وعواطفهم !

فقد يتخشّع الناس لذكر نبي او رسول بفعل الدين وبحكم التربية اما هذا الكورسيكي الذي يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فليس ابناً لاله ولا رسولاً يتلقى الوحي من السماء . ولكن اعمالهُ تفوق طاقة البشر فتراهم لا يملون من تقديس كل أثر من آثاره عسكرياً كان ام مدنياً كأن العبقرية تأبى الاَّ ان تفرض على الناس ما لها عليهم من حق الاجلال والتعظيم

وكان اشد الناس اطناباً بنبوليون صاحبنا الانجليزي . فانهُ انتزع غليونهُ من فمهِ وقال ما تمنيت في حياتي الاَّ امراً واحداً هو ان اكون قد ولدت في زمن هذا الرجل العظيم وسيان عندي اكنتُ انكليزياً محارباً او انكليزياً مصافياً فان فخر خصومتهِ ليست باقل من فخر اطاعتهِ ولا انقم على بلادي شيئاً نقمتي على حكومة تلك الايام تجور عليهِ اسيراً في جزيرة القديسة هيلانة

وارادت السيدة اللبنانية الاصل ان تتفلسف فقالت ولكنهُ يتم الاطفال وأيم النساء بحروبه ثم عاد بفرنسا في النهاية اصغر مما كانت عليهِ في البداية

لانكليزي — عفوكِ أيتها السيدة المحترمة. فان يكن نابوليون امات الالوف حرباً

فذلك خير من ان يعيثهم الوباء والفقر والعبودية . ورب موت خير من الف حياة .
ان هذا الرجل حطم قيود اوربا العتيقة وطهّر دمها الفاسد المتجمد فسرى في شرايينها سرياناً جديداً حاراً كانت نتيجتهُ اوربا الحديثة وما هي عليه الآن من حرية ونظام

السيدة — أليس من سبيل الى هذه الحضارة الاَّ الحرب ؟

زوجها — وهل من سبيل الى تصحيح جسم مكسَّر الاَّ بعملية جراحية ؟

الانكليزي — ليست الحرب معشوقتنا نحبها لذاتها ولكنها ضرورة من ضرورات النفس الحية دعي عنكِ الضرورة الاقتصادية والاجتماعية — فحب الحرب في الناس غريزة كغريزة الحركة في الاطفال فكما ان الطفل الذي لا يتحرك لا يعيش كذلك الرجل اذا فقد الخاصة الحيوية التي تجعلهُ مقداماً مقاوماً فاتكاً فقد اضاع كيانه

ما بالنا نعمى عن الامور فلا نراها كما هي — أليست الشعوب التي حاربت وغلبت هي الشعوب التي مدَّنت وعمَّرت؟ وهل تقدم الكون بالصوم والصلاة ام بالجلاد والكفاح حتى اسمى مبادىء الدين السلمية اخذها البشر وحاربوا لاجلها وسفكوا الدماء انهاراً

ذلك ان الانسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة . والطبيعة شاملة جامعة لكل شيء متناقض فلا تسير امورها الاَّ بمساعدة الوقت والقوة والحيلة فاذا بعد الانسان عن هذه القاعدة سقط ومرَّ المارّون وراءهُ بارجلهم على جسده لا يرحمون

السيدة الانكليزية — اما كان خيراً وأبقى للجنس البشري ان يتعاون ويتضامن لا ان يتخاصم ويتطاحن ؟

المصري — يشير برأسه موافقاً

الانكليزي — التعاون والتضامن وما اليهما من الاقوال التي اظهرها الناس في هذا الزمن ليسا الاَّ مظهراً من مظاهر القوة او الحيلة . اذا اشتد الرجل وقوي ورأى امامهُ آخر ضعيفاً فانهُ لا يعاونهُ ولا يتضامن معهُ في احوال الحياة المادية منها والادبية. واما اذا رأى حزاءهُ رجلاً مثلهُ قويًّا دفعتهُ المصلحة الى التضامن والتعاون

اجعلي كلَّ الناس اقوياء تجعليهم كلهم متضامنين متعاونين . والويل للضعيف — هذه آية الطبيعة الذهبية

فاذا ما جاءت الرسل والانبياء وقالوا لنا غير هذا صدقناهم باقوالنا وكذبناهم باعمالنا

يقول رسل السلام : ان الحرب مضر بالغالب وبالمغلوب . نعم . ولكن الامر ليس امر حكم عقل بل حكم عواطف . والشعوب تسير بعواطفها اولاً وو راء بطونها ثانياً .

واما العقل فالبشرية حديثة العهد بهِ . وما ادرانا ألاَّ يكون الحرب سلماً يتسلقه هذا الشعب مرةً الى القمة ثم يهبط ويتسلقهُ شعب آخر

السيدتان معاً — ان الرجال وحوش ضارية

الافرنسي — بل حمام واغنام اذا حكمتنَّ انتنَّ أيتها السيدات

هذا واذا بالسيارة تهرول في مضيق معرج من واد هناك فكانت تميل بالرفقاء مرة الى الشمال فيميل صاحبنا المصري من غير سوء على جارتهِ اللبنانية ثم ترتد مائلة الى اليمين فيميل صاحبنا على السيدة الانكليزية . وليخجل كل ظنان اثيم — فانهُ ان كان الاصطدام بجسم سيدة خيراً من الاصطدام بخشب السيارة وجلدها فان تربية الجميع وعلو اخلاقهم ماكانت تدع سبيلاً فيما بينهم لغير الاحترام الفائق والود الصافي

وظل الحال على هذا المنوال نحواً من نصف ساعة وحانت من الجالسين الاربعة التفاتة الى رفيقهم المصري فرأوهُ اصفر الوجه ممتقع اللون . فسألوهُ السبب فقال لا شيء — ثم اضطرب ووضع يدهُ تارة الى رأس معدتهِ واخرى الى رأسه وقال اني اشعر كأني في البحر وقد اعتراني الدوار

وسمع السائق ذلك فقال هو دوار الجبال . فهل اصابك . ان كثيرين يصابون في الجبال بدوار كدوار البحر حذوك النعل بالنعل . فاشددْ عزمك قليلاً فقد وصلنا الى المطعم او هو على قاب قوسين منا

واهتم الرفقاء كلهم بامر المصري فاعطتهُ احدى السيدتين ملحاً يتنشقهُ واعطتهُ الاخرى ماء كولونيا يمسح بهِ جبينهُ . أما هو فكان يذوب خجلاً وشكراً في ظاهرهِ ويلعن ساعتهُ في باطنه ويقول لماذا أُصاب انا دون الناس بهذا الدوار دوار الجبال . ولقد كنت اظن الامر مقتصراً على البحار فاذا بي انا انا في البحر والجبل مرض في البحر ومرض في الجبل كأنهُ قدّر لنا سكان السهول ان نعيش عيشة الهدوء والخمول فنظهر عظهر الضعف امام هؤلاء الغربيين رجالهم ونسائهم

وجاء الفرج فوقفت السيارة ونزل السفر الى مطعم يأكلون ويشربون. اما اللحوم فكان طعمها فاخراً واما النبيذ فلم يقدم عليهِ صاحبنا المصري الاَّ مكرهاً مدفوعاً بعاملين عامل مجاراة الرفقاء وعامل الاستشفاء من الدوار . وفعل النبيذ فعلهُ فذهب عن المصري مرضهُ وسرّي عن الانكليزي فلم يعد يشير الى الدنيا اشارة الحانق الاَّ تلميحاً مفضلاً الوسكي على كل ما يحتسي

سامي الجريديني

أنشودة

لجبران خليل جبران

نقلا عن كتاب « رمل وزبد »

ماذا تقول الساقية

سرت في الوادي وقد جاء الصباح
معلناً سر وجود لا يزول
فإذا ساقية بين البطاح
تتغنى وتنادي وتقول –
ما الحياة ؟
بالرفاه ؟
إنما العيش نزوع ومرام
ما الممات ؟
بالفناء ؟
إنما الموت قنوط وسقام
ما الحكيم ؟
بالكلام ؟
بل بشر ينطوي تحت الكلام
ما العظيم ؟
بالمقام ؟
إنما المجد لمن يأبى المقام
ما النبيل ؟
بالجدود ؟
كم نبيل كان من قتلى الجدود

ما الأسيرُ ؟

بالقيودْ ؟

قد يكون القيد أسنى من عقودْ

ما النعيمْ ؟

بالثوابْ ؟

إنما الجنةُ بالقلب السليمْ

ما الجحيمْ ؟

بالعذابْ ؟

إنما القلبُ يخلق نحو الجحيمْ

ما الغنى ؟

بالنضارْ ؟

كم شقيٍّ كان أغنى الأغنياءْ

ما الفقيرْ ؟

بالحقيرْ ؟

ثروةُ الدنيا رغيفٌ ورداءْ

ما الجمالْ ؟

بالوجوهْ ؟

إنما الحسن شعاعٌ للقلوبْ

ما الكمالْ ؟

بالعصمةْ ؟

ربَّ نقصٍ كان في بعض الذنوبْ

— • —

هذا ما قالته نغمة الساقية

للعصفور عن يمين ويسار

ورُبَّ ما قالته نغمة الساقية

كان من أسرار هاتيك البحار

جبران خليل جبران

الدكتور صروف والتجديد في اللغة العربية

١ً مدخل البحث

بلغت اللغة العربية في الخمسين سنة الاخيرة مبلغاً ، لا يقاربهُ في تقدمها ورقيها الاَّ عصر العباسيين ، ذلك العهد الذي نشطت فيهِ لغتنا المبينة حتى ادهشت جميع العلماء في جميع الديار وفي جميع الاحقاب

وكل من وقف على هذه البرهة الاخيرة من تاريخ لساننا يعجب من وصولهِ الى درجة لم يكن يحلم بها آباؤنا قبل نصف قرن ، فالى من يُنسب هذا الرقي ؟

اننا لا ننكر ان هناك عوامل توافرت فتضافرت على دفع لساننا الشريف الى هذا التقدم ، فنها الرجال ، ومنها المدارس ، ومنها الديار ، ومنها المطبوعات (من جرائد وكتب ومجلات) ونحن لا نريد ان نبخس كل فريق حظه من التكاتف والتحالف للبلوغ الى هذه النتيجة العظمى ، نتيجة الحياة السعيدة ، بل نختصر الكلام ونقول : ان اعظم من سعى الى انهاض لغتنا الضادية من حضيض الخمول هو محمد علي ، جد الاسرة الملكية ، اذن مصر هي ام النهضة الحديثة ، ورأس الديار العربية اللسان في السير بهذا الانبعاث ، انبعاث العرب وآدابهم وحياتهم القومية الجديدة ، ثم يأتي ارباب المدارس ومنشئوها ، ولاسيما اصحاب مدرستي الاميركيين واليسوعيين في بيروت ، والمدارس المصرية الاميرية والاجنبية في ديار وادي النيل

٢ المقتطف او صروف محيي العربية ومنشّطها

لقد تغلغلت هذه الحقيقة في قلب التاريخ ، حتى اصبح نزعها منهُ بمثابة نزع حياتهِ منهُ ، او القضاء على حركتهِ النابضة فيهِ ، وهو امر مستحيل ، وكنا قد أشرنا الى ذلك في ختام مقالٍ لنا ادرج في « الكتاب الذهبي » ص ١٣٩ وهذا حرفهُ :

« . . . لان العرب اذا نهضوا اليوم يدعون بحقوقهم ، وينتسبون الى قوميتهم ، ويفاخرون بحضارتهم ، وعمرانهم ومدنيتهم القديمة ، ويساجلون ابناء الغرب في اخلاقهم الفطرية ، والمكتسبة العالية ، ويباهون اهل العصر بصفاتهم الشرقية ، ويبارون بشعرائهم ، وادبائهم ، وكتّابهم في معالجة المواضيع الحديثة ، والمعاني العصرية ، فاكثر ذلك راجع الى المقتطف

« فهو هو الذي اشرق شمس الحقائق على بلادنا العربية ، هو هو الذي بدأ فنادى بنزع القيود القديمة العقيمة التي تمنع العربي من الجري وراء الغربيّ العدّاء ساعياً طليقاً ، هو هو من اول المنادين بازالة طريقة الكتابة القديمة العقيمة ، اقبالاً على الموضوع المنشود اقبال هاجم او متهجّم ، لا اقبال متملق أو مماسح

« ولذا ترى كتابنا اليوم غير كتابنا بالامس ، وشعراءنا في هذا القرن غير شعرائنا الموتى الهامدين في العصور السابقة ، وبهذا القدر كفاية للمتدبر . » اه

ولم يكن لنا متسع في ذلك الموقف لنطيل الكلام فيما كان يختلج في صدرنا ، ونحن في موقف « العرس » وهو غير موقف « التثبت » . اما اليوم — وقد وقفنا الوقفة الاولى في الامس — فيحق لنا ان نقف الوقفة الثانية ، فنقول :

الدكتور يعقوب صروف اغنى لغتنا المبينة الفاظاً ، وتعابير او افكاراً ، وتصانيف لم تكن معهودة في سابق العهد وكل ذلك بقدر وافٍ لا ينكر ، ونحن نورد اثبات كل حقيقة قائمة بنفسها على حدةٍ ، لكي لا نرمى بالمبالغة أو الغلو

٣ الفاظ المقتطف

لما أُنشيء المقتطف ، كان الكتاب يروون الكلم الاعجمية بصور عديدة ، شنيعة ، متنوعة ، حتى انك ما كنت تتمكن من ان تهتدي الى حقيقتها مهما بالغت في التنقيب عن اصلها ام صورتها الاصلية ، وان دفعتهم الحاجة الى ذكرها ثانية ، نسوا ما كانوا قد ذكروهُ واوردوها بصورة ثانية غير الصورة الاولى ، وهكذا يفعلون في التصحيف والمسخ كلما زادوها ذكراً او إشارة. وكنت قد جمعت مثل هذه الحروف المشوهة عدداً جماً يضحك الثكلى ، ثم عدلت عن متابعة البحث ، لما رأيت من وفرة تلك الكلم وصورها الشنيعة الممقوتة بحيث كرهت الامر أشد الكراهية

على ان مجرد القول لا يكفي في هذا الموضوع ، بل لا بد من ايراد شيء ولو كان شاهداً واحداً ليكون للقارىء مقياساً او معياراً لبحثهِ او تحقيقهِ ، ولهذا اذكر لك لفظة واحدة في نهاية البساطة ادعاماً لرأيي

هذه الكلمة الافرنجية Gazette التي نسميها اليوم صحيفة او جريدة ، فاول ما جاء ذكرها في المنشورات كان بصورة غازّتة (بتشديد التاء التي تلي الزاي) ثم خففت فقالوا غازتة (كجالسة) ثم غازيتة (بزيادة الياء قبل التاء) ، وغزتّة

وغزَتّة وغزَيْتة ، ثم قلبوا الغين جيماً في جميع هذه الروايات الست وجعلها اهل العراق كافاً فارسية فصارت الروايات ثماني عشرة ! ثم نحموا تاءها المثناة فجعلوها طاء فتضاعفت الروايات وبلغت ستاً وثلاثين ! ولعل هناك غيرها لم نطلع عليها ، او لم نعثر عليها ، اولم نقرأها او لم نسمعها . فانت ترى من هذا كلهِ ، ومن ذاك اتساع أو التساهل ما يشوّه محاسن لغتنا ويقبح الاشتغال بها ، ويزيدها الفاظاً بروايات عجيبة غريبة ونحن في مندوحة عنها اذ غايتنا تخفيف اعباء اللغة والاحتفاظ بما يفيدنا ونبذ كل ما يضرنا باي وجهٍ كان

ما ذكرناهُ من اختلاف الروايات هو لكلمة واحدة يكاد الناس جميعهم يعرفونها الى عهدنا هذا ، فما القول في الالفاظ الاعجمية الطويلة الاهجئة ، الغريبة الحروف ، الشنيعة الصور ، المعوجّة الاوزان ، المخالفة لاوضاع يعرب ؟ — ذلك يطول الخوض في عبابهِ ، لان الاقدمين منا جروا في هذا المضمار عينهِ ، فصُحّفت الكلمة الواحدة تصحيفات لم تمرّ في خلد بشر

اما المقتطف فلهُ هذه المزية العظمى التي خدم بها لغتنا وخدمنا نحن المنتمين اليها خدمةً لا تقدر وهي : انهُ اذا وضع كلة غريبة لاول مرة ، ذكرها ثم اذا أعاد ذكرها مراراً مهما كان عددها بالمئات ، تابع كتابتها على وجهها الاول ، وقد بقي مواظباً على خطتهِ المذكورة حتى آخر جزء برز في حياتهِ . وهناك عمل آخر وهو انهُ اذا ذكر لفظة غريبة لاول مرة شرحها شرحاً وافياً على اصول العلم الحديث يغنينا عن مطالعة مثلهِ في سائر الكتب الافرنجية ، لان علاّمتنا لم يكن يتوخى في كل ما يكتبهُ الاّ اصدق الآراء وخير الروايات واقبلها للعقل السليم الخالي من الغرض ، ولا يفرغ اللفظة الاّ في قالب عربي او يكاد ، بحيث يسهل حفظها على ابن عدنان ، حتى ليظنها عربية النجار

ولو جمع اللغوي العصري جميع ما ورد من هذه الحروف الغريبة الوضع والمعنى التي ذكرها المقتطف (وان قلت الدكتور يعقوب صروف فانك لا تخطىء لان للفظين المختلفين معنىواحداً) لقام بين يديك مصنف بديع بصغر في جنبهِ كل ما كتب عندنا ، بل كل ما كتب عند واحد من ابناء الغرب ، مهما كان متبحراً في العلم والعرفان

ولا بد انك تطالبني بشاهد على حدّ ما فعلتُ في صدر هذا الفصل فاقول : اني لا اذكر لك من هذا القبيل الاّ كلة واحدة هي قصفور ،فانهُ ذكرها منذ السنة الاولى

بهذه الصورة وحافظ عليها الى آخر يوم من حياته ، إنْ تكلماً كما سمعته ُ ينطق بها مراراً وان كتابةً ، كما تشاهدها مدونة في آخر ما خطته ُ يده ُ ذاكراً هذه الكلمة ، وكذلك قل عن شرحها . اما الغير فذكروها على مناحٍ متعددة ، منها : فسفور ، وفوسفور ، وفوصفور ، وقصفر ، وفسفر الى غيرها ، لكن اليوم غلبت صورة فصفور (كعصفور العربية الوزن) سائر الصور ، وكتب لها البقاء ، مع ان البستاني قيّدها في محيط محيطهِ بالوجه الذي ذكره ُ في مادة (ف س ف ر) اي الفسفور . فكان على الناس ان يتبعوا البستاني لانهُ لغويٌّ ، وما كان عليهم ان يهتدوا بنور صرُّوف لانهُ عالم فيلسوف لم يتخصص للغة كما تخصص البستاني لها ، لكن تبع الكل « صرُّوفاً » ونعم ما فعلوا . وازيد على ذلك فاقول : لو كان الفقيد اتخذ رواية غير رواية «الفصفور» التي اشتهرت، لكانت هي المتبعة دون غيرها ، الاَّ ان حسن ذوق صاحب المقتطف هو الذي جذب اليهِ تخير احسن الروايات فجذب وراءهُ ارباب الاذواق السليمة والاقلام المحققة ، فنعم التعريب ونعم المتبع والمتبع

وكنت اود ان اذكر هنا الفاظاً جمة من هذا القالب ، لكن ذلك كلهُ لا يزيد الموضوع شيئاً طريفاً

ومما يفتخر بهِ كل عربي غيور على لغتهِ انهُ وضع الفاظاً عربية لا تحصى في جميع فروع العرفان ،وهذه الفروع متوافرة في المقتطف اذ عالجت كل علم وكل فن وكل صناعة ولم تهمل مبحثاً من المباحث، كما انهُ احيا الفاظاً كانت مدفونة في زوايا المهارق فجلاها لنا

اما الالفاظ التي هي من وضع المقتطف فكثيرة لا يخلو منها مجلد ،وانما انا اذكر هنا بعض ما شاع منها مع ما يقابلها في الفرنسية تفادياً من الشرح واقتصاداً في الوقت فمن ذلك

الاحافير Fossiles — الرقص البداوي Pavane او Padovana وقد قال الفقيد في اصل هذا الحرف (المقتطف المجلد ٦٦ : صفحة ١) نوع من الرقص، يقال إنهُ منسوب الى پادُوَى ، بلد في ايطاليا . فان كان ذلك صحيحاً فتكون الكلمة العربية معرَّبة ، ولكننا نظن انها اصلية ، نسبة الى البدو او البادية اه . قلنا : والعوام من العراقيين ، ولا سيما النصارى منهم ينسبون الى البدو : بدّاوي (بتشديد الدال يليها الف) فلا يبعد في ان الافرنج سمعوا العوام ينطقون بها فاخذوها ،والافرنج لا ينقلون الكلم الاَّ عن العوام ، حتى انهم يفعلون ذلك في اعلام المدن ، ولا يعتبرون

ما ورد منها في الكتب الفصيحة . حجر الفتيلة Asbeste . الصحافة Presse .
علم النفس Psychologie . علم الوجدان وبالانكليزية Consciousness .
المثال الاعلى Idéal . السكَيْت ، كلمة عامية تفيد بعوض البرداء لانهُ لا يطن اذا طار
بل يبقى ساكتاً ، فرضي بان تدخل في اللغة الفصيحة لحاجتنا اليها ، وهو الذي يسميهِ
عوام فلسطين ولاسيما في انحاء جبل الكرمل « المسهس » . واهل العراق « ابوفلس »
وبلسان العلم انوفيلس Anopheles . الاستهواء Suggestion . مناجاة الارواح
Spiritisme . تنازع البقاء وهي بالفرنسية La lutte pour la vie وبالانكليزية
Struggle for life الاَّ ان العربية افصح مما وضع لها في اللغتين واوضح وهي من
ابدع ما جاء في لساننا ، ولا جرم انه يكتب لها الخلود الى ابد الدهر . ولولم
يضع صروف الاَّ هذه الكلمة لكفاهُ وقوفاً على اسرار اللغات الدخيلة وخفايا
لساننا المبين المتين . مذهب النشوء والارتقاء Transformisme . مذهب التطور
Evolutionisme . الداروِنية Darwinisme . التنويم Mesmérisme .
المغناطيسية Magnétisme . التعضية : « تحويل الغذاء حتى يصير من جنس العُضْو
الذي يدخلهُ » (المقتطف ٦٦ : ٥٢) Assimilation . السرَب Tunnel .
الوسيط Médium . الظهارة (الملاية) Drap de lit القطيفة (البطانية)
Couverture de laine . علم الاحداث الجوية Météoreologie . التدويد :
« ادخال سلكٍ من الحديد ، او عود دقيق في النخر حيث الدود ، وقتل الدود بهِ »
(المقتطف ٦٦ : ١٠٣) . اللاسلكي Télégraphie sans fil . علم الاحياء Biologie

ولا بد من الوقوف الى حدٍّ في ايراد هذه الالفاظ فاقف هنا وانا لم اذكر
منها الاَّ ما ورد في بعض صفحات من تلك المجلة الجليلة القدر ، وانتقل الآن إلى
سرد بعض الكلم التي اخرجها من مدفنها اللغويّ وذكرها في مقتطفهِ ولم يكن
احد قد سبقهُ الى اتخاذها . من ذلك : كثير من اسماء صور الكواكب وعدة
الفاظ فلكية . ومنها الليم Citron وقال عنهُ هو الليمون الصغير المعروف في مصر
باسم بنزهير (المقتطف ٦٦ : ٥٣) زيت كبد الحوت (زيت السمك) (٦٦ : ٥٤)
الكلّة (الناموسية) Moustiquaire . الرُبع Quandrant . السدْس
Sextant . الشهوات وهي التي عرفها بعض المعاصرين او المحدثين باسم العواطف
Passions مع ان العواطف هي Inclinations والشواعر هي المعروفة عند الغربيين

باسم Sentiments (راجع المقتطف ٦٦ : ١٠٤) . خصَّ كلمة المستشفى بما يسميه الفرنسيون Hôpital وخص بيمارستان او مارستان بما يعرف عندهم بلفظ Maison d'aliénés . الكساح على ما في المقتطف (٦٦ : ١٢١) « مرض اكثر ما يصيب الفقراء وصغار الحيوانات فيختل نموّ العظام حينما يبتدئ الولد يمشي ، او حينما يبتدئ ظهور اسنانهِ ، فتنتفخ اطرافها ويتوقف نموّها وتلتوي الاضلاع الى غير ذلك من الاعراض المميزة لهذا المرض » Rachitisme . سفالة (بلاد في افريقيــة) Mozumbique . المدرَّج Amphithéatre . الكحول Alcool هذه الكلمة دافع عنها فقيدنا مراراً عديدة وتمسك بهذه الصورة دون غيرها من جميع الروايات التي ابرزها العصريون لابناء لغتنا . فقد قال احدهم يجب علينا ان نقول « الغول » وقال آخرون بل لنقل « الكؤول » ، وفريق « الالكحول » وجماعة « الكحل » ، اما المقتطف فقد تشبث « بالكحول » ولم يخرج عنها . واتفق لهُ ان كتب عن هذا الوجه مراراً وآخر مرة تكلم عنها ، كان في سنة ١٩٢٥ في ٦٦ : ٢٠٩ جواباً على مقترح وهذا نصهُ :

« ليس من السهل الغاء كلمة كثر استعمالها ، ووضع كلمة اخرى بدلاً منها . ولو كانت الثانية (مانار المركبة من ماء ونار وكان قد عرضها المقترح على المقتطف بدلاً من الكحول) اصح من الاولى واخف لفظاً . ومن الاقوال المأثورة : الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور . ثم ان لكلمة الكحول مزيةً على غيرها : انها شائعة في كل اللغات الاوربية التي يقرأ ابناؤنا كتبها العلمية والصناعية . ومصلحتنا تقضي علينا ان نسير في الطريق الاقرب والاسهل لاقتباس العلوم والصنائع من الاوربيين ، والاّ بقينا منحطين عنهم ، وقضي علينا . ومن ذلك اقتباسنا كلماتهم كما فعلوا هم لما كانوا دون العرب في الفلك والكيمياء ، فاقتبسوا منهم كثيراً من الكلمات اليونانية » انتهى

على ان صورة الكلمة « الكحول » التي وردت عند السلف هي « الكُحْل » ، لكن اراد الدكتور الفقيد ان يخصص « الكحل » بما لطف ودق من الاثمد علاجاً للعين ، واما الكحول ، وزان دخول ، فخصهُ بما لطف من روح الخمر وهكذا سهّل على القراء تمييز لفظةٍ عن لفظةٍ خوف اللبس (راجع ما كتبهُ احد الادباء في مجلة المشرق البيروتية ٢ : ٣٠٧ في الحاشية ففيها مجزأة للباحث) اما ان الكحل عنى الذائب او السائل فما لا شك فيهِ جاء في لسان العرب في مادة (ب ر م) : البَرَم : الكحل

المذاب . واما اعتراض البعض ان الكحول بالواو لم يرد في كلامهم فهذا لا يمنع الاصطلاح .هذه كلمة البخل فانها وردت بصورة بخول ايضاً والمراد بها المفرد (راجع تاج العروس في مادة ب خ ل) ، فاذا كانت كلمة البخل وليس فيها معنى ثانٍ جاءت بصورة بخول ، فلماذا لا يجوز لنا ان نقول « كحول » ونحن نريد لها معنى يختلف عن معنى الصيغة الاولى ؟ ذلك عمل واجب القيام بهِ تيسيراً لتوجيه الافكار الى المعنى المطلوب وهو امر لا مناص منهُ ، بل لا بدَّ منهُ

ما قلناهُ الى الآن كافٍ لاظهار فضل صروف في احياء الالفاظ الميتة او المدفونة او المنسية او ما تريد أن تسميها وفي خلق أو وضع الفاظ تقوم بحاجات عصرنا . ولو أردنا لامتدَّ بنا النَّفَس الى ما غلا جزءا من اجزاء المقتطف، لذلك اجتزأنا بما تقدم

لنأتِ الآن على ذكر التعابير او الافكار او الخواطر التي أتى بها المقتطف وقلب بها العربيةَ ظهراً لبطن

٤ً تجديد أفكار كتّابنا

كان الكاتب عندنا قبل خمسين سنة ، اذا كتب في موضوع ، صدَّر كلامهُ بمقدمة طويلة عريضة ، وختمهُ بمؤخرةٍ أطول من ذنب الطاووس . في المقدمة يقول معتذراً انهُ ليس من فرسان ذلك الميدان ، وانهُ يقرُّ بجهلهِ وضعفهِ وعجزهِ وهو مع ذلك يقدم على معالجة الموضوع متكلاً على عونهِ تعالى حامداً اياهُ . الى غير هذه الاقوال التي ألفها الجميع وأصبحت حصناً حصيناً ، يبنى حول كل بحث من أي نوع كان، حتى انهُ كان يستحيل على الباحث ان يجاوزهُ الى ما وراءهُ او الى ما يحيط بهِ ، وما كان يتصور انهُ يتسلق جدرانهُ المنيعة . وكان نصيب من يخالف هذا التقليد من أشدّ الناس مروقاً من الدين ، وان كان الكاتب لا يتعرض لهُ بكلمة ، لكن هكذا كانت الافكار يومئذٍ، وهذا ما يرى فيما أُلِّف وصُنِّف ونقل الى لغتنا قبل بروز المقتطف. وأما الخاتمة فلا بد من ان تكون « والله أعلم » او « وهو الهادي الى سواء السبيل » أو « وعلى الله الاتكال في المبدأ والمآل » الى امثالها

أما صروفنا فقد ظهر منذ ان قبض على عنان قلمهِ بمظهر خالف كل من تقدمهُ ، فكان يهجم على الموضوع هجوم الاسد الضرغام على فريستهِ ولا يتركهُ الا من بعد ان يوفيهُ حقهُ من البحث ، او ارجع وقل : كما يفترس الليث فريستهُ فلا يبقي منها

ولا يذر . اذن لم يكن لمقالات صروف مقدمة ولا مؤخرة ، محتذياً بذلك اسلوب الفريقين الاقصر والاوفى بالمقصود ، فكان اسلوبهم مثالاً اعلى لهُ يقتدي بهِ لانهُ يؤدي الى المطلوب بلا عناء ولا لغوب

ومن خصائص اسلوبهِ ايضاً انهُ يتخذ للتعبير عن فكرهِ اسهل الالفاظ، واقربها الى الادراك ، وامنعها تركيباً ، وأعظمها إمتاعاً لسامعها ، بينما كنت ترى من تقدمهُ يتحذلق فيما يضع ، ويتقعر فيما ينطق بهِ ، ويتبقّر فيما يلتمس لهُ من البحث ، فيتطلب لهُ أعوص الكلم واعصاها على الافهام ، لكي يقال عنهُ انهُ يُحسن العربية ومطّلع على غوامضها وشواردها ،وانهُ غواص في اللغة يهوي الى قعر بحرها ليلتمس لهُ ما يريد من اللآلئ لينظم بها حلى افكارهِ . أما فقيدنا فقد أبان في عدة مواطن من مقتطفهِ ، ولاسيما في المجلدات الاولى منهُ : ان العلم تعلّمهُ من يجهلهُ ، فاذا كان الامر كذلك ، فلا يحسن بنا ان نتخذ لساناً يجهلهُ لئلا يجتمع جهلان : جهل العلم وجهل اللسان ، بل يجب ان نكلم الناس ابسط الكلام وأسمحهُ لكي لا تجتمع ظلمتان ظلمة فوق ظلمة ، ظلمة العلم وظلمة اللغة . فاذا دخلت حجرة مظلمة واردت ان ترى ما فيها ، اتزيل ظلماتها بسدّ ما فيها من النوافذ والابواب ، ام تفتحها وتأخذ بيدك ضياء لتبدّد بهِ مالا تستطيع النوافذ والابواب ان تلاشيهُ بانوارها ؟ — فالاولى صفة الكتّاب المتحذلقين ، والثانية صفة ماكان يكتبهُ صروف ليعلم الناس ماكانوا يجهلونهُ من المباحث او ليبوح بما كان مدفوناً في صدرهِ الكريم او مودعاً فيهِ من عظائم الاسرار ، وجلائل الحكم

قام عليهِ في بدء الامر عدة كتبة ، واخذوا يسخرون من اسلوبهِ ومن الفاظهِ ومن تعبيراته ، لكن ذلك كلهُ لم يزعزعهُ قيد شعرة ، بل ثابر على خطتهِ هذه ، الى آخر نسمة من حياتهِ . فاضطروا الى ان يعدلوا عن منهجهم ويحتذوا بامامنا ويجاروهُ في كل امرٍ توخاهُ هو ، لعلمهم ان الحق يعلو ولا يعلى عليهِ ، ولان الحق واحد لا يتعدّد ، ولان الناس يتبعون الاوضح من الطرق ، والاسهل عليهم للسعي فيهِ بلا عنت ولا كلفة ، واليوم ترى النشء الغضّ كلهُ جارياً على هذا المنحى لا يلوي الى ذات اليمين ولا إلى ذات الشمال كما لا يلوي وجههُ الى ورائهِ

هذا من جهة الاسلوب وانتقاء الالفاظ والهجوم على الموضوع هجوم ليث ضرغام

على فريستهِ . بقي هناك التعبيرات الجديدة التي نقلها من لغات الغربيين الى لغتنا . فهذا امر يطول عليَّ ايرادهُ او تبيانهُ او شرحهُ ، لانك تتحقق ذلك بنفسك ، اذا ما طالعت نقلهُ لكتاب « سر النجاح » في طبعتيهِ الاولى والثانية . فانك ترى فيهِ من محدث التعبير ما لا عهد لاجدادنا بهِ . وحينما أقول لك طالع « سرّ النجاح » فليس معناهُ لا تطالع المقتطف ولا سائر كتبهِ ومستخرجاتهِ ومقالاتهِ ، فهذه كلها من فكر واحد ومن منتج واحدٍ وان شئت فقل : ان تلك الجداول والانهار كلها من ينبوع واحد هو دماغ المفكر العظيم ، وان أبيتَ الاَّ ذكر شواهد على ما اقول ، آخذ الجزء الاول من المجلد الاخير (الحادي والسبعين) وهو جزء يوليو (تموز) من هذه السنة ١٩٢٧ آخر جزء صدر في ايام حياتهِ وفي نظرهِ فاعرض عليك قولهُ من التعابير الغربية النزعة :

« وأحاديث المجالس تدور على جرأتهم واقدامهم » (ص ١) بمعنى تجري : —

وفيها : « والجو يعجُّ بطياراتهم وضجيج محركاتها » فالفكر والتعبير والاسلوب وكل ما فيهِ جديد حديث

وفيها : . . . « يعيدان الى الذهن ما دوَّنهُ التاريخ في طياتهِ عن عصور الارتياد الذهبية » فقولهُ طيات التاريخ . ووصفهُ للعصور بالذهبية ، كل ذلك من وضع ابناء الغرب ، وهو من أحسن التعبير وابينهِ للمطلوب

وفيها : . . . « في اقتحام الاصقاع المتجمدة حول قطبي الارض والانتصار عليها » تراهُ يتكلم عن الاصقاع المتجمدة ، مع ان السلف لم يتكلم عنها ، واذا رأيت بعضهم يفصح عنها قال : الاصقاع الجامدة ، لانهم لم يقولوا في لسانهم « تجمد » لكنهُ رأى في « تفعل » ما لم يرهُ في وزن « فعل » اذ وجد في التجمد جمداً على جمد على جمد الى ما لا حدَّ لهُ فقال ما قال فاين هذا من فعل جمد الذي لا يؤدي هذا المعنى . اذاً اراد ان يؤدي المعنى الناشيء من تراكم الجمد بعضهُ على بعض مدة قرون وقرون فقال تجمد ولم يخف من ان يستخف بهِ احد لانهُ حاول تصوير معنى ناشيء من مباحث العلم لم يكن يعرفهُ سلفنا

وفيها : « كان الطيران في مهدهِ » تعبير بديع ، شفَّاف ، وصَّاف ، كشَّاف ، فهل يمكنك ان تصوغ هذا للمعنى وتفرغهُ في غير هذا القالب المأخوذ من ابناء الغرب ؟

وفي هذه الصفحة غير هذه التعبيرات وكلها افرنجية القوام، عربية اللباس، يدركها القارئ من غير ان ينعم النظر فيها، بل عند مجرد سماعه اياها . وان حاولت ان تفرغها بقالب غير هذا القالب الذي ابدعهُ لك «محيي لغتنا» ضحك منك القارئ، بل استغرق في الضحك، لا بل ربما استخرط في البكاء

٥ اغنى صرُّوف لغتنا وجدَّدها بتصانيفهِ المتعددة

لو قلت لك ان الدكتور يعقوب صروف هو اكبر كاتب او مؤلف وجد في العربية منذ ان وجدت الى يومنا هذا، لأكبرت الامر وانكرتهُ وقلت عني: هـذا رجل مبالغ او مُغال في كلامهِ، ان لم يكن كاذباً فيما يدّعيهِ — وان قلت لك ان صرُّوفنا وضع اكثر من ٨٥٠٠ «كتاب»، لقلتَ: هذا الكذب الصريح الذي لا ريب فيهِ فأنى تأفك ؟ — لكن دعنا نتفاهم

«الكتاب» في لغتنا كل ما كتب صغيراً كان او كبيراً . فالتوراة — وهي ضخمة — «كتاب» — والرسالة التي تكتبها الى صديقك وهي في اسطر او سطور — «كتاب» فكتاب فعال بمعنى منقول . فالكتاب مكتوب، والفراش مفروش، واللباس ملبوس، اي ان كلاً من هذه الاشياء معدّ لان يكون ما وصف بهِ اي ان الفراش معدّ لان يفرش، واللباس معد لان يلبس، على حدّ قولهم: مأكول ومشروب وملبوس اي ما يؤكل وما يشرب وما يلبس لا انهُ أكل وشرب ولبس فاذا كانت الصحيفة تسمى «كتاباً» (راجع لسان العرب في مادة ك ت ب — ص ١٩٣ س او ما يليهِ) فما قولك في المقالة والنبذة والرسالة في العلم اليس كل منها «كتاباً» ؟ واكثر ما جاء في كلام الاقدمين ان فلاناً صنف العدد الفلاني من التصانيف او من «الكتب» فمعناهُ كذا من الرسائل او من النبذ وعندنا من قولهم هذا: «كتاب الخيل وكتاب الشاء وكتاب النخل وكتاب الابل وكتاب السلاح وكتاب الريح الى غيرها فكلها رسائل صغيرة قد تقع في صفحة من المقتطف او في بضع صفحات

وان قلنا ان من المصنفين من كتب مئات وهي ضخمة كالطبريّ مثلاً والسيوطي والجاحظ الى غيرهم قلنا: لو جمعتم ما صنفوا لما جاء نصف ما ألفهُ صروف . فالمقتطف يقع في سبعين مجلداً ضخماً واذا سمينا كل مقالة «كتاباً» تقدَّم منها لا اقلَّ من ثمانية آلاف وخمسمائة كتاب . فهل من مؤلف كَتَب هذا العدد

ولعلك تقول : ليس كل ما جاء في مجلته هو لهُ ، بل بعضهُ ، قلنا : وهذا الذي عددناهُ اذ حسبنا ان لهُ عشر مقالات او عشرة كتب في كل جزء من الاجزاء الاثني عشر عن كل سنة فيكون المجموع ما ذكرناهُ او دون المجموع الحقيقي . وهو وان لم يكتب بنفسهِ سائر المقالات فانهُ كثيراً ما صححها بقلمهِ وقلبها ظهراً لبطن او حرَّر عبارتها او زاد عليها او حذف منها او اعاد كتابتها بنفسهِ من اولها الى آخرها

هذا من جهة ما يتعلق بالمقتطف ، لكن للعلامة الاستاذ الاكبر كتبٌ استخرجها من الانكليزية الى العربية وكتب وضعها من غير ترجمة او نقلٍ ، بل صنّفها مباشرة ونحن نذكر لك ما وقفنا على اسماء بعضهِ من معرَّبٍ ومؤلفٍ :

الكيمياء (وهو كتاب ضخم في الكيمياء المصرية) من باثولوجية واقراباذينية

علم السموم (التكسكولوجية)

سرّ النجاح . والطبعة الثانية تكاد تكون من وضعهِ لا من ترجمتهِ

الحرب المقدَّسة

الحكمة الالهية ، وكتاب الظواهر الجوية (او المتيورولوجية)

وعرَّب مشتركاً مع رصيفهِ « سير الابطال والعظماء » و« مشاهير العلماء »

ولهُ قصص وروايات بديعة محكمة السبك ، بديعة الوضع ، ادبية المرمى ، جديرة بان يطالعها الذكور والاناث فينتفع بها كل امرىء . ولهُ مقالات عديدة ضافية الذيل في جريدة (المقطم) ولهُ مثلها في (اللطائف) وفي (دائرة المعارف) التي اصدرها المعلم بطرس البستاني ، منها ما ذيلها باسمهِ ومنها ما لم يذيلهُ او ذيلهُ بحرفي ي. ص .

ولهُ مقالات بديعة في جميع العلوم والفنون والصناعات من ادناها الى ارقاها فكان صدرهُ « مَعْلمة » حية واودع هذه المعارف كلها « المقتطف » وهو من المجلات العالميَّة التي لا يستغنى عنها ولا يصحُّ ان تخلو منهُ خزانة عامة او خاصة ، علمية او صناعية ، رياضية او تعليمية ، لان من المحال ان يكتب كاتب في موضوع الاَّ ويرى في هذا المورِد الماء الذي ينقع عطشهُ

هذه قطرة من بحر والاَّ فالموضوع اوسع من ان يحيط بهِ قلمي الضعيف ، ومن اراد التوسع فليطالع صفحات المقتطف او اجزاءَ منهُ يجد ضالتهُ المنشودة

بغداد فهر الجابريّ

الجرح الخفي

لكارولي كسفالودي

[كارولي كسفالودي واخوهُ الكسندر من حملة لواء الادب المجري [المنغاري] في اواخر القرن الماضي . وقد اشتهر كارولي على الخصوص بتأليف الروايات التمثيلية. ولكنهُ في حياتهِ القصيرة المحفوفة بالمخاطر، ضرب بسهم كبير في وضع الاقاصيص الغريبة . وكان ، كما وصفهُ ناقدٌ مجريٌّ : — « عبَرَ اسفارٍ مفطوراً على الإيغال في اودية الخيال بظرفٍ وكياسةٍ وحسن تناول » . ومع كونهِ من كتّاب الطبقة العالية استطاع ان يبثّ في اقاصيصهِ روح الحقيقة او الامر الواقع فتبدو كأنها مكتوبة للجيل الحاضر . وقصة « الجرح الخفيّ » تستوفي اشهر الشروط التي يلحُّ اشدّ النقّاد تدقيقاً في وجوب مراعاتها عند تأليف الاقصوصة. وتتضمن علاوة على ذلك صفة الحيوية التي لا يعبّر عنها ولا بدّ منها في كل فنٍّ بغضّ النظر عن القواعد والآراء]

القصة

بكّر رجل ذات يوم في المجيء الى جراحيٍّ مشهور قبل استيقاظهِ من نومهِ . ووقف في باب بيتهِ وكلّم الخادم لاجًّا في طلب إيقاظ سيدهِ لانهُ قادم لامرٍ ذي شأنٍ يستدعي أقصى ما يستطاع من الإسراع في العمل . فلما افاق الجراحيّ وعلم بما كان هبّ من فورهِ ولبس ثيابهُ وامر الخادم بإدخال الزائر

وكان على وجه هذا الزائر لوائح الانتماء الى نخبة رجال الهيئة الاجتماعية .واصفرار وجههِ وهياج اعصابهِ دلاً على معاناتهِ لألمٍ جسديٍّ شديد . وقد عصب يدهُ اليمنى وشدها بعلاقٍ الى صدرهِ ومع شدة ضبطهِ لملامحهِ وصبرهِ على ما يساورهُ من الوجع كانت شفتاهُ تنطلقان من وقت الى آخر بانينٍ عميقٍ ينمُّ على لذع الالم الفادح

فلما استقبلهُ الجراحيّ هشّ بهِ وبشّ وقال لهُ :

— تفضل اجلس وقل لي ما خطبك

— لم اذق لذة النوم منذ اسبوع . وفي يدي اليمنى وجع لا ادري سببهُ . فقد يكون ناشئاً عن السرطان او عن داء آخر عضال . وقد كان باديء ذي بدء خفيف

الوطأة سهل الاحتمال . واخيراً اشتدّ لفحهُ ولذعهُ حتى اصبح لا يطاق . وهو آخذٌ كل ساعة في الاشتداد والازدياد وبالغٌ في تعذيبهِ لي وتبريحهِ بي حداً يتعذر احتماله. فجئتُ الى المدينة لكي استشيرك فيهِ واستعينك على تدارك خطبهِ وتلافيهِ . واذا اضطررتُ الى مكابدتهِ ساعة اخرى كان الجنون ايسر ما اصاب بهِ وانتهي اليهِ . فارجو ان تعالجهُ بكاوٍ او ان تستأصلهُ او تفعل شيئاً آخر يريحني منهُ

فسكّن الجراحيُّ اضطرابهُ وقال لهُ ان الخطب سهل وقد لا تمسّ الحاجة الى اجراء عملية جراحية . فاعترضهُ الرجل بقولهِ :

— لا لا. لا بدّ من العملية. وانما جئت اليك لاستئصال العضو المصاب والاستراحة من هذا العذاب

ثم خلّص يدهُ من المعلاق ورفعها متألماً واستتلى كلامهُ :

— لا يأخذنّك اقلّ عجب اذا لم ترَ جرحاً ظاهراً في يدي . فان حالتي هذه غريبة في بابها وخارجة عن قياس الحوادث المألوفة

فقال لهُ الجراحيُّ انهُ ليس من عادتهِ ان يعجب مما هو غريب ونادر . وبعدما انعم نظرهُ في اليد لم يسعهُ اخفاء دهشتهِ وتعجبهِ لانهُ لم يجد فيها اقلّ حاجة الى طبٍّ او علاج ولم يكن بينها وبين اليد الاخرى اقلّ فرق في شيء على الاطلاق . ومع ذلك كانت معاناة صاحبها لاشدِّ الآلام ظاهرة باجلى بيان . فسألهُ الجراحيُّ : —

— أين موضع الالم ؟

فمدّ الرجل يدهُ نحو الجراحيّ واشار الى بقعة صغيرة مستديرة بين الوريدَين الكبيرين . ولكنهُ ، لما جسّها الجراحيّ بطرف بنانهِ وبما لا مزيد عليهِ من الرفق والاحتراس ، انتزعها منهُ ونابت دموعهُ عن لسانهِ ببيان الالم الشديد الذي شعر بهِ من هذه اللمسة الخفيفة . فقال الجراحيُّ :

— ان هذا من اغرب الامور . لاني لا ارى في يدك شيئاً يدل على ما تشكوهُ

— ولا انا . لكنّ الألم يسومني ما لا يطاق من اللذع . واني افضل الموت عليهِ

فتناول الجراحيّ المجهر (المكرسكوب) وفحص بهِ اليد كلها فحصاً مدققاً وقاس درجة حرارة الرجل ثم هزّ رأسهُ وقال :

— ان الجلد والشرايين في احسن حالة صحية .ولا اثر للالتهاب او الورم . واليد كلها سالمة من الاعتلال

— ولكن الاحمرار ظاهر في البقعة

— أين ؟

فرسم الرجل على ظاهر يدهِ دائرة صغيرة في حجم المليم وقال :

— هنا

واذ ذاك رفع الطبيب نظرهُ اليهِ وقد حدثتهُ نفسهُ بانهُ يعالج رجلاً مصاباً بعقلهِ لا بيدهِ . فقال لهُ :

— يجب ان تقيم بضعة ايام في المدينة وسابذل جهدي في إسعافك بما تمسّ الحاجة اليهِ من العلاج

— ليس في وسعي ان انتظر دقيقة واحدة ولا يخطرنَّ ببالك يا حضرة الطبيب اني مأخوذ بعارض جنون او وهم . ولكنَّ هذا الجرح الخفيَّ يذيقني امرَّ الالم . فاروم ان تجرّد مبضعك وتسلّطهُ على هذه البقعة ليقطع اللحم حتى العظم

— لستُ بفاعل هذا

— ولماذا ؟

— لانهُ ليس في يدك اقلُّ شيء يدعو اليهِ وهي مثل يدي في الصحة والسلامة

فاخرج الرجل من جيبهِ ورقة نقود بقيمة ألف فلورين ووضعها على المائدة وقال:

— اظنك تخالني مجنوناً او مخادعاً . ولكنني لست كذلك . واني اكلّمك بكمال التعقل والجدّ والاهتمام. والامر جلل وذو بال .وها انا مستعدّ لدفع هذا المبلغ للتخلص منهُ . فارجو ان تعجل في اجراء العملية

— لستُ بمستعمل مبضعي في عضو صحيح سليم ولو أُعطيت مال قارون

ولماذا ؟

— لانهُ ينافي سنة ضميري ويخالف آداب صناعتي ويدعو الناس كافة الى الحكم عليك بالعته والبله وعليَّ بمعرة الانتفاع بضعفك وجهلك او على الاقل بجهلي تشخيص جرح غير موجود

— اذن اتولى انا بنفسي اجراء هذه العملية وان تكن يدي اليسرى لا تطاوعني كما اريد . وغاية ما ارجوهُ ان تعنى بمعالجة الجرح بعد فراغي من شقهِ

فدهش الجراحيُّ اذ رآهُ جاداً كلَّ الجدّ فيما قالهُ وقد خلع سترتهُ وحسر كمَّ

قميصهِ واخرج سكيناً من جيبهِ واحدث بهِ جرحاً عميقاً في يده قبلما تمكن الجراحي من منعهِ عنهُ . فاوجس خوفاً من قطعهِ وريداً او شرياناً وصاح بهِ من فورهِ :—

— قف . قف . اذا كنت مصرًّا على اجراء العملية فانا اعملها

ولما اكمل استعداده ُ لاجرائها نصح للرجل ان يحوّل وجههُ الى الجهة المقابلة لان من عادة الناس في الغالب ان ينزعجوا من رؤْية دمائهم نازفة فقال لهُ :

— لا حاجة الى ذلك . وعليَّ ان اوجه نظري اليك لاحدد لك محلَّ القطع وتحمَّل الم العملية بجلَد منقطع النظير غير مبدٍ شيئاً من علامات التوجع ولا ظهر على يدهِ اثر الارتعاد والارتعاش . ولما فرغ الجراحيّ من قطع البقعة المحدودة تنفس الرجل الصعداء كمن يلقي عن كاهلهِ عبئاً ثقيل الحمل . وسألهُ الجراحيّ :

— هل تشعر الآن بشيءٍ من الالم ? فاجابهُ باسماً متهللاً :

— كلاَّ يا سيدي . وكأني بالالم قد استؤصلت شأفتهُ او أُقتلع من جذورهِ . وكأن الهياج الذي احدثهُ القطع نسيم عليل بليل يهبُّ على الجسوم بعد لفح السموم . وارجو ان تطلق للدم عنان النزف لازداد ارتياحاً وانتعاشاً

وبعد ما فرغ الجراح من لأم جرحهِ وضمدهِ لاحت على محياهُ علامات الاغتباط والاطمئنان وشكر للطبيب عنايتهُ واهتمامهُ وانطلق بعدما اخبرهُ باسم الفندق المقيم فيهِ حيث عادهُ يوماً بعد يوم وسنحت لهُ فرصة سبرغورهِ ومعرفة ما خفي عليهِ من احوالهِ فعظم شأنه في عينيهِ لانه رآهُ من صفوة اهل الريف وذوي الوجاهة والكرامة وعلى جانب عظيم من تثقيف العقل وتهذيب النفس ومن اسرة عريقة في الحسب والنسب . وبعدما التأم جرحهُ على الوجه المروم رجع الى بلدهِ

لكنه بعد ثلثة اسابيع جاء الى الجراحيّ ويدهُ معصوبة ومشدودة الى صدرهِ وهو يشكو عذاباً صَعَداً من ألم مبرّح في يدهِ — في البقعة نفسها حيث تألم قبل اجراء العملية الجراحية . وكان وجهه اصفر كالشمع والعرق البارد يقطر من جبهتهِ . فجلس على الكرسيّ جلوس المعيي المنهوك ومد يدهُ اليمنى الى الطبيب . فصرخ هذا مأخوذاً بحيرة ودهشة لا مزيد عليها :

— ماذا اعتراك ? فاجابهُ بصوت يقطعهُ الانين :

— يظهر انك لم تبلغ في القطع الى العمق المطلوب . ولذلك لم يلبث الالم ان

أعاد كرَّتهُ عليَّ وهو بالغ في الاشتداد مبلغاً يشب عن طوق الوصف . فارجو ان تعيد اجراء العملية بلا اقل ابطاء

ففحص الجراحيّ الموضع الذي اجرى العملية فيهِ فاذا بالجرح ملتئم كل الالتئام وهو مغطى بجلد جديد والاوردة كلها في انتظام تام والنبض جارٍ في حركتهِ على ما يرام وليس للحمَّى من اثر . ومع ذلك كان الرجل مصاباً برعشة ترجّ اعضاءهُ رجًّا . وتلك حالة لم يسبق للجراحيّ ولا لغيرهِ من الاطباء أن شاهدوا لها مثيلاً على الإطلاق. ولم يكن ثمَّ مندوحة عن إعادة العملية. فتمَّت كما في المرة الاولى وانقطع الالم وشعر صاحبنا براحة التخلص منهُ ولكنهُ لم يبتسم هذه المرة. وعندما شكر الطبيب وودَّعهُ كان وجههُ مغشيًّا بسحابة الحزن والكآبة . وقال وهو منطلق :

— لا تعجب ان رأيتني راجعاً اليك بعد شهر

— خلِّ عنك الاهتمام بهذا الامر

— انهُ محقق عندي كتحقيق وجود الله في السماء . فالى اللقاء

وعرض الجراحيُّ هذه الحادثة على كثيرين من زملائهِ فبحثوا فيها بحثاً مطولاً ولكنهم انتهوا منهُ كما ابتدأوا من غير ان يظفروا للغزها بحلٍّ واضح صريح

***

وانقضى شهر على ذهاب الرجل ولم يعد . ثم مرت بضعة اسابيع . وعوضاً عن مجيئهِ بنفسهِ جاء منهُ كتاب الى الجراحي هذه ترجمتهُ :

«عزيزي الدكتور : لا اروم ان تبقى في اقل ريب من جهة جهد البلاء الذي أعانيهِ ولا يهمني ان يظل سرّه في صدري ويدفن في قبري . واود ان اطلعك على تاريخ دائي الدفين فقد عاودني الآن ثلث مرات ولست بعازم على مواصلة الجهاد والكفاح كلما انتقض الجرح بعد الالتئام وجرعني غصص الاوجاع والآلام . وقد تمكنت الآن من كتابة هذه الرسالة اليك بان وضعت على محلّ الالم جذوة نار شديدة الاستعار من باب ازالة المرّ بالامرّ او عملاً بالمثل القائل « ان الحديد بالحديد يفلح »

« كنتُ الى عهد غير بعيد راتعاً في ظلّ السعادة وناعماً برغد العيش وصفاء البال لا يعوزني شيء مما تطمح اليهِ نفس رجل في سنّ الخامسة والثلثين . ومنذ سنة عملتُ بمقتضى سنة الزواج ، بعد ما اطعتُ داعي العشق والغرام فاقترنت بسيدة كانت آية في

الحسن والجمال ، مستوفية قسطها من التثقيف والتهذيب . وكانت قبل اقتراني بها خليلة لسيدة نبيلة (كونتس) مجاورة لي . فأشرب قلبهـا محبتي والتعلق بي . وقضينا ستة الاشهر الاولى في غبطة ومسرة كانتا كلَّ يوم في نمو وازدياد . وكانت كلما ذهبتُ الى المدينة لقضاء بعض الحاجات ، تقطع مسافة طويلة ، ماشيةً على قدميها ، لتلاقيني في اثناء رجوعي . وكانت لي اطوع من بناني ، تأتمر بأمري وتنتهي بنهيي بلا اعتراض ولا سؤال ، دائبةً على الدوام في عمل كل ما يرضيني ويسرّني

« وفي إبان هذه السعادة التامة خطر لي — ولا اعلم كيف خطر لي — ان سلوكها هذا كلهُ تكلُّف وتصنُّع . وكثيراً ما يبلغ من شدة حماقة الانسان أن يجلب على نفسهِ النكد والشقاء في اثناء تمتُّعهِ بكمال الصفاء والهناء . فقد كان عندها مائدة صغيرة للخياطة ولها درج كانت دائماً تحرص اشدَّ الحرص على حفظهِ مقفلاً . فلم تتركهُ قطُّ مفتوحاً ولا ابقت مفتاحهُ فيهِ . وهـذا الامر رابني وهاج فيَّ الغيظ والحنق . وجدَّ بي اهتمام شديد لمعرفة السرّ الذي حاولت كتمانهُ عني . وأخذتني غيرة سلبتني عقلي ولم تبقِ على رشادي . فشككتُ في صدق نظراتها الخالصة وقبلاتهـا الحارَّة وكلماتها الحلوة وعددتُ هذه كلها قناعاً تسدلهُ على ما وراءهُ من ضروب المكر والخداع

« وفي ذات يوم جاءت السيدة النبيلة تدعوها الى زيارتها وقضاء النهار في قصرها فوعدتها اني اذهب اليها بعد الظهر لاعود بها . وماكادت المركبة تخرج بهما من فناء داري حتى عمدت الى الدرج وشرعت اعالج فتحهُ . واخيراً تمكنتُ من ذلك باستعمال واحد من المفاتيح الكثيرة التي عندي . وبين الاشياء المختلفة التي فيهِ عثرت على رزمة رسائل عشق وغرام مربوطة بسلك بنفسجيّ !!

« فلم اتمهل ريثما افكّر في الامر لارى هل يسوغ لي الاطلاع على اسرار زوجتي في ايام حداثتها ! واستكدَّني عاملٌ خفيٌّ في التحري لعلَّ هذه الرسائل تتعلق بزوجتي بعد اقترانها بي . فنشرتها وتلوتها الواحدة بعد الاخرى . وكانت اشأم ساعة في حياتي كلها ! لاني وقفتُ على افظع خيانة اقترفتها امرأة ضدَّ رجل . وكان كاتب هذه الرسائل من أعزّ اصدقائي الاصفياء: أما نسق الكتابة واسلوب الكلام ومغزاه ومعناهُ فما لا يطاوعني القلم على ذكره ولو بأخفى وجوه التلميح . وليس في طاقتي ان اشير الى شدة إلحاحهِ عليها في كتمان الامر عني ولا الى تعريضهِ بي وازدرائهِ لي . وكلٌّ

منها مكتوبة بعد زواجها . فقد زعمتُ اني كنتُ سعيداً والآن تجرَّعتُ دفعة كأْس شقائي حتى الثمالة . ولما فرغت من تلاوتها طويتها وارجعتها الى الدرج وأقفلتهُ

« وكنتُ قد توقَّعتُ انها تعود في المساء وحدها اذا تأخرتُ عن الذهاب اليها وهكذا كان . ولما بلغت بها المركبة الى بوابة بيتي قفزَت منها خارجة لملاقاتي وعانقتني وأمعنَت في تقبيلي مبالغة في اظهار شوقها وولوعها . أما انا فكظمت غيظي ولم أبح بشيءٍ مما في صدري . وتناولنا العشاء معاً وقضينا جانباً من الوقت في السمر كجاري العادة . وعندما حان وقت النوم دخل كلٌّ منا مخدعهُ . وكنت قد عقدت عزمي على امرٍ بإصرار مجنونٍ مسلوبِ الرشاد وعنادِ مغيظٍ محنق ما بعده من عناد . ولما انتصف الليل طرقت مخدعها متسللاً ونظرت اليها وهي راقدة في حضن الدعة والاطمئنان ووجهها طافح بنور البراءة من كل منقصة ومذمَّة . فقلت في نفسي لله من رياء الطبيعة ونفاقها ! فقد اخفت خطيئة الخيانة وراء هذا الوجه الصبيح الصريح. وكان سمّ السخط والضغينة وحب الانتقام قد فعل بي فعله وتمكن من جوارحي كلها . فقبضت بيدي اليمنى على عنقها وضغطتهُ بكل قوتي . ففتحت عينيها ونظرت اليّ حائرة مشدوهة . ثم أغمضتهما واسلمت الروح . لم تحرّك اقلّ ساكن في الدفاع عن نفسها . بل ماتت بهدوء وسكون كأنها في حلم . لم تفه بكلمة تبرُّم او تظلم من اغتيالي لها . ولكن قطرة دم نضَّت من شفتيها وسقطت على يدي — في البقعة التي عرفتها . ولم انتبه لها إلاَّ في الصباح . وكان الاحتفال بدفنها بسيطاً الى الغاية . فقد كنت مقيماً في ضيعة حيث لا مراقبة صحية من قبل الحكومة وليس من يداخلهُ اقل ريب في الامر لان المرأة كانت زوجتي ولم يكن لها انسباء ولا اصدقاء فلم اضطرّ الى الاجابة عن اسئلة من هذا القبيل . ولزيادة الاحتراس اذعت نعيَّها بعد الفراغ من دفنها لأكفى مؤونة العنت والازعاج من بعض الفضوليين

«لم اشعر حينئذٍ باقلّ وخزٍ من قبل تبكيت الضمير . نعم اني قسوت عليها قسوة وحشية ولكنها استحقت ذلك جزاء خيانتها . لم ابغضها . ولم يصعب عليّ نسيانها . وما من قاتل اقدم على ارتكاب جريمة القتل وكان اقسى مني قلباً واقل شعوراً !!

«وبعد الفراغ من دفنها رجعت الى البيت واذا بالسيدة النبيلة قادمة في مركبتها وهي في اشدّ حالات الدهش والذهول وتوشك ان تغيب عن الصواب من جراء مفاجأة

النعي لها على غير توقع ولا انتظار . وعندما كلمتني محاولة تعزيتي لم افقه لكلامها معنى ولا اعرته شيئاً من الاهتمام لاني بالحقيقة لم اكن في حاجة الى التعزية . ثم تناولت يدي برفق ولطف وقالت انها تودّ ان تفضي اليّ بسرّ وترجو ان احرص على كتمانه ولا احاول الانتفاع به. وهو انها كانت قد ائتمنت زوجتي على رزمة رسائل لم يمكنها حفظها في بيتها . والآن ترجو ان اردّها اليها . فشعرت بقشعريرة رعب وذعر انتفضت بها « كما انتفض العصفور بلله القطر » . لكنني تكلفت الجلد وسألتها عن محتويات هذه الرسائل . فراعها هذا السؤال واجابت عنه بقولها :

« كانت زوجتك اوفى امرأة عرفتها في حياتي. فلم تسألني قط عن موضوع هذه الرسائل وزادت على ذلك وعدها لي بعدم محاولتها الاطلاع عليها

— هل تعلمين اين وضعت رسائلك ؟

— اقفلت عليها في درج مائدة الخياطة وهي مربوطة بسلك بنفسجي . فلا يصعب عليك ان تجدها . وعددها ثلثون

فذهبت بها الى الغرفة حيث مائدة الخياطة . وفتحت الدرج واخرجت الرزمة منه وناولتها اياها قائلاً :

« هل هذه رسائلك ؟ »

« فاخذتها بلهفة لا مزيد عليها وانا مطرق لا اجسر ان ارفع عينيّ اليها مخافة أن ترى فيهما ما يطلعها على سر قلقي واضطرابي . وما عتمت ان ودعتني وذهبت

« وبعد اسبوع من وفاة زوجتي هاج بيدي الم شديد في البقعة حيث سقطت قطرة الدم في تلك الليلة الهائلة . وكان من ذلك ما كان مما لا يخفى عليك . لا اجهل أن هذا كان من قبيل الاستهواء . ولكنني لست بقادر على اجتنابه والتخلص منه . وهو عقاب عادل استحقه جزاء تسرُّعي وقساوتي وإقدامي على سفك دم طاهر زكي. ولست بعد الآن بعازم على مقاومته ومحاولة النجاة منه . لاني ذاهب اليها وسأبذل جهدي في حملها على الصفح عني . ومن المحقق عندي انها تجيب سؤلي هذا وانها ستحبني كما احبتني في حياتها

« ومن صميم فؤادي اشكر لك أيها الجراحي الفاضل عنايتك بي وعطفك عليّ »

ترجمة : أسعد خليل داغر

النساء والرجال

وجوه الشبه والاختلاف بين الفريقين

٢

١١ : يظهر حب المرأة للاجتماع في شوقها الشديد للاستحسان الاجتماعي — الرأي العام . فلرأي الجيران عندها وزن ليس عند الرجل مثلهُ لان هذا الشعور الاجتماعي يشغل من حياتها ما لا يعاوهُ الحب والامومة فهي تفوق الرجل غروراً وزهواً بفضلها وجمالها فتقضي كل يوم نصف ساعة على الاقل في ذرّ مسحوق « البودرة » على انفها .ويبلغ حبها للبلاغة في بيانها حدود الهذر وميلها الى التقليد في اعمالها حدّ المبالغة وهي اكثر من زوجها هياماً بالارتفاع في الدوائر الاجتماعية بل ان تطلعها الى المقام الاجتماعي يثير اكثر من نصف الرياح التي تسوق شراعهُ . ولذلك هي راضية برضوخها لمن فوقها ، فخورة بسيادتها من دونها وللاسباب نفسها هي اكثر ادباً ، واعمق شعوراً ، وابلغ لطفاً ، لان شعورها الاجتماعي يمتزج بامومتها ورقتها ، ولا ريب في ان لطفها واستعدادها لمؤاساة الضعيف يرجحان غرورها

١٢ : وبالنتيجة ان اتصاف قلب المرأة وعقلها بهذه الصفات يجعلها اكثر تديناً. فتحملها شدة عاطفتها على الاسراع في تلبية الحث الشديد الذي توجههُ الديانة الى الاحساس والشعور .وهي اكثر من الرجل شعوراً بالنكبات التي تفاجئ الحياة وتترعها حزناً واسى . وشوقها لاستئناف العلاقة الحبية مع الحبيب الذي فقدتهُ يقنعها بصحة الخلود . فتظل الطبيعة لغزاً مقدساً لها .(ولعلها في عجزها الوضيع هـذا ، عن فهم الاسرار ، اكثر التصاقاً بالطبيعة من علمنا الميكانيكي) .فهي بحسب فطرتها تتعبد حيث يجدّ الرجل في البحث العلمي . ولما كانت ضعيفة في بناء جسمها فمن الطبيعي ان ترنو الى حماية من يحميها .واذ يحيّر العالَم عقلها تلتمس الهداية السموية بالصلاة .ولما كانت تخاف الوحدة وتميل الى الاجتماع فهي تملأ جوّها بالارواح العلوية التي تؤنسها في وحدتها وتساعدها في حاجتها وضعفها .وهي اول من يرحب بصور جديدة من الايمان وآخر من ينبذ الصور القديمة .قد يحمل اليأسُ الرجلَ على الانتحار ، اما المرأة فبعد فقدها كل رجاء تجد قوة وسلوى في الله

١٣ : هذه هي غرائز الرجل والمرأة الاساسية.على انهُ لا يجوز الظن انها لا تتحول

بالاختبار ولا تصقل بالتهذيب . فكلا الجنسين ارتقى ارتقاء عقليًا على اسس هذه القوى والغرائز . فكيف يختلف هذا البناء العقلي السامي في الجنسين ؟ الجواب ، انهُ في الرجال اوسع واعلى ، لانهم خرجوا ، في خلال القرون المتوالية ، من وطن التقليد الى عالم التجديد. واضطرتهم طبيعة الامر ان يواجهوا احوالاً جديدة وعوامل جديدة لا تلائمها الغرائز التقليدية القديمة . فبالضرورة ارتقت قابليتهم المرنة المؤدية الى النجاح الذي يثير ذكاء العقل ويذكيهِ . على انهُ يمكن اتخاذ الغريزة دليلاً في بعض الاحوال الخاصة فاذا كانت الحالة التي يواجهها الانسان من النوع التقليدي ، كالحالات التي صادفتها الانسانية قروناً متوالية ، كانت الغريزة كافية كدليل للتصرف ، وحينئذٍ تبرهن ارجحيتها على افعال الفكر المتردد . الى عهدنا هذا كانت مساعي المرأة مقتصرة على وجود الزوج وتربية الولد. ولا يزال ذلك السعي يشغل جانباً كبيراً من وجودها . هذه هي القضايا القديمة التي قابلتها كل امرأة الى ابعد ما تبلغ الذاكرة ولاجل هذه المواقف شاءت الطبيعة غرائز تطابقها . وتلك الغرائز هي هادمة احياناً ، ولكنها على العموم مفيدة ومعقولة

١٤ : فمن ثم كانت المرأة تفوق الرجل في وحدة الغريزة وكمالها ودقتها . والرجل اكثر انتقاداً وارتياباً وتلوناً بصبغة الفكر المتردد فاضاع القوة التي تمنحهُ اياها غرائزهُ ليُحلَّ محلها ليناً يمكنهُ من مجاراة احوالهِ الجديدة . ففقد بذلك دقة العمل الغريزي واندفاعهُ وسرعة تلبيتهِ للموقف الذي يقتضيهِ . فهو حائر ضائع في حضرة المرأة ، لانها دائماً اكثر منهُ امتلاكاً لطبعها ، وهي عملية لا نظرية ، لانها ابرع من الرجل في رسم الخطط ، واسرع في تطبيقها ، متى كانت المسألة الحالية لها علاقة بالقرين ، او الابقاء على حبيب، او انشاء بيت . فما من رجل تحت الثلاثين يشابه امرأة في العشرين في فن الحب اللطيف .اذ توجد اشياء تعرفها المرأة قبل ان تولد ، فكانها انتقلت اليها مع جراثيم الوراثة . ولا يحصل الرجل على معرفة تلك الاشياء بغير الاختبار الصعب . فالمراة ترى اكثر مما تقدر ان تصوغ . والرجل يصوغ اكثر مما يرى . المرأة تفكر فوراً ، وتكذب عفواً ، وهي اسبق من الرجل الى اختلاق الاعتذار وفي المآزق الحرجة هي التي تبسط الواقع برابطة جأش

١٥ : وبما انها مجهزة منذ ولادتها بما تستدعيهِ مهام الحياة ، اكثر من الرجل ، كانت اسرع منهُ في بلوغ طور الرشاد ، فاقصر منهُ صبوة ولذلك حكم بعضهم بانحطاط

جنسها — لان الصبوة تطول على قياس ارتقاء النوع، وذلك من قضايا علم البيولوجيا — ولكنهُ حكم يلزم اطراحهُ لانهُ اذا صح كان الفيل والسلحفاة ارقى ما ابدع الخلاق. فللعقل صبوة كما للجسد، وتختلف مدة الصبوة العقلية في مختلف الاشخاص. فبعضهم يرشد باكراً، وبعضهم آجلاً، وآخر لا يرشد مدى الحياة بل يموت قاصراً كما عاش قاصراً. والظاهر ان صبوتنا الانسانية مديدة، اذ يزداد عجزنا في عالم يزداد تعقيداً وبعداً عن استعدادنا الفطري ووسائلنا الموروثة. وقليل هم الرجال الذين يبلغون رشادهم العقلي في يومنا هذا قبل انتصاف حياتهم. ولكن المرأة، بالنظر الى بساطة حياتها، وقربها الى الفطرة، ترشد باكراً جسداً وعقلاً. فتقتبس آداب الاجتماع عن رضاه وهي اسرع تعلماً في المدرسة من فتى في سنها. وقد برهنت حديثاً عن تفوقها، في كلية ردكليف، على اقطاب الطلاب في جامعة هارفرد. على ان هذه السرعة في الارتقاء تميل الى الوقوف باسرع مما في الذكور. فلا تتقدم الانثى عما كانت يوم ولادتها بقدر تقدُّم الذكر المكافح المختبر. فهي تلوذ بالتليد وهو يقتنص الطارف. هي عضو المحافظة ومقره، وهو مندوب النوع ومناديه. هي جذور شجرة الانسانية وجذعها، فتتشبث بالتربة التي منها تستمد نموها وتنبت، فروعها في محيطها الترابي واغصانها في محيطها الجوي

١٦: والجانب الآخر من محافظة المرأة سببهُ ان مهامها عائلية ومحيطها الغالب هو بيتها. فهي عميقة كالطبيعة، تحدّ جدرانُ غرفتها فكرَها وعاطفتهـا فغرائزها تميل بها الى المحافظة على التقاليد كما يميل الخبير الى الميدان الذي يتفوق فيه على غيره. وهي كذلك اقل ميلاً من الرجل الى التحقيق والامتحان في المسائل العقلية والادبية

واذا دفعت بها دوافع الشباب والحماسة الى ولوج ابواب الاصلاح السياسي، ونشر لواء محبتها على الانسانية، فانها تصدف عن هذه التجارب حالما تجد قريناً اميناً وتخرج به شيئاً فشيئاً من دائرتها العالمية الواسعة الى دائرة المحبة العائلية، الضيقة النطاق

وحسناً تفعل، لان المرأة تعلم، دون اعنات للفكر، ان الاصلاح الوحيد الصحيح يبدأ في العائلة. فحين تحوّل غيرتها التائهة الى العناية باولادها تكون نائبة الجنس في البدء بهذا الاصلاح لان طبيعتها قليلة العبء بالدول والشرائع. وشغفها موقوف على العائلة والولد فاذا افلحت في حفظ هذين فسيان عندها الحكومات والاسر المالكة. فتسخر ممن يعنون باصلاح القوانين والنظم الاساسية. واذا لاح لنا الآن ان الطبيعة خائبة في حفظ العائلة والولد فذلك لان المرأة تناست احكام الطبيعة. ولكن الطبيعة لا تندحر طويلاً

١٧ : تُولد النساء مجهزات بالذكاء والفطنة . اما بعض الرجال فيحصلونهما بالجد والاجتهاد والبعض الآخر يرغم على الاتصاف بهما . فقد اصبحت حياة الرجال بعد الانقلاب الكبير الذي احدثتهُ الثورة الصناعية مجموعة من التبعات والمسؤوليات التي اقبلوا عليها او اقبلت عليهم من غير انتظار او استعداد . فرزح كثيرون منهم تحت ضغطها الشديد وفاز البعض الآخر بإذكاء نار العقل والذكاء الى درجة بعيدة تستنفد كل قواهم العصبية . لذلك ترى بين الرجال كثيرين من النوابغ والمجانين . ولما اخذت الصناعة تجذب النساء اليها وتنظمهنَّ في سلكها اخذت النساء تتطور كما تطوَّر الرجل من قبل من الوجهة العقلية . ولكن رغماً عن تغيرهنَّ وتطوُّرهن ما زلنَ محافظات على بعض الفوارق العقلية التي يعتززنَ بها على الرجال

والظاهر ان المرأة تلقى عناءً شديداً في ادراك الحقائق والمبادىء المجردة . لكن لها عيناً حادة تدرك الحقائق الواقعية وذاكرة قوية لحفظها . على انها غير بارعة في التعميم والتعليل المبتكر اذ تضيع نفسها وتعمى عن مقصدها لعنايتها بالتفاصيل . فهي اكثر اكتراثاً للشخصيات منها للافعال والاشياء . واذا جادلتْ في موضوع وقفت في جوابها موقفاً شخصيًّا ودافعت عن رأيها من وجهتها الخاصة . وذلك لانهُ قُسم لها من مهد العمران ان تعنى بالاشخاص — الزوج والولد . واما الرجل فقد حتم عليهِ ان يخوض معامع التجارة والصناعة ويصطدم بالعوامل والافعال الطبيعية والاجتماعية فضلاً عن احتكاكهِ بالنساءِ والاولاد . وعليهِ ترى انهُ من السهل على الرجل ان يعنى بكتاب يذيع مبدأً فلسفيًّا مجرداً واما كتاب المرأة فيجب ان يكون قصة . فانها لا تزال تلبس المبادىء اثواب الاشخاص فيسهل عليها ان تتصور الآلهة تدير اعمال الكون وتطور الاجتماع في حين يتعذر عليها ان تدرك انقلاباً اجتماعيًّا او اقتصاديًّا تكوّنهُ عوامل خاصة وتدفعهُ الى الامام

يرتاح خاطر الرجال ، من دارسي الفوارق العقلية بين الجنسين، الى قلة ما ابرزن من آثار الذكاء والنبوغ . فانهُ حتى في الفن الذي لا يخلو من علاقة بالجمال ، وحتى في الموسيقى الفعالة في الشعور ،كان منتوج المرأة اقل مما دلت عليهِ جهودها وفرصها. فالنساء اكثر عزفاً للآلات الموسيقية ، ولكن الرجال اكثر تأليفاً في فنها . ومتى اعترف الرجل للمرأة بمزية عقلية او فنية كان ذلك مقدمة لاستلابها اياها بقولهِ « انها عقلية رجل » . قال شوبنهور بوجود حرب بين الفطنة والامومة . فاذا صدقناهُ نتج

عن ذلك ان ما من امرأة تفوّق عقلاً الا اذا شذت ، شذوذ شوبنهور عن مستوى اقرانه . فقد دخنت جورج ساند لفائف الرجال . ورأى سبنسر ان جورج اليوت أقوى من أن تذوب نفسهُ الصلدة

واسباب عدم رسوخ النساء في الذكاء والنبوغ مركبة يتعذرحصرها ووصفها.وقد نكون متحاملين عليهنّ في تحديدنا ، ناسين ان في الامومة فطرة ذكاء كما في السياسة او الادب او الحرب . فلا يبنى الحكم بالمساواة في النبوغ على القابلية لعمل كل شيء بحذق واحد،بل يبنى على القابلية لاتمام الاعمال اتماماً مقروناً بالصلاحية والملاءمة لكل جنس ولكل جيل.فاننا ميالون لانتقاص النبوغ في جيلنا متى قسناهُ بنبوغ القرون الماضية التي يحبوها تغلغلها في التاريخ بشيء من الروعة . ونرغب ، في عصرنا الحاضر ، في طلب الحكمة في نفس الميادين التي ازدهرت فيها سابقاً. مع انهُ قد تكون امثال العقول التي نبغت قديماً في الادب والفن ،غارقة اليوم في بحر الصناعة البعيد الغور والاطراف. فان الجهود لتجديد العالم الطبيعي تستغرق كل قوتنا وتستنفد كل جهدنا . عندنا علماء كبار،ومخترعون اعاظم،فلا تتوقعوا معهم ظهور افلاطون وشكسبير وليوناردو وبتهوفن

١٨ : ولعلَّ تفوّق الرجال على النساء نبوغاً سببهُ ان النبوغ يتجلى عادة في الاقلية المتعلمة في كل من الجنسين . فلا تصح المقابلة حتى يتناسب عدد المتعلمين العلوم العالية في الفريقين . وقد يكنّ في عوز للاستعداد الحيوي الطبيعي الذي يستلزمهُ الاشتغال بالفنّ . او انهنّ اقل منهم موهبة في حاسة الجمال التي تهيب بالنفس الى التجديد الروحي.فتخسر المرأة شيئاً من عبقريتها لرغبتها في ان تمتلك ، لا ان تملك. ولذا فهي توحي الفن اكثر مما تستثمرهُ . ولربما لم تجد في الرجل المتكبّر الخشن من الجمال ما يثيرها للابتكار والابداع . وكيف تتطلب الجمال وهو مجسّم فيها

١٩ : بقيت مسألة واحدة ، وهي : أإرثيّة هذه الفوارق ام طارئة ؟ هنا يعسر الحكم ، لاننا في ميدان تنازع العلم ، وارتياب الفلسفة في المعرفة وفي انتاج الفروض. وقد يغامر الانسان بالتسليم بانهُ مع اقتران هذه الفوارق ماليًّا واجتماعيًّا بمختلف المزايا الراسخة في البنية والوظيفة ، فهي بالاكثر ارثية اجتماعيًّا وطارئة فرديًّا . وتتوقف الى حدّ بعيد ، على التصورات التي يصوغها الرجال فيهنّ احتفاظاً بمنفعتهم واقتناعهم ، تحملهم عليها الوف من عوامل البيئة . وقد قالت احدى المعلمات محتجة : — يشجّع الفتيان على انماء الشخصية الفردية ويربون تربية تعدهم للاستقلال

في الفكر وفي العمل . ولكنّ الفتيات يؤمرنَ بالطاعة والاعتماد على الغير ، والتمايز بينهنّ وبينهم . ويحملن على الشعور ان التطرف في الاستقلال في الفكر وفي العمل هو تقهقر في سيرهنّ ، وغير لائق ولا نسائي . اما الفتى فقد نشأ على الشعور بان نجاحه في الحياة متوقف على فوزه في الابتكار »

على ان النساء ابرزنَ في ثلاثة أجيال في كل ميادين العمل والعلم من صفات الرجال العقلية والادبية ما يحمل كل فيلسوف ادبي في العالم المسيحي على ندب ترجل الجنس الذي كان فيما سلف الجنس الاضعف والالطف . فقد اثبتت جماعات المحاميات والطبيبات والحاكمات قابلية النساء في دائرتهنّ الضيقة على انهنّ يستطعنَ مزاحمة الرجال في الفنون والاعمال التي سبق فرسخت اقدامهم فيها . وقد خرّجت الكليات منهنّ جماعات لا يقدم رجل على التزوج بهنّ ، لان تفوقهن العقلي يسقط صف الرجال في الزعامة والادارة ، وقد كان ذلك من موروثات الزواج الماضي وضحاياه . فلما خلفت المعامل البيوتَ والمخازنُ الحقول ، وعملت فيهما الانثى جنباً الى جنبٍ مع الذكر ، ضاقت ثغرة الفرق بينهما

فالنتيجة المعقولة لهذا الانقلاب السريع ان النساء اذا اخترن ان يعشن على قدم المساواة التامة بالرجل في وظائفهِ زاحمنهُ وفزنَ بالمساواة التامة بهِ عقليًّا وادبيًّا . بل ربما فقنهُ عقلاً . ولكن لا بدَّ ان يظهرنَ من التعقل ما يثبت لهنَّ ان تقليد الرجال عهد وينقضي وان الرجال لا يستحقون شرف هذا التقليد وان السعادة كالجمال والكمال تستقر في ادراك غرض الحياة وتحقيقهِ . وستطلب القائمات بحركة تحريرهنّ ان يكنّ نساء كوامل لا رجالاً غير كاملين . فيجعلن الامومة فنًّا يعتمد على الذكاء والاستعداد . ومن يعلم فقد يجعلن الامومة اعظم الفنون وارقاها ؟

وقد اوقفتهن حريتهنّ الحديثة ، تجاه مسائل لا تقل عن مسألة استعبادهنّ تعقيداً وخطراً . وفي هذا الموقف ما من رجل يتمكن من اسعافهنّ . لان عقل الرجل اكثر ميكانيكية وخشونة من ان يفهم بلطف وشعور حراجة التطور الذي يشوّش حياة المرأة وعقلها . فعقل المرأة وحدهُ هو الذي يخوض هذا المعمان الجديد . وقد تفوز فيهِ . فان الهمة التي مكنتها من احراز الحرية ستهبُ لمصادمة ما ولَّدتهُ تلك الحرية من المشاكل . ولا بدَّ ان تكشف السبيل لمقارنة اشعة الجمال والهمة التي سطعت منها الى اليوم باللطف اللائق الذي يزدهر في الحب الملوكي والامومة الكاملة

مترجمة عن الانكليزية حنا خباز

آراء واقوال لعظماء العصر

هرمن برنشتين من اشهر الصحافيين الاميركيين في مقابلة العظماء ومحادثتهم وقد نشر في مجلة «الانترنشونال بوك رفيو» الاميركية مقالا شائقاً ضمنه كثيراً من آراء العظماء الذين قابلهم ومنهم برنارد شو وتولستوي وبرغسن وهيفلوك الس . فاقتطفنا منه ما يلي :

قال الكاتب : قضيت خمس عشرة سنة مندوباً خاصًّا لصحف مختلفة قابلت في اثنائها اشهر مشهوري عصري وحادثتهم . وبعض هؤلاء المشهورين كان من الذين ترفعهم الصدف الى اوج الشهرة فيضفو ثوب مجدهم على حقيقتهم ثم تنقضي ايام قلائل فيهبطون من مقامهم الرفيع كانهم نجم من النجوم المتغيرة تراها وقد سطع نورها في الفضاء ثم لا تلبث ان يضعف نورها رويداً رويداً حتى تتلاشى او تنحط الى كواكب القدر السادس عشر او ما دونهُ فلا ترى الاَّ بالتلسكوب لصغرها . ومن هؤلاء المشهورين افراد اجتزت الوف الاميال لاقابل احدهم واتحدث اليهِ لان تفوّقهم في الفن او العلم او الادارة يصيب العمران من اصولهِ ويبقى اثرهُ في الحضارة مئات من السنين بعد موتهم

وقد اتيح لي ان اجتمع بكل رجل — تقريباً — لهُ اثر في افكار الناس او يد في تسيير حوادث التاريخ في هذا العصر . لقيتهم في معاملهم ومكاتبهم وبيوتهم فاخذتني نشوة السرور لان من هذه الاماكن تسطع انوار الفكر وتنبثق مبادئ العمل فتهتدي بها الانسانية وتجري بمقتضاها

قابلت متشنيكوف فبسط لي اكثر المذاهب العلمية العصرية . وتحدثت الى تولستوي في اصول الدين وقواعد الفن واجتمعت ببرغسن فلخص امامي احدث الآراء الفلسفية ورأيهُ في « النشوء المبدع » على وجهٍ خاص . وحدثني الكونت ويت عن السياسة العالمية بوجهٍ عام وسياسة روسيا الخارجية بوجهٍ خاص وردان عن الفن وهيفلوك الس عن حقوق النساء ومكسيميليان هاردن عن التوسع الاستعماري في المانيا والبابا بنديكتوس عن سياسة الفاتيكان ازاء السلم والحرب ونوردو وزانغول عن الصهيونية وتروتسكي عن البلشفية واللورد روبرت سسل عن احرار بريطانيا والمركيز اوكوما عن البلشفية في اليابان وبرنارد شو عن كل ما يشغل ذهن المتعلم في هذا العصر

اثرهم في نفسي

وقد سألني كثيرون من معارفي واصدقائي عما كان يخالجني من الشعور حين الاجتماع بهؤلاء النوابغ وجوابي عن هذا السؤال : ان الاجتماع ببعضهم مثير للفكر كأنهُ سوط يلهبهُ ويحمله على التفكير والابداع . والاجتماع بالبعض الآخر مطمئن للنفس كانك امام الشمس حين غروبها تنير الفضاء والارض بنور ضعيف والنهار على وشك الزوال. وهذا الشعور الاخير تملكني في حضرة تولستوي . ولما كنت في معمل احد العلماء نسيت الارض وما عليها لما حملني العالِم معهُ على اجنحة الخيال والحقيقة فرأينا في معملهِ رأي العين وتصورنا بمخيلتنا عجائب الحياة واسرارها . واراني احد الكتاب ان الحياة مشهد تمثيل هزلي مقامهُ فيها مقام الماجن . ان بين هؤلاء رجالاً تتفجر منهم مبادىء الثورة فينقلونها الى ابناء عصرهم كانها قوة من قوى الكهربائية تستعمل لنسف الجبال وهم الدينامو الذي يولدها والاسلاك التي تنقلها. ومنهم من هو رسول سلام او زعيم مذهب تشاؤم يبذر بذورهُ فيما يلقيهِ من الخطب او ينشرهُ من الكتابات

تولستوي

زرت الكونت ليو تولستوي الحكيم الروسي الشهير في يونيو سنة ١٩٠٨ فقال لي: « ان مدرسة الادب الحديثة في روسيا بل وفي غيرها من البلدان قائمة على الدعوى الفارغة والانحطاط الفني والادبي . قال : حين اقرأ بوشكين ارى في كل سطر من سطورهِ جمالاً ودعة هما سرُّ عظمتهِ . وحين اطالع ما يكتبهُ الكتاب الانكليز والاميركان المحدثون اقارن رغماً عني بينهم وبين دكنز وثاكري واخرج من المقارنة بما لا يرضي فريق المحدثين

« انك لا تجد عدواً لمبدإِ الارستقراطية في الفن اكبر مني ولكن لا بدَّ من القول بانهُ حين اقبلت جماعة الارستقراطيين على تعضيد الفن ورعايتهِ عُني المتفننون بان تكون آثارهم الفنية مما يحرز مقاماً في عيون هؤلاء الارستقراطيين المثقفين ولكن حين صار الجمهور ملجأ المتفننين في فنونهم اجتهدوا ان يبدعوا ما يقبل عليهِ الجمهور فزالت تلك الصفات الممتازة التي تجعل الاثر الفني خالداً مدى العصور

برنارد شو

وزرت برنارد شو في لندن فقال لي حين الكلام على المطالعة وفوائدها :

«يجب ان نعنى عناية خاصة بالكتب التي نسلمها للراشدين من ابنائنا لاننا اذا سلمناهم كتباً لا يصح لهم الاطلاع عليها فسدوا . واما الاطفال فليس ما يمنع ان يقرأوا كلَّ شيء الى السنة السادسة عشرة من عمرهم . واما متى اجتازوا السنة السادسة عشرة فيجب ان تبذل عناية خاصة في اختيار الكتب التي يطالعونها

رأيه في التعليم والمدارس

«اننا نقترف اكبر الجنايات ضدَّ اولادنا بتربيتهم كما نربيهم الآن لان نظام المدارس الحالي نظام فاسد . ان شوارع المدن الكبيرة وشوارع القرى الصغيرة يجب ان تكون المدارس التي ينال فيها اولادنا نصيباً من التعليم والتهذيب . وعليهِ يجب ان تكون جميلة بكل ما في الجمال من معاني التثقيف . فالشوارع هي مدرسة الحياة الحقيقية . ويحق للاولاد ان يمنحوا كفاية من المال ليتعلموا قيمتهُ ووجوه الفائدة من انفاقهِ . فاذا لم يكن اهلوهم في سعة من العيش فلتمنحهم الحكومة هذا المال فهو خير من الاموال الطائلة التي تمنحها معاشات للعجزة والمتقدمين في السن

فقلت : ولكن كيف يستطيع هؤلاء الشيوخ ان يعيشوا متى تجاوزوا سنًّا لا يستطيعون معهُ العمل والارتزاق

فقال وبسمة تعلو ثغرهُ : اذا اصبح الشيوخ غير قادرين على العمل فليقتلوا . ان المشكلة العظيمة التي نواجهها هي مشكلة تنشئة الصغار وتعليمهم لا العناية بالكبار العاجزين . والوالدون في هذا العصر يرون ان تربية الصغار شرٌّ لا مندوحة عنهُ لانهم يريدون ان يكونوا احراراً يسعون وراء ما يسرُّهم وعليهِ تراهم يبعثون بهم الى المدارس . هناك يجد الاطفال اشخاصاً يقال لهم « معلمون » وكأنهم قطعُ سيَّارة صنعت كلها في معمل واحد فيسلّمونهم كتباً لا تفيدهم شيئاً في تثقيف العقل او تهذيب النفس تدعى « كتب مدرسية » وكذلك يترك هؤلاء الاطفال في عناية رجال ونساء لا يعلمون ان يديروا امورهم الخاصة فكيف بهم في ادارة شؤون تلاميذهم

رأيه في الدين

ثم ابدى رأيهُ في الدين فقال : هذا كل ما اعلم — ان الرجال الذين لا دين لهم هم رجال استولى عليهم الضعف الادبي وفي الغالب الضعف الجسدي ايضاً . لا بدَّ للحضارة من الدين مهما اختلفت الآراء في تسمية القوة الازلية التي تدير هذا الكون . سمها قوة الحياة او روح العالم او الدافع الحيوي او النشوء المبدع . او سمها ما شئت فان

الحياة من غير الدين تصبح سلسلة متتابعة من الحوادث لا معنى لها ولا رابط بين حلقاتها . قد استطيع ان اتصوَّر « خلاصاً ، روحيًّا » من غير اله ولكني لا استطيع ان اتصوَّرهُ من غير دين وتدين

برغسن

وقابلت برغسن في باريس سنة ١٩١٢ فقال : « الاميركيون قوم يقدمون الطرق العملية في الحياة على كل شيء آخر وهم يطلبون نظماً معينة للتصرف والا داب يتخذونها قاعدة ويجرون عليها . ومن الغريب ان يهمل الفلاسفة المحدثون هذه النزعة القوية في شعب حيّ نشيط. لقد وضع ليبنتز وغيرهُ من الفلاسفة نظماً ادبية ولكنها بنيت على قواعد عامة يصعب تطبيقها على كل حوادث الحياة اليومية تطبيقاً دقيقاً. حتى « كانت » كان يحوطهُ كثير من الابهام في كتاباتهِ بل في آية مؤلفاتهِ « نقد العقل المجرد » فقد قال : « اعمل دائماً ما يصح ان يكون ناموساً عامًّا » وهذه قاعدة يصعب تطبيقها كلَّ يوم . كيف نطبقها على ما يشجر بين المتمولين والعمال من خلاف . كلٌّ من الفريقين يعمل ما يودّ إن يراهُ قانوناً شاملاً لانظمة الاجتماع فكيف نعرف أي الفريقين على صواب وايهما على خطأ

خلود العقل

« لقد تناولت في مباحثي امراض العقل والذاكرة بالدرس والتحليل . وبحثت في حوادث كثيرة رأيت فيها علاقة واضحة بين العقل والذاكرة . وقد خرجت من هذه المباحث بانهُ من الخطأ ان نحسب عمل العقل وعمل الدماغ واحداً . فجانب صغير من اعمال العقل يقوم بهِ الدماغ حتى كأنَّ العقل بلاد شاسعة الارجاء والدماغ احدى ولاياتها . العمل الذي يقوم بهِ العقل أكثر اتساعاً وشمولاً من العمل الذي يقوم بهِ الدماغ

« ان موت الدماغ امر مرجح . ولكن قد ثبت لي ان العقل يبقى حيًّا بعد موت الدماغ . وعليهِ استنتجت على ان العقل يبقى حيًّا بعد موت الجسد . ولا استطيع ان أبتَّ الآن في ان العقل خالد ولكن يرجح لي انهُ كذلك

ذكاء الرجال والنساء

« ولم اجد في كل مباحثي ان الرجل يتفوق على المرأة عقلاً وذكاء . فان المجال لم

ينفسح بعد امام النساء للاشتغال بالمباحث الفلسفية والابداع فيها . ولما كنت القي محاضراتي على الشبان والشابات جربت تجارب مختلفة لمعرفة الفرق بين الفريقين من حيث توقد الذكاء فكنت اعطي نفراً من الشابات والشبان موضوعاً فلسفيًّا واحداً للكتابة ولدى فحص هذه الكتابات كان يتعذر عليَّ ان اعرف ايها كتبتهُ شابة وايها كتبهُ شاب . وعليهِ اعتقد ان لا فرق بينهما ولا اجد مانعاً ما يمنع السيدات من ان تضع مؤلفات فلسفية من طبقة مؤلفات الرجال

« وقد وجدت فروقاً واضحة في المستوى العقلي بين الاجناس المختلفة — البيض والصفر والسود . ولكني لم اجد فرقاً ما من هذا القبيل بين الامم المختلفة التي تنتمي الى الجنس الابيض . والامم تقتبس الصفات التي تتصف بها الشعوب التي تخالطها وعلى هذا نرى ان الفروق الشعبية بين الامم المختلفة قائمة في الغالب على العادة وطريقة التعليم والتهذيب. ومن الاغاليط الفادحة ان يُحسب سبب كثير من هذه الفروق عائداً الى الطبع البشري مع انهُ في الغالب تطبع ناتج عن العادة والاقتباس

هفيلوك السس

وسألت هيفلوك إلس عن رأيهِ فيما للنساء من الاثر في الفن الحديث والادب الحديث فقال : ارى ان رواية واحدة من الطبقة العليا تكتبها امرأة افعل من كل الوسائل السياسية وغير السياسية التي تتخذها جمعيات النساء لرفع منزلتهنَّ في الدوائر الاجتماعية والسياسية . ولكني ارى نساء كثيرات تنصرف الى معالجة الفنون على اختلافها مع اني لا ارى لهن شأناً في ذلك. انهنَّ بذلك ينفقن حياتهنَّ عبثاً لاني ارى انهُ ليس للنساء استعداد خاصٌّ للابداع في الفنون مع ان بعضهنَّ كتب روايات لا بأس بها . ولكنَّ امامهنَّ مجالاً متسعاً يستطعن ان يبرزن فيهِ ويظهرن اسمى ما وهبنهُ من السجايا — اريد الاصلاح الاجتماعي وعمل الخير بفروعها المختلفة. وهذا العمل اكبر شأناً وابعد اثراً في المجتمع من معالجة الفنون . ومهما قيل في الفن فهو من الكماليات

قال المكاتب : اتحسب ان آيات الفن الكبرى امور كمالية

كلاً : لا اذهب الى هذا الحدّ البعيد في قولي و لكني اذا وضعت في احدى كفتي الميزان بيتاً يرعاهُ ملاك الصحة والسعادة وفي الكفة الاخرى رواية لا بأس بها لرجح الاول والثاني

يوم الذكر

بعد عام

طاب يوم الذكر ، والذكر خلودٌ بعد عام العمر ، والعمر عقام
هو عام في مدى يوم يعود وهو يوم فيه للدهر تمام

وهو يوم سبقت طلعتَهُ زُمَرُ الايام في ركب البشير
شاديات ترتجي غدوته من وراء الغيب ، والغيب ضمير

وهو يومٌ باسمٌ في مهدهِ لا كأيام الفتاه الباكيات
ناشئٌ من أمسه أو غدهِ بين آمال الهوى والذكريات

أرسلي الطرف مليًّا تنظري اثراً خلف خطاه كالضياء
وانظري ثَمّ طويلاً تبصري أملاً يشرق في غير انتهاء

مرّ عامٌ منذ كان الملتقى اول العهد . لدى الوادي هناك ؟ !
منذ وافى ، فتعالى ، فارتقى بيننا الحب الى ذاك السماك

مر عام منذ سرنا حيث سرنا لا نبالي ما أتى او سوف يأتي ؟
منذ ما كنا غريبين فصرنا كلَّ شيء ، انا في الدنيا وانتِ

مرّ عام ؟ عجباً ايّ عجبْ ! خلتُها خلسةَ غافٍ اسرعا
ثمّ عام ؟ اي وربي بل حقبْ خلتُنا عشنا مدى الدهر معا

وكأنْ لم نكُ في يوم مضى مُفرديْ قلبٍ ولا مفترقينْ
ليس يُقضى لا ولا كان انقضى قبل ميثاق الهوى طرفةُ عين

عجباً للعام من اوصافهِ نعمةُ الفَوت ، وتعميرُ البقاء
ساحرٌ يجمع في اعطافهِ كلَّ ما تحويه ارض وسماء

قبلاتٌ كلَّ يوم وعناقْ ووداع كل يوم ولقاء
واشتياقٌ كلما حانَ الفراقْ وعهود كلما جنَّ المساء

وعتابٌ كلَّ يوم وخصامْ جازَ الحكم كثير العللِ
نرتمي فيه بأهوال جسام ! بين سُخريّ (١) المنى والقبل

وعلى توقيع انغام الرجاء نبعث القلبين حبًّا ، وخصاما !
عبث الطفلين في مهد الصفاء كلما راعتهما الضجة ناما

وحياة بين روض وغديرْ وحياة بين ألفاف كتابْ
هذه او تلك يحبوها العبيرْ ويروّي سرحها ماء الشباب

لا ظلام الليل يثنيك ولا لفحةُ القيظ ولا اليوم المطير
في دلالٍ منك موفور الحلى وكلالٍ منك كالظبي البهير

خبّريني كم من العمر يدوم ذلك الطفل الذي اكمل عاما
خبريني أنت . انني لزعيم أن يدوم الدهرَ لا يسلو دواما

خبّريني . لا . فما يغني الخبرْ ، أسعيد في هواهُ وبصير ؟!
جلَّ ان يُلقى الى غير القدر نبأُ اليوم وانباء المصير

فامض يا غيبُ بكفيك الزمامْ حيث تمضي ، وتمهّلْ وارفقِ
ولدينا لك يا غيبُ كلام كل عام بعد عام نلتقي

وغداً ندعوك ان جاء غدٌ بلسان الحمد ، او ... ماذا نقول ؟
موعد يمضي ويتلو موعد ورجائي منك حال لا تحول

عباس محمود العقاد

---

(١) السخري والسخرية بمعنى واحد

نظرة الى النهضة الفنية في مصر

معرض القاهرة لسنة ١٩٢٧ — ١٩٢٨

اجمال تاريخي

معرض القاهرة او الصالون ، او معرض الصور — عمل فني دعا اليهِ مجتمع الاصلاح القبطي بالقاهرة في سنة ١٩١٨ وكان يرمى بهِ الى تحقيق غرض من اغراضهِ وهو تنشيط الاقباط المشتغلين بالاداب والفنون

ودعا سكرتير المجتمع فريقاً من شبان القبط الرسامين والمصورين بين محترفين وهواة . وعرض عليهم الرأي فوافقوهُ وقرروا ان يكون المعرض مصريًّا يشترك فيهِ الاقباط والمسلمون والرجال والنساء معاً . والفت لجنة فرعية للسيدات تحت رياسة السيدة قرينة الاستاذ مرقس حنا بك المحامي (مرقس حنا باشا وزير الخارجية المصرية الآن) . وفتح هذا المعرض لاول مرة في شتاء سنة ١٩١٩ في غرف جامعة المحبة القبطية بشارع الفجالة . ومع ان الاحوال لم تكن ملائمة حينئذٍ لاشتغال الرأي العام بالحركة السياسية فان الاقبال على المعرض كان عظيماً . وافسحت بعض الصحف اعمدتها لوصف الصور ونقد المصورين

ثم اتفق فريق من العارضين على تأليف جمعية صغيرة لنشر الفن وتشجيعهِ واقامة معارض سنوية . وفتح الاستاذ فؤاد عبد الملك غرف معهدهِ الفني الواسعة في شارع بولاق (شارع الملك فؤاد الآن) لاقامة المعرض الثاني . وتألفت لجنة فنية لاختيار الصور المطلوب عرضها . واباحت عرض لوحات الفنيين الاجانب من هواة ومحترفين . وتنقل المعرض من دار الى دار . ودب الخلاف بين بعض القائمين بهِ . وبات المشروع مهدداً بالفشل لولا ما كان يلقاهُ من عطف كبار الوطنيين

جمعية محبي الفنون الجميلة

ثم رأى الاستاذ فؤاد عبد الملك ان خير وسيلة لصيانة المعرض وتثبيت دعائمه هي انشاء جمعية قوية ترعاهُ وتنشطهُ . وكان في مقدمة من لبى دعوته الى هذه الجمعية الاستاذ محمد محمود خليل بك المحامي . وهو استاذ قانوني سريٌّ من كبار هواة الفنون الجميلة والعارفين بدقائقها . وبمساعيها الفت جمعية الفنون سنة ١٩٢٣ وابانت عن مقصدها في المادة الثانية من قانونها ، وهذا نصها :

« المادة الثانية — اغراض الجمعية هي تشجيع الفنون اي الرسم والحفر والتصوير والهندسة المعمارية والتطبيق العملي للفن على وجه العموم وترقية الذوق الفني وذلك باقامة معارض والقاء محاضرات او بأية طريقة اخرى »

والف مجلس ادارة الجمعية الاول من سمو الامير يوسف كمال رئيساً ، ومحمد محب باشا (وزير المالية يومئذٍ) والمسيو اميل ميريل نائبين للرئيس ، ومحمد محمود خليل بك سكرتيراً عامًّا ، ويوسف قطاوي باشا اميناً للصندوق ، وفؤاد عبد الملك افندي والمسيو شارل بُجلين سكرتيرين ، واثنى عشر عضواً من الاجانب والوطنيين . واضيف اليهم اخيراً ثمانية فاصبحوا عشرين . وتنحى معالي محب باشا عن العضوية لضيق وقته

ثم الفت لجنة من السيدات من سمو الاميرة سميحة حسين رئيسة ، وحرم عزت شكري بك ومدام جيار وكيلتين للرئيسة ، وحرم محمود رياض باشا امينة للصندوق ، ومدام واصف غالي باشا وكيلة لامينةالصندوق ، وكل من مدام لاكو والآنسةفردوس شتا سكرتيرتين ، واربعة عشر عضواً من السيدات الوطنيات والاجنبيات

وشجعت الحكومة المصرية هذه الجمعية فاباحت لها اقامة معرضها في عمارة فندق سافوى (حيث مصلحة الاحصاء الآن) وابتاعت بعض المعروضات . واخيراً قررت اعانة الجمعية بمبلغ سنوي . وادركت بعض الحكومات الاجنبية مقام هذه الجمعية وما بلغهُ معرضها من الرقي . فرأينا في السنوات الماضية معرض الكتب الفرنسوي ومعرض الصور والزخارف البلجيكي ومعرض الطباعة الايطالي

وبعد ما كانت الجمعية تتنقل بمعرضها من دار الى اخرى ومن حي الى ثانٍ توفقت الى استئجار سراي المرحوم تكران باشا (من املاك آل صيدناوي الآن) في شارع نوبار وهي سراي فخمة ذات ثلاثة أدوار واسعة الجوانب كثيرة الحجر وتحيط بها حديقة غناء مترامية الاطراف . في هذه السراي اقامت الجمعية معرضها الجديد ، فافتتحهُ صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول يوم ١٩ دسمبر الماضي وبقي مفتوحاً حتى ١٩ يناير . ويعقبهُ معرض فرنسوي فمعارض وحفلات فنية اخرى

معرض سنة ١٩٢٨

بلغ عدد اللوحات والقطع المزخرفة المعروضة حوالي ٨٠٠ قطعة . وقد ظهرت علامات النشاط والجد في عدد غير قليل منها . ودخلت عناصر جديدة بين جماعة العارضين . والمعرض بجملتهِ اكثر اتقاناً مما سبقهُ . ولكن تقدم الاكثرية المطلقة

من العارضين لا يزال نسبيًا . ولقد كان لبعضهم شخصية بدأوا يمتازون بها ويعرفون فتركوها وارادوا احتذاء غيرهم فاضاعوا شخصيتهم ولم يحسنوا التقليد . وكبَّر البعض لوحاتهم وضخموها تقليداً كذلك . ففقدوا ما رموا اليهِ من ابتكار وفن . وطلب البعض مبالغ طائلة ثمناً لصورهم غير مراعين حالة البلاد وتقديرها للفن. فكان الاقبال على الشراء والاقتناء ضعيفاً جدًا لولا ما امر جلالة الملك بشرائهِ ونقلهِ الى السرايات الملكية وما ابتاعتهُ الحكومة تنشيطاً للمحترفين والهواة

المحترفون المصريون الاربعة

هم الاساتذة الافندية: محمد حسن ويوسف كامل وراغب عياد واحمد صبري اعضاء بعثة الحكومة المصرية الذين يكملون دراستهم في فن الرسم والتصوير في اوربا . ويقيم الثلاثة الاول في روما والرابع في باريس . وقد خصصت ادارة المعرض لمعروضاتهم الغرفة الكبرى بالدور الاوسط ومدخلها

ولا ريب في ان محمد افندي حسن اقوى رسام مصري . لهُ طريقة معروفة يعمل لترقيتها . وقد ارسل الى المعرض ١٠ لوحات أُنتخب منها للعرض ست وهي : صورة القديس جيروم، الرقيق ، الحب المقدس، صورتا امرأة ، صورة رجل. وامتاز يوسف افندي كامل بوفرة الانتاج فارسل الى المعرض ١٢٠ لوحة أُنتخب منها للعرض خمسون لوحة بينها كثير من المنقولات والمنسوخات عن لوحات معروفة في معارض ايطاليا . وقدم راغب افندي عياد ١٢ لوحة . وكان الاستاذ راغب عياد من الشخصيات البارزة في عالم التصوير المصري . ولكنهُ اخذ يغيرها منذ سافر الى روما

والغالب على الاساتذة الثلاثة اساليب الفن الايطالي وقد تأثروا بها وبدت على معروضاتهم كلها آثار الارتقاء في كل شيء

واما احمد افندي صبري فمصور معروف. يشتغل في باريس (تابعاً لوزارة الاشغال) في دراسة الزخرفة . ولكنهُ يأبى الآن وان يشتغل بالتصوير . وقد ارسل الى المعرض ١٠ لوحات عرض ثلاث منها

الدور الاعلى

خصصتهُ ادارة المعرض للفنيين والهواة والمصريين والاجانب فوضعت لوحات كل جماعة من الاجانب في غرفة . وجمعت في بعض الغرف فريقين او اكثر تبعاً لقلة معروضاتهم او اتساع الغرف

ومن المصريين الذين امتازوا بالدقة والشخصية البارزة مع الاختلاف في الطبقة والذوق ، محمود بك سعيد . وهو من الهواة المعدودين . وقد عرض في هذه السنة صورة فافيت ، والجزيرة السعيدة ، وقهوة بلدية ، والمنديل. ودقة الصنعة ظاهرة في كل واحدة من هذه اللوحات

وعرضت الآنسة ايمي نمر سبع لوحات تمثل جماعة من اليهود والمسرح وغيرها . وقد اشتهرت الآنسة نمر بتصوير بساطة المتدينين وسذاجتهم

وامتاز من طلبة مدرسة المعلمين الطالبان حامد سعيد وشفيق رزق سليمان . وقدم مصطفى بك محرم مختار ١٥ لوحة أشهرها ساقية قديمة بروض الفرج والكوبري الاحمر ومدفن عربي . ومن المعروضات ما ينمّ على الاجتهاد والمزاولة للهواة انطون غزالي واحمد مختار وفؤاد يعقوب نخله وغيرهم من الناشئين

وأزدانت غرفة المصورين الفرنسويين بصور الاساتذة بيسي وبريفال وكولون وبي مارتن . ولكل منهم مقامهُ وذوقهُ المعروف

وظهرت في غرفة الاتراك قوة المرأة التركية وتقدمها في الفن . ويكفينا للدلالة على هذا التقدم صور جامع هركه وحوض كشك ببغداد وقصور طوب قبو للآنسة صبيحة رشدي . وبوبوك هانم والفلاحة التركية الصغيرة للآنسة سوزان عدلي

وامتلأت غرفة الانكليز بمعروضات الاستاذ ستيوارت من مائية وغيرها . وصور الاستاذ ستيوارت معروفة بالبساطة وخفة الروح . ومما يلفت النظر الى جانبها رسم على العاج للمس برونتون . وصور مائية للمس بولتن . وصورة كبيرة تمثل غرفة انتظار في مستوصف للمس ماكنتوش

وشحنت اعمال النمسويين والالمان والبروسيين في غرفة واحدة . فرأينا فيها صور المقطم وشارع في القاهرة وغروب الشمس لجون رالف النمسوي . والموسيقيين المتجولين والياباني لبرنار كولمان الالماني . وصورتين نسائيتين لسبرلنج الروسي

وابدع ما في غرفة الايطاليين بلا نزاع صور الاستاذ كاميلو اينوشانتي مدير الفنون بوزارة المعارف . ولهُ خمس صور نذكر منها صور نبيل في عهد لويس الثالث عشر ، ورقصة اسبانيولية ، والثغر القاني . ثم معروضات كارلو ميتسو واجملها مناظر بلدية مصرية . وثم معروضات الكفاليري سبيرو سكرفلي. وقد امتاز بتصوير الجوامع والاحياء الوطنية والعمارات القديمة . هذا وصور الرسامين اليونانيين فنية لا غبار عليها

ولكل واحد من اصحابها شخصية . ولكنها متوسطة تنقصها الروح المصرية

وعرضت في الغرفة المتوسطة بالدور الاعلى قطع من خزف صنعت في مصنع السيدة هدى شعراوي . ولا تزال تنقصها الالوان . وعرضت فيها كذلك تماثيل كاريكاتورية لانطون افندي حجار . وهي متقنة ولكن لا تتجلى فيها الروح الفنية التي تجلت في تماثيل يوروفيتش الروسي التي عرضت في السنة الماضية

فاذا انتهى الزائر من تفقد الدور الاعلى واراد النزول شاهد على السلم لوحات عدة لهواة ومحترفين مختلفين . ورأى كذلك سجاجيد من صنع مشغل الاتحاد النسائي الذي ترأسهُ السيدة هدى شعراوي

فاذا وصل الى الدور الاسفل، وجد نفسهُ وسط غرف يصح ان تكون كل واحدة منها معرضاً قائماً بذاتهِ . ففيها سجاجيد مختلفة واكلة من صنع مدارس اسيوط وبني سويف اعجب بها جلالة الملك فاشترى بعضها

ولاول مرة رأينا في المعرض غرفة خاصة لتصميمات طلبة مدرسة الهندسة المصرية . ومع حداثة عهد الطلبة بهذا العمل فان في بعضها ما يدل على روح فنية

وخصصت غرفة لمصنوعات مدرسة الزخارف بالحمزاوي احتوت على كثير من المصنوعات الجلدية والخشبية والفضية. ونثرت هنا وهناك فترينات ملئت بمعروضات مدارس الفنون والصنائع .من علب مطعمة بالصدف والسن. ونحاس مكفت بالفضة. واثاث وخزف منقوش

وغصت الغرفة الوسطى بمعروضات الآنسة ماينين الفرنسوية من معادن وجلود مشغولة ورسم على المينا . وزاحمتها معروضات الآنستين المصريتين كريمتي عزت بك من اشغال يدوية بمساعدة الآلات الصغيرة مما يقطع بهِ الوقت ويساعد على تزيين المنازل والكسب بعمل هين شريف

وكان للتصوير بالحوامض مجال في المعرض فهناك قطع للآنستين فيون ودافا والمسيو بونللا . ثم صور على النحاس والمشمع والخشب لاحمد مختار

ولا تزال السيدة جرده استرلند تزين المعرض بخزفها الذي تزينهُ بلباقة ومهارة . وقد نال اقبالاً عظيماً من هواة التحف العصرية

وعرض الاستاذ فيكتور واختر المجلد الالماني الفني قطعاً بديعة من مصنوعات استوقفت انظار محبي الكتب والطباعة والعارفين بدقة الفن ويمتاز الاستاذ واختر بالنقش البارز على الجلد

توفيق حبيب

اكبر الرحلات الجوية الحديثة

١

رحلة البلون نورج من رومية الى الاسكا

ماراً فوق القطب الشمالي

— تتمة الرحلة —

مكثنا ثلاثة ايام في سبتسبرجن اعددنا في اثنائها معدات البلون للمرحلة الاخيرة من رحلتنا الطويلة وفي مساء ١٠ مايو سنة ١٩٢٦ كان البلون وكل رجال البعثة على اهبة السفر. وكنا قد وضعنا في الاحواض سبعة اطنان من البنزين و ٨٠٠ رطل من الزيت تكفي لاجتياز ٤٣٠٠ ميل في جوّ هادئ اذا كان متوسط سرعتنا ٥٠ ميلاً في الساعة. واخذنا ايضاً الف ومائة رطل من الطعام تكفي ١٦ شخصاً خمسين يوماً وكان اكثرها من الشوكولاته واللحم المقدّد واللبن والمربّى والبن والمكسّرات . واعددنا ايضاً كل ما يحتاج اليهِ روّاد القطبين من المعدات كالخيم والمزالج واكياس الفرو والبنادق وما اليها حتى اذا حدث لنا ما حملنا على النزول في الاصقاع المتجمدة النائية كان لنا ما يمكننا من الرجوع الى اليابسة والعمران سالمين

وكنا قد ضربنا الساعة الاولى من صباح يوم ١١ مايو موعداً لقيام البلون من سبتسبرجن ولكن ريحاً شرقية هبّت فجعلت اخراج البلون من مرفئهِ على شيء من الخطر فاضطررنا ان نتأخر بضع ساعات عن ميعادنا المضروب

وفي الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين من ١١ مايو — وقت غرينتش — اخذ البلون يرتفع بنا عن الارض فحيانا الرفاق الباقون تحية هزّت اعطافنا ولما صرنا على مائة قدم من سطح الارض اسرعنا حركة المحركات واتجهنا الى القطب ونحن نرتفع في الجو رويداً رويداً حتى بلغنا ارتفاع ١٣٥٠ قدماً عن سطح البحر

كان الهواء معتدلاً والجوّ صافياً والشمس ساطعة تنعكس اشعتها الذهبية على قمم سبتسبرجن المغطاة بالثلج فاخذتني نشوة السرور بعد ما قضيت ليلي متعباً حزيناً وجرى الدم في عروقي بعد ما كاد البرد القارس يجمده . ولما استوينا في الجوّ سار البلون بنا يقطع ستين ميلاً في الساعة ووجهتهُ القطب الشمالي

لما برحنا سبتسبرجن كنت ثابت العقيدة اننا لن نجد صعوبة ما في اجتياز المسافة الى القطب وهي ثمانمائة ميل لانهُ لم يكن يحتمل ان يتجهم الجوّ بعد صفائهِ في اثناء طيراننا وهو لا يستغرق اكثر من ست عشرة ساعة

ولكن ماذا يقع لنا بعد اجتياز القطب الى الاصقاع المتجمدة وراءهُ؟ ايبقى الجوُّ صافياً مصافياً ام تهب الرياح وتثور العواصف فتتقاذفنا وتتلاعب بنا كما تشاء؟ أنحظى برؤية سلسلة الجبال التي ظنّ الكومندر بيري انهُ رآها عند الافق حين بلغ القطب الشمالي؟ اين يتسنى لنا النزول الى الارض ومتى؟ وماذا يكون مصيرنا بعد نزولنا؟ هذه هي المسائل التي كانت تدور في عقل كلٍّ منا لكننا تركناها للقدر يجيب عنها الجواب الوافي في المستقبل القريب

بعد مسيرة ساعتين من خليج الملك بسبتسبرجن نظرنا الى البحر تحتنا فرأينا قطع الجليد الطافية منثورة هنا وهناك ثم لما اقتربنا قليلاً الى القطب تماسكت اجزاء الجليد حتى تغطى بها سطح البحر وكنا اولاً نرى في الجليد بقعاً من الماء ثم زالت كلها واصبح الجليد غطاء واحداً يغشى سطح البحر تخترقهُ الحزون والاودية الضيقة . وكنا قبل الاقتراب من هذا الغطاء الجليدي نرى من حين الى آخر بعض الاسماك في الماء ثم رأينا آثار بعض الدببة القطبية على الجليد ولكن لما بلغنا الدرجة ٨٤ من العرض الشمالي لم نرَ اثراً ما للاحياء وامتدت امامنا مفازات الجليد الى الافق قاتمة باردة جرداء

وفي الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والاربعين توقف المحرّك الايسر عن العمل لان الجليد تكوّن في بعض الانابيب فسدّها فجفّ المحرّك من البنزين فاصلحنا الامر في الحال بعدما بذلنا جهداً كبيراً

ولما دوّنا الارصاد الجوية في الساعة التاسعة والربع مساء ثبت لنا اننا كنا على ارتفاع ١٦٥٠ قدماً وسرعتنا ٣٧ ميلاً بريًّا بسبب ريح كانت تهب في وجهنا فنزلنا الى علو ٥٠٠ قدم آملين ان تكون الريح اخف هبوباً هناك ثم ارتفعنا الى علو ١٣٢٥ قدماً ولكن عبثاً ضاع جهدنا في الهبوط والصعود . لان الغيوم اخذت تتلبد عند الافق ولم يمضِ ربع ساعة الاَّ والجوّ مكفهر والسماء تنذر بعاصفة شديدة قريبة الهبوب وهبطت درجة الحرارة الى ١٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد

وفي الساعة العاشرة والدقيقة السابعة اقتربنا من الدرجة ٨٨ من العرض الشمالي

اي لم يبق بيننا وبين القطب سوى درجتين . وكان الجوّ لحسن الحظ صافياً ولكن لم نلبث بضع دقائق حتى اخذ الثلج في السقوط

وفي الساعة العاشرة والنصف اكتنفنا ضباب كثيف فتقلص بعض ما فيهِ من بخار مائي على قطع البلون المعدنية ولشدة البرد لم يلبث ان تحوّل جليداً ثم زاد تكون الجليد فغطى غشاء البلون الخارجي وهو من النسيج المتين وغشى الواح السلولويد التي وضعت على النوافذ فلم نتمكن من رؤية ما في الخارج . فارتفعنا الى علو ٢١٣٠ قدماً فلم تتحسن الاحوال الجوية فارتفعنا ايضاً الى علو ٣١٦٠ قدماً الى ما فوق الضباب

وفي الساعة الحادية عشرة والربع كنا لا نزال على درجة ونصف درجة من القطب ولكن الضباب كان لا يزال كثيفاً . على انهُ لم تمضِ عشرون دقيقة حتى اخذ الضباب ينقشع وصار في امكاننا ان نلقي نظرة على البحر المتجمد تحتنا . على ان غيوماً مرتفعة كانت تحجب عنا وجه الشمس. ولما دوّنا الارصاد في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين مساء — اي ربع ساعة قبل منتصف الليل — كنا على ٢٥٠٠ قدم فوق سطح البحر ودرجة الحرارة ١٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد

ها نحن نقترب رويداً رويداً من القطب وتحقيق الغاية التي قضيت اشهراً اشقى واجهد في سبيل تحقيقها على قاب قوسين منا او ادنى . شعرت ان الفرح يستخفني فناديت احد رجالي — الساندريني — وعهدت اليهِ في ان يفتح الصندوق الذي حفظنا فيهِ علمنا الايطالي وان يربطهُ برمح مثقل من احد طرفيهِ حتى اذا رميناهُ فوق الجليد غرز في الارض

القطب

في الساعة الاولى والدقيقة الثلاثين من صباح ١٢ مايو ثبت لنا من رصد الشمس اننا فوق الدرجة تسعين من العرض الشمالي اي فوق القطب الشمالي تماماً

نزلنا بالبلون الى علو ٧٠٠ قدم وخفضنا حركة المحركات وتقدم امندسن فرمى العلم النروجي اولاً وتلاهُ الزورث فرمى العلم الاميركي . ثم جاء دوري فنشرت العلم الايطالي ولما مددت يدي من النافذة لارميهُ اصابهُ الهواء فاختلج وخفق في يدي كأنهُ كائن حي . رميتهُ فنزل متئداً ولكنهُ علق باحد الحبال فعدوت وخلصتهُ فنزل الى الارض لفة واحدة ولكنهُ لم يكد يستقر هناك حتى نفخ فيهِ الهواء فتموج . تبعتهُ بنظري لان فيهِ معقد آمالنا وهو علم قديم خفق مدة سنتين من مقدم « النورج » تحت

سماء ايطاليا . وكان موسوليني قد اهدى الينا الصندوق الذي حفظناهُ فيهِ . وبعد رمي العلم الايطالي اتبعتهُ بالعلم الخاص بمدينة رومية ثم بوثيقة مكتوبة على الرق من قبل الجمعية الجغرافية الملكية الايطالية ثم بشارة نادي الطيران الايطالي ثم بالعلم الخاص بميلانو وفي النهاية بعلم اهدتهُ اليَّ الجمعية الفاشستية في بلدة غروتي دي كاسترو

ولما انتهينا من ذلك اسرعنا حركة المحركات واتجهنا الى ما يلي القطب من المجاهل وارسلت من متن البلون رسالة لاسلكية الى السنيور موسوليني انبأتهُ فيها اننا بلغنا القطب سالمين

انقشع الضباب ولكن السماء ما زالت ملبدة بالغيوم والارض تحتنا سهل واسع من الجليد تخترقهُ الحزون وتنتشر منهُ القطع الجليدية المحدَّدة كانياب الليث وكل ذلك لا اثر فيهِ للحياة . فوق هذا السهل القاتم الحزين سرنا سبع ساعات ونصف ساعة لا تطالعنا شمس ولا يؤنس وحدتنا وحش او طير . وفي الساعة التاسعة اخذ الضباب يتلبد من جديد وكان كثيفاً يحجب عنا رؤية البحر المتجمد تحتنا الاَّ في فترات قليلة . فارتفعنا الى علو ٣٠٠٠ قدم وسرنا بالبلون فوقهُ وكان نور الشمس يلقي ظل البلون على الضباب كأنهُ بحر من القطن المندوف وكأن الطبيعة نفسها كانت تحاول حينئذٍ ان تحجب عن ابصارنا تلك المنطقة العاصية التي لم يرُدْها انسان من قبل

لم نلبث طويلاً حتى اخذ الجليد يتكون على كل اجزاء البلون الخارجية لانهُ رغماً عن ارتفاعنا كنا كثيراً ما نمرُّ في الضباب فيتقاص بخارهُ المائي على اجزاء البلون فيبرد فيصير جليداً . ورغماً عن الخطر الذي كان يحيق بنا من تكوّن قطع الجليد لم يسعنا الاَّ الاعجاب بروعة المنظر وجمالهِ . ان الجليد يغطي كل جزء من اجزاء البلون الخارجية والاسلاك والبوصلة الشمسية والقوارب الصغيرة المدلاة ومبردات المحركات والممرّ بين المحرك الايسر والمحرك الايمن وتتدلى منها كلها قطع من الجليد كانت ماءً متقطراً فاصابها البرد وهي تتقطر فجمدت

ولما كانت سرعة البلون تقارب خمسين ميلاً في الساعة كان ضغط الريح على جوانبهِ كافياً لان يحطم بعض هذه القطع الجليدية ويدفعها في الفضاء فيصيب بعضها غشاء البلون وفي الساعة الثانية بعد الظهر انطلقت احدى هذه القطع الجليدية كالرصاص فاصابت الغشاء واحدثت فيهِ خرقاً كبيراً ، فخالجنا الخوف بان تندفع قطعة اخرى تمزق الغشاء الخارجي ثم تمزق الاكياس التي تحتوي على الهدروجين

ولم نلبث ان اضطررنا ان نهبط بالبلون لان الضباب اخذ يرتفع وصار متعذراً علينا ان نطير فوقهُ فسرنا بضع ساعات لا نرى ما تحتنا ولا ما امامنا وكنا من حين الى آخر نلتقي بهبّة من الثلج المتساقط . ولما هبطنا الى الف قدم فوق سطح البحر صار في امكاننا ان نرى سطح البحر المتجمد . وبقينا كذلك الى ان وصلنا الى شواطئ الاسكا طائرين تحت ملاءة من الضباب على ارتفاع يتراوح بين ٧٠٠ قدم والف قدم عن سطح البحر

كان اليوم الثاني من مبارحتنا لسبتسبرجن حافلاً بالقلق والخطر لانهُ ثبت لي انهُ اذا انطلقت احدى القطع الجليدية ومزقت الغشاء الخارجي ثم الاكياس التي تحتوي على الهدروجين لم تمكن من البقاء في الجوّ فنضطر الى النزول على سطح البحر المتجمد مع ما في ذلك من الخطر وحينئذٍ يتعرض الايطاليون من رجال البعثة لمخاطر جمة لانهم لم يتعودوا السير البطيء الطويل فوق الجليد كرجال امندصن النروجيين

فلما اعلن الضابط الواقف في برج المراقبة انهُ يرى امامهُ ارضاً يابسة استولى عليَّ الفرح واستخفني السرور وادركت للمرة الاولى في حياتي ادراكاً صحيحاً ما شعر بهِ كولمبوس ورجالهُ حين رأوا اليابسة بعد سفرهم الشاق الطويل عبر الاوقيانوس الاتلنتيكي

وهذه الارض التي اكتحلت عيوننا بمرآها عند الافق هي ارض اميركا ؟

العالم الجديد

في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين من صباح اليوم الثالث وصلنا الى شواطئ الاسكا . فاتجهنا الى اليمين وسرنا محاذين للشاطئ عازمين ان نبقى سائرين حتى نعثر على قرية من قرى الاسكيمو على مضيق بيرنغ (وهو المضيق الذي يفصل بين قارتي اميركا الشمالية واسيا) وبعد مرور ساعة شاهدنا في احدى القرى رجال الاسكيمو ينظرون الينا وقد اخذتهم الحيرة . ترى ماذا قالوا عن هذا الطائر الغريب قادماً اليهم من الاصقاع الشمالية يهدر هديراً ؟ لقد بلغني فيما بعدُ انهُ حين وصولنا الى تلر حيث نزلنا الى الارض عدا احد اطفال الاسكيمو الى ابيهِ وقال لهُ : « لماذا لا تتناول بندقيتك وتصطادها » ذلك لانهُ ظن « النورج » قممة طائرة . وظن بعضهم ان البلون حوت كبير واعتقد شيوخهم انهُ الشيطان بنفسهِ جاء مجسماً

وبعد ما سرنا نحو عشرين دقيقة وصلنا الى بلدة وايغريت وهي محطة لصيد

حيوان الرنة . فلو شئنا لكنا نزلنا الى الارض هنا واذعنا الانباء بان رحلة النورج القطبية قد تمت على خير ما تم هذه الرحلات . ولكن الشعور بالخطر كان قد زال ، والفرح بالنجاح كان قد استخفنا لمغامرة اخرى فقررنا ان نواصل السير الى « نوم » رغماً عن ان رجالنا القائمين على مراقبة المحركات وادارتها كان قد انقضى عليهم يومان وليلتان لم يأخذ الكرى بمعاقد اجفانهم

كنا قد اجتزنا ٢١٠٠ ميل من سبتسبرجن الى وايتريت فظهر لنا ان المسافة الباقية وهي ٦٢٠ ميلاً ليست شيئاً يحسب لهُ حساب . ولكن لا استطيع ان ابسط في وصف هذه المرحلة الاخيرة من رحلتنا لما تنازعها من خطر ، اذ كلما حاولت ان اعود اليها بذاكرتي ارتجف هولاً واسى

ذلك اننا لما وصلنا الى مضيق بيرنغ لقينا فوقهُ زوبعة عنيفة لم نعلم بها مقدماً لان آلتنا اللاسلكية كانت قد تحطمت في اليوم السابق . وقبل ذلك هبت لنا ريح شرقية توسمنا في هبوبها خيراً لانها كانت تهب في الجهة التي كنا قاصدين اليها . ثم دخلنا في حجاب من الضباب الكثيف فسرنا ساعات متوالية لا نرى شيئاً ونحن في كل دقيقة عرضة للاصطدام باكمة او جبل وبقينا كذلك تتقاذفنا الطبيعة الثائرة آناً فوق مفازات الجليد الاسيوية وآناً فوق مياه مضيق بيرنغ المتلاطمة الامواج ثم فوق جليد الاسكا الى الساعة الثانية والنصف من صباح ١٤ مايو . وفي كثير من الاحوال نجونا بعجيبة من الاصطدام بالجبال

وفي الساعة الثانية والنصف اكتشفنا الطريق المؤدي الى نوم فسرنا محاذين للشاطىء تحت الضباب معتقدين اننا لا بدَّ واصلون الى نوم ان لم يحدث ما ليس في الحسبان

شعرت ان الاعياء قد اخذ مني كلَّ مأخذ لانهُ كان قد انقضى عليَّ ثلاثة ايام منذ ما برحنا سبتسبرجن لم انل نصيباً من الراحة وكانت الساعات العشرون الاخيرة حافلة بكل ما يقلق البال ويستدعي اليقظة والانتباه لكثرة المخاطر التي تعرضنا لها . فاقنعني بعض رجالنا حينئذٍ ان اجلس في كرسي كنا قد اخذناهُ معنا فجلست وقد استولت علي غيبوبة . ولم اكد اجلس حتى ناداني لارسن قائلاً : لقد اقتربنا من نوم . ولا بدَّ ان نصلها بعد نصف ساعة

ولكني بقيت في الكرسي الى الساعة الرابعة والنصف صباحاً فقمت من الكرسي

حينئذٍ اترنح كالسكران لاني لم انل نصيباً كافياً من الراحة. كان البرد شديداً والبحر تحتنا قاتماً ثائراً والجو فوقنا اغبر ادكن متلبداً في جهتهِ الشمالية بغيوم سوداء والبلون تتقاذفهُ الرياح كأنهُ كرة الصولجان

فناديت الساندريني «اعدَّ الحبال للنزول الى الارض» حاسباً اننا اقتربنا من نوم

وفيما كان ينفذ هذا الامر وزنت في عقلي المصاعب الجمة التي تعرض للنزول هناك. كان اصحاب الامر في نوم ينتظروننا اذ وصلهم تلغراف من سبتسبرجن بقيامنا وكانوا قد اعدوا كل ما يلزم لنزول البلون سالماً الى الارض ولكن النزول محفوف بالخطر لاسيما والريح تهب والرجال غير متمرنين على حركات البلون حين نزولهِ الى الارض

وكان الجوّ يزداد تجهماً والسماء تلبداً بالغيوم والارض تحتنا صورة بليغة للاقفار والعقم وكانت «نوم» لا تزال بعيدة عنا . ذلك ورجال البعثة قد اخذ منهم الاعياء كلَّ مأخذ فرأيت من الجنون ان نستمر في رحلتنا غير عابئين بالعناصر الثائرة

كانت دقيقة حافلة بالخطر لاننا اذا تأخرنا عن الوصول الى قرار حازم فقد نتعرض للاصطدام والموت فيتحول فوزنا الباهر الى مأساة مفجعة . لذلك قرَّرت ان النزول الى الارض في الحال امرٌ لا مفرَّ منهُ قبل ان تفقدنا العاصفة السيطرة على تسيير البلون

وهكذا كان . نزلنا الى الارض سالمين في بلدة تلر بالاسكا وعدد سكانها ٥٥ نفساً كلهم من الاسكيمو بعد ما اجتزنا في ثلاثة ايام وثلاث ليال ٣٣٠٠ ميل برّيّ وكان لا يزال معنا ٩٠٠ رطل من البنزين وكان السماء ثارت علينا لتمنعنا من اخضاع عناصرها والتقدم الى الامام ولكن الارض حنت علينا حنو الام الرؤوم واستقبلتنا ابلغ استقبال

على ان العاصفة بقيت ثائرة فداخلني الخوف على البلون ان تقذفهُ العاصفة فتحطمهُ وتفكك اوصاله فبدأنا للحال في تفكيكهِ نحن فافرغنا ما فيهِ من الهدروجين ونزعنا آلاتهِ ومحركاتهِ ونقلناها الى احد البيوت القريبة

رجل واحد من كل رجال البعثة كان قد راقب هذا البلون يوجد من العدم وتعوَّد ان يحسبهُ كائناً حيّاً ، ثم سار فيهِ يقاوم العناصر صابراً مقداماً في رحلة طولها ٨٥٠٠ ميل. ما كان اقساني حينئذٍ وانا ادبل من الحيار بضربة قاضية في ساعة نصره المبين!

وهكذا انتهت رحلتنا القطبية الجوية

احدث المكتشفات الاثرية

آيات من الفن السوميرى (الشمري) القديم

وقفت البعثة التي اوفدها المتحف البريطاني وجامعة فيلادلفيا ومتحفها الى العراق للتنقيب في اطلال اور الكلدانيين (مسقط رأس ابرهيم الخليل) الى العثور على كنوز وتحف لا تثمن ولا مثيل لها في تاريخ الجزيرة التي بين النهرين يرجع تاريخها الى ٣٥٠٠ ق . م

ففي اوائل شهر نوفمبر الماضي عثرت هذه البعثة على قبر الامير مسكلام دج أو «بطل البلاد الامجد» ووجدت فيه كثيراً من ادوات الذهب والفضة ولم تكد تنتهي من تدوين هذه اللقية حتى عثرت على قبر آخر لا يقل عن الاول قيمة بل قد يفوقهُ شأناً . وكان هذا القبر مدفوناً تحت ردم يبلغ طولهُ ٤٠ قدماً وعرضهُ ١٧ قدماً فاستغرق رفعه وقتاً طويلاً ووجدوا في اثناء الحفر آثاراً كثيرة لها شأن من الوجهة التاريخية ولكنها لم تكن تستوقف النظر . على ان القدر خبأ لهم الى اليوم الاخير من ايام الحفر ما لم تقع العين على مثلهِ من كنوز ثمينة وتحف نادرة وآثار بديعة تبهر الابصار برُوائها ودقة صنعها وجمال شكلها ونقوشها البديعة ومعظمها من الذهب والفضة الخالصين

فانهُ بينما كان العمال يعملون في بئر القبر ويزيلون التراب من جدارهِ الايمن وقع نظرهم على ابدع ما رأتهُ عين اذ رأوا امامهم اربعة ادوات من الذهب البراق اثنان منها عاطلان من النقوش والاثنان الآخران مضلعان على طولهما وقد غطيا بالنقوش البديعة وتعد هذه الادوات مع الادوات التي وجدت في قبر الامير مسكلام ابدع ما عثر عليهِ حتى الآن من الاشغال الذهبية في العراق وقد وجدت موضوعة معاً وهي تكاد تكون محجوبة عن الانظار وراء كومة من الفناجين والزهريات المصنوعة من الفضة وعلى مقربة منها خمس عشرة كأساً من الفضة نضدت كل خمس منها الواحدة في داخل الاخرى وكاسان نضدتا كذلك وابريق تقدمة وقارورة غريبة الشكل وعلى مقربة منها ادوات اخرى مثلها مصنوعة من النحاس بدلاً من الفضة . وكانت جميع هذه الآثار مكدسة قرب صندوق كبير لم يعثر فيهِ على شيء ما والمحتمل انهُ كان يحتوي على ملابس ولكن لم يرَ لها اثر ما

وعثر في المكان نفسه على طاقم للزينة من الذهب وصندوق مصنوع بهيئة نصف دائرة غطاؤُه مُنزل باللازورد وصدف اللؤلؤ تنزيلاً متقناً يمثل اسداً رابضاً على فريستهِ وقد مزج فيهِ اللون الابيض باللون الاحمر على ارض زرقاء مزجاً بديعاً يستوقف الانظار بدقتهِ ولا يقل عن اجمل انواع الفسيفساء بهاء ورواء . وهذا الصندوق أبدع ما عثر عليهِ من هذه الصنعة حتى الآن . ووُجد على مقربة منهُ طائفة من الازاميل ومنشاراً من الذهب وفأسان من النحاس مثبتان باسورة من الذهب وسوقها من الفضة وقد شدت بمناطق من الذهب

وعثر بجوار المنشار الذهبي على لوحة للعب منزلة تنزيلاً بديعاً ووجد عليها طاقان من حجارة اللعب أحدهما مصنوع من صدف اللؤلؤ وقد نقشت عليهِ رسوم حيوانات نقشاً غاية في الاتقان وطاقان من النرد (الزهر) الذي كان يستعمل في لعب هذه اللعبة أحدهما مصنوع من صدف اللؤلؤ المنزل باللازورد والاخر من اللازورد المنزل بالذهب

ومن اغرب ما وجد في هذا المدفن ولم يعثر على مثلهِ في مدفن آخر قانون مؤلف من اثني عشر وتراً ومركبة وقد صنع كلاهما من الخشب الذي كان محاطاً في الحالتين بحواش من التنزيل البديع وقد حفظت هذه الحواشي القانونَ بشكلهِ على الارض فتيسر بذلك اخذ صور فوتغرافية ورسوم قياسية يستطاع بواسطتها اعادتهُ الى ما كان عليهِ في الاصل . وكان قائم القانون متوجاً بالذهب ومشدوداً باربطة من الذهب ومفاتيح اوتارهِ مصنوعة من النحاس ورؤوسها من الذهب وكان (صندوق الصوت) مزيناً بالفسيفساء ومقدمهُ مملوءًا بصفوف من قطع صدف اللؤلؤ رسمت عليها مناظر ميثولوجية وهو ينتهي برأس عجل من الذهب صنع شعرهُ ولحيتهُ الطويلة من اللازورد

أما المركبة فابهى من القانون وأحفل منهُ زينة تحيط بها من جميع اطرافها حواش من التنزيل البديع المماثل للفسيفساء وقد زين طرفها الاعلى برؤوس اثني عشر أسداً وثوراً من الذهب لها لبد من اللازورد وصدف اللؤلؤ وركز في قائمها الامامي رؤوس نمورة من الفضة وثبت في جارورها رأسا اسدين من الفضة . وكان يجر هذه المركبة حماران كما هو ثابت من بقاياهما على جانبي العريش لان الخيل لم تكن معروفة في الجزيرة الا بعد ١٥٠٠ سنة من ذلك التاريخ. وقد صنع الطوقان اللذان يشد بهما الحماران الى المركبة من النحاس وعلى رأس العريش حلقة للسرعين من الفضة يعلوها تمثال حمار من الفضة ايضاً وهو اصدق رسم عثر عليهِ حتى الآن يمثل الحقيقة تماماً

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستجاز على المطولة

نسخة خطيّة ثمينة من كتاب

السحر الحلال من ابداع الجلال

ليوسف رزق الله غنيمه افندي وزير مالية العراق الحالي

ذكر جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ : ٢٧٤ هذا الكتاب كما يأتي : محمد بن قنصوه بن صادق من تلاميذ السيوطي له : السحر الحلال من ابداع الجلال . خمس مقامات في الادب والحديث والشعر في المكتب الهندي في لندن . اه

لم يزد صاحب تاريخ آداب اللغة العربية على هذا القول حرفاً ولم يذكر سنة ولادة المؤلف الا انه جعله في العصر العثماني وهذا العصر يمتد بموجب تقسيم زيدان نفسه من سنة ٩٢٣ — ١٢١٣ هـ . لا بل ذكر ان ابن قنصوه بعد عائشة الباعونية الصالحية التي قال عنها انها نبغت بعصر نحو سنة ٩٣٠ هجرية

واذ كنت قد وقفت على نسخة خطية ثمينة من هذا الكتاب وددت ان أعرفها لمحبي الآداب العربية . وقد وجدت هذه المخطوطة بين اوراق النفيسة التي أهداها آل شوكت باشا الى مكتبة السلام ببغداد (١) في ١٠ شباط (فبراير) سنة ١٩٢٠ وقد وضعتُ على هذا

---

(١) مكتبة السلام هي الخزانة التي سعت لتأسيسها ببغداد سنة ١٩١٩ المسز مريل فوربس Mrs. Murial Forbes وعاونتها في هذا المشروع لجنة من العراقيين والبريطانيين وكان كاتب هذه السطور عضواً فيها وأمين صندوقها الشرفي . وتولى رئاستها بعد سفر المسز فوربس زوجها المستر

الكتاب رقم ٩٠٠٨ عندما نسقت كنوز الخزانة المذكورة

أما المخطوطة التي هي موضوع بحثنا فطولها ٣١ س وعرضها ٢١ س مجلدة تجليداً شرقياً متقناً وعلى وجهي الجلد نقوش منها ملونة ومنها مذهبة وفي أول صفحة من الكتاب نقش بديع منمنم . أرضه زرقاء وفيه نقوش خضراء وجاياته كلها محلاة بالذهب وقد كتب اسم الكتاب بحروف مذهبة وفي وسط تلك التمنمات بياض على شكل مثمن كتب فيه بخط بديع ما يأتي : « تأليف الجناب العالي البارعي الفاضلي العلاّمة شاعر عصره ووحيد دهره وأبدع زمانه الفقير الى الله تعالى الراجي عفو ربه وغفرانه »

ويلي هذه الكتابة سطر مستقيم خص باسم المؤلف وفي هامش الصفحة دارتان بينهما نقش على شكل القلب وجميعها منمنمة ملونة يجمعها خط أزرق وفي الصفحة نفسها كتابة هذا نصها : من كتب العبد الفقير الى غفران القدير شيخ (كذا) محمد ابن المولى كمال الدين أذاقهما ربهما لذة اليقين آمين . اشتريته في جامع السلطان محمد خان بقسطنطينية بمن (مَمْنحُوّ) سنة ١٠٩٤

لا يذكر في الكتاب عدد الصفحات ولم أحاول عدها لانه ضخم يناهز سمك صفحاته خمسة سنتمترات وفي كل صفحة ١٣ سطراً خطه حسن جلي وكله مضبوط بالشكل الكامل .

نقرأ في آخره : تمّ الديوان بحمد الله وعونه في سابع ذي القعدة سنة خمس عشرة وتسعماية كتبه في أوقات متفرقة الفقير الى الله تعالى ابو الفضل محمد بن عبد الوهاب الاعرج السموطي الخ . . . وجاء في مقدمة الكتاب . . . وبعد فقد سألني بعض الاخوان من الاذكياء الفضلاء الاعيان المتقنين علم اللغة والتصريف والنحو والبديع والمعاني والبيان من لا أستطيع له مخالفة أن أختصر له ديواني المسمّى [بابداع الجلال في السحر الحلال] وأسميه السحر الحلال من ابداع الجلال وأن أجعل له مقدمات ما سبقت اليها ولا عثر أحد من قبلي عليها . . .

يقسم الكتاب الى خمس مقدمات الاولى في فضل العقل وما ورد في شرفه من النقل والثانية في علوم الادب وما ورد فيها من القول المنتخب والثالثة فيما روت الصحابة

فوربس فالمستر نورتن فالمس جرترود لوثيان بل وبقيت برئاستها حتى سنة ١٩٢٤ ونظراً الى ما كانت تتطلب هذه الخزانة من النفقات لتكون في مصاف الخزائن المهمة قررت اللجنة اهداءها وزارة المعارف فسمتها هذه الوزارة « المكتبة العامة » ولا تزال موجودة وفيها بضعة ألوف من الكتب المطبوعة والمخطوطة . ووزارة المعارف مجتهدة في توسيعها

من الحديث وخرجت منه القديم بالحديث والرابعة في نبذة مما انتخبته من بعض القصايد والمقاطيع الحسان التي هي في جيد الزمان كفرائد الدرر وقلائد العقيان والخامسة في بعض قصايد مبدعة ومعارضتي لها بقصايد بديعة مخترعة

وفيه خمسة أبواب الباب الاول من السحر الحلال في القصايد الباب الثاني في الموشحات والمخمسات الباب الثالث في الالغاز والمطارحات الباب الرابع في المراثي الباب الخامس في المقاطيع

فالكتاب نفيس بمواضيعه قد جمع القصائد الحسان وناصع البيان وضمّ بين دفتيه البدائع والطرف واللطائف والنكت وغرر الاقوال وبدائع الأمثال من نوابغ الشعراء وأمراء الكلام وصاغة القريض وروّاض القوافي

لننقل بعض ما جاء في هذا الكتاب مثالاً من محتوياته. ورد في مقدمة الاحاديث حديث وهو : روى الاوزاعي عن الزبيري برفع الحديث أن أبا بكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعند أهله جاريتان يتغنيان بدفين ورسول الله صلى الله عليه وسلم مستتر بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال: دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد » .

واليك أمثلة من قصائده أولاً أبيات مستلّة من قصيدة مدح بها قانصوه الغوري في مستهل ربيع الاول سنة ٩٠٩ هجرية لما خطبت مشايخ الاسلام بجامع الغوري :

مطلعها : لا وشهد اللقا وسهد الصدود ما نهودي من غير ذات نهود

ومنها : ملكه كالسماء وهو كبدر فيه يسري بأنجم من جنود

ومنها : من كهذا الغوري الملك شد يد فهمه ثاقب برأي سديد

ومنها : أنا حرّ لكنّ لفظي رقيق والاحرار من جوده كالعبيد

ومنها : حبذا الجامع بناه فريد مخاصاً فيه للحميد المجيد

وقال يمدح الغوري بقصيدة أخرى في ٢٨ رمضان سنة ٩٠٩ هجرية :

الأشرف الغوري الذي لجلاله رأس الملوك من المهابة يطرق

ونظم قصيدة يهنيء قانصوه الغوري عن نصره بالقبّة المعظّمة التي أنشأها تجاه جامعه جاء في مطلعها :

حبذا القبة العظيمة من قد أصبحت كالسماء ترى للانام

وله قصائد في مدح القاضوي محمود بن أجا كاتب الاسرار الشريفة وفي تهنئة يحيي

نجل الاتابكي أزبك وشرف الدين كاتب المماليك وبمديح الشيخ بدر الدين بن جمعة الحنفي وشيخ الاسلام قاضي قضاة مصر والشام شهاب الدين احمد بن ف فور وغيرهم

ان النسخة التي أشار اليها زيدان الموجودة في المكتب الهندي بلندن والاصح في خزانة المكتب الهندي Library of the India Office قد رأينا ذكرها ووضعها في قائمة اوتو لوت Otto Lott لسنة ١٨٧٧ رقمها في الخزانة ٢٨٧٣ طولها ١٢½ عقدة وعرضها ٧½ عقدة وفي الصفحة ٢١ سطراً وتاريخها أوائل القرن العاشر وربما كانت بتاريخ نسخة مكتبة السلام

خلاصة البحث

ان كتاب سحر الحلال هو من تأليف محمد بن قنصوه بن صادق كما ذكره زيدان أو كما جاء في نسخة مكتبة السلام الناصر محمد بن قانصوه بن صادق أو كما جاء في قائمة اوتو لوت في نسخة خزانة المكتب الهندي الصادق محمد بن قانصوه بن صادق وهو ليس خمس مقامات كما ذكر جرجي زيدان بل هو خمس مقدمات وخمسة أقسام كما وصفته في هذه المقالة

ان جرجي زيدان لم يذكر أن كتاب السحر الحلال من ابداع الجلال مختصر كتاب [أبدع الجلال في السحر الحلال] كما هو ظاهر من قول المؤلف في مقدمته التي نقلناها في هذه المقالة ولم يقف صاحب الآداب العربية على الطول المذكور للمؤلف نفسه

وان كنا لا نعلم سنة وفاة محمد بن قنصوه الا انه اشتهر في عهد الجراكسة الذين سادوا مصر من سنة ٨٧٤ — ٩٢٣ هجرية . وكان آخرهم قانصوه الغوري الذي امتدحه شاعرنا بالقصائد التي ألمعنا اليها . وكان من حقه أن يُذكر في كتاب زيدان في آخر العصر المغولي وقبل عائشة الباعونية الصالحية وقبل العصر العثماني ولا سيما وان كتابه الآخر المسمى « مراتع الالباب » من « مرابع الآداب » كما جاء في كتاب زيدان وقال ان نسخة منه في المتحف البريطاني واسمه في نسخة المتحف البريطاني على ما رأينا [مراتع الالباب في مرابع الآداب] والنسخة مرقومة ٣٤٧ جاء فيها انه ألف الكتاب في عام ثمان وتسعين بعد الثمانمائة . وهو شاب فيكون أول كتاب كتبه وهو شاب سنة ٨٩٨ هجرية ونسخة السحر الحلال من ابداع الجلال في مكتبة السلام تاريخها ٩١٥ ولم نعرف عن المؤلف شيئاً بعد هذا التاريخ . فلماذا نذكره اذاً في العصر العثماني ؟

بغداد يوسف رزق الله غنيمه

الالفاظ الفنية والعامية

حضرة الفاضل الاستاذ محرر المقتطف الاغر

بعد التحية والاحترام : لمناسبة ما قاله الاديب الرافعي في مقالته البليغة (صروف اللغوي) بمقتطف يناير عن كلمتيْ بذار وتقاوي أقول اني كنت راجعت علامتنا الاكبر المرحوم الدكتور صروف فقلت: ان كلمة تقاوي ليست من الكلمات العامية بل هي من الكلمات الفنية الزراعية التي تلازمت واستقرت مع معانيها في نفوس الزراع فمن العبث محاولة استبدالها بغيرها وان من مقوّمات رأينا هذا كلاماً للجاحظ ذكرته له « سيأتي نصه بعد » وكلاماً لعلامتنا ذاته في كتاب خاص ذكّرته به وقد قال لي فيه ما معناه :(لا تتعب نفسك في البحث في كتب اللغة عن الفاظ تجعلها بديلا من اصطلاحات اهل الفلاحة فان في هذه غناء وان كبار الكتاب باوروبا يفتخرون بمعرفة تعبيرات واصطلاحات اهل الفنون)

وفهمتُ حين ذاك انه اقتنع بقولي وقد سألني رحمه الله اين اطلعت على كلام الجاحظ فاجبتهُ اني قرأته في مقالة لأديبنا الرافعي بمجلة البيان موضوعها تمصير اللغة وأذكر هنا الآن بعض ما قاله فيها ويليه كلام الجاحظ

(وهذا الجاحظ عالم كتاب هذه الامة وفرد بلغائها تتصفح كتبه فتعثر بالشيء من اسماء الادوات ومصطلحات الفنون وبعض ذلك لا سبيل الى فهمه ومعرفة مدلوله إلا بالرجوع اليه في الفارسية والهندية والرومية ونحوها والا ان اتفق للباحث ان يعثر على بيانه وتفسيره في بعض الموسوعات العربية او كتب الفنون وكان دأب هذا البليغ ألاّ يتوقف عند اللفظة المحدثة يقلبها ويشققها ولا يتردد عند الكلمة الدخيلة ينظر فيها ويحققها وهو قد نص على ذلك في موضع من كتابه الحيوان فقال بعد ان ساق الفاظاً من مصطلحات الزنادقة كالساتر والغامر والبطلان وغيرها وانكر غرابة الدلالة فيها وانها مهجورة عند أهل دعوته وملته وعند العوام والجمهور « ان رأيي في هذا الضرب من هذا اللفظ ان اكون مادمت في المعاني التي هي عبارتها والمادة فيها ان اللفظ بالشيء العتيد الموجود وادع التكلف لما عسى ألاّ يسلس ولا يسهل إلا بعد الرياضة الطويلة وأرى ان اللفظ بألفاظ المتكلمين مادمت خائضاً في صناعة الكلام مع خاص اهل الكلام فان ذلك افهم عندي واخف لمؤونتهم علي . ولكل صناعة الفاظ

قد جعلت لاهلها بعد امتحان سواها فلم تلزق بصناعتهم الا بعد أن كانت بينها وبين معاني تلك الصناعة مشاكلات . وقبيح بالمتكلم ان يفتقر الى الفاظ المتكلمين في خطبة أو رسالة او في مخاطبة العوام والجار او في مخاطبة أهله أو عبده وامته او في حديثه اذا حدّث او خبره اذا اخبر وكذلك من الخطأ ان يجلب الفاظ الاعراب والفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل ولكل مقام مقال ولكل صناعة شكل » اه من مجلة البيان السنة الثانية ص ٤١٣ و ٤١٤

وبعد، فان مثل كلمة بذار الكلمات التي نقلها من احد موسوعات اللغة واقرها المجمع اللغوي الثاني او نادي دار العلوم — اسماء لاجزاء المحراث ونُشرت في صحيفة دار العلوم والكلمات التي نقلها كذلك تصحح كتاب الزراعة المصرية لاسيما وان بعضها وضع في غير مواضعه لعدم معرفة ناقلها بدقائق المعاني الزراعية

ان لي في موضوع الالفاظ الزراعيـة بحثاً وافياً تصفحت في سبيله كثيراً من مؤلفات علمائنا الاقدمين في الزراعة والنبات والجغرافيا ومن قواميس اللغة وموسوعات الادب وقد نشرت كلمة عنه في مقتطف يناير سنة ١٩١٩ قلت فيها :

«لأهل الفلاحة كسائر أهل الفنون الاخرى الفاظ أصطلاحية واسماء للآلات التي يستعملونها قد استقرت في عرفهم استقرار المعارف الفنية في نفوسهم حتى صارت عندهم كأنها جزء من الفن ذاته مثال ذلك لفظ تقاوي ودمس وقصّابية ولواطة . فهذه الالفاظ وامثالها وأُسميها بالالفاظ الفنية قد فضّلت مجاراة اهل الفن في استعمالها ورأيتُ الاكتفاء بها فيما بينهم دون أهل الادب عن الكلفة التي لا داعي لها ولا فائدة منها في استخراج الالفاظ القاموسية او التكلف في حمل اهل الفلاحة وطلاّبها على احلالها محل تلك الالفاظ التي قامت معانيها في نفوسهم قيام معاني الفن ذاته فيها . آثرتُ ذلك لا (لان مميزات اللغات ليست قائمة بما فيها من الاسماء والافعال بل بما فيها من حروف المعاني واساليب التصريف والاشتقاق وتركيب الجمل اي بصرفها ونحوها وبيانها » الخ فقط كما قال العلامة الدكتور صروف في المقتطف الاغر بل لان « لكل صناعة الفاظا قامت معانيها عند اهل الصناعات فمن الخطإ ان نجلب الفاظ الأعراب او العوام ونستعملها بدلاً منها فان لكل مقام مقالاً ولكل صناعة شكلاً » كما قال الامام الجاحظ في مقدمة كتابه الحيوان

ولا يقتضي ذلك كما قد يتوهم البعض تفضيل الالفاظ الاعجمية أو العامية على ما يمكن وجوده من الالفاظ الفصحى او اشتقاقه او نحته حسب اصول اللغة اسماء لمسميات المستحدثة بل يُقتصر على الالفاظ الفنية التي رسخت في عرف اهل الفن من قديم رسوخ قواعده فيه فنفضّل مثلا الفاظ القصابية واللواطة والبشامة والبسخة والسلاح من الالفاظ الفنية المتداولة على الفاظ المجر والمسحاة والمجنب والدّجر والعيان من الفاظ القاموس كما نفضّل أيضاً الفاظ الحرّاثة والدرّاسة من الالفاظ التي اشتقها العارفون باللغة واستعملوها اسماء للآلات الحديثة وتقول العامة في مقابلها: وابور الحرث ومكنة الدراس

ولا يحسبنَّ الذين يذهبون غير هذا المذهب اني انما ذهبتُ اليه ايثاراً للاسهل وتجنباً للصعوبة التي يعانيها كتاب الفنون في استخراج الالفاظ الفنية والتعبيرات الصحيحة من مظانها في كتب الفنون واسفار اللغة فاني قد جمعت في مذكراتي منها ما يغني بعضه في هذا الموضوع كل الغناء

واقول لبيان شدة حرصي على ايجاد التعبيرات الصحيحة الموافقة لذوق اللغة والفن معاً ان لي شيئاً من الاثر في تصحيح بعض الالفاظ التي استعملها بعض مشهوري الكتاب الزراعيين بمساعدة بعض كبار الادباء في غير ما وضعت له خطأ منهم غير مقصود. فمن ذلك: لفظة الدّالية للشادوف والصواب المنزفة (يراجع المخصّص) ولفظ بذر بدل لفظ تقاوي والصواب الزّريعة فان البذر في اللغة هو الحب المزروع. والتقاوي اعم من ذلك فانها تتناول كل ما يتكاثر به النبات سواء أكان حباً او برعماً او غصناً الخ والزّريعة كل ما زرع فيصح ان تكون مرادفة للفظ التقاوي

واستخرجت من كتب اللغة والزراعة الفاظاً وجُملاً اصح وأخصر مما يستعمله جمهور الكتاب الزراعيين. منها: روافع الماء بدل قولهم: الآلات الرافعة للمياه. خصال الارض او طبائع الارض بدل قولهم: الصفات الطبيعية للارض. النزّ بدل قولهم: الماء الارضي أو ماء تحت التربة أو الماء الارضي القريب. الغمر بدل قولهم: الماء الارضي البعيد

بل أحدثتُ الفاظاً بطريقة الاشتقاق والوضع منها: الثّرية بدل قولهم: طبقة تحت التُربة فالثّرية من الثرى وهو التراب الندي وكذلك تراب تحت الارض كما نقول: التربة من التراب الناشف وكذلك تراب وجه الارض. وحيوية الارض بدل قولهم: الصفات الحيوية للارض الخ

وخَصَّصت كثيراً من الالفاظ بمعانيها المطابقة لها تماما كما يقتضيه فقه اللغة فَفَرَّقتُ بين لفظ غَميقَة وصفاً للارض المرطوبة رطوبة مضرة ولفظ غَدِقة وصفاً للارض النديَّة بماء الري

هذا قليل من كثير مما توفقتُ اليه ولعلَّ فيه دلالة على عدم التفريط في واجب اللغة فيطمئن بذلك اساتذتنا الغيورون على استقلالها ورونقها

وبعد ، فمن رأيي ان لابد لمن يعاني هذا الموضوع معاناة موفّقة ان يكون بصيراً بالقدر الكافي من اللغة والفن معاً لا أن ينضم عارفٌ باللغة وحدها الى عارف بالفن وحده ليكمل احدهما نقص الآخر فان هذا أشبه شيء بحالة الاعمى والمقعد وما ابعدها حالة عن الكمال الذي نرجوه في هذا الموضوع الهام . والنية ان اعود الى تفصيل القول فيه في اول فرصة تسنح

احمد الالفي

تحقيق جغرافي لارتفاع واحة جالو

حضرة الفاضل رئيس تحرير المقتطف حفظه الله

قرأت في كتاب الرواد وصف الرحلة التي قام بها احمد بك حسنين في الصحراء الكبرى فجاء في صفحة ١٦٥ من الكتاب نفسه انه وجد بعد الرصد ان واحة جالو ارتفاعها من البحر مقدار ستين متراً على انه يلاحظ ان وولف الرحال الالماني الذي سبقه الى زيارة هذه الواحة سنة ١٨٧٩ وجد وقتئذٍ ان ارتفاعها على ارتفاع سطح البحر فتكون قد زادت ارتفاعاً عما كانت عليه بستين متراً . ويعلل حضرة الرحالة المصري ذلك بان الرمال قد تراكمت مدى الأيام فسببت هذا الارتفاع

إلا انني أرى ان احد الرحالتين قد يكون مخطئاً في حسابه اذ لو سمعنا ان واحة جالو سنة ١٨٧٩ كان مستواها ومستوى البحر واحداً ثم تراكمت عليها حتى أبلغت ستين متراً من الارتفاع لوجب ألاّ يبقى أثر للمنازل فيها اصلا ثم انني اعرف بعض الناس له فيها عقارات قد ورثها من ابيه وهي باقية كما هي منذ سنين طوال فحبذا لو تفضل احمد بك حسنين فأنار لنا غامض هذا الأمر على صفحات المقتطف خدمة للعلم وللمتعلمين وله ولكم جزيل الشكر .

علي اسعد الجربي

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

حماية الطفل وحريته
نظرة في احوال الاطفال في الماضي والحاضر

من اهم ما اعتور وجه التاريخ البشري من الحوادث حادث بلوغ الطفل ما يصبو اليهِ من حرية واذا عدنا ببصرنا القهقرى الى ماضي الانسانية وجدنا ان تاريخ الاطفال كلهُ عبارة عن مأساة كبيرة في مختلف عصور التاريخ سواء اكانوا اعضاء في جسم الاسرة او القبيلة او المجتمع

ومركز الطفل في الهيئات الاجتماعية في البلاد المتوحشة او التي لا تزال على الفطرة كان ولا يزال محفوفاً بالاخطار. كيف لا وعندهم يضحى بالفرد في سبيل المجموع اذا كانت التضحية بهِ تجلب خيراً او تمنع شرًّا. والضعيف عندهم هو المعرض للخطر وعلى نسبة الضعف يكون الهوان والشقاء. ولما كان ارتقاء الجنس البشري من حالة الهمجية الاولى الى حالة الرقي الحاضر قد تمَّ بعد مضي زمن طويل لذلك طال أمد شقاء الاطفال قبل ان نعموا بنعمة الحرية التي سبقها وصول الانسان الى حالة الرقي والتمدن الحاضر. نعم طال امد شقاء الاطفال واستمر قتلهم او اعدامهم اولاً لمجرد القتل ثم لاسباب او معاذير او مبررات استمدت من حكم العادات او التقاليد الدينية او الاحوال الاقتصادية. الا ترى الى بعض المتوحشين كيف انهم كانوا يعدمون كل توأمين كما هو الحال في استراليا الوسطى والى آخرين يقتلون اضعف التوأمين كما هي عادة الكفرة اي متوحشي افريقية الحديثة. وكان غيرهم لا يقتل من الاطفال الا مشوهي الخلقة. وتختلف

المعاذير التي يعتذر بها ولاة الامور في كل قبيلة عن مسلكهم هذا القاسي نحو الاطفال وفي اختلاف تلك المعاذير وتفاهتها وتعددها ما يملأ الصحف الكثيرة بكل ما هو ممل وسخيف فقد كان ولا يزال البعض من المتوحشين يقتلون الاطفال لانهم ولدوا في يوم نحس على زعمهم او لانهم ولدوا باسنانهم او عطسوا عند خروجهم من بطون امهاتهم او بدا منهم او ظهر عليهم او شوهد فيهم اي امر غير طبيعي او غير مألوف . وقد كان الاناث اسوأ حظاً واكثر عرضة للخطر وادنى الى ارضاء شهوة القتل من الذكور في تلك العصور الملطخة بدماء الابرياء من الاطفال . وارتقت هيئات اجتماعية عن هذه الحالة فقررت لكل اسرة عدداً من الافراد لا تتجاوزه فاذا تجاوزته قتل الزائد من عداد اطفالها واذا لم تصل الى العدد المطلوب فالاطفال في مأمن من الخطر. قال احد الكتّاب وهو R. L. Stevensen انهُ قد جرت العادة والعرف في جزيرة (وايتوپو) بالسماح لكل اسرة بطفلين اثنين اما في جزيرة (نيكوفيتو) فيسمح للاسرة الواحدة بطفل واحد وان اهل هاتين الجزيرتين اكثر طوائف الناس مواظبة على قتل الاطفال واعظمهم حبًّا لهم ولقد كان قتل الاطفال في عصور الانسان الاولى العلاج الوحيد الظاهر لمقاومة المجاعات او تخفيف وطأتها

واذا كانت حياة الاطفال رخيصة بهذا المقدار فليس عجيباً ان تنشأ فلسفة تقضي بأن تتسامى حقوق الوالد على اولاده الى الدرجة البالغة وتقرر بان يكون الابناء تابعين للآباء في كل امر ولا سلطة ولا حرية لهم امام ما يقررهُ آباؤهم في قليل او كثير . ألا ترى الى قول (كنفوشيوس سنة ٤٨٠ ق . م) : « ان نعمة الحياة انما استمدها المولود من والديهِ فوجب ان تكون حقوقهما عليهِ اسمى من سائر الحقوق» . فبسبب هذه الفلسفة ورواج مثل هذه التعاليم وبث هذه المبادىء في النفوس صارت حياة الاطفال في الصين لا تساوي شروى نقير وكان قتل الاطفال فيها عملاً قائماً على ساق وقدم لم يصدَّ احد تيارهُ حتى سنة ١٦٥٩ م اذ صدر أمر ملكي بحظر ذلك القتل او تقييدهِ وتلتهُ اوامر اخرى ولكنها كانت حبراً على ورق وكان أثرها قليلاً لان قتل الاطفال ظل رائج السوق في بلاد الصين وكان قتل البنات اكثر واعم الى وقت قريب. وكانت اليابان أبر من الصين باولادها واطفالها ولكن الاستاذ (جودرخ) ذكر انهُ منذ الحرب الروسية اليابانية التي وقعت بين سنتي ١٩٠٤ و١٩٠٥ م زادت اعباء الضرائب على كاهل الشعب فقامت سوق مذابح الاطفال الاناث في اليابان على

قدم وساق . اما الهند فان الخاص والعام يعرف ان الاطفال كانوا ولا يزالون فيها اشقى البرايا فهم يقتلون ويشقون بما لا فائدة من الخوض فيه . وكذلك معلوم ان بني اسرائيل ساموا اطفالهم خسفاً ومسألة تقديم سيدنا ابراهيم ولده اسماعيل قرباناً الى الله تدل اولاً وقبل كل شيء ان غفران خطية الاب مقدمة على استمتاع الابن بحياته . على ان بني اسرائيل لم يحذوا حذو نبيهم ابراهيم بل اقلعوا عن تضحية الابناء مسترشدين باقوال الناصحين اذ يقول أحدهم : « كيف اتقدم بين يدي مولاي الرب ؟ هل اضحي بابني البكر من اجل خطيئتي واضيع ثمرة بدني في سبيل اخطاء روحي ؟ اعلم يا ابن آدم ان الله سبحانهُ وتعالى قد جعل لك سبيل الخير واضحاً والله لا يسألك الاَّ ان تكون نصير العدالة وحليف الاستقامة وحبيب الرحمة وان تلين جانبك له عز وجل »

اما اليونان فبالرغم من بلوغها قمة المجد في العلوم والآداب والفنون الجميلة والفلسفة فان ايدي ابنائها كغيرهم كانت ملطخة بدماء اطفالها الابرياء فقد كانت شفقتهم كما يقول الاستاذ (ماهافي) قهرية غير مستمرة ولا تعدو الاصدقاء واعضاء الاسرة ولم يكن في طبعهم مروءة او رحمة بالنسبة للاعداء او العبيد المساكين وشفقتهم بالنسبة لافراد اسرتهم كانت مع ذلك لا تشمل اطفالهم المولودين حديثاً . وفي مدى الف سنة لا نرى من اليونان من يظهر ادنى شفقة او تألم من تعريض الاطفال يومياً للموت والهلاك فكأن قلوب اليونان كانت نحو الاطفال والضعفاء كالحجارة او اشد قسوة . ولم يسلم من هذا الجمود وتلك القسوة مثل افلاطون نفسه . وكان موضوع الهزوء والسخرية ومثار الضحك واللهو في القرن الرابع قبل الميلاد في بلاد اليونان طفلاً يتألم او يموت جوعاً او في حال النزع كما أن مسألة تعريض الاطفال للموت كان موضوع الروايات الهزلية والمحور الذي يدور عليه حديثها وكان الاطفال الاناث اشقى من الذكور لان الفقير والغني على السواء كان ينفر منهن ولا يلقين منهُ صدراً رحباً

اما مسلك رومية نحو الاطفال فانهُ موضوع اكثر تعقداً واتجاهاً الى ناحية الخير والبر وذلك لان تأسيس امة قوية استلزم اعتناق مبدأ ان الاطفال ذخر الامة وعمادها ومع ان سلطة الاب الروماني على اولاده كانت اول امرها واسعة النطاق فان ولاة الامور للغرض المتقدم ضيقوها ووضعوا لها قيوداً وفي الاساطير ان (رومولوس) سن القوانين الكفيلة بحسن تربية الاطفال وخصوصاً اذا كانوا ذكوراً وانهُ يجب المحافظة

على حياتهم والعناية بهم حتى يبلغوا السنة الثالثة الاَّ اذا كانوا عرجاً او مشوهي الخلقة ومع ذلك فان الوالد الذي يرزق ولداً مشوهاً او اعرج كان يمنع من تعريضهِ للموت الاَّ اذا اقرَّهُ على رأيهِ خمسة من جيرانهِ ونحن نعلم ان رومية بعد فتوحاتها العظيمة سقطت من شاهق مجدها العسكري ومنعتها الحربية الى ادنى درك من الانغماس في الملذات والمفاسد ففشا الفسق وعم الزنا والتسرى واتخاذ الخليلات والحظايا فأدى هذا الى تدهور الاخلاق وانحطاط الآداب وقلل النسل وحل رباط الزوجية واجتث اصول النخوة من رجال الامة لذلك شرع (اوغسطوس) في السنة الرابعة للميلاد شرائعهُ الآيلة الى منع المفاسد ودرء اخطار الانحلال الاخلاقي ورغَّب الناس في الزواج والتناسل ورفع شأن الابوة لا باعادة السلطة المطلقة على الاولاد بل بما يكسبهُ الاب من الحقوق بسبب وجود اولاد او نسل لهُ فالاشخاص العديمو الولد كانوا يحرمون من الميراث ويمنح الاولوية في اشغال المناصب الاميرية لذوي الاولاد والعيال حسب كثرتهم وأُعفي الآباء والامهات من الضرائب اذا بلغ اولادهم ثلاثة او اكثر (البقية في الجزء التالي) حسين لبيب

ناظر مدرسة النحاسين

فوائد الضحك والابتهاج

يحكى عن وليم فاندربلت المثري الاميركي الشهير انهُ قصد القسطنطينية يوماً ، فنمي اليهِ انَّ كوكليس الممثل الهزلي معرَّج هناك، فبعث اليهِ يسألهُ ان يتكرم عليهِ بزيارة في يختهِ الراسي في البوسفور . فلبى كوكليس الدعوة ومثَّل بحضرة مضيفهِ وحاشيتهِ ثلاثة ادوار كان لها وقع عميق في نفوسهم

ثم انهُ بعد بضعة ايام تناول الممثل من المليونير رسالة هذا نصها : انك قد اذرفت الدموع من مآقينا وجعلت الضحك ملء افواهنا ، وحيث ان الفلاسفة قد اجمعوا على ان الافترار خير من الاستعبار فقد رأينا ان نكافئك على الوجه التالي

٦٠٠ دولار مقابل ابكائنا ست مرات

٢٤٠٠ مقابل اضحاكنا اثنتي عشرة مرة

٣٠٠٠

فتفضل باشعارنا بوصول صك المبلغ المرسل في طيه

وقد قال تاليراند : ليس شيء كالمزاح مروّحاً عن النفس . ونعم المثل القائل : اضحك تسمن. فلو عرف الناس مبلغ تأثير الضحك في الصحة ومدى الحياة، لاضمحلت حالاً علائم الحزن البادية في وجوههم ولأُصيب الاطباء بنقص كبير في عدد مرضاهم

فالضحك من خصائص الانسان ومميزاته وقد منحهُ لما لهُ فيهِ من النفع العميم ، اذ انهُ فضلاً عن اللذة النفسانية التي ترافقهُ ، يمرّن الاعضاء الداخلية فيفيد الرئتين والحجاب الحاجز والكبد والمعدة وسواها . وقد قال الدكتور جرين : ان الضحك يزيد نشاط الدم في الاوعية الدموية وتأثيرهُ ينالها كلها من اكبرها الى اصغرها. ناهيك بهِ زائداً للتنفس قوّةً والعيون ضياء والصدر اتساعاً والجسم حرارة ونشاطاً ، طارداً فاسد الهواء من بين خلايا الرئتين ، رادًّا الانسان الى صحتهِ ورفاهيتهِ

ومما يؤثر عن الدكتور اوليفر وندل هولمز قولهُ : ان السرور هو دواء الله فينبغي لكل امرىء ان يتعالج بهِ ، فالارتياب والاضطراب والاكتئاب وكل صدإٍ يلمُّ بالحياة يجب ان يزال بزيت الابتهاج . وكان ايضاً يقول : اذا اضطررتم للاستطباب فعليكم بالطبيب الجذل الطباع الباسم المحيا ، لانَّ بشاشة الطبيب انجع في العليل من ادويتهِ وعقاقيرهِ . وكثيراً ما كان الدكتور مارشل هول يصف السرور علاجاً لمرضاهُ معلناً انهُ افضل من جميع عقاقير الصيادلة . فما اصدقَ المثل القائل : القلب الفرح دواء ناجع

وهاكم مصداقاً لذلك شهادة مجلة طبية طارت شهرتها في انحاء العالم ، وهي مجلة اللانست الانكليزية التي بحثت قيمة السرور بحثاً علميًّا دقيقاً فأثبتت ان لهُ أثراً فعالاً في المرضى والضعفاء ، وأنَّ خلتين اثنتين تنجمان عنهُ ، اولاهما انهُ يجعل الشفاء في حيّز الامكان ، وثانيتهما انهُ يساعد المريض على متابعة الحياة بالرغم من استعصاء دائه

ولذلك كان على اعظم جانب من الاهمية حسب رأيها ان يفتح المرضى قلوبهم للحبور ويملكوهُ أعنَّة نفوسهم ، لانهُ لما كانت القوة المسيطرة على الحركة الفكرية هي التي تشارف اعمال الجسم كافة ، اصبح من اللازم انَّ العوامل العقلية بتأثيرها في الجهاز العصبي تفعل فعلها في انحاء الجسد ان خيراً او شرًّا . فلا غروَ اذا كان الحزن والامتعاض والضجر تثير ثائر الأمراض والاوصاب ، ولا عجب اذا كان الجذل والانبساط والرجاء فضلاً عن تغلبها على الآلام تبعث في كيان الانسان قوة ونشاطاً

فالهمُّ والرّيب والتخوُّف هي ألدُّ اعداء الحياة البشرية ، والنفس المنقبضة الكئيبة المنحصرة بذاتها الفاقدة الثقة بقدرتها وفائدتها ، هذه النفس لا خير يرجى لها ولا نمى . نخليق بالانسان ان يناوئ كلَّ ما من شأنه ان يُذلَّ نفسه ويشجعها مناوأته لمن يبغي قتله والقضاء عليهِ . فما لا شكَّ فيهِ انهُ في استطاعة النفس اذا طابت ان تزيد الجثمان قوة وجمالاً ، كما انها اذا اكتأبت أذوته نصباً واعتلالاً . ولئن جاز ان يقال ان العقل السليم في الجسم السليم فقد صحَّ الحاق ذلك القول بان الجسم السليم صنيعة العقل السليم . بل العقل والجسم صنوان متآخيان متصافيان ما زال الواحد منهما يشارك الآخر في سرّائه وضرّائه

وقد كان شافاس الجرّاح الشهير يعتقد انهُ ينبغي للوالدين ان يعوّدوا من المهد اولادهم الاغتباط والحبور . فكان يقول لهم : احملوا اولادكم على التهلُّل والضحك ملء افواههم ، لانَّ الضحك الناشئ من اعماق النفس يقوّي الصدر ويجري الدماء في الشرايين ، ولست أعني تهاتفهم وفتورهم فيهِ بل اقصد استغراقهم وإمعانهم بحيث تتجاوب في انحاء المنزل أصداء قهقهتهم ، وفائدة ذلك لا تقتصر على اولادكم بل تتناول جميع من يسمعونهم مطلقةً نفوسهم من عقال الهم والكآبة ، إذ انَّ السرور ينتشر فعلهُ بسرعة فائقة ولا يستطيع احد مقاومة عدواه

وكان الملوك في سالف الازمان يستحضرون اليهم ارباب المجون ويجالسونهم على موائد طعامهم ويستصحبونهم في ملاهيهم ومساليهم مغدقين عليهم آلاءهم السابغة . ويروى عن هوفلاند طبيب ملك بروسيا انهُ حمل سيده على إحياء عادة مجالستهم على الخوان والاستئناس بفكاهاتهم ، لعلمهِ ان الضحك افضل التوابل واطيبها وابعدها في اعماق النفس قراراً

وقد كان سانفور يقول : ان كل يوم لا يضحك المرء فيهِ يخسره كأنهُ لم يكن ابداً . ويحكى عن لورنس سترن الكاتب الهزلي الشهير انهُ قال : انني اقاوم بالابتهاج مابي من العاهات والامراض ، وقد تأكد لي ان الانسان كلما ابتسم ابتسامة او ضحك ضحكة اضاف شيئاً الى مدى حياته

— من الانكليزية لماردن —

—o:o—

باب الزراعة والاقتصاد

طرائق التسافد في الدواجن (١)

هي وسائل غايتها تناسل الماشية على ان يضمن بذلك الاحتفاظ بصفاتها او تجويد هذه الصفات او ظهور صفات جديدة في الانسال

للتسافد طرائق خمس وهي : الانتخاب والاصطفاء والتهجين والتبغيل والتخليط (إسفاد الهجين للهجين) . فاذا كان الذكر والانثى من نوع واحد ورسّ (عرق) واحد فوسيلة الضراب المستعملة تسمى الانتخاب Selection مثالهُ حمْل حصان عربي على سفاد فرس عربية . اما اذا كانا من نوع ورس واسرة واحدة كأن يكون الذكر خال الانثى او ابن عمها فهو الاصطفاء Consanguinite واذا كان الذكر والانثى من نوع واحد لكن كلاً منهما ينتسب الى رس (عرق) فطريقة الضراب هي التهجين Croisement مثاله حمْل حصان عربي على سفاد فرس انكليزية او بالعكس والولد الذي ينتج عن هذا الشكل من السفاد يسمى الهجين او المقرف Métis فاذا جعلت الهجين ينزو على هجين فعملك هو التخليط او إسفاد الهجين للهجين Métissage واذا كان الذكر من نوع حيواني والانثى من نوع آخر فطريقة السفاد هي التبغيل Hybridation والحاصل هو البغل «او النغل» Hybride مثاله سفاد الحصان للاتان

الانتخاب

هو حمل حيوانين من رس واحد على السفاد على ان يكونا منتخبين بدقة فتنتقل الى نسلها اجود الصفات المرغوب في نقلها الى ذلك النسل . ويمكن بالانتخاب ان يبلغ الانسان بعض غايات منها اولاً : الاحتفاظ بالعرق نقيًا في صفاته وذلك بألاّ تنتخب للضراب الاّ الحيوانات التي تحوي كل صفات العرق الجيدة . ثانياً : تنقية عرق لوَّثهُ التهجين وذلك بألاّ تنتخب للضراب حيوانات فيها من صفات العرق الاجنبي . واذا حصل (بسبب الوراثة المسماة الرجوع الى الاصل) حيوان يحتوي على بعض صفات ذلك العرق الاجنبي وجب منعهُ عن الضراب لكي لا يلوث العرق المراد تنقيتهُ .

(١) عن «كتاب الدواجن» للامير مصطفى الشهابي وهو مخطوط لم يطبع بعد

ثالثاً : تجويد صفات العرق . فاذا كان من صفات العرق ان تكون حيواناتهُ عالية مثلاً وكان يُراد تزييد العلو فيها فانهُ لا ينتخب للسفاد الا الحيوانات الاكثر ارتفاعاً. وهكذا في باقي الصفات فان الانتخاب يجودها على توالي الانسال

والاساس الذي يقوم الانتخاب عليهِ هي معرفة صفات العرق وخصائصهِ كل المعرفة فتنتخب للسفاد الحيوانات التي فيها اعظم مقدار من هذه الصفات والخصائص وتعزل تلك التي في بنائها نقص . ويجب ان يكون ثم تناسق في خصائص الابوين واشكالها . فاذا اسفدت حصاناً ذا ظهر محدب لفرس مقعر فالابن لا يكون ظهرهُ بين بين . بل يكون لهُ ظهر احد الابوين او ظهر الاب غالباً .فيجب اذن في الانتخاب ان تتحرى وجود الخصائص والاشكال المماثلة في الابوين حتى تظهر على اتمها في النسل

كتب الانساب : يوجد لدى وزارات الزراعة في الحكومات الكبيرة سفر لكل عرق شهير من ماشية البلاد تقيد فيهِ كل الاسر المهمة التي تنتسب الى ذلك العرق مع كل فرد يمت بنسبهِ الى تلك الاسرة ويدعى هذا الكتاب « كتاب النسب » والانكليز اول من دونوا خيلهم الاصلية وماشيتهم الشهيرة في كتب الانساب واطلقوا على هذه الكتب اسماء تستعمل في كثير من اللغات الاوربية وهي Stud-Book « كتاب نسب الخيل » وHerd-Book « كتاب نسب البقر » . لنفرض ان الحكومة صحت ارادتها على اتخاذ كتاب للخيل العربية الاصلية في بلاد الشام مثلاً فعليها بان تتقدم الى عمالها في الاطراف بان يحملوا كل من لديهِ حصان (او فرس) من العرق العربي مما يصلح للتسافد على عرضهِ امام لجنة قوامها اكبر العلماء بصفات الخيل العربية وخصائصها ومزاياها وبعد ان تفحص اللجنة ذلك الحصان وتنظر في اسرتهِ تحكم إما بتدوينهِ في كتاب النسب الخاص بالخيل العربية او برفضهِ ومتى تم عمل اللجنة يصبح قوام الامر ألاَّ يدون في ذلك الكتاب بعدئذٍ الا الافراد المتحدرة من الحيوانات المدونة فيهِ سابقاً . هكذا تحفظ انساب الخيل الاصلية ويكف كل صاحب ذوق وخبرة عن جعل فرسهِ يسفدها غيرُ فحلٍ مسجل في كتاب نسب الخيل . يتضح مما ذكرت ان كتب الانساب هي من خير الوسائل التي يرجع اليها في الانتخاب وانها تدعو الى تجويد النسل وترسيخ الصفات المستحبة ما دامت الغاية منها عزل العروق الصافية حتى لا تختلط بالتسافد مع غيرها. واظن ان من اهم اعمال الحكومة اليوم ان توجد كتابين: الاول للخيل العربية . والثاني للابقار البلدية ، هذا بعد ان تعين اللجنةُ التي تُكلف

هذا العمل الصفات التي يجب ان يتحلى بها الفرد المنسوب الى كلٍّ من هذين العرقين

يستنتج مما ذكر في الانتخاب ان هذه الوسيلة من ابسط الوسائل وانفعها في تجويد رسوس الخيل والماشية . فالانسان لا يحتاج معها الى شراء فحول اجنبية ونقلها الى بلاده بل يقتصر عمله على تعهد الحيوانات البلدية واطعامها علفاً كافياً وانتخاب اجودها للسفاد . ومن الطبيعي ان عمل الانتخاب بطيءٌ اي ان النسل لا يجود الاَّ بعد المثابرة على اتباع قواعد الانتخاب عشرات من السنين لكن هذه القواعد البسيطة تؤدي الى جودة النسل دائماً

الاصطفاء

هو تسافد حيوانات من اسرة واحدة كسفاد الاب للبنت والاخ للاخت . والعم والخال لابنة الاخ ولابنة الاخت .وابن العم لابنة العم او بالعكس الخ .وتكون اشكال الابوين وخصائصهما متماثلة في هذا النوع من الضراب ولهذا يكون تأثير الوراثة في النسل على أشده فتزداد تلك الاشكال والخصائص رسوخاً في ذلك النسل .ومعناهُ انهُ اذاكان في الابوين صفات جيدة فانها تبدو في الابن على شكل اجود . وكذا اذا كان الابوان مبتلين بمرض ينتقل بالوراثة فان هذا المرض يكون في الابن اشد منهُ فيهما . ويستنتج من ذلك ان الاصطفاء هو من احسن وسائل الضراب بشريطة ان يكون المتسافدان لا غبار عليهما من حيث جودة أشكالهما وخصائصهما وخلوهما من العيوب والامراض . ويمكن الدوام على اتباع طريقة الاصطفاء في بضعة انسال او اكثر . ولا يُستنكف عن اتباعها الاَّ اذا ظهر في أحد الانسال عيب او مرض يخشى من انتقالهِ . وفي هذه الحال يكون من اللازم ان يُجلب للسفاد فحل من اسرة اخرى او قطيع آخر . وقد ورد في كتب الماشية ان الانكليزيين بكويل Bakewel وكولنغ Colling الشهيرين بتربية الماشية كانا عمدا الى طريقة الاصطفاء فجودا النسل بها واوجدا في قليل من السنين فحولاً ذاع صيتها واستفاضت شهرتها وكانت من اكبر العوامل في تجويد الماشية في بلاد الانكليز

التهجين

التهجين هو طريقة الإنتاج التي تتسافد فيها حيوانات من نوع واحد ولكن من عرقين مختلفين كإسفاد الحصان العربي لفرس غير عربية او الثور البلدي لبقرة من عرق « العكش » او تيس من المعزى البلدية لعنزة من المعزى الجبلية الخ . واذا كان

الاب من عرق كريم والام من عرق خسيس يراد تجويده سُمّي حاصل الضراب هجيناً ، وفي عكس ذلك فهو يسمى مقرفاً

ويُعرَّف الهجين او المقرف باسم مركب من عرقي الابوين على ان يأتي اسم عرق الاب قبل عرق الام فيقال : حصان انكليزي عربي اذا كان الاب ينتسب الى الرس الانكليزي والام الى الرس العربي ؟ وبقرة بلدية عكش اذا كان ابوها ثوراً من الرس البلدي وامها بقرة من الرس العكش وهكذا

والتهجين على اشكال منها : تهجين النسل الاول والتهجين المستمر والتهجين المتتالي

(التتمة في الجزء التالي) الامير مصطفى الشهابي

مناطق الارض المصرية وخصائصها

الوجه البحري او الدلتا

وهو ثلاثة اقسام : جنوبي وشمالي ومتوسط بينهما

الارض الجنوبية

تشمل مديريتي القليوبية والمنوفية وجنوبي الغربية والجزء الجنوبي الغربي من مديريتي الدقهلية والشرقية ومركز كوم حماده بحيرة او بالاحرى من القاهرة الى خط الميزانية الثامن وهو يمر بكوم حماده بحيرة فكفر الزيات فطنطا فزفتى غربية فميت غمر دقهلية فالزقازيق شرقية

وارض هذا القسم الجنوبي اذكى الاراضي خصباً وزرعاً واقطاناً كان الزرع او حبوباً او بقولاً او مرعى او بساتين

كذلك هو اوفرها عمراناً واجودها ماشية ولعلو ارضها عن ترعها لا تروى بالراحة الا في فصل الفيضان النيلي وتكثر فيه الآبار العذبة الماء بنوعيها ارتوازي ومعين

الارض المتوسطة

وهي التي تلي الارض الجنوبية شمالاً من خط الميزانية الثامن الآنف الذكر الى خطها الخامس الذي يمر بالدلنجات فايتاي البارود بحيرة ثم الى دسوق فكفر الشيخ فطلخا غربية فالمنصورة فالسنبلاوين دقهلية فكفر صقر فابو كبير ففاقوس شرقية فتشمل اواسط مديريات البحيرة والغربية والدقهلية والشرقية

وهذا القسم اقل من القسم السابق عمراناً وخصباً وريعاً وافضل ما يجود فيه القطن ثم الحبوب وسائر الزروع وماء الآبار فيه دونهُ في ذاك

ولا يزال بعض اراضي هذا القسم المتوسط بحاجة الى تحسين وسائل الري والصرف

الارض الشمالية

وتعرف بالارض البحرية وهي التي تلي الارض المتوسطة وتشمل شمالي البحيرة والغربية والدقهلية والشمال الشرقي من الشرقية واكثرها ذو ملوحة ورطوبة ولذلك لا بد من الصرف الصناعي فيها

وتقسم الى قسمين: الاول اقل ملوحة ورطوبة من الثاني ويمتد من خط الميزانية الخامس الآنف الذكر الى خطها الثالث الذي يمر بمتوسط المسافة بين ايتاي البارود ودمنهور بحيرة متجهاً الى فوه ومنها الى بلقاس فشربين غربية ثم يتجه الى دكرنس دقهلية فالصالحية شرقية. والثاني من هذا الخط الثالث الى البحر الابيض المتوسط ويعرف بارض البراري والجزء البحري منها وهو الذي تحت خط الميزانية ١٫٥٠م الى البحر اكثرهُ من الارض الموات الكثيفة الملوحة الكثيرة الرطوبة ومنها السباخات والبحيرات المجاورة للبحر

وحيث تحسن وسائل الري والصرف والفلاحة في الارض الشمالية بقسميها تنتج افخر الاقطان وتجود زراعة الارز لاسيما في مناطقه المشهورة به والتي لفلاحيها اتم خبرة في زراعته لا يساميهم غيرهم فيها. كذلك تجود زراعة البرسيم ثم الشعير وتكثر مواشي اللبن لتوافر المراعي الخضراء وتصلح خصوصاً في القسم الاول زراعة القمح والذرة. والآبار في قسميها لاسيما في الاعالي المجاورة للارض المتوسطة

واختصت الارض البراري بزراعة السماد ومن اشهر الجهات التي يزرع فيها وادي الطميلات بمركز الزقازيق شرقية المشهور بتفتيش الوادي التابع لوزارة الاوقاف

وفي البراري توجد الشركات العقارية لاصلاح الاطيان وتحسينها وبيعها بالتقسيط للفلاحين واكثرها الآن في الغربية والبحيرة ثم في الدقهلية ولذلك كثرت في هذه البراري لاسيما في براري الاولى منها الانشاءات العمومية كالترع والمصارف والطرق الزراعية والحديدية والاسواق ونقط البوليس فزاد عمرانها وتحسنت احوال سكانها عن قبلُ وعن امثالهم في الجهات المحرومة من هذه الشركات كبراري مديرية الشرقية مثلاً

وتحتاج ارض البراري الى زراعة الارز بدورتها الزراعية في فترات متقاربة كل ٣

سنين مرة اذا كانت جيدة الصرف والى زراعته بها زراعة متوالية وهذا في القسم الادنى منها ولكن اباحة زراعته تابعة لمقدار ماء النيل كثرة او قلة فتوسع زراعتهُ او تضيق حسبما تحددها وزارة الاشغال تبعاً لذلك

ومما لاحظتهُ ان ما يراعى في تحديد زراعته احياناً ليست حاجة الاطيان وحدها بل وموقعها من الترع الرئيسية التي تنتفع منها ولذلك قد تحرم من زراعة الارز ارض تحتاج اليها اكثر من ارض اخرى ابيحت فيها زراعته. فلملافاة ذلك يجب ان تكيَّف الترع حسبما تقتضيهِ احوال الارض

وعلى اثر اشتداد شكوى فلاحي بعض مناطق الارز من خطر زراعته في اراضيهم سنتين متواليتين نشرت الاقتراح الآتي في المقطم :

ان مناطق الارز الحقيقية اما اولية او ثانوية فالاولية قسمان : احدهما اكثر ملوحة وانخفاضاً وادنى للسبَّاخات والبحر الابيض والارز فيهِ اهم مزروعات الدورة الزراعية شأناً وربحاً فاذا ابطلت زراعتهُ فيها سنة واحدة زادت ملوحة الارض وخسر زراعها خسارة لا تعوض ولذلك فان الحكومة لا تحظر زرعه هناك ولو شحت مياهُ النيل كما حصل سنة ١٩١٤ مثلاً لاسيما وان لا بد من المحافظة على هذا المحصول الغذائي وتقاويهِ وان البعض من ارض هذا القسم يروى من فرعي النيل الشرقي والغربي واكثر مائهما في الصيف من الماء الارضي

وثاني القسمين من مناطق الارز الاولية يلي الاول جنوباً ويقل عنهُ ملوحة وانخفاضاً واذا اهملت زراعة الارز فيهِ سنة يمكن (بضرر محتمل ولو بصعوبة) الاستمرار في استغلال ارضهِ بالمزروعات الاخرى وتخفيف ملوحتها بتنييلها في فصل الفيضان وحينئذٍ يجب تقصير المناوبات النيلية فيها ما امكن ولكن اذا ابطلت زراعة الارز فيها سنتين متواليتين اصاب الارض واصحابها ضرر بليغ وهذا القسم ضعف الاول مساحة ومساحتهما معاً نحو ٢٥٠ الف فدان

والذي اراهُ ان يُقسم هذا القسم الثاني من حيث التصريح بزراعة الارز الى نصفين فاذا شح النيل يصرح لنصف منها بالتناوب بينهما مع القسم الاول وبذلك لا يزيد ما يصرح بزراعتهِ مع شح النيل عن ٧٥ الف فدان تقريباً وتظل مناطق الارز الاولية حافظة لكيانها واذاً لا تقل زراعته في الارض الواحدة من القسم الثاني عن مرة في كل ٣ سنين ولا يحرم منهُ مالك اكثر من سنة واحدة

اما مناطق الارز الثانوية فتكون اباحة زرعه فيها تابعة لحالة النيل من التوسط والعلو ويجب ان يراعى في الاباحة التناوب بين اقسامها اذا قصرت عن شمولها

هذا هو العلاج الوقتي وهناك علاج آخر هو ان تعتني الحكومة بتحسين المصارف في ارض البراري وتمكين الزراع من تنييل ارضهم بماء الفيضان كما ينبغي واذاً تقل حاجة الكثير منها الى زراعة الارز الصيفي زراعة متقاربة وبالتالي يقل ضرر الازمات المائية ويتوفر الماء لتلطيف مناوبات القطن الصيفية

وفي بعض جهات البراري تتداخل وتتجاور الارض المستجدة والارض الموات فليست مناطقهما منفصلة بعضها عن بعض تماماً في كل الجهات

وسكان الجهات الشمالية خصوصاً براريها وبالاخص الارض المستجدة اقل من الكفاية لزرع اراضيها الزراعية كما ينبغي ولذلك ففي هذه البراري متسع عظيم لمن يريد الهجرة والتوسع من اهل الجهات الجنوبية التي اكتظت بسكانها

وقد شاهدت بعض الآثار الفرعونية في بعض جهات من البراري مع انها لا تكون الا مع عمران وفير وخصب كثير فعجبت كيف كان ذلك وارضها الزراعية كما نرى انخفاضاً وملوحة وسألت فافادني احد المهندسين المطلعين بما يأتي :

كانت هذه المنطقة الشمالية عالية عن البحر الابيض وتعرف بارض الزعفران لتفوّق خصوبتها على غيرها لان مياه النيل كانت تركبها في كل فيضان ولو واطياً فكانت تزرع دواماً بخلاف ارض الوجه القبلي الذي كان لا يركبها الا الفيضانات العالية لعدم وجود اعمال هندسية لذلك حين ذاك

ثم حصل زلزال عظيم سببهُ بركان ڤيزوف بايطاليا فارتفعت شواطئ البحر الابيض عندها وهبطت بالطبع في البر الآخر تجاه القطر المصري وهبطت معها الارض الزراعية ايضاً فطغى عليها ماء البحر الى ان وصل الى برما غربية اي الى خط الميزانية السابع تقريباً ثم بتكرار الفيضانات بعد ذلك وتوالي الري والصرف والزراعة اصلح كثير مما كان تلف الخ

وقد سألت المهندس الذي افادني بذلك عن المصدر الذي عرفهُ منهُ فاجابني انهُ لا يتذكرهُ وسألت عالم العلماء المغفور لهُ الدكتور صرّوف صاحب المقتطف فاجابني انهُ يظن انهُ قد يكون كتاب المستر ولكوكس المهندس الانكليزي الاشهر وقد حالت منيتهُ رحمهُ الله دون تحقيق ذلك

احمد الالفي



اصول علم النفس

اثرهُ في التربية والتعليم

تأليف الاستاذ امين مرسي قنديل — الجزء الاول الطبعة الثانية — طبع بالمطبعة العربية بمصر — صفحاته ٣٣٤ قطع المقتطف

حضرنا مجمع تقدم العلوم البريطاني الذي التأم بجامعة تورنتو سنة ١٩٢٤ وكان رئيس قسم السيكولوجيا فيهِ الاستاذ وليم مكدوغل استاذ هذا العلم في جامعة هارفرد فالقى خطبة ممتعة لا نزال نذكر مطلعها لما كان لهُ من الوقع في نفوس الحاضرين لانهُ كان بمثابة تصريح علمي بانشاء دولة علمية مستقلة بين دول العلوم المختلفة . قال الاستاذ مكدوغل :

« نحن المشتغلين في مختلف الابحاث النفسية يسرُّنا ان العلم الذي نشتغل بهِ يرتقي ارتقاء سريعاً ويمدُّ نفوذهُ الى كل عمل من اعمال الناس . فانشاء فرع السيكولوجيا (علم النفس) في مجمع تقدم العلوم البريطاني وتقدمهُ من اكبر الادلة على ان زملاءنا في سائر فروع العلم الطبيعي يعترفون بمقام علم النفس بين العلوم »

ولا يخفى ان لعلم النفس فائدة عملية واثراً فعالاً في علم التعليم وفنون الطب والصناعة ومختلف العلوم الاجتماعية لان النجاح في كل هذه المباحث والاعمال يقتضي علماً بالطبيعة البشرية

فسرَّنا والحالة هذه ان يقوم منا باحث محقق يدرس هذا العلم درساً دقيقاً في جامعات اوربا ثم يعهد اليهِ في تدريسهِ بمدرسة المعلمين العليا فيضع فيهِ كتاباً نفيساً قدَّم فيهِ « حقائق هذا العلم القديم والحديث في قالب يجعلها سائغة لمن لم يتذوقها من قبل » وقد وقف فصل الكتاب الاول على تمهيد بيَّن فيهِ ماهية علم النفس وما يتناولهُ اصحابهُ من الموضوعات وطريقتهم في البحث والابواب المختلفة التي قسم اليها البحث السيكولوجي وفصَّل كلَّ ذلك احسن تفصيل مستشهداً باقوال المشهورين من علماء النفس في مختلف البلدان

فتحنا اتفاقاً صفحة ١٢١ فاذا عنوانها « الرنح او المخيخ » فاستغربنا وجود لفظة الرنح لان لفظة المخيخ مشهورة بين كتاب العربية وتشير الى جزء خاص من الدماغ ففتحنا لفظة « رنح » في القاموس فوجدنا معناها ما يلي :

الرنح الدوار ونحو العصفور من دماغ الرأس بائن منهُ . وهو لا يؤدي المعنى المقصود من لفظة Cerebellum تأدية دقيقة ولا لفظة مخيخ بمعناها القاموسي تؤديهِ ايضاً ولكنها تؤثر على لفظة الرنح لانها اقدم استعمالاً واكثر شيوعاً . وزد على ذلك انهُ يتبادر الى الذهن عن ذكر لفظة « الرنح » معنى الترنح من السكر وهذا يشوّش على العقل ادراك المعنى المقصود

وهذه الملاحظة لا تحطُّ من قيمة الكتاب فهو من انفس الكتب العربية التي وضعت في هذا العلم ولعلهُ الكتاب العصري الوحيد الذي استوفى هذه المباحث وعسى ان يتعهد الاستاذ كتابهُ بالتنقيح واعادة الطبع مرة كل سنتين لان المباحث السيكولوجية تتقدم تقدماً سريعاً ويتسع نطاقها سنة بعد اخرى

كتاب البقول

وهو يبحث في زرع الخضر في اقاليم بلاد الشام ونظائرها

تأليف الامير مصطفى الشهابي — عضو المجمع العلمي العربي بدمشق الشام — مدير املاك دولة سورية — طبع بدمشق الشام بالمطبعة الحديثة صفحاته ٢١٣

الامير مصطفى الشهابي معروف لدى قراء المقتطف بمقالاته الزراعية الممتعة نذكر منها على سبيل الاشارة « زراعة القطن في سورية » . « تقدم العلوم الزراعية » . « اوصاف الخيل العراب » . ولهُ ايضاً مؤلفات زراعية جمعت اوفى طائفة من الحقائق النظرية والعملية عن احوال الزراعة في اقاليم بلاد الشام ونظائرها اشهرها « الزراعة العملية الحديثة » « والاشجار والانجم المثمرة »

افتتحنا هذا الكتاب فاذا المؤلف في مقدمتهِ شاعر بليغ حيث يقول :

« من اجمل ساعات عمري واسعدها تلك التي كنت ازرع فيها بيديَّ البقول والازهار والرياحين واشجار التزيين في المدارس الزراعية او في حديقة بيتي على صغرها . والذ بقلة اكلتها هي التي كنت اتتبع حياتها منذ إنتاش بزرتها الى حين جنيها . ولم اجد ما يروّح القلب ويريح المنهمك في الاعمال العقلية مثل اعتزال المدينة وضوضائها ومحادثة بسطاء

الاكارين في الارض والخيل والماشية ومختلف الزروع . ان حب الفلاحة وما فيها من الخير للبلاد حملني على متابعة التأليف في العلوم والفنون الزراعية وهذا الكتاب «كتاب البقول » هو الحلقة الرابعة من سلسلة الابحاث الزراعية التي اخذت على نفسي التصنيف بها . ولعل الاقدار تسمح لي باضافة حلقات اخرى اليها »

ولكنهُ مع ذلك رجل عملي يفضل زرع البقول والرياحين والازهار على نظم القصائد في اوصافها وهل من شعر ابلغ من شعر العمل !

قسم كتابهُ الى قسمين الاول جاء فيهِ على القواعد العامة التي لا بدَّ من معرفتها حتى توفى الزروع حقها من العناية . واهم موضوعات هذا القسم : تقسيم البقول وفوائدها . اشكال بساتين البقول . الادوات والآلات اللازمة للبستاني (مزدان بصور كثيرة) الاتربة وخواصها . المصلحات والاسمدة . تسميد ارض الخضر . الاسقاء (او الري) تكاثر البقول . انتخاب البزور وابتياعها . غرس النباتات في مستقرها . تعاقب البقول في الارض

ووقف القسم الثاني على الحقائق الخاصة بزرع كل نوع من البقول وقد ذكر منها عشرين نوعاً قسمها الى ثلاثة اقسام الثمرية كالطماطم والباذنجان والخيار والفاصوليا . والورقية او العشبية او الخضراء وهي التي تؤكل اجزاؤها الخضراء كاوراقها او سوقها المائية او ازهارها كالهليون والقنبيط . والسقولية وهي التي تتضخم سوقها او جذورها او اصولها الارضية كالبصل واللفت والبطاطس والجزر . واضاف على هذه الاقسام الثلاثة ملحقاً في البقول التي تنبتها الطبيعة كالكمأ والعكوب والخبازى

فالكتاب مفيد لكل صاحب بيت حول بيتهِ قطعة ارض يريد ان يستثمرها فائدتهُ لاصحاب البساتين لانهُ يبين لهم الاصول العلمية والقواعد العملية لزراعة البقول وهذا النوع من المؤلفات من اهم ما نحتاج اليهِ الآن . وسنعود الى الاقتطاف من فوائدهِ في اجزاء المقتطف القادمة وننشرها في باب الزراعة والاقتصاد

رمل وزبد

وصفنا هذا الكتاب بما يستحقهُ في نظرنا حين ظهورهِ بالانكليزية في يناير ١٩٢٧ وذكرنا لمحة من تاريخ مؤلفهِ الشاعر المصور جبران خليل جبران ونقلنا طائفة من اقوالهِ وحكمهِ . وقد عني الآن بنقلهِ الى العربية الارشمندريت انطونيوس بشير

منشئ مجلة الخالدات العربية باميركا وطبعهُ يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

قال المترجم في وصف الكتاب : ليس هذا الكتاب رواية او قصة يكفي ان يمرَّ بها القارىء ليدرك نحواها ويفهم الحقيقة المنطوية عليها ولكنهُ مجموعة آيات وحكم في فن وفلسفة وشعر وجمال فلا تترك عبارة من عباراته قبل ان تقف على الحقيقة التي وراءها ، وتتفهم العقيدة الجديدة التي تحملها اليك . فان جاءت مثبتة لما بين يديك فاقتبلها واحتفظ بها . وان جاءت غريبة عما عرفتهُ والفتهُ ، فلا ترفضها بل ضعها في دائرة من ذاكرتك ثم عُد اليها بعد حين متذكراً ان الذين اضطهدوا غاليليو واحتقروا آراءهُ الغريبة ما كانوا ليضطهدوهُ لو عاد وعادوا الى الحياة اليوم

وقد نشرنا بين مقالات هذا الجزء انشودة للمؤلف مكتوبة بخط يده فيها خلاصة لفلسفته الروحانية . والكتاب مزدان بصور رمزية بديعة من تصوير المؤلف حبذا لو بذلت العناية باتقان حفرها وطبعها لان صور جبران جزء مكمل لجميع كتاباته

كتاب الاغاني

لابي الفرج الاصفهاني

لم يكن هذا الكتاب الجليل القدر بمجهول فنحاول تعريفه لانهُ من امهات كتب الادب العربي المعدودة . وما من كاتب او أديب او شاعر او خطيب الاَّ وكان لهُ ينبوعاً يغترف منهُ وعوناً ونعم العون . ولذا وقع اختيار حضرة السري السيد علي راتب على اعادة طبعهِ بمطبعة دار الكتب المصرية احسن وقع لدى المتأدبين وقد تكفل حضرتهُ بنفقات طبعه وتبرع بنسخهِ لدار الكتب. وقد شكرتهُ الدار على هذه الاريحية بخطاب بعث بهِ اليهِ وزير المعارف ورئيس المجلس الاعلى للدار . وذكر الخطاب بصدر الجزء الاول الذي ظهر حديثاً في احسن حلة مشرقة زادتهُ جمالاً الى جماله واهدتهُ الينا دار الكتب ضمن مطبوعات اخرى كتبنا عن احدها في هذا العدد

وقد تولى مصححو القسم الادبي بها ضبطه وتصحيحه وشرح غريبهِ بما هو جدير بمنزلتهِ عند اهل العلم والادب . وأُدخل فيهِ من التحسينات زيادة عن الطبعتين السابقتين ما زادهُ حسناً وجمالاً كترقيمهِ وضبط الاعلام واسماء الاماكن والبلدان وما ورد فيهِ من الكلمات الغريبة مع شرحها شرحاً يغنى القارىء عن الكشف في معاجم

اللغة وكتب الادب وبيان ما ورد فيهِ من الالفاظ الاصطلاحية أو الدخيلة كالاسماء المولدة او المعرّبة مما لا يوجد في كتب اللغة التي تقتصر على ذكر الالفاظ العربية الفصيحة : كاسماء الاطعمة وغيرها من المعاني المحدثة في عهد الامويين أو العباسيين فمن بعدهم

وقد صدّرهُ حضرة الكاتب الاديب احمد زكي العدوي افندي رئيس قسم التصحيح بدار الكتب بمقدمة نفيسة بيّن فيها كل ما لهُ صلة بموضوع الكتاب كصناعة الغناء وترجمة ابي الفرج وما قالهُ اهل العلم والادب في الثناء على كتابه أو نقدهِ ومن اختصرهُ منهم وكتب الاغاني المؤلفة قبلهُ والمسماة باسمهِ والكلمات الاصطلاحية الواردة فيهِ وبيان النسخ التي روجع عليها مع تمييز كل نسخة برمز خاص والطريقة التي اتبعت في تصحيحهِ وختمها بذكر المصادر التي استعان بها في التصحيح ومن اشتغل معهُ من رجال العلم والادب

واتماماً للفائدة وتعميماً للنفع قد وضعت لهذا الجزء فهارس أبجدية وافية للاعلام مع ذكر المناسبة التي ورد لها الاسم كاسماء الشعراء ورجال السند واسماء المغنين ورواة الالحان واسماء القبائل والامم والبلدان واسماء الكتب الواردة فيهِ وقوافي الابيات وايام العرب وغيرها مع افراد فهرس خاص للموضوعات الواردة في الكتاب

ولم يتبع في ترتيب هذه الفهارس حذف صدور الكنى من اسماء الاعلام ولفظ ذو وذات كما هي عادة واضعي الفهارس للكتب العربية بل روعي في الترتيب صدور هذه الكني ووضعها في الحرف الذي تبتدىء بهِ فمثلاً وضع لفظ « ابو القاسم » و « ام بكر » وما شابهها في حرف الالف كما وضع اسم « ذو الاصبع العدواني » مثلاً في حرف الذال و « بنو امية » مثلاً في حرف الباء كوضع نفر يعدُّ على الاصابع من المستشرقين الذين قاموا بعمل فهارس للكتب العربية

اما طريقتنا في ترتيب عمل فهارسنا فعلى الرأي الاول الذي يعتبر اول الاسم دون المبالاة بأل التعريف وبألفاظ : الاب والابن والام والبنت لانهُ اسهل في المراجعة واصبح معروفاً الآن لكل باحث

وبالجملة فهذا الجزء مستكمل كل وسائل الجودة والحسن والاتقان في الطبع والورق والتصحيح . وكنا نود لو وُضعت في هامش كل صفحة من هذا الجزء بجانب السطر الخامس والعاشر والخامس عشر الخ الاعداد ٥ و١٠ و١٥ الخ للوقوف بلمحة بصر

على الالفاظ المذكورة في الفهارس لمن أراد ان يجدها في الكتاب . وهو يطلب من دار الكتب المصرية بسعر ٢٠ قرشاً للافراد و١٨ قرشا لباعة الكتب

فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية

اهدت الينا دار الكتب المصرية الجزء الثالث من فهرس كتبها العربية لغاية آخر مايو سنة ١٩٢٦ وهو القسم الاول من فهرس آداب اللغة العربية مرتباً ترتيباً هجائيًّا. وتسهيلا للباحث ذكر مع اسم الكتاب ومؤلفهِ بيان ما يشتمل عليهِ من الموضوعات ونوعه ان كان مخطوطاً او مطبوعاً وعدد النسخ المحفوظة منهُ . وهذا الجزء كسابقيهِ في الحجم واتقان الطبع وجودة الورق وقد طبع بمطبعتها . وثمنهُ خمسة قروش صاغ

الدليل العام

للقطر المصري والخارج

اصبحت الكتب التي من قبيل الدليل العام من ضروريات الحياة العملية لا يستغني عنها احدٌ من الذين يزاولون التجارة او الزراعة او الصناعة او المقاولات او السمسرة او الاعمال المالية او الحكومية — فكل هؤلاء تقتضي اعمالهم ان يكون امامهم سفر يرشدهم الى الاشخاص والامكنة ويدلهم على القوانين والحقائق المنوعة التي لا بدَّ لهم من العلم بها باسرع ما يستطاع وليس من الغلو في شيء ان نقول ان هذه الكتب من وسائل النجاح والربح والاقتصاد في الوقت والمال لانها كالمرايا المصقولة تريك كل ما تريد الوقوف عليهِ في الحال اذا كانت البيانات والعنوانات والحقائق التي تتضمنها صحيحة

والدليل العام الذي بين ايدينا الآن يحقق هذه الشروط ولو شئنا ان نذكر الموضوعات التي عالجها اوفى معالجة ضاق نطاق المقتطف عنها لان فهرسهُ الاجمالي يستغرق ١٤ صفحة من القطع الكبير بحرف دقيق . فكل ما يطلبهُ رجل العمل العصري من اسماء موظفي الحكومة وعنواناتهم ونمر تلفوناتهم وصناديق بريدهم ومن اسماء التجار والزراع والاطباء والمحامين والاعيان والعمد والشركات المختلفة يجدهُ بين دفتي هذا السفر النفيس. وهو فوق ذلك مزدان بكثير من الصور نخص بالذكر منها صورة ملونة لحضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول . وقد طبع بمطبعة المقتطف والمقطم ويطلب من الشركة المصرية للمطبوعات والاعلانات ٣٣ شارع قصر النيل بمصر

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) عاكسات مركوني

مصر . طالعنا مقالكم النفيس عن آراء ماركوني ومباحثه اللاسلكية فلم ندرك المقصود من العواكس التي يستعملها ولا اوصافها الحقيقية . هل هي مرايا تعكس الامواج اللاسلكية كما تعكس النور ؟ فنرجو ان توضحوا لنا ذلك في المقتطف القادم

ج . المقصود من العواكس التي يستعملها ماركوني في نظامه اللاسلكي تقوية الامواج اللاسلكية وعكسها حتى يستطاع توجيهها شعاعة واحدة في جهة خاصة . فاذا شئنا ان نوجه النور من مصباح الى جهة واحدة وضعنا حولهُ مرآة مقعرة فتنعكس عنها اشعة النور التي تقع عليها من المصباح وتتجهُ الى الامام . فاذا اديرت المرآة اتجه النور دائماً الى امام المرآة كما ترى في مصابيح السيارات الكشافة . كذلك اذا استعمل عاكس مقعر يستطيع عكس الامواج اللاسلكية حول آلة لاسلكية مرسلة صار في الامكان توجيه الامواج اللاسلكية شعاعة واحدة في جهة واحدة وهذه الشعاعة تنفرج كلما بعدت عن العاكس المقعر فيصير شكلها مثلثاً تقريباً فيضيع شيء من قوتها بالانتشار . ويتلافى هذا الامر بجعل جداري العاكس متوازيين فيقل انفراج الشعاعة حين انبعاثها منهُ

اما اوصاف العاكس المستعمل في نظام مركوني فقد اشرنا اليها غير مرة في المقتطف لذلك ضربنا عنها صفحاً في المقال الاخيرة . وقد كان العاكس اولاً من صفائح المعدن ثم ابدل بآخر مؤلف من اسلاك دقيقة ممدودة بين اعمدة تعتمد عليها لانهُ اقل مقاومة للريح عند هبوبها من صفائح

المعدن . ويحيط العاكس بالمحطة المرسلة كانهُ حرف U الانكليزي. وللآلة المستقبلة جهاز يحيط بها كالعاكس الذي يحيط بالمحطة المرسلة ولكن عمله في هذه جمع الامواج الذائعة في الفضاء ولذلك اطلقنا عليهِ اسم «جامع» لانهُ ادلُّ من لفظة عاكس على عملهِ مع انهما في البناء واحد

(٢) انكليزية مركوني

ومنهُ . هل يعرف مركوني اللغة الانكليزية

ج . نعم ويتكلمها كاحد ابنائها بل هو من ابنائها لان امهُ ارلندية

(٣) عمره وعلمه

ومنهُ . كم عمرهُ الآن وهل هو من علماء الكهربائية اللاسلكية ام من هواتها

ج. ولد سنة ١٨٧٤ في بولونا بايطاليا فهو الآن في الثالثة والخمسين من عمرهِ . وهو عالم كبير من علماء الكهربائية اللاسلكية ويقول احد الكتاب الاميركيين الذين قابلوهُ وتحدثوا اليهِ انهُ يجيبك عن المسائل المرتبطة باللاسلكية اجابة خبير واثق مما يقول من غير تعثر او تردد

(٤) الكرم والبخل

المنصورة. هل الكرم والبخل طبيعيان في النوع الانساني او هما من الطوارىء التي طرأت على نوع الانسان

ج . يولد بعض الناس وهم اميل الى الكرم منهم الى البخل ثم يقوى فيهم هذا او يضعف بحسب التربية واحوال المعيشة. فمبدأ الكرم والبخل فطري الآن في نوع الانسان ولكنهُ يقوى او يضعف بالاكتساب ، والارجح انهُ في الاصل مكتسب مثل غيرهِ من الغرائز التي كانت افعالاً فعلها نوع الانسان ثم رسخت فيهِ بالوراثة

(٥) أينقلب الهواء ماء

ومنها . كيف ينقلب الهواء ماء

ج . الهواء لا ينقلب ماء وانما البخار الذي في الهواء تجتمع دقائقهُ بعضها مع بعض بسبب البرودة فتصير نقط ماء . والبخار غير الهواء لان الهواء مزيج من غاز الاكسجين وغاز النتروجين وغازات اخرى توجد فيهِ بمقادير قليلة . اما البخار فماء متبخر والماء مركب من الاكسجين والهدروجين

(٦) المقتطف وصحة الاحلام

ومنها . أرى المقتطف لا يسلم بصحة الاحلام وهكذا كل العلماء الطبيعيين ولكني أرى من الجهة الاخرى ان كل الناس تقريباً يسلمون بصحة الاحلام لانهُ قد ثبت لهم بالاختبار انها صحيحة في الغالب وانا منهم

ج . نعم يوجد من الناس من يعتقد بصحة الاحلام ويوجد منهم من يعتقد انهُ يطير من بيت الى آخر. ولكن اعتقاد الانسان ليس دليلاً على صحة ما يعتقد بهِ.

والعلماء المحققون لا ينكرون صحة الاحلام لاستحالة صحتها بل لان صحتها لم تثبت لهم بالامتحان . فان ثبتت بالامتحان سلموا بصحتها صاغرين . وهذه كيفية الامتحان: أن يكتب الانسان كل حلم يحلمهُ حسبما يتذكرهُ في الصباح ويُري الكتابة لبعض اصدقائهِ ويشهدهم عليها ثم يودعها عند احد منهم وكلما صدق حلم منها يكتب كيفية الحادثة التي أثبتت صدقهُ ويحفظها عند صديقهِ المذكور . وفي آخر السنة يقارن الاحلام كلها ودونها ووصفها بالحوادث التي يظن انها جاءت مصداقاً لاحلامهِ فاذا لم يجد للاحلام التي صدقت تعليلاً معقولاً طبيعيًّا ووجد ان كثرتها تنفي ردها الى قواعد الاتفاق حق لهُ ان يقول بصدق الاحلام حينئذٍ

(٧) كروية الارض

بوسطن . من اول من قال بكروية الارض

ج . لا يعلم ذلك بالتحقيق ولكن انا كسيمندر الفيلسوف اليوناني الذي نشأ في اواخر القرن السابع ق . م . كان يعرف ان القمر يدور حول الارض وفيثاغورس الذي نشأ بعدهُ بقليل كان يعرف ان الارض غير ثابتة بل متحركة في الخلاء وذلك يقتضي انهما كانا يعرفان ان الارض مستديرة او قريبة من الاستدارة . وثبت ذلك من قول انا كساغورس الذي قال ان خسوف القمر حادث من توسط الارض بينهُ وبين الشمس ووقوع ظل الارض على القمر . ولما كان ظلها مستديراً فلا بدَّ من انهُ كان يحكم باستدارتها . ونشأ انا كساغوراس في القرن الخامس ق . م

(٨) عدد كريات الدم

الكويت . كيف عرف العلماء ان المليمتر المكعب من دم الانسان فيهِ خمسة ملايين كرية من الكريات الحمراء

ج . عرفوا ذلك بالنظر فيخفف الدم بمقدار معلوم من سائل يمتزج بهِ وينظر الى نقطة معلومة المساحة منهُ ويعدّ ما فيها من الكريات . مثال ذلك لنفرض اننا خففنا درهماً من الدم بالف درهم من الماء . ثم اخذنا نقطة صغيرة منهُ على رأس دبوس ووضعناها على لوح المكرسكوب فشغلت مساحة طولها مليمتر وعرضها مليمتر . والغالب ان الناظر بالمكرسكوب لا يرى الاَّ جزءا صغيراً من هذه النقطة ولنفرض ان طول الجزء الذي يراهُ عشر ملمتر وعرضهُ عشر ملمتر وعمقهُ كذلك . ولنفرض اننا رأينا فيهِ خمس كريات حمراء ففي الملمتر المكعب كلهِ الذي على لوح المكرسكوب خمسة آلاف كرية . وهذا الدم ممزوج بالماء كما تقدم فالملمتر المكعب منهُ ليس فيهِ من الدم الحقيقي سوى جزء من الف جزء في الملمتر المكعب من الدم خمسة آلاف

الف كرية اي خمسة ملايين

ولا يخفى انهُ يجب تكرار الامتحان والمشاهدة في نقط كثيرة واخذ متوسط ما يرى فيها لان الكريات قد تكون مجتمعة في بعضها اكثر من اجتماعها في البعض الآخر وهكذا يزال احتمال وقوع الخطإِ

(٩) الحنان والرضاعة

ومنهُ . يقال انهُ اذا وجدت امرأة حنون على طفل وارضعتهُ من ثديها فالقدرة الالهيَّة توجد لبناً كافياً لرضاعته فما تعليل ذلك

ج لا شبهة في أن القدرة الالهيَّة هي العلة الاولى لكل المعلولات لكننا نحن ابناء آدم يعنينا في أعمالنا العلل الثانوية . فاذا رمى زيد صحفة على الارض فانكسرت قلنا زيد كسر الصحفة ولم نقل الله كسرها . واذا اجتهد عمرو في حرث اطيانه وزرعها وريها حتى استغلَّ من الفدان الواحد عشرة قناطير من القطن قلنا استغلَّ عمرو من أرضهِ عشرة قناطير قطن باجتهادهِ ولم نقل بقدرة الله ولم ننفِ ان الله تعالى هو العلة الاولى . وعلى هذا السبيل نقول ان المرأة التي يسهل افراز اللبن من ثديها اذا رأت طفلاً وأرادت أن ترضعهُ قد درَّ لبنها بفعل عصبي . أي ان شفقتها حركت اعصابها المتسلطة على الغدد اللبنيَّة فأفرزت هذه لبنها لكن ذلك مشروط بان تكون قادرة على افرازهِ والاَّ ما درَّت شيئاً مهما رغبت في ارضاع الطفل . وكثيراً ما يبكي الطفل وينتحب وأمهُ تحاول ارضاعهُ وتودُّ ان تشبعهُ ولو بمهجة قلبها ولكن ثدييها لا يلبيان طلبها لان ليس فيهما لبن . فالحنان وحدهُ لا يفيد شيئاً من هذا القبيل. والظاهر ان قدرة الله لا تريد ان تغير النواميس التي سنتها لهذا الكون

(١٠) الاسبيرين

دمشق . ما رأيكم في استعمال اقراص الاسبيرين لازالة الم الصداع من غير استشارة طبيب

ج . كنا قبل الاطلاع على جوابكم نطالع مجلة هيجيا الصحية التي تصدرها الجمعية الطبية الاميركية فاذا فيها سؤال كسؤالكم وقد اجاب محرر هيجيا عن هذا السؤال باقتباس جملة من كتاب اصدرتهُ الجمعية الطبية الاميركية عنوانهُ « العقاقير الجديدة وغير الرسمية » وهي : ان استعمال الجمهور للاسبيرين في حالات الصداع من غير ارشاد او ضابط ادى في كثير من الاحيان الى حدوث حوادث تسمم خطرة واهم اعراض التسمم استسقاء الشفتين واللسان والجفون والانف وكل الوجه بوجه عام . ومن الاعراض الدوار والازرقاق. وبعض الناس معرض اكثر من بعض للاصابة بهذه الاعراض بعد تناول أقراص الاسبيرين

باب الأخبار العلمية

صورة الغلاف

ليس بين كنوز القياصرة والاكاسرة ما يضاهي التحف التي امتازت بها دار الآثار المصرية واشهرها تابوت توت عنخ أمون المصنوع من الذهب الوهاج الذي يقدر ثمن ذهبهِ فقط بستين الف جنيه أما قيمته التاريخية والفنية فتفوق كل حدّ وهو يمثل الملك بثيابهِ وملامح وجههِ كأن نقاشاً مثل فيدياس من مهرة نقاشي اليونان قصد أن يمثله تمثيلا . ولم يكتف الصانع المصري بذلك بل صنع للملك رأساً آخر من الذهب وأحاط العنق بنقوش بديعة وهو المرسوم على غلاف المقتطف هذا الشهر . وتقدر قيمة الذهب الذي فيهِ بخمسة آلاف جنيه وهو منزل بالحجارة الكريمة والزجاج الملوّن. فالقطع الزرقاء من اللازورد والفيروز والقطع الحمراء والبنية من العقيق والعيون والحواجب والجفون من اللازورد والبؤبؤين من السبج . وقد نشرنا على جانبي الصورة ختم الملك بالكتابة الهيروغليفية ويجب ان يقرأ أفقيًا من رأس المقتطف الى كعبهِ منتهياً عند الخط الملامس للختم

وقد نقل لنا هذه الصورة عن « اخبار لندن المصوَّر » حسين افندي فوزي مصوّر اللطائف المصورة الخاص

كيف قتل ارخميدس

نقل شيشرون وليفيوس انهُ لما افتتح القائد مرسلوس الروماني مدينة سراقسطة بصقلية سنة ٢١٢ ق . م . دخل احد جنودهِ داراً في الضواحي فوجد رجلاً متقدماً في السن فامره بالخروج اولاً وثانياً وثالثاً ولكن الرجل لم ينتبه لهُ لانهُ كان مشغولاً برسم رسوم هندسية على التراب في فناء بيتهِ فغضب الجندي وضرب الرجل ضربة كانت القاضية عليهِ . هكذا ، قيل ، ان العالم ارخميدس لقيَ حتفهُ على يد جندي جاهل

ولكن ظهر الآن ان ارخميدس لم يلق حتفهُ على الوجه المذكور في هذه القصة . ذلك ان يوسف نبوليون ويواكيم مورات قاما بكثير من اعمال الحفر والنقب في بومباي وهركولانيوم حين كان الفرنسيون حكاماً لايطاليا في ايام نبوليون وجمع اولهما مجموعة نادرة من التحف

بعض الحشرات العمياء التي تقطن الكهوف تفوق حدَّ التصور في دقتها وشد احساسها حتى لقد ارتأى بعض العلماء ان للحشرات لغة مبنية على اللمس لدقة هذه الحاسة فيها

وعلى الضدّ من ذلك اثبت نفر كبير من علماء السيكولوجيا ان الحشرات لا تحسُّ بالالم على ما نفهمهُ

فقد اراد اوغست فورل العالم الفرنسوي المدقق ان يثبت ان النحل تهتدي الى الازهار بالنظر فاخذ بعضاً منها وقصَّ بمقص حاد مقدم الرأس في كل منها الا عينيها ولوامسها واجزاء الفم . ولما اطلقها انطلقت رأساً الى الازهار وجربت عبثاً ان تمتصَّ اريها لاستئصال اجزاء الفم منها غير شاعرة بالالم الذي ينجم عادة عن استئصال عضو من الاعضاء او بضعهِ

وقد ثبت ثبوتاً لا تعتورهُ شبهة ما ان الحشرة المعروفة بذبابة التين لا تحسّ بالالم . فقد اخذها احد العلماء وقطع مؤخر جسمها من وسطها ومع ذلك بقيت حيَّة تتناول طعامها على جاري عادتها رغماً عن ان هذا الطعام كان يمرُّ في فمها وصدرها ثم يقع الى الارض فكانها لا تشعر ان جزءاً من جسمها قد انفصل عنها

وقد جرّبت مثل هذه التجارب في كثير من الزنابير والنمل فبقيت تتناول طعامها لا تشعر بما حصل

والظاهر ان كثيراً من هذه الحشرات لا تشعر بشيء من الالم اذا افترستها حشرات او حيوانات اخرى بدليل ان بعض العلماء لاحظوا هذه الحشرات وهي تتناول طعامها غير عابئة بحيوان آخر هجم عليها وجعل يفترسها مبتدئاً باحد اطرافها

المطاط من الفحم

الفحم مصدر من مصادر الغرائب الصناعية والكيماوية . ان حرقهُ في الآلات البخارية احدث الثورة الصناعية ولما نظر اليهِ الكيماويون جعلوهُ مصدراً لازهى الالوان اذا استقطروا منهُ الاصباغ الصناعية . وفي الحقبة الاخيرة فاز بعضهم باستقطار الغازولين وزيوت التزييت منهُ . وقد جاءَت الانباء من المانيا ان العلماء في احدى الشركات الكيماوية فيها استنبطوا طريقة تجارية لاستخراج المطاط الصناعي منهُ تمكنهم من بيعهِ بالاسعار الجارية في اسواق المطاط. وهذا الخبر لاشكَّ فيهِ من وجهتهِ العلمية ولكن الريبة تحيط بهِ من وجهتهِ التجارية . فثمن الرطل من المطاط الطبيعي نحو غرشين ونصف غرش وحتى الآن لم يتمكن العلماء الكيماويون من ابتكار طريقة لتركيب المطاط الصناعي بحيث يباري المطاط الطبيعي . والسبب الذي يحمل بعض الخبراء

على الارتياب في دعوى الشركة الالمانيـة هو ان هذه الشركة نفسها ادعت مثل هذه الدعوى من ١٥ سنة فلم تتحقق دعواها

ولكن المباحث الكيماوية في تركيب المواد العضوية من الفحم ارتقت في المانيا بعد الحرب ارتقاء كبيراً. فطريقة برغيوس الالمانية في صنع البترول من الفحم بامرار الهدروجين عليهِ نجحت نجاحاً حمل شركة الستندرد اويل الاميركية على استثمار جانب من اموالها فيها . ولعلهم تغلبوا الآن على بعض المصاعب التي حالت دون تحقيق امنيتهم في صنع المطاط منذ ١٥ سنة

تعليم الكلاب

في مقالة من مقالات هذا الجزء خلاصة سلسلة من التجارب قام بها اللورد أفبري اثبت فيها ان تعليم الكلاب فهم معاني الكلمات المكتوبة في حيز الامكان . وقد اطلعنا الآن على مقالة في مجلة العلم العام الاميركية جاء فيها ان كلباً المانياً اصيلا أُمتحن في جامعة كولومبيا فثبت لممتحنيهِ وكلهم من علماء السيكولوجيا ان ذكاءه يفوق كثيراً ما يعرف عن ذكاء الكلاب ومع ان عمرهُ خمس سنوات جاز امتحاناً لا يجوزهُ عادة الا ولد في الثامنة. ويوكد صاحبهُ انهُ تعلم معنى ٣٠٠ كلمة مختلفة في ٤ سنوات

ومن الاوامر التي وجهها اليهِ الدكتور وردن مدير قسم سيكولوجية الحيوانات ما يأتي : اذهب الى المائدة . ضع رأسك عليها. ضع احدى رجليك على رأسك وهو عليها . الآن يؤذن لك ان تقفز الى المائدة . قف الآن . انظر من النافذة . ادر رأسك الى الجهة الثانية . اذهب الى السيدة التي في الزاوية الخ . فنفذ هذه الاوامر بدقة ادهشت الاستاذ الممتحِن

عيد لينيوس

في ١٠ يناير الماضي كان قد انقضى مائة وخمسون سنة على وفاة لينيوس العالم النباتي الاسوجي الشهير . ولد في ٢٣ مايو سنة ١٧٠٧ في جنوب اسوج وتلقى علومهُ في جامعة لند وجامعة أُپسالا ورحل رحلة الى بلاد لپلاندا الاسوجية سنة ١٨٢٢ استغرقت خمسة اشهر ثم سافر الى هولندا فقضى فيها ثلاث سنوات زار في اثنائها انكلترا وفرنسا ثم عاد الى استوكهلم حيث مارس الطب ثلاث سنوات . وفي سنة ١٧٤١ عين استاذاً للتاريخ الطبيعي في جامعة اپسالا فبقي في هذا المنصب الى وفاتهِ سنة ١٧٧٨

نظام مركوني اللاسلكي

اصبحت لندن الآن متصلة لاسلكيًا بريودي جانيرو عاصمة البرازيل وبونس

ايرس عاصمة الارجنتين والنظام التي تجري بهِ المخاطبات بينها هو نظام مركوني الذي فصلناه في مقالة خاصة في مقتطف يناير الماضي. وقد بلغ عدد الكلمات التي نقلت بين انكلترا وكندا واستراليا وجنوب افريقيا والهند نحو ثمانمائة الف كلمة في اسبوع واحد من شهر دسمبر الماضي وينتظر الاَّ يقل عدد الكلمات في المخاطبات مع نيويورك وريودي جانير وبونس ايرس عن ذلك. وقريباً تتصل لندن باليابان والشرق الادنى والاقصى بهذا النظام العجيب

لندبرغ

منح المعهد السمثصوني الكولونل لندبرغ مدالية لنغلي للطيران «اعترافاً باقدامهِ وفوزهِ بالطيران من نيويورك الى باريس وحده في مرحلة واحدة في ٢٠ و٢١ مايو سنة ١٩٢٦»

أُنشئت هذه المدالية سنة ١٩٠٩ تكريماً لذكر الاستاذ صموئيل بيربونت لنغلي اول رجل صنع آلة للطيران اثقل من الهواء. وقد منحت حتى الآن الى الاخوين ولبر واورڤيل ريط وجلن كرتس وجوستاف ايفل. وقد وعد لندبرغ ان يهدي طيارتهُ «روح سانت لويس» التي طار بها الى باريس الى المعهد السمثصوني لتضم الى مجموعة الطيارات التاريخية التي فيهِ

الكواكب السائلة

من احدث الاراء الفلكية رأي للاستاذ جينز رئيس الجمعية الفلكية الانكليزية مؤداهُ ان اكثر الكواكب سائلة في الغالب وهذا يختلف اختلافاً بيناً عن الرأي السائد بين العلماء وهو ان الكواكب لشدة حموها كرات من الغاز اللطيف. ولكن الاستاذ جينز يتخذ من النجوم المزدوجة وكثرتها في الفضاء دليلاً يؤيد بهِ رأيهُ. فكل من النجوم المزدوجة نجمان يدور احدهما حول الآخر او يدوران حول مركز واحد وهو الاكثر. وقد ذهب العلماء الى ان اصل كل نجم مزدوج جرم واحد انقسم الى نجمين وصارا يدوران كما تقدم. فيقول الاستاذ جينز اذا كانت الكواكب كرات من الغاز اللطيف تعذر حصول هذا الانقسام ولكنهُ يكون سهلاً اذا كان الكوكب الاصلي سائلاً كما يحدث لنقطة زيت طافية على قليل من الخلّ فانك اذا قرَّبت منها طرف مسواك دقيق امكنك ان تجذب جزءاً منها حتى ينفصل عن الآخر كما تنقسم الاميبا الى اثنتين

نقل الصور الملونة بالتلغراف

ادعى الدكتور كارولس احد سكان مدينة درسدن منذ سنتين انهُ استنبط

طريقة للرؤية عن بعد . وقد جاء في انباء المانيا والنمسا الاخيرة انهُ استنبط طريقة تمكنهُ من نقل كل انواع الصور ملونةً على اسلاك التلغراف ويفضل الا تكون خضراء او زرقاء او بنفسجية وأن مصلحة التلغراف النمساوية تجري الآن على اسلوبهِ هذا في نقل الصور سواء كانت صور اشخاص او تحاويل مالية او رسوماً هندسية او غيرها . ويجب ألاَّ يزيد حجم الصورة عن ٧½ بوصة طولاً و٤ بوصات عرضاً وألاَّ يقل عن اربع بوصات طولاً وبوصة ونصف بوصة عرضاً . وتتقاضى عن نقل اصغر صورة مسموح بنقلها بين ڤينا وبرلين ٣٨ غرشاً صاغاً يضاف الى ذلك عشرة غروش على كل بوصة مربعة ونصف بوصة اضافية. ويخصم ٢٥ في المائة من الاجرة اذا نقلت الصور في ساعات الليل بين الساعة التاسعة مساء والثامنة صباحاً

النور وانقباض العضلات

اثبت الدكتور لباي مدير المعهد الفسيولوجي بڤينا ان النور يؤثر في العضلات تأثيراً مباشراً يجعلها تنقبض من غير توسط الاعصاب . وارتأى الدكتور زواردميكر الفسيولوجي الهولندي احد اساتذة جامعة اوترخت ان سبب دقة القلب وانقباض عضلاتهِ وتمددها هو اشعاع قوة خفية من عنصر البوتاسيوم الذي يوجد في دم الانسان وعضلات قلبهِ . واثبت رأيهُ بان فصل قلب حيوان عن جسمهِ وعرضهُ لاشعة الراديوم وغيرهِ من العناصر المشعة فبقي القلب يضرب تحت تأثير هذه الاشعة

آلة تصوير غريبة

صنع البارون شيبا الياباني مدير معهد مباحث الطيران باليابان آلة تصوير فوتغرافي تستطيع ان تصور الفي صورة متعاقبة في ثانية واحدة . فاذا اردنا عرض هذه الصور بالسرعة التي تعرض بها الصور المتحركة عادة استغرق عرضها نحو عشرين دقيقة . وفائدتها قائمة في تصوير الافعال الطبيعية التي تتعذر مراقبتها لسرعتها ثم متى عرضت ظهرت بطيئة وصار في امكان العلماء ان يتناولوها بالدرس والتحليل الدقيقين

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يجتمع مجمع تقدم العلوم البريطاني في غلاسجو في الاسبوع الواقع بين ٥ سبتمبر القادم و١٢ منهُ وقد انتخب السر وليم براغ العالم الطبيعي المشهور رئيساً يخلف السر ارثر كيث الرئيس الحالي

هبات علمية

توفي الاستاذ ليفرسدج استاذ الكيمياء سابقاً في جامعة سدني باستراليا فخلف ثروة تقدر بستة واربعين الف جنيه وهب منها الفين وخمسمائة جنيه لمدينة سدني ينفق ريعها على جائزتين علميتين. ووهب الف وخمسمائة جنيه لكلية المسيح بجامعة كمبردج والف جنيه لمدرسة المناجم الملكية و٥٠٠ جنيه للجمعية الملكية في نيوسوث ويلز ومثلها لكل من الجمعية الاسترالية والجمعية الكيماوية بلندن

ووهبت مسز ماريات وارثة السر جيمز كايرد ٢٠٠ الف جنيه ينفق ريعها على النابغين من ابناء اسكتلندا الذين يودون التوسع في الهندسة والكهربائية والطيران والموسيقي في بلدان اوربا واميركا

ماء بحيرة فكتوريا

نشر الدكتور هرست من مصلحة الطبيعيات بوزارة الاشغال المصرية رسالة عن منابع النيل قال فيها انهُ بعد تكبد مصاعب جمة تمكن من قياس الماء الذي الذي يخرج من بحيرة فيكتوريا فوجدهُ يبلغ ٧٦٠ متراً مكعباً في الثانية وان النهر المهم الذي يصب في هذه البحيرة هو نهر كاجيرا ومقدار ما يصبهُ فيها من الماء اقل مما كان يظن قبلاً ويبلغ في رأي الدكتور هرست ٢٥٠ متراً مكعباً في الثانية مع انهُ كان يتراوح في رأي البعض بين ١٤٠ متراً مكعباً و١٥٠٠ متر مكعب في الثانية

مغناطيس جديد

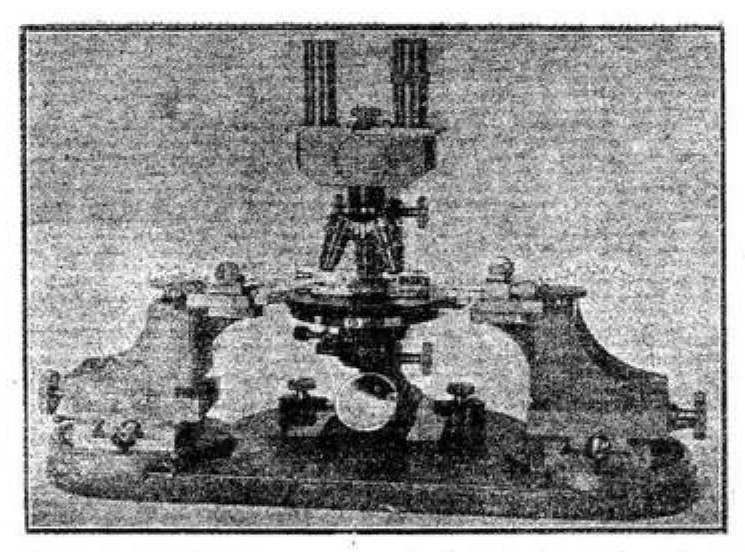
صنع الدكتور بربس من مهندسي شركة وستنهوس الكهربائية الاميركية مزيجاً معدنيًّا جديداً من صلب الكوبلت والتنغستن وهو المعدن الذي تصنع منهُ اسلاك المصابيح الكهربائية. ويقال ان هذا المزيج مغناطيس شديد فاذا صنعت منهُ قطعة مغناطيس في شكل حدوة الفرس وزنها رطل رفعت قطعة من الحديد وزنها ثلاثون رطلاً

مستنبطات اديصن

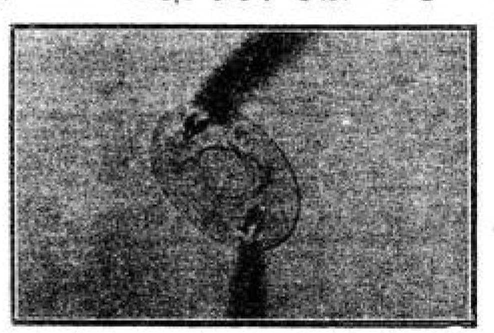
بلغت مستنبطات اديصن حتى شهر اغسطس الماضي ١٠٧٨ مستنبطاً سجلت في دائر تسجيل المستنبطات بوشنطن عاصمة الولايات المتحدة الاميركية

خطر الحشرات

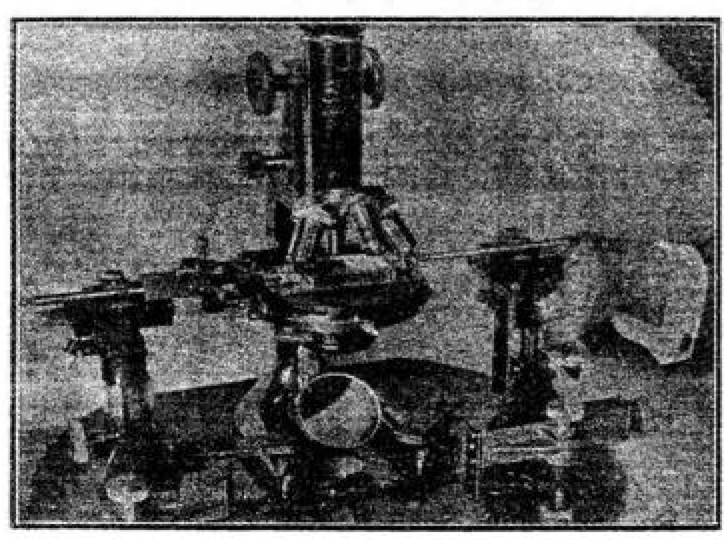
يقال ان الحشرات المختلفة تتلف في استراليا كل سنة ما قيمتهُ نحو عشرة ملايين جنيه وان نوعاً من الذباب يفتك بما ثمنهُ ٤ ملايين من ماشيتها فقط



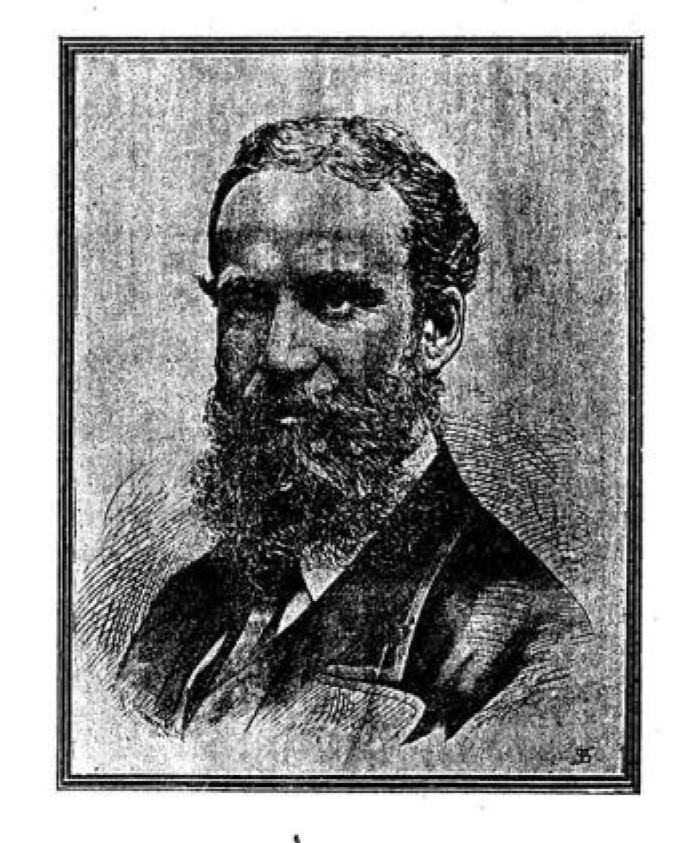
المكرسكوب المستعمل لدرس كهربائية البروتوبلازم وترى الاسلاك الكهربائية على جانبيه



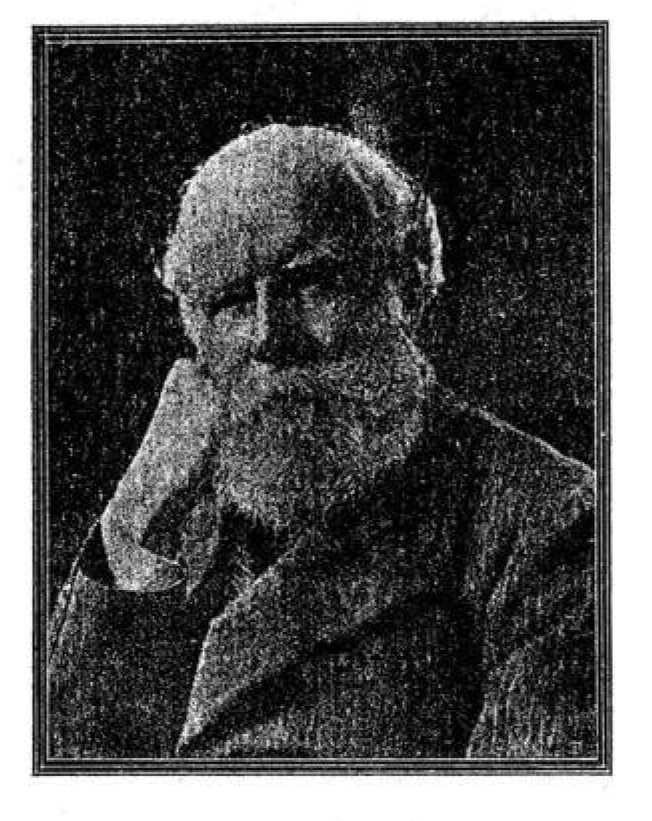
كرية دم حمراء مكبرة وقد غرزت فيها ابرتان



المكرسكوب المستعمل لتشريح الخلايا وترى الابر على جانبيه



السر جون لُبك



اللورد أڤبري

مقتطف فبراير سنة ١٩٢٨
امام الصفحة ١٣٧



صورة « جماعة يهود » للآنسة إيمي نمر ابتاعتها وزارة المعارف العمومية

مقتطف فبراير ١٩٢٨

أمام الصفحة ١٨٧

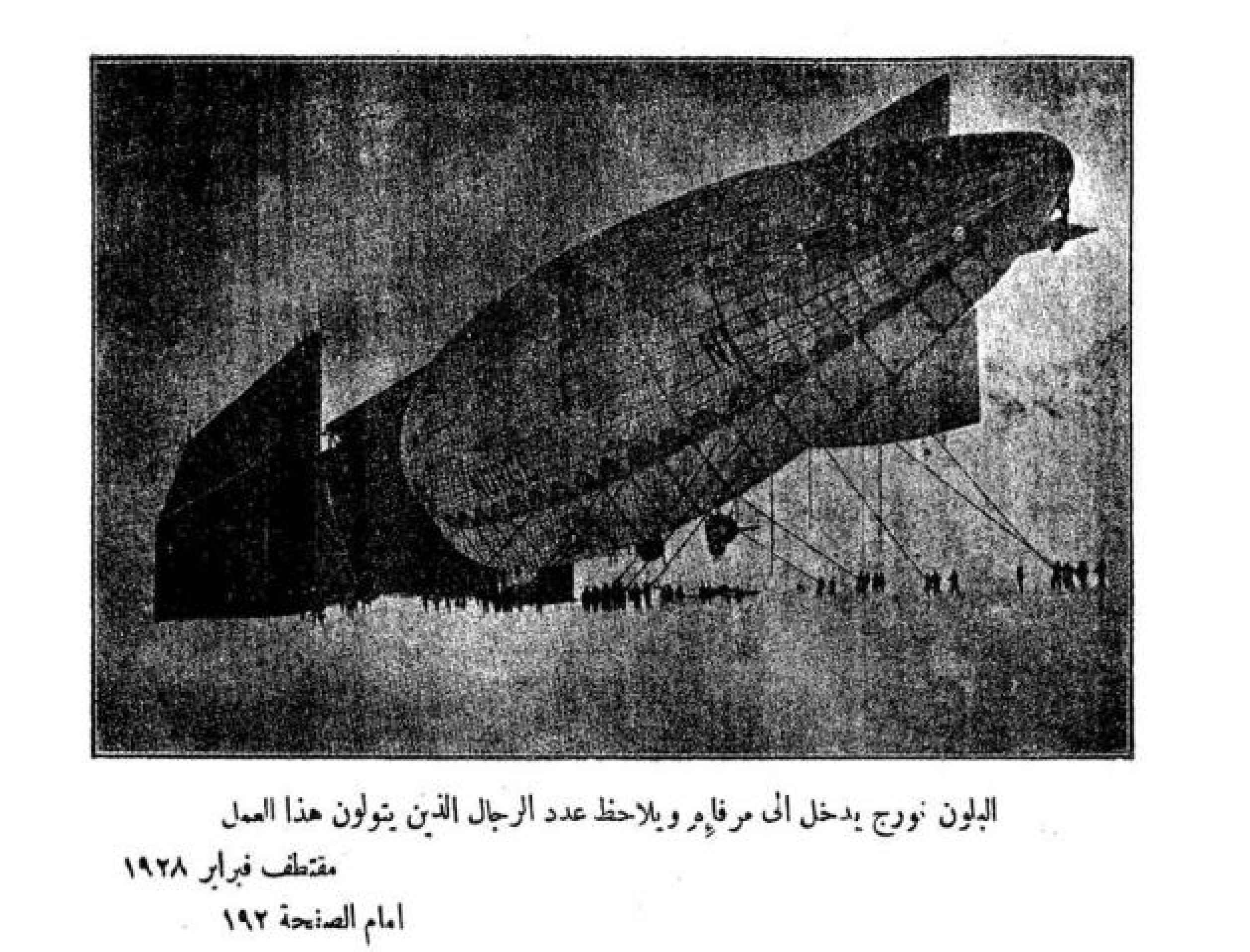


صورة « امرأة » للمسيو جون رالب
ابتاعها حضرة صاحب الجلالة الملك

صورة « المنديل الاخضر » لمحمود سعيد بك
ابتاعتها وزارة المعارف العموميه

صورة الاستاذ محمد حسن بريشته . وهو من رجال
بعثة الحكومة الفنية برومية

صورة « على شاطئ النيل » للمسيو بي مارتن
ابتاعها حضرة صاحب الجلالة الملك



البلون نورج يدخل الى مرفإه ويلاحظ عدد الرجال الذين يتولون هذا العمل

مقتطف فبراير ١٩٢٨

امام الصفحة ١٩٢



البلون نورج بعد افراغ الهدروجين منه بالاسكا

الخط الذي طار فوقه البلون نورج من سبتسبرجن الى شاطيء الاسكا

امام الصفحة ١٩٨



الاستاذ ميخائيل پيوپن

انظر صفحة ٢٩٣

بلاسكو ابانيز

انظر صفحة ٣١٠

الجزء الثاني من المجلد الثاني والسبعين


المقتطف
AL·MUKTATAF

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثاني والسبعين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٢٨ — الموافق ٩ رمضان سنة ١٣٤٦

كلمات للدكتور صروف

فجر المعارف وآلهة الاقدمين

نورٌ مستعرضٌ في السماءِ يخطف الابصار بسرعة وميضهِ. وصوت متردد الصعقات يصمُّ الآذان بشدة هزيمهِ . وشجرات باسقات من صغار البذور. وحشرات صادرات من رُفات القبور . وغيوم تطبق الجوَّ . وسيول تفعم الدوَّ . وشهب ثواقب وسحب سواكب . حوادث رآها الانسان من قديم الزمان وفتَّش عن عللها واسبابها بما فُطر عليهِ من محبة البحث والتنقيب ولما لم يهتدِ الى اسبابها الحقيقية جرَّد لها اسباباً مما يقع في علمهِ واختبارهِ وسلَّط على الكون آلهةً من ابناءِ نوعهِ وبالغ في وصفهم وميَّزهم بمزايا الضواري والكواسر لكي يستطيعوا ان يأتوا بما نسب اليهم من القوَّة والبطش والحيلة والدهاءِ . واضطربت احوال العقل البشري لكثرة ما فرضهُ من الآلهة ولتباين ما نسبهُ اليها من الصفات وما احسن ما قالهُ اوريبدس احد كبراءِ الاقدمين وهو « لا مجد في الدنيا ولا فلاح لان الآلهة تعبث بالامور كيف شاءت وتمزج الشيء بضدهِ لكي تزداد عبادتنا لها بسبب جهلنا وعدم تحققنا للامور » ولكن قام في كل عصر اناس فاقوا غيرهم في ذكاءِ العقل وتوقُّد الذهن فطرحوا نير التقليد وحادوا عن سنة الجمهور ونبذوا قيود الهوى والتمسوا للحوادث الطبيعية اسباباً طبيعية لان العقل المستنير لا يطيق الاعتساف والمجازفة بل يتطلب ان يردَّ الحوادث المتفرقة الى شرائع عامة ويجمع الجزئيات تحت كليات شاملة لتعليل الحوادث بها ولذلك حاول الغاء تلك المعبودات وابدالها بالشرائع الطبيعية

البحث العلمي اساس الثروة

وركن ارتقاء الامم

١

ثروة الولايات المتحدة

بلغت ثروة الولايات المتحدة الاميركية في السنة الماضية مبلغاً لم يذكر التاريخ ما يضاهيهِ في ازهى عصورهِ واغنى دولهِ . فقد دلت الاحصاءات ان للشعب الاميركي من الديون ما يزيد على كل منتوج العالم من الذهب ثلاثين ضعفاً وفي بلادهِ الشاسعة مصادر للثروة لا تقدر قيمتها بمال ولهُ في بنوك التوفير الف وتسمائة مليون جنيه وبلغ عدد اصحاب الملايين فيهِ احد عشر الفاً وعدد السيارات التي يملكها اثنين وعشرين مليوناً وعدد التلفونات والآلات اللاسلكية التي يستخدمها في مخاطباتهِ يفوق مجموع التلفونات والآلات اللاسلكية في كل انحاء المعمور وسككهُ الحديدية اذا قيست بالاميال تجاوزت ٣٤ في المائة من كل السكك الحديدية الممدودة في انحاء الارض . ان سيّاحهم فقط ينفقون كل سنة مائة وثلاثين مليوناً من الجنيهات . وقد بلغ من تفوقهم الصناعي والزراعي انهم وهم اقل من خمس سكان اوربا انتجوا اكثر من نصف ما انتجهُ سكان الارض كلهم فاستخرجوا وسبكوا سنة ١٩٢٦ خمسة وخمسين في المائة من كل الحديد المستخرج والمسبوك في المسكونة وصنعوا ٦٦ في المائة من الصلب واستخرجوا ٥١ في المائة من النحاس و٦٢ في المائة من البترول و٤٣ في المائة من الفحم الحجري و٥٢ في المائة من الخشب و٨٠ في المائة من الكبريت وانتجوا ٥٥ في المائة من القطن . وبلغ من حسن توزيع الثروة عندهم ان سكان مدينة واحدة انفقوا نصف مليون جنيه على حضور مباراة واحدة من مباريات الملاكمة وبلغت قيمة الاموال الموقوفة على ١٧ جامعة من جامعاتهم فقط نحو ٦٠ مليوناً من الجنيهات . واكثر هذه الثروة عائد ولا ريب الى خصب الارض وغناها بالمعادن والبترول والفحم مقومات الصناعة والزراعة وعمادها . ولكن خصب الارض وثروتها المطمورة من معادن وفحم وبترول ماكانت لتغني شيئاً لولا ان قام من الاميركيين علماء وباحثون

عرفوا كيف يستدرون هذه الثروة ويستثمرونها مما جعلهم في مقدمة الشعوب قاطبة ثروة وقوة

٢

رأي علمائها وولاة امورها

ومع ذلك ترى علماء اميركا ورجالها الذين في ايديهم مقاليد امورها دئبون على تشجيع البحث العلمي لذاتهِ لانهم عرفوا بثاقب نظرهم ما اثبتهُ التاريخ من ان البحث العلمي يكون مجرداً في بادىء الامر ثم تطبَّق نتائجهُ على ما يحتاج اليهِ الناس وما تقتضيهِ شؤون العمران فالفوا مجلساً من اكابر القوم لجمع مبلغ كبير من المال يوقف ريعهُ على تشجيع البحث العلمي المجرَّد من غير تقييد الباحثين بواجبات التدريس في الجامعات او العمل في المعامل الصناعية الكبيرة . ومن اعضاء هذا المجلس المستر هوفر وزير تجارة اميركا واحد كبار المرشحين لرآسة الجمهورية في انتخاب هذه السنة المقبل والمستر كارتي وكيل شركة التلغراف والتلفون الاميركية واليهو روت وشارلس هيوز وزيري خارجية اميركا سابقاً والمستر ملُن وزير ماليتها الآن والكولونل هوس صديق ولسن المشهور وجون دايفس مرشح الدمقراطيين للرآسة سنة ١٩٢٤ واُوِن ينغ زميل الجنرال دوز في مشروع دوز ورئيس الشركة الكهربائية العامة والاستاذ ميكلصن والاستاذ ملكان والاستاذ برستد والاستاذ افرت هايل وغيرهم من اعلام اميركا من رجال الحكومة ورجال العلم

ان في اجماع هؤلاء على الاشتراك في هذا العمل اكبر دليل على ما للبحث العلمي المجرد من مقام في ترقية العلم وزيادة ثروة الامة . وفي ذلك درس لنا في عصر الجامعة المصرية الجديد الذي استقبلناهُ في اوائل الشهر الماضي حين وضع جلالة الملك فؤاد حجر الزاوية في بناء الجامعة الجديد

***

عرفت المانيا هذه الحقيقة منذ اكثر من قرن فهبَّ اولو الامر فيها الى تشجيع البحث العلمي المجرد على اختلاف ضروبهِ في جامعاتها ومعاملها العلمية فنشأ فيها اجيال متعاقبة من العلماء رفعوها في اقل من قرن الى المقام الاول بين امم الارض ثروة وقوة . ذلك لان العلماء النظريين هم بمثابة فرق الكشافة في جيش العمران . فباحثهم

ومكتشفاتهم تجهز المهندسين والكيماويين الصناعيين وغيرهم من العلماء العمليين بالمواد التي يبنون عليها وينسجون منها مستنبطاتهم الصناعية المختلفة . ان كثيراً من المشكلات الصناعية لا يمكن حلها الآن قبل ما يتسع نطاق البحث العلمي فيما يتعلق بها

قيل ان الحاجة ام الاختراع . بل العلم والبحث ام الاختراع وابوهُ . وما من ثمن مهما عظم لا تستطيع الامم ان تدفعهُ لاولئك الرجال الممتازين بقوة الابداع والابتكار وكشف المجهول جزاء لهم على جهدهم وسهرهم . ومع ذلك انهم لا يطلبون ثمناً لانهم يطلبون العلم لذاتهِ ويسعون وراء الحقيقة لانها تستهويهم . ولكنهم يطلبون مجالاً للبحث وتحرُّراً من مطالب المعيشة القاسية للتفرغ للبحث والتوفر على الابتكار. انَّا لا نستطيع ان نبتاع بالمال مهما كثر نبوغ نابغة او ابداع مبدعٍ ولكن كم من نابغة ذهب نبوغهُ ضياعاً وكم من مبدع نثر ابداعهُ هباء لانهُ لم يجد امامهُ ما يتبلغ بهِ او لانهُ اضطر ان ينفق قواهُ في كسب رزقهِ !

٣

امثلة من تاريخ العلم

كثيراً ما نسيء فهم الفرق بين البحث الصناعي العملي والبحث العلمي المجرد . ان البحث الصناعي بطبيعتهِ يتجه الى حلّ مسألة خاصة تعترض سبيل الصناع في عملهم . فاذا توصل الباحث الى حلّ المشكل الذي امامهُ قضى لبانتهُ من البحث وحوَّل جهدهُ الى غيرهِ جاعلا همهُ في كل عملهِ الوصول الى غاية معينة

اما البحث العلمي فغايتهُ توسيع نطاق المعرفة بكشف نواميس الطبيعة والحياة . وبعض هذه المباحث قد يعود — وكثيراً ما يعود — على الصناعات بفائدة اكبر واعم من المباحث الصناعية الضيقة النطاق التي يقصد منها حلّ مشكلة خاصة . فالبحث الصناعي قد يكون وسيلة لاتقان جزء خاص من المحرك الكهربائي او المصباح الكهربائي ولكن البحث العلمي المجرد الذي كشف لنا ناموساً واحداً من نواميس الكهربائية جعل كل المحركات وكل المولدات الكهربائية في حيز الامكان ولولا كشفهُ لما كانت هي على الاطلاق

خذ مثلاً اكتشاف فراداي لاحداث التيار الكهربائي في لفة من السلك حين إمرارها في حقل ممغنط . قد يظهر لنا الآن اول الامر ان تحقيق امر كهذا بسيط لا يؤبهُ لهُ .

ولكن ألا يعلم القارئ ان كل الصناعات الكهربائية بنيت على هذا الاكتشاف البديع ؟ ففي الولايات المتحدة وحدها ستة ملايين من العمال يعملون في الصناعات الكهربائية المختلفة يخلقون من العدم ثروة لهم ولامتهم ما كانوا يخلقونها لولا مباحث فراداي واكتشافهِ هذا ؟ من كان يستطيع ان يستنبط مولداً كهربائيًّا او محركا كهربائيًّا قبل هذا الاكتشاف البديع ؟ قيل ان غلادستون وجه الى فراداي يوماً سؤالاً يبدي فيهِ ريبهُ من فائدة المباحث التي كان فراداي ينفق وقتهُ وجهدهُ عليها فقال فراداي «صبراً يا سيدي فقد تجبي منهُ الحكومة اموالاً طائلة». وقد احصي ما جبتهُ الحكومة الاميركية من الصناعات الكهربائية في بلادها في السنة الماضية فاذا هو يحصى بالملايين

او خذ التلغراف اللاسلكي مثلاً آخر. ما من مستنبط مهما سمت فيهِ قوة الابداع والابتكار يستطيع ان يستنبط طريقة لاستخدام الامواج الكهربائية في الاثير بنقل الاشارات والمخاطبات قبلما يثبت لهُ وجود هذه الامواج الذي يريد ان يتخذها مطية لفكرهِ وصوتهِ . وقد كان العالم الطبيعي الانكليزي كلارك مكسوِل اول من اثبت ذلك وهو منهمك في درس طبيعة النور من وجهة رياضية مجردة مع ان وجود هذه الامواج كان يمكن استنتاجهُ من مباحث فراداي الانكليزي وجوزف هنري الاميركي . فجاء هرتز وجرى على القواعد التي وضعها مكسول فاحدث هذه الامواج بطريقة مصطنعة وارسلها في الفضاء مسافة قصيرة ثمَّ استقبلها . فلما تمَّ هذا العمل صار التلغراف اللاسلكي في حيز المحتمل وتنبأ بهِ السر وليم كروكس ثم حققهُ لودج على مسافات قصيرة سنة ١٨٩٤ وتلاهُ مركوني فاتقنهُ وتوسع في صنعهِ . وكيفما ادرنا الطرف الآن نجد المخاطبات اللاسلكية من تلغرافية وتلفونية وما اليها متغلغلة في العمران ابعد متغلغَل

وكثيراً ما تُنفح الصناعة بمكتشفات علمية يمكن تطبيقها تطبيقاً عمليًّا من حيث لا تدري . خذ مثلاً على ذلك ما جناهُ علم استخراج المعادن وسبكها من اشعة اكس التي وضعت في يد المهندس الصناعي وسيلة دقيقة لامتحان بلورات المعادن المختلفة ومتانتها وبنائها وهذا امر لا مندوحة عن معرفتهِ الآن في بناء المباني الشاهقة والكباري الطويلة الضخمة وغير ذلك من الابنية المعدنية ليكون المهندسون على ثقة من متانة المواد التي يبنون بها

وما زلنا في مقام ضرب الامثلة فيجب الاَّ نغفل مباحث السر وليم بركن الكيماوية

التي صارت اساساً لصناعة من اكبر الصناعات الحديثة نريد بها صناعة الاصباغ واستخراجها من قطران الفحم الحجري . فالانيلين مادة مستخرجة من قطران الفحم الحجري وكانت تحسب اولاً نفاية لا فائدة منها فتطرح جانباً . فجاء الكيماويون الالمان واكبوا على البحث والابتكار حتى بنوا على هذه النفاية صناعة الاصباغ الصناعية . ولم تقتصر فائدة مباحثهم على ذلك بل استعملت لصنع المفرقعات ثم استعملت هذه الاصباغ في تلوين الخلايا التي يتناولها العلماء بالبحث المكرسكوبي وقد قيل مؤخراً ان بعضها يصح ان يستعمل دواء ناجعاً في بعض الامراض لانهُ يقتل المكروبات ولا يتلف انسجة الجسم

وغني عن البيان ان مباحث باستور النظرية في الاختمار صارت اساساً لعلم البكتيريا وفن الجراحة ولوسائل العلاج الحديثة في التلقيح والحقن وغيرهما وما تم فيها كلها من الغرائب

***

عيَّر المستر هوڤر قومهُ الاميركيين — وجودهُم على المعاهد العلمية اشهر من ان يعرَّف — بقولهِ : ان المبالغ المرصودة لتشجيع البحث العلمي لا تزال طفيفة لا تكفي فانها لا تبلغ عشر ما ينفقهُ الاميركيون على المعجونات المطريَة للجلد والشعر . وقد اثبت الاستاذ ملكان انهُ اذا ازلنا من العمران الحالي قانوناً رياضيًّا واحداً من القوانين التي ابتدعها وحققها نيوتن لوجب ان نزيل كل آلة بخارية وكل سيارة وكل محرك ومولد كهربائي بل كل آلة تستعمَل لتحويل القوة الى حركة لانها كلها بنيت على هذا القانون الرياضي الشامل. ومع ذلك لما كشف نيوتن قانونهُ لم يكن قصدهُ استنباط آلة بخارية او سيارة او طيارة ولكن كل هذه المستنبطات بنيت عليهِ فاذا ازلناه تهدم عمراننا الحاضر كانهُ بيت من ورق

على ان القيمة العليا ليست لهذا القانون بذاتهِ بل للطريقة العلمية التي أُبتكر القانون بالجري عليها . هي الطريقة التي جرى عليها غليليو ونيوتن وفرنكلن وفراداي ومكسول وباستور وداروِن وغيرهم وبها كُشف عن اسرار الطبيعة وغرائبها للناس وأُخضعت قواها لمطالبهم

—o:o—

الجامعات في التاريخ

احتفلت مصر في ٨ فبراير الماضي بوضع الحجر الاساسي في بناء الجامعة المصرية الجديد وشرف الاحتفال جلالة مليك البلاد ووضع الحجر بيده الكريمة فرأينا ان نثبت فيما يلي صفحات من تاريخ انشاء الجامعة المصرية وافتتاحها سنة ١٩٠٦ وسنة ١٩٠٨

مدارس العلم قديمة شادها الكلدانيون والمصريون قبل ان ظهرت تباشير العمران في اوربا وكانوا يعلمون فيها الطب والفلك والحكمة ثم اقتفى اليونان خطواتهم وتبعهم الرومان . وقبل ان نهض الرومان لاخذ العلم عن اليونان واحياء معالمه كان البطالسة قد اخذوا القطرَ المصري نصيبهم من ملك الاسكندر المكدوني وانشأوا في الاسكندرية مدرسة ومكتبة فاقتا مدارس الدنيا ومكاتبها . وظلت مدرسة الاسكندرية مناراً للعلم ومربعاً للفلسفة نحو سبعة قرون ثم تقوَّضت اركانها وهجرها العلم والعلماء

ولم يعنَ المسيحيون في اول امرهم بالعلم الزمني بل حصروا همهم في العلم الديني لانهم كانوا يتوقعون انقضاء العالم وما فيه فسبقهم الفرس والعرب وانشأ كسرى انوشروان مدرسة الحكمة والطب في جنديسابور سنة ٢٥٠ للمسيح فدامت الى زمن العباسيين واقتفى الخليفة المنصور العباسي اثرهُ فانشأ داراً للعلم في بغداد ولما تولَّى الخلافة هرون الرشيد رفع منار العلم وقرَّب اليهِ العلماء واوجب ان يبنى كتاب بجانب كل جامع . ثم لما خلفهُ المأمون زهت في خلافتهِ العلوم واينعت حدائق المعارف

وانتشرت بعد ذلك المدارس في دمشق وبغداد والبصرة وبخارى والاسكندرية والقاهرة ومراكش وفاس والاندلس وكان في القاهرة وحدها عشرون مدرسة كبيرة سنة الف للميلاد وفي قرطبة من بلاد الاندلس سبعون مكتبة كبيرة حافلة بالكتب النفيسة . وكان في كل كورة من كور الاندلس مدرسة كبيرة عدا المدارس الصغيرة . وحسبوا انهُ كان في قرطبة وحدها سنة ١١٢٦ للميلاد مائة وخمسون مؤلفاً وفي المرية اثنان وخمسون وفي برتقال خمسة وعشرون وفي مرسية واحد وسبعون عدا ما كان في اشبيلية وغرناطة وبلنسية . وانهُ قام من العرب الف وثلثمائة مؤلف في التاريخ فقط . قال المقري: «ان اهل الاندلس كانوا احرص الناس على العلم فالجاهل الذي لم يوفقهُ الله للعلم يجهد ان يتميز بصنعة ويربأ بنفسهِ ان يُرى فارغاً عالة على الناس لان

هذا عندهم في غاية القبح. والعالم عندهم معظَّم من الخاصة والعامة يشار اليهِ ويحال عليهِ وينبه قدره وذكره عند الناس ويكرم في جوارٍ او ابتياع حاجة وما اشبه ذلك »

وبلغ من عناية الحكم المستنصر بالعلم والكتب العلمية ان بعث الى افريقية وبلاد فارس ومصر وبلاد العرب يشتري الكتب او ينسخها اذا لم يتهيأ لهُ ابتياعها وكتب بنفسهِ الى مؤلفي زمانهِ يطلب منهم كتبهم واجازهم عليها خير الجزاء حتى جمع على ما يقال اربعمائة الف مجلد او ستمائة الف مجلد

قال ابو الفرج الملطي نقلاً قال القاضي صاعد بن احمد الاندلسي قاضي طليطلة الذي توفي سنة ٤٦٢ للهجرة: « ان العرب في صدر الاسلام لم تعن بشيء من العلوم الاَّ بلغتها ومعرفة احكام شريعتها حاشا صناعة الطب فانها كانت موجودة عند افراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرًّا اليها فهذه كانت حال العرب في الدولة الاموية . فلما ادال الله تعالى للهاشمية وصرف الملك اليهم ثابت الهمم من غفلتها وهبَّت الفطن من ميتتها فكان اول من عني منهم بالعلوم الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور وكان مع براعتهِ في الفقه كلفاً في علم الفلسفة وخاصة في علم النجوم . ثم لما افضت الخلافة فيهم الى الخليفة السابع عبدالله المأمون بن هرون الرشيد تمم ما بدأ بهِ جده المنصور فاقبل على طلب العلم في مواضعهِ وراسل ملوك الروم وسألهم صلتهُ بما لديهم من كتب الفلسفة فبعثوا اليهِ منها ما حضرهم فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم احكام ترجمتها فترجمت لهُ على غاية ما امكن ثم حرَّض الناس على قراءتها ورغَّبهم في تعلمها فكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم علماً منهُ بان اهل العلم هم صفوة الله من خلقهِ ونخبتهُ من عبادهِ لانهم صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة وزهدوا فيما يرغب فيهِ الصين والترك . . . فلهذا السبب كان اهل العلم مصابيح الدُّجى وسادة البشر واوحشت الدنيا لفقدهم »

واقتفى كثيرون من العباسيين آثار المأمون واقتدى بهم الفاطميون في مصر والامويون في الاندلس فانتشرت مدارس العرب من سمرقند وبخارى شرقاً الى فاس وقرطبة غرباً . وكان الملوك والامراء ينفقون عليها النفقات الطائلة فقد نقل المؤرخ جبون الانكليزي ان احد الوزراء انفق مائتي الف دينار (نحو ١٢٠ الف جنيه) على انشاء مدرسة جامعة في بغداد واوقف عليها ما ريعهُ خمسة عشر الف دينار (تسعة آلاف جنيه) كل سنة (ولعلهُ نظام الملك الطوسي والمدرسة هي المدرسة النظامية المشهورة)

وكان في احدى مكاتب القاهرة مائة الف مجلد في العلوم والفنون وكان يباح لكل احد ان يطالع فيها ويستعير ما شاء منها وبلغ عدد كتب الفلك والطب فيها ٦٥٠٠ مجلد

هذا ولا نطيل اكثر من ذلك في وصف مدارس العرب وخدمتهم للعلم ولكن لم يدخل القرن الحادي عشر والثاني عشر حتى مالت شمس المعارف من المشرق الى المغرب وجعلت اشعتها تنتشر في ربوع اوربا وتتقلص عن ربوع اسيا وافريقية وكان انتشارها اولاً في ايطاليا . فانشئت مدرسة سالرنو في القرن التاسع واشتهرت بفرعها الطبي في القرن الحادي عشر حتى كان الطلبة يفدون اليها من كل اقطار اوربا . وانشئت مدرسة بولونا في اواخر القرن العاشر واشتهر قسمها الحقوقي في القرن الثاني عشر وصارت سنة ١٢٠٦ تعطي لقب الدكتورية في الطب والحقوق واللاهوت

ونشأت مدرسة باريس منذ عهد بعيد ثم انتظمت اقسامها الاربعة الحقوق والطب والفنون واللاهوت في اوائل القرن الثالث عشر وانشئت مدرسة سوربون فيها سنة ١٢٥٣ ولم يختم القرن الرابع عشر حتى صار في فرنسا اربعون مدرسة كلية . وانشئت مدرسة سلامنكا سنة ١٢٤٢ وظلت خمسمائة سنة فخراً لاسبانيا . ولا يعلم الزمن الذي انشئت فيه مدرسة اكسفرد تماماً ولكنها كانت في بداءة القرن الثاني عشر وناظرت مدرسة باريس في القرن الثالث عشر . وصارت مدرسة كمبردج جامعة سنة ١٢٣٣ . وانشئت مدرسة براغ الجامعة سنة ١٣٤٨ ومدرسة فينا سنة ١٣٦٥ . ثم كثر انشاء المدارس الجامعة حتى عمّت اوربا واقتفى الاميركيون آثار اسلافهم الاوربيين وفاقوهم في الانفاق على المدارس الجامعة حتى لا يندر أن يوقف احدهم على المدرسة مليون جنيه او مليوني جنيه او اكثر

وقد طالما وددنا لو انشئت مدرسة جامعة في هذا القطر وخاطبنا بعض اصدقائنا الاميركيين في نقل المدرسة الكلية الاميركية من بيروت الى القطر المصري وتتبعنا الهبات الاميركية التي توهب للمدارس الجامعة حتى صارت مطلبنا الاول في الجرائد العلمية فنفتش عنها قبل غيرها ونثبتها في المقتطف لعلنا نثير الغيرة والحمية في نفوس بعض الاغنياء فيقتدوا بكرماء الاميركيين وكدنا ننال المراد بما اظهرهُ المرحوم منشاوي باشا من العزم على القيام بذلك قُبَيْل وفاتهِ (المقتطف صفحة ٨٧٣ سنة ١٩٠٦)

صفحات من تاريخ الجامعة المصرية

١ — المنشور الاول

«في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ٢٤ شعبان سنة ١٣٢٤ الموافق ١٢ اكتوبر سنة ١٩٠٦ اجتمع في مجلس حضرة عزتلو سعد بك زغلول بجهة الانشاء الموقعون على هذا بصفتهم من المكتتبين الاولين لانشاء الجامعة المصرية وان كلاً منهم اكتتب للجامعة كما هو مذكور بعد وقرروا

«اولاً: انتخاب لجنة تحضيرية مؤلفة من حضرات: سعد بك زغلول وكيلاً للرئيس العام وقاسم بك امين سكرتير اللجنة وحسن بك سعيد وكيل البنك الالماني الشرقي اميناً للصندوق. ومحمد بك عثمان اباظه ومحمد بك راسم وحسن بك جمجوم وحسن باشا السيوفي واخنوخ افندي فانوس وزكريا نامق افندي ومحمود بك الششيني ومصطفى بك كامل الغمراوي اعضاء

«ثانياً: تأجيل انتخاب الرئيس العام الى الجلسة القادمة. ثالثاً: نشر الدعوة الآتية في جميع الصحف المحلية عربية وافرنجية. رابعاً: الاجتماع مرة اخرى بدعوة خصوصية لانتخاب الرئيس واعضاء اللجنة النهائية. خامساً: تسمية هذه الجامعة بالجامعة المصرية

اسماء المكتتبين

جنيه	
١٠٠	قاسم امين بك
١٠٠	خالد بك سعيد
٢٠٠	محمد بك فريد و ٢٠٠ سنوياً
١٠٠	محمد بك سليمان اباظه
١٠٠	صادق بك اباظه
٢٠٠	حسين بك ابو حسين
٢٠٠	علي بك فهمي
٢٠٠	حنفي بك ناجي
١٠٠	محمود بك الششيني
٢٠٠	عثمان بك اباظه
٠١٥	حفني بك ناصف
١٠٠	عبدالله بك اباظه
٥٠٠	مصطفى كامل بك الغمراوي
١٠٠	زكريا نامق افندي و ٥٠ سنوياً
١٠٠	الدكتور عبد الحليم افندي
١٠٠	منشاوي سيد احمد افندي
١٠٠	اخنوخ فانوس افندي
١٠٠	محمود بك حسيب
٠٥٠	حسن بك سعيد
٠٢٠	الشيخ عبد العزيز جاويش
٥٠٠	محمد بك راسم
١٠٠	سعد بك زغلول
١٠٠	محمد بك يوسف
١٠٠	احمد بك رمزي
١٠٠	محمد بك هاشم و ٢٥ سنوياً
١٠٠٠	حسن بك جمجوم
٤٥٨٥	المجموع

٢ — المنشور الثاني والدعوة للاكتتاب

«ظهرت بمصر في هذه السنين الاخيرة حركة نحو التعليم تزداد كل يوم انتشاراً في جميع طبقات الامة . ورغم ما تبذله الحكومة من الجهد في توسيع التعليم فانهُ غير كافٍ للقيام بحاجات الامة والزيادة المستمرة في ميزانية نظارة المعارف لا تفي بمطالبها ولذلك التجأت الحكومة لان تحرك همم الافراد وتهزّ من غيرتهم لمساعدتها على نشر التعليم نهضوا لمعاونتها وتسابقوا الى الاكتتاب في انشاء الكتاتيب واقبلوا على تأسيسها كل اقبال مع عدم تعودهم على القيام من انفسهم بمثل هذه الاعمال فانهُ لا يمر يوم الا ونرى فيه انشاء كتاب جديد في جهة من جهات القطر ولا يبعد ان نرى عما قليل ان هذا الغرس قد نما وأزهر فتجني اولادنا ثماره ولكن من الاسف ان الحكومة والافراد مع اعتنائهم كثيراً بنشر التعليم الابتدائي لم يتمكنوا من توجيه العناية للتعليم العالي بل اهملوهُ اهمالاً تامًّا ولا نشك في انهم انما اهتموا اول الامر بما رأوا ان الحاجة شديدة اليه وانهم لم يجدوا من المال والزمان ما يساعدهم على الاشتغال بالتعليم العالي

«ولكن يسرنا أن نرى ان الامة قد شعرت الآن بان هناك نقصاً في التعليم يجب عليها سدهُ وتردد في خواطر كثير من افرادها منذ عشر سنوات تقريباً انشاء جامعة واخذت هذه الفكرة مكاناً عظيماً من اهتمامهم حتى شرعوا عدة مرات في تحقيقها غير انهم لم يوفقوا لان الفكرة لم تكن فيما يظهر ناضجة حتى تخرج من عالم الامل الى عالم العمل

«في هذه السنة هبَّ في الرأي العام تيار من نفسه لتحقيق هذه الامنية لان الامة انتبهت بان تفهم تمام الفهم ان طريقة التعليم فيها ناقصة ودائرتهُ ضيقة تقف وتنتهي بالطالب قبل بلوغ الغاية وان من وراء الحدود التي انحصر فيها معارف سامية وحقائق عالية وقضايا جليلة ومشكلات غامضة تشتاق النفوس الى حلها واختراعات جديدة وتجارب بديعة واختبارات كثيراً ما شغلت وتشغل عقول كبار العلماء في اوربا ولا يصل الينا منها الا صداها الضعيف فنها ما يختص بالوجود وما يتعلق بالهيئة الاجتماعية وما يبحث فيه عن لغة الانسان وعن الآداب والفلسفة والشرائع والتربية وكل ما يهم ماضي الانسان وحاضرهُ ومستقبلهُ هو موضوع علوم شتى لا يعرف واحد شيئاً منها ولا يهتم بما كمل منها ولا بما هو سائر نحو الكمال وأبلغ من ذلك انهُ لا يوجد لدينا

درس تعرف منهُ قيمة المؤلفات العربية في الآداب والفلسفة والعلوم ولا قيمة من اشتهروا من مؤلفيها عند الاوربارويين الذين بحثوا عنهم وعرفوهم فوفوهم حقهم من الاجلال والاحترام

« ان جميع الذين يشعرون منا بنقص تربيتهم العقلية يرون من الواجب ان التعليم يجب ان يتقدم خطوة في بلادنا نحو الامام وان امتنا لا يمكنها ان تعد في صف الامم الراقية لمجرد ان يعرف اغلب افرادها القراءة والكتابة او ان يتعلم بعضهم شيئاً من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمحاماة بل يلزم اكثر من ذلك

يلزم ان شباننا الذين يجدون في اوقاتهم سعة ومن نفوسهم استعداداً يصعدون بعقولهم ومداركهم الى حيث ارتقى علماء تلك الأمم الذين يشتغلون آناء الليل واطراف النهار بالهدوء والسكينة لاكتشاف الحقيقة ونصرتها في العالم. هذا هو العمل الذي نريد ان نشرع فيهِ ونطلب المساعدة عليهِ من جميع سكان القطر. نحن نعلم ان عمل الحكومة وحدهُ لا يفي بكل حاجاتنا وانهُ مهما كان لديها من الرغبة ومن القوة فلا تستغني عن مساعدة الافراد لها ولذلك نأمل ان يسمع نداءنا كل ساكن في مصر مهما كان جنسهُ ودينهُ. ربما اختلفت الافهام في حقيقة المشروع الذي ندعو اليهِ ولذلك وجب علينا ان نبين بالاجمال المقصود منهُ

اولاً : ان الجامعة التي نريد انشاءها هي مدرسة علوم وآداب تفتح ابوابها لكل طالب علم مهما كان جنسهُ ودينهُ. ثانياً : ليس لهذه الجامعة صبغة سياسية ولا علاقة لها برجال السياسة ولا المشتغلين بها فلا يدخل في ادارتها ولا في دروسها ما يمس بها على اي وجه كان

« ثالثاً : ان اشتمال الجامعة على درجات التعليم الثلاث وهي العالي والتجهيزي والابتدائي وان كان من اقصى الرغبات التي يلزم بذل الجهد في تحقيقها عاجلاً او آجلاً ومن ضمن ما ترمي اليهِ غايتنا متعذر الآن لانهُ يكون مشروعاً جسيماً جداً وتنفيذهُ برمتهِ دفعة واحدة يستدعي نفقات وعمالاً ونظامات لا يتيسر الحصول عليها الآن فلا بدَّ من التدرج في تنفيذهِ والبدء فيهِ بما يمكن عملهُ وتقديم ما الحاجة اليهِ اشد من غيرهِ

« نرى ان التعليم الابتدائي والثانوي والفني موجود الآن في هذه البلاد بمقدار ما يفي بحاجاتها على حسب الامكان ويظهر انهُ يمكننا بدون ان نخشى ضرراً ان نؤجل الاشتغال

بهذه الانواع الثلاثة من التعليم وان نوجه جميع مساعينا الآن الى تأسيس دروس عالية مما لا وجود لهُ عندنا ولا يمكننا الاستغناء عنهُ . دروس ادبية وعلمية وفلسفية تنور عقول طلابها وتربي ملكاتهم وتهذب عواطفهم وتبلغ بهم مراتب الكمال في انواع ما يتلقون منها . دروس تؤخذ عن اساتذة ينتخبون من رجال العلم هنا وفي اوربا تحت ادارة لجنة علمية يرئسها رجل من اهل الفن ذو خبرة تامة بالتعليم ولا حاجة للقول بان عدد هذه الدروس وموضوعاتها واهميتها يتعلق بما يكون للجامعة من الايراد

«رابعاً : يلزم أن يكون للجامعة تلامذة خصوصيون وهم الذين يقيدون اسماءهم في دفاترها ويلازمون تلقي الدروس فيها المدة التي تقرر لها ويمتحنون فيها ويحصلون على شهاداتها وتكون لهذه الشهادات قيمة ادبية مع الامل ان الحكومة تمنحها المزايا التي تراها جديرة بها في المستقبل ومع ذلك فانهُ يباح لكل راغب في التعلم من غير هؤلاء التلامذة ان يحضر دروساً لها ليفقه في العلم وليقتبس منها ما يتمم بهِ كمالهُ العلمي

«خامساً : ان جمعية المكتتبين تنتخب لجنتين احداهما فنية لوضع نظام الجامعة وما يتعلق بلوازم التعليم فيها والاخرى لجمع الاكتتابات من [illegible] مشروع اول من اكتتبوا لتأسيس الجامعة المصرية وتلك غايتهم قد يجدهُ البعض كبيراً عليهم محفوفاً بكثير من الصعوبات التي اعتادت ان تقوم في وجه كل مشروع [illegible] الغاية فنقول لهؤلاءِ اننا سنسعى جهدنا لتحقيقهِ واذا سعى كلٌّ سعينا فلا شك في نجاحهِ لانهُ لا معنى للنجاح في مثل هذه المشروعات الا ان يتحد الكل ويعمل الكل فكل يائس يدعو الى الخيبة وكل آمل يدعو الى النجاح . على اننا اذا لم نتمكن من الوصول الى تمام المطلوب فاننا نرجو الله ان يوفق لاتمامهِ غيرنا ممن وهب لهم همة اعلى وفكراً اسمى وحزماً اقوى واملاً اوسع

«وبعضهم وهم الاكثر يرون مشروعنا جزئيًّا ليس لهُ من الاهمية ما كانوا يرغبون فنقول لهؤلاءِ ان نجاح كل عمل يتوقف على معرفة العامل مقدار قوتهِ وان التدرج في الامور اقرب الى النجاح فيها من الطفرة والتأني في السير اضمن للوصول الى الغاية ونجاحنا في هذا المشروع الجزئي يشجعنا على الاستزادة فيهِ وتوسيع حالتهِ فاذا جاء اليوم الذي نشعر فيهِ بان في قوتنا ان نوسع دائرة التعليم وتنفذ كل مشروعنا وضعنا ايدينا في ايديهم وسرنا جميعاً متكاتفين الى تلك الغاية السامية . والله ولي التوفيق »

٣ — حفلة افتتاحها

في ٢١ دسمبر ١٩٠٨

رعى حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول مشروع الجامعة اميراً جليلا وتقلد رآستها والقى خطبة في حفلة افتتاحها نقتطف منها ما يأتي:

« ... نحن لا نجهل أن هذا العمل الكبير ستطرأ عليه تغيرات كثيرة قبل أن يأخذ شكله النهائي . ولكننا لم ندخر وسعاً في تثبيت قواعده ليكون البناء الآتي قائماً على أساس مكين وافياً بما تدعو اليه الحاجة في مستقبل الأيام

« ولقد جاء اليوم الذي تقضي فيه الضرورة على الشبيبة المصرية بورود مناهل التربية العملية المحضة في نفس القاهرة دون أن تتغرب في ربوع العلم التي نالت بفضله مكانة عالية في العمران

وانني أبتهل اليه تعالى أن يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاب العلم عموماً ولشبيبتنا المصرية خصوصاً . اذ أننا لم نقدم على هذا العمل الجسيم ولم نسهر الليالي بسببه الا لترقية هذه الشبيبة التي لا يكفينا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد بل نرى أنه يتحتم عليها أيضاً أن تتحلى بفضيلتي الصبر والاستمرار لأنهما سر النجاح . ولا ريب عندنا في أنها ستكسب هاتين الخلتين الحميدتين لتكون جديرة بتحقيق الآمال التي وضعها فيها مجلس ادارة الجامعة والأمة بأسرها »

من خطبة عبد الخالق ثروت باشا

احد اعضاء مجلسها في حفلة افتتاحها

« رأت الامة المصرية ان حاجتها الآن الى علماء راسخين في العلم ليست بأقل من حاجتها في الازمان السابقة الى متعلمين عاملين وانهُ قد حان الوقت لتخريج شبيبة تأخذ بيد الامة فتحلها المقام الذي يجب ان يكون لها بين الامم الراقية ذلك المقام الذي لن تنالهُ الاَّ اذا اقبل ابناؤها على العلم حبًّا في العلم ولم يقتصروا منهُ على ما يستفتحون بهِ ابواب الكسب والارتزاق

« رأت ان العلماء في البلاد الاخرى يكادون يأتون في كل فرع من فروع العلم بالمعجزات فكم من مبتكرات نخالها خلقاً سماويًّا جديداً جاءنا خبرها من اوربا وغيرها ونحن نكتفي من ذلك البحر الزاخر بمصة الوشل ! وكم من مخترعات مبدعات وآيات بينات فتح الله بها على اولئك العلماء وحظنا منها حظ المتفرج !

« رأت انهُ من النقص ان تبقى مصر عالة على الامم بعد ان كانت تغذيها بالعلم والعرفان وان تظل في مثل هذا العصر خلواً من جامعة تصوغ لها طائفة تمجد ذكرها كما كان ذكرها ممجداً في ماضي الايام والعصور الخالية . « رأت كل ذلك وحق لها ان تراهُ وتتدبرهُ . فلا جرم ان قامت قومة واحدة تدعو الى انشاء تلك الجامعة

« فولَّت وجهها بادىء الرأي شطر الحكومة ونظرت في المسألة من وجهة الواجب عليها فرأت ان الحكومات في جميع بلاد الدنيا لا تستطيع وحدها النهوض بالامة من طريق التعليم وانهُ ليس من امة فقهت الى مثل ما فقهت اليهِ الامة المصرية من الحاجة العلمية الاَّ واخذت بيد حكومتها في هذا السبيل وان الفضل في ترقية التعليم في البلاد الاخرى يرجع اكثرهُ الى جمعيات اسست دوراً للعلم وتكفلت هي بادارتها واقتصرت مهمة الحكومة فيها على تعضيدها ومساعدتها بقدر الامكان

« فلما احست الامة بما هو واجب عليها بازاء هذا المشروع توجهت عنايتها الى الحث عليهِ وتحقيق الغرض منهُ وهنالك انقسم الناس الى متطير يخاف على المصريين ان يقدموا على هذا المشروع فيحبط عملهم فينالهم من العار ما كانوا في غنى عنهُ . ومستبشر يرى في يسر الحال وهمة المصريين وأريحية شمائلهم ما يحمل على الاعتقاد بان عملهم سيكلل بالفوز ويتوج بالنجاح

« وقد دل الواقع على ان المصريين والحمد لله اهل لهذا المجد المحمود فقد تبرعوا ولم يثنهم عن العطاء شدة نزلت بالبلاد فاستحقوا لهذه الاريحية عطف كل محب لترقية العلوم والمعارف

« ولما كان من الضروري ان يكون التدريس فيها باللغة العربية عولت اللجنة على ان تبعث بارساليات الى البلاد الاوربية حتى اذا ما اتم اعضاؤها دروسهم واستقصوا العلوم التي انقطعوا لها هناك عادوا فقاموا بالتدريس باللغة العربية كلٌّ في علمه الذي اختص به

«وقد اوفدت الجامعة لهذا القصد الشريف في اوائل الصيف الماضي جماعة من خيرة النابغين من الشبيبة المصرية وهم الآن مغتربون في ربوع تلك الاقطار المتنائية لتحصيل العلم العالي وادخاره ليوم رجوعهم الى مصر فيبرّونها بعلمهم وتعليمهم كما برّتهم بعنايتها بتربيتهم ويكونون عدتنا واساطين جامعتنا في نيل امانينا

«ولما كان تحقيق هذا المقصد يستلزم زمناً طويلاً فتعجيلاً بالفائدة تقرر ان يقوم من الآن بعض العلماء بتدريس بعض العلوم التي لم تنل الى الآن في مصر حظاً وافراً من العناية مع ما لها من الاهمية والاثر الحسن في ترقية المدارك وانارة البصائر

«ولما كان من المحقق ان جميع الامم عند ما تأخذ باسباب النهضة لا مندوحة لها عن محاكاة الشعوب التي اصابت اوفر قسط من الحضارة الراقية وكان الاخذ عن امة من الامم يوجب الوقوف على اساليبها ودرجة تصوراتها وكيفية تدرجها في ترقيها فقد اختارت الجامعة ان تتمشى مع ذلك الناموس الطبيعي بتلقين الطلاب فنون الادبيات عن الامتين الكبيرتين اللتين انتشرت لغتهما بين المصريين انتشاراً كبيراً فقرّرت تدريس علوم الادبيات عند الفرنسويين وعند الانكليز. كذلك رأت من اول الواجبات عليها ان يكون في مقدمة ما يدرس في جامعة مصرية تاريخ الحضارة القديمة في مصر والشرق وتاريخ الحضارة الاسلامية تلك الحضارة التي لا يزال اهل الفضل من كل الامم الراقية يذكرونها مقرونة بالاعجاب والاحترام. ومَن اولى من المصريين بالوقوف على حقائق هاتين الحضارتين لتحقيق نهضتهم الحالية واسترجاع ما كان لاسلافهم من مجد عظيم ومقام كريم

«وها نحن اولاء نحتفل اليوم باول خطوة تخطوها الامة المصرية لترتقي الى مستوى الامم الناهضة. نحتفل بوضع اول درجة من سلم العروج الى اوج العزة والفخار »

الحدائق المعلقة ام ناطحات السحاب

عجائب الدنيا السبع

ضئيلة اذا قيست بعجائب العلم الحديث

عجائب الدنيا السبع : اهرام مصر وابو هولها — حدائق بابل المعلقة — مدفن موزلوس — هيكل ديانا — صنم رودس — تمثال جوبيتر — منارة الاسكندرية . اذا تأملتها وجدتها كلها آيات في الفن والبناء شيد اكثرها على اكتاف العبيد لتمجيد فرد لا لفائدة جمهور فدكها الدهر الى الحضيض لم يبق منها سوى اهرام مصر وتمثال ابي الهول تلك كانت عجائب الحضارات القديمة . ولكن العمران الحاضر لهُ عجائب تختلف عن تلك لانها ثمرات جناها الناس من تطبيق القواعد العلمية والسيطرة على عناصر الحياة وقوى الطبيعة . وقد تغلغلت آثار هذه العجائب في عمراننا وحياتنا حتى الفناها وعدنا لا نرى فيها امراً عجيباً ومع ذلك لم يقف احد الكتاب وقتهُ على وضع جدول فيها كما فعل الكتاب الاقدمون بعجائب الحضارات القديمة

لذلك قصد احد المحررين بمجلة العلم العام الاميركية الى الدكتور ستراتون رئيس اكبر معهد علمي صناعي في الولايات المتحدة وطلب اليهِ ان يختار العجائب السبع التي يمتاز بها عمراننا الحديث وبعد ما حاول ذلك نحو نصف ساعة عجز عنهُ لان العجائب متفرعة متشعبة يتعذر حصرها في سبعة بنود فحصرها في تسعة وهي التي يراها القارىء في وسط هذه الصفحة

عجائب العمران الحاضر التسع

كما اختارها

الدكتور ستراتون رئيس معهد مستشوستس الصناعي

١ * اكتشاف البكتيريا وتطبيق قواعد علم البكتيريا على ما فيه خير الجمهور
٢ * اتساع نطاق معرفتنا ببناء المادة وظواهر الاشعاع
٣ * التقدم في السيطرة على الكهربائية واستخدامها في الانارة والحركة والمواصلات
٤ * استنباط آلة الاحتراق الداخلي والتوسع في تطبيقها
٥ * الوسائل الحديثة في البناء بالسمنت والصلب
٦ * علم المعادن الحديث
٧ * حفظ الاطعمة
٨ * الطيران والمواصلات الجوية
٩ * اتقان صنع الآلات وزيادة ما تنتجه مع تقليل ما تستلزمه من عناية العمال

وبعد ما دفع الدكتور ستراتون بجوابهِ هذا الى المكاتب قال : هذا خير جواب

استطيعهُ ولكنهُ غير كاملٍ . تأملهُ تَرَ اني لم اذكر شيئاً عن عجائب الكيمياء مع ان الكيمياء وتطبيق قواعدها ركن نهض عليهِ اكثر العجائب التي ذكرت

ألم يكن باستور كيماويًّا ! ومع ذلك هو هو واضع الركن الذي قامت عليهِ العجيبة الاولى وعجيبة اكتشاف البكتيريا وتطبيق قواعد علمها على ما فيهِ خير الجمهور . فلما كشف باستور عن هذه الاحياء الدقيقة خرج بالناس من ظلمات الجهل والحدس في معرفة طبائع المرض الى نور المعرفة الصحيحة فادركوا حقيقتهُ واسبابهُ وانفتحت امامهم السبل الى معالجتهِ والوقاية منهُ

كان ذلك منذ سبعين سنة . وكان لويس باستور يبحث في احد معاصر الخمر عن الامراض التي تفسد النبيذ والبيرا فثبت لهُ ان الاختمار لا يمكن ان يكون ذاتيًّا بل هو نتيجة لفعل جماهير كثيرة من الاحياء الدقيقة . ثم اثبت ان الهواء يعجُّ بهذه الاحياء ونحن نطلق عليها الآن اسم « جراثيم » او « مكروبات » او « بكتيريا » وهي دائماً على قدم الاستعداد للهجوم على مادة آلية سواءٌ في ذلك عصير العنب في برميل الخمّار ودم الانسان يجري في عروقهِ . ومن ذلك توصل الى الكشف عن البكتيريا التي تحدث بعض الامراض في الناس والحيوانات والسبيل الى علاجها والتحكم فيها . وحديث ذلك من امتع الاحاديث العلمية واشهرها

اما الآن فان انواع البكتيريا تعد بالمئات بل بالالوف وفي انحاء العالم المتمدن تجد مئات من المعامل يقيم فيها العلماء يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى على درس طبائع هذه الاحياء وأثرها في الصحة والمرض والصناعة والزراعة . لا بل ان درس هذه الاحياء صار علماً مستقلاً له شعب وفروع مستقل بعضها عن بعض

وزد على ذلك اننا مدينون لباستور باستعمال انواع المطهرات ومضادات الفساد وغيرها من الوسائل التي نأمل يوماً ما ان نسيطر بها سيطرة تامّة على كل الامراض المعدية . لقد دانت لنا امراض الدفتيريا والجدري والحمى التيفوئيدية والكوليرا والانفلونزا والدوسنطاريا والحمى القرمزية وغيرها وفقدت ما كان يحيط بذكرها من وجل ورعب . وفي السنة الماضية كشفت طريقة لمعالجة « بنت الحمرة » وهو من اخبث الامراض وينتظر ان يُعلن قريباً كشف طريقة جديدة لعلاج الحصبة . اضف الى ذلك مضادات الفساد على انواعها التي قلبت وسائل الجراحة رأساً على عقب وجعلت التقدم في اعمال الجراحين ممهد السبيل . وقد بني على كل ذلك علم الصحة العامة فصار

في الامكان حفظ المياه والاطعمة من التلوث بالجراثيم مما جعل الازدحام في المدن الكبيرة من غير تفشي الاوبئة بين السكان في حيز الامكان . وزاد متوسط العمر في الولايات المتحدة الاميركية من ٥٥ سنة الى ستين سنة في ربع قرن ونقص متوسط الوفيات منذ سنة ١٨٨٠ من ٢٠ في الالف الى اقل من ١٢ في الالف

ولما كشفت الحقائق المرتبطة بالبكتيريا التي في التربة واثرها في خصب المزروعات وفعلها في حلّ المواد الآلية وتركيب النترات قام على ذلك علم الزراعة الحديث وافاد فائدة كبيرة في تسميد التربة على قاعدة علمية وانتاج اكثر ما يستطاع انتاجهُ من الارض

***

كذلك ترى ان علم الكيمياء وعلم الطبيعيات ركن بنيت عليه العجيبة الثانية وهي « اتساع نطاق معرفتنا بناء المادة وظواهر الاشعاع » . بدأ هذا التقدم حينما قام العالم الطبيعي الانكليزي جون دالتن واستخرج من مطويات التاريخ اليوناني القديم القول بالمذهب الجوهري بعد ما هذبهُ ووضعهُ على اساس علمي . فاخذ هذا الرأي يرتقي ويتسع حتى بلغ ذروتهُ سنة ١٨٩٨ حينما كشف الاستاذ كوري وزوجتهُ عنصر الراديوم وتلا ذلك تعديل المذهب الجوهري تعديلاً خلاصتهُ ان الجوهر الفرد مؤلف من نواة تدور حولها الكهارب كما تدور السيارات حول الشمس . فان اثبات هذا الرأي بالطرق العلمية والعملية من اعظم انتصارات العلم في كل التاريخ . لانهُ اثبت لنا ان المادة بل الكون دائم التغير والنشوء ينبض بحركة دائمة وقوى عظيمة قد يتمكن الانسان من اخضاعها لمطالبه يوماً . ومن المذهب الجوهري نشأت عجائب الكيمياء الصناعية في الاستفادة من النفايا التي كانت تطرح للكلاب وفي صنع كثير من المواد مجاراة للطبيعة في خلقها وابداعها

والمذهب الجديد في بناء المادة الذي بني على اكتشاف الراديوم وضع في يد الانسان قوًى عظيمة في شكل اشعة لطيفة فاستعملها في مئات المطالب الصحية والصناعية نذكر في مقدمة هذه الاشعة اشعة الراديوم (الفا وبيتا وغما) واشعة اكس والاشعة التي فوق البنفسجي والاشعة السلبية في الانبوب المفرغ . والعلماء الآن مكبون على البحث في « الاشعة السموية » التي تجيء الارض من الفضاء وما عرف منها حتى الآن يخترق ما سمكهُ ست اقدام من الرصاص مع ان اشعة اكس لا تخترق سوى ثلاثة سنتمترات منهُ . ان معرفة طبائع هذه الاشعة مكنت العلماء في الجهة الواحدة من قياس

ابعاد الاجرام والعناصر التي تتركب منها وفي الجهة الاخرى كانت اساساً شُيّد عليهِ صرح المخاطبات اللاسلكية العجيبة

وقبلما فاز العلماء بمعرفة شيء عن طبيعة المادة الكهربائي ومكان الكهربائية في بناء الكون على ما مرَّ بنا كان المستنبطون منهمكين في اخضاع الكهربائية واستعمالها لمطالب الانسان فكانت العجيبة الثالثة وهي « التقدم في السيطرة على الكهربائية واستخدامها للانارة والحركة والمواصلات »

فان فاراداي حين تمكن في اوائل القرن التاسع عشر من احداث تيار كهربائي في لفة من السلك قطع بها مجالاً ممغنطاً لم يدرك كلَّ الادراك عظمة القوى التي كانت في يديهِ . ولكن على تلك التجربة البسيطة في ذاتها بني المولّد الكهربائي الاول

ولما اتسع نطاق المعرفة بطبائع الكهربائية تبعت العجائب الكهربائية بعضها بعضاً: تلغراف مورس وتلفون بل ومصباح اديصن الكهربائي والاتون الكهربائي وتلغراف مركوني اللاسلكي والتلفون اللاسلكي والرؤية عن بعد والرؤية في الظلام—وكل واحدة من هؤلاء تفوق كل عجائب الدنيا السبع عظمةً ونفعاً

كانت التجارب الكهربائية منذ نصف قرن امراً يتسلى بهِ الباحثون ولكنها قلبت الصناعة رأساً على عقب . وها هي الآن تدير المصانع وتسيّر القطارات وتنير المدن والبيوت وتسلّي الناس وتربط الامم بعضها ببعض لا يعيقها الزمان ولا المكان

اما العجيبة الرابعة فهي « آلة الاحتراق الداخلي وتطبيق مبدئها ». لقد انقضت ٤٣ سنة منذ بنى جوتليب دملر اول آلة تدور بحرق الغاز وسيَّر بها دراجة . وفي هذه الاثناء صارت القوة التي تولّد من حرق مزيج من الهواء والغاز الركن الاهم في ترقية سبل المواصلات برّاً وبحراً وهواء . ففي المسكونة الآن نحو ٢٨ مليون سيارة نحو ٢٣ مليوناً منها في الولايات المتحدة الاميركية اضف الى ذلك المحرّكات المتينة التي مهدت السبيل لتقدم الطيران هذا التقدم السريع الذي نراهُ بعيوننا ونلمسهُ بايدينا وآلات ديزل التي تحرق البترول وقد اخذت تحلُّ محلَّ الآلة البخارية في اكثر السفن ترَ ايَّ اثر لهذه العجيبة في تغير احوال العمران

***

والعجيبة الخامسة هي « الوسائل الحديثة في البناء بالاسمنت والصلب » وهذه العجيبة لا تظهر كبيرة الاثر في العمران ، اذا نظرنا اليها نظراً سطحيًّا . ولكن اذا

تأملنا قليلاً وجدنا ان بها بنيت ناطحات السحاب والجَباري العظيمة والسفن الكبيرة والسدود والترع والانفاق التي تخترق الجبال او تسير تحت المدن والانهر . ان البناة المعاصرين يبنون بالاسمنت والصلب في بضعة اشهر ماكان يستغرق بناة الاهرام سنيناً من الكد والنصب اوكان يتعذر عليهم

وعجائب البناء بالصلب مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعجيبة السادسة وهي ما اطلق عليه الدكتور ستراتون « علم المعادن الحديث » فان اصحاب هذا العلم الاخاذ ابتكروا طرقاً لصنع امزجة معدنية مختلفة في خواصها من صلابة وخفة ومرونة وليونة وغير ذلك. وقد صنعت امزجة مختلفة من الصلب لكل منها صفة خاصة وذلك بمزج الصلب بقليل من النيكل او المنغنيس او الكروم او غيرها. والمواد الجديدة التي صنعت كذلك وتصلح لاستعمال خاص تزداد يوماً فيوماً . فصلب المنغنيس يستعمل في صنع خزائن الاموال التي لا يخترقها اللصوص . وصلب الكروم او صلب الكروم الذي اضيف اليه قليل من النيكل يستعمل في صنع الدروع والمقذوفات والمحاريث وغيرها . وصلب السلكون له خواص مغنطيسية شديدة فيستعمل في صنع بعض الآلات الكهربائية او بعض اجزائها. وصلب الفناديوم وهو من احدث انواع الصلب مرن لا ينكسر تحت الاثقال الكبيرة او اذا صُدم صدمات شديدة لذلك يستعمل في صنع بعض اجزاء السيارات وما هو من قبيلها ومن احدث انواع المعادن معدن الدور الومن وهو متين مع خفة في الوزن لذلك يستعمل في بناء الطيارات والبلونات

ومن بدائع علم المعادن الحديث تغيير صفات بعض المعادن الى نقيضها كما فعل الدكتور كولدج بمعدن التنغستن فان من صفات هذا المعدن الطبيعية سرعة الانكسار ولكن الدكتور كولدج بقي يعالجهُ بالاحماء تارة والتبريد اخرى حتى جعلهُ ليناً مرناً كالمعجون سهل المدّ كالفضة او الذهب وبذلك صار يستعمل في صنع الاسلاك في المصابيح الكهربائية

وقد اتقنت الآن الاتاتين الكهربائية التي تعالج فيها المعادن على ٦٠٠٠ درجة من الحرارة بميزان فارنهيت وفي ذلك ميدان متسع امام علماء المعادن لاحداث الغرائب

***

قد لا يكون من رأي كل قارىء ان يجعل طرق « حفظ الاطعمة » بين عجائب العمران الحديث . ولكن الدكتور ستراتون يرى ان حفظ الاطعمة يأتي بعد الاطعمة ذاتها في المقام كعامل في التغذية العامة . فهو الدعامة التي تقوم عليها الحضارة الصناعية

الحديثة لانهُ السبيل الوحيد الذي يمكن الناس من الاجتماع في المدن الصناعية بعيدين عن مصادر الطعام على اختلاف انواعهِ والوانهِ والمستنبط الذي نفح الحضارة باول طريقة لحفظ الطعام هو نقولا ابرت الفرنسوي فانهُ تمكن سنة ١٧٩٥ من حفظ بعض الاثمار بوضعها في زجاجة من الماء وسدّها سدّاً محكماً ثم اغلائها وتركها حتى تبرد. وقد تقدمت اساليب الحفظ منذ اكتشاف البكتيريا ومعرفة طبائعها ويضاف الى ذلك حفظ الاطعمة بالتبريد لان التبريد يمنع تكاثر المكروبات التي تحدث الفساد في المواد الآلية

***

مهما اوجزنا في اختيار عجائب العمران الحديث لم نستطع أن نضرب صفحاً عن « الطيران والمواصلات الجوية » . لقد كان الناس في كل العصور يتمنون ان تحقق احلامهم للتحليق في الجوّ مثل الطيور. وفي ربع القرن الذي انقضى منذ حقق الاخوان ريط مبدأ الطيران بآلة اثقل من الهواء تقدم الطيران تقدماً مدهشاً في سرعتهِ . فالشجعان من الطيارين قد طوقوا الارض بطياراتهم وبلغوا الى القطب واجتازوا القارات والاوقيانوسات وبلغت سرعة بعضهم ٣٠٠ ميل في الساعة وحلقوا الى علو ثمانية اميال ومكثوا خمسين ساعة في الجوّ . ومع ذلك لا يزال امام رجال الطيران اكبر العقبات وهي اثبات قدرة الطيارات على الثبات في الجو مهما اختلفت احوالهُ . والمستنبطات الحديثة التي تمكن الطيار من معرفة اتجاههِ ومكانهِ واحوال الجو امامهُ وهلمَّ جرًّا تؤذن بتحقيق هذا الامل الكبير . وغني عن البيان ان التقدم في استعمال البلونات كان عظيماً وقريباً يتم صنع بلونين احدهما في اميركا والآخر في اوربا اذا وضعنا صنم رودس امام احدهما بان كالقزم امام الجبار

***

ثم ذكر الدكتور ستراتون العجيبة التاسعة مبيناً انهُ لم يرتب ذكر العجائب على طريقة الاهم فالمهم . ثم قال: انهُ في اثناء قرن كامل انقضى بين استنباط مغزل هوتني واستنباط الاتغراف صنعت مئات من الآلات خفضت عناء العمال ووسعت ثروة الامم — حصّادة مكورمك وآلة هو للخياطة والآلات الكاتبة والآلات الحاسبة والمطابع وآلات اللينوتيب ومراكز التلفون الآلية ومئات غيرها من الآلات التي جعلت عمراننا الحاضر كما هو عليه الآن

واذا شئنا ان نضيف الى هذه العجائب عجيبة عاشرة . فها هي ذي : ان عجائب الدنيا السبع تقوَّضت وتهدَّمت واما عجائب العلم العملي فباقية تنمو وتزيد

التلغراف البشري

قصة اجتماعية

لالكسندر غلواكي البولوني

كان الكسندر غلواكي من رجال اليراعة المشهود لهم بالبراعة في عالم الادب عموماً وبين قومهِ البولونيين خصوصاً . وُلد سنة ١٨٤٧ في بلدة قرب لوبلن من بولونيا وأكبَّ منذ حداثتهِ على التصنيف وكتابة القصص المراد بها تهذيب النفوس وتثقيف الاذهان . واول قصة كتبها طبعت سنة ١٨٧٢ . وظلَّ من ذلك الوقت عاكفاً على الكتابة ومزاولة وضع القصص ، منتحلاً فيها اسم « بروس » الى حين وفاتهِ سنة ١٩١٢ . ومما امتاز بهِ انهُ كان كاتباً صائب الرأي ثاقب الذهن مع غزارة المادَّة وسعة الاطلاع وسهولة الابتكار والتوليد . وصفهُ بعضهم واجاد بقولهِ « انهُ كان راسخ اليقين بالانسانية والتمدن وبما للخير والنور من قوة الإصلاح والتجديد . لجَّ في طلب تعميم التعليم وتاق اشدَّ التوقان الى تدريب مشيئة الشعب ونادى جهراً بانهُ يجب على كلّ انسانٍ ان يجد في نفسهِ مبعث القوة ومصدر العزيمة والنشاط » وقصصهُ القصيرة موضوعة على الخصوص لوصف احوال الانسان المختلفة ومنها قصة التلغراف البشري الآتيـة :

القصة

زارت احدى الاميرات ملجأً لليتامى . فعرض لها مشهد كان غاية في الندرة والغرابة . فانها رأت اربعة صبيان في عراك شديد آخذاً كلٌّ منهم بتلابيب الآخر ، وهم يوسعون بعضهم بعضاً لكماً ولطماً ، نزاعاً على كتابٍ ممزَّق بين ايديهم . فاستفظعت عملهم هذا وصاحت بهم صيحة الزجرِ والانتهارِ قائلة : — « على مَ هذا الصراع ايها الاولاد الحمق ؟ فأقلّ عقاب تستحقونهُ عليهِ ان تحرموا نصيبكم من الكعك وتوضعوا رُكّعاً في الزاوية »

فاجابها واحد منهم ، معتذراً عن ذنبهِ ومشيراً الى صبيٍ آخر :

— انهُ اغتصبني كتاب روبنصن كروزو

فقال ذاك : هذا كذب وبهتان ! انهُ هو الذي اغتصب الكتاب !

وقال صبيٌّ ثالث : لله ما اشد افتراءك ! أفلست انتَ الذي انتزع الكتاب مني ؟

وكانت ناظرة الملجإ قد بادرت الى تدارك الامر فوضعت حدًّا لصراعهم ونزاعهم. ثم خلت بالاميرة وقالت لها ان ما شاهدتهِ اليوم في الملجإ كثير الحدوث ، مع اتخاذ كل ما يمكن اتخاذهُ من وسائل المراقبة التامة . وذلك لان الاولاد مولعون بالمطالعة ولعاً تفوق الوصف والملجأُ في اشد احتياج الى الكتب

فهاج هذا النبأُ في قلب الاميرة شرارة شعور غريب لم يخطر من قبل ببالها. لكنها رأت انَّ مواظبتها على الافتكار فيهِ مجلبة العناء والقلق فأغفلتهُ وبذلت جهدها في نسيانهِ الى ان زارت ذات يوم رئيس المستشارين وتناول الحديث بعض الشؤون الدينية واعمال البرّ والصدقة فتذكَّرت حادثة ملجإ اليتامى وقصَّتها عليهِ واعادت ما قالتهُ لها ناظرة الملجإ

ولما فرغت من كلامها طرأ على المستشار ما كان قد سبق فطرأ عليها من الشعور بامر غريبٍ غير مألوفٍ . فأعارهُ جانباً من عنايتهِ واهتمامهِ واستصوب ان يبعث ببعض الكتب الى اولئك اليتامى . وتذكَّر انهُ كان قد اشترى ، منذ وقت طويل ، طائفة كبيرة من الكتب لاولادهِ وهي الآن مودعة رفارف المكتبة وبعض الصناديق يغشاها الغبار وتعبث بها ايدي الدثور والبلاء . ولكنهُ لم يشأ ان يتحمل عناء البحث عنها ومشقة جمع شتاتها وارسالها الى الملجإ

وفي مساء ذلك اليوم زار المستشار صديقاً لهُ كان عنوان المروءة والاريحية وكانت حياتهُ كلها وقفاً على إنشاء الملاجيء والمتصدقات ومساعدة لجان البر والاحسان. فروى لهُ ماشاهدتهُ الاميرة في ملجإ اليتامى وما قالتهُ لها ناظرة الملجإ وزاد على ذلك تصريحهُ بعزمهِ على ارسال بعض الكتب ووجوب التضافر على معونة اولئك اليتامى وسدّ عوزهم الادبي . فقال لهُ صديقهُ :

— الخطب سهلٌ الى الغاية ! غداً صباحاً اذهب الى مكتب جريدة « الكورير » واوجّه فيها نداءً الى ذوي النجدة ليبادروا الى ارسال الكتب التي يحتاج اولئك اليتامى اليها

وفي صباح اليوم التالي خفَّ ذلك الاريحيّ الى غرفة مدير هذه الجريدة يحدثهُ بما سمعهُ من صديقهِ المستشار والحَّ عليهِ باسم الانسانية ان ينشر في جريدتهِ النداء المطلوب

واتفق لحسن الحظ أن الجريدة كانت يومئذٍ في حاجة شديدة الى خبر رائع طريف يستوقف نشرهُ انظار قرائها ويشغل ما كان باقياً فيها من الفراغ. فجاس محررها ،

فوره — وانشأ مقالة رنانة في هذا الموضوع عنوانها : « جوع النفوس: بضعة اولاد في ملجإٍ يتامى — يعضُّهم ناب الاحتياج الى الكتب — إن شوقهم إليها اعظم من ان يوصف — لاتنسوا نفوسهم الجائعة ! »

وبعد بضعة ايام ذهب المخبر الى مكتب الجريدة ومعهُ واحد من اصدقائهِ وكان استاذاً للفلسفة الطبيعية . فلقي عند الباب رجلاً رثَّ الملبس وسخ اليدين وبجانبهِ فتاة صغيرة صفراء الوجه نحيلة الجسم وعليها اطمارٌ بالية تكاد لا تكفي لستر عريها وهي حاملة رزمة كتب قديمة . فسألهُ المخبر :

— ماذا تريد يا سيدي ؟

فرفع الرجل قبَّعتهُ واجاب بخشية واحتشام

— جئنا يا سيدي ببعض الكتب للاولاد ذوي النفوس الجائعة الذين كتبتَ عنهم.

وحنت الفتاة الناحلة رأسها وصبغ الحياء محياها المغشى بصفرة فقر الدم . فتناول المخبر الكتب منها وسلمها الى خادم المكتب . وسأل أباها :

— ما اسمك يا سيدي ؟

فاجابهُ بحيرة وارتباك :

— لماذا تروم يا سيدي ان تعرف اسمي ؟

— لا بدَّ لنا من معرفة اسم المتبرع بهذه الكتب لكي نعلنهُ في الجريدة

— لا ارى اقلَّ ضرورة تدعو الى ذلك . فارجو ان تغضَّ النظر عنهُ ولا تعيرهُ شيئاً من الاهتمام . اني رجل بائس ومسكين وواحد من عمال مصنع القبَّعات . فلستُ بمستحقٍ ان يعنى بامري وينوَّه باسمي

قال هذا وانطلق ذاهباً بابنتهِ الصغيرة النحيفة

وبعد ذهابهِ التفت المخبر الى صديقهِ الذي كان بمرأى ومسمع من كل ما حدث وقال لهُ :

— ان وقوع هذه الحادثة في اثناء وجودك معي — وانت استاذ الفلسفة الطبيعية — اخطر ببالي فكر المخاطبة التلغرافية بطريقة جديدة . فالمكتب الرئيسي لهذا التلغراف كان ملجأ اليتامى . والمكتب الذي تسلمهُ كان العامل في مصنع القبعات . فلما اشار الاول مسترعياً الانتباه لبَّاهُ الثاني من فورهِ . وعندما صرَّح ذاك بحاجتهِ بادر هذا الى قضائها . اما نحن الباقين فكنا — كلنا — اعمدة التلغراف !

ترجمة : اسعد خليل داغر

كيف تصلح الامة[1] ؟

ايها السادة والسيدات :

لا يزال الانسان المعروف في التاريخ البشري شبيهاً من بعض الوجوه باخيهِ السابق لعهد التاريخ . لا يزال الانسان ، المتمدن وغير المتمدن ، مسوقاً الى غرضهِ بعاملَين اولَيين هما : الخوف والحاجة. فتراهُ يوماً يصول على اخيهِ ، او على خصمهِ ، دفاعاً عن النفس — دفعاً لشرٍ حقيقي او وهمي — ويوماً يصول طلباً للقوت ، او طمعاً بالقوة

تدرج الانسان في استعمال السلاح

حمل الانسان الوحشي النبّوت في سبيل العيش ، ثم في سبيل الاستيلاء . مضى الى غرضهِ غازياً ، صائداً ،صائلاً ، فعلمهُ الفشل الحيلة ، ولطفتْ من غريزتهِ المشقات والآلام . على انهُ استمرَّ يحمل النبوت حتى بعد ان ادرك شيئاً من السر في امرهِ وشرع يفكر في عواقب عملهِ

بطش في ساعات اليأس فكان قاتلاً او مقتولاً . وصال في ساعات الامل فكان غالباً ، او هارباً ، او مواربا

ادرك الانسان لذة العيش فلجأ الى الحيلة حبًّا بالحياة . ولكنهُ عند ما ادرك ان حيلتهُ الاولى امست سلاحاً بيد جارهِ ، بل بيد خصمهِ ، لجأ الى الفكر يستنبط غيرها

هي درجات في الدفاع عن النفس ، ولك ان تقول في اصلاحها ، لان الفوز في الدفاع معزّزٌ لصاحبهِ . اجل ، قد ارتقى الانسان من النبوت في سلاحهِ الى الحيلة ثم الى الفكر . ولكنهُ ظل مسلّحاً بها كلها لغرضهِ الاكبر ، ثم تسلحت بها الامم لاغراضها

ولكل نوع من هذه الاسلحة تاريخ في التطور والارتقاء. فن النبوت ، الى المدية الصوانية ، الى القوس والنشاب ، الى المنجنيق ، الى الرمح والسيف ، الى المدفع ، الى المدرعة الحربية ، الى الطيارة المدمرة — هو ذا تاريخ السلاح الاول منذ خرج الانسان من الغاب يمشي على رجليهِ الى هذا اليوم

ومن الحيلة البسيطة في الاستيلاء تدرج الانسان الى الحيلة الدينية، فالحيلة الملكية ، فالحيلة الاستعمارية ، فالحيلة الانتدابية

---

(١) القيت هذه الخطبة في حفلة جمعية الشبان المسيحيين بيافا وبالقدس في ابريل ١٩٢٧ وفي حفلة جمعية تهذيب الشبيبة ببيروت في ١١ يناير ١٩٢٨ ولم تنشر قبلا

ومن الفكرة التي فيها خيره فقط ارتقى الى الفكرة التي فيها خير اسرته ، فخير عشيرته ، فخير امته ، ثم الى الفكرة التي فيها خير الانسان على الاطلاق . هوذا تاريخ الثالث من اسلحته في الحرب وفي السلم

اجل ، قد ارتقينا في اغراضنا وفي السبل اليها . قد ارتقينا سلاحاً ، وحيلةً ، وفكراً . وفي هذا الارتقاء المستمر تنمو بذور الاصلاح

اما السلاح الاول ، الذي كان نبوتاً بيد الرجل الاول ، فقد يرتقي الى درجة علميّة هولها لا يطاق ، فيمسي مكروهاً من الامم كلها ، وبالتالي ممنوعاً ، فتخف في الاقل الحروب

واما الحيلة والفكر فيستمران في تطورهما حتى تصبح الاولى سلاحاً بيد الثاني ، وقد خرج من الدائرة الوطنية الى الدائرة الأممية — الى الدائرة الكبرى الشامل خيرها شعوبَ الارض اجمعين

اني ممن يعتقدون ويتيقنون اننا سائرون في هذا السبيل . اجل ، اننا سائرون الى الامام . فمن خيرٍ استمتع بهِ كل قويٍّ من رجال الغاب ، الى خير استمتع بهِ الكهان ، الى خيرٍ كان محصوراً بالامراء والملوك ، الى خيرٍ احتكرتهُ الامة او الشركة التي كانت اقوى من سواها ، الى الخير الاكبر الذي سيشمل الامم كلها جمعاء

ولكننا لا نصل الى هذه المحجة الا بالاصلاح الذي فيهِ الصلاح والرقي ، اي الاصلاح الذي يقرن النشوء الطبيعي بالتطور الاجتماعي ، وبالارتقاء الخلقي

***

ان في الشرق اليوم اثراً للتطور الاجتماعي ظاهراً اكثر من سواه . اما النشوء الطبيعي الذي فيهِ القوة المادية ، والارتقاء الخلقي الذي فيهِ القوة الادبية ، فلا يزالان مقيدين بكثير من التقاليد والعقائد التي لا تلتئم وروح الزمان

اسباب التقهقر

واذا ما بحثنا اسباب التقهقر في الامم الشرقية اجمالاً وجدنا اهمها في ثلاثة هي : الجهل ، والكسل ، والادعاء

الجهل اولاً وهو الظلمة بعينها . الجهل هو الظلم وهو العبودية . هو التعصب والخرافة . هو الطاعة العمياء وهو الاثرة الاثيمة . هو الخوف ، والجبن ، والمذلة

الكسل ثانياً وهو الجمود بعينهِ . الكسل هو القناعة والفقر ، هو المرض والشقاء ،

هو الخداع — خداع النفس — والاستسلام ، والخمول

اما الادعاء فهو في تلك المظاهر الاجتماعية التي تكاد تكون محض شرقية ، اي مظاهر الفخفخة والابهة والمجد الباطل . الادعاء ! انما هو في الالقاب التي تعشقها ، وفي المقامات التي نقدسها ، وفي الوجاهات التي نبذل من اجلها المال والشرف ، وفي العظمة الجوفاء التي يرتدي كل رئيس رداءها وان كان بالياً مرقعاً

اني اسمعك تقول : ولكن في الشرق اليوم نهضة عامة سياسية واجتماعية . لست منكراً ذلك . فقد بدأت تنقشع غيوم الجهل والكسل. وقد شرع المصلحون المجددون يحفرون تحت صروح الادعاء . هذا صحيح

ولكننا لا نزال في بداية العمل ، ولا نظام فيهِ ولا تنظيم . بل نحن الآن خلال العمل جزء من الفوضى العامة . نرى الشرق القديم ، وقد تفلت من قيودهِ ، يسير يوماً مع التيار ويوماً يرجع الى الوراء . ونرى الشرق الجديد ، وقد بدأ يدبُّ ويدرج ، متلهياً بلعبهِ الجديدة العجيبة — بتقرير المصير ، والاستقلال ، والبرلمان ، والدستور

قد يكسّر الشرق هذه اللعب الجديدة ، ويعود الى تلك القديمة . ولكنهُ لا يستطيع ان ينبذ هبة الزمان وقد جاءتهُ من يدَي العلم والتمدن، وهي منذ نصف قرن تغالب فيهِ الجهل ، والكسل ، والادعاء

التحول في الشرق

على ان الشرق لا يزال في حال التحوّل . وانهُ ليصعب على ادق المراقبين نظراً ان يرى ما في المستقبل من عوامل الرقي ، او يتكهن ببعض ما تكنّهُ الايام من اشكال الاحكام

أما ان الشرق قد نهض من سُباتهِ ، وفتح منهُ البصر والبصيرة ، فما لا شك فيهِ وأما ان الاوربيين في الشرق اليوم راضون بذلك فما لا اجزم بهِ

ان بين الفريقين اليوم خصومة شديدة سوف تسفر — وهذا هو عندي في منزلة اليقين — عن امرين ، اولهما : اعتراف الاوربيين بحقوق الشرقيين السياسية والاقتصادية في بلادهم ، والثاني : هو احترام الشرقيين للاوربيين كتجار ، واخصائيين ، ورسلٍ للعلم والمدنية

اما الحالة الحاضرة في الشرق، من الصين الى فلسطين، فهي التي وصفتها بالتحول. ان في الشرق اليوم من النزعات السياسية الجديدة ، والنعرات الدينية القديمة ،

والعصبيات ، والقوميات ، والتحزبات ، ما تضطرم اضطراماً عمياً بل تشتعل كلها في بركان واحد هو بركان الوطنية

وفي الشرق المدارس ومعاهد العلم تُعَدُّ بالمئات ، وكذلك الصحف والمجلات . وفيهِ المطابع تطبع الكتب الحديثة ، الادبية والتاريخية والعلمية . وفيهِ اندية الادب والالعاب الرياضية والسيارات ، ودور الصور المتحركة ، والرقص والمحاضرات ، وفيهِ الشركات المالية لاستثمار المشروعات الوطنية . وفيهِ ايدٍ تغزل وتنسج ، وايدٍ تصنع القنابل والبارود

ان النار والنور يتباريان في الشرق اليوم . ولكن في تلك النار كثيراً من الحطب الاخضر ، وفي ذاك النور كثيراً من الدخان

الحطب الاخضر وما ادراك ما هو ؟ هو النقص في خُبر الزعماء وفي اخلاصهم . هو الهوس الطائش والتعصب الاعمى في الجموع المتألبة . هو تزلف الرؤساء الدينيين من اولي الامر الاعلى وتضحيتهم بمصالح الامة في سبيل مصالحهم الخاصة . الحطب الاخضر الذي يحجب دخانهُ النور انما هو الجهل والخوف ، والحاجة والرياء ، والجبن والنفاق ، والاثرة والادعاء

هي حال الشرق اليوم . نار تتأجج ونور يكاد يخنقهُ الدخان . هي حال الشرق الاقصى والادنى ، من الصين الى فلسطين

وكيف تُصلح هذه الحال ؟ كيف تتخلص من الحطب الاخضر فيصفو النور ، وتبدو سبُل الهداية قويمة جلية للناس ؟ وبكلمة اخرى كيف تُصلح الامة ؟

***

أشرت فيما تقدم الى تدرج الانسان في سلاحهِ ، دفاعاً وهجوماً ، من النبوت الى الحيلة الى الفكر . وهو لا يزال في سبيلِ الاصلاح يلجأُ الى النبوت ، الى القوة . على ان هناك طريقة اخرى غير الثورة مثلاً ، وهي طريقة التطور الطبيعي ، بل طريقة الفكر وكل ما يتناولهُ من اساليب التعليم والتهذيب

التورة الفكرية والثورة السياسية

اية الطريقتين أفضل ؟ قد تعلمون، ايها السادة والسيدات، اني فيما اكتب واقول حاملٌ على القديم البالي ،والقديم الفاسد ، من العقائد والتقاليد. اني اطلب انقلاباً عامًّا في الحياة الشرقية ، ولست فيما اطلب سياسيًّا . انما طريقتي ادبية ، تهذيبية ، روحية

نعم ، اني ادعو الناس الى ثورة فكرية تذهب بما في الاخلاق، والعادات، والتقاليد ، والعقائد من فساد وسخافة وعفونة وضلال . الثورة الادبية قبل الثورة السياسية . والثورة الروحية قبل الثورة الاجتماعية . « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » فالمرء الذي يثور على ما ورث من الاجداد ، مما كان فاسداً اصلاً ومما افسدهُ الزمان ، فيصلحهُ ، او ينبذهُ هو هو الذي يحق لهُ ان يثور اذا اقتضى الامر على الحكومة

وان هذا الرجل اذا خدم في الحكومة فهو يخدم الامة اولاً وآخراً . ان هذا الرجل وامثالهُ ليشعرون بما عليهم من واجب الخدمة للوطن

ولكن هذا الشعور الوطني السليم لا ينتشر في الامة ويعم الناس الاَّ بواسطة التهذيب الراقي والتربية الوطنية الحقة . هي ذي اسباب الاصلاح الدولي . على إننا نرى ، اذا ما جئنا نحدد الخدمة الوطنية والتهذيب الراقي ، ان النظر فيهما يختلف اختلاف المبادىء والنزعات السياسية والدينية

ما هو التهذيب الراقي

سأنتقل من التعميم الى التخصيص توصلاً الى الحقيقة الجلية التي يسهل فهمها والعملُ بها . وسأقتصر في البحث على هذه الامة ، امتنا العربية ، بل على اجزائها الشمالية الواقعة تحت الانتداب

قد تعددت المدارس وتنوعت في هذه البلاد السورية اللبنانية الفلسطينية . ولكل نوع منها خطة في التعليم ، ومبدأ في التهذيب ، لا يتفقان اجمالا ومنهج غيرها . انما المدارس مثل المعابد في البلاد لها صبغة دينية او مذهبية ، فلا يجوز والحال هذه ان نفترض ان التهذيب الراقي هو واحد فيها كلها ، او انها كلها تعلم مبدأً واحداً فيما هو واجب الخدمة للوطن

سأعود اذن الى الاوليات ، الى الالف باء في الوطنية ، والى ما نحن فيهِ اليوم من حقائقها الواقعة

الشعور الوطني

ما هو الشعور بواجب الخدمة الوطنية ؟ اني قبل كل شيء اقول ان خدمة الوطن لا تجيء صافية الاَّ من ابناء الوطن . ولكن شعور هؤلاء بواجب الخدمة يتنوع اليوم اصلاً ، ويتفاوت شدةً ، واخلاصاً ، وعمقاً . فمن الشعور السوري، الى الشعور

اللبناني ، الى الشعور الابتدائي — ومن الشعور العربي ، الى الشعور الصهيوني ، الى الشعور الانكليزي — بل من الشعور الفاتر العام ، الى الشعور الحاد الخاص ، الى الشعور المتقطع المصطنع — من الشعور بالمنفعة ، الى الشعور بالعجز ، الى الشعور باليأس — هذي هي انواع من الشعور الوطني عندنا . بل هي درجات فيما يصح ان نسميه مرض الامة العصبي

الخدمة الوطنية

اما الخدمة الوطنية فقد تكون سياسية ، او ادبية ، او اقتصادية . فمن ذا الذي يشعر اليوم بوجوب الخدمة السياسية التي تستقيم فيها مصلحة الوطن قبل كل شيء — مصلحة هذه البلاد واهلها اولاً وآخراً ؟ ان هناك من يشعرون ولا شك هذا الشعور ، ولكننا لا نجدهم بين الذين يشتغلون اليوم بالسياسة

ومن ذا الذي يشعر بوجوب الخدمة الادبية التي لا يشوبها شائب من قديم النعرات ، وذميم التعصبات ؟ من ذا الذي يشعر بوجوب التنزه في الآداب عن السياسة المحلية او الخصوصية ، وعن العصبية الدينية او الاقليمية ؟ ان هناك افراداً يشعرون ولا ريب هذا الشعور ، ولكن نفوذهم اليوم لا يتجاوز دائرةً من العمل ضيقة النطاق

الخدمة الاقتصادية

اما الخدمة الاقتصادية ، واهم ما فيها الزراعة والصناعة ، فكلنا نشعر بواجبها ، وكلنا ننشدهُ ، وقلَّ فينا من لا يترفع على العمل بهِ . قلَّ فينا غير العاجز والمتحذلق . فما زال القلم اسهل استخداماً واشرف — في نظر الشبيبة المهذَّبة — من المعول والنول ، فكلنا ادباء وشعراء وسياسيون . كلنا وطنيون مصلحون — وطنيون على المنابر ، مصلحون على صفحات الجرائد ، مدبرون امور الدولة — امور الدويلات ! — بالفكر الثاقب — وقضيب الخيزران !

ليس بين الامم الكبيرة والصغيرة ، الشرقية والغربية ، امة قوَّالة مثل هذه الامة السورية . والكلام منفذ من منافذ الخطر . لذلك لا يخشى علينا من الانفجار الكلي العام مهما اشتد الضغط ومهما تعددت النكبات . ان مثلنا مثل ذاك الاعرابي الذي قيل لهُ : ان الدولة الفلانية تصول على العرب فغضب وقال : والله لاهجونَّها بقصيدة

اننا ايها السادة والسيدات ، لمن افصح الشعوب لساناً ، واغناهم بياناً . فلا عجب اذا كثرت في بلادنا المهن « الحرة » اي المهن الهينة . لاعجب اذا كثر فيها الادباء

والمحامون ورجال الدين . وكلهم يسارعون الى خدمة الامة . كلهم يدعون حبها . كلهم يتبارون ، يتفانون في سبيل اسعادها ! ولكنهم ، غفر الله ذنوبهم ، اخطأوا السبيل . فلو حملوا المعاول او البنادق لكانوا اخلص وأشرف في عين الله والناس . الامة ! من اجل الامة ! والامة المسكينة تسلي نفسها بالاشعار ، وتضمد جروحها بالمقالات السياسية . الامة المسكينة تعيش شاكية شاكرة في ظل الانتداب ، وفي ظلال اطلال الثورة

اما الذين يشتغلون بالسياسة ، ويظنون انفسهم وطنيين يقومون بواجب الخدمة للبلاد ، فاننا اذا امطنا اللثام عن المقاصد والاسباب ، نرى تلك الخدمة محصورة بواحدة او اثنتين من مصالح ثلاث ، اي المصلحة الشخصية ، والمصلحة الطائفية او الحزبية ، والمصلحة الانتدابية . اما الذين يتنزهون من السياسيين عن الشخصيات — وهناك نفر من هؤلاء الافاضل — فهم يظلون مستمسكين باهداب الطائفة ، عاملين لخير الطائفة ، ولك ان تقول لخير العشيرة ، قبل خير الوطن . انما الطوائف اوطاننا

اجل ، اننا اغنياء حتى في الوطن — عندنا منهُ اوطان ! وكل واحد منها يختص بفريق من الناس دون سواه . صكّه مسجّل في المقام الديني الاعلى ، وموقّع في باريس ، او في لندره ، او في جنيف

وهناك اصحاب من وقع الصك ، ومن صدق التوقيع ، اصحاب « محرر المقاولات » واصحاب اصحابه . وهناك خصوم صاحب الصك ، وخصوم خصومه . اناس لا يرون في واجب الخدمة الوطنية غير المطاعن ، وتزييف الحقائق ، وإثارة النعرات القديمة . واناس — واكثرهم من الشبيبة المتفرنجة — لا يرون في واجب الخدمة غير التكلم بلغة اجنبية ، ولبس البرنيطة ، وتعفير الوجه — وجه النفس — امام « محرر المقاولات » وامام اصحابه ، واصحاب اصحابه

هذا هو الظاهر والباطن من حقيقة الخدمة الوطنية ، ومن الشعور بواجب الخدمة . انها لحالة محزنة مؤلمة . ولا يغيرها في الحال احد من الناس ، ولا جماعة من الناس . لا يغيرها غير جيل جديد يتلقى العلم في مدارس وطنية عمومية ، ويتربى تربية جديدة . لا يغير الحال ، فيسلم شعور الامة ، ويستقيم فيهم الشعور بالواجب ، وتصفو الخدمة الوطنية ، وتنجو البلاد من براثن الفوضى والفساد ، غير التهذيب الراقي

[التتمة في الجزء القادم] امين الريحاني

العلم والمباحث النفسية

موقف العلماء — نظر تاريخي

للسر اوليفر لدج

ان تاريخ العلم حافل بكل ما هو جدير بالاعجاب من ثمار الابتكار والابداع حفوله بكل ما هو غريب من آثار المحافظة والتقليد والتقييد . ففي كثير من فروع العلم ترى ان بعض المذاهب يبقى مسيطراً على العقول رغم تناقضه مع المباحث التي تجدّ ويُحسب كل خروج عليه من قبيل التعدي على ما هو كائن مكان الاجلال والتعظيم . ولقد تحتم على دعاة الحق في كل عصور التاريخ ان يصبروا على عواصف تهب في وجوههم من النقد اللاذع لا بل من الاضطهاد القاسي آناً والسجن والاستشهاد آونة اخرى . فعلماء التشريح اضطروا الى ان يجروا مباحثهم في معزل عن سمع الجمهور وبصره والنبأ باكتشاف دورة الدم قوبل بكثير من الاعراض والنقد . ومكتشفات غليليو كانت موضع الهزء والانتقاد حتى ان اساتذة العلوم رفضوا ان ينظروا بنظارته الى الاجرام السموية لانهم كانوا يعتقدون ان ما يرونهُ فيها وهمٌ في وهم . كذلك اهملت النظريات والحقائق الواقعية معاً واتهم روجر باكون بانهُ مشعوذ افاك . ولا نزال نذكر ما كان مصير مكتشفات جول في حفظ القوة من الاعراض والاهمال في القرن التاسع عشر ! وكيف نبذت الجمعية الملكية الرسالة الاولى التي بيّن فيها صاحبها ان دقائق المادة متحركة . حتى وليم رمزي واللورد ريلي لم يلقَ نبأ اكتشافهما لغاز الارغون كثيراً من الترحيب لانهُ كان قد ثبت في عقول العلماء ان كل المواد التي يتألف منها الهواء قد عرفت وقيست مقاديرها

وعليهِ لا ارى مكاناً كبيراً للدهشة والاستغراب اذا نظر العلماء شزراً الى مباحث السر وليم كروكس في الظواهر النفسية وارتابوا في نتائجها قائلين انها خارجة عن نطاق العلم . ولا تزال هذه المباحث ونتائجها معرضاً للريبة الى هذا اليوم . وبعض السبب في ذلك يرجع الى ان المباحث نفسها واكثر نتائجها نادرة في بابها غريبة عن كل ما عرفهُ البشر من قبل . لذلك عُني السر وليم كروكس بابتكار تجارب ميكانيكية مختلفة بسيطة منها ما يثبت التغير في وزن الاجسام حين تحركها تلك القوة الخفية . وكان يرجو ان يقبل بعض اعضاء الجمعية الملكية امتحان هذه التجارب ووسائلها ونتائجها . ولكنهم

بقوا متمسكين بعلمهم فلم يقبلوا ان يحضروا اجتماعاً عرضت فيه

قد يصعب علينا الآن ان نصدّق ان الطريقة التجريبية في توسيع نطاق المعرفة وامتحان ظواهر الطبيعة والحياة ليست طريقة قديمة . ولكن فرنسيس باكون كان من اكبر مذيعيها وغليليو من اوائل العاملين بها وكان الجمهور من عامة وعلماء ينظر اليها اولاً نظرهُ الى بدعة غير لائقة . وخصوصاً لان بعض النتائج التي وصل اليها الباحثون الذين جروا عليها كان يغاير او يناقض كثيراً من التعاليم القديمة التي حباها تغلغلها في التاريخ بمظهر من الروعة والاحترام. لاشك في ان اكثر المعارضة لهذه الطريقة جاء من قبل الفلاسفة الارسطيين ومن ذهب مذهبهم من الادباء والكتاب والوعّاظ الذين دافعوا عن التعاليم القديمة اشد دفاع لانهم كانوا يرون ان حقائق الجيولوجيا والفلك لا تتفق معها . وأننا لا نزال نذكر مقاومة بعض رجال الكنيسة لحقائق الجيولوجيا حتى في هذا العصر

ولكن ثبات رجال العلم ونزاهتهم منحاهم الفوز في اكثر المباحث ومكناهم من ان يرفعوا فوق معاملهم ومكاتبهم علم البحث الحرّ ولو قلبت نتائجهُ الآراء القديمة . وقد حاز تطبيق المبدإِ التجريبي في المباحث الطبيعية والكيماوية والبيولوجية رضاء الجمهور واحترامهُ والاتفاق شاملٌ الآن كل العلماء على الحقائق التي يمكن مشاهدتها وقياسها والاختلاف محصور في المذاهب التي تعلل هذه الحقائق فقط . وقد اصبح الباحثون لا يرون الآن شيئاً مقدساً في الآراء العلمية القديمة لا يجوز نقضهُ وانتهاك حرمته اذا كانت المباحث الجديدة تستدعي ذلك لا بل قد تطرف بعضهم في ابتكار المذاهب الجديدة نقضاً للمذاهب القديمة من غير بحث كافٍ او ادلة وافية

والغريب انهُ رغماً عن انبساط ظل هذه الحال على جميع العلوم الطبيعية لا يزال «العلم النفسي» غير مستقلّ واصحابهُ لم يمنحوا بعدُ وثيقة الحرية التي فاز بها اقرانهم في بدءِ النهضة العلمية الحديثة . فان الطريقة التجريبية في المباحث النفسية تعلوها غمامة من التوجّس . والحقائق التي يثبتها رجال اكفاءُ لهم مكانة كبيرة بين رجال الفكر تنبذها الجمعيات العلمية ولا تعنى بامتحانها . ويظهر ان سبب ذلك اعتقاد رجالها انها مغايرة لبناء الكون على ما هو مفهوم الآن ولذلك يرونها خارجة عن نطاق البحث العلمي . ولكن لا بدّ ان يجيء الزمن حين تزول المقاومة الشديدة — تزيلها اذاعة الحقائق واعادة اذاعتها من افواه رجال معروفين بالنزاهة والكفاءة في البحث والتعليل

سعد زغلول

ناظر المعارف والحقانية

في فاتحة القرن الحالي ساد جميع الاوساط والبيئات شعور بان التعليم قد انحط مستواه انحطاطاً عظيماً ، فارتفعت الصيحة من كل جانب بالمطالبة بالعمل السريع على اصلاحه . وكانت هذه الصيحة شأن كل شكوى عامة تصدر من الجمهور ، صيحة غامضة لا تشير الى علاج بذاته بل ولا تحدد موضع داء بعينه ، بل كانت احساساً شاملاً مبهماً بان نظام التعليم باجمعه قد تدهور وبان البلاد اصبحت لا يرجى لها صلاح ما لم يعالج هذا النظام قبل كل شيء سواهُ . ازاء هذا الضغط المتزايد من ناحية الرأي العام لم يجد ولاة الامور بدًّا من ان يعهدوا بشئون التعليم الى رجل موثوق بهِ من الامة يتولى فحص الحالة ويضع لاصلاحها العلاج الملائم ، فكان الرجل المختار لهذه المهمة هو سعد زغلول باشا . ولقد يحسن بنا لادراك خطورة المهمة وتقدير المجهود الذي بذلهُ في سبيل الاضطلاع بها ان نأتي بوصف مجمل لحالة التعليم يومئذ

كان القابض على زمام التعليم في ذلك العهد رجل ان كان لا يصلح لشيء فهو تلك المهمة السامية التي القت بها اليهِ المقادير . فانت تعلم ان أحوج ما يحتاج اليهِ المشرف على التعليم هو بعد النظر وحرية الرأي وطول الاناة وروح التسامح. والمستر «دنلوب» لم ينشأ على هذه الصفات . أضِف الى ذلك حبهُ الاعمى للنظام ، لا للنظام في جوهره ، بل للنظام في مظهره . كان لا يحفل باللب كائناً ما كان ، ما دامت القشرة تعجب العين ملاسة ورونقاً . وكانت هذه الفكرة آخذة عليهِ سبيل كل تفكير ، مستحوذة على جميع مشاعرهِ ، فلم يكن يقبل فيها هوادة ، بل كان لا يرضيهِ في تنفيذها الاّ ان يبطش البطش كلهُ ، وكان بطبعهِ رجلاً شديد المراس ، لا يتقبل من مرؤسيهِ ما دون الخضوع المطلق والطاعة العمياء ، يسرف الاسراف كله في توقيع الجزاءات لغير اسباب ظاهرة ، فاذا تقصيت الاسباب وجدتها ترجع بلا استثناء الى مخالفات تافهة لذلك النظام الآلي الذي اولع بهِ ولوعاً . فلا غرو ان نراهُ ينشر حولهُ جوًّا من الخوف والارهاب كافياً وحده لان يجتثّ من أجرإ النفوس كل نزعة للحرية ويقتل في اشجع القلوب كل رغبة في الاستقلال

وكان اثر نفوذهِ بادياً ملموساً سواء في ديوان الوزارة او فروعها . فاذا دخلت

الديوان لم تأنس فيه دلالة لحياة او حركة او نشاط ، بل تحس كأنك في صومعة من فرط ما يخيم عليه من سكون وخشوع وانقباض . واذا كان هذا شأن الديوان فقل في المدارس ما شئت . وصفوة القول ان همّ الجميع كان متجهاً الى شيء واحد ، الى المحافظة على ادق النظام في كل مظهر مادي : في نظافة الاماكن وترتيب الاثاث ، في حسن زي المدرسين والتلاميذ ، في تنظيم الصفوف وموازنة الحركات ، في تأدية التحية للرؤساء كأدق ما يتطلبهُ النظام العسكري . أما تربية الملكات والعقول ، أما تقويم الاخلاق وتهذيب النفوس ، أما ترقية البرامج واساليب التعليم فكانت أغراضاً ثانوية لا يفكر ولا يجرؤ على التفكير فيها أحد ، واذكر بهذه المناسبة ما سمعته من فم احد المفتشين الانجليز وكان عضواً في اللجنة الفنية الاستشارية التي يرأسها المستشار اذ قال لي في معرض الشكوى : « ماذا تفعل مع هذا الرجل ، وماذا تصنع لترقية التعليم ونشره ، وهو كلما جمعنا لم يتحدث الينا في شيء غير النظام المادي ، فاذا حاول احدنا ان يجر المناقشة الى ناحية من نواحي التربية بمناها الصحيح بادر الى ايصاد الباب في وجهه »

هذا من الوجهة النفسية ، اما من الوجهة العملية فان معاملة الرجل لكل من كان يتوسم فيه سعة في الفكر او استقلالاً في الرأي او تهاوناً في امر النظام كما يفهمهُ هو كان من شأنه ان يحرم وزارة المعارف من كل كفاءة كان يمكن ان تستفيد منها ، وان يضع في الوقت عينه من مكانة مهنة التعليم في اعين النشء حتى انتهى الامر بمدرسة المعلمين الى ان اغلقت او كادت ، وانقضت برهة والقائمون بامر التعليم في درجاته الدنيا جلهم شبان من حملة الشهادة الابتدائية ، وفي درجاته العليا جلهم رجال من الانجليز لا ينتظر بحال ما ان تقوم على اكتافهم نهضة التعليم القومي

تلك بالاجمال كانت حالة وزارة المعارف يوم القيت مقاليدها الى سعد باشا ، فكان عليه « اولا » ان يهدم ذلك النفوذ الذي نشر ظلّهُ على جميع مناحي التعليم ، وكان عليه « ثانياً » ان يضع الاساس لنهضة التعليم القومي ثم يعمل على اقامة صرحه . وكان يزيد في مهمته مشقة وعناء أمران ، اولها : انهُ كان مضطرًا الى العمل للقضاء على ذلك النفوذ تحت عين منشئه وبصره اذ كانت الاحوال السياسية يومئذٍ لا تسمح لهُ بالتخلص من مستشار المعارف ، وثانيها : ان الايدي التي كان مضطرًا الى الاستعانة بها لادراك غرضه كانت ايدياً نشأت في ظل ذلك النفوذ والفت وطأتهُ ، فلم يكن من الهين استخدامها للقضاء عليه

فاذا انت تأملت كل هذه الاعتبارات ونظرت الى ما تهيأ لسعد باشا من النجاح في مهمته، والى السرعة التي استطاع بها ان يصل الى بغيته، دهشت حقاً من ذلك التوفيق السريع البديع ولادركت في لمح البصر ان حياة الرجل في عهد توليه وزارة المعارف ماكان يمكن ان تكون الا كفاحاً عنيفاً، بل حرباً ضروساً، كللت في النهاية بالفوز ولكن بثمن لا يقوم به الا جهاد الجبابرة

ولقد يضيق بنا المقام اذا نحن حاولنا ان نسرد هنا تفاصيل ماكان يقع من المشادات والمجاذبات بين وزير المعارف الحر ومستشارها، فان هذا امر شرحه طويل، فضلا عن ان اكثر هذه التفاصيل لا يزال عالقاً بالاذهان، وجارياً على الالسنة مجرى النوادر والاقاصيص. وانما حسبنا القول بانه لم يمض على تربع الوزير في منصبه الا فترة وجيزة حتى اصبح كل كبير وصغير في الوزارة يحس بان الحال قد تبدلت غير الحال، وبان ارادة غير ارادة المستشار قد اخذت تثبت وجودها، وبان وطأة الكابوس الذي كان جاثماً على الصدور قد اخذت تخف وتنجلي، فلم يبق احد من الراغبين في الاصلاح الا تنفس الصعداء وبدأت الهمم تتحرك والعقول تنشط، واستقر في اعتقاد الجميع ان عهد الارهاب والملق قد تولى، وان الحكم اصبح للصراحة والكفاءة والاخلاص

استعرض سعد باشا حالة التعليم فادرك بذلك النظر السديد، الذي ينفرد به عظماء الرجال والذي تراه يتجه رأساً في كل امر الى اللباب والصميم متخطياً ما عداه من الاغلفة والقشور، ان المعلم وحده هو اساس كل نهضة للتعليم وانه من هذه النقطة يجب ان يبدأ عمل الاصلاح. لم تكن اوجه الاصلاح الاخرى لتغيب عن سعد باشا وعن ذهنه الثاقب، فكان يعلم مثلاً — كما صرح في خطبته الشهيرة في الجمعية العمومية — انه لن تقوم قائمة مذكورة للتعليم القومي ما لم يكن تلقينه باللغة القومية، وان ترقية البرامج ونشر المدارس ومحو الامية كل هذه اغراض مطلوبة لذاتها وشروط لا بد من توافرها حتى تصبح نهضة التعليم جديرة بهذا الاسم. ولكنه كان وزيراً مسئولاً، وكان يعلم ان الطفرة محال، وكان يعلم فوق ذلك وقبل ذلك ان الصرح الشامخ لا يبنى من قمته بل من اساسه، وكان يدرك بنظره النير السليم ان المعلم هو الاساس لكل تلك الاصلاحات الموموقة، وانه الى ان يتيسر لنا العدد الكافي من المعلمين فكل محاولة في سبيل واحد من هذه الامور ضرب من العبث. فلا بدع اذن ان نراه يوجه في اول الامر جل جهوده الى تدبير المعلمين الاكفاء، وقد توصل الى غرضه من طرق

شتى : (فاولاً) سعى حتى اعاد الى وزارة المعارف من كان قد هجرها من افاضل رجال التعليم . و(ثانياً) صرف همه الى احياء مدرسة المعلمين وكانت في دور الاحتضار فعمل على تغذيتها بالنجباء من الطلبة متذرعاً الى ذلك بنظام المجانية الذي كان من مقتضاه قبول التلاميذ المتفوقين مجاناً في المدارس الثانوية على ان يتعهدوا بدخول مدرسة المعلمين عند حصولهم على الشهادة الثانوية ، وبذلك ضمن لتغذية هذه المدرسة عنصراً من اقوى العناصر واصلحها. (وثالثاً) احيى نظام البعثات الى البلاد الاجنبية ليضمن الحصول على مدرسين من طبقة راقية يمكن احلالهم محل الاجانب في المدارس الثانوية والعالية توطئة لجعل التعليم في هذه المعاهد باللغة العربية

بهذه الوسائل غرس سعد باشا بذرة الشجرة التي نستظل الآن بظلها الوارف ونجني قطوفها اليانعة . فاذا كنت اليوم ترى التعليم سائراً في طريق الرقي بخطوات حثيثة ، واذا كنت اليوم ترى الامية تتجاب غياهبها سراعاً كما تتجاب غياهب الظلام امام اشعة الفجر الساطع ، واذا كنت اليوم ترى جامعة مصرية تنتشر تحت لوائها العلوم ويستقي من مناهلها الطلاب ، واذا كنت ترى فوق هذا وذاك اللغة العربية متمكنة مزدهرة في جميع معاهد التعليم — فلا تنس اذ تشاهد كل هذا ان الفضل فيهِ اجمع انما يرجع الى تلك المجهودات المباركة التي بذلها سعد باشا في سبيل اعداد المعلم

ولم يكن سعد باشا وهو يسعى الى هذا الغرض الاكبر ليهمل ما عداهُ من الاغراض فاذا لم يكن قد تمكن من انشاء مدارس جديدة لان حالة الميزانية يومئذٍ كانت لا تسمح بذلك فلقد كان ينتهز كل فرصة ويتذرع بكل وسيلة الى توسيع نطاق التعليم بانشاء فصول اضافية في المدارس الموجودة . والحق ان المقام يضيق بنا عن حصر جميع مآثرهِ على التعليم . فمن انشاء مدرسة القضاء الشرعي ، الى فتحهِ ابواب مدرسة الحقوق للمنتسبين من الخارج ، الى وضعهِ مبدأ التعليم بالعربية وقيامهِ على تنفيذهِ حيثما استطاع الى ذلك سبيلاً — كل هذه اعمال كان لها الفضل العظيم فيما نستمتع بهِ اليوم من نشاط في الحياة العلمية وتقدُّم

وعلى ذكر مدرسة القضاء الشرعي نحب ان نصحح خطأ عالقاً بكثير من الاذهان فيما يختص بحادثة قرع المنضدة في حضرة الجناب الخديوي. لم يكن انشاء هذه المدرسة منظوراً اليهِ بعين الارتياح من جانب الخديوي لاسباب كثيرة لا محل هنا لبيانها والواقع ان نجاح سعد باشا في تنفيذ هذا المشروع كان من اكبر الدواعي لايغار صدر

الخديوي عليه اشد الايغار فلا عجب ان تكون عقباتها ثلة قد اقيمت في سبيله ولكن سعد باشا تمكن بجرأته الغريبة من تذليلها جميعاً حتى لم يبق الا عرض المشروع على مجلس الوزراء برياسة الخديوي لاجازته فرأى سعد باشا قياماً بواجبه وابراء لذمته ان يدافع عنه في حضرة الخديوي وكانت تلك اول مرة وقف فيها وزير في حضرة ولي الامر مدافعاً عن مشروع يعلم عدم رضاه عنه فلما شرع سعد باشا يدلي بدفاعه هال ذلك الخديوي فقال — بما هو معروف عنه من سرعة البديهة ولكي يلبس سعد باشا ثوب المخطىء — : اذا كان الامر كذلك فلا داعي للاطالة ، اني موافق على المشروع. وكذلك تمت المصادقة عليه ولكن الاشاعة انتشرت في الوقت عينه بان سعد باشا اساء الادب في حق سيد البلاد

***

هذا بيان موجز لاثر سعد باشا في وزارة المعارف. اما عن اثره في وزارة الحقانية فان دقة نظام هذه الوزارة واتقان عملها وما كان للمحاكم وللقضاء في نفوس الناس من رفيع المنزلة وعظيم الاحترام — كل هذا ما كان ليستدعي منه اذ تولى وزارة الحقانية مجهوداً خاصًّا ، بل كانت سيرته فيها كأقوم سيرة لاعدل وزير في وزارة قويمة ، لذلك نكتفي بكلمة صغيرة عن حادثة له في تلك الوزارة تكشف لك عن عبقرية الرجل واستقلال رأيه وشدة حرصه على اقامة ميزان العدل

كان المتبع ان يعرض المفتش بلجنة المراقبة القضائية ما وصل اليه بحثه في بعض الاحكام التي صدرت في بعض القضايا على اللجنة مجتمعة . ولجنة المراقبة هذه تضم — كما هو معروف — جميع المستشارين الملكيين ووكيل الحقانية والنائب العمومي وجميع مفتشي الحقانية القضائيين فتتولى بحث القضية حتى اذا انتهت الى رأي وقررت ان القاضي قد اساء التصرف او لم يحسن تطبيق القانون حررت خطاباً يرسل اليه مبيناً وجهة نظر اللجنة ومنبهاً بعبارة جافة تتضمن لفت نظره الى الامر . وكانت العادة قد جرت بان امثال هذه الخطابات ترفع الى وزير الحقانية فيمضيها فوراً بلا أخذ ولا رد

فلما تولى سعد باشا وزارة الحقانية ورفع اليه اول خطاب من هذا القبيل ثار ثائره ، وقال : انه لن يقبل بحال من الاحوال ان يمضي خطاباً بهذا الشكل. وكانت حجته انه يرى كفتي الميزان في هذا التصرف غير متعادلتين فهو من الجهة الواحدة يرى ان

الطرف الملوم هو قاض مثقل باعباء العمل مكدود الذهن مشغول الوقت يمضي حكمه في قضية من بين مئات القضايا التي يحكم فيها ، ويرى من الجهة الاخرى الطرف اللائم هو اولاً مفتش الحقانية وثانياً اعضاء لجنة المراقبة وكلهم من اساطين القانون وجهابذة الفقه يتناولون هذا الحكم الذي اصدره القاضي في زحمة العمل فيجعلونه محل البحث الدقيق في فسحة من الوقت وصفاء من البال وتمكن من الرجوع الى مختلف المراجع والمطوّلات فاذا فرض جدلاً ان القاضي كان حقيقة قد اساء التصرف أو اخطأ وجه الصواب فان له من الظروف المحيطة به شفيعاً للمعذرة ، وان لم يكن بد من لومه فلا يجوز بحال ما ان يوجه اليه اللوم في خطاب رسمي يمر على مرؤسيه ويشهر امره في المحكمة فيلحق بهيئة القاضي من الاذى مالا تحمد عقباه . هذا كله على فرض ان القاضي كان في الواقع مخطئاً ، ولكن قد يتفق — وهو امر سهل الاحتمال — ان تكون المسئلة مجرد خلاف في وجهة النظر بين القاضي واللجنة ، كما قد يتفق ان يكون القاضي متأثراً في حكمه باعتبارات داخلية لم ير أو لم يستطع تفصيلها في حكمه ولكنه اذا ابانها جعلت الحق في جانبه ، فكيف يصح اذن لومه قبل ان يسمع دفاعه

لهذه الاعتبارات كلها رفض سعد باشا ان يتبع ما كان يتبعه اسلافه ، وقال : « أما ان أمضي خطاباً كهذا فلا ، ولكني أدرس المسئلة فاذا اقتنعت برأي اللجنة فاني مع ذلك لا أسارع الى لوم القاضي ولا اعرضهُ للاهانة على مشهد من مرؤسيه ولكني بصفتي شيخ القضاة استدعيه الى مكتبي واسمع دفاعه . فاذا اقنعني بصحة رأيه أعطيته الحق ، والا وجهت اليه من اللوم الشفاهي ما يكون أبلغ وقعاً الف مرة من كل لوم كتابي مع اتقاء محذوره » . وجرى الباشا فعلاً على هذه الطريقة وقد اتفق ان ظهر لهُ الحق في جانب القاضي فانصفه

هذه الحادثة تميط اللثام عن كثير من مناقب سعد باشا ولكن اجلّ ما تكشفه في نظري استقلاله في الرأي وتحرره من ذلك الوهم الذي هو اكبر عقبة في سبيل التقدم والاصلاح — اعني عبادة المواصفات والاصطلاحات — لم يكن سعد باشا يحترم اصطلاحاً لانه اصطلاح فحسب أو يقرّ عرفاً لانه عرف فحسب ، بل كان يسلط عليهما من ذهنه نوراً فاحصاً فان وجدهما مطابقين للمعقول اقرهما لهذا الاعتبار وحده ، والا نبذهما كما ينبذ المرء الرداء البالي

فؤاد كمال

البدل

لفرنسوى كوبه

كان ابن عشر سنين لما قُبض عليهِ عيَّاراً بطالاً . وهذا ما قالهُ للقاضي :

« ان اسمي جان فرنسوى ليتور . وقد قضيتُ ستة أشهر مع المغني في قهوة الباستيل . لكنهُ كان سكّيراً خليعاً . اساء معاملتي وسامني ما لا يطاق من ضروب الإعنات والارهاق . وكثيراً ماكان يروغ على حرّ وجهي بالضرب ، تارة لطماً وطوراً لكماً ولدماً فتركتهُ وهمت على وجهي لا ادري أين اذهب . واتفق ان الشرطيّ لقيني البارحة فاعتقلني وجاء بي اليك . وقد عشتُ يتيماً لا اعرف ابي . وكانت امي غسّالة واسمها اديل . فعطفت عليَّ وعنيت بي . وفي ايام الآحاد كانت تستعجلني في المساء ان آوي الى مضجعي لكي تتفرّغ للذهاب الى المرقص. أما في ايام الاسبوع فكنت اذهب الى مدرسة الفرير حيث تعلمتُ القراءة . وحدث بعد ذلك ان رجلاً تعرّف بها وتزوجها . وكان زواجها شؤماً عليَّ . فان هذا الرجل ابغضني وسعى بي الى امي واوغر صدرها عليَّ واخذا كلاهما يسرفان في شتمي وضربي . وكنتُ اقضي اياماً خارج البيت هرباً من اضطهادها لي . ثم أُصيبت امي بمرض عضال فماتت واصبحتُ لطيماً . ولجأتُ الى ذلك المغني الذي سبق ذكرهُ . فهل انت عازم على الحكم بسجني ؟ »

هذا السؤال وجههُ الى القاضي مفرغاً في قالب الاستخفاف . وكان قزماً اشقر الناصية رثّ الملبس زريّ المنظر . وإذ لم يتقدم احد لكفالتهِ والعناية بهِ أمر القاضي بإرسالهِ الى سجن الاحداث

وكان قليل الذكاء وعلى جانب كبير من الكسل. فلم يتعلَّم من الصنائع التي يتدرَّب عليها المسجونون سوى إصلاح الكراسي . لكنهُ كان سهل الانقياد مطبوعاً على الهدوء والسكون . وعدوى الفساد التي سرت اليهِ من بقية الاحداث لم تكن على اشدّها . وبعد سبع سنين خرج من السجن واستأنف التطويف في شوارع باريس حيث وجد لسوء الحظ كثيرين من رفقائهِ في السجن وهم من شرّ الفتيان أخلاقاً وآداباً . فانقاد اليهم وجاراهم في ارتكاب المعايب والمآثم فاعتقل مرة ثانية وحكم عليهِ بالحبس سنة في سجن سان بيلاجي حيث جُعل خادماً للمسجونين السياسيين

وبعد انقضاء السنة عاد الى ماكان عليهِ قبلاً من الطواف والتجويل في شوارع باريس

ولكن تحت مراقبة الشرطة (رجال البوليس) . وقضى في هذه البطالة سنتين يلبس اقذر الثياب وارثها ويتبلغ باسخف الاطعمة وينام في أخشن المراقد واجفى المضاجع . ثم قُبض عليهِ متهماً بمشاركة بعض البُلّهل الذين على شاكلتهِ في سرقة السكارى وهم نيام في زوايا الشوارع . فأنكر التهمة وتنصّل منها اشدّ التنصّل وقد يكون صادقاً في ادّعاء البراءة ولكنّ سوابقهُ قامت مقام البيّنة عليهِ فأرسل الى سجن پواسي حيث قضى ثلاث سنين . ولما انتهت هذه المدة رجع الى باريس. وبعد ستة اشهر حوكم بتهمة الاشتراك في سرقة وحُكم عليهِ بالاشغال الشاقة خمس سنوات في سجن طولون حيث لقي الامرّين من عناء الاشغال التي أُرغم على مزاولتها في هذه المدة الطويلة معرّضاً في الصيف لحارّة القيظ وفي الشتاء لصبارّة البرد

ولدى انقضائها أُرسل تحت المراقبة الى قرنو . ولكنهُ تمكّن من الهرب من منفاهُ وجاء الى باريس . ولم يكن معهُ سوى ٥٦ فرنكاً . فقال في نفسهِ : «هذا المبلغ يكفيني مؤونة التكدية والتسوُّل ريثما أجد عملاً اتعاطاهُ » . وكان من حسن حظّهِ أنّ شمل رفقائهِ عشراء السوء تشتت في غيابهِ فلم يعثر على واحدٍ منهم . وبذل جهدهُ في التواري عن عيون رجال الشحنة (البوليس) واقام في غرفة حقيرة استأجرها من عجوز فقيرة قال لها انهُ واحد من بحّارة سفينة غرقت وذهبت بامتعتهِ وادراقهِ ، فنجا بنفسهِ وجاء يطلب عملاً يزاولهُ . واستعان على تأييد صحة دعواهُ بتلويح الشمس لوجههِ وجُسوء يديهِ (خشونتهما من العمل) واستخدامهِ في كلامهِ لبعض الجمل والعبارات الجارية على السنة البحّارة وكان قد اقتبسها منهم في سيناء طولون

وحدث ذات يوم أن نفسهُ سوّلت لهُ الخروج من مخبئهِ والإقدام على التجويل في الشوارع . وانتهى بهِ التطواف الى حي مونمارتر مسقط رأسهِ . ولسببٍ خفيٍ يجهلهُ رأى نفسهُ واقفاً امام باب مدرسة الفرير حيث تعلّم القراءة .وكان اليوم شديد الحرّ والباب مفتوحاً . فوجّه هذا الطريد الشريد نظرهُ الى داخل المدرسة واذا كلّ شيء فيها باقٍ على عهدهِ بهِ ، من غير ان يطرأ عليهِ اقلُّ تحوُّل . وبعد ما فرغ جان فرنسوى من التأمل في كل ما وقع تحت نظرهِ رفع عينيهِ عفواً بلا تروٍّ الى لوح مرقوم عليهِ الآية الآتية من الانجيل كقاعدة للكتابة : « يكون فرحٌ في السماء بخاطيء واحد يتوب اكثر من تسعة وتسعين بارًّا لا يحتاجون الى توبة »

قرأ هذه الآية والتفت الى التلاميذ فرآهم جالسين تكتنفهم الغبطة والمسرّة

ويرفرف عليهم السلام بذيوله وحواشيه . ثم نظر الى نفسه مدفوعاً بعامل داخلي لم يشعر به قط من قبل . فتمثلت امام عينيه حقيقة حاله . وكاد يلمس بيده شدة قساوة قلبه الذي ظل هذه السنين كلها على صلابته ولم تحدث فيه مرارة العناء والعذاب اقل اثر من الرقة واللين . وهذه التأملات أخطرت على باله ايام طفولته فطار اليها على جناح التصور. ثم اغمض عينيه وانغض رأسه وسار يقرع سن الندم ويتعثر باذيال الغم والاسف

وما عتم ان تذكر الكلمات المكتوبة على اللوح فناجى نفسه قائلاً : — « هل قضي الامر ولات ساعة مندم ؟ ألم يبق في استطاعتي ان انهج كباقي الناس سبيل الاستقامة وآكل خبزي بعرق جبيني وانام ملء جفوني لا تنيخ عليّ الكوابيس بكلاكلها ولا تروّعني الرؤى والاحلام ؟ ان حجاب تنكري اكثف جداً من ان تخترقه عيون الرقباء والجواسيس ومعرفتي اصبحت خافية كل الخفاء على الشرطة . فانا في مأمن من هذا القبيل . وجهد البلاء الذي عانيته في الاشغال الشاقة أفادني وأنشأ فيّ قوة على تحمل المشاق يحسدني عليها اشد العمال ساعداً واصلبهم عوداً . هذه اعمال البناء قائمة على قدم وساق في جميع انحاء المدينة . والبناؤون في حاجة الى فعلة اقوياء يتسلقون الحبال وعلى ظهورهم اثقل الاحمال . واجرة العامل في اليوم لا تقل عن ثلاثة فرنكات!! ولم اظفر قط باجرة مثل هذه . وغاية ما أتمناه ان انسى ما كنت عليه واعلل نفسي بحسن مآل اصير اليه »

على هذا الامر عقد عزيمته وامضى اليه مطايا الهمة بملء الامانة والاخلاص . وبعد ثلاثة اشهر تغير تغيراً تاماً عما كان عليه قبلاً وصار رجلاً آخر متجدداً في أخلاقه واميالـه وعدّه المقاول الذي استخدمه افضل عامل عنده . فكان يقضي نهاره كل يوم على « صقالة » البناء متعرضاً لثوران النبار وهجان الشمس ويتناول ممن تحته نقير الطين او الاجر او الحجارة ويناوله لمن فوقه . وفي المساء يذهب ليتناول عشاءه في مطعم رخيص وهو منهوك القوى ومرهق الاعضاء ولكنه طيب النفس ومنشرح الصدر غير موجس اقل خوف من رجال الشحنة لانهم قلما ينظرون بعين الاشتباه الى العمال الدائمين في مزاولة الاعمال الشاقة . وسره جداً انه بات في امان واطمئنان يتملى النوم الثقيل شأن اللاغبين المتعبين وانه اصبح حراً طليقاً

واسعده الحظ برفيق يعمل مثله في صناعة البناء اسمه سافينا . وهو فتى ريفي جاء باريس متأهباً للعمل وعاقداً عزمه على التزام خطة الصحو والصلاح واجتناب كل ما

يغاير الادب ويضرّ بالصحة . فأنس جان فرنسوى بصحبته وطاب نفساً بصداقته واحبهُ لتقواهُ وامانته وطهارة سريرته . واقام هذان الصديقان معاً في غرفة حسنة الرياش والاثاث. ولقلة دخلهما اضطرا ان يستعينا على دفع اجرة الغرفة بقبول شخص ثالث معهما من غرب فرنسا اسمهُ هنري

وتوثقت عرى الالفة والصداقة بين هذين الرفيقين وقضيا ايامهما كلها مصطحبين لا يفارق احدهما الآخر . ففي ساعات العمل كانا يشتغلان معاً . وفي اوقات الفراغ ، ايام الآحاد والاعياد، كانا يتنزهان بالتجوال في ضواحي باريس ويستمتعان بلذة المنادمة والمسامرة .وشعر جان فرنسوى بنشوء افكار جديدة فيه لم يعرفها من قبل ولاخطرت لهُ ببال.فطفق يسرُّ ويبتهج بكلّ ما ينظرهُ ويسمعهُ ويروّض عقلهُ بتعلمه والاستفادة منهُ

ولكنَّ شيئاً واحداً اقلقهُ واقضَّ مضجعهُ وهو خوفهُ من وقوف ساقينا على شيء من ماضيه . وكان يغيظهُ جدًّا ان يبدر منهُ ، من وقت الى آخر، بعض التعابير الحوشية والالفاظ البذيئة التي يكثر ورودها على ألسنة اللصوص والرعاع . فكان ينطق بها على غير انتباه فتجيء ممثلة لحالة حياته السابقة وراسمة لصور نقائصها وعيوبها ومجرّعة لهُ مرارة آلام يشعر بها كلُّ من تنتقض جراحهُ قبل الالتئام . وكان يزداد اضطراباً كلما آنس في ساقينا تنبهاً جديداً الى امر غريب لم يحفل به من قبل . وفي مراقبته لهُ من طرف خفيّ رآهُ يعنى بمكافحة تجارب المسرّات التي يستهدف لها الشبان في باريس ويبذل جهدهُ في مقاومتها وعصيان داعي النفس اليها ولكنهُ لا يضمن غلبتهُ عليها . وكان كلما استطلع جان اسرار باريس وخفاياها يتجاهلها ويتلطف بتغيير موضوع الحديث وقلبهُ صالٍ لظى القلق من جهة مستقبل صديقه

ولم يكن قلقهُ هذا وهميًّا بلا مسوّغ . فان ساقينا لم يبق على سذاجته الريفية ومناعته الفطرية كما كان عند ما جاء الى باريس بل اصبح متعرّضاً لتجارب مسرّات وشهوات يشتدُّ خطرها على من هو غرٌّ مثلهُ في سن العشرين . ولما جاء فصل الربيع شرع يخرج للتمشي وحدهُ . وفي اول الامر اقتصر على الوقوف امام بعض المراقص ومراقبة الفتيات الداخلات اليها . ثم تدرَّج الى الدخول . واخذ جان يلاحظ ما طرأ عليه من التغير ، شيئاً فشيئاً ، في اخلاقه وعاداته . فمال الى الاستهتار والتبذير ،وصار يقترض من صديقه بعض المبالغ التي حرص على جمعها ولا يهتمُّ بردها اليه . فساءهُ ذلك لكنهُ كظم غيظهُ ورأى انهُ لا يحقّ لهُ ان يبكّتهُ . وظلت هواجسهُ تنذرهُ

بتوقع مكروهٍ يودُّ وقاية صديقه منهُ

وفي مساء يوم إذ كان صاعداً في السلّم الى غرفتهِ في الطبقة الرابعة وهو قلق البال ومضطرب الافكار، سمع قبل دخوله الى الغرفة لغطاً وجلبة وعرف صوت هنري المقيم معهُ ومع ساڤينا . فرابهُ الامر ووقف خارج الباب يسترق السمع ليعلم سبب الشغب فسمع هنري يخاطب ربّ المنزل بما لامزيد عليهِ من الغيظ والحنق قائلاً لهُ :

« من المحقق عندي ان واحداً فتح صندوقي وسرق ثلاثة جنيهات فرنسية ذهباً ، خبأتها في علبة صغيرة . فان لم تكن الخادمة ماريا قد ارتكبت هذه الفعلة الشنيعة فلا بدّ ان يكون السارق واحداً من الاثنين المقيمين معي في الغرفة. وهذا الامر يهمك لا نك انت ربّ المنزل ومسئول عن كلّ ما يقع فيهِ. وان لم تدعني افتّش صندوق كلٍّ من جان وساڤينا شكوتك الى الحكومة. أسفي على نقودي الذهبية !! فقد كانت هنا امس في هذه العلبة . واني أصفها لك وصفاً مدقّقاً حتى لا أُتّهم بالكذب اذا عثرنا عليها . فواحد منها عليهِ طغراء الامبراطور الكبير (نبوليون الاول)وعلى الثاني والثالث طغراء الملك فيليب . وعلى طرف واحد منهما اثر عضّة شديدة باسناني. تعال نفتش صندوقي رفيقيّ والاّ ذهبتُ وجئتُ بالشرطيّ » فاجابهُ ربُّ المنزل :

« سنفتش .وإن لم نجد شيئاً فانت المسئول لدى رفيقيك عن إهانتهما بهذه التهمة »

فدبّ الرعب في قلب جان فرنسوى .ومع كل ما لاحظهُ على ساڤينا من الارتباك الماليّ لم يخطر قطُّ ببالهِ ان يبلغ هذا الحدّ من الزيغ ويصير لصّاً . ولشدة ارتياعهِ وضع يديهِ على صدرهِ محاولاً تسكين نبضات قلبهِ السريع. ثم انصت قليلاً فسمع هنري يهتف هتاف الفرح من داخل الغرفة ويقول :

« هذه هي ! خذها وانظر لترى صدق كلامي. وجدتها في صندوق ساڤينا الماذق المنافق . ولسوف اجرّه الى دار القضاء لينال ما يستحقهُ من الجزاء »

واذ ذاك سمع جان وقع خطوات ساڤينا صاعداً في اسفل السلم . فدفع باب الغرفة من فورهِ حيث وجد رب المنزل واقفاً مبهوتاً مدهوشاً وهنري جاثياً على ركبتيهِ بين الثياب المبعثرة يقبّل الجنيهات الذهبية . فقال لهُ بصوت اجشّ :« اعلم ياهنري أني انا الذي سرق نقودك ووضعها في صندوق ساڤينا . وهو عمل قبيح جدّاً . فانا لصٌّ . ولكنني لست بهوذا الاسخريوطي الذي أسلم سيدهُ فادعُ واحداً من رجال الشحنة وسلمني اليهِ . ثق باني لا احاول الفرار . ولي كلمة اروم ان اقولها سرّاً لساڤينا .ها هوآتٍ »

وعندئذٍ دخل سافينا ورأى فضيحة أمره وانهتاك ستر جريمته فوقف كالمصعوق لا يبدي حراكاً . فبادر اليهِ جان فرنسوى وطوّقهُ بذراعيهِ كأنهُ يروم معانقتهُ وأسرَّ اليهِ في اذنهِ بلهجة التوسّل والرجاء قائلاً لهُ : الزم الصمت

ثم التفت الى هنري ورب المنزل وقال لهما : «خلياني وسافينا . ولا تُوجسا خوف هربي . ان شئتما فأقفلا علينا . فاني اروم ان اخلو بهِ على انفراد» . واومأ بيدهِ الى الباب فخرجا

فقال جان لسافينا :— «علمت انك سرقتَ نقود هنري لتشتري بها هديَّة لاحدى الفتيات . وهي جريمة يعاقب عليها بالسجن ستة أشهر . ولكنَّ شخصاً آخر غيرك خرج مؤخراً من السجن ليعود اليهِ ثانية رهوانًا . فقد سبق اني قضيت سبع سنوات في سجن الاحداث وسنة في سجن سان يلاجي وثلاث سنوات في بواسي وخمساً بالاشغال الشاقة في طولون . وانا في كل حين معرَّض لان يُقبض عليَّ وازجَّ ثانية في السجن لاني هاربٌ منهُ . إذن سكّن روعك ولا تخف . فقد وطنت نفسي على هذا الامر واتخذت الاهبة لهُ . وعند ما ينهض الاخ الاكبر باعباء الخدمة العسكرية تسقط تكاليفها عن كاهل الاخ الاصغر . سأقدّم نفسي بدلاً منك . وحسبي انك تقدّر هذه التضحية حق قدرها وستكون حياة السجن اخف وقراً عليَّ منها عليك لاني تعوَّدتها والفتُ تجرُّع مرارتها . وخير جزاءٍ أُثاب بهِ على عملي هذا انهُ لا يذهب باطلاً وان تعاهدني الآن امام الله على انك لن تقدم على ارتكاب امر كهذا في المستقبل . اني احببتك يا سافينا من صميم فؤادي . وبصداقتك طبتُ نفساً ونعمتُ بالاً . ولم آل جهداً منذ عرفتك ان اقتدي بك واعيش نزيهاً اميناً طاهر القلب واليدين . وقد ساءني اني لم استطع ان افيدك شيئاً واني خدعتك من جهة نفسي . واليوم اعلنتُ لك حقيقتي بإنقاذك مما تعرَّضت لهُ . فلا تحزن ولا تبكِ بل تقدم عانقني لاني اسمع وقع اقدام على الدرج . فها هما آتيان ومعهما بعض رجال الشرطة . يجب ان تتجلد ولا تدعهم يقفون على اقل اثر للصداقة التي بيننا »

ثم ضمَّ سافينا الى صدره وتحاماهُ عند ما انفتح الباب ودخل ربُّ المنزل وهنري ومعهما شرطيٌّ . فتقدم جان فرنسوى نحوهم ومدَّ يديهِ الى الشرطي ليقيّدها وقال لهُ باسماً : « هيَّا بنا »

وبتسليمهِ نفسهُ تحقَّقت الحكومة شخصيتهُ واتضح لديها انهُ فارٌّ من النفي فعدَّتهُ من معتادي الإجرام وحكمت عليهِ بالسجن المؤبد

ترجمة : أسعد خليل داغر

الدكتور صروف معلماً

انا لا اطمع ان اباري ولا انْ اقارب ما كتبهُ الافاضل في سيرة استاذي وخلقهِ ومكانتهِ لغويًّا واديباً . ولكني احد تلاميذهِ ، وقد عرفتهُ في صباي معلّماً في برج صافيتا وعرفتهُ في فجر شبابي استاذاً ومعلماً في الكلية الاميركانية ببيروت ثم في المقتطف في تلك الكلية واخيراً عرفتهُ في مصر في المقتطف استاذاً معلماً ثم دكتوراً معلماً . فما زلت اذن منذ صيف سنة ١٨٦٩ الى ان توفاهُ الله تلميذاً محبًّا لهذا الاستاذ الخالد ما خلد علمهُ وادبهُ وفضله

وهيهات انْ يمحي خلودهُ الاَّ بامحاء عمراننا الاجتماعي عن آخرهِ بجائحةٍ سماوية تمحو الانسان واثر الانسان عن هذه الكرة الارضية التي وُلد ودرج وترعرع وشبَّ فيها العقل البشريّ حتى وصل الى الدرجة التي وصل اليها باحد ابنائها الشرقيين المرحوم الدكتور يعقوب صرُّوف

كان احلى من شهد العسل في فمي ان اخاطبهُ شفاهاً وعلى صفحات المقتطف يا استاذي العزيز . وانا اطمع انْ يُقبَل ادّعائي الآن اني كنت احبّ تلامذتهِ لهُ — ولا اجسر ان اقول اليهِ — بظاهر بياني او حجتي الآتية وهي : انهُ كان احبّ معلميَّ اليَّ في برج صافيتا ولم اكن قد اتممتُ الحادية عشرة من عمري . ثم كان معلمي في الكلية الاميركانية ثم معلمي في المقتطف في الكلية وفي مصر كما اشرتُ سابقاً . ولا اظنُّ انَّ تلميذاً آخر غيري عرفهُ معلماً لهُ في الاحوال الثلاثة التي عرفتهُ بها وفي جميعها . كان عندي هو هو ، المعلم الصالح الذي تُعطّر النفس محبّتهُ ويملؤها « في حضرتهِ وغيبتهِ » سلاماً واطمئناناً فضلاً عن الشعور الباطن انهُ لها موئلاً وملاذاً . واذا كنت انا اعرفهم بهِ فانا احبهم لهُ

ما نسيت ولا انسى عدة مشاهد وعبارات شاهدتها وسمعتها منذ ثمانٍ وخمسين سنة لان فيها صورة المعلم يعقوب صرُّوف واعجابي بالمعلم يعقوب صرُّوف

***

اني لا انسى صورة بيت الشيخ اسبر ضومط في يوم جميل من اجمل ايام الصيف في برج صافيتا — السماء زرقاء لا اثر فيها لقزعةٍ من سحاب ولا لإغبرار ممَّا حتى

فوق مياه البحر في الافق البعيد . حائط الدار من الحجر الازرق المختلف الاقدار والاشكال وفوقهُ من بعض جهاته ما يحميهِ من الشوك دون من يحاول الصعود عليهِ . باب البيت من الخشب السميك السنديان او الجوز — لا اعلم ايهما كان — الاَّ انَّ الواحهُ مختلفة السمك حتى في اللوح الواحد واظنها لم يشذّبها منشار نشّار حاذق ولا ازالت خشونتها فارة نجّار ماهر . وعليهِ سكّرة ضخمة من الخشب تدخل في طاقة (ثقب) غير نافذة في صدغ الحائط مساميرهُ المشدودة بها الالواح الى العارضتين العليا والسفلى من خشب يسمونها خوابير . وعن يمين الباب الى جهة الجنوب مصطبة تعلو شيئاً قليلا عن الدار مسقوفة باغصان شجر الغار وجداراها الجنوبي والغربي قائمان على قوائم مما يعرف هناك باسم « قطش » عليها عوارض من مثلها ومغطى على شبه المربعات بين القوائم والعوارض بفرش من اغصان البلوط والسنديان والريحان ومما حضر خلاف ما ذكرنا

قبالهذه الخيمة في صباح احدكما اظنُّ الآن اتصوَّر ولداً ينظر الى المعلم يعقوب يكالم المعلم الآخر واسمهُ المعلم ابرهيم وهو باسم الوجهِ ضاحك العينين . انَّ صورة المعلم يعقوب أتخيلها الآن بكل وضوح بخلاف صورة معلمي الآخر وكان سبق حضورهُ الى برج صافيتا حضورَ المعلم يعقوب باشهر وبقي بعدهُ في المدرسة يعلمنا عدة اشهر ولكني لا اذكر لهُ الآن صورة قبل صورتهِ هذه — اي التي مع صورة المعلم يعقوب — ولا بعدها، وفي الوقت نفسهِ هي صورة مضطربة في ذهني لا تستقرُّ على حال

بعد هذا اليوم ببضعة ايام وفي مثلهِ من الجمال ونقاوة الجوّ اتصوّر ولداً راجعاً من جهة ظهر بيت سمعان حيث كانت المدرسة وحيث بيت الشيخ اسبر ضومط على مقربة منها وهو يثب على الطريق وثباً ولا ازال اشعر بهزّة سرور لسرورهِ كما تخيلتُ صورتهُ هذه : وسبب سرورهِ كان انّ المعلم يعقوب علمهُ اسماء الحروف الهجائية بالافرنجي ولفظها بما يقابلها من الحروف الهجائية العربية . فما ترك عمّاً ولا خالاً ولا خالة ولا ابن عمّ او خال بل ما ترك رفيقاً من اترابهِ رآهُ ذلك اليوم الاَّ واخبرهُ بذلك

مرَّت ايام عطلة المدرسة الكلية الصيفية ورجع المعلم يعقوب في آخرها ليتمَّ سنتهُ الاخيرة فيها وبقي التلميذ المتوهم في نفسهِ انهُ تلميذهُ يحلم بهِ المرّة بعد المرّة ويقوم في الصباح باكراً يقصُّ حلمهُ على امهِ ثم على كل واحد من اهل الدار وعلى غيرهم من الجيران حتى كثيراً ما اضجر امهُ فاضطرَّ ان يسكت خيفةً من ضرب مكنستها —

أنها كانت تضربهُ احياناً بالمكنسة لتفثأ من غيظها او غضبها على ثرثرتهِ وفي الوقت نفسهِ لا تؤذيهِ وقد لا توجعهُ احياناً « وإنْ اوهمتهُ انها توهمت ذلك » ولم تكن تحفل بتطيير المتطيرين بالضرب بالمكنسة — سمعت مرَّةً جارتنا امرأة موسى برهوم تقول لها: اما هو حرام عليك تضربيهِ بالمكنسة — فاجابتها امي: « يا ويلي اخاف يامرَة عمي اذا ضربتهُ بغير المكنسة اذّيه او على الاقل وجّعو: ومالي قلب اسمعو يبكي وهوّي الله يرضى عليهِ اذا حسّ على شيء ما يرضيني ما يعملو »

السلام عليكم يا استاذي العزيز ورحمك الله فانك انت انت الذي تثير اشجاني «وما احلى اشجاننا هذه» بتذكيري ما اذكرهُ الآن من محبة الامّ الفاضلة واشفاقها ولولاك لكانت هذه التذكارات امّحت من خيالي ولكنها تخلدت باتفاقها حول صورتك الخالدة التي كانت في ذهني والتي سيخلّدها تدوينها في مقتطفك المحبوب الخالد الى ما شاء الله

بعد سنةٍ من هذه التذكارات التي مرّت سمحت ام جبر لابنها وحيدها ان يفارقها الى مدرسة عبيه الاميركانية رغم انكار كل نساء برج صافيتا عليها ان تسمح لهُ يتغرَّب عنها الى قرية تبعد ثلاثة ايام عن قريتها وارجح ان اكثر ما دعاها الى سماحها لابنها بالذهاب الى مدرسة عبيه — التي كانت في ذلك الزمان ابعد من ابعد البلدان النائية التي يتغرَّب اليها ابناء تلك القرية اليوم — هو اعجابها بالمعلم يعقوب وتهذيبهِ

هناك بدأت اسمع عن معلمي واعرف عنهُ ما لم اكن عرفتهُ من قبل فزادني ما عرفتهُ محبةً واحتراماً فوق ما كان لهُ قبلاً مراراً. وآخر الامر وصلت الى ما كنت بدأت احلم بهِ واتشوَّف اليهِ في السنة الثانية من اقامتي في مدرسة عبيه الاميركانية اي الانتقال منها الى المدرسة الكلية في بيروت المدرسة التي اخذ منها معلمي علمهُ وكان قد انطبع في ذهني انْ لا معلم فوقهُ « ولم يتغير هذا المطبوع بعد »

في سنة ١٨٧٢ في شهر اكتوبر تمت لي امنيتي بانتقالي الى الكلية السورية الانجيلية في بيروت بعناية المرحوم الدكتور صموئيل جسب رجل الفضل والنبل وكرم الاخلاق نفساً وارومةً وبعناية زوجتهِ الفاضلة رحمها الله رحمةً واسعة فانها كانت في فضلها وطيب عنصرها خليقة بالمرحوم زوجها واكثر منهُ عناية واهتماماً بي وبانتقالي الى الكلية

وفي سنة ١٨٧٣ تحققت لي احلامي الذهبية في الحادية عشرة فاني رأيت فيها المعلم

يعقوب استاذاً في الكلية الاميركانية ومعلمي فعلاً لا توهماً حلواً كان اوّلاً أُضحوكة صبيانية يُتَفكّه بها ولاسيما بعد أن مرّت السنون عليها

بقيت ثلاث سنوات تلميذاً لاستاذي ومعلمي في الكلية لا انكر من شيء الا انهُ كان كلما هو يغيرني بأن تلامذة الصفوف المتقدّمة كانوا — اخذاً بظاهر كثرة ترددهم على غرفته ورفع الكلفة في معاشرته ومرافقته إنْ في داخل صحن المدرسة او خارجاً عنهُ — اكثر قرباً اليهِ مني . ولكني لما صرت منتهياً اي في صف السنة الرابعة فهمت ما لم اكن افهمهُ وانا ابن السنة الثانية لاني وجدتُ نفسي حينئذٍ في الحالة التي كان عليها معهُ ابناء ذلك الصف الذين مروا عليهِ قبلي

تركت المدرسة سنة ١٨٧٦ ولكني بقيت تلميذاً لهُ لم تفارقني عنايتهُ فارسل اليّ الى برج صافيتا اول عدد ظهر من المقتطف فانتقلتُ من التلمذة بواسطة المدرسة الى التلمذة بواسطة المقتطف وما زلت تلميذاً لهُ فيهِ الى شهر يوليو الماضي سنة ١٩٢٧ وهنا اقول : إني ما قرأت لهُ نقداً ولا جواباً عن سؤالٍ من كل السؤالات المختلفة في كل ما كان يخطر على بال سائل من مختلف الاقطار العربية وعلى اختلاف درجة علمهم وادبهم في معظم الخمسين سنة المارّة الاّ رأيت نفسي تبعاً لهُ لا اقول الاّ ما قال في كل ما كنت درستهُ درساً خاصًّا واستفيد من علمهِ كما يستفيد التلميذ في كل مسألةٍ كانت خارجةً عن دائرة بحثي : وانْ بالنظر الى تفاصيلها : كاكثر مسائل العلوم الطبيعية بل في نفس مسائل اللغة — المسائل التي كنت وجّهت اليها معظم اوقاتي مؤخراً — وفي كل ما يترك للعقل مدًى للجولان فيها وابداء رأيهِ من غير ما ضرورةٍ للتقييد بالمنقول عن بصريين او كوفيين مثلاً ، كانت احكامهُ بيداهة فطرية كاحكام اكبر البيانيين او الفيلولوجيين المعاصرين

لا يزال عندي ذخيرة من هذا الاستاذ العزيز منذ ١٥ سبتمبر سنة ١٨٨٤ اتعوّذ بها كلّما دجا ليل مظلمة اوتباعد عن قلبي مؤمل — هذه التعويذة هي كتاب من المرحوم حُفظ بعناية لم اتمنّ لها — يملأ صفحتين ونصف صفحة بخطهِ الدقيق الواضح «كان» كاخلاقهِ بحيث لا يشقّ على بصرٍ ولا تنبو عنهُ عين . احبّ ان انقل من هذا الكتاب او التعويذة ما يدلّ على « معلّميّة » هذا المعلم وبعد نظرهِ اولاً . وعلى حبهِ لتلامذتهِ سواءٌ كانوا في المدرسة الصغرى ام كانوا في مدرسة المجتمع الكبرى ثانياً . وعلى انهُ يعرف الفضل ويعترف بهِ لذويهِ ومستحقيهِ ثالثاً . قال رحمهُ الله :

« ولكنَّ مصيبتنا كبرى وخرقنا اوسع من ان يُلثمهُ واحد او اثنان وحسبك دليلاً ان الصين والهند وكل بلدان المشرق تئنُّ الآن من وطأة الغربيين ولا مناص لها او ينقلب الدهر فينخر ارومتهم سوس الادعاء والعجرفة ويصفو للمشارقة فيرتعون في رياض العلم والعمارة وهذا ما نحن ساعون فيهِ جهدنا وباذلون دونهُ النفس والنفيس وإننا وان لم تنظر باعيننا تملُّص المشرق من عبودية المغرب الاَّ انا نراهُ بعين الايمان عن بعد ونحيّيهِ —وقال— « وكان فيهِ ولا يزال درس مهمّ لي ولغيري ايضاً »— وابو . . . ليس من الاغبياء ولا اظنهُ يمنعك سؤالك اذا وقع عليهِ في حينهِ .وإن فعل . فالعزّ عند رسوم الاَينق الذُّلل

« وفي الارض منأًى للكريم عن الاذى وفيها لمن خاف القلى متحوَّلُ

وما انت اوّل من اتبع نهاهُ وعصى هواهُ فاكثر الآن من الدنانير فهي تسهل كل امرٍ عسير » . وقال ايضاً يوصيني باحد تلاميذهِ — « ارأيت شابًّا اسمهُ . . . . هاجر حديثاً الى القطر المصري وهل تعرف شيئاً من امرهِ ? اذا رأيتهُ وقدرت ان تساعدهُ بيسير من النقود اذا احتاج فما تفعلهُ معهُ تفعلهُ معي وانا اوفيك اذا تعجز » وقال في ختام الكتاب : اهدِ سلامنا واحترامنا لكل الاصحاب والمعارف ولاسيما لصاحب المحروسة وصاحبي الاهرام الفاضلين . قد ساءنا جدًّا ما جرى للاهرام ولكن :

لولا اضطرام النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب نشر العود

فانَّ صاحبي الاهرام العظيمين لو قدرهما السوريون قدرهما لصاغوا لهما تيجاناً من الذهب . هذا ولك مني الف سلام اخوك يعقوب

وانا اقول وافتخر بقولي انهُ معلمي كان ولا يزال وهذا الكتاب يذكرني بغيرهِ من الكتب التي كان يرسلها اليَّ الى طرابلس فحرّكتني الى المطالعة وشجّعتني على الكتابة. بل هي نبَّهتني الى ما كنت غفلتُ عنهُ من اهمية لغة اجنبية لزيادة معارفي : وكنت قد اضطّرحت هذه الفكرة جانباً ورميت بمعرفتي القليلة باللغة الانكليزية عرض الحائط . ولكني لما انتقلت من مدرسة حمص الاميركانية الى مدرسة طرابلس في اواخر فبراير (شباط)سنة ١٨٧٧ وجدت انْ لا غنًى لي في توسيع معارفي عن درس هذه اللغة اقلهُ لاستطيع فهم لغة العلم والفلسفة المودعة في مؤلفاتها لا لاخطب ولا لاكتب فيها : وكان المنبّه لي الى هذه الحقيقة المقتطف وبيانهُ

كنت في طرابلس اراجع المقتطف فلا ادع واردةً ولا شاردةً تفوتني فيهِ وانعم

درس كل ما يُكتب فيه . ولكني وجدت انَّ منزلتي في عيون اهل الادب والفضل من وجهاء الطرابلسيين الكرام « ووجهاء طرابلس هم ادباؤها وهم علماؤها ايضاً » تقتضي ان تزيد معرفتي عمَّا تحتويهِ مقالات المقتطف ولا يتمُّ لي تحقيق ذلك الاَّ ان ازيد معارفي الضعيفة جدًّا في اللغة الانكليزية فاقبلت على ذلك بكل ما فيَّ من نشاط ورغبة سنة كاملة — اخبط في تلك اللغة لنفسي بنفسي خبط عشواء وافهم معاني الفاظها بعيني لا باذني وسمعي — قبل ان صرت افهم ما في تلك المؤلفات من العلم والحكمة التي كان قد بدا يروج سوقها حينئذٍ وكان المقتطف اول من بدا يروّجه في مجلة علمية في معظم البلدان العربية ولاسيما سورية

اذكر اني بعد ذلك بعدّةٍ كتبت للمرحوم استاذي مقالةً في تفسير الاحلام فجاءني كتابه يقول تنشيطاً لي—(وحقًّا كان الكتاب اعظم منشط لي)— ما اخجل من دعواي اذا ذكرت معناه — وكافأني على تلك المقالة بانْ قدَّمها الى المجمع العلمي العربي الاول في بيروت وقُبلتُ فيهِ لاجلها عضواً مراسلاً وقد فقدت هذه المقالة وأسفاه عليها وشُغلت عن اعادة كتابتها الى ان لم اعد استطيع ذلك

وقد كتبت مقالة اخرى موضوعها التعب وسوء الاخلاق ففقدت ايضاً وكان نصيبها من مديحهِ نصيب مقالة الاحلام . اما تأثير الكتابين فيَّ فاترك تقدير ذلك لمن يطلع على مقالتي هذه ومهما قدّرهُ مقدّر فانا ما نسيت ولا انسى حسن اثرهما. ما اعظم تأثير المعلم الصالح في نفوس تلاميذهِ ! وما اعظم ما يستفيدونهُ من قدوتهِ ولعلهُ اضعاف ما يستفيدونهُ من علمهِ

انا لم اقصد بمقالتي هذه —مادح نفسهِ يهديك السلام— انما انا مصدِّق بها على ما كتبهُ الافاضل في المقتطف ومصادق عليهِ بما كتبتهُ عن تذكاراتي في صبوتي وشبابي وايام كهولتي ومدة تسع سنين ايضاً بعد الستين من عمري

مالي وللتنصح لقومي باختيار المعلم الصالح ولاسيما في المدارس الابتدائية اولاً ثم المعلم الصالح الاديب في المدارس العالية ثم المعلم الصالح العالم في الجامعات وما يماثلها من الكليات التي تعدُّ ذوي المواهب للاختصاص بما ولدوا ويُسّروا لهُ

يكفيني اني وفيت ديناً عليَّ بشكري المرحوم الدائن وباعترافي بفضلهِ ودينهِ عليَّ مما لم استطع وفاءه في حياتهِ. فليرحمك الله يا استاذي العزيز وليرحم كل المعلمين امثالك من الذين كانوا قبلك وسيكونون من بعدك آمين ثم آمين

جبر ضومط

من مهاجر الى مستنبط

عنوان هذه المقالة عنوان كتاب نال سنة ١٩٢٤ جائزة بولتزر الاميركية لان المحكمين والنقاد قضوا بانهُ افضل كتب التراجم التي وضعت في تلك السنة. وواضع هذا الكتاب الاستاذ ميخائيل پيوپن الصربي الاصل الاميركي النشأة استاذ الميكانيكيات الكهربائية في جامعة كولومبيا ورئيس مجمع تقدم العلوم الاميركي سنة ١٩٢٦

وُلد في مقاطعة البنات المجرية من والدين صربيين جاهلين ونشأ راعياً من رعاة الغنم . ولما كان في الخامسة عشرة من عمرهِ هاجر الى الولايات المتحدة الاميركية فوصلها وليس في جيبهِ سوى غرش صاغ انفقهُ حال نزولهِ الى البر في شراء قطعة من الحلوى وكان غريب المنظر في لبسهِ وهيئتهِ فاجتمع حولهُ الاولاد من باعة الصحف في الطرف الادنى من جزيرة منهاتن بنيويورك وجعلوا يهزؤون بهِ وبطربوشهِ الاحمر وهو لا يدرك ما يقولون وتجاسر احدهم فاقترب منهُ وضرب طربوشهُ بطرف عصا فطاره عن رأسهِ فثارت ثائرة المهاجر وشمر عن ساعديهِ المفتولين وخاض مع الولد الاميركي معركة خرج منها ظافراً . ولما سمع الاولاد يضجون ويهزجون خاف من تألبهم عليهِ فحمى ظهرهُ بجدار بناية قريبة ولبث ينتظر هجومهم. ولكنهم كانوا في الواقع يهزؤون من صديقهم المنهزم . ولما اراد احد رجال الشرطة ان يقبض عليهِ تدخل باعة الصحف في الامر قائلين انهم كانوا يلعبون فاطلق سراحهُ فسار مرفوع الرأس وعلى رأسه طربوشه الذي ثأر لهُ مما لحق بهِ من العار

ولم يلبث ان فاز بعمل في حقل من الحقول في جوار فلادلفيا ولما كان سائراً في تلك المدينة قاصداً الى مكان عملهِ سأل رفيقهُ هل هي فلادلفيا البلدة التي اطار فيها فرنكلن طيارتهُ التاريخية واستنزل بها الكهربائية من الهواءِ فوبخهُ رفيقهُ على هذا السؤال البارد لانهُ لم يكن يعرف شيئاً عن رجل يدعى فرنكلن !

ولقي الفتى على الحقل فتاة شقراء الشعر زرقاء العينين فرآها صورة لما كان يتصوّره في صغرهِ من الاهات الحب والجمال. ولكنها كانت ذكية الفؤاد فانشأت تعلمهُ اللغة الانكليزية حتى اتقنها ثم افهمتهُ ان في البلاد مجالاً للمقدام لا ينحصر في رعي البقر واعمال الحقول فترك الحقل وفي جيبهِ ثلاثة جنيهات وذهب الى نيويورك فاشترى بدلة لم يكد يلبسها حتى

لقي احد معارفهِ الالمان فهزَّ الالماني يدهُ قائلاً : «من يقول الآن انك فلاح صربي» وساعدهُ بان عرفهُ الى خبّاز فعهد اليهِ الخباز في دهن عربة صغيرة لنقل الخبز ونفحهُ لقاء ذلك جنيهاً ولكن بيوبن لم يعلم ان الدهان يجب تثبيتهُ بمادة غروية فلم تكد تمطر السماء حتى زال الدهان عن العربة . فاضطرب لانهُ لم يتقن عملهُ ولكن صديقهُ الالماني سكّن روعهُ وقال : «الذنب ذنب الخباز اراد ان يستفيد منك لانك غريب ويعمل بجنيه واحد عملاً قيمتهُ ثلاثة جنيهات»

وانتقل بيوبن الى بيت قريب من مكتبة عامة لكي يتمكن من المطالعة فيها حين تسنح لهُ الفرصة وكان عملهُ ان يجري وراء عربات الفحم عارضاً على اصحاب البيوت الذين يشترون فحماً بان ينقل لهم ما يشترونهُ من الشارع الى داخل البيت وان يتناول عشرة غروش عن نقل طنٍّ واحد . وكان اذا فاز بذلك يجد كثيراً من الاعمال داخل البيت فيعرض على اصحابهِ قضاءها وهكذا كان يرتزق

ثم وجد عملاً في معمل صناعي وهناك عرض على مدير غرفة الآلات ان يشتغل معهُ في اوقات فراغهِ من غير مقابل فاجابهُ المدير الى طلبهِ والاستاذ بيوبن يشير اليهِ الآن «كاستاذهِ الاول في الهندسة» . ثم سمع بشهرة هنري وردبيتشر الواعظ المشهور فانضم الى كنيستهِ وصار يحضر اجتماعاتها حضوراً منتظماً فتعرّف الى طبيب دعاهُ الى تسلّم عمل في عيادتهِ ثم قدمهُ الى اكادمية ادلفي وهي ناد رياضي ففاز في مبارياتهِ الرياضية فوزاً مبيناً . وكان في اثناء ذلك قد انتظم في جامعة كولومبيا واخذ اسمهُ يذيع بين ابنائها لتفوقهِ في فنون الرياضة البدنية

بعد تخرجهِ من كولومبيا فاز بما مكنهُ من التوسع في الدرس في جامعة كمبردج وكان لبلاد الانكليز اثر خاص في نفسهِ لانها انجبت فاراداي وكلارك مكسوك ابوي العلوم الكهربائية التي ملكت عليهِ نفسهُ وفكرهُ ثم درس على هلمهلتز . ولما كان في باريس عُرض عليهِ كتاب لاغرانج الرياضي الفرنسوي المشهور وموضوعهُ الميكانيكيات التحليلية فاشتراهُ بثمن بخس ووجد فيهِ من اللذة مالا يجدهُ القارئ العادي في رواية اخاذة

في هذا الكتاب القديم وقع بيوبن على ما مكنهُ من حلّ مسألة ما زالت تشغل بالهُ منذ كان راعي غنم في مقاطعة البنات ببلاد المجر . ذلك انهُ كان قد لاحظ وهو فتى انهُ اذا انزل الرعاة خناجرهم في الارض ووضعوا اذانهم الى مقابض الخناجر تمكنوا من ان يسمعوا وقع حوافر الغنم ولو كانت على مسافات بعيدة . وان هذا السمع من

غير انزال الخناجر في الارض لا يكون على هذه الدرجة من الجلاء . فتناول پيوپن الآن هذه الملاحظة وطبق عليها ما عرفهُ من القواعد الرياضية ونواميس الكهربائية فثبت لهُ انهُ اذا كان في الارض بقع من مادة صلدة صار نقل الارض للامواج الكهربائية افعل . فصنع لفات من السلك ووضعها في الارض في سبيل خط تلغرافي او تلفوني ووصلها باسلاكهِ فزادت مقدرة الاسلاك على نقل الاشارات الكهربائية زيادة كبيرة وجعل المخاطبات التلفونية البعيدة المدى في حيز الامكان

واشار الى اكتشافهِ هذا في مقالة علمية انشأها سنة ١٨٩٩ لخنهُ صديق على تسجيلهِ ففعل وبعد سنة باعهُ الى شركة التلغراف والتلفون الاميركية

ولم يكن قد انقضى عليهِ ١٨ سنة في الولايات المتحدة الاميركية حتى استنبط طريقة لدوزنة الآلات الكهربائية . ولكن ذلك كان سنة ١٨٩٢ قبل استنباط المخاطبات اللاسلكية . فلم تظهر فائدة تجارية لهذا الاستنباط فبقي في سجل المطويات الى ان فاز ماركوني بنقل الاشارات اللاسلكية بين اوربا واميركا. قال الاستاذ پيوپن: « وكنت ذات يوم في مكتبي بجامعة كولومبيا فدخل عليَّ المستر غرين منشئ شركة مركوني الاميركية ومديرها وقال : هل مستنبطاتك اللاسلكية معروضة للبيع؟ فقلت: نعم فقال: كم تطلب ثمنها ؟فذكرت اول رقم خطر لي فقال: اقبل نصف المبلغ نقداً والباقي من اسهم الشركة . فترددت في الامر وطلبت مهلة يوم للتفكير في الموضوع ولما جاء في اليوم التالي قبلت ما عرضهُ عليَّ ». وغني عن البيان ان هذا الاستنباط درَّ عليهِ مبالغ طائلة من المال لان المخاطبات اللاسلكية من تلغرافية وتلفونية قد تقدمت تقدماً كبيراً ودوزنة الآلات المستقبلة امر لا مندوحة عنهُ في استقبال ما تذيعهُ المحطات الكبيرة

وكان پيوپن يقضي اجازتهُ الصيفية في جبال الالب وكثيراً ما يزور البلدة الصغيرة التي نشأ فيها لما كانت امهُ لا تزال على قيد الحياة فيلتفُّ حولهُ الفلاحون ويستزيدونهُ من القصص عن اميركا بلاد العجائب. وكان ذات يوم جالساً بينهم فورد عليهِ تلغراف من اميركا فبسط لهم شيئاً عن عجائب المواصلات التلغرافية فدهشوا لذلك وقال احدهم متعجباً — ما ابرع الاميركيون ! غير دارٍ ان المواصلات التلغرافية البعيدة المدى لم تبلغ حدَّ الاتقان الاَّ بنبوغ محدثهِ. وبعد قليل التفت الى محدثهِ وقال — ألا قلْ لي باسم القديس ميخائيل كيف تتمكن من الارتزاق في بلاد كهذه ؟

لقد صدق من قال: لا كرامة لنبي في وطنهِ !

خمسة في سيارة

٣

جنيف وجمعية الامم

وقال قائل منهم : هيَّا بنا الى جنيف فهي قريبة من البلدة التي نحن فيها (وكان الخمسة في أنسي) وغداً تجتمع هناك عصبة الامم فيتاح لنا رؤية رجال اوقرت آذاننا اسماؤهم ونمتع النفس بمحاسن البحيرة وما يحيط بها من جبال

فامتطوا سيارتهم ميمّمين جنيف والحدود الفرنساوية تنتهي قبل وصولك اليها بنصف ساعة او اقل

ووقفت السيارة وجاء رجال الشرطة الافرنسيون فنظروا الينا وما زادوا، والى بضع خطوات منهم رجال شرطة سويسرا فتقدم احدهم محيّياً وسأل عن جوازات سفرنا فتقدم كل بجوازه حتى اذا جاء دور صاحبنا المصري نظر الشرطي الى جوازه وقال: هذا ناقص فليس عليه «تأشير» من السلطة السويسرية في بلادك تسمح لك بالمجيء الى سويسرا. قال: ولكنهم قالوا لنا في كل فنادق فرنسا ان لا حاجة بالسائح الى «تأشير» جوازه اذا كان في فرنسا. قال: انهم لا يعلمون ما يقولون ويضللون السياح النازلين عندهم. ان بيننا وبين الانكليز والفرنساويين اتفاقاً لا مجال معهُ لعلامة توضع على اجازة المرور ولكن الحال ليست كذلك مع مصر. فهي تطلب «تأشيراً» على جوازات السويسريين ونحن نفعل فعلها مع المصريين. فاضطرب المصري وتضايق فانهُ لم يكن يحسب حساباً لهذه الصعوبة الطارئة ولا هو يستطيع النكوص وحدهُ او مع جماعته الى أنسي. ودخل الرفقاء كلهم وسطاء في الامر فما كان لهذا الشرطي ان يتزحزح عن مكانه

قال لهُ المصري : يا هذا انني قادم لامكث يوماً او بعض يوم في جنيف ثم اعود فما هذا التعنت وأنا اعرف بعض رجالكم في مصر ويعرفونني وهم يقيمون عندنا على الرحب والسعة. وراودهُ عن واجبه بسيجارة او سيجارتين فابى واستعصم. ولاطفتهُ السيدة الافرنسية وابتسمت لهُ عسى سحر الحاظها ان يفعل فيه، فابتسم وقال: سابذل جهدي

وهمَّ بتلفون امامهُ وخاطب رئيس الشرطة في جنيف يشرح لهُ الحكاية ويقول: اني فتشت في القائمة السوداء فلم اجد اسم هذا الرجل وهو عليه سيماء كرام القوم

فأجاب الرئيس : دعهُ يمرّ . فشكر القوم للشرطي حسن سعيهِ وخرج المصري مغتبطاً بشهادة « سيماء كرام القوم » وبخلو القائمة السوداء من اسمهِ

ودخلوا جنيف وكانت فنادقها تغص بالنازلين من شتى الشعوب من مشارق الارض ومغاربها . ومن يشاهد هذا الموسم في جنيف لا يعجب للحملة التي اثارتها البلجيك على الرئيس ولسن لتحمله على جعل مقر جمعية الامم في بروكسل لا في جنيف فانهُ اذا لم يكن من نفع لهذه الجمعية الاّ ترويج اسواق البلدة التي هي فيها لكان في ذلك الكفاية

وسار الرفقاء الخمسة في شوارع جنيف يتفرجون ولم يكونوا حديثي معرفة بها فان كلاً منهم يعرف جنيف قبل هذه الزيارة الاّ السيدة الافرنسية فكانوا يدلونها على ما يُرى

واذا نزعت البحيرة من جنيف فليس فيها ما يُرى

وهذه البحيرة تكاد تكون بحراً . فهي واسعة عميقة تتلاطم امواجها وتثور مياهها مثل كبار البحور فكانت لهذه الاسباب لا تروق صاحبنا المصري

على ان كان الاتحاد السويسري السياسي في اوربا جعل جنيف مهبطاً لطلاّب الشأن السياسي حرية كان ام استبداداً فانت ترى في مشارب تهوتها المطالب بعرش مفقود والى جانبهِ فوضوي يطلب هدم ما بقي من عروش . تنظر هنا اميراً افقرتهُ الثورة في بلاده فجاء جنيف يؤمن على رأسه ، وتلمح هناك افاقاً سياسياً يروّج دعوة اغنتهُ عن العمل

وكان مقعدهم في قهوة كان لينين لا يفارقها فسألوا الخادم عن الكرسي الذي كان يجلس عليهِ قال : تارة هنا وتارة هناك غير مكترث للينين وسمعتهِ حتى يصح المثل الانكليزي ان الالفة تزيل الكلفة بل تمحو الاحترام وتدعو الى الازدراء

ولفت نظرهم اثرٌ مقام لجان جاك روسو . فهذا الكاتب ابن جنيف وموضع فخرها ومحل عزتها ، فسأل المصري رفيقه الانكليزي رأيه في « جان جاك » فقال : انهُ كان قذراً — اما قرأت كتاب اعترافه — وانا لا احب القذارة . ولا اظنهُ كان صريحاً مخلصاً عند ما كتب هذا الكتاب

قال المصري: وانا لا احب كتابه « العقد الاجتماعي » فهو نظرية فاسدة نبذها الناس كلهم الآن . على انهُ كان ذا اثر عظيم في الثورة الافرنسية فهو من معلمي هذه

الثورة . وكثير من رجالها — واشهرهم روبسبيير — من عباده المخلصين . ثم مرّوا بالكاتدرائية المشهورة في جنيف . وهي بناء اقيم للكنيسة الكاثوليكية فاخذهُ بعد ذلك اتباع كلفن الواعظ البروتستانتي المشهور وجعلوهُ مقرًّا لعبادتهم

فتميزت السيدة الافرنسية غيظاً . قالت : ان المذهب البروتستانتي قام على البساطة والبعد عن الصور والتماثيل وما الى ذلك من آثار الفنون الجميلة . فهو مذهب جافٌّ لا يتفق في شيء مع ما في هذا البناء من زخرف ونقش وعظمة فن . فانك لا تفهم ان تقام العبادة في هذه الكاتدرائية الاَّ من قساوسة يرتلون ويلبسون الثياب الموشاة بالذهب وبالفضة ويمثلون الآيات المقدسة تمثيلاً روائيًّا حتى تتشابه الامور فيستقيم للذوق السليم حكمه . وأما ان ترى المؤمنين جلوساً على الكراسي كالاصنام ويقوم راعيهم يتلو الآيات بصوت اقرع ويخطب القوم مواعظ وآيات غير موسيقية فشيء لا يليق بهذا المكان ومحله منازل شيدت خصيصاً لهذا الغرض

فامّن الجميع على اقوالها وأُعجب صاحبنا المصري بدقة ملاحظتها وحسن ذوقها الفني

وحقيقة الامر ان هذا البلد جنيف مشرب بروح « كلفن » في بنائه وفي اخلاق سكانه . فانك ترى الشوارع نظيفة ووجوه السكان نساء ورجالاً واولاداً نظيفة ايضاً ولكنك لا تلمح اثراً للروح الخفيفة لا هنا ولا هناك . وميزتهُ انهُ يكاد يكون اثراً من آثار كرام الغرباء . فترى هذا الشارع قد مدهُ المحسن الانكليزي ، وهذه الكنيسة قد اقامها الامير الروسي ، وتلك الدار اهداها الى مجلس البلدية الكونت النمساوي فتشتاق لرؤية شيء مما قام بهِ الجنيفيون انفسهم فترى تمثالاً لقائد عظيم عندهم — وقد غاب اسمهُ عن الذهن — يمتطي جواداً اشبه بالبرذون منهُ بحيوان آخر ، فسأل الرفاق عن هذا البطل وفيم اقيم لهُ هذا الاثر . فقيل لهم انهُ فاز في معركة من المعارك التاريخية العظمى . قالوا وما هي . فاجيبوا : انهُ تمكن ان يمنع وقوع الحرب بين مقاطعتين سويسريتين . فحمدوا الله وقفلوا راجعين الى مشرب القهوة

***

وكان المطر رذاذاً ثم اشتد ومنع القوم من الخروج الاَّ صاحبنا المصري فانهُ ترك رفقاءهُ جلوساً في داخل القهوة وهرول تحت مظلة تقيهِ المطر الى حيث تجتمع جمعية الامم

ولم يكن يحمل « تذكرة » تخوله حق الدخول ولكنهُ قال : هأ نذا غريب هنا فمالي لا اقف موقف العامة ارى هؤلاء الاقطاب يدخلون ويخرجون . لا لانهُ يجهل حقيقة ما يكون عليهِ هذا الشيء الذي يسمونهُ « رجلاً مشهوراً » ولكنها رغبة في الاستطلاع وميل الى رؤية الجديد المجهول ومقارنتهِ بما يعرف في بلدهِ من القديم المعلوم

وطال بهِ الوقوف تحت وابلٍ من المطر وهو لولا ما تقدم ذكرهُ لما وقف وقفتهُ هذه ولو أُعطي مال قارون

واشدّ ما كانت رغبتهُ تتجه اليهِ رؤية تشمبرلين وبريان ولا بأس ان رأى شترِزمان عرضاً

فكان يترقب مرورهم واثقاً من تعرّفهم لكثرة ما شاهد من صورهم في الجرائد . ولان السيارات التي تنقل الاعضاء تحمل راية الدولة التي ينتمي الجالس اليها

فمرت طائفة لا تحصى من المندوبين عن هذه الجمهوريات الاميركية الجنوبية — وتراهم اشد الناس فرحاً بعضويتهم فيدخل واحدهم يصحبهُ ستة او سبعة من المساعدين ولا يلبث ان يخرج ثم يدخل وهكذا كأ نهُ يعرض نفسهُ على الناس

ومرت طوائف اخرى من ممثلي دول اوربا الصغيرة وكلهم متشابهون فلا نكاد نميز اليوناني عن الروماني او عن السربي وتجمع هؤلاء كلهم جامعة الغرور فترى هذه العاطفة ماثلة في مشيتهم وفي ملبسهم وفي اشعال سيجاراتهم كأن ابن آدم اذا حرمهُ الله العظمة في النفس استبدل بها عظمة من عندهِ لا تخرج عن عجرفة وتصعير خدّ ومشية المرح

ثم اذن الله فقالوا : هذا سكرتير بريان قدم يأخذ معلمهُ . فخرج بريان فما رأى صاحبنا رجلاً اكثر منهُ سذاجة منظر فهو ربعة يميل الى القصر منحني الكتف قصير الرقبة كبير الرأس وكبير الشاربين يطلقهما على هواهما

يرتدي بذلة عمرها سنوات وسيجارتهُ مشعلة ابداً يلف تبغها بيدهِ . ولكنهُ ذو جاذبية ببساطتهِ وذو هيبة لعدم اكتراثهِ تشعرك انك ترى رجلاً عرف حقيقة العالم. فان هذا الرجل يمشي والناس من حولهِ الوف فتراهُ لا يلتفت ولا يأبه. اذا حُيّي حيّ لا هاشاً ولا باشاً كأ نهُ وحدهُ في وسط الجماهير فتذكر صاحبنا المصري درساً كان يسمعهُ من استاذ الالقاء والخطابة في المدرسة

فان هذا الاستاذ — رحمهُ الله — كان يقول للطلبة . اذا وقفتم تلقون ارتخطبون فلا تضطربوا ولا تجزعوا . اعتبروا هذه الرؤوس البشرية امامكم رؤوساً من الكرنب او اللفت فهل تحسبون لها حساباً ؟

وانهُ من الصعب جدًّا ان يلقى الانسان رجلاً يحفظ هذا الدرس كالمسيو بريان ولعل السرّ في كونهِ من اعظم خطباء العالم يرجع الى تمرسهِ بهذه الرؤوس حتى تساوت عندهُ سواء أكانت في البرلمان أم في صحن « السلطة »

ثم خرج اوستن تشمبرلن . فلما رآهُ صاحبنا المصري تذكر وجهاً كوجههِ ما عدا هذه الزجاجة المفردة على عين واحدة — ذلك وجه المستر بسيفال المستشار القضائي في وزارة الحقانية

وتشمبرلين هذا يجمعهُ قولك : رجل متأنق : متأنق من رأسهِ الى اخمص قدميهِ شعرهُ مرتب مصقول . وجههُ حليق احمر . هندامهُ كأن يد الكاوي لا تفارق ثيابهُ . يجلس في السيارة ببطء ويشعل سيجارتهُ ببطء ويضعها بين اصابع يدهِ ببطء ثم ينقلها الى فمهِ ببطء

وهو دائماً تصحبهُ سيدة تارة عجوز شمطاء واخرى شابة غير حسناء على ان ارستوقراطيتهُ ممزوجة بكثير من ملامح الرجل الطيب المستقيم

واشتد المطر وكان التعب قد اضنى صاحبنا فهرول راجعاً الى رفقائه يقص عليهم قصة ما رأت عيناهُ . وجلسوا يتناولون الغذاء وهمهم منصرف الى مشكلة الحصول على تذاكر تخولهم حق مشاهدة جلسة من جلسات جمعية الامم

***

يندر ان تجلس في مكان عام في جنيف ولا تسمع العربية

ولكن هذه القهوة امتازت بان كان صاحبنا المصري يسمع لغته من كل زاوية من زواياها وخيل اليهِ انهُ يسمع صوتاً يعرفهُ فالتفت فما كذب حدسهُ اذ رأى صديقاً عزيزاً هو اميل زيدان فقام اليهِ يحييه بشوق ويحيي زوجه السيدة كاملة التهذيب ومعها الصحافي المعروف اميل الخوري والسياسي السوري احسان الجابري فكان لهم الفضل كل الفضل — لا في اللقاء بين الاصدقاء في دار الغربة فحسب بل لانهم اسرعوا فاتوا لهُ ولنفرهِ بتذاكر الدخول في تلك الساعة الى جلسة جمعية الامم

فقام الجمع كله يؤمون تلك الدار

ليس لجمعية الامم مقر خاص بها الآن فالدار التي ستقام لها لم يشرع في بنائها بعد فهي لذلك تجتمع في الدار التي اجتمع فيها اهل سويسرا واعلنوا ميثاق دخولهم في مذهب كلفن وجماعته

وطلاب حضور جلسات الجمعية لا يعدّون ولا يحصون فكأنك في برج بابل تسمع كل الالسنة وتشاهد كل الوجوه

فأدخل اصحابنا من الباب المعد لهم وصعدوا الى شرفات القاعة وتبوأوا امكنتهم وعلى الحائط اعلان بالسكون التام عندما يفتح الرئيس الجلسة

جلسوا وكلهم اعين تنظر الى اعضاء جمعية الامم يدخلون اعضاء كل دولة الى مقاعد أعدت لها لا تتغير عدًّا او مكاناً

فكان يقول قائل: ها ايطاليا وهذا السنيور شالويا وصحبه. وآخر: ها رومانيا. وآخر: انظر الى الصينيين يدخلون

وما استوقف نظر صاحبنا المصري الا ثلاثة دخلوا الواحد وراء الآخر — سمر الوجوه باحمرار قليل جعد الشعر فاحموهُ فسأل فقيل ممثلو الحبشة. كانوا يسرعون الخطى مطرقين يحكون رؤوسهم بايديهم. فقال في نفسهِ: بماذا اشبههم. انهم يشبهون ولداً صغيراً دعاهُ ابوهُ الى قاعة استقبال ضيوفهِ فاطرق خجلاً ومدّ يده عن غير قصد يحك رأسهُ ليخفي حياءهُ. ام لعلّ لحكّ هذه الرؤوس سبباً آخر. فقد يكون رمزاً الى انهم يدعون رؤوساً في بلادهم او دليلاً على حشرات تقطن تلك الناحيـة من اجسادهم

ودخل تشمبرلين تصحبهُ سيدة عجوز وجلس مكانهُ. ودخل الالمان وكانوا اربعة يرأسهم شترزمان وانك لتنظر الى مئات الاعضاء فلا يلفت نظرك الاّ هؤلاء الاربعة القرع الطوال جلوس لا يتحركون ولا يلتفتون يمنة او يسرة

وجاء بريان ومعهُ بول بونكور المحامي والنائب الاشتراكي ذو المستقبل المجيد وآخر غاب عن الذهن اسمهُ كان مرشحاً من بضع سنين لرآسة الجمهورية فكانت جماعة التمثيل الفرنساوي والانكليزي والالماني قبلة انظار الناس. وما عداهم فاصفار لم يعبأ بهم احد

اما رئيس الجمعية فمثل جمهورية من جمهوريات اميركا الجنوبية وسيان لديك كانت جوتومالا او شيلي او هندوراس . ومقعده على منصة عالية والى يمينه السكرتير الدائم للجمعية وهو انكليزي — السير أرك درمند — يحيط بهم زمرة من الكتبة غير قليل عددهم

وقرع الرئيس الجرس واُقفلت الابواب وقال شيئاً بالفرنساوية لم نسمعهُ واعاده السكرتير الدائم بالانكليزية فاذا به يقدم للجمعية مندوب جمهورية اميركية جنوبية يلقي خطاباً موضوعهُ (وجوب تقنين الشرائع الدولية) اسوة بالشرائع المدنية والجنائية

فقام الرجل يقرأ من ورقةٍ كلاماً قيل انهُ افرنسيًّا بصوت خافت ولهجة مملة ونطق شنيع . واطال في الكلام واطال ، فكنت ترى الجمهور — جمهور الزائرين — يكاد يجنّ . اما الاعضاء الرسميون فكأن على رؤوسهم الطير . الاّ بعض مراسلات يتبادلها تشمبرلين مع بريان بوريقات كان يرسلها احدهم الى الآخر

فلعن اصحابنا ساعتهم وقالوا جئنا مؤملين ان نسمع بريان يخطب او مندوب بولونيا يشكو فيشتبك الجدال بين تشمبرلن وشترزمان او ننظر مشهداً روائيًّا آخر مما يلذّ للعين وللاذن فاذا بنا وكأننا في غيابة السجن

فقد كان السعد تامًّا والقوم محظوظين لو رأوا بريان يصعد المنبر فيبدأ الكلام بصوتهِ الرنان ويأخذ بمجامع القلوب اذ يحلّق في سماء الخيال ببيان بليغ عن الانسانية والسلام والتآخي فيخيل الى السامع انهُ يجري في المحاق ووراء ملاك طائر في الفضاء لولا رؤيته امامهُ رجلاً يكاد «بنطلونه» يهوي الى الارض من قدميهِ وتكاد قميصهِ تفرّ من ذراعيهِ

على انهُ قدر لاصحابنا ألاّ تتم لهم السعادة كلها فهموا بالخروج فمنعهم الحاجب وقال : لا حتى ينتهي الخطيب وكانوا يتملقونهُ ويرجونهُ هامسين ويشرحون لهُ صعوبة حالهم وان عليهم ان يلحقوا بالقطار المسافر الساعة حتى رقّ قلبهُ ففتح الباب فخرجوا غير مودعين الاصحاب الذين مكنوهم من الدخول — وهكذا دخلوا جنيف ودخلوا جمعية الامم مستعطفين سائلين وخرجوا منها مستعطفين سائلين

سامي الجريديني

—o:o—

الالعاب الاولمبية

والرياضة البدنية عند القدماء

في الصيف المقبل تقام الالعاب الاولمبية في امستردام عاصمة هولانده وتشترك فيها اكثر امم الارض. وقد اخذت الفرق المصرية تعد عدتها لذلك. وفي السنة القادمة تقام الالعاب الافريقية في ملعب الاسكندرية الجديد وتشتمل على ابواب الرياضة البدنية كالجري والقفز وعلى انواع الجماز وعلى المبارزة والمصارعة والملاكمة وعلى الالعاب البحرية كالسباحة وما اليها وعلى التنس وكرة القدم. فرأينا ان ننشر في المقتطف بضعة فصول في هذا الموضوع من الوجه التاريخي وعهدنا في ذلك الى المؤرخ المشهور الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف فبعث الينا بمقاله الاول الذي ننشره فيما يلي:

١

ما هي الالعاب الالمبية ؟

ان الالعاب الاولمبية Olympiques منسوبة الى مدينة اولمبية حيث كانت تقام. وهذه المدينة هي اليس او اليذة التي شيّد فيها هيكل عظيم لزفس اي المشتري ابي الآلهة ورئيسها فسمي زفس الاولمي. والمدينة مع بعدها عن جبل اولمبوس بعداً شاسعاً نسبت اليهِ لاشتهارها بهِ. وسنة ١٩٠٣ كشفت اطلال هذا الهيكل مع آثار جميلة نقلت الى متحف (اثينة)

وموقع جبل اولمبس هو في الروم ايلي على حدود تسالية ومكدونية اليونانيـة وشماليها وهو اعلى جبال العالم في زعمهم. واعلى جبال اليونان واشرفها في نظرهم اذ هو مسكن آلهتهم ولاسيما زعيمها زفس. ويسمى جبل الاولمب الآن جبل لاكا او لاشا وعلوُّهُ (٩٧٠٠) قدم. وسمي (مجلس شورى الآلهة) لانهم يسكنون فيهِ ويعقدون مجالسهم وحولهُ وادي الاولمب غربي بلاد المورة

ومقاطعة (اليذة) هذه هي على الشاطئ الشمالي الشرقي من بلاد اليونان وهي اخصب موضع في البيلوبونيسة وكانت ارضها تحسب مقدَّسة تحرّم انتشاب حرب قربها وخصصت بالالعاب الاولمبية التي اقامها هرقل البطل اكراماً لزفس وكانت مجداً لليونان حتى قال شيشرون الخطيب الروماني: « وكان الفوز بالالعاب الاولمبية اعظم ما ينال

الروماني من شرف الانتصار ولا تستطيع مطامع الانسان أن تتجاوز الى مافوق ذلك»

والالعاب الاولمبية من حقوق الايليين وقد نازعهم اهل بيسى شرفها فأدَّى ذلك الى حرب ضروس أُكتسحت فيها بيسى ودُمرت فخلا الجو للايليين واستقلوا بهذا الحق بدون معارض فكانوا ينظمون حرس الالعاب من رجالهم وينتخبون قضاة لهم من اشهر وطنيهم . فكان عدد قضاتهم اولاً ثلاثة ثم صار اثني عشر واستقر على عشرة

وسميت هذه الالعاب ايضاً الجمنستيك من كلمة يونانية جمناسيون Gymnasiun بمعنى المجرَّد او العريان . وقال اللاتينيون: جمناسيوم وقد استعملوها للمتروضين لانهم يكونون عراة تخففاً وتسهيلاً للحركات كما سيجيء . واستعملت هذه الكلمة اليوم في اوربة ولاسيما في جرمانية اسماً للمدارس العليا لكثرة العابها الرياضية. اما الانكليز والاميركان فيريدون بها المَراض (المرَاض او المترَوَّض) اي مكان الرياضة . وهو باليونانية جناس Gymnas اي مدرسة الترَوُّض ونسبوا اليها فقالوا جنستيك Gymnastic اي علم الرياضة او علم تمرين اعضاء الجسد بالحركات والالعاب . وعرَّبها العرب (الرياضة او الرياضة البدنية)

واصل استعمالها للعري والتجريد كان من الاولمبياذة الثانية والثلاثين لانهُ حدث ان ارخيوس المصارع المشهور فشل فيها لان لباسهُ انحلَّ في اشتداد مصارعتهِ فمنعهُ الحركة ومكَّن زميلهُ من الاستظهار عليهِ . فسنوا لذلك نظام التعرّي عند الترَوُّض ومنعوا النساء من شهود الحفلات منذ ذلك العهد . ومن خالف قُتل

وكان اليونانيون يفضلون الرياضة الطبيعية فخصوا الجمناسيوم بوقت يشغل مقدار الوقت لباقي العلوم. ويتخذونها عندما يتممون العلوم العقلية وعمَّ استعمالها في جميع بلادهم. وكان في اثينة ثلاثة اماكن لها (١) الاكاذيمية التي اشتهرت بتدريس افلاطون وهي منسوبة الى مالك ذلك الغاب اكاذيموس وهي التي عرفت باسم (المجمع العلمي) عندنا (٢) الليسيوم التي خصت بتعاليم ارسطو (٣) الكينوسرغس التي وضع سولون المشترع نظامات لها. فكان لرئيس الجمناسيوم الحق في ان يعزل من شاء من المدرسين او الفلاسفة او السفسطائيين الذين كان يخاف على الشبان منهم . وكان على معلم الجمناسيوم ان يعرف تأثيرات الرياضة المختلفة في المتروِّضين بحسب علم منافع الاعضاء (الفسيولوجية) وان يخص كل تلميذ بما يناسبهُ منها وكان هذا الفن مخصصاً بحماية ابلُّون إله الاطباء لتعلقه بالصحة والمرض. اما العرب والاوربيون والاميركيون فلهم انظمة اخرى مشهورة ستأتي

رشيِّدت ملاعب كثيرة لهذه الالعاب ومنذ سنوات اكتشف ايفان الالماني ملعب اقريطش (كريت) وهو اكبر الملاعب الشرقية يسع عشرين الف نفس وعرضهُ مائة واربعون متراً

وكان عند الرومان الكولوسيوم Colosaiom الذي انشأهُ الامبراطور فسبسيانوس وهو ملعب رومية المشهور الذي جرت فيهِ الالعاب وسباق الحيوانات الضواري كالاسود والنمور والفهود والضباع وغيرها من الحيوانات الاخرى كالفيلة والخيل . كما كانت تجري فيهِ المصارعة وغيرها من هذه الفنون

وكان فيها ملعب مدرَّج (امفيتياتر) Amphytiatre يسع سبعين الف متفرج حول ميدان فسيح للصيد والصراع الوحشي والصراع الانساني والوحشي حتى كانت الوحوش تفترس المصارعين من الناس ولاسيما المحكوم عليهم بالقتل او المسيحيين الذين ناصبوا الوثنية العداء . ولقد قتل هيرودس اغريبا الاول حفيد هيرودس الكبير في ملعب بيروت الفاً واربعمائة من الجناة دفعة واحدة اذ قسمهم قسمين فتقاتلا وتفانيا

وكثيراً ما كان يقتل ثلاثمائة وعشرون زوجاً من المتصارعين مرة واحدة . وقتل اوغسطس قيصر عشرة آلاف رجل بالالعاب التي شهدها سحابة عمره في ملكهِ . وقتل تراجانوس الامبراطور مثل ذلك في اربعة اشهر فقط . وكان المغلوب من المتصارعين يذبح ذبحاً

وكان في مدينة دمشق ملعب قديم على شكل مدرَّج قطر دائرتهِ نحو خمس واربعين ذراعاً كانت تقام فيه الاحتفالات والمصارعات في عهد الرومانيين وهو في محلة (تل السماكة) المتصل (بتل النجار) الى الجنوب والشرق على مقربة من (مأذنة الشحم) وكان يحسن موقعه يشرف على اهم مواقع المدينة ولاسيما على هيكل جينون امرأة المشتري حيث الآن الجامع الاموي الكبير وقد اكتشف آثارهُ صديقي الاثري المستر جيمس ادورد هانوَر مرسل الكنيسة الاسقفية الانجيلية في دمشق وذلك منذ بضع عشرة سنة . وتوجد آثار ملاعب كثيرة في بلادنا مثل البترون وبيروت على ساحل البحر وعمان في الداخلية وقد جرت فيها العاب ومبارزات وحفلات ومبايعات للملوك ونحو ذلك

٢

كيف نشأت هذه الالعاب ؟

اعتاد قدماء المصريين وغيرهم من الامم القديمة اقامة اعياد وحفلات في اثناء السنة وفي مبدإِ الفصول والشهور وفي الحوادث الخطيرة النادرة وفي مواسم الآلهة ونحو ذلك من الشؤون تبركاً باكتساب رضا الآلهة وتيمناً بسعودها . وتوقعاً للخير والسعادة في ظلها . وكانت حفلاتهم تتم بانواع من الرقص على الغنا او عزف الموسيقى ونحو ذلك . وتمادوا فيها حتى حوَّلوها الى شبه العاب ورياضات فحركوا اجسامهم ومرنوا اعضاءهم وقوَّوا عضلاتهم فتولد من ذلك الرقص والمبارزة والمصارعة والسباق والملاكمة والصيد والقتال وغيرها من الحركات جماماً للخاطر وترويحاً للنفس . وكانت هذه التروُّضات اولاً دينية أُسست على مبادىء وطنية صرفة وعصبيات جنسية ووحدات قومية . وتناولها من جاء بعدهم ولاسيما اليونانيون الذين كان اسلافهم البلاسيجيون (اي الغرباء) سكان بلادهم القدماء يحتفلون بها وكانت اشبه باجتماعات الاسرائيليين في زمن موسى الكليم . والمصريين في عهد الفراعنة . والعرب في الكعبة قبل الاسلام

ولقد كانت اعتقادات اليونانيين بالآلهة وعباداتهم المتنوعة مبنيةً على اوهام وتخرصات فحسبوا ان الارض مسطحة مستديرة الشكل كالترس وحولها البحر المحيط (الاوقيانوس) وهناك اقاليم الظلمة . وان السموات قبة صلدة تمس اطرافها الارض والهاوية تحت الارض وهي مقر نفوس الموتى تتصل الى الارض بنفق عظيم وتحت الهاوية سجن (طرطروس) وهو حفرة قاتمة منيعة الرتاج

وزعموا ان الشمس اله يرمي سهامه عن القوس وهو ممتطٍ مركبة نارية ينحدر بها ويصعد . واعتقدوا بعد هذا كلهِ ان اقاليم السعادة والهناء في طرفي المغرب والمشرق حيث ترشقها الشمس باشعتها وان في الاقليم الغربي جزائر السعادة ومقرَّ ارواح الابطال والشعراء

وثبت لهم ان اعظم آلهتهم في جبل الاولمب يأكلون طعام الآلهة ويشربون شرابها فصار الجبل عندهم كالسماء عند ارباب الكتب الدينية المنزلة . وكان لهم في ذلك الجبل هيكل عظيم . وكان يرأس هذا الهيكل مجلس مؤلف من اثني عشر عضواً من الآلهة ستة ذكور وستة اناث (فالذكور هم): زفس او المشتري وهو عندهم أبو الآلهة والناس .

ونبتون او بوسيدون حاكم البحر . وابلُّون او فيبُس اله النور والموسيقى والنبوءة. وأرس اله الحرب . وهيفستس اله النار المشوَّه وصانع صواعق زفس . وهرمس المجنح القدمين رسول سكان السماء اله الاختراع والتجارة (والاناث منَّ) : هيرا ملكة زفس شديدة الغيرة والكبرياء . واثينة او بلاس التي نشأت كاملة النموّ من جبهة زفس وهي إلهة الحكمة وحامية الصناعات الالهية ويسمونها مينرفه ايضاً . وارطاميس الهة الصيد . وافروديتي او الزهرة الهة الحب والجمال المولودة من زبد البحر . وهستيا الهة المواقد . ودعتره ام الارض الهة الحبوب والحصاد . الى كثيرين وكثيرات من الآلهة والالاهات (١)

وكانت هذه الآلهة بشراً مكرَّمين فاقوا البشر بقوة الاجساد اكثر من ضخامتها وكانت مساكنهم جبل اولمبوس وطبقات الهواء فوق الارض فكانوا ينزلون الى الارض ويمتزجون بالبشر ثم اعرضوا عن ذلك وصاروا يخاطبون الناس بواسطة الوحي في المواحي (الهياكل)

وكان هيكل دلفي اعظمها في (فوسيس) وكانوا يزعمون ان البخار المخدِّر الذي يصعد من شقٍّ عظيم عميق في الصخور هو نفس ابلّون الموحي بواسطة الكاهنة التي تجلس فوق متنفس البخار على كرسي مثلث القوائم كالاثفية . وحينما يغلبها البخار تبلغ رسالة الاله والكهنة يدوّنون وحيها ويفسرونهُ وينظمونهُ شعراً يتغنَّى بهِ . فمنهُ ما يكون حكماً ونصائح . ومنهُ ما يتضمن التنبؤ بالمستقبل الذي ولع بهِ القدماء

فكلف اليونان بالوحي وكان مَوْحى (هيكل) زفس في مدينة (دودونا) في مقاطعة ابيروس اشهر هيكل . وكان الكهنة يستوحون الاله ويصغون الى كلامهِ في حفيف اوراق شجرة البلُّوط المقدسة وقد بقي شجر البلوط يحافظ عليهِ قرب الهياكل والمعابد والكنائس الى يومنا ولا يعلم لذلك تعليل غير هذا التعليل ولعلهُ كافٍ اذا لم يكن لهُ سبب آخر

وكانت بلاد اليونان في القرن السابع قبل الميلاد كثيرة المدن . وكل مدينة منها مستأثرة باحكامها اشبه بامارة مستقلة تعلن الحرب والسلم وتعقد المعاهدات وكان سكان كل مدينة يعتبرون اجانب عند الاخرى . ولكل منهم مدينة مسوَّرة (ذات سور)

(١) راجع في الجزء الثامن الممتاز من مجلتنا (الآثار) لسنتها الرابعة الماضية مقالة في آلهة اليونان وصورها ورموزها

منيعة الجوانب يلجأ اليها اهل القرى عند النكبات والحروب . وكانت كل مدينة او قرية مؤلفة من عشائر وعمائر وقبائل وبطون وافخاذ يربطها راس عبدونهُ معتقدين انهُ جدهم الاصلي وهو كالهٍ حارس لهم

فهذه العشائر عنت اولاً بالحقول المدنية واشتهر اليوناني بحبه لموطنهِ وتفانيهِ في الدفاع عنهُ . فكان كل قبيل منهم يحب مدينتهُ حبًّا صحيحاً فيمرت في حماية ذمارها . فلهذا لم يكن التمدن اليوناني الا زهرة اشجار هي حب الوطن وثمارهُ الناضجة. بل من اعتقاداتهم ان لآلهتهم عواطف حسَّاسة كالبشر فعُنوا باسترضائهم بتقديم الهدايا لهم وتشييد المواحي (الهياكل) المنيعة الشاهقة وتقريب الضحايا البشرية والحيوانية والاحتفال باعيادهم وتذكاراتهم تلذذاً وتنعماً برضاهم

فنزع اليونانيون بتلك الاسباب الى توطيد علاقات المودة بينهم لعدم رغبتهم بجمع قبائلهم في مدينة واحدة يرتبطون بها ارتباطاً وثيق العرى . فاستعاضوا عن ذلك بعقد اشتراكٍ مذهبي مؤلف من اثني عشرة قبيلة كانت كل منها تنتمي الى اله من الآلهة الاثني عشر ذكوراً واناثاً

فكانت كل قبيلة ترسل الى هيكل دلفي نواباً في ايام الربيع والى ثرموبيلية في ايام الخريف لانهم كانوا يجرون في هذين المحلين بعض احتفالات دينية

وكان المجمع الانفقطيوني Amphictyonic المسمى بمحالفة الجيران او المجلس النيابي عن هذه القبائل يتولى الحكم وتوزيع الجوائز على الظافرين مثل تمثال او قبر لمن يستحقهُ بوطنيتهِ وخدماتهِ كما انهُ يتولى قصاص المجرمين والمخالفين حتى بالقتل ممن يخونون وطنهم . فعاقب الفوقيين لتعديهم على المذهب الجنسي كما عاقب ايفيالتس لارشادهِ جيش الفرس الى طريق ثرموبيلية في الموقعة المشهورة

وبواسطة هذا المجمع وهذه المقاصد اقاموا الالعاب المقدسة تكريماً لآلهتهم . فكان اساس هذه الالعاب العجائب التي تظهرها الآلهة معجزات . ولاسيما الضحايا امام هيكل زفس التي كانوا يقربونها ويستطلعون منها نيات الآلهة نحوهم . ويستجلبون رضاها عنهم . كما يستمطرون غضبها عليهم . إما من الجهة التي يسير فيها لسان اللهيب عند احراق الضحية . واما من الشقوق التي تظهر في جلود الضحايا عند تقديمها واشتعالها . ونحو ذلك من الاستدلالات والتخرصات التي الفوها وبنوا عليها اوهامهم الكثيرة ثم انتقلوا من هذا الطور الى اتخاذ الكهنة واسطة بينهم وبين الآلهة والانقياد

الى مشورتهم . ثم احتفلوا بتكريمهم بالالعاب التي كانوا يجرونها في هياكلهم وحولها

ومما كانوا يتغنون بهِ من الاناشيد التي يكرّم بها ابلون قولهم : « ان الايونيين يسرونك بما يجرونهُ من القتال والغناء والرقص »

وكان تعليم اليونان القديم يشتمل على ثلاثة اشياء :

(أولها) الغراماطيق اي اصول الصرف والنحو من العلوم اللسانية

و(ثانيها) الموسيقى بآدابها المعلومة

و(ثالثها) التروُّض البدني بشروطهِ

واضاف اليها الفيلسوف ارسطوطاليس فن (الرسم والتصوير) ولكنَّ اشهرها عندهم واهمها وانفعها (في إعداد العقول لتلقن العلوم وتفوقها فيها على غيرها) كان التروُّض فوضع لهُ صولون المشترع نظاماً خاصًّا وخصهُ بالاله ابلُّون معبود الاطباء كما سبقت الاشارة اليهِ

وكانت منزلة الابطال عندهم بعد منزلة الآلهة ولهم اقاصيص غريبة مشهورة منها قول ثيموستوكليس : « وما قهرنا الفرس باستظهارنا عليهم ولكن الارباب والابطال هم هم الذين غلبوهم »

ولكي يتحققوا منافع التروُّض استشاروا لهُ اله دلفي اي زفس فقال : ان بهِ السلام للبلاد . فعم الاشتراك بهِ جميع الهيلانيين من سواحل اسيا الصغرى الى سواحل اغريقية الكبرى . وقال احد كهنة ابلون يخاطبهُ : « ضحيتُ لك بثيران سمينة منذ عهد بعيد . فاقبل الآن تضرعاتي وأصم اعدائي بسهام غضبك المنقضة »

وكانت لهذه الالعاب المنزلة العظيمة عندهم ففصَّلها مؤرخوهم وعني بوصفها هوميروس في الياذتهِ، ومن راجع النشيد الثالث والعشرين من معرَّبها وقف على كثير من انواع الرياضة والالعاب كما سيأتي

***

ونرجئ الكلام في (تاريخ الالعاب الاولمبية) و (حفلاتها) و (انواعها) الى الاجزاء الآتية . مما يتم بهِ الكلام عنها عند القدماء

زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف

صاحب مجلة الآثار ومؤلف تاريخ

الاسر الشرقية العام

روائي البحر المتوسط

بلاسكو ابانيز

في اواخر شهر دسمبر الماضي كنت اتحدث مع صديقي الفاضل محرر المقتطف عن بلاسكو ابانيز وتآليفهِ ولم يكن ليدور بخلدي وقتئذٍ ألاَّ يمرّ على تلك المحادثة اقل من شهر حتى يصلني من محرّر المقتطف كتاب يحمل بين طياتهِ نبأ وفاة هذا المؤلف العظيم ويقترح عليَّ فيهِ ان اعرّف ابانيز الى قراء المقتطف في مقال موجز

ترددت في الامر. لاني لا اعرف عن ابانيز الكثير. والمصادر التي بين يديَّ عن حياتهِ قليلة جدًّا. وتنحصر اكثر معرفتي بهِ في كتبهِ ومؤلفاتهِ. ولهذا — استميح قرّاء المقتطف عذراً اذا تكلمت قليلاً عن سيرة هذا الرجل. واكثرت من ذكر حياتهِ الخالدة في فنهِ ورواياتهِ

لقد فُجع الادب العالمي في الثلاث سنوات الاخيرة بثلاثة من اركانهِ. اناتول فرانس من فرنسا. وتوماس هاردي من انكلترا. وبلاسكو ابانيز من اسبانيا. كل منهم كان اماماً عظيماً في فنهِ وان اختلفت مناهجهم. فلكلٍّ نبوغ في اسلوبهِ. ولكلٍّ عبقريةٌ في مسلكهِ. الاَّ ان كلاًّ من توماس هاردي واناتول فرانس توفي بعد الثمانين من عمرهِ مكرماً محترماً في بلادهِ. ولكن بلاسكو ابانيز توفي في سنّ الستين (وهذه السنّ هي منتصف الحياة الادبية لرفيقيهِ) شريداً عن بلادهِ مغضوباً عليهِ من حكومتهِ منفيًّا عن اسبانيا التي احبها وتألم لاجلها حتى الساعة الاخيرة من حياتهِ

وليس توماس هاردي من طبقة اناتول فرانس او بلاسكو ابانيز — فهو روائي عظيم بدون شك — الاَّ انهُ متمسك بكياسة القديم ونعومتهِ لا ثائراً ولا متمرداً. والقديم دائماً ملطَّف مصقول لا يخدش عاطفة ولا يجرح تقاليد. ان هاردي خلفٌ عظيم للمدرسة الكلاسيكية الادبية وما لها من الابهة والمجد والجمود. فليس بغريب اذا وجدناهُ ينزوي تدريجاً وينسحب الى عالم النسيان قبل وفاتهِ بخمس عشرة سنة. وقد مات كالخادم الامين الذي احيل «الى المعاش» بعد خدمات طويلة

اما اناتول فرانس فكابانيز وهما — على الضد من الروائي الانكليزي الكبير — الثائران اللذان لا يشفقان على القديم وتقاليدهِ. اناتول فرانس هو الثائر المتهكم الذي يظهر غير مكترث للنتيجة. ولكن أليس عدم اكتراثهِ هذا جزءًا من فنهِ؟ اوليست ثورتهُ

مستورة تحت غشاء دقيق من فنهِ الرقيق ؟ وابانيز هو الثائر بدون تكتم ولا اشفاق . لا يشفق على نفسهِ ولا على ابطال رواياتهِ . هو ثائر منذ حداثتهِ فكأن الثورة غريزة فيهِ

ولد في بلنسيا باسبانيا في التاسع والعشرين من شهر يناير سنة ١٨٦٧ وقبل أن يبلغ سنّ الثامنة عشرة كان محرر جريدة جمهورية النزعة . تصدر في مدينة بلنسيا . وحكم عليهِ في ذلك العهد لجرم سياسي نسب اليهِ بالسجن في مدينة برشلونة مدينة الثورات . اما الشعب في بلنسيا فكان يحبهُ محبة شديدة وقد اعاد انتخابهُ للبرلمان الاسباني سبع مرات متتابعة حتى اصبح زعيماً لحزبهِ الجمهوري وذلك قبل بلوغه الثلاثين من عمرهِ

ابتدأ حياتهُ الادبية ايضاً في مقتبل العمر متتبعاً الطريقة الطبيعية مقتفياً آثار خطوات روائيي فرنسا ، كاميل زولا وغيرهِ ، في النسق والسبك . ولاشك انهُ كان معجباً (كما يظهر في كثير من مواقف رواياتهِ) — برينان وباناتول فرانس — . وان كان لم يأخذ عنهما كثيراً . ولم يلبث في دور التلمذة طويلاً . نراهُ ذلك الاستاذ الماهر حتى في فجر حياتهِ الروائية . فروايتهُ (البراكة) او الكوخ الخشبي الحقير ، وهي اول رواياتهِ ، تصف حالة رجل غريب يستولي على قطعة ارض ليعيش فيها مع عائلتهِ بين فلاحي مقاطعة بلنسيا . وهنا يدب دبيب الغيرة والفساد في عقول ذوي النفوس الصغيرة من مجاوريهِ . ورغماً عن ان هذا الموضوع محدود المجال والغاية الا ان ابانيز في هذه الرواية متفوق في فنهِ اذ احاط هذا الموضوع البسيط برونق يمتاز بهِ عن جماهير الروائيين

فهو يصف عذاب هذا النزيل الغريب وآلامهُ النفسية بين جيرانهِ وصفاً يترك في القلب اثراً عميقاً . لم يرَ ذلك الغريب منهم فترة من الشفقة الا عند موت احد اولادهِ ولكنهم لم يلبثوا ان انقلبوا عليهِ واعادوا الكرة بمظاهر التطفل والظلم والاحتقار الناشئة عن قصر عقولهم وبلادة طباعهم ، الى ان انتهى بهم الامر الى طردهِ من بينهم . وهذا يذكرنا بتهكم اناتول فرانس حيث يقول . . هو جاري وبالطبع هو عدوّي . .

لا اعرف بالضبط الوقت الذي ابتدأ فيهِ العالم الادبي خارج اسبانيا يهتم بأبانيز . ولكننا نجد لهُ رواية « الكنيسة » او الكتيدرال مترجمة الى اللغة الانكليزية في سنة ١٩٠٩ ورواية « الدماء في الميدان » مترجمة ايضاً قبل الحرب العالمية . الا ان الجمهور الادبي في اوربا لم يعرف ابانيز الا حوالي سنة ١٩١٧ ، حينما ظهرت روايتهُ « فرسان الرؤيا الاربعة » وتلتها رواية « بحرنا » اي « رواية البحر المتوسط »

في سنة ١٩١٩ وهذه وما قبلها من اعظم روايات الحرب العظمى

اني لم اقرأ ابانيز الا عند ظهور روايته — فرسان الرؤيا . والحق يقال اني تقدمت لقراءة هذه الرواية بعض التخوف والتردد لانني دائماً اتحاشى الروايات التي تبحث في الموضوعات السياسية المعاصرة اذ هي في الغالب تشوهها الدعاية فتظهر بحلة لا هي فنية صحيحة ولا هي دعاية مقنعة . ولكنني عند الانتهاء من قراءة فرسان الرؤيا وجدت فيها تلك القوة الفنية الحقيقية ، تتخللها دعاية شديدة ، تسير معها نحو الغاية ، بدون اضطراب في الفن ومن غير ان يعكر احدهما صفو الآخر . فهي رواية تجمع بين الجمال والحماسة والغيرة والحزن ودقة الوصف والتصير الى حد لا مثيل له

وابانيز في فنه لا يهاجم مباشرة . فهو اذا ثار على مصارعة الثيران ووحشيتها وفظاعتها في بلاده كما في رواية « الدماء في الميدان » فعل ذلك بالقدح والتقريع . لا يؤلمنا بوصف هذه القساوة . ولا يرينا سيدة نحيفة رقيقة الشعور تتأثر من هذه القساوة فيحملونها من وسط المسرح مغمياً عليها كما يفعل غيره من الروائيين. لا شيء من ذلك . لا يتألم في الرواية الا بطل المصارعة . يتألم من تخوفاته قبل يوم المصارعة ويتألم من حب الكونتس « دوناسول » التي تعشقه كبطل وتحتقره لانه من العامة ، تتبعه عند اوج مجده وترتد عنه عند ما تتضاءل شهرته . يموت بطل المصارعة في الرواية فيحملونه الى ما وراء الارينا والجمهور الذي يعبده لا يتحرك من مكانه بل يصيح : « لا توقفوا المشهد ! . لا توقفوا المشهد ! » وما هي الا دقائق قليلة حتى يعود المشاهدون الى ضجيجهم وتهتهم كأنه لم يكن امر

وهاك مشهداً آخر من مشاهد تهكم ابانيز العميق على الحياة والهيئة الاجتماعية. ان بطل رواية « الكتيدرال » رجل اشتراكي ، كابانيز نفسه ، يثور على الكنيسة وعلى الحالة الاجتماعية الحاضرة . ثم يغلب على امره بعد ان يطوف اوربا ، مطارداً من بوليسها ، لمناداته بالثورة الاجتماعية . ويعود مكسور القلب سقيم الجسم الى بلاده متخفياً متنكراً ، يلتجيء الى اخيه الفقير احد خدمة كنيسة توليدو ويعيش عنده من اموال تلك الكنيسة التي يكرهها اشد الكره . الا انه لا يلبث هناك حتى يبدأ يتامذ الذين حوله من خدام الكنيسة البسطاء والفقراء فينجح في اقناعهم للاخذ بارائه ولكنه لا يؤثر في اعمالهم . يسرقون الكنيسة وعند اقل مقاومة منه يقتلونه . نفس تلامذته يقتلونه ! هذه هي الحياة في نظر ابانيز شئنا أم لم نشأ . هي الحياة تتهكم وتزدري

بنا . وابانيز يصفها بدون اشفاق على آمالنا وغرورنا

وليس أشد من ابانيز على بلاده وعلى تاريخها وتقاليدها التي تمجّد اسبانيا وتلهج ابداً بتمجيد تاريخها عقيب طرد العرب منها . واليك ما يقوله عن ذلك العصر :

يجادل بطل رواية « الكنيسة » تلامذته بقولهم : آه على اسبانيا القديمة . آه على مجدها الغابر . آه على ملوكها الذين طردوا العرب منها وجعلوها سيدة الممالك . فيجيبهم الاشتراكي الضعيف المتنكر : « لا تخدعوا انفسكم فان العصر الذي تذكرونه هو ابتداء تقهقرنا . لا تغرنكم اللمعة في تلك العصور . فليس كل ما يلمع ذهباً . لم يأت تاريخ اسبانيا المجيد من الشمال ولا من الكنيسة كما تظنون ، بل من الجنوب ومن العرب . مع العرب اتت الى اسبانيا الحرية لشعبها المقيَّد تحت نير ملوك الدين ومطارنة الحروب . وما استولى عليه العرب في سنتين استغرق سبعمائة سنة لاخراجهم منه . ذلك لانهم لم يلقوا مقاومة شديدة عند فتحهم بلادنا . فان الشعب الاسباني كان يشعر ان هذا الفتح ليس استعمار السلاح بل استعمار تمدن جديد ، وحرية دينية جديدة ، لم ترها اسبانيا من قبل ولا من بعد . فالعرب جعلوا اسبانيا في ذلك العهد كالولايات المتحدة في اميركا الشمالية . يعيش فيها المسلم والمسيحي واليهودي بحرية تامة ومن غير تعصب ما . وبينما كانت دول شمالي اوربا تتطاحن في حروب دينية وابناؤها يعيشون كالبرابرة ، كان العرب والاسبان واليهود عائشين بسلام معاً كتلة واحدة وامة واحدة . فزاد سكان البلاد حتى بلغوا ثلاثين مليوناً في مدة قصيرة . وارتقى فيها الفن وزهت العلوم وتأسست فيها الجامعات . ملوكها سكنوا القصور وشعبها عاش في الرخاء بينما كانت ملوك بلدان الشمال تبيت في قلاع صخرية سوداء قذرة . وشعوبها تعيش في احقر المنازل يلبسون ويأكلون كالبرابرة المتوحشين

« وماذا عمل ملوك اسبانيا الذين اتوا من الشمال بعد كل ذلك . طردوا الحضارة من اسبانيا . طردوا العرب واليهود واحلوا محلهم الدين والتعصب . أليست الملكة ازابيل هي التي وضعت نظام التفتيش ! ألم تطفئ اسبانيا في ذلك العصر سراج العلم الذي كانت تضيئه الجوامع الاسلامية والكنائس اليهودية واحلت محله قناديل العبادة وسرجها ؟ فصارت اسبانيا تهتم بمواعيد الصلاة اكثر من اهتمامها بالقراءة والتنقيب ، وعندها ابتدأت اسبانيا تموت

« مسكينة اسبانيا ! فانها تعتبر فيليب الثاني اعظم ملوكها في ذلك العصر ولكن لم يكن

فيليب هذا اجنبياً عنهم . اليس هو القائل : « أفضّل ان احكم جنتاً هامدة من ان اكون ملكاً على هراطقة » . نعم قلّ الهراطقة في اسبانيا واليك ما حلّ محلهم : احد عشر الف دير . مائة الف راهب . اربعون الف راهبة . ثمانية وسبعون الف قسيس . سيطر اهل الدين على العلم والسياسة وخيم الجهل على البلاد وكلما زاد جهل اهل الدين زاد تداخلهم في الامور الدنيوية ففُقدت الكتب العلمية حتى لم تكن تجد في جامعة سلامنكا كتيباً في الجغرافية . وكان تلامذتها يظنون ان علم الرياضيات هو فرع من علوم السحر والتنجيم ولا محل لدرسه »

***

ابانيز هو روائيّ البحر المتوسط . يحب هذا البحر ومياهه الزرقاء ويتتبع في رواياته حركات اسماكه واغارات بحاراته بعطف وحنو كأنهم من ابنائه . يحب شعوبه على اختلاف اجناسها واديانها ويعجب برجاله الاقوياء الذين لوحت وجوههم شمسُه ، وقوّى دماءهم هواؤه ، وفتلت عضلاتهم شواطئه وجباله ، فصيرتهم امضى واصلب من الصوان . يسلبون الكبيرة والصغيرة كالجبابرة بدون اشفاق ولا تردد . اذا احسنوا اسخوا وان اساؤا قسوا

فهو يقول في روايته — ماري نُسترم — اي « بحرنا » : « شعوب البحر المتوسط هم ارستقراطية الشعوب . بعضهم كانوا قرصاناً . وبعضهم من القديسين . ولكن ليس فيهم من هو بين بين . يضمرون الخير ويرتكبون الشر بجسارة هائلة . يطفرون من طرف الى آخر دون ان يعرفوا التوسط حالا

«على هذا البحر شاد الانسان اسمى اعماله . عولس وبركليس كانا من ملاحيه . جزره انجبت هنيبال ونابليون وغاريبلدي . التشابه بين سكان شواطئه كبير . سماء واحدة وعقلية واحدة . جبال شواطئه وازهارها مقسومة شطرين ، شمالية ، وجنوبية ولكنها واحدة . فشعب جنوب ايطاليا وفرنسا اقرب الى اهل شمال افريقيا منهم الى اخوانهم في داخلية اوربا . شعوب شواطئه يميلون بعضهم الى بعض ويفهم بعضهم بعضاً ، ويتآخون بسرعة . وليس بغريب ان يعقد في العصور الوسطى على امواج هذا البحر قرصان الغرب وبحارة جنوى وفرسان مالطة عهد اخاء

***

يشعر كل من يهتم بالفنون الادبية عند قراءة بعض المؤلفين كمن يكتشف كنزاً ثميناً

وكثيرون من المؤلفين تترؤهم دون ان يثيروا حماستنا . وآخرون تترؤهم بحماسة ولذة والقلائل منهم نكتشفهم اكتشافاً . فنشعر كشعور مخترع عند ما يصيح : «وجدتها» او كمن يكتشف قارة كبيرة يصفر امامها في عينيه العالم القديم الذي كان يعرفه من قبل

افاق العالم الادبي في اوربا واميركا سنة ١٩١٧ لهزة ادبية عظيمة قلما شعر بمثلها وذلك عند ظهور رواية ابانيز عن الحرب (فرسان الرؤيا) . عندها اكتشفت اوربا واميركا ابانيز . وهذه ليست أعظم رواياته ولا اولها . فله روايات غيرها مترجمة الى الانكليزية منذ سنة ١٩٠٩ لانه لم يكن مجهولاً لدى القلائل العارفين . ولكن جمهور اوربا لم يعرفه حتى قرأ رواية «فرسان الرؤيا» . وبدأت بعدها شركات النشر تعيد طبع رواياته وتترجم غيرها فاتسع نطاق شهرته اتساعاً عظيماً الى ان قال احد كتاب الاميركان الفكاهيين في ذلك الوقت : «ما دام ابانيز قد ابتدأ يضارب على صناعتنا فالاوفق ان نكسر اقلامنا ونجد لنا صناعة غير الادب لنعيش»

انني لا اعرف من يجاري ابانيز فيما يتركه في القارئ من الاثر الثمين . ولا من يفوقه في فنه . وسواء كان موضوعه الحرب العالمية ، او كنيسة توليدو ، او تأثير الدين على اسبانيا ، او سمّاكي بانسيا ، او فقراء مدريد ، او تعصب الجيران ضد الدخيل بينهم — كل ذلك يجعله يحيا امامك بلحم ودم بالصورة الطبيعية من غير مبالغة او تهجم . ويبرز لك صورة منحوتة اجمل وارق من الاصل وابلغ تأثيراً منه لان روح الآرتست — او الفني المظيم فيها . ولان فن ابانيز الخالد يخلدها

ابانيز اول مؤلف اسباني حديث حضنه العالم الادبي ووضعه في مصاف عمدائه

يقول لنا بعض الاسبان : ان بلادهم انجبت من هو اعظم من ابانيز . عسى يصدقون فلست اضن على الادب ان يظهر فيه من هو اعظم من ابانيز ولكن العالم الادبي الى الآن لا يصدق ذلك ولا يعرف من اسبانيا غير ابانيز . فاسبانيا وارستقراطيتها التي طردت ابانيز من بلادهم لا تصلح ان تكون حكماً عليه . ولتفتخر فرنسا التي لم تقرأ ابانيز الا مترجماً ، فانها قلدته وسام اللجيون دونور اعترافاً بأدبه ونبوغه

توفي بمنتون في فرنسا — على شاطئ البحر الذي يحبه — في التاسع والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٢٨ اي في مثل اليوم الذي ولد فيه . وقد اشتركت جميع فرنسا بالحزن عليه واوفدت باريس الوفود مع اكاليل الزهر الى منتون لتشييع جثمانه ، وهو ليس فقيدها فقط ، بل فقيد العالم الادبي باجمعه

يافا الدكتور سليم شحادة

الاشعة السموية

Cosmic Rays

اشعة تجيء الارض من الفضاء وتخترق ما سمكه ست اقدام من الرصاص فكأن فعلها اقوى من فعل اشعة اكس نحو ٢٥ ضعفاً. ان كشفها وتحقيقها من بدائع المباحث العلمية العصرية. وفي هذه المقالة خلاصة لذلك بقلم احد مكتشفيها الاستاذ ملكان الاميركي احد نائلي جائزة نوبل للطبيعيات

انتبه الاستاذان ملكان ورذرفورد ومساعدوهما سنة ١٩٠٣ الى ان الالكترسكوب (دليل الكهربائية) ترشح الكهربائية منهُ ولو كان مسدوداً سداً محكماً لا يدخلهُ الهواء ويحيط بهِ ورقة من الرصاص سمكها بضعة سنتمترات مما يدل على ان اشعة كهربائية ايجابية او سلبية اخترقت ورقة الرصاص واتصلت بالالكترسكوب واحدث ببعض الكهربائية التي فيهِ فمدلها اي ازالتها فدعيت هذه الاشعة « الاشعة النافذة »

وسنة ١٩١٠ اخذ العالم السويسري غوكل الكترسكوباً في بلون وصعد بهِ الى علو اربعة آلاف وخمسمائة متر فوجد على غير ما كان ينتظر ان رشحان الكهربائية من الالكترسكوب على هذا العلو اكثر منهُ على سطح الارض. فبني على ذلك المذهب القائل بان هذه الاشعة غير صادرة من الارض بل من الفضاء. وكان الاستاذ رتشردصن قد ذهب الى ان جانباً منها صادر من الفضاء قبلما جرَّب الاستاذ غوكل تجربتهُ المذكورة

وفي السنوات الاربع التي تلت ذلك وسبقت نشوب الحرب اشتغل الاستاذ هس في النمسا والاستاذ كولهرستر في المانيا بهذا الموضوع فاقتفيا خطوات غوكل في اصعاد الالكترسكوب ببلون الى مرتفعات مختلفة ودونا مقدار الرشح كلما اختلف الارتفاع فثبت لكولهرستر ان الرشح يقل الى ارتفاع الف متر ثم يزيد رويداً رويداً الى ارتفاع تسعة آلاف متر حيث بلغ الرشح سبعة اضعافهِ على سطح الارض

ونشبت الحرب العظمى فوضعت حداً لهذه المباحث ولكن في خريف ١٩٢١ وربيع ١٩٢٢ خطا ملكان وبوين الاميركيان خطوة جديدة في توسيع نطاق هذه المباحث اذ بنيا الكترسكوباً يدوّن بطريقة آليّة مقدار ما يرشح منهُ من الكهربائية ووضعوهُ في بلون مقيّد اطلق في الجوّ فارتفع البلون الى علو عشرة اميال نحو ١٥٥٠٠ متر — ثم اعيد الى الارض وامتحن الالكترسكوب وما رشح منهُ فثبت من هذه

التجربة صحة النتائج التي وصل اليها الباحثون في اوربا بوجه عام

***

الا يصحُّ ان يكون الهواء نفسهُ مصدر هذه الاشعة ؟ واذا كانت صادرة من الفضاء فما هو اثر الهواء وغيره من المواد في امتصاصها او اضعاف قوتها !

في سنة ١٩٢٣ خطا كولهرستر في اوربا وملكان واوتس في اميركا خطوة الى الامام للاجابة عن هذا السؤال . ذلك ان الاول اخذ الكترسكوبهُ الى احد قنن الالب وطمرهُ في أحد انهارها الجليدية فبقي الرشحان منهُ كما كان قبلاً . ثم عدَّل تجربتهُ إذ حفر حفرة عميقة في الثلج ووضع الالكتروسكوب متجهاً الى الفضاء فدار مع الارض في دورتها واتجه في اثناء دورانهِ الى انحاء مختلفة من الفضاء فثبت للاستاذ من مراقبة الرشحان منهُ انهُ يكون على اكثرهِ متى كان الالكترسكوب متجهاً الى كوكبة هرقل وكوكبة المرأة المسلسلة . وهذا شدَّد اعتقادهُ بان اصل هذه الاشعة من الفضاء وخصوصاً لان في جهة كوكبة المرأة المسلسلة سديم المرأة المسلسلة وهو احد « العوالم الجزُرية » التي خارج المجرة وقد وصفهُ الاستاذ جينز رئيس الجمعية الفلكية الملكية الانكليزية انهُ الانبوب التي تولد فيهِ الطبيعة اشعتها التي من قبيل اشعة اكس . وجرب تجاربهُ ايضاً بتغطيس الالكترسكوب في برك من الماء على سطح البحر فوجد ان ماءها لا يمنع الرشحان

اما ملكان واوتس فاخذا الكترسكوبهما الى جبل پيكس پيك بعد ما احاطاهُ بالواح كثيفة من الرصاص ولكن التجربة لم تأتِ بدليل جديد مقنع على ان مصدر هذه الاشعة من الفضاء . وبقي العلماء يتراوحون بين الشك واليقين والنفي والتأييد وخصوصاً لانهُ لم يكن ما يمنع وجود آثار للمواد المشعة في ثلج الانهر الجليدية او ماء البرك وهي المواد التي جرَّب كولهوستر تجاربهُ فيها فتحدث الرشحان في الالكترسكوب. اضف الى ذلك ان هوفمن في المانيا وسوان في اميركا اعلنا انهُ بعد تجارب دقيقة جدًّا لم يقتنعا بالرأي القائل ان مصدر هذه الاشعة في الفضاء

***

وفي سنة ١٩٢٥ اثبت الاستاذ ملكان بمعاونة الاستاذ كمرون ان مصدر هذه الاشعة من الفضاء واطلق عليها اسم الاشعة السموية Cosmic Rays ونسبها كتَّاب الصحف اليهِ فقالوا اشعة ملكان كما قالوا قبلا اشعة رنتجن

وخلاصة هذه التجارب ما يأتي :

انزل الباحثان الالكترسكوباً مسدوداً سداً محكماً في ماء بحيرة ميوّر بكاليفورنيا التي يبلغ ارتفاع سطحها ١١٨٠٠ قدم عن سطح البحر وماؤها من ذوب الثلج الذي لم يختلط بماء الينابيع التي قد يكون فيها شيء من المواد المشعة فثبت لهم وجود اشعة غريبة تحدث الرشح في الالكترسكوب ولما صار الالكترسكوب على عمق ١٨ متراً من سطح البحيرة بطل فعل الاشعة المذكورة فيه اي ان جسماً من الماء سمكه ١٨ متراً يحجبها كما يحجب الورق الابيض النور العادي وكما يحجب ورقة من الرصاص اشعة رنتجن . فاما ان تكون هذه الاشعة خارجة من ماء البحيرة او هي صادرة من مادة منتشرة في ماء البحيرة انتشاراً منتظماً وهذا يدعو الى الاستغراب. فاعادا التجربة في بحيرة اخرى تبعد عن البحيرة الاولى ٣٠٠ ميل وارتفاعها ٦٧٠٠ قدم فكانت النتائج الجديدة مماثلة للنتائج الاولى . ولما جمعا بين نتائج هذه التجارب ونتائج المباحث التي قام بها غيرهم من العلماء توصلا الى النتائج التالية :

اولاً : ان الفعل الذي دونته الالكترسكوب في بحيرة ميور لم يكن ناجماً عن مواد مشعة مذابة في مائها

ثانياً : ان مصدر الاشعة التي احدثت هذا الفعل خارج عن طبقة الهواء التي تحيط الارض وان طبقة الهواء قد امتصت جانباً كبيراً منها وان مقدار ما امتصه الهواء يثبت انها قادمة من مكان خارج عنه

ثالثاً : ان فعل الاشعة في مكانين يبعد احدهما عن الآخر ٣٠٠ ميل كان متماثلاً على مرتفعات متماثلة

رابعاً : ان هذه الاشعة تجيء من كل انحاء الفضاء على التساوي

***

وفي سنة ١٩٢٦ جرب الاستاذ ملكان بمساعدة الاستاذ كمرون مثل هذه التجارب في بحيرات على قمم جبال الانديس في اميركا الجنوبية وارتفاع احدها يبلغ ١٥٤٠٠ قدم ثم في بحيرتين في ولاية كاليفورنيا سنة ١٩٢٧ فكانت النتائج ما يأتي :

اولاً : كانت نتائج البحث في بحيرة تتيكاكا وارتفاعها ١٢٥٤٠٠ قدم وبحيرة ميجويلا وارتفاعها ١٥٠٠٠ قدم مؤيدة لمباحثهما في بحيرة ميور وقمة بيكس بيك. فانهُ لدى تحليل نتائج البحث في اماكن التجارب المختلفة ورسمها في خطوط بيانية ظهر ان

الخطوط البيانية متشابهة شكلاً اي ان النتائج متماثلة تختلف باختلاف علو المكان ولا تختلف باختلاف الموقع الجغرافي

ثانياً : ان بحيرة سيجوبيلا على ارتفاعها تحيط بها سلسلة من الجبال ولذلك فهي غير معرضة للعواصف وما تثيره في كهربائية الجو من الاضطراب الكهربائي المنطيسي. وقد كانت نتائج البحث فيها مماثلة لغيرها من الاماكن المعرضة للعواصف واضطراب كهربائية الجو . اضف الى ذلك ان ملكان جرّب تجارب مختلفة على شواطئ بيرو وهي كثيرة العواصف وعلى شواطئ كاليفورنيا وهي رائقة الجو صافية الاديم فلم يجد فرقاً ما في رشح الالكتروسكوب ولذلك دُحض قول الاستاذ ولسن بان مصدر هذه الاشعة من كهربائية الجو بعد ما تثيرها العواصف

ثالثاً : جربت التجارب على سطح البحر في اماكن مختلفة على شواطئ الباسيفيك بين لوس انجلوس بكاليفورنيا ومُلّندو بيرو فكانت النتائج واحدة لا تختلف باختلاف الموقع الجغرافي

رابعاً : جربت تجارب القصد منها معرفة ناحية الفضاء التي تصدر منها هذه الاشعة اكثر مما تصدر من غيرها . فثبت لها ان المجرة ليست مصدراً خاصاً لهذه الاشعة لان الرشح في الالكتروسكوب لم يختلف حين كان متجهاً الى المجرة او حين كان متجهاً عنها . وهذا يؤيد مباحث هوفمان وشينكه ولكنهُ يختلف عن النتائج التي وصل اليها بُتنر وكوهرستر . وعليهِ فلم يثبت بعد ان لهذه الاشعة مصدراً خاصاً في الفضاء تصدر منهُ اكثر مما تصدر من غيره والمرجح انها تجيء الارض من السدم اللولبية التي وراء المجرة . وانها تنشأ من تغيّر حادث في جواهر المادة يرى بعضهم انهُ انحلال المادة وفناؤها ولكن لم يقم دليل علمي على ذلك بعدُ

****

المجهولات في الطبيعة اكثر كثيراً من المعلومات . نرى هذه المجهولات في نواميس الجماد وفي خواص الحيوان والنبات واذا قسنا ما نعلمهُ بما لا نعلمهُ وجدنا اننا لا نعلم شيئاً يذكر واننا لسنا سوى مشاهدين وواصفين . مَن منا يعلم لماذا تنوعت العناصر في اشكالها والوانها وخواصها . مَن منا يعلم كيف انواع النبات والحيوان التي تعدُّ بمئات الالوف وكيف تختلف افراد كل نوع منها واصنافهُ ؟ فهل يكون لهذه الاشعة يد في كشف بعض المجهولات وتعليل ما نجهل علتهُ ؟ ذلك مما تصبو العقول الى معرفتهِ

الجامعة المصرية في عهدها الجديد

الاحتفال بوضع حجر الاساس في بنائها بحديقة الاورمان بالجيزة

في ٧ فبراير سنة ١٩٢٨

١

خطبة صاحب المعالي علي الشمسي باشا

وزير المعارف ورئيس الجامعة الاعلى

مولاي صاحب الجلالة :

يحق لمصر ان تفخر بهذا اليوم المبارك الذي تؤسس فيه يدكم الكريمة بناء جامعتها الكبرى . وليس هذا الاساس الذي تتفضلون بوضعه اليوم باول ما أقمتموهُ في بناء الجامعة المصرية . فلقد شايعتم الامة بجهدكم الجليل منذ سنة ١٩٠٨ في العمل على انشاء جامعة اهلية وامددتم تلك الجامعة بعظيم الثقة اذ توليتم رآستها . وبذلتم ثمين وقتكم في تعهدها ، وتجشمتم الاسفار لزيارة كبرى جامعات الغرب واقتباس خير طرائقها ونظمها . فسلتم بهذا على انهاض الجامعة وترقيتها

كذلك كانت لجلالتكم اليد الطولى في انشاء الجامعة الحالية منذ شرعت الحكومة عام ١٩٢٣ في تحقيق هذا الغرض العظيم . وان من يُمن طالع الجامعة ان تدرج في كفالتكم ، وتشب في رعايتكم ،وان يكون لها دائماً من عطفكم السامي هذا الموضع الكريم

مولاي صاحب الجلالة :

اني اذا اردت ان ابيّن الغرض الذي بعث على التفكير في انشاء الجامعة فلست أجد اجمع مما قلتم جلالتكم في الخطاب الذي تفضلتم بالقائه في حفلة افتتاح الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨ « لقد حان الوقت الذي تقضي بهِ الضرورة على الشبيبة المصرية بورود مناهل التربية العلمية المحضة في نفس القاهرة » حتى تتربى فيهم « فضيلتا الصبر والاستمرار لانهما سر النجاح »

فالغرض الذي تفضلتم بالابانة عنهُ ، والشعور السائد بنقص التعليم في ذلك الوقت والرغبة الشديدة في فتح أبواب للثقافة الحقيقية — كل ذلك هو الذي كان قد حدا

بعض النابهين من ابناء هذه الامة الى التفكير في انشاء الجامعة فنهضوا سنة ١٩٠٦ وفي طليعتهم سعد زغلول وقاسم امين وبعثوا ألسنتهم وأقلامهم بالدعوة اليها وسرعان ما لبى دعوتهم العاملون الغيورون ، واكتتبوا لهذه الغاية بسخاء عظيم ، اكتفي بأن أذكر من بينهم بكل اعجاب واحترام الاميرة الجليلة المغفور لها فاطمة هانم ، فلقد نفحت الجامعة من العقار والمال بما قوى دعائمها وثبت قوائمها وبعثها في الحياة قوية العزم بعيدة الامل

مولاي صاحب الجلالة : لقد بدأت الجامعة الاهلية سعيها بارسال بعثات من الطلاب الى جامعات اوربا ليتهيأ لها منهم اساتذة يعلّمون العلوم العالية بلغة البلاد . كما جاءت في الوقت نفسه بطائفة من افاضل الاساتذة لالقاء محاضرات في تاريخ الحضارة القديمة في مصر والشرق ، وتاريخ الحضارة الاسلامية ، اذكاء لعزائم المصريين كلما ذكروا ما كان لهم من فضل السبق ونباهة الشأن حتى يعملوا على استرجاع مجد كان رفيعاً

ولم يمض غير قليل حتى فرضت الجامعة دراسات منظمة في التاريخ والآداب العربية والفلسفة والقانون وجعلت تمنح درجات علمية لمن يجوز امتحاناتها التي كان يشترك في لجانها مندوب من وزارة المعارف

وفي سنة ١٩١٥ رأت الحكومة ان تشايع الامة على رغبتها في التزيد من العلم العالي في نفس بلادها ، فشكلت لهذه الغاية لجنة مختلطة عالجت البحث ثم قدمت تقريرها في سنة ١٩١٧ ، وضمنته مشروعاً يقضي بجمع المدارس العالية القائمة في ادارة واحدة

وفي سنة ١٩٢٣ أشار مولانا صاحب الجلالة على وزير معارفه حين ذاك باحياء موضوع الجامعة فانشأ يضع لها نظاماً ، واتصل بمجلس ادارة الجامعة القديمة ، وتم التعاقد بين الطرفين على ادماجها في الجامعة الجديدة ، على ان تكون نواة لكلية الآداب ، وبشرط ان تكون الجامعة الجديدة مستقلة في ادارتها . وقضى المشروع بان تنتظم ادارة الجامعة أربع كليات هي : الآداب والعلوم والطب والحقوق . وفي سنة ١٩٢٥ صدر قانون الجامعة الجديدة وهو الذي وافق عليه البرلمان في الدورة الماضية

من هذا يتبين يا مولاي ان الجامعة لم تخلق اليوم خلقاً ولم تأت عفواً ، بل هي صفحة مجيدة من صفحات النهضة الحديثة لشعبك الكريم هي ثمرة جهود صادقة متلاحقة قامت وتواصلت اكثر من عشرين عاماً

مولاي صاحب الجلالة : ان الجامعة التي شاركتم البلاد في انشائها اولاً ، وبعثتموها للحياة القوية ثانياً ، ما برحت حريصة على تحقيق الاغراض السامية التي انشئت من

أجلها . وقد اخذت الآن تستكمل مراتب التعليم العالي في جميع كلياتها حتى يتهيأ للبلاد الاستغناء عن كثير من البعوث العلمية التي ترسلها كل عام الى الخارج فلا تبقى مصر من جهة العلم ، كما قال دولة ثروت باشا في الخطاب الذي القاهُ في حفلة افتتاح الجامعة القديمة ، عالة على بلاد الغرب

والامل المعقود في الجامعة الآن ان تربي في شيبة المتعلمين فيها ملكات حب العلم والتعمق فيهِ ، وحب البحث العلمي لتخرج في مصر طوائف من العلماء الباحثين المتحررين لطلب الحقائق العلمية . واولئك الذين يستطيعون ان يثبتوا لبلادهم العظمة العلمية والفنية الجديرة باسمها القديم ، وحينئذٍ يتهيأ لمصر ان تحتمل هي الاخرى قسطها في بناء الحضارة العالمية وان تشارك جماعة الامم في العمل على تقدم المدنية ورفعة الانسانية

وقد قدر لمصر ان تكون في ملتقى الشرق بالغرب ، وهي بهذا قبلة الانظار ومحط الرحال كما عقدت لها في نفوس اهل الشرق القريب امامة العلم ، وفي هذا مجدها وفخارها . وستعمل على الدوام للمحافظة على هذه المكانة السامية وستكون جامعتها ان شاء الله مناراً عالياً يهدى اليها طلاب العلم ليغترفوا من بحارها ويستضيئوا بانوارها

لهذه الاعتبارات ومطاوعة لتلك الآمال لم تضن الحكومة بما تطلبتهُ حاجة الجامعة الى الاموال في سبيل تزيدها في فنون العلم وترقيها الى كمالها المقسوم لها . فلقد جعلت تمدها سنويًّا منذ نشأتها الجديدة سنة ١٩٢٥ باعانات مالية تزيد طوعاً لنمو الجامعة . فبدأت الاعانة اول عام بمبلغ الفي جنيه مصري وقدرت في مشروع الميزانية الجديدة بمبلغ ١٣٣٥٠٠ ج . م . ومنحتها الحكومة هذه الارض التي تبلغ مساحتها تسعين فداناً تقريباً وقررت ان تقوم بنفقات البناء أيضاً . كما خصت بكلية الطب ومستشفاها أرضاً اخرى في منيل الروضة تبلغ مساحتها أربعة واربعين فداناً تقريباً وستقوم الحكومة كذلك بنفقات المباني المرسومة لهذا الغرض

والبناء المشروع فيهِ اليوم يتناول ثلاث كليات هي : الآداب والعلوم والحقوق . وقد أفرد من هذه الارض جزء فسيح لتقام عليهِ (في المستقبل) « مدينة جامعية » فيها مساكن للطلبة وأماكن للاجتماعات العامة الرياضية وما الى هذا من المرافق

وقد وضع تصميم هذه المباني كلها في وزارة الاشغال حيث قامت بهِ مصلحة المباني

مولاي صاحب الجلالة : على اسم الله تضع يدك الكريمة الحجر الاساسي في بناء الجامعة فتضمن لها البركة والنجاح على وجه الزمان . وهي ايضاً ستضمن لك دعاء

ألاجيال المقبلة التي تطبعها على الثقافة الحقيقية . أدامك الله يا مولاي ذخراً لآمال مصر ، واقر عينيك بولي عهدك المحروس بعناية الله

٢

خطبة صاحب العزة احمد لطفي السيد بك

مدير الجامعة

مولاي : الى جلالتكم ترفع الجامعة المصرية آيات اخلاصها العميق لشخصكم الكريم واعترافها بنعمتكم المتصلة التي هي مدينة لها بوجودها وبرعايتكم السامية التي شملتها في جميع ادوار حياتها. حقاً يا مولاي لكل من مرافق البلاد من عطفكم حظ معلوم ولمعاهد التعليم وجميات العلوم والآداب والفنون حظوظ اوفر ولكن الجامعة التي يتصل تاريخها في كل ادوارها بشخصكم الكريم بل التي هي من عمل يدكم ونتيجة جهودكم الشخصية — هذه الجامعة التي انشأتموها وليدة ورعيتموها فتية لها من عطفكم مركز خاص هذا السيد بعض آثاره

مولاي : ان امتكم العتيقة بمدنيتها الماضية والفتية بجهودها الحالية والواثقة بما يدخره المستقبل لها من العظمة لم تقنع بعد بمجدها الغابر بل تتطلع الى مجد جديد . وليست مسألة المجد الا مسألة المدرسة فقد تشهد تجارب الامم ان مجد الامة انما يقاس بمقدار ما انتجت مدارسها من اهل العلم والثقافة والاخلاق. فهمت الامة المصرية هذه الحقيقة حق فهمها فانبعثت منها حركة عميقة نحو العلم العالي المقصود لذاته يدرس في مصر ويخدم فيها لتتحمل من المسؤولية عن الرقي العالمي النصيب اللائق بمقامها بين الامم . احس المأسوف عليهما سعد زغلول باشا وقاسم امين بك واصحابهما هذا الميل العام فدعوا الى انشاء الجامعة المصرية ولجأوا في حماية هذا المشروع ورآسته الى حضرة صاحب السمو الامير احمد فؤاد فوصل المشروع بعنايته اولاً وبرعايته ثانياً الى الحالة الراهنة من امر الجامعة المصرية . واني انتهز هذه الفرصة النادرة بين يدي جلالة مولاي الملك لابسط بالايجاز طرفاً من تاريخ الجامعة الى ما وصلت اليه اليوم

مرت الجامعة في مراتب الوجود بادوار ثلاثة : دور الدعاية والتمهيد . ودور البدء في التنفيذ . ودور التمام

اما الدور الاول فيبتدئ من يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٩٠٦ اذ اجتمع نخبة من

اهل الغيرة على التربية في دار المرحوم سعد زغلول باشا وتعاقدوا على الدعوة لانشاء الجامعة وقرروا فيما قرروهُ ان تكون الجامعة بمعزل عن السياسة ولا يقبل في العمل بها احد من الساسة ذلك ليصونوا مشروعهم من التهم السياسية لان اولي السلطان وقتئذٍ كانوا لا يميلون الى مشروع كهذا او على الاقل كانوا يقولون ان الوقت لم يحن بعد الى ان تصبح حرية التفكير في مصر عقيدة من العقائد ولا شك في ان اعتناق حرية التفكير والدفاع عنها نتيجة لازمة للتعليم الجامعي . اقبل الناس على الاكتتاب للمشروع لكنهُ مع ذلك لم يلبث ان تراخى امرهُ فرأى القائمون بالمشروع وعلى رأسهم قاسم امين بك ان لا سلامة لهُ الا بان يوكل الى سمو الامير احمد فؤاد . كان ذلك وقبل الامير زعامتهُ ودافع عنهُ وكان لنفوذهِ اثر بيّن في اشتداد حركة الاكتتاب للمشروع والوقف لهُ واجتمعت جمعية المكتتبين في ديوان الاوقاف تحت رآسة سموهِ في ٢٠ مايو سنة ١٩٠٨ وسموا جمعيتهم باسم « الجامعة المصرية » وقرروا لائحتها وانتخبوا سمو الامير رئيساً للجامعة وكانت فاتحة آثارهِ فيها ان تغير رأي الحكومة بعض الشيء في امرها بل منحتها اعانة ٢٠٠٠ جنيه سنويًّا ومنحها ديوان الاوقاف بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه سنويًّا ومنحها الامراء والاعيان بمبالغ يعتدُّ بها . وقد يحسن في هذا المقام الاشارة الى مجهودات مجلس الجامعة الاول الذي عاون سمو الامير واخص بالذكر حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا الذي يستمر يشتغل بمجلس الجامعة عشرين عاماً من ٢٣ مايو سنة ١٩٠٨ الى هذه الساعة

اما أعمال التمهيد فكانت بمحاضرات الثقافة العامة التي كان يشرف عليها يوميًّا سمو رئيس الجامعة وبارسال بعثة علمية من الشبان المصريين بلغ عددهم اربعة وعشرين للتخرج في العلوم العالية وليحضروا انفسهم ليكونوا معلمين في كليات الجامعة ولم تكن عناية سمو الرئيس بهذه البعثة اقل من عنايتهِ بامر حماية المشروع والتمهيد لتحقيقهِ داخل البلاد . وكذلك تناول التمهيد تأليف مكتبة الجامعة وينسب جلّ ما فيها من الكتب القيمة والنقود والانواط الى نفوذ سمو الرئيس في الهيئات العلمية الاوربية عند بعض رؤساء الحكومات بل بعض ملوك الامم الكبرى ولا شك في ان جمع المكتبة اول تمهيد ضروري لافتتاح كلية الاداب اذ المكتبة منها بمثابة المعمل في كلية العلوم. وقد فتحت المكتبة أبوابها للطلبة وغير الطلبة من يوم دخول الجامعة في دورها الثاني أي يوم افتتاح كلية الآداب كان لا بد للجامعة من بناء خاص وكانت مواردها لا تسمح بذلك

حتى لفت المرحوم الدكتور علوي باشا نظر المغفور لها الاميرة فاطمة هانم اسماعيل الى الجامعة فغمرتها باحسانانها وهذا البناء الذي يحتفل بوضع الحجر الاول منه اليوم هو أثر من آثارهذه الاريحية الخالدة وسيكتب عليه اسمها اعترافاً بجميلها واحتراماً لشرط وقفها

سارت كلية الآداب سيراً طبيعيًا وتخرج فيها شباب اكفاء. وقد لا يكون من الانصاف ان يقاس نفعها بمقدار من تخرجوا فيها لانهُ اذاكان الطلبة المقيدون بهاقليلين فلاشكَّ في انها ادت للثقافة العامة خدمة تذكر وافادت كثيراً من الشبان والشابات المستمعين الذين كانوا يحضرون دروسها بالمئات. فلما كانت الحرب قلت موارد الجامعة قلة معها وقف تيار ارتقائها الى ان اتفقت الجامعة مع الحكومة في سنة ١٩٢٣ على ادماجها في الجامعة الجديدة وجعلها نواة لكلية الآداب بها

الجامعة الجديدة

ابتدأ هذا الدور الثالث دور التعليم بمرسوم بقانون في ١١ مارس سنة ١٩٢٥ بانشاء الجامعة المصرية وعضد بالقانون الصادر في ٢٦ اغسطس سنة ١٩٢٧

بهذا القانون ادمجت الجامعة الجديدة في الجامعة القديمة ومدرسة الحقوق ومدرسة الطب وانشئت كلية العلوم انشاء. وتنفيذاً لهذا القانون وضع مجلس الجامعة لوائح للكليات الاربع بصفة مؤقتة جرى عليها العمل الى ان يعرض على البرلمان ما يختص منها بخطط الدراسة ومنح الشهادات وشروط توظف موظفي التدريس ثم يعرض على الحكومة بقية اللوائح والمأمول أن يتم ذلك في هذه الدورة البرلمانية الحاضرة

كلية الآداب

أما كلية الآداب فقد قسمت الى ستة أقسام يبتدئ التخصص في كل منها من اول سنة وهي : — قسم اللغة العربية واللغات السامية. قسم الآثارالمصرية. قسم الفلسفةوعلم الاجتماع. قسم التاريخ والجغرافيا. قسم اللغات الحية. قسم الآداب اليونانية والرومانية

وفي كل هذه الاقسام يحضر الطلبة لنيل درجة الليسانس في الآداب في مدة اربع سنين. كذلك تمنح الجامعة درجة الماجستير في الآداب للطالب الذي بعد حصوله على الليسانس بسنتين يقدم رسالة ترضاها الكلية. وتمنح درجة الدكتوراه لمن حصل على الليسانس منذ ثلاث سنوات وقدم رسالتين ترضاهما الكلية

ولقد خصصت في الكلية دراسة تحضيرية للحقوق الغرض منها الثقافة وان كانت تشمل أيضاً درساً في مقدمة الشريعة الاسلامية ودرساً في مقدمة القوانين

يقوم بالتدريس في الكلية احد عشر استاذاً من اولي الكراسي منهم اثنان مصريان وتسعة أجانب واربعة من الاساتذة المساعدين أحدهم أجنبي وسبعة مدرسون منهم ثلاثة أجانب. ويقوم الاساتذة علاوة على التدريس في الكلية بالقاء محاضرات للجمهور في قاعة الجمعية الجغرافية وفي جمعية الاقتصاد السياسي

وعدد الطلبة في هذه الكلية ٥٠٦ منهم ٣٤٨ يحضرون للحقوق و١٥٩ للآداب

وقد تحسن الاشارة هنا الى ان قسم الآثار المصرية يتم هذا العام دراسة الليسانس والمظنون ان يرسل اربعة من خريجيه الى اوربا للتخرج على اساتذة الآثار هناك ليكونوا بعد ذلك اساتذة في هذا القسم الذي ينبغي ان يعنى بهِ عناية خاصة حتى يصير معهد تعليم الآثار في مصر مقصوداً من كل ناحية والميل في الجامعة متجه الى انشاء قسم للآثار العربية بجانب قسم الآثار المصرية . من الطبيعي ان تكون جامعة مصر بلد الآثار هي المركز العام للبحوث الاثرية لا ان يستمر المصريون يتعلمون من غيرهم آثار آبائهم

كلية العلوم

يدرس الآن في كلية العلوم الرياضة البحتة والرياضة التطبيقية والكيمياء والنبات والحيوان والجيولوجيا . وقد اتخذت من هذه المواد ثلاث مجاميع يكون التخصص في كل مجموعة منها من السنة الاولى ومدة دراسة هذه المجاميع اربع سنين للحصول على درجة بكالوريوس في العلوم وستمنح الجامعة درجة ماجستير ودرجة دكتوراه في العلوم بالاوضاع والشروط المقررة في اللائحة

وفي هذه الكلية قسم خاص لتحضير طلبة الطب في مدة سنة واحدة . وعدد الطلبة فيها ٣٧٨ منهم ٢٥٣ يحضرون للطب و١٢٥ للعلوم . واساتذتها سبعة اصحاب كراسي احدهم مصري وفيها استاذان مساعدان مصريان

اما المدرسون فعددهم ثلاثة عشر منهم خمسة اجانب والمدرسون المساعدون والمعيدون والمحضرون عددهم اربعون كلهم مصريون. وقد تحسن الاشارة الى انهُ سيكون من الصعب بقاء الكلية في مكانها الحاضر بعد سنة ١٩٣٠ والمأمول ان يتم بناء هذه الكلية هنا في هذه المدة

كلية الحقوق

ادخل على خطط الدراسة ومناهج التدريس في هذه الكلية تعديل جديد يتناول قصر مدة الدراسة المؤهلة لدرجة الليسانس على ثلاث سنين والتوسع في بعض المواد وتغيير في ترتيب سنيها

وانشئ فيها قسم للدكتوراه يدرس فيه نخبة من كبار الاساتذة الاوربيين يعاونهم الاساتذة المصريون الذين يدرسون في قسم الليسانس كما أن اساتذة الدكتوراه يلقون محاضرات في قسم الليسانس

وتلقى الدروس في قسم الليسانس باللغة العربية وأما المحاضرات فباللغة الفرنسية والانجليزية وقد رؤي من يوم ادماج مدرسة الحقوق في الجامعة الغاء القسم الليلي في هذه المدرسة ولم يبق من هذا القسم الا السنة الاخيرة

وعدد طلبة الكلية ٥٩٩ منهم ٥٠٤ قسم الليسانس و٩٥ بقسم الدكتوراه

وعدد الاساتذة ذوي الكراسي تسعة منهم اثنان مصريان والاساتذة المساعدون ستة احدهم اجنبي والمدرسون ومساعدوهم تسعة احدهم اجنبي

وقد نحت الكلية في تعاليمها نحو الكليات الاوربية من حيث صرف جل عنايتها الى تكوين ملكة التفكير القانونية عند الطلبة والاستزادة من دراسة تاريخ القانون ومقارنة الشرائع ومن حيث اعداد قاعات للبحث يشترك فيها الطلبة والاساتذة في البحوث العلمية

كلية الطب

كذلك ادخل تعديل على خطط الدراسة ومناهجها في كلية الطب وأضيف اليها مدرسة طب الاسنان كفرع من فروعها . وأنشئت فيها بعض الاقسام التي لم تكن موجودة من قبل . وجعلت مدة الدراسة بها أربع سنين وثلاثة أشهر لنيل درجة بكالوريوس في الطب وأنشئت فيها درجات عالية وشهادات للتخصص وهي :

دكتوراه في الطب . ماجستير في الجراحة . ماجستير في جراحة طب الاسنان. ماجستير في الصيدلة . دبلوم التخصص في طب المناطق الحارة والصحة العامة . دبلوم التخصص في الرمد

وعدد الطلبة ٨٥٨ منهم ٦٣٣ في قسم الطب والجراحة و٩٢ في طب الاسنان و٢٩ في الصيدلة و٨٦ في المرضات و١٨ في قسم مساعدي الصيادلة . وعدد الاساتذة ذوي الكراسي ١٥ منهم خمسة مصريون والاساتذة المساعدون خمسة مصريون والمدرسون ١٦ منهم أجنبيان والمدرسون المساعدون ١٧ منهم أجنبيان والمعيدون ١٤ وكلهم مصريون

ولا حاجة للتنبيه الى ضيق هذه الكلية ومستشفاها عن حركة التعلم ولكن الحكومة قررت بناء كلية الطب ومستشفاها في منيل الروضة وعقدت لذلك مسابقة نال الجائزة الاولى فيها بيت المعاريين كولاس وديكسون بلندن وقد وكلت اليه أخيراً وضع الرسوم

التفصيلية ومباشرة البناء والمأمول ان يوضع الحجر الاساسي في ذلك البناء الضخم هذا العام

على ذلك يكون عدد طلبة الجامعة ٢٣٤٦ منهم ١٢ ٪ قد أعفوا من المصروفات و٢ في المائة أعفوا من نصف المصروفات كل على قدر اجتهاده

وقد تحسن الاشارة هنا الى أن الجامعة لم تستطع ان تجعل اللغة العربية لغة التعليم كما هو مرجو وان كان لها في التعليم حظ عظيم في كلية الحقوق وبعض أقسام الكليات الاخرى . والمأمول أن قسط اللغة العربية في التعليم يزداد شيئاً فشيئاً بالزمان وكلما أمكن ذلك من غير أن تستتبع صعوبة في الاتصال بالحركة العلمية في اوربا ذلك الاتصال الذي يجب على العلم المصري ان يرقاه فضل رعايته ولهذا الغرض ينبغي ألاّ يستغنى التعليم المصري عن اللغات الاجنبية تعلماً لذاتها واداة للتعليم الى زمن غير قريب

اذا كان تعليم العلوم العالية في الكليات قد أخذ الآن يسلك السبيل العادي للجامعات فان جامعاتنا لم تمكنها بعد ظروف المكان ولا مرور الزمان من ان تحيا الحياة الجامعية المطلوبة تلك الحياة التي هي فيما يرى واضعو اساس الجامعة بل فيما يرى الشارع المصري أهم ما كان ينقصنا قبل انشاء الجامعة . وهذا الاعتبار يبرر بغاية الوضوح سخاء الحكومة والبرلمان باعطاء الجامعة تسعين فداناً في هذه الروضة واربعة واربعين فداناً من منيل الروضة وتقرير المبالغ اللازمة لبناء الكليات الاربع والمستشفى والمكتبة وحي للطلبة يسع ألف طالب يعيشون فيه المعيشة الجامعية . اقول ان هذا السخاء يبين أن حكومة جلالة الملك قد لمست داء تأخرنا فسهلت غاية التسهيل طريق التقدم

تلقاء ذلك لا يكفي الجامعة ان تقف عند حد الشكر ولكن شكرها الحقيقي للحكومة وللامة على هذه الرعاية ان تقطع على نفسها عهداً بين يدي جلالة الملك وان تعنى بالتربية كما تعنى بالتعليم سواء بسواء وان تجعل مهمتها الاولى تخريج جيل على علم واسع وخلق متين يستطيع أن يقوم بالمسؤوليات المتنوعة التي تنتظره غداً

مولاي : تلك هي حال الجامعة التي وضع مشروعها بين يدي جلالتكم منذ عشرين عاماً ولم يكن الا فكرة او حركة مجردة فصار الآن حقيقة راهنة قد اخذ صورته النهائية في هذا اليوم اذ تتفضلون جلالتكم بوضع الحجر الاول في بناء هذا المعهد بل في بناء عظمة امتكم المنشودة . فمولاي ان يغتبط بنجاح مشروعه وان يتقبل التهنئة على هذا النجاح وليدم لهذه الامة العظيمة ملكاً عظيماً حامياً للعلم

باب الزراعة والاقتصاد

هنري فورد يقامر بالملايين

المزاحمة على المطاط (الكاوتشوك)

البترول والمطاط مثار كثير من التزاحم الاقتصادي والجدل السياسي . أما الاول فلانهُ لازم لكثير من المعامل ولتسيير البوارج الحربية والسفن التجارية التي بنيت على الطراز الحديث. واما الثاني فلان كل وسائل النقل والانتقال بالسيارات في ابان السلم والحرب قائمة عليهِ . لذلك ترى الشركات المالية الكبيرة تزاحم بعضها بعضاً على احتكار مصادر هاتين المادتين وكل حكومة تشدّ أزر ابنائها في مجامع الامم حتى لقد اصبحت مسائل البترول والمطاط من اهم المسائل الدولية تعقد لاجلها المؤتمرات وتوضع المعاهدات

وشعب الولايات المتحدة الاميركية يملك نحو ٢٢ مليون سيارة او نحو ثلاثة أضعاف ما تملكهُ كل الامم الاخرى ويستعمل لها نحو ١٠٠ مليون اطار من المطاط فحاجتهُ الى المطاط كبيرة جدًّا سواءٌ في السلم او في الحرب وقد استهلك في السنة الماضية ٣٨٠ الف طن منهُ او ثلثي محصولهِ في العالم . ولكن مصادر المطاط في ايدٍ غير ايدي الاميركيين لان اشهر مزارعه في المستعمرات الانكليزية والهولندية في الشرق الاقصى . وقد سنت الحكومة الانكليزية قانوناً لحماية مزارعهِ اذ منعت انتاج مقدار من المطاط يزيد على مقدار ما يستهلك منهُ احتفاظاً باسعارهِ فارتفعت اسعارهُ بعد سن هذا القانون حتى قيل ان الانكليز جنوا من ارتفاع هذه الاسعار ما يساوي مقدار ما يدفعونهُ للاميركيين تسديداً لديون الحرب

وقد نشرنا في مقتطف يناير الماضي مقالة لاديسن في هذا الموضوع بسط فيها عنايتهُ بالبحث عن نبات يُزرع في اميركا عند الحاجة ويحصد كالحنطة ثم يستخرج المطاط منهُ بوسائل ميكانيكية . ثم اطلعنا على مقالة في مجلة العلم العام الاميركية بيّن فيها كاتبها ما ينوي هنري فورد الشهير عملهُ لكي يكفل لمعاملهِ مورداً كافياً من المطاط بدون ان يتعرض لتقلبات الاسعار في سوقهِ

ذلك ان هنري فورد نال امتيازاً من حكومة البرازيل يخولهُ ان يستثمر ارضاً

في وادي الامازون مساحتها من ثلاثة ملايين فدان الى اربعة ملايين . وهذه الارض هي المنبت الاصلي لشجر المطاط المعروف بمطاط بارا . وكان قد سبقهُ الى مثل ذلك المستر فيرستون صاحب معامل المطاط الاميركية المشهورة فانهُ زرع ١٠٠ الف فدان في جمهورية ليبيريا وينتظر ان يبدأ في استنباط المطاط منها في سنة ١٩٣٠ وان تصبح عاملاً قوياً في سوقهِ العالمي في سنة ١٩٣٥

وكانت شركة المطاط الاميركية قد عنيت بزرع مزارع خاصة في سومطرا وملايا وبزيادة ما يجنى من المطاط من الشجرة الواحدة فصارت مساحة مزارعها هناك ٣٤ الف فدان وصار ما يجنى من فدان واحد منها ٤٤١ رطلاً في السنة بعد ما كان ٣٥٠ رطلاً . وينتظر ان يبلغ مقدار ما يجنى من فدان واحدٍ مزروع بشجر المطاط الف رطل في السنة

ان السباق الى تعدين الذهب والتزاحم على استخراجهِ في الاسكا وكاليفورنيا وجنوب اميركا ليضؤل امام السباق الى زرع مزارع المطاط وجنيها

وهنري فورد لا يقوم بالاعمال الا كبيرة واسعة النطاق . فان الارض الذي فاز بامتياز استثمارها في وادي الامازون تبلغ مساحتها نحو ضعف المساحة التي تزرع قطناً كل سنة في مصر وكلها حراج وادغال ملتفة الاشجار تعج بالحيوانات الضارية والافاعي السامة وتكثر فيها الاوبئة والحميات ولكنهُ سلّط عليها سيف العلم والصناعة ليقطع اشجارها ويبيد ضواريها وافاعيها . ويجعلها مزرعة واحدة لزرع اشجار المطاط . ان هذه الارض اذا صحّ ما يتوقعهُ العارفون وصار في الامكان جني الف رطل من المطاط كلّ سنة من كل فدان منها تستطيع ان تنتج اربعة آلاف مليون رطل منهُ كافية لصنع اربعة آلاف مليون اطار من اطارات اتوموبيل فورد

وقد مضى على فورد اشهر يعدُّ معداتهِ ويرسم خطتهُ . ففي سنة ١٩٢٦ ارسل الاستاذ كارل لاري من اساتذة جامعة مشيغن ليرود الارض ويدرس طبائعها وطبائع حيوانها ونباتها ويستكشف مجاهلها. فلما عاد اعدَّ فورد جيشهُ واي جيش ! مهندسون وعلماء وكيماويون واطباء بعضهم مختص بتحريج الارض وبعضهم بعلوم النبات وبعضهم بعلوم التربة وبعضهم بالكيمياء وآخرون مختصون بتخطيط السكك الحديدية ومدها وآخرون بعلوم الطب والصحة العامة . وذلك لانهُ ينوي ان يكمل كل عمل على ما يقتضيهِ العلم من الدقة والاتقان فتنشأ اولاً القرى الصغيرة للسكن واماكن خاصة لتموين هذه القرى بكل ما يحتاج اليهِ سكانها. وهذه المؤن تنقل اليها ببواخر خاصة بشركة فورد تصعد

في النهر من الاوقيانوس الاتلنتيكي في اوقات معينة وقد تليها طيارات من اسطول فورد الجوّي تربط هذه المستعمرات بعضها ببعض ويلي ذلك اطباء فيضعون القواعد والخطط التي يجب مراعاتها والجري عليها لوقاية العمال واسرهم من خطر الاوبئة والامراض الفتاكة . من هذه القرى او المستعمرات يتقدم العمال يقطعون الاشجار القائمة الآن ويسير في اثرهم الزارعون يحرثون الارض ويسمدونها ويزرعون فيها بذوراً أُحكم اختيارها . وتقضي شروط الامتياز ان يزرع بضعة آلاف فدان من المطاط كل سنة حتى يتم زرع هذه الارض المترامية الاطراف بهذه الاشجار التي تدرُّ ثروة طائلة

ومع ذلك تجد ان هذا العمل العظيم لا يزال مقامرة عظيمة . لانهُ يقضي على فورد ان ينفق نفقات طائلة من غير أمل بالربح القريب . اذ لا بدّ ان تنقضي خمس سنوات على زرع بذور المطاط حتى يستطاع جني شيء منها ولا بد من انقضاء عشر سنوات قبلما يصير الانتاج رابحاً من الوجه التجاري . ومن يعلم ماذا يحدث في عشر سنوات ! قد تقل حاجة العالم الى المطاط او قد يستنبط أحد الكيماويين وسيلة لصنعهِ من المواد الاولية البسيطة

أيفوز هنري فورد في مقامرتهِ هذه ? سؤال نترك الجواب عنهُ للمستقبل القريب

أتضيق الارض بالناس ؟

يرى الاستاذ رُس استاذ علم الاجتماع في جامعة وسكنصن الاميركية انهُ لا تنقضي ستون سنة حتى تضيق الارض بالناس مالم تتخذ الوسائل لمنع الزيادة الكبيرة في المواليد . فان عدد الناس في رأيهِ سيزيد في هذه السنة نحو ٢٠ مليون نسمة عن عددهم في السنة الماضية او نحو ٥٠ الف نسمة كل يوم

البيض في الولايات المتحدة الاميركية

في اذاعة نشرتها وزارة الزراعة الاميركية ان انواع الدجاج في الولايات المتحدة الاميركية تضع ٢٤ الف مليون بيضة في السنة أو نحو ٧٦٠ بيضة في الثانية

قناطر نجع حمادي

في الجزء التالي ننشر بحثاً وافياً في « قناطر نجع حمادي » التي تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ووضع حجر اساسها في ١٠ فبراير الماضي يحفُّ بهِ جمهور من الوزراء والنواب والوزراء المفوضين والصحافيين

طرائق التسافد في الدواجن

٢

انواع التهجين

تهجين النسل الاول — هو ان يستعمل في الضراب فحل من عرق مجوَّد وإناث من عرق عادي موضعي فتنتج هجن بين بين فتباع او تربى للاستفادة من لحمها او لبنها او صوفها دون ان تستعمل في التسافد مطلقاً. مثالهُ اذا كان لديك عنزات جبلية صغيرة القد قليلة الدر فاسفدها بتيس جيد من المعزى البلدية فتنتج سخالاً فيها نصف صفات الاب او اكثر ومتى كبرت هذه السخال ينتفع بلبنها ثم بلحمها ولا تستعمل في التسافد. وهي تكون اجود من امهاتها

التهجين المستمر — اذا كان لديك حيوانات من رس عادي واردت استبدالها باخرى من رس اجود فقد يشق عليك بيع الاولى وشراء الثانية لما قد يكون في البيع من الخسارة وفي الشراء من الانفاق. ولهذا بوسعك ان تصل الى غايتك بدون انفاق مبالغ طائلة وذلك بان تبتاع فحولاً من الرس الجيد وتسفدها إناث ماشيتك فتلد صغاراً ذكوراً واناثاً. فمتى كبرت الاناث تحمل الفحول المبتاعة على سفادها وهكذا حتى تصير ماشيتك بعد النسل الرابع شبيهة بالاب كل الشبه

وافرض ان لديك كديشة وانك غير قادر على شراء فرس عربية فماذا تفعل. انك تسفدها بحصان عربي فاذا ولدت مهرة تسفد هذه المهرة بذلك الحصان او بحصان عربي مثلهُ. واذا ولدت المهرة انثى تسفدها ايضاً بالحصان نفسهِ او بشبيههِ فيكون ولدها شبيهاً كل الشبه بالخيل العراب حتى يكاد يعد منها. والسبب في ذلك ان الهجين الاول الذي ينتج من إسفاد الحصان للكديشة يعد نظريًّا بين بين اي فيهِ نصف صفات الحصان العربي ويسمى بالفرنسية ذا نصف الدم. ومعناه انهُ اذا حسبت قيمة الحصان العربي مساوية للعدد (١) وقيمة الكديشة صفراً لخساسة عرقها الذي يراد اصلاحهُ فتكون قيمة الهجين الاول ($\frac{١}{٢}$ = ٥٠ و٠ = $\frac{١}{٢}$) اي ان لهُ نصف دم الاب الاصيل. فاذا اخذت هذا الهجين وحملت حصاناً عربيًّا على سفاده (او حملتهُ هو اذا كان ذكراً على سفاد فرس عربية) فالابن الذي يولد يكون اقرب الى الخيل العراب فيسمى ذا ثلاثة ارباع الدم العربي هكذا ($\frac{١ + ٠٫٥٠}{٢}$ و٠ = ٧٥ و٠ = $\frac{٣}{٤}$). واذا

داومت على العمل فاسفدت حصاناً عربيًا للفرس التي فيها ثلاثة ارباع الدم العربي (او بالعكس) تحصل على خيل ذات سبعة أثمان الدم الاصيل وذلك على الصورة الآتية ((١ + ٧٥‚٠)/٢ = ٨٧٥‚٠ = ٧/٨) . واذا داومت ايضاً على الإسفاد بقصد الحصول على نسل رابع فهذا النسل يكون ذا ١٥/١٦ من الدم الاصيل وهكذا

ويجب ألاّ يُظن ان هذه النظرية صحيحة على الاطلاق . فربَّ حصان عربي يسفد كديشة فتلد مهراً يشبهُ اباهُ كل الشبه حتى يظن من رآهُ ان فيهِ سبعة أثمان الدم العربي مع انهُ كما ذكرنا ذو نصف دم فقط . وسبب ذلك ان للوراثة حالات لا تتقيد معها بالارقام والنظريات الحسابية . وعلى كلٍّ لا يعد النسل صافياً تقريباً ما لم يكن من النسل السادس على الاقل . لكن ارباب الخيل والفلاحة قلما يداومون على الإسفاد بعد النسل الرابع بل يعدون هذا النسل اصيلاً دون ان يخشوا وراثة الرجوع الى الاصل (الردّة) لانهُ متى كان في الفرس ١٥/١٦ من الدم العربي و ١/١٦ من دم الكديش فهي لا تنسل نسلاً فيهِ صفات الكديش (بسبب حادث الرجوع الى الاصل) الا مرة في كل ست عشرة مرة نظريًا

التهجين المتتالي — هو ان يستعمل في التهجين تارة حيوان من عرق الاب وطوراً من عرق الام . اذا اسفدت حصاناً عربيًا لكديشة نتج كما قلنا هجين فيهِ النصف من دم الاصيل ، والنصف من دم الكديش. هذا هو النسل الاول فاذا اسفدت حصاناً عربيًا لهذا الهجين فان النسل الثاني يكون ذا ٣/٤ من الدم العربي و١/٤ من دم الكديش وبالاختصار (٣/٤ ع) و (١/٤ ك) . وفي المرة التالية اذا حملتَ كديشاً بدلاً من الحصان العربي على سفاد فرس من النسل الثاني يكون النسل الثالث ذا ٣/٨ من الدم العربي و٥/٨ من دم الكديش اي (٣/٤ ع + ١/٤ ك + ٤/٤ ك)/٢ = ٣/٨ ع + ٥/٨ ك . ثم اذا عدت بعدئذٍ الى إسفاد النسل الثالث بحصان عربي كان النسل الرابع ذا ١١/١٦ من الدم العربي و ٥/١٦ من دم الكديش . اما اذا اسفدت النسل الرابع بكديش فان النسل الخامس يكون ١١/٣٢ ع + ٢١/٣٢ ك . وهذا النسل الاخير اذا حملتَ حصاناً عربيًا على سفادهِ نتج نسل سادس كما يلي ٤٣/٦٤ ع + ٢١/٦٤ ك

يتضح من مقارنة مقدارِ الدم العربي بمقدار دم الكديش في نسل من الانسال

الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة ان النسل في هذا الشكل من التهجين يحتوي دائماً على ثلثين من دم احد الابوين الاصليين وثلث من دم الثاني تقريباً . فاذا كان آخر حيوان استعمل للسفاد عربياً فان ثلثي النسل يكون عربيًّا وثلثهُ يكون كديشاً والعكس بالعكس

ليست هذه الطريقة من التهجين شائعة والغاية منها ايجاد هجن فيها صفات راسخة من صفات الاب والام معاً . وقد اوجد الاوربيون على هذا المنوال بعض رسوس من الحيوان اهمها رس الخيل الانكليزية العربية السباقة التي يغلب ان يكون في دمها $\frac{5}{8}$ من الخيل الانكليزية و $\frac{3}{8}$ من الخيل العربية

ومن نتائج التهجين عموماً انهُ يزيد خاصية التناسل (خلافاً لما في طريقة الاصطفاء) فيزداد عدد الاولاد . ومن نتائجهِ ايضاً انهُ كثيراً ما تظهر في الانسال صفات جديدة لم تكن موجودة في الابوين الاصليين واسباب ظهور هذه الصفات لا تزال مجهولة . ومهما يكن فان على الزارع ألاَّ يُدخل الى قريتهِ رسًّا جديداً بواسطة التهجين ما لم يكن على ثقة من ان هذا الرس يألف الارض والهواء . وعليهِ بان يقارن نتائج التهجين بنتائج الانتخاب فقد يكون تجويد الماشية بالانتخاب انفع من تحويل الرس المحلي بالتهجين الى رس جديد لا يألف التربة والهواء ونوع العلف الذي يمكن تداركهُ في اقليم الزرَّاع

التخليط

التخليط هو اسفاد الهجن بعضها بعضاً فهو اذاً يتبع التهجين . والغاية منهُ توطيد الصفات والخصائص التي اكتسبتها الهجن من آبائها وامهاتها . لكن ذلك ليس بالامر السهل لان الوراثة التي اسميناها الرجوع الى الاصل كثيراً ما تعمل عملها في هذا النوع من التسافد فتفرق الصفات والخصائص وتميد للانسال صفات احد الاجداد . ومع هذا فقد تمكن الاوربيون بحسن انتخاب الهجن المخلَّطة من أن يوطدوا الصفات في تلك الهجن وجعلوها صالحة للتسافد والتناسل مثل الخيل الانكليزية العربية فقد اصبحت عرقاً مستقلاً صالحاً للتسافد بدون ظهور وراثة الرجوع الى الاصل تقريباً . وكذا عرق الغنم المسمى ديشلي مرينوس الذي حصل من تهجين العرقين ديشلي ومرينوس فجمع بين لذة لحم الاول وجودة صوف الثاني

ولكي تتوطد الصفات المستحبة وتقل حوادث الرجوع الى الاصل في التخليط يجب بادىء بدء انتقاء عرقين متجانسين حتى يكون للهجن المتولدة منهما صفات اقرب الى الامتزاج والرسوخ . وفي هذه الحال اذا تسافدت تلك الهجن بطريقة التخليط يغلب ان تظل صفاتها راسخة في الانسال . ويجب أيضاً ان تكون الهجن التي تستعمل في التخليط بعيدة عن العرقين الاصليين على قدر المستطاع . وعلى كل ليست طريقة التخليط من طرق التسافد والتناسل التي يعوَّل عليها دائماً . وهي كثيراً ما تؤدي الى خسارة اذا لم تتبع بعناية ودقة

التبغيل

التبغيل هو تسافد حيوانين من نوعين فسيولوجيين مختلفين فتلد الانثى منهما حيوانات عقيمة تسمى بغالاً [1] ولا تكون البغال عقيمة دائماً بل يكون بعضها لاسيما أنثاها ولوداً احياناً لكن هذا نادر جداً . واشهر البغال وانفعها هي اولاد الحمار والفرس ثم اولاد الحصان والاتان. ومن الممكن ولادة بغال من تسافد الذكر والانثى في الانواع الآتية وهي الحمار العادي مع الحمار الوحشي والخيل مع الحُمُر الوحشية والخنزير مع الهلّوف والإبل ذات السنام مع الإبل ذات السنامين (وتكون اولادها ولودة) ، والذئب مع الكلب وابن آوى مع الكلب والحمام مع القمري والطاووس مع الدجاج الخ

ولم يثبت تولد بغال من سفاد الكبش للعنزة والتيس للنعجة والحصان للبقرة والثور للفرس بل يظل الضراب عقيماً في كل هذه الحالات . ويكون شكل البغال غريباً للمشادة التي تحصل في وراثة صفات كل من الابوين المختلفين. وتسود في البغل المعروف صفات الاب اي الحمار فاذا كان ابوهُ الحصان سادت صفاتهُ غالباً

مصطفى الشهابي
مدير املاك الدولة بدمشق

---

(١) البغل المعروف هو ما ينتج عن تسافد الحمار والفرس او الحصان والاتان. لكن البغل فنياً يطلق على ما يتولد من تسافد كل الحيوانات اذا كان الذكر من نوع فسيولوجي والانثى من نوع آخر فولد الحمارة الوحشية الذي ابوه حمار عادي هو بغل وكذا ولد الكلب والذئبة او الكلب وانثى ابن آوى الخ . ولست ارى بأساً لغوياً في هذا التوسع

باب شؤون المرأة

وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ما يجهلهُ الاطباء من شؤون الغذاء

ويجب ان تعرفهُ ربة البيت

بقلم كاتب اميركي متوفر على مباحث الغذاء

أعرف كهلاً مصاباً بزيادة ضغط الدم ذهب الى طبيب مشهور ليفحصهُ فحصاً مدققاً ويصف لهُ علاجاً وبعد ما قضى الطبيب نحو ساعة في فحصهِ قال : ان منشأ علتك من كثرة اكل اللحم . فنظر اليهِ المريض نظراً مقروناً بالدهشة والازدراء وقال : « قد يكون ما تقولهُ صحيحاً ولكن مضى عليَّ سنتان لم اذق في اثنائهما طعم اللحم ». فلم يحاول الطبيب الاعتذار بل اعترف بخطاءِ ثم وصف لهُ وصفة لا يمكن ان تخطىء اذ قال : عليك ان تجتنب كل ما يثير العواطف ويقلق البال

وهذه الحادثة ليست مفردة ولا هي غريبة. فان ملايين من الناس تبعوا ارشادات اطبائهم فيما يتعلق بالغذاء ونظام الاكل وكانت تلك الارشادات من قبيل ارشاد صاحبنا الطبيب المذكور آنفاً . لا بل ان الاعتماد على نظام التغذية « زي » فاشٍ بين الناس في هذا العصر فترى الدجالين والاطباء والوعاظ والكتاب يصوّرون للناس طريق النعيم — نعيم الصحة والقوة والجمال — عن طريق المعد . وفي ذلك كثير من الصحة ولكن من يأمن الضلال في هذا الطريق الوعر

فبعضهم يقول كلوا الطعام نيئاً وآخرون يقولون كلوهُ مطبوخاً. وبعضهم يقول كلوا كلَّ ما تستطيعون اكلهُ من الفاكهة وبعض آخر يقول اجتنبوها وبعضهم يقول . . . . والغالب في ذلك ان اجهل الناس بشؤون الغذاء الصحيحة اكثرهم كلاماً ووعظاً لغيرهم من الناس .

فمنذ ست سنوات كنت لا اعرف شيئاً من الحقائق العلمية المتعلقة بالغذاء ولكني كنت بليغ الكلام كثيره لا انفك عن التحدث عن وجوب اكل كذا ووجوب الامتناع عن كذا وبعد ذلك تناولت مباحث الغذاء بالبحث العلمي فعرفت جهلنا الفاضح لهذه المسائل الحيوية

ومما يدل على جهل الناس بشؤون الغذاء — حتى المختصين ببحثها — ان احد الكيماويين المنقطعين لدرسها اصيب بمرض اضطره ان يلتزم الفراش ثم ان يذهب الى مستشفى جونز هبكنز ففحصه الاطباء وماذا كان حكمهم ؟ « لست مصاباً بعلةٍ ما . اذهب الى دارك وقلل ما تتناوله من الطعام او زد مقدار ما تنفقه من الوقت في ترويض جسمك » . فاذا كان هذا جهل المختصين بمسائل الطعام فماذا ننتظر من غيرهم ؟

لذلك اتقدم من هذا الموضوع بدعة العارف بجهله يدفعني الى الكتابة فيه عنايتي بتبديد بعض الاوهام الفاشية التي ينجم عنها كثير من الضرر

فالامر الاول الذي اودّ ان اوجه النظر اليهِ هو اننا لا نستطيع ان نضع قواعد عامة للطعام ونحمل كل الناس على أن يأخذوا بها ويستفيدوا من ذلك . لان تركيب الجسم الكيماوي يختلف في كل انسان عن الآخر . وعليهِ فقد تفيد هذه القواعد بعض الناس لانها تحملهم على اكل ما هم محتاجون اليهِ بحكم تركيبهم الكيماوي وتمنعهم عن تناول ما يضرهم . فاذا جئنا نجريها على آخرين فقد لا تتفق معهم فتحملهم على أكل ما لا يحتاجون اليهِ وتمنعهم عن تناول ما يلزم لهم فيكون الضرر مضاعفاً

ولنفرض الآن انك ذهبت الى طبيب ليفحصك ويصف لك نظاماً من الغذاء تجري عليهِ فانهُ في الغالب يصف لك في مقدمة ما يصفهُ اللبن والبيض والخضراوات

﴿ اللبن ﴾ اللبن طعام جيد ولكنهُ ليس غذاء كاملاً ولذلك لا يحسن الاقتصار عليهِ . فانهُ لا يحتوي على شيء من مركبات الحديد وغيرهِ من المعادن اللازمة لبناء الجسم . وهو كذلك لا يحتوي على مقدار كافٍ من فيتامين (ا) و (ج) و (د) . والاولان يقيان من داء الاسكربوط والثاني يقي من داء الكساح

﴿ البيض ﴾ أما زلال البيض النيء فعسر الهضم لا ينبهُ المعدة الى افراز العصارة المعدية ولا المرارة لافراز الصفراء . وأما محهُ فغنيٌّ بالفيتامين ولكنهُ كثير الحموضة

﴿ الحديد ﴾ يحتاج الجسم يومياً الى مقدار من الحديد يتراوح بين ست ملغرامات و١٦ ملغراماً ولا يصعب عليهِ أن يتناوله من اي طعام عادي . فانك اذا

أكلت في اليوم بيضتين وصحناً من الحمص وبضع خوخات وجد الجسم في هذا الطعام مصدراً يستمد منهُ كلَّ ما يحتاج اليهِ من مركبات الحديد. ومن الاطعمة الغنية بالمركبات الحديدية العنب المجفف والدبس. أما الادوية التي تحتوي على مركبات الحديد ويصفها الاطباء لتقوية الجسم فيجب ان نقلل من تناولها ما استطعنا لانها تجهز الجسم باكثر مما يحتاج اليهِ من مركبات الحديد فيضطر ان يعنى بافرازها وهذا يتعبهُ

﴿ الخضراوات ﴾ قد يكون الاقتصار على الغذاء النباتي مفيداً لبعض الناس لانهُ يتفق مع امزجتهم الخاصة ولكننا اذا نظرنا نظراً عامًّا الى هذه المسألة وجدنا انهُ يصعب جدًّا الحصول على المقدار الكافي من المواد البروتينية اذا قصرنا طعامنا على الخضراوات. وزد على ذلك انهُ لا يسهل على جسم الانسان ان يتناول ما في الخضراوات من المواد البروتينية لكي يمثلها وانهُ على الضد من ذلك نجد ان اللحوم تجهز الجسم بما يحتاج اليهِ من المواد البروتينية بمقدار كافٍ وحالة تجعل تمثيلها سهلاً . وقد جُرّبت تجارب مختلفة في الحيوانات لمعرفة تأثير اللحوم فيها فثبت ان بعض الحيوانات تستطيع ان تعيش عيشة طبيعية اذا كان ٨٠ في المائة من طعامها لحماً وقد جربت مثل هذه التجارب في الجرذان فأُطعمت طعاماً ثلثاهُ لحم فبقيت في حالتها الطبيعية من حيث الحيوية والنمو. ولما اطعمت الفيران كذلك زاد وزنها وكان ابناؤها اكبر جسماً واقوى بنية . وعليهِ لا نستطيع ان نستنتج ان افضل ما يفعلهُ الانسان في طعامهِ هو الاقتصار على الخضراوات. وهذا لا يعني انهُ في بعض الاحوال الخصوصية لا يحسن ان يكون طعام بعض المرضى مقتصراً عليها . على ان الناس بوجهٍ عام ميالون الى الاكثار من اكل اللحم فاقلالهُ مفيد. واني لاستغرب كل الاستغراب ميل الناس الى شفاء علةٍ بالتطرف فيما يقابلها فيقعون في علة اخرى .فلا الاكثار من اللحم مفيد ولا الاستغناء عنهُ بتاتاً مفيد وخير الحالين الوسط [في الشهر القادم تتمة هذا المقال المفيد]

القذى في العين

اذا دخل قذى في احدى عينيك فلا تفركها. لانك اذا فعلت كان الضرر مضاعفاً. ذلك ان اغشية العين اللطيفة تلتهب من الفرك وينتقل القذى من مكان يسهل الوصول اليهِ الى زاوية قد يصبح فيها بعيد المنال . وافضل ما تفعلهُ في مثل هذه الحال هو ان تغمض

جفنيك ثم تعطس بشم احدى المساحيق التي لها هذا الفعل فتجري الدمع من مآقيك وينتقل القذى الى مكان ظاهر في مقدم العين فتسهل ازالتهُ حينئذٍ بطرف منديل نظيف

واذا لم تفلح فاغمض عينيك وضع الجفن الاعلى فوق الجفن الاسفل ثم افتح عينيك وحينئذٍ فقد تجد القذى عالقاً باهداب الجفن الاسفل

واذا لم تنجح في ذلك فأتِ بطستٍ من الماء النظيف الفاتر واغطس وجهك فيهِ ثم افتح عينيك تحت الماء . فاذا لم تنجح احدى هذه الوسائل فاذهب الى طبيب اذ يلزم حينئذٍ قلب الجفن الاعلى للوصول الى القذى المختبئ تحتهُ ولا تنس على كل حال ان تضع في العين نقطة من زيت الزيتون النقي فانها تخفف الالم والاحتكاك

السعال : اسبابه

تقابل خمسة اشخاص من معارفك ثلاثة منهم يسعلون . تمضي الى عملك فتسمع في طريقك سعلة تقع من على يمينك مرة ومن على يسارك اخرى وقد لا يكون بين سعلة وسعلة بضع خطوات . تذهب الى زيارة صديق لك في منزله فيقابلك هو او فرد آخر من اسرتهِ بسعلة ويشيعك بمثلها او اكثر منها . تجلس في قهوة الى مائدة لتقتل جانباً من وقتك فتعاني السعال متصل الاواصر . وان دخلت الى كنيسة او مسجد اضاع عليك السعال صوت الكاهن او الامام . اما في المدارس . اما في الملاهي . اما في البنوك والمجتمعات وفي كل مكان يجتمع فيهِ اثنان فيكون للسعال نصيب من الوجود . فما هو سبب هذه الظاهرة وهل هي داء أو عارض لداء ؟

السعال عارض لداء كامن في جزء من الجسم . اما اسبابهُ فعديدة منها الجوّ ونحن الآن في فصل ملائم لتفشيهِ وانتشارهِ كما هو واقع . ومنها الاهمال ومعظم الناس واقع فيهِ معاقب عليهِ كما ترى . ومنها الميكروب الخاص بهِ الذي يعلن في حال دخولهِ الجسم وتمكنهِ من غرس قدمهِ فيهِ وجودَه بهذه الظاهرة او العارض الذي نسميهِ بالسعال . ويكون سبب تفشيهِ نوع واحد من الميكروبات او اكثر . فالزكام والانفلونزا والتهاب الحنجرة واللوزتين والتهاب الاغشية المخاطية في الانف والحلق والبلورا والشعب والرئة والقصبة والربو والسل ومرض القلب — كل هذا ينشأُ عنهُ سعال حاد عنيف او خفيف يدوم مدة تتراوح بين اسبوعين واشهر وربما دام طول الحياة . وقد جرت ابحاث في ازمنة مختلفة ولا سيما بعد وافدة الانفلونزا سنة ١٩١٨ كانت نتيجتها ان

الاهمال كان السبب الاول في بقاء السعال مدداً مختلفة في الطول والقصر. فالاهمال في مداواة الزكام يحولهُ الى شر الادواء وكذلك الانفلونزا لانهما يمهدان طريق العدوى لميكروبات اشد مراساً في العلاج. واعرف عدداً ليس بقليل لا يعبأون لهذا الداء ولا يريدون ان يفهموا انهُ مرض يجب مداواتهُ واستئصال اثره وتراهم في سعال مستمر وفي حال تمنع عليهم النوم وتضايقهم في اعمالهم وتضايق من يكون على مقربة منهم. وبعد مضي سنة او اكثر من سنة يقصدون طبيباً ويرجون في بضعة ايام الشفاء مما هم فيهِ من بلاء. وليس الشفاء من سعال مضى عليهِ ستة اسابيع يسير. وافضل طريقة ان يعرض المصاب بالسعال نفسهُ على طبيب في الايام الثلاثة الاولى من مرضهِ وان يداوم على الدواء حتى يزول كل اثر فيهِ للداء ويقول لهُ الطبيب لقد شفيت. هذه الطريقة وحدها تريح بالك وتنقذك من مرض ان طال عهده اصبح الشفاء منهُ عسيراً. وانصح لمن كان سعالهُ مزمناً اي يكون قد مضى عليهِ اكثر من ستة اسابيع ان يقصد الاستشفاء حالاً ولا يتردد في عرض نفسهِ على طبيب والتوسل بكل وسيلة علمية تعيد اليهِ صحته وتبعدهُ عن مخاطر المرض ولاشك ان الطبيب يملك وسيلة في مداواتهِ لا ثاني لها هي تحليل البصاق على يد بكتريولوجي خبير يتولى زرعهُ وانباتهُ وتحويلهُ الى مادة علاجية ثم يرجعهُ الى الطبيب المعالج فيحقن بهِ المصاب بمقادير معينة ويظل على هذا العلاج مهما طال امرهُ الى ان يتم لهُ الشفاء الدكتور شخاشيري

الحذاء الضيق

الحذاء الضيق من آفات الحضارة الحاضرة ويظهر ضررهُ بنوع خاص في الشتاء فان القدم لا تدفأ في الحذاء الضيق لانهُ يمنع حركة الدم فيها ولا يكون بينهُ وبينها طبقة من الهواء تسخن فتدفأ القدم. وهذا فضلاً عن الالم الذي يصيب الانسان من ضيقهِ ومن المسامير التي تتولد منهُ

الزيت للشعر

البرليَنتِين الذي يدهن بهِ الشعر زيت نقي ممزوج بالكحول معطّر. وزيت الزيتون المعطّر او زيت اللوز يقوم مقامهُ وهو يفيد الشعر الجاف لانهُ يلينهُ ويغذي اصولهُ ويجعلهُ لامعاً جميل المنظر

حماية الطفل وحريته

نظرة في احوال الاطفال في الماضي والحاضر

٢

ولما كانت الاشياء تتمايز باضدادها وكانت السطور المتقدمة تملأ صحيفة سوداء محزنة من تاريخ الطفولة لذلك تجد صحيفة تاريخ الاطفال بعد بزوغ شمس المسيحية واشراق نور الاسلام بيضاء ناصعة مفرحة. كيف لا وقد امرت الديانة النصرانية وحثَّ الاسلام على العناية بالطفل والرأفة به؟ وافاضت كلتا الديانتين في قيمة الاطفال والرفع من شأنهم بعد ان كانوا قبل ذلك منبوذين محتقرين مهددين تكتنفهم الاخطار من كل جانب في كل صقع وزمن. الم تأمر المسيحية الانسان سيد الخليقة ان يجعل الطفل المثل الذي يحتذيه في الطهر ونقاوة القلب؟ الم تقل المسيحية للمؤمنين لن تدخلوا ملكوت الله حتى تكونوا اطفالاً. وكم اثار هذا الامر دهشة وهز الاعتقادات السائدة بعنف من اصولها في عالم اعتاد احتقار الاطفال وامتهانهم. كان هذا المبدأ السامي الغريب بذرة جديدة صالحة القتها المسيحية في ارض العقول والافهام وقد انبتت هذه البذرة نباتها فزكت اصولها وفروعها بعد دهر طويل واجتياز عقبات كأداء حتى حسن حال الاطفال في الدولة الرومانية في عهد (نرفا) (وطراجانوس) و(هدريانوس) و(انطونيوس بيوس) بصفة عامة وحسن حالهم ونعم بالهم بصفة خاصة في عهد اول امبراطور مسيحي نعني (قسطنطين) الذي اصدر منشوراً بديعاً سنة ٣١٥ ميلادية سداهُ الرأفة بالاطفال ولحمتهُ العناية بهم الى الحد الاقصى واليك فحواهُ:

« امرنا باصدار قانون بصفة مستعجلة ليكون نافذاً في جميع البلاد الرومانية »
« وبه يمنع الآباء منعاً باتاً من التقدم الى ابنائهم بنية القتل والاعدام وبان يكون »
« احساسهم نحوهم ادنى الى الرأفة واقرب الى الحنان فعليكم العناية بما تقدم واذا »
« جاء رجل بولده يشكو عدم القدرة على اعالته فيجب البحث عمن عساهُ يمد يد »
« المعونة الى الرجل والطفل ويقوم باودها على احسن حال ولا تهملوا شأن الاطفال »
« المولودين حديثاً دقيقة واحدة بل بادروا من فوركم الى اغاثتهم واغاثة والداتهم »
« ولتكن ايرادات الدولة واموال الحكومة رهن هذا العمل الخيري الجليل »

وهو امر ملوكي كان لهُ اثرهُ غير انه كان نظرياً اكثر منهُ عملياً ينفع نفعاً حقيقياً

لان عادة قتل الاطفال كانت منتشرة احياناً كالوباء بسبب الفاقة او الحرب او هجمات الشعوب البربرية فيتعرض الاطفال المساكين وهم مخلوقات لا حول لها ولا قوة للهلاك دون ان يتقدم الى انقاذهم أحد اللهم الا بعض رجال الكنيسة مثل (فنسان ده بول) او (مدام ليجاس) التي قالت عن ايتام باريس سنة ١٦٣٨ وهي تتحرق أسى وعطفاً عليهم وتوجعاً لهم واشفاقاً مما اصابهم: «ان ما اصاب الاطفال الذين ذبحهم هيرودوس لا يقارن بما اصاب ايتام باريس . ان ضحايا هيرودوس من غير شك كانوا احسن حظاً واخف عقاباً» ولم يتقدم مبدأ حماية الاطفال والرأفة بهم الى الامام الا بقدم بطيئة . وترى في تاريخ انكلترا كما في تاريخ غيرها من الدول ان كل انقلاب جديد او تغير في الاحوال يجر المصائب والويلات على رأس الاطفال المساكين. وذلك ان الانقلاب الصناعي في انكلترا خلق لاطفال الفقراء والمساكين نوعاً جديداً من العبودية عبودية قوتها القاهرة المسيطرة الآلات والماكنات وليس عليك الا ان تقرأ خطب (سادلر) أو (اسطلر) لتتبين فداحة الاخطار وعظم المصائب التي اناخت بكلكلها على الاطفال الانكليز منذ قرن من الزمان. على ان ظلمة اضطهاد الاطفال وتعذيبهم كانت تتخللها دائماً اشعة النور التي تبعثها رحمة قلم (ڤولتير) وخطب (ولبرفورس) وحماسة (وزلي) وغيرهم من ذوي المساعي الخيرية ودعاة الرحمة والشفقة والمروءة . ثم دوى في الارجاء صوت (شارلس دكنز) يفهم العالم ان الطفولة المعذبة هي الشر بعينه وقد وضحت آثار هذه المساعي الخيّرة . وها نحن اولاء نرى بعيني رأسنا وقد عني بامر الاطفال حتى غدوا سعداء جهد الطاقة وقد تم في السنين الاخيرة شيء كثير في اصلاح حال الاطفال بحيث يعدُّ ذلك الآن من البديهي والمألوف الذي كان بالامس يعد متطرفاً او مكروهاً او غير معقول من الآراء والرغبات الخاصة بموضوع العناية بالاطفال . ألم ترَ الى مقالة (برنارد شو) التي كتبها في موضوع حقوق الاطفال بعنوان (الآباء والابناء) وكيف اذهلت العالم بما فيها من الآراء الغريبة المتطرفة في زمن غير بعيد ؟ هذه الآراء الآن متبعة ومعمول بها في بعض الجهات حيث لا يرى فيها شيء من التطرف او الغرابة !!!

ان هذه النظرة السريعة التي القيناها على مركز الطفل في الهيئات الاجتماعية في مختلف العصور تساعدنا على فهم حقيقة جلية هي ان حقوق الاطفال لم تكتسب الا في الازمنة

الحديثة فقط وانها كثيرة متعددة فلقدكان الطفل في دهور كثيرة يساق ويعاقب ويضطهد ويؤدب وتوضع في طريقه القيود والعقبات. اما الآن ففي كل جهة يعلو صراخ الصارخين: اليك عنهم! اليك عنهم! دع الاطفال وشأنهم . ان الاطفال احق من غيرهم بترويج المصالح الخاصة بهم بقدر الامكان وان يكونوا مترجمين عما يجول بخاطرهم وان يقرروا الخطة (اما مباشرة او بالواسطة وقرائن الاحوال) الواجب سلوكها لاستثمار مواهبهم وان يرسموا لانفسهم الطرق اللازمة للسير في الحياة بالاعتماد على النفس

ومما يتصل بهذا الموضوع مسألتان جديرتان بالنظر والاعتبار: الاولى لاخصام اعداء حرية الطفل الذين يزعمون ان في حنو الوالدين ما يكفل له كل سعادة وان الوالدين بالفطرة مرغمون على اختيار الاصلح والانسب لاولادهم دون ان يكون لهؤلاء حرية او اختيار فيما يريدون لانفسهم . يقول اعداء حرية الطفل: ان حب الوالدين منجاة من الاخطار وانهُ في الانسان والطير والحيوان الاعجم يستمد الوالدان قوة لدفع الاعداء عن الاولاد واستجلاب الخير لهم ويذكرون دفاع اللبوءة عن اشبالها والاسد عن عرينه والدجاجة الضعيفة عن كتاكيتها فكيف بالانسان العاقل ذي الحيلة الواسعة؟ لا شك ان محبته لولده كفيلة بتحقيق كل السعادة لذلك الولد . وفاتهم انهُ وان كانت غريزة حب الاولاد حقيقة قوية ونافعة الا انها احياناً تصادف عقبات كأداء من الخوف وخشية العار والاملاق والجوع فان هذه العوامل واشباهها تتغلب على محبة الولد وتعترضها فيجب ان تكون حرية الاطفال وحقوقهم مقررة سواء توافرت لهم محبة الآباء والامهات او حال دون ذلك حائل

والمسئلة الثانية تتفرع عن النتيجة التي اوصلنا اليها هذا البحث وهو اذا كان الاطفال قد نعموا أخيراً بنعمة الحرية واصبحوا في حال غير الحال المحزنة التي كانوا فيها فما هي النتائج المنتظرة لتلك الحرية المكتسبة؟ وجواب ذلك لا يعلمهُ سوى علام الغيوب . ومهما يكن من أمر فان الحرية مهما اعتورها من عيوب أو فضائح نعمة كبرى لا يصح التغاضي عن محاسنها . وواجب نظار المدارس والمعلمين مراقبة حال التلاميذ وسير التعليم في ظلال حرية الاطفال الجديدة

حسين لبيب
ناظر مدرسة النحاسين

مكتبة المقتطف

نهضة العراق العلمية

مبادئ علم الهيئة
تصنيف جلال امين زريق

الهندسة المستوية
ترجمة هندسة وتورث وسمث

مبادئ الفيزياء
تأليف فرنان ماير وترجمة الاستاذ عز الدين علم الدين التنوخي

الهندسة المجسمة
ترجمة هندسة وتورث وسمث

مذكرات التاريخ القديم
لمتي افندي عقراوي

مجلة التربية والتعليم
لمؤسسها العلامة ابي خلدون ساطع الحصري

من يرَ هذه المؤلفات القيمة المفيدة ولا يثلج صدرهُ لبوادر نهضة علمية عملية في بلاد العراق! كتبٌ في الهندسة السطحية والمجسمة وعلم الهيئة وعلم الطبيعيات ومجلة خاصة لمباحث التهذيب والتعليم وخلاصة محاضرات في التاريخ القديم كاحدث الخلاصات في ارقى الجامعات الغربية! الا تعيد الى بالك هذه الكتب عصر المأمون ودار الحكمة في عاصمة العباسيين؟ واكثر ما يسرّنا في هذه النهضة انها علمية. لان عمراننا الحاضر انما هو ثمرة من ثمرات المعارف العلمية وتقدمها وتطبيقها على مقتضيات الحياة ومطالب العمران. فاذا شئنا ان نخوض غمار العمران ونسير جنباً الى جنب مع سائر الامم في موكبه الفخم فعلينا ان نعلم ابناءنا اساليب التفكير العلمي والبحث العلمي. ولا نريد بذلك ان ننكر على الاطلاق ما للادب الحيّ من مكان محترم بين العناصر التي تكون النهضة في امة من الامم ولكننا نريد العلم قبل الادب لانهُ اساس الثروة ولا رقي للامم الاَّ بالمال وبرجال يخلقون المال من العدم كما بيّنا في مقالتنا الاولى في هذا الجزء من المقتطف. اضف الى ذلك ان العلم يوسع المدارك ويرهف المخيلة ويفتح امام العقل والنفوس ابواباً من حكمة الله واسرار الحياة وغرائب الطبيعة لا تلبث ان تجري في عروق الادب دماً نقيًّا حارًّا

واكثر الكتب المذكورة اعلاهُ ترجمة ولا بأس في ذلك . فالنهضة العلمية في ايام العباسيين بنيت على ما ترجم الى العربية من مؤلفات اليونان وغيرهم . والنهضة الفكرية في اوربا بنيت على ما نقل الى اللغات الاوربية من مؤلفات العرب واليونان . ونحن شديدو الثقة بانهُ لا ينقضي على العراق جيل او جيلان حتى يتخطى ابناؤهُ دور الترجمة الى دور الابداع والتأليف . فنحن نسدي جزيل الشكر الى الاساتذة الذين عنوا بنقل هذه الكتب الى اللغة العربية مغتبطين انهم يجدون في رجال حكومة العراق السنية وجلالة مليكه انصاراً اقوياء يدركون ادراكاً صحيحاً قيمة العلم والبحث العلمي في ترقية الامم ولا يدخرون وسعاً في رفع لوائهِ وتنشيط المنقطعين لهُ

اعجاز القرآن

تأليف مصطفى صادق الرافعي — طبع بمطبعة المقتطف والمقطم — صفحاته ٤٠٢ صفحة قطع المقتطف

هذه هي الطبعة الثالثة من هذا الكتاب المشهور وقد امر بها على نفقتهِ حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول على ان تباع النسخة منهُ بخمسة غروش صاغ لكي يسهل اقتناء الكتاب وتتناوله أيدي جميع الناس. وقد قال المؤلف في وصف جلالة الملك وتفضلهِ بهذا المبرة السامية : «هو الملك الراسخ في العلم ، ثم القوي بعلمهِ في الايمان ، ثم المتمكن بايمانهِ في الفضيلة ، ثم العامل بكل ما آتاه الله في سعادة الامة يحرص اشدَّ الحرص على ان يصون لها دينها ويمكن لها في فضائلها اذ يرى ان روح الامة كلمة اجتماعية من اهم معانيها دين الامة» ... وقال في كلمتهِ التي رفع بها الكتاب الى السدَّة الملكية : « ما الملوك الا فصول انسانية تداولها الاقدار كهذه الفصول الزمنية يداورها الليل والنهار فمن فضل الله على كنانة ارضهِ ان جعل ملكك عهد زهرها وثمرها ... اما العلم فما رأت مصر في غير عهدك ان اكواخ القرى تلد المدارس . واما الادب فاقلامهُ في روضك اشجار وارفة ، وكانت من قبل كاعواد الحطب اليابس »

واسلوب الاستاذ الرافعي معروف بمتانة بنائهِ وجزالة الفاظهِ ودقة بحثهِ في تاريخ الادب العربي واساليبهِ فلما جاء يكتب في بلاغة القرآن الشريف حلّق ببلاغتهِ الى ما فوق مستواهُ العادي على ارتفاعهِ. لذلك قال المغفور لهُ سعد باشا زغلول في هذا الكتاب « وايّد بلاغة القرآن واعجازها بادلة مشتقة من اسرارها في بيان مستمدّ من روحها كانهُ تنزيل من التنزيل او قبس من نور الذكر الحكيم »

والكتاب مطبوع طبعاً متقناً بمطبعة المقتطف والمقطم ومصدَّر بصورة بديعة لحضرة صاحب الجلالة الملك لم يسبق نشرها وفيهِ ايضاً صور اربع صفحات من مصحف جلالة الملك وهو من ابدع المصاحف خطّاً واجملها رسماً ونقشاً

الخالدات

مجلة ادبية فلسفية شهرية لصاحبيها الخوري ايليا حاماتي والارشمندريت انطونيوس بشير

تصدر في ترهوت انديانا بالولايات المتحدة الاميركية

هذه مجلة جديدة والمجلات الجديدة كثيرة ولكننا نعرف احد منشئيها وما لهُ من العناية بالادب الحيّ والاصلاح القائم على تثقيف العقول وتهذيب النفوس تثقيفاً اساسهُ العلم الناضج وتهذيباً قوامهُ الدين والخلق المتين . لذلك رحبنا بها ترحيباً خاصًّا لعلمنا انها ستكون مناراً جديداً ينشر على الشرق وعلى ابناء الشرق في ديار الغرب انواراً من حكمة الغربيين وامثلة حية من اسرار تقدمهم وارتقائهم. فهي «سفر القلوب الحية والعقول الناضجة والايدي العاملة» كما يقول منشئاها ولو لم يكن في الجزء الاول الذي صدر منها سوى مقالة « اعداء الفكر الصحيح » وفي الجزء الثاني سوى مقالة « الطموح » لكفى بهما غذاء للعقول والنفوس

حديث عيسى بن هشام

الطبعة الرابعة مع الرحلة الثانية

تأليف محمد بك المويلحي — طبع بمطبعة مصر وعلى نفقتها — صفحاته ٤٦٥ من القطع الكبير

رأت وزارة المعارف أن تقرر « حديث عيسى بن هشام » في مدارسها الثانوية للسنة الرابعة والخامسة ، فطلبت من مؤلفه محمد بك المويلحي أن يطبع لها الطبعة الرابعة منهُ وأن يضيف اليها الرحلة الثانية الموعود بها . فقام بالامر أحسن قيام وتم طبع الكتاب طبعاً متقناً وستوزعهُ الوزارة على مدارسها في هذا العام

ولسنا نرغّب القراء في اقتنائهِ باكثر من أن نذكر لهم بعض ما جاء في تقرير لجنة وزارة المعارف التي انتدبت لفحصه . قالت :

«وقد ذهب مؤلف الكتاب مذهب القصص وأجرى الكلام فيهِ على جهة التخيل والتمثيل ، حتى اذا عرض لرذيلة من الرذائل الشائعة جلا مكانها ، وصور آلامها ،

وتمثل المنغمسين فيها من أهل الغفلة والضلالة ، وراح يشرح عقلياتهم ، ويتتبع مزالقهم فيها حتى ينحط بهم الى قرارة الهاوية . وهذا كله أجراهُ باسلوب فكه مشوق يصوّر النقائص أبلغ تصوير ، ويبشع المقابح أعظم تبشيع »

« اما عبارة الكتاب فهي على حظ من البلاغة جليل : حلاوة لفظ ، ورشاقة عبارة ، ومتانة تركيب ، وقوة تأليف ، وقد تناول الكلام كثيراً من افكار العصر ومستحدثاته فاداها افضل اداء وعبر عنها بفصيح العربية ابدع تعبير »

ذكراً وانثى خلقهم

أو مرشد الشبيبة

تأليف الاستاذ نقولا حداد — طبع بالمطبعة العصرية — صفحاته ٢٤٨ من القطع الكبير

في صدر الكتاب تمهيد في اربعة فصول تشغل نحو ٥٠ صفحة يحث فيهِ المؤلف بحثاً علميًّا في اشتقاق الذكورة والانوثة من أصل واحد ، وابان ان الرجل والمرأة هما جزءا انسانٍ واحد هو حلقة في سلسلة الحياة الانسانية . ثم تطرّق من هذا البحث الى ان هذا الانسان الكامل يتم باتحاد جزئيهِ . فبرهن بذلك حقيقة الزواج من الوجهتين البيولوجية والاجتماعية . ثم أفاض في بيان نسبة كل من ذينك الجزئين (الرجل والمرأة) الى الآخر ومنزلة كلٍّ منهما مثبتاً ان وظيفة المرأة ابداع الجمال الذي هو المثل الاعلى للرقي الانساني ، وان وظيفة الرجل اعداد مواد الجمال ، وغايتهما معاً التمتع بهِ

ثم تبسط في ان للحياة الانسانية وغير الانسانية شوطين تجريهما . الشوط الاول هو الاستعداد للزواج . والشوط الثاني هو الزواج والتناسل بغية تسليم جوهر الحياة لجيل تالٍ ، وهكذا دواليك . وأفاض في كيفية الاستعداد من الوجهات الاقتصادية والصحية والعقلية والادبية والاجتماعية

وبحثهُ من الوجهة الادبية اقتضى أن يتوسع في موضوع العفة وما يناقضها من الموبقات كالدعارة وما ينشأ عنها من الامراض الوبيلة

ثم تبسط في مقتضيات الحب من الوجهة العملية . وفي مقتضيات الاستعداد للزواج فجاء الكتاب أصدق مرشدٍ للشبان والشابات في حياتهم باسلوب علمي تهذيبي جديد لم نرَ لهُ في العربية مثيلاً . لذلك هو لازم للاحداث والكبار والوالدين عموماً

الشيخ ظاهر العمر الزبداني

الشيخ ظاهر العمر الزبداني رجل عصامي يصح ان يقال انهُ من نوابغ رجال الشرق وكفاهُ فخراً انهُ بعقلهِ ساد قومهُ وبعدلهِ وحسن سياستهِ وجسارتهِ وشدة بأسهِ انشأ دولة ذات شأن في قلب دولة بني عثمان في اوج عزّها نريد بها دولة عكا وصفد. وقد وضع المرحوم مخائيل نقولا الصباغ العكاوي تاريخاً لهذا الرجل الفذّ بقي مطويّاً الى ان عني بنشرهِ وتعليق حواشيهِ الخوري قسطنطين الباشا المخلصي وطبعهُ بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان)

مطبوعات اخرى

﴿ وراء الحقيقة ﴾ بحث في مطابقة العلم لروح الاديان . تأليف نجيب افندي شعيا طبع بالمطبعة التجارية الكبرى بمصر ويطلب من مكتبة الوفد بمصر . صفحاتهُ ١٢٠ من القطع الصغير

﴿ الزواج والطلاق المدني في القرآن ﴾ تصنيف الاستاذ محمد ابو زيد . طبع بمطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر . صفحاتهُ ٥٩ من القطع الوسط

﴿ اردشير ﴾ اوبرا خيالية ذات اربعة فصول نظم الدكتور احمد زكي ابو شادي طبعت بالمطبعة السلفية بمصر . صفحاتها بما الحق بها من مقدمة وتعليق ١٥١ من القطع الصغير

﴿ الابهاج في شرح المنهاج ﴾ لقاضي القضاة الامام تقي الدين السبكي وولدهِ مع (نهاية السول في شرح منهاج الاصول) للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ تأليف الشيخ الامام جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الاسنوي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٢ هـ طبع على نفقة المكتبة المحمودية التجارية بميدان الجامع الازهر الشريف بمصر وهو ثلاثة مجلدات وثمنهُ ٥٠ غرشاً صاغاً

﴿ ذكرى سعد زغلول في العراق ﴾ مجموعة تحتوي على مقالات الصحف والمجلات والكتاب وقصائد الشعراء وخطب الخطباء في رثاء فقيد الشرق سعد زغلول باشا . طبعت على نفقة المكتبة الوطنية ببغداد . صفحاتها ١٨٥ من القطع الصغير

﴿ دليل الوقاية الفعلية ﴾ في بعض الامراض المعدية والتناسلية . كتاب مفيد مزدان بالصور الفنية وضعهُ الدكتور رشيد المنشاوي ويطلب من مكتبة الاستقامة بتونس لصاحبها محمد بن صالح التميمي نهج سيدي ابن عروس عدد ٣٤

﴿ حروب ابرهيم باشا المصري ﴾ في سوريا والاناضول وهو الجزء الثاني من مخطوطة لمؤرخ مجهول علق حواشيها ووضع فهارسها الدكتور اسد رستم استاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية وعني بنشرها بعد ما الحق بها وثائق تاريخية هامة الخوري بولس القرألي صاحب المجلة السورية بهيليوبوليس بمصر

﴿ الناجيات ﴾ مجموعة نظرات في السياسة والفلسفة والاجتماع والاخلاق لناجي افندي السعدي طبعت بالمطبعة الوطنية بعكا صفحاتها ١٠٠ من القطع الوسط

﴿ احسان ﴾ مأساة مصرية تلحينية نظم الدكتور احمد زكي ابو شادي .طبعت بالمطبعة السلفية بمصر صفحاتها ١٦٠ من القطع الصغير

﴿ قيصر وكليوبطرا ﴾ رواية تاريخية غرامية تأليف الدكتور خليل بك سعادة نشرها بالانكليزية في لندن منذ ثلاثين سنة ونقلها الآن الى العربية وطبعت بمطبعة الفنون بسان بولو بالبرازيل

﴿ الضعفاء ﴾ كتاب يحتوي على ٧ قصص اجتماعية مؤثرة بقلم يوسف افندي هرمز وقد طبع بالمطبعة الوطنية بالبصرة صفحاتهُ ١٥٤ من القطع الصغير

﴿ تاريخ اليمن ﴾ المسمَّى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن تأليف العلاَّمة الشيخ عبدالواسع بن يحيي الواسعي اليماني .طبع بالمطبعة السلفية بمصر. صفحاتهُ ٤٠٠ من القطع الصغير

﴿ الثقافة ﴾ مجلة علمية ادبية شهرية لصاحبها ومديرها المحامي عبد الجليل برتو تصدر في البصرة — عراق وتطبع بالمطبعة الكاظمية فيها وقيمة اشتراكها ٩ ربيات في السنة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر تكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) مقالات المقتطف

عاليه لبنان . هل يقبل المقتطف المقالات التي تبعث لهُ للنشر

ج . يعنى محرّر المقتطف بمراجعة كل ما يرد على قلم التحرير من المقالات فينشر منها ما يجد نشرهُ مفيداً للقراء ويقدم في النشر ما لهُ علاقة بموضوع يشغل اذهان الناس في الشهر الذي يصدر فيهِ المقتطف او ما كان جديداً في بابهِ كبحث علمي طريف . ويختار المقالات الموجزة على المطوَّلة . ولا ينشر على الاطلاق مباحث دينية او سياسية الاَّ ما كان لهُ علاقة بالعلم او كان فيهِ البحث على اسلوب علمي . ويشترط في كل ما ينشر ان يكون اسلوبهُ العربيّ صحيح سهل المأخذ وخطهُ واضح

(٢) كتاب تسلسل الانسان

ومنهُ . هل ترجم كتاب تسلسل الانسان لداروِنْ الى العربية

ج . كلاَّ لم يترجم بعدُ . ولكن تُرجم كتاب اصل الانواع ومترجمهُ الاستاذ اسماعيل مظهر بك صاحب مجلة العصور . وقد طبع جانباً منهُ منذ بضع سنوات وهو يعنى الآن بطبعهِ كلهِ دفعة واحدة

(٣) اعجب الاختراعات

ومنهُ . اي الاختراعات اعجب الجميع

ج . تتوقف الاجابة عن هذا السؤال اجابة محكمة على وجهة نظر السائل . فاذا سئلنا ما هو اعجب المستنبطات الحديثة التي سهلت طرق المواصلات قلنا آلة الاحتراق الداخلي فان السيارات والطيارات والبواخر الحديثة الطراز بنيت عليها . واذا سُئلنا ما هو اعجب المستنبطات التي وسعت نطاق المخاطبات قلنا كل ما يتعلق بالمخاطبات اللاسلكية من مباحث مكسوِل النظرية الى انبوب ده فرست المفرغ . ولقد تجدون في المقالة التي عنوانها « الحدائق المعلقة ام ناطحات

السحاب » في صفحة ٢٥٧ من هذا الجزء جواباً وافياً عن سؤالكم

(٤) طلبة الجامعة المصرية

ومنهُ . هل تقبل الجامعة المصرية طلاباً غير مصريين. وهل تعتمد على شهادة ام على امتحان

ج . نعم تقبل طلاباً غير مصريين . والطلاب فيها اما نظاميون او منتسبون . فاذا كانوا نظاميين وجب ان يكونوا من حاملي شهادة البكالوريا المصرية او ان يجتازوا امتحاناً يعادلها . وهؤلاء يحق لهم التقدم لاجتياز امتحانات الجامعة ونيل شهادتها . اما المنتسبون فيحضرون المحاضرات ولا يحق لهم التقدم للامتحانات ونيل شهادات الجامعة

(٥) حكومات الدومنيون

شطرة المنتفك العراق . نرجوكم ان تفيدونا عن نوع حكومات كندا وايرلاندا واوستراليا وجنوب افريقيا

ج. في الامبراطورية البريطانية خمس دول مستقلة وهي كندا واستراليا وزيلندا الجديدة وجنوب افريقية ودولة ارلندا الحرّة . ويطلق على الدول الاربع الاولى منها اسم دومنيون Dominion ونظام الحكم في كلّ منها نيابيّ . اي فيها مجلس دستوري مؤلف من مجلس نيابي ومجلس للشيوخ او للاعيان وفيها وزارة مسؤولة تتألف من حزب الاكثرية وتستقيل حين تكون الاكثرية في مجلس النواب ضدها . وعلى رأس الدولة حاكم يعيّنهُ ملك انكلترا وامبراطور الهند ليمثّل شخصهُ فيها فتصدر القوانين الرسمية باسم الملك ويوقع عليها الحاكم نيابة عنهُ

اما ارلندا فقسمان الشمالي والجنوبي . فالشمالي لهُ برلمان مؤلف من مجلسين ووزارة مسؤولة لديهِ ولكن اختصاص برلمان ارلندا الشمالية اقل من اختصاص برلمانات كندا واستراليا وما اليها . واما ارلندا الجنوبية فتدعى الآن «دولة ارلندا الحرة» بموجب المعاهدة التي عقدت مع حكومة بريطانيا سنة ١٩٢١ و١٩٢٢ ولها دستور خاص قائم على ان حقوق التشريع والتنفيذ والسلطة مستمدة من الشعب الارلندي وحكومتها تحسب مساوية لحكومة انكلترا أو حكومة فرنسا في مجامع الدول. ولها مجلسان نيابيان يقسم اعضاؤهما قسم الوفاء للملك — اي ملك انكلترا — وممثلهُ فيها يدعى الحاكم العام لدولة ارلندا الحرة

(٦) مصير الآثار المصرية

بغداد العراق . ما هو مصير الآثار المصرية الثمينة التي استخرجت وما زالت تستخرج . وما هو نصيب المتحف المصري منها

ج . ما كشف منها قديماً ونقل الى

اوربا كحجر رشيد محفوظ في متاحفها ولا ضرر من ذلك لان الاوربيين يعتنون بهِ عناية فائقة ويتناولونهُ بالبحث والدرس وهم الذين عرفوا قيمتهُ أولاً وكشفوا معناهُ. أما ما يكشف الآن فيبقى كلهُ في مصر ويحفظ في المتحف المصري الا ما تسمح بهِ الحكومة المصرية وذلك لا يكون الا اذا وجد للاثر نسخة طبق الاصل . فلا بأس من نقلها حينئذٍ الى أحد المتاحف الاوربية

(٧) اشتراك المقتطف خارج القطر المصري

صافيتا سوريا . لماذا لا تجعلون اشتراك المقتطف في سورية مثلهُ في مصر وما الباعث على حرمان سورية وهي منشأ المقتطف من هذه المساواة

ج . لاننا ندفع الفرق اجرة بريد لنقل اعداد المقتطف الى المشتركين خارج القطر المصري . واذا اطلعتم على المجلات الاوربية والاميركية وجدتم أن كلاً منها تتقاضى من المشتركين في الخارج مبلغاً من المال فوق قيمة الاشتراك القانونية في بلادها

(٨) ترجمة جمهورية افلاطون

ومنهُ . هل نقلت جمهورية افلاطون الى اللغة العربية ولماذا لم تنقل ؟

ج . لم تطبع بعد . ولكن علمنا ان الاستاذ حنا خباز نقل معظمها وكاد يتمها وقد يقدمها للطبع قريباً

(٩) كتاب الاخلاق لارسطوطاليس

ومنهُ . أين يوجد كتاب الاخلاق تعريب الاستاذ لطفي السيد وكم ثمنهُ

ج . في مكاتب مصر الشهيرة وثمنهُ جنيه

(١٠) سير النوابغ في المقتطف

ومنهُ . كثيراً ما نسمع بذكر النوابغ من عظماء الاجانب ولكن لسوء الحظ لا نحسن لغة اجنبية نرجع اليها للدرس عن مباحث اولئك النوابغ عندما نسمع بذكرهم ولما كان المقتطف خير وسيلة لسدّ هذه الثلمة وملء هذا الفراغ اتيت بكلمتي هذه لتتكرموا بكتابة شيء مفيد عن اينشتين ونظريتهِ

ج . لا يخلو عدد من المقتطف من ذكر نابغة من نوابغ العالم في العلم او الادب او السياسة او الادارة او الاعمال المالية . وقد جمعنا حتى الآن من مجلدات المقتطف الماضية كتابين نفيسين ضمَّ اولهما سير النوابغ من رجال العلم والتعليم والفلسفة والثاني سيَر الروَّاد والمستكشفين . وفي اول فرصة سنخرج كتاباً يشتمل على سير رجال المال والاعمال . واذا راجعتم هذا الجزء من المقتطف وجدتم فيهِ سيرة عالم كبير هو الاستاذ بيوبن الاميركي وسيرة اديب كبير هو بلاسكو ابانيز الاسباني

وفي الجزء القادم ننوي ان ننشر سيرة

لورد اكسفرد السياسي الانكليزي المشهور وسيرة توماس هاردي الاديب الانكليزي. اما مذهب اينشتين فنتحاشى الخوض فيهِ لصعوبتهِ ولانهُ لا بدَّ من معرفة الرياضيات العالية لادراك مبادئهِ ومع ذلك فقد نشرنا في المقتطف خلاصتهُ ص ١٥٩ م ٦٠

(١١) تاريخ ملح الطعام

ومنهُ . متى استعمل الملح في الطعام وما الفائدة منهُ

ج . الملح يدخل في تركيب الجسم ولذلك لا بدَّ من تناولهِ بكميات قليلة مع الطعام ليعوّض الجسم عما ينحلُّ منهُ ويفرز. اما تاريخ استعمالهِ في الطعام فتغلغل في التاريخ القديم . ويظهر من بعض الاشعار في الاودسي ان الملح كان صعب المنال على كثير من الناس في ابيروس ولذلك لم يستعملوهُ في طعامهم . وقد ثبت ان الاوربيين ادخلوا عادة استعمال الملح الى بعض انحاء اميركا والهند . ولا يزال استعمالهُ في بعض البلدان في اميركا المتوسطة يحسب من الكماليات وينحصر في الاغنياء فقط. ولا ريب في انهُ لا حاجة الى استعمال الملح في الطعام حيث الانسان لا يزال على الفطرة يقتصر طعامهُ على اللبن واللحم النيء . فان في اللحم النيء من الاملاح ما يكفي حاجة الجسم اليها . وقد جاء في الانسكلوبيذيا البريطانية ان عرب حضرموت وقبائل النوميديين الرحالة لا تتناول ملحاً في طعامها . ولكن سكان البلدان التي يقتصر فيها الطعام على الخضراوات يحتاجون الى الملح في طعامهم. وهذه الحاجة منشأ تاريخ الملح الاقتصادي وهو مع تاريخ السكّر الاقتصادي من اعلق المباحث التاريخية باللب . وقد نعود اليهِ في فرصة اخرى. اذ لا يتسع لهُ باب المسائل الآن

(١٢) صحة التنجيم

ومنهُ . يزعم بعض المنجمين انهم يعلمون بما سيكون في المستقبل من خير او شر . فهل لهذا الزعم نصيب من الحقيقة ؟

ج . ليس لهذا الزعم اساس علمي

(١٣) مورس ونظامه التلغرافي

ومنهُ . من هو مورس وما هو نظامهُ التلغرافي

ج . صموئيل مورس مستنبط التلغراف المستعمل الآن اميركي ولد في بلدة شارلستون من ولاية مستشوستس من اعمال الولايات المتحدة الاميركية وتخرج من كلية يايل سنة ١٨١٠ واستنبط التلغراف التجاري سنة ١٨٣٢ وبقي يعاني الفقر المدقع ١٢ سنة قبلما اتقنهُ ومهد لهُ السبيل لعرضهِ على الجمهور . وحين يذكر نظامهُ التلغرافي يراد في الغالب نظام الاشارات الكهربائية التي وضعها للتعبير عن الحروف الهجائية



صورة الغلاف

ترمز صورة الغلاف الى انتصار الانسان على قوى الطبيعة على ما هو مبين في مقالتنا التي عنوانها « الحدائق المعلقة ام ناطحات السحاب» وكأنها تمثل قول خليل مطران في نبوليون :

من بعد فتح الارض ماذا تبتغي
فاجاب انظر كيف افتتح السما

تحف توت عنخ امون

اخرج المستر كارتر مؤخراً تحفاً نفيسة من مدفن توت عنخ امون اطلعنا على اوصافها وصورها بقلمه في مجلة « اخبار لندن المصوّرة » فنقلنا صورتين من الصور المنشورة معها يراهما القارئ امام هذا الكلام فالرؤوس الاربع التي على اعلى الصندوق في احدى الصورتين تمثل الملك توت عنخ امون وهي سدادات لاربعة اوعية تحتوي على امعاء الملك جرياً على عادة المصريين القدماء في حفظها . ومع كل من هذه الاوعية وجد تمثال مصغر يمثل تابوت توت عنخ آمون الذهبي الذي نقل الى المتحف المصري . وهذه التماثيل المصغرة آية من آيات الدقة واتقان الصنعة . ويرى القارئ صورة احداها في الصفحة المقابلة . اما التماثيل التي على زوايا الصندوق فتمثل اربع الاهات من آلهة مصر وقفت هناك لحراسة الصندوق والكتابة الهيروغليفية تبين اوصافها الالهية

افتتاح مصحة حلوان

كان شهر فبراير من احفل شهور السنة بتأسيس المشروعات العمرانية في مصر . فقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد فوضع اولاً حجر الزاوية في بناء الجامعة المصرية الجديد ثم تفضل فوضع حجر الاساس في قناطر نجع حمادي ثم بافتتاح معرض الصور الفرنسي ثم بافتتاح مصحة حلوان . وقد جاء في خطبة الغرابلي باشا وزير الاوقاف التي القاها في حضرة صاحب الجلالة الملك ما خلاصته :

المصحة قائمة على ربوة في الطرف الشمالي الشرقي لمدينة حلوان وتبلغ مساحة ارضها ٥٧٦٠٠ متر مربع وهي تشتمل على جناحين كبيرين احدهما في الجهة البحرية والآخر في الجهة القبلية مكون كل منهما

من اربع طبقات عدا الملحقات ويفصلها فضاء متسع فيه متنزه صغير للمصحة وقد اشترتها الوزارة بمبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه ارضاً وبناء

وقد بلغ عدد الذين دخلوا المصحة من حين قبول المرضى فيها في ٩ اكتوبر سنة ١٩٢٦ حتى يوم افتتاحها ٤٥١ مريضاً وهذا عدد غير قليل اذا اعتبرنا ان امراض الصدر تحتاج في شفائها الى زمن طويل اذ يلزم لعلاج المريض من سبعة شهور الى عشرة اذا كانت الحال غير خطرة وقد يمكث من ١٢ شهراً الى ١٨ شهراً اذا كانت الاصابة خطرة . وقد كانت نتائج العلاج موجبة للرضى فان ٨٢ ٪ من المصابين الذين جاؤوا المصحة وهم في الدور الاول من الداء شفوا و ٦٠ ٪ من الذين جاؤوها وهم في الدور الثاني شفوا و ٢٦ في المائة من الذين جاؤوها في الدور الثالث شفوا وهذه نتائج قابلة للتحسن مع زيادة الاختبار. وقد اقتنع المشرفون على ادارة المصحة ان جوّ حلوان لا يضارَع في موافقتهِ لعلاج المصابين بالتدرن الرئوي لذلك كان اختيار هذه البقعة لانشاء هذا المشروع الجليل اختياراً موفقاً . ووزارة الاوقاف لم تضنّ بالمال لتجهيز المصحة باحدث وسائل العلاج على اختلافها

النهضة العلمية في العراق

اطلعنا في مجلة الشرق الادنى على الحقائق التالية عن النهضة العلمية في العراق فجاءت معززة لرأينا الذي ابديناهُ في هذا الجزء حين الكلام على بعض المطبوعات الحديثة التي وردت على مكتبة المقتطف من عاصمة العباسيين . فالاعمال العمرانية قائمة على قدم وساق في المدن والحواضر والقرى والدساكر. والتعليم يسير بقوة الكهربائية بين الجماهير ويضيء مجاهل مظلمة ظل سكانها قروناً عديدة يتسكعون في دياجير الجهل والانحطاط ولا أدل على انبثاق فجر العلم والعرفان في العراق من ان الاحصاء الرسمي قد اثبت ان عدد تلامذة المدارس على اختلاف أنواعها قد بلغ ٤٧ الف طالب مع انهم لم يكونوا في العهد التركي اكثر من بضعة آلاف ولم يزيدوا في العام الاول من الحكم الوطني عن ١١ الفاً . ولقد كان حظ المرأة من التعليم وافراً ونصيبها كبيراً فان عدد الفتيات الدارسات ينوف الآن على بضعة آلاف وتنوي الحكومة العراقية ان توفد هذا العام أول بعثة من خريجات دار المعلمات الى الجامعات الاوربية والاميركية ليعدن الى بلادهن ويقمن بمهمة التعليم والتهذيب بدلاً من الاستعانة بمربيات ومهذبات اجنبيات. وللعراق الآن

ما يناهز ثمانمائة طالب يتعلمون في جامعات بيروت ودمشق والاستانة والقاهرة والهند واوربا واميركا ويدرسون العلوم والفنون التي تحتاج اليها بلادهم كالزراعة والطبابة والبيطرة والهندسة والتربية والتعليم. والى جانب هذه البعثات بعثة عسكرية تدرس الآن الطيران في انكلترا وقوامها ١٨ تلميذاً وفي النية ايفاد بعثة أخرى مؤلفة من ٣٠ تلميذاً هذا العام . كما ان وزارة الدفاع انشأت مدرسة تدريب للطيران يتعلم الآن فيها نحو ٥٠ تلميذاً توطئة لارسالهم الى انكلترا حتى اذا حل عام ١٩٣٢ كان للعراق عدد وافر من ضباط الطيران وبضعة اسراب من عقبان الجو تقوم مقام الاسراب البريطانية الراحلة

الملك العلمي

يبتاع زيد مائة فدان من الاطيان البور بثمن بخس جداً ويعمل في اصلاحها بضع سنوات فيصير ثمنها عشرة اضعاف ما اشتراها بهِ فاذا اشترى الفدان بعشرة جنيهات صار يساوي مائة جنيه . فكل الزيادة في الثمن ملك حلال لهُ تعترف لهُ بهِ الحكومة وكل احد . ويؤلف عمر رواية يشتغل بتأليفها بضعة اشهر وتطبع وتباع ويكرر طبعها فيكون له منها ربح وافر وتعترف له الحكومة اذا اراد ان الرواية ملك له يتمتع بريعها كما يتمتع كل أحد بريع ما يملكهُ . ولكن العالِم الذي يبحث وينقب حتى يكتشف حقيقة علمية تبنى عليها اعمال ينتفع بها اصحاب الصنائع والمتاجر لا يستفيد من ذلك ماليًّا . افلا يحق لهُ ان يشارك المستنبط الذي يستعمل هذه المكتشفات اساساً لمستنبطاته فيما يجنيهِ من الربح منها ? هذا موضوع جدير بالنظر . وقد وضعت كلية الحقوق في جامعة « نورث وسترن » الاميركية جائزة قدرها مائتا جنيه تمنح لافضل رسالة قانونية في هذا الموضوع. وفي اوربا واميركا اناس يسعون لجعل مكتشفات العلماء العلمية املاكاً يستفيدون منها كالمخترعات الصناعية فعزمت اكادمية العلوم باميركا ان تجمع عشرين مليون ريال (اربعة ملايين جنيه) وتجعل ريعها جوائز تجيز بها العلماء على ما يكشفونهُ من الحقائق العلمية المفيدة

انباء طبية

جاء في مجلة العلم العام ان احد الانكليز استنبط مطهراً جديداً اطلق عليهِ اسم « مونسول » يستخرج من قطران الفحم الحجري ومن خصائصه انهُ يسهل شربهُ وحقنهُ في الشرايين من غير ضرر يصيب الانسجة من جراء ذلك

وفي انباء المانيا ان أحد علمائها في

معمل رنجولد الكيماوي بهمبورغ كشف طريقة لفحص الدم يستطيع ان يعرف بها وجود السرطان قبل ظهوره وقبل ظهور اعراضهِ

وقد صُنعت في جامعة الينوي آلة لمكافحة السرطان تحتوي على اكبر انبوب لاشعة اكس كلفت صانعيها مائة الف جنيه والاشعة التي تنبعث منها تخترق جسم الانسان فتقتل النواحي السرطانية التي فيهِ او تعيق نموها في فترة تختلف بين ثماني دقائق و١٢ دقيقة

ويرى الدكتور ڤولي شيني الاميركي ان اكبر اسباب الزكام كثرة الاكل وقلة الرياضة البدنية وقلة النوم وكثرة الهم العقلي

علاج الشلل العام بالملاريا

الزهري مرض عضال منتشر في جميع اصقاع الارض على اختلاف درجات حرارتها وانتشارهُ في البلاد الحارة حيث يغلب انعدام اسباب الوقاية منهُ اكثر من انتشارهِ في البلاد الباردة

وللزهري مضاعفات شتى اشدها مضاعفاته في الجهاز العصبي وهذه المضاعفات الاخيرة يكاد لا ينجع فيها علاج واهمها الشلل العام (General Paralysis) والشلل التحركي (Tabes Dorsalis)

وقد لاحظ الاطباء منذ زمن ان هذه المضاعفات العصبية اكثر انتشاراً في البلاد الباردة منها في البلاد الحارة مع ان الزهري اكثر انتشاراً في الاخيرة منها في الاولى.

وحديثاً وجد الدكتور فاجنر يورج النمساوي تحسناً بيّناً في بعض المرضى المصابين بشلل عام بعد ما اصيبوا بمرض الملاريا . ففكر في استعمال عدوى الملاريا الصناعية في مداواة هذا المرض فثبت لهُ انهُ اذا حقن دم مصاب باحد انواع الملاريا (المعروف بالثلاثية الحميدة Benign Tertia) في شخص مصاب بشلل عام اصيب المحقون بعد بضعة ايام باعراض الملاريا فاذا ترك هذا المريض مدة بدون علاج للملاريا خفت او زالت اعراض الشلل العام وبعد ذلك يعطى المريض علاج الملاريا العادي كالكينا وخلافه

وقد وجد ان حوالي ٣٠ في المائة من الذين عولجوا بهذه الطريقة نالوا الشفاء التام واصبحوا قادرين على الرجوع الى اشغالهم وحوالى ٣٠ في المائة آخرين تحسنت حالتهم تحسناً بيّناً فلم يبق ما يوجب حفظهم في المستشفيات

هل تغيرت سرعة النور

يرى الاستاذ جوري ده براي الفلكي الفرنسوي ان سرعة النور آخذة في الانخفاض ويبني رأيهُ هذا على ان النتائج

التي وصل عليها العلماء في قياس سرعة النور آخذة في الانخفاض سنة فسنة ومتوسط هذا الانخفاض نحو ٣ اميال في الثانية كل سنة . فسرعة النور على ما قاسها الاستاذ ميكلصن في السنة الماضية ١٨٦٢٨٤ ميلاً وهي اقل مما كان معروفاً قبلاً . فاذا جاءت نتائج مباحثهِ في السنة القادمة اقل من نتيجة بحثهِ الماضي وجدنا دليلاً جديداً على صحة هذا المذهب

وهذا التغيُّر القليل في سرعة النور لا يحدث فرقاً ما لدى العامة ولكنهُ يحملنا على تعديل بعض الاراء الطبيعية المسلَّم بها الآن

العالم لورنتز الهولندي

LORENTZ

في الرابع من فبراير الماضي قضى العالم لورنتز الهولندي نحبهُ عن ٧٤ سنة قضاها في البحث العلمي والتعليم . وُلد في ١٨ يوليو سنة ١٨٥٣ وبعد تخرجهِ في العلوم العالية عين استاذاً في جامعة ليدن المشهورة فبقي في هذا المنصب الى سنة ١٩٢٣ . وهو من اشهر علماء الطبيعيات في هذا العصر ولهُ مباحث مبتكرة في « مذهب الكهارب وتطبيقهِ على الحرارة والنور » « ومذهب مكسول الكهربائي المغنطيسي » « ومذهب اينشتين » وقد كان اميل الى معالجة الطبيعيات من الوجهة الرياضية . وفي سنة ١٩٠٢ منح مع الاستاذ بطرس زيمن جائزة نوبل للطبيعيات . وقد احتفل بدفنه في ٩ فبراير فذهب السر ارنست رذرفورد خصوصاً الى هولندا ليمثل الجمعية الملكية الانكليزية في مأتمه

الجنرال جيتولز

GEN. GOETHALS

اشتهر الجنرال جيتولز بانه مهندس عظيم واكبر اعماله الهندسية هو الاشراف على اتمام ترعة بناما . ذلك ان الرئيس روزفلت عينه سنة ١٩٠٧ عضواً في اللجنة التي شكّلت لتنظر في مسألة ترعة بناما . ثم جعله رئيساً للجنة والمهندسين . فقام بالعمل افضل قيام . وفي ١٥ اغسطس سنة ١٩١٤ فتحت ترعة بناما للسفن التجارية . فعيَّنه الرئيس ولسن حينئذٍ الحاكم المدني الاول لمنطقة ترعة بناما فبقي في منصبهِ هذا الى سنة ١٩١٦ . ثم استقال وتقلب في مناصب الجيش العالية حتى طلب ان يحال الى المعاش سنة ١٩١٩ . وكانت وفاته في ٢١ يناير الماضي عن ٦٩ سنة

اكبر الطيارات

تتسابق شركات الطيران الى صنع اكبر الطيارات فقد صنعت شركة دورنيه الالمانية طيارة طولها ٨٠ قدماً و٨ بوصات والمسافة

بين طرفي جناحيها ٩٣ قدماً و٦ بوصات وفيها اربع محركات قوة كل منها ٤٥٠ حصاناً وفيها غرفتان تسع ٣٢ مسافراً . ويؤخذ من انباء الولايات المتحدة الاميركية ان احدى شركات الطيران فيها صنعت طيارة تبلغ المسافة بين طرفي جناحيها ٢٠٠ قدم وفيها ١٦ محركا مجموع قوتها ٧٢٠٠ حصان وتسع ١٠٠ مسافر

طيارة من غير طيار

تجرّب التجارب الآن في جنوب فرنسا بطيارة تسيَّر باللاسلكي عن بعدٍ من غير طيَّار يديرها وقد طارت حتى الآن عشر مرات فارتفعت عن سطح الارض وحامت في الجو على ما شاءه مديروها من الارض ثم عادت ونزلت الى الارض في مكان معين لها . وقد قررت الحكومة الفرنسوية ان تشتري امتياز هذا الاستنباط وتحتفظ بهِ لكي تستعملهُ اذا دعت اليه الحاجة في وقت الحرب

خلود الاغاني اللاسلكية

كتب احد المهندسين بشركة ماركوني اللاسلكية ان اصوات المغنين التي تحوَّل امواجاً لاسلكية وتذاع في الفضاء خالدة يستطاع التقاطها بعد مرور قرن عليها اذا تمكنا من صنع آلات مستقبلة شديدة الاحساس لان الامواج اللاسلكية نفسها لا تزول

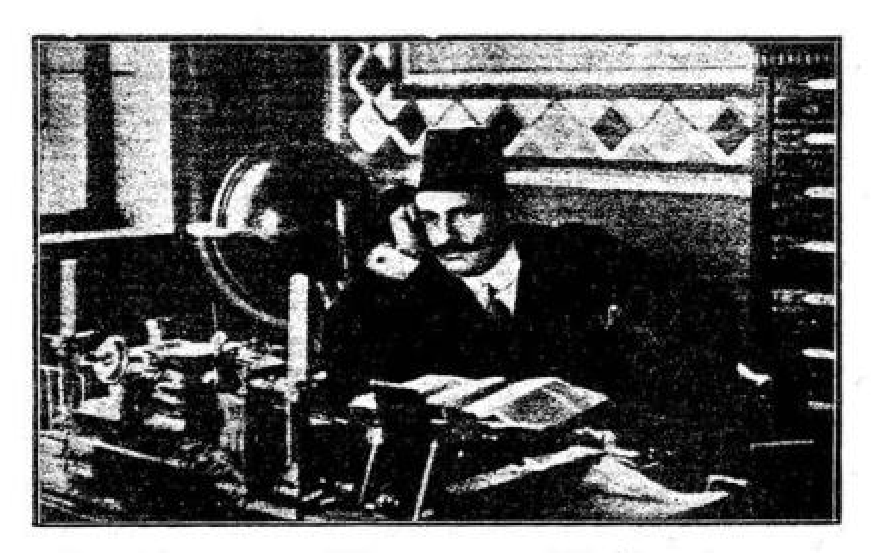
ولما سأل المخترع لي ده فرست في ذلك قال: ان الامواج اللاسلكية خالدة من الوجهة النظرية خلود امواج الاوقيانوس ولكنها تضعف بعد انطلاقها في الفضاء فيصعب التقاطها بالآلات المستقبلة الشائعة الآن

اكبر جائزة للطيران

وضع المستر دانيل غوغنهايم جائزة قدرها ٢٠ الف جنيه تمنح للطيارة التي تبرهن على تفوقها على غيرها من الطيارات من حيث سلامة الطيران فيها وثباتها في الهواء مهما تقلبت احوال الجو . فشرعت شركات الطيران في انحاء العالم تعد المعدات لبناء طيارات تخوض هذه المباراة. وقد وضع المستر غوغنهايم ايضاً جوائز مختلفة لترقية الطيران من نواحٍ مختلفة قدرها نحو نصف مليون جنيه

١٤١ مليوناً

بلغ عدد الناس الذين ركبوا سيارات « شركة الامنيبوس العامة » بلندن سنة ١٩٢٧ نحو ١٤١ مليون نسمة وبلغت المسافة التي اجتازتها هذه السيارات وهي ٤٠٠٠ سيارة نحو ١٦ مليون ميل

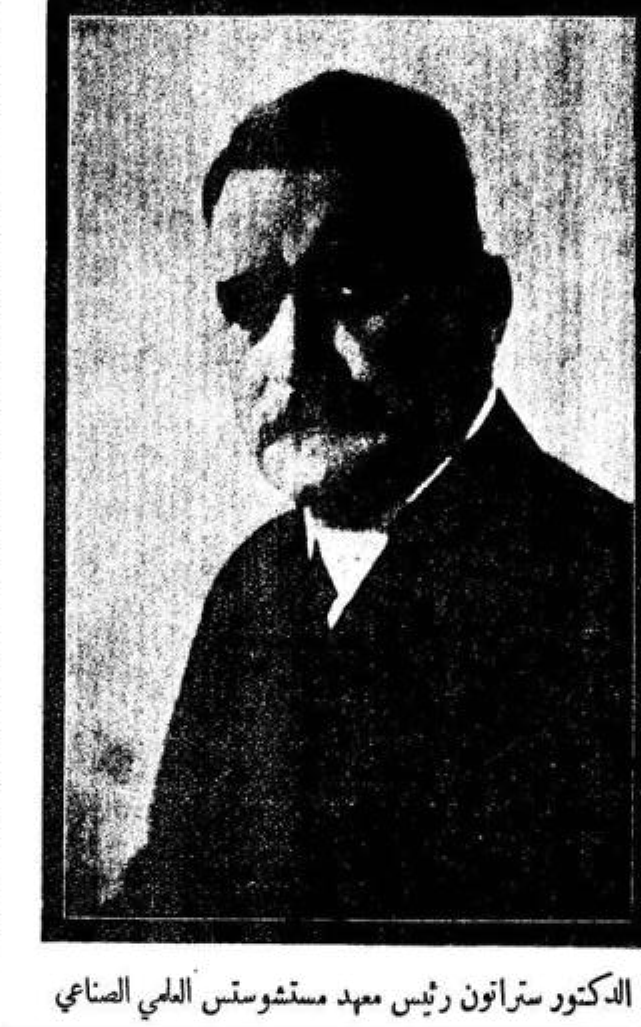


حضرة صاحب الجلالة الملك وهو رئيس لاول مجلس للجامعة المصرية
(نقلا عن المصوّر)



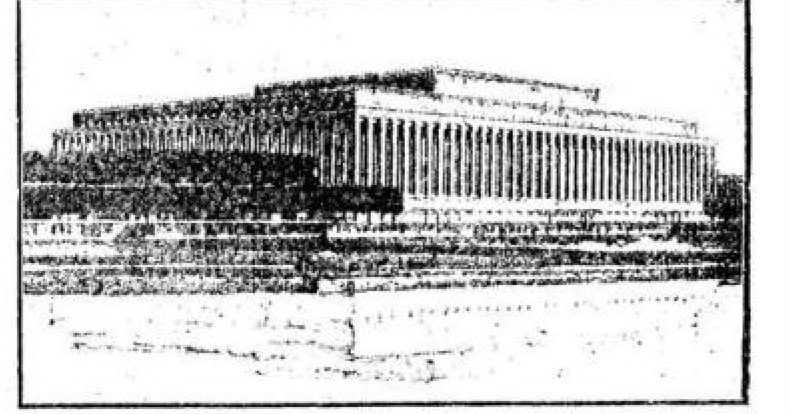
منظر عام للرسوم التي وضعت لابنية الجامعة المصرية
في حديقة الاورمان بالجيزة

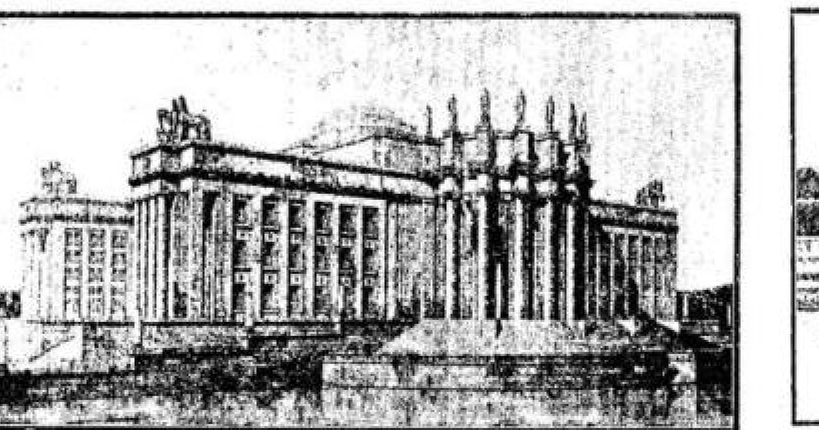
امام الصفحة ٢٤٧



الدكتور ستراتون رئيس معهد مستشوستس العلمي الصناعي

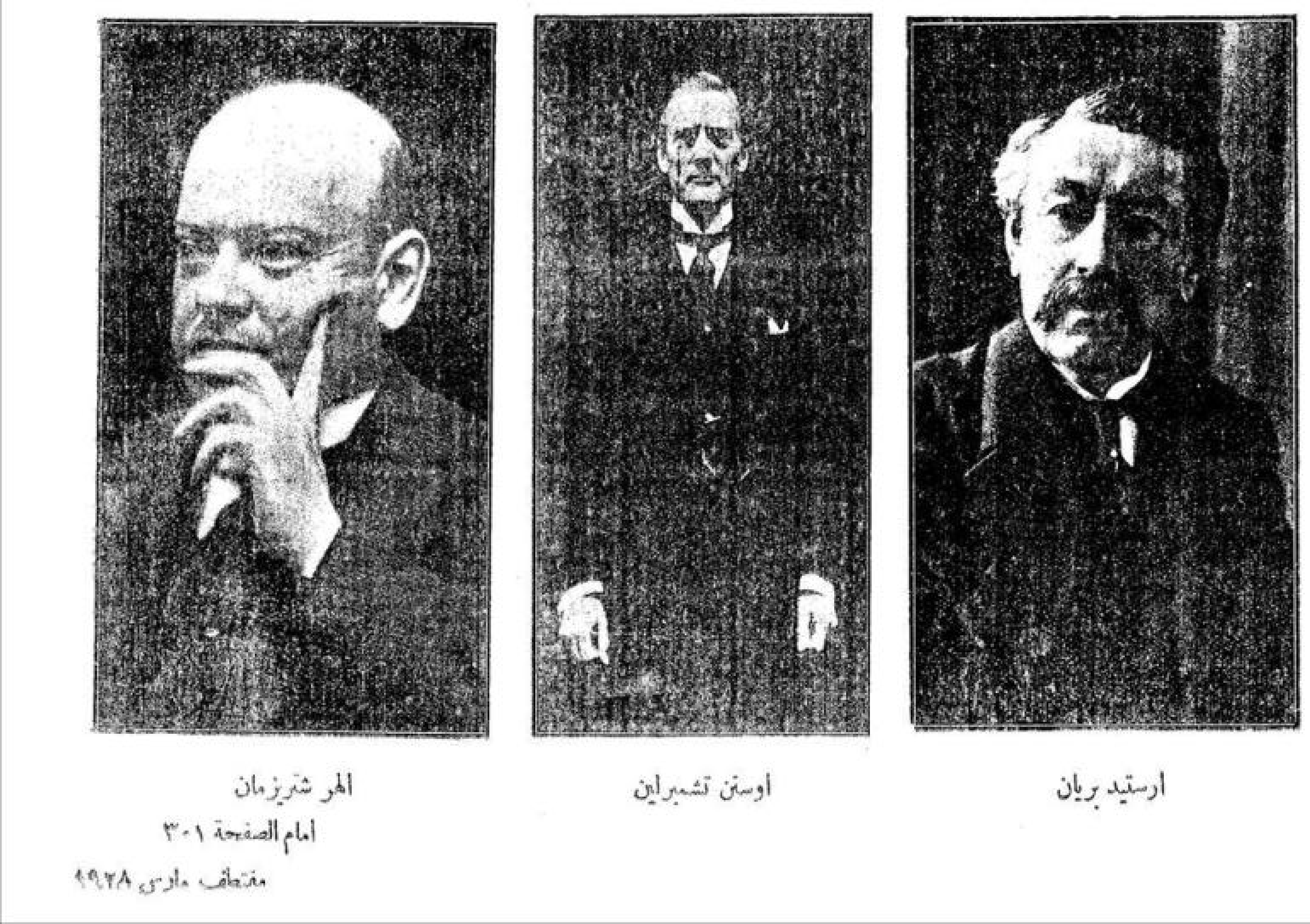
رسم رمزي يبين عجائب العمران الحديث





ثلاثة من الرسوم التي وضعت لدار جمعية الامم التي تراد اقامتها في جنيف وقد فاز الرسم الذي في اعلى هذه الصفحة

امام الصفحة ٢٩٦



ارستيد بريان

اوستن تشمبراين

الهر شتريزمان

امام الصفحة ٣٠١



حضرة صاحب المعالي علي الشمسي باشا وزير المعارف

امام الصفحة ٣٢٠



حضرة صاحب العزة احمد لطفي السيد بك

مدير الجامعة المصرية

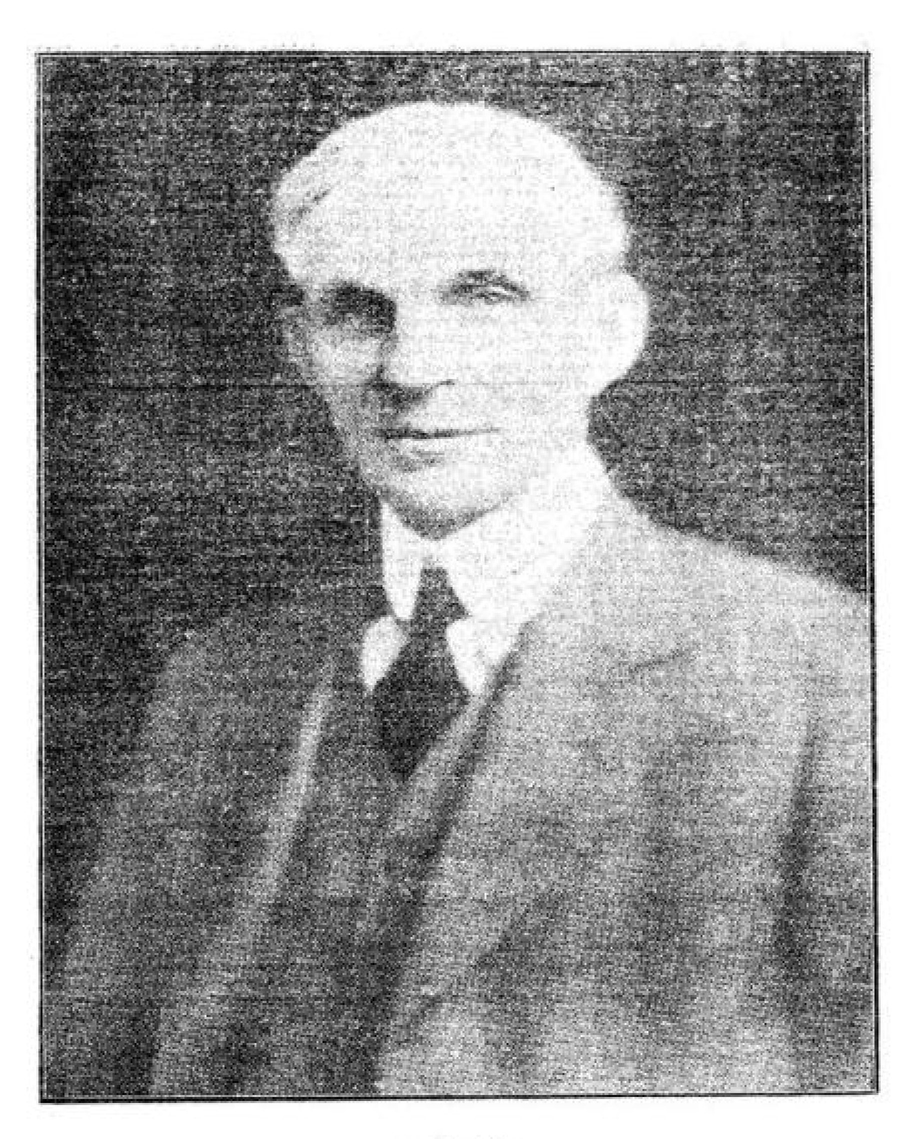
امام الصفحة ٣١٣

مقتطف مارس ١٩٢٨



الصحيفة الاولى من الكراسة التي وضعت في حجر الجامعة المصرية الاساسي مع مجموعات الجرائد والنقود والطوابع المصرية وعلى الصفحة توقيع جلالة الملك وقد كتب فيها « بعون الله تعالى قد وضع حضرة صاحب الجلالة فؤاد الاول ملك مصر المعظم حجر الاساسي في بناء الجامعة المصرية يوم الثلاثاء ١٥ شعبان سنة ١٣٤٦ — ٧ فبراير سنة ١٩٢٨ »

(فؤاد)



هنري فورد

أمام الصفحة ٣٢٩

من التحف النفيسة التي عثر عليها في مدفن توت عنخ آمون مؤخراً

الجزء الثالث من المجلد الثاني والسبعين

صفحة


المقتطف
AL·MUKTATAF

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثاني والسبعين

١ مارس (نيسان) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١٠ شوال سنة ١٣٤٦



الحرب وتنازع البقاء

يقول انصار الحرب ان تنازع البقاء ناموس عام ولا بدَّ منهُ لبقاء الاصلح وارتقاء النوع وهذا التنازع قائم بالحرب والحرب اساسهُ ووسيلتهُ وان امم الارض كاسماك البحر واشجار البر تتنازع البقاء ويبقى اصلحها في هذا الجهاد . والتنازع ناموس طبيعي لا يمكن نقضهُ ولكن اذا انعم الباحث نظرهُ فيهِ وجدانهُ ليس لازماً بين الانسان واخيهِ بل بين الانسان والطبيعة ووجد ايضاً ان في الطبيعة ناموساً آخر لازماً لارتقاء النوع مثل ناموس التنازع وهو ناموس التعاون وهذا الناموس ارقى من ناموس التنازع لانهُ من لوازم الاحياء العليا وقد كانت لهُ اليد الطولى في ارتقائها ولاسيما في ارتقاء الانسان . وكل تنازع يمنع هذا التعاون لا تكون نتيجتهُ الاَّ الانحطاط . والحروب لا تثار لاسترداد حق مهضوم ولا لمساعدة الطبيعة على بقاء الاصلح ولكنها الاهواء مثل حب السيادة وحب الكسب وحب المجد تدفع اولياء الامور وقواد الجيوش واصحاب المصالح الى انشاء البوارج واعداد المير وسوق الجنود الى ميادين القتال. ومتى علم ذلك ورسخ في الاذهان صار الناس يحتقرون رجال الحرب كما يحتقرون قطاع الطرق . والانسان غير مكلف ان يثير الحرب لكي يقتل من لا يستحق البقاء من نوع الانسان او من تقلُّ وسائل المعيشة ببقائهِ لاسيما وان الذين يقتلون بها هم النقاية لا النفاية

اصول الحضارة الهندية القديمة

مكتشفات اثرية باهرة

للسر جون مارشال مدير البحث الأثري في الهند

قلما يوفَّق الباحثون الاثريون الى ازاحة الستار عن حضارة كاملة مدفونة كما وُفّق شليمان الالماني في بلاد اليونان وأفانس الانكليزي في جزيرة كريت . ولكن ظهر الآن ان الباحثين الاثريين في الشمال الغربي من بلاد الهند في ولايتي البنجاب والسند قد وفقوا الى مكتشفات اثرية خطيرة الشأن قد تكشف القناع عن اصول حضارة هندية قديمة اطلقوا عليها اسم حضارة السند

وقد جرى النقب في موضعين اولهما يدعى هاربًا في البنجاب والثاني موهنجودارو في السند والمسافة بينهما نحو اربعمائة ميل فعثروا على آثار مدن في طبقات متراكم بعضها فوق بعض يظهر منها ان تلك البلاد كانت آهلة عامرة منذ اكثر من ٤٧٠٠ سنة . وقد وصف السر جون مارشال هذه المكتشفات وما يستدل منها عن حضارة العصر الذي نشأت فيهِ في جريدة اخبار لندن المصوَّرة فذكر اولاً مكان البحث في موهنجو دارو فاذا هو يشغل ارضاً مساحتها اكثر من ثلاثة عشر فدانًا وجدوا فيها آثار ثلاث من احدث المدن التي بنيت هناك في ثلاث طبقات متراكمة .ومن اغرب المباني التي كشفوها بناية فخمة تحتوي على حوض كبير كان يستعمل حماماً جرياً على بعض الطقوس الدينية او لحفظ بعض التماسيح او الاسماك المقدسة . وطول هذا الحوض ٣٩ قدماً وعرضهُ ٢٣ قدماً وعمقهُ تحت مستوى ارض البناية ثماني اقدام . وعلى كل من جانبي الحوض سلّم للنزول بهِ الى الماء . وارضهُ وجدرانهُ مرصوفة ببلاط دقيق الصنع وعلى جانب كبير من الاتقان . وقد بنيت الجدران بالطوب ولصقت بطين جيري وطلي الجدار الداخلي من خارجهِ بالقطران منعاً لتسرب الماء . ويتصل بهذا الحوض مصرف كبير مسقوف بقنطرة ارتفاعهُ ست اقدام ويصل بماء الحوض الى خارج المدينة . وعلى مقربة من هذا الحمام الفخم حمام آخر شبيه بهِ ولكنهُ لم يحفظ سليماً من الاذى

وقد عثروا ايضاً على آثار مبانٍ صغيرة للسكن ومخازن للبيع مما يدلُّ على ان ما بلغهُ الفرد في ذلك العصر من الحرية والتقدم يفوق ما بلغهُ من هذا القبيل على ضفاف

دجلة والفرات والنيل ومع ان المستر ولي كشف مؤخراً في اور الكلدانيين مباني من هذا القبيل الا انها لا تقارن بالمباني التي كشفت في موهنجودارو من حيث الاتقان وينقصها نظام المصارف الذي بهِ كانت تجمع المياه القذرة من الحمامات المختلفة في احواض كبيرة في الشوارع ثم تنقل الى خارج البلدة

ولما كان هناك شبه كبير بين آثار هذه الحضارة وآثار الحضارة السومرية القديمة فقد كنا اطلقنا على الحضارة التي كشفت آثارها في موهنجودارو وهاريا اسم الحضارة الهندية — السومرية . ولكن بعدما توغلنا في البحث ثبت لنا ان سبب هذا التشابه ليس وحدة الحضارتين بل التبادل التجاري بين البلادين . فعدلنا الى «حضارة السند»

تاريخها

كشفت اختام هندية في سوسا ببلاد فارس تشير الى هذه الحضارة ومن الموقع الذي وجدت فيهِ يستدلُّ على انها تعود الى قبل عهد سارغُن الاول اي قبل سنة ٢٧٠٠ ق . م . وقد وجد حديثاً ختم في اور عليهِ ما على بعض هذه الاختام ولكنهُ منقوش بالخط المسماري الذي يعود الى العهد المذكور . وعليهِ نستطيع ان نستنتج ان هذا النوع من الاختام خاص بالنصف الاول من الالف الثالثة قبل المسيح او قبل ذلك. ولما كانت هذه الاختام مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمدن التي كشفت في موهنجودارو لكثرة ما كشفناهُ منها فيحقُّ لنا ان نجعل تاريخ هذه المدن يتراوح بين سنة ٣٥٠٠ و٢٥٠٠ ق . م ولا يعلم على وجه من الدقة الزمن الذي انقضى على قيام هذه المدن وسقوطها ولكننا نرجح اننا لا نكون بعيدين عن محجة الصواب اذا جعلنا تاريخ المدينة العليا سنة ٢٧٠٠ ق.م . وتاريخ التي تحتها سنة ٣٠٠٠ ق.م . وتاريخ الثالثة التي تحتهما سنة ٣٣٠٠ ق.م . اما مدن هاريا فالعليا منها معاصرة لهذه المدن واما المدن التي تحتها فاسبق عهداً ولكننا لا نستطيع تعيين تاريخ هذا العهد

اجناس السكان

وما هو جنس هؤلاء الناس الذين خلقوا حضارة السند ؟

لا نستطيع الاجابة عن هذا السؤال اجابة صحيحة لان مباحثنا لم تتقدم تقدماً يكفي لذلك . وقد وجدنا كما كنا ننتظر ان اكثر الهياكل العظمية التي عثرنا عليها تدل على ان اصحابها من شعب مصفح الرأس (Dolechocephalic) [1] أي يصح ان

---

(١) ترجمة العلامة فهد الجابري . انظر مقتطف اغسطس ١٩٢٦ ص ١٧٤

نسبهم الى الاجناس المستطيلة الرؤوس التي كانت تقطن جنوب اسيا واوربا والتي يطلق عليها اسم شعوب البحر الابيض المتوسط . ولم نعثر سوى على جمجمة واحدة من نوع الجماجم المدوّرة[٢] Brachycephalic واما التماثيل التي عثرنا عليها فتمثل اناساً رؤوسهم مدوّرة مثلها . ولكن ما لدينا من المعلومات حتى الآن لا يكفي للوصول الى نتائج مقرّرة في هذا الموضوع

النسيج واللبس

ان وجود مغازل كثيرة وقطع من القطن المنسوج نسجاً دقيقاً في اطلال المدن التي كشفنا عنها يدلُّ دلالة قاطعة على ان سكانها كانوا يغزلون وينسجون ولا يخفى ان اسم القطن في اللغة البابلية «سندهو» وباللغة اليونانية «سندُن» وكلا اللفظين يشيران الى وادي نهر السند كموطن القطن الاصلي . ولكن بعض الباحثين كانوا مرتابين في ذلك وقال بعضهم ان القطن الذي استعملهُ البابليون واليونان جنوهُ من اشجار قطن غير شجيراتهِ المعروفة الآن . فجاءت مكتشفاتنا بالقول الفصل وقطعت جهيزة قول كل خطيب . لان القطن الذي وجد في موهنجودارو من النوع الثاني ولهُ كل مميزاتهِ

وكان لباس الرجال منهم يشتمل على قطعتين من الثياب رداء يربط حول الوسط وشال عاطل او مزخرف يرفع الى الكتف الايسر ماراً من تحت الابط الايمن فتحفظ الذراع اليمنى مطلقة . وكان الرجل يطلق ذقنهُ وعارضيه احياناً واما شعر الشاربين فكان يحلقهُ احياناً ويحفظهُ اخرى. وكان شعر الرأس يجمع ويعقص في مؤخر الرأس . وقد عثرنا على رأس تمثال لامرأة مثّل فيها شعرها مسترسلاً على كتفيها وظهرها . ولا نعلم من ذلك هل كان هذا الزيّ فاشياً حينئذٍ. وكان الرجال من الطبقات الدنيا يذهبون عراة والنساء تلبسن ما يستر عوراتهن فقط مع اننا عثرنا على تمثال فتاة راقصة عارية كل العري. وكان كل الناس على اختلاف طبقاتهم رجالاً ونساء يتحلون بالحلي المختلفة — عقود وخواتم وزنانير . وانفردت النساء بلبس الخلاخل

حيواناتهم الداجنة والبرية

وكان من حيواناتهم الداجنة الثور والجاموس والضأن والخنزير والكلب والحصان والفيل ولم نعثر على اثر ما للجمل ولا للقطة . اما الحيوانات البرية فمنها الفهد والفيل ووحيد القرن . ولم نعثر على اثر ما يشير الى وجود الاسد

---

(٢) ترجمته ايضاً

زراعتهم

لم يكن في الامكان ان تنهض مدن كبيرة زاهرة كمدينتي موهنجودارو وهاربا في ذلك العصر الاَّ في بلاد زراعية اتقن اهلها الزراعة الى حدّ بعيد . ومع ان ما كشفناهُ حتى الآن عن اساليب الزراعة والري المستعملة حينئذٍ لا يزال ضئيلاً جداً فلا بدَّ من الاشارة الى ان انواع الحنطة التي وجدت في موهنجودارو هي هي انواع الحنطة التي في بلاد البنجاب الآن . وقد ثبت لنا من اعتبارات مختلفة ان مقدار ما كان يهطل من المطر سنويًّا في السند وغرب البنجاب كان أعظم مما هو الآن . وان السند كانت تروى حينئذٍ من نهرين لا من نهر واحد وانها كانت كذلك اخصب مما هي الآن واقل عرضة لآثار الفيضانات وما تتركهُ في اثرها من الخراب

طعامهم

وكان سكان هاتين المدينتين يشربون اللبن ويأكلون الخبز ولحم الغنم والبقر والخنازير والسلاحف وسمك نهر السند الطازجة والسمك المقدّد مجلوباً من شواطئ البحر . والادلة على ذلك وجود انواع مختلفة من العظام في بيوت مختلفة ساعدنا في تحقيق الحيوانات الخاصة بها الماجور سول مدير قسم الحيوانات في حكومة الهند ومعاونوهُ

الحلي

كانت الحلي التي يتحلّى بها الاغنياء من الذهب والفضة او النحاس المطلي بالذهب والقيشاني الازرق والعاج والعقيق واليشم وحجارة ملونة مختلفة . أما الفقراء فكانوا يستعملون الصدف والتراكوتا . وقد عثرنا على أمثلة كثيرة مختلفة من هذه الحلي وتلك أخص بالذكر منها عقداً من العقيق والنحاس المطلي بالذهب ومنها اقراط وابرٌ من الذهب الخالص مصقولة صقلاً يفتخر بهِ امهر الصاغة في هذا الزمان

المعادن

ومن المعادن التي كانوا يستعملونها عدا الذهب والفضة والنحاس القصدير والرصاص فقد كانوا يستعملون النحاس بكثرة في صنع اسلحتهم وادواتهم البيتية فيصنعون منهُ الخناجر والسكاكين والفؤوس والمناجل والازاميل والآنية وادوات الزينة على اختلافها كالاساور وما اليها . وكانوا يأتون بهِ من بلوخستان غرباً وراجبوتانا شرقاً وافغانستان شمالاً . اما القصدير فكان يصعب الحصول عليهِ والمرجح انهم كانوا يستوردونهُ من خراسان او من الغرب عن طريق سومر في ما بين النهرين

ولم يستعملوا القصدير صرفاً بل مزجوهُ مع النحاس وصنعوا منهُ البرونز واستعملوهُ في صنع ادوات القطع الحادة كالازاميل والمناشير وفي صنع التماثيل الصغيرة والازرار والخرز الدقيقة وغيرها من الحلي ورغماً عن تفوق البرونز على النحاس الصرف من حيث ملاءمته لصنع الادوات المذكورة فان ما صنع منهُ قليل جدًّا لصعوبة تناوله وغلاء ثمن القصدير

الاسلحة والسكاكين

ومن الغريب اننا لم نعثر حتى الآن إلاَّ على بضع فؤوس وخناجر ورؤوس سهام ورماح . فيظهر ان سكان هذه المدن لم يكونوا رجال حرب . ومع انهم اكثروا من استعمال النحاس في صنع ادواتهم عثرنا على كثير من الادوات الحجرية مما يدل على ان آثار العصر الحجري الحديث كانت لا تزال فاشية بينهم . فقد كانوا يصنعون من حجر صلد من نوع اليصب ادوات الصقل واوزاناً لها نظام هندي خاص يختلف عن نظام البابليين والعيلاميين . وكانوا يجلبون كثيراً من الصدف من شواطىء البحر لتقطع وتنظم في عقود وتصنع منها حلي مختلفة وتستعمل في صناعة تنزيل الخشب. ولهم قيشاني ازرق يماثل قيشاني ما بين النهرين ومصر استعملوهُ كثيراً في صنع الحلي والكؤوس الصغيرة والعقود وما اليها

الخزف

اما ادوات البيت العادية فمن خزف عادي .واشكالها مختلفة ودقيقة الصنع مما يدل على ان صناعة الخزف كانت قديمة جدًّا وانهُ كان قد انقضى عليهم زمن يمارسونها حتى اتقنوها . ولكن من الغريب ان اكثر الآنية الخزفية لم يكن لها حلقات تستعمل كمقابض واكثرها احمر اللون غير مزخرف وبينها ما هو مزخرف ومدهون بالوان مختلفة ولكنهُ قليل واكثر الرسوم سوداء وهي رسوم هندسية وبعضها رسوم حيوانات. وقد عثرنا على آنية في موهنجودارو مزخرفة برسوم حمراء وبيضاء وسوداء . وبعض هذه الرسوم يدل على اتصالهم بعيلام وما بين النهرين وبلوخستان

الكتابة

ان وجود الاختام المنقوشة في كل بناية كشفناها تقريباً يدلُّ على ان سكانها كانوا عارفين بفن الكتابة ويرجح لدينا انهم كانوا يستعملونها في التجارة وغيرها مع اننا لا ندري حتى الآن ما هي المواد التي كانوا يستعملونها مكان الصلصال الذي كانت تصنع منهُ الاختام . وربما استعملوا لذلك الخشب او لحاء بعض الاشجار مما يشبه البردي المصري

كيف عبرنا الاوقيانوس الاتلنتيكي

اربعة في طيارة

ملخص مقالة للطيار الاميركي الكومندر برد

هذه هي المقالة الثانية من المقالات التي ننشرها في « اعظم الرحلات الجوية الحديثة » نقلاً عما يكتبه اصحابها في وصفها. فقراء المقتطف يذكرون رحلة البلون نورج من رومية الى الاسكا ماراً فوق فرنسا وانكلترا ونروج واسوج وروسيا وسبتسبرجن والقطب الشمالي كما وصفها واضع رسوم البلون وقبطانه الجنرال نوبلي الايطالي. وقد نشرناها في جزئي يناير وفبراير الماضيين. وفي الاجزاء التالية ننشر للقراء ملخصاً لرحلات السر الان كوبهام الجوية واوصاف البلدان التي مر فوقها كما كان يراها من الجو. قال الكاتب في المجلة الجغرافية الاميركية :

الرحلة ليست سباقاً

كنت اطمح منذ صباي الى اجتياز الاوقيانوس الاتلنتيكي بالطيارة لسببين: الاول لعلمي أن الفوز برحلة كهذه يكون ذا اثر كبير في ترقية الطيران : والثاني لتقتي انهُ يكون باعثاً قويًّا على توطيد اواصر الوئام بين الولايات المتحدة الاميركية والشعوب الاوربية. لذلك نشرنا علمي الولايات المتحدة وفرنسا من مقدَّم طيارتنا لما احتفلنا باطلاق اسم « اميركا » عليها وحضر هذا الاحتفال نحو الفي نسمة اجتمعوا حول الطيارة معجبين بضخامتها ومظاهر المتانة والقوة في محركاتها الثلاثة . وفيما نحن مجتمعون لهذا الغرض وردت الانباء عن فوز لندبرغ بالوصول الى باريس بطيارتهِ « روح سانت لويس » فانقلب احتفالنا البسيط الى مظاهرة حماسية غلبت فيها روح التهليل والتكبير وكنت اول رجل وقف يخطب في الجمهور مطرياً عمل لندبرغ العظيم . وكان اعتقادي ان اثر رحلة لندبرغ في احكام روابط الالفة والوئام بين الامم فاق ما كنا ننتظر ان يكون من نصيبنا لذلك غلب علينا السرور والفرح لانهُ تقدمنا

ولا يخفى انهُ بعدما اعددنا كل معدات الطيارة قبل طيران لندبرغ جربنا ان نطير بها لامتحانها فسقطت الى الارض وتعطلت بعض اجزائها وكسرت ذراعي واصيب رفيقي فلويد بنت الذي صحبني في رحلتي الى القطب الشمالي باصابات خطيرة حتمت

عليهِ البقاء في المستشفى زمناً لم يمكنهُ من الطيران معنا الى فرنسا مع انهُ كان يصبو بكل جوارحه الى المخاطرة بحياتهِ في رحلة من هذا القبيل. ومع ذلك لم تخمد نار شجاعتهِ ولم يضعف يقينهُ في نجاح الرحلة وقبيل قيامنا من مطار روزفلت جاءهُ معتمداً على عكازهِ ليودعنا ويتمنى لنا النجاح

اغراض الرحلة

ولم يكن غرض الرحلة مجرد اجتياز الاوقيانوس الاتلنتيكي والوصول الى فرنسا وطالما صرّحنا اننا لسنا في سباق مع سائر الطيارين . لذلك اخرنا قيامنا من اميركا حتى عاد لندبرغ اليها لكي لا يظهر اننا اسرعنا الى مشاركتهِ في الامجاد التي استحقها بعملهِ المنقطع النظير . ولكن كنا نريد تحقيق امور علمية لا مندوحة عن معرفتها في المستقبل للذين يعنون بانشاء خطوط المواصلات الجوية بين القارتين

فقدكان اعتقادنا ان الطيران التجاري بين اميركا واوربا لا بدَّ ان يعتمد على طيارات في كل منها ثلاثة محركات او اكثر يكفي محركان منها للنهوض بالطيارة وتسييرها فاذا اصيب احد المحركات بعطل بقي المحركان الباقيان كافيين لحفظ الطيارة في الجوّ وبذلك تضمن سلامة المسافرين . وكنا نريد ان نثبت للمهتمين بشؤون الطيران اننا نستطيع ان نحمل بطيارتنا ما زنتهُ ٦٠٠ رطل من البضائع وثلاثة مسافرين عدا السوّاق والبنزين اللازم لشقة طويلة كهذه وآلة لاسلكية نتصل بها بالشاطئين الاوربي والاميركي وبالبواخر الماخرة عباب اليم اذاعةً واستقبالاً

فقامت في وجهنا منذ البدء مصاعب جمة ذللناها على قدر المستطاع بالاعتماد على خبرتنا في الرحلات السابقة وعلى علم المختصين بالفروع العلمية المختلفة المرتبطة بالطيران

معداتنا

لا يخفى ان محركات الطيارة تدور عدداً معيناً من الدورات في الدقيقة يزيد او ينقص حسب ارادة السائق . وانهُ كلما زاد عدد الدورات زاد مقدار ما تحرقهُ الطيارة من البنزين وان مقدار البنزين في الطيارة محدود فيلزم ان تسير بهِ اطول مسافة مستطاعة . وذلك يختلف باختلاف وزن الطيارة وما تحملهُ. لذلك جربنا تجارب مختلفة الغاية منها ان نعرف مقدار ما تحرقهُ الطيارة من البنزين اذا كانت سرعة المحركات كذا ووزن الطيارة بما فيها حملها ووزن المسافرين بها كذا لكي نعرف اقصى مسافة نستطيع ان نسيرها بالبنزين الذي معنا اذا لم تهب في وجوهنا عواصف شديدة تمنعنا

عن التقدم بالسرعة التي نتوخاها . وبعد ما اتممنا هذه التجارب وجدنا ان ما نحمله من البنزين يكفي لان يصل بالطيارة ومن فيها الى رومية

وكان المستر هانسن والمستر هيلند من معمل البحث العلمي البحري بوشنطن قد صنعا لنا آلة لاسلكية وزنها ٢٥ رطلاً توخيا فيها اعظم قوة مع اخف وزن وجهزاها بآلة دقيقة ترسل من تلقاء ذاتها حروفاً معينة في الفضاء مرة كل عشر دقائق حتى تبقى المحطات اللاسلكية التي تعرف طول الموجة التي نستعملها متصلة بنا اتصالاً آلياً .

وكان يهمنا كثيراً ان نتلقى في اثناء طيراننا انباء الاحوال الجوية ولكن ذلك كان متعذراً في البدء فاتفقت مع الكومندر نول دايفس وطلبنا من وزير الزراعة الاميركية ان تعضدنا الحكومة في ذلك باصدار التعليمات الى مكتب الظواهر الجوية بالحكومة الاميركية حتى يمدنا بما نحتاج اليهِ من المعلومات قبل السفر وفي اثنائهِ فلبي طلبنا ولكن رؤساء المكتب المذكور قالوا ان لا بدَّ لهم من ان يعرفوا احوال الجوّ في انحاء مختلفة من الاوقيانوس الاتلنتيكي كما تذيعها البواخر المختلفة التي كانت تمخر عبابهُ فتبرعت شركة الراديو الاميركية بذلك وعين مكتب الظواهر الجوية بالحكومة الاميركية الدكتور كمبل ليدرس كل التقارير التي تصل اليهِ من هذا القبيل حتى يستطيع التنبؤ باحوال الجوّ على وجه من الدقة . ووضع لذلك خارطات دقيقة لاشك عندي في انها من افيد النتائج التي نتجت عن طيراننا

وكم من ليلة احييناها ساهرين انتظاراً لنبإٍ من الدكتور كمبل بان الاحوال الجوية على ما يرام لكي نحلق في الجوّ ونسير الى طيتنا . وفي الساعة الاولى من صباح ٢٩ يونيو سنة ١٩٢٧ كلمنا بالتلفون قائلاً ان الاحوال الجوية لا بأس بها وان لم تكن على ما يرام . وكنا قد عزمنا الاَّ ننتظر جوًّا صافياً وبحراً رهواً وهواء ساكناً لان ذلك كاد يكون متعذراً ولاننا قلنا ان طيارة المستقبل يجب ان تجهز بما يمكنها من الطيران في كل الاحوال الجوية على السواء . وزد على ذلك اننا حسبنا اننا بتعرضنا لجو مضطرب نستطيع من ان نجمع حقائق علمية لا يتسنى لنا جمعها في جو هادىء ونزداد خبرة باساليب مواجهتها

وحين اعود بذاكرتي الآن الى رحلتنا وما واجهناهُ فيها من المصاعب أرى انهُ كان في طوق طيارتنا ان تتغلب على احوال الجو مهما اضطربت . والخوف الوحيد في المستقبل على الطيارات التي تعبر الاتلنتيكي انما هو اصطدامها بزوبعة واسعة النطاق تعيقها

عن التقدم فينفد ما تحمله من البنزين وتسقط في البحر

القيام

ولما عزمت على القيام بعد تلفون الدكتور كمبل كلمت رفاقي بالتلفون ليكونوا على قدم الاستعداد فلما وصلت الى المطار في الساعة الثالثة صباحاً كانت الطيارة على رأس الاكمة التي اقمناها في احد جوانب المطار ليسهل قيامها منها بحملها الثقيل بعد ما تسير على منحدر بلغ طوله ٥٠٠ قدم . وكان الطيارون يعدّون المعدات الاخيرة مستنيرين بانوار كهربائية باهرة لان الظلام كان حالكاً والجوّ مكفهرّاً والمطر يسقط رذاذاً على الارض. وادركنا حينئذٍ اننا امام اصعب مرحلة في رحلتنا واحفلها بالمخاطر لان الاقدام على التحليق في الجو بحمل يبلغ نحو سبعة اطنان ليس بالامر السهل

فادرنا الآلات ببطء اولاً وجلس برت اكوستا في مجلس السوّاق ووقف الملازم جورج نوفيل ويده على صمامة خاصة تمكننا من افراغ مقدار كبير من البنزين في لحظة اذا لزم الامر ورأينا ان الحمل اعظم من ان تنهض بهِ الطيارة وان ذلك يعرضنا لخطر السقوط والتحطم

ثم اطلقنا للآلات العنان . فتململت الطيارة كانها كائن حيّ وشدّت الحبل الذي رُبطت بهِ الى عمود خاص ووقف احد رجالنا وراءنا وبيدهِ المقص ينتظر الامر حتى يقطع الحبل فتسير الطيارة باسم الله مجراها . ولكن قوة الآلات قطعت اوصال الحبل فانحدرت الطيارة من رأس الاكمة على غير انتظار . على ان اكوستا سائق بارع فانهُ ادارها بمهارة ولكنهُ لم يلبث ان رفع يدهُ توطئة لاشارة يشير بها الى وجوب افراغ البنزين فكان الموقف حافلاً بذلك الصمت الذي يسبق الكارثات الكبيرة

ولكن قبل ان يكمل اكوستا اشارتهُ بوجوب افراغ البنزين ارتفعت الطيارة عن الارض فسري عنا قليلاً واخذت ترتفع رويداً رويداً ونحن لا نزال مضطربين خوفاً من ان يقف احد محركاتها قبلما يخفّ وزنها قليلاً وقبلما ترتفع ارتفاعاً كافياً يمكننا من الهبوط الى الارض سالمين . ولكن المحركات سارت في عملها كالساعة الدقيقة فسرنا نخترق الجوّ بسرعة مائة ميل في الساعة لان الطيران السريع لازم للطيارة المثقلة اكثر منهُ للطيارة الخفيفة اذ بهِ تقاوم الطيارة الثقيلة جاذبية الارض فاذا خفضت سرعتها مالت الى الهبوط لثقلها

كان الطيران من نيويورك الى نوفاسكوشا ثم الى جزيرة نيوفوندلند عاديًّا فكنا

نطير في جوّ صافٍ احياناً فنشاهد البلاد تحتنا حراجاً وغابات كثيفة تتخللها بحيرات صغيرة واحياناً فوق متن الغيوم الفضية فنرى شبح طيارتنا على سطحها كأنهُ نقش يد مصوّر بارع يحيط بهِ قوس قزح فتفاءلنا بذلك خيراً . وكنا من حين الى آخر نراقب البحر والشاطىء لعلنا نعثر على اثر لطيارة نتجسر وكولي ظنّاً منا انها تحطمت هناك او سقطت في عرض البحر فقذفتها الامواج والرياح الى الشاطىء

ولما بلغنا نيوفوندلند لقينا الدّ اعداء الطيران — الضباب المتلبد ! فعلمنا انهُ لا يسعنا مع هذا الضباب ان نعيّن موقعنا واتجاهنا تعييناً دقيقاً حين نغادر مدينة سانت جون لنخوض غمار الفضاء بين الماء والسماء . فكان يتحتم علينا ان نسير على غير هدى فوق سطح الارض قبل الضرب فوق مجاهل البحر

في الساعة الثانية بعد الظهر كنا قد استعملنا جانباً من البنزين الذي في احواضنا فافرغنا كل الصفائح التي حملناها معنا في الاحواض ورمينا الصفائح الفارغة في البحر والتفتُّ الى نوفل وطلبت اليهِ ان يعمل حساباً دقيقاً لما احرقناهُ من البنزين في المرحلة الاولى من رحلتنا ففعل ووجدنا ان المقدار الذي استعملناهُ جاء اكبر مما كنا ننتظر فاصدرت الاوامر الى اكوستا لكي يقلل ما يستعملهُ من البنزين باكثار مقدار الهواء الذي يمزجهُ بهِ وان يخفض سرعة دوران المحركات الى ادنى حدّ مستطاع حتى اذا هبت في وجوهنا رياح شديدة اعاقتنا عن التقدم الى الامام بالسرعة التي كنا نتوخاها كان لدينا من البنزين مقدار كافٍ يمكننا من الوصول الى البرّ

لما التقينا بالضباب حسبنا ان افعل الوسائل للتغلب عليهِ هو الطيران فوقهُ ولكي نرتفع بحملنا الثقيل اضطررنا ان نطلق للمحركات العنان وان نحرق مقداراً كبيراً من البنزين . ولما كانت الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين بعد الظهر كنا قد صرنا على ميل فوق سطح البحر والضباب يكتنفنا من كل الجهات والطيّارة كأنها خارجة من حمّام تقطر ماءً مما تقلص عليها من رطوبة الهواء والضباب . وعرفنا ان الهواء لا بدَّ ان يبرد لدى اقتراب الليل فاذا هبطت الحرارة عن درجة معينة تجمّد كل الماء الذي تقطر على اجنحة الطيارة وجسمها ومحركاتها في ربع ساعة — وهناك الخطر الاكبر اذ يتحتم علينا حينئذٍ ان نهبط في اليم الثائر بعد وقوف المحركات عن الدوران

واخيراً وصلنا الى نقطة حسبنا عندها اننا اصبحنا فوق مدينة سانت جون بجزيرة نيوفوندلند وكان الضباب متلبداً بعضهُ فوق بعض فلم نستطع ان نرى اطراف الاجنحة

هناك ذكرت رحلة الطيارين الانكليزيين الكوك وبرون اللذين طارا من نيوفوندلند الى ارلندا سنة ١٩١٩ في مرحلة واحدة وآلات الطيران حينئذٍ لم تبلغ درجة كبيرة من الاتقان . حقًّا يجب ان نعترف للانكليز بفخار السبق في اجتياز الاتلنتيكي !

ولم نعلم حينئذٍ اننا وقد خضنا يمًّا من الضباب فوق يمٍّ خضم من الماء ان سوف ينقضي علينا نحو ١٨ ساعة لا نلمح فيها البحر ولا البرّ . وبعد ما انقضى علينا بضع ساعات فوق الخضم الاتلنتيكي سألت نوفل ثانية ان يحسب حساباً لما احرقناهُ من البنزين واشتغلت انا من جانبي في حساب دقيق خلصت منهُ الى النتيجة التالية : اذا اكملنا رحلتنا وكان متوسط ما نحرقهُ من البنزين في الساعة مثل ما احرقناهُ حتى الا ن وهبّت في وجوهنا رياح معاكسة لطيفة واعاقتنا عن التقدم قليلاً فقد قضي علينا ان نهبط الى البحر قبل الوصول الى اوربا . بلّغتهُ هذه النتيجة على قصاصة ورق لان صوت المحركات جعل الكلام متعذراً وقلت لهُ انهُ لما كنت احمل على نفسي تبعة هذه الرحلة الخطرة اودّ من جميع الرفاق ان يحكموا من غير نظرٍ الى ما اريد او ما اذكرهُ هل هم مصممون ان يمضوا فيها الى ختامها أم يفضلون العودة ، والحذر من طبائع الحكيم والتعرض للخطر الاكيد حماقة لا شجاعة . فقالوا كلهم انهم يفضلون السير بالرحلة الى نهايتها وانهم لا يعرفون مكاناً يستطيعون النزول فيهِ الى الارض قبل البر الاميركي الاَّ في بلدة سانت جون والضباب الكثيف يكتنفها مما يجعل النزول الى الارض فيها متعذراً . فسررت لهذا القرار لاني كنت اريد ان امضي في الرحلة مهما تكن المصاعب التي تقوم في وجوهنا عظيمة

وكنت قد درست مسألة مجاري الهواء وسرعتها فوق الاوقيانوس الاتلنتيكي فلم أجد حقائق علمية يعتمد عليها نعرف منها سرعة هذه المجاري في طبقات الجوّ العالية . ولكن بعض علماء الظواهر الجوية كانوا يرون انهُ اذا ارتفعت طيارة الى علوّ كافٍ وكانت متجهة الى اوربا وجدت ريحاً غربية تهبّ من ورائها فتدفعها الى الامام ولو كان الهواء عند سطح البحر يهبّ من الشرق فيعيقها عن التقدم

وكان ذلك رأيي ايضاً فعزمت على ان اعلق نجاح رحلتنا على صحة هذا الرأي فاصدرت الاوامر بالارتفاع بالطيارة الى ما فوق الضباب والغيم فاذا صحّ رأينا وكانت الريح على هذا الارتفاع تهبّ من الغرب الى الشرق تمكنا من الوصول الى اوربا قبل نفاد البنزين الذي معنا

[التتمة في الجزء التالي]

اعظم الحروب العلمية

حرب الانسان على الحشرات

من حين ظهرت دودة اللوز القرنفلية في القطر المصري وضررها متواصل . ابتدأت في مديرية البحيرة سنة ١٩١٠ وتقدمت رويداً رويداً حتى انتشرت في كل الوجه البحري والمديريات الوسطى . ولعل الخسارة التي اصابت القطر منها في هذه السنوات لا تقل عن خمسين مليوناً من الجنيهات . واذا اضفنا الى ذلك الضرر الناتج من دودة الورق ودودة اللوز الرمادية والمن والحشرات القشرية التي تصيب الموالح فلا نبالغ اذا قلنا ان القطر المصري يخسر كل سنة نحو سبعة ملايين من الجنيهات بسبب هذه الحشرات . وقد اطلعنا الآن على مقالة مفيدة بسط فيها كاتبها الدكتور هورد مدير قسم الحشرات سابقاً بوزارة الزراعة الاميركية بعض الحقائق عن الحرب الناشبة بين الانسان والحشرات للسيطرة على الارض فرأينا ان نلخصها فيما يلي :

التمهيد للحرب

في سنة ١٨٦٩ كان العالم الفرنسوي تروفلو يجرب تجارب مختلفة في الحشرات في داره ببلدة مدفرد من اعمال ولاية مستشوستس الاميركية . وكان دود الحرير الاميركي حينئذٍ مهدداً بضربة قد تقضي عليهِ فخطر لتروفلو ان يضرّب فراش دود الحرير بفراش حشرة اخرى فيوجد نوعاً جديداً من الحشرات يفرز خيوط الحرير من غير ان يتعرض للاوبئة التي تفتك بهِ

وللقيام بتجربتهِ هذه جاء بانواع مختلفة من الفراش من اوربا واسيا متينة البنية بينها فراشة مشهورة في بلاد الانكليز واليابان وقارة اوربا بوجه عام لون الذكر منها بلون العنبر اصفر ضارب الى اللون البني او هو قريب من لون وجه الفتاة الغجرية لذلك دعي « بفراش الغجر » Gipsy Moth . وكان الاستاذ تروفلو قد وضع ذات يوم حفنة من بيوض هذا الفراش في علبة تركها على النافذة توطئة لاستعمالها في تجاربهِ فهبت الريح وقلبت العلبة وسفت البيوض الدقيقة في الهواء فعدا تروفلو وراءها يحاول جمعها ويقال انهُ ظل اياماً يبحث عنها بمكرسكوبهِ علَّهُ يعثر عليها في الارض المتاوحة لدارهِ . ففاز بجمع بعضها ولم يفز بجمع البعض الآخر فابلغ الامر الى حكومة الولاية وحذر رجالها

من سوء العاقبة على البلاد. فلم يأبهوا لقولهِ وذهب انذاره صرخة في واد — وكيف يفعلون وهم لا يدرون ما يقول ؟ فلم تمضِ سنوات خمس حتى اخذ المنقطعون لدرس الحشرات وللعناية بالحراج يرون ديداناً لم يكن لهم عهد بها من قبل تدب على الاغصان الخضراء في جوار مدينة بوسطن وتلتهم اوراقها فلم يحركوا في مكافحتها ساكناً ثم انقضت عشر سنوات اخرى فكثرت هذه الحشرات حتى كادت تعري الاشجار من اوراقها وحتى صارت تحصى بالملايين والوف الملايين — غطت القرى والمدن وغشيت الشوارع والارصفة حتى صار السير فيها خطراً لكثرة حوادث الزلق حين الدوس على اجسامها الميتة، ودخلت البيوت فغطت موائد الطعام وقرّت في صحونهِ

فنشبت الحرب حينئذٍ ! وقد انقضى عليها خمس وثلاثون سنة دائرة الرحى ولا بدَّ ان تدوم خمساً وثلاثين سنة اخرى وقد تدوم الى ما لا حدّ لهُ لان هذه الحشرات تغشى الاشجار ديداناً فتلتهم اوراقها. واوراق الاشجار رئاتها بها تتنفس وعليها معوَّلها في تركيب الطعام بواسطة نور الشمس فاذا عريت منها ماتت. اضف الى ذلك الحشرات التي تسطو على الخضراوات السنوية والتي تنقل الاوبئة والامراض ترَ ان الانسان والحشرات في حرب عوان للسيطرة على الارض . وان احاديث الحروب الكبيرة في التاريخ لتصغر شأناً ازاء ما فعلهُ الناس ولا يزالون يفعلونهُ لمكافحة هذه الاعداء القوية بعددها وحيلتها . فحكومة اميركا وحدها تستخدم كلَّ سنة ما يزيد على مليون رجل وتنفق ملايين الجنيهات لمحاربة هذه الحشرات والقضاء عليها

جيوشها ونفقاتها

كلُّ فلاح اميركي يعلم حقَّ العلم انهُ لا بدَّ لهُ من اتخاذ وسائل معينة كيماوية وميكانيكية لمكافحة الحشرات اذا شاء ألاَّ يفسح المجال امامها لالتهام كل ما يزرعهُ في حديقتهِ الصغيرة او حقلهِ الذي يرتزق من مزروعاتهِ . وانهُ لا بدَّ لهُ من ان يضع على نوافذهِ شباكاً دقيقة من السلك ليمنع البعوض والذباب وغيرها من الحشرات من الدخول الى البيت ونقل جراثيم الامراض الى سكانهِ . وكلما اشترى الاميركيُّ قليلاً من التفاح او الخضراوات او الحبوب يدفع فيما يدفعهُ من ثمنها ضريبة يتألف من مجموعها جانب مما تنفقهُ جماعة الفلاحين الاميركيين على محاربة هذه الحشرات ووقاية مزروعاتهم منها . ان المعامل الاميركية التي تصنع شباك السلك الدقيقة التي تغطى بها نوافذ البيوت

لوقايتها من الحشرات تبيع منها في اميركا ما ثمنهُ ستة ملايين من الجنيهات كلّ سنة. وقد انفق اصحاب البساتين في ولاية كاليفورنيا تسعة ملايين جنيه لمكافحة الحشرات في سنة واحدة

وهذا جانب صغير مما ينفق بوجه عام من جانب الفلاحين ومن جانب الحكومة. ان قسم الحشرات في وزارة الزراعة الاميركية ينفق كل سنة ٦٠٠ الف جنيه على المباحث العلمية في طبائع الحشرات لابتكار افعل الوسائل لمكافحتها يضاف الى ذلك نحو ١٢ مليون جنيه تنفق في احوال خاصة لمكافحة حشرة خاصة اخذت تنتشر انتشاراً سريعاً في ولاية من الولايات. ولكن الضرر الذي تحدثهُ هذه الاعداء الفتاكة لا يقدَّر بمال. بل يقدَّر باربعمائة مليون جنيه لانها تلتهم وتدمّر ما يقتضي عمل مليون رجل سنة كاملة واجرة كل واحد من هؤلاء تقدر باربعمائة جنيه في السنة

اما جيوش الحشرات وكثرة عددها فحدث عنها ولا حرج افلقد ثبت لعلماء الحيوان ان انواع الحشرات في انحاء الارض تبلغ مليوني نوع توفر العلماء على درس ٦٠٠ الف نوع منها فوصفوها وصفاً دقيقاً ودرسوا طبائعها وعينوا لها مكاناً في نظام الاحياء. وافراد كل نوع منها تعد بالمئات والالوف والملايين حتى لقد قدر قسم الحشرات الاميركي ان كلّ فدان من الارض الاميركية فيهِ ١٦٠٠٠٠٠ حشرة اذا كانت ارض حراج و ١٣٥٠٠٠٠٠ حشرة اذا كانت ارضاً زراعية حيث يكثر ما تستطيع التهامهُ من الطعام

ومع ذلك فان الارقام السابقة لا تدلك على حقيقة الخطر. لان قوة هذه الحشرات على التكاثر تفوق التصور. فقد اثبت الاستاذ هكسلي في القرن الماضي انهُ اذا جمعنا ما تولدهُ حشرة من هذه الحشرات هي وأولادها واولاد اولادها عشرة اجيال متعاقبة وبقيت كل هذه الانسال حية بلغ وزن مجموعها وزن خمسمائة مليون رجل سمين اي اكثر من وزن كل سكان الصين. وقد حاول احد علماء الحشرات من مدة ان يمتحن قول هكسلي امتحاناً علمياً عملياً فاخذ حشرة تسطو على الكرنب فوجد انهُ تولد منها اثنا عشر نسلاً من ٣١ مارس الى ١٥ اغسطس وان كل انثى في كل جيل كانت تلد نحو ٢٠ حشرة فاذا فرضنا ان هذه المخلوقات استمرت كلها حية هي واولادها واولاد اولادها حتى ٢ اكتوبر فماذا يبلغ عدد النسل حينئذٍ ؟

٦٥٢ ، ١٥٤ ، ٥٠٩ ، ٢٥٧ ، ٠٨٧ ، ٥٦٤ حشرة !

وما هو وزن هذا العدد المديد من الحشرات ? ان متوسط وزن الحشرة الواحدة

منها يبلغ ملغراماً واربعة اعشار الملغرام فوزنها كلها يبلغ ٨٢٢ مليون طن او عشر اضعاف وزن سكان الارض جميعاً ! ومقدرة هذه الحشرة الخاصة على التكاثر نصف مقدرة حشرات اخرى مثلها تسطو على البطيخ والكمثرى وغيرها

وقد اثبت الدكتور هورد بتجارب وامتحانات انهُ اذا تركت ذبابة واحدة من الذباب العادي تقضي اشهر الصيف كلها في مكان لا تعرض فيه هي ونسلها للموت بلغ عدد نسلها في اوائل سبتمبر ٦ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ذبابة

وهذه الحشرات تطلب ما يطلبه الانسان. انها تأكل جانباً من كل مزروعاتنا وتسطو على المخزون من مآكلنا وثيابنا ومبانينا الخشبية وتفتك بنا وبحيوانا تنا بما تنقلهُ من جراثيم الامراض . وفضلاً عن التهامها للمزروعات تنقل الامراض من المزروعات المصابة بمرض من الامراض الى المزروعات السليمة

وسائل الدفاع والهجوم

ما هي الطبائع التي تمكن هذه الحشرات من ان تكون آفة من آفات العمران على ما تقدم؟ وما هي الوسائل التي يتوسل بها رجال قسم الحشرات الاميركي لمكافحتها والقضاء عليها

لكل حشرة طبائع خاصة وطرق خاصة في التكاثر والانتشار ووقت الظهور ومكانه وعليهِ فالوسائل التي يتوسل بها لمكافحتها تختلف باختلاف الحشرة وطبائعها ولا يتخذ رجال وزارة الزراعة خطة ما قبل بحث علمي مستفيض في طبائع الحشرات المراد مكافحتها

لنعد قليلاً الى فراشة الغجر

انها تختلف عن كثير من الحشرات في انها لا تنسج شرنقتها او بيتها في ذرى الاغصان بل تضع بيوضها كتلاً كل كتلة منها نحو ٤٠٠ بيضة على جذوع الاشجار وخصوصاً اشجار السنديان والدردار وفي شقوق الصخور فاذا مضى الشتاء على البيوض في تلك الاماكن نقفت في اول الربيع فيزحف الدود على جذور الاشجار ثم الى اغصانها ويلتهم اوراقها حتى يعريها . ثم تتحول الديدان فراشاً والفراش يضع البيض وهلم جرًّا

وانثى هذا النوع لها جناحان كاملا العدة للطيران ولكنها لا تطير لان جسمها ثقيل لا تستطيع الجناحان حملهُ في الهواء . فكيف يتمكن فراش هذه الحشرات من الانتشار السريع في ارض مساحتها الوف من الافدنة ؟ ذلك ما عجز عن تعليلهِ رجال قسم الحشرات الاميركي مدى ثلاثين سنة وبالتالي عجزوا عن حصر هذه الحشرات في

بقعة ما ومنعها من الامتداد الى غيرها . وبعد البحث الدقيق كلَّ هذه السنين الطويلة ثبت للباحثين ان انثى الفراش لا تطير مع انها مجنحة واما الديدان فتطير مع انها غير مجنحة وكيف تطير هذه الديدان ؟

يحيط باجسامها كثير من الشعر وعلى جذر كل شعرة كيس دقيق مملوء غازاً فتتمكن بذلك من البقاء معلقة في الفضاء حتى يهب الهواء فيحملها من مكان الى آخر . ذلك أنها كالعنكبوت تفرز خيوطاً دقيقة تتعلق بها في الهواء الى ان يهب الهواء كما تقدم فيقطع الخيط ويحملها على اجنحته وكثيراً ما تكون المسافة ميلاً او اكثر . فاذا اتصلت بغابة كثيفة سهل انتقالها من شجرة الى شجرة وسرت في الغابة سريان النار في الهشيم

فبعدما عرفت هذه الحقائق عن طبائع هذه الحشرات اقام الاميركيون حول البقعة التي تكثر فيها منطقة خالية من الاشجار عرضها ٢٥ ميلاً لا تستطيع الديدان ان تجتازها الى ما بعدها وفي اوائل الربيع من كل سنة ترى الكشافة من قسم الحشرات دائبين على البحث عن كتل البيوض في الاماكن التي تلقى فيها عادة فيجمعونها ويميتونها بتغطيسها في اناء يحتوي على مركب الكريوزوت . ويتلوهم جماعة من الرجال يطوفون الغابات والحراج ومعهم خراطيم كخراطيم فرق الاطفاء ينثرون منها على الاشجار رشاشاً من زرنيخات الرصاص تتغطى به كل الاوراق فاذا غشيتها هذه الديدان لالتهامها ماتت مسمومة

استئصال شأفة العدو

وليس هذا العمل الاَّ بمثابة مسكن للالم لا يستأصلهُ من جذوره . ذلك ان نصف الحشرات المعروفة تعتمد في حياتها على اكل النبات والنصف الآخر يعتمد على اكل الحشرات . فاذا انتقلت حشرة من بيئة اعتادتها الى بيئة جديدة انفسح امامها المجال للتكاثر لانها لا تجد في البيئة الجديدة الحشرات الاخرى التي كانت تسطو عليها في بيئتها القديمة وتلتهمها غذاء لها . فاذا درسنا الحشرة التي نحن بصددها في البيئات القديمة التي تعيش فيها وجدنا ان ٩٠ في المائة من فراشها الذي يضع البيوض يموت فريسة اعدائه الطبيعية . فلما جاءت هذه الحشرة الى الولايات المتحدة الاميركية لم يجيء عدوّها معها فبثّ رجال قسم الحشرات العيون والارصاد في مواطنها القديمة لجمع اعدائها الطبيعية والمجيء بها الى اميركا لاستئصال شرها

ومن هذا القبيل حشرة دقيقة الجسم جيء بها من اوستراليا الى كاليفورنيا فسطت على الحشرات القشرية التي تصاب بها اشجار البرتقال وكادت تقضي عليها . ذلك ان اوستراليا هي الموطن الاصلي للحشرات القشرية التي تصيب اشجار التفاح والتين والسفرجل والرمان وغيرها من الاشجار والشجيرات في كاليفورنيا . ففكر رجال قسم الحشرات بان لا بدَّ من وجود حشرة اخرى في استراليا تلتهم هذه الحشرات القشرية وفعلاً وجدوا حشرة من هذا القبيل سوداء مرقطة بنقط حمراء تدعى «طير السيدة» واسمها العلمي «ڤاداليا» فاتوا بمقادير كبيرة منها الى كاليفورنيا في صناديق ثم اطلقت على اشجار البرتقال فالتهمت ما عليها من الحشرات القشرية ولم تلبث ان تكاثرت وانتشرت. والحشرة الواحدة تضع ٣٠٠ بيضة فاذا فرضنا ان نصف نسلها اناث فلا يمضي على حشرة واحدة منها خمسة اشهر حتى تصبح جدّة لخمسة وسبعين الف مليون حشرة اذا بقيت كلها على قيد الحياة. ولم تنقض خمس سنوات حتى كانت ضربة الليمون بكاليفورنيا المعروفة باسم ايسيريا Icerya قد زالت

غايتها

والغاية من هذه الحرب مزدوجة فهي تثار اولاً للقضاء على نوع من الحشرات اخذ ينتشر في بقعة من البقاع يلتهم الاخضر واليابس ويفتك بالزرع والضرع والوسائل التي تستعمل حينئذٍ ذر مساحيق مسمومة او رشّ رشاش مسموم او احراق حراج برمّتها للقضاء على الحشرات ومنع انتشارها الى البقاع المجاورة . ومعلوم ان اكثر المواد الكيماوية المستعملة لهذا الغرض هي مركبات الزرنيخ . ولكن يتضح للقائمين بالعمل في بعض الاحيان ان لبعض الحشرات وازعاً يمنعها عن اكل الاوراق المسمومة فيضطرون الى تجربة التجارب للتغلب على هذه الصعوبة . مثال ذلك حشرة يابانية نقلت الى الولايات المتحدة الاميركية مع بعض جذور نباتات من الفصيلة الزنبقية فسطت على اشجار التفاح والخوخ والكرز واكلت جذور العشب في المروج الخضراء وكانت ضربة اصابت نحو مائتي نوع من النباتات

بدأ رجال قسم الحشرات الاميركي يدرسون طبائعها سنة ١٩١٦ فظنوا انها كغيرها من النباتات لا بدَّ ان تتقهقر اذا رشَّت النباتات التي تسطو عليها بمركبات الزرنيخ السامة ولكنهم اخطأوا في ظنهم ولم يلبثوا ان وجدوا ان ديدانها تتنكب الاوراق التي عليها

اثر من الزرنيخ وتسطو على الاوراق النظيفة فتلتهمها . فكان لا بدَّ من تركيب مركب زرنيخي سام لا تستطيع الحشرة معرفتهُ فتأكل الورقة والمركب الذي عليهِ فتموت . ووالوا تجاربهم حتى وفقوا الى مركّب لهُ رائحة تخفي رائحة الزرنيخ وفوق ذلك تجذب هذه الديدان اليها . فلما رش على الاوراق اجتمعت الحشرات واكلتهُ مع الاوراق فماتت

ولكن هذه الوسائل كما قلنا بمثابة مسكنات للالم غير مستأصلات لهُ . وقد ذكرنا الوسيلة التي تستعمل لاستئصال شأفة الشر باستيراد حشرات من طبيعتها ان تأكل الحشرات التي يراد مكافحتها وتعرف هذه الطريقة بالطريقة البيولوجية . وهناك طريقة اخرى تعرف بالطريقة الزراعية .ذلك انهُ بعد درس طبائع الحشرة يثبت ان انتشارها عائد لطرق زرع النبات الذي تعتمد على اكلهِ لتحيا فتُبتكر طرق جديدة لزرعهِ. مثال ذلك ان دودة « البول ويفل » وهي من الحشرات التي تصيب القطن الاميركي اجتازت نهر الريوغراندي من المكسيك ودخلت الولايات المتحدة عند الطرف الجنوبي من ولاية تكساس . والقطن في المكسيك ينمو في البراري فلم تجد الحشرات فيهِ ما يمكنها من الانتشار انتشاراً سريعاً منتظماً فلما دخلت الولايات المتحدة ووجدت امامها حقولاً مزروعة بالقطن زراعة منتظمة انتشرت فيها انتشار النار في الهشيم فذعر اصحاب الاطيان واقترح قسم الحشرات ان يتوقف ذلك الجانب من ولاية تكساس عن زراعة القطن مدة سنتين حتى تبيد الحشرة وبذورها وسن قانون لذلك وافق عليهِ الحاكم ولكن لم ينفذ. وقد ضاعت الجهود المبذولة لمكافحتها حتى الآن لان الباحثين لم يجدوا حشرة اخرى في موطنها الاصلي تلتهمها ولا افاد رش شجيرات القطن بمركبات الزرنيخ لان الرشاش لا يلصق بالاوراق . وآخر الوسائل المستعملة الآن هي ذر مسحوق ناعم من مركبات الزرنيخ من طيارات تطير فوق مزارع القطن فتأكل الحشرات الاوراق وتموت

فاذا اضفت الى ذلك ما تنقلهُ الحشرات من مكروبات الامراض الفاتكة التي تصيب الناس والحيوانات كالملاريا والحمى الصفراء والطاعون والكوليرا وحمى التيفوس وغيرها اتضح لك مقدار ما هو معلق في الميزان على نتائج هذا الكفاح الدائر بين الانسان والحشرات . فقد ثبت ان الحشرات تنقل مكروبات نحو ٩٥ في المائة من الامراض المعدية التي تصيب الناس والحيوانات الداجنة . وقد فصلنا ذلك في المقتطف

فالحرب حرب الموت والحياة ! ولا ريب ان الحكومات وهي تعتمد على رجال العلم وتؤيدهم وتستعمل ما يشيرون بهِ من وسائل ستفوز في هذا المعترك العظيم

خمسة في سيارة

٤

ورأى صاحبنا المصري قبل ان يغادر جنيف ان يصلح ما افسدهُ نظام الحرب وما تلاها في امر جواز سفرهِ بان « يؤشر » عليهِ من السلطة السويسرية لتسمح لهُ بالاقامة في ديارهم لعلمهِ انهُ سيعود الى سويسرا عما قريب

فقيل لهُ ان الامر منوط برجال الضبط في المحافظة فذهب اليها . وهي بناء قديم كبير يدعونهُ « فندق المدينة » Hotel de Ville ولا يدري احد لماذا يدعو الاوربيون محافظاتهم بهذا الاسم الا اذا كانوا يقصدون الضحك من ذقون الاميركيين

فقد حدَّث محدث أن اميركيًا قدم جنيف ومرَّ امام هذا البناء وكان جائعاً فرأى الاسم على الباب قال هذا فندق فلادخلنهُ واتذوق طعام جنيف . ومرَّ بالابواب باباً باباً الى ان التقى بحارس فسألهُ عن موضع المطعم في هذا الفندق فضحك الحارس وارسلهُ الى حيث يأكل

على ان صاحبنا المصري لم يكن على مثل هذه السذاجة في هذه الامور فدخل سائلاً عن قلم « الباسبورت » فأتى رئيساً من رؤسائهم فشرح لهُ الامر قال :

هاءنذا احمل جوازاً ليخولني حق الاقامة في فرنسا وايطاليا والبلجيك واود ان اقيم بضعة ايام في سويسرا فهل لكم ان تأذنوا في ذلك بالكتابة على هذا الجواز

فنظر اليهِ الرئيس وقال ولكنك حالٌّ في سويسرا فما حاجتك الى «التأشير». فقال اظنها اصولاً مرعية . فاضطرب الموظف وقال تعال الى الرئيس العالي فذهبا اليهِ واعاد صاحبنا حكايتهُ . قال الرئيس العالي الشأن ولكنك في جنيف من اعمال سويسرا فما حاجتك « الى التأشير » — قال اني اخشى في ذهابي وايابي ان اسأل عن الجواز فيظهر فيهِ خلوهُ من التصريح اللازم فاقع في محذور . قال كان يجب عليك ان تفعل هذا في بلدك لدى القنصل السويسري او في فرنسا لدى قنصلنا فيها . فاجاب المصري اني لم افعل . وما هؤلاء القناصل في الديار الاجنبية الاَّ ممثلو السلطة السويسرية هنا . واولى بالاصيل ان يفعل ما يستطيعهُ الوكيل — فاضطرب الرجل وقال هيا بنا الى الرئيس الاعلى فذهب يصحبهُ الرئيسان الى رئيسهم واعاد الحكاية والشرح . فبعد لأيٍ قال

الرئيس الاعلى اني اصرح لك بالاقامة ثلاثة شهور . ولكنها لا تغنيك شيئاً فانك ستعود من هنا الى فرنسا فيبطل مفعول التصريح ولا بدَّ لك من تصريح آخر حين رجوعك الينا

فادرك صاحبنا انهُ في وسطٍ اهلهُ على جانب عظيم من الغباوة وعلم موطن الغفلة من هذا الرئيس الاعلى قال ولكني لست براجع الى فرنسا بل باقٍ في جنيف ومنها الى لوزان ومنها الى فيفي وكلها سويسرية فاجاب الرجل وما تفعل بثيابك وصناديقك في فرنسا قال ارسل من يبعث بها اليَّ الى هنا . قال قضي الامر وختم بالخاتم الجمهوري مصرحاً بالاقامة وتقاضى الرسم فخرج صاحبنا المصري يقول

والصدق ان الفاك تحت العطب لا خير فيهِ فاعتصم بالكذب

ولحق باصحابهِ في السيارة يقص عليهم الحكاية واجتازوا الحدود وقدر لهم ان يعودوا مراراً وتكراراً الى سويسرا فما بطل مفعول التصريح لا عند رجال الشرطة السويسريين ولا عند زملائهم الفرنساويين سكان سافواي العليا

وكان كلما مرَّ في بلد سويسري تذكر الامر فقال لهُ الفرنساوي مرةً الا تعلم المثل السائر . قال وما هو . قال انك اذا قرنت سويسرياً الى سافوياردي اصبحت ولديك حيوانان . على ان في المثل — مثل سائر الامثال — شيئاً من المبالغة

***

واستوى الانكليزي في مقعدهِ ونزع غليونهُ من فمهِ وقال مخاطباً الرفيق الفرنساوي تسألني اذا كنت أؤمن بجمعية الامم ؟ « نحن خلقنا جمعية الامم »

الفرنساوي — صحيح انما ليس من الحتم على من يخلق شيئاً او يبشر بشيء ان يؤمن بهِ

الانكليزي — ولكنك لا تنكر ان في شعوب الارض ميلاً شديداً الى تجنب الحروب واسبابها وهذه الجمعية وليدة ذلك الشعور فهي ضمير الناس الناطق وانها ان اعوزتها القوة الآن فلا بدَّ ان تحصل عليها بعد حين

الفرنساوي — عجيب امركم ايها السكسونيّون وعجيب ضمير جنسكم . افكلما اتفقت المبادىء السامية مع منفعتكم انقلبتم مبشرين ورسلاً للسيد المسيح فاذا تعارضت شيئاً مع مجرى التجارة ضربتم بها عرض الحائط

اني معجب بعنصركم وبحيويتهِ كافر بما يتهمونكم بهِ من الرياء فانكم اكثر صراحة

من معظم شعوب الارض ولكنكم انانيون بالفطرة شديدو التيه بدمكم وبتاريخكم وبقوتكم فهل تضحون بالحيوية والنشاط الانكليزي حبًّا في محكمة دولية

الانكليزي — انا انادي بالحيوية المتغلبة مؤمن بها ولكنني انظر بعين الايمان الى زمن يحكم الناس فيما بينهم هيئة مثل عصبة الامم فراراً من الاحتكام الى السيف . ولماذا تفصل المحاكم بين الافراد ولا تفصل محاكم مثلها بين الجماعات

المصري — ان المحاكم تفصل بين الافراد لان في نهاية احكامها نصًّا يحتم على رجال القوة من الشرطة او الجيش ان ينفذوا الحكم بالقوة اذا لم يذعن المحكوم عليهِ

دع هذا النصّ جانباً تعلم قيمة الاحكام في النزاع بين الناس

فهل لديك قوة تنفذ احكام جمعية الامم . ان قوام هذه الجمعية رأي الشعوب العام او قل ضمير الامم الحيّ ولكن ما قيمة هذا الرأي وما هو هذا الضمير . ارأيت يوماً شعباً افرنسيًّا كان رأيهُ او ضميره على حكومتهِ مع شعب آخر . انا نحن الامم الصغيرة نكون اسعد الناس حالاً ان سار مبدأ جمعية الامم ولكننا اكثر الناس كفراً بهِ الآن

الفرنساوي — انا اقول لكم ما هي هذه جمعية الامم

ارأيت مسافراً يركب القطار من باريز الى الاستانة ؟ انهُ يعلم طول الرحلة ومشقتها ومتاعبها في الليل والنهار فلا يسليهِ في طريقه الاّ هذه المحطات الموزعة على الخط . فهذه محطة ينزل اليها فيأكل وتلك اخرى يتمطى فيها ويستريح وهكذا حتى يصل الى الغاية

كذلك جمعية الامم . هي محطة من محطات كثيرة وضعها فريق من الجنس البشري في رحلتهِ في سبيل التغلب والاستعمار والمتاجرة

وهذه المحطات تراها يوماً معاهدة بين ملوك ويوماً محكمة عدل دولية ويوماً جمعية امم . والغرض منها كل الغرض الراحة بعد اعياء واعداد النفس الى سفر اشق واطول

فانهُ طبيعي ان يملّ شعبٌ الحرب بعد ان اكتوى بنارها واضاع الحرث والنسل في اضرامها فيحنّ الى ضجعة تنسيهِ ايامها فاذا ما اضطجع واستعاد قوته اعاد الكرة . سنة الطبيعة في مخلوقاتها

انتم — ونحن مثلكم — قوم اضعتم تجارتكم في الحرب الماضية او كدتم فلا ينفعكم شيء لتنظيم اموركم مثل السلم في مشارق الارض ومغاربها . لذلك طرتم شوقاً الى مواعظ القس ولسن عند ما بشر بالجمعية فمهدتم سبيلها واسستم بنايتها عساها ان تريحكم بضع سنين تستجمعون فيها ما اضعتم من قوة وتنظمون ما قلقلتهُ لكم الحرب من

صناعة وتجارة . والفكرة نفسها تستهوي عامة الشعوب وتصادف هوى من نفوسها الساذجة ومن مثلكم قمين باستغلال هذه الامور لمنفعته ومن اقدر منكم وانتم تجار الارض على تفهم نفسية الامم

الانكليزي — ان في ما تقوله شيئاً كثيراً من الحق ولكننا ونحن كما تصفنا تجار نسعى الى مكاسبنا فما ضرّ العالم اذا اتفقت مصلحته مع مصلحتنا

الفرنساوي — لا ضرر البتة . ولكنّ هذا العالم لا يدري متى تصطدم مصلحته مع مصلحتكم فتقيمون الارض وتقعدونها وتذهب الجمعية هباء منثوراً

على ان دروسكم الماضية قد تلقنها اناس كثيرون الآن فاخذوا ينسجون فيها على منوالكم . فهل لك ان تخضع السنيور موسوليني او تحدّ من التوسع الاميركي او تضيق على النشاط الياباني . لا . دع العالم يسير سيرته الحقة . سيرة مدنية تغلب اخرى وحضارة تحل محل حضارة اخرى وهكذا الى ان يرث الله الارض ومن عليها

وخشيت السيدة الانكليزية ان يطول الحديث وهي لا يعنيها من كل الرحلة الاّ النظر الى الجبال تارةً والى الحقول الخضراء مرةً والى تصليح آلة للتصوير تحملها مرة اخرى فقالت لقد جعت فهيوا بنا الى مطعم نتذوق شيئاً من طعام اهل سافواي العليا

فنزلوا ودخلوا مطعماً وكان الوقت قبيل العشاء فلا تسل عما التهمته هذه السيدة من انواع الجبن الذي يكثر ويجود في تلك البلاد وما تناولته مضغاً وبلعاً من اصناف الفاكهة

فكان صاحبنا المصري يحسدها على قوة معدتها ويعجب لها وهي لا تزيد على الذراع الاّ قليلاً كيف تستطيع ان تهضم ما تأكل وكان يتساءل قائلاً ترى هل يكون سرّ تفوق الانجلوسكسون في بطونهم . فالواحد منهم يأكل خمسة اضعافي انا الرجل العادي والاكل يقوي الجسم والجسم السليم في العقل السليم . ثم يعود الى نفسه ويقول ولكنّ علم الصحة يوصي بالاقلال من الطعام منعاً للسموم ان تتوغل في الاجسام . ثم يقول . لا فالرياضة البدنية مطهرة لما يفسده الاكل والقوم مولعون بها دائبون عليها حتى انك لتعدّ عليهم ساعات النهار والليل فترى ما ينفق على الاكل اكثر مما يصيب اي عمل آخر من اعمال الانسان . فادى به هذا الجدل الداخلي النفساني الى نتيجة مناقضة لما يقوله كبار الفلاسفة من ان الانسان يأكل ليعيش فان هذا الصنف الراقي من الآدميين يعيش ليأكل لا شك في ذلك ولا جدال

ودخلت السيارة المباركة بلدة أنسي وحاذت بحيرتها تسير متئدة قاصدة الى قرية صغيرة على البحيرة لا تشمل من المنازل الا الفندق الذي نزلهُ الرفقاء الخمسة . واسمها « مانتون سان برنار » نسبة الى القديس برنارد . ومن هو هذا القديس ؟ انك ان نزعت عن اسماء المدن والقرى في فرنسا كلمة « قديس » مضافة الى الاسم لجردت فرنسا من ثلاثة أرباع اسمائها . بل انك اذا سرت في الحقول لا تقع عيناك الا على تماثيل للسيد المسيح مصلوباً او للسيدة العذراء ضارعة تعاويذ يتقي بها الفلاحون ما يخشونهُ وانك لتمرُّ على القرى — وما اكثرها — فترى الكنيسة في اجمل بقعة من القرية وارفعها

وهذا في بلاد يصفون سكانها بالكفر بالاديان

فان انت حكمت على الناس بما ترى من هذه الظواهر قلت انهم لايزالون ابناء ابنة الكنيسة الكبرى وان انت حكمت على ما تقرأ في رواياتهم البارزية وما تعلمهُ من قرارات برلماناتهم وحكوماتهم التي قضت على الكنيسة وفصلتها عن الحكومة قلت انهم قوم ملحدون فاي القولين اصدق ؟ وهل يمكن لهؤلاء السكان المبعثرين في هذه القرى ان يوحوا بانتخاباتهم الى نوابهم ما يقررهُ هؤلاء النواب ام هو عمل النواب يفرضونهُ على هؤلاء السكان ؟ ام هي الشعوب كالانعام اذا اضاعت حاكماً معبوداً ضاقت بها السبل حتى تجدهُ فان لم تجدهُ خلقتهُ من حديد ومن حجر ؟ ام ترى يقود الزعماء هذا القطيع من الغنم تارة سائرين امامهُ ملوحين لهُ بغصن من الزيتون فيتبعهم مطمئناً . وأولئك هم الرسل والانبياء . وتارة واقفين من ورائهم يسوقونهم بالزجر وبالعصا وأولئك هم القواد والسياسيون

هذه هي عقدة المسائل ومن أوتي الاجابة عنها بحق وصدق فقد أوتي الحكمة

بقي للقارىء الحق بان يعرف من هو القديس برنارد حامي حمى هذه القرية وفندقها

قالوا انهُ عاش منذ نيف وثلاثة قرون من عائلة شريفة في تلك الناحية .وحدثتهُ نفسهُ في الترهُّب فعارضهُ اهلهُ ورغبوا اليهِ ان يتزوج ظناً منهم ان الامر يلهيهِ عن ملكوت السموات . والحوا وضيقوا الخناق . فما كان منهُ الا ان رمى نفسهُ من شباك في اعلى القصر فذهب ضحية العزوبة والرهبنة ودعي قديساً . ولعلهُ وهذه هي حكايتهُ اولى من كثير من القديسين بهذا اللقب

سامي الجريديني

جواهر الاجسام واسرار النمو

نشرنا في مقتطف فبراير الماضي مقالة علمية دقيقة عنوانها « اسرار الحياة على لوح المكرسكوب » بسطنا فيها احدث ما وصل اليه العلماء في تشريح الخلايا الحية ومعرفة اسرار تركيب البروتوبلازم وخواصه الطبيعية . فجاءتنا رسائل القراء يطلبون فيها ان ننشر مقالة نبسط فيها المبادىء الاساسية في تركيب الاجسام الحية ونموها ففعلنا ذلك فيما يلي :

تمهيد

خير النفوس العارفات ذواتها وحقيق كميات ماهياتها
وبم الذي خلقت ومم تكونت اعضاؤه بنيتها على هيئاتها
نفس النبات ونفس حس ركبا هلاً كذاك سماته كسماتها

ترى ماكان يقول الشيخ الرئيس لو بُعث الآن حيًّا ورأى مكرسكوباً يكبّر قطر الجسم ثلاثة آلاف ضعف ويُرى به سطحهُ اوسع ممَّا تراهُ العين المجرَّدة بتسعة آلاف الف ضعف . اما كان يصفق بيديهِ كما صفق ارخميدس حينما خرج من الحمام عارياً وقال « وجدتها وجدتها » أو ما كان يهرع بذلك الميكرسكوب ليرى بهِ الجواهر الاصلية التي تتركب منها اجسامنا واجسام كل حي ويعلم « مم تكوَّنت اعضاؤه بنيتها على هيئاتها وحقيق كميَّات ماهيَّاتها » ويشاهد بعينيهِ ما مات وفي نفسهِ ونفس كل الفلاسفة السابقين شيء منهُ ولم ينجلِ للناس الاَّ في هذا العصر بعد ان صُنع الميكرسكوب وبُني العلم على اسُس البحث والامتحان والمشاهدة

نبذة تاريخية

واول مَن بحث في بناء الاجسام الحية بالميكرسكوب رجل انكليزي اسمهُ هوك وذلك في اواسط القرن السابع عشر (سنة ١٦٦٧) اي منذ مائتين وثلاثين عاماً وكان ينظر إلى قطعة رقيقة من الفلين فرأى فيها تجاويف صغيرة مفصولة بعضها عن بعض باغشية رقيقة فسمَّاها خلايا تشبيهاً لها بخلايا النحل فأُطلق هذا الاسم على الجراثيم الاولى التي تتركب منها الاجسام الحية . وليس في الفلين شيء من الاجزاء الجوهرية التي في الخلية الحية ولكن لا عبرة بالاسم بل بمدلوله فمدلول الخلايا الآن الاجسام الصغيرة الحية التي تتألف ابداننا من مجموعها . ومنها تتألف اجسام جميع الحيوانات والنباتات

من الفيل والحوت الى البعوضة والبرغوث بل الى الحيوينات الميكرسكوبية التي لا ترى بالعين لصغرها . ومن الارز الذي في لبنان الى الزوفا النابت على الحائط بل الى اصغر النباتات الميكرسكوبية

والخليَّة إما صغيرة جدًّا لا ترى بالعين ولو اجتمع منها الفٌ معاً كما في كريَّات الدم واما كبيرة ترى بالعين المجرَّدة كبعض الحيوانات الصغيرة التي كل منها خليَّة واحدة . ولما نظر هوكِ الى الفلين بالميكرسكوب على ما تقدَّم كان علماء اوربا قد قطعوا قيود التقليد والاخذ بالمسلَّمات وانضوا عزيمة البحث والتنقيب فرفع اثنان منهم وهما غرو الانكليزي ومليبجي الايطالي مقالتين الى الجمعيَّة العلمية الانكليزية سنة ١٦٧١ وصفا فيهما كيفيَّة بناء جسم النبات على ما شاهداهُ بالميكرسكوب . وبقيت الحقائق التي اثبتاها معتمد العلماء من هذا القبيل اكثر من مائة عام . لكن لم تعرف حقيقة الخلايا عاماً إلاَّ منذ عهد قريب بعد ان أُصلح الميكرسكوب في اواسط القرن الثامن عشر وحينئذٍ ذهب بعض العلماء الى ان اجسام النبات كلها مؤَلفة من هذه الخلايا واثبت ذلك العالم شليدن سنة ١٨٣٨ . وفي السنة التالية الَّف العلاَّمة شوان الالماني كتابهُ المشهور في بناء الحيوان والنبات واثبت فيه ان اجسامها كلها مؤلفة من خلايا وتولد من خلايا فهي متشابهة من هذا القبيل . ومن ثم ارتبط جسم الحيوان بجسم النبات ارتباطاً زاد وضوحاً عاماً بعد عام

ولما رُئيت الخلايا أولاً حُسبت اجساماً بسيطة خالية من كل تركيب ثم ظهر انها مركبة من جدار خارجي ومادة حبيبيَّة في داخلهِ وفي هذه المادة نواة مستديرة سواء كانت الخليَّة حيوانية او نباتية فسميت تلك المادة بالبروتوبلازم اي المكون الاول او الاصلي . وكان المظنون اولاً ان جدار الخلية هو الجزء الجوهري فيها ثم ثبت انهُ ليس الجزء الجوهري وانهُ قلَّما يكون موجوداً في الخلايا الحيوانيَّة وقد لا يكون موجوداً في الخلايا النباتيَّة فاتجه نظر الباحثين الى ما في الخليَّة وثبت لهم ان الخلايا تكثر بالانقسام فتنقسم الواحدة اثنتين وتكبر كلٌّ من قسيمتيها وتنقسم اثنتين وهلمَّ جرًّا

وظن علماء الحيوان حتى سنة ١٨٧٥ ان النواة تنقسم قسمين قبل انقسام الخليَّة كلها فيصير كلٌّ منهما نواة للخليَّة الجديدة اما علماء النبات فاثبتوا ان النواة تزول قبل انقسام الخلية ثم تظهر نواة جديدة في كلٍّ من قسيمتيها — اثبتوا ذلك بالمشاهدة ولم يكتفوا بالظنون . ثم اثبت العالمان ستراسبرجر وفلمنغ بين سنة ١٨٧٥ و١٨٨٢ ان

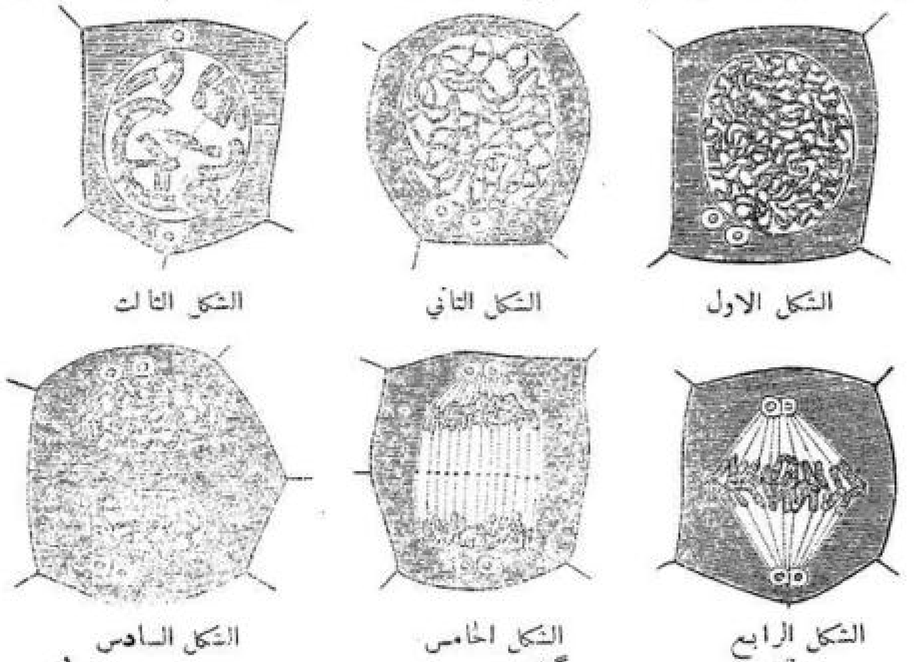
زوال النواة يكون بانقسامها اقساماً كثيرة على اسلوب بديع جداً كما سيجيء وذلك مطلق في الخلايا النباتية والحيوانية على حدٍّ سواء ثم تتكون نوى الخلايا الجديدة من اقسام النواة الاولى . وابان فلمنغ بناء النواة فاذا هي مؤلفة من غشاء فيه مادة سائلة وخطوط مشتبكة وحبيبات صغيرات عرف عنها انها تصطبغ بسهولة . ولهذا الاصطباغ شأن كبير لدى الباحثين في طبائع الخلايا . وفي سنة ١٨٨٢ رأى فان بندن العالم البلجيكي كريات صغيرة في البروتوبلازم ايضاً فقال انها من الاعضاء الجوهرية في الخلية وقد شاهدها في الخلايا الحيوانية فقط ثم شوهدت في الخلايا النباتية ايضاً سنة ١٨٩١ . واخيراً ثبت ان خلايا الجسم ليست اجساماً منفصلة بعضها عن بعض بل هي متصلة بخيوط ترتبط بها

كيفية التولد والنمو

وصلنا الآن الى القسم الجوهري من هذا الموضوع وهو كيف يتولَّد الحيوان والنبات وكيف ينموان . البيضة تصير فرخاً والنطفة رجلاً والفرخ يأكل الحبوب فتصير فيه لحماً ودهناً وعظماً وريشاً والولد يأكل الخبز والجبن والبيض واللحم والاثمار والفواكه فينمو جسمهُ وتكبر عظامهُ واعصابهُ وعضلاتهُ . فكيف ذلك ؟ يقول لك العامة ان الله يخرج الحي من الميت وينمي الاجسام على طريقة لا نعلمها فما لنا وللبحث عن العلل . ولكن هؤلاء انفسهم لا ينتظرون من الله سبحانهُ ان يخرج لهم الفراخ من الحجارة ولا ان ينمي ابدانهم من الهواء والماء بل يعلمون علماً لا يخامرهُ ريب ان الفرخ لا يخرج الاَّ من بيضة باضتها دجاجة معها ديك وان ابدانهم لا تنمو ما لم يأكلوا طعاماً مغذياً . واذا اجتمع كل علماء الارض وصلاحها وحاولوا اقناعهم ان يعيشوا على الهواء والماء فقط سنة من الزمان ما وجدوا الى اقناعهم سبيلاً . ولا شبهة في ان الله هو العلة الاولى لكل معلول لكن للمعلولات عللاً ثانوية طبيعية وهي التي يهمُّنا البحث عنها في معاملاتنا وعليها تتوقف كل اعمالنا ولولاها ما زرع زارع ولا صنع صانع ولا استعمل دواء ولا نيل شفاء

قلنا ان اجسام الحيوانات والنباتات مؤلفة من خلايا صغيرة وفي كل خلية نواة بجانبها كرية صغيرة او كريتان فاذا نُظر اليها بميكرسكوب بانت كالشكل الاول على الصفحة التالية فالجسم الكبير المخطط هو جسم الخلية والجسم البيضوي في وسطها هو نواتها وفي هذه النواة خطوط مشتبكة بعضها ببعض وفيها نويّة مستديرة ونويتان اصغر منها . فاذا بلغت هذه الخلية اشدها من النمو ومالت الى الانقسام لتصير اثنتين غلظت

الخيوط التي في نواتها وافترقت بعضها عن بعض قليلاً كما ترى في الشكل الثاني ثم تنقطع هذه الخيوط وتنفصل قطعتين قطعتين كما ترى في الشكل الثالث وحينئذٍ تنقل الكريتان الصغيرتان اللتان خارج النواة وتثبت احداهما على الجانب الواحد من الخلية والاخرى على الجانب الآخر كما ترى في الشكل الثالث . وعدد الاقسام التي تنقسمها خيوط النواة يختلف باختلاف الانواع ولكنهُ واحدٌ في النوع الواحد ثم يزول الغشاء الذي يغشي النواة ويتكوَّن جسم مغزلي مخروط الطرفين كما ترى في الشكل الرابع وهو يتكوَّن اما من البروتوبلازم الخارجي او من النويات الداخلية . وتنقسم كل قطعة من



الشكل الاول — الشكل الثاني — الشكل الثالث

الشكل الرابع — الشكل الخامس — الشكل السادس

الخيوط المتقدم ذكرها قسمين طولاً كما ترى في وسط الشكل الرابع وتنقسم كلٌّ من الكريتين الصغيرتين الى قسمين ايضاً كما ترى في الشكل الرابع عند طرفي الجسم المغزلي. ثم تنفصل اقسام الخيوط بعضها عن بعض ويجتمع نصفها في الطرف الواحد والنصف الثاني في الطرف الآخر كما ترى في الشكل الخامس ويظهر فاصل بينهما . ثم يتضح هذا الفاصل ويقسم الخلية الى خليتين كما ترى في الشكل السادس كلٌّ منهما مثل الخلية الاولى المرسومة في الشكل الاول وتتصل اقسام الخيوط فيهما وتعود مشتبكة كما كانت في الخلية الاولى . اما النويات التي كانت في الخلية الاولى فتزول بعد انفصال الخيوط ولا تظهر

ثانية الاَّ بعد صيرورة الخلية خليتين ولا يعلم كيف يتم ذلك حتى الآ ن

وعلى هذه الكيفية تنمو اجسام النبات والحيوان فتصير الخلية خليتين والخليتان اربعاً وهلمَّ جرًّا . وتتنوع اشكال الخلايا بتنوع الاعضاء التي تتألف منها فليست كلها مثل الشكل الذي رسمناهُ لها بل بعضها مستدير وبعضها مستطيل وبعضها رقيق وبعضها سميك وبعضها صغير وبعضها كبير بل قد يكون بعضها حيواناً كاملاً اي ان الحيوان كله يكون خلية واحدة

والحيوانات والنباتات التي تتكاثر بالانقسام لا بالتزاوج كبعض الديدان وكثير من الاشجار والانجم مثل التين والورد والقصب تتكاثر على هذا الاسلوب واما الحيوانات والنباتات التي تتكاثر بالتزاوج فتجتمع فيها خليتان خليَّة من الذكر وهي اللقاح وخليَّة من الانثى وهي البيضة او البزرة فاذا كان في خليَّة الذكر اثنا عشر خيطاً من خيوط النواة وفي خليَّة الانثى اثنا عشر خيطاً ايضاً لم يصر في الخليَّة المؤلفة منهما اربعة وعشرون خيطاً بل اثنا عشر خيطاً ثم ينقسم كلٌّ منهما اثنين وتنقسم الخليَّة خليتين ويبتدىء النمو الذي يتكوَّن بهِ الجنين . ولعلَّ الذكر والانثى يتكونان في الحيوانات والنباتات المفترقة ذكورها عن اناثها بان تزيد خيوط الاول على خيوط الثانية في الجنين فيكون ذكراً او خيوط الثانية على خيوط الاول فيكون انثى لكن ذلك لم يزل في معرض الظن ولم يحقق بالمشاهدة . ويستلزم النمو وجود مواد تدخل الخليَّة حتى تكبر بها وتصير بمقدار خليتين وهذه المواد تأتي من الغذاء فكل خلية بمثابة حيوان كامل او نبات كامل يغتذي وينمو ثم يصير اثنين

هذا سرُّ التولد والنمو على ما يُعلَم حتى الآ ن . واكتشافهُ لم يكشف لنا السرَّ الاول ولا العلة الاولى وغاية ما كشف لنا ان اجسامنا مؤلفة من ملايين كثيرة من الخلايا وكلٌّ منها حيٌّ مستقلٌّ يولد وينمو وينقسم او يموت وعناصرهُ الاصلية مثل العناصر الارضية . ولكن ما هي حياتهُ التي تميزهُ عن الجمادات هل هي تنوُّع من الحركة العامة المشتركة فيها كل العناصر او هي شيء خاص بهِ. وما هي حقيقة مادتهِ وهل المادة شيء وجودي كما تتصورهُ او هي شيءٌ نسبيٌّ حلقات زوبعية في الهيولى ونحن ووجودنا شعور نسبيٌّ بشيء نسبي — ذلك كلهُ مما لا نعلمهُ وقد لا نعلمهُ ابد الدهر فلا يدخل مخادع العلم بل يبقى في دور الفلسفة. اما الحقائق التي يكشفها لنا العلم فترى بالعين وتثبت بالامتحان وعليها تبنى الاعمال والمعاملات

شرقية في انكلترا

اطلعنا في مجلة الكشاف البيروتية على هذه المقالة النفيسة من قلم الآنسة عنبرة سلام فراقنا ما فيها من نظر سديد وتعبير بليغ فعمدنا نشرها هنا وزيناها بالصور اتماماً للفائدة

لم يعد لزيارة اوربا ذلك التأثير السحري الذي كان لها منذ خمسين سنة مثلاً، حينما كانت طرق المواصلات صعبة، واختلاطنا بالغرب قليلاً، وفهمنا لمدنيته غامضاً ضعيفاً، حينما كان يرجع الزائر وفي جعبته من النوادر والاخبار ما يدهش السامع، وقد يستغل هذه الدهشة ويخلط الصحيح بالمختلق حتى يبلبل عليه تصوراته ويترك والله يعلم ما في نفسه نحو تلك البلاد البعيدة، بلاد الغرائب والعجائب، وربما بالغ البسطاء وقالوا بلاد «السحر والشياطين»

اما الآن، وقد كشفت كتب الاسفار الكثيرة كل سرّ، وعرّفتنا الزيارات المتواصلة الى كل مجهول، ونقلت الينا الصحف السيارة اخبار العالم يوميًّا فإن الرجل العادي أصبح يعلم عن بلدان الغرب الشيء الكثير. على ان ذلك التأثير السحري لا يمكن ان يزول بتاتاً من نفس فتاة شرقية في محيط شرقيّ يسري عليها فيه كل ما للشرق من عادات واخلاق وحجاب. ولهذا فقد كنت استقبل هذه الرحلة بدافع من شوق شديد ووازع من خوف عميق يتنازعان في كل حين. أما وقد عزمت وتوكلت، فقد وقفت امامي عقبة اخرى، اذ كان كل من يعرف بسفري يقول: «أإلى انكلترا تقصدين؟ وماذا تفعل فتاة مثلك هناك؟» وكان بعض رفقاء السفر يكررون عليّ القول بأن الحياة في تلك البلاد قاتمة سوداء تضيق الصدر ولا يشعر الغريب الا انهُ في سجن مقفل. فكنت اعزي نفسي بأني لا اعبأ بحياة تشبهُ السجن وانا قد اعتدتها منذ الصغر. اما وقد بلغتها فقد رأيت، برغم اغبرارها أحياناً، ان الاخضر الجميل هو اللون الغالب على تلك الارض السعيدة واحسست بروح الحرية الطلقة تملأ الارجاء

شعرت منذ وطأتها قدماي أن الارض تبدلت غير الارض، وأخذت بهذه الحركة الآليّة في كل عمل. فالحمال وموظف الجمرك والعامل في القطار يسرعون اليك في غير خشونة، ويتراكضون في غير مزاحمة، ويتقاذفونك من الواحد الى الآخر برفق ولين، فما هي الا كلمح البصر حتى تكون بلغت منالك وقد ودعك كل منهم بكلمة شكر رقيقة

أدبية ، وما هي أن تسير بين الجماهير وتخترق الشوارع حتى تحس بهيبة المكان من نفسك

أجل ، ان أول شعور امتلكني حين نزلت البلاد الانكليزية ، هو شعور الهيبة والاعجاب وقد خلته لاول وهلة قائماً بدقة انتظام السير ، وانفراج الطرقات وحسن رصفها وضخامة المباني واتساع نوافذ المخازن اتساعاً هائلاً ، وبالازدحام الصامت الرزين ثم بهذا البوليس المنتصب عند مفارق الطرق وقد لبس خوذة تكمل له هيئة الجبابرة الصناديد . ولكنني كنت كلما طالت إقامتي وازددت فهماً لروح الشعب ولاساليب حياته ، اتضحت الامور أمام ناظري وفهمت سر هذه الهيبة التي تحسها لاول وهلة تشمل الفضاء

الحرية الشخصية

لم أعجب بشيء في انكلترا عجبي للحرية الشخصية التي تحس انك تتنفسها مع الهواء والممنوحة بأوسع معانيها لكل إنسان ما دام لا يخل بالنظام ولا بالآداب العامة ولا بالامن العام ، هذه الحرية التي تجعل منهم اسياداً طليقي الرأي والقول والعمل ، لكل منهم مبدأ خاص لا يخشى إعلانه وشخصية محترمة لا تستعبدها القيود . ولكم كنت اطرب إذ أراهم يسيرون في حياتهم بصراحة لا تشوبها مواربات لأنها تأبى لهم الاتيان بصغائر قد يلجئهم اليها السير في الخفاء

انطلق كما تشاء ، وتحدث بما تشاء فأنت متمتع بنعم البلاد ، والحرية معبودة الجميع ولكنها حرية تهذبها المدنية فلا تظهر خشنة ولا طائشة

رأيت هذه الحرية مراراً تتمثل في « هايد بارك » حيث يأتي الخطباء في أيام الآحاد دائماً وفي غيرها من ايام الاسبوع احياناً . فعلى هذا المنبر وقف خطيب يدعو الى المحافظة التي ترتكز عليها سياسات انكلترا ، وينحي على المبادىء الاشتراكية وعلى اعتصابات العمال ، ويقدس اسم الملك . وعلى مقربة منه نشر خطيب راية حمراء وقف تحتها يدعو الى الفوضى وتقويض الاسس القديمة الفاسدة وينادي بسقوط الملكية البالية . وهنا خطيبة لهيئتها كل ما للمبشرين من كلام بطيء وملامح اسيفة ورقبة تلتوي جزعاً من عقاب أليم وقد علقت الصليب على صدرها وأخذت تحث الناس على اتباع التعاليم الدينية ، ثم خطيب يقول : « إنما الاديان بلاء للناس فاطرحوها واتبعوا سبل العقل القويم » . ثم هنا وهناك وهنالك غيرهم من الخطباء قد أحاط بكل منهم مستمعون عديدون وكثيراً ما يناقشونه موضوع كلامه . كل هذا والبوليس يروح ويجيء أمامهم كأن لم

بك شيء ، ولا يتدخل إلا اذا اضطرته الضرورة القصوى وعندئذ فان تحفّزه بالاشارة يكفي لتنفيذ أمره وإرادته الحازمة . ورأيت من تصرفات القوم ما قد أدعوه انا غير لائق ولكنهم يدعونهُ حرية شخصية يتسامحون بها ولا يعترضون عليها إلا اذا رأت عين البوليس انها تجاوزت حدَّ الادب بعرفهم

العمل المنظم

ليس أحب الى قلب الانكليزي من النظام. تجده جليًّا في معيشتهِ في البيت وخارجهِ في اعماله الخاصة وفي علاقاتهِ مع الآخرين . فهو ينظم يومهُ ساعة ساعة ، ويجد وقتاً لكل شيء . وهو يزاحم سواه ولكنَّ روح النظام تحفظهُ من التعدي عليهِ

تدخل محطة القطار فتجد الناس يتراكضون الى شباك التذاكر حتى اذا اربوا على اثنين أو ثلاثة ألَّفوا صفًّا يقف في مؤخره داعماً القادم الجديد . ولا يخطرنَّ في باله أن يحاول التقدم على سابقهِ مهما كان باعثهُ شديداً ، ولا تجد ازدحاماً على امرٍ مهما يكن تافهاً إلاَّ ألَّف الصف حالاً كأنهُ باشارة مدرسية خفية

وفي مفارق الطرق يرفع البوليس يده فتقف حركة السير ، مهما كانت ثقيلة ، بترتيب بديع ، أو ينزلها فتعاوده بنظام دقيق . ورغم الازدحام الشديد والحركة الهائلة فانك لا تشعر في لندن بتلك الضجة القوية أو بما يسمونهُ اختلاط الحابل بالنابل ، وإني لأعزو نجاح الانكليزي كلهُ الى انتظام معيشتهِ ومعرفتهِ واجباتهِ ، لأن ذلك يوفر عليهِ كثيراً من الجهود التي تبذل عبثاً بالعمل المضطرب ، وهذا يأتيهِ بنتيجة سريعة صالحة قد ندهش لها نحن الشرقيين الذين اعتدنا ان تكون أعمالنا إما بطيئة لدرجة الخمول وإما سريعة لدرجة التشويش

ادخل الى احدى دوائر البريد فيكبر وهمك حينما تجد الناس أفواجاً والرزم اكداساً ولكن النظام الدقيق يخفف هذه الاكداس بسرعة مدهشة ، ويسيِّرك الى الامام حيث تقضي حاجتك وأنت لا تصدّق بانقضائها .وادخل أحد المصارف فتتناولك الايدي بنظام ميكانيكي الى أن تصل الى المكان المقصود وتُخدم بسرعة تشعرك كأنك مخصَّص بالاهتمام . وكم كان يلذ لي ان ادخل الى احد المخازن الكبرى وأراقب عن كثب ، دولاب حركتها البديع ، واذا قلت مخزناً فيجب أن اقول إن الاحصاء الاخير يدل على أن عدد المشترين في اليوم الواحد قد يبلغ في أحد المخازن — إيام المواسم — مائتي

الف مشترٍ ، اضف اليهِ ضعفهُ من المتفرجين او من الذين يرافقون المشترين ، فيكون مجموع الذين دخلوا احد المخازن اربعمائة الف نسمة في اليوم الواحد . تدخل الى هذه المخازن من أحد الابواب فتجد اللوحات الدَّالة على مختلف الجهات ، ثم في كل جهة تدلك على مختلف الاقسام ، ففي كل قسم على الفروع العديدة فأنت إذاً امام ما تريد وقد بلغت اليهِ بسهولة لا تنقص عن السهولة التي تجدها بشرائك من ابسط الدكاكين وقد لا يدعك الموظفون تنهمك في قراءة اللوحات بل يقدمون على خدمتك بلطف واحترام ، وتستقبلك العاملات بابتسامات فاتنة وخلق رضي يجذبانك طائعاً الى الشراء

تطلب نمرة ما على التلفون فأنت باتنظام سريع متصلٌ بمن تشاء ، وتساعدك هذه التلفونات العامة القائمة في كل مكان على إنجاز اعمالك وترتيبها

ولا يدهشك مثل القطارات المشتبكة فوق الارض وتحتها كاشتباك الاوردة والشرايين في جسم الانسان وبكل ما للاوردة والشرايين من دقة العمل . هي تسير حاملة الجموع المتدفقة الى جميع الانحاء . وتجد خارطات الخط الذي تسير عليهِ في كل عربة ، والكتابات والاشارات المتكررة في المحطات ترشدك الى جهة الصواب ، هذا إذا ترك لك المأمورون وقتاً لقراءة الاشارات ولم يرشدوك الى طريقك المقصود

والانكليزي يُقدم على العمل بهمة ثابتة لانها معتدلة لا تستنفد قواهُ فتطرحهُ منهوكاً في منتصف الطريق . ونظام العمل عندهم يجعلهم يأخذون من الراحة القدر الكافي لحفظ النشاط ، فالمدارس من حديقة الاطفال الى اكبر الجامعات لا تبدأ دروسها قبل التاسعة صباحاً ، ومحلات العمل مجبرة قانوناً ان توقف العمل نهار الاحد ونصف نهار آخر من الاسبوع والناس في كل الطبقات لا بدَّ لهم من عطلة سنوية يقضونها كما يشاؤون ، يتساوى في ذلك المأمور والآمر ، ربَّة البيت والخادمة . وانني اعرف سيدة لها زوج وطفل صغير كان عليها ان تعتني بأموره دون مساعدة احد . لهذا عيَّنت لنفسها يوم فرصة كل اسبوع فتستأجر لابنها سيدة تثق بها وتكون هي حرة تفعل ما تشاء فتجدد نشاطها لمعاودة عملها اليومي . قد يعدُّ البعض ذلك بلادة ، ولكنني لم أرهم ذاهبين الى أعمالهم صباحاً إلا حسبتهم يتراكضون ، ولم ارهم في محلات عملهم إلاَّ رأيت القابلية للعمل ظاهرة في حركاتهم الخفيفة ، على ان بلادة دائبة خيرٌ من تحمس شديد ينفجر انفجاراً ويذهب هباء

الرياضة

لعلَّ اوضح مظهر من مظاهر الحياة الانكليزية هو هذا الولع الشديد بالرياضة، فكل انكليزي — رجلاً كان او امرأة — يحسن نوعاً او اكثر من انواعها، فهي عنده من أسس الحياة ومن الأمور التي يُعيَّن لها أوقات كما يُعيَّن للاكل والشرب والعمل، وكل منهم عضو عامل في نادٍ او عدة اندية رياضية تراها منتشرة في كل ناحية، والمرأة تشارك الرجل في كل نوع حتى في أشدها قساوة، ولا أنسى زيارة لكلية (سانت بول) للبنات وهي تعد في مصاف أرقى كليات انكلترا — فقد رأيت فيها من انواع الرياضة ما لم اسمع بهِ وما لم يخطر لي ببال، ورأيت من استعداد المدرسة لهذا الامر المدهشات، حتى السباحة خصص لها حوض ماء عظيم لتمرين التلميذات، وانك لترى آثار الرياضة ظاهرة في الفتاة الانكليزية بأجلى مظهر فهي رشيقة دون ارتخاء، وهي منتصبة دون توتر، تحمل جسمها خفيفاً ولا تجره جرَّ العياء

وانك لتذهب الى المباريات الرياضية فتجد الناس يتوافدون اليها كالجيش الزاحف، وربما كانت على مسافة قريبة مباريات اخرى يزدحم لها الناس كهذا الازدحام، لان في لندن وضواحيها من الميادين العظمى ما يتسع احدها لاكثر من مائة الف نسمة، وقد تكون هنالك مباريات في عشر منها في يوم واحد، فلا تذهب لاحداها إلاَّ وجدت ازدحاماً هائلاً. وترى كل فرد منهم يهتم بالمباريات الكبرى من أقصى انكلترا الى اقصاها في يوم المباراة، وترى الناس ينقسمون شيعاً، تحزُّباً لهذا وذاك. ففي يوم مباراة التجذيف بين جامعتي اكسفورد وكمبريدج مثلاً لا يبقى أحد إلاَّ وضع على صدرهِ أو على سيارتهِ أو في نافذة معملهِ لون إحدى الفرقتين تحزباً على الاخرى، وهم يتجادلون ويتراهنون دون مشاحنة او مشاكسة، لانَّ الرياضة أورثتهم روح المرونة والكياسة في سلوكهم، فهم يتقبلون فشل حزبهم بسعة صدر، وانتصارهُ بهدوء رزين لا يشتم منهُ ما يشير الى الشماتة التي هي من دلائل صغر النفس، بل انهم بعكس ذلك يقدمون لهُ من الاجلال ما ينسيهِ فشله. وقد أورثتهم الرياضة أيضاً هذا الاندفاع العظيم الى المراهنات، فهم يتراهنون افراداً ويتراهنون جماعات، وهم يتراهنون بالبنسات وقد يتراهنون بآلاف الجنيهات، وقد حُكي ان أحد مناجم الفحم انهار على خمسة من العمال وسدَّ دونهم المنافذ فلم يبق أمامهم إلاَّ ميتة فظيعة، وكان ذلك في يوم مباراة عظيمة

في كرة القدم ، وبأعجوبة ما تمكنوا من انقاذهم ، فكان أول ما بدأوا به منقذيهم السؤال عن الفرقة التي فازت في المباراة ،لانهم «اغتنموا الفرصة» اذ جلسوا ينتظرون الموت فأخذوا يتراهنون. وتذكرني المراهنات بسباقات الخيل فان كل جريدة تخصص اعمدة يومية للمسابقات يقرأها الانكليزي قبل كل الاخبار ويبني عليها المراهنات التي يقدم عليها باقبال عجيب ، أما المسابقات العظمى مثل « اسكوت » و « الدربي » و « الغراند ناشونال » فان من لم ير اهتمامهم بها واستعدادهم لها ، فهو لم يعرف من حياتهم إلاّ القليل . وقد ترك حب الرياضة في أنفسهم الميل الى عيشة الضواحي ، فقد يضطر أحدهم الى قضاء ساعات كل يوم في القطار للذهاب الى مكان عمله في المدينة ومع هذا فهو مرتاح الى عيشة تمكنهُ من الاستمتاع بكل ما للضواحي من حسنات

التمتع بالمسرات

اذا كان الله حبا بلادهم جمالاً فاتناً ، فكساها حلّة خضراء هادئة تفتن اللب ، في ربية ساحرة تسبي النظر، فانهم —ولا شك — حقيقون بهذه النعمة ،لانهم يستمتعون بها وبكل ما بين ايديهم من مسرّات،ويخصصون من هذه البقاع الجميلة أراضي واسعة، عظيمة الاتساع لنزهاتهم ومسراتهم . ففي لندن نفسها — البلد الذي هو اكثر بلدان العالم سكاناً— يوجد البارك العظيم الذي تبلغ مساحتهُ ٢٤٠٠ فدان،وحذاءه جنة غنّاء ، وبقربها أرض مشاع ، ثم يتبعها بارك ، الى آخر ما هنالك من متنزّهات في كل مكان يسمونها بحق « رئة لندن » التي تتنفس بها . وبلحظة واحدة يمكنك ان تنتقل من وسط الازدحام المدني الهائل الى قلب الطبيعة وما فيها من جمال :سهول فسيحة ترعى بها القطعان ، وازهار تطبع كل فصل بطابعهِ الخاص ، واشجار تتلوّن بكل لون بهيج ، وبحيرات يسبح فيها البط وتسير القوارب بالناس افواجاً ، وطيور تأنس بالانسان حتى لتأخذ فتاة طعامها من بين أناملها ، هذا عدا ما حباهم بهِ الفن من آيات . وهم لا يهدرون نعم الحياة هدراً بل يقضون واجباتهم ويأخذون من المسرات بكل نصيب،واذا رأيتهم يملأون البراري ووجه النهر وسطح البحيرات ومختلف المعارض وميادين اللعب، تحسب ان لهم ولعاً خاصاً بذاك ، ولكنك تجدهم من جهة اخرى يتوافدون الى دور السينما حتى لا تجد مقعداً خالياً ،وكلهم يعلم عن الممثلين والابطال ،والقصص ونقدها الشيء الكثير، وقد أُحصي عدد الذين يدخلون دور السينما في انكلترا فبلغ خمسة وعشرين مليون

نفس في الاسبوع . ولا يقلّ عن ذلك ولعهم بالتمثيل ، فان لكل من الممثلين والممثلات مريدين ومحبذين ومنتقدين من جميع طبقات الشعب . وقد تذهب الى احدى دور التمثيل فتضطر الى أخذ تذكرة لبعد اسبوع كي تجد مكاناً ، وقد يكون مع ذلك عمر الرواية عدّة سنين ، تمثّل كل يوم ، بل مرتين في اليوم .وللرقص عندهم شأن واي شأن ، فهم يأخذون بكل رقصة جديدة وتجد قاعات الرقص تموج بالراقصين، ومحلات الغناء تضيق بالمستمعين واندية اللهو تعج عجيجاً بالمتوافدين . واذا قرّوا في دورهم فإن اللاسلكي الموجود في اغلب البيوت ينقل اليهم من انواع المسرّات ما يغنيهم عن كثير منها خارجاً ،فهم يستمعون لاجل المقاطع الموسيقية والتمثيلية والخطب والاخبار، ومع استمتاعهم بكل هذا في بلادهم فانّ كلاً منهم يوفر من دراهمهِ ما يمكنهُ من الخروج سائحاً في بلاد الله ، والعاملة البسيطة قد تقضي عطلتها في فرنسا او بلجيكا

انهم يحبون المنزل والحياة العائلية الهنيئة كل الحب،ولكن هذا لا يتضارب مع ولعهم الشديد بالحياة خارجاً ، حتى انهم ليذكرون هذا الولع في معرض الثناء ، ولا يمكن ان يدَعوا النهار المشمس يمرّ دون الاستمتاع بهِ ، لاسيما اذا كان ذلك في ايام الاعياد . وقد بلغ عدد الذين نقلتهم عربات (الامنيبوس) فقط يوم عيد الفصح الماضي بين لندن وضواحيها اربعة ملايين نسمة ،عدا الذين نقلتهم سكك الحديد والترامـوايات والسيارات الخاصة، وبلغ من ازدحام الناس الى السفر في احد الاعياد خارج محطة واترلو وحدها، — تلك المحطة العظيمة التي فيها ٢٤ رصيفاً تسافر منها القطارات الى مختلف الجهات — ان اضطروا الى الوقوف في صف بلغ طولهُ ميلين كان كلما نقص من المقدّمة يزداد في المؤخرة وظلّ طول الصف ميلين مقدار اربع وعشرين ساعة

الوطنية الصامتة

لقد شهدت من المشاهد الوطنية في انكلترا ما ترك في نفسي اثراً بليغاً ولكنها مشاهد كانت تمرُّ صامتة دون ضوضاء. وهل ادلّ على هذه الوطنية من يوم الاعتصاب العظيم حينما شلّتِ الحركة في جميع انحاء البلاد ووقف كل عامل عن العمل وتعطّلت حركة السير فتعذرت المواصلات ، فوقفت الامة باجمعها تسند الحكومة بذراع متين وخرج أبناء الجامعات وتسلموا قيادة القطارات (والامنيبوس) وتطوع الشبان لخدمة البوليس ، ووضع كل صاحب سيارة نفسهُ وسيارته تحت اشارة الشعب ، وتسلمت

الفتيات النبيلات ادارة توزيع الاعاشة فكان كل فرد منهم مخدوماً خادماً ومأموراً آمراً وكنت تجد الحجة دامغة على ان انكلترا أبعد الممالك عن الثورات الفوضوية واشدها تعلقاً بالملكية او على الاقل بهذه العائلة التي تستهوي قلوب الشعب بديمقراطيتها ، وكنت تجد الديمقراطية والاخاء يمثلان اجمل تمثيل . فهناك اتوموبيل فخم فرش بافخر الرياش يوقفهُ عامل رثّ الثياب ويسخرهُ الى حيث يشاء . وكان الشعب يعضد الحكومة في كل امر يسهّل عليها اعمالها . ولا ازال اذكر ان الحكومة رجت الذين ليس بهم حاجة ماسّة الى استعمال التلفون ان يقللوا من استعماله ويتركوا الخطوط حرّة لاصحاب الاشغال . واذكر ان صديقة لنا كانت ابنتها الوحيدة في المدرسة ، فارادت الاطمئنان عنها تلفونيًّا في هذه الازمة ، ثم قدّرت ان ليس من حاجة ماسة الى ذلك فأجلت المخاطبة الى السهرة حينما تنتهي حاجة اصحاب الاشغال . اني لا املك نفسي عن التوقف باجلال امام هذه العاطفة الوطنية السامية ولا استغرب بعدها خروج الحكومة من هذه المعركة ظافرة قوية منيعة

وهل ادلّ على هذه الوطنية الصامتة من تلك التبرعات الدائمة بأرقام ضخمة للخزينة دون ان يذكر معها اسماء ؟ وامس فقط قرأت في الجرائد الانكليزية عن تبرع رجل مجهول بثلاثة آلاف ليرة للخزينة لتغطي قسماً من ديون الحرب

وهل أدل على هذه الوطنية من ان الضرائب تُجبى — وكل انسان يتململ من الضريبة — فيتلقى وزير المالية كل يوم مبالغ عظيمة وطفيفة من مجهولين يعتقدون ان هنالك خطأً في الحساب الواجب عليهم فهم يسدّدون ما بذمتهم من دين مفروض

هكذا يعضدون الحكومات بامانة وإخلاص ، وهكذا تخدمهم حكوماتهم بسواعدهم القوية ويمجدون وطنهم بتمجيد أبطاله الشهداء ، ففي كل ناحية لهم نصب هو قبلة الزوّار يمجدونهُ بمساعدة الجنود المشوهين الذين تقام لهم البنايات الشامخة ويُعيَّن لخدمتهم الممرضات والخدم والسيارات والعربات . وهل ادلّ على وطنيتهم الصامتة من ان تُرسل زوجة رئيس بلدية « لندن » نداء تستندي بهِ الاكف لمساعدة البائسين بهدايا صالحة لعيد الميلاد ، فيأتيها في خمسة عشر يوماً ثلاثون الف هدية عدا ما جاءها من اموال

كنت اشهد هذه المشاهد كل يوم فتنتابني رجفة اسى على بلاد تعسة انتمي اليها ، لا نفقهُ فيها للوطنية معنى ، ولا أدري اذا كنا نقدر ان نسمي هذه البقعة العزيزة من الارض المتفرقة الاجزاء ، المبتورة الاعضاء ، وطناً (لها تابع) عنبره سلام

اكتشاف بيولوجي خطير

اذا لقحنا حيواناً او نباتاً بلقاح من نوعهِ حصلنا على نسل صريح النسب اي ان الاولاد تكون متماثلة في اكثر صفاتها. ولكن من آن الى آخر نجد ان واحداً او بضعة آحادٍ من النسل الواحد تختلف عن سائر آحاد ذلك النسل بصفة او اكثر. فاذا لُقِّح واحد منها من نفسهِ ولد نسلاً يماثلهُ ويختلف عن اعمامهِ اختلاف ابيهِ عنهم مما يدلّ على ان الاختلاف قائم في صفة انتقلت حسب ناموس مندل وان هذه الصفة راسخة وليست موقتة. وقد اطلق العلماء على تغيير كهذا لفظة mutation الانكليزية ومعناها «التحوّل الفجائي» فجرينا على ترجمتها كذلك. والغالب في رأي العلماء ان هذا التحول يصيب الخيوط التي في نوى الخلايا التناسلية المعروفة بالكروموسوم وفيها مستقرُّ عوامل الوراثة. وقد كان المعروف حتى الآن ان الطبيعة تحدث هذه التحولات الفجائية وعليها بنى كثيرون من علماء النبات والحيوانات طرائقهم في ابداع انواع جديدة من النبات والحيوان

ولكن لما اجتمع مجمع تقدم العلوم الاميركي في آخر السنة الماضية تلا فيهِ الاستاذ مُلَر احد اساتذة جامعة تكساس رسالة بيولوجية نال عليها جائزة المجمع المالية لان محتوياتها تصف اكتشافاً بيولوجيًّا خطيراً قد يضع صاحبهُ في طبقة مندل مكتشف نواميس الوراثة. ذلك ان الاستاذ ملر كشف طريقة يستعجل بها ظهور التحولات الفجائية التي تحسب حتى الآن اساس الارتقاء العضوي في الاحياء، باستعمال اشعة اكس. وهذا يمكن العلماء من خلق انواع جديدة من النباتات والحيوانات بسرعة غريبة بدلاً من ان ينتظروا الطبيعة حتى تحدث تحولاً ما ثم يبنوا عليهِ عمل التضريب والتأصيل البطيء. فكأن اشعة اكس تفعل في خيوط النوى (الكروموسات) فتحدث فيها هذا التحول ثم ينتقل بالوراثة. ولكن اشعة اكس تفعل في خلايا الاجسام الحية فتتلفها فاذا تعرضت لها خلايا التناسل من غير ضابط تركت فيها اثراً قد لا يظهر في اولادنا بل في اولاد اولادنا واولاد اولادهم وهذا الامر موضع البحث الآن

قرأنا هذا النبأ في مقال موجز للسينتفك اميركان قالت فيهِ ان الاستاذ ملر تمكن من احداث نحو مائة تحول فجائي في ذباب الفاكهة الاميركي. فنشرناهُ ونحن ننتظر تفاصيل وافية عنهُ لما قد يكون لهُ من اثر في البيولوجيا النظرية والعملية

نوادر الصحافيين

في الصيف القادم يقام في مدينة كولون الالمانية معرض دولي للصحافة فنشرنا على ذكره نوادر بعض الصحافيين في تسقط الاخبار. وفي مكان آخر من هذا الجزء نشرنا رأي احد الكتاب المعروفين في حاجة الشرقيين الى المجلات العلمية واوصاف المجلات التي يرى حضرته ان الحاجة مسيسة اليها ورأينا في ذلك

حيث يكون رجال الصحافة فهناك تسمع النكات والنوادر الغريبة . اذ لا افكه من حديثهم ولا ابهج من الحكايات التي يحكونها عن طرق تسقطهم للاخبار واستقائها من مواردها والسبق الى نشرها على رؤوس الملاءِ كما يتبين من القصص الآتية وهي مقتطفة مما جمعهُ احد الكتّاب ونشرهُ في مجلة انكليزية

غرق البارجة فكتوريا

من الطف الحكايات التي تحكى من هذا القبيل حكاية نشرت احدى الجرائد الاميركية لخبر غرق البارجة فكتوريا سنة ١٨٩٣ مقابل طرابلس الشام اثر اصطدام البارجة كمبردون بها . فان جرائد لندن ونيويورك اقتصرت على نشر خبر موجز عنها واستنتجت انهُ لا بدَّ ان يكون كثيرون قد غرقوا بغرقها . وكان في لندن رجل اسمهُ فيلبس مكاتب الجريدة الاميركية المشار اليها فجاءهُ تلغراف من صاحب الجريدة يقول فيهِ « جئني بتفصيل الفاجعة مهما كلف » فهب المكاتب ومساعدوهُ يجوبون انحاء لندن ويطرقون ابواب كلّ كبير وصغير فيها ولكن على غير جدوى حتى سخر اصحاب الجرائد منهم قائلين من اين لهؤلاء ان يجدوا في تلك البلاد النائية مكاتباً يوافيهم بتفصيل النكبة فقد جرَّبنا نحن واخفقنا فلا بدَّ من الانتظار حتى يرد تفصيلها على نظارة الخارجية لاسيما ان اقرب محطة للتلغراف البحري تبعد ٥٠ ميلاً عن مكانها

اما المكاتب فلم يقنط ولم ييأس بل طرق منزل مدير التلغراف البحري ليلاً وبسط لهُ مهمتهُ ووعدهُ بجعل كبير اذا فاز بمطلوبهِ قائلاً كلُّ ما اطلبهُ منك ان تؤجرني غلاماً من غلمانك الذين يشتغلون على آلة التلغراف في اقرب محطة الى محل النكبة فيوافيني باخبارها . فابان المدير لهُ ما في ذلك من المشقة وقال انك تنفق المال ولا تستفيد شيئاً فاصرَّ الرجل على عزمهِ هذا وارسل رسالة برقية الى طرابلس يقول فيها لعامل التلغراف « ارسل اليَّ تفصيل نكبة فكتوريا وانا ادفع الاجرة مهما كانت » فجاءهُ الجواب صباح

اليوم التالي ان « ليس عندنا تفصيل » وعاد فارسل رسالة اخرى يقول « استأجروا مركباً وابعثوا بالتفصيل وانا ادفع لكم مائة جنيه » فجاءهُ الجواب « ارسلوا المال اولاً » وما زال يرسل الرسائل وتأتيهِ اجوبتها حتى انفق قدراً طائلاً على ذلك وبقي ساعتين يفاوض البنوكة حتى رضي احدها ان يرسل الحوالة بالمال المطلوب . وفي صباح اليوم الرابع من النكبة جاءهُ خبر مفصّل عن غرق البارجة فارسلهُ الى جريدتهِ فنشرتهُ ولم تكن جريدة غيرها من جرائد اوربا او اميركا قد ذكرت شيئاً من ذلك

مخبر جريدة صار صانع خياط

لما زار قوّاد البوير بوثا وديوت ودلاري مدينة لندن بعد عقد الصلح قام اصحاب الجرائد يسعون الى مقابلتهم فلم يتسنَّ لهم ذلك. ولكن صاحب جريدة جمع بعد الجهد الجهيد جميع ما استطاع من حركات القواد وروحاتهم وغدواتهم فعلم ان احدهم سيأتي دكان خياط من خياطي المدينة في يوم معلوم ليخيط لهُ بذلة فدعا احد مخبريهِ وقال اذهب الى الخياط الفلاني واطلب منهُ ان يسأل القائد ما تراهُ من المسائل وأتني بعمود ننشرهُ في الجريدة والخياط صديقنا وهو يساعدك

فذهب المخبر لساعتهِ الى دكان الخياط واطلعهُ على غرضهِ فقال لهُ الخياط خذ قلماً وقرطاساً فاذا جاء القائد آخذ انا قياسهُ وتكتبهُ انت كأنك من صنّاع المحل واسأل القائد ما تشتهي من المسائل فتسمع اجوبتهُ وتدوّنها وانت تكتب القياس . ولم يمضِ الاّ القليل حتى جاء القائد واوصى الخياط بصنع بذلة جديدة لهُ فشرع الخياط يأخذ الاقيسة والمخبر واقف على جانب وقلمهُ وورقتهُ في يديهِ . فقاس اولاً طول ذراعهِ وقال « ٢٥ » فردَّد المخبر ذلك ثم ناول الخياط الورقة ليعيد نظرهُ عليها فتناولها وقال للقائد جرت عادتنا ان نعيد النظر على ما يكتب من القياس خشية ان يقع غلط . ثم نظر اليها وقرأ فيها سؤالاً كان المخبر قد كتبهُ عليها وهو « اسأل القائد رأيهُ في المستر تشمبرلن » ثم ردَّ الورقة الى المخبر واستأنف القياس وسأل القائد في اثناء ذلك عن المستر تشمبرلن فاجابهُ بما حضرهُ والمخبر يكتب ذلك . ثم قال الخياط « ٤٠ » فقال المخبر « ٤٠ » وسلم الورقة اليهِ فنظر فيها وقرأ سؤالاً آخر وهو « سلهُ عن رأيهِ في لندن » واعاد الورقة اليهِ . وما زال بهِ يسألهُ ويجيبهُ حتى انتهى من القياس فودعهُ القائد وانصرف . وفي اليوم التالي نشرت الجريدة حديث القائد فدهش لهُ كلُّ من قرأهُ وعُرفت حيلة صاحب الجريدة في الوصول اليه

الدايلي تلغراف وحرب البوير

من اغرب ما رواهُ الرواة خبر الطريقة التي توصلت الدايلي تلغراف بها الى العلم بعقد الصلح في جنوب افريقية فنشرت الخبر على حين ان الجميع كانوا يكذبونهُ والحكومة لم تنشر شيئاً رسميًّا عنهُ . وهاك ما قالتهُ الجريدة في ذلك :

لما كان عيد العنصرة في ربيع سنة ١٩٠٢ ارسل الينا المستر برلي (مكاتبها في جنوب افريقية حينئذٍ) رسالة برقية من بريتوريا هذا نصُّها « اهنئكم بعيد العنصرة » فمنذ اطلاعنا عليها ادهشتنا مبالغتهُ في المجاملة الى حدّ ان يرسل الينا رسالة تهنئة بالعيد من تلك الاقاصي السحيقة على حين ان الوقت وقت حرب ونحن في حاجة اشد الى اخبار الحرب منا الى تهانيء العيد. ثم خطر في بالنا ان الكنائس الشرقية تتخذ الحمامة شعاراً لعيد العنصرة والحمامة ايضاً شعار السلام ولكننا لم نرَ من الصواب ان نبني الحقائق على مثل ذلك الاساس الموهوم ونزفَّ الى الناس بشرى عقد الصلح ونحن لم نتثبت منها . فاخذنا كتاب الصلاة وقرأْنا فيهِ الآيات المرسومة لعيد العنصرة فاذا هي قول الانجيل « سلامي اترك لكم سلامي اعطيكم . ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا . لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب » (وكلمة سلام بالانكليزية مثل كلمة سلم او صلح) ولكن هذا كلهُ لم يكفِ لاقناعنا . وبينما كانت عوامل الشك واليقين تتنازعنا ونحن حيارى لا يقرُّ لنا قرار وردت رسالة منهُ على اخيهِ في غلاسكو يقول فيها « انا عائد . اخبروا لوصن » فانجلى لنا وجه الحقيقة اذ ذاك وبشَّرنا البلاد بخبر عقد الصلح

اتفاق غريب

من الطف ما جرى لصاحب جريدة من جرائد نيويورك ان لجنة سباق اليخوت الاميركية كانت تنتخب يختاً لمسابقة يخت السر توماس لبتون المسمّى شمروخ الثاني وكان هناك يختان اسم الواحد كولمبيا والآخر كونستيوشن وكان اهالي انكلترا واميركا ينتظرون بفارغ الصبر نتيجة حكمها في انتخاب احدهما. فوردَت على صاحب الجريدة رسالة برقية قبل انتخاب اللجنة لليخت بعشرة ايام ليس فيها سوى كلمة واحدة وهي « كولمبيا » فلم يفهم المراد منها ولكنهُ قال في نفسهِ لعلَّ احد اصدقائنا علم بقرار اللجنة فابلغنا اياهُ قبل اوانهِ . فنشر خبراً ما لهُ ان اللجنة ستنتخب اليخت كولمبيا لمسابقة اليخت شمروخ

وفي اليوم الذي قررت اللجنة فيهِ اختيار اليخت كولمبيا للسباق دخل رجل غريب ادارة الجريدة فلما رأى مدير الجريدة عاتبهُ لأَنهُ لم يستقبلهُ في الباخرة عند وصولها

ولم يرسل احداً من قبلهِ لاستقبالهِ فأجابهُ مدير الجريدة لِمَ لم ترسل اليَّ رسالة برقية تخبرني فيها باسم الباخرة التي ركبتها . فقال اني ارسلت رسالة فيها كلمة كولمبيا وهي من بواخر شركة همبرج واميركا كما تعلم فما تريد اكثر من ذلك . فأدرك صاحب الجريدة كنه المسألة اذ ذاك ولكنه كتم السرَّ ولم يبح بهِ الاَّ بعد سنتين من مرور الحادثة

الديلي مايل وحرب البوير

قال المستر ادجروولس مكاتب الديلي مايل في حرب افريقية وصاحب هذه الحادثة.

« اجتمع المندوبون الانكليز والبوير في مكان يبعد ٥٠ ميلا عن جوهنسبرج للمفاوضة في عقد الصلح فلم يُسمَح لمكاتب جريدة ما ان يحضر ذلك المجلس وكانت مراقبة الرسائل البرقية اذ ذاك على اشدّها والمراقب يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وعليهِ فلم يكن لنا بدٌّ من ابتداع طريقة توصل بها رسائلنا والحاجة تفتق الحيلة

« اما حيلتنا فهي انني اتفقت انا ومحرر الجريدة في لندن على كلمات معناها الحقيقي غير منطوقها الظاهر وكان قلم المراقبة لا يتعرض للرسائل التجارية ممَّا يتعلق بمناجم الماس والذهب وغير ذلك فجازت حيلتنا عليهِ . ففي ١٢ ابريل سنة ١٩٠٢ أرسلت الرسالة الآتية الى لندن وهي: من جهة مشترى الارض التي فيها منجم الذهب اخبركم ان الفريقين المتفاوضين توجها الى بريتوريا حيث توجه الف ايضاً ليساوم في الثمن ما امكن . وقد علمت من ثقة ان البائعين يميلون الى البيع

«ففسَّرها محرر الجريدة كما يأتي : « من جهة مفاوضات الصلح اخبركم ان الفريقين المتفاوضين توجهوا الى بريتوريا حيث توجه اللورد الفرد ملنر ايضاً للوصول الى احسن الشروط الممكنة . وقد علمت من ثقة ان البوير يميلون الى الصلح »

« وكنت ارسل كلَّ يوم رسائل على هذا النمط . ومما اتفقنا عليهِ ايضاً صورتان اخبرهم فيهما بعقد الصلح تماماً او بانقطاع كل مفاوضة . فالصورة الاولى هي هذه «اشتريت لكم الف سهم من اسهم مناجم الرند» ومعناها تمَّ عقد الصلح . والصورة الثانية «بعت لكم الف سهم من اسهم الرند» ومعناها انقطعت المفاوضات وخاب سعي المتفاوضين

«هذا من جهة ارسال الاخبار الى انكلترا ولكن شتان بين ارسال الاخبار وبين الوصول اليها . فاني كنت اعلم ان دون وصولي الى المعسكر الذي اجتمع المتفاوضون فيهِ خرط القتاد وقد تزيَّا احد المراسلين بزي جندي ورام الدخول اليهِ فعرفوهُ واعادوه الى جوهنسبرج مهاناً . فرأيت ان لا بدَّ لي من الاتفاق مع بعض المقيمين فيهِ على

ايصال الاخبار المهمة الي وهكذا كان فاني فاتحت جنديًا بذلك وكان من اصدقائي فرضي ان يبلغني اخبار المتفاوضين بالطريقة الآتية

«أتفقنا ان اركب القطار كل يوم من جوهنسبرج الى مكان آخر مارًا بمحطة المعسكر الذي فيه المندوبون من غير ان انزل اليها خشية اثارة الشبهات وعند ما يرى الجندي القطار مارًا يخبرني بنتيجة المفاوضات بالاشارات . فاذا لوّح بمنديل ازرق دلّ ذلك على ان مفاوضات الصلح توقفت . او لوّح بمنديل احمر كان المعنى ان الصلح قريب . او بمنديل ابيض كان المعنى ان الصلح قد تمّ . ولا يعلم الا الله كم مرة ركبت القطار ذهاباً واياباً من جوهنسبرج واليها وكنت كل يوم أرى صديقي واقفاً يلوّح بمنديله فارسل الرسائل البرقية الى الجريدة بسير المفاوضات . حتى اذا كان يوم وقد مرّ القطار بالمحطة اطللت من النافذة فرأيت صديقي وبيده منديل ابيض فما صدقت ان وصلنا جوهنسبرج حتى أرسلت هذه الرسالة «اشتريت لكم الف سهم من اسهم مناجم الرند» فاذاعت الديلي مايل بشرى عقد الصلح في طول البلاد وعرضها قبل سائر الجرائد بيومين

خداع رصيف لرصفائه

شاع وذاع في نيويورك بعد ثوران بركان بيله في المارتينيك وخراب مدينة سان بيير وهلاك اهلها كلهم ان باخرة اسمها كورونا ستصل الى نيويورك قريباً وهي تقلّ أربعة رجال سلموا من الموت في ذلك الثوران بعد ان اصيبوا بجراح كثيرة . ولما كانوا قد رأوا ثوران البركان رأي العين اهتمّ الناس بهم كلّ الاهتمام وانتظروا وصولهم بذاهب الصبر وأعدّ مخبرو الجرائد القوارب لملاقاة الباخرة حتى اذا وصلت صعدوا اليها لمحادثة أولئك المنكوبين في ما رأوا وسمعوا . ولما كان الوقت قصيراً اقترح احدهم ان ينزل مكاتبو الجرائد كلهم الى قاربه وينزلوا الرجال الاربعة معهم فيحدثوهم بما جرى في اثناء الطريق فلا يبلغون البرّ حتى ينتهوا من محادثتهم

فاستحسنوا رأيهُ واستعدوا للنزول الى قاربه فمشى هو أولاً وتبعهُ الرجال الاربعة . ولما اراد الباقون اللحاق بهم وقف رجل غريب على رأس سلم الباخرة واعترض في سبيلهم ثم فكّ ازرار ثوبه الخارجي فرأوا تحتهُ ثوباً رسميًا دلّ على انهُ من موظفي الحكومة وقال لهم هذا القارب للحكومة ولا اسمح لاحد بالنزول اليه . ثم صفر لهُ فسار يشق العباب بمن فيه واستأثر مكاتب جريدة واحدة بمقابلة الرجال ومحادثتهم . ونقدت الجريدة كلاً من الرجال الاربعة مائتي جنيه مقابل استئثارها بحديثهم

مهارة مخبر وبلادة محرر

قبل شبوب نار الحرب بين اميركا واسبانيا سنة ١٨٩٨ كان لاميركا بارجة من اقوى البوارج الحديثة اسمها ماين نسفت في ميناء هفانا عاصمة كوبا وغرقت بمن فيها في اقل من طرفة عين فعقد مجلس تحقيق في هفانا ليعلم هل نسفت اتفاقاً من الداخل او نسفت بطربيد من الخارج . وكان هناك مكاتب جريدة من جرائد نيويورك الكبيرة فسعى سرًّا في الوقوف على حكم المجلس ولكنهُ خاف اذا نجحت مساعيه ان يعود المراقب فيحبطها فيذهب تعبهُ سدى وعليهِ ارسل رسالة الى صاحب الجريدة التي يكاتبها وقال فيها انهُ اذا بعث اليهِ بخبر ظاهرهُ غريب فان في طيّهِ معنى لا يخفى على اللبيب

وكُللت مساعي المكاتب بالنجاح فانهُ علم من رجل غطس في اثر البارجة ان الفولاذ المصفحة بهِ وجد منقوباً وحافات الثقب بارزة الى الداخل دلالة على ان البارجة نسفت بطربيد من الخارج اي بفعل فاعل . ففكر المكاتب في طريقة يبلغ جريدتهُ ذلك الخبر بها ولا يثير هواجس المراقب فأرسل اليها الرسالة الآتية وهي :

غطس رجل في اثر البارجة ماين لفحص صفائحها فوجد فيها ثقباً كبيراً فدخل منهُ ولما حاول الخروج لم يستطع لان حافات الثقب حالت دون ذلك فاستبطأهُ صديق لهُ كان ينتظرهُ فوق الماء وخشي ان يكون قد لحق بهِ اذى فغطس اليهِ وانقذهُ من الموت بعد عناء شديد

هذه هي القصة التي بعث بها المكاتب وهو يظنُّ ان صاحب الجريدة يستخلص منها الخبر المهمَّ اي ان سبب نسف البارجة من الخارج فينشر المراد منها ولكن خاب ظنهُ لان صاحب الجريدة نشر الخبر كما وصل اليهِ ولم يدرك معناهُ بل ظنَّ ان مكاتبهُ يهذي فقال « اننا ننشر رسالتهُ بحروفها » وقد اراد المكاتب ان يخفي المقصود منها على المراقب ويبينهُ لصاحب الجريدة فنجح في الاول واخفق في الثاني

* * *

هذا ونوادر المخبرين والمكاتبين كثيرة ولهم حيَل في تسقُّط الاخبار لا يفطن لها احد غيرهم وقد ينفقون الاموال الطائلة لكي ينالوا بغيتهم وربما استخدموا وسائل غير جائزة

العبقرية والفنون الجميلة

الموسيقى والتصوير

١

يمتاز المتفنن العبقري بصحة الحكم وحسن الاختيار. فانهُ يوحى اليهِ الطيب والوسط والرديء. فان هو اخرجها للناس جميعاً فما هو إلاَّ مرتجل وميزتهُ على من هم دونهُ أن القوة الخالقة تجود عليهِ بالطيب ولا تجود بهِ عليهم. فاذا هو فحص ما يُلهَم ومحصهُ ووزنهُ واختار افضلهُ واخرج للناس احسنهُ فقد خرج بذلك عن المجموع وظهر واستحق صفة العبقري. ولا خوف عليهِ ان يخطىء النظرَ او يضِلَّ في الحكم فان صحة النظر والهداية في الحكم إنما هي اكبر مزاياه. حقّاً ان الفحص والتمحيص والوزن والاختيار تحتاج جميعاً الى الاجتهاد والمثابرة

واقول ايضاً إن الاجتهاد والمثابرة من ميزات المتفنن العبقري

وما العبقرية على قول ميخائيل انجلو إلا الصبر العميق والعمل الطويل والامل العريض

وكم عقلٍ ناضج وذهن قادر وفكر مستعد كانت تكون أفضل عدة لعبقرية رجلٍ لولا خمولهُ وضجره ونفوره من الاجتهاد والمثابرة

إن الصورة التي نقف امامها باهتين او التمثال الذي يرفعُ صانعهُ الى مكانة الخالقين او الصوت الذي يُطربنا ويُشجينا ويُنسينا انفسنا الى حين ما هي كلها إلا ثمرة حلوة لشجرة ضنينة مرة يتعهدها صاحبها زرعاً وريّاً وتشذيباً منذ سنين

إن المتفنن العبقري يريد ويعجز. يريد التعبير عن المثل الاعلى الذي تدركهُ نفسهُ بطريق الالهام ويعجز عن التعبير عنهُ بفنهِ لعدم التوازن بين الحلم والعمل ولأن الادوات التي هيأتها الطبيعة والانسان للتعبير عما تشعر بهِ نفس العبقري المتفنن عن طريق الحواس عاجزة مهما كانت درجة اقترابها من الكمال عن تفسير الصورة التي يراها المصور بعين مخيلتهِ والنغمة التي يسمعها الموسيقي بسمعهِ الروحاني

مثل الصورة التي ينقشها الاول والنغمة التي يلحنها الثاني بالنسبة للصورة الخيالية والنغمة الروحانية كمثل الرؤيا الجميلة الرائعة يرويها بعد اليقظة راوٍ ضعيفُ الذاكرة ركيك البيان

والمتفنن العبقري يدرك هذه الحقيقة الى درجة انهُ يبقى دائماً غير قانع بما تنتجهُ قريحتهُ لانهُ وحده يلمس الفرق بين الوحي والحقيقة. ان المتفنن العبقري الصادق على

نفسه المخلص للمثل الاعلى يحتقر ذاته ويزدري ثمرة جهوده . وهيهات ان تلقى متفنناً عبقريًا قانعاً بما انتج . إن رضى المتفنن عن عمله دليل على بعده عن العبقرية وان قنع متفنن عبقري بما انتج فهذه علامة الاضمحلال الذي يدب الى مواهبه . لذلك ترى الجمهور ومعظمهُ من العامة والمقلدين ينثرون على اقدام المتفنن العبقرى ازهار الثناء وهو يقابلهم بابتسامة الاستخفاف والازدراء . وقد يدعو الجاهل هذا الازدراء منهُ غروراً والحقيقة انهُ شعور صادق

اما الجمهور فمخلص في إعجابه لانهُ مؤلف من اواسط الناس ولان كلٌّ واحد منهم رأى الصورة التي جادت بها بنان المصور وسمع النغمة التي اخرجها صوت الموسيقي ولكنهُ لم يرَ الصورة التي رآها المصور في احلامه ولم يسمع النغمة التي أسمعها الوحي الاعلى للعبقري

واما المتفنن العبقري فخلص ايضاً في ازدرائه لانهُ وحده دون سواه يشعر بالفرق الشاسع بين الحلم والعمل. يعيب أواسط الناس على البعقري اسرافهُ وإثرتهُ وانصرافهُ عن أسرته ان كانت لهُ اسرة ونفوره من تكوينها ان أدرك حقيقة نفسه قبل ذلك

ان أواسط الناس هم الذين يحكمون العالم في الظاهر وهم الرأي العام وهم الاغلبية المطلقة . وآراؤهم مهما تكن في حقيقتها فاسدة او مبتذلة فانها تنتهي بالتغلب على سواها من الآراء لان الذين يقرونها ويكسبونها الفوز ويصبغونها بصبغة الحقيقة انما هم أواسط الناس انفسهم . وهكذا يغرس الجهل بزوراً فاسدة فيتعهدها العجز وتنمو بقوة الاستسلام والتصديق واذا تلك البزور الفاسدة قد صارت اشجاراً عالية وارفة اسمها الحقيقة الانسانية ومبادىء المدنية والآراء المتفق عليها وما هي في الحقيقة إلا أباطيل لا قيمة لها

إن قولهم بان العبقري مسرف مستأثر نفور من أنظمة الحياة العادية صحيح . ولكن ليس الاسراف ولا الاستئثار ولا النفور من أنظمة الحياة العادية عيوباً تقلل من اقدار الرجال . ان من يعيب الاسراف رجل يفضل الاقتصاد ومن يعيب الاثرة آخر لا يدرك معنى الشخصية ومن ينقم على النافرين من أنظمة الحياة العادية لم يعلم بعد مفارقتها مع قوانين الطبيعة وهذه كلها امور يدركها العبقري بفطرته أولاً وبعقله ثانياً

قد يكون الغنى مصدراً لنعم كثيرة ولكن العبقري يرى في الاسراف نعماً اعظم وقد يكون في الايثار فضلٌ يذكر ولكن العبقري يرى في الاستئثار حكمة عليا وقد يكون في السكون الى انظمة الحياة العادية ما يؤدي الى سلامة النفس والبدن ولكن العبقري يرى نجاة نفسه وصحة بدنه فيما عدا ذلك فالمسئلة مسئلة خلاف في النظر واختلاف في

الحكم بين مجموع اواسط الناس ذوي الآراء الواهية المبتذلة وبين مجموع العبقريين وارباب المواهب

فيصح لنا والحالة هذه للوصول الى حكم صحيح ان ننظر فيما هو اقرب الى الصواب من الفريقين . ان لدى اواسط الناس قوة العدد المادي فهم يعدّون بالوف الملايين في انحاء العالم . وهم المسيطرون بطبيعة حال الاجتماع والمدنية الحاليتين على المصارف والمطابع والمكاتب والمخابز والمطاعم والملاهي وذلك بفضل العدد المادي .

أما العبقريون فقليلون ، قليلون جداً قد يعدون في العالم كله بالعشرات لان الطبيعة ضنينة بهم ومثلهم كمثل الساعات الدقيقة الصنع ومثل غيرهم كغيرها من الساعات فالصانع يخرج عشرين الف ساعة عادية تباع الواحدة بدريهمات ولكنهُ يخرج ساعة او ساعتين ثمينتين . الطبيعة تعطيكم اواسط الناس بالملايين وتمنحنا في كل صباح الف الف نسخة من الانسان العادي ولكنها في كل مائة سنة تجود بنسخة متقنة جميلة الصنع وعندي ان تكوين العبقري يقتضي مجهوداً ان صح ان يقال هذا مجازاً . ولم تمنح الطبيعة العبقرية للقليل من الناس عبثاً . انما هم نارها ونورها ومظهرها الاعلى . انهم على قلتهم يقودون العالم وينظمون شؤونه . انهم على قلتهم يصلحون في شهور او سنين معدودة ما افسدهُ اواسط الناس في قرون لا تعد فاذا بقيت الامم بين ايدي اواسط الناس امست كالبيوت المهجورة يخيم عليها نسيج العنكبوت ويدفنها مثار النقع وتدب في اركانها الحشرات والهوام الى ان يأتي عبقري موفق فيجعل من البيت المهجور قصراً عامراً آهلاً بالسكان نظيف الحواشي جميل الاركان . وهو لا يستعمل في هذا العمل العظيم الا الاواسط الذين كانوا قانعين بالعيش الادنى في ظلال العجز والابتذال

ان اواسط الناس انفسهم لم يصلوا الى الا ن الى حل نهائي لمسائل المال والاخلاق والاسرة ولم يتفقوا حتى الساعة بصفة قاطعة على تفضيل البخل والايثار والانظمة العادية . والفضل فيما اصابهم من الخبال راجع الى الافكار التي انتجتها العلوم الحديثة

فالاغلبية والحالة هذه منشقة . والاقلية وهم العبقريون يعدلون مهما قل عددهم الاواسط ويتفوقون عليهم اضعافاً مضاعفة فواحدهم بضعة ملايين . حيال اغلبية مؤلفة من ضعاف العقول منشقة على ذاتها واقلية ممتازة لا تنكر صفاتها هي المدبرة للحياة المحركة لدولاب العمل . لا ارى ان اتردد في الحكم ولا يمكن لعاقل ان يتردد . امحوا من فكركم كلمة « الصواب في جانب الاغلبية » واكتبوا بغير تردد ولا اضطراب « الحق ما قال العبقري وفعل »

لقد قام بعض اواسط العلماء يدعون ان العبقرية نوع من الجنون . وان العبقري مريض . واقاموا على ذلك ادلة كثيرة يطول شرحها وكان اكثرهم عطفاً على العبقرية من قال منهم ان العبقرية خروج العبقري عن المألوف وهذا دليل على اختلاف التوازن الطبعي والعقلي وقد بلغ التطرف بهؤلاء العلماء انهم لم يتركوا قائداً عظيماً ولا شاعراً جليلاً ولا حكيماً فذاً ولا متفنناً ممتازاً الاَّ ادخلوه في زمرة المرضى والمجانين

وقد الف في ذلك المعنى لومبروزو ونيزيت وماكس نوردو وانهُ من العجيب ان هؤلاء العلماء وامثالهم الذين لم يقفوا حتى الساعة على كنه العقل الانساني ولم يصلوا الى معرفة حقيقة وظيفة المخ ان كانت هي نقل المحسوس الى قوة خفية في الانسان او كانت وظيفته النقل والادراك والتعقل والتصرف. لم يعلموا الى الآن ان كان المخ وسيلة أو غاية. عجيب من هؤلاء العلماء الذين لم يعلموا حتى الآن حقيقة العقل الانساني العادي ويدعون معرفة حقيقة اعظم العقول التي تكاد تكون لقوتها وسموها واتقان صنعتها عقولاً ربانية

انهم يدللون على صحة رأيهم بمسائل تافهة فيذكرون امراضاً وعللاً بدنية انتابت العبقريين وآباءهم من قبلهم. ويصفون احوالاً نفسية اصابت العبقريين في حياتهم ويريدون الوصول بهذا وذاك الى اثبات جنون العبقري . اروني ايها العلماء كائناً من كان تسلسل من اصول سليمة . اروني مخلوقاً بشرياً قضى حياته ولم ينفعل ولم يغضب ولم يحنق ولم يعشق ولم يتألم ولم يشك ولم يبك. أروني انساناً في حياتكم الارضية لم يَرث عن اجداده عِللاً لا تعد ولم تصبهُ من الدنيا مصائب لا تحصى

انكم ايها العلماء صامتون لا تحيرون جواباً إذاً لماذا تجعلون اساس بحثكم عن العبقري أموراً شائعة بينهُ وبين جميع الناس تنسون وراثة الاواسط وتشهرون بوراثة العبقري . تغضون الطرف عن أحوال المجموع وتشنعون على العبقري باحواله

اذا ثبت لكم ان الانسانية ملوثة معتلة ألا ترون فضلاً لمن خرج من هذا الوسط الملوث المعتل وأخرج للانسانية ما يصلحها وينفعها ويحسن من شأنها

هل كان هوميروس مجنوناً هل كان كونفوشيوس مختلاً هل كان ارسطوطاليس مخبولاً هل كان نابليون مصاباً بهوس ان كان هؤلاء وامثالهم في عداد المرضى والمجانين فنعم الجنون والمرض

اللهم ارزقنا بالف مجنون على شاكلة هؤلاء المجانين الذين ادهشوا العقلاء بثمرة عقولهم وحكمتهم . وقادوهم في طريق السلم والحرب

محمد لطفي جمعه المحامي

ماذا رأى باسيل

قصة رمزية

لماري ملكة رومانيا

[ولدت ماري ملكة رومانيا سنة ١٨٧٥ . وهي انكليزية الاصل من الاسرة المالكة في انكلترة . ولما كانت ابنة سبع عشرة سنة — وقيل خمس عشرة — زوّجها فردينان ملك رومانيا الذي توفي في الصيف الماضي . وقد كانت ولا تزال الى الآن في طليعة الملكات اللواتي خُلقن ليسُدْنَ النفوس ويتبوَّأن عروش القلوب. جاءت الى بخارست، عاصمة رومانيا ، غريبة الدار والوجه واللسان ، لا تعرف احداً فيها ولا تدري شيئاً عن اخلاق الرومانيين وعاداتهم وسائر احوالهم الاجتماعية. ولكنها لم تلبث ان نشطت الى التضلُّع من معرفة هذه الامور كلها . فتفرَّغت لاستقراء شؤون الامة الرومانية خاصّتها وعامّتها واوغلت في تقصّي مسائلها الاقتصادية والاجتماعية ووقفت حياتها على خدمة الشعب دائبة في عيادة المرضى وتعزية الحزانى والتصدّق على الفقراء والمساكين وغير ذلك من الاعمال التي اعلت مكانتها في النفوس وجمعت القلوب على محبتها واحترامها . وهي معروفة عند اكثر القراء بكونها من ربّات البراعة في فنّ البراعة . وجميع القصص التي كتبتها تشهد لها بغزارة المادّة وسعة الاطلاع ورقة الشعور وسموّ الخيال ومنها القصة الآتية :]

القصة

كان الوقت ليلاً . وقد ارخى الظلام سدولهُ على السهل الفسيح الارجاء وهبّت ريحٌ صرصرٌ عاتية . فقرس البرد واضطربت النجوم ووهن نورها كانها تحاول الابتعاد من الارض لتتقي صبارّة البرد ونفح الزمهرير . ولكن الثلوج المتراكمة في الحقول كان بياضها شديد النصوع فانعكس منهُ ضياء ضئيل لطّف كثافة الظلام . وكانت الريح تعصف وتلطم وجه الجمد بعنفٍ فتحرّك سكونهُ وتثيرهُ سحباً رقيقة ترتفع في الجوّ كانها تروم الإفلاتَ من قبضة الريح والنجاة من إعناتها

وكان الطريق العامّ ، في وسط ذلك السهل، يبين للناظر خطّاً قاتماً رسمتهُ الخطى على الثلج. وعلى جانب هذا الطريق جلس سريةٌ من الجند حول نارٍ صائرة الى الخمود

والانطفاء يستهدفون للريح وهي تثير الثلج وتسفيه في وجوههم فيسقط عليهم بشدة وعنف سقوط الامواج المزبدة على الصخور وقد رفعوا اطواق معاطفهم العريضة وبسطوها على رؤوسهم الى جباههم . ولكن هذا كله لم يجدهم فتيلا في وقاية اجسادهم قرس القرّ ولذع الزمهرير . وكانوا اثني عشر جنديًا منهم اربعة كهول ذوو لحى كثة طويلة وواحد في ريعان الصبا وهم يتولون حراسة بضعة اسرى جالسين امام النار الآخذة في الهمود وعلى وجوههم امارات الكآبة والغمّ . واجسادهم ترتجّ مرتعدة من البرد او الحزن او الخوف — ولعل ارتعادها كان ناشئاً عن هذه كلها !

لم يحفل حرّاسهم بهم بل كانوا موجهين التفاتهم نحو رفيقهم الفتى الذي وقف مستنداً الى بندقيته كالراعي المتوكىء على عصاه وقد اطلق لعينيه الزرقاوين عنان التفرُّس في ظلمة الليل المدلهمة وافكاره سابحة في فضاء الرؤى والاحلام . وكان نديف الثلج يتطاير حوله ويتجمع على اطراف ثيابه ويتساقط حتى على اهداب اجفانه الطويلة . ولهذا كان يرفع يده من وقت الى آخر على صفحة وجهه — لينفض سقاط الثلج عن عينيه . وكان اسمه باسيل

فقال له واحدٌ من الكهول متبرّماً متذمراً ، واسمه اندريا سكرتو وهو ضابط السرية « انظر يا باسيل الى النار . فانها تكاد تنطفىء . ولسوف يهرأنا البرد قبل انقضاء هذه الليلة الملعونة ! »

فاعترض جنديٌّ آخر متململاً : — « كان من الواجب علينا ان نحترز حتى لا نضلّ الطريق » فاجابه الضابط : « قدّر فكان . ولا فائدة من الاعتراض . فإن هرأنا البرد وقضي علينا قبل الصباح ذهبنا كما ذهب كثيرون غيرنا »

فسأل واحد منهم : — « على من تبعة هذه الشرور الفظيعة ؟

فرد عليه الضابط سكرتو مقطباً : « ان سؤالا كهذا ليس من شأنك ولا من شأني انا ايضاً » وقال جنديٌّ لم يتكلم قبل الآن واسمه بطرس پاسكا : « ان تبعة هذه الشرور على الحرب . فهي وحدها مسؤولة عنها »

وصاح سكرتو صيحة المغيظ المحنق : « الحرب الحرب ! تنقضُّ على الناس انقضاض هواجر الصيف او سيول الشتاء على البزور الغضة الطرية فتحرقها او تغرقها »

وقال غيره : « ولكن هذه الحرب منقطعة النظير في فظائعها واهوالها ! »

فالتفت باسيل نحوهم وقال : « اني آسف على حالة هؤلاء الاسرى »

فصاح معظم الباقين بصوت واحد محتجين ومعترضين : « آسف ! على مَن انت آسف ؟ على هؤلاء الغرباء الانجاس المناكيد ؟ » فاوضح باسيل مرادهُ بقولهِ : « اني آسف عليهم لانهم في ريعان الصبا يشكون تباريح الغربة وفرقة الانسباء والاحبّاء »

« ونحن ؟ ألسنا مثلهم ؟ »

« نحن على الاقلّ باقون في وطننا رومانيا ! »

ثم عصفت ريح شديدة مثقلة بكسَف الثلج. فأداروا وجوههم وولّوها ظهورهم. وقال واحد منهم : « انها ليلة ليلاء محفوفة بصنوف الشرّ والبلاء »

قال الضابط سكرتو : « قلتُ لك ياباسيل واقول ايضاً إن لم تغِثنا بشيءٍ من الوقود هرأ البرد جلودنا واخمد انفاسنا » . فاجابهُ باسيل وهو لا يزال متخذاً بندقيتهُ كعصا الراعي : « كيف يمكنني العثور على الوقود في هذا القفر الموحش المظلم ؟ » فردّ عليهِ بطرس پاسكا قائلاً : « لك ساقان من حديد ولا يعوزك للعثور على الوقود سوى ان تعزم وتريد » ووافقهُ سكرتو على ذلك فقال : « نعم . نعم . انك كما قال پاسكا . فاطلق ساقيك للريح وفتش لنا عن قليل من الحطب نوقّي بنارهِ العطب »

فاعترض باسيل وهو يدقُّ إحدى قدميهِ بالاخرى غير متزحزح عن موقفهِ : « ولكنّ العمل المنوط بي أنما هو حراسة الاسرى »

فصاح بهِ سكرتو : « إن حراستهم يستطيعها اوهن الرجال ساعداً واوهاهم عزيمة . ولا تنس ان لي الأمر وعليك الطاعة والامتثال . فاحمل بندقيّتك على كتفك وعجّل في البحث عن وقود لا يهمنا مقدارهُ قلّ أو كثر : فالكثير خير من القليل ولكنّ القليل خير من العدم »

فقال باسيل : « سمعاً وطاعة » ثم حمل بندقيّتهُ وأخذ يجدُّ السرى ويطأ صفيح الثلج معتسفاً لا يدري اين يذهب ومن أين لهُ ان يدري والليل مشتدّ الحلك والسهل امامهُ واسع الانحاء مغبّر الارجاء وهو جديب أجرد لا شجر فيهِ ولا نبات

وفي أثناء سراهُ مخترقاً حُجُب الغسَق ومتعثراً بالثلوج المتكاثفة تنازعتهُ افكار كثيرة متعارضة متناقضة ولكنها كانت افكاراً . وعرضت لهُ عدّة رؤى شائقة سارّة — رؤى حبّ وهيام لا علاقة لها بصبارّة الزمهرير ولا بنار الحرب المستعرة . بهذه الافكار والرؤى استأنس في وحشتهِ وشحذ غرار عزيمتهِ واستعان على تذليل ما في طريقهِ من المشقات الى ان عثر بشيءٍ فأكبّ على وجههِ . ولشدة كثافة الثلج نهض

سالياً من الاذى . لكنّ سقوطهُ هذا روّع الرؤى فانتثر عقدها وتفرّق شملها

وأفاق باسيل من ذهوله فرأى نفسهُ وحيداً لا يقع نظره الا على بهق الثلج ولا يطرق سمعهُ غير قصف المدافع . فقال متأفّفاً متبرّماً : « الحطب — الحطب ! أُمرتُ بان احتطب لهم ولو كُسَاراً او هشيماً يلقونهُ على نارهم الخامدة ولكن أنّى لي الاحتطاب في هذا القفر اليباب الخالي حتى من ادق الاخشاب ؟ آه يا الهي ما هذه الليلة ! حقّاً انها شرُّ الليالي . وفي جسدي من ريحها الصرصر وقع السياط وفي وجهي من ندف ثلجها وخز الابر ؟ فأين — يا ربي — اين اجد الحطب ؟ »

قال هذا ووقف يكزُّ ويتقفقف من شدة البرد ويضرب جنبيهِ بيديهِ المرتعدتين. وكان في اثناء سراه ُ على غير هدًى قد ضلّ الطريق . فلم يستطع ان يتبين شيئاً امامهُ سوى أكوام متبعثرة رقّ الثلج فوقها فانحسر عنها . هنا رجمة (قبر) وهناك جثة حصان وهنالك عرمة هشيم بالٍ . واذ التفت حولهُ وامعن في التفرّس والتحديق لاح لهُ عن بعد خطٌ اسود عرف انهُ الطريق العامّ الذى كان قد ضلّ عنهُ . ومن فورهِ وجّه خطواتهِ نحوهُ . وكانت الارض وعثة متوعرة وقد برّح بهِ العناء وقرّس البرد اصابع يديهِ ورجليهِ . واذا بهِ وقف مشدوهاً مذعوراً ، إذ شَخَصَ أمامهُ ثلاثة اشباح ناحلة مهزولة ، قائمة بعضها بجانب بعض وبارزة من خلال الديجور !

فاضطربت افكارهُ واشتدّ خفقان قلبهِ وعرتهُ قشعريرة خوفٍ رجّت اعضاءهُ كلّها . فما هذا الذي رآهُ بل ما هذه الليلة الحافلة بصنوف المزعجات والمفزعات ! ولكن لماذا يخاف ؟ هب ما رآهُ كان خيالاً او روحاً فالأخيلة والأرواح أيسر خطباً من ملاقاة ألمانيّ !

بمثل هذا الاعتبارِ سكّن باسيل جأشهُ وحوّل سراهُ نحو الاشباح الثلاثة التي وقفت لا تبدي حراكا منتظرة وصولهُ اليها . وعند وصولهِ نظر فاذا هي ثلثة صلبان ! ثلثة صلبان من خشب منصوبة على ثلثة قبور مهجورة وقد عبثت بها عاصفات الرياح وابلاها كرُّ الجديدين حتى كادت تصبح أثراً بعد عين

فرسم صاحبنا إشارة الصليب ، منساقاً بالغريزة وقوة العادة وتلا صلاة قصيرة على ارواح هؤلاء الموتى ووقف ينظر الى الصلبان ويتأمّل في المدفونين تحتها سائلاً نفسهُ قبور من هذه يا ترى ؟ أقبور بعض الجنود هي ؟ ام قبور بعض النساء ؟ او لعلها قبور بعض الاولاد الصغار . . . قبور اطفال ماتوا جوعاً وصرْداً

ثم تنبه فجأة الى كون هذه الصلبان من خشب . . . من خشب غليظ ثخين ! او ليس هذا ضالته المنشودة وغايته المقصودة ؟ ألم يقتحم حومة الظلام ويستهدف لخطر الموت برداً من اجل التفتيش عن الخشب او الحطب ؟

وقف باسيل امام الصلبان وقفة من يعثر على كنز ثمين ولا يجسر ان يمدّ يده اليه . فقد سحره منظر الخشب ولكنه لم يجرؤ على لمسه ولا استطاع تركه والتخلي عنه

واذ ذاك خطر بباله فكر هائل او تجربة مخيفة حدثته بها نفسه قائلة له :

لماذا لا تنتزع واحداً من هذه الصلبان وتمضي به مسرعاً الى النار التي غادرتها على وشك الانطفاء فتحيي مواتها وبحرارتها تنقذ الذين حولها من مخالب الردى ؟ فالموتى تحت هذه الصلبان في رقاد عميق لا يسعهم ان يسمعوا شيئاً مما يجري فوق رؤوسهم !

فتقدم بضع خطوات ووضع يده على الصليب الاول . وباسرع من وميض البرق اقشعرّ بدنه وطرأ على افكاره تغيير فجائي . فقبض يده عن الصليب وقال لا ! إنّ في عمل كهذا انتهاكاً فظيعاً لحرمة الموتى . واحترامهم مقدَّم على احترام الاحياء . واقلّ عبث بكرامتهم مكروه في عيني الله والناس . وليس في وسع الموتى أن يحموا حرمتهم ويذودوا عن كرامتهم . فهم تحت رحمة كلّ من يمرّ بهم — اذن يجب ان يكون للقبر من الاحترام ما لدرجات مذبح الكنيسة

على ان صوت التجربة عاد فرنّ ثانية في اذنيه قائلا له ان هؤلاء الموتى فارقوا دار الفناء الى دار البقاء واستراحوا من مكابدة العذاب ومساورة العناء والشقاء ولكنّ هنالك رجالاً سوف يهرأهم الزمهرير ان لم يغاثوا بوقود يصطلون بناره . وهم رجال بأس اشداء يتفانون في خدمة الوطن . ومما لا ريب فيه ان الحيّ افضل من الميت . وسلب الموتى اخفّ جرماً من ترك الاحياء يموتون — اولئك الجنود البواسل حماة رومانيا ! ولو استطاع الموتى الكلام لصاحوا بصوت واحد قائلين خذ صلباننا كلها لتدفئة ذادة الوطن وحماته وانقاذهم من الموت صرداً !

فامسك باسيل بالصليب وهزّه هزة عنيفة محاولاً اقتلاعه من الارض المجلودة ... لكنه امتنع عليه متعصياً كالشجرة المتأصلة او كمخلوق حيّ يذود عن حرمه . وهذه المقاومة أذكت نار الكفاح في قلب باسيل ومثلت له الصليب خصماً عنيداً لا بدّ من قهره والتغلب عليه . فطوّقه بذراعيه وشرع يرجّه جذباً ودفعاً ، باذلاً في هزّه وقلقلته اقصى ما أوتيه من قوة وصرامة حتى انتفخت اوداجه وتشنجت عضلاته

وتفصّد بدنهُ عرقاً . وبعد صراع من دونهِ نضال الابطال هوى الصليب على اثر دفعة عنيفة بعد جذبة شديدة وخرّ مجندلاً وسقط باسيل فوق قرنهِ العنيد . ولم يكن قرنهُ هذا سوى صليب من خشب !

***

كانت النار قد خبت وصارت جمراتها رماداً . والاسرى وحرّاسهم جالسون حولها واجمين . وكانوا كلهم أسواء في معاناة جهد البلاء . وفيما هم على هذه الحالة وقد بلغت ارواحهم التراقي من شدة الكرب والضنك طرق آذانهم خفق نعل خفيف توقموا منهُ قدوم طارق . وما عتموا ان رأوا باسيل مقبلاً عليهم يجرّ وراءهُ شيئاً ثقيلاً قائماً

حطب ! حطب ! بهذه الكلمة ارتفعت الاصوات من حلقة الاسرى والجنود حول الرماد ونهض معظمهم يرحّبون بباسيل ويشكرون لهُ سعيهُ . وهو صامت لا يفوهُ بكلمة . لانّ العناء الذي تحمّلهُ بمكافحة الريح والثلج في اثناء رجوعهِ لم يكن اقلّ من عناء اقتلاع الصليب من مكانهِ . وعلاوة على هذا وذاك كان يعاني الم تبكيت النفس وتوبيخ الضمير . ولهذا وقف مطرقاً لا ينبس بحوجاء ولا لوجاء واقتصر على القاء الصليب الثقيل عند اقدام اولئك المنتظرين

وكان سكرتو اول من عرف ماهية الوقود الذي جاءهم بهِ باسيل فتقزّز وتعوّذ وقال : — « صليب . . . . صليب ! »

وتقدم باقي الجنود ونظروا وضجوا باصوات الاستفظاع والاستهجان . ورفع الاسرى رؤوسهم ورمقوا الجنود الصاخبين باستياء وامتعاض . وظل باسيل ساكتاً وقد عقد الاعياء لسانهُ فخرّ على الثلج . والتفت اليهِ سكرتو وقال لهُ بلهجة الزاجر المنتهر:

« هذا صليب ! فكيف أقدمتَ على الإتيان بهِ ؟ »

فاعترض واحد منهم بقولهِ :

« لكنهُ من خشب ونحن في اشد احتياج الى الحطب »

« مهما يكن من نوعهِ ومن حالتنا فلا يمكننا ان نحرق صليباً ! »

« ان إحراقهُ انتهاك لحرمة مقدسة ! »

« ومجلبة للعنة الله علينا ! »

« ولعنة الموتى ايضاً ! »

« ولكننا نقاسي الأمرّين من قرص البرد . والموتى موتى . . »

« وهل ينتفع الموتى بشيء ان لقينا حتفنا من شدة الصرّ والقرّ ؟ »
« أو لسنا حماة الوطن الذائدين عن ذماره ؟ »
« كم وكم في الارض من ميت ليس على قبره صليب ! »
« عار عليك ! فما من انسان يجسر على إحراق الصليب ! »

على هذا المنوال اخذ الجنود يتحاورون ويتجادلون . وباسيل والاسرى لائذون باطراف الصمت لا ينطقون ببنت شفة : وكانت نفس باسيل مثقلة بأعباء العناء والاستحياء. ولكن عذره الوحيد انهُ لم يستطع ان يجد شيئاً آخر

وكان آخر ما فاه بهِ الضابط سكرتو بلهجة الحزم قوله : « لا يعللنّ احد نفسهُ بالمحال . فموتنا جميعاً مهروئين بالزمهرير اهون عليّ من إحراق صليب المسيح ! »

وكان قولهُ هذا فصل الخطاب وخاتمة الكلام . فاستعاد كلٌّ مجلسهُ حول الرماد البارد وخيم عليهم سكوت عميق وازال جهد البلاء كل فارق بين الاسرى وحرّاسهم فتساووا في تجشم المشاق وتجرع الغصص. وعلى بعد قليل منهم اضطجع باسيل مسنداً رأسهُ الى الصليب الذي كابد عناء المجيء بهِ من مكان سحيق. وطفق يتأمل في مشكلات الحياة

لماذا هذه الحرب الضروس الذاهبة بحياة الملايين من نخبة الشبان والمادة مطار الدمار على كثير من البلدان ؟ لماذا هذه الآلام والتضحيات في هذه الحياة مع انهُ ليس من الصعب ان تقضى براحة وسلام ؟ لماذا هذا — لماذا ذاك ؟ لماذا هذه البغضاء والشحناء بين الامم وهم جميعهم ابناء آدم وحوّاء ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ . . . .

واشتد عليهِ هبوب الريح فرفع يدهُ المرتعدة من شدة البرد لينفض نثار الثلج عن اجفانهِ واستأنف الإمعان في التأمل قائلاً لماذا تتعاقب الفصول ويأتي بعد حرّ الصيف القادح برد شتاء يسوم الابدان ما هو اشد من طعن السنان ؟ لماذا لماذا ؟

ثم جلس وقال لماذا هذا الظلام المطبق ؟ ماذا يراد بهِ ؟

وحينئذٍ ! عند ما نطقت شفتاهُ بالسؤال الاخير ابصرت عيناهُ نوراً ضعيفاً . فهل كان الفجر آخذاً في الطلوع ؟ راقب باسيل النور الذي خيّل اليهِ انهُ يراهُ بعيداً — فهل هو الفجر ؟ ولكنهُ لم ينتشر مع انهُ لاح متحركاً — نعم بدا متحركاً ! واخذ يدنو . . . ويقترب نحوهُ ! وبعد ذلك لما حاول باسيل في وضح النهار ان يقصّ ما رآهُ على رفقائهِ الذين كانوا نياماً لم يصدقوهُ . كان النوم ، في اثناء مشاهدتهِ لهذا النور ، آخذاً بمعاقد اجفانهم ولكنهُ هو كان مستيقظاً ورأى النور بامّ عينيهِ . ومع ذلك تشبه

بتوما تلميذ المسيح واراد أن يلمس بيده ليتحقق ما رآه بعينه

وكان ما رآه باسيل شخصاً ابيض مقبلاً نحوه على الثلج . وكان بياضه شديد الصوغ وعليه ثوب من نور ساطع الضياء . وكان الشخص نفسه هو النور . ومع شدة تألقه ظل الباقون غارقين في لجة الكرى . وهذا ما اعيا باسيل فهمه . تقدم نحو باسيل ساحباً وراءه ذيل لمعان يخط سبيل المجد . . وهذا الآتي كان ابن الانسان — كان ابن الله !

نخر باسيل على ركبتيه وكشف رأسه وبسط يديه . وقد نسي ما كان يعانيه من تباريح العناء والبرد وانقشعت عن عينيه سحب الريب والشكوك . ولكن ما هذا الذي كان ابن الله يحمله على منكبيه — شيء قاتم ثقيل كبير

كان صليبه ! المسيح ايضاً حامل صليبه . فلماذا ? آه ! لماذا ?

اقبل يطأ الثلج بخفة ونشاط غير مبالٍ بثقل الصليب على كتفيه مع ان باسيل اختبر حمله ولا يزال يشعر بما لقيه منه

لم يقف حيث كان باسيل جاثياً بل اجتازه الى حلقة الاسرى والجنود النيام فدخل بينهم . ورآه باسيل بعينيه يلقي صليبه على الرماد وابصر لهباً يندلع ، وتندفع ألسنته حول الصليب حتى صار الصليب نفسه ناراً حامية شديدة الاشتعال ! فالمسيح جاء بصليبه وجعله وقوداً لنار يصطلي بها حماة الوطن البواسل وينجون من الموت !

وبعد ذلك تذكر باسيل ما حدث ولكن بشيء من الغموض والابهام . فزحف على ركبتيه نحو اللهب المقدس . . . . وبجانبه سقط مغشيًّا عليه

ثم طلع النهار : واستيقظ النيام واحداً بعد واحد واذا بالنار ، التي كانت قد خبت وصارت الى الخمود منذ اوائل الليل ، تتقد الآن بلهب شديد الحمو احيا قواهم وغادر البرد اثراً بعد عين . وتحقق كل منهم ان امراً عجيباً حدث لكنهم لم يعلموا ما هو

وهذا الامر راب الضابط سكرتو . فقال في نفسه لعل باسيل عصى اوامره واحرق الصليب . ولكن ذلك الصليب باقٍ ملقى حيث كان . وباسيل جاثٍ بجانبه ويداه على صدره وعيناه ناظرتان الى الشمس الطالعة . فذهب اليه وناداه قائلاً :

« باسيل ! باسيل ! ماذا ترى في وجه الشمس الطالعة ? »

فالتفت باسيل اليه وعيناه ساطعتان بنور عجيب . لكنه لم يجبه عن سؤاله . ولم يعلم سكرتو قط اية رؤيا كان باسيل يتمثلها في محيا الشمس الطالعة

ترجمة : اسعد خليل داغر

الدكتور صروف عالما

١ — رياضيا وفلكيا

للاستاذ منصور جرداق استاذ الرياضيات العالية بجامعة بيروت الاميركية

اتصف الدكتور صروف منذ صغره بسمو المواهب العقلية فقد كانت لديهِ دروس الرياضيات الابتدائية والطبيعيات كالحساب والجبر والهندسة والمثلثات والكيمياء والفلسفة الطبيعية وعلم الفلك بمثابة قراءة القصص التاريخية. والفكاهية ومسائلها وقضاياها بمنزلة الاوليات فلم يكن يجهد نفسه بدرسها وهو طالب (تلميذ) إلاَّ قليلاً لانها كانت سهلة عليهِ وواضحة وجليّة في ذهنهِ بينما كان غيره من ابناء صفهِ يتعب كثيراً في درسها ويصرف معظم وقتهِ في تحضيرها والاستعداد لها. ووهبهُ الخالق ذاكرة قوية ساعدتهُ على حفظ ما يتعلم الى أجل طويل ومكّنتهُ بما لديهِ من سائر القوى العقلية من طرق جميع موضوعات الدروس التي درسها ودرَّسها وبحث فيها وسهّلت لهُ الفوز والنبوغ بين اقرانه وفي جيله. واذا أضفنا الى ذلك قوة ارادتهِ العظيمة وشغفهُ وتعطشهُ الى حلّ المسائل والقضايا الرياضية والعلمية وولوعهُ بمعالجتها ومعاركتها وحنينهُ وتشوّقهُ الى معرفة المجهول وادراك كنه الحقيقة وما امتاز بهِ من الصفات الادبية والعقلية والخلقية والتهذيبية كصفاء الذهن وحدّته وجلائه ومضاء العزيمة وقوة الحجة والمنطق وفصاحة العبارة وبراعة الاسلوب وحسن الذوق وسلامته وشرف العواطف وسموّ المبادئ والدقة في الاعمال والضبط التام — اذا اضفنا كل ذلك امكننا حينئذٍ ان ندرك سبب عظمة الدكتور صروف وسرّ تفوقه ونبوغه في العلوم وسموّ مكانته في المجتمع الانساني

ولكي يدرك القارئ شيئاً من الصورة الجميلة التي اقصد ان اصورها لهُ اذكر حادثة رواها لي الدكتور صروف نفسه في خريف سنة ١٩٢٥ وهي انهُ لما كان استاذاً في الكلية السورية الانجيلية (جامعة بيروت الاميركية الآن) استقال استاذ الكيمياء فجأةً وعهد الى الدكتور صروف في تدريس علم كيمياء السموم فوق اشغاله الاعتيادية فقام بهِ خير قيام. واتفق في تلك الاثناء انهُ أصيب بضعفٍ في بصرهِ لكثرة الدرس والمطالعة

واحياء الليالي ساهراً منتبهاً وباحثاً. فحظر عليهِ الاطباء الدرس واجبروهُ على الانقطاع عنهُ ولكي لا يضيع على تلامذتهِ شيئاً طلب الى زوجتهِ الفاضلة ان تقرأ لهُ يوماً فيوماً الدرس وما يتعلق بهِ في جميع الكتب التي كانت لديهِ وهو يصغي اليها . ويحفظ المهم منهُ في ذهنهِ .وكان يدخل الصفوف في اليوم التالي ويلقي الخطب ويستمع للطلبة كجاري عادتهِ دون اقل تغيير كما لو كانت عيناهُ سليمتين. وبقي على تلك الحال مدة طويلة حتى تحسنت صحتهُ وشفي تماماً من المرض الذي ألمَّ بهِ. فهل يوجد ما هو أنبل قصداً وأشرف غاية واعلى همة وأعظم ذكاءً

ذكرت ان الدكتور صروف كان ممتازاً بالعلوم الرياضية والطبيعية ولذلك ندبتهُ عمدة الكلية لتدريسها مع حداثة سنّهِ في ذلك الوقت وجعلتهُ في رتبة سائر المدرسين العظام مثل ڤان ديك الكبير وورتبات وبوست ولوس الذين اشتهروا في ذلك العصر بسموّ المواهب العقلية والادبية والتهذيبية والنبوغ في العلوم والمعارف. وكلّ من يقرأ باب الرياضيات في المقتطف ويطالع المقالات الفلكية والطبيعية والعلمية التي انشأها الدكتور صروف او ترجمها ويقف على التعاليق والملاحظات التي اضافها اليها وينعم النظر فيها يعتقد بصحة قولي ويسلم برأيي . اذ يظهر لهُ فيها سمو المواهب والتعمق والرسوخ في تلك العلوم والاحاطة بها رغماً عن عدم درس فروعها العالية لانها لم تكن قد ادخلت الى بلادنا في تلك الايام . فقد عالج وجرّب حلّ المعضلات الرياضية بموجب هندسة اقليدس كقسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية وتسبيع الدائرة وتضعيف المكعَّب وتربيع الدائرة وصرف عليها وقتاً طويلاً وسار فيها شوطاً بعيداً ولكنهُ مثل كل حكيم حاذق ومنصف كان يكتشف خطأَهُ بنفسهِ ويقتنع بصحة نتائجهِ ويستفيد من ابحاثهِ فائدة عظيمة تعود عليهِ بأحسن النتائج كما ثبت من اختبار كبار الرياضيين والعلماء الذين يقرّون ويعترفون انهم استفادوا من فشلهم بقدر ما استفادوا من نجاحهم. لانهم في اثناء معالجتهم للمسائل العويصة والصعبة والمستحيلة يقفون على معلوماتٍ واختبارات لم تكن تخطر لهم قبلاً وقد لا يصادفونها ولا يقفون عليها قط . فضلاً عن شحذ الذهن وكدّهِ وكثرة المطالعة والتعمق في الدرس والبحث والتنقيب

ويقوم فضل الدكتور صروف في العلوم الرياضية والفلكية كفضلهِ في سائر العلوم الطبيعية والعقلية والاجتماعية — انهُ درسها في صغرهِ في اللغة العربية ثم درّسها مدة طويلة في هذه اللغة وطالعها في كتب متعددة باللغات الاجنبية وراجع ما يمكن من

الوصول اليهِ من المخطوطات العربية القديمة فانجلت لهُ حقائقها في التدريس اكثر مما انجلت لهُ وهو يدرسها وحينما شرع في اصدار المقتطف تمكن من نشر المقالات والابحاث المطوَّلة في مختلف العلوم الرياضية والطبيعية والعقلية المشبعة درساً وتحقيقاً بعبارة فصيحة بسيطة واسلوب بليغ ووضوح تام مجتنباً الالفاظ غير المأنوسة والجمل المعقدة مع مراعاة قواعد اللغة مراعاة تامة والتزام اصولها والمحافظة على ضوابطها اومبادئها لان غرضه الاكبر كان نقل الصور والمعاني والافكار الى الاذهان بأخصر الطرق واسهلها وأبلغها عملاً بقانون البلاغة المشهور اعني بهِ الاقتصاد على ذهن القارئ. وقد جعل تلك المقالات حافلة بالمباحث الطريفة وزاخرة بالحقائق الجديدة واختط لنفسهِ اسلوباً خاصًّا في الانشاء هو من السهل الممتنع . فجاءت كتابتهُ ممتازة بغزارة المادة مقترنة بمتانة السبك وحسن الرصف وبساطة العبارة وجلاء الصور ووضوح الافكار واحكام الارتباط العقلي بين جميع اجزائها

ومع ان جميع كتابات الدكتور صروف العلمية آيات بيّنات فانَّ من افضلها في نظري كتابهُ المعروف « بسائط علم الفلك » الذي توخى فيهِ الدقة في البحث والاستقصاء . والنزاهة في القياس والحكم والاستنتاج. والبساطة في التحليل والايراد. والفائدة العامة للجمهور بلغة علمية متينة بليغة جلية . مورداً أشهر الآراء واحدثها واجمل الصور والمعاني والطفها . باعذب الالفاظ وابلغ العبارات . فلا يجد القارئ اقل صعوبة في ادراك المعاني . واستيعاب الصور والافكار. وبكلام آخر لا يكاد يعمل شيئاً من قواهُ العقلية لفهم الافكار وادراك القضايا بل تصرف جميعها تقريباً في تفهم المواد الفلكية من افكار وصور وقضايا كما في الامثلة الآتية :

« لا اجمل من القمر اذا كان بدراً . الشمس ابهى منهُ واسطع نوراً . ولكن نورها يبهر العين ويؤذيها فلا تستطيع التحديق فيها. ويزيد البدر بهاء اذا دارت حولهُ هالة من النور كأنها جند يحيط بملك عزيز الشأن يحرسهُ ولا تستطيع الدنوَّ منهُ مهابة»

« وكلما فكّرنا في اقدار الشموس وابعادها يتنازعنا عاملان متضادان عامل استصغار الانسان في جنب غيرهِ من الكائنات حتى يصير كالعدم . وعامل استكبار عقلهِ الذي بلغ اعماق الكون وقاس السموات بالشبر وعرف عناصر الكواكب واقدارها وابعادها »

واشتهر الدكتور صروف باعتدالهِ وانصافهِ في جميع الامور وتظهر هذه الصفة

بنوعٍ خاص في كتاباتهِ الفلكية فانهُ لا يذكر من القضايا والابحاث والآراء الاَّ ما ثبتت صحتهُ او ماكان الافضل والانسب مع الاشارة الى ذلك لانهُ كان مطبوعاً على حبّ البحث والتحقيق فيأبى ان يأخذ القضايا والنظريات بظواهرها

واني اختم هذه المجالة بما قالهُ الدكتور صروف نفسهُ عن اهمية العلوم الرياضية والطبيعية وما كان لها من المنزلة السامية في عينيهِ . وما تصورهُ لها من عظيم الاثر في العقول والمقام الرفيع في تعيين مجرى التمدن وكيان المجتمع الانساني

« العلوم الطبيعية والرياضية تعزز صفة الحب الشديد للصراحة وطلب الحقيقة لما تنطوي عليهِ من نواميس وقوانين لا تردّ ولا تقهر »

« ولا بدَّ للطالب من درس العلوم الطبيعية والتاريخية والاجتماعية حتى يكون لهُ مادة يكتب منها . ومن درس الحساب والجبر والهندسة والمنطق حتى يسهل عليهِ التمييز بين صحيح الاحكام وفاسدها »

---

٢ — بيولوجيا

لاسماعيل مظهر بك صاحب مجلة العصور

١ — تمهيد

قلما يستطيع الباحث أن يلم بالآثار الفردية التي يخلفها نابغة كبير في حالات عصرهِ، وعلى الاخص اذا رمى الى تحديد تلك الآثار من ناحية الفكرة العلمية . فان الفكر كتيار الكهربائية او كقبس الضوء او كشعاع فياض من اشعة الكون ، لا نعرف مصدرهُ على وجه التحقيق ، ونعجز دائماً عن تحديد آثارهِ التي يخلفها في نفوس الافراد . اما اذا اردت ان تبلغ الحد المستطاع من تحديد تلك الآثار فارجع الى القياس الاجتماعي فانك في هذا الميدان وحده يمكنك ان توازن بين حالات اجلى ظهوراً وابين صوراً

على ان مهمة الباحث تزداد وعورة اذا اكبَّ على درس الآثار التي يخلفها عقل انسكلوبيذي تشعبت نواحيهُ وتفرقت طرقاتهُ وكثرت منعطفاتهُ . فان يقع في تلك المفاوز الكثيرة على المصدر الذي بعث الى الحياة بتلك الصور الخالدة المشبوبة بروح اليقين ، المكسوة بحلل البقاء والخلود ؟ لامرية في ان الوقوع على ذلك المصدر هو المرمى الذي يرمي اليهِ كتاب التراجم جميعاً . غير ان قليلاً منهم من استطاع ان يصل

الى ذلك السر الدفين . ولست بطامع في ان اقع على مصدر ذلك الضوء الذي بعث بهِ استاذي الدكتور صروف في نواحي الشرق العربي وقد اظلمت جنباتهُ وادلهمت طرقاتهُ فانار السبل للغادي والساري ، وازاح الحجب عن خفي ما انار لنيرنا السبيل. اما مهمتي فلا اعتقد انها تتجاوز تصور تلك الآثار تصوراً يمكن ان نتعقب بهِ النتائج التي خلفها عمل الدكتور الفقيد في عالمي الاجتماع والفكر

غير ان هذا لا يفوت علي ان ألم ببضعة آثار اخرى خلفها لنا عملهُ العظيم في نواح تقل او تزيد علاقتها بالناحية الاجتماعية على حسب المقتضيات وظروف الحالات التي تقوم في المجتمع بين آونة واخرى. لهذا نتكلم في تلك الآثار واحداً بعد آخر لنحددها على قدر المستطاع

٢ — الترجمة العلمية

بعد ان انقطعت صلة العالم العربي بالترجمة ، وكانت في العصور الاولى مبدأ تلك النهضة الكبيرة التي استمدت من السريانية في مدارس نصيبين والرها واديرة آسيا الصغرى ومصر والعراق وحران ، وانبتت صلة اللغة العربية بكل لغات العالم تقريباً ، وظل المؤلفون والكاتبون قروناً طويلة عيالاً على ما كتب الاوائل وما نقل المترجمون ، وبعد ان انصرف الشرق العربي كلهُ الى الاشتغال بالآداب وحدها اشتغالاً لم يكن لهُ من قاعدة او اسلوب اللهم الا الاسلوب القطري ، اسلوب التقرير دون التحليل ، وبعد ان كادت تفتر العزائم حتى عن هذه الاساليب الاولية لكثرة ما لاكتها الالسن وتناولتها بهِ الاقلام من نقل وتغيير ، وبعد ان دار الفكر العربي حول دائرة لا يخلص الى نهاية شوطها حتى يبدأ الشوط ثانياً ، اتجهت العقول الى تلك الضجة الكبيرة التي قامت حول مذهب العلامة الكبير داروين التي بدأها بنشر مذكراتهِ التي قرئت امام جمعية لينيوس ثم نشرت في اللانسيت وكانت النواة التي اجتمع من حولها الكتاب الخالد « اصل الانواع » . وكان لذلك الاتجاه الجديد اثر عظيم في الشرق ، بل اثر لا يمحوهُ كر الايام والدهور ، اثر اقل ما فيهِ انهُ اخرج عجلة الفكر الشرقي عن دائرتها المحدودة التي كانت تدور فيها فزلت عنها الى ميدان فسيح مترامي النواحي متسع الجنبات. ذلك ميدان العلم البيولوجي الذي اعتقد بحق انهُ محور التقدم العالمي وان لا ارتقاء لامة من الامم ادبياً وعلمياً واجتماعيًّا بغير التوافر على درسهِ وتطبيق عملياتهِ وتفهم نظرياتهِ العميقة . وكان دكتورنا الكبير اكبر ركن من اركان هذه النهضة الكبيرة ، ويداً من اقوى

الايدي التي استقوت على عجلة الفكر فألوت بها عن سمتها الاول وخرجت بها عن قضيب الدائرة القديمة الحديدي فافلتت تطير في عالم اثيري من الفكر الحديث . وكما ان العلماء في الغرب لم يقدروا حتى اليوم مقدار النتائج التي سوف تترتب على نهضة داروين العظيم واثرها في تطور النوع البشري ، كذلك لا نستطيع في الشرق ان نقدر النتائج التي سوف تترتب على تلك الدفعة التي دفعت بنا فيها تلك اليد القوية ، ولا الى اي حد سوف نبلغ من اطراف ذلك التيه البعيد

قد يتساءل البعض ما هي تلك القوة التي تزودت بها تلك اليد القادرة على ان تحول عجلة الفكر الشرقي عن دائرتها القديمة ، وما هو السر الذي جعل مفتاح العلم يدور مرة اخرى في قفل ذلك الباب الذي اكل الصدأ جوانبهُ منذ أبعد العصور ? ولست اجد من شيء هو اهون عندي من الجواب . اما السر فهو تلقيح الافكار القديمة البالية بافكار جديدة ، وتغيير الاساليب القديمة باساليب حديثة ، وقتل العادات العتيقة التي نكب فيها الفكر بعادات تلائم مقتضى الزمان والمكان . اما الوسيلة فشيء ابسط من هذا كثيراً . وتنحصر في تفهم الجديد من المبتكرات العلمية والفنية والعقلية ونقلها بالترجمة الى عالم يجهلها على اننا لا ننسى هنا ان ابسط اشياء هذا العالم هي اكبر معضلاته كما ان في ابسط ذراتهِ تكمن اعظم قواتهِ . أليس هذا وحدهُ بكافٍ لان يخلد دكتورنا الفقيد ?

٣ — العلوم البيولوجية

علم البيولوجيا هو علم الحياة ، اي العلم بما هي الحياة . وهذا العلم الحديث ، اذا استثنينا الرياضيات والفلك ، يكاد يكون العلم الوحيد الذي تربي عملياته على نظرياته بمقدار ما يربي المحيط الزاخر على النهير الصغير . لهذا كان اثره في العالم كبيراً على حداثة عهدهِ

ومن اعجب ما يقع عليهِ الباحث المتعمق من طبيعة هذا العلم ان تأثيره في الاجتماع بالذات ثانوي اذا قيس بتأثير فروعهِ التي تشعبت منهُ . فالعلم بما في الحياة وما هي الحياة وما هي الكروموسومات وما هي النواة وكيفية التلقيح وما يترتب على كل هذه الابحاث العلمية من النتائج لا يقاس مثلاً بالآثار التي تخلفها في الذهن مباحث علم الحيوان او التاريخ الطبيعي أو الوراثة او الحفريات او الجيولوجيا وغيرها من فروع علم الحياة ، تلك العلوم التي تترك امامك الدنيا والعوالم والحياة كصور جغرافي لا تستقرئ فيهِ كيف

قامت الامبراطوريات وكيف دالت ، ولا كيف ثارت الشعوب وكيف هدأت عاصفتها ، ولا كيف تكونت المدنيات وكيف انحلت لاغير ، بل تقرأ فيها من صور الجمال والعلم ، ومن الوان الفن والعظات ، ما تسكن اليهِ نفسك سكونها الى صورة، الكون ميدانها والطبيعة فنانها الاعظم

يقول ارسطوطاليس — « في الشؤون العملية ليس الغرض الحقيقي هو العلم نظريًّا بالقواعد ، بل هو تطبيقها . ففيما يتعلق بالفضيلة لا يكفي ان يعلم ما هي ، بل يلزم زيادة على ذلك رياضة النفس على حيازتهـا واستعمالها » . وهذه القاعدة يصح تطبيقها على علوم الحياة ، كما صح تطبيقها عند ارسطوطاليس على فنون الاخلاق . فليس يكفي في علوم الحياة ان يحوز الانسان علماً بقواعدها ، بل يجب ان يتعمق فيها ليحوز ذلك التصور الواسع الذي لا يجعل هذه العلوم قواعد جامدة فقط ، بل يعطيك من العالم و نظامه فكرة فنية اساسها الجمال الذي يصدر عن المحسوسات والمرئيات ، ويزيدك في الحياة حبًّا ويزودك فيهـا بقوات عظمى تستخدمها لترقية النوع الانساني

يتبادر الى ذهن البعض ان العلوم العملية ومنها علم الحياة بفروعهِ هي اشبه الاشياء بالجوامد التي لا تبعث في النفس روعة ، ولا تخلق فيها جمالا . بل قد يذهبون الى أبعد من هذا . هم يصورون العلوم بالصخور الصلدة التي تتكسر عليها امواج الادب الذي يشبهونهُ بمياه البحر الناعمة اللطيفة . ولكن الحقيقة الواقعة على الضد من هذا . الحقيقة ان في جوف تلك الصخور الصلدة عالم من الجمال ، لا يمكن بحال ان يصل الى تصويرهِ الادب مهما ارتقت فنونهُ ومهما تعددت اساليبهُ . انما البلوغ الى هذا العالم الفني العظيم وقف على اساليب العلم وحدها . وفي حدسي أن هذه الاساليب لا بد ان يكون لها من الاثر البعيد في الآداب مالا نستطيع تقدير مداهُ ، وان كنا على يقين من انهُ تأثير سوف يبلغ مدى قصيًّا من تغيير الفكر الانساني في الحياة

ولا استطيع بحال من الاحوال ان ادعي ان هذه الصور قد قامت في عقول الناس عند ما بدأ الدكتور صروف يدافع عن مبدأ النشوء والارتقاء واحداً فرداً منذ اكثر من نصف قرن من الزمان . وهل تعرف ماذا يفهم من « نصف قرن » . يفهم منهُ ان روح التعصب كانت لا تزال بعيدة التأثير في العقول وكان الجامدون لا يزالون ملتصقين بجدران الزمان يسندون ظهورهم الى جملة من المذاهب الضيقة التي

اخذت لبناتها تنهدم لبنة بعد اخرى ، وكان في يدهم قوة التقاليد ينوهون بها على العلم واهل العلم وكانت المعركة لا تزال حامية الوطيس بين داروين وانصاره هربرت سبنسر وهكسلي من ناحية ، ومستر سان جورج ميفارت والاسقف ويلبرفورس من ناحية اخرى . ومن حول هذه المعركة دارت معارك اخرى في المانيا وفرنسا . بل لا تزال المعركة دائرة حتى اليوم في امريكا . وليس في امريكا وحدها ، بل في انكلترا ايضاً . فان المعركة التي دارت وتدور اليوم حول كتاب الصلاة المقرر في الكنيسة الانكليزية والاثر الذي خلفهُ خطاب السير آرثر كيت لا تزال اصداؤها ترن في آذاننا

هذا ما يعني بنصف قرن من الزمان . في بدايتهِ استمكنت تلك الصورة العلمية الرائعة الجمال من نفس دكتورنا الفقيد رحمهُ الله فقام يدافع عنها بقلمه ولسانه ، والناس بعيدون عن ان يدركوا ما انطوت عليهِ تلافيف دماغه من صور الجمال العميق الثابت ، لا الجمال الذي تحملهُ الكلمات والالفاظ والجمل ، التي قد تؤدي معنى ما او لا تؤدي . جمال العلم الثابت الذي هو اشبه بجمال الطبيعة ، يخلد ما بقيت صوره الخالدة السرمدية

الصورة الفردية التي تكونت في ثنايا ذلك الذهن الانسكلوبيذي الكبير لم تصبحُ اليوم صورة فردية . بل اخذت تمتد الى العقول وتغزو الافكار. كلا . بل غزت عقولا ولقحت افكاراً . وذلك الجمال الذي كونهُ عقل الاستاذ منذ نصف قرن من الزمان اخذت صورهُ تنتقل صورة بعد اخرى الى اذهان اهل الشرق

على ان لهذا الجمال آثاره العملية البعيدة في ادراك الناس . فليس هو بالجمال الاجوف الرنان الذي يبعث بهِ الشعر ، ولا هو بالجمال الذي تمطيهِ الالفاظ رونقاً وقوتاً تمحى صورهُ اذا تراكمت عليهــا اتربة الزمان ، بل هو الجمال المتجدد الدائم ، هو النبع الذي يفيض باكسير الحياة ، عجز عن العثور عليهِ الرواد في صدر التاريخ الحديث وعثر عليهِ العلماء في اواسط القرن التاسع عشر . اليس في نقل هذه الصور العلمية عن طريق علم الحياة اثراً خالداً يخلفهُ لنا صروف العالم ؟

٤ — تغيير اساليب الفكر

في اوائل القرن الثامن عشر لمع في اوربا نجم جديد اخذ الناس سناهُ . لمع في جو فرنسا نجم الفكرة الانسيكلوبيذية بعد ان كاد يأفل ذلك النجم افول غيره من شموس الفكر المضيئة التي لمعت ثم خبت نارها على مر الزمان. غير ان هذا النجم لم يرسل

باشعته لتبقى وتضيء العالم، بل لمع بهيًّا زاهياً وكأنهُ يودع العالم الوداع الاخير، فكان ذلك آخر عهد للفكر الانساني به

بزغ هذا النجم في العصر الروماني، وظل قويًّا خلال القرون الوسطى. ثم زاده اللورد باكون سناء وقوة اشعاع، وفاضت انواره في اوائل القرن الثامن عشر، وكانت اعمال سبنسر آخر ما بذل من جهد ليبقى ذلك النجم ساطعاً في سماء الفكر. ولكن حم قضاؤهُ ونزلت به صاعقة الموت على يد النشوئيين

ومن الغريب ان الاتجاه الانسكلوبيذي في جمع المعرفة وحصرها، قد ملك زمام كل الامم التي عنيت بالعلم والآداب في عصر ما من عصورها. فان هذا الطور بنفسه قد مرَّ به العرب، فكانت مدوناتهم وكتبهم الادبية والتاريخية بل ومعاجمهم، عبارة عن صور انسكلوبيذية، تقل او تزيد قيمتها باختلاف الاحوال. ولست ادرى بماذا نعلل هذه الظاهرة. غير انها ظاهرة ملموسة الآثار في التاريخ الفكري على كل حال

وكان للسياسة اكبر الاثر في جذب مصر وسوريا الى ناحية فرنسا، وهذه الفكرة لا تزال شديدة الاثر في العقول وفي الآثار العلمية. كان لنا ان نلجأ الى فرنسا التي تظاهرت بصداقتنا منذ نيف ومائة عام لنصد بهذه الصداقة تيار الاستعمار الانجلوسكسوني عن الشرق. ولهذا السبب وحدهُ تظاهرت فرنسا بالصداقة لسوريا ليكون لها هنالك قاعدة تقاوم بها نفوذ انكلترا التي بسطت سلطانها على الرجل المريض — تركيا — قضاء لمآربها. ومن هذا الطريق ذاعت صورة الثقافة الفرنسوية في مصر وسوريا وكان من اثر هذا ان انتقل الينا اسلوب الفكر الانسكلوبيذي لا بكل حسناته وسيئاته، بل بسيئاته وحدها

لم يحفزنا نقل هذا الاسلوب الى تدوين العلوم الحديثة ولا الى نقلها فنتخذها في الحياة العلمية اساساً. بل حفزنا الى اخذ الصور الالحادية التي اذاعها فولتير وديدرو وغيرهما من زعماء فرنسا في العصر الانسكلوبيذي. فتخالطت بذلك الصور وتلاشت اساليب الفكرة العلمية. ومضينا نتخبط في هذه الدياجير حتى اذا اسلم بنا الزمان الى اواخر القرن التاسع عشر واتجهت الفكرة الى نشر المذهب النشوئي، اخذت العقول سمتاً جديداً حولتنا اليه الفكرة الانكلوسكسونية في الحياة وعندي انها ليست فكرة في الحياة، بل هي الحياة بذاتها مصورة على ما يجب ان تكون الحياة الانسانية في اخص حالاتها العملية وعندي أن هذه هي نقطة الانفصال الحقيقي بين القديم والحديث في تاريخ الشرق العربي كله

لا تعطيك الفكرة الانسكلوبيذية في الحياة إلاّ صورة مما تقع عليه في تلك المعاجم الضخمة المشتتة المرامي التي اخرجتها جهود الانسكلوبيذيين . فانهُ من الصعب أن تقع في جماع تلك المجلدات الضخمة على مبدإ ينير للحياة سبيلها ويرسم لها قصدها وغايتها وما الحياة اذا لم يكن لها قصد وغاية ؟

في وسط هذه الفوضى التي نقلها الفكر الشرقي عن فرنسا اشعت اول الاقباس المضيئة منقولة عن النشوئيين في انكلترا . والحق أنه لا يجدر بنا أن ننسى فضل جامعة بيروت الامريكية في توجيهنا هذا التوجيه الذي كانت أساسه الحرية الفكرية المطلقة من كل القيود الثقيلة التي ربطتنا بالماضي على اعتقاد أنها النهاية التي لا يمكن أن نبلغ أكثر منها . فبين جدران هذه الجامعة قامت فكرة النشوء في عقل استاذنا الكبير ، وما أفلتت من بين هذه الجدران الاَّ لتملأ العالم الشرقي ضياء وتفيض عليه بفيوضها الحيوية

هنا انتقلت المعركة الى الشرق وما تزال قائمة . غير ان هذه المعركة قد اخذت في الشرق صورة تخالف الصورة التي اخذتها في الغرب . فاثرها في القضاء على الفكرة الانسكلوبيذية الفرنسوية يكاد يكون تاماً الآن . اما اثرها في القضاء على اساليب الشرق القديمة فلا يزال يحتاج الى كثير من الجهد البالغ . على ان الطريق قد مهد وازيلت اكثر عقباته ولم يبق الاَّ السير فيه بقدم ثابتة لنبلغ الى الحد الذي سبقتنا اليه الامم

وهذه خطوة اخرى من الخطى التي خطاها بنا الاستاذ الكبير . أفليست تكفي وحدها لان تجعل اثره في الشرق خالداً ؟

٥ — الآثار الاجتماعية

ورثنا عن القرون الوسطى فكرة الخلاص الاخروي ، على انها الفكرة التي يجب أن تتجه فيها جهود الحياة . فكأننا بهذا فصلنا بين معقول الحياة والحياة ، او بالاحرى فصلنا الفكرة في الحياة عن الحياة

في القرون الوسطى ، وفي بضعة القرون التي تقدمت قيام المعركة بين العلم وصور المعتقدات القديمة ، قامت في العقول فكرة ان نهاية العالم تقترب وان عمر الدنيا الفان من السنين ، وان القرن العاشر من الميلاد هو نهاية العالم . هنالك انصرفت الفكرة الى الآخرة . ومن الغريب ان انصراف الفكرة الى الخلاص الاخروي لا تزال آخذة بخناق كثير من الشعوب على الرغم من أن العالم لم ينتهِ بل لم يزل مشبوب القوة بالحياة .

والحقيقة ان الوسائل كانت تنقص اهل العلم والذين اكبوا على الاسلوب العقلي يستدررن وحيه . فلما اهتدى العقل الانساني الى تعليل كافٍ لمذهب النشوء اخذت تداعى جدران القديم حجراً بعد حجر واخذت الانسانية سمتها نحو مبدإ آخر ، هو ان الخلاص الدنيوي لا ينزل عن الخلاص الاخروي قدراً ولا ينحط عنهُ مكانة

ونزل الانسان عن عرش الملائكة . ولكن ليتربع على عرش آخر . هو عرش الحيوانات . وبان للناس ان السلسلة الطويلة التي انتهت بوجود البرعات وعلى رأسها الانسان ، اذ ترجع بدايتها الى ملايين كثيرة من السنين ، لا بد من ان تكون متجهة الى بلوغ حد قد تنتهي اليهِ بعد ملايين عديدة من الاعوام في مستقبل عمر الكون . وهذه الفكرة الجديدة ، على الرغم من انها قياس تمثيلي صرف ، على حد قول المناطقة ، كان لها من الآثار الاجتماعية ، ما تتضاءل امام الآثار التي خلفتها الاوهام في مصر وبابل واشور والكلدان خلال العصور القديمة

على ان هذه الآثار من المتعذر ان تحصى عدًّا . ولكن حسبنا ان نقول فيها انها نقلت الانسان من الآخرة الى الدنيا ، وكفى بهذا تصويراً لمقدار ما تنطوي عليهِ من الآثار الاجتماعية الكبرى

ان هذا الاثر الاجتماعي الكبير هو الذي تبلور عندهُ جهود استاذنا الكبير باعتباره عالماً بيولوجيًّا ادرك ادراكاً تامًّا ما يمكن ان تنتهي اليهِ نشر الفكرة البيولوجية في انحاء الشرق . وهنا نتساءل مرة اخرى ، أليس هذا وحدهُ بكافٍ لان يجعل استاذنا خالداً ؟

٦ — النتيجة

وبعد . فهذه هي الآثار التي ترتبت على اشتغال الدكتور صروف بعلوم الحياة . واني ليحزنني ان اكون اليوم راويها . يحزنني ان نفقد ذلك النجم الساطع في ليل أليل وفي عصر نحن احوج اليهِ فيهِ مما كنا الى امثالهِ في كل عصور التاريخ

ومهما يكن من امرِ هذه الصورة التي صورت بها ذلك الجهد الكبير الذي بذلهُ الدكتور العظيم ، فاني لأعتقد اعتقاداً لا يوهنهُ الشك بان المستقبل كفيل بان تتضاءل هذه الصورة امام اهله اذا ما اكتملت في العقول كفاءة القياس التاريخي وادركوا ان اسم صروف ينزل من تاريخ الشرق منزلة الحركات الفاصلة في تاريخ الفكر الانساني

توماس هاردي

THOMAS HARDY O.M.

لما كتب توماس هاردي قصتهُ الاولى « كيف بنيت لي بيتاً » ونشرها في مجلة تشمبرز في مارس سنة ١٨٦٥ لم يكن احد يعتقد حتى اذكى النقاد وابعدهم نظراً ان تكون هذه القصة اول مرحلة من تلك الحياة الطويلة الحافلة بآيات الابداع في النثر والشعر التي ختمت في اواسط يناير الماضي بين مظاهر الخشوع والاجلال في دير وستمنستر مقر عظماء الانكليز ونوابغهم. والمرجح أن هاردي نفسهُ لم يكن يحلم يوماً ما في فجر حياتهِ بشيءٍ من هذا. فانهُ كان حتى الساعة الاخيرة وديعاً بعيداً عن التظاهر وكان يوم نشر قصتهُ الاولى عاكفاً على اتقان فن هندسة البناء الذي انصرف اليهِ حينئذٍ وكان في ساعات فراغهِ فقط يكتب شيئاً من الشعر او النثر للتسلية

وُلد سنة ١٨٤٠ في بلدة بوكهامتن العليا من مقاطعة دورست بجنوب انكلترا وبقي حتى بلغ السابعة عشرة من عمرهِ قانعاً بعيشة فلاحيها الساذجة — تلك المعيشة التي رسمها في رواياتهِ بعدئذٍ بكل ما اوتيهِ من ابداع في الخيال وبلاغة وصدق في التعبير والتصوير. وكان ميالاً منذ نعومة اظفاره الى الاشتغال بهندسة البناء فلما اتيحت لهُ فرصة الانضمام الى موظفي مكتب السر ارثر بلومفلد المهندس المشهور بلندن اغتنمها وكان قد تلقى قواعد هذا الفن على مهندس في بلدهِ فساعدهُ ذلك على الامتياز بهِ ومما يدلك على انهُ مال بعقلهِ وقلبهِ الى عملهِ الجديد انهُ نال جائزة تيت على رسم هندسي وضعهُ ثم نال وسام معهد المهندسين البنائين الانكليز على رسالة وضعها في « فن البناء بالطوب الاحمر والترّاكوتا »

ولكنهُ لم يسر طويلاً على هذه الطريق. لانهُ لما بلغ الثلاثين من العمر ثبت لهُ ان ميولهُ كانت قد اتجهت اتجاهاً آخر لانهُ كان قد وضع حينئذٍ روايتهُ الاولى وعنوانها « الرجل والسيدة ». وكان قد مارس نظم الشعر خلال خمس سنوات عرف في نهايتها انهُ يميل بالاكثر الى تأليف الروايات فاهمل الشعر وصبَّ كل قواهُ على اتقان فن الروايات الخلاب ودمَّر كل ورقة كتب عليها شطراً من الشعر ولم يعد الى النظم الاَّ بعد ما كتب الكلمة الاخيرة في روايتهِ الاخيرة. وحينئذٍ نظم شعراً غنائيًّا بلغ فيهِ من تأجج العاطفة وسموّ الخيال وخلابة النغم الموسيقي ودقة الملاحظة

والوصف ما ادهش العالم لانهُ كان قد شارف الستين من العمر وهي سن يقف عندها اكبر الشعراء عن النظم الغنائي ويميلون في الغالب الى النظم الفلسفي

وكان موضوع الرواية الاولى التي نشرها « ادوية لا فائدة منها » طبعها سنة ١٨٧١ فلم تظهر فيها تلك الآثار التي تنمّ على مواهب كامنة لا تلبث ان تصقل بالمرانة وتتجلى لأعين القراء باهرة لامعة . وكانت القصة من نوع القصص الخلاَّبة بوقائعها ومفاجآتها ولكنها لم تبلغ المرتبة الاولى حتى ولا الثانية بين هذا النوع ولم تنل رواجاً ما في سوق الروايات فلم تطبع طبعة ثانية وبيع جانب كبير من نسخ الطبعة الاولى كما يباع ورق اللف بالوزن . وقد حدّث احد الكتاب الانكليز المشهورين انهُ كان سائراً في احد شوارع لندن القديمة حينئذٍ فمرَّ على رجل يبيع نسخ هذه الرواية وقد غلفها بورق سخيف كل نسخة منها بعشرين مليماً

من لنا بنسخة منها الآن ! اذن لبيعت الواحدة بمئات الجنيهات فان احد الذين يعنون بجمع الكتب النادرة ونسخ الطبعات الاولى من مؤلفات المؤلفين المشهورين كتب في المجلات الانكليزية يقول انهُ مستعد ان يدفع مائتي جنيه ثمن نسخة منها . ومن يعلم ان هذا الثمن لا يتضاعف اذا تبارى اثنان او ثلاثة للحصول عليها

وانقضت على هاري سنة اخرى وضع في اثنائها رواية اخرى موضوعها « تحت شجرة جرينوود » لم يستقبلها الجمهور بما يستقبل بهِ بعض الروايات في هذا العصر من الاقبال العظيم ولا عني بها النقاد فنشروا الاعمدة الضافية في وصف محاسنها ونقد مساوئها . ولكنّ نفراً قليلاً من القراء الذين ينعمون النظر فيما يقرأون عرفوا ان صاحبها ذو مواهب سامية ككاتب روائي وان روايتهُ هذه اشبه شيء بصورة دقيقة الصنع رسمتها انامل مصور مشهور فرسم فيها ما يُرى وما لا يراهُ الا المتفنن المبدع من جمال انكلترا وحياة فلاحيها . وكان احد هؤلاء القراء رجلاً يدعى فردريك جرينوود وكان محرراً لمجلة كورنهل فلفت نظرهُ اليها ان اسماً كاسمهِ عليها فاشتراها ليتسلى بها في القطار بين مكتبهِ وبيتهِ . فاعجب بما فيها من صدق وبلاغة في وصف روائع الطبيعة وحياة الفلاحين في الريف فدعا صاحبها وعهد اليهِ في كتابة رواية خاصة ينشرها في مجلتهِ تباعاً فوضع هاردي لذلك روايتهُ المشهورة « بعيداً عن الجمهور الصاخب »

وكأن يد الطبيعة دفعتهُ منذ البدء ليستعمل ريشتهُ الخلابة ببلاغتها الساذجة ليسخر من الحوادث التي تسوقها الحياة سوقاً اعمى في تصريف شؤون الناس وليصب

جام هزئهِ على ما في الخلق البشري من مواطن الضعف والوهن . فانهُ في روايتهِ « عينان زرقاوان » التي سبق تأليفها تأليف رواية كورنهل وصف فتاة زرقاء العينين فازت بقلب رجل مهندس يدعى اسطفان سمث وكانت على وشك ان تمنحهُ قلبها وتغدق عليهِ من حبها لما غاب سمث عنها لعمل اقتضى سفرهُ فاجتمعت برجل اكمل من سمث رجولة وابهى طلعة والحوادث التي تلي هذا الاجتماع قوام رواية عناصرها الحب المبرح والغيرة اللاذعة تنتهي بحادثة تمثل ما كان يراهُ هاردي في كثير من حوادث الكون والحياة : الخصمان مسافران في قطار واحد غير دارٍ احدهما بالآخر وغير عارفين ان على القطار نفسهِ جثة الفتاة الزرقاء العينين التي من اجلها اختصما . فان امثال هذا الاتفاق الغريب تتردد في كثير من قصص هاردي مع ما يقتضيهِ الزمان والمكان من التغيير . ومع ان هذه الصفة تضؤل كثيراً اذا قسناها بما تتصف بهِ مؤلفاتهُ من الصفات التي تجعلها خالدة بين قراء اللغة الانكليزية فانها ولا شك من ابرز الصفات فيها

اهمل هاردي هندسة البناء وعاد الى مسقط رأسهِ سنة ١٨٨٥ مقتنعاً ان الادب رسالتهُ في الحياة وهناك اخذ على عاتقهِ ان يكون مؤرخ المقاطعة ومصورها . فكأنهُ اقتطع لنفسهِ قطعة من ملك السكسون القديم مساحتها ١٤٠ ميلاً مربعاً تشتمل على مقاطعات دورست ودفون وسمرست وهمشير وولتشير وجعلها ملكاً لهُ يجلس على عرشهِ . هناك اتخذ من شروق الشمس وغروبها . ومن تغريد الاطيار وخرير الجداول ومن تعاقب الفصول ومن حوادث الفلاحين اليومية وما يتخللها من طرب واسى ومن ضحك وبكاء ومن الفة وغيرة حبراً غمس فيهِ ريشتهُ ودوَّن آياتهِ الخالدات . انك تقرأها فترى فيها آناً ذلك العبوس وتلك الرهبة التي كانت سدَى ولحمةً لاعظم المآسي في عصر الملكة اليزابت . ولكن اللطف في رواياتهِ يحاذي العبوس . والعطف والحنان يقابلان الرهبة والتقطيب . لانهُ دخل الى مكامن نفوس الفلاحين فعرف ما يساورها ولذلك كان ابداً يصبُّ جام نقمتهِ على صروف الاقدار العمياء تعبث بحياة الناس مظهراً ما فطرت عليهِ نفسهُ من الحنان الطبيعي والشفقة غير المتناهية على ضحاياها

وما زال ينشر من مؤلفاتهِ رواية اثر رواية الى اواخر القرن التاسع عشر وقد ضمنها كلها بضع مبادئ بنى عليها عقيدتهُ اولها ان الحياة او الطبيعة تتخذ من النساء حجر عثرةٍ تلقيهِ في سبيل كلّ رجل يبذل جهداً للتقدم والارتقاء وان في الحياة قوة عمياء تسوقنا الى غايات لا ندريها اقوى جداً من كل المساعي التي نبذلها

ولما كتب الكلمة الاخيرة في روايته « يود المهمل » قال النقاد ان القرن التاسع عشر سيطوي معهُ كاتباً روائيًّا من اكبر كتابهِ . ولكن هاردي حيرهم حينما نشر في سنة ١٨٩٨ مجموعة قصائد لولا انها مطبوعة بطابع فكرهِ وفلسفتهِ لقيل ان ناظمها شاب تلتهب في صدرهِ حرارة الشباب

وما هي فلسفة هاردي ؟ يصعب جدًّا استخلاص فلسفة منتظمة القواعد والمبادئ من رواياتهِ لان عمل الروائي ليس التبشير بمبدإ ولا اذاعة رأي بل عملهُ استعراض حالات الحياة كما تتراءى لهُ مجسمة في رجال رواياتهِ ونسائها وفي كل حالة من هذه الحالات تتخذ الحياة من الروائي قلماً يدوّن صورها واحوالها . فهاردي بطبيعتهِ رجل هادئ يميل الى الانزواء والتأمل جلس على عرشهِ في مملكة « وسكس » يتأمل في احوال الحياة وامجادها وآلامها وسخافتها فصوّرها في رواياته صوراً بديعة رائعة مروّعة ولكنها دائماً واضحة جلية كأنها صور فتوغرافية فاذا هي رجالاً ونساء في خضم الوجود تتقاذفهم امواج المصادفات والاقدار العمياء التي يفرحها ان تسلبهم اشهى ثمار سعادتهم وقد كادوا يقطفونها من شجرة الحياة وان تسخر من اسمى مبادئهم واشرف اعمالهم وان تدفعهم امامها عن قصد او على غير هدًى الى الاضطراب والفوضى والهلاك الجسدي والروحي . وليس في ذلك تشاؤماً كما يقولون بل هي صورة حقيقية للحياة كما يراها بعض الناس . وقد اشار هاردي الى ذلك في مقدمة احد دواوينهِ فقال « ان كان لدينا طريق للتقدم والاصلاح فالسير عليها يستدعي النظر مليًّا الى كل الشرور »

وبعدما نشر ديوانهُ الاول سنة ١٨٩٨ اتبعه بديوان آخر سنة ١٩٠١ ثم بروايتهِ الشعرية الخالدة التي عنوانها «الجبابرة» وهي قصة الصراع العالمي في عصر نبوليون فانهُ اخرجها في ثلاثة اجزاء الاول صدر سنة ١٩٠٤ والثاني سنة ١٩٠٦ والثالث سنة ١٩٠٨ . وبقي ينظم الشعر الى آخر ايام حياتهِ . ولم يكن الانتقال من تأليف الروايات الى نظم الشعر انتقالاً فجائيًّا في حياتهِ فان كلَّ قارئ لرواياتهِ يعثر في كل فصل منها بل في كل صفحة من صفحاتها على عبارات وخواطر لا تصدر الاَّ عن مخيلة شاعر مطبوع . وما كانت بحور الشعر واوزانهُ الاَّ قيوداً تقيّد افكارهُ المجنحة التي تكثر في رواياتهِ . فوفاة هاردي ازالت من عالم الادب الانكليزي روائيًّا من اعظم الروائيين وشاعراً اذا لم نضعهُ مع شعراء الطبقة الاولى فلا شك انهُ خالد بخلود اللغة الانكليزية . فخسارة الانكليز بموته كبيرة بقدر الفائدة التي جنوها من حياتهِ الطويلة الحافلة بالمآثر والآيات

كيف تصلح الامة

٢

وما هو التهذيب الراقي؟ لو سألنا إحدى المدارس هذا السؤال لاجابت قائلة: إن التهذيب هو تحصيل العلوم والاخلاق. أما التهذيب الراقي فهو ما صُبغ في مصبغتنا الخاصة. وفي البلاد مدارس عديدة، كما قلت، ولكل مدرسة مصبغة

إن هناك ولا شك بعض التفاوت في المادة وفي الطريقة — في الصباغ وفي الادوات ولكن الحقيقة الاولى التي نشاهدها ونلمسها ونتألم منها هي اننا على تعدد المدارس سائرون على ما يظهر الى الوراء. فما السبب في ذلك؟ هل المدارس لا تفيد؟ هل العلوم التي يتلقنها الطلبة لا تفيد؟ هل هو التهذيب الطائفي أو الملي أو الاجنبي؟ هل هو الادب الخيالي أم هو الادب التنيق البالي؟ ما السبب، هل هو تعدد المدارس، في تفكك الجامعة، وتشتت الكلمة، وفساد الاخلاق وانحطاط القوى المعنوية في الامة؟

من المسائل التي لا تحتاج الى برهان أن التعليم اساس العمران. هي من الاوليات المعروفة المبتذلة. التعليم سياج الوطن. التعليم ركن من اركان الحرية والاستقلال. ولكننا، ولا وطن جامع لنا لا نحتاج الى السياج. اذن لا حاجة الى العلم؟!

إن العلم لمن ألزم ما يلزمنا، ولكنهُ وحده لا يفيد كثيراً. العلم اذا جُرِّدَ عن التربية الحقة يزيد المرء قوة ولا يزيده ادباً، يرقي فيهِ القوى العاقلة ولا يكوّن الاخلاق ولا يهذبها. انهُ يمكّن المرء من السعي الموفق في سبيل الدنيا، ويضعف فيهِ القوى الادبية والروحية التي يرتكز عليها حب الوطن

ان في العالم اليوم طريقتين أوربيتين في التعليم الراقي اي الطريقة الانجلوسكسونية والطريقة اللاتينية، وان في البلاد مدارس تتمثل فيها كلتا الطريقتين. ولكن أرباب الفكر وذوي الثقافة في علمَي التعليم والتربية يفضلون اليوم الطريقة الانجلوسكسونية على الطريقة اللاتينية. فقد قام حتى في فرنسا كتّابٌ يحبذون الطريقة الاولى اجمالاً ويفضلونها على الثانية، ومن هؤلاء الفيلسوف لهبون والسياسي ليون بورجوى، وصاحب كتاب «سر تقدم الانكليز»

لا يسمح الوقت والمقام لشرح الطريقتين ، وبيان الفوارق بينهما ولكني أذكر مثلاً ان المدارس اللاتينية تعوّل كثيراً في الدروس والامتحانات على الكتب والذاكرة والمدارس الانجلوسكسونيــة تعوّل على العقل والعمل. قال غوستاف له بون : «الشاب اللاتيني يتعلم لغة من اللغات بدرس كتب النحو والاستعانة بالمعجم ، ويظل عاجزاً عن ان يتكلم تلك اللغة . والشاب الانكليزي يتعلم لغة من اللغات دون ان ينظر في المعجم او في كتاب من كتب النحو وانما يقرأ ويتكلم. وبهذه الطريقة استطاع الانكليز ان يكوّنوا لأنفسهم طبقة راقية جداً من العلماء العاملين »

فمن كلام له بون يتضح ان في المنهج الانجلوسكسوني يعتمد الطالب اولاً على التجربة والعمل. وفي المنهج اللاتيني يعتمد اولاً على الكتب والنظريات. وهاكم ملاحظة اخرى من كتاب « روح التربية » تأليف له بون . قال الفيلسوف الفرنسي: « لا يكاد الشاب الانكليزي او الاميركي يخرج من المدرسة حتى يجد طريقهُ الى العمل واما الشاب الفرنسي فبعد ان ينال الشهادة الثانوية او « الليسانس » يبقى عاجزاً عن كل شيء فاما ان ترزقهُ الحكومة وإما ان يضيع »

هو ذا السبب الاول عندنا ايضاً في إخفاق التعليم على الاجال . هو ذا السبب في عجز شباننا طلاب الوظائف. فاما ان ترزقهم الحكومة وإما ان يضيعوا او يهجروا البلاد

اما مدارسنا الوطنية غير الاسلامية فهي في منهجها اما لاتينية وإما انجلوسكسونية وليس في الشرق او فيما يهمنا اولاً من الشرق اي البلاد العربية منهج تعليم خاص منهج صالحٌ عصري فنفضله على المناهج الاوربية . لذلك ترانا في الاختيار مكرَهين . ولا اظنكم تنكرون بعد هذا الايضاح ان لا بد من التفصيل . فاذا سئلت اي الطريقتين افضل اجيب : إني من رأي العلماء الافرنسيين له بون وبورجوى وصاحب كتاب « سر تقدم الانكليز » في تفضيل الطريقة الانجلوسكسونية ، من وجوه عديدة ، على الطريقة اللاتينية .واني فوق ذاك أقدم التربية على التعليم، لان الغاية القصوى من التربية هي الاخلاق وحاجتنا الى الاخلاق هي أشد منها الى العلم

وما هي التربية ؟ التربية الحقة من وجهة علمية تُحصر في سلامتين ، سلامة الجسد وسلامة العقل . ولكننا نرى الحياة ناقصة اذا نظرنا اليها من الوجهة العلمية وحدها . فيجب ان تنظر ايضاً اليها من النواحي الأدبية والروحية والاجتماعية . عندئذ تتجاوز

التربية صحة الجسد والعقل الى ما فيه الخلق الكريم ، والذوق السليم ، والقلب القويم

ان التربية الحقة قائمة على أصول كثيرة ، اهمها في نظري (١) الاعتماد على النفس (٢) وكرامة النفس (٣) وحسن الظن بالناس (٤) وحرية الإرادة (٥) والجرأة الادبية (٦) ونبذ العقائد والتقاليد القديمة البالية (٧) والصراحة والصدق في القول (٨) والاستقامة في الرأي وفي العمل (٩) وحب العدل والانصاف (١٠) واللاطائفية بل واللادينية في السياسة وفي الآداب

هذه عشرة اصول في تكوين الاخلاق العالية ، وسأنظر موجزاً في بعضها :

ان في الاعتماد على النفس اعزازاً لشأن المرء وشؤون الامة . وان فيه لذة خاصة غير اللذة التي تجيء مع النجاح . ان فيه لذة السعي ، والخُبر ، والاكتشاف . ومن باب الاعتماد على النفس الاستقلال الفكري . على كل امرىء أن يفكر لنفسه ، ان يمرّن العقل على التفكير ، ان يعوّد النفس المراقبة والتحليل فلا يقبل رأي غيره ، او طريقة جاره ، قبل ان يختبر صحتها ، وتحقيق صوابها . الاستقلال الفكري يخرج بالمرء من اخاديد التقاليد والعقائد الى ما انفرج من سبل المعرفة ، والى ما اتسع من جادات الحياة

اما حرية الارادة فانا في الشرق لفي اشد حاجة اليها . لا اريد بحرية الارادة معناها الوضعي الفلسفي . ولا أريد بحرية الارادة ان ينزع كل امرىء الى اهوائه ، ويسترسل في التفرد والأثرة المفضيين الى تفكك الجامعة والى الفوضى . انما اريد بحرية الارادة ان يدرك المرء الحسن والاحسن في كل شيء ، وان يريد للناس كما يريد لنفسه ، الأحسن دائماً . وان يدرك الواجب عليه ، وان يريد القيام به دون ان ينبَّه لهُ او يكره عليه . وان يدرك روح السيادة فيريد القومة السليمة على شدة احكامها ، ولا يريد الفاسدة الاثيمة على تساهلها

إعلموا ، رعاكم الله ، ان المرء يفوز بكل ما يسعى اليه — ينال كل ما يطلبهُ وكان في حيز المعقول — اذا اجتمعت في سعيه كل قواه ، وانحصر في طلبه كل قلبه ، وكل عقله ، وكل نفسه ، وينبغي لهُ ان يكون في الحالين ثابتاً ، ومفادياً فوق ذلك ، بكل ما لا يساعد في تحقيق غرضه الاكبر . ان تمرين الارادة في الصغائر والكبائر من الامور يزيدها قوة ومرونة ، ويمكن صاحبها من السعي المستمر والثبات . انما الارادة روح الثبات ، وان في الثبات الفوز المبين

وهناك دعامتان من الاخلاق السامية متزعزعتان عند الشرقيين، هما الجرأة الادبية وحب العدل والانصاف. ليست الجرأة الادبية ان تنتقد الحكومة والرؤساء فيما تكتب او تقول وانت خالٍ بمكتبك او بيتك. بل الجرأة الادبية هي في المواجهة والمصارحة. هي في قولك « لا » عند ما لا تستطيع ان تطيع، وفي قولك « نعم » عند ما الحقيقة توجب عليك الطاعة. أجل، ان الجرأة الادبية هي في وقوفك امام حاكمك او رئيسك سامد الرأس عزيزاً كريماً، فتحترمهُ وتطيعه في مواقف الحق، وتخالفهُ ولا تذعن لامره في مواقف الباطل. واما حب العدل والانصاف، لغيرنا كما لانفسنا، فهو من اشرف السجايا البشرية. ان من يشعر بذنبهِ ويقبل القصاص راضياً صابراً لاشرف ممن يشعر بحقهِ ويطالب بهِ. وان من يطلب العدل لنفسهِ فقط يكشف عن نقص في خُلقه وادبهِ. يجب علينا اذن ان نعلّم الاولاد في المدارس وفي البيوت ان يقبلوا العدل وان كان عليهم، وان ينصف بعضهم بعضاً حتى في اللعب والمباراة

وهناك الاخيرة من دعائم الاخلاق العالية وهي جديرة بان تكون الاولى. هي الزم ما يلزم في تكوين اخلاقنا. من العقبات التي تعترض الشرقي عموماً في ارتقائه، والعربي خصوصاً: عقبةٌ جهنمية يُكرَم عندها ابناء الطاعة والجهل — او ابناء الطاعة والمصلحة — ويقضى فيها على الحرية والاستقلال. عقبةٌ اقامها رؤساء الاديان وزرعوا في جوانبها شوكاً وقلاماً. عقبة يلجأ الى اكواخها كل من يخشى النور، نورَ العلم والحرية والرقي المدني، وكل من يرفض الاخاء والوحدة القومية والمساواة خوف ان يُغبن فيها. عقبة تبعد الناس بعضهم عن بعض، وتثير الناس بعضهم على بعض، فتتفكك عناصر الامة، وتتقوض اركان الوطن. هي عقبة كالداء. ولا حياة لنا راقية، لا حياة وطنية جامعة، الاّ في تذليلها او هجرها

وهل من حاجة الى تسميتها؟ لا يا اخواني، ليس الدين ما اعني. انما الدين سهلٌ منبسطٌ فسيح فيهِ طرقٌ للشعوب كلها. اما العقبة فهي محوطة بالاسلاك الشائكة. العقبة هي الطائفة، هي الملة بل هي الفكرة البشرية الصغيرة التي تخرج بنفسها من دائرة الانسانية الكبرى، فقلما ترى الفضل في غير ابنائها، وقلما تريد الخير لغير ابنائها. وما اجمل ما قالهُ في هذا المعنى صديقي الشاعر الاميركي إدون مركهام واليك ترجمتهُ:

« ان المتعصب رسم دائرة صغيرة لنفسهِ وجعلني انا الكافر خارجها. ولكني

والحبُ عزني غلبناهُ ، فقد رسمنا دائرة كبيرة وجعلناهُ ضمنها »

اخواني ، ابناء وطني ، أليس في امكاننا ، اذا استمنا بالحب والتساهل وبشيء من التضحية ان نرسم الدائرة الكبرى التي ستضمنا كلنا جمياً — كلنا ابناء السهول وابناء السواحل وابناء الجبال ؟

اخواني ابناء وطني ، ان اول ما يلزمنا في هذه البلاد السورية اللبنانية الفلسطينية الحورانية في هذه البلاد التي تعددت فيها المعابد والمعاهد الدينية ، والمدارس والمساوئ المذهبية ، انما هو الشعور الوطني الخالص من شوائب المذهبيات والطائفيات كلها — الشعور الصافي السليم الخالص للوطن

قلت هذا منذ خمس وعشرين سنة — قلتهُ مراراً — ولا ازال ارددهُ . انما الحاجة الى ترداده اليوم هي أشد مما كانت في الماضي . منذ خمس وعشرين سنة وانا اكتب واخطب لهذه الغاية القصوى التي يستقيم عندها الشعور الوطني الشاملُ لاجزاء الوطن كلها . ولا تزال الامة من هذا القبيل حيث كانت منذ خمس وعشرين سنة ، ولا ازال مع ذلك — بل لذلك — ثابتاً في الدعوة ، مثابراً على الجهاد

قلت ولا ازال اقول : علينا ان نرفع في شؤون الحياة المدنية الوطن على الدين

وعلينا ان ننسى خارج الكنيس والكنيسة والخلوة والجامع اننا اسرائيليون او مسيحيون او دروز او مسلمون . بل علينا ان نفكك الطوائف كلها لنستطيع ان نؤلف طائفة الوطن الكبرى . اجل علينا ان نسعى في تأليف وطنية عالية شاملة . وركنها الاول الوحدة القومية الجغرافية ، وان نعزز هذه الوحدة بالاعمال لا بالاقوال . وعلينا ان نغرس هذه الفكرة في البيت وفي المدرسة ، وان نؤسس الجمعيات للنساء والرجال لبثها في الأمة

ايتها الام اللبنانية ، ايتها الام السورية ، ايتها الام الفلسطينية ، اننا تناديك باسم الوطن الذي سيعيش فيهِ أبناؤك ، فهل تريدين ان يعيشوا احراراً اعزاء او عبيداً اذلاء ؟ ان في طاقتك ان تساعدي في بناء الوطن الجديد ، بل ان في طاقتك ان ترفعي وحدك أركانهُ الكبرى . انا تناديك ايتها الأم ونستعين بك . انت نصف الامة ، بل أنت في حال التكوُّن الوطني الأمة كلها . علمي ابناءك محبة الوطن الحقة . قولي لهم : ان الاجنبي لا يحترمهم اذا كانوا لا يحترمون انفسهم . قولي لهم : ان الاجنبي لا

يحتقر لغة اجداده ، بل يحتقر في قلبه من يحتقر لغة الاجداد . قولي لهم : ان اللغة العربية لغتهم فليتعلموها ، وليتقنوها ، وليعززوها . قولي لهم : ان الاجنبي لا يغار على مصالح بلادهم وعلى لغتهم اذا كانوا هم لا يغارون عليها . عليهم ان يخلصوا للوطن قبل ان يخلصوا للاجنبي ، بل قبل ان يخلصوا لانفسهم . عليهم التساهل الديني ، والتضامن السياسي والاجتماعي . عليهم ان يكونوا سوريين اولاً ، ولبنانيين او شاميين او فلسطينيين بعد ذلك . عليهم ان يكونوا سوريين اولاً ، ومسلمين او مسيحيين او دروزاً او يهوداً بعد ذلك

ايها المعلم ، علم تلاميذك الحرية فكراً وعملاً ، والاستقامة فكراً وعملاً ، والتساهل فكراً وعملاً . وعلمهم وان كنت اجنبيًّا ، ان من واجباتهم الاولى ان يعتمدوا على انفسهم ، فيستغنوا تدريجاً عن الاجانب . نعم ، يا افاضل الاجانب ، ان فضلكم الاكبر هو ان تعلمونا لنستغني عن فضلكم

ايها الاديب، ارح هذه الامة من الاحلام والاوهام . ارحها وارح نفسك من البكاء والنحيب واعطها بدل شعر الخيال والدموع، شيئاً من لب العلوم الحديثة واعطها شيئاً من الحقائق الوضعية والمبادىء العملية في الحياة . كن طبيباً قاسياً ، لا حبيباً مؤاسياً . كن من المشيدين لبناء التضامن القومي لا من الهادمين . واذكر، رعاك الله، مسلماً كنت اومسيحيًّا او درزيًّا او اسرائيليًّا ان التعصب الديني لغايات سياسية او التعصب السياسي لغايات دينية هو اخبث انواع التعصب وشرُّها

ايها الرؤساء ، ارشدوا الامة الى ما فيه خيرها ههنا — في هذا العالم — وربُّنا ، لا يحرمها خير الآخرة . ساعدوا في تكوين العاطفة الوطنية الجامعة ، ساعدوا في تشييد الوحدة القومية . كونوا ، اكرمكم الله ، من البنائين

ايها السادة والسيدات ، اني على يقين من ان اصلاح هذه الامة الحقيقي الثابت إنما هو بالمدارس اللامذهبية ، وبالتربية الوطنية الجامعة . عندئذ يقوم الوطن على اركانه كلها ، وفي مقدمتها الوحدة القومية التي لا تتم بغير التفكك الطائفي

امين الريحاني

درس الآثار في الجامعة المصرية

وفذلكة في تاريخه من عهد الخديوي اسماعيل الى اليوم

لما القى الاستاذ احمد لطفي السيد بك خطبته يوم الاحتفال بوضع اساس الجامعة المصرية في ٧ فبراير الماضي ، اشار الى قسم الآثار في كلية الآداب وحالة طلبته ومستقبلهم ثم قال : « . . . ينبغي ان يعنى بهذا القسم عناية خاصة حتى يصير معهد تعليم الآثار مقصوداً من كل ناحية . والعمل في الجامعة متجه الى انشاء قسم للآثار العربية بجانب قسم الآثار المصرية . ومن الطبيعي ان تكون مصر بلد الآثار هي المركز العام للبحوث الأثرية لا ان يستمر المصريون يتعلمون عن غيرهم آثار آبائهم » فطلبنا الى الاستاذ توفيق حبيب افندي ان ينشيء لنا مقالة في تاريخ هذا الموضوع فلبى الطلب وهذه مقالته :

دراسة الآثار في ايام الخديو اسماعيل

ومن الغريب أن لا تكون هناك مساعٍ جدية لدراسة الآثار وتشجيع الطلبة على التعمق في بحث تراث الاجداد والاسلاف . وكل ما فعلناه في السنوات الستين الماضية محاولات ضعيفة قضت عليها عوامل قوية مختلفة . وانتهى بنا الامر الى ان نبدأ اليوم بمثل ما بدأ به الخديو اسماعيل

فبعد ان مهّد لماريت سبل البحث عن الآثار ومنع العبث بها ، جمع ما تفرق منها هنا وهناك في الدار التي خصصها لها ببولاق (على شاطىء النيل بالقاهرة) . ثم اسس مدرسة لتعليم اللغة المصرية القديمة في منزل الشيخ الشرقاوي بجوار سيدي القللي ببولاق . وعين الاستاذ بروكش باشا ناظراً عليها بامر كريم في اغسطس سنة ١٨٦٩ وكان عدد تلاميذها عشرة . وقد وصفها مؤلف كتاب « تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل » بقوله :

« . . . فقد عهد (الخديو اسماعيل) بادارتها وتعليم الطلبة فيها الى العالم الالماني بروكش — وكان من فحول رجال الفن ، وله فيه المؤلفات الشيقة الممتعة — فما زال بالطلبة المتعلمين على يده حتى اوجد فيهم روح الاهتمام بالماضي المصري السحيق ، بالرغم من الهاوية التي حفرتها العقائد بين عصر الفراعنة وعصر اسماعيل . واشهر من نبغ من تلامذته العالم الاجيبتولوجي الوديع احمد بك كمال »

واقفلت هذه المدرسة في دسمبر سنة ١٨٧٦

وبقيت البلاد محرومة دراسة هذا العلم حتى أُنشئ نادي المدارس العليا لاربع وعشرين سنة خلت ، فاخذ المرحوم كمال باشا يلقي فيه محاضرات في الحضارة المصرية القديمة . ثم نظمت هذه المحاضرات لما انشئت الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨

الدراسة المنظمة

ولما كان المسيو ماسبرو مديراً للمتحف الح عليه كمال باشا في انشاء مدرسة لتعليم اللغة المصرية . فانشئت في بيت صغير مجاور للمتحف على نفقة وزارة الاشغال ودخلها خمسة تلاميذ درسوا فيها الهيروغليفية والعربية وعلم الآثار . ولما اتموا دراستهم عينوا ملاحظين في مراكز الآثار بالمديريات . ولكنهم لم يلبثوا فيها طويلاً بل فُصلوا وحلّ محلهم موظفون اداريون لا يعرفون من العلم قليلاً ولا كثيراً

وفي سنة ١٩١٠ سعى كمال باشا لدى احمد حشمت باشا ، وزير المعارف حينذاك ، في انشاء فرقة لدراسة الآثار بمدرسة المعلمين العليا . فتم لهُ ما اراد ودخل هذه الفرقة الطلبة الافندية سليم حسن ، محمود عبد الوهاب ، محمد فهيم ، الدكتور حسن كمال ، رياض جندي ملطي ، رمسيس شافعي ، احمد البدري . وكان كمال باشا يلقي عليهم محاضرتين في الاسبوع احداها في المدرسة والثانية في المتحف مطبقاً اقواله على ما يشاهدونهُ من الآثار . ورافقهم في رحلة علمية لزيارة الآثار بالوجه القبلي

ثم الفت فرقة ثانية من ستة تلاميذ درّسهم كمال باشا وصحبهم في زيارة الآثار

وأُرسل الافندية سليم حسن ومحمود حمزة وسامي جبره من طلبة السنة الاولى الى اوربا للتوسع في دراسة الآثار المصرية . ولما عادوا عُيّنوا في المتحف

ثم اكتشفت آثار توت عنخ امون واهتمت بها الامة ، ففكّر يحيى ابراهيم باشا — وكان وزير المعارف وقتذاك — في انشاء مدرسة للآثار . وفاوض كمال باشا في الموضوع مليًّا . واتفقا على ان يضمن لابكار المتخرجين في هذه المدرسة حق الخدمة في مصلحة الآثار المصرية ، سواء في المتحف او فروعه

ثم تولى توفيق رفعت باشا الامر في وزارة المعارف . وشرع في تنفيذ فكرة سلفه ورتب كل ما يلزم لافتتاح المدرسة ونفقاتها واساتذتها ورحلات التلاميذ الخ

ومن المصادفات الغريبة ان توفي كمال باشا في اليوم الذي صدر فيه امر وزارة

المعارف بتعيينه مديراً لمدرسة الآثار واستاذاً للغة المصرية وعلم العاديات فيها وكان ذلك في صيف سنة ١٩٢٣

في مدرسة المعلمين — سنة ١٩٢٤

وفتح قسم دراسة الآثار في يناير سنة ١٩٢٤ ملحقاً بمدرسة المعلمين العليا . وانتظم في سلكه ١٧ طالباً من الحاصلين على البكالوريا . وانضمّ اليهم عشرة طلاب مستمعين من غير الحائزين لشهادة مدرسية

وتولى الاساتذة جولنشيف (المستشرق الروسي ومن كبار علماء اللسان المصري) تدريس الهيروغليفية . والدكتور جورجي صبحي (الاستاذ بمدرسة الطب) اللغة القبطية . والدكتور علي العناني ، اللغة العبرية . وعبد الرحيم بك عثمان ، جغرافية الشرق القديم . والاب سان بول جيرار (امين مكتبة المعهد الفرنسي الشرقي بالقاهرة) اللغة اللاتينية

في سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥ المدرسية

واستؤنفت الدراسة في السنة المدرسية التالية . فانقطع الطلبة المستمعون من انفسهم وانتقل طلبة السنة الاولى الى الثانية . ودخل اربعة طلاب السنة الاولى . واضيف الى بروجرام السنة الثانية الدروس الآتية وهي : اللغة اليونانية — يدرّسها الاب سان بول جيرار . والآثار المصرية — يدرّسها المسيو كويبز (من رجال المعهد الفرنسي الشرقي بالقاهرة) وبدأ هذا الاستاذ يصحب الطلبة الى متحف الآثار المصرية بالقاهرة لتطبيق دروسه على الآثار المعروضة

في الجامعة المصرية (سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥ المدرسية)

افتتحت الجامعة المصرية (بعد ضمها الى الحكومة) في هذه السنة . واصبح درس الآثار قسماً من كلية الآداب . ووضع له بروجرام جديد . وادخل الى السنة الثانية طلبة الآثار المنقولون الى السنة الثالثة . والى السنة الاولى الطلبة المنقولون الى السنة الثانية

وجعلت مدة دراسة الآثار اربع سنوات يحصل بعدها الطالب على شهادة ليسانس في الآداب . وبعد سنتين على الاقل يقدم رسالة (اطروحة These) للحصول على درجة ماجستير . وبعد سنتين اخريين يقدم رسالة ثانية للحصول على الدكتوراه

وفي هذه السنة المدرسية انضم الى طلبة السنة الاولى طالب جديد فاصبحوا خمسة . وبقي طلبة السنة الثانية على حالهم اي ١٧ طالباً . وحدث تغيير يذكر في الاساتذة

فاصبحوا : الدكتور طه حسين لآداب اللغة العربية . المسيو دوبريه لآداب اللغة الانكليزية. والاستاذ ميشو (عميد كلية الآداب) للغة الفرنسية . الاستاذ لالند والدكتور منصور فهمي والشيخ مصطفى عبد الرازق للفلسفة . الاستاذ جراندور (البلجيكي) لتاريخ اليونان القديم . سامي افندي جبره (من امناء المتحف المصري) لتاريخ مصر القديم . الاستاذ جولنشف للغة المصرية القديمة . سليم افندي حسن (من اساتذة الجامعة وامناء المتحف المصري) للآثار المصرية . الدكتور كابوفللا (الايطالي) للغة اللاتينية . الاستاذ جريجوار للغة اللاتينية . الدكتوران جورجي صبحي واهمس ليبب للغة القبطية بلهجاتها المختلفة

سنة ١٩٢٦ — ١٩٢٧

في هذه السنة اصبح طلبة السنة الثالثة ١٥ طالباً وطلبة السنة الثانية اربعة طلاب ودخل الى السنة الاولى ستة طلاب وبدأ طلبة السنة الثالثة في التخصص فصاروا يدرسون اللغات المصرية والقبطية واليونانية واللاتينية والالمانية والآثار وتاريخ البطالسة

سنة ١٩٢٧ — ١٩٢٨

بقي عدد الطلبة في هذه السنة كما كانوا في السنة الماضية . ودخل الى السنة الاولى اربعة طلاب . وشرع طلبة السنة الرابعة (النهائية) يتلقون الدروس الآتية : التاريخ التطبيقي للاستاذ سامي جبره (باللغة العربية). الادب الاسكندري (عصر اليونان والرومان بالاسكندرية) للدكتور كابوفللا (باللغة الفرنسوية او الانكليزية) . اللغة الديموطيقية للدكتور صبحي . فن تنظيم المكاتب للاستاذ جروجان، امين مكتبة الجامعة (بالفرنسوية). فحص ورق البردي للاساتذة جولنشف وجريجوار وصبحي

ويقوم الاستاذ سليم حسن بتدريس الطلبة علم الآثار تدريساً عمليًّا بفحص الآثار المصرية سواء في المتحف او الوجه القبلي

رسائل الطلبة

وكلف طلبة السنة الرابعة تقديم رسائلهم لغاية يوم ١٥ ابريل الجاري باحدى اللغتين الفرنسوية او الانكليزية لفحصها . فمن قبلت رسالته سُمح له بالدخول الى الامتحان

وهذه اسماء الطلبة وموضوعات رسائلهم : حسن صبحي — لوحتان تذكاريتان للملك امنحوتب الثالث والامير بنواعي (وكلاهما من العائلة الثامنة عشرة المصرية) . رزق الله نجيب مكرم الله — التوابيت . عبد الهادي حمادة — لوحتان

تذكاريتان . نسيم جرجس — لوحة تذكارية لتوت عنخ امون . جرجس متى — خطاب قبطي . احمد فخري — موائد القرابين . ادوار غازولي — لوحة تذكارية لامنوفيس الثالث . وديع حنا — متحف الآثار القبطية. فؤاد بغدادي — التماثيل . انطون زكري — حياة قديس قبطي . نجيب فرج — لباس الرأس عند قدماء المصريين . احمد عبد المنعم يوسف — الابواب الكاذبة . لبيب حبشي وموريس رفائيل — اللغة المصرية القديمة

مستقبل المتخرجين

وفي نية الجامعة ارسال بعثة مؤلفة من اربعة من المتخرجين في قسم الآثار الى اوربا للتخصص في دراسة الآثار المصرية. وبعد عودتهم يعينون إما اساتذة في الجامعة او موظفين بالمتحف . وينتظر تعيين اثنين منهما ناظرين لمدرستي الاهرام والاقصر اللتين تقرر فتحهما في السنة القادمة لتعليم التراجمة والادلاء

وهناك ثلاثة يتأهبون للاشتغال باعمال حرة ذات علاقة بالآثار والسياحة في مصر

الجمعية الأثرية المصرية

والف طلبة الآثار في سنة ١٩٢٥ جمعية لتشجيع دراسة الآثار بنشر مطبوعات والقيام برحلات والقاء محاضرات . وانضم اليها جماعة من هواة الآثار . ويبلغ عدد اعضائها الآن نحو ٦٠ عضواً . والفوا لها مجلس ادارة من سبعة أعضاء برياسة الاستاذ الدكتور جورجي صبحي . ولها قانون مطبوع

واصدرت اربعة اعداد من صحيفة «القديم» وهي اول مجلة عربية تبحث في الآثار تولى رآسة تحريرها الطالب حسن افندي صبحي . ونشرها في حلة انيقة الطبع صقيلة الورق حافلة بالمباحث الوافية المزينة بالصور

ونشرت كذلك الجزء الاول من كتاب قصص البردي لحسن افندي صبحي

وقام الاعضاء واصدقاؤهم برحلات الى الجيزة وسقارة

وفي السنة الماضية القى الدكتور جورجي صبحي محاضرة في اصل قدماء المصريين وحسن افندي صبحي محاضرة عن كانوب (ابو قير)

وفي هذه السنة وضعت الجمعية برناجاً لالقاء عشر محاضرات التي منها خمس وهي : ابطال التاريخ المصري القديم للدكتور جورجي صبحي . وكتاب الموتى للاستاذ سليم حسن . وما بعد القبر عند قدماء المصريين لحسين افندي شوقي. وتوت عنخ امون

لنجيب افندي فرج. وفي الشهرين القادمين يلقي المحاضرات الخمس الباقية حضرات الاساتذة والطلبة جورجي صبحي وسامي جبره وحسن صبحي ورزق الله نجيب مكرم الله وعبد الهادي حمادة

وعقدت جمعيتها العمومية يوم ١١ فبراير بنادي الجامعة . وعقبت الجلسة حفلة شاي احتفالاً بدخول الجمعية في سنتها الرابعة

تكريم الاستاذ جولنشف

واقام طلبة السنة الرابعة حفلة عشاء ساهرة مساء يوم ١٧ فبراير الماضي بالقاهرة لتكريم الاستاذ جولنشيف اعترافاً بفضله وفرحاً ببلوغه الثالثة والسبعين من عمره . وحضر الاحتفال مدير الجامعة وسكرتيرها العام واساتذتها وقرينات بعضهم وبعض رجال الآثار والادباء . وفي خلال الطعام والموسيقى القى بعض الطلبة خطباً ذكروا فيها فضل الاستاذ جولنشف عليهم وخدمة فن الآثار والمصرولوجية

آنسة مصرية

وكان بين من خطبوا في الحفلة الآنسة عفيفة اسكندر ابرهيم ، وهي الآنسة الوحيدة التي تحضر دروس الآثار ،فشكرت لمدير الجامعة سماحه لها بتلقي هذه الدروس وتكلمت عن سعي النساء لتلقي العلوم ثم وجهت كلامها الى الاستاذ جولنشف فقالت :

« أليس ، ياسيدي الاستاذ الكبير العزيز واجباً ان تدخل الفتيات المصريات في الحياة العلمية بدراسة لغة آبائهن ? أو ليس في تغلغلهن في علم الآثار المصرية القديمة الذي هو علمك ايها الاستاذ الجليل، ما يعدّهن لان يكن امهات مصر العظمى في الغد ?

« وانهن لقيامهن بهذا العمل ، يقدّرن ماضي وطنهن المجيد الذي ازددن عرفاناً بقدره والذي تسلمن من ايديكم مصباحه المقدس لنقله الى ايد مصرية اخرى »

ثم مثل الطلبة رواية صغيرة تعبر عن رأي ثمانية اشخاص مختلفي الجنسية واللغة في ابي الهول وتكلم الممثلون باللغات التي يتعلمونها في مدرستهم وهي المصرية القديمة والعبرية والقبطية واليونانية واللاتينية والعربية والفرنسوية والانكليزية . وكانت الموسيقى تشنف اسماع الحاضرين بانغامها من قديمة وحديثة واخصها الموسيقى الروسية

وخرج الحاضرون معجبين بالطلبة راجين لهم المستقبل الزاهر وان يكثر عدد طلبة الآثار في الجامعة لدراسة علوم الاسلاف وآدابهم

توفيق حبيب

حاجتنا الى المجلات العلمية

اذا دخلت الى مصنع عصري كبير او صغير وأجلت النظر في مختلف دوائره واقسامه رأيت في زاوية صغيرة منه جهازاً محكم الصنع والوضع تصدر منه قوة سرية تدير هاتيك الآلات الضخمة من دواليب وادوات لا يحصرها العد فتنتج كل ما يرام صنعه من عروض ومواد وصنوف من الحاجات هي مدار مرافق الامة ومقياس حياتها في الحضارة والعمران

كذلك الثقافة من الامة . فهي المحرك الاكبر الكهربائي المعنوي لجهاز حياتها على اختلاف مناحي الحياة في النساء والرجال من افراد وعيال .ومن رام استيفاء الكلام على الثقافة في اي بلد لا بدَّ لهُ من النظر في درجتها من القوة والضعف وسعة دائرتها ومقدار شمولها ونسبة الحاجة اليها من حالة الامة الاجتماعية وعدد الطلاَّب مع فعلها في تنوير الاذهان واصلاح الاخلاق واتجاهها الى نواحي الارتقاء صناعةً وزراعة وتجارة ، المثلث العمراني لكل قوم يريد حياة السعادة والفلاح

ولما كان هذا البحث يتناول الوقوف على شؤون المعارف الحكومية والاهلية في كل قطر وما فيهِ من هيئات علمية من جمعيات ومكتبات ومبلغ منشوراتها من كتب وجرائد ومجلات رأينا ان نقتصر اليوم على الكلام في مجلاتنا العلمية وحاجتنا اليها مرجئين ما يتعلق بالجرائد اليومية والاسبوعية الى نهزة اخرى ان شاء الله

اما المجلات العلمية التي اضحى الشرق العربي يتقاضى انشاءها على سنن التدرُّج الطبيعي في مصر العربية معقد الآمال وكعبة الطلاَّب فهي على الاخصّ :

﴿ الاولى ﴾ مجلة تاريخية يكون غرضها الاقصى (١) الاستعانة بارباب التحقيق في التاريخ الشرقي على الاجمال والعربي على الخصوص وتمحيص الروايات المجروحة الواردة في تضاعيف الكتب العربية منذ عهد الاسلام ، ونشر ما يصحُّ من نتائج هذا التحقيق على الوجه الاحكم من حسن الاختيار وتقديم الاهم على المهم وسوق الكلام على منهج جلاَّب للذة والانشراح خلافاً لما في تلك الاصول من ضروب الحشو ودس الاوهام والخرافات . ولا يخفى على العارفين ما طوت تلك الاسفار الضخمة من المنقولات المتنحلات المتسلسلة من اخبار مدسوسة ومسائل موهومة شوهت وجوه الحقائق

وكانت من اضاليل تاريخنا الديني والاجتماعي وعوامل التفرقة وغوائل الإحن والبغضاء بين ملل الشرق ونحله الى اليوم ، عدا ما سجلته علينا من المعايب الجنسية عند صغار الاحلام من الغربيين

والذي يقرّب لنا تحقيق هذه المأثرة التاريخية نبوغ عدد صالح من طليعة المتخرجين الشرقيين في كبريات المدارس الاوروبية من جامعات ومتخصصات فاضطلعوا باساليب البحث وصحة النقد وصدق النظر والتجرد عن الهوى القومي ووقفوا على مراجع المآخذ التي ازدانت بها دور الكتب الغربية من مخطوطات واستأثرت بسلبه وجمعه من امهات الاسفار العربية في كل فنّ ومطلب على ما اتحفتنا به همة المؤرخ العربي الشهير الاستاذ الكبير محمد افندي كردعلي في محاضرته القيمة التي القاها في العام المنصرم في هذه الحاضرة على حفل جامع من كبار اهل المعارف ثم نشرت في المقتطف الاغرّ مما عزّ وجوده في الشرق وشق احرازه على عامة المطالعين ، وهذا عدا ما اختزنته دار الكتب الملكية المصرية اوسع المكتبات العربية على الاطلاق واغناها باقدم المخطوطات النادرة الوجود التي ابقى عليها الدهر مما لا يقوّم بالجوهر والنضار وزان صدر مصر بوسام الفخار .(٢) نقل اهم مطويّات التاريخ الغربي المتصل العلائق بالشرقي ولاسيما العربيّ من سياسة وتشريع واجتماع وعلم وفن وصناعة

وفي اليقين ان مثل هذه المجلة التاريخية تلقى من نفوس الامة العربية والمستشرقين من الغربيين اعظم ترحيب واكرم اقبال خصوصاً وان حديث التاريخ حيث هو سمير من ليس له سمير ونزهة المجالس وسلوة البائس وعشير الكبير والصغير لما فيه من مختلف السير والاقاصيص مما يخفّ وقعه على الاذهان بل هو اقرب اليها من سائر الفنون والمرء مطبوع على شهوة السماع للسير والحوادث ومطرف الحديث ينشرح له حيثما كان ويأخذه من ايّ كان ولاسيما اذا سبق فيه الكلام على وجه الاحكام

«الثانية» مجلة اثرية يراد بها نقل ما وفّق ويوفّق اليه الاثريون من اهل الرحلة والتنقيب في مشارق الارض ومغاربها ولاسيما في اقطارنا الشرقية الملأى بكنوز من دفائن الارض ما قد يفوق القائم على سطحها روعة وفخامة . وعلى التخصيص ما في ارض الفراعنة المنفردة بنوادر الآثار دون سائر الامصار مما يدهش البصائر ويبهر الابصار .او ليس من المخجل المذيب والغريب العجيب ان ابناء اولئك الآباء يحرمون

ذلك التراث بل يجهلون ما خلَّف لهم الاجداد حتى يحجر عليهم ان تستمتع برؤيته العيون كان الغاصب يقول لنا ما أولئك بآبائكم ولا انتم البنون وانما نحن الوارثون .

وغاية ما يستطاع بعد ما حكمت به الاقدار ان تأخذ عن علماء الآثار نتائج ما عرفوهُ من دفائن كنوزنا وسواحر اسرارنا مما انتهى اليه التحقيق وفيه ما تحلت به صدور المكاتب والمتاحف ويشغل نقله الاعمار والادهار. ومهما يكن من اجتهاد مجلاتنا الجامعة وصحفنا السيارة بنشر الكثير من مكتشفات هذه الآثار حيناً بعد حين فان اجتماعها في مجلة خاصة وانتظام فرائدها في قلادة واحدة مع بديع الوصف ومحكم الشرح لاقرب الى الطبع في كل شرع . واذا كنا لم نبلغ الى اليوم حدًّا يحمد من علم الآثار فحسبنا نقل ما حققوا منهُ على الاوراق الى ان تعود لنا الهمم ونشبَّ عن الاطواق . وان ما قلناهُ في شأن المجلة التاريخية من تمهيد السبل وتيسير الوسائل نقولهُ في المجلة الاثرية اذ العلمان شقيقان في النسب متصلان في باب الطلب ولكلٍ منهما الى الآخر وصول وكلٌّ باخيه موصول

﴿ الثالثة ﴾ مجلَّة لغوية . ليس المراد هنا المجلَّة المختصَّة بالمجمع اللغوي المأمول الظهور . لان غرض مجلَّة المجمع نشر ما عسى ان يقرُّه من الابحاث الحديثة المتعلقة بوضع الاصطلاحات الفنيَّة من طريق النحت والتعريب ، والنظر في ما جدَّ وشاع من المنشئين والمقتبسات من آداب الغربيين مع اصدار الاحكام الجمعيَّة في ذلك كله مما يحتاج فيه الى الاجماع وقصد الاتباع . وانما غرض المجلَّة اللغوية المقصودة هنا بالذات ما يدور على محافظة القياس وصيانة القواعد المطردة من طروء الفساد فلا يصيب اللغة الفوضى والاضطراب ونعود الى يوم دعا الداعي الى وضع النحو وحديثه المعروف . فان هناك الطامة الكبرى على اللغة والامة من تبلبل الالسنة وانقسامها حزائق اذ يصبح ردّ الفتنة والعود الى التجديد والتحديد من المعجزات، وان خرق سياج الوحدة اللغوية مؤدٍّ الى ضياع الوحدة الجامعة بين العباد والبلاد والعاقل ادرى بكارثة هذا الانقسام وذاك الشقاق

وبيان الغرض من هذه المجلَّة يدور على هذه الامور (١) اصلاح ما تفشَّى من مخالفة القواعد العامة المطردة المقررة باجماع الأئمة المعتمدين وردّ الخارجين على القياس من متحذلقي المدارس الاجنبيَّة الى محجة الصواب في الترجمة والانشاء . فهم الذين

يخرجون الكلم عن مواضعه ويدسّون التعابير الغريبة ويزفونها شمطاء شوهاء الى الاسماع وما هي الا من سقط المتاع . واكثر ما نلقى منهم هذه الايام بين كتاب بعض الصحف اليومية ومترجمي الروايات . وهذا الذي حدا بالمجمع العلمي الدمشقي الى نشر فصول متسلسلة بعنوان (عثرات الاقلام) مما يُعنى بتحقيقه اهل الاطلاع ولا يفتقر الى مؤتمر ولا اجتماع ، على قياس ما صنع فقيد اللغة الشيخ العلَم ابراهيم اليازجي في فصول متتابعة من مجلة الضياء الغرّاء وتابعه في ذلك اعلام اللغة المصلحون

(٢) نقل الابحاث الطليّة الحديثة عن علماء اشتقاق اللغات والتحقيق في انسابها وطوائفها والمقابلة بين اصولها وفروعها مع بيان وحدتها الاصلية والعوامل الطبيعيّة في التفريق بينها من اختلاف اللهجات باختلاف البيئات والبقاع وعوامل الاجتماع ونحو ذلك من الابحاث التي يهواها عشاق اهل البحث في العلوم والآداب كما رأيناهُ في طريقة البحاثين العلمين الاستاذ الكبير جبر ضومط والمرحوم الشهير جرجي زيدان في كتابي « خواطر في اللغة » للاول « والفلسفة اللغوية » للثاني وما اطرفنا بهِ الاستاذ خليل السكاكيني في المقتطف في سنيه الاخيرة . والذي يجب ان يدخل في هذا الباب البحث في نشوء اللغة لعهد الانسان الاول من حكاية الاصوات على ما عُرِف اليوم من ابحاث الغواة المتبحّرين في علم اللغات وهو مطلبٌ جليل الشأن من احدث ما يُعنى بهِ افذاذ المبتكرين واشهر من عرفنا منهم الاستاذ الكبير عبده افندي كحيل الدمشقي الذي استهواهُ هذا المطلب الجليل فأخرج منهُ بعد العناء الثقيل في الزمن الطويل ما يدهش غواة اللغويين والمأمول ان تسفر العناية بهِ عن حقائق تاريخيّة تتعلق بتاريخ تطوُّر الانسان وترقيه في معارج الحضارة والعمران تأييداً لنتائج غيرهِ من علماءِ الحياة والاجتماع . وقد يلحق بناحية من هذا الفرع من ابواب المجلّة والاهتمام درس علم الوضع والاشتقاق العربي كما ترى في سعود المطالع وطرائق القلب والابدال في الالفاظ على نحو ما ورد في سرّ الليال للعلاّمة الجهبذ فارس اللغة والبيان احمد فارس الشدياق وفي الخصائص لابن جني وما ينظم في سلكها من المختصرات . وكذلك يجب ان لا يغفل في المجلة عن نشر شذرات غوالٍ مختارة من كتب فقه اللغة لا يستغنى عنها في انتقاءِ المترادفات في الباب الواحد مما يفوت العثور عليهِ عامّة الكتاب من عمال الليل والنهار وتلذ الاصابة فيهِ للكاتب والقارىء كما يلذ الطعام في الاذواق ويروق

للمين نظم الدر في اسلاك وبحلو العقد في الاعناق (٣) افراد باب للنقد الأدبي في النثر والنظم من الوجهة الانشائية والمقابلة بين الطريقتين في العربية والافرنجية ولا سيما في تنظيم اقسام المقال في الفواتح والخواتم وارتباط الافكار ورصفها في وحدة القصد وما الى ذلك مما قلّ النظر فيهِ قديماً وحديثاً وألحّت الحاجة اليهِ في هذا العصر الذي كثر فيهِ الأخذ عن المنشآت الغربية من شتات الصحف والاسفار

(٤) صرف العناية بتجديد التحقيق في معاني الشعر والمقارنة بين القديم وحديثهِ مع المفاضلة في قوة الشاعرية وحسن الرصف والانسجام وارتباط أجزاء القصيدة من حيث المعنى وانتقاء المبنى وما يتصل بذلك من جلاء المراد وغموضهِ وأحوال السرقات والانتحال على ما سبق للآمدي في الموازنة بين ابي تمام والبحتري ولابن الاثير في المثل السائر واضرابهما من فحول أرباب الصناعتين السابقين كصاحبي « اعجاز القرآن » و« الوساطة » من المتقدمين واليازجي الشيخ ابراهيم من المحدثين مما زادهُ ويأخذك منهُ العجب والطرب كنقدهِ لبعض شعر المتنبي في ختام شرح « العرف الطيب » على ما يعز نظيرهُ بين القدماء والمحدثين وكالاستاذ النابغة طه حسين في « ذكرى ابي العلاء » « والشعر الجاهلي » او « الأدب الجاهلي » كما قرّ عليهِ التصحيح الاخير

(٥) نشر اطيب المختارات من الشعر القديم والحديث مع شرحها لغةً وبياناً وادب المعنى على طريقة النقد والتحليل الحرّ الحديث . ولقد تقدمنا بعض المستشرقين المبرّزين في هذا السبيل بنشر عدد غير يسير من دواوين السلف العربي الصالح من جاهليين ومخضرمين ومسلمين وفيها من الشروح والتعليقات ما تطيب بهِ خواطر عُشّاق الادب العربي المجيد . فان كان هذا جهد غريب الجنس واللسان في احياء آثار اجدادنا ومفاخر امجادنا فما اجدر التشهير بجمودنا بكل شفة ولسان

***

هذا ما عنّ في الخاطر من الحاجات الكبرى الى اعلاء شأن هذه اللغة النبيلة الجليلة بعناية الحكومة العربية المصرية الكريمة ونجدة اعلام هذا العصر سواء كانوا من علماء الازهر الشريف او متخرجي المدارس العصرية والجامعة المصرية مناط آمال الاستقلال . ولا بدّ لنا في ختام هذا الحديث من التنبيه على امرين : الاول انهُ مهما بلغ مستوى التدريس العربيّ في المدارس من تحديد المناهج والتوسّع في بعض علوم

الادب لا تزال هناك حاجة مبرحة لفئة كبيرة من عامة الطلاب والمتأدبين الى استكمال المعلومات القيمة الضرورية في كثير من الضوابط والقيود في مشتقات الافعال والمصادر والجموع وحروف المعاني المتفرقة في شتات الامهات من امثال مغني اللبيب والصبان والكليات والاستعانة بنظير المخصص وغيره من المعاجم المرتبة على ابواب المعاني . عدا ما هنالك من جلائل المسائل البيانية الآخذة بالالباب على ما يراها هواة البلاغة في مطاوي كبار الشروح والتفاسير كالكشاف البياني الفريد المشهور والطراز الحديث الظهور وهي المسائل التي جلا عرائسها اوحد اهل الفن وامامه الاكبر عبد القاهر الجرجاني في اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ونظائر هذه الجواهر من مؤلفات اولئك الائمة الواضعين الاولين الذين رفعوا للغة القرآن اعلى الاعلام ونقشت اسماؤهم على صفحات الادهار من اقطاب العلم والاسلام

الثاني انَّا في كل ما أبديناه ُويبديهِ أقطابنا افذاذ اللغة من اعلاء كلمتها وصون مقامها عن الابتذال والانحذال لا نغفل عن حاجتنا الضرورية الى العلوم العصرية من طبيعية ورياضية واجتماعية وزراعية وصناعية وفنية ولها ما لها من تنوير الاذهان والمعونة القصوى في سعادة الامة ولحاقها بأمم الحضارة والعمران غير ناسين ان كل ما يتعلق باللسان من العلوم انما هو وسيلة لا غاية ولذا عرّفت عند العلماء بالآلات

مصر متري قندلفت
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق

[المقتطف] بسط الكاتب المفضال الحاجة الى ثلاث مجلات تتفرغ للمباحث التاريخية والاثرية واللغوية ووضع بياناً يكاد يكون كاملاً لكلّ منها . ولكنهُ اغفل المجلات العلمية التي يرجى منها الخير العملي للبلدان الشرقية . فان مباحث التاريخ والآثار واللغة لها فوائد جمة كما ذكر ولكن فوائدها العملية لا تقاس بفوائد العلوم الطبيعية وتطبيقها على مقتضيات العمران . ولذلك نرى ان حاجتنا الى مجلات العلوم الطبيعية على اختلافها اعظم من حاجتنا الى المجلات المذكورة وهي اولى بالتقديم

—o:o—

باب شؤون المرأة

وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

العدوى والمناعة

كيف يصاب الانسان بالامراض ؟ كيف يشرب زيد وعمرو من ماء واحد فيصاب احدهما بالحمى التيفودية مثلاً وينجو الآخر ؟ وكيف يخالط بكر وخالد مصاباً بالدفتيريا فيقع بكر فريسة لهذا المرض الخبيث ولا يمسُّ خالد بسوء ؟ وكيف يصاب رجلان بالحمى التيفودية فيشفى الواحد ويموت الآخر ؟ هذه اسئلة طالما حيرت فكر الانسان منذ القدم ولم يصل الى حل بعض طلاسمها الا اخيراً وهو سائر مجد يريد ان يتوصل الى حل الباقي منها

يقولون ان سبب الامراض هو الميكروبات ولكن كيف تصل الميكروبات الى الانسان وتسبب المرض فيهِ وهل كل ميكروب يدخل جسمهُ يسبب فيهِ مرضاً ؟ اذا كان الامر كذلك لما سلم احد منها بل ماتت الخليقة جمعاء لان جسم الانسان وكل ما يحيط بهِ حافلٌ بهذه المخلوقات العجيبة فجلدهُ وفمهُ وانفهُ واذناهُ وامعاؤهُ تعجُّ بجيوشها الجرارة . وهكذا يقال عن الماء الذي يشربهُ والهواء الذي يتنفسهُ والغذاء الذي يأكلهُ . ومع ذلك فان نسبة المرضى الى الاصحاء قليلة فما هو السر وما هو التعليل ؟

يقسم الاطباء الميكروبات الى قسمين (١) مرضية وهي التي تسبب الامراض في الانسان والحيوان (٢) قسم عادي لا ضرر منهُ على الانسان لانه يفضل العيشة والنمو على المواد العضوية الميتة فيحلّها الى عناصرها البسيطة واذا نظرنا اليهِ من هذا الوجه فهو مفيد للهيئة الاجتماعية لانهُ يخلص العالم من القاذورات العضوية وجثث الاموات من حيوان ونبات

اما القسم المرضي فهو الذي يهمنا خاصة لانهُ يشمل الميكروبات المسببة للامراض البشرية . فباشلس التيفويد والدفتيريا والكوليرا وباشلس السل والميكروبات التيفودية مسببات الصديد والميكروبات السبحية مسببات الالتهابات المنتشرة والتسمم الدموي كل هذه وغيرها تنطوي تحت هذا القسم

لننظر اولاً في كيفية عدوى الانسان بهذه الميكروبات ثم نبحث بعد ذلك عن الطرق التي يتخذها الجسم لمقاومة هذه الاعداء الميكروسكوبية المميتة لان الطبيعة لم تتركهُ اعزل من السلاح بل جهزتهُ باسلحة لمقاومتها ومع انها غير منظورة فهي تفوق امضى الاسلحة التي ابتكرها الانسان لمقاومة اعدائهِ في حروبهِ وغزواتهِ

مجرد دخول الميكروبات المرضية في جسم الانسان لا يكفي لان تسبب مرضاً ولكي يتم ذلك يجب ان تتوفر جملة شروط اهمها (١) عدد الميكروبات — فيجب ان يكون عدد الميكروبات الذي يدخل الجسم وافراً والاَّ تغلب عليها الجسم وقتلها. وتختلف الميكروبات بعضها عن بعض في هذه الصفة فميكروب واحد من باشلس الطاعون يكفي ليعدي ارنباً هنديًّا اذا طعم بهِ مع اننا نحتاج الى ملايين من ميكروبات الدفتيريا لتصل الى نفس الغرض (٢) قوة السموم الموجودة في الميكروب — وهنا ايضاً تختلف هذه القوة في مختلف الميكروبات بل في افراد النوع الواحد منها باختلاف الاحوال التي تحيط بها . فميكروب الالتهاب الرئوي المأخوذ مثلاً من حلق انسان غير مصاب بالتهاب رئوي اضعف سمًّا من ميكروب مأخوذ من بصاق مصاب بهذا المرض (٣) الطريق الذي يصل منهُ الميكروب الى الجسم وهذا امر ذو شأن خطير في حصول العدوى لان كل ميكروب لهُ طريق خاص مناسب لهُ وصالح لجعل الانسان يخضع لعدوى هذا الميكروب فاذا وضعت ميكروبات الكوليرا مثلا على الجلد المحلوق فانها لا تؤثر في الانسان ولكن اذا وضعت ميكروبات الطاعون في المحل نفسهِ تسببت العدوى . فعدوى التيفويد والكوليرا مثلاً تسبَّب عن غزو الميكروبات للجسم عن طريق المعدة والامعاء اذا وصلتها مع المأكل والمشرب ولكنَّ عدوى الدفتيريا تصل عن طريق الفم والانف . وكذلك عدوى الطاعون تأتي عن طريق الجلد اذا لدغهُ برغوث حامل ميكروبات الطاعون بينما عدوى التيفوس تأتي من نفس الطريق ولكن بواسطة القمل (٤) مناعة الجسم وقت حصول العدوى وسنتكلم على ذلك فيما يلي :

المناعة

اذا دخلت ميكروبات التيفويد مثلاً الى جسم انسان بكميات قليلة غير كافية لان تسبب مرضاً فان الانسجة تقاوم دخولها بان تفرز في الدم والسوائل البشرية الاخرى (body fluids) مواد مضادة لهذه الميكروبات بحيث اذا اختلطت بها اماتتها او اذابتها او على الاقل منعتها عن الحركة والنمو فتصبح فريسة سهلة لكرات الدم البيضاء فتأكلها لقمة سائغة . وهذه المواد المضادة مختلفة الانواع فمنها ماله قدرة على اذابة الميكروبات (lysins) ومنها ما هو مجمع لها (agglutinin) ومنها ما هو مرسب لها (precipitin) الخ ومجموعة هذه المواد المضادة تكسب الجسم قوة المناعة ضد الميكروبات المذكورة

ولكل ميكروب مواد مضادة خاصة به فالمواد المضادة لميكروبات التيفويد هي غير المواد المضادة لميكروبات الكوليرا او الدفتيريا او الطاعون الخ

وعلاوة على هذه المضادات لاجسام الميكروبات فان الجسم يفرز ايضاً مواد مضادة لسمومها (toxins) فميكروبات الدفتيريا مثلاً تفرز سمًّا قاتلاً يمتصهُ من الجسم ويدور مع الدم الى كل انسجتهِ ليسمها ويجعلها غير قادرة على القيام بوظائفها ولكن الجسم يحاول ان يحاربها بان يفرز هو ايضاً مواداً مضادة لهذه السموم (antitoxins) اذا مزجت معها أزالت فعلها كما يحصل اذا اضيف محلول حامض الى محلول قلوي فان المحلول يعدَّل ويصبح وهو ليس بالحامض ولا بالقلوي

وهذه المناعة اما طبيعية او مكتسبة فالاولى توجد على درجة ضعيفة في بعض الافراد ضدّ بعض الامراض وليست ضدّ جميع الامراض فيصح ان يكون انسان غير قابل لعدوى التيفويد وفي الوقت عينهِ قابلاً جدًّا لعدوى الدفتيريا

اما المناعة المكتسبة فهي اما (١) نتيجة مرض سابق شفي منهُ العليل فاصبح غير قابل للعدوى بهِ ثانية فان حمى التيفويد او الجدري اوالكوليرا مثلاً تكسب الذين شفوا منها مناعة مدى الحياة وهذه القاعدة غير مضطردة لان بعض الامراض كالدفتيريا لاتكسب مناعة دائمة

واما (٢) نتيجة مكتسبة من التطعيم ضد الامراض بواسطة (أ) اللقاحات المختلفة التي ليست الاَّ ميكروبات مائتة تكسب الجسم مناعة ضد ميكروبات الجسم اذا حقنت

بكميات تدريجية ويسمى هذا النوع من المناعة الفعالة (activeinmunity) وقد كثرت اخيراً انواع اللقاحات وازداد استعمالها في الطب الواقي فالتطعيم ضد التيفويد والكوليرا والميكروبات التيفودية هو من هذا القبيل . (ب) والطريقة الاخرى لاحداث المناعة هي الحقن بالامصلة المختلفة كالحقن بمصل الدفتيريا الذي ليس الاّ مصل حيوان يطعم من سموم هذا المرض . واهم الامصلة المعروفة هي الامصال المضادة للدفتيريا والكزاز والالتهاب السحائي

فاللقاح يكسب الجسم مناعة بتنشيطهِ حتى يفرز المواد المضادة للمكروبات الملقح بها ظنًّا انها مكروبات حية فيحاربها بكل وسائلهِ الطبيعية وما هي في الحقيقة الاّ مكروبات ميتة فحين تدخل المكروبات الحية الى جسمهِ يكون الجسم قد تعوَّد محاربتها من قبل فيتغلب عليها . اما المصل فهو المواد المضادة نفسها كما افرزها دم حيوان لُقح بمكروبات المرض الذي يراد الحصول على مصلٍ ضدهُ . فاذا لقح الحيوان بهذهِ المكروبات افرز دمهُ المواد المضادة فتؤخذ هذه ويحقن بها المصابون بالمرض نفسهِ لتخفيف وطأة مكروباتهِ على الجسم

ولم يصل الطب بعد الى اكتشاف لقاحات لكثير من الامراض فالسل والانفلونزا مثلاً لا يوجد لها امصال شافية ولكن جمهور الاطباء والباحثين يصلون ليلهم بنهارهم باحثين منقبين لا طمعاً بمال بل طلباً للعلم وحبًّا بتخفيف ويلات الانسانية

الدكتور جورج قصيري

ما يجهله الاطباء من شؤون الغذاء

(تابع ما قبلهُ)

﴿ الاطعمة التي تولد حموضة ﴾ من الاوهام الشائعة وجوب تجنب المآكل الحامضة ذهاباً الى انها تضرُّ بالجسم . والمقصود بالمآكل الحامضة المآكل التي تولد حموضة في الدم لا المآكل التي طعمها حامض

وقد جربنا تجارب عديدة من هذا القبيل فاطعمنا طائفة من الحيوانات اطعمة تولد حموضة قوية في الدم فلم نرَ اثراً ضارًّا لها في الصحة ولم يثبت لنا ما يدعيهِ بعض الاطباء من ان هذه المآكل تورث الكلى ضعفاً . ذلك لان الجسم قادر على ان يعدّل الحموضة التي تتولد عادة من طعام عادي . فاذا اكثر الانسان من اكل الاطعمة التي

تولد حموضة في الدم اكثر الجسم من افراز مواده القلوية فيمدها . وليس مرادنا ان نشير على القراء ان يكثروا من تناول هذه الاطعمة بل ان نشير الى ان ما نأكلهُ عادة منها لا يضرُّ وعليه فلا يجب اجتنابهُ على الاطلاق ولكن يجب الاَّ نكثر ما نتناولهُ منهُ

﴿ البيض والدم ﴾ ويقول بعض الاطباء لا تأكلوا بيضاً لان البيض يجعل الدم وسطاً صالحاً لنمو المكروبات. وقد دلّوا بذلك على جهلهم ان الدم على ما هو من اصلح الاوساط لنمو المكروبات وان المواد البروتينية في البيض لا تتصل بالدم قبلما تتغير بالمضغ والهضم تغيراً كبيراً

﴿ انواع النشاء ﴾ ويقول آخر يجب الاَّ تأكلوا الاَّ نوعاً واحداً من النشاء في ساعة واحدة وهو لو حكَّم عقلهُ لوجد انهُ لامندوحة عن تناول اطعمة نشوية من مصادر مختلفة . ففي الخبز نشاء وفي البطاطس نشاء وفي الهلام نشاء وهي من مصادر مختلفة وكلها تجتمع في طعام عادي واحد ومع ذلك لا نرى اثراً ضارًّا لاجتماعها

﴿ الاطعمة النشوية والبروتينية ﴾ ويشير آخرون بوجوب الامتناع عن تناول الاطعمة النشائية مع الاطعمة البروتينية جاهلين ان الطبيعة نفسها كثيراً ما توجد هاتين المادتين في طعام واحد كما ترى في حبوب الفاصوليا وما اليها . هل يحتم علينا ان نفصل نشاء الحنطة عن بروتينها قبل طحنها ونخلها وخبزها ؟ حتى اللبن (الحليب) نفسهُ يحتوي على مقدار معقد التركيب من البروتين والنشاء . وزد على ذلك ؟ فقد ثبت انهُ متى اكل الانسان طعاماً يحتوي على مواد بروتينية ونشائية معاً اتحدت المواد البروتينية مع حوامض المعدة فخففت حموضها فينفسح المجال لهضم النشاء . ولقد ثبت بالامتحان ان مزيجاً من طعام بروتيني مع طعام نشوي اسرع هضماً في المعدة من طعام بروتيني على حدةٍ . وكل انسان عادي في صحة حسنة يستطيع ان يأكل المادتين معاً من غير ان يصاب بضرر

ليس القصد من نشر هذه الانتقادات على اوهام بعض الخواص والعوام الحط من قيمة الغذاء العلمي المنظم . بل الغاية على الضد من ذلك هي تحذير الناس من التوهم ان الغذاء المنظم المفيد قائم عليها

والخلاصة اذا تناول الانسان مقداراً كافياً من اللبن والخضروات الطازجة والمطبوخة والاثمار الطازجة مع ما يؤكل عادة من اللحوم والحلويات وما اليها من المآكل العادية وكانت معدتهُ طبيعية في عملها فلا خوف عليهِ من اوهام الخواص ولا العوام!

الروائح العطرية

الروائح العطرية كثيرة الانواع ولا يستطيب كلٌ احد كلَّ رائحة منها . فيحسن بالمرأة ان تختار رائحة واحدة تستعملها دائماً كرائحة الورد او الزنبق او البنفسج او النرجس او نحو ذلك من الروائح المختلفة وتستعمل نقطاً قليلة جداً منها نقطة او نقطتين كل يوم ولا تعتمد في ذلك على شمها لانهُ لا يمضي عليها ايام كثيرة حتى يضعف شمها تلك الرائحة فلا تؤثر فيها عشر نقط قدر ما كانت تؤثر فيها نقطة او نقطتان قبلاً ولكنها اذا استعملت عشر نقط عبقت منها رائحة شديدة تتعب الذين حولها وهي لا تدري لان كثيرين يصيبهم صداع من شمهم الرائحة الشديدة . وقد استنبط بعضهم طريقة لجعل رائحة الثياب من الداخل وهي قطع من الجلد مغموسة في السائل العطري فتطير المادة العطرية منها رويداً رويداً وتعطر الثياب وتكون رائحتها خفيفة ومقبولة

مربى السفرجل الشفاف

خذ السفرجل الناضج وقشرهُ وانزع البزر منهُ وما حول البزر أيضاً وضعهُ في ماء حالاً بعد تقشيره لكي لا يتغير لونهُ ثم اسلقهُ . ويوضع رطل ماء لكل رطل من السفرجل ومتى انسلق جيداً ضعهُ في كيس دقيق النسيج متينهِ واعصرهُ ولا تبالغ في العصر لئلا يخرج المربى غير شفاف ثم اضف الى كل رطل من العصير ثلاثة ارباع الرطل من السكر الابيض النقي وحركهُ حركة دائمة وهو على النار حتى ينعقد ويتم انعقادهُ في نحو عشرين دقيقة ثم ارفعهُ عن النار وصبهُ في أوعية زجاجية واسعة الفم

فوائد بيتية

صقل النحاس الاصفر — تجلى ادوات النحاس الاصفر بقليل من الطباشير الناعم وعصير الليمون الحامض ثم تصقل بقطعة من الجوخ الناعم او بخرقة من المخمل — القطيفة — الناعم جداً . فتصير صقيلة لامعة كالذهب

العسل — يمزج العسل بقليل من البورق المسحوق ويمسح بهِ فم الطفل اذا كان متقرحاً

روح النعناع — يعطى للأولاد مخففاً بالماء لمنع التشنجات وفي تطبل المعدة بتولد الغازات فيها

باب الزراعة والاقتصاد

تقدم بنك مصر
والحالة الاقتصادية العامة

بعث الينا بنك مصر بتقرير مجلس ادارته الذي رفع الى الجمعية العمومية في ١٨ مارس الماضي فطالعناهُ معجبين بما يديهِ مديرو هذا البنك الحديث النشأة من الحكمة والحنكة في ادارتهِ وترقيتهِ وما وفقوا اليهِ من توسيع نطاقهِ اذ يؤخذ من هذا التقرير أن ارباح البنك في السنة الاولى من حياتهِ (سنة ١٩٢٠) بلغت ٣٢٤٩ جنيهاً فزادت في سنة ١٩٢٧ الى ١٣٥ ٦٧٢ جنيهاً يقابلها ١١٧ ٥٤٧ جنيهاً في سنة ١٩٢٦ . وهي نتيجة باهرة اذا ضمت الى سائر النتائج الباهرة التي حققها البنك جاءت دليلاً جديداً على رسوخ قواعدهِ وحاجة البلاد اليهِ . وقراء المقتطف لا يزالون يذكرون القواعد التي شيّد عليها من مطالعة المنتخبات التي نشرناها في مقتطف يناير الماضي مقتطفة من خطب نائب رئيسهِ محمد طلعت حرب بك ولا يتسع لدينا المجال في هذا الجزء لنبين وجوه التقدم التي اصابها البنك في السنة الماضية وقد نشرتها الصحف اليومية وعلقت عليها فنكتفي بما جاء في التقرير عن الحالة الاقتصادية العامة

« لا شك ان سنة ١٩٢٧ ، وان لم تكن سنة رخاء من جميع الوجوه ، إلاّ انها كانت أحسن حالاً على سكان هذه البلاد من سنة ١٩٢٦ . وذلك لان القطن ، الذي هو المحور الاساسي لحياة البلاد الاقتصادية ، قد زادت أسعارهُ في غضون سنة ١٩٢٧ بمقدار يتراوح بين ثمانية وعشرة ريالات عما كانت عليهِ في السنة السابقة »

« وترجع أهم أسباب التحسن الى قرار الحكومة بالتسليف على الاقطان ، واعلان استعدادها للدخول في سوق الكنتراتات شارية اذا نزلت اسعارها عن حد معين ، وصدور قانون حصر زراعة القطن في ثلث الزمام لمدة ثلاثة أعوام . كما ترجع على الخصوص الى عجز المحصول الامريكي . وقد كان من المفهوم أن يترتب على تحسن الاسعار توفير شيء يذكر من الارباح للمنتجين الزراعيين . ولكن الواقع هو انهم ربما كانوا اكثر الطبقات شعوراً باستمرار الازمة التي حلت بالبلاد سنة ١٩٢٦

« ولقد كان لاتباع كثير من المزارعين طريقة بيع الاقطان تحت القطع اثرهُ في ازدياد أسباب الضيق لان البيع تحت القطع يجعل السعر معلقاً ولا يساعد المنتج على تقدير ايرادهِ الصحيح في الوقت المناسب . وكثيراً ما يترتب على اتباع هذه الطريقة ضرر محقق يتأثر بهِ عاجلاً او آجلاً . وها هي البنوك قد قامت بما عليها في هذا الباب فعلى المنتجين ان يمتنعوا مثلها عن البيع تحت القطع

«ثم جاء انخفاض اثمان الحبوب في العام الماضي سبباً آخر من اسباب الضيق . على ان نزول اسعارها — اذا استمر ثابتاً مدة من الزمن — قد يصبح مقدمة لانخفاض الاجور وبالتالي الى التأثير في عامل مهم من عوامل التقدير في مستوى المعيشة

«ولعلهُ يكون من الحكمة حين تقدير ايراداتنا أن نحسب حساباً للتطور العام في مستوى المعيشة وفيما يترتب عليهِ من نزول الاسعار . ومما يسجل بالسرور ان ميزان التجارة قد مال الى جانب مصر في العام الماضي بعد ان كان قد مال عنها في العام السابق

« وهو سرور ينبغي ان يكون مقروناً بشيء من التحفظ . اذ ان الظاهر الملموس ان قوة الاخذ والعطاء ضعيفة في ذاتها منذ سنة ١٩٢٦ . وهي اكثر ضعفاً في الاقاليم منها في العاصمة والاسكندرية . وقد بلغ ما اشهر من التفاليس في السنة الماضية ٤٨٠ تفليساً مقابل ٣٢٩ في سنة ١٩٢٦ و٢٠٢ في سنة ١٩٢٥ واذا كانت التجارة على ما تقدم من ضعف فان سوق الاوراق المالية في مصر والاسكندرية — وهي مظهر آخر من مظاهر التجارة في الاسهم والسندات والقراطيس المالية — قد أظهرت بالعكس من النشاط المتزايد ما يحمل على الاعتقاد بمضاعفة الميول في الداخل الى استثمار الاموال في الثروة المنقولة

« اما سياسة الدولة المالية فهي سياسة جديرة بكل ثناء . فان البرلمان عرف في السنة الماضية ، لمناسبة مناقشتهِ الميزانية ، كيف يوجه هذه السياسة في طريق الانشاء والتدرج في التجديد . كما وافق على عدة قوانين واقتراحات عامة مرتبطة بحياة البلاد الاقتصادية والمالية أتم ارتباطٍ »

الفحم الابيض

اطلقنا لفظ الفحم الابيض على القوة التي تستخرج من الماء المنحدر وتستعمل في ادارة المعامل فقد بلغت القوة المائية المستعملة في اميركا سنة ١٩٢٦ نحو ١٦ مليون حصان يقابلها ١٧ مليوناً في اوربا ولكن نسبة الزيادة السنوية في اميركا تفوق نسبتها في اوربا

مراتب الارض ومناطقها

١—جدول مراتب الارض ومناطقها في الوجه القبلي

ارض الحياض . اكثرها جنوبية واقلها شمالية { منطقة للحبوب والبصل والقطاني
{ اي الحبوب التي تطبخ كالعدس واللوبيا والحمص

الارض الرواتب { الاول جنوبية وهي الاقل { منطقة للقصب خصوصاً في قنا وللبصل
قسمان { { المسقاوي

الثاني شمالية { اهم منطقة للقطن الاسمر (الصعيدي)
{ زاجوراه واشموني ثم سائر الزروع
{ وفي مديرية المنيا خاصة منطقة مهمة
{ للقصب وفي الفيوم كثير من الفواكه

(ملحوظة . آخر كل قسم من اقسام الارض الرواتب في هذا الجدول والجدول الآتي شبيه باول القسم الذي يليه

٢—جدول مراتب الارض ومناطقها في الوجه البحري

ارض رواتب {

الارض الجنوبية { منطقة واحدة وهي اخر المناطق لاكثر الزروع
{ سيما القمح والكتان والذرة والفواكه
{ والخضروات ثم القطن كما انها اوفرها عمراناً
{ واحسنها فلاحة

الارض المتوسطة { منطقة واحدة تلي السابقة في جودتها للزروع
{ ووفرة العمران واتقان الفلاحة وقد تفوقها
{ في تجويد نوع القطن

الارض الشمالية { منطقتان . الاولى تلي الارض المتوسطة جودة
{ وعمراناً وفلاحة ولكنها تنتج اخر الاقطان
{ وقد يزرع الارز فيها احياناً عند وفرة الماء
{ والثانية تلي الاولى في خصائصها المذكورة الا
{ انها مثلها في انتاج اخر الاقطان وفيها مناطق
{ الارز بقسميها الاعلى والادنى والارض المستجدة

ملحوظة . يطلق بعض الكتاب الزراعيين الارض الجنوبية على الوجه القبلي
وجنوبي الوجه البحري معاً وقد اطلقناها نحن هنا على هذا وحده أخذاً
بالاشهر ومنعاً للالتباس في تقسيم مراتب الارض وتحرياً للسهولة اهـ

وهناك اقسام او مناطق ثانوية اهمها

(١) الارض العلو بالحياض وبجوار الصحراء بالوجه القبلي وهي التي لا يركبها ماء الفيضان فتروى بالروافع من النيل او من الآبار ولذلك ولاحتياجها للري المتقارب خصوصاً اذا كانت صفراء او رملية تحتاج الى جهد عظيم وكلفة كبيرة في ريها وتزرع حبوباً ومقاتي وخضراوات وذرة قيظي (صيفي) وما أشبه وقليلاً من القطن والقصب احياناً وفي بعض جهاتها ولاول عهدها بالزراعة حيث تكون كثيرة الملوحة لاهمال زراعتها وريها تزرع اولاً ولمدة سنتين احياناً شعيراً ثم تزرع بعده بالزروع المذكورة لانهُ لارتفاعها وبالتالي لانخفاض مستوى نزها يفيد ماء ريها في غسيلها فتزول املاحها بسهولة ذاهبة مع الماء المغيض في اغوار الارض

ووادي كوم امبو باقاصي الوجه القبلي من ارض العلو خير مثال لما يمكن ان تصير هي اليه اذا عُني بها فان هذا الوادي كان من الارض الموات فتولت احياءهُ واستغلالهُ احدى الشركات الاجنبية فركّبت روافع الماء البخارية على النيل لريهِ ريًّا مستديماً واصلحتهُ وزرعتهُ وصيرتهُ من الارض الرواتب ومن اهم زروعها فيه القصب والحبوب وزروع المرعى والخضراوات والاشجار

وقد كان لا تنبت فيهِ الزروع الباقيّة (بتشديد الياء نسبة الى الباق وصف للارض بعد هذه المزروعات يفيد معنى الخصب) كالبرسيم ونحوه لخلوها من البكتيريا الضرورية لنمو هذه المزروعات فاستحضرتها من معامل صنعها باوربا ووضعتها وتعهدت نموها وتكاثرها حتى صارت الارض صالحة لنمو هذه المزروعات كغيرها

ومن ارض العلو حوش النباري وهي في بعض مرتفعات الحياض والسواحل يقيم اصحابها حولها جسوراً لوقايتها من الفيضان ويخصصونها لزرع الذرة

(٢) الخفوج في الصحراء وراء الحدود التي بينها وبين الارض الزراعية بالوجه القبلي منخفضات كان يغمرها ماء الفيضانات العالية مصروفاً من الحياض — فتكونت فيها من رواسبه تربة زراعية ،هذه المنخفضات تعرف بالخفوج ولعلها تحريف الخفوض

بمعنى المنخفضات ضد العلو، ومعلوماتي عن هذه الخفوض قليلة فلعل أحد قراء المقتطف ممن يعرفها يتفضل بذكر معلوماته عنها

(٣) الجزائر والسواحل النيلية على النهر نهر النيل وفروعه الكبرى

فالجزائر تطلق على الارض التي احاط بها الماء من جميع جهاتها كالجزائر التي في وسط النيل وتطلق ايضاً في العرف على الارض الرملية الواطئة المنحدرة الى ان تستدق عند اتصالها بالماء ويغمرها ماء الفيضان وكذلك تطلق الجزائر عرفاً على الكثبان الرملية المرتفعة ولو احاطت بها الارض اليابسة من جميع جهاتها وهذا المعنى ليس مراداً هنا

والسواحل هي الارض الاعلى من الجزائر وتنحصر بينها وبين جسور النيل ولا يركبها ماء الفيضان أو هي الجزائر النيلية المرتفعة والارض العلو القريبة من النهر على امتداد مجراهُ وتليها الجزائر الواطية

وحينما يعلو ماء الفيضان على هذه الجزائر الواطية يحصل تأكُّل ونحر في اطرافها الماسّة للماء وبالتالي يحصل عجز في مساحتها يسمى عرفاً اكل بحر وعجز بحر — او ترسب رواسب جديدة عليها تزيد مساحتها وتسمى الزيادة طرح بحر واكثرها من الرمل

وقد تكون الرواسب الجديدة من طينة سوداء وتسمى عصلوجة جديدة فاذا بلغ سمكها نحو نصف متر لم تصلح في عامها الاول الا لزراعة البرسيم واذا عما القمح والشعير فيها ارتفع نباتهما فيصير اكثيري التبن قليلي الحبوب لشدة ايناع نباتهما اما اذا زاد سمكها على نصف متر زيادة محسوسة فلا تزرع الاّ برسيماً اذ لا ينجح فيها غيره

والافضل في العصلوجة الجديدة لاسيما الاكثر سمكاً ان تترك بدون زراعة عامها الاول لانها وهي جديدة تكون شديدة العصلوجة عَسِرة الخدمة تتشقق كثيراً اذا جفت — اما اذا حال عليها الحول وتأثرت بالعوامل صلحت للفلاحة والزراعة ويقال حينئذٍ ان العصلوجة استوت اي نضجت وصارت كالعصلوجة القديمة تنجب فيها مختلف الزروع الموافقة لمعدنها وتلحق بالجزائر

وهذه الجزائر التي يركبها الفيضان تزرع زراعة بعلية كارض الحياض زروعاً حبوبية

او مقاثي او خضروات حسبما يوافق معدنها اما السواحل التي لا يركبها الفيضان فتروى بالروافع وتزرع كالارض الرواتب

وقد استعملت الشركة العقارية المصرية (اسماً) وهي الشهيرة بالشركة الانكليزية (حقيقة) ترسيب الطمي صناعياً لاصلاح كثبان الرمال والجزائر البور الرقيقة حتى تصلح للزراعة وذلك بان تحيط الجزء المراد اصلاحهُ — تحيطهُ من اطرافهِ المستدقة جهة الماء بنطاق من الدبش وتترك فيهِ فتحة من جهة استقبالهِ تيار الماء فاذا جاء الفيضان ودخل ماؤهُ منها وصار داخل النطاق دوَّم الماء وتحيَّر الى ان يخرج من فتحة اخرى مقابلة لتلك بعد ان يكون قد رسب منهُ كثير من الرواسب اي الطمي بسرعة وكثرة تفوق المعتاد خصوصاً في بدء الترسيب اذ يكون عمق الجزء داخل النطاق اكبر ويظل العمل كذلك الى ان يكثف طمي ذلك الجزء عما كان وتعلو مواطيه ويصير صالحاً للزراعة كالسواحل والجزائر الزراعية وبهذه الطريقة يمكن اصلاح طرح البحر التالف والجزائر الواطية حيث يسمح مجرى النهر بذلك

ضواحي طلخا احمد الالفي : زراعي عملي

القطن المصري

لا تزال انكلترا تستورد اكثر من ثلث محصول القطن المصري وجميع البلدان الاخرى الثلثين الباقيين . فقد استوردت انكلترا من محصول قطننا الحالي من اول سبتمبر الماضي الى ٢٢ فبراير الجاري ١٢٩٤١٦٢ قنطاراً او ٣٧١ في الالف من مجموع الصادرات وتليها اميركا ٥٤٨٠٥٦ قنطاراً او ١٥٦،٩٦ في الالف ففرنسا ٤٢٢٥٠٧ قناطير او ١٢١،٠١ في الالف فايطاليا ٦٩٩ ٢١٢ قنطاراً او ٦٠،٩٢ في الالف فروسيا ٠٤٨ ٢١٢ قنطاراً او ٦٠،٧٣ في الالف فالمانيا ٦٤٥ ٢١١ قنطاراً او ٦٠،٦٢ في الالف فسويسرا ١٣٨ ١٨٤ قنطاراً او ٥٢،٧٤ في الالف فاليابان ٩٦٩ ١٤٣ قنطاراً او ٤١،٢٣ في الالف فتشكوسلوفاكيا ٨٦٤٢٣ قنطاراً او ٢٤،٧٥ في الالف فاسبانيا ٨٦٧ ٨٥ قنطاراً او ٢٤،٥٩ في الالف فبولونيا ٣٥٥١٨ قنطاراً او ١٠،١٧ في الالف فالبلجيك ٢١٣٧٩ قنطاراً او ٦،١٢ في الالف من مجموع الصادرات

وكانت الصادرات الى سائر البلدان من ٣ في الالف الى ٠،٠٥ في الالف



خطط الشام

اصدر الاستاذ محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق ، الجزء الخامس من كتابهِ « خطط الشام » في نيف وثلاثمائة صفحة ، مشتملاً على مباحث في الجيش والاسطول والخراج والاوقاف والحسبة والترع والمرافئ والخطوط الحديدية والطرق والبريد والبرق والهاتف (التلفون) والمصانع والقصور والآثار ، مبيناً ما كان عليهِ كل منها في بلاد الشام قديماً وما صار اليهِ حديثاً . يتخلل ذلك نبذ في التاريخ والادب والتشريع والاحصاء استصفاها من مئات المصادر ، وخواطر اخرجت الكتاب في كثير من مناحيهِ عن عبوسة التاريخ وثقل ظلهِ !

والاستاذ كرد علي سلس الاسلوب ، يكثر في أبحاثهِ الاستنتاج والادلاء بالرأي ، وقد تتغلب فيهِ طبيعة الكاتب الاجتماعي على طبيعة المؤرخ ، ثم يردهُ الى هذه ما يستلزمهُ كتابهُ . وهو في انشائهِ وسرد حوادثهِ حسن الانتقال في غير شذوذ عن موضوعهِ ، فبينما هو يحدث قارئ بحثهِ بالحادث التاريخي الجاف او يعرض امامهُ صورة ما كان عليهِ حال بلد او جيل اذا بهِ ينتقل بلطف الى استطراد ادبي او تاريخي ترتاح اليهِ نفس القارئ وتسترد ما قد تكون اضاعتهُ من قوة استمرارها . وربما سنحت لهُ الفكرة وهو آخذ بحلقة من حلقات بحثهِ ، فيقول فيها كلمتهُ ، ويعود الى ما كان فيهِ

اما طريقتهُ في ترتيب مباحثهِ فلنذكر لها مثلاً « الاسطول » فانهُ ابتدأ الكلام فيهِ باجمال موجز جداً عما عرف عن بحرية الفينيقيين والعبرانيين والفراعنة واليونان والرومان في سورية ، وانتقل الى العهد العربي فذكر نفرة العرب من ركوب البحار واتى بابيات قالها بدوي يصف اهوال البحر ، وتكلم عن اول خليفة غزا في البحر الشامي ، واستطرد الى البحرية الاموية ، وجاء بقصيدة للبحتري في وصف الاسطول ، ثم تكلم عن سواحل الشام ومناورها البحرية واسطولي الفاطميين والايوبيين وما كان لهما من الاثر في الحروب الصليبية ، واشار الى الاسطول العثماني التركي ، وختم البحث

باسف واستحثاث قال فيه « من الغريب ان اهل الساحل لم تصح عزيمتهم ، الى اليوم على ان ينشئوا لهم اسطولاً تجاريًّا صغيراً يحملون عليهِ متاجرهم على الصورة التي كانت لليونان قبل ان ينادوا باستقلال بلادهم ، فكان لهم اسطول تجاري قلبوهُ يوم استقلوا حربيًّا » الخ

ولئن امتاز كرد علي عن كثيرين من مؤرخي العرب بما اجتمع لديهِ من وفرة المصادر وبما اقتضاهُ العصر من الخروج في تنسيق التاريخ وضبط وقائعهِ عن دائرتهِ الضيقة القديمة ، فانهُ لم يقدَّر لهُ ان يتمتع بما يجب ان يتمتع بهِ المؤرخ اليوم من حرية كافية في القول ، فالكابوس الذي لم يفارق مؤرخي القرون الوسطى ما زال يلوّح لصاحب الخطط كلما عرض لهُ ان يدوّن حادثاً من مشاهداتهِ اليومية او يجهر برأي لهُ مساس بحكومة البلاد التي يؤرخها . واذا عرفنا ان الاعوام الخمسة عشر التي وضع فيها كتابهُ تغلبت في خلالها على بلاد الشام سلطات متباينة النزعات من وطنية واجنبية وراحمة وظالمة ادركنا ما عاناهُ من تلويح شبح السلطة لهُ ولم نعجب اذا رأيناهُ يتقي حسابها فيطلق على بعض مسميات اليوم غير اسمائها ويستعرض بعض الحوادث من غير وجوهها كما ترى في كلامهِ على الجيش العربي وحوادث سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ (ص ٣٠) وليس هذا بكثير في الكتاب ولا هو مما يغضّ منهُ

الاعلام

قاموس تراجم — لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين — تأليف خير الدين الزركلي الجزء الثاني — طبع بالمطبعة العربية بالموسكي — صفحاته ٤٠٠ من القطع الكبير

لعلَّ اشهر ما يمتاز بهِ هذا العصر توخي السرعة في انجاز الاعمال . وقد كان لاستنباط وسائل المخاطبات والمواصلات المختلفة كالتلغراف والتلفون السلكيين واللاسلكيين والبواخر والقطارات والسيارات والطيارات اكبر اثر في انماء هذه الصفة في رجال الاعمال حتى تعدتهم الى الصغار فالفتاة تودّ لو يمرُّ الوقت سراعاً حتى يسمح لها بان تلبس لبس السيدات وتعمل اعمالهنَّ والفتى يقلد اخاهُ الاكبر واباهُ قبلما يبلغ سنّاً تمكنهُ من ذلك ويودّ لو يبلغ تلك السن بين ليلة وضحاها . وكان انتشار الصحف اليومية وسرعة اذاعتها للاخبار عاملا كبيراً حمل حبَّ السرعة وتوخيها الى مخادع الكتاب والمؤلفين فوضعت لفائدتهم معاجم اللغة والاعلام والبلدان وخلاصات

العلوم المختلفة حتى يسهل عليهم تناول الحقائق المختلفة في اسرع ما يمكن من الوقت واقل ما يمكن من العناء

ولا نكون مغالين اذا قلنا ان ادباء العربية يحتاجون الى مثل هذا القاموس احتياجهم الى معجم لغوي وافٍ باغراضهم من حيث الضبط والتحقيق وترتيب المواد حتى يسهل تناولها عليهم . وقد تجشم الاستاذ الزركلي مصاعب جمة في جمع هذه التراجم وايجازها حتى تفي بالغرض الذي اقدم على تحقيقهِ . ففي الصفحات العشر الاولى من هذا الجزء اسند الروايات التي اعتمد عليها الى عشرة مصادر على الاقل منها « نكت الهميان » و « فوات الوفيات » و « تهذيب التهذيب » و« طبقات الاطباء » و « المقتطف » و « البيان والتبيين » و « خطط المقريزي » و « دول الاسلام » « وخلاصة الاثر » « واليواقيت الثمينة » و « طبقات ابن سعد » وغيرها من المصادر العربية . وفيما يلي ترجمةُ لابن المقفع كما وردت في صفحة ٥٨٨ ننقلها الى القراء لبيان الخطة التي سار عليها في وضع القاموس

ابن المقفع (٧٢٤ — ٧٥٩ م ١٠٦ — ١٤٢ هـ)

«عبدالله ابن المقفع : من ائمة الكتاب ، واول من عني في الاسلام بترجمة كتب المنطق . اصلهُ من الفرس ، وولد في العراق مجوسيًّا ، واسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وترجم لهُ « كتب ارسطوطاليس » الثلاثة في المنطق ، وكتاب المدخل الى علم المنطق المعروف بإيساغوجي ، وترجم عن الفارسية كتاب « كليلة ودمنة — ط » وهو اشهر كتبهِ. وانشأ رسائل غاية في الابداع منها « الادب الصغير — ط » و « اليتيمة — ط » . واتهم بالزندقة فقتلهُ في البصرة اميرها سفيان بن معاوية المهلبي »

فكتاب الاعلام حري بعناية المتكلمين بالعربية لانهُ وسيلة تمكن الصحافيين والمعلمين والكتّاب عموماً من تحقيق امور قد يتعذر الحصول عليها الا بعد مراجعة مجلدات كثيرة قد يضيع القارئُ في فيافي مطولاتها . فنحن نشكر للاستاذ الزركلي عنايتهُ بوضع هذا المؤلف ونتمنى لهُ كل ذيوع هو جدير بهِ

﴿ تاريخ اليمن ﴾ المسمى « فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن » تأليف الشيخ عبد الواسع بن يحيي الواسعي اليماني . طبع بالمطبعة السلفية بمصر صفحاتهُ ٤٠٠ من القطع الصغير

ديوان العقاد

اربعة اجزاء في مجلد واحد — نظم الاستاذ عباس محمود العقاد — طبع بمطبعة المقتطف والمقطم
صفحاته ٣٦٢ قطع وسط — ثمنه ١٥ غرشاً

اريدَ مني ان اقول كلمة في « ديوان العقاد » لا في « العقاد وديوانه » لان صاحب الديوان النابغة غني بما بين أيدي قراء العربية من كتبهِ وآثارهِ وما يجود بهِ قلمه كل يوم ، عن تعريفهم به ، واما درسه أديباً وسياسيًّا ومفكراً وشاعراً وإنساناً فذلك ما لا اظن المجال يتسع لهُ هنا . إذن ستنحصر الكلمة في هذا المجلد المتراصّ السطور ، البالغ ٣٦٢ صفحة ، المطبوع حديثاً في مطبعة المقتطف والمقطم طبعاً حسناً بحروف صغيرة على ورق صقيل ، يتضمن اربعة أجزاء نشر بعضها في اوقات مختلفة

***

اول ما تقع عليهِ العين من ديوان العقاد مقدمة لصديقهِ الاستاذ المازني ثم مقدمتان لصاحب الديوان فمقدمة ثالثة منظومة من شعرهِ يقول ان كتابهُ في ايدي قرائهِ نازل بحراً لا نهاية لهُ ، فيهِ حكمة وغباء ، ويأس ورجاء ، وحب وبغضاء ، وصمت وضوضاء ، وانهُ صورة حياته ، ثم ليلق بين القدح والثناء ما شاءت الدنيا من الجزاء . . ويأبى على المازني حبه لصديقه ان يرضى باطلاق معنى « الغباء » على ما هو معروف ، فيميل الى التأويل ، ونعم الميل ميله . .

يمتاز هذا الديوان ، او شعر نابغة الادب العربي عباس ، بان فيهِ ديباجة نقية وتفكيراً عميقاً وجدة في التشبيه وقوة في الاسلوب وأن صاحبهُ لا يرقب وحي الشعر ، يقولهُ إن هبط عليهِ ، ويصمت ان قلاهُ جبريله ، بل قد يستعير آيات سواهُ فينظم « ڤينوس على جثة ادونيس » لشكسبير ، ويلخص « غادة أثينا » من سيرة اسكندر ، ويترجم « الوداع » عن بيرنز و« الوردة » عن كوبر ، ويقتبس المعنى من شاعر غير عربي فيصوغهُ صياغة عربية ، وهو في ذلك امين يغزو ويعزو ، لا قانص يستلب ويحتجب !

ويريك البداوة ممثلة في « وقفة في الصحراء » وهو يقول : هضابك ام هذي اواذيّ عيلم — ويصف الوحش فيقول :

يلوذ ببطن الارض ، والارض جمرة خياشيمهُ م القيظ يبضضنَ بالدم

فتتسامح معهُ في عصيانهِ اهل القوافي حين يزج « آدم » في بيت من هذه القصيدة وينعى على الناس تعاديهم ، فيعللهُ بجهل بعضهم سر بعض ، فينطق بالحكمة الرائعة : « لو يفهم الناس سر الناس.. » (ص ٤٥)

وتقرأ لهُ « كولمب في الاوقيانوس » فيصوّر لك ما عاناهُ ذلك المكتشف من مخاوف واخطار : لا السماوات تهديهِ ، ولا النور بنور ، يسأل السحب أين مسراك ؟ أين ترمين بالحيا ؟ أتعودين بهِ الى البحر ام تحيين بصوبهِ الثرى ؟ في سماء ما حوّم فيها غير غادي سحابها ، كل يوم يرى بساطاً من الموج شبيهاً مطويّهُ بمنشورهِ ، تظهر الشمس كل يوم ، ولا يأذن « للارض » حاجب بالظهور ، ثم لاحت (الارض) فظنها القوم راحاً مدها الله من وراء البحور !

هول التيه في ذلك البحر العجاج يلهم الاستاذ العقاد حكمة فيقول :

كم ضلال في اليمّ ارهب منهُ صرعات الضلال في التفكير !

وتذكرك قصيدتهُ « الحمّام — ص ٥٩ » وقفات ابن ابي ربيعة في اركان الكعبة، فتود انهُ لم يختمها بشراهتهِ « لا تلثمي فيها .. والثمي ثغري ! » كما يذكرك وصفهُ « حديقة البرتقال — ص ١٠٣ » عنب ابن الرومي ، وهو بهِ جدّ معجب

يطربك التشبيه في « ضحك الطبيعة في الربيع — ص ٢٣ » ويهزك الابداع في وصف فرضة البحر « بسطت ذراعيها » الى « آخر البيت ١٣ » ص ١٩ ، ويشعرك بالوحشة حين يقول « أنا الغريب » البيت ص ٤٦ ، ويغمض عليك « أمسيت احداق السفائن » البيت ص ١٩ فتقول كان هذا أجدر بالشرح من الجودي ونار القرى . وإن لم يرضك قولهُ « فلا فرق بين اعمى وهر — ص ٣٢ » هزك في القطعة نفسها قولهُ « ولهذا الظلام — البيتين ص ٣٢ . أما أن « الحسن في الدنيا من الآفات — ص ٢٢ » فلا ادري ان كان في بقية الابيات برهان عليهِ . وأما تبسم الجبين في قولهِ « فاذا تبسم في الخريف جبينها — ص ٢٣ » فللاستاذ رأيهُ فيهِ ولعلهُ لو قال « المنظر » في هذا البيت لكان افضل من « النظرة »

ويطلق الفكرة ثم يبدو لهُ ما يُخال ناقضاً لها فلا يتردد في اطلاقهِ الى جانبها: يقول في « حكمة الجهل » : « در مع الناس كيّساً كغبي . . . وتجاهل ... واذا المرء كان بالحمق يحظى فمن الحمق ان تكون حكيما » ثم يقول في « الشيء من غير معدنهِ » : « ليس أضنى لفؤادي من عجوز تتصابى ودميم يتحالى وعليم يتغابى . . »

والديوان مليءٌ بنظم الخواطر في الفلسفة والحكمة والاجتماع ، تكسوها شاعريتهُ حلة نقية اذا هي لم يهتز لها الشعور فانها مما يطول فيهِ التأمل . فكثير من شعرهِ قد لا يشغل العاطفة وانما يطيل شغل العقل ، وأكاد اقول ان فيهِ ماهو مباحث علمية منظومة لولا ماياخذ قارئها من روعة هي وليدة إجادة السبك ونتيجة الابداع في البيان

***

وهممت بأن اشير الى ما مال اليهِ الطبع من قصائد ومقاطيع ومفردات مختارة في الديوان كقصيدة « الشاعر الاعمى » و« النوم » و « الحب الاول » و « رحلة الى الخزان » و« في اسوان » ومقطوعة « دوائي ودائي » و« يوم المعاد » و« اليقين » و« هيكل أدفو » و « الكون والحياة » و « أين السعادة » و « النار » و « رثاء طفلة » وأمثالها فرأيت الافاضة تعرّض للاطالة ، وحسب ديوان العقاد أنهُ ثمرة ناضجة في الادب الصحيح ودرة ثمينة في عقده « قارئٌ »

﴿ الثقافة ﴾ مجلة علمية ادبية شهرية لصاحبها ومديرها المحامي عبد الجليل برتو تصدر في البصرة — عراق وتطبع بالمطبعة الكاظمية فيها وقيمة اشتراكها ٩ ربيات في السنة

﴿ رواية بائعة الخبز ﴾ تأليف الكاتب لونسون دي تيرايل وترجمة المرحوم طانيوس عبده . عني بنشرها الياس افندي انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر وهي جزآن صفحاتهما ٣٦٥ من القطع الكبير

﴿ رواية المتنكرة الحسناء ﴾ تأليف جول ماري وترجمة المرحوم طانيوس عبده وقد عني بنشرها الياس افندي انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بالفجالة بمصر صفحاتها ١٥٤ من القطع الكبير

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) الحمى القرمزية والمناعة

نيويورك . اصيبت ابنتي منذ اسبوعين بالحمى القرمزية . وكان ابني وهو اكبر منها سنًّا قد اصيب بها قبلاً فحسبنا ان اصابتهُ الاولى تقيهِ من اصابة تالية باحداث المناعة فيهِ . ولكن لم يلبث ان اصيب بالتهاب في حلقهِ صحبتهُ قشعريرة برد وحمى شديدة . وبقيتا تتناوبانهِ يومين وظلَّ حلقهُ ملتهباً ستة ايام ولم يفد في علاجهِ دواء ما شرباً كان او غيره ومع ذلك فلم يظهر على جلدهِ طفح ما . افكان ذلك اصابة خفيفة بالحمى القرمزية منعتها الاصابة الاولى من ان تكون قوية ? وهل من حادثة مشابهة لهذهِ الحادثة ?

ج . تجدون في « باب شؤون المرأة وتدبير المنزل » مقالة سهلة المأخذ واضحة المعاني موضوعها « العدوى والمناعة » وهي تفيدكم بوجهٍ عام عما يُعْلَم في هذا الموضوع . والغالب ان اصابة واحدة بالحمى القرمزية تحدث مناعة تدوم مدى العمر . ولكن يحدث في بعض الاحيان ان من أُصيب بها مرة فقد يصاب ثانية . وفي المطوَّلات الطبية حوادث مدوَّنة من هذا القبيل . اما اصابة ولدكم فالمرجح انها كانت التهاباً عاديًّا من التهابات الحلق لا اصابة خفيفة بالحمى القرمزية . وهذا لا ينفي ما يقولهُ بعض الباحثين من حدوث اصابة بالحمى القرمزية من غير ظهور الطفح الخاص بها على جلد المصاب

(٢) الولادة الباكرة والزهري

انديانا . ولد لاحد اصدقائي طفل في الشهر السابع وكان لهُ حين ولادته اظافر وشعر ووزنهُ ثلاثة ارطال وربع رطل . اما الام فعمرها ١٧ سنة واما الاب فعمره ٢٢ سنة وكلاهما متمتعان بصحة جيدة . فقال الطبيب الذي عالج الولادة ان سبب

الولادة الباكرة وجود المرض الزهري « السفلس » في أجداد احد الابوين. ولدى البحث لم يعثر على أثر لهذا المرض الخبيث في اجداد الاب. واما الام فلا تعرف عن اجدادها ما يمكنها من الاجابة عن هذا السؤال ولكن صحتها جيدة ولا أثر لهذا المرض فيها. فما رأيكم

ج. للولادة الباكرة اسباب كثيرة غير وجود السفلس في الابوين او اجدادهما ولذلك لا يستطيع احد ان يثبت مما ذكرتم ان هذه الولادة الباكرة دليل على وجوده

(٣) مصل السعال الديكي

ومنهُ. هل استنبط مصل شاف للسعال الديكي يمكن اعطاؤهُ لطفل في الشهر التاسع من عمره؟

ج. يظهر ان الاطباء الذين لهم خبرة واسعة في معالجة السعال الديكي لا يزالون مختلفين في الرأي على فائدة المصل. فبعض الاطباء يقولون انهم حصلوا على نتائج باهرة لدى استعمال الحقن بالمصل والبعض الآخر يعارضهم في ذلك ونحن نظن ان الامر يجب ان يكون في يد الطبيب المعالج فاذا كان يعتقد ان احد الامصال المستعملة الآن يفيد فليستعملهُ. وعلى كلٍّ فلا ينتج ضرر ما من استعماله

(٤) فقد النطق سببه وعلاجه

غزه. يوجد ولد لهُ من العمر سنتان ولحد الآن لم يتكلم إلاَّ ببعض كلمات غير وافية اللفظ، لكنهُ حاد الذكاء الى درجة بعيدة وسريع الفهم والسمع ويعبر عن مطلوبهِ بالاشارة وبالذهاب الى مطلوبهِ بنفسهِ وهو كثير الحركة، فما هو السبب الذي يجعلهُ غير قادر على النطق لحد الآن مع ان كثيرين من البنين والبنات من جيلهِ ينطقون. هل يوجد مرض يحول دون ذلك ام هو متسبب عن نقص في الاب والام. وهذا الولد اخ يتقن ثلاث لغات، فاذا كان يوجد نقص فمن اي طريق وصل اليهِ، هل يوجد لديكم واسطة تمكننا من تدريبهِ على الكلام؟

ج. يظهر ان مركز النطق في دماغهِ مصاب بعلة اما من مرض واما من آفة اصابتهُ في طفوليتهِ فضغط جزءٌ من عظم الدماغ على مركز النطق وهذا يشفى بعملية جراحية تزيل هذا الضغط. وقد يكون السبب قِصَر في رباط اللسان من داخل الفم يعوقهُ عن الحركة بسهولة وهذه حالة خلقية توجد في عدد غير قليل من الاطفال وهي قابلة للشفاء في الغالب بعملية جراحية بسيطة وقد عملت لكثيرين من الاطفال بين الثالثة والسابعة من عمرهم فشفوا شفاءً تامًّا وامكنهم التكلم في مدة ثلاثة اشهر

(٥) ضربة الليمون

طرابلس. انتشرت حشرة قشرية بين

الفصيلة البرتقالية وكثر ضررها في يافا وصيدا واخذت تنمو الآن بين جنان طرابلس وبساتينها وهي قشور رقيقة مستديرة سوداء صغيرة وسطها احمر وقطرها مليمتر الى مليمترين ملتصقة على اغصان الشجرة ولكنها على الاوراق والاثمار اكثر. وقد اطلعنا في مجلة اللطائف المصورة في عددها الصادر في ٢٣ يناير الماضي في باب الاختراعات الجديدة ان احد الالمان ركب مادة اذ طممت بها الشجرة حفظتها من كافة الامراض والحشرات الضارة . فان صح ذلك فما اسم هذا العالم وما عنوانه وكيف الحصول على هذا العلاج

ج . نشرنا في الجزء الاول من المجلد الحادي والاربعين من المقتطف مقالة مسهبة في هذا الموضوع عنوانها « ضربة الليمون » فنرى ان تراجعوها. اما المادة المذكورة التي اشارت اليها اللطائف المصوّرة فلم نطلع على نبإ اكتشافها في المجلات العلمية التي تصلنا . ولكنكم ترون في هذا الجزء مقالة عن حرب « الانسان على الحشرات » والمجلة التي نقلناها عنها تقول ان قسم الحشرات بوزارة الزراعة الاميركية مستعد ان يجيب كل السائلين عما يطلبونهُ من الحقائق والمعلومات لمكافحة انواع الحشرات المختلفة فنشير عليكم بان تبعثوا اليهم بوصف مسهب لهذه الحشرات وتسألوهم عن افضل الطرق لمكافحتها وعنوانهم

The Entomological Bureau
Department of Agriculture
Washington D.C.
U. S. A.

(٦) باني القاهرة

القدس . من اول من بنى مصر (القاهرة) وهل في قول بعض الناس ان لسيف بن ذي يزن نصيب في بنائها صحة ما

ج. كان الموقع الذي تقوم عليهِ القاهرة الآن اوضاً خلاءً قبل فتح العرب لمصر . وكانت منفيس على ١٢ ميلاً منها جنوباً على الضفة المقابلة من النيل وهليو بوليس على نحو ٦ اميال شمالاً في شرق. واقدم الضواحي المأهولة في جوار ما هو القاهرة الآن كان بابليون ولعلها كانت ضاحية شمالية من ضواحي منفيس. وكانت لا تزال مأهولة في القرن السابع بعد الميلاد . وقد جاء في كتب استرابون المؤرخ ان مؤسسي هذه البلدة قوم هاجروا من بابل في ما بين النهرين واسسوها سنة ٥٢٥ ق . م . اي حين غزا الفرس مصر . وبنى الرومان في هذه الناحية حصناً جعلوهُ مركزاً عامًّا لاحد فيالقهم الثلاثة التي كانت تحفظ الامن في البلاد المصرية زمن حكمهم . وبعد ما استولى عمرو بن العاص فاتح مصر على بلدة بابليون حاصر الحصن الروماني حتى استولى عليهِ في

شهر أبريل سنة ٦٤١ ميلادية . وقد زالت بلدة بابليون الآن ولكن بعض جدران الحصن لا تزال قائمة

والقاهرة هي العاصمة الاسلامية الرابعة للديار المصرية اقدمها الفسطاط التي بناها عمرو فزهت وازدهرت في عصر الامويين وأطلق عليها اسم مصر . وتلتها مدينة العسكر التي بناها القائد سليمان بعد انتقال الخلافة من الامويين الى العباسيين وصارت مقرًّا لنواب الخلفاء العباسيين في القطر المصري . وتلتها العاصمة الثالثة وهي القطائع التي اسسها احمد بن طولون سنة ٨٧٣ ب . م . واحدثها « القاهرة » التي بناها جوهر القائد سنة ٩٦٨ ميلادية . وقد كانت القاهرة اولاً كما كانت الفسطاط المكان الذي ضرب فيه القائد خيامهُ . والمدينة التي بناها جوهر القائد تشغل الآن الجانب الشمالي الشرقي من العاصمة الحالية . ومما تقدم يتضح انهُ لم يكن لسيف بن ذي يزن نصيب ما في بنائها

(٧) البقع البيضاء على الاظافر

بيروت . ما هو سبب البقع البيضاء التي نراها احياناً على بعض الاظافر . فقد قيل لي ان سببها عدم انتظام المعدة ولكن حين اصاب بعدم انتظام المعدة لا أرى أثراً لهذه البقع وحين أرى هذه البقع لا اكون في الغالب مصاباً بعدم انتظام المعدة فما رأيكم

ج . سبب هذه البقع عدم تغذية جذور الظفر تغذية كافية وهذا يحدث غالباً بعد مرض اضعف الجسم ضعفاً عامًّا

(٨) الصابون في الحلاقة

البصرة . من استنبط الصابون في الحلاقة فان الحلاقة قديمة والصابون حديث

ج . ان الحلاقة قديمة كما ذكرتم ولكن عمل الصابون غير حديث فقد كان معروفاً منذ نحو الفي سنة ووجدت مصبنة كاملة في خرائب بمباي . وكان الرومانيون يستعملون الصابون لغسل الشعر وتلميعه وكانوا يحلقون لحاهم فلا يبعد ان يكونوا قد اهتدوا الى بلها بالصابون ليسهل حلقها

(٩) تكون الدمع

جاوى . كيف يتكوَّن دمع العين حالاً في ساعة الحزن او الفرح الشديد

ج . الدمع موجود في الغدد الدمعية يقطر منها قليلاً قليلاً بما يكفي لترطيب العين وباطن الجفنين ويجري من هناك الى الانف . ولكن اذا حدث حادث فجائي وانقبضت بهِ العضلات التي حول العين انقبضت معها العضلات التي حول الغدد الدمعية فانعصرت بانقباضها وخرج الدمع منها كما في السعال الشديد والضحك الكثير . وهياج العواطف في الانسان يؤثر فيها مثل ذلك فتهطل الدموع منها

باب الاخبار العلمية

صورة الغلاف

تمثل صورة الغلاف رسماً للملكة تيتي شيري او تايتا شارا . وهي «الجدة الجليلة لاعظم ملوك الاسرة الثانية عشرة التي تجسَّد فيها عهد التجديد الوطني لان اولادها واحفادها هم الملوك الاشاوس الذين انقذوا مصر من نير الاسيويين الهمجي» كما وصفتها حضرة صاحبة السمو السلطاني الاميرة قدرية حسين في رسالة مسهبة نشرها لسموّها المقتطف سنة ١٩٢٦ وقد اعدنا نشر هذه الصورة على ذكر مقالة توفيق افندي حبيب المنشورة في هذا الجزء التي جاء فيها على فذلكة من تاريخ دراسة الآثار المصرية في مصر من عهد المغفور لهُ الخديو اسماعيل الى الآن

اصول الحضارة الهندية

نشرنا في اول هذا الجزء مقالة ضافية وصفنا فيها مكتشفات اثرية خطيرة الشأن كشف عنها الباحثون في ولايتي البنجاب والسند بالهند يُستدَلّ منها على ان اصحاب هذه الآثار كانت لهم حضارة راقية منذ خمسة آلاف سنة. ولما ضاق بنا المقام في المقالة المذكورة عن ذكر الاختام التي وجدت هناك واصول الفن التي كانت مرعية الجانب حينئذٍ لخصنا ذلك فيما يلي والكلام على لسان السر جون مرشال مدير البحث الاثري في الهند

الاختام

اما الاختام — وقد وجدنا نحو الف منها — فكانت تعلق حول العنق او المعصم وتستعمل لختم بالات البضاعة كما جرت العادة في الهند على ما هو مدوَّن في التاريخ . وليس بعيداً عن المحتمل انهم كانوا يستعملونها بما نقش عليها من صور الحيوانات كتعاويذ لاسباب دينية . اما الخرافات المنقوشة عليها فتقرأ من اليسار الى اليمين . وقليل منها يشبه بعض الاختام السومرية ولكن لم نرَ دليلا على ان للصور المنقوشة عليها دلالة صوتية ولا ان بين لغتي البلادين علاقة ما

الفن

اما فن الحضارة السندية فيختلف عن فن البلاد المجاورة رغم وجود عناصر متشابهة بينها . فصور الحيوانات المنقوشة

على الاختام او المصورة في القيشاني من طبقة عالية دقة واتقاناً تفوق ما كنا ننتظر الحصول عليه في عهد يذهب الى ابعد من ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح اما صور الناس فسواء كانت منقوشة او ممثلة في الرخام او الصلصال او البرونز فضعيفة التمثيل تدل على ان المثالين كانوا قليلي الخبرة في رسم جسم الانسان . على انَّ في كل تمثال منها دلالة على ان المثال كان يحاول ان يرسم او يمثل شخصاً حيًّا ولكنها لا تقابل من حيث الاتقان بما وجد من آثار الفن السومري

الوزارة المصرية الجديدة

اغتنم حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزارة المصرية سابقاً فرصة وجوده في انكلترا في الصيف الماضي بمعية حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد فحادث السر اوستن تشمبرلين في المسألة المصرية وبعد اخذ وردّ داما نحو سبعة اشهر عرض السر اوستن تشمبرلين على الوزارة المصرية مشروع معاهدة لم ترَها الوزارة المصرية محققة لاماني الامة فرفضتها واستقال ثروت باشا في ٤ مارس الماضي فتألفت الوزارة الجديدة برآسة مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس النواب ورئيس الوفد المصري على المنوال الآتي

مصطفى النحاس باشا	رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للداخلية
جعفر ولي باشا	وزيراً للحربية
واصف غالي باشا	وزيراً للخارجية
محمد نجيب الغرابلي باشا	وزيراً للاوقاف
علي الشمسي باشا	وزيراً للمعارف
احمد محمد خشبه باشا	وزيراً للحقانية
محمد محمود باشا	وزيراً للمالية
محمد صفوت باشا	وزيراً للزراعة
ابراهيم فهمي بك	وزيراً للاشغال
وليم مكرم عبيد افندي	وزيراً للمواصلات

وصدر المرسوم الملكي بتأليفها في ١٧ مارس الماضي فنتمنى لها كل نجاح في خدمة البلاد

بناء جديد في البرلمان المصري

اقترح حضرة صاحب العزة عبد الله بك سليمان اباظه عضو مجلس الشيوخ تشييد بناء جديد للبرلمان المصري على سراي الاسماعيلية هذا نصه :

ان ابنية البرلمانات في كل دولة عنوان عظمتها ومظهر من مظاهر عزها ومجدها فبناء البرلمان في لندن وباريس وروما يقع في اظهر مكان من المدينة واحسن بقعة فيها وقد بلغت عنايتهم بها ان جعلوها من حيث الابهة وروعة المظهر على احسن شكل حتى ان الزائر لتلك البلاد لا يملك

نفسه من فرط الاعجاب بجمالها الفني وشعور الهيبة التي تدخلها عظمة هذه الابنية في نفسه. هذا فضلاً عن استكمالها لوسائل الراحة المعدة لاعضاء البرلمان وزائريه

اذا عرفنا ذلك وقارنا الحال بين تلك البلاد ومصر وجدنا الفرق عظيماً والبون شاسعاً ذلك لان البرلمان الحالي لم تراع فيه الشروط الصحية الواجب توافرها لراحة الاعضاء والزائرين ويغلب ان السبب في ذلك راجع الى سرعة بنائه والعجلة التي اوجدتها الظروف في تشييده فقاعة الجلسة في كل من المجلسين غير صالحة للعمل فيها لشدة وطأة الحرارة بها والغرف تضيق باللجان والموظفين ومجلس الشيوخ يجتمع في بناء ضيق جمعت امكنته من مختلف الوزارات وبالجملة فان بناء برلماننا ليس له بهاء ولا جمال

ولما كانت سراي الاسماعيلية تقع في نقطة مناسبة وأرضها متسعة فهي في نظري أنسب مكان يصلح لتشييد برلمان جديد عليها يجمع بين العظمة والجمال ويتناسب مع ما لمصر من المركز السامي

ورب معترض يعترض بان ذلك يثقل كاهل الخزانة ولكن هذا الاعتراض مردود لان الارض من أملاك الدولة والمال يمكن توفيره وتجزئته لمدة ثلاث سنوات. هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الحكومة في حاجة عظيمة الى بناء البرلمان الحالي لتنقل اليه المصالح المشتتة في العاصمة وتتخلص بذلك من باهظ الايجار الذي تدفعه عنها

لذلك اقترح الموافقة على بناء برلمان جديد في هذه النقطة وفتح الاعتماد اللازم له »

يوبيل ضومط الذهبي

يسر لجنة اليوبيل ان تعلن لتلامذة الاستاذ جبر ضومط الرئيس الاول للدائرة العربية في جامعة بيروت الاميركية ولمريديه وعارفي فضله في جميع الاقطار العربية ان حفلة تكريمه ستقام في بيروت مساء السبت الموافق ٢٨ نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٨ في منتدى الجامعة الكبير. وتخليداً لعمله العلمي شرعت تجمع الاكتتابات المالية لانشاء تذكار يليق بجهاده وفضله وهي تتقدم الى جميع الذين يقدرون الفضل قدره من تلامذته وسواهم ان يشتركوا بهذا اليوبيل اما بالتبرع المالي او بالرسائل والبرقيات والمراسلات باسم الاستاذ انيس الخوري المقدسي بجامعة بيروت الاميركية. فالمقتطف ينتهز هذه الفرصة لتكرير التهنئة لصديقه العلامة وينشر في عدده القادم بحثاً في « الاستاذ ضومط ومباحثه الفيلولوجية » بقلم المرحوم الدكتور صروف انشأه قبيل وفاته. فنلفت اليه الانظار

الموميات المصرية

قدم معالي اسماعيل صدقي باشا لمجلس النواب اقتراحاً باعادة موميات الملوك المعروضة في المتحف المصري الى مدافنها الاصلية لاسباب بسطها معاليه في اقتراحه. وقد اجتمع مندوب المقطم بالدكتور بورخارت العالم الالماني الكبير الذي يشتغل في هذه البلاد من نحو اثنتين وثلاثين سنة وسأله عن رأيه في اقتراح صدقي باشا فاجاب :

« ان الفكرة التي يحويها اقتراح معالي اسماعيل صدقي باشا المعروض على مجلس النواب فكرة صائبة كل الصواب تنمّ في الواقع على احترام ماضي مصر العظيم وقد عنيت من قبل للبحاثة الالماني الكبير المرحوم الدكتور شوينفورت ولقيت من دفاعه بالقول والكتابة الشيء الكثير وان كان قد اخرجها بصورة تختلف بعض الاختلاف عما جاء به صدقي باشا

«وانا نفسي لا يسعني الا القول اني ما مررت مرة بموميات الملوك في دار الآثار الا اعتراني الخجل عن اولئك الذين اقاموا هذه الموميات هناك لهذا الغرض المزري. او ليس من المزري حقاً ان يعرض تحوتمس الثالث الذي امتد سلطانه من السودان الى دجله والفرات ليتفرج عليه الناس مقابل عشرة قروش؟ او ليس بغيضاً الى النفس ان يعرض امينوفيس الثاني في تابوته بوادي الملوك وعلى وجهه مصباح — كالمصابيح التي تضيء آلات البيانو — ينير تقاطيع وجهه وان تعرض موميات الامراء الاربعة في غرفة مجاورة لقبره مضاءة بالكهربائية يطلع من يشاء على ما فيها مقابل ١٨٠ قرشاً كما لو كانت « ملعباً المرعبات » في معرض من المعارض التي تقام في البلدان كل عام

« ان في دار الآثار الكفاية مما تجدر بالناس رؤيته ويعجب بجماله وفيها الكفاية من هذا ومن آثار اخرى يصح معها ان تنصرف مصلحة الآثار عن هذا النوع من الوسائل المزرية في ترغيب السياح »

فسأله مندوب المقطم هل من رأيه ان تعاد موميات الملوك الى مقابرها فأجاب:

« ان اعادة الملوك الى مقابرهم لاتخلو من خطر فقد تخرجهم منها عاجلا او آجلا أيدي اللصوص والعابثين وقد يرسلونها بعد ذلك الى الاسواق التي يتجر فيها الناس بالآثار فالشيء الوحيد المستطاع هو ان يشيد لهم في القاهرة بناء يليق بهم وبعبارة أخرى « مدفن ملوك » كما اقترح شوينفورت . ولعل الوقت الحاضر هو

اصلح الاوقات لذلك فان دار الآثار التي كانت يوم ان افتتحت متناهية في السعة صارت اليوم تضيق بما فيها من الكنوز ولا تتسع لوضعها الوضع اللائق بها . فالضرورة قائمة من زمان بعيد لبناء يجعل في اسفله مدفن للملوك لايغشى إلا نادراً ولمناسبات تقتضيها الابحاث العلمية التي تتحقق فائدتها . ويخصص الدور الاول لكنوز قبر توت عنخ آمون والدور الاعلى لغير ذلك من آثار مقابر الملوك

« ولعل خير مكان يشيد عليهِ هذا البناء هو جنوب الجزيرة في المكان الذي اراد المغفور لهُ الخديو اسماعيل ان يشيد عليهِ دار المتحف الاولى اذ ليس في جوار المتحف الحالي مكان يصلح لهذا الغرض »

كنز ذهبي في بوليفيا

تألفت حديثاً شركة غايتها البحث عن كنز تركهُ اليسوعيون في بوليفيا حين نفاهم الاسبان منها سنة ١٧٧٨ . وكان قد مضى عليهم احدى عشرة سنة يقاومون الحكومة وكانت الحكومة قد سدّت عليهم كل طريق فلم يستطيعوا ان يصدروا شيئاً من الذهب والفضة والحجارة الكريمة التي استخرجوها من مناجمهم في تلك الاثناء . ويقال ان منجمين من هذه المناجم كانا من أغنى المناجم المعروفة ثم تمَّ الاتفاق على ان يسمح للجزويت بمغادرة البلاد انما اشترط عليهم ان يعطوا الحكومة ما جمعوه من الاموال . فلم يفعلوا مفضلين ان يدفنوها في الارض وحتى الآن لم يعثر عليها احد مع ان شركات مختلفة تألفت لهذا الغرض. ويقال ان احد الاباء اليسوعيين الاب جرجوريو سان رومان ترك مع اخيهِ مدير بوليس كالو وصفاً للمكان الذي دفنت فيهِ هذه الاموال فبقي هذا الوصف ينتقل في اسرتهم الى ان وقع في ايدي المستر سسل پروجرز فاعطاهُ للمستر ادجر ساندرز الذي الف هذه الشركة الجديدة وهي تنوي ان تبدأ اعمال البحث والحفر في هذه السنة . وتقدَّر قيمة الكنز بنحو ١٢ مليون جنيه

قدم الانسان في أميركا

كثرت الانباء الواردة من انحاء الولايات المتحدة الاميركية بالعثور على آثار مختلفة للانسان القديم ثم ثبت ان اكثر ما ذكر غير صحيح او انهُ لم يحقق تحقيقاً علميًّا وافياً لذلك اهتم علماء آثار الانسان باقوال البعثة العلمية الاميركية التي عهد اليها المعهد العلمي السمثصوني في ان تذهب الى ولاية فلوريدا حيث قيل ان احد الباحثين عثر فيها على آثار للانسان في ثلاث طبقات جيولوجية متراكمة تعود الى عهد

البليستوسين . فانهُ واضح ان اعلى هذه الطبقات غير باقٍ على وضعهِ الاصلي ولذلك فالمرجح ان آثار الانسان التي وجدت فيهِ ليست قديمة . وعمل اللجنة سيتجه بنوع خاص الى البحث في الطبقة الثانية والحكم في هل هي باقية على وضعها القديم ام لا لان بعضهم يرى ان الارض هناك انقلبت بعامل بركاني او ما اليهِ وان ما وجد فيها من آثار الانسان انما رسب هناك في عصور حديثة

اختراع جديد في الطيران

جاء من دترويت ان المشتغلين بالطيران يتوقعون انقلاباً خطيراً في مبدإ الطيران على اثر اختراع شكلٍ جديد لمحرك يحركهُ جهاز كهربائي بدلاً من البنزين ويدور هذا الجهاز بقوة كهربائية مغنطيسية على مثال حركة دوران الارض

وقد جرب الكولونل لندبرغ والميجر لانقيار اللذان فكّرا في استعمال هذا المحرك الجديد تجارب دلت على انهُ يمكنهُ أن يدور ١٨٠٠ دورة في الدقيقة واكدا انهُ يستطيع ان يدور الفي ساعة قبل ما تقتضي الحاجة بملء الجهاز مرة اخرى

وقررت شركة جوجنهيم ان تعقد مؤتمراً معجلاً يحضرهُ اصحاب الاختراع الجديد والكولونل لندبرغ والميجر لانقيار للبحث فيهِ

رشدي باشا

في مساء الاربعاء ١٤ مارس الماضي وقبيل منتصف الليل فجعت مصر بفقد رجل آخر من الرجال الذين تعدّهم الامم لساعاتها العصيبة ومواقفها الحرجة لما فاضت روح حسين رشدي باشا الى خالقها فطويت بموتهِ صفحة خطيرة من تاريخ مصر الحديث ونهضتها المجيدة . وسنأتي على ترجمتهِ في عدد تالٍ

مذنب جديد

الهر رنيمث مساعد في مرصد كونجستول بهيدلبرج اشهر ببحثهِ عن النجيمات وقد كشف نحو مائة منها حتى الآن . وفيما هو يبحث عن نجيمات جديدة كعادتهِ في ٢٢ فبراير الماضي كشف مذنباً جديداً من القدر الثاني عشر تقريباً . وهذا اول مذنب كشفهُ واول مذنب كُشف سنة ١٩٢٨

منارة يخترق نورها الضباب

صُنعت في نيويورك منارة قوتها ١٣٠٠٠٠٠ شمعة نورها قرمزي يخترق الضباب المتلبد الى مسافة ١٢٠ ميلاً لكي تكون دليلاً للبواخر وهي داخلة الى مرفإ نيويورك حين يكون الضباب كثيفاً

طيارة الاخوين ريط

يذكر قراء المقتطف اننا اشرنا في السنة الماضية الى خلاف قام بين المستر اورفيل ريط ومديري المعهد السمثصوني على نصيب المستر لنلي في استنباط الطيارة وهل كانت طيارته اول آلة اثقل من الهواء تمكن انسان من الطيران بها . وانه لذلك عزم ان يهدي الطيارة الاولى التي صنعها مع اخيه المستر ولبور ريط وطار احدها فيها في ١٧ دسمبر ١٩٠٣ الى المتحف العلمي بسوث كنسنغتن — لندن . وقد اطلعنا الآن في مجلة ناتشر ان المستر ريط اعار المتحف هذه الطيارة لمدة معينة لتعرض على اعين الجمهور

الطيار هنكلر

في ٢٢ فبراير الماضي وصل المستر هنكلر الطيار الانكليزي الى بورت داروِن في شمال استراليا بعد ما طار من لندن اليها مسافة ١٢ الف ميل في ستة عشر يوماً و١٣٤ ساعة من الطيران الفعلي اجتازها في خمس عشرة مرحلة منها مرحلتان طويلتان الاولى من لندن الى رومية وطولها ٨٧٠ ميلاً اجتازها في ١٣ ساعة والاخرى من بلدة بيما في جزائر الهند الشرقية الى بورت داروِن وطولها ٩٥٠ ميلاً . وقد استقلَّ لذلك طيارة صغيرة من ذوات الجناحين لا تزيد قوتها عن ٨٠ حصاناً وقام بالرحلة كلها وحيداً

علاج الجذام

زيت الشولموجرا دواء قديم في معالجة الجذام ولكن الباحثين لم يستخرجوا منهُ علاجاً مفيداً لهذا الداء الاَّ بعد تجارب طويلة قام بها بعض اعلام الاطباء امثال ماتِسن ورو وهايزر وروجرز وغيرهم انتهت باستنباط دواء يُدعى اليبول واسمهُ العلمي هيدرو كاربات الصوديوم ويستعمل حقناً . وقد ابان السر ليونارد روجرس لجمعية الجذام الانكليزية في ٢٤ فبراير الماضي ان الحقن بهذا الدواء يشفي اكثر الذين يعالجون بهِ وخصوصاً اذا بدأوا المعالجة في اول درجات المرض

معهد علمي طبي مصري

تخليداً لذكرى سعد باشا زغلول

علم احد مندوبي المقطم ان نية اعضاء اللجنة التي تألفت لتخليد ذكرى المغفور لهُ سعد باشا زغلول متجهة الى ان تنشئ بالمبالغ التي يكتتب بها الآن « معهداً علمياً طبيًا » على منوال معهد باستور وهي فكرة سديدة لشدة حاجة مصر الى معهد كهذا

كلفة كبيرة

ظهرت كلفة كبيرة على وجه الشمس في ٢١ فبراير الماضي رآها اناس بلندن بالنظر الى الشمس من وراء زجاجة مدخنة . ولما نظر اليها العلماء بالتلسكوب وجدوها كلفة كبيرة تصحبها كلف صغيرة على طرفها الجنوبي وهي قريبة جدًّا من مركز قرص الشمس

مجمع تقدم العلوم الاميركي

انتخب الاستاذ هنري اوسبورن رئيس المتحف الاميركي الطبيعي بنيويورك رئيساً لمجمع تقدم العلوم الاميركي الذي يلتئم هذه السنة في مدينة نيويورك وهو من اكبر علماء البيولوجيا المعاصرين وقد اختصَّ بفرع الباليتولوجيا اي علم الآثار المتحجرة

بعثة جوية الى القطب الجنوبي

الكومندر رتشرد برد طيَّار اميركي مقدام كان أول الطيَّارين الذين افلحوا في الطيران الى القطب الشمالي. وقراء المقتطف يرون لهُ مقالة في هذا الجزء وصف فيها طيرانهُ مع ثلاثة من رفاقهِ من نيويورك الى شواطىء فرنسا . وهو الآن يعد معدات رحلة جوية الى القطب الجنوبي والاصقاع المتجمدة حولهُ في دسمبر القادم غايتها جمع الحقائق العلميــة عن جغرافية تلك الاصقاع واحوالها الجوية وحيواناتها ونباتاتها وما الى ذلك

الجمعية الملكية ورؤساء الوزارة الانكليزية

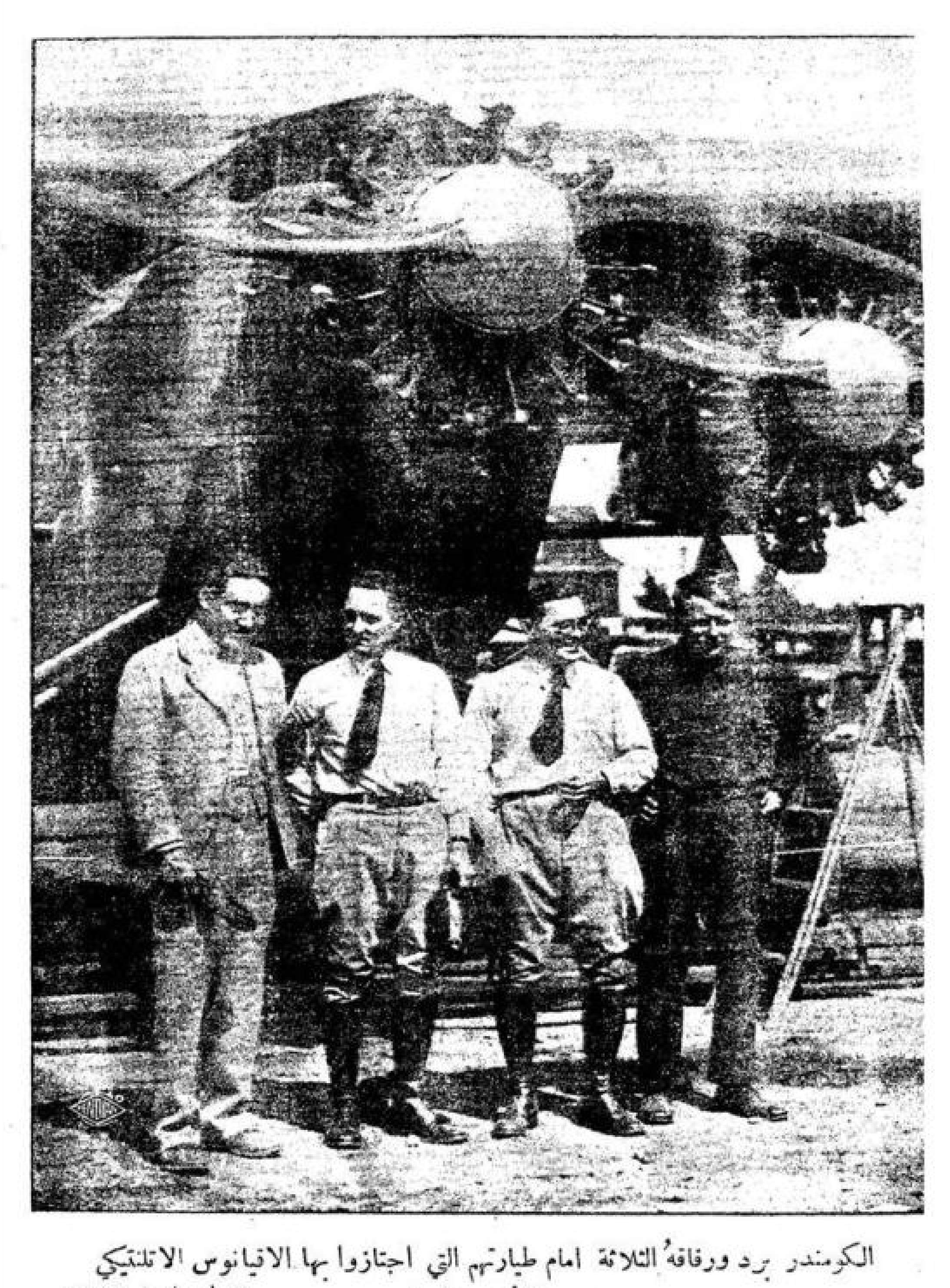
ذكرنا في جزء سابق ان الجمعيــة الملكية ببلاد الانكليز انتخبت المستر بلدوين رئيس الوزارة البريطانية عضواً فيها . وليس المستر بلدوين اول رئيس وزارة بريطانية حاز هذا الشرف الكبير . فقد سبقهُ اليهِ المستر دزرائيلي اذ انتخب عضواً فيها سنة ١٨٧٦ والمستر غلادستون الذي انتخب سنة ١٨٨١ والمستر اسكوبث الذي انتخب سنة ١٩٠٨

مساحة الدماغ

اذا بسطت الطبقة السنجابية في دماغ الانسان بلغت مساحتها قدمين مربعتين او اكثر وهي تحتوي على تسعة آلاف ومائتي مليون خلية من الخلايا العصبية

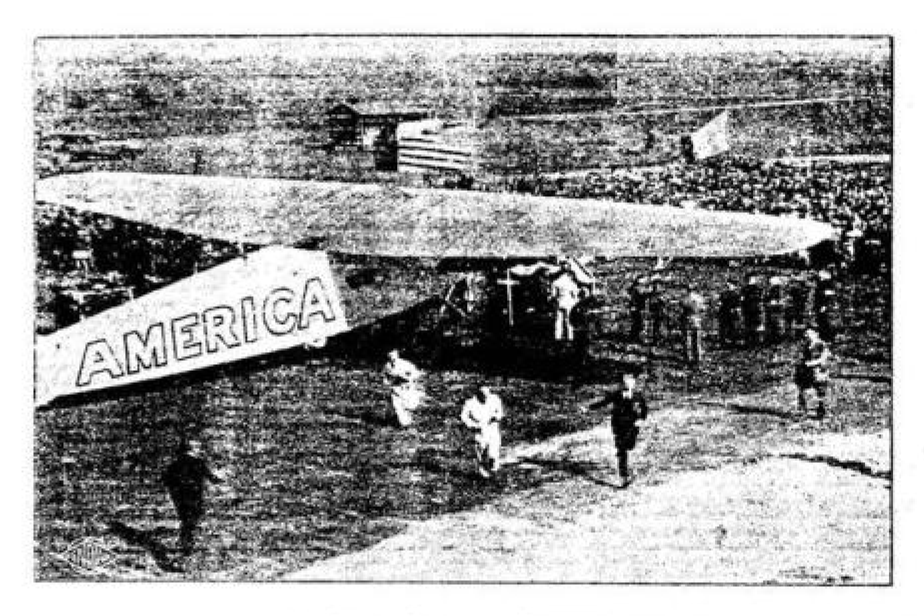
هبات معهد ركفلر

انفق معهد ركفلر في اثناء سـنة ١٩٢٦ نحو مليوني جنيه على تشجيع البحث الطبي ومكافحة الامراض في كل انحاء الارض



الكومندر برد ورفاقهُ الثلاثة امام طيارتهم التي اجتازوا بها الاتيانوس الاتلنتيكي
وهو الثاني من اليسار

مقتطف ابريل ١٩٢٨
امام الصفحة ٦١



الاحتفال باطلاق اسم « اميركا » على طيارة برد

بنت ، معتمداً على عكازه يودع برد ورفاقه قبل قيامهم

دير وستمنستر مثوى عظماء الانكليز ونوابغهم
حيث يتوج ملوكهم من سنة ١٠٦٦ الى الآن

تماثيل حيّة — الحرّاس في حي الوزارات بلندن

مقتطف ابريل ١٩٢٨
امام الصفحة ٣٩١

المتحف البريطاني — اغنى متاحف الارض

محطة واترلو بلندن

يدخلها ويخرج منها كل يوم ١١٠٠ قطار مساحتها نحو ٢٥ فداناً ونفقات بنائها نحو مليوني جنيه

مقتطف ابريل ١٩٢٨

عمود نلسن في ميدان طرف الغار بلندن ارتفاعهُ ١٤٢ قدماً
وعلى قمتهِ تمثال نلسن صُبَّ من مدفع بالبارجة «رويال جورج»

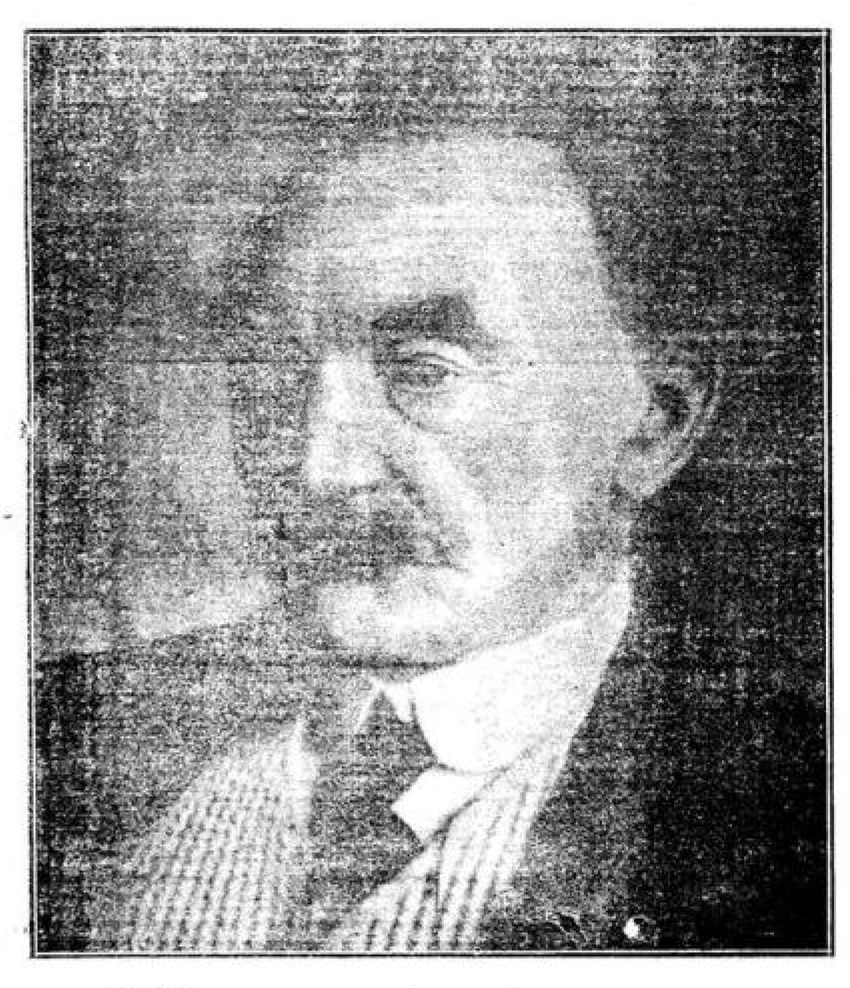
تذكار الجنود الانكليز الذين سقطوا في الحرب الكبرى، يحيط بهِ
بعض الوزارات . وقد رفع الستار عنهُ في ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٠



ماري ملكة رومانيا بملابسها الوطنية
وهي من الاديبات الشهيرات

مقتطف ابريل ١٩٢٨

امام الصفحة ٤٠٩



توماس هاردي

عن البلاغ الاسبوعي

الاديب الانكليزي الشهير المتوفي حديثاً

مقتطف ابريل ١٩٢٨

أمام الصفحة ٤٢٨



الاستاذ ولس بدج

المستر هورد كارتر

الدكتور اليوت سمث

ثلاثة من علماء الآثار المصرية المعاصرين

مقتطف ابريل ١٩٢٨
امام الصفحة ٤٣٨

الجزء الرابع من المجلد الثاني والسبعين


المقتطف
AL·MUKTATAF

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثاني والسبعين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١١ ذي القعدة سنة ١٣٤٦

كلمات للدكتور صروف

حياة اللغات ومميزاتها

ان مميزات اللغات ليست قائمة بما فيها من الاسماء والافعال بل بما فيها من حروف المعاني واساليب التصريف والاشتقاق وتركيب الجمل . اي بصرفها ونحوها وبيانها . ففي اللغة التركية الوف من الكلمات العربية وقد تقرأ سطرين فيها مؤلفين من عشرين كلمة فتجد فيهما عشر كلمات عربية ومع ذلك يبقى الكلام امامك تركيًّا مغلقاً لا تفهمهُ ما لم تتعلم اللغة التركية لان تصاريفها وتراكيبها وحروف المعاني فيها غير ما هي في العربية . وكل ما دخل التركية من لغة العرب لم يصرفها عن كونها تركية ولا حطَّ من منزلتها بل زادها غنىً وزاد اهلها مقدرة على التعبير عن المعاني . ومثل ذلك اللغتان الانكليزية والفرنسوية فان فيهما عشرات الالوف من الكلمات التي تشتركان فيها ومع ذلك فكل لغة منهما مستقلة عن الاخرى تمام الاستقلال ولا يستطيع الفرنسوي ان يفهم الانكليزية ما لم يتعلمها ولا الانكليزي الفرنسوية ما لم يتعلمها . وتعلُّم اللغة الواحدة على ابناء اللغة الاخرى ليس اسهل من تعلمها على ابناء العربية لان مميزات كل لغة منهما انما هي في المختلف من حروفهما وتصاريفهما وتراكيبهما لا في المتماثل من اسمائهما وافعالهما . ولقد دخل العربية قبل جمع معجماتها كثير من الكلمات اليونانية والقبطية والفارسية والسريانية فلم يغضَّ ذلك من كرامتها واستمرَّ الدخيل يضاف اليها حتى الآن ويستحيل ان ينقطع ما دامت اللغة حية والمتكلمون بها يخالطون غيرهم من اهل اللغات الاخرى

الصحافة العلمية والنهضة الشرقية

رسالة المقتطف(١)

حضرة صاحب المعالي : سيداتي وسادتي :

مهما اختلفت آراء الكتاب والمفكرين ، وتشعبت مذاهبهم في النظر الى ماهية التاريخ ، وتحديد العوامل التي تدفع بالحضارة الى الامام ، ووصف مظاهر العمران ووجوه ارتقائه . فلا ريب في ان الكل مجمعون على ان التاريخ في صميمه انما هو حديث ارتقاء الفكر البشري وانطلاقه من قيوده وابداعه في ما تيه

فبالفكر تغلب الانسان على طوائف الاحياء التي كانت تنازعهُ البقاء في ميدان الوجود . وبالفكر تحرر من قيود الاوهام التي كانت تقعد بهِ عن النهوض والجري في مضمار الرقي . وبالفكر سيطر على عناصر الطبيعة ونفذ الى مكامن اسرار الحياة : تطلع الى الكواكب فقاس أبعادها واجرامها وحلل عناصرها وعيَّن نسبها ومقاديرها . والى الجراثيم ندرس طبائعها ووسائل استخدامها واتقائها . والى العقل فكشف عن اصول الفكر والحفظ والغريزة والعاطفة والعادة . والى الاحياء فقرر نواميس نشوئها وارتقائها. وبالفكر ايضاً تحكم في قوى الطبيعة وأخضعها لمطالبه . فطوّق الارض بامواج الاثير. وجاب البحار على مدن طافية . وحلّق في الجو بجناح وبغير جناح . وتصدى لحالك الظلام نبدد غياهبه بانوار تلبس الليل جلباب النهار . ووصل بين ضفاف الانهر بكبار هي في الحقيقة أشعار رائعة قوامها الخيال والذكاء والجمال والحديد

***

والصحافة أيها السادة ، الصحافة الراقية التي تنظم في سلك نشراتها اليومية انباء العمران من اربعة اقطار المعمور . فتجمع بين التدوين النزيه والنقد المنصف . وتعتمد في كل ما تذيعهُ على الرأي الخالص الناتج عن الروية والعلم . والعاطفة الشريفة يلطفها ويضبطها العقل الراجح والحكم المعتدل . والبداهة المصقولة بالاختبار . والاستقلال القائم

---

(١) الخطبة التي القاها محرر هذه المجلة في حفلة تأبين المرحوم الدكتور صروف التي اقيمت في دار الاوبرا الملكية في ٣ مارس الماضي . راجع وصف الحفلة وما تلي فيها من الخطب والقصائد في هذا الجزء صفحة ٥٥٣ وما بعدها

على السعي في سبيل النفع العام — هذه الصحافة ايها السادة قوة من قوى العمران الحديث خلع عليها أحد الكتاب الفرنسيين ثوب الملك ولقبها بصاحبة الجلالة وهي جديرة بذلك

وحين انتقل من التعميم الى التعيين أخص بالذكر الصحافة العلمية التي يقيم اصحابها في جو هادئ بعيد عن منازعات السياسة ومشاغبات الحياة وقد آلوا على انفسهم البحث عن الحقيقة ونشرها بين الناس فاقول انها مظهر من امجد المظاهر للارتقاء الفكري الذي ذكرت وركن من امتن الاركان التي تقوم عليها الحضارة في القرن العشرين

في ساحتها تلتقي اقلام الكتاب والمفكرين بافهام القراء وهذا الالتقاء يولد احتكاكاً والاحتكاك يبعث في العقول نوراً وفي النفوس ناراً. فهي تأخذ باليمين لتعطي باليسار. تأخذ من المبدع والعالم والمستنبط والكاتب والاستاذ. لتعطي الزارع والتاجر والصانع والمدرس والطالب . هي صلة الاتصال بين عالم الابداع الفكري وعالم التطبيق العملي . هي مرتبة متوسطة بين مباحث العلماء الفنية ومدارك الجمهور الذي يطلب الحقائق جلية واضحة ، تقبلها العقول وتسيغها الافهام . والعلم لا يرتقي ايها السادة. ولا ينال قسطهُ من الشيوع والتأييد . ولا تُجتَنى الفوائد التي يجب ان تجنى منهُ. الاَّ اذا اتصلت نتائج المباحث العلمية بمقتضيات العمران وتغلغلت في كل مصدر من مصادر الحياة الفردية والاجتماعية

لذلك كان بسط الحقائق العلمية ونشرها لازمين ككشفها وتحقيقها . وهذا البسط والنشر جانب من المهمة العظيمة التي تضطلع باعبائها الصحافة العلمية من نوع المقتطف

واني واثق كل الثقة بانهُ متى آن الاوان لكتابة تاريخ للنهضة الشرقية الحديثة على قاعدتين من الانصاف والتحقيق لا يسع المؤرخ ان يغفل نصيب الصحافة العلمية في اذكاء نورها ونارها. فالجهل ظلام والظلام عبودية. والعلم نور والنور حرية. والحرية تطلق امام العقل مجال الابداع وامام الهمة ميدان العمل . والعقل المبدع تدعمهُ الهمة العالية أساس لكل عمل موفق ونهضة حية وعمران صحيح

***

نظرة أيها السادة الى تاريخ نشأة المقتطف. ولنطو بالخيال والفكر اثنتين وخمسين سنة

من تاريخ الشرق نرود امصاره ونرنو الى احواله ونتتبع مظاهر نهضته ويقظته حتى نستقر على رابية في رأس بيروت نزل فيها جماعة من عمال الخير فانشأوا معهداً للعلوم الحديثة قال رئيسهم في غايته : في ساحة هذا المعهد تلتقي العقول التي تروم الكشف عن اسرار الوجود . والنفوس التي تتطلع الى ادراك كنه الحياة ومبدع الحياة . ندربها على البحث العلمي القائم على الدقة والانصاف ونولجها هيكل الحقيقة في موكب من عرائس الافكار . لا نعرف للمذهب الديني سبيلاً يفسد علينا غايتنا . ولكننا نجعل لاصول الدين القويم المكان الاعلى في كل اعمالنا لاننا نريد ان نخرج للحياة رجالاً تشد العقيدة الراسخة فيهم العقل المثقف والرأي الحصيف

في هذا المعهد العلمي المنير نشأ المقتطف وترعرع

وعلى اقطابه الاعلام تلقى منشئاه قواعد العلوم الحديثة وأساليب التفكير الحر

وفي دوره ومعامله وأنديته طبعت نفساهما بأن العمران بناء فسيح الرحاب يقوم على دعائم كثيرة اقواها وألزمها دعامتا العلم الصحيح والتهذيب الديني القويم

هناك تسلما قبساً من النور نشراه في ارجاء الشرق

ولكن مصراً كانت منذ اقدم عصور التاريخ ولا تزال منأى للكريم عن الاذى ، فحضنت المقتطف ورحبت به وعطفت عليه ، لمّا كان سيف الاستبداد مصلتاً فوق رقاب الاحرار من ابناء سورية ولبنان ، فنزل المقتطف الديار المصرية على الرحب والسعة ، وأتصلت اصوله بتربتها الغنية تستمد منها القوة والغذاء . وامتدت فروعه في جوها تتسامق الى افسح الاجواء . تأخذ من الحياة المصرية وتعطيها حتى غدا بتعضيد حكامها وعلمائها وأعلامها منارة تبسط من عاصمتها أنوار العلم على بلدان الشرق

***

خمسون سنة من التاريخ ! والحضارة سائرة سيراً حثيثاً الى الامام . ففي الآراء والافكار تنبه وتعديل . وفي الآداب والاخلاق والمعتقدات ثورة وانقلاب . وفي امور المعيشة تقدم وتغيّر لا يضاهيهما تقدم ولا تغير في كل ما سبق من عصور التاريخ . وفي كل فروع العلوم وأبواب البحث اكباب على كشف المجهول واستقصاء الاسباب الاولى . والعلماء من كل قطر منبثّون في كل ناحية يبحثون ويمتحنون ويكتشفون ويستنبطون لا يعرفون الى الهزيمة سبيلاً ، ولا يقعد بهم عن تحقيق اغراضهم مشقة او

مرض أو موت . وموكب العلم سائر الى الامام وفي كثير من الاحيان على اشلاء مبدعيه

هذا من جهة . ومن جهة اخرى نرى الطبيعة هي هي ، ابدا تحدى الركائب. وعلى النفوذ الى مكامن اسرارها تعلق أبعد الغايات . كواكب وسيارات واقمار ومذنبات تسير في الفضاء . وصخور تتدحرج على سطح الغبراء تاركة آثارها في صخورها وجبالها : وانهار تحتفر مجاريها في التراب . وحيوانات تبقى هياكلها في طبقات الثرى . ونباتات تكتنب قبرياتها في اطباق الفحم . ورجال يقلبون الغامر عامراً والعامر جنة تجري من تحتها الانهار . فالهواء يدوي بالاصوات . والجو حافل بالاشارات . والارض كلها رقعة دوّن فيها تاريخ الاحياء وغير الاحياء . والرقعة في ظرف مختوم لا بد من فضّ اختامه واعلان محتوياته واسراره

فمن اكثر العلوم النظرية دقة وغموضاً الى اكثرها انطباقاً على الاعمال وابعدها أثراً في معايش الناس . ومن أدق المعادلات الرياضية العالية الى اعوص الآراء الجديدة في شكل الكون وبناء المادة . الى أحدث المستنبطات والمكتشفات في الزراعة والصناعة والمواصلات والمخاطبات وأسباب المرض ووسائل العلاج — كل ذلك اصاب من التقدم في نصف القرن الماضي ما يجعلهُ من اعظم العصور مقاماً في التاريخ

وقد كان المقتطف في كل ذلك رسولاً أميناً بين حضارة الشرق وحضارة الغرب . في ميدانهِ الرحب التقت اقلام العلماء والمفكرين من ابناء الحضارتين . آناً تتفق آراؤهم وآناً تختلف . ومنشىء المقتطف واقف للعلم بالمرصاد ، يقتطف منهُ كل طارف وكل تليد ، حتى غدت مجلته مدرسة سيارة ، ومنارة جوّالة ، ورابطة تضم ابناء الشرق في وحدة معنوية متينة في زمن عزت فيه اسباب التضامن وفشت عوامل التفرقة والانقسام

واذا سمحتم لي ايها السادة ان اتجرد هنيهة من علاقتي الشخصية بالمقتطف واصحابه لجردت من مجلداته السبعين ، شخصاً معنويًّا اضعه في مرتبة فرنسيس باكون الفيلسوف الذي نفخ الحياة في الجمعية الملكية الانكليزية وجماعة الانسكلوبيذيين الفرنسيين وعلّم ان المعرفة تطلب للقوة والسيطرة لا للتأمل والتخيل والتكهن بالغيب . وقضى على منطق ارسطوطاليس . واقام التجربة والامتحان اساساً للعلم ، فكان بذلك رائداً مقداماً شقّ

الطريق امام العلم الحديث الذي تتلفت آثاره في كل مقومات العمران

***

فالمقتطف مجلة علمية صناعية زراعية ، كانت ولا تزال. لان منشئيهِ رأيا بتلك البصيرة النافذة التي تخترق القشور وتتعداها الى اللباب ، ان الشرقيين لا يستطيعون ان يباروا الغربيين في ميدان العمران الاَّ اذا اخذوا اخذهم في درس العلوم الطبيعية وجعلها وسيلة لاتقان الزراعة والصناعة . ودرس العلوم الفلسفية وجعلها قاعدة للآداب والاخلاق والمعاملات . وعرفا ايضاً ان الاقتصار على تدريس قواعد هذه العلوم في المدارس لا يفي بالحاجة لان تيار العلم لا يعرف السكون . وجياد المستنبطات أبداً في سباق . والسابق منها الجواد

واية طائفة من علوم الغربيين عالجها المقتطف ؟

كل العلوم على الاطلاق . ولكنهُ قدم منها العلوم التي يربون بها اطفالهم حتى لا يموت منهم نصف ما يموت من اطفالنا . ويحفظون بها صحتهم حتى لا يبلغ متوسط وفياتهم نصف متوسط وفياتنا . ويصنعون بها آلاتهم وادواتهم حتى يمخروا البحار بمراكب كالرواسخ ويخترقوا القفار بمركبات من النار . العلوم التي يقطعون بها الشجر ويسحقونهُ ويصنعون منهُ الورق ويطبعونهُ في يوم واحد . ويندفون القطن ويغزلونهُ وينسجونهُ بالبخار وبالكهربائية . ويكثرون بها جني الارض واصلاح انواع المواشي وخلق انواع جديدة منها . ويطوقون بها الارض بامواج لطيفة ينقلون على اجنحتها السحرية الصور والاصوات

فالوتر الاول الذي ضرب عليهِ المقتطف انما هو وتر العمل وتطبيق العلم على مقتضيات العمران

ولكنهُ عني ايضاً بنشر العلوم الفلكية والرياضية المجردة والمباحث الاثرية والتاريخية وسِيَر الرجال والنساء الذين كانت سيرهم واعمالهم ثروة عامة . لان نشرها يفتح امام العقل ابواباً مغلقة من حكمة الله وغرائب الطبيعة واسرار الحياة فتشحذ القرائح وتنضي الهمم وتحرك كامنات النفوس . ثم لا تلبث ان تجري في عروق الادب والفن دماً حاراً فتياً تستفزهُ الحياة وتستثيرهُ بآمالها وآلامها

يضاف الى ذلك ان لنشر هذه العلوم والمباحث فوائد عقلية غير الفوائد العملية والادبية التي ذكرت . ذلك انها تعوّد القراء العناية بطلب الحق. وتعلمهم ان يكونوا على

اتم الانتباه لان الطبيعة تناجينا دائماً لتكاشفنا باسرارها. ثم تدربهم على ان يكونوا ذوي اقدام وصبر على المكاره لان مسالك العلوم لا تخلو من العقبات والرجل الرجل من يصبر حتى ينتزع الفوز من انياب الفشل

هذه هي العلوم التي عني بها المقتطف. وحثَّ على الاخذ بها والتوفر عليها وقضى حتى الآن اثنتين وخمسين سنة يقتطف ثمارها من حدائق الغرب ويزفها شهراً شهراً الى ابناء الشرق على ما يقتضي ذلك من « الجهد العظيم في وضع المصطلحات العلمية العربية والشجاعة الادبية في نشر الآراء الجديدة والمذاهب المستحدثة والاحاطة بفروع المعارف على تعددها وتشعب مسالك البحث فيها »

هذه هي مهمته كما افهمها . هذه هي رسالته الى المدنية العربية كما كانت وكما اتمنى ان تظل . واني لاغتنم هذه الفرصة التي تملأ جوانحي حزناً وأسى فاقطع على المقتطف والقائمين بانشائهِ واصدارهِ عهداً بان يجعلوا هذه الغايات العظيمة دستوراً لهم ومناراً

***

أيها السادة : يقولون ان هذه الحضارة القائمة على اركان من العلم الطبيعي والفلسفة المادية تحمل في طياتها بذور فسادها واضمحلالها

أفلا نستطيع نحن ان نمزج علم الغرب بشطر من فلسفة الشرق وان نخفف مادية الغرب بشيء من روحانية الشرق فنخرج للعالم وللحياة حضارة جديدة فلا تكون حضارة مصرية فحسب. ولا حضارة عربية فحسب . بل حضارة عالمية تجعل مصر كعبة لفلاسفة العمران كما هي كعبة لعلماء الآثار واثرياء السياح

انا اعلم أن الطريق امامنا وعر وشاق

وان المعترك للفوز والسيطرة محتدم الوغى حامي الوطيس

وان سبيل العمران مرصوف برفات الامم

ولكن مجيدة هي الامة التي يسقط أبناؤها في هذا الميدان يصعدون انفاسهم الاخيرة وهم يسلمون المصباح لمن يليهم من المجاهدين

تلك هي الامم التي تكتب اسماؤها واسماء ابنائها باحرف من نور في صفحات الخلود

عجيبة المستنبطات الحديثة

التلفزة او الرؤية عن بعد — الرؤية عن بعد في الظلام — اختلافهما عن نقل الصور سلكياً ولاسلكياً — اختلافهما عن الصور المتحركة الناطقة
تاريخ الاستنباط واهم قواعده

تقدمت المباحث اللاسلكية تقدماً سريعاً بعد الحرب فصرنا لا ندري اية عجيبة من العجائب لا يستطاع تحقيقها . فالتخاطب بالتلغراف اللاسلكي تلاهُ التخاطب بالتلفون اللاسلكي وتلا هذا شيوع نقل الصور الفوتغرافية سلكيًّا ولاسلكيًّا فطوّقت الارض بالامواج اللاسلكية اللطيفة تحمل على اجنحتها السحرية الصور والالفاظ . والتلفزة او الرؤية عن بُعدٍ احدث المستنبطات اللاسلكية واغربها فرأَينا ان نجمع في مقالة واحدة اهم ما يعرف عن هذا الاستنباط العجيب وقد اشرنا الى اكثر حقائقهِ في اجزاء المقتطف الماضية

١ — الصور المتحركة الناطقة

لما زرنا الولايات المتحدة الاميركية منذ اربع سنوات اسعدنا الحظ بمشاهدة الصور المتحركة الناطقة « الفونوفلم » ذلك ان شاهدنا على ستار الصور المتحركة صور ثلاثة من المرشحين حينئذٍ لرآسة الولايات المتحدة الاميركية وهم الرئيس كوليج والمستر جون دايفس والمستر لافولت فوقف كلٌّ منهم وبيدهِ ورقة يتلو منها خطبة يبيّن فيها القواعد التي يجري عليها في ادارة البلاد اذا فاز في الانتخاب . وكان الجمهور يرى صورهم وحركاتهم ويسمع اصواتهم الموافقة لتلك الحركات في آن واحد . هذا الشريط الناطق ليس من التلفزة في شيء لان الصور التي يشاهدها الناس على ستار الصور المتحركة ليست بنت ساعتها بل يكون قد انقضى على تصويرها على الفلم ايام او اسابيع . ولكن التلفزة ترمي الى رؤية ما يجري في الحال . اي اذا كان لديك تلفاز « اي آلة التلفزة » وكنت متصلاً بمحطة تذيع ما يحدث في احدى دور التمثيل مثلاً فانك ترى على لوح تلفازك كلَّ ما يحدث في تلك الدار دقيقة دقيقة فترى الممثلين والممثلات يروحون ويجيئون كانهم بمشهد امامك او كأَنَّ قوة بصرك ازدادت نفوذاً فصرت ترى ما يجري على بعد اميال منك

٢ — نقل الصور سلكياً ولاسلكياً

كذلك ترى ان التلفزة تختلف اختلافاً بيناً عن نقل الصور بالتلغراف او التلفون. لان نقل الصور يستلزم وجود صور فتوغرافية على فلم او لوح فتوغرافي فتوضع بحيث تخترقها شعاعة من النور تقع بعد اختراقها على بطرية حساسة لتغيرات قوة النور فتؤثر في المجرى الكهربائي الذي يتولد فيها وهذا يقوى ويرسل في الفضاء امواجاً لاسلكية الى ان تصيب محطة استقبال فتلتقطها من الفضاء وتحولها الى نور والنور يُرسم خطوطاً تختلف دقة وكثافة فتعيد مواقع الظل والنور التي على الصور الاصلية. وهذا الامر صار مطروقاً في الصحافة الاوربية فاني اذكر اني رأيت في الصيف الماضي لما كنت في بلاد الانكليز صورة لدمبسي وتني الملاكمين يتلاكمان نشرتها جريدة الديلي اكسبرس بعدما أُرسلت اليها لاسلكيًا من شيكاغو على اثر انتهاء المباراة بينهما. اما التلفزة كما مرَّ معك فغايتها نقل صور الاحياء يروحون ويجيئون لا نقل صورهم الفتوغرافية الثابتة

٣ — التلفزة سلكية ولاسلكية

وبعض الذين ينقلون معلوماتهم عن الصحف التي لا يجد اصحابها متسعاً من الوقت لتحقيق ما ينشرونهُ فيها يظنون ان التلفزة هي الرؤية «باللاسلكية» كما وصفتها بعض الجرائد الانكليزية. والواقع ان معنى التلفزة الحقيقي حسب تحديد مكتب تسجيل المستنبطات الجديدة بلندن هو الرؤية بالتلغراف سواءٌ في ذلك التلغراف السلكي والتلغراف اللاسلكي. ولا يخفى ان التلفون اللاسلكي الآن يشترك مع التلفون العادي في المحادثات التلفونية بين اوربا واميركا. وعليهِ فاستواء التلغراف السلكي واللاسلكي في التلفزة ليس بالامر الغريب لان الامواج الكهربائية هي التي تنقل المرئيات والاصوات سواء سارت على سلك او انتشرت في الفضاء

٤ — تاريخ الاستنباط

يعود البحث في الاركان التي تقوم عليها التلفزة الى سنة ١٨٧٣ في بلدة تدعى ڤلنشا على شاطىء ارلندا الغربي. ذلك ان محطة تلغرافية كانت قد انشئت في تلك البلدة واقام فيها رجل يدعى المستر ماي يدير شؤونها ويستقبل التلغرافات التي ترسل من اميركا فوُفّق الى اكتشاف بسيط في نفسهِ ولكنهُ كان القاعدة التي بنيت عليها التلفزة فيما بعدُ. ذلك انهُ لاحظ ابرة التلغراف المدونة تتحرك حركة لم يتمكن من تعليلها أوّلاً. وبعد البحث والتنقيب لاحظ ان شعاعة من نور الشمس تقع من النافذة

على بطرية السلينيوم وانها سبب الحركة الغريبة التي شاهدها في الابرة فكشف بذلك ان معدن السلينيوم يتأثر بالنور فتزيد مقاومتهُ للتيار الكهربائي او تقلُّ حسب قلة تعرضهِ او كثرتها . فثبت لاول مرة في التاريخ انهُ في الامكان تحويل النور الى امواج كهربائية او نقل النور على اسلاك كاسلاك التلغراف

وقد كانت مشكلة التلفزة تقسيم كل جسم تراد رؤيتهُ الى الوف من البقع الصغيرة ثم نقل هذه البقع حسب قوة النور او ضعفهِ على سطحها الى الآلة المستقبلة وترتيبها احداها الى جنب الاخرى حسب ترتيبها على سطح الجسم الذي نُقِلت عنهُ على ان يتمّ ذلك في عشر ثانية على الاكثر حتى تتمكن العين من رؤيتها شبحاً واحداً

وظن العلماء ان السلينيوم لا يلبث ان يتحول في ايديهم وسيلة للرؤية عن بعد ولكن ظنهم هذا لم يتحقق الا بعد انقضاء نحو خمسين سنة وبعد ما خاب ظنهم في معدن السلينيوم لبطء تأثرهِ باختلاف قوة النور فاستنبطوا وسيلة افعل منهُ لتحويل النور الى امواج كهربائية نريد بذلك البطرية الكهربائية — النورية Photo-electric cell وهي تفعل فعل السلينيوم ولكن فعلها اسرع جدًّا واثبت

وتلا ذلك استنباط الانابيب المفرغة على اختلافها فمهدت السبيل لتحقيق التلفزة على وجه يبعث على الامل في ابلاغه درجة بعيدة من الاتقان

وكان اشهر المشتغلين بهذا البحث ربنيو وفورنيه وسكزبانيك وروزنغ وبيلان فحاول كلٌّ منهم ان يحل المعضلة بطريقتهِ الخاصة فلم يوفق احدهم الى تحقيق امنيتهِ ولكن مباحثهم كشفت اموراً كثيرة استفاد منها الباحثون الذي جاءوا بعدهم

وفي سنة ١٩٢٣ كان نفر من العلماء قد تقدموا في هذه الطريق وصنعوا آلات تمكنوا من ان يروا بها اشباح مرئيات حقيقية واشهرهم جنكنز ومور باميركا وهلوك وبيلان بفرنسا وبايرد بانكلترا . والفرق كبير جدًّا بين رؤية اشباح مبهمة ورؤية وجوهِ اناس يروحون ويجيئون وكل ملمح من ملامحهم ظاهر ظهوراً واضحاً . وعليهِ ارتأى بعض الباحثين ان تحقيق التلفزة المتقنة امر لا يتم قبل انقضاء سنين كثيرة

على انَّ المستر بايرد المستنبط الانكليزي جرَّب تجربة من هذا القبيل امام اعضاء المعهد الملكي بلندن في يناير سنة ١٩٢٦ فارسل صور وجوهٍ من غرفة الى اخرى فكانت الوجوه التي استقبلت ورئيت رغم عدم اتقانها تفوق كل ما سبقها من هذا القبيل واضحة وضوحاً جعل الذين شاهدوها يقولون « ان التجربة اثبتت امكان تحقيق التلفزة

وأن عمل بايرد هذا داعٍ للاعجاب والعجب »

ومنذ قام المستر بايرد بتجربته المذكورة وهو مكبٌّ على اتقان استنباطه واطالة المسافة بين التلفاز المرسل والتلفاز المستقبل فكانت المسافة في البدء هي المسافة بين غرفة وأخرى ثم بين بلفاست بشمال ارلندا و لفربول ومنشستر ثم بين لندن وغلاسجو والمسافة الاخيرة ٤٣٥ ميلاً فكللت هذه التجارب بالنجاح مما شجعهُ على تخطي دور التجربة والامتحان الى دور التوسع في العمل. وفي يوليو من السنة الماضية اخذ يبني محطة يذيع منها صور حوادث واقعة فيلتقطها من عنده تلفاز مستقبل اذا كان في دائرة تمكنهُ من الاتصال بالمحطة المذيعة

٥ — التلفزة بين لندن و نيويورك

وفي ٩ فبراير الماضي (سنة ١٩٢٨) تمكن بايرد من امتحان تلفازه بنقل صور المرئيات به من لندن الى نيويورك مسافة ٣٥٠٠ ميل فوضع رأس لعبة امام التلفاز المرسل بلندن اولاً ثم ازيل ووقف مكانهُ المستر بايرد نفسهُ ثم حلَّ محلهُ احد الصحافيين فنقلت صورهم الى نيويورك وشاهدها الرجال الذي كانوا امام التلفاز المستقبل . وفي اثناء ذلك كان الفريقان يتحدثان معاً من حين الى آخر بالتلفون اللاسلكي

٦ — الرؤية في الظلام

لا يخفى ان عين الانسان تتأثر بالاشعة التي تتراوح بين اللون الاحمر واللون البنفسجي من الطيف الشمسي فاذا انعكست هذه الاشعة مفردة او مجموعة عن شبح من الاشباح تأثرت العين وابصرت ذلك الشبح . على انها لا تتأثر بالاشعة التي تحت الاحمر او فوق البنفسجي فاذا انعكس احد هذه الاشعة عن شبح من الاشباح دون غيرها من اشعة الطيف الشمسي لم تستطع عين الانسان ان تتبين ذلك الشبح . لكن بايرد استنبط عيناً كهربائية تستطيع ان تتبين الاشياء في الظلام لانها تتأثر بالاشعة المظلمة أي الاشعة التي تحت الاحمر وهو من غرائب الاستنباط في هذا العصر . وقد دعي هذا الفعل نوكتوفيزيون Noctovision او الرؤية في الليل ولا بدَّ ان يكون لهُ اثر كبير في الاعمال التجارية والحربية

وقد فصّلنا فيما تقدم انهُ ابتكر طريقة للرؤية عن بُعد يستطيع ان يرى بها الاجسام والاشخاص عن بُعدٍ كما هي ، فيراها ثابتة اذا كانت ثابتة ومتحركة ان كانت متحركة وبها تُنقل المرئيات باستعمال النور المنعكس عنها

وفي الآلة الجديدة تتجمع الاشعة التي تحت الاحمر وتوجَّهُ كما توجَّهُ اشعة النور من مصباح كشّاف الى البقعة التي يراد رؤية ما يجري فيها تحت ستار الظلام تنعكس عن الاجسام التي فيها فتتأثر العين الكهربائية بالاشعة المنعكسة وتنقل صور المرئيات الى الجهاز المستقبل وهو كالجهاز المستقبل في آلة الرؤية عن بعد فترى على لوحته صور المرئيات كأنها ستار للصور المتحركة

وفِّق المستر بارد الى هذا الاستنباط البديع وهو عاكف على اتقان تلفازه. ذلك ان التلفاز كان يستدعي في بادئ الامر ان يكون الشخص الذي يُراد نقل حركاته وسكناته به مغموراً بنور قوي لكي يتأثر التلفاز بهذا النور المنعكس عنهُ. ورأى المستر بارد بثاقب نظره ان نجاح هذا الاستنباط على وجه تجاري يستدعي ان يكون النور المنعكس عن الاشخاص او الاشياء طبيعيًّا فوالى البحث والامتحان حتى فاز بذلك. ثم خطر لهُ ان اعتمادهُ في آلته ليس على عين بشرية لا تتأثر الاَّ بالاشعة التي بين الاحمر والبنفسجي بل هو يعتمد على عين كهربائية قد يكون في امكانها ان تتأثر بالاشعة التي تحت الاحمر او بالاشعة التي فوق البنفسجي. ولكن ثبت لهُ عدم موافقة الاشعة التي فوق البنفسجي لذلك لأن لها فعلاً في الانسجة الحية يتلف خلاياها وهي فضلا عن ذلك ضعيفة النفوذ لا تلبث ان يمتصها الهواء فيضعف فعلها. فحوّل اهتمامهُ الى البحث في الاشعة التي تحت الاحمر ففاز بضالته المنشودة وزد على ذلك ان تجاربهُ فيها أثبتت لهُ انهُ يستطيع الاكتفاء بها دون نور الشمس المنظور. ولما جرب تجاربهُ هذه امام نفر من الخبيرين في الاسلحة البرية والبحرية والجوية في انكلترا طُلب اليهِ من قبل الحكومة ان يحفظ سرّ آلته في طيّ الكتمان

وقد جرَّب آلتهُ هذه امام طائفة من اعضاء المعهد الملكي ببلاد الانكليز فكتب عنهُ الدكتور الكسندر رسل في مجلة ناتشر مقالاً قال فيه «جرب المستر بارد آلتهُ امامي وامام المستر كروكس فجلس أحدنا في الغرفة التي فيها الجهاز المرسل ومعهُ احد مساعدي المستر بارد وكانت الغرفة مظلمة. وجلست انا في الغرفة التي فيها الجهاز المستقبل وقد كانت في طبقة غير الطبقة التي فيها الغرفة الاولى فرأينا على لوح الجهاز المستقبل رأس المساعد وكل حركاته وسكناته. وكانت الصور التي رأيناها واضحة كل الوضوح فاستعمال هذه الاشعة (الحمراء) في التلفاز يمكننا من ان نرى به ما يدور تحت ستار الظلام عن بُعدٍ وهذا أمر لم يحقق قبلاً على ما أعلم»

كيف عبرنا الاوقيانوس الاتلنتيكي

اربعة في طيارة

للطيار الاميركي الكومندر رتشرد برد

جاء في الصحف اليومية قبيل كتابة هذه السطور ان طيارين المانيين وطياراً ارلندياً فازوا باجتياز شمال الاوقيانوس الاتلنتيكي من اوربا الى اميركا على متن طيارة المانية تدعى برمن Bremen : وهي اول مرة فاز فيها الطيارون بعبور الجانب الشمالي من هذا المحيط من الشرق الى الغرب . وفي المقالة التالية وصف لبعض المخاطر التي يلاقيها الطيارون في مثل هذه الرحلة. وهي تتمة كلام الكومندر برد الذي نشرناه في مقتطف ابريل الماضي :

٢

الليل مدلهمٌّ . والغيوم متلبدة حول الطيارين ذاهبة في الجوِّ قمماً جرداء او هابطة اودية مخيفة كأنها افواهُ الهاوية. وسلامة الطيارة والطيارين رهن الرياح التي علّقوا عليها آمالهم فان هبّت من ورائهم ودفعتهم معها الى الامام تمكنوا من الوصول الى الشاطىء الاوربي قبل نفاد البنزين الذي معهم وكتبت لهم السلامة . وذلك ما كان. فانهم في اثناء الليل اتصلوا بآلتهم اللاسلكية بالبواخر التي كانت تمخر عباب الاوقيانوس على مقربة منهم. فطلبوا الى الباخرة الاولى التي تمكنوا من مخاطبتها ان تطلعهم على حالة الجوّ على سطح البحر فكان جوابها « ضباب : ضباب » . ثم طلبوا الى ربانها ان يعيّن لهم موقعها ففعل. ثم تمكنوا من مخاطبة الباخرة « باريس » وطلبوا الى ربانها ان يعيّن لهم موقعها ايضاً . ومن ذلك تمكنوا ان يعينوا موقعهم بالضبط . فوجدوا انهم كانوا قد انحرفوا جنوباً عن الخط الذي رسموهُ للجري عليهِ وبدلاً من ان يديروا مقدم الطيارة حينئذٍ ويتجهوا الى ارلندا كما كان قصدهم اولاً قرروا ان يسيروا رأساً الى رأس فنستر بفرنسا

وبعد ما قاسوا مقدار البنزين الباقي معهم وسرعة سيرهم بعد مغادرتهم جزيرة نيوفوندلند ثبت لهم ان ريحاً غربية هبّت من ورائهم فدفعتهم معها الى الامام وزادت سرعتهم نحو ثلاثين ميلاً في الساعة . ومع ان البنزين الذي كان باقياً معهم كان كافياً لان

يصل بهم الى رومية لم يقرّروا ان يفعلوا ذلك لان ظنهم كانت باريس فعليهم ان يبلغوها . وكانت الرسائل اللاسلكية من انحاء اوربا قد اخذت ترد عليهم فشعروا كأن العالم باسره ينتظر انباءهم ويريد مخاطبتهم

وفي الوقت الذي قدروهُ وصلوا الى برست على شاطئ فرنسا الغربي ومنها اتجهوا الى باريس بعدما انقضى عليهم يوم كامل لم يروا فيهِ اثراً لليابسة . وكان الجوّ حين وصولهم الى شاطئ فرنسا صافياً ولكن الافق كان ملبّداً بالغيوم . فارسلوا رسالة لاسلكية الى مطار باريس ليسألوا عن حالة الجو فيها وفي جوارها فجاءهم الردّ بان الجوّ مدلهمّ ينذر بهبوب عاصفة هوجاء فجزعوا لهذا النبإ لانهم عرفوا ان امامهم معركة شديدة مع العاصفة ولكنهم لم يلبثوا ان سرّوا لهُ لعلمهم ان الفوز في هذه المعركة يجيء برهاناً جديداً على تقدم الطيران وصحة الاعتماد عليهِ فساروا متجهين الى باريس . ولكن البوصلة التي اعتمدوا عليها في تحديد اتجاههم خانتهم لعطل اصابها ولما ظنوا انهم وصلوا فوق مطار لبورجه وانهم رأوا نور منارتهِ يفري الدجى تحققوا ان النور امامهم انما كان نور منارة على شواطئ فرنسا تحذر البحارة وتهديهم

فاداروا مقدم طيارتهم واتجهوا الى باريس يخترقون الظلام ولا يعبأون بالرياح والامطار حتى خيل اليهم انهم بلغوها . ولكن الرياح والامطار الهاطلة والغيوم المتلبدة منعتهم عن تحقيق موقع مطارها تحقيقاً يمكنهم من النزول فيه . وكان البنزين في احواض الطيارة قد اخذ ينضب رويداً رويداً حتى بلغ درجة صار العقل يقضي معها بوجوب الانكفاء الى الشاطئ ولو كانت باريس قاب قوسين او ادنى . لانهُ اذا نفد البنزين واضطرت الطيارة ان تحط على الارض في هذا الظلام الدامس كان لا مفر من تحطمها وقتلهم . والكومندر برد يظن انهُ حين قرّر العودة الى شواطئ فرنسا كان فوق باريس بدليل ان هدير محركات الطيارة سُمع فيها . ولكنهُ كان مسؤولاً عن حياتهِ وحياة رفاقهِ فلم يشأ ان يعبث بها عبثاً اذا استمرّ انتهى بفاجعة اليمة

ومع ذلك فالقرار على الرجوع لم يضمن سلامة الطيارين لان نزولهم سالمين على سطح الماء في ظلام حالك امر مشكوك فيهِ . ولكن عناصر السلامة في النزول على سطح الماء كانت اوفر من عناصر السلامة في النزول على اليابسة . ولذلك كان قرار العودة الى الشاطئ لا مندوحة عنهُ

واتجهوا الى المنارة التي كانوا قد رأوها ظانين انها منارة لبورجيه بباريس فبلغوها

وحاموا حولها وهم لا يدرون اين تلتقي اليابسة بالبحر وهل هناك شاطئ رملي يستطيعون النزول عليه سالمين. ولكن لما دار نور المنارة دورته جلا لهم المكان فتحققوا انهم كانوا فوق البحر وان المطر لا يزال يهطل غزيراً فعزموا للحال ان ينزلوا على سطح البحر ولكن على مقربة من الشاطئ حتى يتمكنوا من السباحة اليه . على انه كان عليهم ان يبعدوا عنه بعداً يمكنهم من اجتناب الصخور الناتئة حيث الماء ضحضاح

وكان معهم اسهم نارية يشعلونها ويرمونها فتضيء بضع ثوان تمكنهم من رؤية ما حولهم فاضاءوا بعضها ووجدوا انهم كانوا على نحو ٩٠ متراً من الشاطئ

وهنا نترك الكلام للكومندر برد قال :

كانت الساعات التي قضيناها في مصارعة العاصفة حافلة بالوجل والتعب . وكنت اشعر اني مسؤول عن حياة رفاقي . واعتقد انهم لم يروا في نزولنا على سطح الماء املاً كبيراً في النجاة . ولكنهم بقوا يتلقون الاوامر وينفذونها بشجاعة وصبر رغماً عن اعتقاد بعضهم انهم واردون حتفهم

كان بلخن يسوق الطيارة فاصدرت الاوامر اليه بالنزول الى سطح البحر وفيما نحن نازلون الى سطح الماء كانت رنة المحركات تدلّ على انها لا تزال سائرة على غاية ما ينتظر من الدقة والانتظام بعد مسيرة ٤٢ ساعة فلم املك نفسي من الاعجاب بمتانتها ودقة صنعها رغم الخطر العظيم الذي كان يحيق بنا في آخر مرحلة من مراحل رحلتنا

ولما اقتربنا من سطح الماء لم نره لاشتداد الظلام فلما مسَّت العجلات سطح الماء انبترت من الآلة كأن سكيناً حادة قطعتها قطعاً رغماً عن متانتها من غير ان تهتز الطيارة او ترتج مما يثبت قوة مقاومة الماء لجسم يسير على سطحها سيراً سريعاً

وكان الصدمة الكبرى حصلت بعد ذلك بثانية واحدة . كنت واقفاً امام النافذة احاول ان انظر الى الماء تحتنا فلم اشعر الاَّ وانا في البحر احاول السباحة للنجاة . كان ستار الظلام لا يزال مسدلاً والمطر يهطل غزيراً كثيفاً . وسمعت نوفل يدعوني ثم صمت فكان السكون الذي ساد في تلك اللحظة رهيباً وخصوصاً بعد ما سكنت المحركات التي بقيت ٤٢ ساعة ترن في آذاننا حتى كادت تصمّها

اما الطيارة فامتلأت بالماء حالاً . وكأني شاهدت نوفل يخرج من نافذة الطيارة فسألته باعلى صوتي كيف حالته فلم اتلق جواباً . فدبَّ الوجل الى نفسي وناديت

بلخن واكوستا فلم اسمع جواباً فازداد وجلي . فسبحت الى ناحية الطيارة فوجدت بلخن عالقاً بالطيارة يحاول التملص منها ولم ارَ أثراً لاكوستا فظننا انهُ لا يزال في مقعد السائق وكان هذا غارقاً تحت الماء فغصنا لنساعدهُ على الخلاص فلم نجدهُ هناك وفيما نحن ناديهِ من غير ان نتلقى جواباً على ندائنا رأيناهُ يسبح بيننا كأنهُ طلع من البحر او نزل من السماء. وكان سبب كل ذلك ان صوت المحركات كان قد احدث صمماً موقتاً في اذان رفاقي فلم يسمعوا ندائي. اما انا فكنت قد استعملت ما يقي الاذان من شدة الصوت فبقي سمعي طبيعيًا

وكان معنا زورق من المطاط نستطيع ان ننفخهُ حين الحاجة اليهِ ونستعملهُ فسبحنا الى جناح الطيارة وجلسنا عليهِ نحاول نفخهُ . وكانت معنا قطعة في الطيارة من العلم الاميركي الاول فلما حصلنا عليها وضعنا المجاذيف في القارب واتجهنا الى البر

كنا حينئذٍ على مسافة ميل من قرية فير — سير — مير Vers-sur-mer

فلما وصلنا اليها كان السكان لا يزالون مستغرقين في النوم وكل بيت تحيط بهِ حديقة وجدار وفيما نحن سائرون رأينا ولداً ممتطياً عجلة فلما رآنا اسرع في سيرهِ ظنًّا منهُ اننا متشردون

اخيراً وصلنا الى المنارة فوجدنا مديرها وزوجتهُ مستيقظين ولقينا بعض الصعوبة في اقناعهم باننا لسنا مجانين واننا طرنا من اميركا بطيارة نزلنا بها على مقربة منهما. وبعد ما استرحنا قليلاً عدنا الى الطيارة لانقاذ الرسائل التي كنا قد حملناها معنا ووعدنا بايصالها الى اصحابها. والظاهر ان المدَّ كان على اعلاهُ حين نزلنا في البحر فلما عدنا الى الطيارة كان الجزر على اوطأهِ فوصلنا الى الطيارة مشياً على اليابسة وخرج بعض سكان القرية فساعدونا . ما عشت لا انسى ما احاطنا بهِ هؤلاء القرويون من العطف والمساعدة وقبل ما غادرنا فرنسا للعودة الى اميركا امتطينا سيارة من باريس وزرناهم لنحييهم تحية الوداع

اما عن حفلات الاستقبال ومظاهر الفرح والابتهاج التي استقبلنا بها الجمهور الباريزي من اصغر الافراد الى اكبرهم واعظمهم مقاماً فلا محل للتبسط فيه هنا . ويكفيني ان اقول ان مثل هذه الرحلات من افعل الوسائل لاحكام روابط المودة والوئام بين الشعوب

رشدي باشا

لست أحاول في مثل هذه العجالة ان اجلو على القارئ الكريم صورة كاملة لرشدي باشا او ان اترجم له ترجمة وافية تكافئ عظمته العظيمة ، فان من فتنة الدعوى ان تظن ان مثل حسين رشدي كله يجتمع في مقالة او في مقالات. انما هو من اولئك الافذاذ المعدودين — إن لم يكن في العالم كله ففي الشرق على الاقل — فما اخلق رشدي بان يتجرد لبحثه وتحقيق عبقريته نفر من علماء النفس والتاريخ ، واذن لخرجوا منه كل يوم بعظيم

سأتحدث في هذا المقال عن رشدي لا حديث باحث محلل يرد غرائزه القوية الى مناجمها من قضايا علم النفس ويصل كل ناحية من نواحيه باترابها في عظماء الناس ، ولكنني اروي عنه حوادث متفرقة شهدتها كلها بنفسي او ترويتها عن الثقات الذين لا يترقرق الشك حول خبرهم ، ولربما عرضت لبعضها بشيء من التحليل ، على انني في ذاك أتحرى ان اجمع كل حادثة الى اختها ، واضم كل واقعة الى ما يشابهها حتى يمكن ان يتسق من هذه الامشاج هيكل لرشدي باشا اذا كان ضئيلاً فهو صادق على كل حال

نشأته

رشدي باشا على انه نشأ في الحسب لانه ابن محمود باشا ابن دبوس اوغلي اوطبوز زاده الكبير الا انه لم ينجم في الغنى ولم يتقلب في صدر شبابه في النعمة التي يتقلب فيها من تسلسلوا من مثل بيته . ولقد شخصت اليه يوماً مع المرحوم والدي لزيارته وهو رئيس وزارة فجعل يتحدث بنعمة الله عليه ، وكان مما قال : انه كان طالباً في باريس فمات والده المرحوم محمود باشا دبوس اوغلي واذا كل ما تركه لبنيه الاربعة (ثلاثة اولاد وبنتين) ستمائة (بنتو) خرج حسين منها بمائة وخمسين كانت هي كل مادته لطلب العلم وللعيش الجاهد في باريس . فانظر كيف عانى هذا الشاب في صدر العمر وكيف كافح الشهوة والايام ليعيش في باريس بمائة وخمسين (بنتو) لا يرفدها الا نصيب (كمصة الوشل) في وقف دبوس اوغلي الكبير ، ويصبر على هذا العيش ويروض النفس له في طمأنينة ورضى حتى يظفر (بالدكتوراه) ويسبق في الامتحان لداته جميعاً !

ولقد كان رشدي باشا لعوباً طروباً فكان يمضي عامة الاطول في لهو الشباب وفي

عبث الشباب ، قل ان يحتجز لمذاكرة الدرس ومراجعة الاساتيذ ، حتى اذا كان بينهُ وبين اوان الامتحان شهران مضى الى الحلاق فسألهُ ان يحلق رأسهُ كلهُ بالموسى لكيلا يجرؤ على ان يتدلى بعدها في الشوارع او يغشى الملاهي العامة ، وانقبض هذين الشهرين في غرفتهِ مكبًا على الدرس جاهداً فيهِ ، حتى اذا مثل الى ممتحنيهِ لم يقنع بأن يكون طالباً ناجحاً فحسب ، بل لقد تعمد مطاولتهم والولوغ بالتفنيد في قضاياهم ، وانتهى بهم او انتهوا بهِ الى الحكم بان هذا التلميذ غير ما خبروا من التلاميذ ، وان هذا الذكاء غير ما عرفوا من الذكاء !

فقد خرج لنا من هذا ان رشدي من يوم تدلّى الى الدنيا تدلّى اليها بخلتين لا يد فيهما لتعليم ولا تدريب ، إنما هما من صنعة الله الذي يقول للشيء كن فيكون ، وهما العزم الجبار والذكاء العجيب !

ذكاؤه وفطنته

لقد كان هذ الرجل الى يوم قبض الى رضوان الله متسعّر الذهن ملتهب الذكاء ، ولعله كان اذكى من نبهوا من المصريين جميعاً ، وكان حاد الفطنة مرهَف الحس ، ولقد كنت تطرح عليهِ القضية تحتاج الى تسريع النظر واجالة الفكر ، وترتيب مقدمات القياس بحيث تتمكن كل واحدة منها في موضوعها المقسوم حتى يتهيأ تحلب النتيجة المنطقية ، وكل هذا يحتاج الى جهد ، وكل هذا يحتاج الى بسط في الزمن ومطاولة في التفكر والتدبير ، ولكن رشدي كان ينحط بك الى النتيجة الصحيحة السليمة قبل ان تتم لفظك. وتفرغ من قولك.

ولقد مضيت يوماً اتفرج في الجمعية التشريعية ، وكان رشدي ، على ما أذكر ، وزيراً للحقانية ، وطُرح على الجمعية مشروع قانون وضعتهُ الحكومة لردم البرك ، وكان الكلام في جزاء من يتخلف من الاهلين عن ردم بركة تدخل في ملكهِ ، وفي ان الحكومة في هذه الحال تردمها بالقوة عنهُ وترجع بوجوه النفقات عليهِ ، فانبعث المرحوم عبداللطيف المكباتي بك وقال : فاذا كان للحكومة بركة فتعذرت على ردمها فحينئذٍ يحق للأهلين ايضاً . . . . فلم يدعهُ رشدي يتم تشريعهُ ، بل لقد جمجم من مجلسهِ جمزة عنيفة وصاح ملء لهاته هذه ثورة ! . . . . فانتفض المجلس كلهُ إنتفاضة عنيفة واحتج على الوزير واقتضاهُ (ان يسحب) هذه الكلمة ، كلمة الثورة (فسحبها) وهو ، ولا ريب ، يعلم ان قولهُ الحق ، وان القوم لم يلحقوهُ ، أو ادركوهُ ولكن لم يريدوا ان يسجّل على جميعهم انها تطلب

الثورة ، (فسحبها) ! ولست اشك في انهُ فعل مصانعة لرأي القوم ، والاَّ فاية ثورة اشنع واخبث من ان الحكومة اذا وَنَت في عمل من اعمالها نفذ الاهلون ذلك بالقوة عليها ، ورجعوا عليها بما بذلوا في ذلك من النفقات ؟ !!!

الواقع ان رشدي باشا كان رجلاً حديد الفطنة ، فلم تكن فطنتهُ باية حاجة الى ان تتسكع على مقدمات القياس فتجس كلا منها ، حتى اذا استوثقت من سلامتهِ اقرته في موضعه ، ثم خلصت بعد كل هذا الى النتيجة فاستخرجتها في هوادة ومطمئن اناة ، بل لقد كان يمر بذهنه على هذا كله مر البرق الخاطف فيقبض على النتيجة الصحيحة في أسرع من ردّ الطرف إذ انت تحسبهُ يذكو ذكاء القرود لا يلمح في طريقه او لا يعنى في طريقه الى النتيجة بوجوه الاسباب والعلل في حين قد لمحها جميعاً وعنى بهـا جميعاً ، وتمكن بذلك الذهن (الاكسبريس) الذي لا يقف على صغار المحطات ، على انهُ حتماً يجوز بها في سبيله جميعاً

ولعل هذه حدة الذهن ، ولعل هذه صولة العقل في حسين رشدي قد حطت من شأنه عند كثير من اولئك الذين لم تهبهم الطبيعة ما وهبتهُ فكانوا أعجز من ان يطيروا في الفهم مطيره ، اذ هو يعد رجل عصبي جائش سريع لماع الذهن تقاولهُ في الامر فيقذفك بحجتهِ على نحو ما يصل هو ويدعك لذهنك المطمئن المتاد ، فلا يسعك ، وأنت بعض معذور ، إلا ان تظن بالرجل عبثاً ، هذا اذا لم تكن رزين الذهن فتحسب ان الرجل قد خرف واهتر !!!

عبقرية

لقد كان رشدي باشا عبقريًا بقدر ما يمكن ان تأذن بهِ هذه الكلمة ، ولقد سلف عليك انهُ كان في صدر ايامهِ شابًا لعوباً يعطي شبابه مدى أَشَره ، فلم يكن كل ما تهيأ لرشدي من العلم الفحل في القانون ، بمختلف فنونه ، ابن التعليم ولا طول المراجعة وحفظ القضايا المرسومة ، انما كان ابن الاستعداد ، ابن العبقرية ، وفي النهاية ابن تلك اللطيفة الروحانية التي يهبها الله المتخيَّرين من عبادهِ فتدركها فيهم لا تملك لها تعليلاً ، ولا تستطيع لسببها تأويلا . كان رشدي في هذا البلد مَلِك القانون غير مدافع . سلَّم لهُ بهذا سعد ، وهو من تعرف شدة عقل وكفاية لا يترامى اليها حد ، وسلَّم لهُ بها عدلي ، وعدلي إذا ذكر أحضرك المثل الاعلى لسلامة الفهم والبه مربالاً ، ور

والرأي النَّصيح تنقطع من دونهِ جهود التفكير ، وسلّم لهُ بهذا ثروت ، واذا قلت ثروت قلت كل بليغ في الفضل وكل عظيم . وسلم لهُ بها من يلي هؤلاء علماً وبصيرة وجلالة محل وشدة خطر ، إذ رشدي في الحق ، لم يقرأ أكثر مما قرأ غيره ، ولم يتوفر أبلغ من سواه على الدرس والتحصيل . وما شاء الله كان

ولقد اذكر انهُ في احدى جلسات لجنة الدستور ، وكنت من سكرتيريها ، اقترح أحد الاعضاء مبدأ دستورياً لا يحضرني موضوعه الآن فصده رشدي في عنف وقال: ان هذا مبدأ غير مستقيم ولا يمكن ان يؤذَن بهِ في قواعد دستور ،فقال العضو ، وهو من الاذكياء المتفقهين : ولكنهُ قد أُخذ بهِ في دستوركذا ، وسمى دولة لعلها من تلك الدولات التي انصدعت عن روسيا ووضعت دساتيرها بعد إذ ضرب الفالج رشدي وصرفه عن درس القوانين .فأكد رشدي انهُ وإن لم يرَ ذلك الدستور الآ انهُ يقرر ان ما زعمهُ العضو لا يمكن ان يكون ! وتحاجّا ساعة ثم انتهيا الى ان يأتي العضو من غده بنسخة ذلك الدستور .ولكنهُ في اليوم الثاني إنما جاء معتذراً بانهُ بعد إذ راجع المادة أدرك ان العجلة زلت بهِ اولَ الامر عن تفهم الكلام . وهكذا كان ع رشدي نيراً سليماً مطبوعاً على القانون وللقانون ، صادق الحكم فيما قرأ وما لم يقرأ من احكامهِ ومبادئهِ

قوة حجته

كان رشدي باشا من أشد خلق الله حجة وأمضاهم قولاً ،يحكم لهُ بهذا كل من اوتي فطنة يلمح بها ما يتراءى لذهنه اثناء التدليل من فنون الاسباب والعلل ، على انهُ قد اجتمع عليهِ الى تلك الحالة « العصيبة » ضعف المادة في لغة العرب ، فلم يكن لبيانه اذا تكلم بهذه اللغة او كتب من الوضوح ما يتوافى لجلالة معانيه ويوآتي براعة تدليله . ولكنهُ برغم هذا كان اذا كتب ارتفعت قوة معانيه بعباراته العربية حتى يجيء منها أحياناً بالرائع الجزل الذي لا يتهيأ لمن لهُ مثل حظه القليل من لغة العرب والتفقه في أدبها

وإني لاذكر انهُ اختلف يوماً مع بعض المصطفين الاعلام من اعضاء لجنة الدستور على مسألة ، لا محل لايرادها الآن ، فذهب الى رأي أزعجهم وبعثهم بالانكار والاحتجاج ، وكلما سألهم ان يصبروا حتى يدلي اليهم بحجتهِ صاحوا في وجههِ ودافعوه بغليظ الكلام . واخيراً وثب من مجلسه واهاب بهم باعلا ما اتسعت لهُ لهاته : يا حضرات السادة : « استمعوا لي حتى افرغ من حجتي ثم فندوها بكل ما عندكم من

حجة ودليل» ثم اطمأن قليلاً وعاد فقال في رفق ولين إلقاء : «ولكنكم لن تستطيعوا» ! فسكت القوم وتكلم رشدي ثم تكلم ، فما هو والله إلا ان راح يلعب بالالباب لعباً ، وما هو إلاّ ان راح يستعرض كل ادلتهم وما حصلوا من حجج فيشد وثاقها ثم يلقيها بين يديه واحدة بعد واحدة والقوم ذاهلون عن مصيرهم بما تداخلهم من العجب ومن الطرب ، حتى اذا ذابت آيتهم تحت لسانه كما يذوب الثلج في اليوم القائظ اقبل على معارضيه في تؤدة واطمئنان وقال لهم : اذن فتكلموا ، فما هي الا رؤوس منغضة وافواه مفغورة، ثم تصفيق يرتفع الى السماء من اعجاب ومن افتتان ! ! !

ولقد حدثت احداث الاسكندرية في مايو سنة ١٩٢١ ورشدي مع عدلي في لندن يفاوضان كيرزن في المسألة المصرية . وكانت السلطة العسكرية قد ملكت الامر كله عن الحكومة المصرية ، وتولت هي التحقيق بقوة الاحكام العرفية التي كانت مبسوطة يومئذ على البلاد . فلما انتهت المفاوضات الى الكلام في حماية الاجانب وعارض المفاوضون المصريون في ان يكون هذا الى انجلترا دفع اللورد كيرزن اليهم بتحقيق السلطة العسكرية في حوادث الاسكندرية وما دمغ المصريين ظلماً بالوان الوحشية وما اضاف اليهم من امور تقشعر منها الجلود . فتناول رشدي باشا هذا التحقيق ويداه صفر من كل شيء ، لان التحقيق ، كما قلت لك ، استقلت به السلطة العسكرية ، فابت على رشدي عزيمته وابت عليه وطنيته وابت عليه عبقريته الا ان يكب ليلته كلها على هذا التحقيق ، والله يعلم ماذا بذل من مخه ، والله يعلم ماذا هراق من ذكائه حتى اتسق له في الصباح تقرير يعصف بهذا التحقيق عصفاً ويشهده على نفسه بالبطل وشدة الحمل على المصريين ، ثم مضى به الى لورد كيرزن فالقاه اليه ، وما إن قرأه حتى سأل ان يتقاص الطرفان . وكذلك اخلت حوادث الاسكندرية الطريق !

نعم لا يعرف احد ما بذل رشدي باشا ليائتذ من عزم وذكاء ليدفع عن وطنه كل هذا البلاء ، ولكن كثيرين يعلمون انه بذل الصحة ، او على الصحيح بذل الحياة ، لانه لم يدر عليه يوم او يومان حتى ضربه الفالج فابطله حيناً ثم اتى في النهاية على حياته العزيزة الغالية

شجاعته

ولقد كان رشدي رجلاً شجاعاً كل الشجاع ، يجهر بكل ما يعتقد واقعاً كلامه حيث وقع لا يبالي في ذاك شيئاً ولا يبالي فيه احداً . وإن امرءاً كرشدي قوي العزم عظيم النزاهة

وافر الاخلاص شديد التمكن من النفس لا يجد أية حاجة لان يرائي الناس او يماريهم ويتحرّف لهم ، بل هو كل حقيق بأن يعد كتفه لاحتمال كل ما يحمله سعيه من التبعات

ولست أريد ان اعرض لشأنه في اعقاب سنة ١٩١٤ فذلك ، كما اشار رئيس مجلس النواب ووكيل مجلس الشيوخ في تأبينه ، من حق المستقبل يحكم فيه بعد ان يطالع ما طاف به من الظروف وما اتكا عليه من الاسانيد . إلاَّ انني في هذا الباب لا أنسى أن رشدي كان شجاعاً في احتمال تبعة ما وقع على يديه وكان له (بالطبع) رأي فيه إن خيراً وان شرًّا . وهو على انه ، كما علمت ، قد راجع الكثيرين من اصدقائه في الامر فأقروه واجازوه ، الاَّ ان شجاعته أبت عليه في معرض الجدال ان يشرك معه في تبعة الامر احداً ، بل لقد مضى بها وحده محتسباً انصافه عند التاريخ وحده

لقد تعلم انه سير سفينة الحكم طوال مدة الحرب، ولقد تعلم ما حاق بمصر ايام الحرب من هول وشدة، ولقد تعلم ما كان للسلطة العسكرية من صولة وقوة ، وغداً ستعلم ما كان لرشدي باشا من مواقف يكف بها العاديات عن المصريين لا يقفها الاَّ الرجل الشجاع

وجاءت الهدنة العامة ، وأعد الجبار السر برونيات عدته لالتهام مصر واخرج مشروعه الذي يسل به الحكم من ايدي المصريين سلاً . وخاف الناس وانقبضوا في أكسار دورهم من خوف ورهبة، وبرز له رشدي بتقريره الوطني الخالد على وجه الدهر. وسرعان ما كسره به تكسيراً ، وكان ذلك اول آذان بالثورة المصرية . حتى اذا تعذر عليه الانجليز ودلوا بقوتهم، اضرب ، وهو رئيس الوزارة ، عن الحكم أشهراً ، فكان صنيعه حدوة للموظفين فأضربوا جميعاً وكان اضرابهم أبلغ مظهر للنهضة المصرية. ولقد سمعت منه رحمهُ الله ان الحبال قد فتلت لرقبته مرتين فما أبه ولا بالى في سبيل وطنه ، وكذلك يكون الرجل الندب الشجاع

ومما يذكر له في هذا الباب انه كان في مفاوضات سنة ١٩٢١ وجرى الكلام في الاحتلال الانجليزي ، وأصرَّ المفاوضون المصريون على طلب الجلاء ، فقال لهم اللورد كيرزن في شيء من التهكم : واذا سحبنا عسكرنا من بلادكم ألا يجوز ان تحتلها اليونان في اليوم الثاني ؟ ! فانتفض رشدي انتفاضة شديدة واجابه من فوره : لا تنس يا لورد ان اسلافك حين حاولوا غزو مصر القاهم هؤلاء المصريون في البحر، وكان ذلك بقيادة جدي أنا ! (يريد رحمهُ الله موقعة رشيد) فوجم اللورد كيرزن ووجم الحاضرون جميعاً ، وبعد سكوت طويل او قصير صرف اللورد الحديث الى شأن آخر !

نزاهته

تقلب رشدي في مناصب الحكم حتى صارت اليه رياسة الوزارة ، وحتى طرح القدر بين يديه يوماً امر مصر كلها . وكان طوال زمن الحرب كل شيء (في الجهة المصرية على الاقل) فما التمس قط لنفسه ولا لاحد ممن يلوذون به مغنما من اي نوع كان، وعزيز عليّ ان انوه بشرف رشدي وان اشيد بنبل نفسه ، فان مثله لاجل من ان تلحق ذمته التهم . ولقد وافقته مرة في مكتب المرحوم احمد الازهري بك من كبار موظفي مصلحة الاملاك ، وهو يسأله في تأجيل دين عليه للمصلحة ، ذهب عني قدره بالضبط ،على انه على كل حال يضطرب بين الستمائة جنيه والثماعائة . ثم التفت الى بعض الحاضرين وقال في مرارة أردفها بضحكة مصنوعة : يقولون اني بعت مصر بثلاثة ملايين فهلا دفعوا منها لمصلحة الاملاك هذا المبلغ واخذوا لانفسهم الباقي ؟

عطفه وبره

كان رشدي نبيل الاحساس بالغاً من طيبة القلب مبلغاً لا يكاد يلحقه فيه انسان. فما اصاب عانياً او مدنفاً او امرءاً تغير له الزمن الا احس بانه هو المسئول عما ضربته به الايام . وكثيراً ما تنتضح عينا هذا الرجل الشجاع بالدمع اذا رأى مكلوماً في جسمه او ممتحناً في اسباب حياته.اما ماله واما جاهه العريض فذلك كله نهب مقسم بين العافين من الناس . ولو كان رشدي باشا يملك كل ما في الدنيا من مال لخرج عنه لطالبيه في سماحة واسجاح . ولقد تقسم وقته ، في اخريات سنيه ، بين ان يفرق على الناس كل ما احتوته محفظته ، وبين ان يطوف بهم الدواوين يشفع لهم في قضاء الحاجات. ولقد اسرف في هذا حتى ابتذلت شفاعته اوكادت تبتذل عند الحكام لشدة افراطه في الرجاء ، على جلالة محله لديهم وسمو قدره عندهم . وحتى خرج من الدنيا صفراً الا من الشرف والا من أعلى الذكرى لاعلى الرجال

وبعد فلقد خسرت مصر من غير شك بموت رشدي باشا مجموعة من المواهب جليلة غالية. واذا كانت الايام تنجب لنا رجلاً في علمه ،او في عبقريته ،او في شجاعته، او في وطنيته ، او في طيبة قلبه ، او في نبل اخلاقه ،او في كرم يده . فهيهات ان تنجب رجلاً جمع معاً كل هذه الخلال كما جمعها فقيدنا العظيم ، وان لم يكن ذلك على الله بعسير

عبد العزيز البشري

الاستاذ جبر ضومط

ومباحثهُ في نشوء اللغة العربية

وجدنا هذه المقالة في اوراق المرحوم الدكتور صروف وكان قد كتبها قبيل وفاته لتتلى في حفلة تكريم الاستاذ ضومط . ننشرها الآن لان قرار لجنة التكريم قد استقر على اقامة الحفلة في ٢٨ ابريل كما ذكرنا في مقتطف ابريل الماضي

للشيخ اوقات يود فيها انقضاء الاجل ويقول مع لبيد

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيدُ

وهي اوقات الضعف واوقات المرض واوقات فقد الاخلاء والاقارب. ولهُ اوقات غبطة وحبور اوقات يرى فيها تحقيق اماني الشباب او يجني ثمر ما غرسهُ زمن الكهولة او يسمع عن فوز رفاقهِ واصدقائهِ ومحبيهِ

كل ذلكم مرَّ عليَّ وأبقى اثرهُ في نفسي . تولاَّني الضعف في سمعي حتى صرت اتجنب المجتمعات ومرضت في بداءة العام الماضي حتى قطع الرجاء مني وفقدت والديَّ واخويَّ وثلاثاً من اخواتي وجمًّا غفيراً من تلاميذي واصدقائي

ولكن هذه المساوئ تقابلها نِعَم كثيرة حييتُ بها ومنها ما دعاني الى كتابة هذه السطور وهو ان احد تلاميذي في الصغر ورصفائي في الكبر بلغ بسعيهِ وجدهِ درجة اهَّلتهُ لان يحتفل بهِ عارفو فضلهِ في بلادهِ وفي سائر البلدان حيث انتشر تلاميذهُ وقرئت كتبهُ وعرفت آراؤهُ العامية

صديقي الاستاذ جبر ضومط بل الفتى جبر ضومط رأيتهُ منذ ثمانٍ وخمسين سنة. ذهبت الى برج صافيتا او صافيتا البرج في صيف سنة ١٨٦٩ واقمت فيها اكثر من شهر ولا تزال صورتها في ذاكرتي لانها ممتازة ببرج شاهق مبني بحجارة جافية لم ارَ اكبر منها الاَّ الحجارة الكبرى في قلعة بعلبك . ارتفاع هذا البرج اكثر من ثلاثين متراً او نحو ارتفاع برج الساعة في هذه الجامعة وطولهُ اكثر من ثلاثين متراً وعرضهُ نحو عشرين وثخن جدرانهِ — وهنا المزية الكبرى — ثلاثة امتار الى اربعة حتى ان السلم الذي يصعد بهِ الى طبقتهِ العليا والى سطحهِ قائم في باطن جدار من جدرانهِ وحول هذا البرج مبان ضخمة حجارتها كبيرة منحوتة باقية من قلعة قديمة بها بناها الصليبيون اما البرج فلعلهُ بني في عهد الفينيقيين او الرومان

بناء مثل هذا ترتسم صورتهُ في الذهن ولا سيما في ذهن الشاب قبلما تكثر مشاغل الحياة وترسخ معهُ صور كل ما حولهُ او يتصل بهِ . وقد مرَّ عليَّ الآن ثمانٍ وخمسون سنة ولا ازال اتذكر صانيتا وكل ما رأيته بها او الذين لقيتهم من سكانها أفلا يؤثر منظر البرج العالي في نفس ولد من ابناء تلك القرية يراه كل يوم من حين أُميطت عنهُ التمائم ويحملهُ على طلب المعالي

كانت اقامتي في غرفة على تل مقابل للبرج والى جانبها مدرسة صغيرة لاولاد القرية انشأها المرسلون الاميركيون يعلم فيها رجل من اهل المتن وبين تلامذته ولد لم انس صورتهُ لانهُ انتقل بعد ذلك الى مدرسة عبيه فكنت اراهُ فيها ثم صار تلميذاً لي في هذه الجامعة وخلفني في تدريس العربية وآدابها . ولم يقنع بالخطط التي سار عليها اسلافهُ بل اختط خطة مبتكرة في الدرس والتدريس

***

هذه مقدمة طويلة اطول من كل مقدمة كتبتها . ولكن لا تخافوا ان آتي بعدها بكلام مسهب لانني اعلم ان الوقت محدود ولو كان الموضوع متسعاً بالاسهاب

الاستاذ جبر ضومط لو اكتفى بنظم الاشعار كما كان ينظم يُخَلِّد رحلته الى السودان او بتعليم الصرف والنحو والبيان كما يعلمها كثيرون غيرهُ لما استحقَّ في رأيي ان يحتفل بهِ هذا الاحتفال ولو قضى في التعليم ستين سنة لا خمسين او لما وجدتُ سبيلاً لالقاء هذه الكلمة عنهُ . ولكنهُ عمل ما هو اهم من ذلك كثيراً بحث في نشوء اللغة العربية بحثاً احسبهُ مبتكراً عندنا ومهماً لعلّي اعدّهُ من انفع الاعمال

المشتغلون بالعلم كثيرون ولكن قلَّ منهم من يبقي اثراً يذكر بهِ . فالذين اشتغلوا بقواعد العربية منذ الف ومائتي سنة الى الآن يعدون بالمئات او بالالوف ولكن قلما نذكر منهم غير سيبويه والمبرد والكسائي وابن جني وابن مالك وابن هشام وامثالهم من الذين وضعوا قواعد الصرف والنحو ومع ذلك نجد عمل هؤلاء كلهم مقصوراً على الجمع والتبويب وما منهم مَن بحث عن اصل العربية وكيف نشأت كلماتها وتصاريفها . فاننا صرنا نعلم في هذا العصر ان لغات البشر التي تعدّ بالالوف كانت في زمن متوغل في القدم لغة واحدة قليلة الكلمات بل الاصوات ثم تفرقت طوائف وكل طائفة تشعَّبت شعباً كثيرة ودخل المزج والنحت في كلماتها حتى بلغت ما بلغتهُ وهذا شأن العربية ولكنني لا اعلم ان احداً اطلق هذا البحث على العربية من ابنائها قبل الاستاذ جبر ضومط

الذين تعلموا الصرف والنحو وعلّموهما لا يحصى عددهم ولكنني لم أرَ لاحد بحثاً في كيف بني الفعل جَلس على فتح آخره ولا كيف تدخل عليه الهمزة فيصير متعدياً بعد ما كان لازماً ولا من اين اتت التاء التي تلحق الفعل الماضي فتدلُّ على المتكلم اذا كانت مضمومة وعلى المخاطب اذا كانت مفتوحة وعلى المخاطبة اذا كانت مكسورة . ومثل ذلك كل تصاريف الافعال مجردة ومزيدة مفردة او ملحقة بالضمائر فانها كلها بلغت صورها المعروفة بعد ان دخلها المزج والنحت مدة قرون لا تحصى . والاستاذ ضومط تمكن من البحث في هذا الموضوع وكشف الستار عن غوامضه لمعرفته العبرانية والسريانية شقيقتي العربية ولو عرف الحميرية والحبشية لزاد توسعاً في البحث وكشفاً للغوامض فهو مثل ورنر وليل في علم الجيولوجيا وتولد طبقات الارض ومثل لامارك وداروين في نشوء الاحياء وتولد بعضها من بعض ومثل مندل في كشف ناموس الوراثة وتطبيقه على الاحياء

اليكم بضعة امثلة من كتابه الخواطر في اللغة الذي نشرهُ منذ اثنتين واربعين سنة فانهُ وجد اولاً بالاستقراء ان الكلمات المتشابهة في مخارج بعض حروفها تتشابه في معانيها كجذع وجدع وجدم وجذم وخبض وحبط . وكهجأ وهجع ونخم وكتم ونخز وختر وختل وكقطب وقطف. وارتأى ان ذلك كان سبباً لتولد كلمات مختلفة لفظاً ومشتركة معنى . ووجد ان وزن المطاوعة (انفعل) مركب من لفظة انا ضمير المتكلم والفعل المجرد فقولنا انغمستُ مساوٍ لقولنا انا غمستُ او غمست نفسي . ووزن افتعل اصلهُ اتفعل كما يلفظهُ المصريون وهو مركب من ات ومعناها ذات او نفس وهي إت في العبرانية ويت في السريانية وعليهِ ففعل المطاوعة مركب من الفعل المجرد وكلمة معناها النفس. اما وزن استفعل فقال انهُ مطاوع قياسي لوزن سفعل عند السريان ورجح ان السين منحوتة من فعل ممات يدل على الوجود المطلق ومن بقاياهُ ليس ولات وهما مؤلفتان من لا النافية والفعل المذكور للدلالة على نفي الحال او الكون وعلى ذلك تكون استفعل مركبة من ثلاث كلمات وهي اس وات وفعل فتلاحمت اجزاؤها مع الايام فصارت استفعل

ومن هذا القبيل تعليلهُ للضمائر فان لضمير المتكلم في العربية صورة واحدة وهو انا مفرداً ونحن جمعاً. وفي السريانية انا مفرداً وحنَن جمعاً وفي العبرانية اني او انوخي مفرداً وانحن او نحن او انو جمعاً وواضح من ذلك ان لفظة نحن العربية مركبة من نا او انوخي العبرانية الحق آخرها بالنون للدلالة على الجمع

ثم بيَّن أن الضمائر المتصلة منحوتات من الضمائر المنفصلة فالتاء المضمومة من انوخي والمفتوحة من انتَ والمكسورة من انتِ والواو من همون او همو والنون في ضربن من هنَّ ونا من نحنُ وهلم جرًّا

وكتاب الخواطر على صغرهِ جمع اكثر المبادئ الاولية التي تمشت عليها اللغة في نشوئها . وهو بحث مبتكر في العربية على ما اعلم . طرقتهُ انا في السنة التي طرقهُ فيها صديقي الاستاذ جبر كما يرى في الفصول التي انشأتها في المقتطف سنة ١٨٨٦ وموضوعها تولُّد اللغات ونحوها ولم اكن اعلم ما هو فاعل ولا هو يعلم ما انا فاعل ولكني اطلقت اكثر الكلام على اللغات كلها ولم اخص بهِ العربية ولم اكن اعرف السريانية والعبرانية حتى استعين بهما على تعليل ما وقع في العربية ولم ارَ بعد ذلك بحثاً لاحد في هذا الموضوع كان آية الحجاب سُدلت عليهِ . الاَّ ان ما اثبتهُ صديقي الاستاذ ضومط في كتابهِ الخواطر شبيه بما كشفهُ مندل في الوراثة فان مباحث هذا الراهب النمسوي التي نشرها سنة ١٨٦٦ طرحت في زوايا المنسيات مع انهُ كشف بها اهم الحقائق البيولوجية الى ان كشفت ثانية سنة ١٩٠٠ فهل يقوم من تلاميذ الاستاذ ضومط من يعود الى هذا البحث ويكون متضلعاً من العربية والعبرانية والسريانية ومن الحميرية والحبشية والقبطية واليونانية واللاتينية والفارسية فيميط اللثام عن تاريخ كل الكلمات التي في معاجمنا العربية . هذا ما ينتظر منكم يا تلاميذهُ ويا مريديهِ

قلتُ في بدءِ كلامي بعد المقدمة ان الاستاذ ضومط بحث في نشوء اللغة العربية بحثاً مبتكراً وممهداً لعمل اعدُّهُ من انفع الاعمال فما هو العمل الذي اعدُّ بحث الاستاذ ضومط ممهداً لهُ

اذا كانت اللغة العربية قد نشأت كما تنشأ كل الاجسام الحية واعتورها التغيير والتبديل كما اثبت الاستاذ ضومط فلا يحتمل ان يمرَّ الف واربعماية سنة تبقى فيها على حالها تماماً . والواقع انهُ عرض لها امران جوهريان الاول انها تغيرت تغيراً كبيراً في ألسنة المتكلمين بها في مصر والشام والعراق وتونس والجزائر وبلاد العرب نفسها حتى لا يكاد ابن الشام يفهم حديث ابن تونس ولا يكاد ابن المغرب الاقصى يفهم كلام ابن العراق . الاَّ ان هذا التباين يكاد يكون محصوراً في الكلام وقلما تناول الكتابة ويحتمل ان يزول اكثرهُ بعد ما سهلت سُبل الاتصال وانتشرت الجرائد والمجلات والامر الثاني وهو المهم انهُ دخل العربية كثير من لغات الاقوام الذين صارت

العربية لنقلهم او الذين نقلت العلوم من لغاتهم الى العربية . ولقد كان الدخيل كثيراً في العربية قبل الاسلام لانهُ لا يحتمل ان يتصل العرب بسكان مصر والشام والعراق وفارس كما كانوا متصلين ولا يدخل العربية كثير من اللغات المصرية واليونانية والسريانية والعبرانية والفارسية ولو مثل في بعض العربية اصل كثير من كلماتها فحسبوها كلها من صميم العربية . وهذا بحث كثير الشؤون لا محل له الآن . ثم زاد الدخيل بعد الفتح ونقل العلوم من اليونانية والسريانية والفارسية والهندية ولولم يعلم جاسوس كتب اللغة انهُ دخيل . هاكم قانون ابن سينا الذي الفهُ في بداءة القرن الخامس بعد الهجرة فقد عددت في الصفحة الاولى من جزء الاقراباذين مائة اسم من اسماء النباتات وسائر المواد الطبية فوجدت الدخيل منها لا يقل عن سبعين اسماً وقد ذكرها ابن سينا كلها كأنها اسماء مألوفة في ايامهِ

القرن الثالث والرابع والخامس والسادس كانت من القرون الحافلة بالعلم والعلماء كما كانت حافلة بالشعراء والادباء وكما كان العلماء من اطباء ورياضيين وفلكيين يرحبون بكل كلمة اجنبية تزيد غناء العربية غناءً كان الادباء والشعراء لا يستنكفون من استعمال المعرَّب

ومنذ قام محمد علي عزيز مصر وعلَّم بعض ابنائها في اوربا وامر بترجمة الكتب العلمية الى العربية كما فعل الخليفة المأمون في عصره دخل العربية كثير من الكلمات العلمية ثم اتسع نطاق الترجمة حتى شمل كل انواع العلوم الرياضية والطبيعية والحقوقية والسياسية وصار على المترجمين والمؤلفين ان يحذوا حذو الفارابي وابن المقفع وابن سينا وابن رشد فيقبلوا الكلمات العلمية على وضعها وهي تعد بالالوف وعشرات الالوف ومئات الالوف فتغنى العربية بها ويسهل على المتعلمين تناولها او ان يفتشوا عن مرادف لها في العربية ويهملوا ما لا يجدون له مرادفاً وما تتعذر ترجمتهُ . وقد ثبت من بحث الاستاذ ضومط في كتابهِ الخواطر ان العربية كانت في كل عصورها الماضية قبلما كتب حية نامية . ويظهر بقليل بحث ان هذا النمو استمرَّ الى الآن افيحسن بنا ان نقف الآن في سبيلهِ مرجعين شرّاً لئلاَّ يدك مقام العربية ؟ لا يا سادتي واخواني العربية قائمة بتصاريفها وتراكيبها لا بالاسماء التي تدخلها فقد دخلها الوف من الكلمات السريانية والعبرانية والمصرية واليونانية ولم تزدها الاَّ غنى وستدخلها الوف اخرى ولا تزيدها الاَّ غنى ولها اسوة بالفرنسوية والانكليزية والالمانية وكل اللغات المشهورة . والكلمات تتنازع البقاء مثل الاحياء ولا يمكث منها الاَّ ما ينفع الناس فلا نكوننَّ عثرة في سبيلهِ

البادية العربية [1]

ARABIA DESERTA

ما نجا حتى العلماء من تسخير الحكومات في ايام الحرب العظمى . فالحكومة وان جازت العالم على عمله كانت تسخّر علمه لاغراضها السياسية والحربية . ومن العلوم المسخرة في تلك الايام الشرقيات . ومن المسخرين — مأجورين كانوا او متطوعين — ثلاثة من الاوربيين المعروفين اليوم لان اقلامهم نمّت عليهم . ثلاثة هم الكرنل لورنس ، وهو اكثرهم شهرة واقلهم علماً ، ومؤلف هذا الكتاب ، وهو اكثرهم علماً واقلهم شهرة ، والمستر فلبي ثاني هذا وذاك في العلم وفي الشهرة

على انهُ لم يفز من الثلاثة فوزاً باهراً ، من الوجهة الحربية والسياسية ، غير واحد وهو لورنس . ولم يفز من الثلاثة ، من الوجهة العلمية ، غير واحد هو الاستاذ موزيل . اما من الوجهة الادبية الصافية فالثلاثة متساوون في العظمة والكرامة — الثلاثة من المتسلّلين في حلبة الادب

كتب لورنس كتاباً مسجّعة بالبارود ، مرصّعة بالديناميت — كتاباً حربيّاً كلّهُ طعن وضرب ونسف وتدمير . هو قصة عنترة هذا الزمان ، عنترة الانكليزي ، ولكنها خلوٌ من الشعر . وكتب فلبي رحلتهُ في مجلدين فحاول في اسلوبهِ ان يقلد الرحالة الانكليزي الشهير هنري دَوْطي فخرج عن البساطة المحمودة ، ولم يدرك الصناعة المنشودة . والف الاستاذ موزيل كتباً ضخمة باسلوب عادي مملّ لا يستهوي من القراء غير من لهُ غرض علمي او مصلحة سياسية او اقتصادية في البلاد العربية

رحل هذا المستشرق ، المعروف بين العرب « بالشيخ موسى » ، بضع رحلات في القسم الشمالي من شبه الجزيرة . فكانت الرحلة الاولى في البتراء واطراف الحجاز الشمالية في سنوات ١٨٩٦ — ١٩٠٢ ، والرحلة الثانية في الحَماد والاراضي الواقعة

---

(١) هو عنوان الكتاب تأليف المستشرق التشكوسلوفاكي ألوز موزيل (Aloes Musil) استاذ الدروس الشرقية في جامعة تشارلس ببراغ . طبع باللغة الانكليزية في مطبعة الحكومة (Sta'ni tiska'an, Prague) للجمعية الجغرافية الاميركة بنيويورك (American Geographical Society New York) بعناية ومساعدة المجمع العلمي التشكوسلوفاكي والمستر كراين الاميركي المشهور بحبه للعرب

بين الجوف جنوباً والمياذين على الفرات (١٩٠٨ — ١٩٠٩) والثالثة في تدمر وجوارها (١٩١٢) والرابعة (١٩١٤ — ١٩١٥) هي الرحلة السياسية من قِبَل الدول الوسطى في الحرب العظمى

اما كتبهُ فقد كُتبت اولاً باللغة الالمانية. ثم تعاون، على ما يظهر، المعهدان التشكوسلوفاكي والاميركي، اي المعهد العلمي ببراغ والجمعية الجغرافية بنيويورك (وكان المستر كراين اساس هذا التعاون) على طبعها باللغة الانكليزية. فظهر في السنة الماضية المجلد الاول منها في البتراء وشمالي الحجاز، وهوذا بين يدينا المجلد الثاني في بادية العرب الشمالية، وسيتبعها الثالث والرابع

يقسم هذا الكتاب، المطبوع طبعاً جيلا متقناً، المزين بالرسوم، المشفوع بعدة خارطات كبيرة، الى ثلاثة اقسام، ولهُ ملحق طويل هو كتاب في نفسهِ

اما الاقسام الثلاثة فاولها واكبرها هو ثمرة الرحلة الكبرى في الشمال. والثاني هو حكاية رحلة صغيرة في العراق من عين التمر الى قصر الأُخَيضر فالنجف. وفي القسم الثالث جزء من رحلته الاخيرة (١٩١٤ — ١٩١٥) التي رحلها من الشام الى الزيبيات (في قلب الحماد) ومنها الى الجوف فحائل فالمشهد (النجف)

وفي الملحق نبذات تاريخية عدة، منها نبذة طريفة عن عرب الشمال في عهد الاستيلاء الاشوري على سورية. ونبذة عن دومة الجندل (الجوف) قبل الاسلام وبعده. واخرى عن طريق القوافل القديمة والحديثة في القسم الشمالي من شبه الجزيرة والنبذة الثامنة (الاخيرة) في الطريق الذي سلكهُ خالد بن الوليد من العراق الى سورية بموجب روايات المؤرخين العرب كالطبري وابن عساكر وابن العبري والبلاذري وغيرهم

ان في هذا الكتاب اذن بحراً من العلوم التي تهم المستشرقين وتفيد المتأدبين من ابناء العرب. وقد برز لنا في ما يؤثر منهُ امران اولهما العذاب الذي يقاسيهِ المستعرب في طلب العلم، وثانيهما التدقيق الذي يتحراهُ في نقدهِ ثم في تسجيلهِ للناس. وطريقة الاستاذ موزيل هي الطريقة العلمية الالمانية التي لا تخرج في مثل هذه الرحلات عن المحسوس، وقلما تسمح للنفس التي يروعها الجمال — جمال الشكل وجمال المعنى — ان تعاون الضمير الذي لا يهمهُ غير الحقيقة الحسابية

٢

كانت دمشق باباً للرحلات الثلاث التي يحمل هذا الكتاب اخبارها، فجاءها

الرحالة في اول عهد الدستور العثماني ، وجاءها عند ما اصبح الدستور ساطوراً لضرب اعناق اعداء الاتحاديين (١٩١٢) ثم جاءها في نوفمبر ١٩١٤ وقد امست الدولة العثمانية سيفاً بيد الالمان . فكان في الرحلتين الاوليين عالماً ، وكان في الرحلة الثالثة سياسيًّا او مسخَّراً للدعاية الالمانية

ولكن عمله الدائم المحاسن والفوائد هو عمله العلمي الجغرافي ، والفضل الاكبر في تمهيد سبيله وحمايته في البادية يعود الى صديقه الصدوق الامير نوري الشعلان شيخ مشايخ الروَله. على ان تلك الحماية لم تكن دائماً فعلية فعالة . ومن اين لها ان تكون كذلك واعداء النوري يومئذ كثيرون في بادية الشمال وفي الجنوب . فلم يكن للروَله من القبائل الموالية غير القليل كبعض الحويطات وولْد علي والعمارات

رحل الاستاذ موزيل (الشيخ موسى) من الضمير في خريف ١٩٠٨ الى الميادين على الفرات ، ومنها نزل الى الحماد ، ومنها الى وادي سرحان فالجوف ، فالموجا حيث كان الامير مخيماً . ومن الموجا عاد شمالاً حتى وصل الى اللاَّهه[1] قرب جبل عنَيز (عنزَى) [2] جنوباً بشرقٍ منهُ — ثم عاد جنوباً الى سكاكة وقارة فاجتمع بنوري ثانية هناك ، ورافقهُ شمالاً ، فعرج على قصر الازرق وقصر الحلابات ، وعاد الى الشام بعد سبعة اشهر من ارتحاله منها

سبعة اشهر في البادية ، وفي ايام لم تكن البادية كما هي اليوم آمنة . لم يكن ابن سعود قد استولى عليها كلها . فلا عجب اذا كانت الاسفار محفوفة بالاخطار . فقد كانت قافلة الاستاذ موزيل عرضة للصوص والغزاة ، فوقعت في ايديهم مراراً ، ونجت منهم بفضل الكرام الشجعان من العرب ، وفي مقدمتهم الامير نوري وابنهُ نوَّاف ، ورشيد بن سمير من مشايخ ولْد علي

ولم يكن الاستاذ موفقاً بخدامه وادلائه ، فسلبه احدهم ، وخانهُ الآخر ، وهجرهُ الثالث . وكان الصالح منهم « يصلي ويغلي رأسهُ » فسرت الى الاستاذ « بركاته » ، والعياذ بالله ! ثم أُسر وأُهين في سكاكه ، ومرض ورفيقه الجغرافي بالحمى . هي المشقات في البادية بعضها ينسيك البعض الآخر ، ويلازمك بعضها ملازمة الظل . فيوماً ترتشف

(١) لاهه (وقد جاءت في معجم البلدان اللاهه) كانت قديماً الحد الفاصل بين عرب الحيرة الذين كانوا يدينون للفرس وعرب الشام الذين كانوا يدينون للرومان

(٢) جبل عنزى هو اليوم اقصى نقطة الى الشمال في حدود المملكة النجدية

الماء من الوحلات في غدور الآبار ، ويوماً تكاد تهلك من الظمأ . يوماً تأكل الضب والغراب ، ويوماً تسد برغلك مجبولاً بالتراب . تحرقك في النهار شمس الهاجرة ، وتتألم في الليل من شدة البرد ، وانت لا تأذن ربما بشب النار خوف ان يهتدي اليكم اللصوص

سبعة اشهر من هذه الاخطار والمشقات ، ثم عاد الشيخ موسى الى الشام ظافراً بما كان ينشده من العلم — والغنيمة الكبرى السلامة

وقد ألمّ هذا العالم بالعلوم التي تختص باماكن المياه التي نزلها والتي سمع بها ، وبمن نزلها من الاقدمين ، وبمن ينزلها اليوم من العربان ، وبالطرق اليها القديمة والحديثة — طرق الفاتحين من بلاد آشور وطرق القوافل من الشرق الى الغرب — مستشهداً بما اكتشف في بابل من الآثار الاشورية في اواخر القرن الماضي ، وباقوال العرب المؤرخين منهم والشعراء ، ومصححاً في بعض الاماكن اغلاط ياقوت الجغرافية واغلاط الطبري وغيره التاريخية

اما وصفه للبلاد — جبالها وتلولها واوديتها وشعبانها وآبارها وغدرانها وسبخاتها وخبراتها وبراكينها وآثار البراكين والضلوع المكونة من الحمم — فهو وصف علمي تام اي وصف جيولوجي جغرافي دقيق . الا انه لا يخلو في بعض الاماكن من الجمال الشعري ، كوصف الجماد عند الغروب (صفحة ٢٣) والخبرة (٧٦) وشجر الغضى في النفود (١٤٩) وقد قال ان نار الغضى تدوم تحت الرماد عشر ساعات لا غير

واليك مثالاً من وصفه العلمي . قال في القرت التي كتبها خطأ ، او كما يلفظها البدو ، بتسكين الراء ! : « القرت تل شكله شكل المائدة ، ذو طبقات من مختلف التربة بعضها اشد من بعض . والطبقة العليا هي غالباً اشد من الطبقات الاخرى تحتها ، فتلين هذه للشتاء والرياح ، وتتفتت ، فيقع ما فوقها ، فينكسر صخوراً وحجارة هي التي تراها مبعثرة في السهل حولها (اي حول القرت) »

ومن فوائد الكتاب لمن يروم درس القبائل ، او لمن لهم اشغال معها ، ما جاء فيه من تقويم واحصاء عرب الروله والعمارات والفدعان وولد علي فقد ذكر بطون كل قبيلة وافخاذها ، ومشايخها ومضاربها ، والاماكن التي تربع وتصيف وتشتي فيها . واهم ما جاء في هذا الباب احصاؤه لعرب الصُّلُبه الذين تضاربت فيهم آراء العلماء والمؤرخين

تُقسم الصُّلُبة الى اقسام تدعى بآل . كآل ماجد في جوار الكويت ، وآل جبيل

في القصيم ، وآل بنّاق في جوار حائل ، وآل وذيح وآل راضي في الحماد الخ . عددهم كاملاً ثمانية عشر بطناً ، وعدد خيامهم كلها نحو الف وخمسمائة خيمة . والصلبة تدفع « الخوة » للبدو المجاورين لها لقاء الحماية . ولكل قبيلة من قبائل العرب الكبيرة شيخ خاص بذلك — هو ضابط الارتباط بين تلك القبيلة والصلبة المقيمين في ديرتها اوفي جوارها

كأن هؤلاء العربان من غير العرب . وقد قالوا في ذلك اقوالاً هي كلها او جلها من باب التخمين . فقد يكونون من بقايا الصليبيين في هذه البلاد . او كما قيل للاستاذ موزيل وقيل لنا — وهو الارجح — انهم دخلوا البلاد العربية من جهة الحسا . فقد يكونون لذلك من بقايا الصابئين

ومن محاسن هذا الكتاب ان اسماء الاعلام والاماكن والآبار مضبوطة كلها بقدر ما يستطيع الاجنبي ضبطها . فيمكن القارئ العربي — اذا عرف القاعدة — ان يردها الى اصلها دون ان تلتبس عليه السين والصاد مثلاً ، او الطاء والتاء ، او الدال والضاد

على انهُ ، من وجهة انكليزية ، يُنتقد على المؤلف انهُ في الطبعة الانكليزية لم يتبع القاعدة المصطلح عليها في اكسفورد والجمعية الملكية الاسيوية ، والتي اصبحت شائعة بين المستشرقين والادباء الذين يكتبون في الموضوعات الشرقية . واكبر شواذه في هذا الباب انهُ عبر عن الياء بالجيم J. وهي في الانكليزية لا تؤدي معناها في الالمانية

فالقارئ الاميركي او الانكليزي الذي يقرأ Dmejr to Al-Mijadin لا يستطيع ان يلفظ الكلمة الاولى ، ويقول في الثانية المجادين لا الميادين . فكان ينبغي للمؤلف والمحرر ان يستعيضا عن هذا الحرف بال Y فيكتبان Yamama مثلاً لا Jamama او Zabibiyat لا Zabibijjat

ومما يزيد في تضخم الكتاب وتضجر القارئ تدقيقٌ في بعض الامور التي لا تفيد احداً . مثال ذلك مما لا تخلو صفحة منهُ : « من الساعة ٠٨/١١ الى الساعة ٢٢/١١ استرحنا . وفي الساعة ٤٥/٢ بعد الظهر وصلنا الى شعب الغرّى شمالي آبار الشبيشية » « رعت جمالنا من الساعة ٥٦/٩ الى الساعة ٤٢/١١ »

وهل ينقص من الكتاب او من العلم شيء نافع اذا أُهمل مثل هذا التدقيق في الاستراحة والرحيل ، وفي مرعى الاباعير ؟

امين الريحاني

في الجزء التالي فصل آخر فيه بيان لما فعله موزيل لاستمالة العرب للدول المتوسطة وكيف فاز عليه لورنس في ذلك

نشيد الخلود

حدثنا الاستاذ الشيخ فؤاد الخطيب ناظم هذه القصيدة البليغة ان معانيها وصورها تمثلت في ذهنه على اثر مطالعته لكتاب « بسائط علم الفلك » الذي وضعه المرحوم الدكتور صروف باسطاً فيه عظمة الكون وروائعه

نظر المشيبُ اليك قبل اوانِ فرزحتَ تحت غوائلِ الاشجانِ
ودّعتَ يومَك فاستطار بك الاسى جزعاً تَعَضُّ عليهِ كلَّ بنانِ
ونفضتَ ثوبك منهُ أشعثَ مُحْنَقاً نَفْضَ العُقابِ الطلَّ فوق رعانِ
كم نظرةٍ لكَ ان عبست كأنها قبسٌ تهافتَ عن شباةِ سنانِ
فاهزأ بدهرك مقبلاً او مدبراً ان ضاق ذرعٌ سواك بالكتمانِ

***

ويحَ « الطبيعة » كيف تمزُجُ برَّها باللؤم تسخرُ منك كالمُجّانِ
تتلقفُ الفضلاتِ ثم تدسُّها لك في الطعام شهية الالوانِ
من كل فاكهةٍ وناعم نبتةٍ هي في الرغام وليدة الادرانِ
تتحوّل الاوضار تحت صعيدها صُوَراً من الثمرات في الافنانِ
ومن الجنان قشيبة أبرادها ومن الربيع مضمّخ الاردانِ
ولو استتبَّ لك اكتناهُ خفيّها لعجبتَ كيف تُسام كلَّ هوانِ
وشهدت بين يديك صُنع مُشعوذٍ لبقِ اليدينِ وساحرٍ فنانِ

***

تركتك اعزل بين مشتجر الاذى فتخطفتك طوارق الحدثانِ
ورمتك بالخلق المشمّر خلسةً من كل مطّلع وكل مكانِ
متدفق وقد استمرَّ محجّباً يستلُّ منك سلامة الابدانِ

تَرِدُ المياهَ وكلُّ سائل قطرةٍ سيلٌ من الحشرات والحيوانِ
خَفيتُ عليك ، ورفَّهت عنك الجوى فنأيت عن حنقٍ لحنفٍ دانِ

***

ان ضلَّلتك وأوبقتك فإنها طُبعت على التمويه والعدوانِ
ولشدَّ ما اختلفت عليك فاصبحت لك قدوة في الختل والرَّوغانِ
فركبت رأسك تستفزُّك نزوةٌ خبطت بك الظلمات غير مُعانِ
وحملت اعباء السنين تجشُّماً من اجل بعض اللهو بضع ثوانِ
أجرٌ لعمر ابيك ابخس ما رأت عينانِ ، او سمعت بهِ أُذنانِ

***

فسلِ الحياة الى م يصرع بعضها بعضاً فجنيٌّ عليهِ وجانِ
هي بين مأكولٍ وآخر آكلٍ متطاحنين فناشئٌ من فانِ

***

تبني وتهدم ما بنتْهُ ملولةً تتبدَّلُ البنيان بالبنيانِ
كالشارب الملتخِ بعد تحمُّسٍ شجَّ الكؤوس ، وجَّ بنتَ الحانِ

***

لله كم للجهل عندك من يدٍ ازرت بكل يدٍ من العرفانِ
عبرت بهِ الاوهامُ تأنف عندها بَرْدَ اليقين ونعمة الرضوانِ
فالشهب تسبح ، والنجوم مطلةٌ سهراً عليك وحولك القمرانِ
مخلوقة لك ، دون غيرك ، — كلها صور اليك — وانت ذو السلطانِ
تلك السعادة في الحياة وان تكن عبث الوليد وضحكة الازمانِ

***

ولقد وثبت من الحقول ولم تذق في العلم غير مرارة الخذلانِ
فرأيت عالمك المشيَّد ذرةً خلل المجرة في سديم دخانِ
فنكصت اخسأ ما نكصت مزلزلاً من روعة الملكوت في الاكوانِ
سُدُمٌ تهيم ولا فضاء يحدها زغَبٌ بين تصدعٍ وكيانِ
تلد العوالم والشموس تفجُّراً — عددَ الرمالِ — تفجر البركانِ
من انت في الدنيا ؟ ومن هي نفسها ؟ فتقول نحن ! ومن هما الثقلانِ

***

الويتَ منخلع الفؤاد بنجوةٍ واليأس حولك ضارب بجرانِ
وغبرت تهلع من مصيرك في غدٍ أن يستبدَّ بهِ الزوال الثاني
تنقضُّ منتثر الهباء ممزَّقاً بين العناصر طامس العُنوانِ
حمل الغواة عليك في نزغاتهم فضللت بين الحسِّ والوجدانِ
اني كفرت بما يقول غويهم ورضيت بالتوحيدِ والايمانِ

***

الوحي اصدق والخليقة آية لله تنطق عنهُ بالبرهانِ
ومن الخلود على الخلود ادلَّة للنفس تنسخُ زخرف البهتانِ
والارض دائرةٌ : فهل ابصرتها كُرَةً ؟ وهل أحسستَ بالدورانِ
الحس يكذبُ ، والعقول كليلة ، والروح أطهر ، والوجود معاني

فؤاد الخطيب



النفط

PETROLEUM

لا يخفى ان السفن البخارية تجارية كانت او حربية صار الجديد منها يسير بالبترول لا بالفحم الحجري ، وكثير من القديم أبدلت آلاته حتى يستعمل فيها البترول بدل الفحم الحجري . فاذا لم يكن لدى دولة من الدول منابع بترول كافية ودائمة فلا تستطيع ان تناظر غيرها في التجارة البحرية ولا في الحروب . فالطيارات والسيارات والغواصات عدا البوارج الضخمة تسير كلها به فهو من الزم اللوازم في الحروب البرية والبحرية والجوية .وهذا منشأ ما للبترول من المقام الكبير في مجامع الدول . وقد اتحفنا الزعيم الدكتور امين معلوف المعروف لدى قراء المقتطف بمعجمه الطريف في « علم الحيوان » ببحث لغوي تاريخي في هذا الموضوع نزف الى القراء الجانب الاول منه فيما يلي :

١ — تحقيق لغوي

النِفط والقار والقِير والكُفر والقُفر وقفر اليهود والحُمَر والزِفْت والمومياء والقَطْران مواد هِدروكربونية مؤلفة من الهدروجين والكربون على نِسَب مختلفة. والعلماء في ايامنا يطلقون القار وهو بتومن عند الرومان على جميع هذه المواد سواء كانت جامدة كالحُمَر او سائلة كالنفط او هوائية كالغاز الخلقي

فالنِفط بكسر اولهِ واسكان ثانيهِ وقد يفتح اولهُ دُهن معدني ابيض او اسود ضارب الى الخضرة سريع الاحتراق يسمَّى باللاتينية بتروليوم اي دُهن الحجر او زيت الصخر . ولفظة النِفط عربية سامية قديمة جداً اخذها اليونان عن العرب وقالوا نفثا وهي معناها . ومما يدلُّ على اصلها الساميِّ انها بالسريانية والعبرانية مثل العربية مع اختلاف قليل في اللفظ . ثم ان اليونان كانت اول معرفتهم بالنفط في العراق وكان من البديهي ان يسموهُ نفطاً كما سماهُ العراقيون من سريان ويهود وعرب ولعلهُ سمي بذلك لخروجهِ من باطن الارض كما يتضح من مادة نفط ومشتقاتها في كتب اللغة كذلك نفث ونبط ونبض ونبص ونبث ونبش واشباهها فكلها تدل على الخروج او الدفع ثم تفرَّع من ذلك معنى الاحتراق كقولنا تنفَّط الرجل غيظاً اي احترق

ومن اسماء النفط زيت الصخر وزيت الجبل ودُهن الحجر ودُهن الصخر والدهن المعدني وقد ذكر اطباء العرب هذه الاسماء كلها . وفي مصر معدن منهُ في

جبل سماهُ العرب جبل الزيت ولا يزال يعرف بهذا الاسم الى يومنا وسماهُ الرومان منس بتروليوس اي جبل زيت الصخر او جبل الزيت كما قال العرب . وليست لفظة بتروليوم قديمة عند الرومان ولم ترد في فصيح كلامهم قالهُ السر بُقَرتُن ردوُد وكان عالماً جيولوجيًّا خبيراً في النفط ولهُ مطولٌ فيهِ اخذت عنهُ شيئاً كثيراً مما ورد في هذه المقالة [1]

والنفط كما تقدم لفظة عربية فصيحة وهي شائعة عند العراقيين يقولها خاصتهم وعامتهم ويريدون بها هذا الدهن او الزيت المسمَّى بالبترول او البتروليوم عند الافرنج وهم يسمون الخلقي منهُ بالنفط الاسود اما الصافي المكرَّر المعروف في مصر والشام بزيت الكاز فانهم يسمونهُ النفط فقط او النفط الابيض . على ان بعض كتّابهم اخذوا يقولون البترول وزيت الكاز نقلاً عن الجرائد المصرية والشامية ولكنهُ نادر جدًّا . وحبذا لو شاعت لفظة النفط بين كتاب العربية في مصر والشام كما هي شائعة في العراق عوضاً عن البترول او زيت البترول فهذه معناها زيت زيت الصخر بتكرار لفظة الزيت فلنحتفظ بالنفط ولو بالاسم . ومن اسماء النفط التي ذكرها علماء العرب فَطْرُ لا وبطر الاون وكلاهما بمعنى زيت الصخر او دهن الصخر كما مر (انظر بطراون في ابن البيطار ومادة خَلَق في معجم دوزي)

والقار او القِير هو ما سمّاهُ الرومان «بتومن» ومنهُ الاسم الفرنسي والانكليزي وهو اسْفَلْتُس عند اليونان ومنهُ اسفلت بالفرنسية والانكليزية واللفظة مأخوذة من الزفت العربية وهي بالسريانية والعبرانية كالعربية مع اختلاف قليل في اللفظ فصار زفتنا يونانيًّا وسُمي اسفلتساً ثم تفرنج ودعي اسبلطاً قالهُ دوزي عن ابي الوليد ثم تدمشق وتمصر وصار اسفلتاً اما اهل العراق فقد ابقوا اسمهُ العربي الآخر وهو القِير وهم يشتقون منهُ فعلاً ويقولون قيّر السفينة وقيّر الطريق وكلهُ فصيح لا عجمة فيهِ . ولعل القير هذا والجِير اي الكلس اصلهما واحد في اللغة لان القاف والجيم يتبادلان في اللفظ فالعراقيون يلفظون القير كما يلفظ اهل القاهرة الجير واحياناً كما يلفظها اهل الصعيد ويلفظون القيّار والقيّارة اي صانع القير ومكان القير كما يلفظ اهل القاهرة الجيّار والجيّارة . ثم ان القير والجير كلاهما مِلاط وكان ملاط القدماء من اهل العراق

(1) A Treatise on Petroleum by Sir Boverton Redwood, Bart., D. Sc., F. R. S. E., etc., London 1926

القير ولا يزال كذلك في بعض الاحيان ثم استعاضوا عنهُ بالجير ولكنهم لا يسمونهُ جيراً كما في مصر بل نُورة . والجير كالقير اي بكسر الجيم وفتحها في محيط المحيط خطأ مطبعي

والحُمَر هو القير واللفظة عربية سامية وهي حَمَر بالعبرانية باختلاف في الحركات وقيل لي انها تلفظ حَمَار وقد سُمّي الحُمَر بذلك لاحتراقه لان مادة حَمَر بالعربية تدل على الحرارة او الاحتراق . او كما جاء في معلمة التوراة (١) لانهُ اسود ضارب الى الحمرة على اني ارجح ما ذكرتهُ كما سيأتي في حَمَارة ينار طاش . والحمر معروف في جبل الشيخ وغيره من انحاء الشام باسمه هذا والعامة في الشام تشدّد الميم

والكُفر والقُفر وقُفر اليهود وقفر اليهودية والقُفر البابليّ هو الحمر وقد ذكر اللغويون الكُفر بهذا المعنى ولكنهم لم يذكروا القفر فيما اعلم واما ذكرها الاطباء وضَبَطها لكلار بالفتح ولم يضبطها دوزي واظنها بالضم كالكُفر وهي كفر (Kopher) بالعبرانية وتكتب بالكاف لا بالقاف. ولعل اطباء العرب اتقوا من كتابتها بالكاف لكي لا يقال كُفر اليهود فقالوا قُفر اليهود . وعلى كلّ فاللفظة سامية وهي كما جاء في معلمة التوراة كُفَر بالعبرانية وكُپْر او كُفْرُ بالاشورية . أما قفر اليهود وقفر اليهودية فهو الحمر الذي يخرج من الغَور اي غور اريحا والقُفر البابلي القير الذي يخرج من هيت على الفرات وكان البابليون يقيرون ابنيتهم وقفافهم بهِ كما يفعل العراقيون الآن ولم اسمع الكفر او القفر من العامة في العراق والشام وربما كان معروفاً بهذا الاسم في فلسطين على اني لم اسمعهُ . وكفري بلدة في العراق وكفرية قرية بالشام وكلاهما نسبة الى الكفر وهو معروف فيهما

والزفت ضربان معدني وصناعي فالمعدني هو الحمر او القير والصناعي هو ما يبقى من تقطير القطران سواء كان قطران الفحم او قطران الخشب . واللفظة عربية سامية كما مر في الكلام على القار

والمومياء وتسمّى القطران المعدني ضرب من القار وهي مادّة سوداء لزجة بين النفط والحُمَر كان المصريون يحنطون موتاهم بها وقد وجدها العرب في القبور وفي كهوف بلاد فارس واليمن فسموها المومياء نقلاً عن المصريين فان الموم بالقبطية معناهُ الحُمَر والمومياء الجثة المحنطة قالهُ السر بفرتن رِدْوُد وقيل انها من موم بالفارسية

(١) Encyclopedia Biblica

ومعناهُ الشمع فسماها العرب مومياء لمشابهتها اياهُ في قوامهِ . ولا ادري ايّ القولين اصح ولكنها ليست يونانية كما جاء في بعض كتب اللغة ولعل احد العارفين باللغة القبطية يجلو هذه المسألة . ولم يخفَ على ابن البيطار وغيره من علماء العرب ان المومياء هي الحمر او القار . ومن اسمائها باليونانية بسّسفلتس اي زفت الحمر وباللاتينية لمثة من ملثة باليونانية اي الملاط وربما كانت سامية الاصل لان ملاط القدماء كما مرّ كان قيراً ومنهُ المقير اي أُور الكلدانيين على مقربة من الناصرية

ومن المومياء نوع يصنع منهُ شمع يستضاء بهِ واسمهُ عند الافرنج أُوزُوقريط ومعناهُ الشمع المنتن ولعل اصلح اسم لهُ بالعربية القير المنتن او المومياء المنتنة. ولا يخفى ان قيرس باليونانية وهو الشمع كالقير بالعربية وهو الحمر

والقطران وفيهِ لغات سيّال يستخرج من الشربين والارْز والتّنوب ومنهُ قدريا باليونانية وهو بمعناهُ وقذْرُس وهو الشربين والأرْز ومنهُ ارز لبنان بالانكليزية والفرنسية وكلهُ من مادة قطر بالعربية او من اصل ساميّ آخر شبيه بهِ كما يستدل من معاني هذه المادة وما اشتقّ منها كالقطران فقد سمي بذلك لانهُ يقطر او يسيل من هذه الاشجار . والقطران اصناف منهُ قطران الخشب وهو الذي تقدّم ذكرهُ وقطران الفحم وهو يستخرج من الفحم الحجري والقطران المعدني وهو المومياء كما ذكر آنفاً

وهذه الموادُ كلها متشابهة التركيب متفاوتة القوام لا يعرف متى ينتهي الواحد منها ولا متى يبتدئ الآخر على ان الغالب فيها ان النفط يخرج سائلاً ويبقى كذلك والقار يخرج مائعاً ثم يجمد والحمر يكون في جوف الارض جامداً والمومياء بين بين . وقد اطلق علماء الجيولوجية لفظة القار على هذه المواد كلها سواء كانت جامدة او مائعة او هوائية فيمكن ترجمتها وتعريفها كما يأتي لكي تنطبق على العلم الحديث

معجم موجز

القار والقير (Bitumen) الحُمَر او الزفت المعدني . وعند العلماء معدن سريع الاشتعال يشمل النفط والحمر والغازات الخلقية وكلها مواد هدروكربونية مؤلفة من الهدروجين والكربون على نسب مختلفة

(١) الحُمَر والكفر والقفر والقير (Asphalt) ضرب من القار الاسود وهو صلب قصم لماع فاذا أُحمي لان وتلزّج . منهُ صنف في هيت من اعمال العراق يعرف بالقفر البابلي وصنف في غور اريحا يعرف بقفر اليهود (Jew's Pitch) وقفر

اليهودية (Bitumen of Judea) وصنف في جبل الشيخ ترب حاسبيا يعرف بالحمر وقد ذكر أطباء العرب جميع هذه الاسماء

(٢) قيَّر او زفت (To Bituminize or Asphalt) اي طلى بالقير او الزفت

(٣) الموميا، (Mummia) (ا) ضرب من القار لين لزج بين النفط والحمر كان المصريون يحنطون موتاهم به (ب) والموميا، الجثة المحنطة

(٤) الملاط (Maltha) (ا) ما يملط به كالقير والجص والكلس (ب) الموميا، وهي ضرب من القار

(٥) الزفت (Pitch) مادة هدروكربونية سوداء صلبة تحترق وهو نوعان معدني (Mineral Pitch) وهو الحمر او قفر اليهود (Jew's pitch) وصناعي وهو ما يبقى من تقطير القطران

(٦) زفت (To pitch) اي طلى بالزفت

(٧) القطران (Tar) سيال اسود يحترق وهو اصناف صنف يستخرج من شجر التنوب ونحوه ويقال له قطران الخشب وصنف يستخرج من الفحم الحجري يقال له قطران الفحم وصنف يكون معدناً في جوف الارض يقال له القطران المعدني او الموميا، وهو أشد قواماً من الصنفين الآخرين

(٨) قطر وقطرن (To tar) اي طلى بالقطران

(٩) الموميا، المنتنة (Ozocerite) ويقال لها القير المنتن والقير الابيض ضرب من الموميا، يصنع منه شمع يستضاء به والافرنج يسمونها اوزوقريط ومعناها الشمع المنتن

(١٠) النفط (ا) (Petroleum) دهن معدني ابيض او اسود ضارب الى الخضرة سريع الاحتراق ومن اسمائه دهن الحجر وزيت الصخر (ب) والنفط (Naphtha) سائل طيار سريع الالتهاب يستخرج من النفط الاسود والاصلح تسميته بالنفثة متى كان بهذا المعنى

(١١) الغاز الخلقي (Natural Gas) غاز يخرج من جوف الارض سريع الالتهاب جداً وقد يلتهب من ذاته متى مس الهواء كما في باكو وكركوك واضالية

والمواد التي تستخرج من النفط والقطران كثيرة جداً لا اسماء لها بالعربية والاصلح وضع الفاظ لبعضها وترجمة البعض الآخر او تعريبه اذا تعذرت ترجمته

بغداد — امين معلوف

هيلدا

« قلب المرأة تيه » (١)

(بلزاك) (٢)

ما طلع الفجر لثلاث مضين من شهر شيت (ابريل) حتى ضجّت مدينة سنجباد من أعمال الهند . وكان اهلها قد برحوا مساكنهم جماعات واخذوا في الطرق جيئة وذهاباً كأنما ألمّ بالمدينة امر يعلم الله خطره . وكان الرجال قد خلعوا مباذلهم وارتدوا صيتهم وكان كلهم يشير في سكون او يتحدث في صياح . وكان النسوة قد تحلين على غير عادتهن وتأوّدن في مشيتهن وغلمانهن في إثرهن ثم جالس بعضهن الى بعض في الطرق واندفعن في الحديث معاً في صوت كأنه هديل الحمام تارة وقوقاة الدجاج اخرى. وأما غلمانهن فكان بعضهم يعبثون بشيخ ضرير فمن نازع عمامته وقاذف بها في الفضاء ومن ناتف شاربه ومن لاهٍ بلحيته ومن هامس في اذنه : ما أبصرك! ومن صارخ في وجهه : ما أقذرك ! وكان لمح غيرهم عجوزاً متسوّلة قطعاء تتلو سورة من سُوَر كتاب براهما فما لبثوا أن طاروا اليها واجتذبوها من أطمارها وشغلوها عن السؤال بتغليظ مداعبتهم . . . . وكأنك بالصبية إنْ يبصروا عاهة ينكروها فيتغامزوا عليها ويتخذوها هزوءاً وعزيز عليك أن تبسط لهم أنّ في الحياة غير ما تعهده حداثتهم

وكان اهل المدينة متفرقين كل وطبقته . فكان جماعة الخاصة راكبين في مواليهم وناظرين الى من دونهم في كبر وأنفة وعلى جباههم سيات الترف والعجرفة وفي ثنايا قسماتها نزعة الى الشهوة والقسوة شأن عيون القوم في جميع الامصار حتى نشوء مبدإ المساواة وما وراءه من مذاهب اشتراكية . وكان اهل الطبقة الثانية بين تجار وصناع رجالاً مع سعة حالهم . واما أهل الطبقة الثالثة فكانوا ينظرون وقوفاً الى جماعات الطبقتين بمؤخر عيونهم نظرة الذليل حيناً والمبغض حيناً آخر . والسبب في ذلك أن الناس كانوا يسترقونهم ثم يعدونهم انجاساً فيفرّون منهم ويتشاءمون بهم . وكان

---

(١) Le cœur d'une femme est un labyrinthe (٢) كبير كتاب فرنسا الاجتماعيين في القرن التاسع العشر

اولئك القوم الانجاس من عمال ومزارعين وعبيد مستكينين للناس مع حقدهم عليهم وتوعدهم لهم

ثم ان أهل القرى كانوا قد حضروا المدينة عراة الاجسام الا سوآتها وكان معظمهم يقودون فيلة او يسوقون بقراً وكان غيرهم حاملين جلود النمور والاسود أو متأبطين بعض الطيور الدواجن علهم يستبدلونها بما هو انفع لهم. وكانت تلوح على وجوههم علامات التعجب مما حولهم ودلائل الحذر من المدينة لعلمهم أن لها أسراراً بعيدة عن اذهانهم

وبينما الناس كذلك والطرق غاصة بهم والفضاء مرتج بصيحات الرجال وجلبة النساء وغلمانهن وأصوات الحيوانات على اختلاف انواعها اذا كوكبة من الفرسان يمهلون عند مفرق كل طريق فيخرج من بينهم منادٍ غليظ العنق ينفخ في بوق له عظيم أن اصيل اليوم موعد الحكم على شطرهان «المهرجاه». وكان هذا الخبر مستطيراً في المدينة وفي القرى من قبل ان يعلنهُ المنادون ويهتفوا به

واي الرجال كان شطرهان هذا وقد ضجت مدينة سنجباد من أجله منذ مطلع الفجر وقام اهلها وقعدوا على الشكل الذي رأيت؟ كان شطرهان إبن رجل صالح متصوف وكان جيل الوجه وضيع الخُلُق كامل العقل مجتهداً في الأدب طبيباً بارعاً في صناعته. وكان قد أقبل على خدمة ملك سنجباد من صغر سنه. وكان الملك يقال لهُ جِيْنلباغ وكان من أحفاد دبشليم الملك بطل كتاب «كليلة ودمنة». وكان جيلباغ قد خبر شطرهان فآنس منهُ أمانةً وصدقاً فارتضاه واصطنعهُ وما زال يتعهده برعايته حتى جعلهُ عُمدتَهُ وثقتَهُ

على أنهُ اتفق ان خرج جيلباغ في طلب الصيد ذات يوم راكباً فعثر به جواده فسقط لوجهه ميتاً. فخلفتهُ ابنته وكان يقال لها هيدا فحرصت على شطرهان ووكلت اليه سياسة سلطانها. إلاَّ ان الرجل ما شمخ بأنفه قط مع جلالة شأنه فما عسى ان يكون الذنب الذي جرَّه؟ أأفسد هو في الارض ام عبث بالرعية؟ هل انشقَّ عن دينه ام استخف بالبراهمة ووضع من مكانتهم؟ أأعصى امر ملكته ام راود إحدى جليساتها عن نفسها؟ أغدر وطنهُ ام ولّى ظهرهُ العدو ساعة القتال؟ كلا ولكنما شطرهان كان خيّراً حاكماً بالعدل بين الناس ساهراً على امر الرعية ورعاً مطرقاً لابراهمة مطمئناً الى تعاليمهم وكان أوجه الناس عند ملكته واكرمهم عليها وازهم عند

حكمها وكان قاصر الطرف عن جليساتها اجلالاً لها ثم انهُ كان فارساً شديد البأس غيوراً على وطنهِ . . . فما عسى ان يكون إذاً الذنب الذي جرَّه ؟؟

***

كانت هيدا تحبُّ شطرهان الحب الجمّ . غير انها كانت قبيحة منخرطة الجسم مع عرض عند الكتفين . وكانت خبيثة الطويّة عسرة الطبع قد زاد في سوء خُلقها دمامة هيئتها . وكانت تغالي أيّما مغالاة في حالَي الحب والبغض . على انها كاشفت شطرهان بأمر حبها فما عبأ بهِ . والويل كل الويل لرجل يتهاون بامرأةٍ تهب لهُ قلبها ونفسها شغفاً بهِ

الآن انّ هيدا عزمت على استهواء وزيرها وكانت من اولئك النساء اللاتي لا يتحوّلنَ عن أمرٍ يتلمّسنَهُ حتى يظفرن بهِ مهما بعُد ذلك الامر من همهن ولكنها الملكة لم تبلغ ماكان في نفسها فبدا لها أن تستعين على وزيرها بمن أوتوا علم السحر فأنفذت الى أطولهم باعاً أنْ هيِّئوا لهُ شراباً وأسقوه إياه ولا تألوا جهداً في التوصل بأسباب الرقية في معالجة أمره حتى ينقاد لي . ففعل السحرة ولم يزل شطرهان على نفوره من الملكة وإعراضهِ عنها . فقام في نفس هيدا أن وراء الامر سرًّا مكتوماً فأمرت وصيفةً لها بالتنقيب عنهُ

وكان يقال لهذه الوصيفة سُراكا وكانت من قبيلة تورا وهي من أخبث قبائل الهنود عنصراً . وكانت سراكا كريهة البزّة عرجاء وطبيعي أن تتخذ المرأة القبيحة وصيفةً أشدَّ منها قبحاً . وكانت سراكا امرأة سوء ودهاء . ولكنها كانت مخلصة لملكتها فجدَّت في الفحص عن دخلة الوزير حتى اتصل بها انهُ شديد الكلف بابنة رأس البراهمة . وكانت فتاة ذات جمالٍ وعفاف ولين جانب

وما عتمَّت سراكا أن رفعت ذات صباح الخبر الى مولاتها فغضبت لهُ هيدا وامتلأت غيظاً ثم خلت الى وصيفها . فتشاورتا في الامر حتى أجمعتا على أن يراوغا المهرجاه أو يستسلم

وعند الاصيل انطلقت سراكا الى شطرهان لتمكر بهِ وتدفعهُ عن حب ابنة رأس البراهمة الى حب الملكة . فلما أتتهُ أخذت في ذَرْوِ الحديث حتى تظاهرت لهُ بالاهتمام بأمره ثم همست اليهِ : قد شاع خبرك فاشتهرت حبيبك في النساء فأقسم أبوها على أن

ينتقم لها منك . فضحك شطرهان ضحكة المستخف بالخبر لعلمه ان رأس البراهمة لن عنعه ابنته إن هو خطبها اليه . فانصرفت سراكا عن هذا الباب وطرقت باباً آخر فلانت للوزير في كلامها وهي تستغويه بالمال وتعده بالعرش رجاء أن يحقق أماني مولاتها ؟ ولكن شطرهان ما برح مصراً على الاباء مع ثقته بأن أمر حياته طوع يد الملكة وأنه إن عصاها ولج في عصيانها لا شك منته الى سوء العاقبة . ولكنما كانت له طبيعة تتطلب الحب المتبادل وتغتبط به ونفس روحانية ترغب عن الماديات . وكان لتصوف أبيه أثر عظيم في كيان روحه

على أن سراكا لما رأته متمنعاً كل هذا التمنع ورأت حيلها قد نفدت عدلت عن الوعد والتأمين الى الوعيد والارهاب فطفقت تنذره باسم الملكة بألوان العذاب وتوعده بصنوف الهلكة فقال لها شطرهان: ويلك كيف للملكة ان تقضي فيَّ ما توعدينني به؟ قالت: أتعجز الملكة عنك؟ ثم انصرفت بارقة راعدة

أما شطرهان فعاد الى نفسه وجعل يفكر في الامر كيف انقلب عليه فلم يرَ منه مخرجاً سوى استعطافه الملكة لعلها ترثي له فقصد اليها واستأذن عليها فأذنت له فسجد بين يديها وقال لها : إن مولاتي أيدها براهما اختصتني بنعمة لم أكن ورأس أبيها حقيقاً بها . ففطنت هيدا انه جاءها مستعطفاً فخشيت ألاَّ تقدر على رده لشدة كلفها به فقطعت عليه الكلام وقالت له في لهجة عنيفة تظاهراً بالقسوة والحنق : إن وصيفتي بلغتك الامر فان راقك فاجلس اليَّ وإلاَّ فمصيرك السجن . قال شطرهان مغضباً : لك الحكم المطلق على العبيد دون غيرهم فحقدت عليه مقالته وصرفته ساخطة وهي لم تكن لتعلم أن الحب لا يستكره ولا يجرع كما تجرع العقاقير وانه غير منقاد للقوة والبأس . فوهمت أن في استطاعتها ان تأمر به كأنها تتقدم الى قائد جيوشها بغزو بلد من البلاد أو وصيفة من وصائفها بتهيئة حمامها . على انه فاتها انها لو خلت الرجل وشأنه لربما مال اليها مختاراً . غير أن طبعها الجبار ووصيفتها الداهية وروح عصرها الطاغي حملتها على اتباع هذه الخطة العرجاء

ثم ان الملكة ما لبثت ان دفعت الى قاضي المدينة شطرهان متجنية عليه انه غدر بها وحاول خلعها . فأمر القاضي بسجنه من دون ان يحقق ما اتهم به لأن الملكة أرادت أن يسجن وهل تنازع ارادة الملوك ؟ فقضى شطرهان تسعة أيام في السجن وهو يقلب رأيه أيستسلم للملكة أم يثبت على حبه . وكانت الملكة ترسل اليه سراكا كل يوم

تتفقد شؤونه وكانت من فرط حبها تأتيه مستخفية وتنظر اليه من كوَّة السجن مستبكية مع جفاء طبعها . ثم إنها انفذت اليهِ في مساء اليوم التاسع فلما مثل بين يديها جعلت تُبصره عاقبة عناده وتحلف انها لا تريد له إلا الخير وكان الذي دفعها الى مثل هذا التواضع انها شعرت بأنَّ وزيرها اخذ يبغضها فراعها الأمر لأنها كانت راضية باعراضه وأما على احتمال بغضهِ فلم تكن قادرة . فسبت سعيها في استمالته ثانيةً وان صغّرت نفسها اليه . فان المرأة العاشق قلَّما تسدل عمّا فيه جذب عشيقها أو ارضاؤه أو الاحتفاظ به مهما كلفها ذلك

الاَّ ان شطرهان ابى الاباء كلَّهُ لا من أجل حبهِ فقط بل لأنهُ كان حاملاً على الملكة اذلالها له لا ثقةٍ وحقدٍ كانا متأصلين في طبيعته الهندية . ولما لم تبلغ هيدا ما أرادت من شطرهان ردَّته الى السجن يائسة بعد ماطوت حبَّها بين جوانحها طيَّا لا يقوى على مثله إلاَّ النفوس الغليظة الحاقدة . ثم انها عزمت فجأة ان تجري الحكم على وزيرها في أصيل اليوم التالي فذاع الخبر في انحاء المدينة والقرى على ما مرَّ بك في مستهل القصة

***

انعقد المجلس المنتدب للحكم على شطرهان في اليوم المضروب في قصر تعاقبت السنون عليه فزدن في روعته وجلاله . وكان يزين ظاهر القصر أحجار يعلوها صور ورسوم بارزات في الوانٍ شتى بين مؤتلفة ومتنافرة . وكان داخل القصر قاعة فسيحة الارجاء في جنباتها عُمُد خشب منصوبة يشدّ بعضها الى بعض عمد خشب أُفقية . وكان قد نقش على تلك العمد تهاويل وهيئات ومناظر تدلّ على دقة في البحث عن مشاهد الطبيعة ومظاهر الحياة مع افراطٍ في الخيال وعنايةٍ بتصوير الأمر التافه . وكان في تلك القاعة عدة منافذ وكان عند كل منفذٍ باب ضخم يكسوه من أعلاه الى أسفله رموز دينيّة وآي براهمانية وصور حيوانات حقيقية ووهمية . وكان في جوانب القاعة محاريب تضم بين زاويتها دُمىً وكان بعض تلك الدمى يشفّ عن الفن اليوناني والبعض الآخر عن الذوق (١) الفارسي . وذلك انَّ كثيراً ما أتت القوافلُ الهندَ بصناع بلاد اليونان وفارس

وكان في صدر القاعة تمثال عظيم لبراهما له رأسان واربع ايدٍ وثماني أقدام وكأنما

---

(١) الغالب في ظني انه لم يأت الذوق بهذا المعنى عند العرب ولكن عصرنا اتى به وكفى

اراد مائله ان يجعل لالوهيته علامات شاذة عن علامات البشر فأمسك عن الصدق في التصوير وركب رأسه في الخيال حتى غلا فيه

وكان الحكام قد جلسوا تحت هذا التمثال العظيم جلوس القاضي في عهدنا رفوق رأسه آية شريفة او صليب مقدّس. وكان رئيس المجلس رجلاً كهلاً رَبعةً أدهم عظيم الانف والأذنين . وكان كبير منجمي المدينة ومن أذهب الناس بنفسه على كل احد ومن أسرعهم الى الشرّ . وكان متوعداً لشطرهان حاسداً عليه رفعة منزلته في القصر ولطف مكانته في قلب الملكة

وكانت الملكة قد استوت على عرش مرتفع المسند منخفض المقعد مذهّب الاطراف مكسوّ بالقطيفة والسندس . وكان شطرهان مستنداً الى عمود من العمد المنتصبة ومن حوله جماعة من الحرّس

وكان الناس يدخلون القصر تباعاً . فلما استقرت بهم القاعة أومأت هيدا الى رئيس المجلس أنْ قفْ وتكلم . فنهض الرجل وهتف باسم الملكة استفتاحاً ثم نادى بأعلى صوته: « ايها الجمع ان الملكة مكّن براها سلطانها قد ركنت الى شطرهان المهرجاه منذ اليوم الذي علَت فيه العرش . على انها رفعتهُ الى الوزارة وجلّلت شأنه وجلبت له الخير ما استطاعت . ثم انهُ صحّ اليوم عندها أن شطرهان اضاع ذمتها وحرّض الشعب عليها طمعاً في الملك ... ذلك ما صحّ عند الملكة دام عزها وانتم تعلمون أنّ ما يصح عند الملكة يصحّ عندنا لانها مولاتنا ولانها معصومة من الخطإ والخطل . والآن فليجادل المهرجاه إن شاء عن نفسه والرأي اليه ان يفحص عن جرمه ويقرّ به ويتوب منهُ مع العلم أن امرهُ مقضيّ فيه مهما صنع اللهم إن لم تعفُ الملكة عنهُ »

فلما فرغ رئيس المجلس من كلامه وقف شطرهان كاسف الوجه منقبض الصدر وأدار على الحضور عينين ينبعث منهما روح التمرد على العالم والاستهانة بأهله ولاسيما عن يملكون فيه ثمّ ما عتم ان نادى والحنق ملء شدقيه: « ايها الحكام امثلي يحاول ان يخلع الملكة جعلت فداها وقد ولدت بباب قصرها وشببت في ظله وعظمت بين اركانه ؟ أعلى يدي يدبر الشعب مكيدتهُ ؟ أعنّي يصل حبل عصيانه ؟ لعمري لو فعل لضربت اعناق أفراده كبيرهم وصغيرهم . ولقد رُميت بجريمة لا يسعني في ديني أن آتيها ولا يخلق بي في همتي . فاتقوا ربكم في أمري أيها الحكام إن كنتم من الاخيار فكلكم عالم أني رفعت يدي عن المكروه وصنت نفسي عن المنكر »

. . . . جلس شطرهان من بعد ما دافع عن نفسه هذا الدفاع دفاع المخذول الضعيف الحجة. وكان الاولى بهِ ان يذكر الامر على حقيقتهِ ويتنصل مما اتهم بهِ مجترئاً على الملكة ولكنهُ لو فعل لدُقّت عنقهُ لفوره لان الجرأة على الملوك عقابها القتل العاجل . ثم شق على شطرهان أن يصارح الحضور الامر اجلالاً لذكرى الملك جُبلباغ صاحب المنة عليهِ ولعظيم أمله في الملكة إذ كان يعلم أنها تحبهُ الحب الشديد فكيف لها أن تأمر بقتله راضية

ولما جلس شطرهان عم الحضور سكوت طويل تشاور في أثنائهِ أعضاء المجلس. ثم نهض الرئيس ونادى « أيها الجمع لقد سمعتم مقالة المهرجاه وهي على ما رأيتم واهية السند واضحة البطلان. على انهُ حاول ان يخرج من عهدة ما أُخذ عليهِ مكابراً فلم يقدر. هذا وقد حكم عليهِ المجلس بعد اعمال الرأى أن يُلقي في مقصورة الافاعي وللملكة عز سلطانها أن تبقي عليهِ او توافق على هذا الحكم عملاً بسنة احكامنا العادلة »

فحوّل الحضور انظارهم فيما بين الملكة وبين شطرهان بعد ما جلس الرئيس لعلهم يقدرون ما هو واقع . ثم ان الملكة وقفت واجالت طرفها في جنبات القاعة وتهيأت للفصل في حياة حبيبها أو هلاكه

***

من لي بمن ينبئني أي حكم ناطقة بهِ هيدا وقد تضاعف بين جنبيها ذلك الحب الذي رغبت في طيّهِ فلان لها لساعتَيهِ كي ينتشر في اليوم التالي قويّاً ممتنعاً ؟ . . . من لي بمن ينبئني أي حكم ناطقة بهِ هيدا وأي الطبيعتين ظاهرة على الأُخرى؟ أطبيعةُ الملكة المجبولة على البطش والعنف أم طبيعةُ الفتاة العاشق الدافعةُ الى اللين والرفق . وأي النفسيتين تتغلب ؟ أترى النفسية الهندية المفطورةُ على الضغن المضرمةُ بالانتقام أم نفسيّة المرأة بالأجمال وهي النفسية المملوءة رقةً ؟ . . . من لي بمن ينبئني أي حكم ناطقة بهِ هيدا ؟ فإن خطر لها ان تعفو عن وزيرها تمثل أمامها بنت رأس البراهمة وهي تسرع الى شطرهان وتقبل جفنيه وتأخذ برأسهِ بين نهديها برّاقة العينين خفاقة القلب ثم تنطلق بهِ الى المعبد . فأي شقاء يعدل شقاء هيدا وأي حسدٍ يعدل حسدها وهي تبصر موكب الكهنة وتسمع أناشيد الصلاة وأغاني العرس وتستروح شذا الازهار المكللة رؤوس الحبيبين . . . هذا وان عرَض لها ان تحكم بالقتل على شطرهان هالها

منظره وقد وثبت عليـه الافاعي في فحيحهنَّ من كل جانب فسمَّلنَ عينيهِ ونهشنهُ ومزّقنهُ ارباً ارباً وأقبلن يتقاسمن قلبـهُ ذلك القلب الذي ودَّت هي لو ضحت بحياتها في سبيل الاستئثار بهِ . . . إذاً أين أنياب الافاعي قاذفة هيدا بحبيبها أم بين ذراعي عشيقهِ ؟

ظلت هيدا واقفةً ساعةً ناكسة البصر قلقة الخاطر . وبينما كان الحضور يتأملونها متعجبين لطول سكوتها إذا بها ضحكت ظهراً لبطن وركضت حول عرشها لامعة العينين متلهّبة الوجنتين مضطربة الحركات . فهتال الحضور وقالوا فيما بينهم انها لمسحورة . واما أعضاء المجلس فدهشوا للأمر . فخف الرئيس الى هيدا واخذ يدها في إجلالٍ وعدل بها الى العرش وأجلسها عليهِ من دون ان يحدثها . فلم تستقرَّ هيدا في عرشها بل وثبت وثبة النمر وقهقهت في وجهِ الرئيس وتناولت باحدى يديها أُذنهِ اليسرى وتعلقت بها ثم شرعت ان تعضّ مقدّم أنفـهِ فتباعد الرجل عنها وخلّص أُذنهُ من يدها بعد طول عناء . وكان الحضور واعضاء المجلس لا يدرون أيضحكون من الأمر ام يحزنون لهُ

ولكنها بعد ما انقضت فجأة الحادث عاد الرئيس وعضوان الى الملكة وانصرفوا بها الى حجرة كانت خلف التمثال وأما الحضور فظلوا في مقاعدهم يتحدثون في آنٍ ويتسارون من حين الى حين أنْ قد جُنت الملكة . وبعد ساعة خرج الرئيس منفرداً ونادى بأعلى صوتهِ : « أيها الجمع ان الملكة مكَّن براها سلطانها تشكو اضطراباً عصبيًّا ولكن الاطباء بين يديها يتدبرون علتها . واما شطرهان فقد نسب المجلس الى سحره ما اصاب الملكة فلا بدَّ من ان يهلك لانهُ لا تعوَّض علة الملكة إلاَّ بأمرٍ جليل الشأن واي امرٍ اجل شأناً من هلاك المهرجاه أفأنتم راضون اجيبوا فلئن رضيتم قام حكمكم مقام حكم الملكة مسح براها ما بها »

هذا ما نادى بهِ رئيس المجلس وقد فطن ان هيدا لن تحكم على شطرهان متى سلمت من علتها تخشي ان ينجو المهرجاه من الموت فبادر الحضور بندائهِ قبل ان تكرَّ الايام فيغفل الشعب ذنب شطرهان فيرفقون بهِ ويهملون امره

ولما سمع الحضور هذا النداء حاروا في الجواب مضطربين فتسارقوا النظر وكلهم يستشير الآخر بنظره لان الشعب لا يستطيع ان ينشط بنفسهِ الى عمل كلهُ جرأة . ودونك الثورات فعاملها الشعب واما باعثها فنفر من طبقة غير طبقة الشعب . غير ان

هذا النداء نبّه في نفوس الحضور تلك الشهوة الخبيثة التي تحمل الانسان على الارتياح لرؤية الدم المسفوك وهي شهوة كامنة في الغالب بين ضلوع الشعب الهمج . فنسي الحضور اليد التي اتخذها شطرهان عندهم ايام وزارته ونسوا رعايته إياهم ولم يلتفتوا إلاَّ الى ذلك المنظر الرائع منظر الافاعي وهنَّ ينهشنَ رجلاً اعزل . فسرّوا بما بدا لهم من هذا المنظر وتمنوا لو يرونهُ رأي العين ولم يبطئوا ان انتقلوا بلا تروٍّ من الامنية الى الرغبة ولكنهم لم يجسروا على الاجهار بها . فأدرك الرئيس حالهم وايقن انهُ لا بد لها من محرك كما انهُ لا بد اليوم من محرك للدراجة او السيارة حتى تندفعا فنادي فيهم: « ايهلك شطرهان اجيبوا » فشجع الحضور هذا النداء فتساعدوا على الاجهار برغبتهم اللئيمة واندفعوا في حماسة حتى علت لهم تمتمة اخذت في الوضوح الى ان انتهت في كلمة واحدة : اهلاك

الاَّ انهُ لو خلا كل من الحضور بنفسهِ ما حكَم على شطرهان . ولكنما الافراد إن اجتمعوا لغرض من الاغراض يفقد كلهم نفسيتهُ مع معظم هيئاتها إذ تتسرَّب الى من حولهُ ثم تعود اليهِ مشوبة مجسَّمةً لان كل فرد تناول منها ما تناول وخلف فيها من نفسيتهِ ما خلف وتلك النفسية هي نفسية الجمع وللجمع روحه ونزعاته وعاداته ثم لهُ وجدان منزلته من وجدان الفرد منزلة الرأي العام من الرأي الخاص . ثم ان نفسية الجمع تمتاز بالاضطراب وتردد الرأي وبالحماسة مع اندفاع وتهور وبالسرعة في الانتقال من الفكرة الى العمل بلا تروّ ولا تقدير المسئولية قدرها

هذا ما يفسر لنا كيف حكم الحضور على شطرهان . ثم انهُ لما نادوا بالهلاك أشار الرئيس الى الجند أن انطلقوا بالمهرجاه ففعلوا والحضور ينظرون اليهم متعجبين بل آسفين كأنهم بنجوةٍ مما حدث او كأنهم يقولون في نفوسهم كيف حكمنا على مثل هذا الرجل ونحن نجهل حقيقة ذنبهِ .غير ان بعض النسوة بكينَ شباب شطرهان وجمال وجههِ

***

... من لي بمن ينبئني اي حكم ناطقة بهِ هيدا لو لم يمسَّها طائف من الجنون وقلب المرأة مضطرب النزعات متلوّنها ، غريب الاطوار عجيبها ، بل كتاب مطويّ لم ينشره أحد بعدُ ، وتيه ان تلمَّس بعضنا السبيل بين جوانبه ضلَّ لاول خطوة يخطوها

باريس (السوربون) ادوار فارس

العبقرية والفنون الجميلة

الموسيقى

٢

ان قيمة الانسان في الحياة بشعوره . والمتفنن اكثر الناس شعوراً . والموسيقي اقوى المتفننين شعوراً . ان الشعور سبب سعادتنا وشقائنا . ان الشعور مصدر قوتنا وعجزنا . ان الشعور المصحوب بالمعرفة نعمة من اعظم النعم. ان الشعورالمحروم صاحبه من المعرفة نقمة من اعظم النقم . ان ذا الشعور المحروم من المعرفة كالسجين لا يدري الى متى يمتد زمن تعذيبه . ان الشعور جُرْح في النفس لا يندمل .وقد استدعى ذو الشعور امهر الاطباء فعجزوا عن مداواته

ولكن الموسيقى وحدها هي البلسم الذي يسكن الم ذلك الجرح وان كان لا يبرئه

ان الفنون الجميلة ما عدا الموسيقى لا توجد الاَّ في اماكن معينة ، في القصور الشامخة ، والمتاحف الغنية حيث تقتنى بدائع الصناعات وعجائب الطرف

ولكن الموسيقى توجد في كل مكان وفي كل زمان

ان الفنون الجميلة تشغل ركناً في حضن الطبيعة ولكن الموسيقى تشمل الطبيعة باسرها

ان لنا في دوي الرعد ووقع المطر وهدير الماء وهبوب الرياح وانفجار البراكين وزئير الاساد وتغريد البلابل وصفير العصافير وبكاء الطفل وانتحاب الثكلى وقهقهة الثمل ووقع حوافر الخيل وصدى صوت العجلات ونواقيس الكنائس انغاماً مطربة تهيج في النفس عواطف لا تعد ولا تحصى وتعرض على ذهن السامع مناظر عجيبة تملأها رعباً او رهبة او سروراً او حزناً . وطالما سمعت اصواتاً في الغابات من هبوب النسيم وحفيف الاغصان وتساقط الاوراق وصوت زحف الحشرات التي ترى والتي لا ترى هاجت كلها في نفسي ذكريات حلوة وفتحت لها نوافذ آمال بعيدة المدى

اجل ! ان الموسيقى سيدة الكون فقد ادعى بعض الفلاسفة ان الاجرام السماوية تسير بانتظام حسابي مطيعة في سيرها الابدي قانون الانسجام الموسيقي . وانهُ لولا هذا النظام وذاك الانسجام لاختلَّ ميزان الوجود واعتلت دورة الافلاك

ان الموسيقى وهي ام الاصوات ابت الاَّ ان تسود حتى السكون : الم يسمع احدكم صوت السكون La voix du silence اذا انتصف الليل ووقفت حركة الكون في الظاهر واخذ الكرى بمعاقد اجفان الناس وسادت سكينة نسبية حول المكان الذي تجلس فيهِ فانك لا تلبث طويلاً حتى يستأذن على سمعك صوت خفي سحري يكون خافتاً في البداية ثم يرتفع شيئاً فشيئاً حتى يملك عليك جميع حواسك تغالبه بدقات قلبك تارة وبترديد انفاسك طوراً ثم تُغلب لهُ رغم ارادتك فتستولي عليك رهبة من ذلك الصوت المجهول ثم تطمئن اليهِ وتسري في شرايين نفسك انغام ساكنة هادئة فتبقى باهتاً كانك خاضع لفعل السحر او كانك سكران بخمر روحانية وبعد ان كنت واجماً قلقاً تصير هادئاً مغتبطاً . وهذا هو صوت السكوت !

ان البطل المغوار يفتح البلاد ويقهر الممالك . ان السياسي المحنك يدبر شؤون الدولة. ان الطبيب النطاسي يشفي الناس من الادواء . ان الخطيب المفوه ينقل الى الذهن اجل المعاني بابلغ بيان . ان المهندس الماهر يجري الماء ويحيي موات الارض . ان الفيلسوف يحاول حل لغز الوجود

ولكن الموسيقي يفعل بصوتهِ او قيثارتهِ عملاً اعظم من اعمال كل هؤلاء جميعاً . لولاهُ لما فتحت البلاد ولا دبرت الشؤون ولا برئت المرضى من عللها ولا خطب الخطيب ولا سمعهُ الجمهور ولا جرت انامل المهندس بخط الانهار ولا قابل الحكيم لغز الحياة بجأش ثابت وعزم وطيد

ان الموسيقي يهون على جميع الناس عبء الحياة . ان الموسيقي يزيد الحياة جمالاً . ويمحو من سجلها سطور الحسرة والالم

انّا بعد ان نسمع انغاماً مطربة كانت او مشجية مثيرة كانت او مسكنة . نشعر بتغير في شخصيتنا . ننظر الى الحياة بعين جديدة ونرى في افعال الناس واقوالهم مقاصد ومعاني لم نكن ندركها من قبل . ان الموسيقى تفتح من اذهاننا ما كان مغلقاً وتنير من زوايا قلوبنا ما كان مظلماً وتنعش من قوانا ما كان هامداً وتوقظ من عزائمنا ما كان خامداً وتنبه من امانينا ما كان غافلاً وتحيي من ذكرياتنا ما كان مشرفاً على الفناء

ان الموسيقى للانسان كالماء للزرع

لقد قامت في سائر الفنون قيامة المبادئ المختلفة فمن فرقة تطاوع الخيال واخرى تقلد الحقيقة وفئة تنسج على منوال الطبيعة وغيرها تجعل همها في مسايرة الاوهام

ولكن الموسيقى دون سواها لم تكن عرضة للتقلبات لانها رمز للوحدة والثبات قد يتغير الموسيقيون ويتقلبون وقد تتطور مبادئهم وتتنوع طرائقهم ولكن الموسيقى ذاتها تبقى دائماً كالجوهر الفرد وكل ما عداها عرض

***

انا في الوقت الحاضر عرفنا كل شيء او يخيل لنا على الاقل انا عرفنا . حقاً انا لا ندري معظم الاسرار العليا التي تسيطر على الكون . لا نعرف سر الحياة ولا سر الموت. لا نعرف كنه الكهربائية ولا حقيقة الاثير. نجهل ماهية المادة ونقف حيارى لدى معنى الروح ولكن فضلنا على الاقدمين انا لا ندري وندري انا لا ندري . نعلم ان هناك اسراراً لم يئن لنا ان نكشف عنها القناع وقد تبقى محجوبة عنا الى ان ينتهي أجل الانسانية وتطوي الطبيعة صفحة الارض ولكن اذا انقضى هذا العالم فان بعض العقول القوية التي احتكت به اثناء حياتها المادية تكون قد وقفت بالغريزة تارة وبالالهام طوراً وبالذكاء مرة وبالتجاريب اخرى على الفرق بين المعلوم والمجهول وهذه خطوة واسعة جداً في سبيل العلم الاعلى . اتعلمون كم شقي الانسان في هذه السبيل وكم مرة اقترن سعيه بالخيبة والفشل . ان تاريخ الانسان منذ حوّل نظره نحو شمس المعرفة هو تاريخ ارتداد وتقهقر وحسرة

لقد كانت حسرة الانسان عظيمة لدى عجزه الى درجة ان عجزه صار قوة .واعظم مظهر من مظاهر هذه القوة التي منشأها ذلك العجز المقدس كانت الموسيقى . ان الموسيقى هي أمل الانسانية الحائرة وصرختها الخارجة من اعماق نفسها التائهة وآهتها الخفية التي تخرج من ثنايا صدرها الضائق ، لقد ضاق صدر الانسانية من عجزها ولكن لسانها انطلق فكانت الانغام

ان الموسيقي وحده دون غيره من المتفننين يهتدي الى اصوات تعبر عن انواع الآلام ويمثل لنا بفنه حالات النفس المعذبة ويسمعنا صوت الردى وهو يودي بالارواح والاجسام . ويتناول الطبيعة بانغامه فيظهرها لنا بسحره وهي في النزع لدى فصل الخريف فشمسها غاربة وامواهها ناضبة وطيورها واجمة والوانها قاتمة واشجارها جرداء واوراقها صفراء . ويتناول النفس الانسانية وهي أشد ما تكون حزناً وأعظم ما تكون حناناً واشمل ما تكون لوعة وأعمق ما تكون يأساً لدى فراق الحبيب فيمثل لنا

النفس وهي تجرع كأس الاسى ممزوجة ثمالتهُ بقطرة من رحيق الهناء ويتناول النفس وهي في حالة تشبهُ الشفق وقد اشرفت آمالها على المغيب . يتناول النفس وهي كالطير المقصوص الجناح تملاءهُ رغبة الطيران لانهُ مخلوق للفضاء الرحب ومطبوع على التحليق في اعلى طبقات الجو وتقصد بهِ ضرورة العجز لانهُ تعوزهُ ادوات الطيران . يتناول النفس وهي في حالة الحنين الى الماضي والخوف من المستقبل تحن للماضي لا لانهُ كان سعيداً انما لانها عرفتهُ والنفس لحيرتها وعجزها تطمئن الى ما عرفت وتخشى المستقبل لانها تجهلهُ وكل مجهول لديها محفوف بالمكاره والمخاوف

يتناول الموسيقي النفس في كل تلك الاحوال فيخرجها لنا انغاماً ذات الوان فيملأنا حزناً وفرحاً وحسرة وغبطة ويقتلنا عجزاً ثم يحيينا قوة

تبارك الموسيقي اقدر المتفننين !

ان المتفنن العبقري لاسيما اذا كانت الموسيقى فنه محتاج ابداً لان يكون ثملاً . ان السكر المعنوي شرط جوهري وحاجة فطرية لانهُ يثير الغرائز ويشحذ سلاح المواهب الكامنة وبدون السكر المعنوي لا حياة للمتفنن . واول واعظم واقوى انواع السكر المعنوي المحتاج اليهِ المتفنن حب المرأة فهو باكمل معانيهِ خمر المتفننين المعتقة هو راحهم ورحيقهم . اعطني حبًّا اعطك فنًّا لان الحب وحدهُ يحبو المتفنن بشعور القوة وشعور القوة لازم للوحي والالهام . ان الحب اعظم مظهر من مظاهر الارادة الانسانية لان بهِ تبلغ النفس غايتها من النفوذ والقوة . اننا بالحب وما يصحبهُ من العواطف نقوى على المجازفة في الحياة وتهون في نظرنا اكبر المخاطر . اننا بحب المرأة نفتح الابواب المقفلة وندخل القصور المسحورة ونطل من نوافذ لا يستطيع النظر منها الا الجبابرة فنبصر بعالم جديد لا تراهُ الا الآلهة

اننا بالحب نقاسي عذاب النار المحرقة ونذوق ملذات النعيم الدائم

ان الحب يجعل من الرجل الابله حكيماً ويزيد الحكيم النحرير حنكة . والحب هو الذي يحرك دولاب النفس ويخرج الانغام التي تحل لنا لغز الحياة وتقوي ساعدنا على رفع النقاب عن وجه الحقيقة

***

قد يتساءل الناس عما يجعل الموسيقى افضل الفنون الجميلة واشرفها ولماذا يكون

الموسيقي الحقيقي من امثال مايربير وفردي ووجنر وبيتهوفن وباك متفنناً عبقرياً .
والجواب عن هذا السؤال سهل لمن يمعن النظر . تأملوا قليلاً تجدوا ان سائر الفنون الجميلة تحتاج في بروزها وظهورها الى المادة فالنقش والنحت والبناء لا يظهرها الاّ المادة والحجارة. فنحن لا نستطيع صنع صورة بغير مجموعة كبيرة من الالوان واجزاء من الخشب او القماش كذلك لم يقدر ميخائيل انجلو ان يصنع تمثالاً من غير صخر ولم يشد الاغريق في عهد بركليس مبانيهم الفخمة بغير حجارة

ولكن الموسيقي يظهر فنهُ في اسمى درجاتهِ واجمل مظاهره بغير مادة . ان الاثير وحدهُ هو الذي ينشر تموجات الصوت وينقل اهتزازات الانغام الى الآذان والموسيقي يستطيع بصوتهِ الفطري ان يبكينا ويضحكنا وان لجأ لاوتار القيثارة او مفاتيح البيانو فما ذلك الاّ لاخراج الاصوات فالاوتار والمفاتيح غلاف والاصوات اعراض والانغام جواهر ففضل الموسيقي على سائر الفنون هو كفضل الروح على المادة

ثم اننا اذا تأملنا سائر الفنون الجميلة كالنقش والنحت والعمارة رأينا انها انما تعبر عن افكار وخواطر ولكن الموسيقى وحدها تعبر عن العواطف

النقش يعطينا صورة كليوبطرة . والنحت يعطينا تمثال منرفا الهة الحكمة . والعمارة تعطينا هيكل الكرنك وقصر انس الوجود

فننظر الى تلك الاشياء الجميلة ونعجب بها ولا نزيد . لان فن صناعتها مهما كان عظيماً لا يستطيع ان ينقل نفوسنا الى درجة ارقى من الاعجاب بالشيء المرئي . لان هذا الفن محدود بالمادة اولا وباشكال معينة هي في ذاتها منشأ اعجابنا وموضعهُ. واذا انصرفنا عن هذه الاشكال بالذات اضعنا فن المتفنن . ولكن الموسيقى وحدها دون سواها بما لها من القوة الروحانية وخلاصها من شوائب المادة ولقيامها بذاتها واستغنائها عن الاشكال تراها قادرة على التعبير عن العواطف

لا يستطيع تمثال رمسيس الضخم الراقد الآن في فدان من ارض البدرشين تظلهُ مائة نخلة لو اننا موهناهُ بالذهب ورصعناهُ بالجواهر ونصبناهُ في اجمل بقعة من الارض لا يستطيع هذا التمثال مع كل ما يحيط بهِ من الذكريات المجيدة وما يدخلهُ على الذهن من الدهشة الاّ ان يحرك فينا الاعجاب بضخامة الصخر واقتدار الصانع

ولكنهُ لا يستطيع ادخال السرور او الحزن على نفوسنا

على انّ جرة واحدة من قوس ضئيل على اوتار تكاد تكون لرقتها رموزاً . تفعل بالنفس ما يعجز عن فعله ذلك التمثال الضخم لان الموسيقى وحدها من بين سائر الفنون تخلق في نفسنا العواطف . هي تفرحنا وتبكينا وتدعونا بحنان ورفق ورغبة نحو الحب وتدفعنا بقسوة وشجاعة نحو الحرب

ان الموسيقى وحدها تستطيع ان تغير حالات النفس من صفو الى كدر ومن كدر الى صفو من امل الى يأس ومن يأس الى امل من غبطة الى غم ومن غم الى غبطة . هي وحدها بيدها سكرنا وصحونا راحتنا وقلقنا سعادتنا وشقاؤنا لانها قادرة على ايجاد العواطف

ويزداد قدر الموسيقى في نظرنا اذا عرفنا ان العواطف هي المسيطرة على الحياة فلا قول يقال ولا فعل يتمّ بدونها . حللوا اقوالكم وافعالكم في اي وقت من اوقات حياتكم تجدوها راجعة جميعها وجيزها ومسهبها جليلها وصغيرها الى العواطف

لولا العواطف لم يوجد الامل ولولا الامل لم توجد الحياة

دعونا من الذكاء والفصاحة مهما كان الذكاء شديداً فهو حيال العواطف ضعيف عاجز . ان اقوى الناس عقلاً قد يكون اسير اقل النساء شأناً بقوة العواطف وافصح الخطباء لو لم يحرك عواطف سامعيه بقوة عواطفه لن تترك فصاحتهُ في النفوس اثراً

ان الفنون الجميلة ما عدا الموسيقى تلمس النفس لمساً سطحيًّا . ولكن الموسيقى تخترق اعماق النفس

ان الحياة محكومة بقوة الارادة والارادة سيدة الكون وجوهرهُ وروحهُ

وكل كائن روحاً كان او مادة انما هو مسيَّر بقوة الارادة العليا التي نرى مظاهرها ولا نعلم كنهها

وغاية الفنون الجميلة ماعدا الموسيقى تمثيل مظاهر الارادة العليا تمثيلاً عاديًّا

ولكن الموسيقى وحدها هي التي تعبر تعبيراً مباشراً ومحسوساً عن الارادة العليا ذاتها فهي لسانها الناطق وصوتها الصارخ واثرها الظاهر . ان الموسيقى هي قوة القوى وعاطفة العواطف وهي اقدر قدرة في الطبيعة واعظم مظهر للحياة

محمد لطفي جمعه المحامي

خمسة في سيارة

٥

سرُّ البحيرات

ماذا في البحيرة من سرّ ؟ ولماذا يتوق الناس الى زيارة البحيرات ومشاهدة ما فيها من ماء وما حولها من يابسة ؟ فقد نظم الشعراء الغربيون خير قصائدهم على شواطىء بحيرات اوربا وسكن كثيرون من كتابهم وفلاسفتهم على قربٍ منها

ومن لا يعرف « مقاطعة البحيرات » من قراء الادب الانكليزي او اثر بحيرة ليمان — وهي بحيرة جنيف — وبحيرة لامارتين — وهي بحيرة بورجه قرب اكس له بان — في ادب الفرنساويين

لم تمتّع الطبيعة اجدادنا العرب بكثير من الماء ولكنهم قدروهُ قدرهُ فاحلّوهُ في خيالهم المحل الاول من الجمال فوصفوهُ غديراً ونهراً وما عرفوهُ بحيرة

على ان شهرة البحيرات الاوربية في مائها تحيط بهِ اليابسة الجذابة — اليابسة الصاعدة فيها الآكام والجبال والمكسوة بالغابات والحراج

هذا هو سرّ جمالها وسرّ استهوائها للناس

فليست هي ماء وخضرة فحسب . بل ماء متغير الالوان من فعل الغيوم التي تمرُّ سراعاً من فوقها وخضرة هي تارة اشجار واخرى ازهار وآونةً نبات على صخور صلداء

فهذا التنويع في جمال الطبيعة او هذا الجمع بين ما اعطت الطبيعة من روعة حسن وآية فنّ هو الذي يعطي البحيرات سحرها . فيأوي اليها العاشق الضاحك والعاشق الباكي وينتابها المريض الناقه والشديد المتعب الاعصاب ويرتاح الى لطف جوارها الشاعر ذو الخيال والكاتب ذو الابتكار والفيلسوف الصامت او الفيلسوف الكاتب

وقليل من القراء مَنْ لم يسمع ببحيرة جنيف مثلاً . فشهرتها قديمة ولا تزال يجددها الدهر — ادبية فلسفية يذيعها اسم فولتير واسم جان جاك روسو — دينية لاهوتية ينشرها كلفن واتباعهُ المصلحون الكنسيون — سياسية بدأت بوليم تل ولا تنتهي بجمعية الامم

***

وبحيرة بورجه قرب « اكس له بان » صغيرة لا تقاس ببحيرة جنيف . ماؤها

هادئ ضيق السبيل والجبال من حولها بعضها أصمّ أقرع وبعضها تكسوهُ الاشجار. يقوم على شاطئه هنا من اليسار دير جمع رفات الدوقات والامراء والملوك من بيت سافواي المالك في ايطاليا الآن

تدخل هذا الدير فلا ترى الاَّ اثراً من آثار بيت سافواي فمن تمثال الى صورة الى كتابة وهكذا من اول امير في هذا البيت الى صاحب الجلالة الايطالية الحالي

والولاية فرنساوية الآن . اما الاثر فايطالي . وقد راعت الحكومة الفرنساوية مجاملة بيت سافواي المالك فجعلت للدير حرمة سياسية ايطالية في ارض افرنسية

ويقول الذين لا يعلمون الحقائق ان عين ايطاليا ترنو الى مقاطعة سافواي واخذها من فرنسا


لامارتين

فان نابوليون الثالث ضمها الى فرنسا ثمناً لمساعدته الايطاليين على النمسا

ولكنها لم تكن طليانية كما نفهم القوميات الآن بل ولاية من هذه الولايات المستقلة التي تقدمت نظام القوميات في اوربا

فادعاء ايطاليا بها لا يبرره الاَّ ان زعيم البيت المالك فيهم كان اميراً لهذه الولاية ويتسمى باسمها

على ان البحيرة خالدة لا بالدير ولا بامراء سافواي بل بالشاعر لامارتين . فعلى مياهها وفي قارب صغير يطوف عليها جلس لامارتين الى عشيقته يغني فيطرب ، ويملأ الدنيا شجواً ويكسب البحيرة والبلدة التي في جوارها خلوداً

وان الزائر ليرى حتى الساعة بيت لامارتين في « اكس له بان » بالقرب من نبع المياه المعدنية وهو بفرشه معرض لآثار لامارتين — دع عنك تمثاله القائم على البحيرة نفسها غريب امر هؤلاء الشعراء !

لهم ملك القلوب ولهم سلطان العقول في الحياة وفي الممات فيأبون — بعض منهم والحق يقال — الاَّ ان يسيروا مع تيار الحياة الدنيا ويتأثروا بما فيها من مجد وسلطة فارغتين فيعبدونهما

اتراهم يجهلون انهم هم الخالدون فيضحون بمقامهم العالي في السعي وراء زعيم سياسي او في استجداء ملك ذي عرش . فيزول الملك وعرشهُ ويندثر المتسلط السياسي وحكومتهُ ويبقى الشاعر حيًّا لا يموت

ولو اتسع المقام لدللنا بالعين وبالاصبع على هؤلاء الشعراء في كل زمن وفي كل لسان وفي كل امة

وقد يكون تعليل ذلك طمع الانسان ان ينال كل شيء اذا استطاع — ولكنهُ طمع لا يستند الى عقل يليق بالشاعر — والشاعر الحق عنيتُ — فان الشاعر رفيق الانبياء معلماً ومسامياً ومطرباً ومبكياً ومفسراً لكتاب الطبيعة فما بالهُ لا يأوي الى السكن الروحاني ويترك للآخرين هذا العالم الفاني

***

اما بحيرة أنسي فليست مثل زميلتها التي في جنيف . بل هي نقطة في بحرها . وليست مثل التي بالقرب من « اكس لهبان » فالجبال من حولها اقل ارتفاعاً وابهج منظراً بما تكتسيهِ من اشجار خضراء

فهي ماء ينساب بين شاطئين مأهولين بالقرى وبالآكام وبالحدائق تزينها الاشجار المثمرة والازهار الزاهية الالوان

فالماء ازرق حيناً واخضر حيناً وابيض احياناً كانهُ يأتمر بامر ملك الغيوم فوقهُ وقد تهب الريح فتلعب بامواجهِ بل تداعبهُ فلا يثور ولا يزمجر كالبحور ثم تمطرهُ الغيوم وابلا يخيل معهُ الى الناظر ان قد تم الاتصال بين السماء والماء فيقصف الرعد ويبرق البرق ايذاناً بهذا الوصل او ابتهاجاً بهِ فان لغة الابتهاج في الطبيعة غيرها في بني آدم . ثم يصبح الصباح وتبرز الغزالة فاذا بالماء فضة مذابة واذا الريح قد عقدت عليهِ درعاً منيعة لا تجمد

وليس لهذه البحيرة شاعر يخلدها — ويغلب على الظن ان الوصول اليها في الايام الماضية لم يكن سهلاً فجهلها الشعراء والكتاب وعرفوا بحيرات اوفر منها حظًّا

ولا اظنها بحاجة الى الشعراء فان هذا القارب يشق الماء بمجذافين احدهما بيد شاب يسيل من وجههِ ماء الابتهاج ومن جبينهِ النشاط وآخرهما بيد فتاة تنظر ساعة الى الماء واخرى الى السماء واخرى الى وجه الجالس امامها وتطيل النظر

او تلك الفلك الصغيرة يقذفها في الماء شراع تدار بيد رجل واحدة ويعطف بالاخرى

قواماً كالهباء المنثور . او تلك الآلة المحركة تدفع فلكاً اخرى في الماء دفعاً شديداً لهُ ازيز كازيز الطيارات تذكر العالم انهُ في عصر لا تليق بهِ الاحلام

كل هذه قصايد تغني عن أنس الشعراء

ويغنيها عن الكتّاب ان على اكمة من الاكام المجاورة للماء قبر الكاتب الافرنسي الشهير ونبيّهُ ايپوليت تين Taine

***

وجلس صاحبنا المصري تحت شجرةٍ في حديقة الفندق والبحيرة منبسطة امامهُ يتناول ماءها بيده . وحلم وحلم وحلم مفتّح العينين في رابعة النهار بعيداً عن الرفاق . ومرت بهِ فلك خالية الا من صاحبها فاستأجرها واستقلها وحده يجذف ماراً بالقوارب الاخرى مشاهداً في غير ما غيرة او حسد ، ضاحكاً في غير عبث يذكر اياماً لهُ مضت فلا يدري ايودّ ان تعود او يقنع بحاضره حتى كاد قاربهُ يصطدم بصخرة بارزة من جبل فنظر واذا بهِ يرى صليباً صغيراً بارزاً مقاماً على جانب الصخر فاقترب جهدهُ بقاربهِ الى الصليب فاذا بهِ ذكرى شاب وشابة قضيا في تلك الناحية وعلى هذه الصخرة

فاستولت عليهِ سويداؤهُ واخذ يعيد في خيالهِ موقف الحبيبين من تلك الصخرة - كيف وقعا - هل ماتا تدحرجاً على الصخور من فوق او غرقاً في الماء من تحت . بل هل مات الواحد فانتحر الآخر ولحق بهِ حزناً عليهِ وهل جزعا للموت ولانتهاء حبهما؟ ام ضحكا للموت فحكمهما للحياة ؟

ولماذا يقدر لهذين المسكينين ميتة كهذه وهؤلاء الآخرون يمرحون ويلعبون

أفي مثل هذا المكان والهواء والماء عليلان والشمس ضاحكة تداعبها الغيوم والازهار فرحة والطيور مغردة يجوز لعاشق ان يموت ! او ليست الحياة في لحظة حب فاذاما تمتع المحب بهذه اللحظة فما هو الغرض في الحياة بعدها . . . . . ما هذا ؟ .. اعود الى ذكرى الصبا وتذكر مراتع الشباب . لا — ليس ذا وقت الزيارة . فاذهبي بسلام

***

ووقعت اقدام الرفيق الانكليزي على الحصا فذعر صاحبنا وفتح ذهنهُ وزال عنهُ كابوسه واستقبل رفيقهُ باسماً قال . هل رأيت مثل هذا الجمال ؟

— الانكليزي — شيء جميل جداً . ولكن تعال معنا الى انكلترا نرك اجمل من هذا

— المصري — ان شاء الله

سامي الجريديني

شرقية في أنكلترا

٢

العائلة الانكليزية

يفهم الانكليز من « العائلة » غير ما نفهم نحن تماماً ، اذ هي عندهم عبارة عن كتلة متضامنة متماسكة ، دون ان يضحي في سبيل هذا التضامن بشيء ما : هي مترابطة لكنها ليست متلاصقة. يتزوج الرجل والمرأة فيتحدان بعروة لا تزال لها قداسة وتبجيل رغماً عن التطورات الاجتماعية بعد الحرب التي سهلت كثيراً في مبادىء الطلاق والهجران

يحبان البيت ويحسبانه تلك الزاوية الصغيرة التي هي مقرُّ سعادتهما وقبلة أملهما وقطعة تمثل نفسيهما متحدين ، فيتعاونان على العمل في سبيل جعله هنيئاً . ولكن هذا البيت في الوقت ذاته لا يستعبدهما ولا تحول تلك العروة المقدسة دون سلوك كلٍّ منهما طريقه الخاص . فقد يعنى الرجل بشغله طول النهار ، وقد يذهب الى صحبه في الاندية الخاصة بالرجال يجلس اليهم جلسات لا تلذ للرجل إلا اذا خلا الى بني جنسه . اما هي فقد لا يمسكها من اشغال البيت ما يستغرق ساعاتها الطوال، فتذهب الى عملها اذا كانت ذات عمل وتشترك في رفع مستوى البيت اقتصاديًّا ، وقد تزور وتزار وتذهب هي ايضاً الى انديتها الخاصة . ولكنهما يجمعان دائماً على ثقة متبادلة وسلوك جليّ وعلى عدم اهمال احدهما لشأن الآخر او الاستمتاع بشيء من لذّات الحياة دونه ، وكل امرأة تفهم اعمال زوجها وتتفانى في مساعدته وقد تغلو فيها غلوًّا يكون سبباً لنجاحه العظيم

وتجد مسحة الهناء البيتي في العائلة لانها تقوم على روح التفاهم والصراحة بين افرادها . اما مسألة السيادة في البيت وهل هي للاب او للام ، فانني اؤكد انها عندهم كما هي عندنا وكما هي عند كل البشر ، وهي مشكلة وهمية محلولة بطبيعتها لا تستدعي سابق اتفاق ، اذ ان الاقدر منهما على ادارة العائلة هو الذي يسيّر امورها ويسود عليها وقد لا يشعر الفريق الآخر بهذه السيادة ،وقد لا يقرّ بها ، لكنهُ يخضع مختاراً الاَّ اذا انقلبت السيادة استبداداً . وتظل جامعة العائلة عاطفية تقوم على الرأفة والحنان والعناية الصحيحة ما دامت مؤلفة من والدين واطفال .واما اذا شبَّ هؤلاء وتزودوا بما يؤهلهم لمنازلة الحياة فان منهم من يضرب في مشارق الارض ومغاربها سعياً وراء

الرزق ، ومنهم من يبقى ضمن العائلة الى أجل ، ولكنَّ جامعتهم عندئذٍ تقوم على المصلحة المتبادلة سواء في ذلك البنات والفتيان،حتى ان انبل العائلات واشدَّها محافظة صارت تتسامح في خروج الفتيات الى العمل كالفتيان ، واصبح من الامور العادية ان تسمع ان فتاة ذات لقب تشتغل سكرتيرة او مديرة محل او في مخازن الازياء او على مسرح التمثيل والغناء الى آخر ما هنالك من متنوع الاشغال

اما اذا تزوج الاولاد فان الوالدين لا يكون لهما حينذاك من امر الولد شيء ولو كان وحيداً وكان احد ابويهِ ارمل ، فان العائلة الجديدة تتألف مستقلة بعيدة عن المؤثرات الخارجية ، والابوان يرجعان الى حياة هادئة سارَّة ويقضيان بقية حياتهما في استقلال لذيذ يحتاطان لهُ من اول الشباب . لان الاستقلال الشخصي هو غاية الانكليزي القصوى

العناية بالاطفال

يذكرني هذا الاسبوع كثيراً باطفال انكلترة ، فاليوم يومهم هناك ، اذ ان عيد الميلاد يكسو البلاد حلة من الحبور ويغمرها بأمواج من المسرات . ومن لم يرَ استعداد الانكليز لهذا العيد لا يمكنهُ تصورهُ،فانت تشعر ان الفضاء تغير والهواء تبدل ونظرات الجموع تحوَّلت لحاظاً سعيدة . فابتسامة الغبطة على كل ثغر ، ولمحة الحياة في كل وجه ، والتأهب للفرح في كل حركة ، والاولاد هم بهجة العيد ومحوره ، تقام لهم الحفلات والزينات وترسل الهدايا ، وتحوّل المخازن الكبرى اهم اقسامها الى معارض لهو تقام لاجلهم ، وتملأ اقساماً ثانية بمختلف الالعاب ،وتوقف اعظم المراسح على تمثيل روايات خاصة بهم يقوم بادوارها أشهر الممثلين . ولعل نصيب الاطفال الفقراء من العيد اعظم من نصيب الاغنياء ، فكل عائلة تحسب لهم حساباً ، وكل قصر يقيم لهم حفلة ، واهم السيدات يشتغلن لاجلهم بكل جد وعلى رأسهن الملكة التي قد تذهب يوميًّا الى المركز العام لتسلُّم الهدايا وفتحها وتوزيعها على بقية الفروع الكثيرة . وقد تراكم عليها الشغل مرَّة فاضطرت الى تناول غذاء وقتي في مركز الجمعية لمتابعة عملها

وهنالك جمعية عظيمة الانتشار لحماية الاطفال من كل سوء حتى من قساوة الوالدين . وقد ضرب والد طفلة مرة ضرباً عدَّوهُ شديداً فحُكم عليهِ بالسجن والاشغال الشاقة ستة أشهر

الطفل له الحظ الاوفى من العناية في البيت، من حين ولادته الى ان يشب فيطلق وشأنه. يؤخذ في عربته الصغيرة يومياً الى الهواء النقي مهما كانت حالة الطقس، وله في كل ناحية جنات فسيحة يسرح فيها ويمرح بمراقبة امه او مربيته التي لا تثبت وجودها الا اذا اضطرت لاثباته. ويتمتع بما في الجنائن من معدات اللعب المجانية ويجد هنالك كثيراً من الرفاق يشاركونه في العابه ويتعود معهم معاشرة الناس والاطمئنان اليهم. وللطفل الكتب التي لا تحصى، وله الجرائد والمجلات الخاصة، وله صفحات وصور في معظم جرائد الصباح والمساء، وله قسم يومي في برنامج الاذاعة اللاسلكية اذ تلقى على الاطفال قطع موسيقية جميلة واناشيد وقصص مفيدة ونوادر فكاهية تراهم يطربون لها اي طرب

وقد احزنني أخ لي في العاشرة من عمره اذ جاء يسألني شيئاً يريد ان يقرأه للتسلية في عطلة الصيف فوقفت واجمة امام عقبة لم اتمكن من اجتيازها لان ما بين يدي وما اعرفه في العربية كله لا يصلح لولد في سنه ليفيده ويسليه. فاين هذا من تلك الكتب التي ليس لك الا ان تختار منها ما يروقك؟ فالكتب المصورة تلقى الى الطفل منذ السنة الاولى من حياته، ثم تتدرج معه في سنيه، ومنها ما يختص للبنات ومنها للصبيان، ويظل يتمتع بها الى ان يتاح له قراءة ما يشاء

وتعجبك من الطفل نظافة صحيحة، على انني اظن ان الانكليز من اكثر الامم نظافة فالاستحمام اليومي عام بين كل الطبقات لا يختص بطبقة المترفهين كما هي الحال في الامم الاخرى. اما التربية فاهم اسسها الاستقلال الشخصي واحترام الغير، يدرجون الطفل على ذلك تدريجاً بديعاً معتدلاً، فيبدأونه في مشيه ثم في العابه ثم في شراء لوازمه ثم في انتقاء دروسه ومدرسته ثم يترك وشأنه. ويستعدون للعناية باجسامهم وارواحهم استعداداً تاماً، فالمحاضرات والنصائح قد تلقى مجاناً للامهات، والجمعيات تعقد لمعاونتهن، هذا عدا الكتب والمقالات التي تصدر كل يوم ولكل من افراد العائلة المالكة او ذوي المقامات العليا مؤسسة من مؤسسات الاطفال يجعلها في حمايته

اما محبتهم للطفل فهي عميقة غريبة تدل على شعور رقيق. فهم يلاطفونه على الطريق وفي القطارات وفي المخازن والمتنزهات وفي كل مكان. واذكر اننا كنا مرة في محل قرب «بيكادللي» — احدى ساحات لندن الكبرى — ومن يقدر ان يتصور كيف

بنفر الناس يوم الحشر يمكنهُ ان يتصوَّر الازدحام في « بكادلي » وقد اوقف البوليس حركة السير ليخلي الطريق هنيهة للمارين ، ولا يزال عجبي على شدَّته حينما اذكر انهُ مع كل ذلك تمكن من ملاطفة اختي الصغيرة بابتسامة حنان وكلمة لطيفة ، وكثيراً ما كان الناس يوقفوننا ويستأذنون بمخاطبتها وملاطفتها . وما اكثر الفرص التي يكون بها الطفل سبباً لتعارف عائلي قد يولد صداقة متينة

الفتاة الانكليزية

اول ما يستلفت نظرك منها قامة رشيقة متناسبة ، وزيّ حديث يلائم الزمان والمكان ، ولكنهُ على كل حال تقاص الى حدود الركبة وربما الى فوقها وظهر من تحته ساقان ممشوقتان تكملان جمال قامتها . وحينما لا يستلفت وجهها نظرك بجماله الفائق يستلفتهُ بنضارة حية . تلبس دائماً احدث القبعات ويستحيل ان لا تتناسب قبعتها مع لون الرداء او لون « التخريج » وتجدها دائماً تتدفق حياة كأنها على استعداد لامر تفعلهُ

هذا ما تراهُ من مظهرها الخارجي . اما في ما عدا ذلك فقد عرفتها تتأبط حقيبة عملها صباحاً نشيطة سريعة ، وعرفتها في مكان العمل خفيفة زاهية كفراشة الربيع ، وعرفتها على مقاعد الدرس والتدريس بجدَّة هادئة ، وفي الادارات الكبرى تدير دفة العمل بمهارة واتقان ، وفي مسارح التمثيل تمشي بالفن الى درجات الكمال ، وفي مجلس النواب محترمة الصوت رفيعة المقام ، وعرفتها سيدة بيت كاملة تهيء بنفسها راحة الزوج والاولاد والضيوف ، ورأيتها في ميادين اللعب تجول جولة الابطال ، وعلى صهوات الجياد تتفوَّق — بشهادة العارفين — على الفرسان من الرجال ، وفي النهر تسيّر قارباً صغيراً تجذف بهمة ونشاط ، وفي البرّ تجلس الى سيارة وقد يكون معها صحب من الرجال فتقودها دونهم بلباقة تقلُّ فيها المخاطرات ، ورأيتها تحلق في الفضاء هازئة بالمجازفات ، ورأيتها — في شخص « مسز كورت تريت » تضرب في مجاهل الارض وتتعرَّض للصعوبات لتساعد في اكتشاف طريق جديد للسيارات من رأس الرجاء الى القاهرة . واذكر تلك اللذة التي حدثتنا بها عما لاقتهُ من ضروب العذاب وتلك الصور التي ارتنا بها كيف تقدر المرأة على مصادمة الاخطار . ورأيتها على الشواطىء البحرية مرتمية على الرمال تعرّض جسمها لحرارة الشمس بعد سباحة طويلة ، مفاخرة بآثار لذعاتها في جسمها ، ورأيتها في السهرات وقد ارتدت اجمل الاثواب تتمايل في حلقات الراقصين

... ورأيتها وطنية سباقة الى الخدمة العامة تهتم بالمسائل السياسية ، داخلية وخارجية . واعرف صديقتين لنا هما « مسز برود هرست ومسز فاركرسون » رئيسة وسكرتيرة « العصبة السياسية الوطنية » ولعصبتهما اعضاء عديدون ينتمون الى ارفع الطبقات . ولهما اهتمام عجيب بالمسائل السياسية العربية على اطلاقها وتشتغلان باخلاص تشكران عليه ، وقد جندت عصبتهما وحدها ايام الحرب ثلاثين الف فتاة وضعتهن في تصرف الحكومة . ورأيتها تسير بالنهضات النسائية الى هدف اعلى حتى تزعمت الحركة النسائية في العالم

رأيتها في كل مركز وفي كل عمل اذ يندر ان تجد في انكلترة امرأة دون مركز تشغلهُ او يشغلها ، ولم ارها في كل ذلك الاّ جذابة محبوبة ، حرّة محترمة ، رغم ما يتهمها بهِ الرجعيون من فقدانها جاذبية الانوثة لانها دخلت ميدان العمل ، الامر الذي يتزعمون بهِ في كل الامم . على اني اذكر ردّاً بديعاً لاحد اللوردات وهو رجل عجوز قال : « ان ابنة اليوم هي اصلح مثال لعصرها ، خلقت لمجاراته لا لمجاراة ميوتنا القديمة ، وكثيرات من الفتيات تنقصهن الجاذبية طبيعة دون ان يشتغلن ، ومهما كانت فتاة الامس جذّابة في نظرنا فانها لا تجاري فتاة اليوم التي نرى من افتتان شبان العصر بها ما يكفي للدلالة على ان نقصان جاذبية الانوثة وهم من الاوهام »

اما تعليمها فهو متناسب مع تعليم الرجل اذ انهُ ، على العموم ، ثانوي الاّ اذا أُريد التخصص ، ولكنك تجد الطبقات العليا ترسل بناتها ، بعد اكمال دروسهن ، الى عواصم اوربا وعلى الاخص الى « باريس » يدرسن لغة البلاد او يتخرجن في احد الفنون الجميلة

وقد نالت الانكليزية من الحقوق التامة ما يمكنها من ان ترفع رأسها بهِ تيهاً امام الامم ، حتى نالت مؤخراً حق الانتخاب على اطلاقهِ بعد سن الحادية والعشرين ، ويبلغ عدد اللواتي لهن حق التصويت حسب الاحصاء الاخير ١٤ و٨٣٢ و٩٢٢ امرأة في مقابل ١٢ و٦٩٧ و٧٩٩ رجلاً ولا يخشى على الرجال منهن لانهن ، على الغالب ، مسالمات يسعين الى حقوقهن بقوة — والحق لا ينال بغير القوة طبعاً — لكنها قوة السعي المتواصل والكفاءة الثابتة . وقد اجتمعت مرة « بمسز فيلبسون » احدى النائبات في المجلس البريطاني وسألتها عن عملها ومبادئها فقالت في حديث : « ليس من مبدأي اظهار التظلم كثيراً من الرجل . ولا مجابهتهُ في طلب الحقوق ، بل اني

أسابثهُ وافتح له قلبي واقدّم دائماً اذناً صاغية لسماع شكواهُ ، ولو كانت من النساء . فهذا تجدين زملائي النواب يطلعونني على امورهم وقد يشكو اليّ بعضهم بعضاً . وهذا لا يخفاكِ قلّ ان تسمح بهِ كبرياء الرجل لامرأة » . واحسب ان هذا يعبر عن رأي الاغلبية العظمى من الانكليزيات

كنت كلما رأيت الفتاة الانكليزية تتمتع بنعم الحياة وافرة ، اعتل الجهود التي بذلتها في اجيال متطاولة لبلوغ هذه المرتبة الرفيعة ، ولكن رؤيتها كانت دائماً تثير في نفسي عاطفتين : كنت اعجب بها واغبطها مأخوذة اللبّ بهذه القدوة الحسنة ، ثم كنت اتألم واشكو الاجحاف من دنيا تحسب عليّ هذه الايام التي احياها من العمر ، حياة !

النفس الكريمة والتهذيب الراقي

كنت اول ما ذهبت الى انكلترا التقط اللغة من افواه المتكلمين واذكر ان اول كلمة حفظتها منهم اذ كنت اسمعها تتردد على كل لسان هي كلمة (Lovely) يقولونها كلما استجملوا امراً ما ، وكأنهم يرون في كل شيء جمالاً خاصاً فيطلقون الصفة بهذا السخاء الذي يسترعي الانتباه . ثم بقيت ستة أشهر قبلما حفظت كلمة (Nasty) التي يقولونها للاستقباح لقلة ورودها على ألسنتهم . انها حادثة صغيرة ولكنها دليل كافٍ على ما عند القوم من تهذيب راقٍ وكرم نفس

على أني اذا وصفت الانكليز بكرم النفس فاني دون شك لا أعني انهم خلوٌ من النقائص او انهم ملائكة ابرار ، واذا تكلمت عن النظام والترتيب والامان والتهذيب الراقي فاني لا أنسى كيف يهجم السارقون بقحة عجيبة على واجهات المخازن في رائعة النهار وعلى مرآى من آلاف الانظار وعلى مقربة من البوليس فيحطمون الزجاج ويسرقون الغالي والثمين ويختفون بسرعة « الابالسة » قبل ان يعود للناس رشدهم وقبل ان يتمكن احد من مسهم بضرر ، ولا انسى كيف يُعتدى على النظم الاجتماعية بفظاعة لا يأتي بمثلها احط المخلوقات آداباً ... ولا تمرّ دون ألم عميق في نفسي ذكرى نكث سياسييهم عهود العرب ، بعد ان وثق هؤلاء بهم واستسلموا باخلاص لوعودهم الزائفة .

ولكنهم كشعب خبرت ما فيه من النقائص والحسنات ، لا أقدر الا ان اصفهم بكرم النفس ، ولم أر من افرادهم الا عطفاً على ما يسمونهُ القضية العربية واستنكاراً لعمل السياسيين ، ولعل هذا الفرد ذاته الذي تملّى نفسه عطفاً عليك ينقلب سياسياً متلوناً

اذا تسلم زمام الحكم . على انهُ ليس من شأني ان انتبهُ الى هنالك فانا اكتفي بهذه النفس الكريمة التي يظهرها عند كل سانحة وبهذا الاستعداد الذي يقدمهُ لخدمتك حتى لتنمي غربتك ولو كنت تجهل اللغة . وبهذا الشوق الذي يبديه لسماع آلامك والرغبة في اكتناهها

النفس الكريمة تدفعهم الى كل عظيمة وتهوّن عليهم كل تضحية . أليست هي التي تدعهم يتسابقون الى البذل في سبيل اعانة البائسين ? وتحمل نبيلات سيداتهم على الخروج الى الطرقات بسلال الشقيق الاحمر يعنها للمارة يوم عيد الهدنة فيقبلون على شرائها بسخاء حتى يزين بها كل صدر وكل مكان فلا يقع نظرك يومذاك الا على مروج من الشقيق الاحمر ، ومن ريعها تدخل آلاف الجنيهات صندوق اعانة مشوّهي الحرب

اما التهذيب الراقي فانك تراهُ جليًّا في كل الامور ، ترى الباعة بالمخازن والدكاكين تسلمك مشتراك وتسبقك الى كلمة الشكر ، ومسلم التذاكر في المحطات يجمع المئات والالوف كل يوم ويتناول كل تذكرة مرفقة بكلمة شكر . والرجل منهم يقدم لك المساعدة دون ان يأبه لمكافأة بل يقوم بذلك بطيبة خاطر دالة على نفس كريمة وتهذيب راقٍ . وقد كنا مرّة في نزهة طويلة في « بارك رشموند » وكان يسير على مقربة منا رجل في نحو الستين من عمره تدل هيأته ويدل ظاهر السيدة التي ترافقهُ ولباسها على انهما من الاسياد وكانت اختي الصغيرة تعبة فحملها اخي مدة حتى ارتاحت ولم يكد يضعها على الارض حتى أسرع الرجل وبحركة رشيقة سلّم عصاه لامرأته وبلطفٍ سام لن أنساه قط تقدّم مستأذناً وقال : « لقد آن دوري الآن بحمل هذه الصغيرة التعبة »

وبنفس كريمة يحمون الحيوانات كما يحمون الاطفال حماية صحيحة لا اسمية فحسب ويرعونها بعطف وعناية صادقين ولهذا فانك لا تشهد هناك في معاملة الحيوان هذه القساوة التي كثيراً ما تدمي القلوب . وبأدب راقٍ وضع أحد سائقي « التاكسي » علبة سجاير في مكان ظاهر من سيارته ليدخن منها الراكبون ولكنهُ اجاب عن سؤال استفهام بقوله انهُ قلما تنقص العلبة اكثر من سيجارتين او ثلاث في النهار

أليس النفس الكريمة والادب الراقي هما اللذان جعلا سائقاً آخر ، ايام الوافدة في السنة الماضية ، يصوّب المطهرات الى داخل سيارته بعد كل راكب ليأمن الراكب الجديد مما قد يحمل اليه من عدوى ? وبأدب راقٍ تراهم ينتقدون انتقاداً مرّاً لا ينجو من سهامه عظيم ولا كبير ويصوّرون صوراً هزلية لا يسلم منها حتى ولا ولي العهد ،

وبنفس كريمة وخلق رضي يتقبلون ذلك الانتقاد ويطربون لهذه الصور

وبأدب راقٍ خالٍ من الادعاء الفارغ ، وباحترام لا تشوبه مبالغة تعامل المرأة كيفما اتجهت . واني اقول واكاد لا اصدق ذلك بانني اقمت في انكلترا نحو سنتين لم اسمع فيهما كلمة تخدش الاذهان ولم ارَ نظرة توجه الى امرأة بفضول اذا لم تشجع هي على ذلك وقد بقيت اشهراً عديدة اذهب صباح كل يوم مقدار ساعة بالقطار لآخذ دروساً في الانكليزية ، والازدحام يكون على اشدّهِ في ذلك الوقت والقطارات ملأى بالفتيان والفتيات ، وكنت اقصد دائماً ملاحظة آدابهم فما كنت ارى رجلاً الا معهُ جريدتهُ يستغرق في قراءتها وكل فتاة تتلهى بجريدة مصوّرة او تفتح كتاباً او تخرج من حقيبتها شغلاً تتابع حياكتهُ بالصنارتين ، حتى اضطررت أن افعل مثلهم واحضر كل يوم شيئاً اقرأهُ في القطار

والتهذيب الراقي هو الذي يجعل بائع اللبن الحليب يمرّ على الابواب ويترك مطلوب كل بيت من زجاجات الحليب ملآنة دون ان يطرق الباب ودون ان يخاف عليها السرقة او التحطيم . بل اعظم من ذلك ان تدخل بيتاً جامعاً لسكان مختلفين فتجد على طاولة امام باب المدخل قائمة كل منهم لحساب الغسيل وقد وضع كلٌّ الدراهم المطلوبة منهُ فوق قائمته دون ان يخطر في باله التحفظ من سرقتها او من سوء امانة متسلمها . والتهذيب الراقي الذي يؤمن على حاجتك اذا اضعتها اليوم ان تتسلمها من ادارة البوليس غداً. بل انك حيثما توجّهت تلاقى بنفس كريمة وتعامل بتهذيب راق

***

انت اذاً ترى هذا وذاك كل يوم وكل ساعة فلا غروَ اذا نزل المكان من نفسك منزل الهيبة والاعجاب ، ولا غرو اذا احسست ان شخصك محترم وان الناس يعامل بعضهم بعضاً بتهذيب ، فتشعر بانك جزء من هذه العظمة الشاملة

الا ان المدنية مهما اختلفت التعاريف ومهما جُمع في شرح هذه التعاريف من مجلدات تتلخّص بقول « برنارد شو » اعظم كاتب حيّ على الاطلاق حيث يقول ببساطة : « المدنية هي ان تحترمني وتحترم ما يخصّني ، واحترمك واحترم ما يخصك »

وتتفاوت مدنيات الامم ، انحطاطاً ورفعة ، بتفاوت انطباق هذا التعريف عليها قرباً وبعداً ، واذا سلمنا بهذا فاننا ولا بدّ مسلمون بان الانكليز من افضل امم الارض مدنيّة

عنبره سلام

الكلاب السلوقية

تسميتها

الكلب السلوقي ويعرف ايضاً بالظباع والمجرع صنف من الكلاب الضارية اي التي تصيد وهو طويل القوائم ضامر البدن سريع الجري . قيل سمي سلوقيًّا نسبة الى سلوق باليمن وقيل نسبة الى سلوقية بلد بارمينية .قال ياقوت في معجم البلدان « سلوق مدينة اللان ينسب اليها الكلاب السلوقية وقال الجوهري مدينة بالشام تنسب اليها الدروع السلوقية قال ويقال سلوق مدينة اللان ينسب اليها الكلاب السلوقية . وقال ابن الحايك وهو يذكر اليمن ان سلوق كانت مدينة عظيمة بارض الجديد في اليمن واسم بقعتها حسل الزينة وهي آثار مدينة قديمة يوجد فيها خبث الحديد والحلي واليها كانت العرب تنسب الدروع السلوقية والكلاب السلوقية » . وفي لسان العرب « سلوق ارض باليمن وفي التهذيب قرية باليمن وهي بالرومية سلقية قال القطامي

معهم ضوارٍ من سلوق كأنها حُصُنٌ تجول تجرر الارسانا

والكلاب السلوقية منسوبة اليها وكذلك الدروع .ويقال سلوق مدينة اللان تنسب اليها الكلاب السلوقية » . واللان بلاد واسعة في طرف ارمينية مجاورة لبلاد الخزر

هذا ملخص ما جاء عن سبب تسمية هذه الكلاب بالسلوقية فهي اما منسوبة الى سلوق باليمن او الى احدى المدن التي كانت تعرف بسلوقية وهي كثيرة منها مدينة على ضفة دجلة اليمنى جنوبي بغداد ومدينة في ساحل الشام قرب انطاكية ومدينة في كليكية تسمى الآن سلفقة ومدينة في ولاية خوزستان في بلاد فارس . ولعل هذه الاخيرة مدينة اللان التي مرَّ ذكرها

قدمها واصلها

وسواء كانت هذه الكلاب منسوبة الى سلوق في اليمن او الى احدى المدن التي كانت تسمى بسلوقية فقد كانت معروفة قبل الزمن الذي اختطت فيه هذه المدن بالوف من السنين . كان يقتنيها الاشوريون والبابليون والفرس من عهد بعيد وهي مرسومة على اقدم الآثار المصرية ويظهر من شكلها انها لم تكن تختلف كثيراً عن الكلاب السلوقية التي يقتنيها العرب في ايامنا وهي كثيرة عندهم في المغرب والصحراء الكبرى والسودان وبلاد العرب والشام والعراق

ولا يعرف اصل الكلاب سواء كانت سلوقية او غير سلوقية فهي اما متولدة من نوع منقرض من الكلاب الوحشية او من الذئاب او من بنات آوى او من كليهما فان من اصنافها ما يشبه هذه الحيوانات كثيراً ولا تزال الكلاب تتوالد معها ولا يكون ما يتولد منها عقيماً بل ولوداً مما يدلُّ على قرب النسب . والكلب السلوقي قريب جدًّا من الذئب في شكل رأسهِ ودقة خطمهِ

اوصافها واصنافها

ويوصف السلوقي بصغر الرأس وطول الخطم والعنق والقوائم وهو حاد البصر سريع الجري لكنهُ ضعيف الشم . والوانهُ مختلفة منها الابيض والاسود والاصفر والاحمر والابقع والخلنجي اي ما كان بين الصفرة والحمرة . واصنافهُ كثيرة وكلها متشابهة في اشكالها لكنها تختلف قليلاً في بعض الامور الظاهرة كطول الشعر وقصرهِ او نعومتهِ وخشونتهِ واشهرها الاصناف الآتية

﴿السلوقي الانكليزي﴾ قديم جدًّا في بلاد الانكليز ومن صفاتهِ المستحبة ان يكون قصير الشعر ناعمهُ صغير الرأس طويل الخطم دقيقهُ واسع الشدقين تورتهما عريض ما بين الاذنين غير مفرط الغضف (اي استرخاء الاذنين) . وان يكون لون عينيهِ كلون شعرهِ وعنقهُ مثل رأسهِ في الطول وكتفاهُ مائلتين كثيرتي العضل . وان يكون طويل العضدين والفخذين قصير الساعدين متباعد ما بين اليدين والرجلين صلب الاصابع . اما ذنبهُ فيجب ان يكون قصير الشعر منحنياً في طرفهِ غير مفرط في الطول

﴿السلوقي العربي﴾ وصفهُ الجاحظ كما يأتي قال « ويصفونهُ بان يكون صغير الرأس طويل العنق غليظها وان يشبه بعض خلقهِ بعضاً وان يكون اغضف مفرط الغضف ويكون بعيد ما بين الاذنين ويكون ازرق العينين طويل المقلتين ناتئ الحدقة طويل الخطم واسع الشدقين ناتئ الجبهة عريضها وان يكون الشعر الذي تحت حنكهِ كانهُ طاقة ويكون غليظاً وكذلك شعر خديهِ ويكون قصير اليدين طويل الرجلين لانهُ اذا كان كذلك كان اسرع في الصعود بمنزلة الارنب . وينبغي ان يكون طويل الصدر ويكون ما يلي الارض من صدرهِ عريضاً وان يكون غليظ العضدين مستقيم اليدين مضموم الاصابع بعضها الى بعض حتى اذا مشى او عدا او هوى جدراناً لا يصير بينها من الطين وغير ذلك ما يفسدها . ويكون ذكي الفؤاد نشيطاً ويكون عريض الظهر عريض ما بين مفاصل عظامهِ عريض ما بين عظمي اصل الفخذين اللذين يصيبان اصل الذنب

وطويل الفخذين غليظهما شديد لحمهما . ويكون رزين المحمل رقيق الوسط طويل الجلدة التي بين أصل الفخذين والصدر ومستقيم الرجلين ولا يكون في ركبتيه انحناء ويكون قصير الساقين دقيقهما كأنهما خشبة من صلابتهما . وليس يكره أن تكون الاناث طوال الاذناب ويكره ذلك للذكور ولين شعرها يدل على القوة »

﴿ السلوقي الايراني ﴾ للفرس عناية شديدة بالصيد وكلابهم السلوقية تختلف عن الكلاب العربية بطول شعرها وشدة نعومته وهم يصيدون بها الظباء وبقر الوحش والحمر الوحشية ويستعينون في صيدها بالصقور والبزاة

ومن انواع الكلاب السلوقية الروسي او التتري وهو خشن الشعر ولونهُ في الغالب ابيض او سنجابي . ومنها اليوناني وهو قصير الشعر ناعمهُ ويصاد بهِ الايّل

وكلاب السودان كلها سلوقية لكنها ليست من صنف جيد واحسنها في تلك البلاد عند عرب الشكرية على ضفاف نهر الاتبرة . وللجنرال دوماس الفرنسوي مقالة في مجلة المشرق الفرنسوية وصف بها الكلاب السلوقية التي يقتنيها عرب المغرب وذكر شدة تعلقهم بها وعنايتهم بصغارها وطريقة صيدهم بها قال فيها ما ملخصهُ :

« لو شئت ان ابين ما عليهِ سكان الصحراء من عادات الاشراف واميال الامراء لاكتفيت بدليل واحد فقط وهو شدة تعلقهم بكلابهم السلوقية فانهم يعتنون بتربيتها وتوليدها اعتناءهم بتوليد عتاق الخيل وتربيتها فيسير الرجل منهم ثلاثين غلوة ليزوج كلبتهُ بسلوقي مشهور واذا اتفق انها علقت من كلب آخر اسقط اجنتها وربما قتلها. وهم يفطمون الجرو متى صار عمرهُ اربعين يوماً فيطعمونهُ لبن الماعز والابل او التمر المطبوخ باللبن فاذا بلغ من العمر اربعة اشهر اخذهُ الصبيان وعلموهُ صيد الجرذان واليرابيع ثم صيد الارانب وصغار الظباء ولا يخرجونهُ الى الصيد مع الكلاب الكبيرة قبل ان يبلغ من العمر ١٨ شهراً . وطريقة صيدهم انهُ متى رأى صاحب الكلب سرباً من الظباء صاح بهِ واراهُ اياها ثم اطلقهُ عليها فيجري الكلب وراءها وينتقي اكبر الظباء واسمنها فيقبض عليهِ الى ان يأتي صاحبهُ ويذبحهُ ويطعم الكلب من اللحم الذي في الصلب على مقربة من الكليتين

« وكلابهم غالية الثمن فالسلوقي الذي يصيد الآدم من الظباء يشترونهُ ببعير من كرام الابل والذي يصيد الرئم وهو نوع من الظباء البيض ثمنهُ فرسٌ من عتاق الخيل. واشهر سلوقياتهم عند اولاد سيدي شكر واولاد نايل والاربعة وغيرها من القبائل »

الصيد بها

الصيد بالكلاب السلوقية قديم جداً وكان لقدماء المصريين ولع بهِ كما يستدل من الصور الباقية على آثارهم وطريقة صيدهم بها لا تختلف عن صيد العرب بالكلاب السلوقية في ايامنا . وكانت كلابهم مشهورة عند القدماء. قال اليانس ان كلاب مصر اسرع كلاب الصيد لكنها تخاف التماسيح كثيراً فاذا وردت النيل شاربة جرت على ضفتهِ واخذت تشرب الماء وهي تجري خوفاً من التماسيح . ولا يزال الصيد بالكلاب السلوقية شائعاً في اوربا وبلاد الانكليز وعند الفرس والعرب ولهؤلاء ولع شديد بهِ يصيدون البقر الوحشية والظباء والثعالب والارانب بالكلاب السلوقية ويعرف ذلك عندهم بالطرد فيطلقون على الطريدة كلباً واحداً او اكثر وربما اطلقوا عليها الصقور ايضاً فينقضُّ الصقر عليها يضربها بمنقارهِ وجناحيهِ على وجهها فلا تدري كيف تذهب فتدركها الكلاب وتأخذها ويكون القانص وراءها اما راكباً فرسهُ او على قدميهِ . واشعار العرب في وصف الصيد كثيرة جداً

وكانوا اذا صادوا البقر الوحشية اطلقوا عليها كلبين او اكثر فاذا ادركتها الكلاب ارتدت عليها وقاتلتها. والبقر الوحشية التي في بلاد العرب طويلة القرون وهي من النوع المعروف عند الافرنج بالاوركس ويسميهِ العرب في ايامنا الوُضَيْحي

المفاخرة بها

وقد كان لملوك الشرق وامرائهِ عناية كبيرة بالصيد . قيل ان احد سلاطين المغول كان عندهُ عشرة آلافٍ من الفهود وان الصقّارين والبزادرة والفهّادين والكلاّبين الذين كانوا في خدمة الصقور والبزاة والفهود والكلاب عند السلطان بيازيد الاول كانوا جيشاً يبلغ عددهُ اثني عشر الفاً وان قلائد بعض الفهود كانت مرصعة بالحجارة الكريمة. اما الافرنج فلم يكن يسمح عندهم باقتناء الكلاب السلوقية الاَّ للامراء والاعيان فكان من دلائل النبل عندهم ان يكون للواحد منهم جواد وبازٍ وكلب سلوقي لذلك قال الجنرال دوماس ان عناية اهل المغرب بالكلاب السلوقية من دلائل الكرم . وقد كان العرب يفاخرون بهذه الكلاب ايضاً كما يستدل من كثيرٍ من اشعارهم وكان لها اسماء والقابٌ مشهورة عندهم. قال الجاحظ «ولكرامها وجوارحها وكواسبها واحرارها وعتاقها انساب قائمة ودواوين مخلدة واعراق محفوظة ومواليد محصاة مثل كلب جذعان وهو السلهب بن البراق بن يحيى بن وثاب وظفَّر بن محارش »

حفلة تأبين

المرحوم الدكتور يعقوب صروف

بدار الاوبرا الملكية

في ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨

تأبين الدكتور صروف

تمهيد

« شعر رجال الثقافة العربية بخسارة فادحة منذ رحل الى الدار الآخرة رجل العلم والفضل والاستقامة المأسوف عليه الدكتور يعقوب صروف منشىء مجلة المقتطف. وقد حفزت المروءة جماعة من كبار المثقفين والمتأدبين كما حفزت الصداقة في الزمالة وحفز التقدير رجال الصحافة فتألفت منهم لجنة جعلت غايتها الوفاء للرجل وقد ذهب شهيد جهاد طال عشرات السنين . وكانت ابرز فكرة عنت لهم ان يقيموا حفلة تأبين كبيرة يتبارى فيها العلماء في ذكر مناقب الفقيد العظيم » (١)

وقد « تهيأ للاحتفال الفخم الذي اقيم في مساء امس الاول بدار الاوبرا الملكية تأبيناً لفقيد العلم والصحافة المرحوم الدكتور صروف من مظاهر الروعة وآيات الجلال ما لا يكاد يتهيأ لغيره من حفلات التأبين واجتماعات الرثاء . ذلك ان كل من انتظمه هذا الاحتفال كان يحس برابطة تربطه بالفقيد فاذا لم يكن صديقاً كان زميلاً وان فاته هاتان الصفتان لم تفته الصلة الادبية التي كان المقتطف داعيتها للفقيد في مصر وفي غير مصر من الاقطار العربية

« وكان الاحتفال بما جمع من كبراء المصريين وزعماء الامة واعلام الادب والبيان في مصر مظهراً من مظاهر تكريم العلم وآية على الاعتراف بالجميل ومثلاً تضربه مصر في تقدير العاملين وتخليد اسماء العلماء » (٢)

وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر موعد هذه الحفلة فأخذ المدعوون اليها يفدون قبيل تمامها وكان في مقدمتهم حضرات اصحاب الدولة والمعالي والسعادة عبد الخالق ثروت باشا رئيس مجلس الوزراء السابق ورئيس الحفلة الشرفي ومصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ويحيي ابراهيم باشا والوزراء الحاليين جميعاً والاستاذ ويصا واصف بك رئيس مجلس النواب واسماعيل صدقي باشا والاستاذ محمود بسيوني وكيل مجلس الشيوخ وكثيرون من أعضاء البرلمان واصحاب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة والسيد محمد

(١) عن جريدة البلاغ تاريخ اول ابريل (٢) السياسة تاريخ اول ابريل

رشيد رضا والشيخ عبد المجيد اللبان ومحمود صدقي باشا محافظ العاصمة ورشوان باشا محفوظ وكيل وزارة الزراعة وعبد الرحمن باشا رضا وكيل وزارة الحقانية واصحاب النيافة النائب البطريركي للروم الكاثوليك ومطران الارمن الارثوذكس ومطران السريان الكاثوليك وغيرهم من رجال الدين واللواء سليم موصلي باشا وانطون مشاقه باشا والاميران ميشال وجورج لطف الله وقرينتاهما . وحضر الحفلة طائفة كبيرة من فضليات السيدات تتقدمهن حضرة صاحبة العصمة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي

وكان حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا رئيس الاحتفال الشرفي يجلس في البنوار الايمن أما حضرات اعضاء الاحتفال فكانوا يجلسون على المسرح وفي مقدمتهم صاحب المعالي علي الشمسي باشا وزير المعارف العمومية ورئيس الاحتفال. وجلس على المسرح كذلك هيئة نقابة الصحافة وحضرات خطباء الحفلة وشعرائها والدكتور العلامة فارس نمر وحضرة صاحب السعادة سعيد شقير باشا ، وكانت ارملة الفقيد واسرتهُ تجلس في البنوار الايسر ومعها بعض السيدات

كلمة وزير المعارف

يا حضرات السادة : كانت الفكرة التي اوحت الى لجنة التأبين ان تسند رياستها اليَّ هي ان الفقيد الكريم كان معلماً أمضى شطراً طويلاً من الحياة في خدمة العلم والادب . وقد قبلت هذا الشرف الذي ندبتني اللجنة لهُ لتتمكن من التأبين الحق لهذا الراحل الكريم

لقد اخرج الفقيد رحمهُ الله تلاميذ عديدين ظلوا دائماً متعلقين بهِ مستزيدين من فضلهِ فكانت مهمتهُ مثلاً جميلاً لاحسن الصلات بين المعلم وتلميذهِ . واعتقد انني معبر عن شعور المصريين جميعاً فيما اعرب عنهُ من التأثير العميق والاسف الخالص لان الفقيد الكريم ادى اجل الخدمات للامة وكان اساساً متيناً في الصحافة المصرية وبعث منذ عشرات السنين نهضة فكرية لم تكن ظروف ذلك الحين توفق اليها

فبالاسف العميق اقدم التعزية الخالصة لاسرة الفقيد واهلهِ ولاسرتهِ العامة قراء المقتطف والمقطم الذين نشر عليهم كثيراً من آرائهِ القيمة ومباحثهِ الجليلة وأسألهُ تعالى ان يعوضنا خيراً في فقيدنا الكريم. واني اترك تفاصيل القول عن الفقيد الى خطباء الحفلة

كتاب جامعة بيروت الاميركية

حضرة صاحب السعادة السر سعيد شقير باشا

ان الجامعة الاميركية في بيروت تود اليوم ان يكون لها شرف الاشتراك مع الذين يقومون باكرام ذكرى العلامة المأسوف عليه المرحوم الدكتور صروف

وانا في هذا المقام الذي لا يسعنا فيه الاَّ ان نشعر بعظيم الخسارة التي منينا بها بفقده يتغلب علينا الشعور العميق بالاعجاب باعماله المجيدة ونغتبط بما أوتيه في حياته من النجاح في تلك الاعمال العظيمة لخير الانسانية

ونحن اذا ذكرنا الدكتور صروف فلا نذكرهُ فقط كاحد خريجي الجامعة النابغين ولكن كرجل فذ بمقدرته الفائقة وسمو مبادئه واستخدام مواهبه العظيمة لخدمة وطنه وابناء عصره

وهو كزعيم كبير بين المتكلمين باللغة العربية قد بذل جهداً عظيماً في نشر العلوم العصرية بين أبناء تلك اللغة وفي تطبيق قواعدها على الاصطلاحات العلمية الحديثة وقد نقل الى الشرق بروح الايمان والاعتدال كلَّ ما يهمهُ من الافكار والتحولات الغربية النافعة وبشخصيته الممتازة وذكائه النادر مع جده ونشاطه ومقدرته العظيمة على التأليف والكتابة قد ساعد على ازدياد حسن التفاهم بين الشعوب والاجناس المختلفة وعلى تقدم بلاده تقدماً مبنيًّا على أساس التمدين الوطيد

وانا نتحد اليوم مع الذين عرفوا الفقيد العظيم شخصيًّا او من كتاباته المنتشرة في انحاء المعمورة بتقديم الاكرام اللائق لذكراهُ الخالدة ونهلل قلبيًّا بما اوتيه من النجاح الباهر في خدمة الجنس البشري خدمة مبنية على حرية الفكر والتعمق في المعرفة والاطلاع مع سمو في الاخلاق والمبادىء الشريفة

نائب الرئيس

—o:o—

كلمة الدكتور منصور فهمي

استاذ الفلسفة في الجامعة المصرية

معالي الوزير : سيداتي . وسادتي :

اذا كان لكل انسان في هذه الحياة رسالة يجب ان يؤديها . اذا كان على كل انسان واجب يفرضهُ عليهِ نظام الجماعة ، او يفرضهُ هو على نفسهِ طائعاً مختاراً ليكون لهُ

في بناء الانسانية نصيب واضح ، فان الفقيد الذي نحتفل الآن بذكراه قد ادى الى الشرق العربي باسره ، والى مصر بخاصة ، رسالة قيمة باقية الاثر . رسالة بدأها منذ حوالي خمسين عاماً . ولم ينصرف عنها الى عالم الخلود الا منذ شهور

لست اقصد في موقفي هذا الى تبيان تاريخ الفقيد مولداً ونشوءاً وشباباً وشيخوخة ولا الى تفصيل تعلمه تلميذاً وتعليمه استاذاً ولا الى مراحل ارتقائه في مدارج العرفان مرحلة فمرحلة

انما اريد في هذه الدقائق المعدودة ان اشير الى صفات هذه الشخصية الشرقية التي خدمت العلم ، والآداب ، والفنون ، واللغة العربية ، خدمات كانت من اكبر عوامل النهضة الشرقية في زماننا الحديث

رسالة الفقيد توحي الينا كيف تكون المثابرة وكيف يخدم العلم وكيف تخدم اللغة العربية

فاما المثابرة فما احوجنا لتكرار ذكرها والحث عليها بالاشادة بذكر من تخلقوا بها

كم من صحف ومجلات تنشر وتطوى . وكم من همم كانت تهب هبوب العواصف ثم تركد . وكم من مشاريع ولاسيما في ذلك العهد عهد المقتطف كانت تؤسس في المساء لتذيب اساسها شمسُ الصباح . وفي ذلك العهد عهد التردد والتهيب أنشأ الفتى الهادئ الوديع المتواضع صروف مع اعوان كرام صرحاً ممرداً من صروح العلم والفن والادب . انشأهُ رويداً رويداً فجعل يضع كل يوم حجراً ويقيم كل شهر ركناً ، واذا بنا اليوم امام هذا البناء الشامخ الحافل بطرائف الثقافة ونتائج العقول

رجل لا يقرع الطبول لاعلان مواهبه والزهو بنفسه يدأب هذا الدأب وينقبض في الوصول الى غرضه السامي هذا الانقباض . رجل كهذا الذي نذكر ليس فقاعة من فقاقيع الماء تبدو منتفخة لماعة فاذا صادفتها نسمة انفجرت وبادت ، بل هو ركن متين صلب تقوم على كواهل أمثاله مدنيات الشعوب ، ويجب ان يقتدي بامثاله شباننا الذين يطمحون في المجد الصادق

ايها السادة : كان فلاسفة اليونان الاقدمون من الرواقيين يجعلون خلة المثابرة في سبيل الحياة المعنوية والعلم اساساً للفضيلة . ذلك لانها دأب وكدح في غير لذائذ البدن ، ولانها رياضة للارادة على ان تسكن المساعي دون ان تشغلها شواغل الحياة المادية وزخرف الدنيا ومتاعها

وهذا الذي نشيد اليوم بذكره كم صابر وجالد . فضحى براحة الجسم في سبيل

الاستنارة والانارة . وكم ضنَّ على جسمهِ بهدآت الليل في سبيل التحصيل والاذاعة وكم حرم نفسهُ لذة الرياضة واللهو والترف — وكل ذلك يسر لهُ — وكم جهد في تحويل ما وصل اليهِ من انوار العلم الى عقول الالوف من القراء

لسنا نزعم ان خدمة الفقيد للعلم كانت خدمة المستكشف او خدمة المخترع او خدمة الذاهب في انواع التفكير مذاهب لم يسبقهُ اليها العلماء بل كانت خدمة الناشر والمذيع ، وخدمة المنقب يبحث عن حاجات بلادهِ وقومهِ فيرضي هذه الحاجات بما ينقل الى المتعطشين من ابناء الشرق من علم مهضوم ، وفكر واضح ، وثقافة تمثلت في صورة عربية ، لا يأباها ذوق لغتنا ولا تنفر منها طباعنا

ولم تكن حاجة البلاد العربية في ذلك الوقت الى علماء مبتكرين بقدر حاجتها الى علماء يعممون بيننا معارف الغرب ويوطئون لنا منها ما عزَّ مناله

وتوطئة العلوم والمعارف ليس هو بالعمل الهين ، وليس هو في ميسور كل مشتغل بالعلم ، ومن ذا الذي يستطيع ان يتصدى لمختلف العلوم ومتنوع الفنون والآداب ، ليدني للناس قطوفها دون ان يكون هو نفسهُ واسع المعارف او موسوعة من المعارف

ولقد كان صروف ذلك العالم الذي اختص بانواع من العلوم كعلوم الكيمياء والطبيعيات والذي اصاب من اكثر فروع العرفان ما لا يجعلهُ غريباً عنها ، اذا عرض لنقل شيء منها الى ابناء العربية ، واذا صادفهُ باب او مؤلف لم يكن لهُ بهِ سابق عهد لم يتردد لحظة في الجهر بان لا علم لهُ بهِ وذلك شأن العلماء الامناء

قرأت للاديب العقاد في جريدة البلاغ ما يأتي : « لقيتهُ (اي صروف) على اثر انتخاب برجسون للاكاديمي الفرنسية فحادثتهُ في آراء هذا الفيلسوف والمقابلة بينهُ وبين وليم جيمس الذي يعرف عنهُ الدكتور غير قليل فقال لي انني لم اقرأ شيئاً لبرجسون هذا . ثم ضحك وقال أيعجبك هذا الاعتراف ممن يسمون فلاسفة »

ايها السادة

كان الفقيد عالماً مدققاً محققاً مخلصاً للعلم لا ينحرف عن الطرائق العلمية في كتاباتهِ ومباحثهِ لكنهُ مع ذلك ظل يرعى في وجدانهِ حرارة الايمان بالروح وعالمها الآخر . كان واقفاً على العلوم المادية الحديثة وقوفاً دقيقاً لكنهُ لم يكن كبعض العلماء الماديين يريدون من المادة تعليلاً لكل شيء مبدأ ومصيراً ، بل كان رحمهُ الله لا يرى تناقضاً

بين ما كان يتصل بنفسهِ من نزعات روحانية وعلم مادي . وينم على اتساع نفسه لحاجات العلم وحاجات الايمان قوله في منظومة طريفة

اما واجسامنا ليست سوى صور مشكلات بأشكال والوان
كهارب حركتها النفس فانتظمت في شكل مستودع للنفس جثماني
حتى اذا تم في الدنيا تطورها طارت الى منزل في الكون روحاني
وللتطور احكام مقررة والنفس والجسم في الاحكام سيان
لا بد للعلم من يوم يفوز بما يبيّن الحق فيهِ خير تبيان

وعلى هذا النحو من ارسال الفكر طلقاً يعدو وفق نظامه ونواميسه العلمية وصل القلب والوجدان بما يمهد لها الراحة في ظل الايمان . على هذا النحو من الثقة بالفكر وقوته وخشوع النفس عند صخرة اللانهاية والابدية التي يرتد عندها الفكر حائراً . على هذا النحو من تقدير طموح الفكر ونزوع القلب استطاع صروف ان يفسح في نفسهِ مجالاً للتوفيق بين اصول العلم واصول العقائد . وعلى هذا النحو ثابر الفقيد في خدمة العلم وعلى هذا النحو ارضى الفقيد نزعة العقائد

***

وهل لي ان اقول ان خدمة الفقيد للغة العربية لم تكن اقل شأناً ولا اقل بروزاً من خدمته للعلم من سبيل نشره واذاعته . ويكفي ان اقرأ لكم من الجزء الرابع من مقتطف سنة ١٩٢٧ ما كتبهُ الفقيد في رسالة موجهة الى المعلمين في مدارس فلسطين ليظهر مقدار حرصهِ على تكريم اللغة العربية بالعناية بها وبتعليمها

قال رحمهُ الله « ان تثقيف العقل يتناول اموراً كثيرة اولها التوفر على تعلم اللغة الوطنية او بذل المعلم همتهُ لكي يعلم تلاميذه لغتهم حتى يحسنوا فهمها وكتابتها لا لأن اتقان اللغة يفيد المرء فائدة كبيرة كاتقان صناعة الطب او صناعة المحاماة بل لان من يحسن لغتهُ يزيد اكرامهُ لنفسه واعتزازهُ بها ويصير اقدر من غيرهِ على فهم ما يقرأهُ من العلوم والفنون الخ »

ولقد كانت النزعة التي تنم عنها هذه الكلمة توحي وحيها للفقيد مدة حياته العلمية الطويلة . فان مجلة المقتطف التي انشئت في سنة ١٨٧٦ اي منذ اكثر من نصف قرن قد ادت الى اللغة العربية خدمات تجل عن كل حمد وثناء . فمن ابواب في الفنون والعلوم لم تكن مطروقة في لغتنا قد فتحت على مصاريعها في المجلة التي كان يتولاها الفقيد الى

الفاظ عربية قد استخدمها هو واعوانه للعبارة الى اساليب سهلة ممتنعة في البحث والنقد وشتى فروع الثقافة ما زال الفقيد بها حتى جعلها اداة شائعة بين اقلام الكتاب والباحثين. وعلى الجملة فهذه المجلدات الضخمة من المقتطف التي تشبه ان تكون دائرة معارف عربية فصيحة العبارة جلية المعاني هي اليوم ثروة قد وهبها الفقيد للغة العرب وكان لها فضل عظيم على كثير من المثقفين الذين لا علم لهم باللغات الغربية وفي صقل كثير من الاقلام والالسنة التي كانت تحسن بعض اللغات الاجنبية ولكن لا تحسن لغتها القومية

لذلك حق على كل ناطق بلغة العرب ان يقدر جهود الفقيد الكريم في سبيل هذه اللغة ويشاطرنا اليوم تحيتنا لذكرى الراحل الجليل ويشاطرنا العزاء لاهلهِ وذويهِ وعارفي فضلهِ ولاسيما للسيدة البارة زوجه الكريمة التي ملأت عليهِ حياتهُ سعادة قوَّت عزيمتهُ في العمل وصديقهُ ورفيق صباهُ وعونهُ الوفي في الحياة الحافلة بالآثار الدكتور نمر

ونسأل الله ان يمد في حياتهما لخير الرسالة القيمة التي أداها فقيدهما وفقيدنا وفقيد النهضة العلمية العربية خير اداء، رسالة تنطق بالمثابرة وخدمة العلم بنشرهِ واذاعتهِ وخدمة اللغة باغناء ثروتها

ان صروفاً في شبابهِ وفي كهولتهِ وفي شيخوختهِ لخير مثال يحتذيهِ الشباب والكهول والشيوخ

كان صروف شجرة مباركة مثمرة للناس وما زالت دائبة على هذا البذل والاثمار
« حتى اذا تم في الدنيـا تطورها طارت الى منزل في الكون روحاني »

كلمة اسعد بك لطفي

رئيس نقابة الموظفين

معالي الوزير . سيداتي . سادتي :

التاريخ ابو العبر . وكل حياة تحيا وتموت ولها بداية ونهاية . وكل نهاية لها غاية . وكل غاية لها مدى ومقر . وهو الاثر . والاثر الصالح اصلهُ ثابت وفرعهُ في السماء . وخير الآثار ما دعمهُ صاحبهُ بيمينهِ . ومن الناس من يعيش ويفنى بغير آثار . ومنهم من يرغم أصدقاءهُ واخوانه ان يذكروهُ ويمجدوهُ بعد الممات . وكان من هذا النفر الدكتور صرُّوف

كان من البنائين الاحرار الذين كونوا مجدهم على سواعدهم : هبط ارض مصر

ومصر مهبط العلوم : فاقتطف لها من ثمار المعارف حديقة غناء هي المقتطف . وقدمها اليها ولم يرض ان يكون ضيفاً ثقيلاً على اهلها فوظف نفسهُ في ادارة المقتطف وجعل نفسهُ موظفاً مسئولاً وأحاط عملهُ بالحكمة والتبصر . وضرب المثل الاعلى في الاعتماد على النفس ولم يقتصر على ذلك بل كان كاتباً كبيراً وصحافياً قديراً وفيلسوفاً عظيماً وموظفاً اميناً . ولا اتكلم في الثلاثة الاول بل عن الاخير فقط لاني انا الموظف الذي يعرف نتائجهُ

لم يكن صروف مما نال علاوة مادية يحسد عليها ولكنهُ نال اعلى الدرجات المعنوية فلقد كان مخلصاً في وظيفتهِ فعاش فيها خمسين سنة او يزيدون . وما اطيب ان يصل الانسان الى مجد ويرى ثمرة عملهِ بعينهِ وقد كان هذا شأن صروف فقد كان اداة عاملة بين الشرق والغرب ضرب للاخير مثلاً بان الشرقي شعلة من الذكاء وان الشرق مهبط العلم والحضارة . ذلك هو العمل الطيب الذي قام بهِ واحسن من هذا انهُ عمل تحت ستار السكينة والتواضع فلم يرد ان يعلن بنفسهِ عن نفسهِ ولكن عملهُ اعلن عنهُ . لقد احسن صروف الى نفسهِ ووطنهِ والى اللغة العربية فليتلق في جوار ربهِ حسن جزائهِ واما انتم يا اسرة الفقيد الكريم فعزاء وصبراً

كلمة صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز جاويش بك

مراقب التعليم الاولي بوزارة المعارف

سادتي الاكرمين :

كنا نجد مجال القول في فقيدنا الجليل كما نشاء و نتخيل من السعة والامتداد ولكن هل لدينا ذلك القلم او اللسان الذي يستطيع ان يحيط بشيء من مواهبهِ العالية وعلومهِ الغزيرة وادبهِ الجم وجهادهِ الاكبر ذلك الدهر الطويل الذي قضاهُ بيننا ؟

أو ليس من العبث ان يحاول احدنا وصف علوم ذلك الاستاذ العظيم ومعارفهُ بعد اذ بليَ في قيدها بنانه وفنى ما لا يحصى من اقلامهِ طوال ذلك العمر المديد ؟

أو ليس من العجيب ان يقوم احدنا مقام التعريف برجل تعرف من قبل الى الدنيا العربية بسبعين مجلداً ضخماً من المقتطف حوت من العلوم والفنون والادب والمباحث القيمة ما اكسبهُ بحق مركز استاذ المعلمين وشيخ المربين ومفتي المستفتين في العالمين ؟

بذلك وحدهُ تعرف الدكتور صرّوف الى الدنيا العربية فلم تسول لهُ نفسهُ يوماً

ما ان يعلن بغير ذلك له اسماً أو يتصيد له شهرة وذكراً. ولولا ما كان من صرير اقلامه الدائم في مقصوراته لكان مثله في برم الخفي بالعلم وجهاده الصامت في سبيل اللغة العربية مثل السيح السائب يصيب الارض الموات بلا خرير يسمع فيحييها وينبت البهيج من ازواجها

اذاً فليكن موقفنا ازاء الفقيد العظيم دائماً موقف المستعرض لبعض ما انفرد به من المزايا والفضائل والصفات التي كانت سر نجاحه العظيم في حياته الطيبة المباركة فان في ذلك من القدوة الحسنة والمثال الصالح ما سيكون نبراساً للمستضيئين ومناراً قائماً للمستهدين سادتي

انا لنحس كلما تصفحنا آثار فقيدنا العظيم. انه كان يشعر منذ بدء حياته العلمية ان من الجهل الاعجاب بالنفس وان من الافتتان بالرأي الانصراف عن الاستفادة والاستزادة وصد النفس عن مصافاة المخلصين والاستعانة بثمرات جهود الباحثين والمنقبين كما كان يعرف ان فوق كل ذي علم عليماً وان الانسان مهما بلغ مبلغه من العلم لا يبلغ منه الاَّ قليلاً

كذلك نحس انه برغم ما كان له في شبابه من العبقرية والحذق والتفوق على زملائه ولداته لم يجد العجب والزهو سبيلاً الى نفسه البصيرة ولا مدخلاً الى قلبه الكبير. ولذا كان طول حياته ابعد الناس عن استجهال الناس واحرص المحصلين على طلاب الحقائق والتماس مواطن العلم الصحيح فكان طاب ثراه كلما عرضت له مسألة لا ينفك يراجع المؤلفات قديمها وحديثها باحثاً منقباً متحرياً وجوه الصواب موازناً بين ما قد يكون للعلماء من الرأي فيها . ذلك كيلا يقطع برأي في امر حتى يمتحنه من سائر جهاته امتحاناً رائده النظرات المنصفة والمعرفة الصادقة

ولقد كان لتنشئة فقيدنا الكبير العلمية الاولى اثرها في حياته العاملة فان ترعرعه في معاهد العلوم الرياضية والطبيعية والادبية جعل حياته العلمية والعملية فيما بعد حياة التحقيق والتدقيق والامانة والطمأنينة للحقيقة والرأي القاطع ولذلك عرفناه بغيضاً الى نفسه جو الادب الخيالي والشكوك المضللة والمخايل الفاسدة كما عرفناه في كتاباته صريحاً في مواطن الصراحة مقتصداً في النقد اميناً على الرواية متواضعاً في غير مسكنة

تجمل فقيدنا العظيم بهذه الصفات التي هي اهم صفات المصلحين والمعلمين فاستحق بذلك ان يشغل فيهم غير مدافع مكان الامام من المصلحين

أسس الدكتور صروف — ضاء مثواهُ — مقتطفهُ فاسس بهِ أعظم جامعة سيارة للثقافة العربية تخرج عليه فيها الملايين من الناطقين بالضاد في اطراف الارض فحيثما كان المقتطف كان الاستاذ صروف حتى كأنما صروف والمقتطف كلمتان مترادفتان

عرف الناس فقيدنا العظيم بالنفس الغلابة والهمة الوثابة والجلد الحديدي والفوز بكل ما صبت نفسهُ اليهِ من جلائل الاعمال فهل عرفوا ان سر ذلك هو حبهُ للعلم واخلاصه لهُ وعشقهُ للعمل واخلاصهُ فيهِ ؟

كم سمعنا بمجامع علمية وأندية اقيمت في بلادنا للنظر في امر اللغة العربية وحمايتها واصلاح ما فسد من امرها وكان يكون من اعضائها الدكتور صروف فهل ترى لها اليوم من باقية سوى آثار جهود هذا الرجل وجهادهُ الفردي . ألا لقد اختفت جميعها حتى لم يبق من معالمها في سبعين عاماً سوى ما لذلك الرجل الذي يجب ان نعتبره « وحدهُ بحق » الاكاديمية العربية لذلك العمل الطويل

رأى الدكتور صروف ان العقول البشرية لا تنفك ترمي بمواليد جديدة ومبتكرات لاحصر لها وان السفائن والطيارات لا تنفك تقذف بمستحدثات الصناعات والمخترعات ثم رأى ان التجار والسماسرة والوكلاء ومصالح الجمارك لا يحتجزون ما تبلغهُ ايديهم من السلع والعروض التجارية حتى تنعقد المجامع العربية لتنظر فيما يلزم لها من الاسماء جديداً اما بوضع جديد او احياء ميت او نحت او اشتقاق او اقتباس او تعريب بل رأى ان السلع والعروض والعقاقير والمآكل والمشارب سرعان ما تجدسبيلها بما رافقها من الاسماء الى المنازل والحوانيت والمعابد والابدان والاجواف غير منتظرة ما تفعلهُ المجامع ولا مبالية ما تكون عاقبة مركزها ازاء الفطاحل من اعضائها

رأى الدكتور جميع ذلك فلم تبح لهُ غيرتهُ على لغته — واللغات حياة الامم — ان يتقيد بحياة تلك المجامع او يقف جامداً لا يتحرك إزاء غارات اللغات الاجنبية والتيارات الجارفة العلمية والصناعية بل تصدى لمقابلة الضرورات المختلفة بما رآهُ من العلاج ونحن وان كنا نخالفهُ في بعض رأيهِ لا بد لنا ان نسجل لهُ في هذا المقام خالد الشكر على ما احتمل في ذلك من المساعي المبرورة التي انفرد بها برًّا باللغة العربيـة واحساناً الى اهلها وبرهاناً عمليًّا على سعة نطاقها وغنى كنوزها وكمال صلاحيتها للترجمة عن كل ما تلدهُ العقول الانسانية من المبتدعات والمبتكرات في مختلف اطوارها ودرجاتها فلقد طوق العالم العربي بذلك منة لا يجزيه عنها الآ الله الذي وفقهُ اليها

سادتي : لقد كان يكون الرزء في استاذ العرب الدكتور يعقوب صروف مما لا يحمل عليهِ الصبر والفراغ الذي احدثهُ اختفاؤهُ مما لا يرجى ان يملأ لولا انهُ طاب ثراهُ قد ترك للامة العربية في جملة ميراثهِ العظيم ذلك الخلف الصالح فؤاد افندي صروف فلقد استخلفهُ على منبرهِ العام بعد اذ انبتهُ نباتاً حسناً تخلقهُ باخلاقهِ المرضية وزودهُ بعلمهِ الواسع وابرزهُ للناس في صورتهِ الطيبة فلندع الله ان يرزقهُ من التوفيق والنفع ما رزق عمهُ من قبل حتى لا ينقطع عن الامم العربية صالح عملهِ ولا ينطمس عن الابصار نافع اثرهِ

مرثية احمد شوقي بك

سماؤك يا دنيا خداع سراب وارضك عمرانٌ وشيك خراب
وما انت الاَّ جيفة طال حولها قيام ضباع او قعود ذئاب
وكم ألجأ الجوع الاسود فأقبلت عليك بظفر لم يعفَّ وناب
قعدت من الاظعان في مقطع السرى ومرّوا ركاباً في غبار ركاب
وجُدت عليهم في الوداع بساخر من اللحظ عن ميت الاحبة نابي
أقاموا فلم يؤنسك حاضر صحبة ومالوا فلم تستوحشي لغياب
تسوقين للموت البنين كقائد يرى الجيش خلقاً هيناً كذباب
رأى الحرب سلطاناً لهُ وسلامة وان آذنت اجناده بتباب
ولولا غرور في لبانك لم يجد بنوك مذاق الضر شهد رضاب
ولا كنت للاعمى مشاهد فتنة وللمقعد العاني مجال وثاب
ولاضلَّ رأى الناشئ الغرِّ في الصبا ولا كرَّ بعد الفرصة المتصابي
ولا حسب الحفار للموت بعد ما بنى بيديهِ القبر الف حساب
يقولون يرثي كلَّ خلٍّ وصاحب أجل انما اقضي حقوق صحابي
جزيتهمو دمعي فلما جرى المدى جعلت عيون الشعر حسن ثوابي
كفى بذرى الاعواد منبر واعظ وبالمستقليها لسان صواب
دعوتك يا يعقوب من منزل البلا ولولا المنايا ما تركت جوابي
اذكرك الدنيا وكيف ولم يزل لها اثرا شهدٍ بفيك وصاب
حملنا اليك النار بالامس ناضراً وسقنا كتاب الحمد تلو كتاب

وما انفكت الدنيا وان قل لبثها لسان ثواب او لسان عقاب
الا في سبيل العلم خمسون حجة مضت بين تعليم وبين طِلاب
قطعت طوالى ليلها ونهارها بآمال نفس في الكمال رغاب
رأى الله ان تلقى اليك صحيفة فنزهتها عن هوشة وكذاب
ولم تتخذها آلة الحقد والهوى ولا منتدى لغو وسوق سِباب
مشينا بنوريْ علمها وبيانها فلم نسْرِ الاَّ في شعاع شهاب
وعشنا بها جيلين قمت عليهما معلم نشء او امام شباب
رسائل من عفو الكلام كأنها حواشي عيون في الطروس عذاب
هي المحض لا يشقى بهِ ابن تميمة غذاء ولا يشقى بهِ ابن خضاب
سهول من الفصحى وقفت بها الهوى على ما لديها من ربى وهضاب
وما ضعت بين الشرق والغرب مِشية كما قيل في الامثال حجل غراب
فلم أرَ اتقى منك سمعة ناقل إذا وسم النقل الرجال بعاب
وكم اخذ القولَ السريَّ مُعرِّب فما رده لاسمٍ ولا لنصاب
وفدت على الفصحى بخيرات غيرها فوالله ما ضاقت مناكب باب
وقدماً دنت يونان منها وفارس وروما تخلّوا في فسيح رحاب
تبتلت للعلم الشريف كأنهُ حقيقة توحيد وانت صحابي
وجشمت ميدان السياسة فارساً وكل جواد في السياسة كابي
وكنا ونمر في شِغاب فلم يزل بنا الدهر حتى فضَّ كل شغاب
رأى الثورة الكبرى فسلَّ يراعهُ لتحطيم اغلال وفك رقاب
وما الشرق الاَّ اسرة او عشيرة تلمُّ بنيها عند كل مصاب

***

سلام على شيخ الشيوخ ورحمة تحدر من اعطاف كل سحاب
ورفاف ريحان يروح ويغتدي على طيبات في الخلال رطاب
وذكرى وان لم نفس عهدك ساعة وشوق وان لم نفتكر باياب
وويح السوافي هل عرضن على البلى جبينك ام سترنهُ بحجاب
وهل صنَّ ماءً كان فيهِ كأنهُ حياء بتول في الصلاة كعاب

ويا لحياة لم تدع غير سائل أكانت حياة ام خلية داب
وابن يدٌ كانت وكان بنانها يراعة وَشيٍ او يراعة غاب
ولهفي على الاخلاق في ركن هيكل يبطن الثرى رث المعالم خابي

***

نعيش ونمضي في عذاب كلذة من العيش او في لذة كعذاب
ذهبنا من الاحلام في كل مذهب فلما انتهينا فسرت بذهاب
وكل اخي عيش وان طال عيشهُ تراب لعمر الموت وابن تراب

كلمة الآنسة « مي »

هناك على ساحل البحر البعيد ، حيال جبال لبنان الشماء ، تقوم ابنية الجامعة الامريكية ببيروت . وبين تلك الابنية وامامها تمتد الساحات الفسيحة تتخللها طاقات خضراء من اشجار الصنوبر ، ولا تفتأ الامواج المتعاقبة تلثم حوافيها ليل نهار

هناك كان الطالب يعقوب صروف يتنزه في ساعات الفراغ مع صديقهِ الطالب فارس نمر فيتذاكران في الدروس ، ويتبادلان الآراء مسرحين الطرف في ذلك المرج الازرق المتحرك. فهل يا ترى كانت تنطلق اشباح احلامهما الى الامام فيشرفان على وقائع المستقبل ؟ اكان الصديقان يعلمان انهما بعلمهما وجهودهما سيصبحان قطبين عظيمين بين اقطاب رجال المشرق ؟ أكانا يدريان — ومصر يومئذٍ كسوريا ولبنان ، قطعة من الدولة العثمانية — انهما سيجوزان البحر الى الجانب الآخر من الوطن الكبير ، فيشيدان اثراً علميًا لهُ من الشأن ما تجلى في هذه الاعوام الخمسين ؟ أكانا يشعران بانهما سيشهدان ساعة التمجيد والتعظيم في يوبيل المقتطف ، وان تلك الساعة ستتكرر ولكن في اسى واكتئاب ، بعد رحيل الدكتور صروف ؟

في مثل هذا اليوم وهذه الساعة منذ عامين الاَّ شهراً واحداً ، اجتمعنا هنا للاحتفاء بعيد المقتطف الخمسيني ، وكانت هذه الدار داوية باسم صروف. في وسط هذا المسرح ، كان ينتصب تمثال فاخر جادت بهِ اريحية المهاجرين الى الديار الامريكية من السوريين واللبنانيين. وحيال التمثال الصامت الجامد كان من مصر شخص حيٌّ نابض تكوَّن من ممثل صاحب العرش ، ومن جميع الهيئات الرسمية والاحزاب السياسية ، والنزعات الفكرية . تبعت تركيا المقدور من تاريخ تطورها فصارت لهذه الاقطار صديقة بعد ان

كانت سيدة . فاذا بك يا مصر ، تتحركين تحرك الاسود ، وتتبوئين المكانة المعدة لك بين اقطار الشرق الادنى ، وتتولين الزعامة في رفع شأن العلم وتقدير الفضل كما انت زعيمة في الصيحة العالية للحرية والاستقلال وكما انت زعيمة في الدعوة الشريفة الى الوحدة الوطنية والقومية !

وعند ما نهض الدكتور صروف يلقي كلمة الشكر — سامحوني ، ايها الخطباء والشعراء ! — كان اجمل من كل خطبة وكل قصيدة وكل نشيد ، موقف ذلك الشيخ الجليل الوديع الممتلئ شباباً على طول عهده بالحياة ، الممتلئ يقظة على طول عهده بالجهاد ، الممتلئ نشاطاً علميًّا وعمليًّا على ما اوهى العمل من خيوط قلبهِ ، وافنى العلم من ذرات دماغهِ .

تكلم متأثراً ، فادركنا في لحظة كم هو قاسي في وحدتهِ الفكرية ، وكم كان ثباته عظيماً في انزوائهِ العلمي . فكان حقاً أن تحين ساعة الانصاف . كان حقاً لذلك العامل العظيم في ميدان الثقافة الشرقية ان يسمع قبل الرحيل صوت مصر والشرق متألفاً من جميع الاصوات ، منسوجاً من جميع الافكار ، متوحداً من جميع القلوب !

***

ولكني لا اخشى المصارحة بان ذلك الاحتفال على جلاله ، كان ناقصاً من احدى نواحيه . لقد كان وجود المرأة فيهِ محسوساً ، ولكن واحدة منا لم تقف على هذا المنبر . مع ان الدكتور صروف الذي كان مجدداً في اسلوب الانشاء ، وطريقة التفكير ، وصيغة التعبير ، وتقديم الغذاء العلمي من مكنونات الشرق ومبتكرات الغرب جميعاً ، كان مجدداً في احترام المرأة والدعوة الى تعليمها وتثقيفها ، في نشر مآثرها وارشادها الى واجباتها ، في العطف على يقظتها وفي حث الاقلام النسائية على الكتابة والافصاح

والادلة على ذلك عديدة في المقتطف منذ نشأته . فن باب تدبير المنزل الى باب شؤون المرأة وتدبير المنزل ، الى باب شهيرات النساء المتفوقات في علم او فن او عمل ، سواء من نساء الماضي والحاضر في مختلف الامم . وقد قامت بتحرير هذا الباب حيناً ما السيدة ياقوت صروف ، قرينة الفقيد الكبير كما كتبت في المقتطف المرحومة السيدة مريم نمر مكاريوس والمرحومة السيدة رحمة صروف . وترجم الدكتور صروف فيما ترجم ، رواية وضعتها بالانجليزية السيدة ليلى هانم كريمة المرحوم خليل باشا شريف ، احد وزراء الدولة العثمانية سابقاً واخي المرحوم علي باشا شريف رئيس مجلس شورى القوانين السابق . وعني

بطائفة من اهم الكتب العربية والافرنجية لمعالجة الموضوعات النسائية، وأيد قاسم امين في كتابيه عن تحرير المرأة كما عاد الى ذلك الموضوع الرئيسي من دعوة قاسم بعد وفاة زعيم اليقظة النسوية في وادي النيل

كذلك يبدو اكرام الدكتور صروف المرأة في رواياته التأليفية الثلاث: « فتاة مصر » و« غادة الفيوم » و« اميرة لبنان » ، حيث جعل لكل من البطلات شخصية كبيرة جذابة جمعت بين جمال الانوثة ، ورقة العواطف وعلو الادراك ، وسعة المعارف ، وثقافة المواهب مع الصيانة الاخلاقية . وكل ذلك دليل على ان في خياله مثلاً أعلى للمرأة اراد ان يثبته في عالم المحسوس . وقد اثبته في الواقع بعنايته بكريماته الثلاث وتثقيفهن وتعليمهن على خير منال فجاءت كل منهن نوراً في محيطها . وتيسر له ذلك بميله الفطري وبمساعدة المرأة الفاضلة التي منَّ الله عليه بها شريكة لحياته . فاني اذكر انا عندما كنا في مجالسنا نتحدث عن الحجارة الكريمة ، كان الدكتور صروف يبتسم قائلاً : « اما انا فيعجبني الياقوت ، وعندي منه شيء كثير ! »

***

وكيف انسى تشجيعه لي والحاحه الشديد عليَّ بالكتابة ، وافساحه صدر المقتطف لكل ما نشرته فيه عن الكاتبات بالعربية وعن اليقظة النسائية ؟ فهو الذي بعد ان نقل تأبيني لباحثة البادية يوم وفاتها ، اقترح عليَّ ان الخص للمقتطف آراءها ودعوتها الاصلاحية . واذ هممت بالكتابة وجدت ان فصلاً واحداً يضيق دون المراد ، فكان الفصل سلسلة فصول هي الاولى في اللغة العربية كتبت على طريقة البحث الحديث عن كاتبة عربية بقلم كاتبة عربية . ولما رأيت الباب مفتوحاً تابعت الكتابة عن الشاعرة المصرية عائشة عصمت تيمور وعصرها ووسطها ، وعن الاديبة اللبنانية وردة اليازجي وشعرها ونثرها . ثلاثة كتب ، على عيوبها ، اظنها الوحيدة من نوعها في تاريخ الآداب العربية . والفضل فيها للدكتور صروف الذي رفع موضوع المرأة الى جانب الموضوعات العلمية والفلسفية واللغوية والتاريخية في مجلته الخطيرة وبذلك انالني أنا شخصيًّا ، وانال المرأة الشرقية عموماً ، عذوبة عطفه وشرف عنايته . وعوّد العلماء والعظماء وجمهور القراء قبول الموضوعات النسائية كأهم ما هو حري بالبحث والالتفات

فاذا ما احصيت مآثر هذا العالم الحكيم لم تكن هذه المأثرة اقلها . ويوم يذكر التاريخ المحقق المنصف اسماء منشطي اليقظة النسائية والعاملين لها ، تحتم ان يكون للدكتور

صروف بينها مكان ، وكان بخدمته هذه كما بخدماته الاخرى ، في طليعة الخالدين

***

ذكرت الخلود ، ايها السادة والسيدات . وهي كلمة طالما تداولناها في الاعوام الاخيرة ، فما هو تعريف الخلود ، ومن هو الخالد

اما خلود النفس بعد الموت فمنبثق من العقيدة الدينية وهو سر سحيق في كل ضمير حي وحاجة صميمة لا تقوم مقامها حاجة . وقد كان هذا الموضوع شغل الدكتور صروف الشاغل طول حياته . ولكن الخلود بمعناه المدني او العلماني — ان صحّ هذا الوصف — اي خلود الشخصية في هذا العالم بين بني الانسان — ترى ماذا نعني به عند ما نشير اليه

اهو بقاء الاسم الخالد متكرراً على الالسنة تتجاوب به الاصداء على توالي الاحقاب ؟ أمعناه ان مبادئ الشخص الخالد وتعاليمهُ تظل شائعة بين ابناء الاجيال الآتية تزكي منهم الهمم ، وتنيلهم المعلومات والفوائد ، وتوحي اليهم حب النشاط والعمل ؟ ام معناه ان بين ملايين الاسماء المنسية في هاوية الزمان ، هناك اسماء تظل خافقة كالرايات ، مضيئة كالمنائر ، هادية كالاعلام في الصحراء ، مشجعة كاصوات الحب والحياة

قد يكون للخلود في هذا العالم بعض تلك المعاني او كلها . ولكن لديّ عن الخلود فكرة اخرى استميحكم في الافضاء بها اليكم

الخالد في تقديري هو الذي خطا بجماعته خطوة حاسمة في الميدان الذي تفوق فيه . الخالد هو الذي جعل وسطه ، بفضل جهوده ، خيراً مما كان قبل ولادته . الخالد هو الذي ثقّف وأنمى جانباً من الشخصية العامة ، فكان لهُ في تكوينها اثر لا تمحوه الاعوام والدهور

وتلك الخطوة العلمية والثقافية التي خطاها الشرق في نصف قرن على يد المقتطف ، هي التي نسجلها للدكتور صروف في توديعه كما سجلناها من قبل في تحيته . انهُ خالد بها لانهُ عمل في تكوين الشخصية العامة واهّلها للتقدم في مراحل التاريخ والعمران

فلا تطرقي حزناً واسى ، يا زوجة صروف انت التي قاسمتهُ ساعات الحياة في الوانها البهيجة والقاتمة وطعومها المريرة والسائغة . بل تعالي نسر بالخيال لزيارة ذلك الضريح البعيد في ظل الغصون . وبينما تتعاون ايدي الرجال القوية النبيلة على ضفر اكليل التكريم والتقدير للفقيد الكبير ، فلنتقدم لهُ نحن ، بالنيابة عن المرأة الشرقية ، زهرة الشكران مبللة بدموع القلب ولنودعهُ بهذه الكلمة الشهيرة لفيكتور هوجو :

« ايتها الشمس المتغيبة وراء الافق ، ان اشعتك باقية الانوار ! »

كلمة نقابة الصحافة القاها الدكتور هيكل بك

رئيس تحرير السياسة

ايها السادة : في هذا المكان نفسه ومن ستة أسابيع مضت كنا نؤبن صحفيًّا من اعلام الصحافة اغتالهُ الموت وهو في ميدان الشرف يناضل نضالاً سياسيًّا عنيفاً . كنا نؤبن صديقنا وزميلنا المغفورلهُ امين بك الرافعي الذي سقط شهيداً في جهاده السياسي وما يزال في عنفوان القوة وفي صدر العمر . وها نحن اليوم نؤبن علماً آخر هو المرحوم المغفور لهُ الدكتور يعقوب صروف فنذكر اذ نؤبنهُ شيخاً من شيوخ الصحافة قضى حياته في خدمة العلم من طريقها لم يعرف الكلال ولا السأم الى نفسه سبيلاً . شيخاً كان في مثابرته وصبره على بث الفكرة العلمية التي تحتاج الى الوقت الطويل ما كانهُ امين الرافعي في اندفاعه القوي لتحريك الجماهير

وليس منا من يذكر يعقوب صروف ومثابرته وصبره الطويل ولا يذكر أنا في هذا المكان نفسه ومن سنتين مضتا كنا نحتفل بيوبيل المقتطف الذهبي لانقضاء خمسين سنة على جهاد الدكتور صروف العلمي والاجتماعي من طريق الصحافة ويذكر حين ذكر هذا اليوبيل كيف اشترك قراء العربية جميعاً في انحاء العالم المختلفة فيهِ اشتراكاً قلبيًّا دلَّ على صدق تقدير قراء العربية جميعاً لهذا المجهود المجيد الجليل

والواقع ان حياة المغفور لهُ الدكتور صروف تتلخص في مجلة المقتطف. فالقد عاش هذا الرجل صحفيًّا بمعنى خاص غير المعنى الذي يتبادر الى الاذهان من كلمة الصحفي. عاش صحفيًّا متخصصاً لناحية معينة هي نشر العلم وتوطئته على لسان الصحافة . ولذلك يعجب كثيرون اذ يقال لهم ان الدكتور صروف لم يكن لهُ اشتراك فعلي في تحرير جريدة المقطم التي يظهر اسمه عليها. وانهُ لم يعنَ يوماً من الايام عناية الصحفيين الذين يحررون الصحف اليومية بالشؤون السياسية ويعجب كثيرون كذلك اذ يقال لهم ان كل سطر من سطور مجلة المقتطف كان لا ينشر قبل ان يقف الدكتور صروف على كل شؤون نشره فهو الذي يضعهُ في المكان الذي يختاره من المجلة.وهو الذي يصححهُ التصحيح الاخير فاذا ظهر المقتطف كان اذن صورة نفسية للدكتور صروف اثناء الشهر الذي سبق ظهوره وكان مطبوعاً بطابع الدكتور صروف العلمي الدقيق

لم يكن الدكتور صروف اذن صحفيًّا سياسيًّا ، ولم يكن يعنى في حياته الصحفية

بشيء عنايته بالشئون العلمية ، فهو اذن كان صحفيًّا اختصاصيًّا ، ان صح اطلاق هذا التعبير على الصحفيين كما يطلق على الاطباء أو على المهندسين وقد تخصص لهذا حتى ملك عليه العلم منذ اول تخرجه من الكلية الاميركية ببيروت كلَّ نفسه فرأى فيه القوة المحركة لحياة الافراد ولحياة الجماعات . ولما كان الشرق اول نشأة هذا الرجل بعيداً عن تمثل الروح الغربية تمثيلاً يكوّن لنفس طبقات المتعلمين فيه فقد أخذ صروف نفسه بان يجعل الصحافة اداة نشر هذا العلم الذي احبهُ حبًّا جمًّا . والصحافة أداة قوية في تعميم العلم وتوطئته قوتها في نشر كل ما يختص بحياة الجماعة من اسباب التفكير والشعور

وفي سبيل نشر العلم من طريق الصحافة قضى الدكتور صروف حياته بين جدران مكتبته يطالع وينقب ويتابع تطور العلم وما يجد فيه من الآراء والمكتشفات ليجليها على الناس في المقتطف وهو في هذا كان مخلصاً للعلم والصحافة وهما محبوبان مستبدان يستنفدان من المخلص لهما كل هباته وصحته وقوته وهو بذلك راض كل الرضا مغتبطاً أشد الاغتباط . وان الذين رأوا الدكتور صروف في مكتبته آخر حياته وقد جلل الشيب رأسه وعجزت ضجة العالم الخارجي عن ان تصل الى مسمعه ، والذين شهدوهُ وهو يقلب في صحف كتبه بشغف وشوق يزيدان اضعافاً مضاعفة على تقليب الكثيرين اجمل الصور واعطر الرياض والذين لاحظوا انكبابه يكتب للمقتطف ثم انكبابه على تجارب صحف المقتطف قبل طبعها يعيد عليها آخر نظراته لتصحيحها هؤلاء جميعاً يقدرون مبلغ ما ملك العلم وما ملكت الصحافة على ذلك الرجل حياته ، ويقدرون مبلغ ما تحكم العلم وما تحكمت الصحافة في وجوده تحكماً استبداديًّا محبوباً ، ويقدرون مبلغ اخلاصه للعلم والصحافة اخلاصاً لم تشبه قط شائبة

ومحبة العامل عمله واخلاصه له هما أيها السادة قوام نجاح العامل ونجاح العمل جميعاً فاذا مدت المقادير للعامل في حياته فزادهُ ذلك محبة لعمله واخلاصاً له ثم كان عملهُ متصلاً بالعلم ونشره فذلك سر القدرة وسر تقدير الناس بل تقدير التاريخ للرجل وعمله. ولقد قضى المغفور لهُ الدكتور صروف اكثر من خمس وخمسين سنة في جده الصحفي لنشر العلم فاعترف العالم لهُ في حياته بفضل هذا الجهاد العلمي اجمل اعتراف وهو لا شك سيعترف لهُ بعد وفاته بهذا الفضل اخلص اعتراف واصدقه . وان اسرة الصحافة التي شرفتني نقابتها بالقاء هذه الكلمة بالنيابة عنها لتشعر لفقد المغفور لهُ الدكتور صروف باكبر الاسى وترجو الله لهُ الرضوان بمقدار اخلاصه الجم المتواضع للعلم والصحافة

مرثية حافظ بك ابراهيم

أبكي وعين الشرق تبكي معي على الاريب الكاتب الالمعي
جرى عصي الدمع من أجله فزاد في الجود على الطيِّع
نقص من الشرق ومن زهوه فقد اليراع المعجز المبدع
ليس لمصر في رجالاتها حظ ولا للشام في أروع
مصاب صرُّوف مصاب النهى فليبكه كل فؤاد يعي
كُرِّم بالأمس وأكفانهُ تنسجها الأقدار للمصرع
يا صائغ الدرّ لتكريمه صغهُ لمنعاهُ من الأدمع
قد زين العلم باخلاقه فعاش ملء العين والمسمع
تواضع والكبر دأب الفتى خلا من الفضل فلم ينفع
تواضع العلم لهُ روعة ينهار منها صلف المدعي
وحلة الفضل لها شارة أزهى من السيفين والمدفع
يشبع من حصل من علمه وهو من التحصيل لم يشبع
مبكراً تحسبهُ طالباً يسابق الفجر إلى المطلع
قد غالت الأسقام أضلاعهُ والرأس في شغل عن الأضلع
مات وفي أعماله صارم لم ينب في الضرب عن المقطع
صاحبهُ خمسين عاماً فلم يخن لهُ عهداً ولم يخدع
موفق أنى جرى ملهمٌ ما ضلّ في الورد عن المشرع
لم يرم بارٍ سوى ربهِ ولم يحزهُ جاهل او دعي
في النقل والتصنيف اربى على مدى ابن بحر ومدى الاصمعي
أي سبيل للهدى لم يرد وأي باب منهُ لم يقرع
يقتطف الزهر ويختارهُ كالنحل لا يعفو عن الاينع
فتحسب القراء في جنة عقولهم في روضها ترتعي
صروف لا تبعد فلست الذي يطويهِ طاوي ذلك المضجع
اسكتك الموت ولكنهُ لم يسكت الآثار في المجمع
ذكراك لا تنفك موصولة في معهد العلم وفي المصنع

شكر اسرة الفقيد

بلسان صاحب السعادة السر سعيد باشا شقير

« ما اكرم هذا الشعب واطيب عنصره وما اشرف خدمة هذا البلد واثمرها »

هذه هي الكلمات التي فاه بها لي المرحوم الدكتور صروف في آخر يوم من شهر ابريل منذ نحو سنتين ونحن خارجون معاً من هذه الدار عقيب الاحتفال بعيد المقتطف الذهبي ثم زاد على ذلك قائلاً :

« ترى أنستحق يا سعيد هذا الاكرام وهل لنا حقيقة في مصر والشرق مثل هذا المقام — وهل ما فعلناه يستوجب حفلة باهرة كالتي شهدناها يضمها جلالة الملك فؤاد تحت رعايته ويرأسها وزير من وزرائه ويشترك فيها الامراء وسائر الوزراء وعظماء البلاد ونوابها وادباؤها على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ويبعث اليها سعد على رغم اعتلال صحته بكلمة يقول فيها ما قاله في المقتطف ومنزلته في مصر واثره في تقويم الافهام وتثقيف الاذهان »

ثم صمت هنيهة ونحن سائرون معاً وعاد فاستأنف الكلام مجيباً بنفسه عما كان شاكاً فيه فقال :

« كلاَّ — بل هذا الشعب كريم وقادته وكباره واصحاب الكلمة فيه اكرم فهم في خدمة العلم والعمل على نشره في البلاد يعطون ديناراً بدرهم وأخاف ان اكون قد قصّرت في اداء واجب الشكر لهم في الحفلة . ولا يُخرس اللسان مثل الشعور العميق بالجميل

« ولكن يجب ان نحسن العمل اكثر وان نستمرّ على وقف اقلامنا ومواهبنا وارواحنا في سبيل خدمتهم ولا ندّخر وسعاً في تقويم الافهام وتثقيف الاذهان كما قال سعد لنبقى موضع ثقتهم ولكي لا يعتقد احدهم انهُ اخطأ في ظنه بنا فنسقط من المرتبة التي وضعونا فيها واذا لم يمدّ الله في اجلنا فتقومون انتم يا ابناءنا واخواننا بهذا الواجب »

هذا ما صحت عليهِ عزيمتهُ بعد تلك الحفلة وذلك الاكرام وهو ان يداوم الجهاد على رغم الخامسة والسبعين من عمره في خدمة الادب ونشر العلم في هذا القطر بواسطة المقتطف وسواهُ من المؤلفات مما كان قد اخذ لهُ العدَّة وجمع الأهبة . ولكنهُ كان يخشى ان لا يمدّ الله في عمره الى ان يحقق امانيه ويوفي مصر وابناءها دين الجميل الذي اسدوهُ اليه فاوصانا نحن ابنائه ووضعهُ في اعناقنا

ولم تكن مخاوفهُ في غير موضعها فلم يأتِ العام الثاني على تلك الاقوال حتى كان ما خاف ان يكون ومضى في سبيل من مضى قبلهُ.

وقفت هذا الموقف وفي هذه الدار منذ نحو سنتين نائباً عن متخرجي جامعة بيروت الاميركية اشارك الجمع بتكريم الراحل العزيز وتهنئتهِ بعيد المقتطف الذهبي وانا متهلل الوجه باسم الثغر مغتبط اني ابن الجامعة التي تخرج فيها هو كأن الاكرام الذي نالهُ يلحقني شيء منهُ بسبب صلة الادب والنسب بيننا

واليوم اقف في الدار عينها ضيق الصدر منقبض الوجه نائباً عن اسرتهِ وذوي قرباهُ الذين انا واحد منهم لا للاحتفال بعيد آخر لهُ بل للبكاء عليهِ وسماع اقوال الخطباء والادباء في تأبينهِ ولتقديم واجب الشكر لكم لمؤاساتكم لنا في احزاننا والعطف علينا في مصابنا وشتان بين الوقفتين

وكأني بروحهِ تناجيني في موقفي هذا من عالم الغيب وكأني به يخاطبني قائلاً:

«الم اقل لكم ما اكرم هذا الشعب واطيب عنصرهُ — رفعوا منزلتي حيًّا الى مستوى لا استحقهُ. وهذه حفلة اخرى لا تقلُّ عن تلك عقدوها وانا جثة هامدة في الضريح وأخذوا يبالغون فيها بالحقير من اعمالي ويعددون لي من المناقب والصفات ما كل اديب منهم اولى بهِ مني

«يفعلون ذلك كرماً وفضلاً منهم جبراً لنفوسكم الكسيرة وتعزية لقلوبكم الجريحة وتجفيفاً لاجفان قرينتي المقروحة واجفانكم فكيف تكافئونهم على هذا الصنيع؟»

ايها العم العزيز والراحل الكريم ان القوم لا ينتظرون مكافأة على صنيعهم هذا فهم اكرم اخلاقاً واطيب عنصراً حتى مما ظننت وان كان ظنك في كرم اخلاقهم وطيب عنصرهم اقصى ما ينتهي اليهِ تصور الفكر البشري في كرم الخلق وطيب العنصر. ومكافأتهم كمكافأة كل كبير النفس كريمها — سرورهم بما شرحوا بهِ صدرك حيًّا وخففوا بهِ من آلام ذويك حزناً عليك من بعدك

ولكننا على كل حال سنعمل كما تريد في خدمة هذا البلد العزيز الذي جعلناهُ وطننا كما جعلتهُ وطنك وسيضمُّ تربهُ رفاتنا كما ضمَّ رفاتك

وها هوذا اخوك الروحي وشريكك الذي وضعت يدك بيدهِ منذ عهد الصبا قد استمرَّ في الجهاد على رغم سنهِ واعتلال صحتهِ وهو ومن معهُ ممن درَّبتهم على العمل ساهرون على اداء الواجب لا يخونون لك عهداً ولا يخلفون ظناً

وها هو ذا ابن شقيقك وقد اريته سبل الطريق حيًّا قد أخذ المقتطف على عاتقه مثالاً يحتذيه وجعل خطاك في الحياة والعمل أثراً يقتفيه

ونحن الباقين من ذويك وذوي قرباك وان لم نكن ارباب قلم فسنشحذ الهمة ونقوم بنصيبنا من العمل في الميادين التي انصرفت اليها مواهبنا وكلنا سنكون يداً واحدة في تحقيق آمالك وتنفيذ رغباتك فنم هادئاً مطمئناً في ضريحك فقد أديت الواجب ولن تسقط من المرتبة التي وضعت فيها واذا قصرنا فنحن الملومون لا انت

ايها السادة

منذ مضى الردى بالمرحوم الدكتور صروف واليأس مخيم على قلوب أسرته وذوي قرباه تتصدع صدورهم حزناً ويذوبون ألماً ووجداً كلما ذكروه او ذكروا شيئاً من آثاره وما اكثر آثاره الحسنة . فهم كل يوم في حزن جديد ولدى كل ذكرى لهم انة ونحيب

ولا عزاء لهم مثل عطفكم عليهم وشعوركم معهم في مصابهم وستكون حفلة التأبين هذه بلسماً لجراحهم الدامية وبرداً وسلاماً على قلوبهم الملتهبة

فانا بلسان ارملة الفقيد العزيز ولسان اولاده وذوي قرباه ولساني اقدم واجب الشكر الى صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا والى صاحب المعالي علي باشا الشمسي وزير المعارف لتكرمهما برئاسة هذه الحفلة واقدم الشكر الخالص ايضاً الى اعضاء لجنة التأبين ونقابة الصحافة لاهتمامهم بعقدها وتنظيمها والى الخطباء والشعراء والادباء الذين ابنوا الفقيد وذكروا من اخلاقه وخلاله ما كان له اجمل وقع في نفوسنا واشكر كذلك صاحب الدولة رئيس الوزراء واصحاب المعالي الوزراء وحضرات العلماء ورجال الدين والشيوخ والنواب والموظفين وغيرهم من كرام القوم الذين حضروا هذه الحفلة او بعثوا لنا برسالة عطف اوكلمة تعزية ولم يتمكنوا من الحضور

وحبذا لو كان في وسع اللغة او مقدرة اللسان التعبير الصحيح عن الشعور العميق بالجميل لاصف ايها السادة ما تكنهُ جوانحنا لكم من الشكر والامتنان

ولكن ثقوا اننا لن ننسى لكم هذا الجميل بل يبقى منقوشاً على قلوبنا ما حيينا . وكلما رددنا ذكرهُ تهمي من عيوننا دمعتان دمعة حزن على الراحل العزيز ودمعة شكر لكم تعرب عما انزلتموهُ على قلوبنا من الطمأنينة وعلى نفوسنا من العزاء

جزاكم الله عنا خير الجزاء ولا فجعكم بعزيز

باب الزراعة والاقتصاد

الترغيب في تربية الدواجن [١]

كل مشروع اقتصادي او علمي اذا حمته الحكومة او الجمعيات او الشركات القوية نما واشتد وازداد نفعهُ. وليست تربية الدواجن واستثمار منتوجاتها الا عملاً اقتصاديًا يفيده التشويق اليهِ والترغيب فيهِ لاسيما اذا كان الداعون الى ذلك ذوي مقام خطير في البلاد كالحكومة وكبار الشركات والغرف الزراعية والتجارية والجمعيات والنقابات الزراعية وغيرها . ووسائل التشويق كثيرة منها ايجاد مراكز للسفاد ، واقامة المسابقات الزراعية وتوزيع مختلف الجوائز على الرابحين ، وايجاد ديوان للطب البيطري اهم غاياتهِ منع سراية الامراض الوافدة ، وشراء فحول السفاد الممتازة او الاناث الغزيرة الدر ثم بيعها من الفلاحين بأثمان بخسة ، والتضامن تجاه موت الدواجن الخ

﴿ مراكز السفاد ﴾ هي اماكن تربى فيها فحول الدواجن الصالحة للضراب . وقد تربى الاناث ايضاً . ويشترط في حيوانات هذه المراكز ان تكون سليمة حائزة على صفات العرق المرغوب فيها حتى يكون نسلها جيداً . والحكومات توجد هذه المراكز للخيل خاصةً وتنفق عليها وتوزع الجياد في اواخر الشتاء وفي الربيع على اهم المناطق والقرى لتسفد افراس القرويين لقاء اجرة زهيدة او بلا اجرة. ويسلم موظف المركز الى كل صاحب فرس اسفدها جواد من جياد مراكز السفاد وثيقة تنبئ بذلك وتكون دليلاً يعرف بهِ نسب المهر الناتج عن هذا الضراب

وعند ما كنت مديراً للزراعة دعوت الحكومة الى ايجاد مراكز للسفاد في اهم المدن الشامية تربى فيها ذكور من الخيل العراب الاصلية فأنشأت مركزين في دمشق وفي حلب لكنهم ابوا الا ان يتعهد خيلهما جنود من الجيش ولما كان هؤلاء غير واقفين على دقائق صفات الخيل الاصيلة وعادات اهل البلاد في امور السفاد فقد ظلت فائدة المركزين المذكورين محدودة الى الآن

﴿ المسابقات ﴾ هي ان تعرض الدواجن في محتفل يخصص لهذا الغرض امام

(١) من كتاب الدواجن للامير مصطفى الشهابي وهو مخطوط لم يطبع بعد

لجنة من الاختصاصيين في معرفة صفات الحيوانات الاهلية فتحكم في ايها الاجود .
ويوزع القائمون بالمسابقة على اصحاب الدواجن التي يحكم لها جوائز مالية او هدايا فضية او نحاسية او خشبية جميلة او « مداليات » او فحولاً للسفاد او شهادات خطية تشهد بحكم اللجنة

واذا صعب على ارباب الفلاحة نقل حيواناتهم الى معرض التسابق فمن الممكن ان تتجول اللجنة في القرى فتفحص الدواجن في اماكنها

وتكون المسابقات اما محدودة لا تتعدى اقليماً من اقاليم البلاد او عامة يتبارى فيها الاكارون في طول البلاد وعرضها . والذين يوجدون المسابقات المحدودة هم الجماعات والغرف الزراعية او مجالس الولايات العمومية غالباً

اما المسابقات العامة فبطلها وزارة الزراعة لانهُ قلما يقوى غير الحكومة على تحمل نفقاتها الباهظة .ولاشك ان المباريات الاقليمية شيئاً من الرجحان على المباريات العامة في المواصم.ذلك ان الاكّار في الحالة الاولى لا يضطر الى الانفاق في نقل حيواناته الى العاصمة (حيث تكون المسابقات العامة) وفي إطعامها وتعهدها وتجهيز مكانها في المعرض الخ

وتقسم الدواجن الى قسمين في مواضع المسابقات الى انواع وعروق (رسوس) فيحلُّ كل عرق على حدة . وقد تفرق الحيوانات في العرق الواحد الى اقسام كان يفصل بين العوامل والحلوبة في البقر والذكور والاناث في الخيل العربية الاصيلة وغير ذلك

ولما كانت الغاية من المسابقات الحثّ على تجويد عروق الدواجن بحسن الانتخاب في الضراب فمن الضروري ان يكون اعضاء لجنة التفضيل واقفين كل الوقوف على تحلية عروق الحيوانات الاهلية علميًّا ويفيد جعل عدد اعضاء اللجنة قليلاً حتى لا يتنازعوا. وهم يفحصون كل حيوان في مجموعة باديء بدء ثم يفحصون كل ناحية من نواحيه حسبما يرونهُ في قائمة طبعت عليها اسماء النواحي الواجب فحصها في كل عرق .ويضعون رقماً لكل ناحية او لكل ما يقاس كارتفاع الكاثبة (اعلى الظهر) وعمق الصدر الخ . ويكون الرقم التام عشرة او عشرين. ويطبعون علامة بالنار احياناً على قرون الحيوانات الرابحة او حوافرها لتميزها عن غيرها .وتمنع بعض الحكومات غير الذكور الرابحة من سفاد الاناث وتعاقب الذين يخالفون ذلك

يتضح مما اوجزت عن مراكز السفاد ومعارض المسابقات ان هاتين الوسيلتين هما من انجع الوسائل التي تحمل الفلاحين على تجويد حيواناتهم الاهلية ومن تتبع سيرهما في بعض البلاد الاوربية تجلّت لهُ فوائدهما العظيمة التي لا تقاس بقليل مما تنفقهُ الحكومات فيهما

﴿ سباق الخيل ﴾ هو اجراء الخيل في ميادين خاصة لمعرفة اسرعها واقواها واشجعها . وقلما يكون في حلبة السباق غير الخيل الاصيلة . وكان لاجدادنا العرب فيما مضى ولع بالسباق وكلف فكانوا يتراهنون على الصافنات السبّاقة ويضعون السبقة على رؤوس قصب الرماح في غاية المضمار حتى اذا مر المجلي (الاول) انتزعها فارسهُ ولذلك قالوا « حاز فلان قصب السبق » . وكان يجتمع في ميادين السباق خلق عظيم من قبائل شتى ويؤمها ملوك العرب وامراؤهم ايضاً . واكبر دليل على اهتمامهم بالجياد السباقة انهم كانوا يطلقون على كل جواد منها اسماً حتى العاشر في الحلبة . فاول الخيل المجلي ثم المصلي . . . . ثم السكيت وهو العاشر ولا يُعتدّ بما يجيء بعدهُ . واشهر سباق في الجاهلية سباق داحس والغبراء للحرب التي ثارت بسببهِ بين بني عبس وذبيان

والسباق قديم في الامم عرف منذ عرفت الخيل واستخدمت في مصالح الانسان . وهو ما برح انجع وسيلة تقاس بها قيمة الصافنات الجياد . واشتهر الانكليز والفرنسيون في القرون الاخيرة بحب السباق . واتخذوا لهذا الغرض ميادين ذاع صيتها واستفاضت شهرتها عرفنا منها في ضواحي باريز ميادين لونشان Longchamp وشانتي Chantilly واوتوي Auteuil وغيرها

وللسباق اليوم قواعد كثيرة وهو على انواع منها التسابق خبباً او عدواً او على جر العربات والثاني هو الاعم . ومنها السباق في الارض المستوية والسباق في التي تعترضها خنادق وحواجز كانهر صغيرة او قنى او اخشاب او مرتفعات من لبن تقام في وجه المتسابقات من الخيل فيقحمها بعضها ويكبو بعض او تحجم عن اقتحامها فتسبقها رفيقاتها المقدامة السلسلة القياد . ومن قواعد السباق ان يكون وزن السائس بنسبة عمر الجواد وهذه القاعدة ذائعة . ومنها ان تحمل بعض الجياد التي عرفت بالسبق بعض الاثقال حتى لا يظل لها رجحان على غيرها . وتختلف الغاية في الشوط الواحد باختلاف الميادين وعروق الخيل ونوع السباق ومتوسطها بين ٢٠٠٠ و ٤٠٠٠ متر

وفي البلاد الاوربية جمعيات تشرف على السباق وتنفق وارداتهِ في تجويد انسال

الخيل وفي اعمال البر . وواردات السباق لا يستهان بها فرب ميدان في اوربا يبلغ ريعهُ بضعة آلاف من الجنيهات في حلبة واحدة ناهيك بالمبالغ الطائلة التي يتراهن عليها المتفرجون وهي تقسم بين الذين تسبق الجياد التي راهنوا عليها ويظلّ جزء منها لمن يتعهدون السباق . وفي بيروت ميدان لا بأس بهِ . ولقد اقيم سنة ١٩٢٤ ميلادية ميدان تتعهدهُ البلدية في « المرجة الخضراء » بدمشق فاقبل الناس عليهِ بعض الاقبال لكن الثورة السورية التي نشبت في السنة التالية اوقفت السباق فيهِ واني وانا اكتب مقالي هذا في داري بسفح قاسيون أراهُ عن بعدٍ خالياً خاوياً

ومما يرغب في اقتناء الخيل الاصيلة وتعهدها نوع من السباق لارهان فيهِ القسه الشاميون في دمشق والاطراف وهو ان تنقسم الخيالة قسمين يقف كل منهما مقابلاً الثاني في احد طرفي الميدان ويحمل كل خيّال بضع عصي يسمونها «جريداً» . فيبرز احد خيالة القسم الاول حتى اذا بلغ منتصف الميدان او اكثر هز العصا ورمى بها فارساً من فرسان القسم الثاني ثم ثنى عنان جواده وعاد مركضاً اياهُ . وعلى الفارس الذي سددت العصا اليهِ ان يتنكبها وان يعدي جواده وراء الذي رماه فيرميهِ بدوره ثم يعود حثيثاً قبل ان يدركه احد رفقاء خصمهِ وهكذا . وليس ما ذكرت سباقاً بمعناه الحقيقي لكنهُ مبدأٌ تمتحن بهِ سرعة الجياد وصلابتها وصبرها على الكر والفر ولاشك ان من كان عالماً بالفروسية يعجبهُ هذا النوع من الرياضة لاسيما اذا كان لهُ ساعد قوي على اطلاق العصي لكنهُ في هذه الحالة اذا اصابت العصا خصمهُ في رأسهِ شجته ولهذا يجعلون شروطاً لنوع العصي وثخنها والمسافة التي لا يجوز في اقصر منها ان يرمي الفارس خصمهُ

﴿ ديوان الطب البيطري ﴾ بعض امراض الدواجن المعدية لا يقوى الفرد على منع سرايتها واستيلائها على الحيوانات الاهلية فما يرغب في اقتناء هذه الحيوانات ان يرى الفلاح في البلاد حكومة ساهرة على منع تفشي تلك الامراض وعلى قطع دابرها بواسطة رجال ديوان من دواوينها يسمى ديوان الطب البيطري

وامراض الدواجن على قسمين معدية وغير معدية والاولى هي الاهم . وأعظمها خطراً الوباء والحمى القلاعية والحمى الجمروية والجمرة العرضية (ابو ذراع) في البقر ، والرعام (خنان) والسُّرّ (سراجة) والجرب ومرض الجماع (الوسخ) في الخيل ، والجدري والحمى القلاعية وذات الرئة المعدية ومرض الاظلاف في الضأن والمعز ،

والخناق الساق الساري في الجاموس ومرض السُرَّة في الإبل

اما الامراض غير المعدية فاقل خطراً وهي كثيرة كمرض بلع الهواء وكفلج الحنجرة في الخيل

وتخذ دواوين الطب البيطري وسائل كثيرة لمنع سراية الامراض المعدية عند ظهورها مثل منع نقل الدواجن من بلد الى بلد لاسيما من المناطق المصابة الى المناطق السليمة ومثل منع البيع في اسواق الحيوانات الاهلية وعزل الحيوانات المريضة وقتلها والتعويض على اصحابها وصنع المصل في معامل خاصة لتلقيح الحيوانات السليمة اتقاء لسراية المرض اليها وغير ذلك

﴿ بيع الحيوانات المنتخبة ﴾ من اهم وسائل الترغيب في اقتناء الدواجن وتجويد انسالها ان تعمد الحكومة الى شراء فحول منتخبة جيدة التحلية اي فيها كل صفات الرس المرغوب فيها فتهديها الى اناس من ارباب الزراعة اشتهروا بحسن تربية الخيل والانعام او تبيعها منهم بثمن بخس بشريطة ان يستعملوها في سفاد عدد معين من الإناث في كل سنة لقاء اجرة زهيدة. واذا ما انفقت الحكومة في هذا الغرض فجعلت فحلاً او اكثر من هذه الفحول في كل منطقة زراعية مهمة وراقبت القائمين عليها وحثت الفلاحين على تقديم إناث دوابهم لها فان هذه الفحول تكون خير اداة لتجويد النسل وتنقيته. وتتحرى الحكومة اهم الفحول احياناً فتدفع الى اصحابها نصف اجرة السفاد طول السنة على ألاَّ يطالبوا اصحاب الاناث الاَّ بالنصف الثاني . وامام الحكومات والجمعيات والغرف والنقابات الزراعية وسائل اخرى لترغيب الفلاحين في اقتناء الدواب الاهلية وتعهدها واتباع انجع الطرق في تجويد انسالها بالانتخاب الصناعي لكن كل الوسائل تحتاج الى المال واقدر الجميع على الإنفاق في هذا السبيل هي الحكومة فعليها ألاَّ تضن على وزارة الزراعة بما يعوزها من الدراهم في ميزانيتها لاسيما ومن اهم وظائف هذه الوزارة الدعاية وهذه لا تفلح مالم تعزز بالمال

﴿ التضامن تجاه موت الدواجن ﴾ هو اتفاق بين ارباب الزراعة على تعويض من تموت لهُ دابة لاسباب طارئة . وهم يدفعون لهُ ثمن الدابة كلهُ او قسماً منهُ حسب الاتفاق . ويكون التضامن إما على شكل إسعاف الفلاح المنكوب على أثر موت دابتهِ بأن يدفع لهُ كل واحد من فلاحي القرية ما تجود بهِ نفسهُ او يكون على شكل شركة يتكافل اعضاؤها فيدفع كل منهم لهذه الغاية مبلغاً سنويّاً متناسباً مع ثمن ما لديهِ من

الدواجن . ويعوّض المنكوب مما يجتمع من هذه الاموال . ولا يطلب من المشترك في الغالب اكثر من واحد في المائة من ثمن دوابهِ سنويًا . واذا كثرت هذه الشركات في القرى افاد اتحادها في شركة عليا تجمع شملها وتخفف وطأة الطوارىء التي قد تنتاب قرية دون اخرى . وتشجع الحكومات هذه الشركات كما تشجع شركات التعاون التي غايتها بيع محاصيل الفلاحين وشراء ما يحتاجون اليهِ من آلات واسمدة وحيوانات وغيرها . وتكاتف ارباب الزراعة على الطريقة المذكورة هو انفع لهم من معاملة شركات الضمان التجارية ذلك ان نفقاتهم في تكاتفهم تكون قليلة عدا انهم يكونون أدرى من غيرهم باسباب موت دوابهم وبما يجب ان يُعوّضهُ من فقد دوابهُ . ويضمن الفلاحون في اوربا بعضهم بعضاً تجاه موت الحيوانات الاهلية وتجاه حريق المحاصيل والبرد والصقيع وغيرها وكل ذلك يخفف وطأة ما ينتابهم من الطوارىء ويرغبهم في اعمال الفلاحة ومنها تربية الدواجن مصطفى الشهابي

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

حشرة البرتقال القشرية وابادتها

حضرة الفاضل المحترم صاحب مجلة المقتطف الاغر

بعد التحية اطلعنا في مجلة المقتطف عدد ابريل سنة ١٩٢٨ على مقالة «أعظم الحروب العلمية» وفي الصفحة رقم ٣٧٨ منهُ تجدون مثبوتاً بها أن قسم الحشرات الاميركي جلب حشرة من استراليا اسمها «ڤاداليا» وأطلقها على شجر البرتقال المصاب بالحشرة القشرية (Icerya) فالتهمت تلك الحشرةُ الحشرةَ القشرية وقضت عليها . هذا هو مختصر الخبر الذي استلفت نظري والذي دعاني الى كتابة هذا هو التأكد من صحة هذا الخبر وعلى اعتبار انهُ صحيح لا مبالغة فيهِ فلماذا لا ترسل وزارة الزراعة في طلب بعض من هذه الحشرة بواسطة مفوضية مصر في اميركا واكثارها هنا وتسليطها على الحشرة القشرية التي تكبد مصر خسارة عظيمة كل سنة حتى صار يخشى على حدائق الفواكه من التلف والبوار أرجو ان تتكرموا بأفادتي وتفضلوا ابو حمص عبد العزيز مخيون

[المقتطف] راجعنا الاصل فوجدنا الترجمة تنطبق عليهِ وليس فيما نقلناهُ مبالغة فعسى ان تعنى وزارة الزراعة باقتراحكم اذا رأى رجالها فائدة تجنى منهُ هنا . وهذا هو الغرض الاعظم من نشر هذه المقالة وامثالها

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

حاجتنا الى الصحف العلمية

حضرة رئيس تحرير المقتطف الاغرّ المحترم

من احسن ما يذكر من مآثر عميد المقتطف وفقيد علماء الشرق انكم ورثتم عنهُ العدل والنصفة في معاملة الكتاب والمراسلين ، وضمنتم لهم حرية القول واباحة النشر في المباحثات تأييداً لما تبتغون من الحقائق واني لاشكر لكم رغبتكم اليَّ في كتابة هذه السطور فاقول :

علّقتم على مقالي المنشور في العدد السابق من المقتطف الكريم بما يوهم غفلتنا عن « المجلات العلمية التي يرجى منها الخير العملي للبلدان الشرقية » « وان حاجتنا الى مجلات العلوم الطبيعية اعظم من حاجتنا — الى المجلات المذكورة في ذلك المقال — وهي اولى بالتقديم »

— ولكن — لابدَّ انكم ذاكرون انَّا لما عرضنا مقالنا عليكم وقرأناهُ حرفاً حرفاً وعلمتم ان الداعي المنبّه الى كتابتهِ ، ما كتبناهُ في مجلة التربية الحديثة التي اصدرتها هذا العام جامعة القاهرة الاميريكية ، هو المناسبة العارضة لحاجتنا الى المجلات العلمية (الخاصة) كهذه المجلة الاخصائية ثم تكرمتم بعبارات التصديق والاستحسان اذا لم نقل بالثناء والاطراء ، دون ان تبدوا اقل تلميح او تلويح الى ما ذكرتم من امر اغفالنا لتلك

المجلات «الطبيعية التي هي اولى بالتقديم» على ما ورد في تعليقكم الكريم بل تذكرون انّا فارقنا ادارة المقتطف على وعد ان تقدموا في رأس المقال اشارة الى تلك المناسبة الداعية الى تخصيص مقالتنا بتلك المجلاَّت الثلاث دفعاً لما قد يسبق لبعض المفكرين الالبَّاء من فطنة تلك الغفلة وتناسينا الشأن الاجلّ «للمجلات الطبيعية»

ولما قابلنا حضرتكم على اثر صدور المقتطف نبّهنا محفوظكم الواسع الى ما ختمنا بهِ مقالنا من الاستدراك الجليّ الوافي المطابق لتعليقكم في التنويه بذكر «المجلات الطبيعية التي يرجى منها الخير العملي للبلدان الشرقية» حيث قلنا «انا في كل ما ابديناهُ ونبديهِ اقطابنا افذاذ اللغة من اعلاء كلمتها وصون مقامها عن الابتذال والانخذال لا نغفل عن حاجتنا الضرورية الى العلوم العصرية من طبيعية ورياضية واجتماعية وزراعية وصناعية وفنية ولها ما لها من تنوير الاذهان والمعونة القصوى في سعادة الامة ولحاقها بامم الحضارة والعمران غير ناسين ان كل ما يتعلق باللسان من العلوم انما هو وسيلة لا غاية ولذا عرّفت عند العلماء بالآلات»

وكأنا في سوق ذلك التنبيه سبقنا الى شرح ما تصوّرناهُ وخشيناهُ من مثل ذلك التعليق مستدركين ما عسى ان يأخذنا بهِ رهط المفكرين المصلحين من الغلوّ بمنزلة اللغة من العلوم الضرورية والتلاهي بالقشور عن اللباب وتغرير الطلاب بالثانوي دون الاولي من العلوم النافعة للبلاد الحقيقة بتنوير الالباب

فترون من ذلك كلهِ انا لم نخصص بالذكر في تلك المقالة حاجتنا الى تلك المجلاَّت الاَّ لتلك المناسبة الطارئة جرياً على المعلوم من ان المرء اذا ذكر حاجةً في وقتها لا يقصد انكار سائر الحاجات ، وان ذكر الخاص لا ينفي العام وفاقاً لمقامات الكلام ورعايةً لمقتضى الحال

ونحن انما اسهبنا شيئاً في تفصيل ابواب الحاجة الى المجلة اللغوية لسببين الاول هو التوسط بين المفرطين والمفرّطين في درجة الحاجة الى اللغة ومنزلتها من الثقافة العصرية ، مما اصبح امرهُ من المشهورات عند العارفين واقرُّوا فيهِ الجمع بين الفريقين فنكتفي الآن بالاشارة اليهِ والثاني وهو ما يقتضي هنا طرفاً من طريف البيان وهو :

ان فوق ما لضبط اللغة من الفضل الاصيل في تحديد المعاني وإبانتها له أثرهُ النفسي من روعة الجمال المعنويّ والذوقي على حكم ما للفنون الجميلة من وقع اللذة في النفس

مما تطلبهُ الفطرة ويهفو اليهِ الطبع ، فكما تطرب للّحن الفني الآخذ بزمام النفس، وكما يتولاك الاعجاب برسم محكم الصنع والطبع — كذلك — ترقص للمعنى السامي بارزاً بما يليق من اللفظ الانيق مصوغاً بما يروق من القالب الشائق الرصف البديع الانسجام . وكما يستحسن الدرُّ في عنق الحسناء والمطرف الباهر يجلى بابهى الازياء — هكذا — يسحرك الكلام اذا وافاك باروع نظام واذا اردت المزيد من روائع هذا البيان فلا اقلَّ من الرجوع الى مثل (العمدة) لابن رشيق (والصناعتين) لابي هلال العسكري من ائمة الادب المبرزين . ولا اطيل على ربّ الذوق السليم في هذا التدليل انما احيله الى فعلهِ يوم تعرض عليهِ صحيفتان في المعنى الواحد احداهما في القبيح من اللفظ والركيك من التعبير والاخرى في الفصيح من الكلام والمحكم من التركيب والبليغ من سواحر البيان — وما اكثر ما نرى مدى الساعات من هذه المعروضات !

وحاشا لنا ان نقصد بالعبارة العلمية وما ينتظم في سلكها محاكاة الادبية والخطابية كالمقامات من السجع المصنّع والغريب العويص المقنّع ، انما نريد ان يكون الكلام في ما سوى هذه الفنون الخاصة من مضبوط القياس والمرسل المسلسل والسهل الممتنع على ما تراهُ في مثل هذه المجلة الطريفة ويلذ لهُ سمعك ويعشقهُ طبعك في مثل مقدمة ابن خلدون وتاريخ ابن الاثير واضرابهما من فحول اهل الانشاء وفرسان البلاغة والبيان

مصر ديمتري قندلفت

عضو المجمع العلمي العربي في دمشق

التعليم الالزامي والنساء ايضاً

كتب حضرة المربي الفاضل الاستاذ حسين افندي لبيب ناظر مدرسة النحاسين الاميرية كلمة في جزء يناير الماضي من المقتطف « تحت هذا العنوان » حبذ فيها وجود النساء المعلمات بدل الرجال في المدارس الاولية والابتدائية عند الضرورة وأدلى ببراهين معقولة تعزيزاً لهذا الرأي نرى انها لا تتوافر في المرأة المصرية واليك البيان :—

المرأة في مصرنا ثلاثة انواع احدها يسلك مسلك الحجاب بحيث تكون المرأة في منتهى الخمول والاستكانة كانها وسيلة للتوليد او قطعة من أثاث البيت لاتزور ولاتزار

ولا تأتنس ولا تؤانس ولا ينتفع بها بشيء ما حتى ولا في تربية اولادها ! ! ! قس على ذلك ما عند نسائنا القرويات. وهذا في نظري إنما هو جناية الرجل لأنهُ هو السبب في تأخرها بضربهِ على يدها بهذا السوط المشوم . ولو انهُ عالج هذا النقص بشيء من الحكمة واحترمها وهذبها ووفاها حقها الذي فرضه الله لها لكانت اليوم هي غيرها بالأمس . ولكانت لهُ الشريك العامل في تدبير شؤونه . فانه قد يضطر لترك عمله إذا ما مرضت أو مرض أحد اولادها لجهلها الفادح . وكثيراً ما عركت الاقلام وعالجت ضعف هذا الخلق الاجتماعي المهم . ولكنها لم تأت بفائدة لقسوة الرجل وظلمه ! !

وثاني الأنواع يسلك مسلك السفور بأوسع معانيه بمعني ان المرأة تريد ان تتمتع بكامل حقوقها. بل قل أنها كالرجل في الحياة غير انها بالاسف مبتذلة في صفاتها غير راقية في اخلاقها لانها لم تستعمل سفورها بحكمة ولم تتخذه وسيلة لبروزها في المجتمع النسوي الراقي فتفيد الامة وتعمل على اسعاد هذا الجنس السائر الى الوراء ! ! فسخر منها الرجل ومهد لها سبيل القضاء عليها وهكذا سارت نحو هاوية سفورها مسرعة . وكانت شراً من اختها الاولى

وثالث الانواع وهو المطلوب . يسلك مسلك الحجاب حتى يقال انهُ من النوع الاول ويسلك مسلك السفور حتى يقال انهُ من النوع الثاني . وهذه المرأة هي التي تعلمت وأخذت قسطها الوافر منهُ حتى نالت الدرجة التي بها تفيد أمتها إفادة حقيقية وهذه الدرة الثمينة قليلة جداً في مصر . لا تنا لا ننكر ان في مصرنا نساء فضليات عاملات قد ضربن بسهم وافر في الاصلاح وهذه آثارهن بادية في رابعة النهار . ولكنهن قليلات

فلتعالج الاقلام هذا الاصلاح وليرحم هذا الجنس اللطيف وليعمل المصلحون على بروزه مصلحاً مفيداً حتى تقل الامية في البلد والنساء العاطلات اللاتي حرمهن الدهر عائلهن ؟ !

ادفو — محمود عبد القادر

مدرس

—o:o—

باب شؤون المرأة

وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته
من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة
وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

العلاج بالمياه المعدنية

أقبل الصيف وأخذ الكبراء من رجال الحكومة وغيرهم يمدون معداتهم لمغادرة هذا القطر ذاهبين الى اوربا للمعالجة بمياهها المعدنية تقوية للابدان او استشفاء من الامراض . والذين عادوا منهم يروون لك العجائب عن فوائد تلك المياه . وهذا شأن الاوربيين في بلادهم فانهم يقصدون الاماكن التي فيها مياه معدنية للاستحمام بها انتجاعاً للقوة والاستشفاء . وقد اطلعنا على مقالة فيها وصف الحمامات المعدنية وطرق المعالجة بها وكيفية حصول النفع منها فاعتمدنا عليها في كتابة السطور التالية

ان من ينظر في طرق العلاج المستعملة الآن يستغرب ما يراهُ من الاهتمام المتزايد بالمياه المعدنية واستعمالها في معالجة الامراض . فان الوفاً من المرضى يتقاطرون كل سنة الى الاماكن التي تنبع منها هذه المياه للاستشفاء بها وكثيرون من الذين زاروا تلك الاماكن واستحموا بمياهها يرون ان الذهاب اليها قد صار فرضاً لازماً عليهم فيقصدونها عاماً بعد عام كأنهم يحتاجون الى علاج سنوي تتطلبهُ ابدانهم . وهذا الامر ليس حديثاً فان الناس من عهد اليونان والرومان كانوا يعتقدون فائدة المياه المعدنية وكانت حمامات بلجيكا مشهورة في عهد ليفيوس المؤرخ الروماني الشهير الذي نشأ منذ الف وتسعمائة سنة . والظاهر ان الرومان اقتدوا باليونان في الاستحمام بالمياه المعدنية وتبعهم الذين جاؤوا بعدهم من الامم

ومعلوم ان العامَّة تتحدث بفوائد طبية كثيرة للحمامات المعدنية والاطباء لا ينفون هذه الفوائد بل ان كثيرين منهم يثبتونها ويكثرون من وصف الحمامات للمرضى فيجدر بالباحث المدقق ان يعلم هل لاعتقاد العامَّة وجمهور الاطباء في المياه المعدنية سند

علمي سواء استُعملت للاستحمام او للشرب . وهل فائدتها تفوق فائدة ما سواها من طرق العلاج حتى يُعدَل عنها اليها . وهل تقتصر الفائدة على استعمال هذه المياه في مواطنها او يحسن ان تستعمل في اماكن اخرى او يحسن تركيب مياه مثلها واستعمالها في بيت المريض بدلاً من نقله الى اماكن المياه المعدنية

وقد كان استعمال المياه المعدنية في صناعة العلاج اجتهاديًّا فقط مبنيًّا على التجارب والاختبار الطويل و لم يكن لهُ سند علمي لكن العلماء لم يكتفوا بذلك بل اخذوا يبحثون ويحققون فوجدوا ان المياه المعدنية تنقسم الى خمسة اقسام مياه كبريتية ملحية ومياه كبريتية قلوية ومياه كبريتية ومياه ملحية حديدية ومياه حديدية ولكل قسم منها درجات مختلفة حسب كثرة المواد الذائبة في الماء وقلتها . و المياه النقية جدًّا من هذه الانواع تستعمل للشرب وغير النقية تستعمل للاستحمام

وقد ظهر بالاختبار الطويل ان امراض الكبد وانواع النقرس والروماتزم والامراض الجلدية على انواعها تفيد فيها كلها المياه المعدنية . ثم ظهر بالتجارب العلمية ان المياه الكبريتية التي تستعمل في مداواة المصابين بامراض الكبد تزيد افراز الصفراء فتكثر كميتها ويسرع خروجها وتكثر المواد الجامدة فيها دلالة على ان هذه المياه تقوي الكبد وتزيد فعلها ويستدلُّ على ذلك ايضاً بكثرة خروج المادة البولية من الجسم . ولذلك تفيدهذه المياه في النقرس وما اليهِ . وامتحنت المياه الحديدية فوجد انها تسرع في تكوُّن كريات الدم الحمراء وتقوي القوة الحيوية في الجسم كلهِ . فالمياه التي فيها كلوريد الحديد تزيد افراز اليوريا وتقلل حامض اليوريك . وغيرها من المياه الحديدية يزيد افراز الصفراء ولا يزيد المواد الجامدة فيها . وهلمَّ جرًّا من الادلة القاطعة على ان المياه المعدنية تؤثر في الجسم تأثيراً حقيقيًّا

ثم ان طرق الاستحمام تفيد لذاتها ولو لم تكن الفائدة من نوع الماء . وتقسم الحمَّامات من هذا القبيل الى اربعة اقسام حمامات حارَّة وحمامات حارَّة كيماوية وحمامات حارَّة ميكانيكية وحمامات حارَّة كهربائية . فالاولى اي الحمامات الحارَّة فقط يتوقف فعلها على درجة حرارة الماء وتستعمل فيها المياه الحارَّة والباردة والحمام التركي والروسي وحمام الهواء السخن وما اشبه . والثانية اي الحمامات الحارَّة الكيماوية يتوقف فعلها على درجة الحرارة وعلى المواد الكيماوية الذائبة في الماء سواء كانت ملحية او قلوية او حديدية . والثالثة اي الحمامات الحارَّة الميكانيكية يتوقف فعلها على حرارة

الماء وعلى فعله الميكانيكي في صبهِ ورشهِ وعلى الدلك وقت استعمالهِ. والرابعة اي الحمامات الحارَّة الكهربائية يتوقف فعلها على المجاري الكهربائية التي تجري في الماء وقت الاستحمام سواء كانت متصلة او منقطعة

ولكل من هذه الحمامات فعل خاصٌّ بهِ ولاسيما اذا استُعمل بالحكمة وروعيت في استعمالهِ بعض القواعد . فان الاستحمام ولو بالماء القَرَاح يؤثر في الجسم ووظائف اعضائهِ المختلفة فاذا اضيفت اليهِ مواد اخرى واختلفت حرارتهُ عن حرارة الجسم كان تأثيرهُ فيهِ اشد وتنوَّعت درجات هذا التأثير بتنوع المياه وطرق استعمالها

واشد تأثير الحمامات في الدورة الدموية فان القلب يدفع الدم وما فيهِ من الغذاء المستخلص من القناة الهضمية الى الاوعية الدموية اي الشرايين والاوعية الشعرية والاوردة فيمرُّ بها في كل اجزاء الجسم يعطيها الغذاء الذي تحتاج اليهِ ويأخذ منها الفضول وذلك بتبادل السوائل من جدران الاوعية الشعرية بين الجسم والدم ثم يعود بهذه الفضول لتفرز من الجسم . فكل ما يغير مقدار الدم والقوة التي يدفع بها في ضربة من ضربات القلب ويغير سعة الاوعية الدموية يغير قوة الدورة اي ضغط الدم اللازم لفعلهِ في تغذية الجسم وتطهيرهِ من الفضول . والحاكم في هذه التغيرات كلها مجموع عصبي خاص يحفظ موازنتها فاذا اوسعت الاوعية الدموية عضواً من الاعضاء ضيَّق هذا المجموع العصبي اوعية تقابلها في مكان آخر لحفظ الموازنة والاَّ تغيرت موازنة الجسم . وعلى هذا المجموع العصبي يتوقف حفظ الصحة بنوع خاص لانهُ يبقي الدورة الدموية في حالة الانتظام مهما تغيرت احوال الجسم الخارجية والداخلية باختلاف الحر والبرد والخفة والضغط والفراغ والامتلاء واختلاف اوضاع الجسم وما اشبه

وقد استنبطت آلة يعرف بها ضغط الدم في الجسم ويرى بها ما يطرأ عليهِ من التغير ساعة بعد ساعة فتعلم بها احوال الدورة الدموية ومقدار التغذية . فاتضح بهذه الآلة ان الحمامات المختلفة تؤثر في ضغط الدم فبعضها يزيد الضغط وبعضها يقللهُ وهذا الفعل وقتي ولكنهُ اذا تكرَّر يوماً بعد آخر تراكم تأثيره بعضهُ فوق بعض فيمكن استخدام الاستحمام طبيعيًّا للتحكم في ضغط الدم وتعديل الدورة الدموية واعادة ليونة الاوعية الدموية الى حالتها الطبيعية وتنويع تغذية الاعضاء . مثال ذلك ان الحمامات الحارة على انواعها تقلل ضغط الدم والباردة تزيد ضغطهُ . والمواد التي في المياه الملحية والكبريتية تقلل الضغط ايضاً . وصب الماء على الجلد بشدة يزيد ضغط الدم . ودلك الاعضاء يقلل

الضغط بشرط ان لا يدلك البطن دلكاً شديداً لان دلكهُ الشديد يزيد الضغط اذ يطرد الدم من أوعية البطن الى الدورة العامة

ثم ان الذهاب الى الحمامات المعدنية يفيد بتغيير الهواء والراحة والتخلّص من عناء الاشغال وهموم البيت وبترتيب المعيشة والاقتصار على الطعام البسيط والقيام باكراً ونحو ذلك مما يأول كلهُ الى تحسين الصحة حتى لقد يظن البعض ان الفائدة الحقيقية تحصل من هذه الامور لا من الاستحمام نفسهِ . والفائدة حاصلة مهما كان سببها

تنظيف البرانيط

تنظّف برانيط القش بالحامض الشتريك (الليمونيك) او الطرطريك او الاكساليك اذا اذيب في الماء ومسحت البرنيطة بهِ وفركت جيداً . وذلك بان تبلَّ فرشاة بالماء الفاتر الذي اذيب فيه قليل من الصابون وتفرك البرنيطة بها ثم تغسل بماء نقي وتقتصر بوضع قليل من الحامض في اناء نظيف ويصب عليهِ ماءٌ غالٍ يكفي لغمر البرنيطة وتوضع البرنيطة في هذا الماء خمس دقائق وتنشف في الشمس . او يحرق الكبريت في اناء وتوضع مع الاناء في صندوق ويقفل وتترك معهُ بضع ساعات فتقصر ولكن اذا قصرت بالكبريت لا يلبث لونها الابيض ان يزول وتصفر ثانية

لعب الاولاد

اللعب لازم للاولاد لتسليتهم وتقوية ابدانهم . وقد تقوي الالعاب عقولهم كما تقوي ابدانهم فيباح لهم الوثب والركض والصراخ وكل ما يقوي اعضاء الجسم الظاهرة والباطنة كما يباح لهم ان يلعبوا الالعاب التي تمرّن قواهم العقلية وتروضها وتدربهم على تحكيم الحركات كالرماية واللعب بالكعاب والاكر والدوامات . ولكن قد لا يقتصر والدوهم واقاربهم على اعطائهم هذه اللعب بل يعطونهم لعباً اخرى تقلق السكان بصوتها كالطبول والزمور وما اشبه ويسرُّ الولد بها لانهُ يسر بكل ما صوتهُ جهوري ولكنهُ لا يستفيد منها غير اعتياد الاصوات المزعجة واحتقار راحة الناس فحذار من اعطاء الولد لعبةً تندم بعد قليل على اعطائهِ اياها . ومن هذا القبيل ما قد يأول الى جَرْح يديهِ وحرْق ثيابهِ كالسكاكين والالعاب النارية . اما الالعاب التي تقتضي حركة كثيرة فكلها مسلٍّ وكلها نافع



ابن سعود : شعبهُ وبلادهُ

لامين الريحاني

IBN SA'OUD OF ARABIA
His People and His Land
By Ameen Rihani Published by Constable London 21/-

تختلف اساليب الكتّاب في الكتابة عن الرحلات ومشاهد البلدان . فمنهم من يصف كل دقيقة يمرُّ بها ويدوّن كل شعور يختلج في صدرهِ فتأتي كتابتهُ وصفاً مسهباً — وفي كثير من الاحيان مملاً — لكل خطوة يخطوها ولكل مشهد يراهُ . ومنهم من يدوّن الملاحظات والحقائق والوان الشعور ثم يجمعها ويبوبها تحت مباحثها المختلفة ويكتب كل مبحث منها مستقلاً عن غيرهِ . ويختلف هذا الاسلوب عن الاسلوب السابق في ان القارئ يرى الامور بكلياتها ويقف على النتائج التي وصل اليها الكاتب او الرحالة بدلاً من ان يرافقهُ في مشاهدة الامور الجزئية فيحار بين تضارب الآراء واختلاف النزعات التي تنبعث في النفس لدى النظرة الاولى . ويتراءى لنا ان الاستاذ امين ريحاني قد جرى على الاسلوب الثاني وخيراً فعل . فان القارئ يفتح الكتاب ليطالعهُ وهو متوجس من قراءة مجلد ضخم في ٣٧٠ صفحة عن رحلة في بلاد العرب ولكنهُ اذا اتسع لهُ الوقت لم يتركهُ حتى يأتي عليهِ. ذلك ان كتابة الاستاذ الريحاني تأخذ بمجامع القلوب. فانهُ وصف رحلتهُ من العراق الى البحرين الى العقير الى النفود ثم الى العقير حيث حضر مؤتمراً سياسيًّا بين ابن سعود ومعتمد بريطانيا في العراق فالحسا فالرياض عبر الصحراء حيث نزل في قصر الملك ضيفاً عليهِ ومن الرياض الى وادي حنيفة فالوشم فالقصيم فالدهناء فالحفر ومقابلتهُ للملك ابن سعود ووصف عاصمتهِ الرياض ومذهب الاخوان ومجالسهم وعاداتهم ولعبهم وغزوهم — وصف كل ذلك وصف عالمٍ مطلع على تواريخ الامم وآدابهم وسياساتهم صافي الذهن صريح القول رشيق المعاني فكه الحديث جامع بين عقل الفيلسوف وقريحة الشاعر وظرف الاديب وذلك باسلوب انكليزي بليغ شهد لهُ

بهِ نقاد الافرنج فيما كتبوهُ عن هذا الكتاب في صحفهم ولا غرو فللريحاني في الادب الانكليزي آيات بدأت بكتاب خالد ورباعيات ابي العلاء ولا تنتهي بكتاب «ابن سعود»

فبينا هو يتحدث اليك في القواعد السياسية التي يجري عليها ابن سعود في معاملة الانكليز والقبائل العربية المجاورة لحدود بلادهِ تراهُ ينتقل بك الى وصف البادية وصفاً شعريًّا تشعر معهُ انك رفيق الريحاني تشاطرهُ شعورهُ حين يكون «الليل صافي الجبين رقيق الجلباب شأنهُ في البادية ، تدنو النجوم في سمائهِ من الارض بريقاً وتسمع فيهِ الاصوات كأنها على طول المسافات الابواق في الغابات لها دوي لطيف ينجد ويغور وصدى يتاوج كالنور» . وبينا هو يصف لك ما عراهُ من آلام الحمى في احدى غرف القصر بالرياض اذا بهِ يسرد لك نادرة لطيفة جرت لهُ وهو ينتفض من قشعريرة البرداء حينما حاول احد رجال القصر ان «يكوي» قمصاناً من الصوف للملك فلم يفلح لانهُ لم يضع في المكواة فحماً ولا رشَّ الماء على القمصان . وبينا هو يصف لك مصاعب الرحلة في البادية يحدثك عن الواحات التي يمرُّ بها وعادات اهلها وما يستطاع عملهُ لزيادة انتاجها . وفي فصل يصور لك صورة للملك وابنائهِ والمقربين اليهِ يلعبون ويتنزهون وفي فصل يليهِ يثبت لك قواعد الوهابية وتاريخها ثم يأتيك بخبر اعظم اصلاح اجتماعي قام بهِ رجل في الجزيرة بعد النبي — راجع مقتطف اغسطس سنة ١٩٢٧ مقالة البدو والهجرة — يقوم على ثلاث قواعد : الاولى اخضاع البدو . الثانية حملهم على اعتناق مذهب الاخوان . الثالثة تقييدهم بالارض بعد تعليمهم الزراعة وجني خيراتها

اذا لم يكن لابن سعود مأثرة غير هذا الاصلاح فكفى بهِ اثراً خالداً . ولكن الملك ذو شخصية ممتازة ترتفع فوق شخصيات الرجال الذين يحيطون بهِ ارتفاع هامتهِ فوق هامهم وتفوق قوتهِ البدنية على قوتهم وقد دعاهُ احد كتاب الافرنج بكرمول الوهابيين

ولا ريب في ان امين الريحاني قد نجح نجاحاً باهراً في ان يكون رسولاً بين الشرق والغرب . فقد تهيأ لهُ من اسباب النجاح في رحلتهِ هذه ما لا يتهيأ لغيرهِ من الرحالين الغربيين. فهو شرقي عربي يدرك مكامن النفس الشرقية ومفاتن التعبير العربي. وقد مهدت لهُ صداقة الملك كل سبيل للاطلاع على احوال الوهابيين «من الداخل» ولكن هذه الصداقة لم تعمهِ عن مواطن الانتقاد حيث رأى في الانتقاد اشارة الى ضعف او حثًّا على اصلاح . لذلك رأينا كثيراً من الصحف الانكليزية ترحب بهذا الكتاب ابلغ الترحيب وتعقد في وصفهِ الفصول الطوال وتثبت من صورهِ طائفة كبيرة وتثني

على صاحبهِ لما وفق اليهِ من بسط مسائل نجد واحوالها باسلوب انيق يجمع بين بلاغة الشاعر وظرف الاديب . فعسى ان ينال هذا الكتاب من اقبال الشرقيين بعض ما نالهُ من اقبال الغربيين . فهو كتاب نفيس يضاف الى كتب الرحلات النفيسة التي كتبت عن بلاد العرب امثال كتب دوطي ولورنس وفلبي وغيرهم من المستشرقين

التربية الوطنية

جامعة ادب وعلم ولغة

« التربية الوطنية » كتاب وضعه الاستاذ المدقق الشيخ عبد العزيز البشري سكرتير وزير المعارف البرلماني . وحسبك بواضعه البشري لتدرك انهُ اثر خالد من آثار المعاني ونموذج طريف من اساليب البيان ومن لم يقرأ البشري ناثراً ما قضى حاجة النفس في اجتلاء حرفة الادب واجتناء ثمرة البلاغة

البشري علم من اعلام اللغة . مثلت آياته في القلوب. فكانت عين المعاني. والبيان انسان عينها . تفردت لغته بمناهجها . وتماسكت معانيه بموالجها ومخارجها. فكان له من الاسلوب امتنه ومن التركيب اصدقه. ومن الادب الكامل اوفره. ومن الرأي الرشيد اغزره . فجاء كتاب « التربية الوطنية » ناطقاً بالعقل حافلاً بالحكمة والفضل . يشهد للبشري بانه ابلغ واجاد واحسن وافاد

هو كتاب في اسمه دليل على مرماه. سلس العبارة. لا تعقيد فيها ولا تنافر. سهل المنال قريب الى الافهام. جمع شتات المعلومات عن تاريخ ووطن وامة ودستور وحكومة وقضاء وحرية وحقوق وواجبات وسلطة تشريعية وتنفيذية. الى غير ذلك من مقومات الاخلاق وموسعات المدارك . وابهج ما فيه اتساق الالفاظ وتوارد العبارات واختيار ما يطابق الحال ويقتضيه المقام. فتهيأت اسباب المعاني متوافرة موادها متسعاً نطاقها الى الغرض الاسمى يسوقه البشري اذ يقول :

«وبعد فهذا الباب «التربية الوطنية» فن لا يكسر موضوعه على مبحث خاص ولا تقصر مسائله على علم معين وانما هو الوان من القول تتصل بقواعد الدستور مرة . وبقوانين البلاد مرة . كما تتصل بنظام الادارة والقضاء في مصر . وبالقانون الدولي وبالتاريخ وما تغيَّر على مصر من الاحداث السياسية وما تتطلع اليه من الاماني القومية. وهذه المسائل وان تعددت وتلونت في اغراضها فهي انما تنتهي الى غاية واحدة هي

تخريج شباب عارفين بحقوقهم قادرين لواجباتهم عالمين بصور الحياة العامة في بلادهم شاعرين عام الشعور بانهم ابناء وطن لا عز لهم الا بعزه ولا حياة لهم الا بحياته ».

اذن انت ترى في التربية الوطنية جامعة صغيرة لدروس الوطن ومجموعة وافية من شؤون الوطن وتاريخه ومرافقه . جديرة بان تشغل من القلوب سويداءها وان تحل في صميمها . فهي وليدة العلم والتجارب وثمرة الادب والاختبار . تبعث في نفوس النشء حب الوطن . وتجعل الاقدام دأبهم . ومضاء العزيمة ديدنهم . والمعارف سبيلهم والعلم دليلهم . والعقل هاديهم . والحكمة رقيبهم . والحرية مطمحهم . والواجبات غرضهم . والكمال في الوطن غايتهم . وعز الوطن وحياتهُ شعورهم ومشاعرهم

اقرأ البشري منطلقاً في اسداء النصيحة . ناشراً لواء المنطق الصحيح . رافعاً علم المبدإ الصادق في قوله :

« وليس أعود بالشر والاذى على الفرد والمجموع معاً من ان يجهل الناس حقوقهم وواجباتهم فانهم اذا جهلوا حقوقهم قصروا في استقضائها واستهدفوا لالوان البغي تقع عليهم تعصف بحرياتهم . واذا جهلوا واجباتهم تجاوزوا حدودهم واطلقوا أيديهم بالعدوان والاذى فاختل النظام واستهدفت البلاد للفوضى وليس وراءها الا الخراب والدمار »

بل اقرأ « محاورة بين الاستاذ وتلميذه عن الاسرة والامة والوطن والوطنية » يعد بك صحيح الفهم الى معرفة صحة المرامي . تجلى وصفها بالالفاظ وتجمل وقعها بالمعاني فجاء الحوار كتغريد الطير فوق الافنان بفنون الالحان وحب الاسرة ومجد الاوطان يتلقاها التلميذ بوجه وسيم وثغر بسيم . ويلقيها الاستاذ بنثر نضير ودقة تفكير وجمال تصور . تغري التلميذ في الاستزادة من « التربية الوطنية » بحيث ينوّر الامل في نفسه ويثمر العمل في صدره

واذا رغبت في اجتلاء البحث الصادق وما اجتمع اليه من حسن التعبير الرائق وجمال المعنى مبنيًّا على اسس التربية في الاخلاق . فاقرأ « وحدة الاماني » حيث يقول :

« وكما ان لك امنية في الحياة هي ان تتقدم في طلب العلم حتى تنال اعلى الشهادات ثم تكون رجلاً عظيماً . وكما ان لاسرتك امنية هي ان تعيش سعيدة موفورة الرزق والكرامة . فاعلم كذلك ان لهذا الجسم الواحد « الامة » المكون من الاسر المختلفة اماني في الحياة وامالاً تجمع اسره وترتبط افراده لان في تحققها هناء الجميع وعزهم وليست الاماني القومية في كل الامم واحدة فان امنية كل امة تتبع حوادثها وظروفها

وحاجاتها فمن الامم من تكون امنيتها مادية محضة كالتفوق على سائر امم العالم في التجارة والصناعة . ومنها من تكون امنيتها قومية ترمي الى جمع شملها وتمتعها بحريتها واستقلالها »

وما ابلغ قول البشري في وصف الحرية ينظم فيها فرائد العقود . وينثر فيها فرائض الحقوق والواجبات . فيضع للحرية حداً . ولا تحد الحرية الا بالمنطق والمعقول . ثم يحدد تلك الحرية مع حفظ رفعتها وصون كرامتها فتظهر للشخص ومعنى وتلمسها شعوراً ومبنى في براعة عبارة وعبارة بارعة . تجلو امامك المبهم فتظفر بالحرية الصحيحة اذ يقول :

« ومعنى هذه الحرية التي تكفلها الدساتير ان يكون للانسان الحق في ان يقول ما يشاء ويفعل ما يشاء بشرط ان لا يخل بالواجب المفروض عليهِ ولا يسيء الى غيره من الناس . اما الحرية المطلقة التي لا تقف عند حد والتي تبيح للانسان ان يقول ما يشاء وان يفعل ما يريد ولو اخلَّ بالواجب المفروض عليهِ او اساء الى غيره من الناس فهذه لا تتصور الا في اشد حالات الفوضى وقد عرفت انها مدعاة الهلاك والدمار »

اما حديثهُ عن « التعليم » فيستقر في النفس والقلوب مستمداً من الحق نوره ومن الصدق ظهوره ومن الحض على التعليم اطيبهُ وابرعهُ ومن الحث للاقبال عليهِ اوقعهُ وارفعهُ تحقيقاً للغاية القصوى وامحاء للامية الفاشية . واستباقاً الى مناهل العلم ومجاراة الامم الراقية وبذلك يسمو بالامة فضلها ويعظم بالعلم شأنها

وما ابلغ قول البشري في « ان التعليم واجب وطني » :

« ذلك يا بني انهُ ليس اضر بالامة ولا ادعى الى تأخرها في جميع مرافق الحياة من انتشار الجهل بين ابنائها . وهيهات لجاهل ان يهتدي الى الطريق المستقيم . واذا علمت ان بلادنا المصرية التي يزيد اهلها على ١٣ مليوناً ليس فيها ملماً بالقراءة والكتابة الا حوالي ٨٧٠ الفاً اي بنسبة ٨ في المئة وان بين البلاد الغربية من زالت الامية عنها تماماً ومن بلغت نسبة المتعلمين ٩٠ في المئة . علمت مبلغ العناية التي يجب ان نبذلها لمكافحة الامية ونشر التعليم في البلاد . لهذا اوجب الدستور جعل التعليم الاولي الزامياً للمصريين من بنين وبنات بحيث لا يمضي كثير من السنين حتى تكون الامية قد زالت من البلاد »

وفي التربية الوطنية غير ما تقدم بيانات ضافية ومعلومات دقيقة عن السلطات المحلية وفصول وافية عن الحكومة ووزاراتها ومصالحها واختصاص كل منها . وحسب المطالع ان يتصفحها ليلمَّ بها الماماً كافياً يسهل لهُ الوصول الى معرفة الدوائر وما عليها وما لها .

والكتاب على هذا المنوال من قوة تفكير ودقة تصوير ومتانة تعبير نأت بهِ عن مواطن الخلل فظهر سهل المأخذ قريب المورد يمتاز بجلاء معانيهِ وسلامة الفاظهِ كما رأيت في ما اثبتناهُ شاهداً على حسن الذوق وغزارة المادة وفصاحة التركيب

والبشري في غنىً عن التقريظ وكتاب «التربية الوطنية» غني عن الدعاية والتحبيذ وانما هو واجب علينا نؤديهِ وهو حق لهُ نوفيه وكفاهُ ان يشملهُ جلالة المليك بعنايتهِ وعطفهِ وان يولي «الكتاب من الرعاية السامية ما ينقطع دونهُ جهد الشكر»

هذه كلمة نزيهة في كتاب البشري كنا نود ان نتبعها باخواتها فتكون وافية لهذا السفر القيم لولا ضيق المقام وقصر الوقت فاكتفينا بها صادرة عن شعور واعجاب ومرسلة عن وفاء واحترام الاسكندرية توفيق طنوس

مطبوعات مكتبة المنار

اهدت الينا مكتبة المنار المشهورة طائفة من الكتب التي طبعتها اخيراً ومنها كتاب «الوحدة الاسلامية والاخوة الدينية» وهو يشتمل على مباحث اصلاحية بين عالم مصلح ومقلد جامد في شؤون علمية ودينية واجتماعية متفرقة وثمنهُ ٥ قروش . وكتاب «ترجمة القرآن وما فيها من المفاسد ومنافاة الاسلام» وثمنهُ ٣ قروش والكتابان تأليف العالم الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء . وكتاب الصحة تأليف الزعيم الهندي الكبير مهاتما غاندي وترجمة الاستاذ الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي وهو يشتمل على قسمين بحث في القسم الاول في حقيقة الصحة والمحافظة عليها وتركيب جسم الانسان والهواء وضرورته للصحة والماء ونظافتهِ والغذاء وشروطهِ ومضار الخمر والافيون والدخان والشاي والقهوة والكاكاو والبقول والبهارات واضرارها وكم مرة يجب ان تأكل والرياضة واللباس والزواج واضرار الشهوات ومنافع العزوبة والباب الثاني في علاج الامراض بالهواء النقي وبالماء والبخار وبالتراب وعلاج سائر الامراض المعدية بوصفات وصفها غاندي وتربية الطفل واسعافات الطوارئ الفجائية وخاتمة في وجوب استخدام الجسد وقواهُ للخير وعبادة الله وثمن الكتاب ٥ قروش. ورسالة «الواردات في نظريات المتكلمين والصوفية في الفلسفة الالهية» ويليها العقيدة المحمدية وهي تأليف الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وثمنها ٢٠ مليماً والكتب كلها تطلب من مكتبة المنار بشارع زين العابدين بمصر

مطبوعات اخرى

﴿ الدين والتعصب ﴾ بقلم اسعد افندي الغريب صاحب مجلة الشمس اللبنانية اشار في مقدمته الى الغاية من وضعهِ بقوله : « اننا بهذا الكتاب لا نعارض الدين ولا نعاكسهُ بل ندعو الناس الى التمسك بجوهره والعمل بشرائعه ليصير المسيحي مسيحيًّا بالفعل والمسلم مسلماً بالفعل . ومتى صار هذان المتدينان يعرفان حقيقة المسيح ومحمد يصيران فعلاً اخوين متحدين تربطهما روح واحدة صافية شريفة مشتقة من مصدرين وان اختلفا اسماً فقد اشتركا واتفقا غاية وجوهراً ومعنى » . وهي غاية سامية شريفة ولكن السبيل الى تحقيقها وعر . فانهُ قد مضى على نشر مذهب داروين ٦٩ سنة ولكن ثارت ثورة رجال الكنيسة في السنة الماضية لما القى السر ارثر كيث خطابه النفيس الذي ترجمناهُ في المقتطف وعنوانهُ « مذهب داروين في الميزان » رغماً عن انتشار التعليم والتهذيب بين طبقات الشعب الانكليزي . ولكن نشر الكتب وكتابة المقالات في تقريب حقائق العلم الاساسية افضل وسيلة لنبذ هذا التعصب وحث الناس على التمسك باصول الدين القويم . فعسى ان يكون هذا الكتاب خطوة الى الامام على هذا الطريق الوعر

﴿ ذكرى كليفلند ضودج ﴾ المستر كليفلند ضودج من اشهر المحسنين الاميركيين لهُ أياد بيضاء على ترقية التعليم بما وهبهُ من الهبات المالية الكبيرة الى كلية روبرت بالاستانة وجامعة بيروت الاميركية وغيرها من معاهد التعليم في الشرق الادنى . وهو والد الدكتور بيارد ضودج رئيس جامعة بيروت الاميركية الحالي . وهذه الرسالة تحتوي على سيرتهِ ورسائل التعزية فيهِ ومقالات التأبين التي كتبت في صحف سورية او تليت في حفلة التأبين التي اقيمت لهُ في بيروت . وقد اجاد الاستاذ امين تقي الدين في قولهِ

ان عرشاً ابقى على الدهر، عرش شادهُ محسن على صدقاته
خازن المال مشرك عبد الله وصلى للمالِ في خلواته

***

وعظ الاغنياء حيًّا وامسى عظة للدهور بعد مماته

﴿ كتاب التماس الاحكام المدنية النهائية ﴾ علماً وعملاً بالمحاكم الفرنسية المختلطة الاهلية تأليف الاستاذ احمد منيب محامٍ بالمحاكم المختلطة ومحكمتي الاستئناف الاهلية والشرعية . طبع بمطبعة الترقي بشارع الساحة بمصر وثمن النسخة ٦٠ غرشاً مصرياً

﴿ الاسرة العلوية في مصر ﴾ طائفة من الشعر مرفوعة الى حضرة صاحب الجلالة فؤاد الاول ملك مصر المعظم من نظم الاستاذ يوسف الحاج طُبعت بمطبعة المقتطف والمقطم

﴿ الكتاب السنوي ﴾ للجمعية العلمية بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة يحتوي على مباحث زراعية عملية ونظرية وتاريخية مثل « الكائنات الحية في التربة وآثارها في نمو النبات » و« نصيب السودان في انتاج قطن الامبراطورية » و« حاجة مصر الى البساتين ووجوب تعميمها » وغيرها من المباحث المفيدة

﴿ جلال خالد ﴾ قصة عراقية وضعها احمد افندي السيد المدرس على نمط مذكرات او حديث وطبعت بمطبعة دار السلام ببغداد

﴿ النهج الصوتي ﴾ كتاب مصوَّر وضعهُ الشيخ محمد كامل الحمالي واندليكاتو بلداسري تحت مراقبة الاستاذ اميليو ميرانتي والغاية منهُ بسط طريقة جديدة سهلة المأخذ لتعليم مبادىء اللغة العربية وقد طبع بمطبعة مكتب الفنون والصنائع بطرابلس الغرب وثمنهُ ٨ ليرات ايطالية

﴿ مهاتما غاندي ﴾ سيرة زعيم النهضة الهندية الحديثة بقلم عَلَمٍ من اكبر اعلام الادب الاوربي — رومان رولان الفرنسي — الذي نال جائزة نوبل للآداب سنة ١٩١٥ نقلهُ الى العربية عمر افندي فاخوري واهدتهُ مجلة الكشاف البيروتية الى مشتركيها بعد ما طبعتهُ بمطبعة طبارة ببيروت. ويطلب منها صفحاتهُ ١٥٧ صفحة بقطع المقتطف

بيان

لم يتسع نطاق هذا الجزء لمعالجة بعض المؤلفات النفيسة التي ظهرت حديثاً ككتاب « العقل الباطن » تأليف الاستاذ سلامه موسى وكتاب « تطور الفكر العربي » لمؤلفهِ اسماعيل مظهر بك صاحب مجلة العصور. وكتاب « السفور والحجاب » للآنسة نظيره زين الدين . وكتاب « المدرسة والاجتماع » للاستاذ ديوى ترجمة الاستاذ متري قندلفت وديوان « القفص المهجور » نظم يوسف افندي غصوب وغيرها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم تدرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) وزن الدماغ

البرازيل. كيف يوزن الدماغ وبماذا يوزن

ج. يوزن بميزان دقيق كما توزن المواد التي يراد معرفة وزنها علميًّا . ولا خلاف في ذلك ولكن الخلاف في ما يوزن مع الدماغ حين وزنه . فبعض العلماء يزنهُ كما هو مع الاغشية التي تحيط بهِ وبعضهم يجرده منها . وبعضهم يقطعهُ ويتركه حتى يرشح منهُ الدم والمصل ثم يضعهُ في الميزان فيخسر من وزنه نحو اوقية او اوقيتين كذلك

(٢) الخط الهندسي

بغداد. يقال في كتب الهندسة ان النقطة الهندسية لا طول لها ولا عرض ولا عمق. وان الخط الهندسي مؤلف من نقط هندسية لا طول لها فكيف يحصل الطول من مجموع نقط لا طول لها

ج . هذه مسألة فلسفية كثر الجدال فيها بين الفلاسفة . ويحلها علماء الهندسة حلاً لفظياً بقولهم ان الخط الهندسي حاصل من حركة النقطة الهندسية في الفضاء وطوله هو البعد الذي مرت النقطة بين طرفيهِ

(٣) تولد الحي من غير الحي

ومنهُ . ذكرتم اكثر من مرة في المقتطف ما أثبتهُ العلم والعلماء من ان الحيَّ لا يولد من غير الحي . فمَ تتولد المخلوقات الدنيا كالقمل والبراغيث والديدان وما اشبه

ج . تتولد من بيوض حشرات مثلها. وهذه ولدت من بيوض حشرات مثلها ايضاً وهلمَّ جرًّا . لان الحي لا يولد الا من حي آخر مثله . وقد تقولون الى اين نمتد في هذا التسلسل والجواب عن ذلك عند علماء الحياة ان انواع المخلوقات تتغير قليلاً باختلاف الاحوال فيتولد من النوع الواحد انواع كثيرة على تمادي القرون وعلى هذا الاسلوب تولدت انواع الحيوان والنبات من اصول قليلة العدد او من اصل

واحد . وهذا الاصل الاول او الاصول الاولى تولدت فيها الحياة اولاً من تفاعل القوى الطبيعية . وهذا بحث طويل نشير عليكم بان تتريثوا قليلاً في متابعته حتى تصدر هدية المقتطف السنوية وفيها فصل وافر لعالم من اكبر علماء الانكليز موضوعهُ « الحياة : اصلها ومنشأها وحفظها »

(٤) فائدة الرحلات الشاقة

انديانابوليس . اذا كانت الصحراء ارضاً رملية غير مأهولة فلماذا يجهد الجغرافيون واصحاب الرحلات انفسهم في جوبها وتجشم المشاق في اختراقها كبعض رجال الرحلات الذين طالعنا اخبارهم في كتاب « الروّاد » فان بعضهم بقي اياماً في صحراء لا يجد في خلالها كسرة خبز ولا جرعة ماء

ج . ان حبّ اكتشاف الغرائب واقتحام المخاطر فطرة في بعض الناس فلا يحلو لهم عيش الاّ باختراق الآفاق وتجشم المشاق . ولا تخلو رحلاتهم من فوائد جمة علمية وتجارية . فقد يكتشفون حقائق كثيرة في علم النبات والحيوان واحداث الجو مجهولة عن العلماء وقد يجدون مناهل وطرقاً للقوافل او سكك الحديد لم تكن معروفة وبمثل ذلك تتقدم الشعوب وترتقي

(٥) مخترع طاولة الزهر

غرزوز لبنان . من هو مخترع طاولة الزهر (النرد) ولاي سبب اخترعت وهل كان مخترعها مالكاً لقواه العقلية

ج. تاريخ هذه اللعبة غير واضح الاصل فقد جاء في الانسكلوبيذيا البريطانية انها لعبة تتوقف على رمي « الزهر » . وان المؤرخ سترت Strutt قال انها استنبطت في القرن العاشر ولا يزيد . وتدعى بالانكليزية « باك جمُنْ » واصل الكلمة لفظتان سكسونيتان الاولى « بايك » ومعناها رجوع والثانية «جامن» اي لعبة والمقصود بهما « ارجاع اللاعب » على ما هو مشهور في لعبة النرد. ولعلها لم تستنبط كاملة كما تلعب الآن فاشتغل كثيرون في وضع قوانينها واتقان العابها ولذلك لا نرى سبيلاً نحصل بهِ على جواب للشق الاخير من سؤالكم

(٦) ذكاء الصم والعميان

تلمسان. الاذكياء من العميان كثيرون ولا نكاد نجد بين الصم اذكياء فهل حاسة السمع اعلق بالادراك من حاسة البصر؟

ج . الصمّ في الغالب خرسٌ ايضاً . وهؤلاء يصعب تعليمهم اذ لا شيء يجدي في تعليمهم غير الاشارات . وهذه وسيلة ضعيفة الاثر بطيئة الفعل. اما العمي فيستطيعون ان يصغوا الى المحاضرات التي يلقيها

الاساتذة . وبعضهم يكون حادّ الذاكرة في الغالب فيحفظ ما يُلقى عليهِ . فاذا تفوق على المتوسط ظهر لمجرّد انهُ كفيف البصر . وهذا لا ينفي ان بعض كفيفي البصر يحسبون في مرتبة اكبر النوابغ كملتون والمعري

(٧) انكسار النور في الماء

ومنهُ . اذا غمست في الماء عصاً طولها ذراعان رأيتها كأن طولها ذراع واحدة . وكذلك سائر الاجسام تظهر صغيرة الحجم اذا غمرها الماء فما سبب ذلك. وهل تعللون صغر النجوم بانها تسبح في فلك يشبه الماء

ج . ضع غرشاً في فنجان من الخزف كفنجان الشاي وابعد عنهُ رويداً رويداً حتى لا تعود ترى الغرش بعينيك. ثم ادعُ من يصبُّ ماء في الفنجان فتعود ترى الغرش فيهِ كانهُ ارتفع عن قاع الفنجان مع انهُ لم يرتفع. انما كان النور المنعكس عنهُ لا يصل الى العين لانهُ في اناء غير شفاف . والعين منحرفة عند حافتهِ . ثم لما ملئ الفنجان ماء صار النور المنعكس عند سطح الغرش ينفذ الماء اولاً ثم الهواء وهما مختلفا الكثافة فتنكسر اشعتهُ وتنحرف فيصل بعضها الى العين فتراه . تقولون واية علاقة تجدون بين هذا التعليل وبين قصر العصا . فنقول ان هذا التعليل يبين لك ناموساً عاماً يجعلك ترى العصا الطويلة المستقيمة قصيرة معوجة اذا غمست في الماء . ذلك ان اشعة النور اذا وقعت مائلة على سطح جسم شفاف ككأس من الماء مثلاً انعكس عنهُ بعضها واخترقهُ البعض الآخر . ولكن شعاعة النور في اختراقها للجسم الشفاف لا تبقى سائرة في خط مستقيم بل تنحرف عن استقامتها وتصل الى العين كأنها آتية من مكان فوق المكان الذي اتت منهُ حقيقة فيرى الغرش وتظهر العصا منكسرة . وانكسار العصا يوهم انها اقصر من حقيقتها ليس الا

اما صغر النجوم فسببهُ بعدها . وقد اشار الى ذلك الشاعر العربي بقوله

والنجم تستصغر الابصار صورتهُ
والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

(٨) الغضب والاصفرار

ومنهُ . اذا غضب الانسان اصفرَّ وجههُ ونضب رونقهُ وجمالهُ فما سبب ذلك

ج . اوضح عمل يقوم بهِ الجهاز العصبي في ظواهر الحياة هو احداث حركات الجسم العمومية وتنظيمها — وهي الحركات التي تقوم بها العضلات الارادية اي التي تخضع لسلطة الارادة ونواهيها . ولهُ فعل اقلّ وضوحاً ولكنهُ ليس اقل شأناً وهو تنظيم انقباض العضلات غير الارادية ومن هذا القبيل انقباض عضلات الشرايين فيقلّ حجمها ويقل بذلك الدم الوارد اليها فتصفرّ

الاقسام التي تذهب اليها لقلة الدم الوارد، فاذا قلَّ انقباض تلك العضلات كبر حجم الشرايين وكثر الدم الذي توردهُ واحمرت الاعضاء التي يذهب اليها. وقد تحدث هذه التغيرات في الشرايين كما في القلب بفعل الانفعالات النفسية وغيرها من المؤثرات التي لا نشعر بها مطلقاً كالتي تحدث في اثناء النوم او في حالة التبنيج وهلم جرًّا

(٩) السرطان والوراثة

الاسكندرية . هل السرطان وراثي

ج. لقد ثبت من مباحث دقيقة جربت في الجرذان ان السرطان فيها وراثي . ولكن الباحثين مختلفون في هل هو وراثي في الناس او غير وراثي

(١٠) التثاؤب ودلالته

ومنهُ. أُصاب في بعض الاحيان بضيق في التنفس واحس أني اريد ان اتثاءب تثاؤباً مستمرًّا وفي بعض الاحيان لا اتمكن من اتمام التثاؤب لضيق التنفس المذكور فما هو سبب هذه الحالة وهل غيري يصاب بها

ج . التثاؤب في الواقع هو تنفس طويل اولهُ استنشاق طويل للهواء يتبعهُ زفير طويل وهو عمل لاسلطة للارادة عليهِ (غير ارادي) ويصحبهُ شعور بوجوب التمطي وصوت مسموع في بعض الاحيان. وهو في الغالب دليل على التعب وقد يكون اشارة الى اعياء عصبي او عقلي . ويصيب الحيوانات المقيمة في هواء اكسجينهُ قليل

وكان التثاؤب يحسب قبلاً عرَضاً من اعراض المرض ولكنهُ لا يحسب كذلك الآن الا في احوال نادرة

(١١) الشعوذة والاستهواء

زفتى . المشهور الآن ان السحر واستخدام الارواح باطلان . ولكنني شاهدت امرأة كانت تصاب بصرع شديد فتمزق ثيابها وتضرب ذاتها بعنف فعالجها كثيرون من الاطباء فلم يتمكنوا من شفائها واخيراً رآها أحد الدجالين وهي في هذه الحالة فاستخدم لها الارواح وامرها ان لا تعود اليها مرة أخرى فشفيت فما قولكم في ذلك

ج. يظهر من وصفكم ان المرأة كانت مصابة بالصرع الهستيري وهو كثيراً ما يشفى من نفسه . وقد كثرت الادلة الآن على انهُ يشفى بالاستهواء ايضاً اي باقناع المريض وهو في حالة النوبة ان المرض فارقهُ . والحوادث التي من هذا القبيل كثيرة مشهورة فلا يبعد ان يكون شفاء المرأة قد تم بالاستهواء

(١٢) برودة البطيخ في الشمس

ومنهُ . لماذا يبرد البطيخ اذا كسر ووضع في الشمس

ج . السبب في ذلك ان جانباً من الماء في البطيخ يتبخر فيمتص بعض الحرارة من البطيخة فتبرد



اوجه القمر في مايو

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	٤	١٠	١٢ مساء
الربع الاخير	١٢	١٠	٥٠ «
الهلال	١٩	٣	١٤ «
الربع الاول	٢٦	١١	١٢ صباحاً
الاوج	٥	٦	٣٠ «
الحضيض	١٩	٧	٣٦ «

السيارات في مايو

عطارد . لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب مساء في آخره

الزهرة . والمريخ والمشتري كواكب صباح

زحل . يشرق نحو الساعة التاسعة مساء

كسوف الشمس الكلي

تكسف الشمس في صباح يوم السبت ١٨ مايو سنة ١٩٢٨ كسوفاً كليًّا لا يشاهد من القاهرة

صورة الغلاف

يمثل غلاف هذا الشهر صورة تخيلية مبنية على حقائق تاريخية رسمها الاستاذ بورخارت لاهرام ابي صير وما يتصل بها من المعابد التي بناها ملوك الاسرة الخامسة حوالي سنة ٢٧٠٠ ق . م . حسب تقدير الاستاذ برستد

سعة الكون

يسير النور نحو ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية . ومثلهُ الامواج اللاسلكية . فيستغرقان نحو سبع ثانية في الدوران حول الارض ونحو مائة مليون سنة من سني النور في الدوران حول الكون . فاذا صغرت الارض حتى صار حجمها حجمَ الجوهر الفرد بلغ حجم الكون الذي يرى باقوى التلسكوبات على هذه النسبة حجم الارض وبلغ حجم الكون كلهِ على ما هو ممثل في مذهب النسبية الف مليون ارض منتشرة حولها في الفضاء

ولا يقل تعدد الاجرام السموية واختلافها عظمة وروعة عما تقدم : فالشمس

تفوق الارض مليون ضعف حجماً و٣٠٠ الف ضعف جرماً وهذا كافٍ ليدلّ على ان الارض ذرة رمل على شاطىء مترامي الاطراف . ومع ذلك فالشمس واحدة من اسرة اذا أُحصي اعضاؤها بلغت آلاف الملايين وقد حسب الاستاذ سيرز انها ثلاثين الف مليون . وهذه الاسرة النجمية ليست الاسرة الفريدة التي تملأ انحاء الفضاء . فكل سديم من السدم اللولبية المنتشرة في الفضاء خارج المجرة اما اسرة كاسرة الشموس التي في المجرة او يحتوي على شموس في دور التكون او هو مادة لا بدَّ ان يجيء عليها زمن تتحول فيهِ الى شموس

وكيف قدرنا جرم هذه السدم العظيمة وجدنا انها تحوي من المادة ما يكفي لتكوين الف مليون شمس وهذا يدلك على كبر جرمها . يضاف الى ذلك ان مادتها لطيفة جداً لانتشارها في الفضاء بحيث يبلغ حجم كل جزء من مليون جزء من الاوقية منها حجم جبل مثل جبل الماترهورن وعلوه نحو ١٥ الف قدم فنسبة كل من هذه السدم الى جبل الماترهورن نسبة الف مليون شمس كشمسنا الى جزء من مليون جزء من الاوقية . وبذلك تتضح لك صورة لسعة هذه السدم المنتشرة في الفضاء خارج المجرة

وقد قدر الاستاذ هبل ان نحو مليوني سديم من هذه السدم منتشرة في الفضاء الذي يمكن رؤيتهُ بتلسكوب مرصد جبل ولسن وان في الكون فضاء يفوق الفضاء الذي يرى بالتلسكوب الف مليون ضعف . فعدد السدم في الفضاء كلهِ اذاً يبلغ نحو الفي مليون مليون سديم . فاذا كان في كل سديم منها الف مليون نجم كان عدد النجوم التي في الفضاء المنظور وغير المنظور نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

ما اصغر ارضنا ازاء هذا الكون العظيم ! وما احقر امورنا ومنازعاتنا ازاء القوى التي تديره وتحركه !

متروبوليس : او مدينة المستقبل

عرضت احدى دور الصور المتحركة بالقاهرة في شهر مارس الماضي شريطاً المانيًّا عنوانهُ « متروبوليس او مدينة المستقبل » رمى فيهِ صانعهُ الى تصوير الحضارة الصناعية على ما تكون عليهِ في رأْيهِ في آخر هذا القرن . فاذا مباني هذه المدينة صروح ممردة تتضاءل امامها ناطحات السحاب . واذا طرق المواصلات بين مختلف المباني طيارات صغيرة تعجُّ بين ابراج المدينة كما تعجُّ شوارع المدن المزدحمة بالسيارات . واذا الشوارع كبار معلقة تصل بين طبقات المباني كما تصل الكباري الاميركية بين ضفاف الانهر . واذا المدينة الصناعية كلها بعمالها وآلاتها

ملك رجل واحد يديرها كما يشاء ولا يحتاج في ذلك الى اكثر من ضغط على ازرار كهربائية في الغالب . واذا العمال اجزاء من الآلات او هم واجزاء الآلات في مستوى واحد . واذا ابناء الاغنياء من اصحاب المعامل ومديريها وبناتهم يلهون ويعبثون بالحياة في حدائق معلقة تزري بحدائق بابل لولا هذه المسحة الصناعية التي تبدو في كل مشاهدها . واذا المدينة كلها آلة كبيرة اجزاؤها هذه المباني والطيارات والماكينات والشوارع والمديرون والعمال يشملها نظام ميكانيكي كأنهُ نظام الافلاك في دورانها دقة وصرامة

هذه هي اهم العناصر التي تتألف منها الرواية وهي تدور على مسألة النزاع بين العمال والمتمول صاحب العمل وامكان التوفيق بين الفريقين . وسواء اتفقنا مع المؤلف على صحة الصورة التي رسمها للحضارة الصناعية في آخر القرن العشرين اوخالفناهُ فلا ريب في اننا نوافقهُ على ان العلم آخذ في الارتقاء ارتقاء سريعاً يتعذر معهُ التكهن عا يأتي بهِ الغد . وقد لا يكون بعيداً عن الاحتمال تحقيق ما جاء في هذه الصورة من الوجهة العلمية اذا لم يتحقق كل ما جاء فيها من الوجهة الاجتماعية

وقد اطلعنا مؤخراً على كتاب نفيس للكاتب الانكليزي الشهير السر فيليب جبس عنوانهُ «ما بعد غدٍ» نظر فيهِ الى مستقبل العمران نظرات يؤيدها العلم ويجنحها الخيال ثم رسم صورة للحضارة في المستقبل القريب اذا ظلَّ العلم يرتقي كما ارتقى في النصف الاخير من القرن التاسع عشر وما مرَّ من القرن العشرين . وسننشر في اجزاء المقتطف التالية مقتطفات من فصول هذا الكتاب العلمية لما تحويهِ من الفائدة والفكاهة

آثار دندره ببلاد اليونان

بعث المستر وايس رسالة الى جريدة التيمس وصف فيها مكتشفات الاستاذ برسن الاسوجي في دندره ببلاد اليونان . فقد اكتشفت البعثة الاسوجية التي يديرها هذا الاستاذ مقبرة تحتوي على مدافن منقوشة في الصخر مدفنان منها يعود عهدهما الى اواخر القرن الرابع عشر قبل المسيح وعلى مقربة منها مدفن ثالث كبير يدخل اليهِ في ممرّ منقوش في الصخر طولهُ ٦٠ قدماً وعرضهُ ست اقدام وجدوا امام بابهِ رجمة من الحجارة عثروا تحتها على هيكل عظمي لفتاة مع دبوس من البرونز ومغزل وحلي كثيرة كانت مغشاة بالذهب . ووجدوا داخل المدفن مجموعة تحتوي على ٣٣ اداة من البرونز منها سبع زهريات وسبع كؤوس وخمسة مصابيح وسيف

وسكينان وموسيان ورمح صيّاد وعلى كثير من هذه الادوات رسوم هندسية دقيقة ونقوش ازهار بديعة. ويستدل من الآنية الخزفية التي وجدت في هذا المدفن ان تاريخهُ يعود الى سنة ١٣٠٠ ق . م . ولم يعثر فيهِ على آثار للانسان ويرى الاستاذ برسن انهُ شيد ضريحاً لتخليدذكر زعيم كبير كضريح الجندي المجهول الذي اقيم في لندن مثلاً وهذا يتفق مع ما هو معروف عن عادات اهل ميسيني في دفن الكبراء على ما هو مذكور في اشعار هوميروس

نور يخترق الضباب

يشتغل علماء الشركة الكهربائية الاميركية العامة باتقان مصباح من الكوارتز يحتوي على غاز النيون الذي ينير نوراً قرمزيًّا يقال انهُ يخترق الضباب . وقد امتحن فوفى بالغرض ذلك ان ضباباً كثيفاً كان يغشى احدى مباني الشركة في صباح احد الايام حتى لا تستطاع رؤيتها على بعد خمسمائة متر فانير هذا المصباح فنفذ نوره الضباب الى مسافة نصف ميل وظهرت البناية واضحة. ولا ريب في انهُ متى أتقن اصبح من الزم معدات الطيارين واكثرها فائدة لان الضباب الدُّ اعدائهم كما يظهر من الرحلات الجوية التي نشرنا انباءها في اجزاء المقتطف السابقة

معاهد الزلازل

كثرت في الاسابيع الاخيرة انباء الزلازل في غرب آسيا الصغرى كزلزلة ازمير وبلاد البلقان كزلزلة بلغاريا . وقد اطلعنا في مجلة السينتفك اميركان على بيان لاشهر مناطق الزلازل ومتوسط ما يحدث فيها من الزلازل كل سنة ونسبة الزلازل الشديدة الى هذا المتوسط ونسبتها الى كل الزلازل التي تحدث في انحاء الارض . فرأينا ان نثبتهُ فيما يلي

اسماء اشهر البلدان التي تنتابها الزلازل	المتوسط السنوي	نسبة الزلازل الشديدة الى هذا المتوسط في المئة	نسبة الزلازل الشديدة الى عموم الزلازل في المئة
شيلي والبحر غربها	١٠٠٠	٤٦٥	٢١٦٠٠
اليابان والبحر حولها	٤٣١	٥٦٠٠	٩٦٠٠
شرق افريقية	٣٠٠	٣٦٠٠	٦٦٠٠
شرق الادرياتيكي	١٩٤	٩٦٠٠	٤٦١
جبال الابنين	١٨٤	٣٦٦	٣٦٩
جبال تراقية وبلغاريا	١٦٩	٤٦٢	٣٦٦
اليونان وبحر ايجه	١٤٥	٢٦٠	٣٦١
جزائر فيلبين والبحر حولها	١٤١	٢٦٠	٣٦٠
كالابريا وشمال صقلية الشرقي	١١٦	٢٦٦	٢٦٤
جنوب شرق الالب	١٠٢	٢٦٠	٢٦٢
بلاد المكسيك	٩٨	٢٦٠	٢٦١
جواتيمالا	٩١	٠٦٧	١٦٩
كاليفورنيا	٨١	٠٦٨	١٦٧

اكبر البلونات للطيران التجاري

يبنى الآن في انكلترا بلون يكون طوله متى تمّ بناؤه ٧٠٩ اقدام وقطره الاطول ١٣٣ قدماً ومساحة القماش الذي يلزم لتغطية هيكله المعدني ٢٢٥٠٠٠ قدم مربعة وهذا الهيكل مبني من انابيب الدورالومن وهو معدن متين خفيف الوزن . ويسيّر البالون ستة محركات رولزرويس قوة كل منها ٦٥٠ حصاناً عدا محركات اخرى صغيرة . وفي وسطهِ تبنى مخادع للركاب والعمال الذين يدبرون شؤونهم في ثلاث طبقات وهذه المخادع تسع مائة راكب وامتعتهم واربعين عاملا وكل ما يلزم لهم من وسائل الراحة والرفاهة. وغرفة الطعام تسع ٥٠ مسافراً في آن واحد

ويبنى في فريدريخهافن على بحيرة كونستانس بالمانيا بلون طوله ٧٦٣ قدماً وقطره الاطول ٩٧ قدماً وسرعتهُ تتباين من ٦٢ ميلاً في الساعة الى ٨٠ ميلاً ويستطيع ان يطير نحو ٦٢٥٠ ميلا في رحلة واحدة وفيهِ متسع لعشرين مسافراً و٢٦ عاملاً ولمقدار كبير من البريد والبضائع ومحركاته خمسة قوة كل منها ٥٣٠ حصاناً والقصد من هذا البلون السفر من المانيا الى اميركا في الصيف القادم وينتظر ان يتم في يونيو المقبل

المطاط (الكاوتشوك) من الارض

جاء في بيان نشرتهُ مصلحة المساحة البيولوجية في الحكومة الاميركية انهم عثروا في قاع بحيرة الملح الكبيرة باوتاه على مصدر من اغنى مصادر المطاط في العالم. ذلك انهم حفروا اباراً يتراوح عمق البئر منها بين ١٢٠ قدماً و ١٤٠ قدماً وقطرها نحو ست اقدام فوجدت ارض مساحتها نحو الفي فدان فيها رسوب قيري اسود اللون لزج القوام يحتوي على ٩٩ وتسعة اعشار في المائة من زيت الكبريت المركز الذي تكوّن منهُ انحلال اجسام الحيوانات في كهوف من الصلصال

وهذا القير ينقى من شوائبه ويمزج بنفايا المطاط فتصنع منهُ كل الادوات التي تصنع عادة من المطاط المقسّى ومع انهُ لا يوازي المطاط الجديد في صنع اطارات السيارات فهو يفوق كل مادة صنعت حتى الآن لتحل محل المطاط الطبيعي

ويوجد مثل هذه الرواسب القيرية في جنوب اميركا ولكن قيرها تشوبهُ شوائب كثيرة فنقاوتهُ تتراوح بين ٣٩ في المائة و٤٤ في المائة. واما قير اوتاه فيكاد يكون نقياً كل النقاوة



الاستاذ جبر ضومط

انظر صفحة ٥٠٤

مقتطف مايو ١٩٢٨

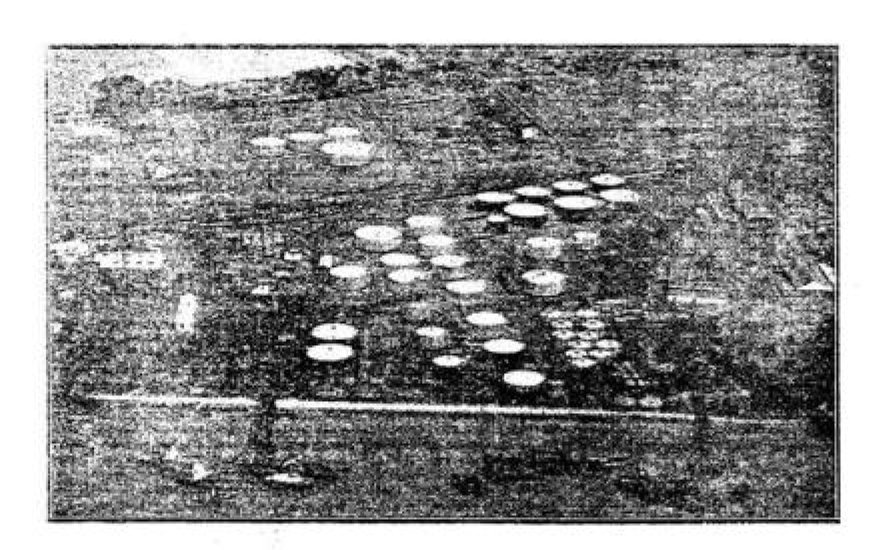
رجوع الابطال وبرد في المقدمة رافع قبعته

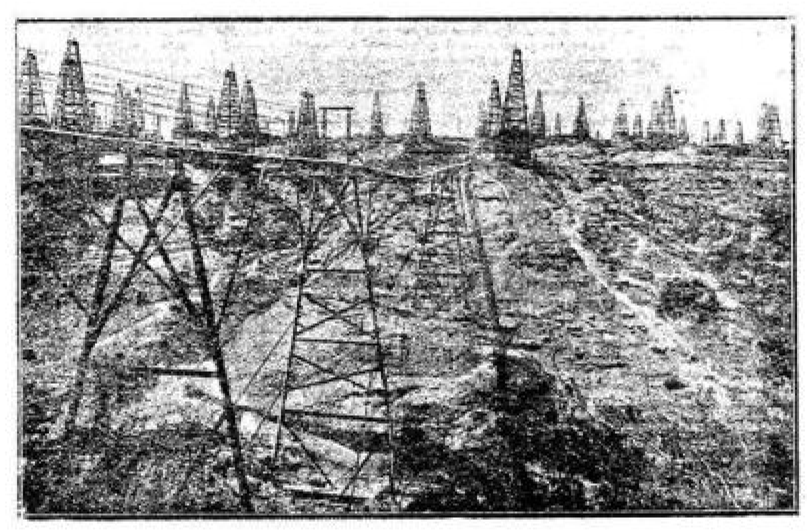


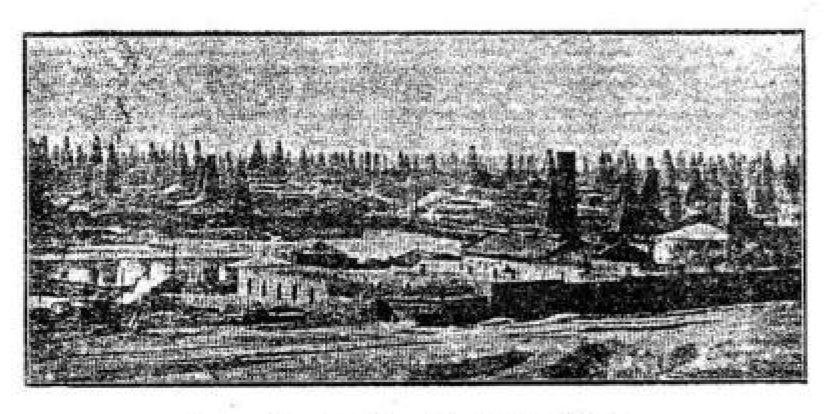
الكولونل لورنس
المشهور في اوربا بملك العرب غير المتوّج

بمقتطف مايو ١٩٢٨

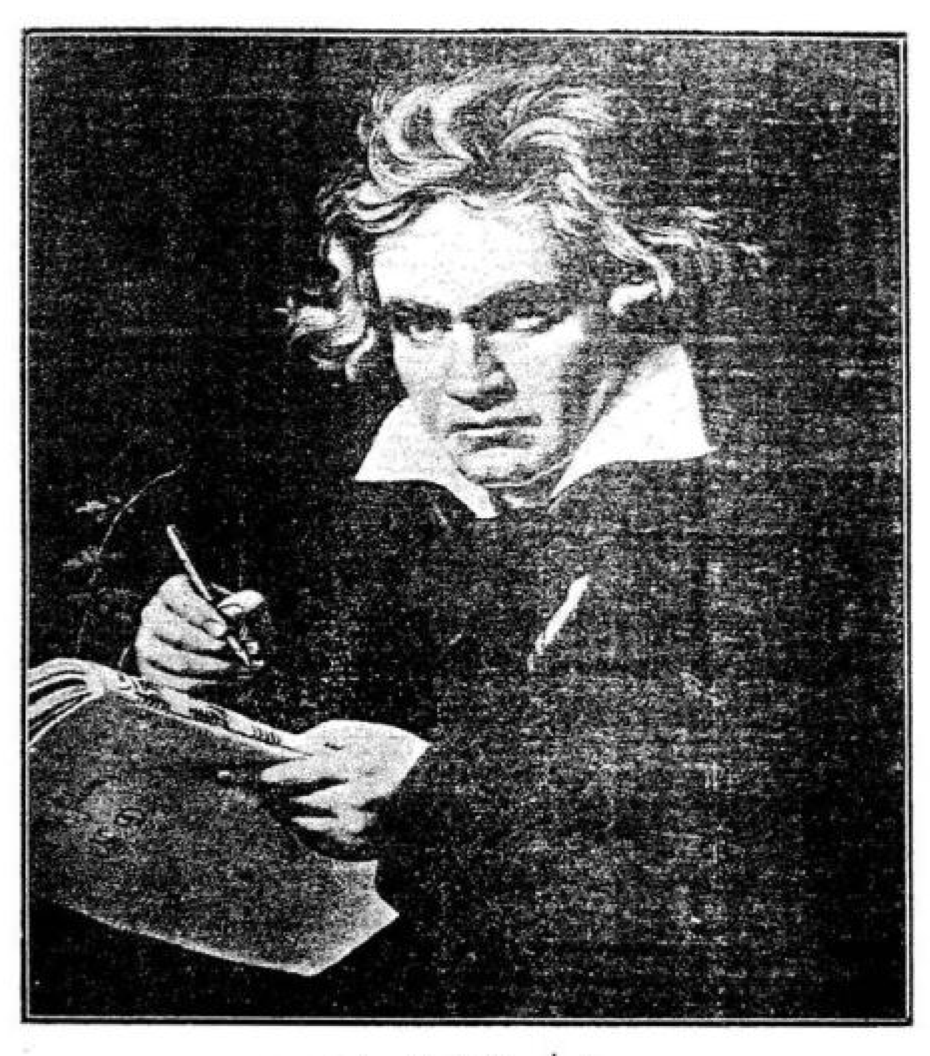
إمام الصفحة ٥٠٩







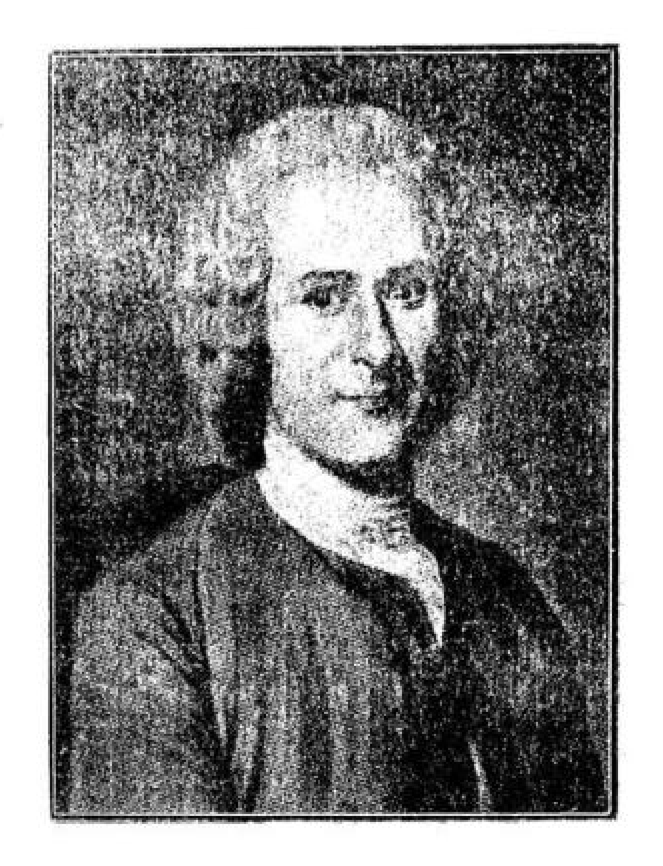
مناظر آبار النفط والاحواض التي يخزن فيها



بتهوفن : اعظم الموسيقيين

مقتطف مايو ١٩٢٨

امام الصفحة ٥٣١

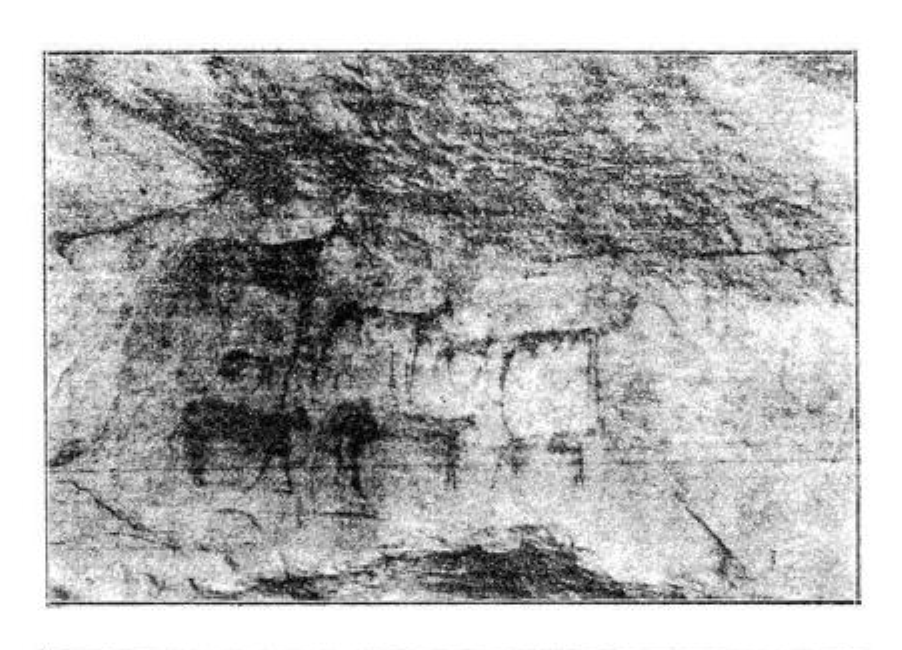


روسو



ڤولتير

مقتطف مايو ١٩٢٨
امام الصفحة ٥٢٧





صور الكلاب السلوقية في الآثار المصرية

مقتطف مايو ١٩٢٨

امام الصفحة ٥٤٩



المرحوم الدكتور صروف في مكتبه بداره في جاردن ستي



المرحوم الدكتور صروف في مكتبه بادارة المقتطف والمقطم

مقتطف مايو ١٩٢٨

امام الصفحة ٥٥٧



امين الريحاني بملابسه النجدية



عظمة السلطان ابن سعود

مقتطف مايو ١٩٢٨
امام الصفحة ٥٩٣

الجزء الخامس من المجلد الثاني والسبعين

صفحة


المقتطف
AL·MUKTATAF

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثاني والسبعين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٦



فضائل الحرب والسلم

الفضائل التي يدعي اهل الحرب ان الحرب توجدها او تمكنها في النفوس كالشجاعة الوحشية والجرأة والاقدام وتحمل المتاعب والمصاعب والصبر على المكاره وعدم المبالاة بالخسارة مهما كبرت وعظمت — كل هذه وغيرها ليست اعظم من الفضائل التي يوجدها السلم . فالشجاعة الادبية لا تقل منزلة عن الشجاعة الوحشية والاقدام على الاعمال الكبيرة اوقع في النفس من الاقدام على خوض ميادين القتال لان الانسان يكون مدفوعاً في الاول بعامل التعقل والتبصر وفي الثاني بسورة النزق والطيش . وليس احد يقول ان الجنون خير من العقل . ورواد الحضارة الذين يجتابون البلدان المظلمة لنشر لواء الحضارة ويعانون المشاق والاهوال في سبيل ذلك خير من الجنود الذين ينفقون اعمارهم في خوض ساحات الحرب وميادين القتال . والعالم الذي يحاول حل سر من اسرار الطبيعة او اكتشاف دواء لداء قتال قاضياً ليله ونهاره في البحث والتنقيب والتجربة والاختبار صابراً على فشل امانيه مرة وخيبة مساعيه اخرى لأرفع مقاماً وأعلى منزلة في عيون الناس من اي قائد كان . فذانك الاسكندر وارسطو ونابليون الاول وباستور ووجه التفاضل بينهم لا يخفى على احد

أعظم الجسور المعلقة

صورة غلاف المقتطف

كان الاقدمون يفاخرون بمبانيهم العظيمة كالهرم الكبير ومنارة الاسكندرية وصنم رودس . ترى ماذا يقولون اذا زاروا مدينة نيويورك وشاهدوا ناطحات سحابها وجسورها (كباريها) المعلقة ففي بناء برج واحد من برجي جسر الهدسن الجديد ما يفوق هذه العجائب الثلاث معاً

ان بناء المباني الشاهقة المعروفة بناطحات السحاب فن اميركي وضع الاميركيون اصولهُ وقواعدهُ العملية واوصلوهُ الى مرتبة عليا من الاتقان والكمال . دعت اليهِ الضرورة — ازدحام السكان — فلبت دعوتها عقول مبتكرة تدربت على العمل بالعلم واغنياء ذوو نظر بعيد لا يضنون بالمال ينفق في تجربة الجديد لانهُ مخالف للقديم المألوف . وهم ينظرون الى هذه المباني الشامخة نظرة الاعجاب الشديد لانها تمثل اقرب الامور الى نفوسهم وادعاها الى فخرهم — نعني المبادئ التي تقوم عليها حضارتهم العملية

وما يقال عن ناطحات السحاب في نيويورك يقال عن جسورها المعلقة . فقد جمعت بين الضخامة والاناقة والفائدة العملية جمعاً يجعلها فوزاً باهراً للعلم وآية من آيات الفن

واشهر هذه الجسور على الاطلاق هو جسر بروكلن المعلق لانهُ اقدمها واول جسر معلق كبير في التاريخ شرع في بنائهِ سنة ١٨٧٠ وفتح للمواصلات سنة ١٨٨٣ بعد ما انفق على بنائهِ ثلاثة ملايين من الجنيهات ثم رمم واصلح فانفق عليهِ مليون وربع مليون من الجنيهات . ولما فتح للمواصلات دعي « الكبري العظيم » وحسب من عجائب الدنيا لان المسافة بين برجيهِ ١٥٩٥ قدماً وطولهُ ٦٠١٦ قدماً وعلو كل من برجيهِ ٢٧٨ قدماً وارتفاعهُ عند وسطهِ عن سطح الماء ١٣٥ قدماً وعرضهُ ٨٥ قدماً

ولكن الاميركيين لم يكتفوا بهذا الفوز العظيم في هندسة الجسور . فبنوا جسوراً اطول من جسر بروكلن واضخم، منها جسر وليمز برج الذي يبلغ طولهُ ٧٢٠٠ قدم وعرضهُ ١١٨ قدماً وعلو كل من برجيهِ ٣٣٥ قدماً والمسافة بينهما ١٦٠٠ قدم وارتفاعهُ عند وسطهِ عن سطح الماء ١٣٥ قدماً وعليهِ متسع لاربعة خطوط ترامواي وطريقين للسيارات وطريقين للمارة . وبلغت نفقاتهُ اربعة ملايين وستمائة الف جنيه

وقلما يستعمل جسر بروكلن الآن لانهُ ليس من المتانة بحيث تكون حياة الذين

يسيرون عليهِ في مأمن من الخطر . ونظن ان الاميركيين لم يقوهُ الاَّ مفاخرة بهِ . ولعلّهم يفككونهُ بعد ما يحتفلون بعيدهِ الذهبي ويبنون آخر مكانهُ

على ان النوابغ من رجال الاعمال لا يقفون عند حدٍّ من الاتقان والكمال ويحسبون كل فوز يحرزونهُ في عمل من الاعمال مرتبة يرقون عليها الى ما فوقها . لذلك نرى الاميركيين الآن منهمكين ببناءِ جسر معلق جديد فوق نهر الهدسن — وهو النهر الذي تعذر بناءُ الكباري فوقهُ قبلاً لاتساعهِ — وقد نشرنا صورتهُ بالالوان على غلاف المقتطف هذا الشهر . ومتى تمَّ حسب من عجائب الدنيا كما يستدل القارئ من الحقائق التالية :

ينتظر ان يتمَّ بناءُ هذا الجسر سنة ١٩٣٢ فيكون فيهِ ثمانية طرق للسيارات والتراموايات في دورين وطريقان للمارَّة . والمسافة بين برجيهِ ٣٥٠٠ قدم وهي ضعفا المسافة بين برجي جسر نهر الدلاوار اطول الجسور المعلقة التي بنيت حتى الآن . وعلو كل من هذين البرجين ٦٥٠ قدماً فلا يفوقهما في ارتفاعهما سوى برج ايفل وبناية ولورث وثلاث بنايات او اربع من ناطحات السحاب وهما مبنيان بالصلب والسمنت المسلح والغرانيت وفي كل منهما من الصلب ما زنتهُ عشرون الف طن فيكفي لبناء بنايتين متوسطتين من ناطحات السحاب

اما الاسلاك التي تمتد من الطرف الواحد الى الطرف الآخر مارة فوق البرجين وعليها المعوَّل في بناءِ الجسر لانهُ معلق بها فاربعة حبال ضخمة من السلك الفولاذي المتين كل حبل منها قطرهُ ٣٦ بوصة او نحو ثلاث اذرع وطولهُ نحو خمسة آلاف قدم ووزنهُ نحو ٧ آلاف طن . ولكي يكون الحبل على اعظم جانب من المتانة جُعل مؤلفاً من ٢٦٤٨٤ سلكاً دقيقاً ثخانة كل سلك منها ٣/١٦ من البوصة او ثخانة قلم رصاص عادي . وعلى جانب كلّ من البرجين تقام طابية ضخمة تربط بها هذه الحبال ربطاً محكماً . فالطابية التي اقيمت من جانب برج نيويورك بنيت بالصلب ومساحتها فدان مربع . والطابية التي من جانب برج نيوجرزي بنيت من الصلب ايضاً في اقبية منحوتة في الصخر الاصمّ وتبلغ نفقاته كلها متى تمَّ بناؤهُ نحو ستة ملايين من الجنيهات

حقًّا ان مباني كل شعب تمثل ما في نفوس ابنائهِ من نزعات وغايات . ولا ريب ان « نواطح السحاب » و « الجسور المعلقة » دليلٌ بليغ على ان الاميركيين آخذون بقول فيلسوفهم « امرسن » حيث يقول — « أربط مركبتك بالنجم » او على قول المتنبي

اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

أحروب طاحنة ام تحديد للنسل ؟

هل زيادة السكان تؤيد حق امة في طلب التوسع

موقف العلم والحضارة بين الرأيين

اذا زاد عدد السكان في بلد من البلدان زاد عمرانهُ ولكن الى حدّ ما . لان كثرة الناس في البلاد تؤدي الى اتساع نطاق العمل والعناية باستنباط ثروة الارض ورفع مستوى المعيشة . لذلك تعنى الحكومات التي تحكم بلداناً مترامية الاطراف قليلة السكان بدعوة الناس الى الهجرة اليها وترغيبهم في ذلك . ولكن لا يلبث ازدحام السكان ان يبلغ حدًّا تصبح الزيادة بعدهُ خطراً على البلاد . لانها تخفض مستوى المعيشة بدلاً من ان ترفعهُ . ويكثر طلاّب العمل حتى يزيدوا على ما تتسع لهُ المعامل والمتاجر . فترتع بينهم مبادئ الشيوعيين والفوضويين ويكون المرتع خصباً

وقد يتعذر تعيين هذا الحدِّ الفاصل بين الحالين . لانهُ يختلف باختلاف البلدان وما بلغتهُ من الرقي الصناعي والتجاري والزراعي . فبلاد في عرف الكنديين تحسب غاصة بالسكان يحسبها الصينيون قليلتهم لان هؤلاء تعودوا ان يروا ٤٠٠ نفس او اكثر مزدحمين في بقعة من الارض مساحتها ميل مربع او اقل

ورغماً عن ذلك اجمع علماء الاجتماع والاقتصاد على وجود هذا الحدّ في احوال معينة فيبلغ عدد السكان عندهُ مبلغاً يمكنهم من التمتع بارقى وسائل العمران واعلى مستوىً اقتصادي في معايشهم . وهذا العدد يتغير في كل بلاد بتقدم الحضارة فيها . فلو ان سكان الولايات المتحدة الاميركية كانوا منذ مائة سنة ١١٧ مليوناً — كما هم الآن — لما كان ملاك الثروة والرخاء مرفرفاً فوقهم كما هو مرفرف الآن . وبلجيكا التي تكاد تغص بسكانها اكثر رخاء من بلاد فارس . مع ان ٦٥٩ نفساً من سكان الاولى يقطنون في ما مساحتهُ ميل مربع واحد من الارض يقابلهم ١٦ في الثانية

فاذا كانت البلدان المزدحمة بالسكان غير منتظمة انتظاماً اقتصاديًّا دقيقاً وعرضة في كل آن لانقلابات سياسية خطيرة لم يشعر الشعب شعوراً عامًّا بازدحامهِ ووجوب توسعهِ . لانهُ لايجد متسعاً كافياً من الوقت للانصراف الى العمل والوقوف على ان نطاق العمل في بلادهِ لا يتسع لجميع افراد الامة لكثرتهم . فاذا انتظمت هذه البلدان

وامتدَّ فوق ربوعها رواق السلام والطمأنينة ادرك افراد الشعب ان الارض لا تتسع لهم ليجنوا من عملهم فيها ما يؤهلهم لمكانة بين الشعوب كمكانة جاراتهم فينظروا نظرة الطمع الى البلدان التي يمكن ان تكون منفذاً لهم

ايطاليا واليابان

والمملكة الايطالية اشهر مثَل على هذه الحالة الاخيرة في اوربا . ففي ايطاليا شعب عدده ٤٢ مليوناً يقطنون بلاداً مساحتها ١٧٨ الف ميل مربع اي بمتوسط ٣٢٧ نفساً لكل ميل مربع . فازدحام السكان في ايطاليا يبلغ نحو نصف ازدحامه في بلاد البلجيك . ولكن انتظام ايطاليا الاقتصادي وارتقاءها من هذه الناحية لا يقاسان بانتظام بلجيكا وارتقائها. وسكان ايطاليا يزيدون ٤٠٠ الف نفس كل سنة. فعلى مرافق ايطاليا الصناعية ونظامها الاقتصادي ان يرتقيا ارتقاء سريعاً اذا شاءت الحكومة الايطالية ان تحفظ مستوى المعيشة في بلادها على ما هو الآن وان تجد عملاً لابنائها الذين يزيدون كل سنة على ما تقدم . ولما كانت لا تملك في بلادها مناجم غنية بالفحم والحديد ومنابع للنفط وغيرها من موارد الثروة الطبيعية فان ارتقاء كهذا ليس في حيز المحتمل. ومهما بلغ من سهر الحكومة الايطالية على تنظيم صناعاتها ومرافقها فلا يمكنها بحال من الاحوال ان تبلغها درجة من السعة والرقي تكفي زيادة السكان السنوية

فلما وجدت ايطاليا نفسها تكاد تنفجر من كثرة السكان طلبت ارضاً تجعلها منفذاً للملايين من ابنائها وقد قال السنيور موسوليني في ذلك «يجب على ايطاليا ان تتوسع والا انفجرت» ولعل هذه الفكرة هي اقوى العوامل التي تكيف سياسة ايطاليا الخارجية المتصفة بالقوة والعدوان لانها تقنع الايطاليين بعدالة مطالبهم للتوسع في البلدان المجاورة لهم كالبانيا التي لا يقطن في الميل المربع منها الا ٤٨ شخصاً ويوغسلافيا التي اصبحت تخشى على بعض شواطئها المحاذية للبحر الادرياتيكي من اتساع النفوذ الايطالي. حتى فرنسا نفسها لم تسلم من وعيد «الدوتشي» باسترجاع نيس وسافوي عنوةً . وقراء الصحف يذكرون ان تركيا الكمالية اصبحت ذات يوم وهي على قدم الاستعداد للحرب لتدفع عن بلادها هجوم الجيوش الايطالية

وفي الجهة المقابلة لايطاليا ، في الشرق الاقصى، دولة فتية قوية ترى نفسها في حالة تشبه حالة ايطاليا الآن من حيث زيادة السكان وطلب التوسع — نريد بها دولة اليابان فسكان اليابان يبلغون ستين مليوناً يقطنون ارضاً مساحتها ١٤٨٧٥٦ ميلا مربعاً

اي بمتوسط ٤٠٠ نفس للميل المربع الواحد . وسكان اليابان يزيدون ٦٠٠ الف نفس كل سنة ومستوى المعيشة فيها على ما هو معروف اقل منهُ في ايطاليا . وحكومتها نفسها تتذرع بهذه الحجة لطلب التوسع وللاعتراض على مساعي الاميركيين والاستراليين والكنديين لمنع اليابانيين الاستيطان في بلادهم

يقول اليابانيون : ان في هذه البلدان — اميركا واستراليا وكندا — ملايين من الفدادين يمكن ان يقطنها ملايين من الناس ويعيشوا فيها عيشة ثراء ورخاء ولكن البيض لا يستعملونها ويمنعوننا من الدخول اليها . فاليابان وايطاليا متفقتان على ان كل بلاد يزداد عدد سكانها حتى لا تسعهم يحق لها ان تطلب التوسع والاستعمار لتمهد لهم بلاداً يهاجرون اليها . فايطاليا تحاول ان تقنع بعض الدول الاوربية ان يتنازلوا لها عن بعض مستعمراتهم الافريقية وفي الوقت نفسهِ شرعت تبسط نفوذها السياسي والاقتصادي على البلدان المجاورة لها . واليابان تتوسع في اقامة الدليل على صحة نظرها وتجعل من البرهان محوراً للخلاف بين الشعوب البيضاء والشعوب الملونة (اي الصفراء وغيرها) وتقول ان الشعوب الملونة مهددة بمجاعة عظيمة اذا لم يهاجر ابناؤها الى بلدان يستطيعون ان يطلبوا الرزق فيها

نتيجة التوسع المبني على كثرة المواليد

ويُردُّ على قول اليابان بان اكثر البلدان المرغوب فيها للتوسع والاستعمار هي في حيازة احدى الدول الآن وان لابناء هذه الدول في هذه البلدان حقوقاً ومصالح لا بدَّ من المدافعة عنها ولو لم تكن مزدحمة بالسكان ازدحام اليابان او الصين او ايطاليا . فطالبة هذه الدول بان تخلي بعض هذه البلدان بعدما انفقت فيها بدرات من الاموال وبعد ما هاجر اليها الوف من ابناءِ الامم التي استعمرتها امر خارج عن نطاق السياسة العملية

اضف الى ذلك ان ابناء البلدان غير المزدحمة بالسكان لا يقرّون بعدل المذهب القائل ان البلدان الغاصة بالسكان يحق لها طلب التوسع لمجرد انها مزدحمة لان هذا المذهب عرضة للنقد الشديد وقد تنتج عن تطبيقهِ نتائج اقتصادية وسياسية خطيرة . ذلك انهُ اذا كان يحق لليابان ان تبغي التوسع متى زاد عدد سكانها حتى ضاقت بلادها بهم فلها الحق اذاً ان تطلب التوسع في بلدان اخرى متى ازدحم ابناؤها في البلدان التي تستولي عليها . فاذا استمرَّ الامر كذلك من غير رادع اصطدمت اليابان يوماً ما بامة اكثر عدداً واوفر ولْداً منها . ولنفرض انها توسعت في بلدان آسيا الشمالية فلا بدَّ

ان يأتي يوم تصطدم فيه بالصينيين او الهنود وهم كما تعلم اوفر الشعوب ولداً . فعليها حينئذٍ ان تزيد متوسط المواليد السنوي في شعبها حتى تفوق عليهم أو ان تتراجع تاركة الارض للشعب الذي يفوقها في كثرة العدد ووفرة الولد

هذا هو القياس النهائي لصحة هذا المذهب. انهُ يعني ان حق شعب من الشعوب في الحياة والتقدم مرهون بعدد مواليدهِ . اما مآثرهُ في العلم وأما آياتهُ في الفن واما تعاليمهُ الدينية والفلسفية فلا عبرة بها ولا قيمة لها ! فاذا تمَّ لهذا الشعب ما تمنى وجرَّد نساءهُ عن كل معنى روحي نبيل وجعلهنَّ وسائل للتوليد لا غير وملأ الارض بابنائه —ماذا يفعل حينئذٍ ؟ أيحدِّد عدد مواليدهِ فيتجرَّد بذلك عن الصفة الواحدة التي بنى عليها حقهُ في الحيـاة ؟

لكن بعض علماء الاقتصاد وعلى رأسهم مالتوس واتباعهُ يقولون ان الامراض والمجاعات والحروب تقف حدوداً دون تحقيق هذا المذهب على الوجه الذي ذكرنا. فان كل عمل تعملهُ الامم التي تؤمن بهذا الرأي لتحقيق رأيها لا بدَّ ان يلقى مقاومة شديدة اي لا بدَّ ان تقف الحرب في وجههِ سدًّا منيعاً فاذا فازت في المعترك وتمكنت من التوسع على ما تريد وسار ابناؤها في جميع الاقطار لكثرتهم لا يلبثون ان ينازع بعضهم بعضاً في طلب القوت . فالسعي لتحقيق هذا الرأي يهدِّد العمران الشرقي والغربي باخطار جسيمة ولا بدَّ من البحث عن سياسة اخرى تشمل جميع الامم . اذ لا يستتب السلام بينها حتى تجري كل حكومة على مبدإِ تحديد النسل فلا يزيد عدد المواليد عما تستطيع الارض ان تحضنهُ منها

هل المسألة جنسية ؟

فيقول اليابانيون : بعد ما سيطر الجنس الابيض على اميركا الشمالية والجنوبية واستراليا وافريقية اخذوا يقولون : لتحتفظ كل امة بما تملكهُ الآن . ونحن لا نرى وجهاً للعدل في ذلك . فالشعوب والاجناس متساوية كلها والاجناس الصفراء يحق لها ان تملك من الارض ما يتناسب مع عدد سكانها بالنسبة الى الامم البيضاء

فيجيبهم انصار المذهب المعارض : هذه هي حجتكم الاولى . فكأنكم تقولون ان كل شعب يحق لهُ ان يسيطر على مساحة من سطح الكرة تتناسب مع عدد مواليدهِ . فاذا كان اتفاق من الاتفاقات الدولية يحتوي على شيء من عدم الانصاف فعدم الانصاف هذا يزيد اذا حاولنا اصلاح هذا الاتفاق بواسطة الحرب. فوجوه الظلم وعدم الانصاف

يمكن اصلاحها وازالتها رويداً رويداً ولكن طلب التوسع والحرب يخلقان دائماً اسباباً جديدة للشكوى والتظلم

هذا اذا سلمنا ان هناك وجهاً للشكوى. ولكن هل هناك وجه للشكوى والتظلم — لاحق بالامم الصفراء ؟ اذا ازلنا ما تشكو منهُ الصين من سيطرة الامم الاوربية واليابان عليها — وهذا زائل يوماً ما — فم تشكو الامم الصفراء ؟ اتشكو من سيطرة الشعب الابيض على اميركا الشمالية واميركا الجنوبية وافريقية واستراليا ؟ فلقد كان للصين والهند حضارة زاهية زاهرة منذ ثلاثة آلاف سنة وكان لليابان عمران قديم يسود الى الفين وخمسمائة سنة . اما الحضارة الاوربية الحديثة فلم ينقض عليها اكثر من الف سنة . ففي القرون التي كانت فيها اوربا تتسكع في ظلام الهمجية والجهل والفوضى هل سعى ابناء الجنس الاصفر للسيطرة على هاته القارات ورفع لواء الحضارة — حضارته — فوق ربوعها ؟ ولولا الشعب الابيض من يدري اي زمن كان انقضى قبلما تمكن الهنود والصينيون واليابانيون من الاتصال بهذه البلدان ؟ واذا اصبح العالم غداً وقد نسي كل ما استنبطهُ واكتشفهُ الجنس الابيض عن بناء السفن وتسييرها فكم يمضي من الوقت على اهل اليابان والصين والهند قبلما يتمكنون من الاتصال بهذه القارات واستعمالها كمنفذ لشعوبهم المزدحمة

زيادة السكان ومعيار الحضارة

فالشعب الابيض الذي نشأ في اواسط آسيا واستوطن غرب اوربا صرف همهُ للسيطرة على عناصر الطبيعة واخضاعها لمطالبه . ففاز بشيء من ذلك واخذ يبني عليه حضارتهُ. ولم يلبث ان صحت لديه حقيقة اساسية: ذلك ان حضارة لا تفسح مجال التقدم لكل فرد من افراد المجتمع لهي حضارة غير ثابتة الاساس مقضي عليها بالخذلان. وان هذا المجال لا يتسع ما زال شبح الجوع والمرض والموت محوماً فوق البيوت . فالاساس الاول الذي تقوم عليه الحضارة الغربية هو استقلال الفرد وحسن حالته الاقتصادية

ولكي يحقق هذه الامنية اخضع ابناؤه قوى الطبيعة لمطالبهم فتمكنوا من جوب البحار والاتصال بقارات مجهولة واستنباط ما فيها من الثروة المطمورة ولاول مرة في التاريخ تمكن جانب من النوع البشري من رفع مستوى معيشته الى درجة مكنتهُ من طلب غايات الحياة العليا . فلما وصل الى هذه الدرجة من الرقي وجد نفسهُ مناراً لغيرة غيره من الشعوب الذين كانوا قد صرفوا همهم الى امور اخرى. وجاءت هذه الشعوب تطالبهُ بحقها في الاستمتاع بثمرة جهوده . مع ان الزمن الذي قضاهُ الاوربيون في ردم

المستنقعات وريّ الصحارى واستثمار خيرات الارض والسيطرة على قوى الهواء والماء قضتهُ الشعوب الاخرى صارفة همها الى زيادة مواليدها. فكانت النتيجة ان حالة الفرد الاقتصادية في الحضارة الاوروبية ما زالت في ارتفاع لقلة السكان وزيادة المنتج وحالة الفرد الاقتصادية في الحضارات الاخرى ما زالت في انخفاض وانحطاط لزيادة السكان وقلة المنتج من خيرات الطبيعة والارض. ومع ذلك فهذه الشعوب تقول نطلب المساواة ويجب ان نقتسم الارض التي كشفتموها

والردّ على ذلك قائم على ان خير الحضارة لا يقضي باملاء الارض القليلة السكان بالملايين الذين لا يجدون متسعاً لهم في بلادهم. بل يقضي بتحديد النسل في هذه البلدان الى درجة يتمكن عندها العلم والحضارة من جعل كل فرد من افراد هذه الشعوب يتمتع باعلى مستوى اقتصادي لا مندوحة عنهُ كركن من اركان الحضارة العالمية المقبلة

ولا يعني هذا الحلّ ان اليابان يجب ان تواجه مجاعة عامة في بلادها اذا لم تتمكن من التوسع . فها هوذا شعبها يزداد كل سنة بمتوسط ١٤ في الالف من غير ان يواجه مجاعة في بلاده المزدحمة بالسكان .فاذا زاد عدد المواليد عن هذه النسبة ازداد ازدحام السكان واشتدت مزاحمتهم على موارد الرزق وحينئذٍ تواجه اليابان خطر مجاعة عامة . فالامر الذي يجب ان يعالج في اليابان هو هذا المتوسط — متوسط المواليد — العالي والا اصابتها المجاعة كما هو حادث في الصين الآن لكثرة الناس وقلة الرزق

وفي هذه الحال لا يمكن ان يكون التوسع والاستعمار علاجاً للحال. فعلماء الاجتماع مجمعون على ان الهجرة لا تخفف الازدحام الناشىء عن كثرة المواليد. لان مهاجرة جماهير غفيرة من بلد الى آخر لا تبدأ قبلما يكثر السكان في البلد الاول كثرة تجعل طلب الرزق صعباً .حينئذٍ فهجرة جمهور كبير لا تخفف الضغط لان الشعب يملأ الفراغ الذي خلفتهُ ويستمر على ذلك حتى يصيبهُ وباء او تفشو فيهِ مجاعة او يباد ابناؤهُ في حرب

فالتوسع اذاً لا يرفع مستوى المعيشة في البلد الذي يُهجَر ولا هو سبب سياسي مقبول للاستيلاء على بلدان تخص شعوباً اخرى . واذا كان مستوى المعيشة في البلد المهاجَر اليهِ عالياً خفضوهُ بكثرتهم وعدم مماشاتهم لمقدرة العلم على الانتاج . وعليهِ يجب على حكومات الارض ان تصرف النظر عن توزيع البلدان حسب عدد السكان وان تهتم بحصر عدد كل شعب على ما يمكن ان تتسع لهُ بلادهُ اتساعاً يمكنهُ من ان يعيش فيهِ في رخاء ورفاهة . آه عن مجلة « العالم اليوم » بتصرف

مآثر الشرق في الرياضيات والفلك

موضوع خطبة نفيسة للاستاذ منصور جرداق استاذ الرياضيات العالية بجامعة بيروت الاميركية القاها في حفلة الافتتاح لجمعية تعاون الفكر الدولية ببيروت قال فيها بعد المقدمة :

ذكرت قبلاً ان اسلافنا امتازوا بالامور التجارية . ولذلك نرى انهم اول من وضع اصول الحساب التجاري (١) بما فيه من انواع السندات والتحاويل المالية والشكات والوصولات وحساب الفائدة وغيرها من الحسابات التجارية ونظام القياسات والاوزان ومسح الاراضي بطرق هندسية تقريبية واستنباط نوع من الارقام للاعداد ونظام العدّ المعروف بالنظام الستّيني الذي يتوقف على العدد الستين (٢). والذي لا تزال آثاره جارية في بعض نظاماتنا مثل تقسيم الساعة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية ونظام قياس الدائرة التي قسموها الى ٣٦٠ درجة والدرجة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية ووضع الاعداد الصحيحة وبعض الكسور البسيطة وهذا كلهُ ظاهر ومدوَّن في الآجرّ الذي اكتشف حديثاً في ما بين النهرين وتاريخهُ يرجع الى ٣٠٠٠ سنة ق.م. وما قولكم في بناية المدرسة التي اكتشفتها البعثة الافرنسية في تلك الانحاء ايضاً سنة ١٨٩٤ والتي يرجع تاريخها الى نحو ٣٠٠٠ سنة ق . م (٣) ???

ونستنتج من الآجرّ المذكور انهم عرفوا في ذلك الوقت مربع الاعداد من ١ — ٦٠ ومكعباتها والجذر المالي (٤) بدليل وجود جداولها وجداول الضرب والقسمة. وعرفوا ايضاً شيئاً عن النسبة والتناسب والسلسلة المتصلة الهندسية وترقية الكمية الثنائية الى القوة الثانية . هذا في الحساب والجبر . اما في الهندسة فقد اقتصرت معارفهم على معرفة مساحة بعض الاشكال الهندسية كالمربع والمستطيل والمثلث والدائرة (٥) وفوق

---

(١) دافيد سمث : تاريخ الرياضيات وجه ٣٧ و٣٨
(٢) » » » » ٤١
(٣) » » » » ٣٨
(٤) » » » » ٤٠
(٥) » » » » ٤٠

هذا يجوز لنا ان نستنتج ان معارفهم الهندسية كانت سامية بدليل وجود نظام الريّ العجيب الذي يتطلب مهارة عظيمة ومعارف هندسية وميكانيكية لا يستخف بها كما صرّح المستر وليم ولكوكس

وفي علم الفلك تمكنوا من معرفة وقت الاعتدال الربيعي وتعيينهِ فجعلوهُ بداءة السنة. ودعوا الشهر الاول باسم الثور وهذا يدلنا على انهم وضعوا التقويم المذكور حينما كان يقع الاعتدال الربيعي والشمس في برج الثور. اي منذ نحو ٥٠٠٠ سنة ق . م[1]. وقسموا دائرة البروج الى اثني عشر برجاً ودرسوا حركات السيارات فوضعوا اصول علم الفلك ووسّعوا نطاقهُ ووضعوا التقويم للتاريخ واصلحوهُ من وقت الى آخر بجعل بعض السنين كبيسة واستنبطوا المزولة او الساعة الشمسية لمعرفة الوقت وحدّدوا فصول السنة وقسموا النجوم الى مجاميع وكوكبات وعرفوا اوضاعها واوقات طلوعها وغروبها فدرسوها للاستدلال بها في فن الملاحة وعلم سلك البحار

ونحن نعلم جيداً ان المصريين وضعوا تقويماً سنة ٤٢٤١ [2] ق . م . جعلوا فيهِ السنة اثنى عشر شهراً وكل شهر ثلاثين يوماً واضافوا الخمسة الايام الباقية وجعلوها اعياداً رسمية وهذا يدل على تقدم نظام العدّ وضبط الحساب ودقة الارصاد والرسوخ في المعارف . ناهيك بتقدمهم في هندسة البناء والمعارف الميكانيكية وعلم المساحة العملي اذ تمكنوا من مدّ الخطوط المستقيمة الى مسافات شاسعة وتعيين السطوح المستوية تعييناً دقيقاً لمعرفة فرق الارتفاع والانحدار ويظهر لنا ذلك باجلى بيان اذا عرفنا ان معظم الخطاءِ في تعيين جوانب الهرم الكبير نحو سنتيمتر ونصف السنتيمتر . والخطأ في تعيين الزوايا وتحديدها نحو اثنتي عشرة ثانية من قوس الدائرة او ١/٢٧٠٠٠ من الزاوية القائمة [3]

ثم حدث ما حدث في الشرق . وانتقلت العلوم الى اليونان الذين وضعوها على اصول علمية راسخة . ونظريات منطقية وقام بينهم رجال اعلام عظام وفلاسفة كبار ندر ان قام مثلهم في العالم قديماً او حديثاً مثل افلاطون وارسطوطاليس وارخميدس

(١) دافيد سمث تاريخ الرياضيات وجه ٣٧
(٢) برستد : العصور القديمة وجه ٤٥ وسمث وجه ٤٢
(٣) سمث : تاريخ الرياضيات وجه ٤٣ ومقالة برستد
« نشوء التمدن » المدرجة في « المجلة العلمية » المجلد ١٠ وجه ٨٧

واقليدس الذين لم يتركوا في بعض اقسام العلوم مجالاً ما لمستزيد . في المنطق والهندسة بلغوا الذروة العليا [١]

مآثر العرب والاسلام

وحينما نهض العرب نهضتهم المشهورة في صدر الاسلام ودوّخوا القسم الاكبر من المعمورة واستتب لهم الملك والسلطان صرفوا همهم الى العلوم والمعارف فترجموا كتب اليونان في الرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية واقتبسوا كثيراً عن الهنود والاعجام . واستعانوا بمدارس انطاكية وحمص ومدارس النسطوريين[٢] والسريان . وشجع الخلفاء العباسيون الحركة العلمية والنهضة الفكرية بكل الوسائل الممكنة . ونشطوا العلماء على اختلاف مذاهبهم واجناسهم على الترجمة والتأليف. ولما كانت الترجمات الاولى غير مضبوطة اكثر الاحيان طلبوا اعادة الترجمة حتى اتت اخيراً صحيحة ومضبوطة وفي مدة جيل ترجموا كل علوم اليونان والهنود . ونقلوا الارقام الهندية واختاروا منها الانسب والانفس . وهذبوها وحسّنوها ولذلك ساد الاعتقاد عند الغربيين ان العرب نقلوا العلوم نقلاً وبالجهد اضافوا شيئاً . ولكن الابحاث الحديثة وخصوصاً ابحاث المستشرقين تُفيد ان العرب استنبطوا اموراً جديدة لم يكن يعترف لهم بها قبلاً . اما لانها كانت مجهولة او مطموسة او لانها كانت منسوبة الى الذين خلفوهم[٣] .وسوف اذكر بطريقة موجزة عامة اشهر مآثر العرب في العلوم الرياضية والفلكية

ففي علم الحساب زادوا قليلاً في نظريات الاعداد وبوّبوا الموضوعات وهذّبوا الارقام الهندية . ويعتقد البعض انهم زادوا الصفر وبالاحرى كانوا اوّل من استخدمهُ للغاية التي نعرفها نحن الآن . ونقلهُ عنهم الافرنج بلفظهِ العربي (cipher) والمرجح انهم وضعوا علامة الفاصلة للكسر العشري[٤]

وفي علم الجبر وضعوا اصولهُ واستخدموا العلامات والاشارات الجبرية بصور قانونية ونظامية واستنبطوا عدداً من الضوابط والقوانين التي لم تكن معروفة قبلاً[٥]

---

(١) المجلة الرياضية الانكليزية في لندن شهر تموز (يوليو) ١٩٢١ وجه ٢٩١
(٢) كاجوري : تاريخ الرياضيات سنة ١٩٢٤ وجه ١٠١
(٣) « : « « وجه ٩٩
(٤) سمث : « « « ٢٩٠
(٥) كاجوري : « « « ١٠٣

وحلَّ الخوارزمي المعادلة من الدرجة الثانية واستخرج جذريها [١] كما نفعل نحن الآن . والخوارزمي اول من اطلق لفظة « الجبر » على العلم المذكور اذ دعاهُ « علم الجبر والمقابلة » [٢] وعنهُ نقلهُ الاوربيون بلفظه العربي . وبحثوا في سلاسل الاعداد او مجموعاتها وتمكنوا من حل بعض معادلات الدرجة الثالثة جبريًّا وهندسيًّا . والمسلَّم بهِ الآن ان حلَّ العرب للمعادلات الجبرية بطريقة تقاطع قطوع المخروط من اعظم الاعمال الرياضية التي قاموا بها [٣] . واكتشفوا النظرية القائلة بان مجموع عددين مكعبين لا يكون عدداً مكعباً . وهي نفس نظرية فرما Fermat[٤] المشهورة وقد استخدموا الاساليب الجبرية لحل بعض القضايا والعمليات الهندسية . فكانت ابحاثهم سابقة لابحاث دكارت الطائر الصيت

وقد ذكرت قبلاً ان اليونان لم يتركوا شيئاً لمستزيد في الهندسة . ولذلك اقتصرت اشغال العرب فيها على وضع التمارين وحل بعض المسائل العويصة

اما في علم المثلثات والانساب فللعرب مقام رفيع جدًّا لانهم هم الذين اكتشفوا اكثر قضاياهُ وقوانينهِ كقانون تناسب الجيوب وقوانين وضوابط المثلثات الكروية غير القائمة الزاوية [٥] وهم اول من اكتشف القانون العام الاولي لحل ذلك النوع من المثلثات . واوَّل من عرف القاطع ونظيره . واول من وضع جداول لنظير المماسّ والقاطع ونظيره . واول من عرف اصول الرسم على سطح الكرة [٦]

وابحاثهم في الفلك مشهورة لمراقبتهم الشمس والقمر والسيارات واضطرارهم لضبط الوقت فنقحوا جداول بطليموس واكتشفوا بعض انواع الخلل في حركة القمر الامر الذي كان حتى اواخر القرن الماضي منسوباً اكتشافهُ الى تيخوبراهي [٧] وهم اول

---

(١) كاجوري : تاريخ الرياضيات وجه ١٠٣
(٢) « : « « « ١٠٣
(٣) « : « « « ١٠٧
(٤) « : « « « ١٠٦
(٥) « : « « « ١٠٥ والمستشرق
كرلو نلينو علم الفلك « ٢٤٤ و ٢٤٥
(٦) كاجوري تاريخ الرياضيات « ١٠٦
(٧) كاجوري : « « « ١٠٥

من وجد بطريقة علمية قانونية طول درجة من خط نصف النهار [١]. وذلك بطلب الخليفة المأمون . ولكي نعلم اهمية القضية اقول انهُ انقضى نحو ٨٠٠ سنة قبلما استطاعت اوروبا ان تتناولها وتعيد القياس على الطريقة نفسها . وتبعاً للمبدأ ذاته . واقاموا عدة مراصد وصححوا الجداول الخاصة بحركات القمر . وعرفوا استدارة الارض وعملوا بموجب هذه المعرفة [٢] واجروا عدة ارصاد وتجارب تتوقف عليها . وقالوا بدوران الارض على محورها [٣]. وبالجملة نقول ان العرب امتازوا على اليونان في علم الفلك لانهم جعلوهُ استقرائياً ولم يقفوا فيهِ عند حدّ النظريات كما فعل اليونان اي انهم خرجوا بهِ من البحث النظري الى البحث العملي [٤]

فنرى اذن ان الشرق قدّم خدمات جليلة في العلوم الرياضية والفلكية اذ وضع اصولها في القديم ولم يكتفِ بحفظها في الاعصر المتوسطة المظلمة بل اضاف عليها اضافات مهمة

***

والنتيجة التي توخيتها في مجالتي هذه ان العلوم ملك عام « مشاع » لجميع الشعوب والامم والافراد يتناولها كل من يجدُّ ويجتهد ويسعى الى الوصول اليها والحصول عليها. ولا تنحصر بفئة من البشر دون غيرهم فتكون ملكاً خاصًّا لهم . وتمدننا الحاضر انما هو ثمرة من ثمار المعارف العلمية وتقدمها وتطبيقها على مقتضيات الحياة ومطالب العمران . فاذا رغبنا ان نخوض غمار العمران ونسير جنباً الى جنب مع سائر الامم في موكبهِ الفخم فعلينا ان نعلّم ناشئتنا الجديدة اساليب التفكير العلمي والبحث العلمي لان العلم اساس الثروة ولا رقي للامم والشعوب الاّ بالمال وبرجال يخلقون المال

الكلية منصور جرداق

---

(١) كرلو نلينو : علم الفلك وجه ٢٨١ الى اسفل وجه ٢٨٩
(٢) « : علم الفلك « ٢٦٥ و٢٨٩
(٣) « « « « ٢٥١
(٤) مجلة الهلال عدد اذار (مارس) ١٩٢٨ « ٥٣١

الطيران من الاسكا الى سبتسبرجن

فوق الاصقاع المتجمدة الشمالية

الطياران يبقيان اربعة ايام في طيارتهما على جليد طاف وسبتسبرجن على مقربة منهما

١

ما زال القطبان قبلة الرّواد يتسابقون الى اكتشافهما واقتحام مفازات الجليد الجرداء التي تحيط بهما . فعلوا ذلك اولاً مشياً على الاقدام او ركوباً في مزالق تجرها الكلاب ففاز بيري باكتشاف القطب الشمالي سنة ١٩٠٩ وامندصن باكتشاف القطب الجنوبي سنة ١٩١٢ . ولكن لما وضعت الحرب اوزارها اخذ الروّاد يفكرون في استعمال الطيارة والبلون لريادة المناطق المتجمدة . فحاول امندصن سنة ١٩٢٥ ان يطير مع ثلاثة رفاق في طيارتين من جزيرة سبتسبرجن الى القطب الشمالي فقصروا على ١٣٦ ميلاً منهُ وبعدما قضوا نحو ثلاثة اسابيع على مفازات الجليد يحاولون تخليص الطيارتين من انياب الجليد والعودة بهما الى معالم التمدن فازوا بتخليص احداهما فقط فعادوا بها مكتفين من الغنيمة بالاياب . وفي السنة التالية اعدّ امندصن بعثة جوية للطيران فوق القطب الشمالي وقرّر ان يستعمل بلوناً بدلاً من طيارة لانهُ اكثر ثباتاً على تقلبات الجوّ واشترك مع الحكومة الايطالية في ذلك فاعدّت البلون وطارت بهِ البعثة من خليج الملك بجزيرة سبتسبرجن الى بوينت بارو بالاسكا ومنها الى تلر بعد مرورهِ فوق القطب الشمالي . فكان امندصن بذلك اول رجل بلغ القطبين

ولكنهُ لم يكن اول رجل بلغ احد القطبين عن طريق الجوّ . ذلك ان الكومندر رتشرد برد الاميركي سبقهُ الى ذلك اذ طار من سبتسبرجن الى القطب الشمالي بطيارة اميركية وعاد الى سبتسبرجن في ١٦ ساعة في ٩ مايو سنة ١٩٢٦

٢

حدانا الى كتابة هذه السطور نبأ الفوز العظيم الذي كان من نصيب الطيار الاسترالي ولكنز Wilkins في اختراق الاصقاع المتجمدة الشمالية من الاسكا الى سبتسبرجن بطيارة من ذوات السطح الواحد قوة محركها ٢٢٠ حصاناً

والكبتن جورج ولكنز رائد استرالي اشترك مع جمعية الطيران بدترويت والجمعية الجغرافية الاميركية واتحاد الصحف الاميركية في اعداد بعثة جوية الى القطب الشمالي

سنة ١٩٢٦ وخطتهُ فيها أن يطير من فربانكس بالاسكا الى بوينت بارو ومنها فوق القطب الى سبتسبرجن فاخفق في تحقيق خطتهِ حينئذٍ ولكن فوزه هذه السنة كان باهراً. فقد اطلعنا في مجلة ناتشر على نتف من رحلتهِ هذه ننقلها الى القراء فيما يلي:

قام المستر ولكنز من بوينت بارو بالاسكا في ١٥ ابريل الماضي على طيارة من ذوات السطح الواحد يسيّرها محرك قوتهُ ٢٢٠ حصاناً ويصحبهُ فيها المستر ايلسن النروجي فاجتازا المسافة بين بوينت بارو وسبتسبرجن وهي ٢٢٠٠ ميل في ٢٠ ساعة

كان الجوّ في الربع الاول من الرحلة صافياً ثم تلا ذلك مرحلة طولها نحو مائة ميل كان الغيم فيها متلبداً والنظر الى مسافة بعيدة متعذراً لاضطراب الجوّ. ولما كانا على الدرجة ٨٤ من العرض الشمالي والدرجة ٧٥ من الطول الغربي رأيا غيوماً سوداء الى الشمال حسباها اولاً من نوع الغيوم التي تتكون فوق اليابسة ولكن لما كان موقعها فوق الخط الذي سار فيهِ بيري في رحلتهِ الي القطب ولما كان بيري قد اثبت ان لا يابسة هناك لم يحيدا عن خط سيرهما لتحقيق ذلك. ورأيا في اثناء الطيران اماكن على سطح الجليد يمكن للطيارة النزول فيها اذا اصيبت بعطل ما ولكنهما لم يحاولا النزول عليها لان الصعود بها في الجوّ امرٌ صعب ان لم يكن متعذراً. وحينما اقتربا من غرانتلاند في جزيرة الزمير — الى غرب غرينلندا — اتجها رأساً الى سبتسبرجن من غير ان يمرّا فوق القطب الشمالي. وهبت في وجوههما رياح شديدة ورأيا غيوماً كثيفة متلبدة عند الافق الى شمال غرينلندا (جنوبهما) وكانت الحرارة حينئذٍ ٤٤ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد. وعلى مائتي ميل من سبتسبرجن ساءت الاحوال الجوية جدًّا فارتفعا الى علو ثمانية آلاف قدم لكي يخطيا الغيوم المتلبدة فتعذر عليهما ذلك وصار يصعب عليهما ان يعرفا موقع خليج الملك بسبتسبرجن لينزلا فيهِ. وكان البنزين قد اخذ يقلُّ في حوض الطيارة حتى كاد ينفد فنزلا على الجليد امام مدخل خليج من خلجان سبتسبرجن يعرف بخليج الجليد «أيس فيورد». واستمرَّ الجوّ مدلهمًّا والغيوم متلبدة والرياح شديدة الهبوب اربعة ايام متواصلة قضياها في طيارتهما وفي صباح اليوم الخامس (٢١ ابريل) صفا الجوّ فاستأنفا طيرانهما فوصلا جرين هاربر من غير صعوبة. وقد ثبت للطيارين عدم وجود يابسة في المنطقة التي طارا فوقها ولكن مجلة ناتشر تقول انهُ اذا فرضنا وجود جزائر في تلك المنطقة فلا بدَّ ان تكون مكسوة بالثلج تعذر رؤيتها ولو كان الجوّ صافياً. وهنأتهما بفوزهما الباهر في هذه الرحلة الشاقة

اركان الطب الحديث

المكتشفات العلمية الحديثة

التي بُنيت عليها طرق معالجة الامراض ومكافحتها والوقاية منها

جنر والتطعيم

كان مرض الجدري من أفتك الامراض فاذا لم يقتل من يصيبهُ تركهُ في الغالب اعمى او قبيح المنظر . وكان الناس في تركيا قد وجدوا بالاختبار انهم اذا تطعموا بصديد من مجدور جدريتهُ خفيف اصابهم جدري خفيف وقاهم من الجدري الثقيل . وتعلمت ذلك اللادي موتاغو وهي في القسطنطينية واذاعت ما تعلمتهُ في بلاد الانكليز لكن هذا النوع من التطعيم لم يكن سليماً دائماً واذا سلم المطعم بهِ فقد يعدي غيرهُ بجدري مميت. ويقال ان فتاة حلابة سمعت اناساً يذكرون الجدري فقالت انها آمنة على نفسها لانها عديت مرة بجدري البقر . وكان ذلك على مسمع من جنر . فخطر لهُ ان جدري البقر قد يكون واقياً من الجدري الذي يصيب البشر وأسلم عاقبة من التطعيم بالجدري نفسهِ . والمرجح ان كثيرين من الاطباء سمعوا ذلك قبلهُ وتحققوهُ ولكنهم لم يبنوا عليهِ بناء مفيداً .وهذه مزية المكتشفين والمخترعين. فانهم يرون مالا يراهُ غيرهم ولو كان ظاهراً للعيان. وكأنهُ فكَّر في الامر على هذا المنوال : فقال ان الذي يُجدر مرة لا يُجْدَر مرة اخرى فالجدري يقي المجدور من الاصابة بهِ ثانية ولو كان جدريتهُ خفيفاً في المرة الاولى . وجدري البقر اخف وطأة من جدري البشر فاذا جعلنا الانسان يعدى بهِ كما تعدى الحلاَّبات فالذي يصيبهُ جدري خفيف يقيهِ من ان يُعدى مرةً اخرى بجدري ثقيل. وللحال شرع يجرب ذلك وتجاربهُ بدأت سنة ١٧٩٦. ونشر اول رسالة وضعها في هذا الموضوع سنة ١٧٩٨ . ومن ثمَّ شاع التطعيم للوقاية من الجدري وانتشر في المسكونة كلها كما ينتشر كل عمل مفيد

تلك هي المرحلة الاولى في نشوء الطب الحديث !

ذلك ان ادورد جنر كشف حينئذٍ مبدأً جديداً في الوقاية من الامراض وكان عملهُ علاوة على ذلك من اول الادلة العملية على فائدة الطريقة العلمية العملية في البحث

تلك الطريقة المبنية على الملاحظة والامتحان والقياس والاستنتاج التي شُيّد عليها صرح العلم الحديث

سحابة الجهل وعدم الثقة

وتلا ذلك اكتشاف المكرسكوب المركب فاثار اهتمام العلماء بدرس العلوم الطبيعية ومنها علم تشريح الجسم . وصحبهُ انشاء معامل كثيرة للبحث العلمي . فكشفت كذلك حقائق أساسية لا تزال قائمة الى اليوم على اساس متين من البحث والامتحان . واهمُّ المباحث الطبيعية التي جرت حينئذٍ هي المباحث التي تناولت تشريح انسجة الجسم الحيّ في حالي الصحة والمرض فاثبت فرخو وكوهنهيم وتلاميذهما ما يصيب الخلايا الدقيقة من التغير حين تصاب بمرض ما . يضاف الى ذلك استنباط سمّاعة الطبيب واوبتلمسكوبهُ لفحص القلب والعينين وما يتقلب عليهما من الاعراض

ومع ذلك بقيت طرق العلاج مكسوة بسحابة من الجهل — جهل المعالجين باسباب المرض الحقيقية وطرق انتقال العدوى. وبقيت الحال كذلك حتى اوائل الربع الاخير من القرن الماضي

ان كثيرين من الاطباء الذين لا يزالون على قيد الحياة الآن يذكرون ماكان يحدث قبيل ذلك من تفشي وباء فاتك في شعب من الشعوب او مملكة من الممالك . نعم ان الاطباء كان لديهم ما يعالجون بهِ المصابين بالجدري بتطعيمهم وفي كثير من الاحيان كان هذا التطعيم افعل وسيلة لوقاية شعوب باسرها من تفشي الوباء . ولكن امتداد رواق الجهل وعدم الثقة بهذه الوسيلة كانت اكبر الاسباب في تفشي الجدري وفتكه بالنفوس والوجوه . اما اوبئة الدفتيريا والحمى القرمزية والحمى التيفوئيدية والحمى التيفوسية والكوليرا والحمى الصفراء والطاعون وحمى الدماغ السحائية والدوسنطاريا وغيرها من الامراض المعدية فكانت تنتشر في مختلف البلدان وتفتك بالناس فتكاً ذريعاً

وكان السل الرئوي يسبب ١٢ في المائة من كل الوفيات .وامراض الاسهال التي تصيب الاطفال وما هو من قبيلها كانت تسبب ٣٠٠ وفاة من كل الف مولود . وكان الجهل باسباب العدوى وحدوث الصديد يجعل العمليات الجراحية مجازفات جانب الخسارة فيها ارجح من جانب الربح

باستور وكوخ

فالطب الحديث على ما نعرفهُ الآن يبدأ تاريخهُ من عهد باستور ومكتشفاتهِ التي

قلبت علوم الطب رأساً على عقب ووضعتها على اساس جديد من الدقة العلمية. فانهُ اثبت بالامتحان ان لبعض الامراض سبباً مكروبيًّا وان الانسان يوقى من المرض المكروبي بعدم التعرض لمكروبهِ او اذا طعّم بهِ بعد ما يضعف فعلهُ . وكان عمل روبرت كوخ خالد الاثر في ابداع طرق فنية جديدة دقيقة لزرع المكروبات واكثارها في المزدرعات المختلفة. فتمكن من التمييز بين انواع المكروبات المختلفة وتبويبها—ومن وضع القواعد التي بها تعرف علاقتها بعرض من الامراض . ولا تزال مباحث باستور وكوخ الرائد الامين للعلماء الباحثين في الامراض المعدية

تطبيق مباحثهما

وكان الربع الاخير من القرن التاسع عشر والسنون الاولى من القرن العشرين حافلة بالمباحث العلمية الطبية المبتكرة التي نجمت عنها حقائق كثيرة عن علاقة المكروبات بالامراض المعدية . ففي هذه المدة عرفت الطرق التي تحدث بها المكروبات اعراض الامراض كافراز سمومها في الحيوان الذي تصيبهُ . وكيف يولّد الجسم سموماً او اجساماً مضادة لهذه السموم. وهذه المكتشفات مكنت العلماء من حقن الخيل وغيرها من الحيوانات كالبقر بمكروبات بعض الامراض حتى يولّد دمها الاجسام المضادة لسموم المكروبات ثم يأخذ المصل المحتوي على هذه الاجسام ويحقن بهِ المصابون لمساعدتهم على مقاومة المرض الذي اصيبوا بهِ

وثبت ان امراض التيفوئيد والكوليرا والدوسنطاريا وما هو من قبيلها تنجم عن تلويث المآكل ومياه الشرب بمكروبات هذه الامراض . وان مكروبات الملاريا والتيفوس والحمى الصفراء وغيرها تنقل من المصابين الى الاصحاء بواسطة حيوانات تلسع المصاب فتمتص بعض دمهِ ومعهُ مكروبات المرض المصاب بهِ ثم تلسع سليماً فتوصل اليهِ المكروبات التي امتصتها مع دم المصاب فيصاب مثلهُ . فمهدت هذه المعرفة الطريق للوقاية من هذه الحميات . وثبت ايضاً ان عدوى بعض الامراض كالحصبة والحمى القرمزية تنتقل باللمس فاشار الاطباء بوجوب عزل المرضى في هذه الحالات لمنع اتصال العدوى بالاصحاء

وقد استلزم كشف هذه الحقائق صبراً جميلا وشجاعة نادرة واقداماً على المخاطر والموت واحياناً تضؤل امامها شجاعة الطيارين الذين حاولوا اجتياز الاتلنتيكي وجرأة الروّاد الذين اقتحموا مخاطر الادغال واهوال الاصقاع المتجمدة. وبعض هؤلاء الباحثين

كثيراً ما عرضوا انفسهم للموت لكي يثبتوا صحة حقيقة كشفوها او فائدة علاج ابتكروهُ

علم الصحة العامة

وجاء ارباب علم الصحة الواقي في اوائل القرن العشرين فاستعملوا كلّ هذه الحقائق التي كشفها العلماء والاطباء . ونجاحهم في تطبيقها استلزم اعتمادهم على جمهور كبير من المهندسين وعلماء الحشرات والاطباء وموظفي الصحة وتعضيد الحكومات بوجه عام في وضع القوانين والسهر على تنفيذها . وما تمّ حتى الآن في بعض البلدان يؤيد القول بان علم الصحة الواقي اذا طُبقت قواعدهُ من غير ان تعبث بها ايدي الساسة وامدّهُ رجال الحكومات واغنياء الشعوب باموال تمكن القائمين بهِ من التوسع في تطبيقهِ جعل الارض جنة خالية من اشباح المرض والموت

ولقد اثبت علماء الكيمياء القواعد التي تقوم عليها تغذية الجسم وحاجته الى المواد الحيوية التي تدعى « الفيتامين » والتي لا مندوحة عنها لنموّ الجسم نموّاً كاملاً . فهذه المباحث بينت اسباب امراض الاسكربوط والكساح والپلاغرا وغيرها وكيفية مكافحتها والوقاية منها

يضاف الى ذلك الفوائد الجمة التي نجمت عن اكتشاف اشعة اكس واشعة الراديوم المختلفة والاشعة التي وراء البنفسجي واستعمالها في معرفة اسباب العلل ومعالجتها . كذلك الكواشف الكيماوية والبيولوجية المختلفة التي تستعمل لامتحان الدم وغيره من انسجة الجسم واعضائهِ لمعرفة هل هي تقوم بعملها قياماً طبيعيًّا ام هي لسبب ما قد اعتراها خمول وضعف

واتحد علماء الكيمياء والصيدلة فاستنبطوا ادوية وعقاقير مختلفة لها شأن كبير في الطب والعلاج كالانسولين والثيروكسين والكوكايين والاثيلين وغيرها

لستر والجراحة

في سنة ١٨٦٧ عرف الدكتور جوزف لستر (لورد لستر بعدئذٍ) ما لمكتشفات باستور في اسباب الاختمار والفساد من القيمة الطبية فبنى عليها نظاماً فنيًّا للعمليات الجراحية باستعمال مضادات الفساد لقتل المكروبات التي تسبب التهاب الجروح وفسادها . ولم يكتفِ بعد فوز طريقته هذه وانتشارها بقتل مكروبات الفساد بعد دخولها الى الجرح بل اخذ يفكر في منعها من دخول الجرح على الاطلاق . وكان قد عرف من بحثهِ الخاص ومن مباحث باستور ان في الجسم قوة تدفع عنهُ المكروبات وسمومها

التي تتطرق اليهِ فجعل يقلّب المسألة في عقلهِ قائلاً اذا كانت آلات الجرّاح ويداهُ وأربطتهُ معقمة اي خالية من المكروبات فالراجح ان المكروبات التي في هواء غرفة العملية لا تكفي لاحداث الفساد وعلى ذلك بنيت الجراحة الحديثة (Aseptic) التي تعتمد على منع الفساد لا على مضادتهِ (Antiseptic) واساسها النظافة التامة وبها تمّ للجراح ما تمّ لهُ قبلاً من منع الفساد ولكنهُ فوق ذلك تمكن من اجتناب مضادات الفساد التي تهيج انسجة الجسم

وصار بعد ذلك حديث الجراحين كحديث السحرة لغرابتهِ . فكم من حياة انقذوها بجرأتهم ولباقتهم في البضع والاستئصال . وكل ذلك ما كان ليمهد لهم لولا مباحث باستور ومن جرى مجراهُ وتطبيقها على ايدي لستر ومن حذا حذوهُ

تقدم الطب والعمران

وكان لهذا التقدم الطبي في جميع فروعهِ ونواحيهِ اثر كبير في اتساع نطاق الصناعة والتجارة . لان ضبط الامراض المعدية والسيطرة عليها مكنت جماهير من الناس من ان يقطنوا بلداناً غنية بتربتها الخصبة ومعادنها وحراجها . والقضاء على قوانين « الحجر الصحي » التي كانت تعيق حركة النقل والانتقال مهد السبيل لتقدم التجارة وانتشارها بجعل المعامل الكبيرة والمدن التي تعجُّ بالسكان خالية من خطر الاوبئة وما يأتي في اثرها من موت وخسارة

ان قواعد الطب الواقي وتطبيق مبادئ علم الصحة العامة مكن الاميركيين من اتمام ترعة بناما وتحويل منطقتها من ارض موبوءة الى بلاد يرتع فيها الناس في نعيم مقيم من الصحة والقوة

جندي الطب المجهول

مما تقدم يتضح ان ما كشفهُ العلماء من الحقائق الصحية الاساسية في نصف القرن الماضي وما طبقوهُ من هذه الحقائق على مقتضيات العمران يفوق كلَّ ما تقدمهُ في عصور التاريخ . والفضل في ذلك للعلماء والاطباء امثال الذين ذكرت اسماؤهم ونشرت صورهم في هذه المقالة . ولكنهم كثرٌ لا يتسع المجال لذكرهم كلهم فلنمجد ذكرهم كما تمجد الامم ذكرى المجهولين من جنودها الساقطين في الحرب الكبرى في تكريمها للجندي المجهول واجلالها لذكراهُ

النفط في الشرق الادنى

١ — تاريخ النفط

ورد ذكر النفط في اقدم التواريخ التي في أيدينا فما جاء عنهُ في التوراة بهذا الاسم او باسماء اخرى كالحُمَر والكُفر والقار والزفت والزيت ما يأتي : —

جاء في سفر التكوين في بناء برج بابل (١١ : ٣٣) « وكان لهم الحُمَر بدل الطين » . وهذه الابراج البابلية لا تزال آثارها باقية الى يومنا وهي مبنية إما بالآجرّ او باللبن وطينها الحُمَر اي القفر البابلي وهو القير يؤتى بهِ من هيت على الفرات . وفي التكوين (١٤ : ١٠) « وفي غور السِدّيم آبار حُمَر كثيرة » ويراد بغور السديم غور اريحا ولا يزال الحمر معروفاً هناك وهو قفر اليهود او قفر اليهودية. وفي سفر التثنية (٣٢ : ١٣) «وزيتاً من صوّان الجلمود » . وفي سفر أيوب (٢٩ : ٦) « والصخر يفيض لي انهاراً من الزيت » وهذا كلهُ يشير الى النفط اي زيت الصخر

وفي التكوين في وصف الفلك (٦ : ١٤) «واصنع لك تابوتاً من خشب قطراني واجعلهُ مساكن واطلهِ من داخل ومن خارج بالقار » ولا يزال العراقيون يقيّرون هذه القفاف واحدها قُفة وهي مراكب مستديرة مصنوعة من عيدان الطرفاء والتوت والصفصاف . وفي سفر الخروج في ذكر ولادة موسى (٢ : ٣) « ولما لم تستطع ان تخفيه بعدُ أخذت لهُ سفطاً من بردي وطلتهُ بالحُمَر والزفت وجعلت الولد فيهِ ووضعتهُ بين الخيزران على حافة النهر » . وهذا يشبه ما جاء عن ولادة سرجون الاول ملك اشور قال « وضعني في قفة من الخيزران واقفلت بابها بالقار » (معلمة التوراة) [1] فهذه الشواهد ما عدا الاخير منها ورد فيها الحُمَر والكُفر والزيت بهذه الالفاظ عينها بالعبرانية مما يدل على قدمها وعلى كونها سامية

اما النفط فقد ورد ذكرهُ في سفر دانيال (٣ : ٤٦) وهذا العدد ليس في النسخة العبرانية قال «ولم يزل خدّام الملك الذين القوهم يوقدون الأتّون بالنفط والزفت والمشاقة والزَرَجون» . وهو يشير الى قصة الفتية الثلاثة شدرخ وميشخ وعبد نجو

وورد ذكر النفط في سفر المكابيين الثاني (١ : ١٩ الى ٣٦) قال « فانهُ حين

(١) Encyclopedi Biblica

أجلي آباؤنا الى فارس اخذ بعض اتقياء الكهنة من نار المذبح سراً وخبأوها في جوف بئر لا ماء فيها وحافظوا عليها بحيث بقي الموضع مجهولاً عند الجميع . وبعد انقضاء سنين كثيرة حين شاء الله أرسل ملك فارس نحميا الى هنا فبعث اعقاب الكهنة الذين خبأوا النار لالتماسها الا انهم كما حدثونا لم يجدوا ناراً بل ماء خاثراً فامرهم ان يغرفوا ويأتوا به ولما أحضرت الذبائح امر نحميا الكهنة ان ينضحوا بهذا الماء الخشب والموضوع عليه فصنعوا كذلك ولما برزت الشمس وقد كانت محجوبة بالغيم اتقدت نار عظيمة حتى تعجب الجميع » الى ان قال « فشاع ذلك وأخبر ملك فارس ان الموضع الذي خبأ فيه الكهنة النار حين جلائهما قد ظهر فيه ماء وبه طهّر الذين مع نحميا الذبيحة » الى ان قال « وسمّاه الذين مع نحميا نفطار اي تطهيراً ويعرف عند كثيرين بنفطاي »

وذكر هيرودوتس النفط في اردريقة التي هي قيرآب بخوزستان قال (٦ : ١١٩) « قرب اردريقة بئر يخرج منها ثلاث مواد مختلفة القير (اسفلت) والملح والزيت فيأخذون دالية [1] يعلقون بها سُعُناً مكان الدلو فاذا نزل السُعن في الماء رفعهُ رجل وصبّهُ في حوض يجري منهُ الماء الى حوض آخر ثم ينعقد القير ويجمد الملح ويبقى الزيت فيغرفونهُ . والفرس يسمون هذا الزيت رادينانتي (كذا) وهو اسود منتن الرائحة « فهذه البئر هي الآن من آبار النفط التي للشركة الانكليزية الفارسية . وهم يستخرجون النفط منها وينقلونهُ في انابيب الى عبّادان على خليج فارس ويكررونهُ هناك »

وذكر فلوطرخس عيون النفط في كركوك قال « ان الاسكندر لما وصل الى اكبتانة (اي همدان وهو يريد كركوك) دهش لمّا رأى ناراً تخرج من نبع لا ينضب واعجبهُ نهر من النفط غير بعيد عن ذلك المكان وكان غزيراً جدّاً حتى كانت منهُ بحيرة والنفط شبيه بالقار الاّ انهُ اشدّ منهُ التهاباً وهو يشتعل من لهب النار قبل وصولها اليه . واراد القوم هناك ان يظهروا للملك سرعة اشتعاله فنضحوا به الطريق الى منزله واشعلوه فالتهب في سرعة البرق والتهبت الطريق كلها » « انتهى ما اريد نقله عن فلوطرخس » . وفي كركوك عيون نفط كثيرة منها بئر النفط التي تفجّرت حديثاً . وهناك نار عجيبة لا تنطفىء وهي تتقد قبل ايام الاسكندر

(١) الدالية هي الشادوف في مصر والسعن نصف قربة يستقى به . واللفظة فصيحة وشائعة في السودان وهم يسمون نوعاً من الاقلق ابا سعن لجراب في عنقه كالسعن وسألتهم مرة لماذا تسمونه ابا سعن قالوا لانه يحمل سعناً قلت وما السعن قالوا قربة تقطع من نصفها نستقي منها وننبذ فيها الذرة لعمل المريسة فراجعتها فاذا هي كما قالوا

ومن اسماء بحر لوط عند العرب البحيرة المنتنة وذلك لرائحة الكبريت والنفط فيها ومن اسمائها عند اليونان والرومان بحيرة الحُمَر (Lacus Asphaltites) وقد ذكر ديودوروس الصِقِلي" ان اهل التور كانوا يجمعون الحُمَر ويبيعونهُ في مصر للتحنيط وروى ذلك بلينيوس الروماني والرحالة شُو الانكليزي وفلناي الفرنسي ولا يزال الحُمَر معروفاً هناك وهو حمر غير السديم الذي ورد ذكرهُ في التوراة كما تقدم

كذلك علماء العرب كالمسعودي وابن البيطار والقزويني وغيرهم فان كثيرين منهم ذكروا القير والحُمر والمومياء والنِفط ووصفوا هذه المعادن وصفاً دقيقاً وكانوا يستعملونها في الطب واستعمل العرب النفط في حروبهم واول من استعمله منهم هرون الرشيد في فتح هِرَقلة سنة ٢٠٢ للهجرة سار اليها على اثر كتابهِ المشهور لنقفور ملك الروم ورماها بالنفط قال الشاعر في ذلك

هَوَت هِرَقلة لمّا ان رأت عجباً جوّ السما يُرتمى بالنِفط والنار
كأنَّ نيراننا في جنب قلعتهم مصبَّغاتٌ على أرسان قَصَّار

وهِرَقلة مدينة بالروم تسمَّى الان أرِكلي وهي على ساحل البحر الاسود مما يلي خليج القسطنطينية المعروف بالبُسفور. ونقفور هذا هو نقفور الاول وكان عربيًّا من وُلد جَبلة بن الايهم (١)

وقبل ايامهِ اي في زمن معاوية اكتشف رجل بعلبكي اسمهُ قالينيقس هذه النار

(١) خرج من العرب قياصرة مشهورون منهم فيليبس وكان من بصرى في حوران ثم نقفور الاول من آل جبلة وابنه استبراق ثم نقفور الثاني المعروف بابن الفقاس . اما نقفور الاول صاحب الرشيد فكان لغثيطاً اي اميناً لبيت المال في عهد الملكة ايريني ثم لما رأى سوء اعمالها خلعها وولي الملك مكانها . ولعله كان يعرف العربية فكتب الى الرشيد بالعربية وكتب الرشيد اليه بخطه على ظهر الكتاب . وقد ورد اسمه في بعض التواريخ العربية نقفور وتنفور وتكفور و نقفور والصواب الاخير وهو علم يوناني معناه المنصور وكان اسمه . اما نقفور وتنفور وتكفور فكلها لقباً لملوك الروم ومنه تكفور سراي في الاستانة وهو قصر في الفنار لملوك الروم والكلمة ارمنية مركبة من تاج اور اي صاحب التاج . وكان الروم يسمون آل جبلة جبلاس (Gabalas) واظنهم يلفظونها جبلة . وتولى كثيرون من آل جبلة مناصب الدولة وتجدهم مدونين في تواريخ الروم الى الفتح العثماني وقد امامهم لا يزالون في الفنار . واتفق اني مررت يوماً بين الموسكي والحمزاوي في زيارة للشيخ طاهر الجزائري رحمه الله فرأيت دكان رومي كتب فوق بابه اسم صاحبه وكان جبلاس كما يكتب الروم اسم جبلة . فأحببت ان اسأله عن اسمه واصله وكنت بملابسي العسكرية فخشيت ان يرتاب بي لاننا كنا في حرب وقلت اسأله في وقت آخر . ثم خرجت من القاهرة ولم اعد اليها الا هارباً من دمشق فنسيت صاحبي

المعروفة بالنار اليونانية وعرضها على معاوية وغالى في ثمنها فابى معاوية شراءها فباعها للروم فاستعملوها في رد غارة ابنه يزيد على القسطنطينية ثم في رد غارة مَسلمة بن عبد الملك في زمن اخيه سليمان . والمشهور ان العرب اطلعوا على سر عملها في فتح سلانيك سنة ٩٠٤ للمسيح على ان استعمالها في فتح هِرَقلة يدل على انهم عرفوا سرها قبل ذلك

٢ — القار في البلاد العربية وما يجاورها

النفط في الشرق الادنى في بقعة من الارض يحدها شمالاً خط اوله في باكُه على بحر قزوين وآخره في اضالية بآسية الصغرى ، ويحدها غرباً خط اوله في اضالية وآخره في عدن ، ويحدها جنوباً ساحل جزيرة العرب على البحر الهندي ، ويحدها شرقاً خط من باكُه الى آخر الخليج الفارسي فيكون معظم البلاد العربية ضمن هذه الحدود . ويُظن ان النفط في هذه البقعة لا يفوقهُ نفط في الجودة والكثرة ولاسيما ما كان منهُ في ايران والعراق . والعرب تسمي الآبار التي يخرج منها النفط عيون النفط والنفّاطات والقيارات ويسمون مستخرِج النفط والقير وبائعهما نفّاطاً وقيّاراً

ومن الاماكن التي فيها نفط او قار في البقعة التي مر ذكرها باكو والعرب تقول باكُه وباكويه وهي على الساحل الغربي من بحر قزوين . قال ياقوت في معجم البلدان « باكويه بلد من نواحي الدربند من نواحي الشروان فيه عين نفط عظيمة تبلغ قبالتها في كل يوم الف درهم والى جانبها عين اخرى تسيل بنفط ابيض كدهن الزئبق

الغساني من آل جبلة . ولعله باق هناك او انه اثرى على عادة الروم فصار صاحب تجارة كبيرة في مكان آخر وعسى ان يكون ذلك . وقد كان دكانه في الطريق المؤدية الى المنزل الذي كان يسكنه الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله والسيد محب الدين الخطيب

اما نقفور الثاني فهو من ذرية رجل مسلم من طرسوس اسره الروم وحملوه الى القسطنطينية فتوفي فيها وكان من ولده بطارقة منهم الدمستق لاون فوقاس وقد اشار اليه المتنبي في قوله « اذل من ولد الفقاس منكف » وحروبه لسيف الدولة مشهورة . فلما شاخ اعتزل الحرب وقيل ترهب وصار ابنه نقفور دمستقاً مكانه . وذكر المتنبي ترهبه في قصيدته التي مطلعها « لكل امرىء من دهره ما تعودا » وكانت عادة ملوك الروم وبطارقتهم ان يترهبوا في آخر ايامهم اما طوعاً او كرهاً . اما نقفور ابنه فكانت الحرب دائمة بينه وبين سيف الدولة الى ان عاد مرة من احدى غزواته ظافراً ومعه ابو فراس اسيراً فلما دخل القسطنطينية جعله الروم ملكا عليهم . ثم ما لبث ان اغتاله البطريق يوحنا بن الشمشقيق الارمني وكان نقفور يحبه محبة الآباء لابنائهم وقد ثقفه ورباه وعلمه فنون الحرب وجعله بطريقاً ولما ولي الملك جعله دمستقاً مكانه فغدر به وقتله وهو راقد في مضجعه وقيل كان ابن الشمشقيق ابن اخته

لا تنقطع ليلاً ولا نهاراً تبلغ نيرانها مثل الاولى . وحدثني من اثق بهِ من التجار انهُ رأى هناك ارضاً لا تزال تضطرم ناراً واحسب ان النار ستحدث فيها من بعض الناس فهي لا تطفأ لان مادتها معدنية »

وقال المسعودي في التنبيه والاشراف الصفحة ٦٠ « البحر الخزري هو بحر الخزر ومنهم من يسميه البحر الخراساني لاتصاله ببلاد خوارزم من ارض خراسان وعليهِ ايضاً الموضع المعروف بباكُه وهي النفاطة من مملكة شروان مما يلي الباب والابواب ومن هناك يحمل النفط الابيض . وهناك آطام وهي عيون النيران تظهر من الارض وفيه جزائر مقابل النفاطة فيها عيون للنيران كثيرة ترى في الليل على مسافة نائية . وقد ذكرنا في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر اخبار سائر الآطام مما في المعمور من الارض كاطمة سقلية واطمة وادي برَهوت من بلاد الشحر وحضرموت واطام البحر الخزري والباب والابواب وآطام الهنديجان بين بلاد فارس والاهواز تُرى بالليل من مسيرة اربعين فرسخاً واطمة اربوجان مما يلي الشيراوان من بلاد ماسبذان وهي المعروفة بحمة ترمان مما يلي سنجلان وذلك يُرى على اربعين فرسخاً من بغداد على طريق البندنيجين وايراز الروز »

وقال في مروج الذهب (٢ : ٢٥) باكُه وهي معدن النفط الابيض وغيره وليس في الدنيا والله اعلم نفط ابيض الا في هذا الموضع وهي بساحل مملكة شروان . وفي هذه النفاطة أطمة وهي عين من عيون النار لا تهدأ على سائر الاوقات تضطرم الصعداء . ويقابل هذا الساحل في البحر جزائر على نحو من ثلاثة ايام من الساحل فيها اطمة عظيمة تصفر في الاوقات في فصول السنة تظهر منها نار عظيمة تذهب في الهواء كاشمخ ما يكون من الجبال العالية فتضيء الاكثر من هذا البحر ويرى ذلك في مئة فرسخ من البر . وهذه الاطمة تشبه باطمة جبل البركان في بلاد صقلية من ارض الافرنجة الى ان قال « وبعدها اطمة وادي برَهوت وهي نحو بلاد اسفار وحضرموت من بلاد الشحر وذلك بين بلاد اليمن وبلاد عُمان وصوتها يسمع كالرعد من اميال كثيرة تقذف في قعرها بجمر كالجبال وقطع من الصخور سود حتى يرتفع ذلك في الهواء » انتهى ما اريد نقلهُ

وذكر في المجلد ٣ : ٦٧ من طبعة اوربا جزيرة صقلية وسمى الجبل الذي فيها بالبركان والاطمة وفسر الاطمة « بعين النار التي تنبع من الارض » وذكر أطمة

التومان في الشيروان وقال « هي اطمة عجيبة لا يستطيع ورد الماء على اطفائها ودفنها لشدة قوتها وسلطان لهبها وهي احدى عجائب العالم »

والاطمة عند العرب عين النار سواء خرجت هذه النار من بركان كما في اطمة صقلية او من غازات خلقية مشتعلة كما في باكه وكركوك واضالية . ولم ترد الاطمة بهذا المعنى في ما عثرت عليه من كتب اللغة وذكرها دوزي بفتح فسكون بمعنى جبل النار وقال لعلها من اطمى باليونانية وهو الدخان ووضع بعد قوله اشارة استفهام مما يدل على ترددهِ في الامر . وفي مادة أطم بالعربية الفاظ تدل على النار والاحتراق منها الأَطِيمة وهي موقد النار او أتون الحمَّام والعامة في بغداد تسميها الطمَّة . ومنها تأطمت النار اي ارتفع لهبها (تاج العروس) ومثل مادة أطَم أَتَن والنون والميم يتبادلان . ومثلها عَثَن ومنهُ العُثان اي الدُخان . ومن مادة أتَن الأتُّون والعُثان من اصل سامي لا اصل يوناني وان جبل اتنا بصقلية وهو بركانها المشهور من اصل سامي ولعل الفينيقيين سموهُ بهذا الاسم وربما كان من اطمى باليونانية بمعنى دخان فان الفاظاً كثيرة باليونانية والعربية متشابهة وهي من لغة البشر قبل تفرقهم بعد الطوفان اي بعد ذوبان الثلج في العصر الجليدي وكان ذلك منذ الوف من السنين وكان البشر قد هلكوا في الاصقاع الشمالية وازدحم من بقي منهم في مصر وجزيرة العرب والعراق والهند وجزائر المحيط الهندي وكانت لغاتهم متشابهة في بعض الالفاظ ثم ذاب الثلج وأخذ البشر يرحلون شمالاً فنقلوا الفاظاً كثيرة معهم لذلك نرى كثيراً من اساطير اليونان وآلهتهم والفاظهم تشبه ما عند الساميين من الآلهة والالفاظ والاساطير

ومرَّ الرحالة ماركو بولو بباكه في اواخر القرن الثالث عشر وذكر عيون النفط فيها قال « في اقاصي بلاد الكرج عين ينبع منها الزيت فيخرج منهُ في اليوم ما يملأ مئة سفينة . وزيتها لا يؤكل وانما يصلح للوقود ولدَهْن الابل الجرباء . والناس يأتون من الاماكن البعيدة ويجمعونهُ لانهُ لا زيت غيرهُ في تلك البلاد »

وذكر الرحالة يوناس هانواي نيران المجوس في رحلتهِ الى باكه سنة ١٧٥٤ قال « ان النار التي يسميها المجوس بالنار الدائمة هي من عجائب الكون . وهي تخرج على عشرة اميال الى الشمال من باكه بشرق وهناك معابد قديمة يقال انها بيوت النار رأيت الهرابذة[1] يعبدون النار في بيت منها وكان عددهم بين الاربعين والخمسين ، وقد جاء

(١) عبدة النار والواحد هربذ

هؤلاء المساكين من بلادهم لزيارتها . وقرب المعبد شق في الصخر عمقهُ نحو قدمين وطوله ست اقدام وعرضهُ ثلاث تخرج منهُ نار دائمة الاشتعال وهي لا تختلف في لونها ولطافتها عن نار المصباح لكنها اكثر منها صفاء واذا هبت الريح ارتفع لهيبها الى علوّ ثماني اقدام واذا سكنت انخفض عن ذلك ويقول المرابذة انهُ لا يمكن دفنها واذا اطفئت اوسدّ منفذها فانها تخرج من مكان آخر. والارض هناك على مسافة ميلين او اكثر اذا كشف التراب عنها وأُدنيت منها جمرة متقدة فالمكان الذي يكشف التراب عنهُ يشتعل . اما اذا نقل التراب الى مكان آخر فانهُ لا يشتعل. واذا اخذت قصبة او انبوبة من الورق وغرزت احد طرفيها في التراب وادنيت جمرة من طرفها الآخر خرج منها لهيب ولم تحترق . والقوم هناك ينيرون منازلهم ويطبخون طعامهم بهذه النار » قال السر بُفرتن ردوُد وعنهُ اخذت ما تقدم انهُ رآهم يطبخون آجُرَّهم بهذه النار في سنة ١٨٨٤

وهذه الآطام التي ذكرها المسعودي هي عيون النار كما قال وهي معروفة في باكه الى يومنا ولعلها نضبت الآن لكثرة ما أُخرج من نفطها . وكان الفرس يعبدونها فلما فتح العرب بلاد فارس ابطلوا عبادتها وهدموا بيوت النار ورحل من بقي على المجوسية من الفرس الى الهند وهم لا يزالون فيها ولكنهم لم ينقطعوا عن بيوت النار في باكه فكانوا يزورونها سرًّا خوفاً من المسلمين الى ان اعادوها منذ ثلاثمائة سنة او اكثر وكانوا يأتون اليها من الهند . ولم تنقطع عبادتها في باكه الى سنة ١٨٨٠ ورأى السر بفرتن ردود بيتاً من بيوت النار سنة ١٨٨٤ ولم يكن فيهِ نار وانما كان يخرج غاز من شقوق في ارضهِ وكان يسهل اشعالهُ . وكانت باكه من املاك ايران فالحقها بطرس الاكبر بروسية سنة ١٧٢٣ طمعاً في نفطها ثم استرجعتها ايران وعاد الروس واستولوا عليها سنة ١٨٠٦ ومنحوا امتياز استخراج النفط منها لرجل اسمهُ موزوف فربح منهُ اموالاً طائلة ثم نزع الامتياز سنة ١٨٧٤ واستبدلت ضريبة تدفع للحكومة . وإنَّ ابار باكه هذه اعجوبة من اعاجيب الدنيا منها بئر فتحت سنة ١٨٨٣ كان يخرج منها في اليوم الواحد عشرة آلاف طن من النفط الاسود اي خمسمائة الف صفيحة ربحها في اليوم احد عشر الف ليرة انكليزية . وهناك ابار اخرى لا تقل عنها

اما قيراب بخوزستان فقد مرّ ذكرها والنفط فيها ملك الشركة الانكليزية الفارسية وهم يستخرجونهُ من مكان يقال لهُ ميدان نفطون اي ساحة النفط وينقلونهُ في انابيب الى عبّادان كما مرّ ويقطرونهُ هناك بغداد امين معلوف

غرور الوهم

قصة لتوماس هاردي (١)

اشتهر هنري بتريك في أواسط القرن الماضي بكونهِ من ابرع المرابين واقدرهم على اقتناء القصور والحدائق والضياع والعقارات في مدينة لندن وضواحيها . ومعظم هذه المقتنيات آلت اليهِ لا بطرق البيع المعروفة بل كان يرتهنها من اصحابها على مقادير كبيرة من المال الى آجال معينة . وعند حلول الاجل كان اصحابها يعجزون عن فكاكها فيغلق الرهن وتصبح الرهائن ملكاً لهُ . وكان في اول امرهِ محامياً .. وبمزاولة هذه الصناعة صار وكيلاً لبعض النبلاء الاغنياء . فاتسع لديهِ مجال العمل بالمراباة على الوجه السابق ذكرهُ واثرى إثراء فاحشاً واصبح من كبار ارباب الاملاك

وكان في وقت ابتداء هذه القصة قد شاخ وجاوز الثمانين وكان ابنهُ الوحيد قد توفي . ولكن كان لهُ حفيدان ، اكبرهما المسمى باسمهِ — هنري بتريك — متزوّج وعما قليل يرزق ولداً . وفي هذا الوقت أُصيب الجدّ بمرض عضال أنذرهُ بتصرّم حبل حياتهِ ودنوّ ساعة وفاتهِ . فكتب وصيتهُ وحبس فيها كل ما يملكهُ ، من ثابتٍ ومنقول على حفيدهِ الاكبر ومولودهِ ، إن كان ذكراً . وإلاَّ فعلى حفيدهِ الاصغر ومولودهِ الذكر . وإن لم يرزق هذا مولوداً آلت التركة الى الاقرباء الاباعد

وفيما هو ملقى على فراش المرض تمخضت زوجة حفيدهِ الاكبر اناث وبشرت القابلة بمولود ذكر . وكان زوجها مطبوعاً على الامتثال لامر العواطف وبمعزلٍ عن الطموح الى المعالي والارتقاء في معارج العز والسؤدد ، مع كونهِ فرع اسرة عريقة في الدهاء والاحتيال وبعد النظر . ولهذا لم يكن التوفيق حليفهُ عند ما عقد زواجهُ على فتاة كان ابوها من طبقة العامّة او ارقى منها قليلاً . على ان زوجتهُ هذه كانت آية في الحسن والجمال . فلما رآها شغف بها شغفاً يفوق الوصف وما ابطأ ان خطبها من أبيها واقترن بها وهو لا يعرف عن تاريخ حياتها الاَّ شيئاً يسيراً . وكان الى الآن لا يرى اقلّ سبب يدعوهُ الى الندم والاسف على اختيار هذه الزوجة الحسناء . واصبح همهُ محصوراً في ما تعانيهِ من الداء الذي ألمّ بها بعد الولادة وهو يتمنى لها من صميم فؤادهِ الإبلال العاجل والشفاء الكامل

---

(١) راجع ترجمته بالتفصيل في مقتطف مارس الماضي

ولكن داءها — وكان حمّى النفاس — أعضل طبيبها فلم يبق عنده أمل بنجاتها منهُ . ولما شعرت بأنَّ شمس حياتها مالت الى المغيب دعت زوجها هنري اليها وطلبت ان تخلو بهِ على انفراد . ثم استحلفتهُ أن يعنى بالولد بعد وفاتها أتمَّ عناية ويتوفر على رعايتهِ وتربيتهِ كأب صالح وعلى محبتهِ كأمٍ رؤوم حنون . فأقسم لها بأغلظ الايمان ووعدها أن يفعل حسب طلبها . وبعد ما سكنت هنيهة قالت لهُ انها لا تستطيع مفارقة الحياة بكذبٍ مرتَّق لصفاء صحيفة سيرتها وخداعٍ مدنّس لطهارة سريرتها . فلا بدَّ لها من الاعتراف والإفضاء بسرّ رهيب قبلما يوافيها الحمام ويحبس لسانها عن الكلام . وقصت عليهِ حادثة تتعلق بنسب الولد على خلاف ما يظن

ومع كونهِ حادّ الشعور وسريع الإحساس كظم غيظهُ ونهنه من غربهِ متماسكاً متمالكاً ومتحملاً هذه الصدمة العنيفة بصبرٍ نادر المثال . وفي تلك الليلة توفيت زوجتهُ أنات . وقبل الاحتفال بدفنها اسرع الى جدّهِ واسرَّ اليهِ كلَّ ما حدث — ولادة ابنهِ واعتراف زوجتهِ ووفاتها . وتوسّل اليهِ بمحبتهِ لهُ أن يسجل في تغيير الوصية على وجهٍ يحرم المولود الدخيل حق الارث . فاستصوب الجد هذا الامر ولم يكن في حاجة الى من يلحّ عليهِ في العمل بموجبهِ . ومن فورهِ كتب وصية أخرى حبس فيها تركتهُ على حفيدهِ الاكبر مدة حياتهِ وعلى من يولد لهُ في المستقبل من الاولادِ الذكور . ومن بعدهم ينتقل الميراث الى حفيدهِ الاصغر ادوورد وورثتهِ . وبموجبها حُرِم المولود الجديد ولم يُعَدّ من اعضاء اسرة بتريك

ولم تطل حياة الشيخ المرابي بعد هذه الحادثة لانَّ اطلاعهُ على السرّ الذي افضى بهِ حفيدهُ اليهِ انشأ فيهِ هزّة غيظ وغمّ لم يستطع احتمالها فقضى نحبهُ وانضمّ الى قومهِ . وبعد فراغ هنري من قضاء الشؤون التي عرضت لهُ على اثر وفاة زوجتهِ وجدّهِ وجّه التفاتهُ الى اعمالهِ الاعتيادية وقد استراحت افكارهُ من جهة النتائج السيئة التي كان يخشى وقوعها لو لم يتداركها وعزم ان يتزوج مرة ثانية عند ما يظفره حسن الحظ بالحصول على زوجة حسب مشتهى قلبهِ

ولكن كثيراً ما يعزم الناس على شيءٍ ثم يعدلون عنهُ . وذلك لانهم في الغالب يجهلون انفسهم وقلما يعرفونها كما يجب . لان مرارة النفس التي تولدت في نفس هنري بتريك بعد اطلاعهِ على سرّ زوجتهِ تحولت شيئاً فشيئاً الى كره النساء وعدم الثقة بهنّ . ومع انهُ لقي عدة فتيات كريمات المحتد وربات حسن باهر وجمال ساحر لم يمل

فؤاده الى واحدة منهن وخاف ان يستعيد موقف الزوج ويستهدف فيه لغدر لم يكن في الحسبان وخيانة تجرّعه غصص الاحزان وتصمه بوصمة عار لا تمحى — ولذلك عاف الزواج كلّ العياف واستعان بقوّة عقله على كبح جماح نفسه ولم يهمه قط ان يعيش بلا نسل ولا عقب ويكون مصير التركة بعد وفاته الى اخيه واولاده قائلاً في نفسه ان هذه الخسارة ، مهما تعظم ، أيسر خطباً من تعريض اسمه للعار والشنار

وقد وفى بوعده لزوجته من جهة العناية بذلك الولد العاثر الجد والمنكود الحظ فاعد كلّ ما مسّت اليه حاجة تربيته وتنشئته في بيته . وكان من وقت الى آخر ينظر اليه فيراه على خير ما يرام ويكلم المربية ويشدد التوصية بمواصلة رعايته والسهر عليه . وعلى هذا الاسلوب اقام هو والولد في قصر ستابلفورد . وحدث بعد ثلث سنين انه خرج يتمشّى في حديقة القصر ونسي علبة السعوط على متكإٍ في الحديقة . ولما رجع ليأخذها وجد الولد واقفاً بجانب المتكإ وبيده العلبة مفتوحة وهو يلهو باستنشاق السعوط غير مبالٍ بما يسببه له من تواتر العطاس . فأعجب هنري بشدة ثبات الطفل واصراره على مزاولة هذه اللعبة مع كل ما يعانيه من العنت والانزعاج وتفرس في وجهه فرأى عليه ملامح زوجته ثم اخذ يتأمل في سوء حالة الاطفال لاسيما الذين يكونون منبوذين كهذا الطفل الواقف امامه

ومن تلك الساعة شرع يقاوم شعوره بخيبة أمله مستعيناً على اخماد جذوره بعامل شعور آخر وهو ان الانسان مفطور على المحبة . فهو بطبيعته مضطر ان يحب هذا الشيء او ذاك . ومن الحكمة ان يجري على هذه السنة الطبيعية . وهذا الاعتبار ولد فيه اهتماماً صالحاً بالولد روبرت . وهذا الاسم اطلق عليه بناء على التماس والدته وهي على فراش النزع . فانها طلبت اذ ذاك ان يعمد في غرفتها ويسمى روبرت ، خوفاً من ان تموت قبل الاحتفال بعماده علانية . ولم يخطر حينئذ ببال زوجها ان لهذا الاسم مغزى مخصوصاً . ولكنه عرف مؤخراً ، على سبيل الاتفاق ، انه اسم مركيز كريستمنستر ابن دوق سوثوسترلند وان قلب زوجته اناث كان يصبو الى هذا الشاب قبل زفافها اليه . ثم تذكر بعض الجمل التي فاهت بها زوجته في حديثها الاخير ولم يفقه لها معنى في تلك الساعة . وأما الآن فانها استدلّ على ان المركيز هو الرجل المراد بكلامها على تاريخ روبرت الصغير

وكان كلّ يوم يقضي ساعات الصباح مجالساً لهذا الولد وهو صامت لا يفوه ببنت

شفة ، لانهُ كان مطبوعاً على قلة الكلام، والولد يطلق لسانهُ بالحديث اطلاقاً متواصلاً ثم يغادره ويدخل غرفتهُ ويمعن في التبرّم والتأفف ويعزم على مقاطعة الولد وتنكّب مجالستهِ . ولكنهُ قلما ثبت على عزمه هذا اكثر من يوم واحد

وعلى توالي الايام ازداد هنري تعلقاً بالولد روبرت حتى اصبح تقريباً شغلهُ الشاغل والغرض الوحيد الذي يحيا لاجلهِ . وكان قبل هذا الوقت قد شعر بشيء من الغيرة لما تزوج اخوه ادورد ابنة رجل من كبار الاعيان . ولكن هذه الغيرة لم يبق لها من اثر عندما اتضح لهُ أنَّ نسب روبرت اشرف جدًّا من نسب زوجة اخيه . واخذ ذكر زوجتهِ يلطف ويطيب في ذهنهِ كلما فكر في ما كانت عليهِ من سلامة الذوق وحسن الاختيار مع انها ليست على شيء من كرم المحتد واصالة النسب. وبمثل هذه الاعتبارات جعل يستحسن الاسباب لاغتفار ضعفهِ وتسويغ محبتهِ للولد حتى اصبح يعدُّه من حيث الاصل — ان لم يكن من حيث الانباء — ممثلاً لبيت هو من اشرف البيوتات الانكليزية. وكان من الذين اسرفوا في تلك الايام في احترام الملوك وانسبائهم ووضعهم في مصافّ الآلهة. ولهذا كان خلاصة ما انتهى اليهِ في تأملاتهِ المبنية على هذا الاعتقاد أن الرجل الذي احبتهُ أنات من صفوة الشرفاء النبلاء فالولد ايضاً نبيلٌ وشريفٌ على رغم كل مكابر ومنازع

وكان كلما اطال التأمل في هذا الموضوع يزداد استصواباً واستحساناً لما فعلتهُ زوجتهُ المسكينة ، محاولة تحسين النسل في عشيرة بتريك . لم يجهل ما كان عليهِ اسلافهُ من ضعة الاصل وحقارة الشأن وقبح الصيت . وذكر ايضاً ان كثيرين من اقربائهِ الاحياء مقتفون خطوات آبائهم واجدادهم في طرق المثالب والمعايب . ولعله هو ايضاً مكتسب بالوراثة بعض هذه الصفات الذميمة.وكان من اسهل الامور أنها تنتقل منهُ الى روبرت لو كان من صلبهِ فيشبُّ على الشر والفساد وتنحدر شيبتهُ بحزن الى الهاوية فهو والحالة هذه يشكر الله من صميم فؤاده على ما جرى بهِ القدر وجعلهُ بمنجاة من هذا الخطر

ومما اشتهر بهِ كلُّ واحد من عشيرة بتريك شدة احترام النبلاء ومحاولة التشبه بهم والافتخار بالتقرُّب اليهم ولو من اوهن الوجوه وباضعف الاسباب. ففي ذات يوم قال ادورد لاخيه هنري : «ان ابنك روبرت سيكون حظهُ من دنياه مقصوراً على التنعُّم بالثروة التي تركها جدُّنا بخلاف الاولاد الذين سيولدون لي فانهم سوف يفخرون ما ما شاؤوا بان امهم من أسرة كريمة الاصل وعريضة الجاه » فطفر قلب هنري ابتهاجاً

بما عنده من الاسباب التي يستطيع بها ان يجبه أخاه ، ادورد ، ويتيه فخراً عليهِ وعلى ما يدّعيهِ لزوجتهِ من شرف الاصل

ولشدة اهتمامهِ بصبيّهِ روبرت طفق يطالع تراجم اسرة دوق سوزوسترلند ويقف على تفاصيل الاعمال المجيدة التي سجّلها التاريخ لرجالها العظاء منذ عهد ارجاع الملكية في انكلترا فإذا بهم كلهم قد ضربوا باسهم كبيرة في التجديد والإصلاح وأبلوا أحسن بلاء في ساحات الكفاح واحرزوا قصب السبق في سياسة البلاد وإدارة شؤون الامة على الوجه الاصح الامثل وبسطوا ايديهم في البذل والإنفاق على إنشاء المدارس والجامعات والمستشفيات وغيرها من الملاجيء والمتصدقات . ثم اخذ يفحص صور أولئك الاقطاب الغطاريف ويدقق نظرهُ في رسوم الملامح والتقاطيع ويقابل بها ما يراهُ في وجه روبرت ليرى آثار الشبه بينهُ وبينها

ولما بلغ روبرت اشدَّهُ واصبحت علاليُّ قصر ستابلفورد وغرفاتهُ تردّد صدى مرحهِ وقهقهتهِ وسائر حركات نشاطهِ اشتدَّ شعور هنري بتريك بتبكيت ضميرهِ وتوبيخ نفسهِ اشتداداً يفوق الوصف . فقد رآهُ الآن أحقَّ انسان في العالم بالاستئثار بتركة جدّهِ على بكرة أبيها . ولكنَّ ما فعلهُ عند ولادتهِ ، مدفوعاً اليهِ بعامل الحرق والرعونة ، قضى بنبذهِ وحرمانهِ هذا الحق . ولما كان قد صمَّم على ان لا يتزوّج مرة ثانية فهذه التركة بحذافيرها ستنتقل بعد وفاتهِ الى اخيهِ واولادهِ

ولكن وصيَّة جدّهِ الاولى كانت لا تزال باقية عندهُ ؟

والى الوصيتين اتجهت افكارهُ فصارتا موضوع هجسهِ في دخولهِ وخروجهِ وقيامهِ وقعودهِ . وكان كل ليلة ، بعد ما يرقد روبرت في سريرهِ ويأوي الخدم الى مضاجعهم يخلو بنفسهِ وينشر الوصية الاولى ويطالعها ويودُّ من صميم فؤادهِ لو كانت الثانية وكانت الثانية الاولى

وفي ذات ليلة بعد ما تملّى مسامرة روبرت بضع ساعات لجَّ بهِ داعي الحرص على مصلحة هذا الولد المحبوب وعاد لا يطيق صبراً على حرمانهِ فلم يبطيء بعد خروج روبرت من عندهِ ان عمد الى الوصيَّة الاولى وارتكب جريمة التزوير في تاريخها وأخّرهُ اسبوعين بحيث صار تالياً لتاريخ الوصيَّة الثانية بعد ما كان سابقاً لهُ . وهكذا حلَّت الوصية الاولى محلَّ الثانية

ومرَّت السنون وجاوز روبرت طور الحداثة وتوسط عصر الشباب ولكن لم يبدُ

عليهِ شيء من الملامح والصفات التي كان هنري يتوقع ظهورها فيهِ بذاهب الصبر . لم تلح على وجههِ آسال آل سرزوسترلند ولا نمت احاديثهُ على شيء من ذكائهم الخارق وحصافة عقولهم النادرة . وحدث ذات يوم ان هنري بتريك لقي طبيباً مشهوراً كان صديقاً حميماً لاسرة زوجتهِ أنات وطبيباً خصوصاً لهم يدعى لمعالجة كل مريض منهم . وقد عرف انات جيداً الى ان تزوَّجها هنري وانتقلت الى قصر ستابلفورد وحلَّ طبيب آل بتريك محلهُ . وبعد ما تعارفا وتآلفا وتجاذبا اطراف الاحاديث في كثير من الشؤون أُعجب هنري بما رآهُ في هذا الطبيب من شدة الزكانة وقوة الفراسة ورسوخ القدم في المباحث العقلية المتعلقة بعلم النفس علاوة على تضلعهِ من علم الطبّ . ولما آنس الطبيب من هنري ارتياحاً شديداً لسماع حديثهِ أفاض في الكلام على استسلام كثير من الناس لتخيلات وأوهام تتسلط على عقولهم وافكارهم حتى يتعذر عليهم الافلات منها. وكثيراً ما تنتقل بالوراثة من الاجداد والآباء الى الاولاد والحفدة. ومثل على ذلك بأم أنات وجدتها . فانهما كلتيهما كانتا عانيتين لسلطة نوع غريب من الوهم وهو اعتقاد صحة الاحلام وعدّها من الحقائق التي لا سبيل الى إنكارها . ثم سأل هنري متلطفاً هل لاحظ شيئاً من آثار غرور الوهم على زوجتهِ ؟ وقال لهُ انهُ هو نفسهُ كان قد سبق الى ظنهِ وجود أثر هذه الخاصة او الميل في افكار أنات ايام عزوبتها .وكانت الاستيضاحات تتوالى متعاقبة في هذا الموضوع حتى رسخ في ذهن هنري اقتناع تامّ أن اعتراف انات له كان مبنيًّا على خداع الاوهام وانَّ ما اقرَّت بحدوثهِ في اليقظة لم يكن الاَّ من قبيل اضغاث الاحلام

ولكي يزداد وثوقاً من صحة هذا الامر اطلع الطبيب على اعتراف زوجتهِ وكان قد حرص على كتمانهِ فلم يبح بهِ الاَّ لجدّهِ قبيل وفاتهِ . وماكان اعظم دهشتهُ عند ما قال لهُ الطبيب انهُ لا يستغرب صدور هذا الوهم عنها نظراً الى ما كان يعهدهُ بها من هذا القبيل

ثم واصل هنري التحري والبحث من جهات أُخرى. ومن مراجعة علاقات الزمان والمكان ومقابلتها بعضها ببعض اتضح له جليًّا ان ما افضت بهِ زوجتهُ اليهِ لا يمكن ان يكون له شبه صحة على الاطلاق . فالمركز المتَّهم بميل قلبها اليهِ — وهو من نخبة الشبان الحائزين اكبر قسط من عزَّة النفس وطهارة السيرة — كان قد برح انكلترة لسياحة طويلة قبل زواج أنات بسنة ولم يرجع الا بعد وفاتها . فحبها له لم تكن سوى حلم انساقت الى تصديقهِ بقوة الوهم !!

ولما عاد هنري الى قصره لقيهُ روبرت كعادتهِ هاشاً باشاً . فاستقبله بامتعاض داخلي لعلمهِ ان عروق وارث اسمهِ وثروتهِ لا يجري فيها سوى الدم الجاري في عروق عامة الناس . لم يبق لهُ امل بخلقٍ كريم المحتد . شريف الاصل . تحقّق ان روبرت ابنهُ والمجد والشرف اللذين خيل اليهِ ان ابنهُ ورثهما كابراً عن كابر لم يبق لعينهما في وجههِ من اثر . نظر اليهِ فلم يستطع — كما استطاع من قبل — ان يقرأ التاريخ في وجههِ ويتبين آثار الادهار في عينيه

ومن ذلك اليوم فصاعداً اخذ ميلهُ اليهِ يزداد ضعفاً وفتوراً وشرع يلاحظ ملامح عشيرة بتريك ظاهرة عليهِ ظهوراً جليًّا غير مصحوبة باقل علامة من ملامح الشرفاء الذين علل نفسهُ بانتساب روبرت اليهم

ثم تذكَّر نزقهُ وتسرُّعهُ في الحكم على زوجتهِ بما خدش جبين طهرها وعفافها وتذكر ايضاً إقدامهُ على اقتراف جريمة التزوير في الوصية الاولى تعلُّلاً باملٍ كاذب فاحفظتهُ هذه الذكرى المرَّة واضرمت في قلبهِ نار الغيظ وحقَّرتهُ في عيني نفسهِ . وذلك التزوير الذي ارتكبهُ في الوصية رآه الآن مجسماً في اسم ابنه — روبرت — وممثلاً للهزء والسخرية اصدق تمثيل ، اذ كان مَثَل ابنهِ الحامل لاسم المركيز مثل الحمار اللابس جلد الاسد ! وتعزيتهُ الوحيدة بهِ صدق نبوّته اي كونه ابنهُ حقًّا

وبعد ايام كان المركيز في جوار قصر ستابلفورد . فلقيهُ هنري بتريك وشاهد محياه طافحاً بعلامات المجد والشرف . وفي اليوم التالي إذ كان جالساً في مكتبهِ قُرع بابهُ . فصاح :

« من القارع ؟ » « انا روبرت »

ولما دخل زعق بهِ صاخباً مزمجراً وقال لهُ :

« دع عنك هذا الاسم (روبرت) الذي لستَ منهُ ولا قلامة ظفر ! وقل عن نفسك انك واحد من اهل بتريك السوقة . لماذا لا يكون صوتك كصوت المركيز روبرت الذي رأيتهُ امس ؟ لماذا لا يكون لك ما لهُ من ملامح المجد والشرف وامارات العزّ والسؤدد ؟ » فاجابهُ ابنهُ في حيرة وارتباك لا مزيد عليها

« ولماذا يجب ان يكون لي ذلك كلهُ ؟ وكيف تنتظرهُ مني يا أبي وانا لم اكن قط من اقربائهِ ؟ » . فصاح ابوهُ « لسوءِ حظّك وحظّي لم تكن ! »

ترجمة : اسعد خليل داغر

الذهب الوهاج في البادية

الجهاد في رأي العرب كالوطنية في رأي الاوربيين

في الرحلة الثالثة[١] (١٩١٤—١٩١٥) يوم جاء الاستاذ موزيل (الشيخ موسى) دمشق كان الامير نوري الشعلان معتقلاً في الضمير فتوسط لدى الحكومة من اجله، فأطلقت الحكومة سراح النوري بعد ان تفاهمت واياهُ في ما يتعلق بمحاربة الانكليز . وعدها الامير وعداً كان الشوق الى البادية ، بل الى الفرج ، اكبر ما فيهِ . وأسرع بعد ذلك في الرحيل دون ان ينتظر صديقه ومنقذه الشيخ موسى

ثم سافر الشيخ موسى وهو ينشد شيخ مشايخ الروله . راح يفتش عنهُ في البادية وظل يطوّف عشرين يوماً قبل ان ظفر به في مخيّمه بخبرة المجم جنوبي اللاهه في قلب الصحراء . وقد كان اوفر حظًا في هذه الرحلة منهُ في الرحلة الاولى . كيف لا وهو الآن مندوب او شبه مندوب للدول الوسطى في الحرب العظمى ؟ كيف لا وقافلتهُ هي ضعفا ما كانت في السفرة الاولى وفي احمالها الهدايا لمشايخ البدو . رحلة علمية خيرها جزيل لا يرافقها غير الشقاء . ورحلة سياسية لا خير فيها لاحد ترافقها التجلة والكرامة . هي الحياة حتى في البادية !

وما كان اجمل استقبالهِ في مخيم النوري بخبرة المجم . جلس اخو العرب الشيخ موسى الفلاخي (Czech) الى يمين الامير وكان في سلامه ، وفي شوقه ، وفي سؤالاته واحداً من العرب ، بل واحداً من بيت الشعلان وقد حزن حزن واحد منهم عند ما سأل عن بعض اصدقائهِ الغائبين وسمع الجواب — « وممدوح بن سطام ، وعذوب بن مجول وسعود (ابن الامير نوري) اين هم ؟ » فاجاب الامير بكلمة واحدة : « راحوا »

ثم اخبر اخاهُ الشيخ موسى كيف قُتل عذوب في الغزو . « عادت فرسه وحدها ملطخة بالدم » . وكيف قُتل ممدوح في غزوهِ لبعض عربان شمّر . « غزاهم في النفود فغنم جمالهم وغرّب هارباً ورجاله . فكمن لهم العدو ووقع ممدوح بيد الشمامرة في شعيب العاه . جانا بخبره من نجوا و « حِنا » بتلّ العمود »

وابنهُ سعود ؟ ذهب فريسة الغدر . — « قتلهُ كلاب ابن حاذي عند ملتقى وادي النعيم بوادي سرحان شمالي قراقر . جاؤوهُ غادرين يقولون انهم بأمرة عوده

(١) راجع مقالة « البادية العربية » في الجزء الماضي

ابي تايه . وعربان ابن حاذي يلبسون مثل عربان عوده . صدقهم سعود وأنزلهم عليه ؛ فغدروا به . « ثوّروا » البنادق على سعود ورجاله فقتلوهُ وقتلوا اربعة معهُ ؛ وشردوا ولكن الباقين من رجالنا لحقوا بهم فادركوهم صباح اليوم التالي ، وساقوهم الى المكان الذي سال فيه دم سعود ، فذبحوهم ورؤوسهم الى القبلة ذبح الغنم »

هي حياة البدو على الدوام . وقد جاء الشيخ موسى من « ديرة الفلاح » باوروبة ينصحهم بان « يثوّروا » بنادقهم على الانكليز بدل ان « يثوروها » بعضهم على بعض . جاء يوفق بين القبائل المتعادية ويستنهضهم الى مناصرة الدولة العلية وحليفتيها المانيا والنمسا

وكان الامير نوري قد خرج من دمشق والحكومة تظن انهُ سيسعى والشيخ موسى لانجاح المشروع . ولكن الحكومات لا ترجم بالغيب وقلما يفتح البدو قلوبهم في غير البادية

قال الامير يخاطب الشيخ موسى في جلستهما الاولى السياسية : « انت يا اخي تعلم ما بقلبي ، انت تعلم اني لا اثق بالحكومة ، ولا الحكومة تثق بي . لولاك كنت اليوم لا ازال اسيراً في الغوطة . . . وهذه الحكومة تطلب مني اليوم ان اساعدها في محاربة الانكليز . تطلب من النوري الذي حاولت ان تشنقهُ منذ اربع سنوات — النوري الذي قضى سنتين بسجنها — النوري الذي خلصتهُ انت يا شيخ موسى من المشنقة . تطلب مني هذه الحكومة الملعونة الوالدين ان استنفر العربان لمحاربة الانكليز . . . . وهذه الحكومة تضرنا اذا ارادت وتضر اهلنا وعشايرنا . يلزمنا ثياب ، ويلزمنا قمح ، ويلزمنا شعير لخيلنا . وهذه لا نجدها اليوم في غير الشام . واهل الشام لا يبيعونا اذا عادينا الحكومة . اهل الشام يكرهون الحكومة مثلنا ويناصرونها علينا . فهل تلومني اذا وعدت الحكومة بالمساعدة ؟ الحكومة الملعونة الوالدين سأعطيها الوعود . . . . ولكني ادفع الميرة والله ، واساعد الحكومة بمالي . اطعمها الذهب . الذهب ! سامي باشا (المشير يومئذٍ) أكَل ارطالاً من ذهبي . وعند ما لجأتُ اليهِ حكم عليَّ بالشنق . . . الحكومة الحاضرة لا تبغي المال — بل تبغي الرجال للحرب ، وتقول لي انها تساعدني بعد الحرب على ابن الرشيد والله اعلم اذا كانت تكذب او تصدق في قولها »

فقطع نواف عليهِ الحديث قائلا : « هي تكذب يا ابي . وكيف تساعدنا وانور باشا يرسل الى ابن الرشيد السلاح والذخيرة والمال ؟ في اول هذا العام ارسل اليه في سكة الحديد الى الهجر خمس عشرة الف « موزر » واربعمائة الف خرطوشة ، ومدافع كثيرة ، وصناديق من الذهب تسلمها ابن السبهان ونقلها الى حائل . . . وهذا الانور

هو الذي صالح ابن سعود واعطاهُ الباشين . ثم اعطى ابن الرشيد السلاح والمال ليحاربهُ . . ولولا هذا الانور لما نكث ابن الرشيد عهد الصلح بينهُ وبيننا وبينهُ وبين ابن سعود . . . ترى ابي يدفع الى الحكومة اربعة آلاف ليرة كل سنة ويشتري بماله ما يلزمهُ من السلاح والذخيرة ليحمي عشائرهُ، وليحمي رعايا الدولة في القرى المجاورة للبادية . اما ابن الرشيد فالحكومة تعطيهِ كل شهر مائتين وثلاثين ليرة عثمانية ، وتعطيهِ ما يبغي من السلاح والذخيرة ، فتقويهِ علينا ، فيسلب « طروشنا » ويقتل رجالنا »

النوري : وما العمل يا ابني نواف . هل يمكنك ان تحارب ابن الرشيد ؟ وابن سلاحنا من سلاحهِ ؟ اربعة آلاف بندق (بندقيـة) على خمس عشرة الف موزر . وخرطوشنا ما ينفع . لا يا الولَيْد . خير لنا ان نطيع الحكومة وننتظر — ننتظر الى ان تنتهي الحرب والحكومة تبغي السلم بين العشائر ونحن الروله (تلفظ ارْوَلـه) نبغي السلم — نحتاج الى السلم » فقال الشيخ موسى

« الحق مع والدك يا نواف . اتحدوا فيخافكم ابن الرشيد، وتخافكم الدولة . وانا الكفيل ان عشائر الفدعان يصالحونكم . ويجب ان تصالحوا كذلك ابن الرشيد »

وكان عوده ابو تايه حاضراً فافصح عما في صدره بصراحة عربية لا صراحة بعدها . « وهل تظن الحكومة اننا لا نفهمها ؟ تقول لنا : السلم . وهي تبغينا للحرب . هي لا تثق بنصارى سورية ولا تثق بدروز حوران . ويلزمها جمال لتمشي الى مصر . وهي تعرف ان القبائل ما زالت متعادية فكل قبيلة تعتذر وتحيلها على عدوها . اقول انا ابو تاية للدولة : دونك وعبطان [1] ويقول لها النوري : دونك والفدعان . ويقول لها نواف : دونك وابن الرشيد . وهم يقولون لها قولنا ويحيلونها علينا . النتيجة ؟ كلنا نظل في خيامنا . . . اي بالله يلزمنا السلم . يلزمنا السلم لمصلحتنا لا لمصلحة الدولة . اكتب يا شيخ موسى الى الحكومة وقل لها اننا نمشي معها بشرط ان تردع اعداءنا وهم في الظاهر اصحابها »

الشيخ موسى : « وهل تمشي انت ورجالك يا عوده مع الجيش الى مصر ؟ »

عوده : « لا اخرج من البادية ما زال فيها خصومات . اما اذا صالحت عبطان وابن الرشيد ، واعطتني الحكومة السلاح والذهب ، — يلزمني ذهب وسلاح — امشي والله . امشي الى مصر » . وكان في مخيم الامير بعض مشائخ العمارات فقال احدهم مجيباً على

(١) عبطان بن حازي شيخ الحويطات التي كانت يومئذ معادية لحويطات عوده ابي تايه

كلمة للاستاذ موزيل في الجهاد. — «الجهاد يا شيخ موسى هو ان نحمي خيامنا وطروشنا»

وفي لغة المتمدنين الجهاد هو الحرب في سبيل الوطنية، فيقول الانكليزي مثلاً الجهاد هو ان نحمي بريطانيا العظمى وممتلكاتها. لافرق اذن بين عقلية البدوي وعقلية الانكليزي. فلماذا يكرم هذا في جهاده، ويتهم ذاك بالوحشية؟

— «واعلم يا شيخ موسى» — الكلام لشيخ آخر من مشايخ العمارات — «اننا لا نكره الانكليز ولا نحبهم. اما اذا اقتربوا منا وحاولوا التعدي علينا فالويل لهم . . . هم الآن يحاربون الدولة فلتحاربهم الدولة بجيشها». — «يقولون ان الانكليز دواهي يأخذون املاك الناس ويسلبون حريتهم. والله يا شيخ موسى اذا جيئنا ما يأخذون غير مالنا. اما حريتنا فلا يأخذها منا غير الله . . . ولكنهم الآن بعيدون عنا فلاهم اعداؤنا ولاهم اصحابنا. و«ويش» يصير غداً — الله اعلم»

النوري: «كلامك صحيح. ولكن يجب ان نطيع الحكومة. الله ينصر الدولة»

ثم قال للشيخ موسى وهو عائد واياهُ الى الخيمة: «لا بد من الكلام السياسي، فلا يسوّد احدٌ وجهي مع الحكومة»

وظل النوري يتقلب ويتلون الى ان ظهر في الحجاز، بعد سنة، الكرنل لورنس، فغلب الخيّال الانكليزي النسر الالماني. اجل، قد ظفر لورنس بما لم يظفر بهِ الاستاذ موزيل فجمع شمل العربان وضمهم تحت لواء الشريف — ولواء الاحلاف — وكان الفضل الاكبر في فوزهِ للذهب الانكليزي. ومن المعلوم ان الليرة الانكليزية تزيد الليرة العثمانية عشرين غرشاً. ومن المعلوم — اليوم — ان عقلية الاحلاف هي مثل عقلية شيخ العمارات الذي قال: «الجهاد (الحرب) هو الدفاع عن خيامنا وطروشنا»

فهل يلام العرب اذا هم فضلوا لورنس والشريف على موسى والجمال؟ وهل يلامون في ما تقاضوهُ للدفاع عن الانكليز والفرنسيس، ونحن نرى اليوم انقلاب الآية؟

قد كشفت لنا الايام. بعد تسع سنين من الهدنة، عن بواطن الاحلاف ونياتهم، فصرنا نعذر العرب الذين فضلوا الليرة الانكليزية على الليرة العثمانية — الذين باعوا الدولة بل الدول الوسطى بعشرين من الفضة. بل صرنا نأسف لان الدول الوسطى انسحبت يومذاك من المزايدة. فلو ثبت الاستاذ موزيل وكان سخيًّا، او بالحري لو كان موكلوه أسخياء، لانقلبت الآية، ولباع العربُ لورنس والشريف، ودول الاحلاف جمعاء بعشرة لا بعشرين من الفضة

امين الريحاني

العلم والعمران بعد غد

بحث العلماء عن قوى الطبيعة والحياة

لا نعرف موضوعاً اعلق بالنفس واكثر اتصالا باحول الحياة في الحاضر والمستقبل القريب من موضوع العلم وما يمكن ان يصل اليه في نصف القرن المقبل وما يكون له من اثر في تقدم العمران . وقد وضع الاديب الانكليزي المشهور السر فيلب جبس كتاباً في هذا الموضوع سماه « ما بعد غد » فرأينا ان ننشر مقتطفات منه في هذا الجزء والاجزاء التي تليه :

لا جدال في القول إن التغير الجوهريّ الذي طرأ في القرن الماضي على العادات الاجتماعية في كل اقطار المسكونة قد فاق كل ما حدث من نوعهِ فيها منذ ستة آلاف سنة

ويخيَّل اليَّ ان التغير الذي لا بدَّ ان يحدث في السنين الخمسين المقبلة او فيما يقلُّ عنها قد يبزّ الانقلاب الذي تمَّ حتى اليوم ويعدوهُ

وسأورد في هذا الفصل وما يليهِ من الفصول ما اتصوَّرهُ من المستنبطات والمكتشفات التي قد تتم في المستقبل القريب، متخيراً هذين اللفظين «المستقبل القريب» بلا تحديد ، في غير معنى التنبوء الذي يستعملهُ لهُ المستر ولز في التنبؤات التي لا تستند الى اسس ثابتة بل تقوم على تخيلات من قبيل اوهام الشعراء. وقد توخيت اثبات الحقائق وايراد احدث الحقائق العلمية على ما وصل اليهِ علمي وبقدر ما ادركت من كنهها

في المعامل الكيماوية الساكنة

يجدر بالسوقة ، وانا فردٌ منهم ان يراقبوا علماء هذا العصر وهم يدأبون بين جدران معاملهم الكيماوية الساكنة ، المحظور على امثالنا ولوجها . علينا ان نُعنى بذلك لانهم يقومون بمباحث متعلقة بحياتنا ،كما اننا نحن المرضى الذين من اجلهم يعملون عملياتهم مع ان السواد الاعظم منا لا يفقه كنه هذه العمليات ولا يفهم الخطط التي يختطونها لوسائل معيشتنا في المستقبل. وهؤلاء العلماء الفضلاء يثابرون على اعمالهم بمنجى من جلبة الناس إما باحثين بطول أناة ، منقبين بنظاراتهم ومكرسكوباتهم في الكائنات العضوية وغير العضوية ،وإما مستقرئين التفاعل الكيماوي الذي ينجم عن اتحاد العناصر المختلفة بعضها ببعض،وإما متتبعين ادوار حياة الجراثيم واثرها في الاجسام الحية ،واما مقلبين بين ايديهم آلات صغيرة تتأثر بالضوء او تحس بالصوت . واكثرهم يباشر ذلك كلهُ ليس

رغبة في البحث لذاته وانما لافادة البرية بأسرها . ولا بدَّ ان تحدث تجاربهم العلمية تغييراً عظيماً في عادات الناس وانظمة معيشتهم

وليس الكتمان من سجايا العلماء الاَّ الى حين ريثما تثبت لهم الحقائق ناصعة فيذيعونها للناس . وقد شرع بعضهم فعلاً في تأليف الكتب الصغيرة ليستفيد منها الجمهور ويعلم ما يحتمل حدوثهُ في المستقبل القريب او ابعيد ، وما يتوقع وجودهُ من قوى جديدة ما زالت في طيّ الخفاء

فاذا ما اقدم امرؤ مثلي من الجهلاء على التعارف باولئك العلماء فانهم لا يصدفون عنهُ ولا ينكرون عليهِ الارتشاف من منهلهم العذب ولكنهم يعمدون الى كلمات مبهمة مقتضبة يظنونها هينة قريبة التناول وهي في الحقيقة طلاسم يقف امامها امثالي مرتبكين حائرين

وهم على الضد من ذلك يودون ان يماط اللثام عن مستنبطاتهم وما يرجى منها . ولكن فرداً من افراد الطبقة الدنيا لاهمَّ لهُ الاَّ عمله اليومي والراحة منهُ في المساء، او امرأة عليها ان تقوم باعمال بيتها في الصباح وبواجباتها الاجتماعية في المساء، قلما تهمهما أفكار العلماء . ومع ذلك فان هذه النظريات والمباحث لا بدَّ ان تجدّد المدنيّة تجديداً جوهريًّا فتصبح معظم الاعمال التي يقوم بها الرجال الآن مزدراة في المستقبل وتتبدل ازياء النساء . حتى سبل الحياة نفسها ربما تفضي بالسائرين فيها الى عمران آخر

نعم يجب علينا ان نتتبع خطوات العلماء عن كثب لان مصدر الانقلابات الاجتماعية العظيمة لم يعُدْ ، في يد الفيلسوف ولا المفكر الكمالي النزعة ولا الوزير السياسي ، إذ ثبت ان هؤلاء الرجال اصحاب الفكر المجرد او النظريات السياسية لا شأن لهم في احداث اقل تغير في حياة الجمهور او في علاقات افرادهِ بعضهم مع بعض . وذلك بصرف النظر عن القليلين من ذوي الالباب السامية الذين غيروا مجرى التاريخ في العصور الغابرة او قد يغيرونهُ في اوقاتنا الحاضرة مثل لنين واتباعه الذين كانوا سبباً لتدهور شعب باسرهِ في دركات الخراب ولو الى حين . ان الرجال الذين اكتشفوا اولاً استعمال النار ، والرجل الذي اخترع عجل المركبات ، غيرهم ، كان لهم في نشوء العمران المادي شأن اعظم من شأن اي فيلسوف . وليس من ينكر ان الكيماوي والمهندس هما العاملان الوحيدان اللذان احدثا الانقلاب الخطير الذي عمَّ المسكونة في القرن الماضي لانهما خلقا كلَّ وسائل الاتصال بين شعوب الارض وغيَّرا مظاهر الحياة الفردية باستخدام قوة جديدة يسيطر عليها الانسان

الآلات والعمران

لا يخفى على كل منا ان جميع احوال الحياة الاجتماعية في كثير من البلدان قد تبدلت تبدلاً مدهشاً منذ نحو قرن من الزمان وان الذين قاموا بهذا التبديل رجال قلائل جلهم من الطبقات الوضيعة الخاملة الذكر كالذين درسوا قوة البخار في توليد الضغط في فراغات محصورة فأسفرت تجاربهم عن حلول قوى الآلات محل قوى الانسان فبدأ عصر الصناعة وما يصحبهُ من مدن غاصة بالسكان ، حافلة بالمصانع التي تقذف مداخنها بسيول عرمة من الدخان . وقد ترتب على ذلك أن بلاداً معروفة كادت تتلاشى منها وسائل الصناعات اليدوية الضيقة البطيئة الانتاج — فعجّلت نظم الحياة بعد مضي الوف من السنين عانى الناس في اثنائها — الاَّ بعض الملاحين والتجار والعلماء والادباء والحكام — الشدائد في الانكباب على الارض التي نشأوا فيها يكدّون ، ومن عرق جبينهم يأكلون خبزهم ويحققون مآربهم الطفيفة التي تجشموا المشاق في سبيل الظفر بها . وكانوا في الغالب يعيشون ويموتون في بيئة ضيقة النطاق جدًّا لا تتعدّى المزرعة او القرية ، وان اتسع نطاقها فما كان يجاوز وطنهم وما فيهِ من مجال فكري ضيق ووسائل بطيئة للنقل والانتقال

وفي هذا الصدد يقول عالم من اكبر علماء الانكليز « ان غاية جميع النظم الاجتماعية من اقدم الازمان هي زيادة قوة الفرد الانساني »

ويتجلى صدق هذا القول في تاريخ القرن الماضي ولاسيما في النصف الاخير منهُ الحافل بازدياد القوة الانسانية الفردية ازدياداً عظيماً وذلك بما استجدَّ حينئذٍ من الوسائط العلمية التي ذللت القوى الطبيعية حتى صيرتها تدير الآلات فتغني العمال عن احتمال مشاق الاعمال. ونعني بها البخار والكهربائية وقوة الماء والنفط والبنزين وغيرها وهي الوسائل التي توسل بها الانسان الى تحرير نفسهِ من اللعنة الالهية الازلية — ولعلها بركة او بعبارة اخرى نقمة تنطوي على نعمة — تلك التي حلَّت بجدنا آدم من لدن الله تعالى إذ قال لهُ « ملعونة الارض من اجلك ، ومن عرق جبينك تأكل خبزك »

إن رجلاً واحداً ونريد بهِ — هنري فورد — في قطر عظيم — ونعني بهِ جمهورية الولايات المتحدة قد أتيح لهُ في مدى حياته بتنظيمه الخاص لاعماله ان يضيف الى العالم قوة محرّكة متحركة تكاد تعادل قوى ٣٠٠ مليون حصان وهي قوة تفوق ٩٧ ضعفاً القوى الكهربائية التي يمكن ان تتولد من شلالات نياغرا . على حين ان

العالم باسره انما يستخدم من القوات المحرّكة الثابتة ما يوازي قوة ٢٣ مليون حصان تستأثر الولايات المتحدة وحدها باكثر من ٩ ملايين حصان منها

فاذا تساءل الناس قائلين — هل زاد عمل فورد وسائط سعادة الناس كما زاد القوى الآليّة كان جوابنا عن هذا السؤال الخطير منحصراً فيما سنوضحهُ من المستنبطات التي تختمر في عقول رجال العلم . اما هنري فورد نفسه فيعتقد انهُ قد زاد الحياة سعادة كما اكثر القوات الآلية اكثاراً عظيماً . ومن آرائه في هذا الشأن أن الاجير الصيني الذي يقضي في عملهِ اليومي عدة ساعات يتقاضى لاجلها دريهمات معدودات ليس اسعد من العامل الاميركي الذي يتمتع بدارهِ وسيارتهِ

وما عليك اذا شئت ان تحقق ذلك إلاَّ ان تقصد عاملاً من ركاب المركبات التي تطوف في الشوارع وتسألهُ هذا السؤال : فيقول لك إنهُ منذ بضع سنين كان يعود الى داره من عمله تعباً بحيث لا يجد متسعاً من الوقت لتغيير ثيابه فكان يتناول عشاءهُ ثم يذهب الى فراشه لينام . اما الآن فانهُ يستطيع خلع ثيابه القذرة في محل عمله وارتداء الثياب النظيفة ويرجع الى بيته قبل ان يخيم الظلام فيتمكن من استصحاب عائلته للتنزه . ثم ان ذلك العامل لا يحجم عن مصارحتك بأن زمن الارهاق قد مضى وانقضى وان كل ما يطلب منهُ في عمله الآن ان يكون اشد عناية بتنظيمهِ من قبل

اما وقد بسطنا حكم رجل من أعظم رجال الاعمال في هذا العصر بشأن استخدام القوة المحركة في المرافق البشرية — فقد توخينا الاستهلال بهِ لان العلماء العصريين على أهبة تزويد الناس بقوى جسيمة تزري بما استخدموهُ حتى اليوم في قضاء اعمالهم . وعندي ان هذا التقدم يتجلى بالاخص في طرق الاتصال بين فكر انسان وآخر وبين جماعة واخرى على حين ان العلماء ما برحوا يجدّون في امتحان واستحداث موارد جديدة للقوة

«إن النقل والانتقال — على ما يقول الاستاذ هلداين العالم الذي يعتبر من انبغ العلماء الشبان الانكليز — محدودة بسرعة الضوء . أما نحن فقد وقفنا هنا على تحقيق حالة يتسنى فيها لاي شخصين على سطح الارض الاتصال احدهما بالآخر في جزء من ٢٤ جزءا من الثانية . قد لا نحقق هاتهِ الغاية ، ولكنها أمنيتنا وسنسعى الى ادراكها بلا ونى»

فجر عصر الهواء

اما النقل التجاري — ونعني بهِ نقل الناس او البضائع من جهة الى اخرى من

جهات المعمورة — فان السنين الخمس والعشرين المقبلة او ما يناهزها قد تغير اساليبنا الخاصة به . لاننا ما زلنا في فجر عصر الهواء

شهدت من زمن يقل عن عشرين سنة روّاد الطيران يمارسون تجاربهم الاولى الضئيلة الخطرة ليرتفعوا فوق الارض بآلات اثقل من الهواء كما رأيت بعضهم ينتحرون يأساً من امكان مكافحة الهواء حتى وقع نظري على رجل اسمهُ (كودى) يخرج آلة كان قد صنعها بنفسهِ صنعاً غير متقن فكانت دعائمها [1] ثقيلة ومرجلها [2] وزن نصف طن وكنا اذ ذاك نسمي تلك الطيارة « القصر البلوري » و« سيارة العائلة » وما شاكلها من الاسماء التي اطلقت عليها على سبيل التهكم لاننا ما كنا نعتقد بان ذلك الرجل يستطيع ان يطير بها حتى جاء يوم أتيح لهُ في صباحهِ الارتفاع بها في الجو فطار حول المطار طيراناً خفيفاً كالفراشة . وكرَّر ذلك ثلاث مرات قبلما سقط وتحطمت الطيارة فسلناهُ بانفسنا من حطامها مثخناً بالجراح ولكنهُ كان مسروراً بما استهدف لهُ من الاخطار لانهُ « فاز بتحقيق رغبتهِ » كما قال

وما لبثنا بعد ذلك حتى شهدنا تقدم الطيران يتم امام عيوننا واتفق ابتداء هذا التقدم عند نشوب الحرب العالمية فاستخدمت جيوش المتحاربين الطيّارات — بعد ما حلم بها الناس احقاباً طويلة من غير أن تتعدى احلامهم دور التمني — في زيادة احتدام المذابح الانسانية ومضاعفة اهوال الحروب

وكم دهش الناس من السهولة التي أصبح الشبان يطيرون بها طياراتهم ومن قصر الزمن الذي لزمهم لتعلم الطيران — ومثلهم في ذلك مثل من يدهش من تحقق النبوءات

ومما يروى في هذا الصدد : ان صديقاً لي فرنسي الجنس كان في جزيرة جرداء من جزائر المحيط الهندي الجنوبي اذ علم عن طريق احدى البواخر التي يمَّمت شطر تلك الجزيرة بأن جيوش الالمان تتقدم نحو مدينة باريس . وكان هذا اول نبإٍ سمعهُ بشأن الحرب فلم يسعهُ الاَّ ان يبحر عائداً بتلك الباخرة الى فرنسا «وطنه» — وما وطئ ارضها حتى شرع في تعلم الطيران فاتقنهُ في اسبوعين ثم اخذ يطير فوق خطوط الالمان

وكان من نتائج الحرب الفظيعة حينما تفاقمت المخاطرات بجميع انواعها واخترع

(١) الاعمدة الرفيعة العمودية القائمة بين جناحيها وذنبها لربطهما بعضهما ببعض عند الطيران

(٢) المرجل فنطاس البنزين

العلماء قوة جديدة للقتل ان زادت سرعة الطيارات وضوعفت قوتها لحمل الاثقال فاضحى كشافة الجو يطيرون بسرعة ١٠٠ ميل او اكثر في الساعة الواحدة ، وتيسر للطيارات التي تقذف القنابل قذف ما يزن طناً من المواد القابلة للانفجار

اما الآن فانا دائبون على استعمال هذه الوسيلة الحديثة من وسائل النقل في طرق السلم . ولكن الى متى ؟ !

ففي فرنسا والمانيا وانكلترا وغيرها من الممالك خطوط جوية تصل المدن الاوربية الكبرى بعضها ببعض (كما هي متصلة بالسكك الحديدية) اتصالاً منتظماً بمواعيد مضبوطة كمواعيد القطرات

كنت آخر مرة في سويسرا وعزمت على العودة الى انكلترا فتناولت فطوري في مدينة بال على بحيرة كونستانس وغدائي في مدينة باريس وتناولت الشاي في كرويدون، ثم بلغت داري قبيل ميعاد تناول عشائي بساعتين مع ان داري في قرية تبعد سبعة اميال عن محطة سكة الحديد بلندن فكأني قضيت في عودتي الى بلدي سبع ساعات بدلاً من ست وثلاثين ساعة بالقطار والباخرة — فصارت سويسرا أقرب الى بلدي بسبب ذلك خمسة اضعاف مما كانت عليه قبلا — وبعبارة اخرى انها غدت قريبة من مدينة لندن قرب مدينة ادنبره لها قبل استعمال الطيارات وقريبة ايضاً مثل قرب ثغر دوفر للندن قبل استعمال القاطرات . وقد قرَّبت الطيارات كثيراً من الاقطار الاخرى النائية الى مراكز العمران الغربي وبواسطة المواصلات الجوية للنقل والانتقال قرَّبت بريطانيا العظمى اطرافَ امبراطوريتها المترامية

وفي كل سنة بل في كل اسبوع يدوَّن في التاريخ اقصى ما يبلغهُ الطيران من البعد والسرعة .وفي اول سنة ١٩٢٧ طار السير (صموئيل هور) وزير الطيران البريطاني مستصحباً قرينته الى الهند في احد عشر يوماً بمتوسط ١٠٠ ميل في الساعة الواحدة من غير عارض او عائق يعوقهُ في رحلتهِ . ثم عاد الى انكلترا من غير ان يحمل معهُ في سياحتهِ الجوية أدوات ما لتغيير ما قد يتلف من أجزاء الطيارة التي طار بها

وكان الفائز في الطيران بلا وقوف حتى آخر مارس سنة ١٩٢٧ الملازم الاول كوست وزميله اليوزباشي رينو وهما الطياران الفرنسويان اللذان طارا من مدينة باريس الى مدينة جاسك في بلاد فارس والمسافة بينهما ٣٣٩٠ ميلاً وذلك في ٣٢ ساعة

[في الجزء القادم فصل آخر من هذا الكتاب النفيس تال لهذا الفصل]

دانتي والاسلام

﴿ تمهيد ﴾ اعلن الاستاذ أسين بلاسيوس Palacios استاذ اللغة العربية في جامعة مدريد للملأ ان دانتي الشاعر الفلورنسي الذائع الصيت قد حاكى التقاليد الاسلامية في الرواية الالهية The Divine Comedy . فاشتد الجدال : فمن جاحد منكر ومن مناصر مشايع . هذا ولما للموضوع من مساس بحياتنا الفكرية في الشرق وتعميماً لفكرة الأب الاستاذ أسين انقل لقراء « المقتطف » مجمل افكاره وبراهينه مستعيناً بكتابه المدعو « الاسلام والرواية الالهية » الذي نقله الى الانكليزية المستر سندرلند Sinderland وطبع في لندن (سنة ١٩٢٦)

والاستاذ اسين كما قالت مجلة المشرق الغراء « أحد الاعلام المتخصصين في فلسفة الاسلام وفي طرائقه الصوفية وله في الشاعر دانتي رأي يخالف لمذهب العلماء في أمر الرواية الالهية » فلا غرو اذن ان أثار كتابهُ الجدل في عالم الفكر الغربي لانهُ ذهب الى ان الشاعر العبقري مدين في كثير مما كتبهُ للثقافة الاسلامية عامة والتقاليد الصوفية خاصة . والاب أسين ليس أول من فكَّر في هذا الامر الخطير ولكنهُ أول من برهن على صحته بالاساليب العلمية والبراهين المحسوسة . ولقد ظن قبله الاستاذ Blachet في مقاله « المصادر الشرقية للرواية الالهية » ان الاسلام كان من المؤثرات التي عملت على انتاج فكرة هذه الرواية ولم يقم الدليل على صحة رأيه حتى قام الاب أسين بهذه المهمة الشاقة

بحث الأب اسين اولاً في ما لقصتي المعراج والاسراء من الاثر في الرواية الالهية اذ بعد ان اختلطت قصة المعراج Ascension بقصة الاسراء Nocturnal Journey وصارتا واحدة عكف عليهما الصوفيون يدرسونهما ويأوّلون تفاصيلها وكان اشهرهم في هذا المضمار محي الدين بن العربي المُرسي الذي توفي قبل مولد دانتي بخمس وعشرين سنة . ثم رجح بعد البحث الطويل ان رسالة الغفران التي املتها عبقرية ابي العلاء المعري كانت ايضاً من المصادر التي اشتقت منها الرواية الالهية

واما ما جاء به ابن العربي في كتابه « الفتوحات المكية » فقد جاء مشابهاً الى درجة عظيمة لما جاء به دانتي . كما ان سورة الاعراف القرآنية في تفاصيلها مهدت السبيل الى فكرة جهنم والمطهر أو الصراط والمحشر

الا ان هناك زمرة من العلماء يرون ان الرواية منقولة عن التقاليد النصرانية والاقاصيص والخرافات التي كانت شائعة في اوربا في القرون الوسطى. لذلك عمد الاب اسين الى هذه الاقاصيص وبرهن انها مستقاة من التقاليد الاسلامية العربية

ولاثبات نظرية التقليد وجب بيان كيفية الاتصال والانتقال وهذه زبدة البحث:

« ١ » اثبات الاتصال بالاسلام : بعد ان استقر العرب في البلاد المجتاحة واخذوا يوطدون اركان الملك اتجهت انظارهم نحو العلوم وتمكنت افكارهم في اوربا النصرانية وشعوبها عن الطرق التالية :

ا : التجارة . اتسع نطاق التجارة بين القرن الثامن والقرن الحادي عشر اتساعاً سريعاً وكانت تنقل من بلدان الشرق الاسلامية الى اوربا الشمالية عن طريق نهر الفولغا Volga فخليج فنلندا فبريطانيا فغيرها من بلدان اوربا. وهذا ثابت بدليل وجود النقود العربية في تلك الاصقاع الى يومنا هذا . ثم تحولت الى منطقة البحر المتوسط في القرن الحادي عشر واصبحت تنقل الى اوربا عن طريق جنوه والبندقية . لذلك جاء تجار كثيرون من الطليان وسكنوا في مرافئ الشرق الاسلامية

ب : الحجاج . شُلَّت حركات الحج الى فلسطين إثر الفتح الاسلامي بيد انها استأنفت نشاطها بعد تأثيل الملك واستقامة النفوذ والسلطان فعقد شارلمان مع الخليفة هارون الرشيد معاهدة مشهورة شيدت على اثرها الاديرة والكنائس في فلسطين وازداد عدد القادمين للحج اليها فبلغت احدى القوافل قبيل الحروب الصليبية (١٢٠٠٠) نفس

ج : الحروب الصليبية . ونظن ان لا حاجة بنا الى تبيان اثرها غير اننا نكتفي بالاشارة الى ان النصارى قد اصطنعوا عادات المسلمين حتى في اساليب الحكم والجندية والنظام في مملكتهم اللاتينية في القدس . وقلدوا المسلمين ايضاً في الطعام واللباس

د : المبشرون . قام النصارى على اثر ما لاقوهُ من الفشل في الحروب الصليبية التي انهكت قواهم وذهبت بالعظام من رجالهم بحرب اخرى في ميدان العقل والروح — قاموا بحرب دينية تبشيرية . ولقد كانت ارسالية آباء الفرنسيسكان والدومنيكان أول الارساليات فاضطروا الى درس اللغات العربية وآداب المسلمين وعقائدهم وكانت اهم نقط الاتصال صقلية واسبانيا

ه : صقلية . هاجم النورمان ابان القرن التاسع سواحل اسبانيا وتوالت هجماتهم

على غيرها من الشواطىء حتى استقروا في القرن الحادي عشر في صقلية وظلوا فيها الى القرن الثالث عشر . وقد كان بلاط الملك روجر الثاني في بلرمو غاصًّا بالنصارى والمسلمين لا فرق بين واحد منهم وآخر .وكانوا يعرفون العربية واليونانية. فالتقى العالم المسلم بالفارس النورماني والنبيل الفرنسي بالعظيم الايطالي فتحاكت افكارهم وتبودلت آراؤهم . كيف لا والملك نفسه كان يحسن العربية تكلماً وقد حاكى المسلمين في لباسه وبعض عاداته وانتقلت هذه بالذيوع الى شعب بلرمو وصقلية فايطاليا

على ان أهم عصور هذه الجزيرة واكثرها رخاء هو عصر فردريك ملك صقلية والمانيا الذي استصحب معهُ حين اعتزم السفر الى فلسطين جماعة من المسلمين والعرب. ولما توفي كتب على قبره بالعربية . فاضطرب البابا وغيرهُ من ملوك اوروبا لهذا السلوك . وفردريك هذا هو مؤسس جامعة نابولي Naples سنة ١٢٢٤ وقد جمعت بأمره المؤلفات العربية وترجمت مؤلفات ابن رشد وارسطو وارسلت نسخ منها الى باريس وبولونيا ولشدة رغبته في العلم راسل علماء المسلمين في عصره وبادلهم الرأي

و : اسبانيا . خمسة اجيال انقضت من القرن الثامن الى القرن الثاني عشر ونصارى اسبانيا تحت تأثير العرب المسلمين فلما كان القرن التاسع أخذ اهل قرطبة Cordova ينسجون على منوال المسلمين في اتخاذ الحريم واكل المأكولات الشرقية ولبس الملابس الاسلامية. وازداد شغفهم بالشعر العربي والاقاصيص وانغمسوا في فلسفة الاسلام ودينه وظل هذا الاختلاط يزداد حتى ان اهل قرطبة المدعوين Mozarales استعملوا اللغة العربية في الكتابات الرسمية الى اواخر القرن الثاني عشر وقد كانوا دواماً يسافرون نحو الشمال فينقلون افكارهم الى حيث ذهبوا

يضاف الى هذا ما فعلهُ اليهود واسرى الحروب والسفراء في زياراتهم .والخلاصة اننا لو وددنا ان نذكر كل ما تركهُ العرب في اسبانيا واوربا من أثر لوجب علينا ان نستعيد في اذهاننا تمدن العرب وحضارتهم ازاء شعوب اوروبا نصف البربرية

ولما استردَّ الاسبان بلادهم وقرضوا دولة العرب اصبحت طليطلة مركزاً لنشر الثقافة الاسلامية فترجمت كتب ارسطو عن العربية مع شروح الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد . وفي عهد الفونس الحكيم اسست المدارس في مرسية Mercia مسقط رأس ابن العربي واشبيلية وفيها تعلم الطلاب من نصارى ومسلمين واشتد

الجدل الديني فيما بينهم. الى هذا نضيف اثر المدرسة العربية اللاتينية التي شيدت في اشبيلية لدرس الطب والعلوم وفيها حاضر المصلحون العرب طلابهم الاسبان من النصارى

﴿ ٢ ﴾ انتقال التقاليد الاسلامية الى اوربا عامة ودانتي خاصة

(١) لقد قلنا فيما تقدم ان الاستاذ Blachet في كتابه « المصادر الشرقية للرواية الالهية » كان اول من اشار الى اصل الرواية الاسلامي وانهُ عجز عن بيان ذلك بالبرهان المحسوس وان الاستاذ أسين أول من نجح في هذا المضمار

فهو الذي برهن على ان الاقاصيص التي ذاعت في ايطاليا والمانيا وفرنسا واسكندنافيا وارلندا — مثل رحلة القديس براندان Brandan واحلام القديس بولس والقديس متريخ Matrich مستقاة من التقاليد الاسلامية وبيّن انها وصلت الى اوروبا عن طريق الحجاج والتجار والحاربين والمبشرين والرحالين واسرى الحروب والعلماء والمدارس . . . الخ. والذي يزيدنا يقيناً ان هذه التقاليد النصرانية التي عدّها بعضهم من اوليات الرواية الالهية لم تبرز الى الوجود الا بعد انصرام القرن العاشر بينما التقاليد الاسلامية وما كان منها مختصًّا بالحياة الاخرى وما اضيف اليه من الآداب والاحاديث والشروح — وجدت قبل هـذا التاريخ . بل نحن على يقين من ان قصة المعراج وغيرها من التقاليد الاسلامية كانت شائعة في الاندلس واليك الامثلة

(١) كتب المدعو St. Eulagius كتاباً سماهُ Apalogeticus Martyrum وذكر فيهِ مختصراً لحياة الرسول .وفي كتابات (الموزراب) ذكر كثير للاحاديث النبوية

واما Abbot Espereraindeo فقد بحث في حياة النبي وشرح معجزاته وبسط تفاصيل هذه المعجزات . وقد وجد كتاب St. Elogius الآنف الذكر في دير لير Leire في نافار Navarre مما يثبت ان القصة وصلت الى شمال الاندلس

في سنة ١١٤٣ م كتب Robert of Reading الذي كان في كلية المترجمين في طليطلة آيات من القرآن باللاتينية. وقدامر الفونس الحكيم (العاشر) بترجمة القرآن في القرن الثالث عشر فترجمه احد رجال الدين في طليطلة (واسمهُ Marco) . والف (Archbishop Rodrigo, Jimenez de Rada of Toledo) تاريخاً للعرب (Historia Arabum) لا يزال موجوداً للآن ومقامهُ يرجع الى ان قصة المعراج ومعجزات الرسول قد كتبت فيهِ . واُسر احدهم وجيء بهِ الى غرناطة وبعد ان تخلص من الاسر اصبح اسقفاً (St. P. Paschal) والف كتاباً اقتبس فيهِ آيات من

القرآن واحاديث نبوية وخاصة عن صحيح مسلم واقتبس من قصة المعراج التي سماها Elmiregi ثم كتب القصة كاملة في الفصل الثامن من القسم الاول من هذا الكتاب. وقد بين الاستاذ اسين مشابهة ما نقل في هذا الكتاب لما كتبهُ دانتي

(ب) كل ما تقدم بيان لانتشار هذه التقاليد في اسبانيا ولكن كيف انتقلت الى ايطاليا ؟ (١) ان الاتصال بايطاليا كان متيناً ليس فقط عن طريق اسبانيا بل عن طريق بيناهُ تحت عنوان « الاتصال بالاسلام » سابقاً . ونزيد على ذلك هنا قولنا انهُ بعد فتح اشبيليه جاءها نبلاء الطليان وتجارهم واحتلوا شارعاً فيها وهذا هو St. Peter Pascha الذي عرف القصة عاش في روما نفسها ما بين ١٢٨٨ — ١٢٩٢ م وبعد ذلك بتسع سنوات (١٣٠١ م) زار الشاعر الفلورنسي البابا في روما كسفير عن بلدتهِ فلورنسا (٢) ولقد كان دانتي تلميذاً وصديقاً للمدعو Brunetto Lattini الذي الّف كتاب Tesoretto ثم كتاب Tesaro وفي هذا الاخير منهما نرى ان تقسيم الفلسفة منقول عن ابن سينا وكذلك فيهِ حياة للرسول ومعجزاتهِ. وهذا الرجل هو الذي ارسل سفيراً عن فلورنسا سنة ١٢٦٠ م الى طليطلة حيث مدرسة الترجمة ونحن على يقين من انهُ حال رجوعهِ من اسبانيا الف كتابيهِ المذكورين

﴿ ٣ ﴾ انجذاب دانتي نحو الثقافة الاسلامية : لقد بيّنا كيف ان دانتي عاش في وسط اسلامي في ثقافته، اسلامي في تمدنهِ، وبقي علينا ان نثبت هل هو وجد في الثقافة الاسلامية ما يجذبهُ اليها ؟ فقد اتفق العلماء الذين انقطعوا لدرس دانتي على انه كان متعطشاً للمعرفة . وقال احدهم U. Cosmo ان دانتي وعى معارف عصرهِ . وما كانت معارف عصرهِ في الغالب الاَّ اسلامية فلا يعقل ابداً ان لا يقف دانتي على هذه الثقافة التي سيطرت على القاصي والداني في ذلك الزمان

في هذا الوسط عاش دانتي وهو مسوق بدافع حب المعرفة من جهة ودافع الرأي العام من الجهة الاخرى للارتشاف من مناهل الاسلام . وقد ذهب بعضهم الى ان الرجل كان له المام بالعربية او العبرية لانه حين يضع كلمات لامعنى لها يلاحظ فيها مسحة من الجذور السامية ولكن العلماء لم يتفقوا على هذه النقطة . ويقول الاستاذ أسين ان هذا الانجذاب لم يكن دينيًّا فدانتي مسيحي عريق في المسيحية وانما هو ميل علمي تهذيبي

﴿ ٤ ﴾ دانتي ومحيي الدين بن العربي : قال (نردي) إن في وصف دانتي للحياة الاخرى وفي اتجاه افكاره نحواً من الروح الاسلامية وخاصة ما كان لهُ علاقة

بابن العربي . لانهُ كان من اتباع المذهب الاشراقي ، الذي اوجده شيخ ابن العربي الفيلسوف ابن مسرة القرطبي الاندلسي . وقد تسربت مبادئ الاشراقيين الى المذهب المدرسي الاغسطيني Augustinian scholasticism فكان من رجاله اسكندر هال وروجر بيكون وريموند لُل . ثم انتقلت كافكار اوربية الى دانتي

فالله عند كل من ابن العربي ودانتي « نور » وكل منهما يستعمل « الانعكاس » و « الشعاع » و «البروق» و « النورانية » للتعبير عن مراده . و « تجلي » هذا النور موصوف اذاً بنفس التشابيه والمجازات . كما ان مثل الدائرة ومركزها لاظهار علاقة الخلق مع الخالق — ومثل المرآة كتوضيح لعلاقة الحقير مع العظيم — شائعان في كتابات ابن العربي ودانتي

ولقد نسج دانتي ايضاً على منوال ابن العربي في خواص الارقام ففي الفتوحات المكية فصول مستفيضة في العدد وخواصهِ وما فيهِ من التشؤم او الخير . كذلك ترى دانتي قد حاكى محيي الدين في الاعتقاد بالتدجيل والتنجيم كما حاكاهُ في تفسير الاحلام تفسيراً صوفيًا . . . وكل من قابل «ترجمان الاشواق » الذي الفهُ ابن العربي بما كتبهُ دانتي لا شك انهُ يجد شبهاً كثيراً : فكل من الكاتبين يخلطان الشعر بالنثر . وقد بيّن دانتي رغبتهُ في شرح قصائد في الحب كان قد نظمها وعدد لذلك الاسباب كما فعل قبلهُ ابن العربي حين اعتزم شرح ترجمان الاشواق

وبعد موت بياتريس Beatrice محبوبة دانتي يوم ذهب الى مكان منفرد (حسب روايته بنفسه) حيث التقى بفتاة جميلة هام بها ولم يجسر على البوح بحبه فنظم هذا الحب اشعاراً (Convito, II, is, 16; III, 8, 12) : كذلك ابن العربي حين ذهب الى مكة المكرمة (١٢٠١) هام بابنة رجل تعرف عليه (حسب روايته ايضاً) فاخذ ينظم الشعر في حبها . . .

وجملة القول ان اتصال اوربا بالاسلام مكن الادباء والشعراء والعلماء من الاقتباس كما ان تقاليد اوربا ايضاً اقتبست وتأثرت من تلك البيئة الاسلامية : وعليهِ فهذا المقال يثبت (١) اسبقية الآداب الاسلامية لغيرها في اوربا وبالتالي لدانتي أي انها وجدت قبل ان توجد تلك التقاليد او تلك الرواية . (٢) « المشابهة » بين هذه الآداب وما جاء بهِ دانتي . (٣) اثبات « انتقال » هذه الافكار الى الغرب : حلقة متصلة من البحث : « واذن فنظرية أصل الرواية الالهية الاسلامي امر لا يمكن جحده »

جامعة بيروت الاميركية عبد اللطيف الطيباوي

الالعاب الاولمبية والرياضة البدنية

تاريخ هذه الالعاب

ورث اليونانيون عن أسلافهم قبل التاريخ اعياداً كثيرة كما مرّت الاشارة الى ذلك فكان لكل مدينة او مقاطعة عيد خاص بها يحتفلون لاقامته بمظاهر معلومة عندهم لا يشاركهم فيها سواهم. ولكن حفلاتهم التي كانت تشترك بها جميع البلدان وهي اشهر العابهم ورياضاتهم — اقيمت في اربعة اماكن

﴿ الاول ﴾ بقرب هيكل دلفي وهو اشهر المواحي (جمع موحى وهو هيكل الوحي) عندهم التي بلغ عددها اثنين وعشرين هيكلا. وكانت مواقعها غالباً في الغابات والحراج والقفار. وكان يُسمع من هيكل دلفي هذا صوت (أبلُّون) خارجاً من شقوق الارض. وكان يتلقى هذه الاصوات المقدسة في نظرهم او الاوامر الالهية الموحى بها للبشر كاهن عظيم فيبلغها الشعب. وانفق على بناء هذا الهيكل نصف مليون ليرة من تبرعات الملوك والرعايا حتى في القطر المصري. وكان مستودعاً لغنائم الحروب فغص بالتحف والنفائس ولما خرب سُلب منهُ نحو مليون ليرة واخذ نيرون مائة صورة من النحاس

واشتهر هذا الهيكل كثيراً فكان يؤمهُ ملوك آسية الصغرى وملوك رومية العظمى عند الملمات يستنبئون فيهِ (ابلُّون) ويستوحونهُ ليعلموا مصيرهم ونتيجة حروبهم. فكانت الاجوبة التي ترجع اليهم مثل غيرها مبهمة تدلُّ على اشياء كثيرة اذا لم يصح بعضها صحَّ الآخر. وقد لا يصدُق شيء منها. وقد تكون الاجوبة صريحة وصادقة في كثير من الشؤون. قيل ان قارون (اوكريسس) ملك ليديه قصد هذا الهيكل يستنبئهُ عن شؤونهِ وما يراهُ في محاربتهِ للفرس. فقال لهُ: اذا قمت بهذه الحرب هدمت مملكة كبيرة. فكان كما قال. لأن تلك الحرب دمَّرت مملكتهُ تدميراً

وأمَّهُ اهل اسبرطه يستشيرونهُ في بعض حروبهم فاجابهم: انكم ستفوزون بلا ريب اذا حاربتم بجميع قواكم. فجمعوا قواهم وظفروا بحربهم قاهرين اعداءهم

ولا غرو اذا كانت بعض تلك الاجوبة تصدق احياناً لانها من اقوال الكهنة سَدَنة الهيكل الذين كانوا يموهون على الشعب بحيل خداعة ليظهروا أن الآلهة تقولها فينطلي المحال على الشعب وكان الكهنة يعرفون اخلاق وطنييهم وسياسة بلادهم ومصير امورهم. ولاسيما ان اليونانيين عُرفوا بحبهم النادر لمواطنهم والدفاع عنها بكليتهم

فلا يكون متكهناً من يجزم بظفرهم وغلبتهم بل كأنه ينطق بما سيتم لهم من النصر لتفانيهم في حروبهم الوطنية الكثيرة ولاستعدادهم الدائم للاستظهار على خصومهم

وقد سمّوا التروض في هيكل دلفي (بالالعاب البيتية) وهي التي انشأها (ابلّون) عند ما ذبح الثعبان (بيثون) كما ورد في اساطيرهم فسمّي (بيثيان) منسوباً الى ذلك الثعبان الذي اهلكهُ. واليه عُزيت الالعاب. واقيمت كل اربع سنوات مرة

فوقفوا بقعة المدينة (لابلّون) ومنعوا الناس حرثها وزرعها والتصرف بها خشية ان تبنى مدينة محلّها. ولكنهم اذنوا للمواشي فقط ان ترعى اعشابها لحاجتهم اليها ولتقديم ذبائحهم منها في الهيكل استنزالاً للوحي لانه كان متعذراً بدون التضحية بالقرابين للآلهة. وسمّوا عابدات (دلفي) المخبرات بوحي ابلّون (بيتونيس) نسبة اليهِ لانهنَّ كنَّ يصعدنَ على مطالع مثلثة الارجل مقدسة مغشاة بجلد المسخ الذي قتلهُ ابلّون ليستوحينَ الآلهة. وفي اثناء الحرب القرطجنية الثانية اقيمت (الالعاب الابولونية) اكراماً لابلون وذلك سنة ٢١٢ ق م

﴿ الثاني ﴾ في وادي (نيمية) وتسمى (النيمية) وهذه انشأها هرقل البطل الخرافي بعد ما ذبح الاسد النيمي الهائل الذي كان يعيث فساداً في غابة تقرب من نيمية احدى مدن ارغوليذة او (ارجوليد) واتخذ رداءهُ من جلدهِ. وكانت هذه الالعاب تقام في مدينة ارغوليذة في كل سنتين مرة

﴿ الثالث ﴾ عند برزخ قرنثية (او كورنثس) وتسمى الاثميقية (البرزخية) وهذه جدّدها ثيسيوس بعد ما ذبح اللصوص. وكانت تقام على برزخ قرنثية اكراماً (لنبتون) او (بوسيدون) اله البحر في كل سنتين مرة

﴿ الرابع ﴾ عند مدينة (اولمبية) التي مرَّ ذكرها وموقعها فسميت (بالالعاب الاولمبية) وهي اعظمها واعمها واشهرها وبعدها البرزخية في المرتبة

ويقال ان (الالعاب الاولمبية) انشأها البطل هرقل المشهور في الاساطير اليونانية والصواب انها قديمة جدًّا لا يعلم زمن انشائها كما سترى في تاريخها ولكنها صارت في القرن السادس قبل الميلاد اعياداً شعبية لليونانيين ومظهراً من مظاهر حياتهم العظيمة فأُرِّخت وشهرت منذ ذلك العهد البعيد. وكان للأولمبيين حق التقدم بالالعاب العامة في جميع مدن اليونان بلا استثناء. وكان يؤخذ منهم في اسبرطة حرس شُرف الملك في الحرب وكثيراً ما بالغت مدنهم في اكرام الاولمبيين حتى ان سولون اضطرَّ ان يجعل جائزة

الغالب في الالعاب الاولمبية الى خمسمائة درهمة . وجائزة الظافر بالالعاب الاثمية الى مائة درهمة . والفرق بين الاثنين كبير ظاهر للمتأمل

وكان يتخلل سهل اولمبية الافيح الجميل نهر (الفيوس) تحدق بهِ الرياض الغناء والغابات الغيناء التي تأخذ بمجامع القلوب حسناً . وتملأ الابصار جمالاً . وكان يشرف عليهِ هيكل (زفس) العظيم الشامخ برأسهِ الى عنان السماء . فلا عجب اذا كان لهذه المناظر مع جودة الاقليم وطيب المناخ تأثير في ترقية العقول وتحسين الذوق للنبوغ اليوناني

وكان هيكل (الاولمب) من اعظم هياكل اليونان وامتنها شيد من المرمر الفاخر بهندسة جميلة يحدق بهِ رواق اعمدتهُ من المرمر وجدرانهُ بديعة النقوش والتماثيل وابوابهُ من الصُفر تبعث في النفس هيبة وتترك في القلب روعة

وكان طول هذا الهيكل — **٢٣٠ قدماً وعرضهُ** ٩٥ قدماً وعلوُّهُ ٦٨ قدماً . وفيهِ تمثال زفس الذي نحتهُ فيدياس اشهر نقاشي اليونانيين زمن بركليس وعلوهُ ستون قدماً يمثلهُ جالساً على عرش من العاج والذهب والابنوس مزدان بالنقوش ومرصّع بالحجارة الكريمة وحولهُ إطارٌ مغشى بصور رائعة وفوق رأسهِ اكليل من الزيتون وفي يمناهُ تمثال الهة النصر بنت البسالة والقوة وفي يسراهُ صولجان مركب من جميع المعادن الثمينة يعلوهُ نسرٌ رمز السموّ

ومعظم هذا التمثال الرائع من العاج وثوبهُ ونعلاهُ من الذهب . ورأسهُ يناطح سمك (اي سقف) الهيكل علوًّا فلذلك عدَّ من (عجائب الدنيا السبع) . فكل تلك الابّهة والعظمة والرواء في موقف الالعاب كانت مشجعاً للغلبة ومحرّضاً على الظفر والتفوق

واعتاد اليونانيون ان يمسحوا هذا التمثال دائماً بالزيت المقدس فيزداد لمعاناً ويعكس نور الشمس عندما تقع عليهِ فيقولون : ان من يراهُ يظن انهُ هو زفس نفسهُ بلا مراء . ولما سألوا فيدياس ناحت هذا التمثال العجيب : من اين علمت هيأة زفس فصوَّرتهُ بهذا الشكل ? — اجاب اني تمثلتهُ في شعر اوميروس الذي عربهُ بعضهم بقولهِ (١)

ان ابن ساتِرْنَ (٢) الجليل غدت في حاجبيهِ علامة الامرِ
وشعرهُ لألأ في رأسهِ مضمخاً بالمسك والعطرِ
ذلك شعرٌ فوق رأس علا يزعزع الافق بلا نُكرِ

ولقد ظن بعضهم ان هذه الالعاب نشأت في نحو القرن السادس قبل الميلاد

(١) راجع (تاريخ اليونان) للمرحوم جرجي دمتري سرسق طبع بيروت (٢) ساترن هو (زحل)

والذي ظهر لغيرهم من المحققين : انها نشأت قديماً وهي مرافقة للانسان منذ ان درج على بساط الغبراء . ومن اقدم الادلة على اتخاذها قبل ذلك الوقت ما يحضرني الآن من ان (بيلوبس ابن طنطال) ملك فريجيه الذي كان سنة ١٢٨٤ ق . م جاء بلاد اليونان واراد الاقتران (بهيبود اميه) ابنة (اينوماوس) الملك وكان اينوماوس قد قتل ثلاثة عشر طالباً لابنته لانهُ أُنبئ بوحيٍ يصرّح ان صهرهُ زوج ابنته يقتله فحاول ان يمنع طلاب الزواج بها استحياءً لنفسهِ . فكان يطالب من يخطب ابنتهُ الى سباق المركبات متيقناً بفوزهِ لسرعة جري جيادهِ المطهمة التي تجرها فيقتل بانتصارهِ هذا مغلوبهُ طالب ابنتهِ . فلما علم بيلوبس بمكيدته هذه لكل من يخطب ابنتهُ ارشى سائق اجياد اينوماوس فنزع عند السباق اسفين[1] دواليب مركبتهِ فقصّرت عن اللحاق بهِ ففاز بيلوبس . وانقلبت المركبة باينوماوس فمات . فاقترن بيلوبس بابنتهِ وخلفهُ في الملك

ويروى ايضاً ان نبتون منح بيلوبس عجلةً من ذهب وجوادين مجنحين فغلب حماهُ وظفر بأُمنيتهِ وهي الاقتران بابنته

وفي سنة ٧٧٦ ق م صارت (الالعاب الاولمبية) ذات شأن عند اليونانيين وكان اول من انتصر منهم كُورِيبُس فانهُ فاز بالمحاضرة واخذ الجائزة . ومنذ ذاك الحين صاروا يدوّنون اسماء الغالبين في سجلٍ خاص وصارت هذه السنة بدء (التاريخ الاولمبي) المشهور . ولما كانوا يحتفلون بهذه الالعاب مرة في كل اربع سنوات سموا المدة التي تتوسط بين الموسمين (الاولمبياد) وأرّخوا بها . فصارت (الالعاب الاولمبية) فناً قائماً بذاته ذا انظمة وقوانين مرعية الجانب محفوظة المبادىء مدة اثني عشر قرناً متوالية . ونشأ منها فنّ (التمثيل) الذي اشتهر بهِ اليونان و (فن الرقص) وغيرهُ من (الفنون الجميلة) (كالموسيقى) و (التصوير) و (الشعر) و (النقش) وغيرها

ولما جاء عهد المملكة المكدونية سنة ٣٥٦ ق.م وردت الى فيلبس رئيسها وملكها ثلاث بشائر عظيمة وكان احداها (نيل خيلهِ قصب السبق في الالعاب الاولمبية)

وسنة ٣٤٦ ق . م نال فيلبس الملك رآسة الالعاب البيثية لانتصارهِ على الفوقيين الذين ادعوا بحقوق تملك هيكل زفس واوقافهِ . وهيأ لهُ انتصارهُ بالالعاب الالمبية الاندماج باليونان ونيل اكاليلهم قبل نيل حريتهم

ولما حمل الاسكندر على الهند وملكها (سنة ٣٢٧ — ٣٢٥ ق م) واراد الرجوع

---

(١) خشبة يسرع بها جري الدولاب

عنها بجنوده بعد تنظيمها سرُّوا ببشارة ارجاعهم فقسمهم الى اثنتي عشرة فرقة بحسب الالعاب الاولمبية في بلاده. وامر كل فريق منهم ان يبني مذبحاً عالياً ويضحي عليه بقرابينه حسب عادة اليونان . وان يقيموا العاباً ومصارعة وسباقاً ثم قفل عنها راجعاً .
وكان الاسكندر مع حذقه الفروسية والالعاب الجسدية والعزف على آلات الطرب يؤثر عليها الصيد والقنص والمقارعة في الحروب فضعف شأنها بعدهُ

ولما تولى (دنيس) القديم سرقسطة (٤٠٥ — ٣٦٨ ق م) واراد جلاء القرطجنيين عن صقلية انتصر عليه قائدهم هملتون بحراً . وبلغ موانىء سرقسطة فحلَّ بها وخيم في هيكل المشتري الاولمبي وجعل أحجار القبور متاريس لجنوده ونهب الهياكل ونقل انفس حلاها واثمن جواهرها واخذ رداء المشتري وهو من الذهب وجعل مكانهُ رداءً من الصوف قائلاً باستهزاء : ان الرداء الذهبي لا يدفئ زفس في الشتاء ويثقل عليه في الصيف . وسنة ٦٨ م بلغت هذه الالعاب اوج مجدها وعم استعمالها عند اليونان في جميع مستعمراتهم واشترك فيها الرومان ايضاً . وبعد زوال ملك اليونان ضعف شأنها وقلت العناية بها وناصبتها المسيحية العداء لان صبغتها وثنية دينية فكان آخر العهد بها سنة ٣٩٣ م وقيل ٣٩٦ فالغيت تدريجاً . وذكر القديس يوحنا الذهبي الفم انهم كانوا يحتفلون بها بابهة في ايام تيودوسيوس وابنهُ اركاديوس في آخر القرن الرابع

ثم تم الغاؤها في عهد الامبراطور تيودوسيوس الثاني في السنة العاشرة لملكه اي سنة ٤١٨ م فهدم هياكلها وحرقها ونقل تمثال زفس العظيم الثمين الى بزنطية (القسطنطينية) فاحترق سنة ٤٧٦ م. فضعف بذلك ايضاً فن التصوير والتمثيل والنقش وكان آخر غالب في مسابقاتها رجل ارمني اسمهُ فرستاد . وسنة ١٨٢٩ م اكتشف الفرنسيون آثار هيكل زفس في المورة على اثر احتلالهم اياها . وبحث الالمان عن بقية آثاره بين سنتي ١٨٧٥ و١٨٨١ فوجدوا اشياء ذات شأن من اطلاله

وجدَّد اليونان هذه الالعاب نحو سنة ١٨٦٦ كما اخبرني صديقي المرحوم الاستاذ الياس بك القدسي الدمشقي اذ كان تلميذاً في كلية اثينه (اليونانية) ولكن بطريقة بسيطة وأُنفق نحو ستة ملايين فرنك على ترميم الملعب (الاستاديون) ولكن في اثينة اذ ذاك وبقيت تسير ببطء الى سنة ١٨٩٦ فاعيدت قانونيًّا كما سترى

زحلة عيسى اسكندر المعلوف
صاحب مجلة (الآثار)

شرقي في اميركا

جانب من خطبة بليغة القاها الاستاذ نسيم صيبعة باسم جمعية الرابطة الشرقية على ملأ من رجال الحكومة والتعليم والادب وفضليات النساء في دار المحاضرات بجامعة القاهرة الاميركية رأينا ان نتحف بها قراء المقتطف لما اشتملت عليه من الملاحظات الدقيقة والآراء السديدة

في ٢٢ دسمبر سنة ١٩٢٦ ابحرت من ثغر الاسكندرية قاصداً العالم الجديد . لم أكن سارياً غرّه قمرٌ ولم اكن رحّالة يجوب القفار ويخوض البحار بل كنت متطوعاً للسعي في تخفيف نكبة حلّت بالبلاد السورية فاودت بحياة رجالها وشتتت شيوخها ورمّلت نساءها ويتمت اطفالها . ولم تكن السفينة تلعب بها الرياح باشدّ قلقاً من قلب مضطرب لفراق والدةٍ هي كل ما في الدنيا من بهجة وهناء وحبّ ووفاء تتقلب على فراش المرض والآلام مهددة بان يخترمها الموت بين طرفة عينٍ وانتباهتها . وقد حدث ما كنت اخشاهُ وكان وداعي لها بلا أملٍ في اللقاء . عفواً سيداتي وسادتي اذا عرضت امام انظاركم قلباً دامياً وعيناً تترقرق فيها الدموع فالمرأة التي تربي اولادها على الايمان بالله وعلى محبة القريب والتي تفهم من الامومة كل معناها والتي تشرق من وجهها الصبوح شمس الامل لتنير افق الحياة الملبّد بالغيوم والتي تتعهد غرس الفضيلة واحياء النزعة في قلوب بنيها والتي تقيم من صدرها سياجاً حول تلك القلوب لئلاً يتسرب اليها اليأس والتي تسهر غير عاملة لطول الليالي حساباً والتي تتجلى كملاك حارس يوم تهبُّ عواصف الشباب وتشتد الازمات وتزمن الامراض والآلام وبالاختصار ان المرأة التي تحدثها نفسها ان تمدّ يدها لحادث الدهر اذا مدّ يده لاولادها وهي تعدهم لخدمة العائلة وبالتالي لخدمة الوطن — لها في عنق بنيها ذمة ولها عليهم ان يقدسوا ذكراها وان يستنزلوا على ضريحها رحمة من الله

***

سيداتي وسادتي : قد يتبادر للذهن الخالي ان المرء اذا ترك بينهُ وبين وطنه خمسة آلاف من الاميال البحرية اصبح فريداً وحيداً بعيداً عن الاهل والخلان . قد كان ذلك صحيحاً في قديم الزمان . اما اليوم وقد سخّر الانسان البخار والماء والهواء لتقريب المسافات وصارت البواخر قصوراً طافيةً على سطح البحار فليس مستغرباً ان

تصبح الاسفار من أعظم ملاذ الحياة ان لم اقل أعظمها طرًّا . ومنذ وطئت قدماي ارض الولايات المتحدة في ١١ يناير سنة ١٩٢٧ الى ان برحتها في ١٣ اغسطس سنة ١٩٢٧ كنت كمن يحلم حلماً جميلاً . خيّل اليَّ وانا بين ابناء عشيرتي المهاجرين أني عدت الى سوريا وقد رفع الله عنها النقمة واغدق عليها ما تريدهُ لها ولجاراتها من الخير والنعمة . رأيت بلداً طيّباً واخواناً اقل ما يقال فيهم انهم عربٌ كرام يفتحون قلوبهم لضيفهم وهم يعتذرون اليهِ ويسدُّون عليهِ باب الشكر وهو يودُّ ان يفتحهُ على مصراعيهِ. وكل ما يمكنك ان تحسن بهِ اليهم هو ان تعيد على مسامعهم ذكرى البلاد التي خرجوا منها هرباً من عوامل الفناء . عندئذٍ تبرق الاسرة وتشرق الوجوه بالرغم من البكاء وصرير الاسنان . عندئذٍ يرجع الشيخ شابًّا والعجوز فتاة حسناء . عندئذٍ تتأكد صدق ابي تمام القائل : كم منزلٍ في الارض يألفهُ الفتى . . . .

واذا ما جرى حديث هذا المنزل الاول حسبتهُ من احاديث الغرام ورأيت بما لا يقبل الشك حبًّا متأصلاً في النفس لن يمسهُ الزمان او المكان بسوء . ولا تظنوا يا سيداتي وسادتي ان حنين السوري المهاجر ينصرف الى سوريا فحسب بل ترون وتسمعون اسم مصر مقروناً باسم سوريا كأنهما توأمان وتشعرون ان آمال المهاجرين معقودة على نهضة مصر وعلى سعي المصريين الحثيث والجرائد العربية في تلك الاقطار النائية مشحونة بالاخبار عن مصر فلا تأتون على آخر مقالة عنها الاَّ رأيتم ان للحديث صلة

شرّفني بعض اخواني بدعوتي الى حفلة في فندق بوسارت في بروكلين فلبيت الدعوة شاكراً عاماً مني بانهم يريدون ان يحمّلوني اليكم السلام وان يعربوا عما تكنّهُ افئدتهم لمصر وسوريا من خالص الحب وصادق الولاء . وقد صدق ظني اذ سمعت عريف الحفلة النطاسي البارع الدكتور رزق حداد يقول :

ما نحييك وحدك اليوم بل فيك نحيي الابطال والاحرارا
وبلاداً نشتاقها ابد الدهر ونهوى ترابها والحجارا
وربوعاً بالنيل عزت وطابت ان مصراً تشرّف الامصارا
فهي ملجأ الشآم من سالف الازمان ترعى ذمامنا والجوارا
انت يا مصر منبت العز والمجد لا زلت للانام منارا

وقد قال قولهُ الخطيب المفوه اسعد الملكي وشاعر المهجر المطبوع ايليا ابو ماضي فاجبتهم عما كان يجيش بهِ صدري وعما عرفتهُ بالخُبر لا بالخبر حيث قلت :

واذا كنت احيي سوريا واحييكم فلا املك نفسي من ارسال تحية عطرة الى وادي النيل المبارك وساكنيهِ فهناك وطني الثاني وهناك امة ناهضة تعيد مجد الناطقين بالضاد وهناك اخوان كرامٌ اذا عرفت ان تكتسب ثقتهم تحدَّث عن وفائهم وولائهم ولا حرج . هم الذين بدأوا بقتل الروح الطائفية في الشرق واحيوا الروح الوطنية . بارك الله فيهم . والذي اراهُ هو انهُ لا بدَّ ان يأتي يوم وعساهُ ان يكون قريباً بهِ يعترف الغرب ان سوريا وشقيقتها مصر التي تشاطرها آمالها وآلامها واحزانها هما جبهة الشرق وان هذه الجبهة اعزُّ من جبهة الاسد فليعمل المصريون وليعمل السوريون وليصبروا فان الله مع الصابرين

***

ولا تظنوا حين اذكر لكم مثل هذه الحفلة ان كرم الضيافة وقف على طبقة مخصوصة من المهاجرين بل هي صفة ملازمة للفقراء قبل الاغنياء . تغديت مصادفة في مطعم صغير بجوار مدينة ديترويت مع صديق حميم لي هو الدكتور لطفي محمد السعدي من خيرة شباننا النابغين . ولما اردت ان ادفع ثمن الغداء ابتسمت صاحبة الفندق السورية ودلتني على رجل جالس في زاوية وقالت لقد دفع قبلك . اقتربت منهُ لاسألهُ عن السبب الذي حملهُ لان يضيف عن بعد اناساً لا يعرفهم فبادرني الكلام قائلاً «سمعت منذ مدة انك اتيت لخدمة انسانية وطنية وحيث لم يكن لديَّ ثياب تسمح لي ان ارافق اخواني الذين ذهبوا للسلام عليك في النزل الذي تقيم فيهِ اغتنمت هذه الفرصة لاظهر لك شعوري كواحد من مواطنيك فلا تكسر بخاطري» . هززت يدهُ بعنف اذ اغلق عليَّ الكلام وخنقتني العبرات وجلست آخذ القهوة معهُ بعد الخبر ولمحة حضرتها في حياتي وانا اضرع الى الله ان يبارك الارض التي انبتتهُ والام التي حملتهُ

الشرق والغرب

سيداتي وسادتي : سافرت الى الولايات المتحدة ثم رجعت الى مصر ومنذ القيت عصا الترحال واستقرَّ بي النوى وانا اقف امام خارطة الكرة الارضية وأسائل نفسي أصحيح ان هنالك غرباً وشرقاً ام ان هاتين اللفظتين اسمان لم يعد لمسمياتهما وجود ؟ كانت الارض مسطحة ثابتة في زعم الاقدمين فكان للكواكب التي تنير سماءها مشرق

وكان لهذه الكواكب في الجهة المقابلة لهـذا المشرق مغرب اما اليوم وقد استدارت الارض ودارت على نفسها وحول الشمس فلكل بقعة فيها شرق ولكل قيد انملة غرب. ذهي وحدة متماسكة الاجزاء يفصل بعض هذه الاجزاء عن بعضها خطوط متحركة وحواجز لا تثبت على تقلبات الزمان . الخطوط حدود يرسمها الفاتحون برؤوس حراب مغموسة بالدماء والحواجز قلاع وحصون أساسها قبور الضحايا البشرية وقوائمها جماجم بني الانسان. من الخطإ في التعبير ان يقال عن الميادين التي تصطدم فيها المطامع وتتطاحن الاديان انها ساحات الشرف ومن الكذب على الله والناس ان يقال ان العناية الالهية تجيز للمرء ان يشتهي مال قريبهِ . خلاصة الاديان رفق ولين ومحبة وسلام وعنوان الشرف العفو عند المقدرة وكل ما يقال خلافاً لذلك زور وبهتان . اذن ليس هنالك غربٌ وشرق بل هنالك غربيٌّ وشرقي وإن شئت فقل قوي وضعيف. عالمٌ وجاهل. يقظان ونائم . متحرك وجامد . بل هنالك رؤوس تتسلسل منها الافكار متناسقة متممة بعضها لبعض وعيون ترسل النظرات الى اعماق الارض فتكشف كنوزها والى كبد السماء تستطلع اسرارها وايدٍ تتناول الاعمال فتصقلها وتنظمها مستفيدة من القديم مبتكرة من الجديد . مقتصدة في الوقت والمال . تقابلها رؤوس لا تظن خيراً الاَّ في مجدٍ قد زال وعيون لا ترى الاَّ اشباحاً في عالم الخيال وايدٍ تخالها لقلة العمل مرخية المفاصل مفككة الاوصال . كلاَّ . لم أرَ غرباً وشرقاً بل رأيت كل بقاع الارض تفيض خيراً وبركة ورأيت الناس جياداً السابق منها الجواد . فبكيت خيولنا المطهمة العربية وحزنت لتأخر الناطقين بالضاد

سيداتي وسادتي : لا يسمح لي الوقت ان احدث اليكم عن تمثال الحرية القائم على مدخل ميناء مدينة نيويورك والذي يحيي فيهِ الزائر عن ظهر الباخرة الضالة التي تنشدها الامم الحية وتتفانى في سبيلها الشعوب الناهضة. ولا عن تلك البنايات التي تناطح السحاب والتي تعني ان الارض قد ضاقت باهل المدينة طولاً وعرضاً فاخذوا يتسابقون صمداً الى السماء . بل ساقصر كلامي على بعض المظاهر التي حسبتها شواهد حية على عظمة الامة الاميركية

فورد ومعامله

ذهبت من نيويورك تواً الى مدينة ديترويت وهي بلد السيارات بل هي بلد هنري فورد وزرت معامله التي تعجُّ بمن فيها كانها قفير النحل . ووقفت امام شريط

من الفولاذ يبلغ طولهُ تسعمائة وعشرين قدماً ورأيت الاجزاء التي تتركب منها السيارة ولكل جزء ناحية خاصة تتسرب منها كما لوكانت مسيرة باشارة سحرية نحو ذلك الشريط المتحرك لتأخذ مكانها من جسم السيارة فما هي الاَّ دقائق لا تتجاوز العشر عداً حتى ترى سيَّارة كاملة يخرج بها سائقها من طريق السيارة التي تأتي بعدها واذا كان لك متسع من الوقت وصرفت هناك يوماً كاملاً امكنك ان تعد من الثمانية الى التسعة آلاف سيارة يخرجها ذلك المعمل ويرسلها الى اقاصي اطراف المعمور. وكنت كلما امعنت النظر في هذا الشريط واعملت الفكرة في حركتهِ المنظمة المتواصلة تجلى لي سر نجاح الاميركيين واسباب تأخرنا. خُيل اليَّ ان السيارة مجموعة افكار يأخذ بعضها باطراف البعض الآخر فيتممهُ ويزيد عليهِ. اما في هذه الجهة من العالم فلا يرسل العامل فكرة جديدة الى اول قدم في شريطنا الجامد حتى نرى تسعمائة وتسع عشرة فأساً قد ارتفعت لهدم الفكرة الجديدة والقضاء عليها في مهدها قبل ان نعطيها حقها من الدرس والتمحيص والاهتمام. فالفكرة التي تؤتي هناك ثمرها في عام يمرّ هنا عليها جيل قبل ان تختمر وقبل ان يقيّض الله لها فرداً جبّاراً يبرزها الى عالم الوجود

يمتاز معمل فورد عن غيرهِ من المعامل بكونهِ يسيطر على كل المواد الاولية اللازمة لصناعة السيارات ففيهِ تُدبغ الجلود ويُغزل القطن وتحضر كل الاجزاء التي تتركب منها السيارة وهو يكاد يكون مستقلاً عن العالم الخارجي بل هو صورة مصغرة للولايات المتحدة التي تعتمد في حياتها اكثر من غيرها على موارد بلادها وهي لا تعطي امتيازاً لشركات اجنبية لاستثمار هذه الموارد حتى لا يكون لدولها حق التدخل في شؤون البلاد الاميركية الداخلية. للاجانب ان يوظفوا اموالهم في تلك البلاد ولكن ليس لهم حق بادارة الاعمال. وهذه الفكرة ليست وليدة الحرب بل هي قديمة وقد ذكرها الرئيس ولسن منذ سنة ١٩١٣ في رسائلهِ التي عنيت جمعية الرابطة الشرقية بترجمتها الى اللغة العربية

يشتغل في معامل فورد على ما قيل لي ما لا يقل عن مائة وسبعين الف عامل يتناول الواحد منهم بين الخمسة ريالات والثمانية ريالات اميركية يومياً. وكان فورد اسبق الناس الى حماية عماله من غلاء المعيشة واسبقهم الى العناية باجسامهم وعقولهم في اوقات العمل وفي عيشتهم البيتية والعائلية وعنده عدد من الموظفين لا عمل لهم غير المرور على بيوت العمال ليتأكدوا من ان العامل يصرف كل ما يكسبهُ لاعاشة زوجهِ واولادهِ. وله مستشفيات لمداواة المرضى منهم ومدارس لتعليم اولادهم واخيراً خطر له ان يبيع لعماله المواد

الغذائية بارخص الاثمان الممكنة ولكنه تحقق بالاختبار انهُ يكاد بهذه المزاحمة يقضي على كل محال البقالة في ديترويت بالافلاس وقد سمعت قبل سفري منها انهُ سيعدل عنها

وهذا الرجل الذي لم يكن منذ اثنين وعشرين عاماً شيئاً مذكوراً والذي اصبح اليوم اكبر ممول في العالم لم تقعده سنهُ ولا ماله عن العمل ولم يكتف بانهُ صار اكبر منتج صناعي في بلاده وغير بلاده بالرغم من المنافسة والمزاحمة التي يلقاها من الشركات الكبرى كالجنرال موترز وغيرها فهو يجري التجارب العديدة في الميادين الواسعة التي اعدَّها لا يضنُّ بوقت او مال ليكون من السابقين يوم تصبح الطيارة المحمولة على اجنحة الهواء افضل واسطة للنقل والانتقال

لست اقصد من ذكر هذه الامور ان اتغنى بمآثر فورد وثروته وطول باعهِ في الاعمال الخيرية ولكني اريد ان ابيّن ان المموّلين الاميركيين لا ينظرون للحياة كحلم فارغ ولا للغنى كواسطة لاجتلاء اسباب اللهو او كمدعاة للبطالة والكسل . بل يعملون حبًّا بالعمل لنفسهِ ولعظمة بلادهم وانهم ادركوا قبل سواهم ان الواجب الانساني يقضي بان لا يستأثر صاحب المال بالارباح التي يجنيها بل ان يخصص جانباً كبيراً منها لتأمين الراحة والهناء للعمال الذين تجمع الثروات الطائلة على ظهورهم وبعرق جبينهم

جريدة نيويورك تيمس

وهذه الحقيقة قد لمستها في مدينة نيويورك بصورة اصغر من معامل فورد ولكنها اوضح . زرت بنايات شركة جريدة النيويورك تيمس واحدثها بناءٌ مؤلف من ثماني عشرة دوراً فوق الارض وثلاث تحتها . يبلغ عدد المشتغلين والمشتغلات في هذه الجريدة ثلاثة آلاف وسبعمائة يتمتعون بكل ما ابتكره العلم الحديث من وسائط الصحة والراحة وسهولة المعيشة والنظافة . الشركة تؤمن حياتهم على نفقتها لحساب ورثتهم وتدفع لهم الرواتب المتناسبة مع مقدرة كل منهم على العمل وتحفظ لكل حقهُ في المعاش حين يعتزل الخدمة بعد عدد معلوم من السنين ويجد العمال في البناء نفسهِ مكتبة للمطالعة وناديًا يجتمعون فيهِ للمسامرة واقامة الحفلات ومطعماً يقدم لهم ما يلزم باثمانٍ هي غاية في الاعتدال واذا كان العامل لا يتقاضى اكثر من ستة عشر ريالاً في الاسبوع فلهُ حق بدفتر قسائم يجيز لهُ ان يتناول غداءً يساوي نصف ريال بعشرة سنتات او بعشرين مليماً . وكل المواد الاولية من اجود الاصناف والنظافة شرط جوهري وهناك مستشفى صغير لاسعاف من يصاب باذى بالعلاج . الى ناحية خاصة من هذا

البناء تتسرب الاخبار العالمية ليلاً نهاراً بالتلغراف السلكي واللاسلكي والتلفون والبريد البري والبحري والجوي . وتوزع على المختصين بكل نوع منها لسبكها في القالب المناسب للنشر. فلا تطلع الشمس الا وترى جريدة النيويورك تيمس ست عشرة صفحة او اكثر من الحجم الكبير والحرف الصغير جداً حاوية كل اخبار العالم توزع بالسيارات والسكك الحديدية والطيارات والبواخر الى اربعة اقطار المسكونة بثمن وقدره سنتان او اربعة مليمات . مررت على كل العمال في الدور المتعددة ورأيت على وجوههم جميعاً علامات الرضى من حالتهم وصرّح لي غير واحد منهم انهُ لن يرضى عنها بديلا . وقد رأيت في كثير من المدن الاميركية صناديق مفتوحة على مفترق الطرق وفيها الجرائد للبيع ولا بائع بجانبها . يأخذ عابر السبيل نسخة ويضع الثمن المحدّد في الصندوق من غير ان يكون عليهِ رقيب غير نفسهِ فادارة الجريدة تعتمد على امانة الجمهور في اداء الحقوق والشعب يثبت انهُ اهل لتلك الثقة

المدارس

زرت من الولايات المتحدة ميشغن واندیانا واوهایو وماين ومستشوستس ونيويورك وبنسلفانيا ونيوجرسي وعرفت بالاختبار ان اجمل بناية في أية بلدة دخلتها هي بلا نزاع المدرسة . المرأة والطفل الذي على يدها مقدسان اين كانا لهما عناية البوليس في الشوارع ولهما الافضلية في الجلوس على مقاعد السكك الحديدية والترام وفي الحدائق العمومية . وحيثما مررت بدور التعليم رأيت مكتوباً بالقلم العريض «حمى المدرسة» فالمارّة تسير الهوينا وكذلك سائق السيارة وعربة النقل لئلا يصطدم باحد الاطفال اللاعبين والناس على اختلاف طبقاتهم ينظرون الى هذه المعاهد كمستودع للامانات المقدسة فيجرون عليها الاعانات والهبات بسخاء لا يدرك مداهُ الا الذي يزور تلك المعاهد بنفسهِ . يبتدئ الطفل بالذهاب الى المدرسة وهو في الرابعة من سني حياتهِ فيجد فيها من العناية بجسمهِ وعقلهِ مالا يجدهُ الاَّ عند الوالدة البارّة الشفيقة المستنيرة ويصرف وقتهُ بما يلذ لهُ من تصوير او بناء او نجارة او حفر والمسابقة بين هؤلاء الاطفال بالغة حدها تقام لهم الحفلات ويُعرض فيها ما ابتكرتهُ عقولهم الصغيرة وتوزع الجوائز على الفائزين منهم. وقد سمعت ان الاميركيين يدرسون مسألة ارسال الاطفال وعمرهم سنتان الى المدرسة ولكنهم لم يبتوا فيها بعد

واذا انتقلت بكم من المدارس الاولية والثانوية الى الجامعات الكبرى فقد

انتهينا الى اكمل صورة من جلال العلم واحترامه والعمل على نشره وجعله في متناول اكبر عدد ممكن من طالبيه . الجامعات الاميركية كثيرة ولكن التابعات منها للحكومات المحلية قليلة جداً فهي مستقلة بنفسها ترجع في شؤونها الى مجالس ادارتها وفي نفقاتها الى اولئك الافراد الاغنياء الذين يعتزون باوطانهم ويؤمنون بان الامة التي تطلب الرقي من الطريق السوي طريق العلم والعمل لا بد انها بالغة ما تريد. فالى الجامعات يرسلون شبانهم بعشرات الالوف ومنها يأخذون ما تحتاج اليه البلاد من رؤوس مفكرة وقلوب مريدة وسواعد شديدة . الجامعة مجموعة دور عامرة وقصور شاهقة تتجاوز في بعض الاحيان السبعين عداً آهلة بالطالبين والطالبات للعلم من كل المذاهب ومن كل الطوائف ومن كل الالوان ومن كل بلدان العالم . المورد عذب فهو كثير الزحام . الابواب مفتوحة على مصاريعها والميادين واسعة والنجاح مضمون لكل نابه مثابر . يستحيل عليَّ في موقف كهذا ان اوفي موضوع الجامعات حقهُ من البحث وانما ارى من المفيد ان اذكر لكم شيئاً عن طريقة ابتكرها احد الاميركيين لارسال عدد كبير من اولاد الفقراء الاذكياء الى هذه المعاهد

طريقة مبتكرة لتعليم الفقراء النابغين

الرجل اسمهُ هوراشيوارل عمرهُ خمسة وسبعون عاماً وهو قصير القامة نحيف الجسم يصعب على الناظر الى وجهه ان يقرأ في ملامحه شيئاً من آيات الجمال ولكني استدرك فاقول ان حديثه او حديثاً عن اعماله العظيمة يطرب السامعين . ولد من عائلة فقيرة جداً وكان ابوهُ شرس الاخلاق سيء الطباع عاملهُ بخشونة كانت تصل غالباً الى درجة الارهاق . ترك البيت صغيراً وصار بائعاً للجرائد وتردَّد على المدارس الليلية وجد واجتهد حتى توصل بعد جهاد طويل الى تحصيل الدروس العالية . ثم استخدم في احدى الشركات واظهر من المقدرة في انجاح اعمالها ما دعى رؤساءهُ وحملة اسهمها لان يشركوه معهم في ارباحها وهكذا قطع الرجل مرحلة بعد اخرى حتى صار رئيساً لمجالس ادارة خمس شركات كبيرة في الولايات المتحدة ويسمونهُ « ابا الطرقات » لانهُ هو الذي سعى لانشاء الوف الاميال منها في ولاية ميشغن حتى صارت مثالاً يحتذى في سهولة المواصلات . كان اول عهد قطعهُ على نفسه بعد ان يسّر الله امره ان يساعد الاولاد البائسين الذين يتوسم فيهم الخير كي يوفر عليهم ما قاساه هو في طفولته من مرارة العيش . وكان حين يقع اختياره على واحد

منهم يأخذ عليه تعهداً مكتوباً على ان يفي دينه حالما يصير قادراً بنفس الطريقة التي استدان بها اي ان يعلّم ولداً فقيراً على نفقته . دعاني الرجل لزيارته في منزله حيث يلتقي مئات من اعضاء مجالس الشيوخ والنواب والمعلمين والكتّاب واصحاب الحرف المختلفة والمخترعين والمكتشفين وكلهم من الذين تعلموا بهذه الواسطة وصاروا من العاملين على تعميمها في كل الولايات المتحدة . لم يعد الواحد منهم يعتبر نفسه مديناً لفرد بل للمجموع الذي هو عضوٌ فيه . ولم يعد يكتفي بتعليم طفل واحد بل يسعى الى الخير جهده . خُيّل الي وانا أُصغي الى حديثه المعزز بالارقام والتواريخ ان وجههُ صار جميلا وان الرجل القصير القامة صار جبّاراً يستطيع ان يبني بمجد امة بتمامها . فانحنيت امامهُ باحترام وخرجت من عنده طالباً من ربي ان يكثر من امثاله في بلادنا

المرأة الاميركية

اذا كانت المرأة الاميركية لم تصل بعد لان تكون النصف الافضل للرجل بكل معنى الكلمة فهي سائرة سيراً حثيثاً في هذا الطريق . هي اليوم تتبوأ في بلادها مكانة يرتدُّ عنها الطرف وهو كليل . اذا قلت لكم ان الولايات المتحدة هي الميدان الحقيقي للعمل المتواصل المنتج والمنهك للقوى في وقت معاً وان من يقف حائلة بتأخر مرحلة ادركتم بداهة ان تفيع المرأة في ولوجها هذا الميدان ليس حسنها وجمالها وظرفها واعتدالها ولكنهُ ذكاؤها المتوقد وصبرها العجيب وحبّها في اداء الواجب وحسن تصريفها للامور فهي لا تخوض معركة الا وقد وضعت لها الخطط الحديثة وابتكرت لها العدات اللازمة وهي ما تراجعت مرة الا قفزاً للوثوب الى الامام ولولا حرقة على يديها الجبابين لقلت انها شقت طريقها بحد السيف . فهي حاضرة في البيت وفي الحقل وفي المعمل وفي الدكان وفي المحكمة وفي مكتب المحامي وفي المصارف المالية وفي الشركات الكبرى وفي المطاعم والفنادق . وهي التي تحمل علم الجهاد يوم تهدد الانسانية اخطار الاوبئة والامراض الفتّاكة ويوم تبتلى بالعجز والشيخوخة ويوم يحلُّ بها الفقر والشقاء . في هذه الازمات لا اقول ان الرجل يراها كخطيئته امامه في كل حين ولكنهُ يراها كضميره الحيّ ملازمة لهُ لا تنفكُّ تأمرهُ بالمعروف حتى يجود بما لديه من نعم الله . ولا تظنوا انها اقل سخاء من الرجل . كلاّ . بل هي تستجدي وتعطي من مالها وهو عند الاغلبية الساحقة من النساء الاميركيات مكسوبٌ بعرق الجبين

نسيم صيبعة [التتمة في الجزء التالي]

زلزلة كل ساعة

كثرة الزلازل

اذا نظرنا الى الزلازل وكيف تحدث فجأة من غير ان يتقدمها نذير ما ، وما تحدثهُ من الخراب والتدمير وتبثهُ من الخوف والهلع ،وان مركزها قلب الارض لاسطحها، زال كل عجب من ان العلماء لا يعرفون من امرها سوى الشيء اليسير .فمنذ ستين سنة لم يكن احد قد حاول البحث في الزلازل بحثاً علميًّا منتظماً .ولكن بعض العلماء وفي مقدمتهم الاستاذ مَلِت وضع اساساً لعلم جديد يتناول الزلازل وطبيعتها واسبابها ودعاهُ علم (السيسمولوجيا)

وارتقاء هذا العلم لم يتأخر لان مواد الدرس نادرة يصعب الحصول عليها بل لصعوبة الموضوع وما تبثهُ الزلازل من الخوف والاضطراب مما يجعل العقل غير قادر على التفكير المنطقي والبحث العلمي الدقيق حين حدوثها .وقد عني من العلماء رجل يدعى الكسيس بوضع كتالوج دوَّن فيهِ ذكر الف زلزلة في ثلاثين سنة بين سنة ١٨٤٣ و١٨٧٣ اي كان متوسط ما دونهُ زلزلتين في اليوم فاذا حسبنا ان ثلاثة ارباع سطح الكرة ماء وان جانباً كبيراً من اليابسة يقطنهُ اقوام متوحشون وان كثيراً من الزلازل التي تحدث في البلدان العامرة لا تدوَّن لا نكون مبالغين اذا قلنا ان زلزلة قوية او خفيفة تحدث كل ساعة من ساعات النهار والليل في بقعة من بقاع الارض ولكن جسم الانسان لا يحس بها الاَّ بالتي تهزّ الارضَ مقدار جزء من ١٦٠٠ جزء من البوصة وهذه ليست كثيرة الاَّ في المناطق التي تكثر فيها الزلازل

مظاهر الزلزلة

١ — الصوت : يكون اولاً كصوت اطلاق المدافع تحت الارض وفي بعض الاحيان كصوت دمدمة او اصطدام او طحن

٢ — ويصحب هذا الصوت او يتبعهُ اهتزاز الارض اهتزازاً خفيفاً او موراً عنيفاً وقد يبلغ من عنف حركة الارض ان تتداعى البيوت وتتهدم كانها بنيت من ورق

٣ — واتجاه هذه الحركة يكون اما عموديًّا من اعلى الى اسفل او افقيًّا من جانب الى جانب آخر او جامعاً بين الاثنين فتكون الحركة اما منحرفة او لولبية كما

حدث في بعض الزلازل اذ شاهد الناس بعض المداخن تدور دورة لولبية

٤ — وحركة الارض لا تحدث في كل مكان في الوقت نفسهِ بل تحدث في مركز الزلزلة ثم تنتقل منهُ في كل الجهات كانك ترمي حجراً في راكد من الماء فيحدث امواجاً متتابعة تنتشر الى كل الجهات . هذا المركز يدعى (الايبسنتر) لانهُ فوق مركز الزلزلة ويكون اشد فعلها هناك او على بعد عنهُ يساوي عمقهُ تحت الارض ثم يقل كلما بعدت موجتها عنهُ

سرعة موجة الزلزلة

وقد وجد العلماء ان سرعة موجة الزلزلة تختلف باختلاف مقاومة الصخر وعمق الايبسنتر . فاذا كان الصخر جلموداً والايبسنتر عميقاً كانت موجة الزلزلة على اشدها فقد تكون سرعتها ١٠ اميال في الدقيقة وقد تبلغ ٢٠ ميلاً او ٢٥ ميلاً او ثلاثين ميلاً في الدقيقة . وقد يكون انتشار موجة الزلزلة في كل الجهات متساوياً في سرعتهِ فتكون الموجة حينئذٍ في شكل دائرة تقريباً وقد تكون اسرع في جهة منها في الاخرى فتكون الموجة اهليلجية

اسباب الزلازل

اشهر اسباب الزلازل التغيرات المستمرة التي تحدث في الارض فأن قشرة الارض كبيرة ثقيلة وهي مرتكزة الى باطن الارض وهذا الباطن آخذ في التقلص المستمر بسبب خروج الحرارة منهُ فينتج من ذلك تشقق الصخور وتصدعها واتساع الشقوق القديمة فيها . اي ان طبقات الصخور التي زحلت عن مكانها في الزمان الماضي وهزت الارض بزحلها تزحل ثانية وتسبب هزة اخرى. ثم ان للثقل يداً في احداث الزلازل فاذا رسبت رواسب كثيرة في قعر البحر في البلدان المعرضة للزلازل ثقلت عليهِ فينصدع ويهزّ الارض ويحدث عكس ذلك في الجبال والنجود التي تجرف الامطارُ جانباً كبيراً منها فانها تخف عما كانت عليهِ وترتفع وقد يكون ارتفاعها هذا متدرجاً وقد يكون دفعة واحدة فتزلزل الارض

وقد كان الرأي الشائع ان الزلازل تحدث من تأثير البراكين ولكن ظهر الآن ان تأثير البراكين في الزلازل قليل جدًّا والغالب ان الزلزلة تسبق ثوران البركان فتكون سبباً لهُ لا نتيجة عنهُ واذا كانت نتيجة عنهُ كان اثرها موضعيًّا . اي ان اسباب ثورانهِ تكون مهيأة وتعوزها حركة شديدة لازالة ما يعوقها عن العمل فتأتي الزلزلة فتزيل

الفائق من طريقها. وقد روى الاب تُندورف طوريي وهو من اشهر علماء الزلازل في اميركا ان عاصفة شديدة هبت في الاوقيانوس الاتلانتيكي على مقربة من شواطئ اميركا فلطمت امواجها القوية سيف القارة الاميركية لطماً متوالياً فزلزلت الارض ودوّنت آلات رصد الزلازل هذه الهزة ولكن هذا نادر

طغيان البحر

اذا كان مركز الزلزلة في قعر البحر قرب شاطئ فقد تصحب الزلزلة موجة عظيمة تطغو على الشاطئ فتخرب وتدمر ما يعترض سيرها وسبب ذلك ان قعر البحر عند الاهتزاز يرتفع وينخفض مراراً فترتفع مياه البحر فوقه وتنخفض فتتولد من ذلك موجة كبيرة قد يبلغ علوها خمسين قدماً تقريباً وطولها مئات من الاميال وتبقى سائرة حتى تلطم الشاطئ فتطغو عليه وتخرب كل ما يعترض سبيلها. وقد دعيت موجة كهذه خطأ موجة المد والجزر وليس لها ادنى علاقة بالمد والجزر

ومع ان موجة من هذا القبيل تتكون عند مركز الزلزال الا انها أبطأ من الزلزلة في سيرها لذلك تصل اليابسة بعدها

امثلة مشهورة على طغيان البحر

١ — في سنة ١٧٥٥ حدثت زلزلة في البرتغال فدمرت مدينة لشبونة وقتلت اربعين الف نفس. وكان مركز الزلزلة تحت قعر البحر على مائة ميل من الشاطئ وبعد ما انقضت نصف ساعة على الزلزلة ساد الهدوء فيها المدينة جاءت امواج عظيمة علوها ستون قدماً وطغت على المدينة فأتمت تدميرها وكان علو هذه الامواج ٦٠ قدماً في لشبونة و٣٠ قدماً في قادس و١٨ قدماً في جزائر مديرا وخمس اقدام على شواطئ ايرلندا

٢ — وحدثت زلزلة في اليابان سنة ١٨٥٤ تبعتها موجة عظيمة علوها ٣٠ قدماً طغت على سيمورا فمحتها من عالم الوجود. وكان مركز الزلزال على مائة ميل من شاطئ اليابان ولكن آثار الموجة البحرية شعر بها في كاليفورنيا بعد ما عبرت الاقيانوس الباسيفيكي فكان علوها ٨ اقدام فقط في سان فرنسيسكو

٣ — وحدثت زلزلة سنة ١٨٦٨ هزت شاطئ بيرو هزاً عنيفاً وكان مركزها قريباً فعقبتها بعد خمس دقائق موجة علوها ٦٠ قدماً احدثت تدميراً عظيماً على كل الشاطئ

حديقة الاسلام

الغزالي

(٤٥٠ — ٥٠٥ هـ) — (١٠٥٨ — ١١١١ م)

تمهيد : لتاريخ الفلسفة في نشأتها أمة من الامم طريقتان اما ان يذكر النظريات المختلفة وما اعتراها من التغير والتطور مستوعباً باوطانها وما طرأ عليها من الآثار واما ان تأتي على سير هؤلاء الابطال فتجلو لهم المراحل التي انتهت اليها الفلسفة في كل طور من اطوار تغيرها . وهذه في الطالبين دراسة الفلسفة وتتبع مجراها . وقد آثرنا في هذا المقال ان نتبع ثاني الاسلوبين لان الفلسفة في اعتقادنا وليدة الحياة فليس أدل على تطورها اذاً من الحياة نفسها ، ولان هذه الطريقة هي المتبعة اليوم على الاكثر وان لم تنكر ان للطريقة الاولى انصارها . فنحن لذلك وان حدثناك عن الغزالي ، فانما نحدثك بالحقيقة عن طور هام من اطوار الفلسفة في الشرق ، وفي عصر أوشك ان يلفظ فيه التفكير الحر انفاسه الاخيرة —

هذا وان المشهور بين المطلعين على الآداب العربية ان الغزالي عالم ديني فحسب . والحقيقة ان الاسلام قد ادمج كل نظام التفكير في نظامه الديني العجيب ، وان الغزالي في دفاعه عن عقيدته وفي جداله خصومه الفلاسفة أقرب في اساليبه الى الفيلسوف المفكر منهُ الى المتدين المستسلم . وقد يظهر لاول وهلة ان في مثل هذا التعميم بشأن الاسلام مبالغة اية مبالغة ولكنهُ اليوم الرأي الذي اجمع عليه معظم العلماء المستشرقين . وللعالم الالماني رتر Ritter كلمة ذات شأن بهذا الصدد فهو يقول ما معناهُ ان المدارس الفقهية والتفكير الديني في الاسلام يمثلان الفلسفة العربية اكثر مما يمثلها جمهور الفلاسفة اتباع ارسطو كالفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم . ويقول Boer اعمق من تضلع من دراسة الفلسفة الاسلامية بين الغربيين « ان في اتباع الغزالي تلك الطريقة المبتكرة من التصوف والاقتناع الداخلي ، لفلسفة أعمق وايم الحق من فلسفة المقلدين »

والغزالي احد تلك العقول النادرة جداً ، التي لا يختنق ابتكارها بكثرة ما تخوض فيه من العلوم والمعارف . وهو (على ما دلني اختباري) احد تلك الشخصيات العميقة التي لا يمكن الشعور بها على قرار . فقد تقرأ وتقرأ ثم لا تزال تجد انك قاصر على فهم

ناحية واحدة من نواحي هذه النفس الكبيرة . ولا نظن اننا موفقون في بسط هذه الفكرة للقراء الى اجمل وابلغ من المثال الذي ضربهُ الغزالي نفسه في مؤلفه (كيمياء السعادة) حين اراد ان يرمز الى عظمة الوجود وقدرة الله الازلية ، فيرى الفلكيين والاطباء والدهريين انهم مقتصرون في ابحاثهم على ادراك العلل الثانوية وانهُ لا يمكنهم بطريقة من الطرق تعدّيها الى ما يدعونه (السبب الاول او القوة الفعالة) قال : احضر احدهم فيلاً الى قرية كل ساكنيها من العميان، فتجمهر حول هذا الحيوان عدد كبير منهم يريدون معرفة هذا المخلوق العجيب . ثم وضع أحدهم يده على خرطومهِ فقال انهُ يشبه العمود ، ولمس آخر اذنيهِ فقال لا بل هو يماثل شراع السفن ، ولكن ثالثاً منهم صاح فقال لا بل هو كالخيمة الكبيرة وكان قد وضع يدهُ على جسمهِ . فكل واحد من هؤلاء صادق فيما قاله لكنهم لو ادعوا ان الفيل كلهُ هو عبارة عما وصفوه لكانوا من الكاذبين

ونحن حين نحاول ان نكتب عن الغزالي لنلم بجميع أطواره النفسية واختباراته العقلية ،يتملكنا نفس هذا الشعور . وقد يكفيك تمثلنا بهذه الخرافة لترى اننا ونحن نباشر الكتابة شاعرون بعجزنا وتقصيرنا عن ان نقدم لك الغزالي شخصية حية كاملة لم تتحجر بفعل الاقلام على الاوراق !!!

﴿ العصر الذي نشأ فيهِ ﴾ : كان القرن الحادي عشر الذي وجد فيهِ الغزالي من أظلم العصور في تاريخ الاسلام . فقد ضعفت الخلافة في ذلك العهد ، وكثر الدعاة ، فتكالب الزعماء على السلطة واورثوا الشرق على الاثر فوضى لا فوضى بعدها . وزاد في فوضى الحياة المادية اضطراب في الافكار وبلبلة بالمشارب والمعتقدات .لان المسلمين كانوا قد انقسموا بعد ان ضعفت شوكة الاسلام الى احزاب وشيع كل يدعو الى فريقه ومعتقده

وقد ادرك الغرب هذا التضعضع الذي كان قد اصاب الشرق آنئذٍ فرأى الفرصة سانحة لينقضَّ عليهِ ويشتبك معهُ في سلسلة من الحروب — الحملات الصليبية — يقال انها دينية والحقيقة انها كانت فوق ذلك سياسية واجتماعية ترتكز الى ما كان سائداً في الشرق والغرب من الاحوال في تلك الآونة العصيبة

فمن شيعة يدعون الناس للايمان بامام مستتر ، الى معتزلة يرفضون سلطة السلف ويتكلون على سلطة العقل المجرد ، الى اسماعيلية ينقمون على كل نظام ثابت ويعملون

على تقويضه . وعلى رأس هذه العوامل الهدامة جمهور المتفلسفة يبثون في الناس التعاليم الفجة التي لم تتهيأ لها عقولهم ، فتنسخ ايمانهم ثم هي لا تملأ هذا الفراغ بشيء يذكر ، وكل ما لها من الاثر ان تحمل العامة على الشك والاضطراب

ثم يجب الا ننسى بعد هذا كله ، ان الروح السائدة في تلك الفترة من الزمن ، هي روح القرون الوسطى وان الاحوال احوالها والشعور شعورها ، بكل ما يميز تلك الروح من ميل الى اليأس والتشاؤم ، وتلك الاحوال من الاضطراب والفوضى ، وذلك الشعور من ميل للحياة الاخرى والتفكير في وقوعها . وكل هذه عوامل ومؤثرات يجدر الا تغيب عن الذهن ابداً حين نبدأ بتحليل شخصية الغزالي ودرس تطور شخصيته وآرائه . وهي امور يجب اذا نحن اردنا الانصاف ان نأخذ لها العدة ، حين نحكم على الغزالي او نقابله بغيره من الفلاسفة اللاحقين ، لان النفس البشرية مهما سمت وتجردت فلا بد ان يعلق بها من محيطها وزمانها الشيء الكثير

اما ثقافة العصر العامة فقد كانت في مستوى علمي عال ، رغم ما وصفناه من الاضطراب في الحالتين السياسية والاجتماعية . وذلك لاسباب يطول البحث فيها فنقتصر منها على سببين . الاول تأييد الامراء واصحاب النفوذ للعلماء والمفكرين او على الاصح استخدام هؤلاء لاغراضهم الخاصة فيؤيدون سلطتهم ويعززون سياستهم . ومع ان العلماء كانوا وسيلة بل العوبة ليس الا كما ترى ، فان العلم استفاد كثيراً من هذا التأييد ورعاية اولي الامر له في ظروف واحوال كان يضطر فيها المفكرون لولا تلك الرعاية ان يخضعوا للرأي العام وحكم الاكثرية فيهبط الفكر الى الدرك الاسفل . واما السبب الثاني فمعنوي يصعب توضيحه وهو الميل الذي يعتري بعض النفوس الطامحة المفكرة لتسمو من حضيض الحياة المادية بما فيها من النزاع والاضطراب الى حالة نفسية هادئة تخيم عليها طمأنينة فلسفية عميقة . ففي نفس الوقت الذي كان فيه الصليبيون في الغرب يتأهبون لشن الغارة على المشرق ، كان الغزالي يعد نفسه لان يكون بطل الاسلام الروحي

هذا وصف موجز للمسرح الذي نشط الغزالي لتمثيل دوره عليه . وقد كان من عصره حقا بمثابة البطل من الرواية فهو رمز لعصره ، ومعلم لتطور الفلسفة مدى قرون ، بل هو بنفسه فصل من فصول الفلسفة الاسلامية حتى ليمكننا من اجل كل ما اسلفنا ان ندعو العصر الذي عاش فيه بحق وبدون ادنى مبالغة (عصر الغزالي) .

﴿ حياته وعقليته ﴾ : لقد تمكنا حين بحثنا عن ابن خلدون في عدد سابق من هذه المجلة ، ان نعالج سيرته تحت عنوانين منفصلين بحثنا اولاً في حياته ، ثم تدرجنا الى البحث في عقليته على حدة . غير ان ذلك مما لا سبيل اليه في البحث عن الغزالي وذلك لانه شيد عقيدته وآراءه على قاعدة الحياة ، وما اختبره فيها من التجارب ، ولم يفرق مطلقاً بين ما يعتقده وما يعمل به اي بين الحياة المادية التي كان يعيشها ، وما كان يدعه دماغه من المذاهب الروحية والعقلية

واقوى ما نستند عليه في كتابة هذا الفصل مؤلف صغير بل رسالة تركها الغزالي بمثابة (اعترافات) فكانت لنا عوناً على حل هذه النفسية الخافقة . والرسالة هذه بعنوان (المنقذ من الضلال) شرح فيها كل ما اثاثه من الشكوك الروحية والتجاريب العقلية . وهي فريدة في الآداب العربية ليس فقط بجمال اسلوبها ، بل للبراعة التحليلية فيها والاخلاص المترقرق بين سطورها . وهذه الاسرار الثلاثة هي في نظرنا اهم ما تمتاز به كتابات الغزالي بوجه الاجمال . « فالمنقذ » كان يكون اول بذرة صالحة في علم تحليل النفس او ما يسمونه Psycho-annlysis

ولد الغزالي على الارجح في قرية الغزالة بجوار طوس من خراسان عام ٤٥٠ ، وتوفي والده وهو لا يزال صغيراً بعد ما اوصى به واخاه صديقاً له صوفيًّا وحثه على تعليمها . فدرس اولاً مبادىء القراءة والكتابة في قريته ، ثم انتقل الى طوس ليدرس الفقه والحديث على الرذكاني ، ورحل بعد ذلك الى جرجان حيث تتلمذ لابي نصر الاسماعيلي . غير ان عهد بالمذهب الحنفي يدرسه في المدرسة النظامية بنيسابور تحت اشراف امام الحرمين الجويني . وقد اظهر هنا ذكاء واجتهاداً فائقين حتى ان الامام كان يتكل عليه في التدريس بدلاً منه

ولكن الغزالي كان قد اظهر التردد منذ اوائل حياته ، ومع انه كان في وسط صوفي محض فقد شك في معتقده ، الا انه بقي كاتماً سر نفسه الى ان توفي استاذه الاكبر سنة ٤٧٨ فبرح طوس الى بغداد وكانت شهرته قد سبقته اليها وكان فيها يومئذ نظام الملك وزير الب ارسلان السلجوقي ، وقد اشتهر برعاية العلماء والميل لمعاشرتهم فاختبره مدة ولم يلبث ان وثق بمقدرته وسمة علمه فجعله اولاً من فقهائه ثم ولاه رآسة الجامعة النظامية في بغداد . ودرس الغزالي هناك مدة ذاعت فيها شهرته اضعاف ما كانت عليه من قبل

ولكن يظهر ان ابحاثهُ الفلسفية في المدرسة النظامية ، واحتكاكهُ باصحاب المذاهب الفكرية المختلفة الذين كانوا يجتمعون ببغداد، ثم ميلهُ الفطري الى البحث والمجادلة والتنقيب، كل هذه العوامل اهابت بهِ الى الشك المطلق ليس فقط في امر التقليد الديني بل اصبح يتردد في صحة العلم عينهِ . وعلى ذلك فقد اخذ بعد مقتل نظام الملك سنة ٤٨٥ يدرس كل الآراء الفلسفية الشائعة علها ترد اليهِ ايمانهُ . وقضى في ذلك ثلاث سنين لم يظفر منها بطائل

يقول الغزالي ان دواعي شكهِ كانت كثيرة ، فمنها انهُ كان يلاحظ ان الطفل ينشأ اما مسلماً او مسيحيًّا او يهوديًّا ليس لانهُ اختار ما ارادهُ لنفسهِ من هذه الاديان بل لان ابويهِ يجعلانهِ كذلك ، وفي ذلك حديث للنبي مشهور . فبعث ذلك الشك في عقيدتهِ وصار لا يقيم وزناً لغير اليقين الثابت في مثل قولك العشرة اكثر من الثلاثة . ولكن هنا يصدمه الشك ثانية فاليقين مبني على الحس والحس لا يصدق دائماً ، فانك مثلاً ترى الظل ثابتاً بينما هو في الحقيقة متحرك. وعلى ذلك تبطل ثقته بالمرئيات فيركن الى العقليات . ولكن كيف يأمن مغبتها وقد وثق اولاً بالمرئيات فخانتهُ ؟! ألا يمكن ان تكون فوق العقل حالة هي بالنسبة اليهِ بمثابة اليقظة من النوم ؟! انّا نرى الاشياء في منامنا كانها واقعية فاذا جاءت اليقظة لم نصدق بها لان العقل ينكرها . فهلا يمكن ان تكون الاشياء التي نعتقد بانها معقولة في حياتنا هذه ، هي بدورها ايضاً باطلة بالنسبة للحياة الاخرى ؟!

هذا ما انتهى اليهِ الغزالي في تفكيرهِ الدائري فقد بدأت شكوكه في نقطة معينة من الدائرة وما زال في كفاحهِ وجهادهِ الداخلي حتى انتهى الى تلك النقطة عينها . ولكنهُ مع ذلك اطمأن الى اساس علمي ثابت يركن اليهِ العقل

كان الغزالي حينئذٍ قد جاوز من عمرهِ الخامسة والاربعين ورأى ان لا فائدة تجنى من وراء الشك والتنقيب فمالت نفسه المتعبة الى الطمأنينة التي كان قد فقدها منذ سنين وهاك ما يقولهُ هو عن نفسه وفي ذلك خير مثال لاسلوبه الرائع وكان قد حصل لهُ من « العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية ايمان يقيني بالله تعالى ، وبالنبوة ، وباليوم الآخر . فهذه الفصول الثلاثة من الايمان كانت قد رسخت في نفسي لا بدليل معين مجرد بل باسباب وقرائن وتجاريب

لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها . وكان قد ظهر عندي ان لا مطمح لي في سعادة الآخرة الاّ بالتقوى وكف النفس عن الهوى .... ثم لاحظت احوالي فاذا انا منغمس في العلائق .... ولاحظت اعمالي واحسنها التدريس والتعليم فاذا انا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة . ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت فتيقّنت اني على شفا جرف هار » [١]

ولذلك برح الغزالي بغداد تحت ستار الحج سنة ٤٨٨ واستخلف مكانه للتدريس اخاهُ احمد ، وكانت الغاية الحقيقية كما رأيت من كلامهِ العزلة والتنسك ، وطلب الآخرة . وبقي يتنقل شأن النساك الزاهدين احدى عشرة سنة ابتلى في اثنائها كل ما في التصوف من مبادىء وتعاليم ومكاشفات ، واصبح لفرط الاخلاص يصف اخوانه المتصوفة فيقول : هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم احسن السير وطريقهم اصوب الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق . بل لو جمع عقل العقلاء وحكم الحكماء وعلم الواقفين على اسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم واخلاقهم ويبدلوهُ بما هو خير منهُ لم يجدوا اليهِ سبيلا » . وقد قضى معظم هذه المدة في سورية وفلسطين فاعتزل في مأذنة الجامع الاموي بالشام واقام في جامع الصخرة بالقدس زمناً كتب فيهِ (الرسالة القدسية) وما برحها الاّ قبيل دخول الصليبيين اليها عام ٤٩٢ . وقد زار مقام ابراهيم الخليل بحبرون وتوجه اخيراً الى مكة في طلب الحج . ولكن ما أزف القرن الخامس بالانصرام حتى عاد الاضطراب الى نفس الغزالي الثائرة وحنَّ الى الاهل والاوطان ، وشعر بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهِ في اصلاح ما اختل من الدين واخيراً اضطرهُ السلطان ملك شاه ان يعود الى التدريس في نيسابور بعد ان كان قد خيّب رجاء اكثر أصدقائهِ في هذا الشأن ، وكان رجوعهُ عام ٤٩٩ . وهاك ما يقولهُ هو بنفسهِ « فلما رأيت اصناف الخلق قد ضعفت ايمانهم الى هذا الحد بهذه الاسباب ، ورأيت نفسي مليّة بكشف هذه الشبهة حتى كان افضاح هؤلاء أيسر عندي من جرعة ماء لكثرة خوضي في علومهم اعني الصوفية والفلاسفة والتعليمية والمترسمين من العلماء . انقدح في نفسي ان ذلك متعين في هذا الوقت محتوم فماذا تغنيك الخلوة

(١) راجع المنقذ من الضلال لابي حامد الغزالي طبعة مصر ص ٤٢ و ٦١

والعزلة وقد عم الداء ومرض الاطباء . . . . . ويسّر الله تعالى الحركة الى نيسابور للقيام بهذا المهم سنة ٤٩٩ »

وقضى في نيسابور مدرساً ثلاث سنوات اضطر في نهايتها على ما يقال من اجل بعض الخلافات التي نشأت بينهُ وبين بعض العلماء ان يلتجئ الى طوس البلدة التي قضى فيها ايام صباهُ. وهناك اعتزل عن العالم واعتكف على درس الحديث . وقد اسس خانقاه لرفاقهِ من الصوفيين واصبح يعلم عدداً من التلاميذ الذين كانوا يتوافدون اليهِ من الاقطار المجاورة على عادتهم في طلب العلم . ويقول عبد الغافر احد المترجمين لهُ ومن اقدمهم تاريخاً ان سيرتهُ تغيرت بالكلية في تلك الفترة إذ اصبح متسامحاً وضيعاً بعد ان كان ميّالاً الى الجدل والمناظرة مع الاتراب متكبراً عليهم

ولابن تيمية (ولد سنة ٦٦١) قول بشأن الغزالي لا يخلو من غرابة اذ يقول « ولهاذا تبيّن لهُ في آخر عمرهِ ان طريق الصوفية لا تحصل مقصودهُ فطلب الهدى من طريق الآثار النبوية ، واخذ يشتغل بالبخاري ومسلم ومات في اثناء ذلك على احسن احوالهِ وكان كارهاً ما وقع في كتبهِ من نحو هذه الامور مما انكرهُ الناس عليهِ» الاَّ اننا نردّ هذا القول ولو قبلهُ الدكتور زكي مبارك ليس لانهُ معاكس لكل ما اطلعنا عليهِ بشأن الغزالي واخلاصهِ للصوفية حتى موتهُ فحسب بل لانهُ لا يعقل ان يكون الغزالي قد اقلع عن الصوفية في وقت كان فيهِ يبث مبادئها بين حلقات تلاميذهِ وينشئ لاتباعها خانقاه يجتمعون بها كما رأيت . وما زال الغزالي في مثل هذا الصلاح والتقوى والاعتزال الى ان توفاهُ الله عام ٥٠٥ هـ

لكن الخلف من المسلمين الذين احلوا هذه الشخصية مكانة تقرب من التقديس لم يكتفوا بهذا القدر من الاخبار التاريخية الصادقة ، ولذلك ترى الكثيرين من الكتاب قد اذكوا الخيال فاضافوا اليها من العجائب والكرامات اشكالاً وانواعاً . ومن حسن الحظ اننا نستطيع اليوم نقدها وتمحيصها لان الاغلاط التاريخية فيها جلية ، وتناقض الوقائع ظاهر بيّن

وعلى كل فما هذا سوى موجز لحياة الغزالي الحافلة نقتصر عليهِ ، لننتقل منهُ الى البحث عن آراء المستشرقين فيهِ في الجزء القادم ، ونرى هل كان لهُ ضلع في الفلسفة بمعناها المشهور

القدس — شكري مهتدي

ب . ع

باب شؤون المرأة

وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ذكرى قاسم امين

ونهضة المرأة المصرية — ذكريات تاريخية

احتفل في الرابع من شهر مايو الماضي بمرور عشرين سنة على وفاة المرحوم قاسم امين مؤلف كتابي « تحرير المرأة » و« المرأة الجديدة » . احتفلوا بذكراهُ محرراً للمرأة . ولو انهم ابقوا هذا الاحتفال الى السنة القادمة لكان امامهم تذكار مجيد هو مرور ثلاثين سنة على ظهور فكرة قاسم امين في كتابهِ الاول « تحرير المرأة »

ففي سنة ١٨٩٩ نشر الشاب الاديب محمد علي كامل صاحب مكتبة الترقي ومطبعتها كتاب « تحرير المرأة » وصدَّرهُ بالمقدمة الآتية :

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . و بعد فان البحث فيما عليهِ نساؤنا الآن من صفات واخلاق وعوائد وما يجب ان يكنَّ عليهِ من ذلك هو من اوجب الواجبات على كل من يحس حقيقة بالفرق بين العائلة عندنا وعند غيرنا او بالفرق بين العدم والوجود ويود ان يكون عضواً من جسم امة تحيا لانها تعمل عمل الاحياء وترتقي لانها تفعل فعل المرتقين

« ولو كانت معرفة اسباب تهدّم بناء عائلتنا — او امتنا — والوقوف على طرق اعادته بناءً عالياً ثابتاً مما يتعين على ذلك العضو الذي يجب ان يكون في بلادهِ انساناً حيّاً راقياً فاطلاعهُ على (تحرير المرأة) الذي انشرهُ اليوم بني ولا شك بجل حاجتهِ»

من سبق قاسماً بالدعوة ؟

احدث كتاب « تحرير المرأة » ثورة . وكان الغاضبون الناقدون اضعاف الراضين

المحبذين . وناصر المرحوم فرح انطون صاحب مجلة « الجامعة » مؤلفهُ وقال انهُ جدير بان يلقب « لوثيروس الشرق » . وكان صاحب العزة محمد طلعت بك حرب في طليعة محاربي قاسم امين والمزيفين اراءهُ وعلى الاخص في مسألة السفور . ووضع في ذلك كتابين اولها « تربية المرأة والحجاب » ردّاً على « تحرير المرأة » وثانيهما « فصل الخطاب في المرأة والحجاب » ردّاً على « المرأة الجديدة »

وفي مقدمة الكتاب الثاني رد على ما وصف بهِ صاحب الجامعة قاسماً فقال :

« .... ولقد لقب آخر من أولئك المتصدرين حضرة صاحب « المرأة الجديدة » بانهُ لوثير الشرق . ولو كان عند هذا الكاتب اطلاع على ان في رجال الدين الاسلامي من قام بدفع الخرافات الدخيلة فيهِ كالامام ابن تيمية والغزالي وغيرهما لا تنحل له اسم احدهم

« على انهُ لو كان كل من جاهر اولاً من بين المصريين بشقاء المرأة في الشرق وطالب بتحريرها يستحق هذا اللقب لوجد من هو احق بهِ واجدر من صاحب المرأة الجديدة وهو حضرة مرقص افندي فهمي المحامي فانهُ وضع في سنة ١٨٩٤ — اي في الوقت الذي كان حضرة صاحب المرأة الجديدة يرى فيهِ رأينا ويدافع عن آداب المرأة المسلمة وحجابها وعن المدنية الاسلامية — كتاباً في قالب رواية اسمهُ « المرأة في الشرق » ذكر فيهِ كل ما جاء بكتابي « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » بل زاد عليهِ انهُ طلب — فوق رفع الحجاب والاختلاط وحجر الزواج باكثر من واحدة وجعل حق الطلاق من حقوق الزوجين وحصر اسبابهِ ووجوب طلبهِ من سلطة القضاء التي يجب ان تكون واحدة بالنسبة لجميع الوطنيين — الترخيص بحل الزواج بين المسلمين والاقباط فيجوز لقبطي ان يتزوج مسلمة كما اباح الشرع عكسه حتى يمتنع التعصب وينتفي النفور المستحكم بين الجهتين [1] وتتم المدنية والحضارة (حسب زعمهِ)

« فاذا كان من يطالب بالتحرير ورفع الحجاب والاختلاط فقط يلقب بلوثير الشرق فأحرِ بمن يطلب ذلك وزيادة عليهِ مزج الدمين المسلم والقبطي ان يكون « لوثير » مرتين او اكثر !!

« وانهُ ان كان ذلك الكتاب لم يؤثر التأثير الذي اثرهُ كتابا « تحرير المرأة »

(١) صفحة ١٦٦ وما يليها من رواية المرأة في الشرق

و« المرأة الجديدة » ولم تقم من اجلهِ الدنيا وتقعد ولم يهتم بهِ الكتّاب فما ذلك الا لزيادة حرية ضمير حضرة مؤلفهِ وحرية افكارهِ فانهُ بسط فكرهُ وما يراهُ صالحاً ولم يدّعِ انهُ يدعو اليهِ باسم الدين بل قال : ان ظروف الاحوال تقضي بهِ وان لي من تهاون الحكومة بامور الدين اقوى مساعد على طلب ذلك مع اعترافهِ بمخالفتهِ للشرع »

نازلي هانم وقاسم امين

وقد ذكر اسم قاسم امين يوم الاحتفال بذكراهُ مقروناً باسم نازلي هانم وهي الاميرة الملكية من سلالة محمد علي . واول اميرة شرقية بل اول امرأة مستنيرة في الشرق الادنى القت الحجاب جانباً . ولم تكتف بالإسفار . بل فتحت صالونها لاستقبال خيرة اهل العلم والادب . فكانت رِدهة سرايها خلف سراي عابدين لنحو اربعين سنة خلت ملتقى الشيخ محمد عبده وابراهيم اللقاني وسعد زغلول ومصطفى فهمي وحسين رشدي والامير حيدر فاضل وعبد الكريم سلمان والشيخ علي يوسف وغيرهم من ائمة هاتيك الايام واصحاب الرأي الاول في تدبير الشؤون السياسية والاصلاح الاجتماعي

وفي صالون الاميرة نازلي تم الاتفاق على زواج سعد زغلول باشا بصفية هانم كريمة مصطفى باشا فهمي

ووصف المسيو جرفيل في كتابه « مصر الحديثة » صالون الاميرة . فقال انهُ لصالون مفرد في هذه البلاد بل في الشرق الاسلامي عامة . ففيهِ يلتقي نخبة اهل الطبقة العالية من رجال مصر يتباحثون في شؤونهم العامة . وقد قضيت مع صاحبتهِ ساعتين بهجتين لا انساهما مدى العمر

قال : وبعد ان تناولنا القهوة المعطّرة . تنقلنا في احاديث مختلفة وسألتني الاميرة عن رحلتي في اليابان . فوجدتها أعلم مني بحال هذه البلاد الشرقية السحيقة . فلما ذكرت اسم اوياما ، تنهدت الاميرة وقالت من لنا بمثل هذا الرجل ينهض ببلادنا من الهوة السحيقة الملقاة فيها ويبث في افئدة شباننا روح النخوة والشجاعة والاقدام

ثم جرى الحديث في الشؤون السياسية فابدت رأيها بان البلاد (وكان ذلك في ١٩٠٤) ليست مستعدة لان تحكم نفسها

قال : ولعبت وعزفت الاميرة على البيانو بعض الادوار الفنية . وقالت انها تتمنى ان يكون في كل بيت بيانو لترقية الشعور والاحساس

ففي صالون هذه السيدة الجليلة وضع اساس كتاب تحرير المرأة . وتفصيل الخبر

ان الدوق داركور وضع كتاباً باللغة الفرنسوية في سنة ١٨٩٢ عنوانهُ « المصريون » فردَّ عليهِ قاسم امين بكتاب فرنسوي كان موضع اهتمام اهل الطبقة العالية من المصريين وفي طليعتهم الاميرة نازلي هانم . وقضى اهل الصالون الليالي الطوال ولا حديث لهم الاَّ داركور والرد على داركور وما في الكتاب من امور عامة وخاصة ومنها مسألة المرأة الى ان تم الاتفاق على وضع كتاب « تحرير المرأة » وقد لعبت فيهِ اقلام المرحومين الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان وسعد زغلول

وانحاز الخديو عباس الى جانب المقاومين قاسماً وكتابه . ولكن المرحوم مصطفى فهمي باشا — وكان حينذاك رئيساً للوزارة — اعلن رأيه على صفحات الجرائد مؤيداً رأيه مثنياً على ما جاء في كتاب تحرير المرأة من وجوب تعليم البنات ورفع الحجاب . وقبل المرحوم سعد زغلول — وكان مستشاراً في محكمة الاستئناف — اهداء كتاب « المرأة الجديدة » اليهِ وتتويجه باسمهِ

بعد عشرين سنة

توفي المرحوم قاسم امين مساء يوم ١٣ ابريل سنة ١٩٠٨ . وكان قد القى قبل وفاته بثلاث ساعات خطبة تمنى فيها ان تشترك النساء المصريات في حضور الجلسات الادبية الى جانب الرجال لسماع المحاضرات العلمية والفنية

فبعد ان جاهد عشر سنوات وكافح خصومه . وبعد عشرين اخرى مرت على وفاته رأينا تباشير نجاح الفكرة واندحار مقاوميها . رأينا السيدة الجليلة صفية هانم زغلول فرحة مغتبطة بتحقق امنية ابيها وزوجها فخورة بما كان للرجلين من اثر في تحرير النساء من ربقة الجهل

ورأينا السيدة هدى هانم شعراوي رئيسة جمعية الاتحاد النسائي لم تكتف برفع الحجاب والاشتراك في الحفلات والقاء الخطب والمحاضرات ونصيراتها من السيدات النبيلات . بل وجدناهن يعملن بهمة واخلاص على رفع شأن المرأة المصرية وتعليمها كل ما يرقيها ويحفظ نسلها سليماً

ورأينا الاستاذ محمد طلعت حرب خصم قاسم امين الاول ونصير الحجابيين يسمح بظهور بنات المسلمين على المسرح ممثلات ومغنيات وراقصات . ويقول في حديث لهُ مع الآنسة « مي » انهُ لا يرى مانعاً في قبول البنات للعمل في البنوك ومكاتب الاشغال

وعشرون سنة ليست بالزمن الطويل في حياة الامم والشعوب . والتغيير في العادات والاخلاق والآراء ليس زرعاً يغرس اليوم وينبت في الغد . فليعمل انصار المرأة ومحرروها والزمن كفيل بتحقيق الآمال « سفوري »

فرشاة الاسنان

العناية بها حتى لا تكون خطراً على الصحة

صحة الفم مرتبطة كل الارتباط بفرشاة الاسنان لانها تستعمل وسيلة لتنظيف الاسنان وتقوية اللثة . فاذا احسن استعمالها قلت تعرض الاسنان للاصابة بالحفر والنخر ومنعت الامراض التي قد تصيب اللثة واعادت صحة بعض اللثات المصابة

ومع ان الاطباء ورجال الصحة العامة نبهوا الجماهير بمقالاتهم وخطبهم الى وجوب العناية بنظافة اسنانهم نراهم قد اهملوا التنبيه الى وجوب العناية بنظافة الفرشاة المستعملة لتنظيف الاسنان

فالفرشاة التي لم تنل نصيباً كافياً من عناية صاحبها بنظافتها وحفظها لا تحقق الغاية التي تستعمل لتحقيقها — تنظيف الاسنان وتقوية اللثة — وقد تنقلب فائدتها ضرراً . وعليهِ رأينا ان نقتبس من مجلة هيجيا الصحية القواعد التالية للعناية بفرش الاسنان فتطول مدة استعمالها وتمنع الآفات التي قد تتطرق الى الفم ومنهُ الى الجسم بواسطتها

لدى شراء فرشاة اسنان جديدة يجب وضعها في محلول قوي من ملح الطعام مدة ساعتين قبل استعمالها فينظف شعرها وتفقد قساوتها وتكتسب مرونة لا بدَّ منها لتنظيف الاسنان وعدم جرح اللثة

اما القول بوجوب اغلائها قبل استعمالها فخطأٌ . لان الاغلاء يفقد شعر الفرشاة ما فيهِ من الليونة والمرونة . واذا كانت قبضتها من السلولويد تغير شكلها فاذا كانت قد صنعت على شكل خاص حتى يسهل تنظيف كلّ الاسنان بها اعوجّت والتوت وصار يصعب استعمالها واذا كانت الفرشاة من عظمٍ ذاب السمنت الذي يربط شعر الفرشاة بالسلك الدقيق الذي في مقدمها . يضاف الى ذلك ان كل فرشاة تعقم قبلما ترسل من المعمل الى السوق بوضعها يوماً كاملاً في بخار الفورملدهيد وكل مرتبة من مراتب عمل فرش الاسنان مبني على مبدإٍ اساسي وهو الاحتفاظ بمرونة الشعر فيجب ان لا نزيل هذه الصفة اللازمة لتنظيف الاسنان باغلاء الفرش قبل استعمالها

وقبيل استعمال الفرشاة كل يوم يجب ان ترطب بماء بارد لان استعمال الماء السخن يجعلها رخوة كثيرة الليونة . فلا يفيد استعمالها شيئاً

وبعد استعمالها يجب ان تنظف بماء بارد قوي الاندفاع من حنفية . والظاهر ان كثيرين يعتقدون ان الفرشاة يجب ان تنظف بماء سخن لتعقيمها بعد استعمالها وهذا خطأ ايضاً لان الفرشاة لا تعقم الاَّ اذا كان الماء على درجة الغليان ويندر ان يكون الماء الذي يجري من حنفية على درجة الغليان

وبعد تنظيف الفرشاة بالماء يجب ان تجفف بنفض الماء منها واذا وضعت في كأس من الزجاج بعد ذلك فيجب ان يكون رأسها متجهاً الى فوق حتى تجف ويجب الاَّ توضع في صندوقها الصغير لانها لا تجف كذلك فيهرأ شعرها وتصبح مرتعاً للمكروبات

يجب ان تبقى الفرشاة ٢٤ ساعة من غير استعمال لانهُ يلزم لها هذه المدة حتى تجف وعليهِ يجب على كل انسان ان يكون عندهُ فرشاتان يتداول استعمالها الاولى كل صباح والثانية كل مساء اذ لا يخفى ان تنظيف الاسنان قبل النوم من اهم قواعد صحة الفم

ومتى استعملت الفرشاة علق بها بعض المكروبات من الفم وهذه المكروبات تعلق بين شعر الفرشاة ولا تستطاع ازالتها كلها بالغسل ولذلك اشار بعضهم الى ان الفرشاة مصدر خطر كبير على الصحة بدلاً من ان تكون معواناً لها

على ان المكروبات التي تكون عادة في الفم تحتاج في تكاثرها الى بيئة رطبة دافئة مظلمة فيها شيء من المواد التي تستطيع ان تغتذي بها . فحين تخرج الفرشاة من الفم بعد تنظيفه تكون قد علق بها مكروبات تحتاج الى مثل هذه البيئة حتى تتكاثر فاذا فسح المجال للفرشاة حتى تجف كل الجفاف ماتت المكروبات التي تحتاج الى الرطوبة لكي تتكاثر . ولما كانت غرفة الحمام عادة غير مظلمة ولا توجد فيها المواد التي تطلبها المكروبات للغذاء فالمرجح ان كل المكروبات التي تعلق بالفرشاة تموت لعدم وجودها في بيئة توافقها . وقد ثبت بتجارب علمية دقيقة ان ٩٩ في المائة من المكروبات التي تعلق بالفرشاة تموت لذلك

اما الذي يعلق بالفرشاة من تعريضها في غرفة الحمام فليس اشد ضرراً من الغبار الذي نتنفسهُ كل دقيقة من حياتنا

ويجب الاَّ تستعمل الفرشاة اكثر من اربعة اشهر فمن يستعمل فرشاتين عليهِ ان يغير واحدة منهما كل شهرين

باب الزراعة والاقتصاد

الجراد واهلاكهُ

الجراد حيوان معروف ينتاب هذه الديار والديار الشامية وكثيراً من البلدان المجاورة كالجزائر وتونس وقبرص وبر الاناضول . ومن الغريب ان تردده على الديار المصرية قليل ووطأته عليها غير شديدة ومع ذلك لا يؤمن جانبهُ .وقد وردت جيوشهُ الجرَّارة على هذا القطر في اوائل الشهر الماضي فنزل بعضها فيهِ في جهات مختلفة كما ثبت من اخبار مكاتبينا ومن الاخبار التي وردت على الحكومة وثبت ان بعض الجراد الذي نزل رزَّ (١) في الارض ولذلك طُلب الينا ان نثبت ما نعلمهُ من طرق اهلاكهِ فنقول

لم تبقَ شبهة في ان الجراد وقع في اماكن كثيرة ورزَّ في بعضها ولو كان ذلك قليلا . وستظهر صغارهُ وتلتهم ما تراهُ امامها من كل خضراء وغضراء وتتقلب على اطوار شتَّى الى ان تكبر وتصير كاملة فتطير وتبادر البلاد او تتزاوج وترز في الارض ثانية . ذلك كلهُ اذا لم يتلافَ امر الجراد من الآن

اما طرق تلافيهِ بعد ان يبيض في الارض فهي : —

اولاً ان يُفتش عن الاماكن التي باض فيها . وهي تُعلَم من وجودهِ ميتاً عليها لان الجرادة اذا باضت في الارض ماتت في المكان الذي باضت فيهِ . والغالب ان ذنبها يبقى عالقاً في الارض ما لم تقذفها الرياح عنهُ وتُعلَم هذه الاماكن ايضاً من وجود قليل من الرغوة عليها وهي مما تفرزهُ الجرادة تسهيلاً للرز في الارض . والبيض هنات صغيرة كحبوب الكمون منتظمة بعضها مع بعض كسنبلة الشعير ويقال لمجتمعها سَروة وطول السروةِ من اربعة سنتيمترات الى خمسة .والغالب ان الجراد يبيض مجتمعاً بعضهُ مع بعض فاذا وُجد بيض جرادة في الارض غلب على الظن انهُ يوجد بقربهِ كثير . وحينئذٍ تروى الارض ليبتل البيض ويفسد او تحرث او تركس لكي يظهر البيض ويتعرَّض للشمس فيجف ويفسد ويموت. او يجمع البيض ويدهس او يدرَّس بمحدلة

(١) رزت الجرادة غرزت ذنبها في الارض لتبيض

ثقيلة . كذا يفعل اهالي الشام حينما يرزُّ الجراد في بلادهم فان الحكومة تفرض على كل مكلّف ان يقدّم لها جانباً معلوماً من بيضهِ فيجمعهُ لها بنفسهِ او يبتاعهُ ممن يجمعهُ لهُ. فيحسن بالحكومة ان تبتاع بيض الجراد من الناس اغراءً للفقراء بجمعهِ

ثانياً اذا بقي شيء من البيض في الارض حيث لم يُهتَدَ اليهِ او لم تبذل الهمة في جمعهِ وظهر الجراد الصغير منهُ فانهُ يكون في اول الامر اسود كالذباب لا يستطيع ان يطير بل يدبُّ على الارض دبيباً ويقال لهُ الدَّبى . ووسائط قتلهِ حينئذٍ كثيرة . منها ان يدرس درساً بمحدلة ثقيلة فيموت جانب كبير منهُ ولاسيما في العشرة الايام الاولى من فقسهِ وفي الصباح والمساء بعد ذلك . ومنها ان يخبط بالخابيط والرفوش ونحوها من الادوات العريضة. ومنها ان يرش عليهِ زيت الكاز فانهُ يموت بهِ . ومنها ان تحفر لهُ خنادق عرض الخندق منها نحو سبعين سنتيمتراً وعمقهُ كذلك ويجب ان تكون حافتا الخندق قائمتين ويطرد الجراد الصغير الى الخندق فيقع فيهِ بسهولة ولا يمكنهُ الخروج منهُ فيموت فيهِ جوعاً . او يجعل في كل خندق حفر عميقة فيجرَف اليها بعد ان يقع في الخندق ويطمر فيها بالتراب او يصب في الخندق ماء وذلك سهل جداً في القطر المصري لسهولة جرّ الماء الى كل مكان فيغرق الجراد الصغير فيهِ فيموت

ثالثاً اذا دخل الجراد الصغير بستاناً وجب ان توقى الاشجار منهُ وذلك بان تحاط سوقها بالصفيح او بورق مدهون بالقطران

رابعاً اذا بقي جانب من الجراد وكبر وصار يمكنهُ الوثوب عن الارض والطيران ولو قليلاً فلا تعود الخنادق تفي بالغرض فيوضع في طريقهِ سياج من القش والهشيم ويطرد اليهِ ثم يحرق بهِ . او يجمع باكياس كبيرة

خامساً اذا بلغ الجراد اشدَّهُ فانجع واسطة حينئذ لاهلاكهِ ان يجمع جمعاً عند الفجر حين يكون عاجزاً عن الطيران لشدة البرد ويحرق او يدرَس وان يطرد عن الارض المزروعة بالجلبة والصياح والدخان ولا بدَّ من ان تُغتَنَم لذلك فرصة هبوب الرياح الشديدة لان قوَّة الجراد على الطيران غير شديدة وانما الرياح تحملهُ وتسوقهُ من مكان الى آخر

ولا شيء يتغلب على همة الرجال وحزمهم فاذا استعملوا الوسائط المتقدمة بالهمة والحزم لم يبقَ من الجراد ما يضرُّ بالمزروعات

مراتب الارض ومناطقها

(تابع ما قبله)

(٤) ضواحي مصر شمالاً في القليوبية وجنوباً في الجيزة تمتاز ببساتين الفواكه والخضروات وصناعة الالبان وتربية الطيور وزراعة الكتان

(٥) الارض الرملية وهي منتشرة بين مراتب الارض المختلفة وقد امتازت بعض اصقاعها في الشرقية بزراعة الحناء وفي ضواحي الاهرام بزراعة البصل ومريوط بزراعة الشعير زراعة بعلية على المطر . هذا عدا سائر الزروع التي اختصت بها الارض الرملية كلها — والذي يروى منها بالروافع دائماً تستنفد نفقات ريهِ المتوالي كثيراً من ريعه فيقل الربح منه . وبعض الارض الرملية العلو تحفر اخاديد يزرع فيها البطيخ زراعة بعلية اذ تصير جذوره قريبة من الثرى النديّ او تزرع بعض الاشجار حيث تخف صعوبة ريها عما اذا لم تكن في اخاديد [1]

(٦) السياحات مستنقعات واسعة جداً تبلغ مئات الالوف من الافدنة في اطراف البراري ترطبت من طغيان مياه البحيرات المجاورة لها شمالاً حينما يطمو البحر على هذه شتاء — ومن ماء الصرف والسايب عليها من المصارف والارض المجاورة لها جنوباً لا سيما في فصل الفيضان ويبلغ عمق الماء فيها الى ٣٠ سنتمتراً واكثر في بعضها احياناً وفي غير ذلك يكون ضحاضح دقيقة . وينبت في هذه السياحات البردى والحجنة والنسيله والامشوط والسافون وغيرها من الاعشاب الصالح اكثرها للمرعى فيستفيد منها اهل الجهات المجاورة لها بأرعاء مواشيهم وسروحها فيها لاسيما المواشي الحلوبة وكذلك مواطئ الارض المجاورة لبركة قارون بالفيوم

(٧) البحيرات وهي مناقع عميقة اعمق من السياحات او هي منخفضات كبيرة المساحة تجمعت فيها المياه — وتصب فيها اكثر مصارف الارض الزراعية عدا ما يتسرب اليها من ماء البحر ومتوسط عمق المياه فيها نحو متر واحد وينتفع اهل البلاد القريبة لها بصيد الاسماك والطيور المائية منها

وقد اصلحت احدى الشركات الاجنبية بحيرة ابي قير ضواحي الاسكندرية وباعتها بالاهالي فافادت واستفادت شأنها في ذلك شأن سائر شركات اصلاح الاراضي او

(١) الاخاديد خطوط عميقة تحفر حتى يظهر الثرى الندى من الماء الارضي

الشركات العقارية التي اصلحت كثيراً من ارض البراري وباعتهُ للفلاحين

ومن اهم البحيرات بحيرة المنزلة باطراف الدقهلية وبحيرة البرلس باطراف مديرية الغربية وكلاهما متصل بالبحر الابيض المتوسط وتصب فيه المصارف — وبحيرة ادكو ومريوط في اطراف مديرية البحيرة ومجموع البحيرات كلها اكثر من ٦٥٠ الف فدان عدا السباحات والارض الموات يمكن اصلاحها الا ما لا بد من تركه مصائد للاسماك. اما بحيرة قارون بالفيوم فيتعذر اصلاحها لعمقها وتعذر صرف المياه منها للصحراء لعلوهذه عنها كثيراً

(٨) الواحات وهي سهول منخفضة في وسط صحراء ليبيا ذات بقاع خصبة التربة تروى من العيون الطبيعية والآبار المعين وأهم زروعها كروم النخيل وحدائق الفاكهة والاشجار المثمرة كالزيتون وغيطان الحبوب والمرعى وبساتين الخضروات والمقاثي ولكن الحبوب التي تنتج منها الآن دون حاجة اهلها اما باقي الزروع فاكثر من حاجتهم ولكنهم لا يستطيعون تصدير غير البلح الجاف (التمر) والعجوة وقليل من الفاكهة المجففة لصعوبة المواصلات بينها وبين انحاء القطر — واهلها فقراء ووسائل الزراعة لاسيما الماشية ضئيلة عندهم ولا يحسنون الانتفاع بالمياه الموجودة لديهم فتتكون منها برك ومستنقعات تضر بصحتهم وبصحة ماشيتهم فيمكن استغلال واستثمار الواحات حتى تصير احسن مما هي الآن كثيراً باجراء الوسائط الصحية وتحسين وسائل الري والزراعة والمواصلات وقد بدأت وزارة الزراعة تعنى بامرها فلعلها تستمر الى ان تصل الى نتيجة يحسن السكوت عليها. واشهر الواحات واحة سيوة التابعة لمديرية البحيرة والواحات البحرية التابعة لمديرية المنيا وتعرف بواحات الفرافرة والواحات الداخلة والواحات الخارجة التابعة لمديرية اسيوط ويربط هذه الواحة الاخيرة بسكة الحديد خط يلتقي بها على مقربة من فرشوط

جدول مناطق الارض الثانوية

الارض العلو	بالوجه القبلي	منها وادي كوم امبو وهو الآن ارض رواتب وحوش البارى (الذرة النيلي)
	وبالوجه البحري	الكثبان والجزائر الرملية المرتفعة وزراعتها المسقاوي تروى بالروافع بكلفة كبيرة وقد تحفر اخاديد تزرع بطيخاً زراعة بعلية

ضواحي مصر	جنوبي القليوبية وشمالي الجيزة	امتازت بزراعة الخضراوات والفاكهة وتربية الطيور وصناعة الالبان
الارض الرملية	بالوجهين البحري والقبلي	تزرع بزروع الارض الرملية فول سوداني وسمسم وترمس وحنا ومقاثي ونخيل وخروع وصبّير (تين شوكي)
الجزائر والسواحل النيلية	على شواطئ نهر النيل وفروعه الكبرى	تزرع ما يوافق معدنها وحالة ريها رواتب كانت أو حياضاً وسوداء كانت او صفراء او رملية
السياحات	في اطراف البراري والفيوم	وهي من الارض الموات وفيها بعض المرعى لماشية اهالي البلاد المجاورة لها
البحيرات	تلي السياحات شمالاً	ومنها يصطاد السمك والطيور المائية
الواحات	في وسط صحراء ليبيا	يزرع فيها بعض الحبوب والخضراوات والفواكه والزيتون والنخيل الخ

ملحوظة : — اشتهرت وامتازت بعض الجهات او البلاد باحدى المزروعات او الصناعات الزراعية مديرية قنا بصناعة الفخار (الخزف) البلدي وزراعة الخشخاش قبل تحريمها قانوناً وبعض بلاد الفيوم بزراعة التين والعنب والليمون والزيتون وتربية الطيور وبعض بلاد المنيا بصناعة قصب السكر وقرية باسوس قليوبية بزراعة الشمام والزقازيق بصناعة الحصر ووادي الطميلات شرقية بزراعة السمار والقرين شرقية بالبلح العامري وكرداسة جيزة بزراعة البصل ورشيد بضرب الارز ودمياط بهِ وبصناعة الالبان وقرية برما غربية بمعامل التفريخ الخ الخ

احمد الالفي زراعي عملي ضواحي طلخا

زراعة الملوخيا

CORETE POTAGERE

اصلها وتحليتها — يقول النباتي دوكاندول ان بلاد الملوخيا الاصلية واقعة غربي الهند وانها انتشرت بالزرع في اوسترالية وافريقية والشام وغيرها وان زرعها لايتعدى تاريخ الميلاد حتى في بلادها الاصلية . وهي نبات سنوي من الفصيلة التيلية Tiliacées اسمه اللاتيني Corchorus olitorius ساقه منتصبة رفيعة طويلة قليلة التفرع لاسيا

اذا كانت النباتات ملتفة . واوراقه بيضية مستطيلة متوالية مسننة والسنان اللتان في اسفل الورقة تنتهيان بخيطين دقيقين ، وازهاره صفراء منفردة او مزدوجة في ابط الاوراق كاسها ذات اربع وريقات او خمس وتويجها كذلك واسديتها عديدة وثماره قرون اسطوانية منتهية بمنقار ولها عشر زوايا ، واذا قطعت الثمرة على عرضها يرى داخلها خمسة تجاويف بزورها منضدة . والبزور صغيرة ضاربة الى الخضرة ذات زوايا عديدة في الغرام منها ٤٥٠ بزرة وهي تحتفظ بخاصية الإنتاش خمس سنين تقريباً

الاقليم والتربة — الملوخيا من نباتات البلاد الحارة فهي لا تحتمل برد الشتاء ولا تزرع في أقاليم الشام الاَّ بعد ان تشتد الحرارة في الربيع ، وتناسبها التربة العميقة التي يمكن اسقاؤها بمقدار كبير من الماء

زرعها — تجهز تربتها بالحرث والاسمدة وتقسم أحواضاً ثم تبذر البزور باليد بحيث يكون في الف متر مربع من الارض نحو كيلو غرامين ونصف من البزور . وتغطى البزور بحرث سطحي إما بالمحراث او بالمنكاش . ويمتد اوان البذر من نيسان في الساحل والغور الى اواسط حزيران في مناطق السهول ويكون قبيل حصد الحنطة او بعيده في بساتين دمشق . وبعد ان ينمو النبات يتعهد بالسقي وبتنقيته من العشب ويبدأ بقطعه بعد شهرين على زرع بزوره ، وهو يقطع ثلاث مرات الى سبع مرات بين المرة والثانية نحو عشرين يوماً واذا اريد الحصول على حبه يترك النبات حتى تحصل الثمار وتنضج البزور فيقطع وتدق الثمار حتى تنزع البزور منها

استعمالها — الملوخيا[1] من النباتات الليفية لكنها لا تزرع في الشام للحصول على اليافها بل تكون الغاية من زرعها جني ورقها وطبخه شأن كثير من الخضر ، وهي مشهورة في مصر وفي دمشق حيث يطبخونها بعد ان يضيفوا اليها مقداراً من الثوم ، ويستلذها بعضهم لكنها بنظري من اردأ الخضر فشتان بينها وبين الخرشوف والهليون والباذنجان مثلاً . واذا طبخت صارت غروية مثل البامية ، وهي مغذية قليلاً

عن كتاب «البقول» للامير مصطفى الشهابي

---

(١) لم اجد هذا اللفظ في الامهات ، وقد ذكره الخفاجي في « شفاء الغليل » فقال : « ان الملاخيا لم تكن معروفة قبلا وانها حدثت بعد سنة ٣٦٠ من الهجرة وانما ذكرت للمعز بانى القاهرة فاكلها واستلذها فسميت ملوكية فحرفتها العامة وقالت ملوخيا . . . » ولعل صاحبي محيط المحيط واقرب الموارد نقلا عن الخفاجي . واخطأ دوزي فظنها الـ Mauve وهي غيرها كما ترى

مكتبة المقتطف

تاريخ الفكر العربي

في نشوئهِ وتطوُّرهِ بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

بقلم اسماعيل مظهر بك — صفحاته ١٨٢ من قطع المقتطف — طبع بمطبعة مجلة المصور بمصر
ثمنه ١٥٠ مليماً

—o:o—

كيف انتقلت الفلسفة اليونانية الى العرب ؟ وهل انتقلت مباشرة من اللغة اليونانية الى اللغة العربية ؟ ومن نقلها ؟ وماهو الباعث الذي حمل الذين نقلوها على ذلك ؟ وما هي المدارس التي اشتهرت في التاريخ العربي بانها مراكز تنتشر منها أنوار الثقافة الجديدة؟ ومن نبغ منها من العرب والمتعربين في فنون الطب والكيمياء وعلوم المنطق والمباحث الفلسفية والروحية على اختلافها ؟ ترى الاجوبة الوافية عن هذه المسائل التاريخية الخطيرة في الجزء الاول من هذا الكتاب النفيس الذي جمع فيهِ مؤلفهُ آراء اشهر المستشرقين الباحثين في هذا الموضوع وقد لخص المؤلف بحثهُ في تاريخ هذا الانتقال صفحة ٢٦ حيث قال :

« من هنا نعتقد ان اللاهوت والفلسفة والعلم في الاسلام لم تغرس الاَّ في ارض شبعت من قبل بالثقافة اليونانية على اختلاف ضروبها وتباين الوانها . اما السبيل التي خطت فيها الثقافة اليونانية الى العرب فذات خمس مفاوز

اولا — النساطرة ، الذين كانوا اول من علم المسلمين واول الذين خدموا الطب في العصور الاولى . ثانياً — اليعاقبة الذين كانوا اول من ادخل الباطنية والافلاطونية الجديدة في الجو العربي . ثالثاً — الزرادشتيون في فارس وعلى الاخص مدرسة جنديسابور ، ولو ان هذه المدرسة قد امتزجت بعنصر قوي من عناصر النسطورية رابعاً — وثنيو « حران» ولو ان اثرهم في الاسلام لم يأت الاَّ مؤخراً . خامساً — العبرانيون ، على انهم لم يكونوا على صلة بالفلسفة الارسطوطالية ، وظلت مدارسهم في صور Sora « وبامباديثا » Pambaditha عاكفة على درس شرائعهم التقليدية

« لم يبدأ العبرانيون في درس الفلسفة الا في العصور المتأخرة وقد استمدوا من فلاسفة العرب . غير انهم ورثوا عن النساطرة نزعة الى علم الطب ، حتى ان الاطباء اليهود قد ظهروا في اوائل عمارية بغداد . غير انهم لم يبزّوا النساطرة في ذلك . فمن بين الاطباء الذين يذكرهم العلامة « لكلارو M. Leclerq في كتابهِ في تاريخ الطب عند العرب Histroire de la Medicine Arabe في القرن العاشر الميلادي ٢٩ طبيباً مسيحياً وثلاثة من اليهود واربعة من وثني حران . في حين أن النسبة اختلفت في القرن الحادي عشر ، فكانوا ثلاثة مسيحيين وسبعة من اليهود ، ومن ثم تكاثر الاطباء العرب من بعد ذلك كثرة لا تحفظ فيها النسبة بينهم وبين غيرهم »

ثم فصّل بعد ذلك تاريخ الترجمة عن العرب وهو موضوع لا تزال لهُ جدتهُ لما يعانيهِ كتاب اليوم من المصاعب في ترجمة العلوم الغربية ولما يدور في خلد الكثيرين من وجوب تأليف مجمع علمي يشرف على هذه الترجمة ومجمع لغوي للعناية باسلوبها ومصطلحاتها المعرّبة والمترجمة

ويلي ذلك فصل مسهب في سيرة جابر بن حيان الذي « يقترن اسمهُ من حيث الشهرة ومن حيث الاثر النافع باسماء العظماء من رواد الحضارة والعمران » وقد قال فيهِ الاستاذ برتيلو المؤلف الفرنسوي .... « ان اسمهُ ينزل في تاريخ الكيمياء منزلة اسم ارسطوطاليس في تاريخ المنطق »

ويلي ذلك فصل في « اسلوب الفكر العلمي . نشوؤهُ وتطورهُ في مصر خلال نصف قرن » .. وقد ذهب فيهِ الى انهُ لم يجد في تاريخ مصر الحديث من حين ان غزاها نبوليون حادثاً يلتئم الفكر من حولهِ التئاماً يكفي لان يغير من اساليب الفكر العلمي والادبي. ودلّل على ذلك . وقال في نهاية مقالهِ : « ان الخطوات التي خطوناها في سبيل الخروج من ظلمات الاسلوب الغيبي (بمساعدة المدارس والمجلات والصحف السيارة) الى وضح الاسلوب اليقيني سوف تقودنا سعياً الى ميدان يتصادم فيهِ الاسلوبان تصادماً يثير في جو الفكر عجاجة ينكشف غبارها عن الاسلوب الغيبي وقد تحطمت جوانبهُ واندكت قوائمهُ وتترك الاسلوب اليقيني قائماً بمهابة الجبار القوي الاصلاب مشرفاً على الشرق وقد هبَّ من رقاد القرون يسير في الدرب الذي مهّد سبلهُ للانام نواميس النشوء والارتقاء » وهذا المقال هو ردّ الاستاذ على سؤال كان قلم تحرير المقتطف

قد وجههُ الى جمهور من الكتاب وطلب فيهِ اليهم ان يبدوا آراءهم في « اظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة وابقى آثارها »

اذا اضفت الى كل هذه المباحث التاريخية الفلسفية الدسمة اربعة مباحث من نوعها في اربعة من اشهر شعراء العرب وفلسفتهم ودلالة شعرهم على نفسيتهم وهم المعري وشوقي ومهيار الديلمي وبشار بن برد عرفت انك تشتري بخمسة عشر غرشاً غذاءً عقليًّا لا يقوَّم بمال قضى صاحبهُ الايام والليالي في التنقيب عنهُ في بطون المؤلفات. فنشكر لصديقنا عنايتهُ وهمتهُ ونتمنى لهُ ولمجلتهِ ولمطبوعاتها دوام التقدم والرقي

وقد اهدى الكتاب الى « استاذي وصديقي : الدكتور يعقوب صروف احياءً لذكر الصداقة واعترافاً بما لهُ عندي من الدين الادبي الذي ان عجزت عن ان أؤديه حيًّا فلا اقل من احيي اليوم ذكراهُ وهو في عالم الارواح »

اللغة العربية والاستاذ النشاشيبي

امامنا كتابان الاول « البستان » وهو حديقة غناء جمع فيها الاستاذ النشاشيبي من فنون الادب العربي كل زهرة زاهرة وكل ثمرة يانعة. وقد بدأهُ بخطبة لهُ بليغة عنوانها « الاستاذ : المدرسة » قال في مطلعها « اللغة هي الأُمة والأُمة هي اللغة وضعف الاولى ضعف الثانية وهلاك الثانية هلاك الاولى . وكل قبيل حريصٌ جدُّ حريصٍ على ان يستمرَّ كونهُ الى الأَبيد. فهو مستمسك بلغتهِ للاحتفاظ بكينونتهِ. واللغة ميراث اورثهُ الآباء الابناء واحزم الورّاث صائن ما ورث واسفههم في الدنيا مضيّع »

ومن عرف الاستاذ النشاشيبي كما عرفناهُ عرف ان هذا الكلام صادر من اعماق نفسهِ . وانهُ في كلامهِ وخطابتهِ من اقوى الداعين وابلغهم الى المحافظة على هذا « الارث الذي ورثناهُ » لذلك جمع في هذا الكتاب درراً من اقوال العرب شعراً ونثراً لكي يستظهرها طلاب المدارس لان اتقان اللغة الوطنية يزيد اكرام المرءِ لنفسهِ واعتزازهُ بها ويصير اقدر من غيرهِ على فهم ما يكتب بها وعلى التعبير عن افكارهِ بجلاء وقوة

والكتاب الثاني رسالة بل خطبة خطبها الاستاذ النشاشيبي في مهرجان شوقي لما جاء على رأس الوفد الفلسطيني للاشتراك فيهِ . وهي كذلك تدور على مقام اللغة العربية ولهُ فيها آراء طريفة منها قولهُ :

«فاذا لاقيتم في عصور المولدين او في عصور المتأخرين قبحاً في القول يُمض الاذن ان تسمعهُ وتقتحمهُ العين إما أبصرتهُ

«وإذا القيتم كلاماً بهرجاً قد وهت اعضاده وتشوَّه تركيبهُ وفَقَدَ ذاك الرونق

«وإذا وجدتم شعراً سخيفاً قد عميت معانيهِ وقد استعجم على تاليهِ

«وإذا سمعتم سجعاً غير طبيعي مرنَّحًا زحافاً متدحرجاً قد لعنتهُ العربية

«إذا وجدتم ذلك فلا تلومنَّ العربية ولا تتنقَّصنَّها ولوموا امة ضعفت فضعف قولها وذلت فذلَّ شعرها وحارت في دنياها فاستحار كلامها

ومنها قوله :

«على ان لغة العلم في العربية (وللعلم لغة وللادب لغة) لم تُضَمْ ضيمَ اختها. وما المقاصدُ والمواقف وشرحاها واقوال ابن الخطيب ومقدمة ابن خلدون (على مغربيتها) وكلها في العصور المتأخرة بالتي تذم (في اسلوب اللغة العلمي) جملتها

«ويخيَّل اليَّ أن نفوس الحكماء العلماء تكون في احايين الضعف اقوى من نفوس الادباء فلا تهن وهنها ولا تهون هوانها اوكأنَّ العلماء في الدنيا، وليسوا في الدنيا، ومن الناس وليسوا من الناس. وقد يلاقي هؤلاء القوم المساكين ربهم ولا أثر لحوادث دهرهم فيهم وقد يقتحمون ميادين الحياة فيتأخرون ولا يتقدمون . . . . . »

ومنها قولهُ :

«فارجع يا فتى الى اسلوب القرون الثلاثة الاولى الى الاسلوب الطبيعي العربي، الى الاسلوب الباريسي، الى اسلوب القرن العشرين بل الثلاثين بل الاربعين، وانبذ انبذ مقامات الحريري ومقامات الهمذاني وما شاكلها ولا تتصفحنها إمَّا ابتغيتَ تعرُّفها إلاَّ خائفاً وحذارَيْكَ [1] أن يستعبدك متقدم في الزمان اومتأخر واياك وانْ تقلد في القول احداً فالمقلد عبد ولا يرضى بالعبودية حر والعاقلُ لا يهب كينونتهُ لسواه وان ساواه او علاه وبعضهم لا يهبها لله (عز وجل) والتقليد عدم والاستقلال كون فلا يؤثر على الثاني الاول إلاَّ احمق»

والرأي الاخير الذي يدعو فيهِ الى العودة الى اسلوب القرون الثلاثة الاخيرة لانهُ الاسلوب العربي الطبيعي جدير بالنظر والاعتبار في تدريس اللغة العربية وقواعدها واساليبها وتطبيقها على مقتضيات الحياة العصرية وفي نقل علوم الغربيين وآدابهم

(١) (حذاريك) كذا اي حذره حذراً بعد حذر من المصادر المثناة للمبالغة

السفور والحجاب

ظاهرات الحياة أرقى ظاهرات الوجود

أرأيت الصخور تتزحزح عن مواضعها ، اذ يخترقها جذر دقيق كالخيط في مادته وليونته ؟ . تلك فاعلية الحياة ، والحياة سرٌّ من اعمق اسرار هذا الكون ، بل اعمقها واسماها . تجلت لي هذه الفكرة وانا اتصفح المؤلف الحديث « الحجاب والسفور » بقلم الآنسة نظيرة زين الدين ، كريمة الوجيه الفاضل سعيد بك زين الدين الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف في بيروت . انهُ كتاب هزّ العالم العربي ، وزعزع ملكوت الحجاب وايّ زعزاع

تلقي نظرة على الكتاب ، وتتلو آي القرآن الكريم الوافرة ، والحكم والحقائق الناضجة التي ازدانت بها صفحاتهُ فيخيَّل اليك ان الكاتبة من شيخات الدهر اللاني بلغن من العمر عتيًّا . ولا تتصور انها صبية ترفل بعطارف الصبوة ونضارة الحياة . وان امثالها يغشين المراقص ومغاني اللهو ، بينا هي تساجل العلماء وتناضل الفقهاء في موضوع جبن امامهُ كبار الزعماء وخشي مغبة خوض مباحثهِ ائمة العلماء . وقد انطلقت فتاتنا في ميدان البحث انطلاق السهم يشق كبد الفضاء ، او شعاع النور يمزق مهجة الظلماء ، او كسريع القطارات — الاكسبرس — ينهب الارض نهباً ، لا يشق لهُ الفرسان غباراً . وقد تتصور أن الكاتبة من بنات اليوم اللاني خلعن العقيدة والعبادة وهمن في بيداء الجحود والزندقة . وقد لا تصدق ان الاستمساك باهداب الدين واواصر التقوى سدى كتابها ولحمتهُ والاستناد الى الكتاب والسنة حجر زاويته وامتن دعائمهِ . وضعتُ الكتاب بين يدي وجعلت أقلب صفحاته ، واسرح طرفي في رياض مباحثهِ وحدائق براهينهِ ، فكدت لا اصدق عينيَّ ان فتاة في شرخ الصبا تجلي في مضمار « الكلام » بين طرائف المعقول والمنقول ، وتجلو لباب الدين جلاءً ، وتفرق بين غث العقائد والعادات وبين سمينها . فتثبت لك بالادلة « العقلية والنقلية » ان الحجاب آفة الشرق وآفة الاسلام . وان السفور ادعى الى الفضيلة واضمن الى الصون والعفاف ، واعلاء كعب الامة في ميدان الارتقاء

رجال يتسلحون بالشتائم ، فترمى الحرائر بالحجارة وترش ثيابهنَّ بماء النار ، وينادون بوجوب احالة نصراء السفور الى المحاكم وتهديد حياتهم بالاغتيال . وفتاة

تندفع في ميدان الدفاع عن السفور وعن حرية المرأة متسلحة بكتاب الله ، وبابلغ ما نظم الشعراء من الحكم ، وترمي الى بث الاقناع في النفس ، في البق وابدع طرائق الاقناع وابلغها حكمة . مشهد كهذا اقنعني ان دولة الحجاب قد دالت رحم الله نصراءه رحمة واسعة

ان كتاب الآنسة نظيرة زين الدين ظاهرة حياة ونور لا تقوى ظلمات الجهالة والتقاليد على معارضة نفوذها . ولا يزعمن ساداتنا الحجابيون انا نصراء نظيرة ، لا وربكم . انا نصراء قضية هي نصيرتها . وانا لنقف تحت لوائها لانها عززت في نفوسنا اليقين بالفوز النهائي . واضافت الى ظاهرات الحياة في الشرق ظاهرة جديدة . ومن علائم الفوز ان ينتشر كتابها قبيل الاحتفال بانقضاء عشرين سنة على ظهور كتاب قاسم امين على ما هو مبين في باب شؤون المرأة من هذا الجزء من المقتطف

ويقع الكتاب في اربعمائة وعشرين صفحة حسنة الطبع والتغليف وقد ختمته المؤلفة بهذا البيت

لا ترتقي أمة حتى يكون لها ... يوماً على سيء العادات عصيانُ

حنا خباز

العقل الباطن

الخطيب الذي يرتجل خطبة طويلة مفعمة بالادلة والشواهد . والشاعر الذي تجود قريحتهُ في بعض الاحيان فينظم البيت بعد البيت من غير توقف ويستحضر ذهنهُ المعاني والقوافي . والمجادل الذي تحرجهُ فيسرد لك الدليل بعد الدليل من غير توقف . والمحرّر الذي يدعى فجأة لانشاء مقالة كبيرة في دقائق قليلة فيسبق فكرهُ قلمهُ . وهو لو حاول انشاءها في وقت آخر لتعذّر عليه ان يأتي بربعها في ذلك الوقت . والشاب الذي يرى رؤى في رابعة النهار او يحلم احلام السعادة والسلطان في الليل — كلهم يفعلون ذلك من غير وعي تام لان عقلهم الباطن وما هو مخزون فيهِ من الخواطر والحقائق والمشاهد يوحي اليهم ما ينظمون ويكتبون ويحلمون

فما هو هذا العقل الباطن وما هي اسرارهُ ؟ ما هي علاقته باعمال اليقظة واحلام الليل من جهة وبالغريزة الجنسية من جهة اخرى ؟ وكيف يختلف عن العقل الواعي ؟ وما هو اثر كلٍّ منهما في حالي الصحة والمرض ؟

كل ذلك تجده مفصلاً في كتاب العقل الباطن الذي وضعهُ الاستاذ سلامه موسى واهدتهُ مجلة الهلال القراء الى مشتركيها . واليك نبذة جاء بها المؤلف في فصل «النفسلوجية الحديثة وأثرها» : —

«فهذا العقل الباطن هو خزانة العواطف المكبوتة التي يمنعنا الحياء او الشرائع او الفقر من الاستسلام لها . وهو ينفس عنها بالخواطر والاحلام واحياناً اذا كانت هذه العواطف قوية والكبت شديداً فانها تنفجر وتتخذ هيئة هستريا او نوراستينيا تشبه الجنون

«ومن هذه الظواهر نعرف ان حبس العواطف يؤذي الناس وخصوصاً تلك العاطفة الجنسية التي هي اعنف العواطف جميعاً . وليس معنى كلامنا ان النفسلوجيين يقولون بالاستسلام لهذه العاطفة بل يقولون بالصراحة في الكلام عنها وينصحون للشاب بالمناقشة فيها. وذلك لان هذه المناقشة تزيل عنها مسحة اللغز الذي يمسحها عليها الخفاء. ومن أغرب ما ثبت من الانتحار وهو يؤيد الدعوة الى الصراحة والبوح والمناقشة ان الامم الكاثوليكية أقل الامم انتحاراً. وهذا ثابت من الاحصاءات التي تنشرها الحكومات وهذه القلة تعزى بلا شك الى ان الكاثوليكي يعترف الى الكاهن وباعترافه ينفس عن عاطفة مكبوتة لا يطيق احتمالها . وليس التحليل الذي يقوم بهِ النفسلوجي مع المريض سوى مناقشة يعترف فيها المريض بمركباتهِ القديمة فاذا توضحت امامه سكنت نفسهُ اليها وذهب عنهُ مرضه

« ولا يمكن ان نعالج الشاب بالاستسلام لعواطفهِ لاننا بذلك نقيم في نفسهِ صراعاً جديداً في مكان الصراع القديم . لان الاستسلام للعواطف يجر وراءه تبعات جديدة تحدث عواطف جديدة مؤلمة للنفس . فاذا لم يكن الزواج مستطاعاً فانهُ يمكن التنفيس عن العاطفة الجنسية بالتسامي اي بممارسة نوع من الفنون الجميلة او بالسعي في سبيل البر بما هو ذو علاقة بهذه العاطفة

«وبدرس العقل الباطن يمكننا الآن ان نفهم اساطير الانسان القديم وكيف نشأت عقائده وكيف اهتدى الى الاداء بالمجاز والاستعارة. فاننا في احلامنا نرى احيانا كثيرة صورة اسلافنا ونرى في رمز الحلم الاستعارة الاولى للغة»

وفي آخر الكتاب جدول ذكر فيهِ المؤلف بعض الالفاظ الفنية وترجمتها او تعريبها وقد اجاد في ترجمة Sublimation بلفظ « تسامٍ » و Suppression بلفظة « كبت » وغيرها

الزراعة الجافة

ترجمه ووضعه نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل في ٢٦٨ صفحة وطبعه بمطبعة جريدته بحيفا

الزراعة من حيث علاقتها بماء الري اما مسقاوي او بعلي — فالاولى هي التي تسقى سقياً صناعيًّا دوريًّا اي في ادوار متعاقبة طبقاً لحاجة زراعتها في ادوار نموها المختلفة كزراعة القطن المصري الآن — والثانية هي التي لا تسقى بعد زرعها سقياً صناعيًّا سواء كان ري ارضها قبل الزراعة صناعيًّا كما في ارض الحياض بالوجه القبلي او من المطر كما في فلسطين وفي الحالين قد يغنيها المطر فتنتفع بهِ — هذا هو اصطلاح اهل الفلاحة وكتابها في العربية قديماً وحديثاً

ولكن نزول المطر يكون في بعض الاقطار غزيراً فتصير ارضها أندى وزرعها ازكى منهُ في الجهات التي يكون نزوله فيها شحيحاً وعليهِ جرى اصطلاح علماء الزراعة المحدثين على تقسيم الزراعة الى زراعة رطبة وزراعة جافة وفلسطين وطن مؤلف هذا الكتاب من القسم الثاني ولذلك عني بوضعه معتمداً على كتاب جمعهُ العالم الزراعي الفاضل المستر جون ودتسون من اوثق المصادر والمختبرات العلمية

والكتاب يحتوي على عشرين فصلاً شرح فيها الفرق بين الزراعتين الرطبة والجافة والاساليب المتبعة في هذه وعلاقتها باحوال الجو اي المناخ وانواع التربة وطبائعها والماء الارضي وفلاحة نباتاتها بالتفصيل الخ الخ مما يهم اهل الفلاحة وطلابها

تذكرت وانا اتصفح هذا الكتاب رأياً ارتأيتهُ لتقدم الزراعة في الاقطار الناهضة كمصر وفلسطين واشرتُ اليهِ في المقتطف والمقطم مراراً خلاصتهُ ان من خير الوسائل لهذا التقدم أن نبدأ من الاساس وهو عمل الفلاح فنجمعهُ ونهذبهُ مما يغشيهِ من الابهام والاوهام ثم نزيدهُ بتجاربنا وابحاثنا ومقتبساتنا ، ذلك ان لفلاحي كل قطر عرفاً زراعيًّا خاصًّا توصلوا اليهِ بعد الممارسة الطويلة والاختبار المتكرر جيلاً بعد جيل وتداولهُ الخلف من السلف وكثيراً ما يكون فيهِ من الحقائق الزراعية الاكيدة ما لا يمكن الوصول اليهِ الاَّ بعد تجارب طويلة وابحاث دقيقة يمكن توجيهها الى الوصول والفوز بحقائق غيرها — فالى هذا الرأي اوجه نظر رجال النهضة الزراعية في فلسطين

وقد استعمل المؤلف الفاظاً استوقفت نظري ففي ص ٦ اعماق التربة والصواب

اعماق الثرى وفي ص ١٨ وضع كلمة الطقس موضع المناخ — فالطقس عبارة عن الاحوال الجوية لمكان ما في وقت معين ويدل عليهِ بالارقام التي تدونها الارصاد الجوية من درجات الحرارة والرطوبة والهواء — فهو متغير بتغير احوال الجو في مختلف الاوقات . والمناخ اعم من الطقس فهو عبارة عن الصفة الكائنة للمكان من اثر تلك الاحوال في مجموعها ويدل عليهِ بمتوسط قيمها او معدَّلاتها من حرارة ورطوبة وهواء لسنين عديدة بل لاجيال

والطقس يضاف الى الوقت فيقال طقس هذا الاسبوع في جهة كذا اما المناخ فلا يضاف الا الى المكان فيقال مناخ مصر

وفي ص ٣٢ استعمل لفظ الهيومن لما نستعمل له لفظ الدبال او المواد العضوية .

وفي ص ٥٦ عبر عن (مسام) التربة بكلمة (الخلايا) وفي ص ٦٢ قال ماء الجاذبية والصواب الماء الارضي

ليت كتاب العربية في اقطارها المختلفة يجرون على اسلوب واحد في استعمال الالفاظ الفنية والالفاظ المستحدثة وبذلك يسهل على جمهور القراء فيها الاستفادة من التآليف الفنية التي يضعها كتاب اي قطر منها ولا يخفى ما في ذلك من جزيل الفائدة والى ان يتم ذلك يحسن بهؤلاء الكتاب ان يشرحوا في تآليفهم معاني الكلمات الفنية والمستحدثة التي يستعملونها

وبعد فان هذا الكتاب جدير باقبال الزراع الفاسطينيين وبان لا تخلو منهُ مكتبة كل باحث زراعي في الاقطار العربية المختلفة ولكن ارى ان ثمنهُ ٣٥ قرشاً مصرياً إذا قيس بحجمه غالٍ

احمد الالفي

تاريخ نجد الحديث

تأليف امين الريحاني — صفحاته ٤٣٢ قطع المقتطف طبع بمطبعة يوسف صادر ببيروت

انشأنا في مقتطف مايو الماضي فصلاً في الكتاب الانكليزي البليغ الذي وضعهُ الاستاذ امين الريحاني في رحلتهِ الى نجد. ولم نكد نتم مطالعتهُ والكتابة عنهُ حتى وافانا بريد بيروت بكتاب عربي للمؤلف بسط فيهِ تاريخ نجد الحديث وملحقاته. وهو يشتمل على ثلاث نبذ في جغرافية نجد وسيرة محمد بن عبد الوهاب منشئ المذهب الوهابي .

ونشأة آل سعود الذين مهدوا الطريق لانتشار هذا المذهب . والنبذ الاخيرة وهي اكثر الكتاب تتضمن سيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما وفيها فصول وافية عن غزوة الوهابيين للحجاز وتنازل الملك حسين وما تلا ذلك من الحوادث وفي آخر الكتاب ملحق اشتمل على المعاهدات والاتفاقيات العربية المشهورة مثل اتفاقيات بحره وحدّاء ومكة المكرمة والمعاهدة البريطانية الحجازية وغير ذلك . والكتاب مرفوع الى جلالة ملك الحجاز ونجد بكلمة الى القارىء بعض ما جاء فيها :

« يا طويل العمر . ان ما قمتم بهِ من تحضير البدو وتأسيس الهجر لمن امجد آثاركم القومية ومن خير اعمالكم الاصلاحية . غير ان هناك عملاً آخر فيهِ كذلك الخير الجزيل بل فيهِ للعرب الخير الاكبر

« كانت الهجرة الاولى ، هجرة البدو ، من الشرك الى التوحيد في الدين ، ومن البادية الى الحضارة ، فعسى ان تكون الهجرة الثانية من الامية الى الالفباء من الجهل الى العلم ، من الظلمات العقلية الى النور

« بنيتم يا طويل العمر البيوت للبدو . هي الخطوة الاولى في تمدينهم فعسى ان تخطوا الخطوة الثانية فتبنوا لهم كذلك المدارس . ان في المدارس تحقيق كل ما تنشدون . المدارس تكمل عمل السيف . المدارس تمهّد السبيل الى الوحدة العربية الثابتة . الوحدة الشاملة . الوحدة العزيزة الوثيقة العرى »

***

حقًّا ان من يطالع الكتب التي عني الاستاذ الريحاني بتأليفها في السنوات الاخيرة يَعجب ويُعجب بجلدهِ وصبرهِ . فمن العناية باعادة طبع الريحانيات الى وضع كتاب ملوك العرب في مجلدين واعادة طبعهِ الى تأليف « ابن سعود . شعبهُ وبلادهُ » بالانكليزية الى وضع تاريخ نجد الحديث الذي بين ايدينا الآن اعمال اقل ما يقال فيها انها تحتاج الى همة الجبابرة . وهو الآن يضع كتاباً في تاريخ سورية ولبنان عنوانهُ « النكبات » ستعنى بنشرهِ زميلتنا مجلة الكشاف البيروتية . ومع كل ذلك لم ينقطع عن الاشتراك في حياة الشرق العربي الفكرية وها هي ذي مقالاتهُ وخطبهُ في النقد والحث على الاصلاح اشهر من ان تعرَّف

حمائم المآذن

Les Colombes des Minarets
Anthologie Islamique.

اهدى الينا الكاتب الشاعر المسيو فرانز توسان مجموعة من الشعر الفرنسي بالعنوان المتقدم ترجمها عن اشهر القصائد الاسلامية من عربية وافغانية وبلوخستانية وشركسية وتركية ومصرية (وفرعونية وعربية) ومراكشية ورفعهُ الى جلالة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما وبدأهُ بالآية الكريمة « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها »

ومن القصائد العربية التي اختارها ونقل بعضها الى الفرنسية معلقة عنترة ومعلقة امرئ القيس ومعلقة زهير ومعلقة الحارث ومعلقة عمر بن كلثوم ومعلقة طرفة بن العبد. وترجم ايضاً جملة من آيات القرآن الشريف واشعاراً للشنفري ويزيد بن معاوية وهارون الرشيد وغيرهم من كتاب العرب وشعرائهم كالمتنبي وابن الفارض والسيوطي والمقري والمعري وابن زيدون وابن نباتة ولما عرض لمصر ترجم قصيدة فرعونية جعل عنوانها « نشيد النيل » وجانباً من قصيدة شوقي في « سقوط ادرنة »

هذا وما ترجمهُ الكاتب من القصائد العربية يشغل نحو ١٢٠ صفحة من كتاب صفحاتهُ ١٦٩ من القطع الصغير . وقد نعرض لهُ في فرصة اخرى للنظر في الترجمة وهل جاء المترجم فيها على اغراض الشعراء الذين نقل كلامهم

﴿ معجم المطبوعات العربية والمصرية ﴾ ظهر الجزء الاول من هذا السفر النفيس وهو شامل لاسماء الكتب المطبوعة في الاقطار الشرقية والغربية مع ذكر اسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة الى السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ ميلادية . جمعهُ ورتبهُ يوسف اليان سركيس ويطلب من مكتبة سركيس بمصر بالفجالة نمرة ٥٣ . والجزء الاول الذي بين ايدينا في نحو ٢٠٠ صفحة من قطع اللطائف المصوّرة وثمنهُ ٢٠ غرشاً يضاف الى ذلك اجرة البريد للخارج . وينتظر ان يكون المعجم في عشرة اجزاء متى تمَّ وقيمة الاشتراك فيه الآن ١٥٠ غرشاً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) التنويم المغنطيسي

البصرة عراق . هل التنويم المغنطيسي (الهبنوتزم) صحيح ؟ وهل يمكن للمنوّم ان يؤثر في المنوَّم ويطلع منهُ على اسراره واذا كان ذلك ممكناً فلماذا لا تستعملهُ الحكومات لكشف الاسرار التي تهمها معرفتها

ج . التنويم المغنطيسي او الاستهواء صحيح اي ان بعض الناس اذا حدقوا بنظرهم الى شيء لامع امامهم او اذا وقف امامهم شخص واشار اليهم اشارات متكررة على نسق واحد او اذا اعتادوا هذا النوم واعتقدوا ان هذا الشخص اتى لتنويمهم ناموا . الا ان عدد الذين ينامون قليل وهم في الغالب من ضعاف الاعصاب . ويستطيع المنوّم ان يؤثر في المنوَّم بان يأمرهُ بقوله افعل كذا فيفعل او لا تفعل فلا يفعل . واذا طلب منهُ ان يفشي لهُ سرًّا من اسراره فالغالب انهُ يفشيه ولكن ارادة المنوَّم تكون ضعيفة جداً فيتأثر من سؤال المنوّم ويجيبهُ حسبما يقتضيه السؤال ولو كان الجواب غير صحيح. وهذا يعرف لدى علماء النفس المحدثين « بالايحاء » . ولا تستعمل الحكومات التنويم لكشف الاسرار لان الذين ينامون قليلون جداً ولانهم قد يجيبون على هوى السائل لا على ما يطابق الحقيقة

ويتوهم البعض ان المنوَّم يكتشف اسرار غيره وهذا خطأ والحقيقة انهُ يفشي اسرار نفسه. اما اسرار غيره فانهُ ان لم يكن يعرفها فالتنويم لا يجعلهُ يعرفها

(٢) اسباب اللثغة

اسوان. هل اللثغة طبيعية في الانسان او توجد لها اسباب طارئة

ج . اذا ترك الولد يلفظ الحروف كما يشاء ولم يُصلَح لفظهُ فقد يجيء في بعض

الحروف كالراء والسين مخالفاً للفظ المألوف وهذه هي اللثغة وهي حينئذ طبيعية وتزول بالتمرين والاعتناء . وقد يصاب الانسان بمرض كالتيفوس فيشفى منه والنطق متعذر عليه ثم يتمرن على النطق رويداً رويداً ولكنهُ يبقى ألثغ في الغالب فاللثغة حدثت هنا من علة عارضة

(٣) سبب الفواق

مصر . ما هي اسباب الفواق hiccough فان لي طفلاً في الشهر السابع من عمرهِ يصاب بالفواق نحو اربع مرات كلَّ يوم فما هو سبب ذلك . وهل هو طبيعي . فانهُ في بعض الاحيان يلبث ما يزيد على ثلث ساعة مصاباً بهِ

ج . الفواق ويعرف « بالحازوقة » في بر الشام سببهُ انقباض العضلات في الحجاب الحاجز . والحجاب الحاجز كما لا يخفى هو الغشاء العضلي الرقيق الذي يفصل صدر الانسان عن بطنهِ وفي الصدر القلب والرئتان وفي البطن المعدة والامعاء والكبد والطحال وغيرها . ووظيفتهُ ان ينقبض فيساعد في زفر الهواء من الرئتين ثم يتمدد فيفسح لهما مجالاً للتمدد بدخول الهواء النظيف

والعصب الذي يتصل بهذا الحجاب يدعى العصب الحاجزي Phrenic وهو طويل ينشأُ في الجانب الاعلى من الحبل الشوكي قرب العنق . وكل ما يثير هذا العصب او يهيجهُ يحدث انقباضاً فجائيًّا في الحجاب الحاجز وهذا الانقباض وما ينجم عنهُ هو الفواق . واشهر ما يثير هذا العصب الاكل فوق الشبع او سوء الهضم او جلط اللبن المتخثر في المعدة . وقد يكون وجود الهواء الذي اتصل بالمعدة عن طريق الفم من هذه الاسباب . فالشعور بوجود هذه المواد في المعدة يتصل بالحبل الشوكي ثم ينتقل الى العصب الحاجزي فيحدث الفواق

والفواق الذي ينجم عن هذه الاسباب ليس ذا شأن خطير ويزول بشيء من العناية بالمأكل والمشرب وبضرب الطفل على ظهرهِ ضرباً لطيفاً حتى تخرج فقاقيع الهواء من معدتهِ . وكل الاطفال يصابون بهِ من حين الى آخر

على ان هناك نوعاً آخر من الفواق وهو ناشىء عن مرض يصيب الجهاز العصبي كشلل الاطفال والتهاب الدماغ السباتي . وحينئذٍ يكون ما يثير العصب الحاجزي في الدماغ لا في المعدة . وهذا الفواق يكون شديداً متواصلاً خطيراً . على انه يكون في الغالب مصحوباً باعراض اخرى فلا يصعب تمييزهُ . والمرجح ان فواق الطفل المذكور من النوع الاول

(٤) سبب البراكين والزلازل

انطاكية. ما هو سبب ثوران البراكين وخمودها ثم عودها الى الثوران . وهل الزلازل تنشأُ عنها ؟

ج . ان باطن الارض حارٌّ جدًّا كما يظهر من البحث في جوفها. وكان المظنون انهُ مصهور ايضاً ولكن ثبت من بعض الادلة الطبيعية انهُ جامد غير مصهور . ولكن بقعاً قليلة مصهورة تتصل بالبراكين والبراكين منافس او منافذ لها فاذا خسفت الارض بسبب الضغط او بسبب تقلصها المستمر انضغطت المواد المصهورة وخرجت من افواه البراكين . وكذلك اذا وصل اليها ماءُ البحر من شق في قعره تمدَّد تمدُّداً شديداً بفعل الحرارة وخرج منها ومعهُ المواد التي يجدها في طريقهِ حتى اذا زال السبب عاد البركان الى الخمود

واذا شئتم بيان اسباب الزلازل فراجعوا مقالة نشرناها في هذا الجزء موضوعها « زلزلة كلَّ ساعة »

(٥) اعادة لون السن الطبيعي

بورت سعيد . هل تعرفون طريقة يُعاد بها لون السن طبيعيًّا بعد ما يموت عصبهُ ويُنزَع

ج . ان قصر الاسنان (تبييضها) لا يفيد الفائدة المرغوبة بوجهٍ عام . وقد استعمل غاز الكلور لذلك على درجات متفاوتة من النجاح . وفي استعمالهِ من غير معرفة الطبيب شيءٌ من الخطر . على ان غسل الاسنان باكسيد الهدروجين الثاني (او اكسجينه eau oxygen) يفيد بعض الفائدة. ولا نعرف طريقة اخرى نستطيع ان نشير عليكم باستعمالها في البيت على ان طبيب الاسنان يستطيع ان يلبس السن الذي تغيَّر لونهُ الطبيعي غشاءٍ من الخزف يعيد اليهِ هذا اللون الطبيعي

(٦) اصوات عالية لا يسمعها الانسان

صافيتا لبنان . جاء في مقتطف فبراير ص ١٤٠ ما نصهُ (من رأي بعض العلماء ان النمل والنحل تسمع الاصوات العالية جدًّا التي لا يسمعها الانسان وانهُ ان كان لها اصوات فتكون من هذا القبيل) فما هي هذه الاصوات العالية جدًّا التي يسمعها بعض الحيوانات الدنيا ولا يسمعها الانسان وما هو مصدرها . ام لعلَّ لفظة (العالية) وقعت سهواً وكان المراد بها الخافتة بدليل قولهِ (وان كان لها اصوات فهي من هذا القبيل)

ج . كل صوت سلسلة امواج في الهواء يحدثها جسم مادي مرتجٌّ . وعلو الصوت او خفوتهُ يقاس بعدد هذه الامواج في الثانية . فاذا كان احد الاصوات مؤلفاً من الفي موجة في الثانية وآخر مؤلفاً من ٢٠ الف موجة في الثانية

قيل ان الصوت الثاني أعلى من الصوت الاول . وقد ثبت ان اذن الانسان لا تستطيع ان تسمع اصواتاً عدد امواجها اقل من ٣٠ موجة في الثانية او اكثر من ٣٠٠٠٠ الف موجة في الثانية ولكن لبعض الحشرات كالنمل والنحل مقدرة على ان تسمع اصواتاً يزيد عدد امواجها على ٣٠ الف موجة في الثانية فهي اذاً تسمع اصواتاً اعلى من الاصوات التي يسمعها الانسان

(٧) تسمية اشعة الراديوم

ومنهُ . ما معنى قولكم في مقتطف مارس الماضي ص ٢٥٩ (الفا وبيتا وغمّا)؟

ج. الفا وبيتا وغمّا هي الحروف الثلاثة الاولى من الابجدية اليونانية يقابلها في الابجدية العربية الالف والباء والجيم وقد اطلقت على انواع الاشعة الثلاثة التي تنطلق من عنصر الراديوم فتعرف بها

(٨) تسمية ابي الهول

الاسكندرية . لماذا سمي تمثال ابو الهول بهذا الاسم

ج . جاء في خطط المقريزي التي طبعت بمطبعة النيل بمصر في الصفحة ١٩٧ من الجزء الاول ما يأتي :

« هذا الصنم بين الهرمين عرف اولاً بلهيب وتقول اهل مصر اليوم أبو الهول . قال القضاعي صنم الهرمين وهو بلهوبه صنم كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا يظهر منهُ سوى رأسه فقط تسميه العامة بابي الهول ويقال بلهيب ويقال انهُ طلسم للرمل لئلا يغلب على ابليز الجيزة »

وجاء في دائرة المعارف للبستاني ان ابا الهول عُرف اولاً بلهيت ثم اطلق العامة عليهِ اسم (ابو الهول) وقد يكون محرفاً عن بلهيت او بلهونة او قد يكون سمي بذلك لمنظرهِ الهائل

وجاء في مقتطف يونيو سنة ١٩٢٦ صفحة ٦٩٧ ما يلي :

واسم ابي الهول في اللغة المصرية القديمة « هو » يعنون بهِ الشمس الطالعة او شمس الافق او اله الصباح وتضاف اليهِ لفظة با او اب او بو ومعناها بيت او مكان او معبد فيصير بهو اي بيت اله الصباح او مكانهُ او معبدهُ ولذلك فالكلمة التي قال المقريزي انها اسم ابي الهول هي الكلمة المصرية القديمة محرفة . وحبذا لو رجعنا اليها فترجمنا كلمة سفنكس بها فانهُ يسهل جمعها واضافتها كالاسماء العربية

(٩) تاريخ ابن العبري

القاهرة . ورد بالصفحة ٥١٠ من مقتطف مايو الماضي في مقالة البادية العربية ما يأتي (بموجب روايات المؤرخين العرب كالطبري وابن عساكر وابن العبري الخ) فاين يوجد تاريخ ابن العبري وهل يمكن الحصول عليهِ ؟

ج . كتاب اخبار الدول لابن العبري مطبوع بمطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت ونشير عليكم بان تطلبوه بواسطة مكتبة العرب بالفجالة ونظن ان ثمنهُ لا يقل عن جنيه

(١٠) رواية الكتيدرال لاباناز

الفجالة مصر . ما هو الاسم الانكليزي لرواية الكتيدرال التي كتبها ابانيز روائي البحر المتوسط المذكورة في مقتطف مارس صفحة ٣١٢

ج . اسمها The Cathedral ونرجح انكم تجدونها في اكثر المكاتب الافرنجية في القاهرة كمكتبة C.M.S. بشارع قصر النيل ومكتبة Au Papyrus او مكتبة Express بشارع المغربي والا فان اصحاب هذه المكاتب يستطيعون ان يطلبوها لكم من لندن فتصل في نحو اسبوعين

(١١) كتاب لودج في الروح بعد الموت

ومنهُ . ما الاسم الانكليزي لافضل كتاب وضعهُ السر اوليفر لدج في وجود الروح بعد الموت

ج . نظنكم تشيرون الى الكتاب الذي كتبهُ بعد موت ابنهِ في الحرب الكبرى وسماهُ ريموند (وهو اسم ابنهِ) او الحياة بعد الموت . ولهُ كتاب آخر اسمهُ الاثير والحقيقة (Ether & Reality) اكثرهُ مباحث طبيعية تتخللها وتعقبها مباحث فلسفية عرض فيها لمسألة وجود الروح بعد الموت

(١٢) كتاب لودج في علم النفس

ومنهُ . هل وضع السر اوليفر لودج كتاباً في علم النفس وما اسمهُ بالانكليزية اوالعربية

ج . لا نعلم ان السر اوليفر لدج عني بمباحث علم النفس (السيكولوجيا) وتوفر عليها بل هو عالم من اكبر علماء الطبيعة المعاصرين ولذلك لا نظن انهُ يتعرض لوضع كتاب في علم لم ينقطع لهُ انقطاعاً يمكنهُ من الكتابة فيهِ كاربابهِ . ولم نسمع ان لهُ كتاباً في علم النفس ولكن لهُ كتاب اسمهُ « كرستوفر : او بحث في الشخصية الانسانية » وهو كتاب في المباحث النفسية لا في علم النفس

(١٣) رش الماء وبرودة الهواء

طنطا . نرى أن رش الشوارع في ايام الحر يبرد الهواء فهل يبرد الهواء ولو لم يكن الماء الذي ترش بهِ الشوارع بارداً لاننا نرى مركبات الرش تأخذ الماء من الحنفيات رأساً وهو ليس بارداً كما لا يخفى وقد يكون سخناً

ج . الغالب ان الماء لا يبرد الهواء ببرودتهِ بل بسرعة تحولهِ الى بخار فان تحولهُ الى بخار يقتضي استخدام جانب كبير من حرارة الارض والهواء فيخسرها الهواء وتخسرها الارض ولذلك تهبط الحرارة بضع درجات على اثر رش الماء



اوجه القمر في يونيو

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	٣	٢	١٣	مساء
الربع الاخير	١١	٧	٥١	صباحاً
الاجتماع	١٧	١٠	٤٢	مساء
الربع الاول	٢٥	٠	٤٧	صباحاً
الاوج	١	١٠	٦	«
الحضيض	١٦	٣	٥٤	مساء
الاوج	٢٨	٩	٤٢	«

السيارات في يونيو

عطارد . يكون كوكب مساء في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخره

الزهرة . لا تشاهد

المريخ . يشرق نحو الساعة ٢ صباحاً

المشتري . يكون كوكب صباح

زحل . يشاهد في اثناء الليل

كسوف الشمس

تكسف الشمس صباح يوم الاحد في ١٧ يونيو ١٩٢٨ كسوفاً جزئياً لا يشاهد من القاهرة

اعظم البواخر

بنت احدى الشركات الفرنسوية في السنة الماضية باخرة محمولها ٤٢ الف طن للسفر بين فرنسا والولايات المتحدة واوصت شركة النوردويتشرلويد ببناء باخرة محمولها ٤٦ الف طن للسفر بين برمرهافن بالمانيا ونيويورك . فكان بناء هاتين الباخرتين اشارة الى استئناف التزاحم بين شركات البواخر الكبرى لبناء اكبر السفن وامتنها واسرعها

على ان هاتين الباخرتين لا تقاربان المتجستك والبرنجاريا الانكليزيتين فالاولى محمولها ٥٦ الف طن والثانية محمولها ٥٢ الف طن. ولكنهما لم تبنيا في بريطانيا بل هما من بواخر الالمان التي استولت عليها انكلترا بعد الحرب. والموريتانيا باخرة من بواخر شركة الكونارد لا تزال حائزة لقصب السبق في السرعة ولكن ينتظر ان تفوقها الباخرة الالمانية في ذلك متى نزلت الى الميدان . فهل تكتفي شركات البواخر الانكليزية بان تخسر قصب السبق وهي مكتوفة اليدين؟ كلا ان حبَّ التفوق والسبق

من اقوى الطبائع البشرية ويؤخذ من انباء شركة الكونارد انها اوصت بناء باخرة جديدة يكون محمولها متى تمت ٦٠ الف طن وطولها ١٠٠٠ قدم وفيها متسع لخمسة آلاف مسافر. وشركة النجم الابيض تدرس الآن مشروع بناء باخرة تكون افخم من المتجستك واسرع منها . وتبلغ نفقات بناء هاتين الباخرتين احد عشر مليوناً من الجنيهات

الاشعة السموية وتكون العناصر

لقد توافرت الادلة على ان بعض العناصر الثابتة الكثيرة الوجود في الارض والاجرام السموية كالهيليوم والسلكون والاكسجين والحديد آخذة في التكون الآن من ذرات الكهربائية السلبية والايجابية (الكهارب والبروتونات)

هذا قول للاستاذ ملكان في خطبة خطبها امام اكادمية العلوم الاميركية . والاستاذ ملكان لايلقي القول على عواهنهِ فهو من اكبر علماء الطبيعة المعاصرين وقد نال جائزة نوبل للطبيعيات سنة ١٩٢٣ لتفوقهِ في استفراد «الكهرب» وقياسهِ

ولقد اثبت في خطبتهِ المذكورة طرفاً من المباحث الدقيقة التي قام بها مع زميل لهُ هو الاستاذ كرون لاثبات وجود الاشعة السموية وقوتها ومصدرها . وقد لخصنا هذه المباحث في مقتطف مارس الماضي صفحة ٣٠٦ على انهما اعادا الكرة على هذه التجارب بادوات كهربائية اكثر دقة من الادوات التي استعملاها قبلاً فثبت لهما ان طيف هذه الاشعة يدل على انها تجيء في مناطق سريعة التوالي كأنَّ المصدر التي تصدر عنهُ ينبض نبضاً. وسرعة تواليها يفوق سرعة الاشعاع الذي ينجم عن اسرع التحولات في المواد المشعة يريد بذلك انطلاق اشعة غمَّا التي تصدر من الراديوم

وقد وجدا ان اقوى هذه الاشعة يخترق ما سمكهُ ٢٠٠ قدم من الماء و١٨ قدماً من الرصاص مع ان اشعة اكس لا تخترق اكثر من ثلاثة سنتمترات من الرصاص ونور الشمس العادي تحجبهُ ورقة رقيقة. فوصول هذه الاشعة في مناطق كما مرَّ يدلُّ على انها لا تتولد كما تتولد اشعة اكس من اصطدام الجواهر الفردة بكهارب سريعة كسبت سرعتها من مرورها في حقول شديدة التمغنط كانابيب اشعة اكس فسرعتها تقتضي حقولاً تفوق في قوة تمغنطها انابيب اشعة اكس ٣٠٠٠ ضعف

وبعد البحث الرياضي الدقيق ثبت لهما ان ما من فعل طبيعي يستطيع ان يولد اشعة هذه قوتها وسرعتها الاَّ الافعال الطبيعية التي تصاحب تكوّن بعض العناصر

المختلفة كالهليوم والسلكون والحديد والاكسجين من الهدروجين او من الهليوم

زلازل البلقان

كانت الزلازل التي حدثت في بلغاريا واليونان في شهر ابريل الماضي من اقوى الزلازل التي حدثت هناك ونتج عنها دمار كثير ففي ١٤ ابريل الماضي زلزلت الارض زلزالها في بلغاريا على مقربة من شربان فتهدمت البلدة كلها . وكان نطاق الزلزلة واسعاً فاتصل اثرها ببلدة بلوفدرف على ثلاثين ميلاً الى الغرب من مركز الزلزال. ثم حدثت زلزلة قوية في ١٨ ابريل فكان مركزها قريباً من بلوفدرف فدمر فيها نحو خمسة آلاف بيت واتصل اثرها بصوفيا على ٨٠ ميلاً منها فتدمر فيها بضعة بيوت . وحدثت زلزلة ببلاد اليونان في ٢٢ ابريل دمرت كورنثوس وكلاماكي ولوترا كي . ويقال ان ١٥ الف نسمة باتوا في الخلاء لان بيوتهم تهدمت

اما زلازل بلغاريا فاهم ما اتصفت به من الوجهة العلمية انتقال مركز الزلزال غرباً في خط موازٍ لسلاسل جبال البلقان واتساع نطاق الاراضي التي تأثرت بها مما يدلُّ على عمق الابسنتر . راجع مقالتنا « زلزلة كل ساعة » في مكان آخر من هذا الجزء

مخاطر القطب الجنوبي

صحت عزيمة الكومندر برد الاميركي على الذهاب الى القطب الجنوبي وهو الآن منهمك باعداد الطيارات وغيرها من معدات الرحلة الى الاصقاع المتجمدة الجنوبية . وهنا يتبادر للذهن السؤالان الآتيان : أيستطيع الكومندر برد ان يصل الى القطب الجنوبي بالطيارة ويرجع منهُ كما وفّق في الوصول الى القطب الشمالي والرجوع منهُ ؟ وهل المخاطر التي تحفُّ بطيرانهِ الى القطب الجنوبي اعظم من المخاطر التي لقيها وتغلب عليها حين طار الى القطب الشمالي ؟

اما السؤال الاول فتتعذر الاجابة عنهُ الآن ولكننا نتمنى للطيار المقدام كل سلامة وتوفيق في الذهاب والاياب . واما السؤال الثاني فالجواب عنهُ بالايجاب اذ لا شك في ان المخاطر التي تحف بروّاد القطب الجنوبي اعظم جدًّا من مخاطر الرحلة الى القطب الشمالي . ذلك ان القطب الجنوبي ليس في مسطح من الجليد كالقطب الشمالي بل هو قائم على قنة عالية ارتفاعها نحو عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر فبلوغهُ عن طريق الجو يقتضي الارتفاع بالطيارة الى هذا العلو الكبير وعمل النزول الى الارض على جليد غير مستوٍ ثم القيام

والتحليق في الجوّ جمّ الخطر يضاف الى ذلك ان منظر الجليد قد يبهر عيون الطيارين فتتعذر عليهم رؤية هدفهم من جهة ويصعب الاتجاهُ في الناحية التي يريدونها من جهة اخرى . والبرد حول القطب الجنوبي اشدُّ من البرد حول القطب الشمالي فضلاً عن ان المناطق المتجمدة الجنوبية مشهورة بهبوب عواصف من الثلج تدوم اياماً تسدُّ على الرائد طريق التقدم والنجاة. وعاصفة كهذهِ هبت في وجه الرائد الانكليزي سكوت ورفاقهِ فقضت عليهم مع انهم كانوا لا يعدون الاَّ احدى عشر ميلاً من محطة لهم اودعوا فيها طعاماً . وهذه العواصف تهب فجأةً وتبلغ سرعة الريح فيها احياناً ١٥٠ ميلاً في الساعة

هذه هي اهم المخاطر التي يتعرض لها الروّاد في الاصقاع المتجمدة الشمالية . ولكن اقدام الرجال ومستحدثات العلم لا بدَّ ان تتغلب عليها

فوز جديد للتلفزة

استعملنا لفظة « التلفزة » في الجزء الماضي من المقتطف تعريباً للفظة « تلفزيون » الفرنسوية و « تلفشن » الانكليزية لانها تعريب دقيق للكلمة الاصلية وفي الوقت عينهِ تجري على الاوزانِ العربية فنستطيع ان نصوغ الفعل تَلفَزَ كدحرج وهلهل واسم الآلة تلفاز كمفتاح ومهماز ومسبار . ثم سردنا تاريخ هذا الاستنباط الخطير وما قد يبنى عليهِ . ومنذ انتشر مقتطف مايو تمَّ للمستر بايرد المستنبط الاسكتلندي فوز جديد في هذا الميدان. ذلك انهُ تمكن من اذاعة صور اناس جلسوا في مكتبهِ امام التلفاز الموسل فالتقط صورهم المستر ستانلي برون عامل التلغراف اللاسلكي على الباخرة برنجاريا وهي في عرض البحر . وكان بين الذين أُرسلت صورهم المس سلفي خطيبة المستر برون فعرفها . ولا يخفى ما في هذه التجربة من الدليل القاطع على نجاح طريقة بايرد نجاحاً عمليًّا

تغيُّر حجم الشمس

ثبت لبعض علماء الفلك الايطاليين ان حجم الشمس متغير فكأنها قلب متقد ينقبض ويتمدد وان الشمس تبلغ معظم حجمها مرة كل احدى عشرة سنة. ومن الغريب ان ذلك يتفق مع ظهور اكبر عدد من الكلف. ثم يبدأ حجمها بالنقصان فتى بلغت اقل حجمها وافق ذلك الوقت الذي تكون فيهِ الكلف على اقلها. وقد اثبتوا ذلك بقياس حجم الشمس ظهرَ كلَّ يوم اشرقت فيهِ في الخمسين السنة الاخيرة . ثم قارنوا هذه الاقيسة وبوّبوها فوصلوا الى هذه النتيجة

نقل الصور المتحركة بالتلفون

يعلّق اصحاب صناعة الصور المتحركة شأناً كبيراً على السبق الى نشر صور الحوادث الكبيرة والصغيرة التي تهم الجمهور. وقد استعملوا لذلك اسرع وسائل النقل والانتقال فاستأجر احدهم باخرة صغيرة سنة ١٩٢٢ ومعهُ فلم رُسم فيهِ حريق ازمير لدى احتلال الترك لها وسافر بهذه الباخرة من ازمير الى اقرب مرفإٍ ايطاليّ ومنهُ الى باريز وهناك عرف انهُ لا يستطيع ان يلحق بالباخرة السريعة التي تقلع من ميناء شربورغ يوم وصولهِ الى باريس فاستأجر طيارة ولحقها في عرض البحر ورمى بلفّات الفلم على ظهرها. ولما قاربت الباخرة نيويورك استقبلتها طيارة وحوّمت فوقها واخذت الفلم حتى يعرض في دور الصور المتحركة بنيويورك

على ان الاميركيين لم يكتفوا بسرعة الطيارات لنقل الصور التي تهم الجمهور فاستعملوا لذلك التلفون . ونقل الصور بالتلفون او التلغراف امر معروف لدى قراء المقتطف . ذلك ان الفلم يقطع قطعاً طول كل قطعة منها سبع بوصات وعرضها خمس بوصات وتنقل ثلاثاً ثلاثاً فينقل منها في خمس ساعات ما طولهُ ١٠ اقدام من الفلم وهو كافٍ لعرض حادثة خطيرة . فاذا فرضنا ان الحادثة وقعت في سان فرنسسكو فالفلم الذي يدوّنها يستغرق عشر ساعات على الاكثر اذا نقل بالتلفون الى نيويورك ولكنهُ يستغرق نحو خمسة ايام اذا ارسل بسكة الحديد ونحو ٣٠ ساعة اذا ارسل بالطيارة . ولا نعلم ان عرض فلم كهذا يعوّض الشركة النفقات الطائلة التي تتكبدها في تصويرهِ ونقلهِ ولكن التفوق غاية يتطلع اليها ارباب الاعمال ومتى اشتهروا بها زاد الاقبال عليهم واتسع نطاق عملهم وبذلك يعوّضون ما ينفقون ويربحون

الطيران من اوربا الى اميركا

اشرنا في مقتطف مايو الماضي الى فوز الطيارين الالمانيين كوهل وفون هونفلد والطيار الارلندي فتز موريس بعبور الاوقيانوس الاتلنتيكي من ارلندا الى جزيرة غرينلي بين جزيرة نيوفوندلند ومصب نهر سانت لورنس

قام الطياران الالمانيان من برلين في ٢٦ مارس الماضي الى دبلن حيث لبثا ينتظران اعتدال الطقس ليقوما بالرحلة الخطرة من دبلن الى نيويورك . وكانا قد صحبا معهما ميكانيكياً المانيّاً فحلّ المستر فتز موريس الطيّار الارلندي محله اعترافاً بجميل الحكومة الارلندية في ما مهدتهُ لهما من وسائل الطيران. وفي ١٢ ابريل قاموا

من مطار بلدونل على الطيارة بر: ـ وهي طيارة معدنية ذات سطح واحد من صنع يونكر قوة محركها ٢٠٠ حصان وسرعتها في جوٍّ هادىءٍ ١٥٠ كيلو متراً في الساعة وتستطيع ان تبقى اربعين ساعة في الجو اي تستطيع ان تجتاز مسافة ٦٠٠٠ كيلو متر اذا كان الجو صافياً . ولما نزلوا في جزيرة غرينلي كانوا قد اجتازوا مسافة ٣٥٠٠ كيلو متر في خط مستقيم مما يثبت قوة الرياح التي هبت في وجوههم فاعاقتهم عن التقدم بالسرعة العادية فلم يبلغ متوسط سرعتهم اكثر من تسعين كيلومتراً في الساعة

الحرب في الصين والبحث العلمي

اشتهر الدكتور روي تشابمن اندروز باكتشافهِ لبيوض الدينوسورس في صحراء غوبي التي يرجع تاريخها الى نحو عشرة ملايين من السنين وبما عثر عليهِ هناك من آثار الانسان القديم مما يؤيد قول بعضهم بان آسيا مهد الانسان . وقد اعدَّ متحف التاريخ الطبيعي الاميركي بعثة اخرى برآسة الدكتور اندروز لتذهب الى منغوليا وتستأنف بحثها هناك . ولكن هذه البعثة لم تتمكن من ذلك بسبب الحرب الاهلية الناشبة في الصين فقضى اعضاؤها سنتين في بكين وهم يتراوحون بين اليأس والامل في امكان استئناف بحثهم .

واخيراً قرَّر الدكتور اندروز ان ينفح رئيس العصابة المستولية على البقعة التي يريدون البحث فيها بمبلغ من المال اذا مهَّد للبعثة طريق البحث وضمن سلامة اعضائها . والبعثة مؤلفة من عشرة علماء اميركيين توفروا على مباحث الآثار المتحجرة (الباليتنولوجيا) والجيولوجيا والآثار وبينهم طبيب ومصور وميكانيكيان للعناية بالسيارات التي يستقلونها و ٢٦ منغوليًّا وصينيًّا لخدمتهم . وهكذا يتعرض العلماء للمخاطر حبًّا بالكشف عن محيا الحقيقة والبحث عن اسرار الطبيعة !

جليد القطب الجنوبي

يرتأي الاستاذ ميناردُس احد اساتذة جامعة غوتنجن الالمانية ان حول القطب الجنوبي من الجليد ما يكفي لتغطية سطح الكرة الارضية بغطاء جليدي سمكهُ مائة قدم . وانهُ اذا اذيب هذا الجليد وصبَّ ماءهُ ارتفع سطح الماء في البحار والاوقيانوسات نحو مائة قدم . وان وزن الجليد المتجمع هناك يبلغ ٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ طن وعندهُ ان اكثر المرتفعات في الاصقاع المتجمدة الشمالية هي جليد متجمد بعضهُ فوق بعض وليس جبالاً مغطاة بالجليد كما يظن

علاج للانيميا الخبيثة

عالج حديثاً طبيبان اميركيان فقر الدم (الانيميا) الخبيث باعطاء المصابين كبد البقر النيء (غير المطبوخ) فتحسنت حالتهم تحسناً مطرداً وشفي اكثرهم

وقد نشر اخيراً الدكتور شلنغ الالماني Schilling وهو يعدّ من اكبر الثقاة الالمان في امراض الدم انهُ عالج نحو ٩٤ مريضاً بهذه الطريقة فشفي تسعون منهم شفاء تامًّا وتحسن حال واحد من الاربعة الباقين تحسناً ظاهراً ومات الثلاثة الباقون بامراض مختلفة غير الانيميا اصابتهم وهم تحت العلاج . ولا يعلم حتى الآن فعل الكبد غير المطبوخ في شفاء هذا المرض

ويباع في الصيدليات بضعة مستحضرات يقال عنها انها خلاصة الكبد ولكن لم يثبت بعد ان لها فعلاً شبيهاً بفعل الكبد «النيء» في علاج الانيميا الخبيثة

الطيور القواطع : تجربة غريبة

ربط احد الفرنسيين الباحثين في طبائع الطيور القواطع ورقة صغيرة بجناح خطاف بنى لهُ عشاً في حديقة داره قرب مدينة متز بعد ما كتب عليها ما يأتي : «سكنت في صيف سنة ١٩٢٧ مع فلان في بلدة سانت افولد بمقاطعة موزل الفرنسية ومتى عدت اليهِ اودُّ ان اخبرهُ اين قضيت المدة في اثناء تغيبي عنهُ»

كان ذلك في آخر الصيف الماضي . ومنذ ايام عاد هذا الطائر الى عشهِ القديم في حديقة هذا الباحث فوُجدت ورقة معلقة بجناحهِ وقد كتب عليها ما يلي . «قضيت الشتاء في عش بنيتهُ في بيت مستر بادي بجزيرة مارتينيك وهو يبعث مني باطيب تحياتهِ الى مضيفي السابق»

ليس من الغريب ان تتمكن الطيور القواطع من اجتياز الاوقيانوس الاتلنتيكي والعودة الى فرنسا ولكن الغريب ان تعود الى بقعة صغيرة معينة في احدى مقاطعاتها

فرق مطافئ النمل

اكتشفت المداموزيل مرغريت كومب الفرنسوية ان في قرى النمل فرقاً مختصة باطفاء النيران التي تشبُّ حولها . فانها اخذت عوداً مشتعلاً ووضعتهُ على مرتفع بالقرب من قرية نمل فهبت اليهِ فرقة واطفأتهُ فمنها من رشَّ عليهِ قليلاً من الحامض النمليك (الفورميك) وبعضها هجم على النار فقتل. وقد شاهدت احد افراد الفرقة يخلص نملة كادت تهلك في النار . واخيراً فازت الفرقة بغرضها وهو اطفاء العود المشتعل

عجائب البريد الانكليزي

تستعمل مصلحة البريد الانكليزية بلندن قطارات تسير تحت الارض لنقل اكياس البريد من محطات السكة الحديدية الى مكتب البريد افتداء للوقت الذي يضيع في شوارع لندن لشدة ازدحامها. وهذه القطارات تسير من غير سوّاقين بوسائل ميكانيكية ويبلغ مقدار ما تنقلهُ يوميًّا من المراسلات ٢٣ الف كيس وطول الخط الذي تسير فيهِ نحو ستة اميال ونصف ميل وهو مبني في نفق على ٨٠ قدماً تحت سطح الارض وقد حفر في اثناء الحرب الكبرى لحفظ كنوز المتحف البريطاني فيهِ خوفاً عليها من قنابل البلونات الالمانية

الاعلانات الكهربائية

أُحصيت اعلانات الانوار الكهربائية في جزيرة منهتان بمدينة نيويورك فاذا هي ٢١ الف اعلان يستعمل فيها نحو مليون و٣٠٩٩١٨ مصباحاً كهربائيًّا. وقد بلغ من ارتفاع اسعار هذه الاعلانات ان احدى شركات الاعلانات اشترت فندقاً في مكان متوسط وسدّت كواهُ ونوافذه الآ في الدورين الارضيين حتى تعلق على واجهتهِ الاعلانات الكهربائية لانها حسبت ان دخلها من الاعلانات كذلك يفوق دخلها من ادارة الفندق كفندقٍ

زيادة متوسط العمر

اثبت قسم الصحة في ولاية بنسلفانيا ان متوسط عمر الانسان زاد ٣٩ سنة من آخر القرن السادس عشر الى الآن. فقد كان متوسط العمر في جنيفا ٢١ سنة في اثناء القرن السادس عشر (١٥٠١-١٦٠٠) وهو الآن في ولاية وسكنصن ٥٩ سنة (وهو المتوسط لكل سكان الارض) وذلك عائد الى تحسين احوال المعيشة الصحية وازدياد معرفة الاطباء باسباب المرض ووسائل العلاج والوقاية. ولا بد ان يزداد هذا المتوسط عما هو الآن كلما تقدم العلماء في معرفة طبائع الامراض وطرق مكافحتها

مصل الحمى القلاعية

وفّق بعض الباحثين الالمان الى صنع مصلين احدهما واق تحقن بهِ المواشي فتوقى من الاصابة بالحمى القلاعية مدة لا تتجاوز عشرة ايام. وآخر شافٍ كمصل الدفتيريا يشفيها اذا لم يكن المرض قد استفحل امرهُ

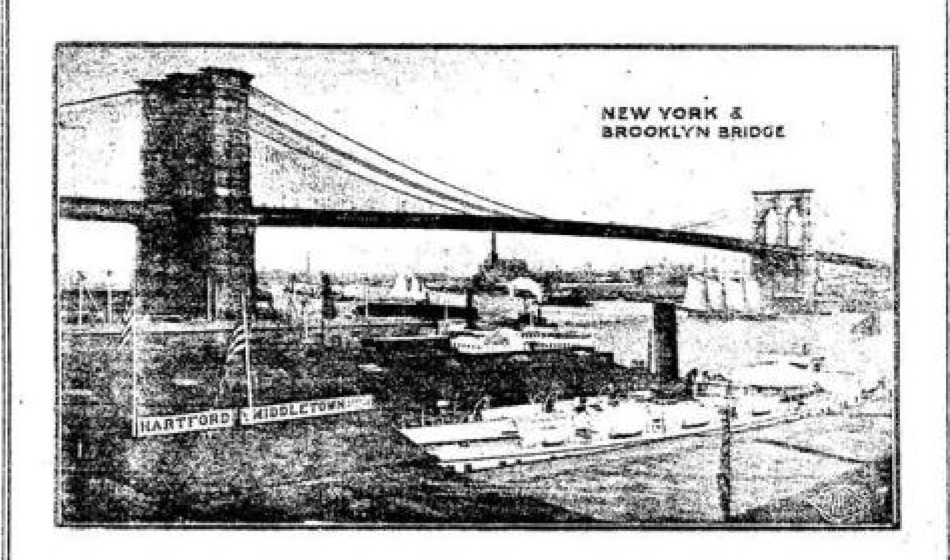
كبري نهر الهدصن

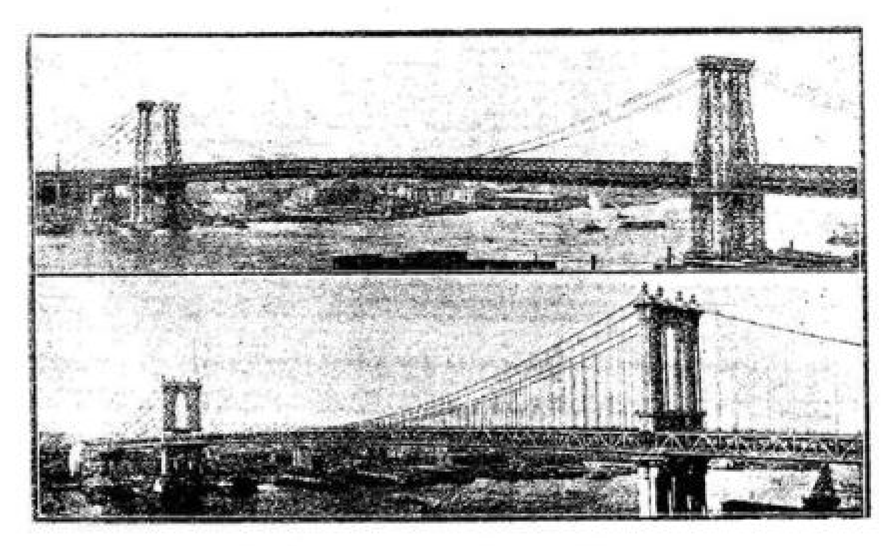
ذكرنا في مقالتنا عن كبري نهر الهدصن في اول هذا الجزء ان نفقاتهِ تبلغ نحو ٦ ملايين من الجنيهات والصحيح ١٥ مليوناً من الجنيهات

الجزء السادس من المجلد الثاني والسبعين

صفحة

فهرس المجلد الثاني والسبعين





ثلاثة من اعظم جسور نيويورك المعلقة

الاعلى : جسر بركان . المتوسط جسر وليمزبرج : الاسفل جسر منهتان

مقتطف يونيو ١٩٢٨

امام الصفحة ٦١٠



برد



ولكنز



امندسن

رواد الاصقاع المتجمدة الشمالية عن طريق الجو

مقتطف يونيو ١٩٢٨
أمام الصفحة ٦٢٣



الاصقاع المتجمدة الشمالية

الخط المرسوم هو الخط الذي طار فوقه امندصن وصحبهُ

بالبلون نورج في السنة الماضية

مقتطف يونيو ١٩٢٨

امام الصفحة ٦٢٤

JENNER

جنر

ادورد جنّر



اللادي مونتاغو

مقتطف يونيو ١٩٢٨
امام الصفحة ٦٢٥



السر فيلب جبس

مؤلف كتاب « ما بعد غد »

مقتطف يونيو ١٩٢٨
امام الصفحة ٦٤٨



ناطحات السحاب بنيويورك

تمثال الحرية عند مدخل ميناءها

مقتطف يونيو ١٩٢٨
امام الصفحة ٦٦٨



بناية جريدة نيويورك تيمس الجديدة

مقتطف يونيو ١٩٢٨

امام الصفحة ٦٧٠

قبر الغزالي بطوس




المقتطف
AL·MUKTATAF

مذكراتي

في المقتطف والمرحوم الدكتور صروف

من سنة ١٩١٣ — سنة ١٩٢٦

في اوائل فبراير تقام حفلة التأبين الكبرى لفقيد العلم والادب المرحوم الدكتور يعقوب صرّوف . فقدمت مقالتي التالية الى مجلة المقتطف لتنشر فيها اجلالاً لذكرى الراحل الكريم . فتعذّر نشرها في جزء هذا الشهر فرأيت أن أطبعها على حدة واوزعها معهُ اعترافاً بما له في نفسي من الأثر الجليل

الدكتور صروف فقيد الشرق

مذكراتي فيه

ليس من شك ان المصاب بالدكتور صروف اكبر من ان يعد مصاباً عادياً تنحصر آلامه وأحزانه وما ينشأ عنه من الاوجاع والتفجع بآل صروف وحدهم وليس من شك ان الدكتور صروف ما كان من الرجال العاديين حتى يكون التفجع به منحصراً في دائرة الاهل والاصدقاء والمعارف وانما كان من الافراد الافذاذ الذين يغمرون العالم باضواء أعمالهم الصالحة وينهضون بالامم والشعوب المنتمين اليها من الحضيض الى الذروة العليا من المجد ويخرجون بها من ظلمات الجهالة الى اعلى مراتب العلم والعرفان وما كان صروف في حياته العملية وصدق نزعته للعلم وشدة حرصه على تبليغ رسالته يختلف كثيراً عن الرسل والاولياء في حياتهم العملية وصدق نزعاتهم وحرصهم على تبليغ رسالاتهم أو اقل شأناً في اخلاصه ونزاهته وايمانه من العظماء الخالدة اسماؤهم في بطون التاريخ للاعمال التي قاموا بها والجهاد الذي بذلوه عليها والثبات الذي افنوا أعمارهم فيه. وهل من ينكر على صروف جهاده العظيم في نشر راية العلم خمسين عاماً في الاقطار العربية الشرقية ؟ او لا يعجب برأيه وصلابة عزيمته وثباته في العمل الذي رسم خطته منذ خمسين سنة واستمر فيه الى ان بلغ ما بلغه من منزلة رفيعة المقام محترمة الجانب في نفوس العلماء والادباء جميعاً فكان للشرق من هذا الجهاد الكبير الفذ اعظم معوان على بث روح العلم الصحيح في نفوس بنيه وامتن ركن من اركان نهضته العلمية واخصب ثروة في مختلف العلوم والفنون والاخلاق والآداب العربية والغربية يحفظها في تاريخه الحديث درة لا ينهض الى منافسها ومحاكاتها في قيمتها ناهض بل كان من هذا الجهاد المستمر نصف قرن هذا الاثر الخالد على الدهر وأي أثر أولى بالخلود من هذه الاسفار الغوالي او الكواكب الساطعة بما حوته من علوم زاهرة فياضة وفنون وآداب وأخلاق وعادات . سبعون مجلداً من المقتطف هي دائرة معارف كبرى بل سبعون كوكباً من الكواكب المضيئة كانت تطوف العالم العربي مرة في الشهر فتضيء

له طرق الحياة وترشده السبيل القويم وتثقف عقله وتهذب خلقه وتغرس في نفسه الاخلاق الطيبة والصفات الحسنة والعادات الشريفة فما عرف الشرق رجلا من رجالاته انصرف للعلم وخدمته عهداً طويلا كصروف ومن يلقي نظرة على هذا الأثر ولا يحني بهامته اجلالاً له واحتراماً لقدره ؟ امن عاقل ينظر الى هذه المجلدات او الكواكب ولا يحس بحرارة الايمان الذي اظهرها وقوة العقيدة التي دفعتها الى الظهور؟ لقد وهب صروف حياته للشرق منذ ادرك ان في حياته قيمة تسمو على ما في الحياة من مظاهر ومطامع وان لها مقصداً اعلى وغاية أنبل من المقاصد المادية والغايات الدنيوية التي ترمي الى ترقية الجسد من ناحية واغراقه في بحر شهواته وملاذه من ناحية أخرى وان به قوة وموهبة لمحاربة الفاسد وتعضيد الصالح وادرك انه لا يتم له شيئاً من ذلك إلا في نشر العلوم والمبادىء الصحيحة والاخلاق العالية فنهض للعمل والشرق غارق في ظلمات الجهالة والاوهام فصدر المقتطف ولمع نجمه في الثلث الاخير من القرن الماضي في مدينة بيروت وطار صيته وذاعت شهرته وكان من يوم صدوره الى يومنا هذا قطب النهضة العلمية في الشرق والصلة العلمية والادبية والاخلاقية بين الشرق والغرب وكان وليس بالكثير ان يكون للدكتور صروف هذا الأثر البعيد المدى الذي احس بفوائده كل متعلم في الشرق وغير الشرق وانصفه وعرف قدره كل متعلم سواء كان عربياً أو غير عربي. ومن لا يذكر المقتطف فضله واثره في نهضة الشرق ومن يكابر ولا يعترف انه كان الركن الاكبر في نشر المعارف واثارة الاذهان في ربوعه واقطاره. اما تأثير المقتطف في نفوس قارئيه فكان عظيماً جداً انه تجاوز هؤلاء الى نفوس اصدقائهم ومن كان على صلة بهم فكان اذا دخل دار المشترك في غرة الشهر تلقفته الايدي ورحبت به الخواطر وانزلته النفوس ارفع منزلة منها ومن كان على اتصال بمنشئه ولا يشعر بما كان عليه رحمه الله من علم غزير مطمئن وخلق دمث واطلاع واسع ونفس كريمة ولطف فطري وتواضع بريء فهو بذلاء اقرب الى الكمال الانساني من أي رجل عرفته أو سمعت به ولو كان روح الاعتراف بفضل العلماء والعظماء في الشرق سائداً وتقدير الرجال على أقدار اعمالهم شائعاً لكان تمثال الدكتور صروف قائماً الآن ليس في بلدة الحدث مسقط رأسه فحسب بل في بيروت ومصر والعراق والشام وفي جميع هذه المدن والعواصم كان يجب ان يقام لصروف العالم الناضج هذا التمثال اذ في إقامته دلالة حقة على الخدمات التي قام بها للشرق عموماً وللعربية خصوصاً والتي قال عنها الاستاذ الاديب العقاد انها

تضاهي ما تقوم به مئات المدارس في عشرات السنين فرجل يقوم بعمل كبير هذا شأنه وهذا اثره ومدى منافعه هو خليق بان تنصب له التماثيل في كل قطر من الاقطار الشرقية وجدير بان يدون فضله ويخلد ذكره على مر الاعوام والاجيال وحري بالعلماء والادباء واهل المروءة وجميع من تأثر بالمقتطف ان يقوموا بهذه المكرمة بل الواجب نحو فقيد العلم والانسانية فقيد الشرق . نعم ان المصاب بصروف الذي كان في حياته وأعماله مثالا عالياً في الانسانية وقبساً مضيئاً في ربوع الشرق وعلماً من اعلامه المرفوعة بعيد عن ان يعد مصاباً عادياً انه مصاب تفجع له الشرق كله وتفجع له كل عالم وأديب من علماء وأدباء وآلم كل من اتصل بالمقتطف على نسبة ما كان للمقتطف عليه من تأثير. اما تأثيره عليّ فأعرض للقارىء مذكراتي فيه من سنة ١٩١٣ ومنها يقف على مقدار ماكان للمقتطف ومنشئه من محبة واحترام في نفسي يشاركني فيهما السواد الاعظم بل جميع من كان على صلة بالفقيد العظيم تغمده الله برحمته ومنحنا العوض وجميع العزاء على خسارتنا فيه

الدكتور شخاشيري



المذكرات

سنة ١٩١٣

٩ نوفبر { طالعت المقتطف ويزداد اعجابي بمقدرة صروف كل مرة أتصفح مجلته ولعمر الحق سيأتي الزمن فنذكر فيه المقتطف بكل ورع وخشوع أسأل الله أن يطيل بعمر صروف عشرات السنين رحمة بالامة وضناً بعلمه وحباً بالانتفاع منه. يحق ويجب على الحكومة المصرية أن تنصب له تمثالا في شوارع القاهرة اقراراً بفضله وتقديراً لعلمه }

١٤ ديسمبر { طالعت أمير المجلات وقائدها وأنفعها وأصلحها المقتطف فكدت أسكر ببلاغة قلم صروف أستاذ كتاب العصر ولا أدري لماذا لاينادى به كذلك وهو حي إذ لاريب بتقدير فضله واكبار قدره وهو ميت أسأل الله أن يمد بأجله ويزيدنا منفعة بعلمه وفضله . لو خيرت لما بخلت عليه بخمس سنين من أجلي تضاف على أجله }

سنة ١٩١٤

١٣ يناير { المقتطف امام المجلات العربية وقائدها على الاطلاق واقراري بعلو قدره لايمنعني عن النظر اليه والتشبه به والاقتداء بخطته وأسلوبه }

١٤ اكتوبر { أخذت المقتطف وكلما أتناول المقتطف وابدأ في مطالعته يتبادر الى ذهني خاطر واحد لا أرى وجهاً لدفعه وهو من يحل محل الدكتور صروف بعد ربع قرن وارجع كئيباً حزيناً لعلمي أنه لا يوجد من يحل محل الرجل في تحرير المقتطف ورجوت له العمر الطويل. الحق يقال أنه لايوجد في عالم الانشاء العربي كاتب يجاريه أو يوازيه في الانشاء والبلاغة وحسن السبك }

سنة ١٩١٥

٥ فبراير	أخذت المقتطف أستاذ المجلات وأفضلها وأغزرها مادة وعلماً
٧ فبراير	مقتطف فبراير ملآن فوائد وطافح بالمقالات العلمية الناضجة شأن صروف في كل ما يكتبه وينشره على صفحاته وهو أحسن المجلات وأغزرها مادة بلا منازع
٤ مايو	أخذت المقتطف أستاذ المجلات وأميرها على الاطلاق
٣ ديسمبر	أخذت المقتطف أستاذ المجلات
١٠ ديسمبر	طالعت المقتطف أمير المجلات فلذ لي مجالسته وعجبت كل الاعجاب من مقدرة يعقوب صروف على الترجمة والانشاء .

سنة ١٩١٦

٩ يناير	أخذت المقتطف وصروف أطال الله بأيامه أقدر كاتب عربي وأوسعه علماً وأرحبه صدراً وشهادتي لا تزيد الرجل عما هو عليه من المقام السامي والقدر الرفيع فهو أكبر قدراً منها وانما قصدي الاقرار بفضله كما أشعر نحوه عند ما أطالع المقتطف وأجدني ميالا الى ذكر فضله في رأس كل شهر أو عند ما أستلم المقتطف واقرأ الرجل فيه
٥ ابريل	لو كان قراء المقتطف يقدرون قدر الاتعاب التي يكابدها صروف الرجل الاكبر لاجمعوا على اقامة تمثال له اعترافاً بفضله عليهم وعلى اللغة العربية ولما كان ذلك كثيراً
٤ نوفمبر	أخذت المقتطف سيد المجلات وزهرة الآداب العربية

سنة ١٩١٧

٣١ يناير	أخذت المقتطف أستاذ المجلات
٧ ديسمبر	أخذت المقتطف الزاهر فرحبت به

سنة ١٩١٨

٣١ يناير	المقتطف مجلة لها المقام الأول عندي وهي الأولى في العالم العربي ولها الفضل الكبير عليَّ وعلى كل عربي ولا ينكر فضلها إلا المارق
٢٠ فبراير	قصدت ادارة المقتطف وقابلت الدكتور صروف في شؤون علمية والرجل أطال الله بأجله ومتعه بصحة تامة كله منافع وفوائد وبحر لا قرار له في كل مسألة من المسائل العلمية والفنية
٢ مايو	أخذت المقتطف أستاذ المجلات
٤ نوفمبر	أخذت المقتطف شيخ المجلات

سنة ١٩١٩

٧ يونيو	صروف رجل عاقل واسع الادراك نسأله تعالى أن يمد في حياته وينفع الامة بعلمه واختباره
١٤ يونيو	أخذت البروفا من ادارة المقتطف عن الدوسنطاريا الاميبيه وزيت رجل الاوز وكان زيت الشيخ فأصلح هذا الخطأ الدكتور صروف
٣ يوليو	أخذت المقتطف أمير المجلات في ابحاثه والابواب التي يبحث فيها أطال الله في حياة الاستاذ صروف ان الزمان لبخيل بمثله

٧ فبراير	لاريب عندي وعند كثيرين وكل من عرفوا المقتطف ان هذه المجلة أرقى مجلة عربية في إبحاثها وعلو كيانها في العلم والأدب
٢٠ نوفبر	قصدت الدكتور صروف وعرضت عليه الرسالة في النقد والرجل فاضل

سنة ١٩٢٠

٤ يناير	المقتطف أستاذ المجلات العربية وأغزرها مادة وفائدة أطال الله في حياته النافعة وأمده بعونه وبركاته
٥ يناير	طالعت المقتطف ولا يعجبني شيء مثل كلام الدكتور صروف فانه نابغة زمانه
٢١ يناير	قصدت الدكتور صروف فقدمت له صورة التوأمين والمقالة عنها فقال ان خطك لا بأس به وأما القلم الرصاص شحيح لا يظهر حبره وقرأنا المقالة ولما أتى الى النهاية قال خذ هذا القلم إذا كان لا يوجد عندك غيره أحسن من هذا الذي كتبت به هذه الرسالة وضحك فشكرته وسلمها الى المنضد وأبقيت الرسم عنده وقابلني الدكتور صدقي فقص عليَّ خبر امرأة تكشف المخبوء وأصبح معتقداً بها بعدأن زارها مرتين تأكد فيهما صدق دعوتها فقلت له لا أسلم ولا أعتقد اعتقادك وسوف أدعو الدكتور صروف الى امتحانها فقبل وعرضت اقتراحي على الدكتور صروف فقال أحضره الى الادارة يوم الجمعة وسوف اتفق مع الدكتور صدقي
٣٠ يناير	قرأت وافتكرت بالكتابة في موضوع الوقاية أفضل من المعالجة وسوف أعرض الفكرة هذه على الدكتور صروف في أول مقابلة تصدف لي ولا ريب انه يفيدني اختباره ورأيه مفضل على رأي آخر

٢ فبراير — أخذت المقتطف الامير وورد لي فيه رسالة واعتراض والاستاذ صروف عالم فيلسوف

١٥ مارس — قصدت الدكتور صروف وقابلته في الادارة وكان نجيب افندي شاهين حاضر وعرضت على الدكتور صروف العمل معنا فى الاتحاد فقال لا أشتغل إلا إذا كان هناك بارقة أمل في النجاح ووعدني بالجواب القاطع يوم السبت القادم والذي وقفت عليه في هذه المقابلة لهو ثمين جداً . رأيت الدمع يجول في عيني صروف الرجل العالم الاكبر تأسفاً على بلاده ومسقط رأسه يود ويريد ومستعد أن يبذل المال في تحريرها من نير الاجنبي ويريد السفر الى حيث ترنى وترعرع لتمضية الصيف ولا يقدر لان الظروف الحاضرة لا تريد ما يريده فقال ماذا نعمل واليد المقاومة أقوى من يدنا وكرر قوله أعدك أني أدرس المسألة درساً دقيقاً وتتكلم معاً يوم السبت القادم وسوف أكون عنده في ذلك اليوم الذي إذا كان جوابه به بالقبول كان يوماً عظيما

١٨ مارس — لا نخاف إذا قبل الدكتور صروف الرئاسة على حزب الاتحاد اللبناني ولا يبعد أن يصير رئيساً لجمهورية لبنان المقبلة

٢٠ مارس — قصدت الدكتور صروف الرجل الاعظم فترحب بي حسب عادته وتبادر لذهني من وقوع نظري عليه أنه غير مجيب طلبي وفعلا انه صرح بأفكاره واعتذر عن قبول طلبي وخرجت من منزله وعدت بالأسف على عدم قبوله الاشتغال معنا

٢ مايو — أخذت المقتطف حبيبي

١٢ يونيو — قصدت ادارة المقتطف وقابلت الدكتور صروف وعاتبته لتخلفه عن الحضور لجلسة الاتحاد اللبناني فاعتذر وقال انه سها عن باله ولم ينتبه لذلك إلا من المقطم حيث ذكر عن عقدها وقال لا تزيد فالذي حصل فات وذكرت له ما تم وجرى في الجلسة وأخيراً بحثنا في ترجمة

كلمة بتولزم أو التسمم الذي ينشأ عن المقانق والسجق وسائر اللحوم فاستغرب الكلمة واستغرب ما أخبرته عما جاء من الحوادث تحتها فقال ان التسمم لا يحدث من الفاكهة وهذا غريب فقلت له حدث في الولايات المتحدة حوادث عديدة فقال اكتب عنها وفتش وفتش معه نجيب افندي عن الكلمة فلم نعثر لها على ترجمة وتكلمنا في مواضيع أخرى وقرأ لي المقالة التي أرسلتها الى المقتطف فحذف منها بضع كلمات لم تكن على ذوقه واعترض على كلمة تورم وردت فيها وأخيراً وجدها صحيحة وقال ان خلات الرصاص معادن كيف يصح أن يكون محل العلاج القلوي الذي تعنيه وغير ذلك. هو بحاث عالم يتصلب احياناً ولكنه يلين ويرضخ للحقيقة

٢٦ يونيو — قصدت ادارة المقتطف الحادية عشرة ، قابلت الدكتور صروف العالم وتباحثنا في موضوع التسمم بالزيتون وهو لا يزال مستغرباً حدوث الاصابات فدفعت اليه التقرير الثاني أو المقالة الثانية فقال قد نشرت بالمقتطف المقالة الأولى وهذه ننشرها في العدد الذي يلي .

٣ يوليو — قصدت ادارة المقتطف قابلت الدكتور صروف وقرأت له مقالة عن المعالجة الروحية وقال ننشرها في العدد الآتي مع المقالة الثانية عن التسمم بالزيتون وذكرت للدكتور الاتفاق الغريب الذي وقع لعزيزي في حلها مرتين فطلب مني أن ادقق في تاريخ حدوثه وافيده

٥ يوليو — قصدت ادارة المقتطف قابلت الدكتور صروف الرجل المثل الأعلى في الانسانية وعرضت له بعض الامور

٢ اكتوبر — اخذت المقتطف استاذ المجلات

١٣ نوفمبر — زرت الدكتور صروف في مكتبه وسألته رأيه في مجلة صحية فقال ما ملخصه ان الغبرة في معرفة كيفية توزيعها وقال ان النجاح موقوف على ترغيب الناس بالقبول على الاشتراك

سنة ١٩٢١

٣ فبراير	اخذت المقتطف استاذ المجلات واميرها .
٩ ابريل	قصدت الدكتور صروف وقابلته في ادارة المقتطف والرجل عالم فاضل كريم الخلق دمث الطباع
٢ اغسطس	قصدت ادارة المقتطف وقابلت الدكتور صروف العالم المدقق .

سنة ١٩٢٢

٤ فبراير	قصدت الدكتور صروف في ادارة المقتطف فوجدته كفتى في أول عمره مكباً على عمله بنشاط واجتهاد
٥ فبراير	أخذت المقتطف وتلذذت به كعادتي ومحرره له عندي أكبر احترام واجلال

سنة ١٩٢٣

١٢ ابريل	أخذت مقتطف هذا الشهر فاذا هو حافل بالموضوعات الخطيرة .
٣٠ اكتوبر	وصل المقتطف شيخ المجلات ونبراسها
٢٠ نوفمبر	سأكتب الى المقتطف وهو خير مايكتب له

سنة ١٩٢٦

٢٧ مارس	ان الدعوة للاحتفال بيوبيل المقتطف نجحت نجاحاً باهراً في كل مكان فقد نزلت على كل من عرف المقتطف وتأثر به برداً وسلاما وكانها

نزلت على أرض خصبة فقاموا يروجون بالفكرة ويستعدون للاشتراك بالاحتفال والذي لايستطيع الاشتراك قرر أن يحتفل في مكانه احتفالاً رسمياً بيوبيل شيخ المجلات العربيــة . والجالية في البرازيل من بلدة راشيا اهدت نمر وصروف دوانين وفي بيروت وطرابلس وفي كل مكان فيه جماعة ينطقون بالضاد عزموا على اقامة الاحتفال بيوبيل المقتطف في اليوم الذي يحتفل به في مصر

٢٩ ابريل

غداً تقيم مصر حفلة المقتطف في الاوبرا تكريماً لخدماته الجليلة واعترافاً بفضله على العلم واللغة والادب ليس في مصر فحسب وانما في سائر الاقطار الشرقية وغيرها النازل فيها أبناء هــذه اللغة ولمصر ان تفتخر بالمقتطف لانه ترعرع في جوها ونما عوده في حماها وانتشر اريجه في هواها الصافي ولمصر الحق كله بهذا الفخر كما كان لها الحق ان تفتخر بالمعرض الصناعي الزراعي العام التى اقامته في الجزيرة وليس معرض المقتطف باقل اهمية وشأناً من أي معرض غير معرض الجزيرة بل هو أهم المعارض ومعروضاته ارفع قدراً من غيرها من غير منازع

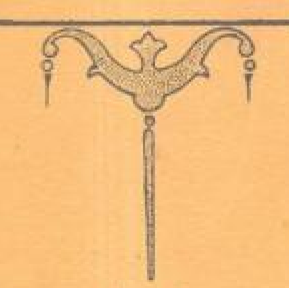
٣٠ ابريل

قصدت الاوبرا وحضرت الاحتفال بعيد المقتطف الخمسيني وشاهدت كما شاهد غيري من الحاضرين حفلة فخمة تكريماً للعلم وهل مصر تبخس حق العلماء ولا تعترف بفضلهم أو هل مصر لا تقدر قدر العلماء حتى لا تحتفل بالمقتطف شيخ المجلات ومن ينكر على هذه المجلة النافعة خدماتها للعلم وللشرق وللغة أنها اشتغلت خمسين عاماً جادة مخلصة في عملها وكم هو جميل من ادب مصر ان يحتفل بمجلة العلم والادب والاخلاق فمصر جديرة بمثل هذا الاحتفال ؟

الدكتور شخاشيري

صورة « وراء الاهرام » للمسيو جون رالف ابتاعتها وزارة المعارف العمومية





مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازوردي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثالث والسبعين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١٣ محرم سنة ١٣٤٧

كلمات للدكتور صروف

مقياس العقول

ما من احد يتعذَّر عليهِ ان يرى الفرق الشاسع بين رجل حكيم حصيف الرأي حسن النظر في العواقب وبين بليد ابله لا يعي شيئاً او غرّ احمق يتقلَّب مع الاهواء كما لا يتعذَّر على احد ان يحكم بان الحجر الكبير اثقل من الصغير اذا كانا من نوع واحد. ولكن النسبة الحقيقية بين الحجرين لا تعلَم الاَّ بالمقياس او بالميزان وكذلك النسبة بين العقول لا تعلم تماماً الاَّ اذا وُجد لها مقياس. وكل معارف الناس لا تبلغ مبلغ العلم الحقيقي ما لم تقس بمقياس حتى تظهر النسبة بينها. والمقياس اساس كل العلوم الطبيعية والكيماوية. واذا اريد ان يجعل ما يعرف من امور الانسان علماً حقيقيًّا فلا بدَّ من استعمال المقياس فيها. ولا يخفى ان امور الانسان الجسدية تقاس بسهولة فيقاس طولهُ وثقله وقوة عضلاتهِ واتساع صدرهِ وطول شعرهِ ولون بشرتهِ ودقة سمعهِ وحدة بصرهِ ونحو ذلك. وقد حاول بعض العلماء استنباط وسيلة او مقياس لقياس قواه العقلية ايضاً فاذا نجحوا في ذلك افادوا نوع الانسان فائدة لا تقدَّر فيبطل تعليم مَن عقلهُ لا يقبل العلم او لا ينتفع بهِ واستخدام مَن لا يصلح للخدمة التي يدعى اليها سواءٌ كانت سياسة مملكة او قيادة جيش او ادارة معمل او نحو ذلك من الاعمال الكبيرة او الصغيرة. ونحن نعتمد الآن على الاختبار في اختيار الاكفاء لهذه الاعمال لكن الاختبار ليس مقياسا دقيقاً بل هو بمثابة الحكم على ثقل الحجر من مجرَّد النظر اليهِ او من روزهِ باليد فانهُ لا يقوم مقام وزنهِ بالميزان وكذلك الاختبار لا يقوم مقام المقياس اذا وُجد

الاشعة الكونية وتكوُّن العناصر

الاستاذ ملكن يثبت ان تكوّن

العناصر المركبة من دقائق الكهربائية او من العناصر البسيطة

جارٍ الآن في الفضاء وهو مصدر الاشعة الكونية

اشرنا في باب الاخبار من مقتطف يونيو الماضي اشارة مقتضبة الى رأي الاستاذ ملكن الجديد في ان الاشعة الكونية التي كشفها انما هي رسائل تأتينا من الفضاء لتنبئنا بان عمل التكوين — اي تكوين العناصر — لا يزال جارياً الآن في السدم اللولبية . وقد اطلعنا على تفصيل الخبر في مجلتي العلم العام والسينتفك اميركان فاقتطفنا منهما ما يلي :

مهما كان النور ساطعاً وسواء كان نور الشمس او نور مصباح فان ورقة رقيقة تحجبهُ. ومنذ عهد غير بعيد (سنة ١٨٩٥) كشف النور المسمى باشعة اكس او اشعة رنتجن وثبت انهُ اقوى نفوذاً من نور الشمس وانهُ ينفذ مواد كثيرة لا ينفذها نور الشمس فنستطيع ان نرى بهِ عظام الانسان لانهُ ينفذ اللحم ولا ينفذ العظام ونرى بهِ ما في صندوق خشبي من نقود الذهب لانهُ ينفذ الخشب ولا ينفذ الذهب . والرصاص اشهر المواد التي لا ينفذها هذا النور فان لوحاً من الرصاص ثخنهُ نحو سنتمتر ونصف سنتمتر يحجبهُ وعليهِ ترى المشتغلين بالراديوم واشعة اكس يلبسون في ايديهم كفوفاً من الرصاص وعلى اجسامهم اغطية من الرصاص ويضعون الراديوم في انابيب مبطنة بالرصاص لان لهذه الاشعة والاشعة التي تصدر من الراديوم فعلاً قويًّا يميت الخلايا الحيّة . وقد مات اكثر من عالم واحد من المشتغلين بالراديوم لحروق اصابتهم من تعرضهم لاشعتهِ

وقد ثبت حديثاً انهُ تصل الى الارض من الفضاء اشعة اشد نفوذاً من اشعة اكس لانها تنفذ لوحاً من الرصاص سمكهُ نحو ١٧ قدماً . اي انها تفوق اشعة اكس نحو ٤٠٠ ضعف في قوة نفوذها . واشترك في اكتشاف هذه الاشعة الاستاذان غوكل وهس السويسريان والاستاذ كولهرستر الالماني والاستاذ ملكن الاميركي ومساعدوهُ . الا

انها نسبت الى الاخير وتعرف باسمهِ كما تعرف اشعة اكس باسم رنتجن لانهُ اثبت وجود هذه الاشعة وقوة نفوذها وان مصدرها من الفضاء خارج جو الارض بل خارج المجرَّة بسلسلة من التجارب العلمية البديعة لخصناها من رسالة لهُ في مقتطف مارس الماضي صفحة ٣١٦ فما هو سرّ هذه الاشعة ؟

انها رسل تأتينا من الفضاء تنبئنا انَّ عمل التكوين جارٍ الآن في السدم التي تصدر منها . هذا قول القاهُ الدكتور ملكن على جماعة من اكبر علماء اميركا اعضاء اكادميتها العلمية . والاستاذ ملكن من اشهر علماء الطبيعة المعاصرين ولد سنة ١٨٦٨ في بلدة مورسيون بولاية الينوي وابوهُ قسيس فيها وتلقى العلم في كلية اوبرلن ثم نال رتبة دكتور في الفلسفة من جامعة كولومبيا حيث اتصل بالاستاذ ميخائيل بيوبن (راجع ترجمتهُ في مقتطف مارس الماضي ص ٢٩٣) فاشار عليهِ ان يذهب الى جامعات المانيا للتوسع في موضوع العلم الذي انقطع لهُ فانتظم في جامعتي برلين وغوتنجن ولما عاد الى اميركا درّس في كلية اوبرلن اولاً ثم صار استاذاً للطبيعيات في جامعة شيكاغو ثم عيّن اخيراً مديراً للمعمل العلمي في معهد كاليفورنيا الصناعي . ومن اشهر اعمالهِ اشتغالهُ باستفراد الكهرب وقياسهِ فنال على ذلك جائزة نوبل للطبيعيات سنة ١٩٢٣ واصيب بهزة كهربائية كادت تقضي عليهِ

هذا الرجل العالم لا يلقي الكلام على عواهنهِ بل يقيس كل كلمة بمقياس من الدقة كما قاس الكهرب وهو اصغر ذرة من الكهربائية كشف عنها العلم الحديث حتى الآن

قال الاستاذ ملكن ما خلاصتهُ : ان عمل التكوين جارٍ الآن ولا اريد بالتكوين تكوين العوالم ولا تولد الاحياء التي تقطنها بل اريد تكوين الذرات الدقيقة التي تبنى منها المواد سواءٌ كانت جامدة او تحركها نسمة الحياة . فان درسي للاشعة الكونية اثبت لي ان وراء النجوم اماكن تتكون فيهِ اربعة عناصر من جواهر الهدروجين والهليوم وان هذه العناصر هي الاكسجين الغاز اللازم للحياة والمغنزيوم المعدن الذي يحترق بنور لامع فتصوَّر بنورهِ الصور الفوتغرافية في الظلام والسلكون الذي يدخل في تركيب الرمل والزجاج وغيرها والحديد . والمرجح ان الاشعة الكونية التي تصلنا هي قوة تنطلق من السدم اللولبية خارج المجرة نتيجة لاتحاد جواهر الهدروجين والهليوم لتكوين العناصر المذكورة من اتحادها

كان الاستاذ ملكن ومساعدهُ الدكتور كمرون يشتغلان ذات ليلة بمراجعة ما دوناهُ عن هذه الاشعة القوية بعد تجاربهما الجديدة وهما يعجبان لقوتها وشدة نفوذها واذا خطر للدكتور ملكن خاطر فجائي مؤداهُ ان فعلاً طبيعيًّا واحداً يستطيع ان يطلق اشعة هذه قوتها. وهذا الفعل هو تحول عنصر الهدروجين او عنصر الهليوم الى عناصر اثقل وزناً واعقد تركيباً في بناء جواهرها كالسلكون والحديد

وكان اينشتين قد استنبط طريقة رياضية دقيقة لحساب القوة التي تصدر من عمل كهذا فاخذ العالمان يشتغلان ليحسبا مقدار القوة التي تصدر من تحوُّل جواهر الهدروجين او جواهر الهليوم الى جواهر الاكسجين او السلكون او الحديد فوصلا الى نتيجة مطابقة لما توقعاهُ لان قوة الاشعاع الذي ينتظر صدورهُ حين حدوث فعل طبيعي من هذا القبيل يعادل قوة الاشعة الكونية التي كشفها ملكن وعين قوتها تعييناً دقيقاً

ولكن لماذا يصدر اشعاع قوي حين تتحول جواهر الهدروجين الى هليوم، او جواهر الهليوم الى اكسجين ؟

ان جوهر الهليوم يفوق جوهر الهدروجين اربعة اضعاف وزناً ولكن وزن جوهر واحد من الهدروجين ليس ربع وزن جوهر واحد من الهليوم بل اكثر من ربع قليلاً [1] فاذا اتحدت اربعة جواهر من الهدروجين زاد مقدار قليل من الهدروجين فماذا يحدث لهذا المقدار القليل؟ يتحول قوة تنطلق اشعة صغيرة الامواج شديدة النفوذ وبعض هذه الاشعة التي تصل الارض هي الاشعة الكونية التي كشفناها

يحدث ذلك في السدم اللولبية خارج المجرة ولكن ليس ما يمنع حدوثهُ في الارض فالثابت ان غاز الهليوم يوجد في الكهوف التي يوجد فيها الغاز الطبيعي (الخلقي) والمحتمل ان يكون الغاز الخلقي قد تكوَّن من غاز الهليوم على هذا النمط

ولا يعرف العلماء قوة من القوى التي اخضعت لمطالب العلم تستطيع ان تحدث فعلاً كهذا ولكن قد يأتي يوم يستطيع الاطباء ان يستخدموها في معالجة الامراض . وقد يكون لها اثرٌ عام في جميع الاحياء

(١) وزن الهدروجين الجوهري ١٠٠٠٧٧٨ ووزن الهليوم الجوهري ٤٠٠٠٠٥٤ وهو اقل من اربعة اضعاف وزن الهدروجين مع ان اربعة جواهر من الهدروجين تتحد لتوليد جوهر من الهليوم فالفرق بين اربعة اضعاف وزن الاول ووزن الثاني يتحول قوة تنطلق في الفضاء اشعة

القويُّ يأكل الضعيف

أمثلة غريبة من عالم الحيوان

اظهرما في هذا الكون من الآيات بين الاحياء آية سُطّرت في اديم الارض ورحاب الفضاء — وهي ان القويَّ يأكل الضعيف . وعلى هذه الآية بنى علماء البيولوجيا والطبيعة اقوالهم وشروحهم في تفسير قواعد الحياة ومنها اشتقوا قولهم «الانتخاب الطبيعي وتنازع البقاء وبقاء الاصلح » اي ان القويَّ يبيد الضعيف ويرث الارض بعده ُ إما بالاعتداء عليهِ مباشرة كما تفعل الضواري من الحيوان وكما كان الانسان يفعل في عهد همجيتهِ وإما بالاعتداء عليهِ بواسطة وتلك الواسطة هي الطبيعة بما فيها من حرّ وبرد وجوع وعري ومرض. فان هذه العوامل كلها تساعد القوي على الضعيف او تقرض الضعيف من امام القوي فالصحيح والغني اصلح للبقاء وابعد عن الفناء من السقيم والفقير

وتاريخ الانسان من بدء ظهوره ِ على هذه الارض الى عهدنا الحاضر شاهد على ان هذا المبدأ لم يتغير بتغير احوال الناس في معايشهم وارتقائهم من حال البداوة والهمجية الى حال الحضارة والمدنية . فقدكانت طوائف البشر فيما مضى كطوائف الحيوان في كل زمان ومكان — يبتلع القوي الضعيف ويهضم حقوقهُ

والحيوان يعتدي بعضهُ على بعض ويفترس بعضهُ بعضاً بطرق شتى واساليب مختلفة. فمن السمك نوع يسمى الرامي تشبيهاً لهُ برامي السهم عن القوس او البصّاق وانما سمي كذلك لانهُ اذا رأى حشرة على نبتة نبتت قرب الشاطىء دنا منها الى اقرب ما يمكنهُ ثم ملأ فمهُ ماء وقذف بهِ على الحشرة فتسقط في الماء فيلتهمها . وهو يصيب غرضهُ وقلما يخطئهُ ويكثر وجودهُ في انهار جزائر الهند الشرقية واهل جاوى وما جاورها يصيدونهُ من الانهار ويحفظونهُ في بركهم للعب والتسلية وذلك انهم يلتقطون لهُ الذباب ويدنونهُ منهُ فيقذف عليهِ الماء من فيهِ حتى يقع في البركة فيلتقمهُ

ومن الحيوان ما يصطاد فريستهُ بكمونهِ لها حيث يَرى ولا يُرى لعلمهِ بالسليقة ان منها ما هو شديد الحذر والتوقي على نفسهِ كالتمساح فانهُ يتربص لفريستهِ في الماء او بين الاعشاب اياماً لا يبدي حراكاً كانهُ ميت حتى تمرّ من امامهِ فينقضُّ عليها كالبرق الخاطف . ومن الافاعي نوع يتعلق بالاشجار من ذنبهِ متدلياً ويبقى كذلك

لا يتحرك حتى يعسر التمييز بينهُ وبين الغصون التي حولهُ . فاذا مرَّت فريستهُ تحت الشجرة التي بنفسهِ عليها . وهكذا يفعل بعض انواع العلق في حراج افريقية فانهُ يعلق بغصون الاشجار حتى اذا مرَّ انسان او دابة تحتهُ سقط عليهما ليمتص دمهما

ومنها النسر ملك الكواسر . وصف بعضهم صيد بعض انواعهِ لفريستهِ نثراً يمثل ما وصف المتنبي الاسد ملك الوحوش شعراً من قصيدتهِ في بدر بن عمار فقال : يحلق ملك الكواسر في الجوّ ثم ينقض فجأة على شجرة بجانب نهر يرصد فريستهُ منها بعين تقدح شرراً وتتبين الاشباح بجلاء ولو كانت على حدود الافق واذن تكاد تسمع دبيب النمل في قراهُ . وتراهُ آونة بعد اخرى ينظر الى اسفل خشية ان لا يطرق مسمعهُ وئيد الظبية وخشفها . وتجثم انثاهُ على شجرة في الضفة المقابلة وتصيح فيهِ حيناً بعد حين كانها توصيهِ بالصبر وتحثهُ على السهر فينشر جناحيهِ ثم يطويهما وينحني الى الامام ويردُّ عليها بصراخ كانهُ قهقهة الضاحك او عربدة الشارب الثمل ويعود فيستوي في مجثمهِ كالملك على عرشهِ . فتمرُّ من تحتهِ اسراب البط تباعاً سراعاً ترد الماء فلا يرمقها بنظرة كبراً وترفعاً

وفيما هو على تلك الحال يطرق اذنهُ واذن انثاهُ صوت اوزة عن بعد فتصيح الانثى صيحة شديدة وتأخذهُ هزة فينتفض كأن قد بللهُ القطر ويتحفز للانقضاض على فريستهِ حتى اذا مرَّت امامهُ جمع نفسهُ في زورهِ وانبعث من مكمنهِ انبعاث السهم عن قوسهِ او الشهاب الثاقب من فلكهِ وهو يصعق صعقات قوية تصيب اذن الاوزة فتقع عليها وقع الصاعقة وتحاول الفرار منهُ ولكن اين المفرُّ وسلطان الطير هو الطالب . فتحاول القاء نفسها في الماء فيمنعها من ذلك بان ينازلها من اسفل فيضطرها الى البقاء طائرة حتى تقع غنيمة بين براثنهِ

ومن السمك نوع يصيد فرائسهُ بالحيلة فان لهُ شبه عرف معلقاً بانفهِ فيدفن نفسهُ في الوحل ويبقي العرف فوق الماء فاذا رأت صغار السمك العرف اجتمعت حولهُ ظناً ان هناك غنيمة باردة فيفتح فاهُ بغتة فتنحدر الى جوفهِ وهو لم يحرّك لصيدها ساكناً

ومن الحشرات ما يحفر في الارض حفرة مستديرة جوانبها من التراب والرمل الناعم فاذا مرَّت حشرة اخرى بها هوت الى اسفل فاصطيدت

والعناكب تقتنص صيدها بشباك تحوكها فمنها ما يقف لفريستهِ بالمرصاد وسط شبكتهِ ومنها ما يختبيء قرب الشبكة في ثقب من الحائط فاذا وقعت الفريسة في الشبكة المنصوبة

جعلت العنكبوتة تغزل الخيوط وتلفها حولها لتمنعها من الهرب . ومن هذه العناكب عنكبوتة في مدغسكر حيّرت علماء الحيوان مدة طويلة فان في وسط الشبكة التي تحوكها خيطاً غليظاً لم يهتدوا الى فائدته مع طول المراقبة ولم يروها تستخدمهُ لغرض من الاغراض . والغريب انهُ اذا ازيل اسرعت فغزلت خيطاً آخر غيره . واتفق انهُ بينما كان احد العلماء يراقب عنكبوتة من هذه العناكب رأى جندباً كبيراً قد وثب الى وسط الشبكة وما كاد يفعل حتى وثبت العنكبوتة خلفهُ باسرع من لمح البصر وشدّت وثاقهُ بالخيط الكبير لان الخيوط الصغيرة لا تكفي لذلك

ومن الحيوانات حيوان يسمَّى آكل النمل وطريقة صيدهِ لها هي انهُ يبسط لسانهُ الطويل على الارض وكل نملة تمرُّ عليهِ تلصق بهِ لوجود مادة لزجة عليهِ فاذا اجتمع منها لقمة سائغة ازدردها هنيئاً مريئاً . وكثيراً ما يغرز لسانهُ في قرية للنمل ثم يخرجهُ منها محملاً صيداً . ومنها ما يصطاد جماعات كالكلاب البرية والذئاب والثعالب . روى بعضهم ان الكلاب البرية تجري خلف فريستها وهي تسابق الرياح وتستحثُّ بعضها بعضاً بالنباح حتى تخور قوة الفريسة رعباً وتعباً . واذا طاردت حيواناً لم ينقذهُ منها جريهُ ولا خفة حركتهِ ولا قوة عضلهِ ولا شدة بطشهِ. فالغزال والنمر والذئب والاسد عندها شرعٌ . تتبع الفهد الهندي عن كثب وتهجم عليهِ فيثخن فيها جرحاً وقتلاً فلا يثنيها ذلك عنهُ بل لا تزال بهِ حتى تنال مأربها منهُ

ومثل الكلاب البرية الذئاب فان شراستها مشهورة ولاسيما اذا دهمها الجوع. ففي الحرب تسير في اثر الجيوش فتستفرد المتخلفين من الجنود وتلتهم القتلى . او تهاجم المسافرين زرافات او تجتمع زوجين زوجين وتأخذ صيدها بالحيلة . فاذا عثر الزوجان منها بقطيع من الماشية حسبا للكلب الذي يحرس القطيع كلَّ حساب علماً منها بشدة سهرهِ وقوة دفاعهِ ودقة شمّهِ فيحاولان خداعهُ بالطريقة الآتية وهي انهما يدنوان من القطيع مسترقين الخطى ثم يظهر احدهما امام الكلب ويختبئ الآخر منهُ فيهجم الكلب على الذئب الذي يراهُ فيهرب هذا امامهُ والكلب في اثرهِ فيغتنم الذئب الآخر الفرصة ويهجم على القطيع فيخطف منهُ شاة ويفرُّ الى حيث يقتسمها هو وشريكهُ

وزبدة القول ان هذا الكون اشبه بميدان يصول فيهِ الاحياء ويجولون ويتجالدون ويتطاعنون ويتسابقون تسابق خيل الطراد فلا يسبق الاَّ الجواد ولا يسلم الاَّ البطل او شديد الحيلة كثير الدهاء

آراء في الادب والعمران

للمرحوم الدكتور صروف

وذكريات شخصية من قلم الامير شكيب ارسلان

ليس المرحوم الدكتور يعقوب صرُّوف بمحتاج الى تأبين احد لهُ بنظم او نثر ولا إلى ترجمة احد لحياتهِ في كتاب او مجلة او جريدة سيارة . وكيف يحتاج الى تأبين أو إلى ترجمة من مئات اجزاء من المقتطف الحافل بأعظم الفوائد واوسع المعارف منذ خمسين سنة تؤبنهُ وتنشر مآثرهُ . حتى لو قيل إن الدكتور صرُّوف عنوان للرقي العلمي في الشرق او انهُ هو بنفسه حقيقة كلية من جملة الحقائق التي يعنى الناس بالاطلاع عليها لترقية عقولهم لكان بذلك جديراً . وماذا عسى ان يقول الكاتب في مَن قال مدة نصف قرن بدون انقطاع — قال وابدع في المقال وكتب وصدق الرواية وحرر ونصح في التحرير وعلم وعمل بما علم ورقي أعلى مراقي الاطلاع التي امكنت مفكراً في هذا العصر وهو لا يرى نفسهُ شيئاً وكلما ازداد علماً ازداد تواضعاً وكما عجب الناس من سعة علمهِ عجب هو من كونهم يرونهُ عالماً . وهـذا هو شأن العالم المحقق والفيلسوف الكامل الذي لا يزيدهُ تبطن اسرار الكون والتوغل في عالم الحقائق الاَّ معرفة بعجز الإنسان وبانهُ لم يؤتَ من العلم الاَّ قليلاً . ولقد قرن الدكتور صرُّوف الى هـذا العلم الواسع والنظر النافذ والقلم الساحر خلقاً عظيماً قلما تحلى بهِ احد كأنما كانت فطرتهُ الاصلية جوهراً غالياً صافياً فجاءها صقال العلم المستمر مدة سبعين سنة كاملاً . فاصبحت تلك النفس الزكية درة وهاجة من جميع نواحيها تكاد تأخذ بالابصار . ولعمري ان نعمة العلم لا تتم الاَّ اذا ظهر في النفس فبعد ان يكون العلم نظريات وآراء يتجسم حركات واعمالاً . فتجد العلم الذي في مثل العلامة صروف قد لبس رداء الحياة وعقل بجنان ونطق بلسان واعرب عن ذات نفسهِ ببرهان . ولا عجب ان يكون العلماء الذين على نمط الاستاذ المرحوم ذوي نفوس تجول في آفاق هي أعلى من آفاق سائر الناس لانهم ينظرون إلى الاشياء لا من وراء حجب الاوهام ولا من خلال عوائق العلائق بل من أقرب الطرق وأوضحها وابعدها عن الاهواء. فبينما سائر الخلق لا يرون شبحاً الاَّ من دون ضباب ضلال ولا يتمثلون مادة الاَّ من خلال غواش مختلفة الاشكال يكون نظر هؤلاء العلماء الى الامور سواء كانت مادية او معنوية نظر الذي تجرد عن كل غاشية

وابصر الحق بعين صافية . فلهذا كنت ارى في اخلاق الطيب الذكر يعقوب صرُّوف من السجاحة والسماحة والنزاهة والعلو عن سفساف الامور والتزام معاليها ما لا اجده الاَّ في النادر الاندر من البشر ولاشك انهُ اذاكان اعلى افق من الناس متصلاً باقرب أفق من الملائكة فيكون فقيدنا طيب الذكر في الفوج الاول من الآدميين الفارطين الى ذلك الافق العالي

كنت في الخامسة عشر من العمر عند ما وقع نظري على الدكتور صرُّوف لاول مرة في حياتي وذلك في ادارة احدى جرائد بيروت وكان صاحب تلك الجريدة وهو اليوم في عالم البقاء يسأل الدكتور عن لفظة « ميناء » ومأخذها ومعناها فأخذ الدكتور يفسر لهُ هذه الكلمة ويذكر لهُ اشتقاقها ومواضع استعمالها وتاريخها من الكلام العربي فدهشت مما سمعت وعرفت مع حداثة سني يومئذٍ مزية العالم على الجاهل او المتعالم وقلت في نفسي : انظر الى هذا الرجل كيف سرد عن لفظة واحدة بسيطة جوابها يقع في كلمة واحدة عبارةً طويلة لا تجد فيها مع طولها حشواً ولا حرفاً زائداً ولا ناقصاً . إن مثل هذا العالم لهو الذي ينبغي ان تشد اليهِ الرحال . وزاد إعجابي بما سمعت من العلم وما شهدت من اللطف والتواضع وانكار الذات وعدم الصنعة في كيفية الالقاء الذي سمعته

ولم تساعدني الاقدار ان اشاهد الفقيد بعد ذلك الاَّ سنة ١٨٩٠ حينما قدمت الى مصر اول مرة وكنت في سن العشرين فدعاني اصحاب المقتطف الى الغداء عندهم وتذاكرنا في مواضيع كثيرة ولا يزال لتلك الزيارة اثرٌ منطبع في اعماق نفسي . ثم اتيحت لي مجالسة الفقيد مرة اخرى وكنت من قبل ذلك اكتب بعض المقالات الى المقتطف وكان المرحوم يستحث همتي في مواصلة الكتابة العلمية وقال لي مرة من ذاق لذة العلم يجد الكتابة في السياسة إسفافاً لا تطيب به نفسهُ . ولكنهُ كان كسائر العقلاء يرى انهُ لا بد من بعض الامور في هذه الحياة ولو أتاها الانسان مكرهاً

وكانت المكاتبة قلما تنقطع بيني وبين الاستاذ وانا في بعض الاحايين أراسل المقتطف ولي فيهِ مقالات وجمل كان تواضع المرحوم يحملهُ لا على نشرها فحسب بل استزادتي من امثالها . وكانت المحبة بيننا بلغت من المخالصة انهُ كان يستشيرني في امور تتعلق بمنهج المقتطف والمواضيع التي ينبغي ان يتوخاها ومرة ارادني على أن اكتب بصورة مستمرة وان اجد للمقتطف مراسلين يصح الاعتماد على علمهم وبلاغتهم فجاوبتهُ بأني افضل ان اكون في الكتابة حرًّا غير مقيد بزمن ولا عدد وان لا اتقاضى على ذلك

شيئاً ولكنني استجدت لهُ اقلام فضلاء مشهورين راسلوا المقتطف بعد ذلك سنين طوالاً وكان منهم الاستاذ الشرتوني طيب الله ثراهُ والاستاذ كردعلي رئيس المجمع العلمي العربي الذي كنت انا الواسطة في مراسلتهِ المقتطف وكانت هذه المجلة من منابر رقيهِ ومظاهر نبوغهِ . ومن هؤلاء المرحوم محمد ابو عز الدين رئيس محكمة استئناف الجزاء في لبنان الذي لولا منصبهُ القضائي لامتع قراء المقتطف باكثر جدًّا مما اتيح لهُ

ولما جئت مصر للمرة الثانية وذهبت منها الى طرابلس الغرب وذلك منذ سبع عشرة سنة اسعدني الحظ ايضاً بملاقاة الفقيد رحمهُ الله . وهذه آخر مرة تلاقينا بها لان الشواغل حالت دون كثرة الاجتماع وكنا من اهل بلاد لا تزال من حرب الى حرب فكانت السياسة الممقوتة تحول بيننا وبين من نهوى لقاءهم من جلة العلماء الذين الساعة من عشرتهم تزن الايام الطوال من عشرة سواهم . ثم جاءت الحرب العامة فانقطعت المواصلات كلها وبقينا لا يعلم الواحد عن الآخر شيئاً إلاَّ من افواه القادمين حتى اصيب المرحوم بفقد احد اخوتهِ فارسلت اليهِ بكتاب تعزية وجاوبني عليهِ واستؤنفت بعد ذلك المراسلة بيني وبينهُ عوداً على بدء . واني انقل الى القراء بعض اسطر من جوابه لان روحهُ الطاهرة تتجلى في جميع كتاباتهِ وكلام المرء مرآة كماله قال:

«تناولت صباح امس كتاب التعزية الذي تكرمتم علي به فزادني اعجاباً بفضلكم وافتخاراً بصداقتكم وايقاناً بحبكم ولقد اراني موت اخي ما لا استحقه من كثرة الاصدقاء والمحبين على تقصيري مع الجميع كما انه انذرني بقرب الاجل وانا شديد الشوق اليه لعلي ادرك شيئاً من الكثير الذي اجهله»

فلينظر القارىء ما بلغ من هذا الرجل حب العلم حتى اصبح يتوقع الموت بلذة المنتظر من وراء هذه الحياة حياة اخرى أوسع علماً واصح حكماً

ثم انه يقول : « من غريب الاتفاق اني قرأت ما كتبتموه في مجلة المجمع عن كتاب «مي» في المساواة قبيل وصول كتاب التعزية بساعات قليلة . والمساواة مقالات نشرت اولا تباعاً في المقتطف ثم جمعت وطبعت كتاباً على حدة فراقني جداً وصفكم له وارجح انها لم تترجم شيئاً ترجمة لانها تتكلم معي في كل المواضيع الادبية والفلسفية كما تكتب فانها قوية الذاكرة الى حد يفوق التصور وقد قرأت كثيراً من الكتب في اللغات التي تحسنها الفرنسوية والانكليزية والايطالية حتى لقد تستشهد في كلامها معي بابيات من شكسبير أو بيرون كما تستشهد بالمتنبي والمعري وحفظت ايضاً كثيراً من قصائد شوقي والمطران وحافظ واظنها تصوغ معانيها في ذهنها بالفرنسوية او الانكليزية قبلما تعبر عنها بالفاظها العربية والظاهر ان الذي طبع الكتاب من مقالات المقتطف غير فيها بعض الالفاظ فصرها ولقد اصبتم واحسنتم بوصفكم للكتاب وكاتبته وانصفتموها »

ولما ترجمت كتاب « أناطول فرنس في مباذله » أحببت ان اطلع عليهِ المرحوم

الاستاذ وأعرض عليه نشره في المقتطف اذا شاء . فاستحسن الفكرة أولاً واشار إليَّ بارسال الكتاب حتى ينشرهُ في عدة أعداد من المقتطف ثم يجمعهُ كتاباً على حدة . وكنت قد رأيت فيما نقلهُ « جان جاك بروسون » عن اناطول فرانس كثيراً من الرفث والمجون مما حذفت منهُ شيئاً ولطفت شيئاً ولذت في اشياء منهُ بالمعاريض وظننت ذلك كافياً في تجريد الكتاب مما ينبو عنهُ نظر الادب وتحمر لهُ وجنة الخفر . واذا بالاستاذ يقول لي :

« الى ان اطلعت على ما بعثتم به الي من « المباذل » كنت احسب الرجل شيخاً جليلاً كبعض الذين عرفتهم في حياتي كفانديك والبستاني واليازجي (يريد استاذه الدكتور فان ديك الشهير والمعلم بطرس البستاني والشيخ ناصيف اليازجي) لكن المباذل صورته لي كاحمد فارس الشدياق كما عرفته في « الساق على الساق » ثم رأيته بعد ذلك في مصر . ولا أرى ان كاتب سر أناطول فرانس أحسن في بعض ما نشره عن استاذه وقد أوصينا ان نذكر حسنات موتانا . فهل من حسن الذوق في هذا العصر ما كتبه عن (الهيجان والغلمة) وما رواه عن (الصبابات الاولى) و (المتانة والعجز) . لو كنا في عصر صاحب الاغاني لالتمسنا له عذراً بآداب العصر

«أما عصرنا هذا لاسيما بين المصريين والسوريين من قراء المقتطف فأتناول من يقول انه لا محل فيه لهذا التبذل والمجون ولو كان لي معرفة بالسكرتير لكتبت اليه الومه على ذكر عجر أستاذه وبجره . قد يتغير العصر ويتغير نظر الناس في هذه الامور ويصيرون ينظرون الى تحريمها كما ننظر الى تحريم قطاع الطريق من اليونان وأكل الجبن في الصوم الكبير ولكن لا بد للمرء من ان يلبس لكل حالة لبوسها . ولولا اعتقادي أن رأيكم في هذه الامور مثل رأيي وانكم كنتم تتململون كلما وصلتم الى بجرة من هذه البجر وتودون أن لا يكون الرجل كذلك أو ان لا تذكر عنه تلك الهنة لما صارحتكم برأيي . وعليه فانا معيد اليكم الكراس مع هذا البريد راجياً قبول عذري ومسامحتي ان كنت ذكرت شيئاً يشف عن ظهوري فيه مظهر المعلم لمن أعده في المنزلة العليا بين المتأدبين بأدب النفس وأطال الله بقاءكم »

فوالله لقد قرأت هذا الكتاب والعرق ينحدر على وجهي من شدة ما خجلت من رجل كنت اوفر لهُ من الحرمة مالا اوفرهُ لغيره . ولم البث ان كتبت اليه بانهُ قد كان في الكتاب من الطامات الكبرى في هذا الموضوع مالا يلبس عليه رداء كما يقال ولقد حذفت منها ما ظننتهُ كافياً ولكنني خشيت اذا استقصيت الحذف من غضب هؤلاء الشبان الذين يسمون أنفسهم « بالمجددين » والذين قد يسخطون عليَّ ويرمونني بقوارص أنا في غنى عنها . على ان ملاحظتك كلها هي في محلها وما كان ينبغي لمثلي ان يتساهل من هذه العُجَر والبجر في شيء . ثم أردت ان امازحهُ فقلت «وأما ما قلتهُ عن تأدبي بأدب النفس فلقد كان ذلك ولكن فيما يظهر إقامتنا بأوربة منذ نحو عشر

سنوات قد زعزعت أركان هذا التأدب حتى صرنا نترجم مثل هذه الروايات »

ثم أعدت النظر على الكتاب فحذفت منهُ كل ما لحظت أنهُ يقع من خاطر الاستاذ صروف وأمثاله الكملاء موقعاً غير مقبول . ووقست من أجل ذلك كما حسبت في السنة أولئك الشبان الذين نشروا في تخطئتي من جراء هذا الامر اكثر من مقالة . حتى قيل لي إن بعضهم عمد الى المواضع التي طويتها وأراد ان يترجها ويسد بها بزعمه ذلك الخلل الذي ادخلتهُ أنا على الكتاب . ولكنهُ كان يهمني أن يرضى صروف ولا ينتقدني ولو انتقدني بعد ذلك مئات والوف. قيل إن السيد الجرجاني تناظر مع السعد التفتازاني بمجلس غاص وكان السيد شاباً حديث العهد وكان السعد شيخ العلماء في وقته فانتهى المجلس بأن السعد أقر للسيد وان السيد فلج على السعد امام ذلك الجمهور. فساء ذلك تلاميذ السعد ولما انصرف الناس قالوا لاستاذهم : ما كان ينبغي لك ان تسلم لرجل هو في سن أحد تلاميذك. فاجابهم وماذا اصنع اذا كان معهُ الحق . فقالوا لهُ : قدكان يمكنك ان تقول لهُ كيت وكيت في الجواب. فقال لهم. ولكنهُ يكون مماحكة ولا يكون من العلم في شيء . فقالوا لهُ : لكن الناس قد علموا الآن ان السيد أعلم منك . فقال لهم : أحب إليَّ ان يعلمني الناس جاهلاً وان يعلمني السيد وحده عالماً. فانا كنت أوثر ان يكون الاستاذ صروف راضياً ولو تعرضت لسخط جمهور لا من الشباب فحسب بل من الكهول ايضاً

ولقد ترجم احد البلغاء من اصحابي تأليفاً فانتقدهُ المقتطف في عبارات معلومة . فلم يمضِ على ذلك ايام حتى قرأت في احدى الجرائد جملة شديدة في الرد على المقتطف تحت امضاء مبهم فعلمت انهُ قد يكون الرد من قلم مترجم ذلك الكتاب او احد اصحابهِ فاسرعت بالكتابة الى صديقي هذا أعذلهُ على هذا الرد إن كان بقلمهِ او بعلمهِ ولم اكتفِ بذلك حتى نشرت في (كوكب الشرق) جملة أُبين فيها فضل المقتطف واصحابهِ ورأيي الخاص في العلامة الدكتور صروف. وبعد ايام جاءني الكتاب الذي يلي بعد الترجمة ...

«وقال لي بعضهم الآن ان في كوكب الشرق كلمة من الامير عني وأتاني بالكوكب فاذا انا بتاج وصولجان وطيلسان . والصانع والمفضل والمتفضل محب كريم لا يرى الا الحسنات ويعظمها الحب في عينيه ولست اجد كلاماً يفي بشكركم» ولما كان في الرد الذي تناول صاحبه به الدكتور صروف اشارة الى كونه نصير الزويمر . وهو خبر ناشيء عن وهم ككثير من الاخبار التي تعلق بالاذهان ولا صحة لها فقد اوضحت في دفاعي عن الدكتور الخطأ الواقع في هذا الظن . وقد اضحك الدكتور ما قيل عنه فكتب في جملة ما ذكره : « اما زويمر فهو يعدني كبر خصم له ومرادي ان اطلعه على ما كتبتم لاقوي حجتي عليه »

لم يذكر لي في هذا الكتاب وهو مؤرخ في ٣١ يوليو سنة ١٩٢٥ انهُ صدر مقتطف أغسطس وقد كتب فيهِ عن رواية آخر بني سراج وقال لي هكذا :

« وطلبت منكم ان تعدلوا عما قلتموه في الصفحة ٣٦٦ فان اوروبة سائرة مختارة او غير مختارة الى ابتلاع مرافق الشرق ومتى زالت مرافقه من يد ابنائه أمسوا عبيداً فصيره الى الخراب ان لم يتفق رجاله ويغضوا عن كثير مما يفرق بينهم ولاسيما النعرة الدينية ويؤوبوا الى القول المأثور « الدين عند الله المعاملة » . وعسى ان تتمكنوا من هبوط مصر في الشتاء القادم فنواصل البحث في موضوع لا تسعه الاوراق واكرر الشكر الجزيل للامير الكريم »

فكنت في الحقيقة اعلل النفس بآمال لقاء هذا الصديق الكبير طاهر القلب وكبير العقل وواسع العلم. وطالما تخيلت ويا للاسف المجالس اللطيفة التي كنت سأحظى بها منهُ ولكن الاجل قضى على هذا الامل وكم من حسرة تنزل مع الانسان في التراب . ولما جاءني نعي المرحوم كان اول ما انطلق لساني بهِ قول اليازجي الكبير

قد كنت انتظر البشرى برؤيتهِ فجاءني غير ما قد كنت انتظر

ولبثت اكرر هذا البيت ولا ازال اكررهُ كأنهُ يشفي بعض ما في صدري. ثم لينظر الانسان الى ما كان عليهِ هذا الفقيد من حب الخير ونقاء الوجدان فقد كنت كتبت لهُ فيما كتبت من الاعتذار عن الرد الذي نشرهُ بعضهم عليهِ بسبب انتقادهِ للكتاب المترجم فقلت لهُ : ان المترجم قد يخسر بانتقاد رجل عظيم مثلهُ ليس خسارة ادبية فقط بل خسارة مالية . فكتب الي في مكتوب آخر بتاريخ ٣١ اغسطس سنة ١٩٢٥ يقول لي:

« وأؤكد لكم أنني لما قرأت قولكم أن المترجم قد يخسر بانتقادي خسارة مالية تحول غيظي منه الى غيظي من نفسي ولا ادري الآن كيف اكفر عما مضى »

ولم يلبث ان نشر في المقتطف قطعة طويلة من الترجمة حتى لا يظن القراء انهُ يغمط فضلها بمجرد انتقاد بعض عبارات . نعم قد كان في حب الخير والبعد عن الشر امة وحده وكنت قد ذكرت لهُ تصرف الدول التي تزعم انها حاميات الحق والعدل فيما نكثت بهِ من مواعيدها للعرب وما اظهرت من الجشع والطمع بسلب حقوقهم واحتلال بلدانها بعد الحرب الكبرى فاجابني اجزل الله ثوابهُ عن ذلك بما يأتي قال :

«اما رجال السياسة الذين اشرتم اليهم فقد رأيت منهم بعد الحرب ما صغرهم في عيني وجعلهم أحقر من ان ادافع عنهم من اكبرهم الى اصغرهم ابقاني الله واياكم داخل سياج العلم واطال الله بقاكم»

ولست أكبر هذه العبارة على صحة وجدان الفقيد ولكنني أذكرها في جملة حسناتهِ الكثيرة

لوزان شكيب ارسلان

نجوى التمثال

انظر تمثال نهضة مصر على الغلاف

أيُّها المفترشُ الصخرةَ يشدّ ذراعيه أقوى الشدّ كأنما يريد أن يقتلع الصخرة فيهما، متناهضاً بصدره ليدلّ على أنه وإن رَبَضَ فان الوثبة في يديه، متمطياً بصلبه ليُشير من جسمه الهادىء الى معانيه المفترسة، مقْعِياً على ذَنَبه ومتحفزاً بسائره كأنه قوة اندفاع تَهُمُّ أن تنفلت من جاذبية الارض

وأنتِ أيتها الهيفاء تمثّل الانسانيةَ المتمدنة في نحافتها وهي كهذه الانسانية ضاربةٌ بذراعي أسدٍ في غِلَظ مِذْفعين .... حكيمةً في النظر كأنما تمدُّ في سرائر الأمم نظرة المتأمل، ولكنَّ يدها كيد الحكمة السياسية على تركيبٍ عقليّ تحتهُ المخالب .... ساكنةً كأنها تمثال السلام، على أنها في جوار الاسد كالسلام بين الشعوب تلمح فيه إنسانَ العالَم ووحشَ العالَم ....

يا أبا الهول

أأنت جوابٌ عن ذلك اللغز القديم الذي هو كلامٌ لا يتكلم وسكوت لا يسكت، والذي أشار برأس الانسان على جسم الليث أنه قوة عمياء كالضرورة ولكنها مُبْصِرَة كالاختيار، والذي أخرج من فنّي الغريزة والعقل فنّاً ثالثاً لا يزال في الارض ينتظر المرأة التي تلد إنساناً عظامهُ من الحجر؟

وأنت يا مصر

أواقفةٌ ثمّتَ للشرح والتفسير تقولين للمصريّ إن أجدادك يسألونك من آلاف السنين بهذا الرمز: ألا معجزةٌ من القوة تمطُّ عضلات الحجر؟ ألا بَسْطَةٌ من العلم تجعلك ايها المصري وكأنك رأسٌ لجسم الطبيعة؟ ألا فنٌّ جديد ترفع به أبا الهول في الجو فتزيده على قوة الوحش وذكاء الانسان — خفةَ الطير؟

أم تقولين للمصريّ إن أجدادك يُوصُونك بهذا الرمز أن تكون كالظهر الأسدي لا يُركَب مَطاه، وكالرأس الانسانيّ لا تقيّدُ حريتهُ، وكالربضة الجبلية لا تسهل إزاحتُها، وكالإبهام المركّب من غامضين متناقضين لا يتيسر به عَبَثُ العابث، وكالصراحة المجتمعة من عنصر واحد لا يغلط في حقيقتها أحد؟

أم تقولين يا مصر: إن تفسير أبي الهول الأول أن النهضة المصرية إنما تكون يوم تخرج البلاد من يصنع أبا الهول الثاني؟

***

تمثالُ النهضة أم صفحة من الحجر قد صوّر الشعبُ فكره عليها ودوّن فيها إحساسه بتاريخه ووصف بها إدراكه حياةَ المعاني السامية؟

أم هو كتابة فصل من التاريخ بقلم الحياة وعلى طريقةٍ من بلاغتها، خشيت عليه الفناء فدوّنته في أسلوب من أساليب البقاء الحجريّ الصلد؟

أم ذاك يومٌ من أيام الأمة أحاله الفن من زمن الى مادة ومن

معنى الى حسٍّ ، ومن خبرٍ الى مَنظَر ، وكانوا يتكلّمون عنه فجمله الفن يتكلم عن نفسه

أم هو تعبيرٌ عن تلك المعاني التي خلقتها نفوس هذا الجيل تخاطب به النفوس الآتية لتتمّ عليها وتضيف فيه الى المعنى سرَّ المعنى وتضع الكلمة الانسانية على لسان الطبيعة تتكلم بالتمثال كما تتكلم بالجبل ؟

أم تركيبٌ سياسيٌّ اذا فسّرته اللغة كان معناه أن الثابت اذا احتاج الى من يثبته .... فلن يمحوهُ من ينكره ، وأن الظاهر إن احتاج الى من يدل عليه .... فلن يخفيَهُ من لا يراه ؟

***

بل أراك لا هول فيك يا أبا الهول الجديد . أفذاكَ من رقّة داخلتكَ ورحمة جاءتك من مسّ يد المرأة .... أم الهولُ اليوم قد أصبح في العقل والعاطفة ومدّ العين النسائية الى بعيد ....

أم لا يتم في هذه المدنية رأسُ رجل وجسمُ سَبُعٍ إلا .... بأنامل امرأة ؟

ألاَ من يعلمني أهذه المرأة منك هي تهذيبٌ للانسان والوحش ام تكملةٌ عليهما

ألا من يأتيني بالحكمة فيك من وضع الرجل القوي رأساً ولا جسم ، والأسد المفترس جسماً ولا رأس ، ثم لا يكمل الا المرأة وحدها

إنما كنت يا أبا الهول لغز الصمت فلما أضيفت المرأة اليك أصبحت لغز النطق .... فيا للهول !

مصطفى صادق الرافعي

حجة الاسلام : الامام الغزالي

عالماً في الاخلاق وفيلسوفاً

١ — الغزالي عالماً في الاخلاق

مصادرنا لهذا المبحث عدا كتابات الغزالي الاصلية وهي مرجعنا الاول ، كتابان : الاول للدكتور زكي مبارك في (الاخلاق عند الغزالي) وهو فريد في بابهِ . والثاني كتاب الدكتور زويمر Zwemer الذي اسماه (مسلم يفتش عن الحق) . ولنا على الكتابين عدة انتقادات ليس هذا مكانها وانما نقول ان الاول تنقصهُ تلك الطريقة العلمية في البحث ، التي تقضي بان يكون للكاتب غاية كبرى يسوق اليها جميع ابحاثهُ الثانوية ، وتحتم عليهِ فوق ذلك نوعاً من الترتيب والتبويب في البحث مهما كان اساسهُ ، وكلا الامرين مما تفقدهُ بتاتاً عند قراءة تلك الكتاب . واما الثاني ففي الاصل الانكليزي علمي مرتب ، لكنهُ مصبوغ بل مشوه بما للمؤلف من غايات تبشيرية لا يجهلها المطلع على كتاباته ، فلما جاءت الترجمة العربية المشوهة بعنوان (الغواص واللآلئ) ملأى بالاغلاط المطبعية وغير المطبعية زادت في الطين بلة

وبين هذين الكاتبين جدال عنيف مثاره علاقة الغزالي بالانجيل . وقد يحسن ان نعرض القارئ خلاصة هذا الخلاف . يتفق الاثنان على ان الغزالي طالع الانجيل وتأثر بتعاليمه . الاّ أن الدكتور زويمر يريد ان يسند هداية الغزالي ورجوعه الى حظيرة الايمان ، الى تأثير الانجيل . بينما الدكتور مبارك ينكر ذلك ويقول « ان الغزالي لم يضل (يريد زهده وتصوفه) الاّ حين تعلق باهداب الآداب السلبية التي دعا اليها الانجيل » . ونحن نعتقد ان في الرأيين مبالغة ، إذ لم يكن الانجيل سوى كتاب واحد من مئات الكتب التي اطلع عليها الغزالي ، ولذلك يستبعد كثيراً ان يكون لها في حياته ذلك الاثر الموهوم ، اللهم الاّ اذا اخبرنا عن ذلك هو بنفسهِ

والغزالي كغيره من مفكري القرون الوسطى في الشرق والغرب ، مصطبغ بروح العصر كل الاصطباغ . ولذلك كان محور تفكيره الحياة السرمدية في الآخرة لا هذه الحياة الدنيا الزائلة . وقد تفشت هذه الروح في بقية مبادئهِ وآرائهِ فاذا أكثر كتاباته متسمة بهذا الاتجاه . فهو يقول « ان الدنيا منزل من منازل السائرين الى الله

تعالى والبدن مركب ، فمن ذهل عن تدبير المنزل والمركب لم يتم سفره»[١] . وما اشاراته الى هذا العالم وكلامه عنهُ كما ترى الا كوسيلة للعالم الآخر . ونتيجة هذا الميل انك ترى الغزالي يهتم بالفضائل الفردية وخصوصاً السلبية التي تنجي منها ، دون ان يعير نصف ذاك الاهتمام بل ولا جزءاً منهُ للفضائل الايجابية التي تعمل على اصلاح المجتمع . والسعيد عندهُ — كما يقول الدكتور مبارك في كتابه المشار اليه — من نجا بدينه ولو خسر دنياه

الغزالي وبسكال

ولسنا نلومهُ على مثل هذا المعتقد فهو الشائع عهدئذٍ بين اكثر المفكرين نذكر منهم ابا العلاء المعري الشاعر الفيلسوف المشهور . وقد اخذ بهِ المفكر النابغة بسكال Pascal الذي عاش زهاء خمسة قرون بعد الغزالي ، إذ انتحى في الفلسفة ميلاً صوفيًّا اقعدهُ في نفس المرتبة التي انتهى اليها الغزالي . وهو مثلهُ قد ابتدأ حياته بقوة قهارة وهمة لا تعرف الكلل او الملل حتى « ارغمهُ الضعف واضطرهُ العجز الى الرضى بالخمول في ظلال التنسك والزهد »

وقد نشر Miguel Asin استاذ اللغة العربية في جامعة مدريد رسالة بالاسبانية سنة ١٩٢٠ عنوانها (المقدمات الاسلامية لرهان بسكال) اماط فيها اللثام عن كثير من الحقائق الكامنة . فبسكال كان قد اشتغل كثيراً في اوائل حياتهُ بالحساب المتفاوت حتى استقر في صميم دماغه كثير من قواعده . ولذلك حين انتابهُ ذلك التغير السريع الذي اشرنا اليهِ ، وتمكنت من نفس هذا النابغة تلك الهيستيريا الدينية الغريبة، اصبح يرجع بتفكيره الى ماكان قد وقر في نفسهِ واستقر في عقله الباطن من مشاكل الصبا وابتدع على الاثر نظرية في التنسك والصد عن الحياة ما فتئت شعار فريق كبير من المفكرين حتى يومنا هذا[٢]

والحوار في هذه النظرية اصبح مشهوراً . فبسكال يقول : يمكن ان لا تكون الآخرة حقيقة واقعة ، ولكن بما اننا نخاطر حالة تحقيقها ، بالوقوع في شقاء ازلي اعني النار الابدية التي يهددنا بها الدين ، وبما ان ملذات الحياة الدنيا التي يأباها الدين علينا محدودة متناهية ، فالعقل يقضي والحكمة ان نقلع عن هذه المسرات الزائلة

(١) راجع كتابه (جواهر القرآن) طبعة مصر ص١٨
(٢) راجع كتاب كارادي‌فو (مفكرو الاسلام) ج ٤ ص ١٧٧

لتخلص من عذاب ابدي لا يزول . بشرط ان لا تكون الارجحية منعدمة بتاتاً

وهذا الحوار عينه اتبعهُ الغزالي في كتابه الاحياء (ج ٤ ص ٤٣) مع الدهريين والاطباء والفلكيين وهم الذين ما زالوا في ريب من نفي الآخرة بتاتاً ، فلا يجزمون بعدم وقوعها . فلهؤلاء يقول انهُ لمجرد مثل هذا الشك الضئيل، يملي العقل السليم عليهم بهجران هذه الحياة والعمل للآخرة والاستعداد لها . وهاك فحوى مثاله : رجل عاقل يقدّم لهُ طعام يشتهيهِ ، لكنهُ يشك (مجرد شك) في كونه مسموماً ، فهل يتناول منهُ لقمة مهما بلغت لذتها ، فيعرّض بنفسه للهلاك ، ام هل يكبح جماح الشهوة الموقتة فينجو من خطر الموت الدائم ؟ ! !

وقد انبرى لنقد هذه النظرية المعروفة برهان بسكال عدد كبير من مفكري العصر، وعلى رأسهم Prudhomme المفكر الافرنسي . وجماع ما تدحض بهِ امران . الاول اتباعك عقيدة او ديناً من الاديان لتردّدك في امر وقوعهِ لا يمكن ان يسمى ايماناً بالمعنى الصحيح . والثاني انهُ ما زالت هنالك عدة اديان كلها تهدّد بالعذاب لمن شك في الآخرة ، ولا يبلغ الوعيد في اي منها درجة العدم ، فالعقل حينئذٍ يقضي باتباع اكثرها وعيداً واشدها عذاباً ! ! !

والمؤمنون في نظر الغزالي ثلاث طبقات : منهم من يجعل كل اتكاله على القرآن والسنة ايماناً وهؤلاء الاكثرية الساحقة من الشعب، ومنهم من يطمح لان يرفع عقيدته من الاستسلام الى درجة البرهان ويقين المعرفة ، والى هؤلاء وجّه الغزالي كتاباتهِ التي حمل فيها على الفلاسفة ، ليكفّوا ويعتبروا ، ومنهم من يسمو على مثل هذه الاعتبارات فيقنع ويؤمن بالقلب والالهام[٣] . والدين في نظامه الاخلاقي ليس مجرد قواعد ومعتقدات ، بل هو في تجاريب الروح واختباراتها الداخلية . ولذلك فالغزالي يطنب في « الاحياء » وفي غير « الاحياء » من مؤلفاته بذكر القلب وهو عنده عُرش العقل ومهد تلك الاختبارات الروحية السامية

طريقته في البحث الاخلاقي

ونضرب هنا مثالاً لطريقة الغزالي في البحث الاخلاقي عن وساوس القلب . وفيهِ دلالة على ميله للترتيب والتوضيح في اكثر ابحاثهِ . فهو يقسم بحثه الى خمسة ابواب . يعالج في الاول تسرّب الوسواس الى القلب اما بالاغراء او بتزيين السلطة . وفي الثاني

(٣) راجع كتاب دي بور (تاريخ الفلسفة في الاسلام) ص ١٥٤

الطرق التي يسلكها الوسواس الى القلب كالشهوة والحسد والترف وفي الثالث مشكلة الوساوس المغتفرة وغير المغتفرة وأهم ما يراعى في ذلك النية . وفي الرابع هل تنقطع الوساوس اوقات الذكر ام لا ، فيقول ان لا فائدة للذكر ولا نفع للتعاويذ بدون الصلاح والتقوى . وفي الخامس امكان تحول القلوب من حالة الى حالة ، باسرع من لمح البصر . وفي كل فصل منها شروح وافاضات لا يسمح لنا المقام بعرضها وانما اتينا بهذا القدر اليسير ليتذوق القارئ الكريم شيئاً من اسلوب الغزالي وامياله

٢ — الغزالي فيلسوفاً

أقرب مؤلفات الغزالي الى الفلسفة كتابه (تهافت الفلاسفة) الذي كتبه ايام كان استاذاً في بغداد ، يقضُّ الشك مضجعهُ . وقد ألّف في تلك الاثناء وقبل ان اعتزل بسوريا كما رأيت ، كتاب (مقاصد الفلاسفة) عرض فيه آراء الفلاسفة كما هي دون ادنى تعرض . ثم تلاه بكتاب آخر لينقض فيه تعاليمهم هو التهافت المذكور . وقد كان بودّه بعد ان عرض وهدم تشييد فلسفته الخاصة في كتاب على حدة ، بيد أن عدل عن هذا القصد (بعد ان طرأ عليه ذلك الانقلاب الروحي الذي وصفناه) الى كتاب ديني فوق كل شيء هو (احياء علوم الدين) . ولا يقتصر «الاحياء» على المباحث الاخلاقية العويصة والموضوعات اللاهوتية الجافة ، ففيه ابحاث طريفة جداً بالنسبة للوقت الذي كتبت فيه ، كالموسيقى واثرها ، والطبيعة البشرية وضعفها ، والراحة وفوائدها وهلمّ جرا

يقول الغزالي في الشك في نهاية كتابه (ميزان الاعمال) : «ولو لم يكن في مجاري هذه الكلمات الاّ ما يشكك في اعتقادك الموروث لتنتدب للطلب ، فناهيك به نفعاً . اذ الشكوك هي الموصلة للحق ، فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال » . وليس هذا مجرد قول او إدعاء إذ فيما عرفناهُ عن حياة الغزالي دليل واضح بان الرجل ابتلى هذا الشك وعمل به قبل ان يدعو اليه

الغزالي وديكارت

وتلك هي طريقة ديكارت بعينها ، فقد ارتاب كما ارتاب الغزالي وبقي في شكه زمناً غير قليل . وكما ارتاب الغزالي لنشوء المرء على دين أبيه ، فقد ارتاب هذا الفيلسوف عند ما رأى التقليد شائعاً بين الناس ، مع اختلاف في العادات والمعتقدات . وغنيّ عن البيان ان الغزالي قد سبق ديكارت في ذلك بنحو ستة قرون . على ان

الفرق مع ذلك بينهما كبير ، فبينما ترى الغزالي يخرج من تيه شكه « بنور الله الذي لا يعرفهُ العلم » على ما يقول الدكتورمبارك ثم تسمعهُ في المنقذ يقول : « ثم لما احسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجأت الى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة لهُ فأجابني الذي (يجيب المضطر اذا دعاهُ) وسهّل على قلبي الاعراض عن الجاه » . ترى ديكارت وقد خرج باساس للعلم مكين . فلجأ ديكارت في النهاية العقل المجرّد عن كل تأثير ، وملجأ الغزالي الايمان بالقلب والاستسلام !

فالغزالي اذن وان لقبناهُ بالفيلسوف اكثر من مرة ، لا يقبل لنفسهِ مثل هذا اللقب لو اتيح لهُ فسمعهُ . لانهُ على ما يقول لم يدرس الفلسفة الأ ليدلّ على مغالط الفلاسفة . ومع ذلك فان Renan الفيلسوف الفرنسي يلقبهُ باكثر فلاسفة العرب ابتكاراً واعمقهم تفكيراً ، ويجاريهِ في هـذا الحكم فريق كبير ممن تعمقوا في درس الفلسفة الاسلامية . ويهمنا ان نذكر هنا ان قول الغزالي او ادعاءهُ لم يسلم بهِ حتى الذين عاصروهُ ، كما يشير هو الى ذلك في «المنقذ» حين يتكلم عن الفلاسفة والامامية فيقول : « فجمعت تلك الكلمات.ورتبتها ترتيباً محكماً مقارناً للتحقيق واستوفيت الجواب عنها حتى انكر بعض اهل الحق مني مبالغتي في تقرير حجتهم وقال هذا سعي لهم »

الشك في اخلاصه

واما ما دعا الى الشك في اخلاص الغزالي المتصوف فامور ثلاثة لا تخلو من الاهمية: اولها ذلك الانتقال العجيب من عالم متردد الى صوفي مستسلم ، وعظيم الفرق بين الشك والتوكل في الحالتين . والثاني قولهُ في بعض مؤلفاتهِ (كالمضنون بهِ على غير اهلهِ) باخفاء بعض الآراء والنظريات عن العامة من افراد الشعب ومثل قولهِ في جواهر القرآن « وهذه العلوم الاربعة اعني علم الذات والصفات والافعال وعلم المعاد اودعنا من أوائلهِ ومجامعهِ القدر الذي رزقنا مع قصر العمر وكثرة الشواغل والآفات وقلة الاعوان والرفقاء بعض التصانيف . لكنا لم نظهرهُ فانهُ بطل عند اكثر الافهام ويستضر به الضعفاء وهم اكثر المترسمين بالعلم » . والثالث استعمالهُ في الكتابة ذلك الاسلوب التصويري الخيالي الذي ادى الى سوء فهمهِ في عدة مواضع . فابن رشد مثلاً وهو من اقطاب خصومهِ يتهمهُ بنشر نظرية الصدور في الافلاطونية الحديثة لان الغزالي في كتابهِ (المشكاة) يضرب مثالاً بسيطاً عن انتشار اشعة الشمس ليوضح مرماهُ . ويتهمهُ موسى الزبوني الفيلسوف اليهودي بعدة مؤلفات ، لم تصلنا ولكن

لا يبعد ان يكون اعداؤهُ قد دسوا لهُ بعض الآراء في كتبهِ كما فعلوا مع فخر الدين الرازي وغيره في جدلهم الديني المعروف

ويجاري القدماء بهذا الشك في صحة تصوف الغزالي بعضُ العلماء الحديثين مثل غوش Gosche الالماني ، الذي يقول بان الغزالي لم يكن مخلصاً فيما قالهُ في كتابهِ المنقذ، وانهُ مجرّد دفاع مصطنع لاهل العصر الذين كانوا يشكون في سلامة معتقدهِ كما رأيت. بيد ان مكدونالد Macdonald وهو من مستشرقي الاميركيين وقد خصص جانباً كبيراً من حياتهِ لدراسة حياة الغزالي ينكر مثل هذه التهم ويدافع عنهُ فيقول «ولا صحة البتة في قول البعض بان الغزالي خرج على الفلسفة بعد ان اهتدى بنورها مدة ، لانهُ لم يدرس الفلسفة بالحقيقة الا بعد ان ابتدأت شكوكه ، ولم يكن في يوم من الايام ذلك الطالب الفاتر كابن سينا ، فهو لم يخضع كامل عقلهِ للفلسفة مطلقاً . واما القول ايضاً بانهُ كان مرائياً في عقيدتهِ ، لهُ فلسفة خصوصية يقتصر في نشرها على القلائل، ويموّه على العوام بتمسكهِ بالدين وقواعده ، فقول لا اساس لهُ من الحقيقة . وذلك لان تطورهُ الفكري يميل بهِ بل يحتم عليهِ اتباع تلك الغاية التي سعى اليها من التقشف والاتصال بهِ مباشرة . واما ان يتخذ التقليد سلطة فذلك مما لم يتفق ، مع عقليتهِ في بداية شكه، فكيف يلجأ اليها بعد ما ابتلاهُ من صروف التردد والارتياب[1]

التوفيق بين العلم والدين

والسبب لاثارة هذا الشك في اخلاص الغزالي ، على ما نظن ، محاولتهُ ان يوفق بين العلم والدين في كثير من المواضع في مؤلفاتهِ . الامر الذي حمل بعض المطلعين عليها على الظن بانهُ يراوغ فيما يعتقدهُ . والحقيقة ان الغزالي كان قد صرف مدة في دراسة الفلسفة توغل في اثنائها بين المبادئ الفلسفية وتعاليمها المختلفة حتى تأثر بها عقلهُ واصبح من الصعب حتى ومن المستحيل ان لا يعلق بعبادتهِ شيء منها رغم ارادتهِ ومهما كانت الغاية التي درس الفلسفة من اجلها . وفي مقدمة السيد المرتضى التهامي لكتابهِ (اتحاف السادة)وهو اشهر شرح «للاحياء» ،استعارة وجيزة اقتبسها عن السبكي في دفاعهِ عن الغزالي هي في نظرنا اجمل واصح تعبير لهذا التناقض الذي تصادفهُ بعض الاحايين في مطالعة الغزالي والذي ادى الى مثل ما قدمنا من الشك في اخلاصه.

---

(١) راجع مجلة جمعية المستشرقين الاميركية ج ٢٠ ص ١٠٠

فهو يشبّه الغزالي بمجاهد غيور ، كرّ على الكافرين ، وما زال في محاربتهم حتى هزمهم الاّ انهُ كان قد تلطخ بدمائهم الرجسة ، فحاول تطهير ثيابهِ ليتقرب الى الله بالصلاة غير ان علماء المسلمين لا يجمعون على انهُ وفق الى هذا التطهير . وفي ذلك اعتراف ضمني من السبكي عما كان يحوم حول الغزالي من شكوك

الغزالي وهيوم

والغزالي في كتابهِ «التهافت» لا يكتفي بدحض آراء الفلاسفة فيما اختلف عليهِ معهم من المسائل فحسب . اذ تراهُ في نقدهِ هذا وعرضهِ لآرائهِ يميل الى الشك في سلطة العقل نفسه . بل هو يكاد ينكر قدرتهُ مطلقاً ولو تحفَّظ فلم يبح بذلك صراحة .وهذا ما تعثر عليهِ حين تتبع مجرى الكتاب العام او تلمس غايتهُ الرئيسية . فالغزالي في تخطيئهِ لآراء الفلاسفة بشأن قانون العلية ، يسبق هيوم Hume الفيلسوف المشهور بسبعة قرون،فهو يثبت بالجدل والمنطق على عادتهِ اننا لا نعرف عن العلة والنتيجة شيئاً، وان كل ما نعرفهُ هو ان الاشياء يتبع بعضها البعض الآخر . بيد ان الغزالي شأنهُ حينما قابلناهُ بديكارت الافرنسي لم يلجأ بعد ذلك الى سلطة العقل المجرد كما فعل هيوم بل استسلم للوحي والالهام

الغزالي وكانت

وهنالك امر آخر تلاحظهُ عند درسك لكتابات الغزالي وخصوصاً «التهافت». فقد يتراءى لك انهُ في ابحاثهِ عن اللانهاية كالازل ودوام العالم ، يتدرج ببراهينهُ الى ما لا حد لهُ ثم يبلغك نقطة في الجدل ترى انك تستطيع بها ان تفهم الامر على وجهين، يناقض الواحد منهما الآخر . على اننا لا نقول بان الغزالي يدين بهذا الرأي وكل ما نبديه هو ان الغزالي يتسم بهذا المظهر في ابحاثهِ لانهُ يكيف السلسلة الواحدة من التفكير والمنطق لتوصلك الى نتيجتين متباينتين . فان صدق هذا التخمين وهو معقول ،كان الغزالي من اتباع مذهب تباين المبادئ وتناقضها او ما يسمونهُ (Antinomianism) ويكون بذلك قد اشار الى عجز العقل المجرد ، فسبق كانت Kant الفيلسوف الالماني الذائع الصيت في موضوع كتابهِ المشهور (نقد العقل المجرد) كما سبق ايضاً ديكارت وبسكال وهيوم على ما رأينا [1]

القدس — شكري مهتدي ب . ع

(١) راجع (مفكرو الاسلام) ج ٤ ص ١٧٣

الطعام واختلاف قامات الاجناس

هل طعام الصينيين سبب قصرهم ؟

مباحث علمية طريفة

تقدم العلماء تقدماً كبيراً في مباحث الغذاء واثرهِ في الصحة والنمو . وقام حديثاً فريق منهم يربط هذه المباحث بنشوء الانسان وتاريخ ارتقائهِ وتفرقهِ شعوباً واجناساً. فقال اذا كان لنوع الطعام هذا الاثر العظيم في نمو الجسم وصحتهِ افلا يجوز ان يكون الصينيون واليابانيون والكوريون واهالي جاوى وغيرهم من شعوب الشرق الاقصى قصار القامة لانهم اكثر طعامهم الارز ؟ او لا يجوز ان يكون بعض سكان افريقيا واوربا كبار القامة لانهم وقعوا على طعام من شأنهِ ان يزيد نمو الجسم وقوتهُ ؟ او لا يجوز ان يكون الانسان نفسهُ قد بلغ ما بلغهُ الآن من حيث شكلهُ وقامتهُ لانهُ اصاب في فجر نشوئهِ طعاماً خاصًّا ؟ وانهُ لو اصاب طعاماً مختلفاً وزاول تناولهُ لكان نشأ وشكلُ جسمهِ من حيث الطول والقصر والضخامة والنحافة غير ما هو الآن ؟

لقد ثبت بالتجارب والامتحانات العلمية الدقيقة ان جسم جرذ من الجرذان وصفاتهِ الحيوية تتوقف على تركيب طعامهِ الكيماوي . والجرذ لايخفى اساس التجارب التي يقوم بها العلماء للنفوذ الى اسرار الغذاء واثرهِ في الجسم الحي . فهو حيوان آكل للعشب واللحم في آنٍ واحد ومع ان مدى عمرهِ لا يزيد على ثلاث سنوات فقد ثبت ان افعال جسمهِ تشابه افعال جسم الانسان من حيث هضم الطعام وامتصاصهِ وتمثيلهِ وهلمّ جرًّا . فاثر الاطعمة المختلفة في جسم الجرذ تماثل الى حدٍّ بعيد اثرها في جسم الانسان وبذلك تمكن العلماء من ان يتقدموا في مباحث الغذاء التقدم الذي اشرنا اليهِ في صدر هذا المقال

اثبت الاستاذ مكّلُم من اساتذة مدرسة علم الصحة «الهيجين» بجامعة جونز هبكنز في تجارب اعادها مراراً اموراً جديرة بالعناية والنظر. فكان يأخذ كل مرة طائفة من الجرذان عدد افرادها ثمانية ويقسمها الى فريقين متعادلين ويغذي الفريق الاول بمقدار معين من الماء والحنطة ويغذي الفريق الثاني بمثل ما يغذي بهِ الفريق الاول تماماً بعد ما يضيف اليهِ بضع اوراق لفت او بنجر . فكانت النتيجة في كل التجارب التي جربها ان جرذان الفريق الاول بلغ جرم اجسامها جرم فيران كبيرة وجرذان

الفريق الثاني بلغ جرم اجسامها ضعف اجسام الجرذان في الفريق الاول وفيما عدا ذلك لم يوجد فرق ما بين افراد الفريقين

وتناول هذه المباحث الدقيقة طائفة من علماء اليابان بقصد تطبيقها على الناس فأخذوا يضيفون الى الاطعمة التي يتناولها تلاميذ بعض المدارس شيئاً من الاطعمة التي تتناولها الاجناس البيضاء ولا يتناولها اليابانيون عادة في المدارس او في البيوت . واستمروا في تجريب هذه التجربة سنين متعاقبة فظهر لهم ان تلاميذ المدارس الذين تناولوا طعامهم بعد هذه الاضافة زاد طولهم بضع بوصات على تلاميذ المدارس الاخرى الذين لم يتناولوا ما تناولهُ هؤلاء . وما يقال في طول القامة يطلق على وزن الجسم ايضاً . ثم جربت هذه التجربة في جماعة من التلاميذ بمدينة بلطيمور الاميركية فأيدت نتيجتها النتائج التي وصل اليها اليابانيون . وعليهِ يصح الاستنتاج بان اجسام الشعوب الكبيرة القامة بلغت ما بلغتهُ من الضخامة بسبب مواد غذائية تناولوها قروناً متعاقبة ولم يتناولها الصينيون واليابانيون

وهناك باحث آخر يدعى الكولونل ماكريسن من اطباء مصلحة الصحة الهندية لاحظ ان اجسام قبائل « السخ » و« الپاتان » اكبر من اجسام قبائل « المدراسي » وغيرهم من سكان الهند مع ان كل هذه القبائل تعيش ظاهراً في احوال مماثلة من الفقر وشظف العيش . ولما تناول البحث في ذلك ثبت لهُ ان طعام قبائل السخ والپاتان يختلف اختلافاً بيّناً عن طعام القبائل الاخرى لان القبائل الاولى تتناول كثيراً من الالبان آناً جبناً وآناً قريشة وكثيراً من الخضراوات الورقاء وبعض اللحم. وهذه المواد كانت مفقودة من طعام الآخرين . ولكي يثبت ان هذا الفرق في الطعام هو سبب الفرق في كبر القامة اخذ ، كالاستاذ مكلُم طائفة من الجرذان من اصل واحد وعمر واحد وقسمها الى فريقين غذّى الفريق الاول منهما بطعام قبائل السخ والپاتان والفريق الثاني بالطعام الذي يتناولهُ عامة الهنود فبلغ افراد الفريق الاول حجماً كبيراً وبقي افراد الفريق الثاني صغاراً نحافاً واعاد التجربة مراراً فكانت النتائج واحدة

وبعد ذلك توسّع في التجربة وجاء بطائفة كبيرة من الجرذان وقسمها الى فرق مختلفة واطعم كل فريق منهـا الطعام الذي يتناولهُ احد الاجنـاس عادةً . فمنها فريق تناول الطعام الذي يتناولهُ فقراء العمال الانكليز ومنها فريق تناول الطعام الذي يتناولهُ اليابانيون وهلمَّ جرّاً . فكان افراد الفريق الذي تناول الطعام الذي تأكلهُ قبائل السخ

والياباني عادةً كبيرة الجرم ملساء الجلد . وكانت افراد الفريق الذي تناول طعام عمال الانكليز الفقراء تقارب الفريق السابق جرماً ولكنها كانت خشنة الجلد ميّالة الى النزاع والحرب . اما الفريق الذي تناول طعام اليابانيين وسكان فيلبين وجاوى فكانت افرادهُ صغيرة القامة وظهرت فيها بعض صفات هذه الشعوب

***

وهنا تعترضنا مسألة خطيرة اخرى وهي: هل لاختلاف الطعام اثر في نشوء الصفات الخاصة التي تتميز بها الشعوب بعضها عن بعض؟ وهل تاريخ شعب من الشعوب كان يختلف عما هو مدوّن لو انهُ اصاب طعاماً غير الطعام الذي جرى عليهِ ؟ وهل اذا غيرنا الطعام الذي يتناولهُ شعب من الشعوب الآن نستطيع ان نغير بعض مميزاته الجسدية والنفسية ؟

لا يستطيع الباحث ان يخرج من المباحث المتقدمة باجوبة شافية عن هذه الاسئلة . ولكن مما لا ريب فيهِ ان للغذاء اكبر نصيب في كثير من الامراض التي تصيب مختلف الشعوب وتضعف ابناءها عن العمل وقد تخمد فيهم شعلة الذكاء والنبوغ

فالبري بري مرض يصيب ملايين من سكان الهند والشرق الاقصى على الاخص فيميت منهم نحو مائة الف كلّ سنة ويتفشى غالباً بين الشعوب التي تعتمد في طعامها على الارزّ الابيض المقشور ويمكن منعهُ بابدال الارز الابيض المقشور بالارز الاسمر غير المقشور . وذلك لان في قشرة حبة الارز عناصر غذائية لازمة للصحة والنمو . وهي الفيتامين . ومرض البلاغرا يصيب سكان الولايات الجنوبية بالولايات المتحدة الاميركية وهو يفشو بين القبائل التي لا تتناول غذاء كافياً ويكون غذاؤهم في الغالب الذرة وهي لا تحتوي على كل العناصر اللازمة للصحة والنمو

وهناك نوع من الامراض التي تصيب العين كالعشاوة سببهُ فقد ڤيتامين (A) من الطعام وقد اثبت احد العلماء انهُ يمكن احداث بعض الامراض الجلدية باستخلاص بعض عناصر الغذاء من الطعام واحدث احد الاطباء اليابانيين قرحاً في المعدة على هذه الطريقة ثم شفاها باطعام المصاب الطعام كاملاً . ولا يخفى ان الكساح سببهُ قلة التغذية ويشفى بتناول زيت كبد الحوت (زيت السمك)

فما تقدم يتضح ان للتغذية شأناً كبيراً في احداث بعض الفروق بين اجناس البشر وفي حفظ صحتهم . والامم التي تأخذ بما يكشفهُ العلماء من اسرار الغذاء تستطيع ان تمنع كثيراً من الامراض التي تصيب ابناءها وتطيل اعمارهم فتمهد لهم سبيل الزعامة بين الامم

خمسة في سيارة

٦

اقبل الصيف بحره الشديد وأخذ كثيرون من اعيان المصريين والاوربيين يستعدون لمغادرة القطر المصري قاصدين الى مصايف اوربا . ومن اشهر مدن الاصطياف والاستشفاء التي يقصد اليها المصريون وغيرهم فيشي المشهورة بمياهها المعدنية في كل انحاء العالم. وفي المقالة التالية وصف الاستاذ الجريديني فيشي والاستشفاء بمائها وصفاً بليغاً فيه كثير من التهكم اللطيف بعد مقدمة عالج فيها موضوعاً عمرانياً جليلا هو موضوع التفرنج واقتباس الشرقيين للمدنية الاوربية

الشرقيون واقتباس المدنية الاوربية

.. وكانت السيارة تسير خبباً والسكون مخيّماً على القوم حتى يكاد النوم يدخل عليهم خلسةً ذلك انهم كانوا يسيرون في طريق سهل معبّد طويل يصل ما بين انسي واكس له بان ثم يعرج في منبسط من الارض لا حدّ لهُ يخترق مديرية البوي ده دوم (Puy de Dome) في طريقهم الى فيشي

فخاف صاحبنا المصري عقبى السكون لعلهُ يدخل الملل الى النفوس فيقضي على أُنس هذه الصحبة فجمع كما يقول الافرنج — كل شجاعتهِ في يديهِ وقذف بها في وجه السيدة الافرنسية قائلاً اني والحق يقال معجب بكِ يا سيدتي كل الاعجاب

فذعر الافرنسي وقال ما هذا . امطارحة غرام فجائي رويدك اشفق على صحتك

وضحك منهُ القوم فزال ماكان بهِ من حياء وقال . لا . لا . هذه سيدة شرقيـة مثلي احببت ان اعرب عن اعجابي بها وتقديري لها

فابتسمت السيدة وقالت وما الذي فعلت حتى استأهلت تقديرك

قال اني اعرف في مصر عدداً غير قليل من السيدات اللائي يمتن بنسب كريم الى اصلك اللبناني او السوري ولكنني ما عرفت منهنّ الاّ القليل القليل الذي يفخر بعروبتهِ

فانت وقد ولدتِ في فرنسا ولا تعرفين كلمة واحدة من العربية اراكِ اذا سئلت قلت انك « بنت عرب » واذا فاخرتِ زوجك فاخرتهِ باصلك العربي

اما اللواتي اعرفهن عندنا فيعرفن العربية ويخفينها ويقلدن الافرنج محتقرات كل ما هو عربي

فما هو السر في هذا ؟ امخطئ انا ام هنّ من الخاطئات ؟ قالت اني استغرب ما تقول واكاد لا اصدقهُ — اني اعترف بما يوافقني عليه كل عاقل بان المدنية الغربية خير المدنيات وانها على كل حال المدنية الغالبة فمن لم يماشها ضلّ السبيل ووقف في المؤخرة ولكنني لا اتنازل عما يكوّن شخصيتي مهما كانت الحال

فليست المدنية الغربية في لغة يرطن بها او في هندام يؤزر بل بمقوّمات اخرى مادية ومعنوية . فاذا ما اعتنقت المدنية الغربية اعتنقت مقوماتها وابقيت لنفسي « شخصيتها » ومزيتها . ألا ترى ان المدنية الغربية تشمل الافرنسي والانكليزي والتلياني والاميركي . فهل ترك هذا لغتهُ لذاك او طلق شخصيتهُ حبًّا في تلك ؟ لا . فلماذا لا تشمل المدنية الغربية شخصية مصرية واخرى لبنانية وهكذا . ولماذا لا اكون عربية اللغة غربية المدنية . وهل رأيت رجلاً ذا قيمة يطمع ان يكون كاتباً في غير لغتهِ او هل يطمع الانكليزي مهما اتقن الافرنسية ان يصير ذا شأن في الادب الافرنسي

لا . لا . ليس لنبيّ كرامة الاَّ في وطنـهِ . وانك اذا عرست بهؤلاء الغربيين عرْسي بهم لرأيت انهم لا يحترموننا اذا هدمنا شخصيتنا جرياً وراء تقليدهم . انهم اقوام ذوو كبرياء فلن نبلغ منهم مبلغاً ان لم نحتفظ بكبريائنا

وقطع الانكليزيُّ الحديث فقال بل نحن — وانا اتكلم عن جنسنا الانكليزي — كالجوز او كاللوز لا بدَّ من كسره قبل ان تأكلهُ

وكانت هذه من الذّ دقائق العمر عند صاحبنا المصري وازداد اعجابهُ بالسيدة اللبنانية واحترامه لها وكاد لولا حرمة الموقف وحرمة الزوج وحرمة السن السوء ان يهمّ بيديها يقبلها ولكنهُ امسك وحفظ الامر في قلبهِ

واسرعت السيارة وحميت الشمس وظهر الغبار على الارض يتناول وجوه القوم وعيونهم يذكر المصري بلاده فذكر اخواناً لهُ هناك يصبحون ويمسون ومثل هـذا الغبار مخيّم ابداً عليهم فحسب نفسهُ في نعيم اذا قاس نفسه بهم فما تذمر ولا تشكى مما جعل الافرنسي يقول والله انك ايها المصري اوفرنا ادباً فلم نسمع منك شكوى من حرّ او تذمراً من تراب . فسكت صاحبنا دقيقة او دقيقتين ثم قال « اشكرك » . وهكذا الى ان هبطت بهم السيارة فيشي

فيشي

وما اخطأ من اعلن عنها فقال انها ربة مدن المياه المعدنية . فهي اشبه شيء بالكنيسة الكاثوليكية جامعة شاملة تضم الاجناس من مشارق الارض ومغاربها يحجون اليها مجمعين على ان ماءها طاهر مقدس يحيي الاموات متنازعين في ما سوى ذلك

اجلس على كرسيك في وسط الحديقة المؤدية الى ينابيع المياه وارقب الناس يمرون

هذا قادم مع صديق لهُ يتكلم مشيراً برأسهِ ويديهِ تحسب جسمهُ في ناحية وبذلتهُ في ناحية اخرى من سوء ما خاط الخياطون ، وشاربه عزَّ عليهِ فلا غنى لهُ عن شعرة واحدة منهُ وقد يطيب لهُ جوار شعره فيطلق لحيته او لا يحلقها الاَّ مرتين في الاسبوع.

هذا فرنسوي لا غش فيهِ ! والفرنسويون معظم النازلين في فيشي وهي ارخص مدن المياه في فرنسا واطيبها طعاماً . وقد يكون هذا الامر علة الامر الآخر

وهذا رجل اسمر يكاد يضع برنيطتهُ على مؤخر رأسه ولكنهُ حسن الهندام بطيء الخطى — فهو مصري

أما الاجناس الاخرى فلا تعد ولا تحصى ولا يستطيع الناظر ان يميزها الاَّ من لغاتها . فالرطانات هنا اكثر من ان تعرف وأغربها الرطانة العربية التي ينطق بها الجزائريون والتونسيون والمراكشيون

فكم حاول صاحبنا المصري ان يفهم ما يقولون على غير جدوى حتى انهُ جلس الى بعضهم فرأى انهم اذا أحبوا ان يفهموا شيئاً عبروا عنهُ بالفرنسوية الاَّ بعضاً يتكلم ما يقرب ان يكون لغة عربية فصيحة ولكنهم أقل من ان يذكروا

ولا أدري لماذا يلبس هؤلاء القوم لباسهم الاهلي في فرنسا وهم لا يتكلمون الاَّ لغتها ولا يعرفون الاَّ ارضها وليس لباسهم مما ترتاح اليهِ العين او يألفهُ الذوق السليم . فليس هو مما يعتزُّ بهِ الشرقي بحال من الاحوال وليس هو مما يرضي الغربيين

***

منظر عجيب هؤلاء الناس زوار فيشي رجالهم ونساؤهم . اعطى الطبيب كلاً منهم كأساً وقال اشرب بحساب ففي هذا النهار تشرب خمسين غراماً في الساعة الحادية عشرة وخمسين منها بعد نصف ساعة من نبع كذا وفي اليوم التالي أو ما بعده تشرب سبعين

غراماً من النبع كذا في الساعات ذاتها. وهذا نبع يشفي من هذا الداء وذاك يشفي من ذاك الداء، وبين النبعين مسافة تقاس بالاشبار

فترى المريض المسكين أو الموهوم المسكين واقفاً يتلمس الماء من فتيات يدرن كالاقمار حول أنابيب الماء لا يبتسن ولا يغلظن القول لمن يلح

فوالله لتحسبنَّ هذه الينابيع كعبة يحج اليها هؤلاء الآلاف كأن الايمان يأبى الا ان يكون المحرك الاكبر في اعمال البشر، المريض منهم والصحيح

فاذا شرب فريق حل محله فريق آخر وهكذا حتى يتم الله نعمته على الوافدين

ثم تراهم وقد انتشروا في حديقة الكازينو ذهاباً واياباً تحت اشجار باسقة هذا يمشي وذاك يعدو وذلك مستلقٍ على ظهرهِ سيّان في ذلك الذكر والانثى فتخالهم يحشرون الى ربهم في سكوت وهدوء وترتيب. فانك لا تكاد تسمع لهذا الجمع دويًّا في أي مجلس حلّوا وهذه آية من آيات النظام في المدنية الغربية. اما الحمامات فحدث عنها ولا حرج. غرف متعددة موسومة بارقام وفي كل منها نوع من الاستحمام يختلف عن الآخر اختلافاً الفهُ ذو الفن في اقتناص المال. فمن حمام وانت واقف الى آخر وانت على جنبك الايمن او على جنبك الايسر الى آخر وأنت على ظهرك يتلقفك رجل رجل — دع عنك مختلف درجات الحرارة في هذه الحمامات فعددها يزيد عمّا في الترمومتر من درجات

هذا وانت في الماء فكيف اذا قضي عليك فوصف لك الحمام الكهربائي او الحمام بالهواء الساخن او التمرس بالآلات الميكانيكية تحركها الكهرباء

***

أما اطباء فيشي فقوم عليهم السلام. أبت عليهم المدن الكبرى ان يظهروا فيها علمهم ونبوغهم فيمموا محطات المياه المعدنية تحت جناح الشركات المالية التي تنشىء هذه المدن وتهيء لها ما تهيء من أسباب الراحة واللهو والاستشفاء مردفة الامر بجيش من الدعوة والتبشير يملأ الصحف

فاذا سمعت الطبيب يصف لك كيف تأخذ هذا الحمام وكيف تشرب الكأس من الماء ظننت في الامر سرًّا وفي هذه المياه شيئاً لا يمسهُ الا المستظل بظل الطبيب الظليل

ومن اليه من ارباب الفن الطاهرين . فاذا ما خبرت الامر وعرفته وجدت حماماتهم لا تختلف عما تألفه في بيتك وعما يمكنك فعله لو اهتممت بعض الاهتمام بابسط مبادىء علم الصحة

وأما الماء فباح لا ضرر عليك ان جرعته مرة واحدة او مرتين . وهذه الينابيع لا يبعد أحدها عن الآخر بعداً يجعل معدنه مختلفاً عن معدن الآخر

ولكنك ان أصبت في الكبد فلك جرعات من هذا الماء او في الكلى فجرعات من ذلك او في المعدة فمن الآخر وقد تدور بها جميعاً تذوقها واحداً واحداً ولست تدري أين تبدأ وأين تنتهي حتى ترى صديقاً لك مصاباً بمثل علتك فتراه يشرب غير ما تشرب ويدور على عكس ما تدور فتقف حائراً ولكنك لا تستطيع الشك في امر الطبيب

يعودك طبيبك للمرة الاولى في غرفتك فيصف لك ما يصف من ماء للجوف وماء للجسم وتنفذ امره ثم تعود اليه بعد اسبوع او اقل فتدخل عليه فيقعدك الى جانبه يسألك بكل وقار وتهيب اذا كنت متعباً من الماء الذي شربت ! وماذا شربت ? انك بللت ريقك بشيء قليل لم تشعر به اكثر من شعورك بهذا الهواء الذي تتنشق فلم تتعب ?

تجيبه انك لم تتعب فيزيد لك الجرعة ثم يضرب لك موعداً آخر وهكذا الى ان يأتيك الفرج وتنتهي ايامك وعددها واحد وعشرون ثم ترحل فوالله لن تدري أكنت تضحك من نفسك أم كان الطبيب العالم يضحك منك

***

ولكن صاحبة فيشي شركة مالية غنية قوية للحكومة ضلع وافر في دخلها فهي تبذل كل أسباب الراحة وتوفر كل انواع العيش الهنيء حتى تجعل فيشي قبلة للناس اجمعين

فما هو غرض الشركة ومن أين يعود عليها الربح الوافر ?

فمياه فيشي المعدنية مباحة للجمهور بلا مقابل الاّ ما يباع منها للبلاد الاجنبية وأجر الحمامات ليس مما يعود على صاحب هذا البناء الضخم بربح . والحدائق الغناء مع غابة فيشي الواسعة الاطراف لا بد لصيانتها من مال يبذل ولا يدفع الوافد الاّ جعلا ضئيلاً لا يذكر لدى دخولها . والشركة كريمة على الاطباء وارباب الصحف تغدق عليهم حماماتها ومسارحها مجاناً . فما هو السر في ذلك ?

السر كله في الكازينو ! وما الكازينو الاَّ عمارة جمعت البهو الجميل الواسع والحديقة الفناء مرصوصة بالازهار وبالكراسي راحة للمتعبين وبانغام الموسيقى تصدح في الليل وفي النهار — وكل ذلك طريق يقاد منهُ الزوار الى بهو العاب القمار

وهذا البهو عَجَبٌ في عَجَبٍ . موائد خضراء تملأ الجوانب يدعو اليها الندل ومن اليهم دعاءً مستجاباً فتجلس النساء عاريات أو نصف عاريات والرجال مرتدين السواد فتبعثر الملايين وتتناقلها الايدي من هنا ومن هناك فتذوب في اثناء هذا الانتقال وتتسرب في ثقوب المائدة الخضراء

***

وقد زار صاحبنا المصري فيشي غير مرة وكانت لهُ زورة واحدة في كل مرة الى هذا البهو بهو القمار فما رأى فيهِ شيئاً الاَّ تكالُب الناس على المال ووجوههم كوجوه الوحوش الضارية خلا معظمهم من حسن العشرة او من أدب الكمال يستوي في ذلك الغني والفقير والامير المزيف والامير الحسيب النسيب . وافظع ما في هذا المعرض السيدات . فانك لا تدري لماذا تتهافت هذه العجائز على موائد القمار الاَّ لكي يزدن في قبح الخَلق قبحاً في الخُلق . بل جارتهن الصبايا مقصوصات شعورهن فتساوى رأس الفتاة برأس الفتى وتساوى الطبعان خشونة بفعل هذه الموائد

رحم الله اياماً كان النساء يضفرن غدائرهن مخافة الضلال في الشعر ورحم زمناً كان سدل الشعر على الاكتاف آية من آيات الجمال . فقد مرَّت بنا نحن الرجال عصور فوق عصور ننظر الى الشعر فنعدهُ متمماً لجمال المرأة ، هكذا صور المصورون وهكذا شبب الشعراء . ونحن لا نطلب من سيداتنا الآن عصوراً أخرى حتى نألف هذا الجمال الغلامي بل بضع سنين لا تزيد على اصابع اليدين

اما من هذه الساعة الى ذلك الميعاد فلتسمح لنا سيداتنا أن نستقبح رأس الغلام على جسم المرأة

تلكم فيشي انزع منها الكازينو ترها جنة من جنان الارض . وألبسها الكازينو فهي كما هيه — وما ادراك ماهيه — نار حامية

سامي الجريديني

النفط في العراق

اما العراق فالنفط معروف في جميع انحائهِ ومعظمهُ في وادي دجلة من زاخو شمالاً الى بغداد جنوباً . فالنفط في زاخو ينبع من عيون على نهر الخابور اي خابور دِجلة لا خابور الفرات. وعلى مقربة من زاخو في قرية تسمَّى شَرانِش معدن من الفحم لا بأْس بهِ[1] ثم الى الجنوب من الموصل حمَّام علي ذكرهُ ياقوت في معجمهِ قال « دير القيَّارة وهو على اربعة فراسخ من الموصل في الجانب الغربي من اعمال الحديثة مشرف على دجلة وتحتهُ عين القار وهي عينٌ تفور بماء حار وتصبٌّ في دجلة وقد ذكرناها سابقاً في الحمَّامات ويخرج معهُ القار فما دام القير في مائهِ فهو ليّن ممتدٌّ فاذا فارق الماء وبرد جفَّ . وهناك قوم يجمعون هذا القير ويفرقونهُ من مائهِ بالقِفاف» الى ان قال « ويقصدون هذا الموضع للتنزه والشرب ويستحمون من ذلك الماء الذي يخرج مع القار لانهُ يقوم مقام الحمَّامات في قلع البثور وغيرها من الادواء . ولهُ قائم وكل دير لليعقوبية والملكانية فعندهُ قائم وديارات النسطورية لا قائم لها »

قلت ولا يزال اهل الموصل وغيرهم يقصدون هذا الموضع . اما الدير فقد عفت آثارهُ وذهب الدهر برهبانهِ وخمورهم ولم يبقَ لاهل الموصل الا عيون الكبريت والقار ومياه دجلة

وقال في مادة قيَّارة : « وعين القيَّارة بالموصل ينبع منها القار وهي حمَّة يقصدها اهل الموصل ويستحمون فيها ويستشفون بمائها » . وذكرها في الحمامات وسماها حمام علي كما يسميها اهل الموصل في ايامنا وقال انها « عين ماؤها حارٌ كبريتي يقول اهل الموصل ان بها منافع » . وقد مررت بهذا المكان غير مرة وهو كما وصفهُ ياقوت

وقال في الحَمَّة انها العين الحارة يستشفي بها الاعلاء والمرضى وقال ان في بلاد العرب حمَّات كثيرة وذكر بعضاً منها والحمَّات هي الحمامات الحارَّة ويسميها الاطباء ثرماي وهي يونانية ومن الحمات المشهورة في الشرق حمَّام علي هذا وحمام طبرية وحمام حلوان بمصر ومياههُ كبريتية

(١) شرانش هذه قرية في جبال الكرد على حدود تركيا بيوتها ثلاثة عشر بيتاً عددتها واحداً واحداً وفيها مدرسة خربة خرج منها جماعة من العلماء لم يبق من ذريتهم الا الملا ناجي وقد عد لنا من اجداده احد عشر عالماً كانوا يعرفون العربية ولهم تآليف معروفة

ثم الى الجنوب من ذلك المكان وعلى اربعة واربعين ميلاً الى الجنوب من الموصل وعلى الجانب الغربي من دجلة مكان يعرف بالقيَّارة وهو مشهور مرَّ بهِ ابن جبير في سفرهِ من بغداد الى الموصل ووصفهُ احسن وصف قال: « مررنا بموضع يعرف بالقيار بمقربة من دجلة وبالجانب الشرقي منها وعن يمين الطريق الى الموصل فيهِ وهدة من الارض سوداء كانها سحابة قد انبط الله فيها عيوناً كباراً وصغاراً تنبع بالقار وربما يقذف بعضها بحباب منهُ كانها القَلَيان . ويصنع لهُ احواض يجتمع فيها فتراهُ شبه الصلصال منبسطاً على الارض اسود املس صقيلاً رطباً عطر الرائحة شديد التملك فيلصق بالاصابع لاول مباشرة من اللمس. وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبه الطحلب الرقيق اسود تقذفهُ الى جوانبها فيرسب قاراً . فشاهدنا عجباً كنا نسمع بهِ فنستغرب سماعهُ . وبمقربة من هذه العيون على شط دجلة عين اخرى منهُ كبيرة ابصرنا على البعد منهُ دخاناً فقيل لنا ان النار تشعل فيهِ اذا ارادوا نقلهُ فتنشف النار رطوبتهُ المائية وتعقدهُ فيقطعونهُ قطرات ويحملونهُ وهو يعم جميع البلاد الى الشام الى عكة الى جميع البلاد البحرية . ولاشك ان على هذه الصفة هي العين التي ذكر لنا انها بين الكوفة والبصرة »

ومررت بالقيارة سنة ١٩٢١ وكنت في حاشية جلالة الملك وكنا عائدين من الموصل فامر جلالتهُ بالوقوف هناك فنزلنا لمشاهدة عيون النفط وهي العيون التي لفتت الانظار الى العراق ونفطهِ وكان ذلك سنة ١٩٠٥ على ما اذكر . وكان الترك والالمان قد انشأوا بعض المنازل والادوات لاستخراج النفط وتقطيرهِ ثم زاد فيها الانكليز كثيراً . وكان هناك مهندس انكليزي يدير العمل فأرانا الاداة التي يُستخرج بها النفط من الآبار وهي كالدالية اي الشادوف المصري مؤلفة من عمود في رأسهِ خشبة مستعرضة طرفها الواحد اطول من الآخر وفي طرفها القصير سلسلة قد علقت فيها دلو من حديد شبيهة بالاسطوانة وفي الطرف الطويل من الخشبة حبل يشدهُ رجل فاذا شدَّهُ ارتفعت الدلو من البئر واذا ارخاهُ نزلت وامتلأت نفطاً . فكان الرجل يشدُّ الحبل فترتفع الدلو فيتناولها رجل آخر ويصبّ النفط في حوض هناك ثم يعيدها الى فم البئر فيرخي الرجل الآخر الحبل فتنزل الى البئر وهكذا على التوالي . وقد جعلت الدلو في شكل اسطوانة طويلة لضيق البئر

وكان النفط ينبط من بئر اخرى بالضغط في اسفلها كما ينبط الماء ولم يكن من حاجة لاستخراجهِ بالدلاء او بواسطة اخرى . ثم ارانا ادوات التقطير وهي انابيق كبيرة من الحديد تحمى بايقاد النفط والقار تحتها اقتصاداً في النفقة . واخذ يصف لنا استخراج النفط وتقطيرهُ واشار الى البئر التي كان النفط يتدفق منها وقال ان هذه البئر اذا زيد في عمقها خرج منها في ساعة واحدة لا اقل من ثمانية آلاف غالون من النفط الاسود فظننت الرجل مبالغاً لانهُ كان مهندساً بحريًّا والبحريون مشهورون بالمبالغة فلما فتحت بئر كركوك منذ اشهر مضت وقذفت في الجو الوفاً من القناطير رأيتهُ صادقاً في قولهِ غير مبالغ . وكان احد ظرفاء العراقيين معنا وكثيراً ما كان يقول ايام حكومتنا في الشام ماذا يريد منا هؤلاء الانكليز « هالشوية الزيت فليأخذوها ويروحوا عنا » فلما رأينا تدفق النفط بهذه الصورة التفت اليهِ احد الحاضرين وقال « ما رأيك في هالشوية الزيت فالحرب كلها على هالشوية الزيت » !

ومن غرائب القدَر ان آخر قتال بين الانكليز والترك او بالحري بين الانكليز والالمان وقع على مقربة من هذا المكان ولا تزال آثار الخنادق باقية هناك . وكان ذلك قبل الهدنة بايام قليلة فانتصر الانكليز ومروا على « شوية الزيت » ودخلوا مدينة الموصل وعقدت الهدنة وانتهت الحرب والحمد لله

ومن الاماكن المشهورة في نفطها مدينة كركوك وهي على نحو ٢٠٠ ميل الى الشرق من بغداد وقد مررت بها غير مرة ورأيت المكان الذي يقال لهُ بابا قُرقُر بضم القافين ولفظهما كالجيم المصرية سمي بذلك لقرقرة النار فيهِ وهو في منبسط من الارض الصلبة قربهُ عيون كثيرة من النفط وهي لبيت معروف في كركوك يقال لهم آل النفطجي وهم يمتلكونها مئات من السنين ولهم منها مورد يقتسمونهُ بينهم . وعسى ان الشركة لا تضيع حقهم متى استخرجت النفط وانقطع المورد عنهم

اما بابا قُرقُر فهو مكان يخرج منهُ غاز خَلقي يحترق من ذاته متى لامس الهواء وهو من اغرب ما يرى في هذه البلاد فاذا نكشت باصبعك او بعود رأيت اللهَب يخرج من الارض واذا حاولت سدَّهُ بالتراب خرجت النار من مكان آخر . والارض التي تخرج منها النار لا تزيد مساحتها عن بضعة امتار مربعة يرى فيها بضعة عشر ثقباً يخرج من كل واحد منها نار ملتهبة لا تختلف في لونها عن لهيب المصباح وقد قيل لي ان النار

قد تتحول الى مكان آخر غير المكان الذي رأيتها فيهِ لكنها لا تبعد كثيراً عنهُ . وهي النار التي رآها الاسكندر كما تقدم . ولعل المجوس عبدوها كما عبدوا النار التي تخرج في باكو ولكنني لم ارَ اثر معبد لهم هناك

ولما مررت بكركوك لم تكن الشركة قد عثرت على النفط بمقدار يذكر ثم وردت الاخبار منذ بضعة اشهر ان النفط اندفع من بئر كانوا يثقبونها على مقربة من بابا قرقر وارتفع في الجو بضع مئات من الامتار وكان يقذف في اليوم الواحد ما يقدَّر بسبعة آلاف طن اي نحو ٣٥٠٠٠٠ صفيحة من الصفائح المعروفة

وكان انفجار البئر في ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) بلا سابق انذار وجرى نهر من النفط وملأ الخيران حتى صار بحيرة وخشي على كركوك من الغرق . اما المهندسون والعمَّال فانهزموا ثم عادوا لرد فوهة البئر فمات ثلاثة منهم اختناقاً بالغاز احدهم مهندس اميركي والاثنان الآخران عراقيان. ثم لما كان السابع عشر من الشهر سدُّوا البئر بعد ان ذهب منها ضياعاً ما تقدر قيمتهُ بالالوف

وتحفر الشركة الآن في اماكن اخرى بين بغداد وكركوك والنفط معروف في هذه الاماكن منها طُوزخُرماتو وكُفري وغيرها ويحتمل ان يتفجَّر النفط هناك كما تفجر في كركوك

والنفط والقار في العراق كلهِ ولكن الاماكن التي مر ذكرها هي في المنطقة التي نالت الشركة امتيازاً للتنقيب فيها . اما الاماكن الاخرى التي فيها نفط وقير فهي هيت والرماديّ على الفرات والقير فيهما كثير جدًّا . وقد مر بنا في وصف القيَّارة ان ابن جبير ذكر عيناً من القار بين الكوفة والبصرة ولعلها في المكان الذي كان يعرف بذي قار وفيهِ كانت الموقعة المشهورة بين بني شيبان والفرس ولا يعرف مكانهُ بالتحقيق ويظن انهُ المقيَّر اي اور الكلدانيين او المكان المعروف بابي غار على خمسة عشر ميلا منهُ . ومن الغريب ان ابن جبير لم يذكرهُ بل ذكر عين القار بين الكوفة والبصرة ولم اسمع بعين من القار هناك غير ان في كتاب جولوجية العراق اشارة تدل على وجود القار قرب أور الكلدانيين اي قرب المقيَّر . اما تحقيق مكان ذي قار فيقتضي بحثاً اكثر من هذا وقد وعد الشيخ علي الشرقي من ادباء النجف ان يفعل ذلك

بغداد امين المعلوف

العلم والعمران بعد غد

الطيارة في اوستراليا

لا شك في ان الطيران ارتقى ارتقاءً سريعاً في السنوات الاخيرة . فزادت سرعة الطيارات حتى صارت نحو ٣٠٠ ميل في الساعة وطالت مدة بقائها في الجوّ حتى بلغت نحو ٥٥ ساعة وقد تتضاعف هذه المقاييس في الغد القريب . ولكن هذا مما لا يأبه لهُ الرجل العامي لان انتظام خطوط الطيران ومضاعفتها هما الامران اللذان سوف يغيران طرق معيشته وهذا من شأنه احداث انقلاب في طرق النقل في البلدان غير الغاصة بالسكان، ففي استراليا قد أخذت المعيشة تتغير عند المستعمرين الذين يعيشون منعزلين عن سائر الجماعات في براريّ شاسعة اذ اصبحت الرسائل والرزم «الطرود» تجلب اليهم والاصدقاء يأتونهم عن طريق الهواء فزالت من اذهانهم آلام العزلة لانهم يستطيعون الفرار منها

وفي هذا الموضوع يقول اديب استرالي : « ان قائدي الطيّارات التجارية قد قرّبوا عقارب الساعة الى الامام مائة سنة على اقل تقدير فكأن سكان البراري الاسترالية انتقلوا من اوائل القرن التاسع عشر حين كانت المركبات والجياد اشهر وسائل النقل والانتقال الى القرن العشرين بطياراته التي تسابق الرياح »

بدأ هؤلاء الطيارون تاريخ حياتهم العملية كطيارين حربيين في الحرب العالمية فلما وضعت تلك الحرب اوزارها وانتهت مدة خدمتهم اشتروا طياراتهم القديمة وجاؤوا بها من ميادين الحرب في فرنسا وفلسطين واخذوا يشوّقون ابناء وطنهم الى ركوبها على سبيل « النزهة » مقابل اجرة تبلغ خمسة جنيهات انكليزية يتقاضونها من كل راكب في الدفعة الواحدة . ثم بدأوا في حمل الرزم والركاب الى الاماكن البعيدة فتمكنوا بذلك من توسيع خطوط المواصلات التجارية رويداً رويداً حتى سهل عليهم اختراق تلك القارة المترامية الاطراف من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب قاطعين مسافة ١٥٠٠ ميل فوق المفازة التي بين مدينتي برث ودربي في استراليا و٤٨٠ ميلاً من اديليد الى ملبورن و٥٠٠ ميل من ملبورن الى سدني و٥٠٠ ميل من سدني الى بريسبين

وقد قال المستر كاتنول في ذلك « ان المرء لا يستطيع العثور على شيء لم تنقلهُ طيارات البريد ، فقد رأيت مرة طيارة تقل في دفعة واحدة راكبين او ثلاثة

ركاب وعدة شرائح من لحم البقر وجملة من الخراف المذبوحة وعدة قناطير من الرسائل والرزم وتابوتاً معلقاً تحت سطح الطيارة وقبعات نسائية وبضائع زجاجية — ثم قطعت تلك الطيارة الف ميل في الجو من غير ان تنكسر فيها قشرة بيضة واحدة او زجاجة مصباح»

اما في كوينزلاند حيث يوجد افراد من الشعب يمتلك كل منهم مراعي لتربية الماشية تزيد مساحاتها على مساحة انكلترا نفسها فقد شرع المستأجرون الذين استأجروا تلك المراعي من الحكومة الاسترالية في استخدام الطيارات لتفقد قطعانهم ولا عجب إذ يبلغ ما يربيه بعضهم مائتي الف رأس من الماشية

ومن أولئك المستأجرين شيخ في السبعين من عمره قطع باحدى الطيارات في يوم واحد من عهد قريب مسافة ١٢٠٠ ميل على حين انهُ كان قبلاً يقطع هذه المسافة عينها في ستة اسابيع على صهوة الجواد . ومرضت امرأة في مزرعة قصية من تلك المزارع الاسترالية فأرسلت الى المستشفى حيث عملت لها عملية جراحية ثم قضت اسبوعاً واحداً هناك واعيدت الى بلدتها وهي على بعد ٨٥٠ ميلاً على نقالة من نقالات المرضى وضعت في طيارة فلم تصب المريضة بسوء ما

زد على ذلك ان الطيارات الكشافة تستخدَم في التنقيب عن عمال مناجم الذهب الضالين الذين يموتون ظمأً او الذين يحتاجون الى العناية الطبية فتحمل الماء الى الفريق الاول واسباب الشفاء الى الفريق الثاني. وفي بعض آفاق استراليا حيث تصل المياه الى درجة الغليان اذا تركت وشأنها تحت حرارة الشمس قد يكون جلب الطعام الطازج والمشروبات المبردة بالثلج على متن الطيارات نعمة لا يدرك قيمتها الشعب الذي نشأ وعاش في البلدان العامرة. وعلاوة على سرعة الطيارات فان مخترعيها وصناعها لا يألون جهداً في سبيل جعلها امينة الجانب يصح الاعتماد عليها حتى تنتظم بها خطوط المواصلات

ومن امثال ذلك ان مصلحة الطيران في كوينزلاند على ما يقول المستر كانتول : « قد سيَّرت الطيارات الى مسافات تربي على اربعة ملايين ميل من غير ان يصيب أي راكب من ركابها او سائق من سائقيها أو ميكانيكي بها خدش في اصبعه. ولتلك المصلحة سائق واحد عصامي علَّم نفسهُ الطيران ، وآخر انقضى عليهِ عشر سنين يطير فوق بلدان وعرة المسالك من غير ان يحدث لطيارتهِ حادث ما »

وهذا كله يشير الى اتجاه العمران في بلدان مترامية الاطراف قليلة السكان مثل استراليا وافريقية ، على حين ان كل مملكة في اوربا تقوّي منشآتها الجوية بما في طاقتها

وقد علت المانيا من ساماها في الطيران المدني فأصبحت لها السيادة الحقيقية في نقل الركاب من شرق اوربا الى غربها . وفازت حكومة ايطاليا من عهد حديث بموافقة مجلس نوابها على تخصيص مبلغ طائل من المال لترقية وسائل الطيران فيها . وحتى روسيا قد بدأت في شراء كثير من الطيارات وبنائها

العالم في الهواء

ومع ذلك ارى اننا لا نزال في فجر عصر الهواء . واثر هذا العصر الجديد في العمران انما يتجلى للرجل العامي حينما يتعوّد امتطاء طيارة في الهواء كما يمتطي احدى السيارات الآن ، وعندما تكتظ الطرق الرئيسية الجوية بطيارات السياح والمسافرين والتجار وغيرهم من الذين يقصدون الى زيارة اصدقائهم او عائلاتهم او معاملهم وعملائهم على بعد مئات من الاميال في أقصر وقت

فهل من شك الآن في حدوث هذا في المستقبل القريب ؟ إني ارى الامر لا ريب فيه وما على العلماء الاّ اختراع طيارة رخيصة إكثر اتقاناً من الطيارات التي صنعت حتى اليوم بحيث لا تستهدف للتحطّم ولا تكون مبعثاً للخطر بسبب اهمال قائدها او بلادته فتصبح الطيارات اكثر وقاية لركابها مما هي الآن. ويجب الاكثار من صنع هذا النوع حتى يولع به الناس ويألفوا ركوبه آمنين مطمئنين زرافات لا فرادى

وعندئذٍ يتحقق حلم احد روّاد الطيران الآليّ ونعني به المهندس الانكليزي المخترع (السير جورج كايلي) الذي اكتشف السطح المائل منذ مائة سنة وهو اول قاعدة من قواعد الطيران بآلة اثقل من الهواء . فقد تنبأ هذا المستنبط الكبير حينئذٍ ان لا بدّ من حلول يوم تتاح فيه السباحة في الجو

وفي مدينة لندن يتسنى للمرء أن يجول في شارع بوند فيبتاع بسهولة طيارة صغيرة تعرف بطيارة العث Moth كما يبتاع مسواكاً لتنظيف اسنانه ثمنها ٧٣٠ جنيهاً انكليزيًّا وهي ذات جناحين يطويان خلفها ليسهل ايداعها في مستودع صغير كمستودع السيارات ولا تحتاج الاّ الى ميدان صغير للنزول على الارض . وهناك ثمانية مطارات يسوغ للطالب تعلم الطيران فيها . ففي شهر مارس من السنة الماضية ١٩٢٧ نال شاب في الخامسة عشرة من سنه وشيخ في الخامسة والستين نصيباً وافياً من التمرن يخولها قيادة احدى هذه الطيارات بعد ان قضيا زمناً قصيراً في التعلم

فاذا ما اقتنى امرؤ طيارة من هذا الصنف أمكنهُ ان يدفع ثمنها اقساطاً شهرية كل

قسط ١٥٠ جنيهاً انكليزيًّا . ومتى صار الاقدام على الطيران غير خطير خطرهُ الحالي على المبتدىء فيهِ ، ازدحم الجو بالطيارات الصغيرة وحينئذٍ فلا مراء أن اصحابها يستخدمونها في جلب مشترواتهم من الحوانيت

ونحن نتوقع حصول ذلك في أقل من ربع قرن . هذا اذا صدقنا أنبياء الطيران المدني. فاذا تمَّ هذا الامر باتت السيارة منبوذة لان الطيارة وقتئذٍ ستجري على الغبراء كما تطير في الهواء فتخفف الازدحام الشديد في وسائل النقل المستعملة الآن

ولا بدَّ ان ينجم عن ذلك استخفاف الدول بالحدود التي تفصلها بعضها عن بعض وتغيير هندسة مباني المدن حتى تصير سقوفها محطات لنزول الطيارات الصغيرة وبناء المطارات الكبيرة في مراكز الاعمال .وحينئذٍ لا بدَّ لكل مملكة حافلة بالسكان كانكلترا أو المانيا من توزيع سكانها في الارياف المجاورة للمدن المزدحمة فيتمكن صاحب العمل من السكنى على بعد مائة ميل من مقر عملهِ فيجيئهُ بالطيارة كما يجيئهُ الآن بالسكك الحديدية الكهربائية التي تصل الضواحي البعيدة بمدينة لندن

وحتى الآن لم توضع خطط بشأن اكتظاظ الجو بالمواصلات او فيما يتعلق بصعوبة نزول عدة طيارات في آن واحد في مكان واحدة . ولكننا لا نشك ان مثل هذه القواعد لا مندوحة عن وضعها كما انهُ لا بدَّ من استخدام شرطة في الجوّ لتقييد سرعة الطيارين واخلاء ساحات متسعة لنزول الطيارات آمنة في اواسط المدن الآهلة بالسكان الغاصة بالصناعات

وقد تقع تقلبات جوهرية اذا فكَّر فيها المرء اوجس منها واستفاد في الوقت نفسهِ. بيد ان افتتاح عصر الهواء لا بدَّ ان يسفر عن تغيرات في العلائق بين الاجناس البشرية بعضها مع بعض ، تفوق في خطورتها ما حدث منها حتى الآن

اما كوننا نظل محتفظين بحدود العادات العتيقة ولاسيما عاطفة التفرد بالجنسية ومتمسكين بالحدود العقلية ، والمطامع المفرقة ، والبغضاء ، في الوقت الذي يصبح فيهِ الجو حرًّا وكل فرد منا في وسعهِ النزول في اراضي الآخرين الآهلة وغير الآهلة بالسكان، فامر فيهِ نظر . وهناك مسألة اخرى لا بدَّ ان يكون لها اثر كبير في مستقبل العمران وهي: هل يوحّد الطيران اقطاراً كبيرة من المعمورة على ما يقضي بهِ التبادل الصناعي ، وحرية المواصلات ، والقوانين العامة ، وشيوع لغة واحدة يتبادل التفاهم بها الجميع كما يتفاهمون بلغتهم الوطنية ، والتعاون على انتاج ضروريات الحياة وكمالياتها وتوزيعها بين الناس ؟

هذا من جهة . ومن جهة اخرى نرى للمسألة وجهاً حافلاً بالخطر والروع . ذلك ان الجو قد يغدو غير حرٍّ ، وقد يكون فجر عصر الهواء بدء نهاية عمراننا الحالي . فاذا اضرمت نار حرب اخرى بين الدول التي عنيت بشؤون الطيران استحال على النواتي ان يجتث الاسواق بطياراتهن لابتياع حاجاتهن ولجأ كل تاجر الى خقٍّ (١) من اخفاق الارض يتوارى فيه خيفة وابل القذائف التي تنهال عليه من اسراب الطيارات القتالة التي تحلق فوق رأسه فلا يستطيع مغادرة مكمنه الا نادراً

اذن فالامر كما رأيت متوقف على ارادة الانسان نفسه. وهذا مما يجعلنا نرتاب في وجود ضمان قوي يمنع تلك الحرب مع ما بلغهُ الجمهور من المستوى العقلي والادبي اذ الانسان لا يتقدم عقليّـا وادبيًّا تقدم العلماء في السيطرة على القوة التي يخضعونها لمطالبه

مصادر القوة

وما أعظم القوة التي اخذت تخضع لمطالبه ! فالعلماء الذين حادثتهم او الذين اطالع كتبهم ما زالوا يبحثون عن موارد جديدة للقوة او بالاحرى عن المصادر الدائمة للقوة التي اماطوا اللثام عنها حديثاً. وذلك لانهم كانوا متوجسين خيفة لقلة مصادر القوة الشائع استعمالها بين الجمهور الآن والتي يحتمل ان تنفد عاجلاً او آجلاً . فيقولون ان هذه المصادر تبقى تمدّنا بالقوة ما بقينا احياء . غير ان العلماء يتطلعون الى المستقبل ويرسمون الخطط لرخاء الاجيال المقبلة

ومما يحفلون به : مصادر الفحم الحجري ، والنفط ، والطعام . وقد حدثنا الاستاذ (صدي) وهو بحاثة جليل في اشعة الراديوم وغيره من مصادر القوة والضوء فقال : « انا نستنفد كل سنة من الوسائط الطبيعية التي نستعين بها على حياتنا ماكان يكفي اسلافنا مدة قرن من الزمان، ولذا نرى ان نفاد مصادر القوة التي يعتمد اليها ابناء العصر الحالي لم يعد امراً بعيد الوقوع » . وايّـد هذا الرأي الاستاذ هولداين وهو من ازكى علماء انكلترا في هذا الزمان إذ قال :—«ان نفاد مناجم الفحم الحجري ومنابع النفط سوف يتم في قرون قليلة »

اما الطعام فاذا قسنا الطوائف المشتغلة في الصناعات ، بالجماعات العاملة في الفلاحة وهي التي تمون العالم بالغذاء الفينا النسبة مختلة اختلالاً ينفي الطمأنينة من الافئدة . فالحواضر تعج بالاقوام الوافدين اليها من الحقول والقرى ، لان في المدن من مظاهر

(١) الخق — والجمع اخقاق — الشق في الارض

الحضارة الخلابة ما يستهوي القلوب ويؤدي الى الزيادة الفادحة في سكانها وخصوصاً بعد التقدم في مكافحة الامراض الوبائية واستئصال شأفتها فتمكنت الحكومات من المحافظة على حياة الصغار بعد ان كانت حياتهم مهددة بمختلف الامراض وكانت النسبة المئوية للوفيات منهم مروعة فانخفضت انخفاضاً كبيراً وزاد حظ الكبار من الحياة زيادة عظيمة

تصنع السيارات والجراموفونات وسائر المصنوعات التي تمس اليها حاجة الحضارة فتنهال على الشعوب انهيالاً متزايداً على الدوام فان لم يتيسر لصناعها مقايضتها بالطعام اللازم لهم قضوا سغباً أو اضطروا الى العودة الى الحقول حيث يعانون شظف العيش إذ حاصل الارض لا يكفي لربوات الخلق التي لا بدَّ ان تنص بهم الارض في المستقبل

ومن الممكن، وبعض علمائنا يرى ذلك محتملاً، حيال تضاؤل غلات العالم وعجزها عن سد عوز الناس من القوت ، أن يوفى هذا النقص من الاطعمة الصناعية التي تركب في المصانع الكيماوية . وهي ثمرة من ثمار علومنا العصرية

ومعلوم ان الاطعمة الكيماوية تحتوي على الوقود الحيوي الذي تفتقر اليهِ الآلة البشرية—أي بنية الانسان—وتأتي بنتائج تماثل من كل الوجوه نتائج العناصر الكيماوية التي تدخل الجسم بما نتناولهُ الآن من الوان الغذاء الطبيعي . وفي زمننا هذا يدرس كثيرون من العلماء هذا العلم الجديد ونعني بهِ الكيمياء الحديثة الخاصة بالغذاء

بيد ان بعض علماء الفسيولوجيا والكيمياء قد اقدموا على التنبؤ بحلول اليوم الذي فيهِ يأتي الغذاء الى الانسان عفواً صفواً لم يُجشم لهُ وجهاً ولم يمد اليهِ يداً ، وذلك بأن يقصد المرء من فورهِ الى القوة الحيوية التي هي مصدر الحياة التي تستمد من الشمس فتكمن في الجواهر الفردة . ومتى وصل الانسان بدنه بآلة كهربائية معينة انقاد لهُ من مراكزها وقود حيويٌ كافٍ لاضطلاعه بعبءِ عملهِ اليومي

غير ان رأياً كهذا لم يجل بخاطري وانما هو من بنات أفكار المستر ولز فلنضرب عن تفصيلهِ صفحاً في هـذا الكتاب الذي اطلقت عليهِ اسم (ما بعد غد) لانهُ اقرب الى خيال الشعراء الآن منهُ الى حقائق العلماء

أما الذي ارجح حدوثه في المستقبل القريب أشد الترجيح فهو مضاعفة غلات الاطيان بالوسائل الكيماوية ووقاية الحاصلات من الآفات الطبيعية او التقلبات الجوية . ويبدو لي أن هذا امر قريب المتناول قياساً على ما حصل في بلاد نروج حيث استخدم

الضباب الصناعي (الذي سبق ابتداعه في إبان الحرب العظمى لاحداث غيوم من الدخان تختفي وراءها البوارج وصفوف الجنود) لوقاية الحاصلات من الصقيع وذلك بتغطيتها بالبخار الساخن . ومن المحتمل في القريب العاجل نشوء صنوف جديدة من الثمار والخضراوات عن طريق التطعيم العلمي فيستطيع البستاني انتاج نوعين مختلفين من الفواكه من نبات واحد . ولعلك تستغرب هذا الاستنتاج ولكنهُ امر واقع لا ريب فيهِ ،مارسهُ ونجح فيهِ في مدينة (رِنّ) بفرنسا الاستاذ لوسيان دانيال اذ ولّد نباتاً ينتج طماطم فوق سطح الارض وبطاطس تحت سطحها

وكيفما كان الامر فان طرقاً غريبة كهذه قد تسفر عن نتائج ضئيلة لا تكفي لمجاراة ما يحتاج اليهِ البشر من الغذاء في عمرانهم المادي ومطالبهم الحيوية

وهذا كما سبق القول يسبب وجل العلماء بشأن المستقبل ،ذلك الوجل الذي يستنهض عزائمهم لاستنباط موارد للقوة يمكن تحويلها الى قوة مولدة للنشاط الحيوي وربما للغذاء نفسهِ اذا مست الحاجة . ومهما تكن النتيجة فاني أرى أن العلماء لا يقلعون عن مواصلة البحث عن قوة جديدة لشدة شغفهم بالاستطلاع وطموحهم الى اكتناهِ اسرار الحياة والوقوف على الاصل الحقيقي للقوة الحيوية

اما المستقبل فيلوح لنا انهُ سيكون حلبة سباق بين العلماء وبين نفاد المؤن خشية ان يؤدي الامر بالانسان الى التقهقر الى عصر الهمجية فالموت . غير ان العلماء قد أعدوا للامر عدتهُ من قبل فجدّوا في سبيل الوصول الى موارد القوة التي لا تنفد

وقد قال كيماوي رفيع المقام وهو الاستاذ صدي : « إن الجنس البشري ما انفك يعول في حياته على القوة المستمدة من الشمس، فكل شيء متحرك بنفسهِ اوفيهِ القدرة على التحرك يمتلك قوة اذا تتبعنا سيرها حتى مبعثها وجدناها في الغالب صادرة من الشمس . فقطرات السكك الحديدية الواسقات في القفار ،والبواخر الشاحنات في البحار والكائنات الحية من دبابة وسباحة وطيارة انما تتحرك بالقوة التي توافيها بها الشمس اشعة هي احياناً ضوء واخرى حرارة . هذه القوة المشعة تتحول في الزراعة الى قوة يمكن خزنها في الغذاء فينتفع بها الاحياء . كما ان القاطرة التي تسير اما بالبخار واما بالزيت تتحرك ايضاً بقوة الشمس ، التي ادخرت في ازمان غابرة في النبات ، وما زالت دفينة في الفحم الحجري والغاز الطبيعي والنفط وما اليها » ***

[في الشهر القادم بحث في اشهر هذه المصادر التي يبحث عنها العلماء]

الالعاب الاولمبية والرياضة البدنية

حفلات هذه الالعاب

اهتم المصريون في اثناء الشهر الماضي بانباء الالعاب الاولمبية ومباراة فرقة كرة القدم المصرية فيها . وعلى ذكر ذلك ننشر فيما يلي وصفاً للالعاب الاولمبية كما كان يقيمها اليونان الاقدمون

عقد اليونانيون حفلات الالعاب الاولمبية الترويضية لغاية مقدسة هي تكريم زعيم آلهتهم (زفس) الاولمي وزوجته (جونون) وعند ما تغلب الرومان على اليونان شاركوهم بهذه الالعاب. وكانت الناس تتسابق زرافات ووحداناً من كل فج وصوب لشهود الحفلات الاولمبية بشوق ولذة غريبين فكثر كلفهم بها وزاد تكريمهم للظافر فيها وتتويجه بورق الزيتون الذي اعتقدوا انهُ اثمن من الذهب لانهُ رمز اثينة (ميترفه) حامية عاصمتهم المسماة باسمها. فتتغنى شعراؤهم بمدحه وطار صيتهُ بين الناس عامة حتى كان يفضي بهم الحال الى تأليهه احياناً

والحفلات كانت تقام في كل اربع سنوات مرةً اي في السنة الخامسة ولذلك قسموا زمانهم الى اولمبيادات كل (اولمبياد) اربع سنوات . وزمنها البدر الاول من الانقلاب الصيفي اي نحو اول شهر تموز (يوليو) . فتبطل فيها الحروب والمشاحنات والمنازعات ويتفرغ الناس لها فتكون اشهُر اللعب كاشهر الحُرُم عند القدماء . فاذا اضطرُّوا الى الحرب في وقت الاحتفالات ابطلوها الى ان ينهوا احتفالاتهم فيعودوا اليها

وكانت الالعاب بادىء بدء تمكث يوماً واحداً فقط . وبقيت هكذا الى زمن الاولمپياد السابع والسبعين. فاخذت تزداد حتى صارت خمسة ايام ثم ستة ايام ثم اسبوعاً كاملاً .وعينوا اول يوم منها للذبائح والثاني لسباق الرجّالة والثالث لحرب البنكراسيوم (اي المصارعات الخمس والمصارعة البسيطة) والاخيرين لسباق الخيل والمركبات .وكان لكل اولمبيادة نوع من المسابقات الخاصة لامحل لتفصيلها

وكانت المحاضرة اولاً ثم اضيفت اليها المصارعة سنة ٧٠٨ ق.م وبعد ذلك الملاكمة سنة ٦٨٨ ق .م والمسابقة بالمركبة ذات الخيول الاربعة سنة ٦٨٠ ق. م

وعدَّد اوميروس في النشيد الثالث والعشرين من الالياذة العربية البستانية والصفحة ١٠٩٤ من الالعاب الترويضية السباق صفحة ١٠٧٣ و١٠٩٢ وفصلهُ تفصيلا

مطولاً ثم الملاكمة ١٠٩٢ والصراع ١٠٩٤ والحُضْر ١٠٩٦ والطّمان ١٠٩٩ والكرة ١١٠١ والنضال (المباراة في رمي السهام) ١١٠٢ والمراشقة ١١٠٤ فالصيد والقنص والغوص والفروسية الخ

وكان لرمي الكرات الحديدية شأن عندهم وكانوا في الملاكمة يشدّون النطاق على الحقوين ويلبسون قفافيز (جمع قفاز بمعنى كف) من جلد في ايديهم كما يفعلون اليوم قال اوميروس في ترجمة الياذته العربية :

شدَّ لهُ النطاق حول الخصر والجُمْعَ[1] غشّى جلد ثورٍ برّي
فنزلا الساحة يرفعانِ كفيهما معاً ويلكمانِ

والملكام كان قبيحاً واقل قباحة منهُ البراز

توزيع الجوائز

وكانوا يحفلون باليوم الاخير لانهُ المخصص لتوزيع الجوائز والاكاليل على الفائزين بين ضوضاء الناس وجلبات الحاضرين . واذ ذاك ينادون باسم الغالب واسم والدهِ وقبيلتهِ وبلادهِ ويطوفون بهِ بالتبويق . ويسجلون ظفرهُ . ويأخذونهُ بموكب فاخر الى البريتانيوس حيث تُعَدُّ لهُ وليمة نفيسة. ومن الغريب انهم كما كانوا يجيزون الغالب لظفرهِ كانوا يجيزون المغلوب بشيء لجبر خاطرهِ الكسير لانهُ لا يتبارى الا الاكفاء . ولهذا كانت تتجدَّد عزائمهم وتستعاد قواهم لاستئناف الالعاب

وفي السنين الثاني والعشرين الاولى من الحفلات الاولمبية كانت جوائز الغالبين تصنع من الفضة. ثم استبدلت بها اغصان الزيتون لتقديسها من حيث كونها رمزاً لمينرفه او اثينة الاهة الحكمة وحامية عاصمتهم كما سبقت الاشارة

وكان القضاة الذين ينصّبون للحكم في السبق عند اجراء الالعاب الاولمبية يتصدرون في ذلك الملعب او المضمار باكسيتهم القرمزية واكاليل الغار فوق رؤوسهم فيأمرون المنادي باعلان الجوائز ونائليها على رؤوس الاشهاد

وعدا الجوائز والاكاليل التي تتوج بها عمدة الالعاب والحَكَم الظافرين كان الحاضرون ينثرون عليهم دراهم الازهار ودنانيرها ومضفور الاكاليل ومجاديلها احتفاء وتكريماً

---

(١) الجمع الكف المفتوحة

وكان طول الفسحة التي يلعبون بها (او المضمار) ست مائة قدم وكلها مفروشة ارضها بالرمال اللينة ويستعدُّون للعب بخلع ثيابهم ويبتدئون بها على اثر نفخ البوق الذي كان ينبههم الى مشارفة اللعب

واما الاغنياء الظافرون بالفوز ولاسيما في سباق العجلات فكانوا يقيمون المآدب الفاخرة والحفلات المتقنة لتلك الجموع الكثيرة التي شهدت الالعاب وهنأتهم بغلبتهم

وكان الظافر ينال شرفاً سامياً وذكراً طيباً ويشيد من مالهِ ومال وطنيّيهِ هيكلاً لاولمبيه وكان الوطنيون يشتركون معهُ بذلك لما ينالهم من الفخر الوطني بغلبتهِ واستظهارهِ على زملائهِ الكثيرين . وعند عودتهِ الى وطنهِ يقابلهُ وطنيّوهُ باحتفالات عظيمة ومواكب فخمة فرحين بهِ فيدخل وطنهُ بثوبهِ القرمزي على عجلة تجرها اربعة من الخيول البيضاء والشعب يخفرهُ

وكان من عادتهم في المبالغة بالحفاوة بهِ ان يهدموا قسماً من جدار باب المدينة . وفي ذلك (رمزٌ) مغزاهُ : « ان مدينة فيها ابطال يقاتلون ويظفرون ليست بمحاجة الى جدران تقيها هجمات الاعداء » ويحملون امام الظافر المصابيح وتحفر لهُ التماثيل وعليها شارتهُ وكل ذلك على نفقة الحكومة الوطنية

وكان الشعراء المشهورون يهنئونهُ بقصائدهم الرائعة متغنين بمفاخرهِ وحذقهِ ومما يجدر بالذكر في هذا المقام ان دياغوراس اشهر ابطال القدماء في هذه الالعاب المقدسة عندهم كان ينال الغلبة في كل انواع المصارعات والمبارزات الاولمبية فلذلك نظم لهُ الشاعر (بندار) قصيدةً بليغة كان يتناشدها المصلون في هيكل مينرفه الاهة الحكمة في ليندى حيث نقشت على جدرانهِ بحروفٍ ذهبية [1] ومعناها :

« في هذا المكان حيث يضحَّى بالخراف ويحتفل بالالعاب الاولمبية نال دياغوراس اكليل الغلبة والظفر مرتين . وقد استظهر على اقرانهِ مرتين في الايسثم ونال الجائزة الاولى في نيمه واثينه . وكان دائماً هو الغالب في ارغوس واركاوى وثبى — وانا اشاهدهُ بامّ عيني — ست مرات خارجاً من الميدان فائزاً منصوراً . وقد نقش اسمهُ في (ميغار) على عمود الغالب » . اه

---

(١) ولعل العرب اخذوا من هنا تعليق القصائد على جدران الكعبة منقوشة بماء الذهب كالمعلقات والمذهبات الخ وكانت سبع قصائد معروفة في آدابهم يعدونها من ابلغ منظومهم

واصل دياغوراس من رودس وقدكان آية في الالعاب والتروُّض فترعرع ابناؤهُ الثلاثة واثنان من حفدته على براعته باحرازهم اكاليل الظفر مثلهُ في كثير من الالعاب . ولهذا نالت أُسرتهُ احتراماً عظيماً فكانت لها امتيازات خاصة بها منها ان ادارة الالعاب سمحت لابنته كليوبطره ان تدخل الميدان

ولما هرم دياغوراس بقي احترامهُ مرعيًا فكان يستقدم الى الملعب الاولمبي ويشاهد انتصار اولاده اجيلاس وداماجيت ودوريوس ويسرُّ بهم لأنهم خلفوهُ في حذقه . ومن عجيب ما كان يجري اذ ذاك ان الحاضرين كانوا ينقلون الاكاليل عن رؤوس اولادهِ . ويضعونها على رأسهِ ثم يحملونهُ على الايدي الى هيكل زفس والناس يهتفون لهم على جانبي الطريق وينثرون الازهار والطيوب . حتى انهُ في آخر مرة بعد ان شهد الالعاب وظفر اولادهُ حمل الى الهيكل بين الجلبة والهتاف وكان المحتفلون به يقولون لهُ : « مت ياديا غوراس اذ ليس في طاقتك ان تكون معبوداً بعدُ » فمات قبل وصوله الى الهيكل متأثراً من كثرة الاحترام وازدحام المفاخر عليهِ

وهكذا كان الغالب يعيش سحابة عمرهِ معزَّز الجانب رفيع القدر فيجلس في كل الحفلات في المكان الممتاز اكراماً لهُ . ويسمونهُ (بطل المدينة)

وفي مدينة (اسبرطه) كان الغالب ينال الشرف . وفي (اثينة) كان الظافر في الاولمبية يُجاز بخمس مائة درخمة . وصار بعد ذلك تقدم لهُ نفقة طعامه مجاناً طول عمرهِ

وقد ضربوا مثلاً بالاحتفالات التي جرت في بلدة (اكراجنت) فانهم كانوا يقيمون الغالب على عجلة تجرها اربعة رؤوس من الخيل البيض يحدق بها السكان كحراس ووراءها اهل الظافر ممتطين عرباتٍ يجرُّ كل عربة جوادان ايضان

وكان لكل فائز الحق بنصب تمثال لهُ من الرخام او الشَّبَه (البرونز) في اولمبيه يصوَّر عارياً كما كان يلعب ويتروض عارياً لخفته والتمكن من تحركه بسرعة وانتظام

ولهذه الاسباب اتقنت صناعة الشعر والنقش والخطابة وتبارى النابغون فيها وهذا من جملة تأثيرات التروض في آداب الامم فوق منافعه الصحية والعقلية

وكانت توزع الجوائز والاكاليل ايضاً على النابغين من الشعراء والخطباء والنقاشين

ولقد تلا هيرودوتوس المؤرخ اليوناني الشهير امام المحفل الاغريقي تاريخهُ النفيس الذي وصف فيه حروب مادي الكبيرة فوقع من نفوسهم احسن موقع واعجبوا بفصاحة تعبيراته وسموا كتبهُ التسعة المؤلف منها تاريخهُ باسم (الموسات التسع) الاهات الفنون

المرأة اليونانية والرياضة

كانت المرأة اليونانية تشتغل بغزل الصوف خاضعة لرجلها او اهلها ملازمة بيتها واما الاسبرطيون المشهورون بقوتهم وبسالتهم فربوا بناتهم على نحو ما ربُّوا بنيهم بالتمرين على الالعاب الترويضية ومدح الشعراء لهنَّ فكنَّ اقوى نساء اليونان واصحهنَّ اجساماً فولدن اولاداً اصحاء باسلين . ومما امتازوا بهِ التفرد بالتروُّض والتجافي عن الفنون فلم ينشأ منهم خطباء ولا مهندسون ولا نقاشون ولا فلاسفة ولكن نبغ منهم ابطال اشداء وباسلات مشهورات يشجعن الرجال على اقتحام ساحات الوغى والتجالد على القراع والصدام . ومما يروى من ذلك : أن امرأة منهنَّ علمت ان خمسة من بنيها قتلوا في الحرب. فقالت للمخبر : ليس هذا ما اسألك عنهُ. فهلاَّ كتب النصر لنا — فقال : نعم — قالت : اذن فلنحمد الآلهة . وقتلت امرأة اسبرطية ولدها لفرارهِ عند زحفهِ على الاعداء قائلة لهُ : ان نهر (الادروتاس) لا تجري مياههُ ليشرب منها الوعول

ولقد نقل اليونانيون معهم هذه الالعاب بأُصولها الى البلدان التي دوَّخوها . ومما ظهر في بلادنا اكتشاف السيدة الفرنسية دنيزلي لاسر Mme Denyse le Lesseur سنة ١٩٢١ لصحيفة في مدينة صور نقش عليها صورة اوطيوخوس احد ابطال المصارعين فيها . وعليها كتابة يونانية تدل على نيل ذلك المصارع قصب السبق مراراً في الالعاب الاولمبية التي اشتهرت عندنا كما اشتهرت في جبال الاولمب

وسنة ١٨٦٢ م كشف في صيدا اثر عليهِ شعر يوناني في مدح ديوثيمس أحد المتروضين لتفوقهِ في حفلة الالعاب الاولمبية في صيدا على زملائهِ [١] . الى غير ذلك مما يدل على شيوع هذه الترويضات التي كانت لها طرق مختلفة وانواع كثيرة ربما عدنا الى ذكرها في فرصة ثانية

زحلة — عيسى اسكندر المعلوف
(صاحب مجلة الآثار)

---

(١) راجع مقالة منشيء هذه المباحث في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقي (٢ : ١٦١) بعنوان (آثار صور وصيدا الحديثة)

شرقي في اميركا

٢

المصارف المالية

المصارف المالية في الولايات المتحدة منتشرة انتشاراً يقف عندهُ طمع المستزيد حتى في اطراف البلاد النائية وقراها الصغيرة . فمنها ما هو للتجارة والصناعة والزراعة والرهونات والتأمين والتوفير . حتى ان مصرفاً كبيراً يدعى « بنك العشر » اي عشر الريال يقبل الودائع التي لا تتجاوز غرشين صاغ . وكلها خاضعة لمراقبة شديدة من جانب الحكومة تمرُّ عليها لجان معينة تفحص دفاترها من وقت لآخر حتى اذا رأت نقصاً معيَّناً في الرأسمال اجبرتها بحكم القانون على ايقاف اعمالها حرصاً على الاموال المودعة فيها . ونظام المصارف المالية هناك دقيق جدًّا ومحكم وكلها تعتمد في الازمات الشديدة على مساعدة بنك البنوك او Federal Reserve Bank . وقد اطلعت في مجموعة خطب المالي المصري الشهير سعادة طلعت بك حرب على تفاصيل هامة لهذه النظم يجدر بكل من يهمهُ هذا الموضوع ان يقرأها بتروٍ وامعان فماليات البلاد هي الكل في الكل حين يدور البحث حول الاستقلال والطرق المؤدية اليهِ

الجماعة والفرد

يمكنني ان اقول وانا مطمئن الى الحقيقة ان جوَّ الولايات المتحدة لم يعد صالحاً لحياة الفرد . فالشركات اي الجماعات هي التي تتولى الاعمال حتى انهُ من المتعذر عليك ان تجد مطعماً اميركيًّا او دكاناً اميركيًّا مهما كان صغيراً لا تديرهُ شركة اميركية . ومما يؤسف لهُ ان السوريين هناك لا يزالون كما كانوا في بلادهم وكما نرى المصريين في مصر وكما نرى كل اصحاب الاعمال في كافة البلاد العربية يشتغل واحدهم بهمة لا تعرف الملل وكفاءة هي موضع الاعجاب ولكنهُ يحاول وهو منفرد بنفسهِ ان يقاوم تيار الشركات الجارف اي المستحيل . وهذه حالة لن تدوم اذ لا بد من احد امرين : اما ان يجاروا الوسط الذي يعيشون فيهِ واما ان يخرجوا منهُ او يبتلعهم تيارهُ والمنتظر ان اولادهم الاميركيي المولد والجنسية والتربية والذين لا يتكلمون العربية الاَّ قليلاً سيخلعون الثوب القديم ويلبسون الجديد ويتمشون مع روح العصر فيسيرون في اعمالهم جماعات قوية متضامنة ولا شك ان شركاتهم ستصيب من النجاح ما اصابهُ آباؤهم افراداً . اما الاندية في

الولايات المتحدة فعدّد منها ولا تعد وحدّث عنها ولا حرج . اندية للرجال ومثلها للسيدات والفتيان والفتيات من كل طبقات الهيئة الاجتماعية ولكل ناحية من نواحي الحياة الادبية والاقتصادية والسياسية والرياضية . لا يكتفي الاعضاء في كثير من هذه الاندية بان يجتمعوا ويتبادلوا الافكار بل يعينون يوماً من كل اسبوع فيهِ يتناولون الطعام معاً اما في ناديهم اذا كان رحباً ومهيأ لذلك واما في احدى ردهات الفنادق الكبرى التي يتفقون معها على ان تتقاضى ريالاً واحداً عن كل شخص .وحينئذٍ لا يتجاوز وقت تناول الطعام عشرين دقيقة يقف بعدها خطيب الحفلة يتكلم من عشرين الى ثلاثين دقيقة في موضوع يهمُّ السامعين أُعلن عنهُ من قبل . وكثيراً ما يكون الخطيب غريباً عنهم يدعونهُ خصيصاً لهذا الغرض وقد يكون من بلاد نائية فيدفعون لهُ نفقات سفرهِ واحياناً اجراً يتقاضاهُ وقد يبلغ هذا الاجر رقماً لا يستهان بهِ . والمصطلح عليهِ في ظرف كهذا ان يقف رئيس النادي بعد سماع الخطاب فيعلن ان الخطيب مستعد لان يجيب عن الاسئلة التي تطرح عليهِ استيضاحاً لنقطة قد تهم احد الحاضرين . والامر الذي يستوقف النظر في مثل هذه الاجتماعات هو الحرية التامة في ابداء وجهة نظر قد تخالف فكرة السامعين جميعاً والاصغاء التام لكل كلمة تقال والكياسة والادب في الاستفهام والاستجواب والدقة في المحافظة على النظام والوقت ففي الوقت المعين اي حوالي الظهر ترى الكل جالسين في محالهم ولا تدق الساعة الثانية الا وقد نهضوا جميعاً وانصرف كل الى عملهِ. تنشر الجرائد المحلية ملخص ما يدور في اجتماع كهذا واعمدتها مفتوحة لمن اراد ان يتوسع في الموضوع سياسيًّا كان او تجاريًّا او صناعيًّا .وكثيراً ما يلقى صاحب فكرة جديدة او مشروع جديد تعضيداً ماليًّا في مثل هذه الاوساط فيتمكن من مواصلة مباحثهِ وتجاربهِ وقد يصبح هو والذين ساعدوهُ بين عشية يوم وضحاه من اصحاب الثروات الاميركية الطائلة . والمثل الانكليزي « الوقت هو المال » معمول بهِ في كل الولايات المتحدة وقد يكون اسهل عليك ان تقابل اميراً او ملكاً متوَّجاً من ان تقابل واحداً من كبار رجال الاعمال في اميركا واذا اسعدك الحظ وحدّد لك كاتم سرهِ موعداً بعد ان يطلعهُ على الغرض من زيارتك وربما كان ذلك بعد يوم او اسبوع او اكثر فيجب عليك ان تكون في الدقيقة المعينة حاضراً والا فاتتك الفرصة وهيهات ان ترجع . وقد قال لنا المرحوم القاضي جاري وكان مديراً لشركة الفولاذ الشهيرة يوم زار مصر . اني اجتهد ان اقابل كل الذين يقصدونني اذ ربما

كان في ذلك فائدة ما ولكني لا اقابل الزنار غير مرة واحدة !

في جوّ الاندية الهادي يروج نشر الدعايات لمختلف الغايات وانتم تعلمون ان وقع الخطابة في نفوس السامعين قد يكون اشد من وقع القراءة في نفوس الذين يقلبون ما لا يحصى من الجرائد اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية يبحثون عن موضوع يهمهم امرهُ غير ملتفتين لسواهُ . وقد اسعدني الحظّ بان دعيت للخطابة في كثير من الاندية الاميركية والسورية فتكلمت عن مصر وسورية وعن حالتهما السياسية والاقتصادية والادبية وعن الصحافة العربية وعن جمعية الرابطة الشرقية والغرض منها على قدر ما كانت تسمح لي الحال ولكني مع الاسف كنت كمن يقرأ من حكايات الف ليلة وليلة . اذ لم اجد بين السامعين من يعرف شيئاً يذكر عن هذه البلاد والقليلون الذين زاروها عادوا منها مزوّدين بالمعلومات الناقصة المشوّهة وقد تلقوها عن دليل وجدوهُ على ابواب الفنادق . كنت اجهد نفسي لاقنع الحاضرين بان الارض التي هبطت عليها الاديان العظيمة وقام فيها الرسل والانبياء والارض التي اشرقت منها مدنية الفراعنة لا تزال موجودة الى الآن ومأهولة بأناس لا يختلفون عن بقية بني البشر بشيء . وقد وجدت نفسي مرةً مضطرًّا لان اثبت ان القاهرة هي عاصمة البلاد المصرية وليست في سورية كما ظن احد محرري الجرائد الكبرى في ديترويت ! قد تقولون كيف يكون الامر كذلك وجماعات المرسلين والسياح والتجار يتوافدون الينا زرافات . ان ذلك صحيح ولكني اريد ان لا يغرب عن البال ان لكل طائفة منهم وسطاً مخصوصاً وغاية معينة وان خيراً للمرء ان يحكّ جلده بظفره وان يقوم هو بتعريف قومهِ وبلاده الى العالم المتمدن من ان يترك هذه المهمة الحيوية للاجانب

سيداتي وسادتي : تقرأون في هذه الايام كثيراً مما تنشرهُ الجرائد في كل اقطار العالم عن الاعمال العظيمة التي قام بها الاجانب في هذه البلاد حتى صيروها او يريدون ان يجعلوها جنّات تجري من تحتها الانهار ! معاذ الله ان انكر على احدٍ سعياً مشكوراً او ان ابخسهُ حقاً كسبهُ بجدهِ واجتهادهِ وبعيدة عني فكرة الخوض في مسائل السياسة العويصة الخارجة عن دائرة جمعية الرابطة الشرقية وانما اريد ان اذكر الى جانب الجهود التي بُذلت الفوائد التي عادت على اصحاب هذه الجهود . يقولون بانهم أحيوا الارض الموات وروجوا التجارة وقاموا بالمشروعات العمرانية وسهلوا المعاملات المالية الى غير ذلك مما ترى أثرهُ ظاهراً في عواصمنا وبنادرنا واريافنا . ولكنهم اغفلوا

مراجعة حساباتهم المدونة في دفاتر مسجلة في المحكمة المختلطة . تقدمت الزراعة ولكن الجانب الاكبر من اطيان مصر الزراعية مرهونة في البنوك العقارية تدفع فائدة حدها الادنى سبعة بالماية اي ما يزيد عن متوسط ايراد الاراضي الجيدة التربة وهذه الفائدة تعود شرعاً لاصحاب رأس المال . اتسع نطاق التجارة ولكن المصارف التي تساعدها أُنشئت برؤوس اموال اجنبية ووسعت دائرة اعمالها بالاموال الوطنية المودعة فيها والتي تدرّ عليها ربحاً وفيراً . خذوا الماء الذي نشربهُ والكهرباء التي تبدد ظلمات ليالينا الحالكة ووسائط النقل من ترام وسكك حديد زراعية وسيارات . خذوا مقاولات البناء والبنايات الشامخة التي تشاد فالمقاولون اجانب والبنايات كالاطيان تُرهن وما استلف من تكاليفها يستنزف الجانب الاكبر من ايرادها . وبالاختصار ان هذه المظاهر العمرانية يعود جلُّ فائدتها على الاجانب . واذا كانت اموالهم تعود عليهم بارباح طائلة واذا كانوا قد تقاضوا اجوراً عالية عن كل عمل عملوهُ فما الداعي لهذا التبجح وهم يمرحون في مرعى خصيب ويتمتعون بامتيازات لا يحلمون بمثلها في اي بلدٍ من ارض الله الواسعة ؟ أشرت الى ما رأيتهُ في الولايات المتحدة من ان كل هذه الشركات وطنية بحتة وفي ذلك دليل على ان الوطن لن يكون لبنيهِ الاَّ اذا كانوا هم المالكين لمرافقهِ الحيوية والمسيطرين على مشروعاتهِ العمرانية والمتمتعين بما يدرهُ من الخيرات . لم يصل الاميركيون الى ما وصلوا اليهِ الاَّ بعد الجهد العظيم والدرس العميق والعمل المشترك وفي هذا الطريق يجب ان يسير المصريون وهم قد بلغوا سن الرشد وهذه الحقائق التي ادركها المفكرون منهم والى الغاية التي ذكرتها توجه جهود العاملين . نعم. لم يفكر ولن يفكر احدٌ من المصريين ان يرمي الاجانب الى البحر بقضهم وقضيضهم ولكنهم يسعون ويجب ان يسعوا من الطريق المشروع للاستيلاء على هذه المشروعات حين تنتهي آجال امتيازاتها . يريدون كما يريد كل كريم ابي النفس ان ينزل الاجانب منهم على الرحب والسعة ولكني وانا واحد منهم يثقل على طبعي ان يجدني الاجنبي ضيفاً في بلادي وان يحسب نفسه صاحب المنزل . اريد ان اعطي ما لقيصر لقيصر ولكني لا اريد ان اعطيه ما هو لله وما هو ملك لذلك الشخص المعنوي المقدس الذي لا تذكرهُ الافواه الاَّ والقلوب متجهة نحو السماء واعني بهِ الوطن

الاحسان واعمال الخير

سيداتي وسادتي : ينظر المرء وهو في الولايات المتحدة الى الاعمال الخيرية التي

يقومون بها فلا يدري اذا كان البذل كرماً منهم او عادة اصطلحت عليها الامة بكل طبقاتها . تعمل حكومتهم كثيراً ولكن عملها لا يُذكر بجانب الاعمال العظيمة التي يقوم بها الافراد والجماعات في كل بلدٍ وحيث تمسُّ الحاجة . المستشفيات . الملاجيء . المدارس . الكنائس وكل ما من شأنه العناية بالشيوخ وبالاطفال والعمال والبنات والامهات . ولهم في جمع الاموال خطط منظمة واساليب مبتكرة يندرُ ان لم اقل يستحيل معها الفشل. واليكم ما شهدتهُ بنفسي في مدينة ديترويت التي اقمت فيها اربعة اشهر

كنت اقرأُ في خلال هذه المدة في الجرائد عن « حملة » يقومون بها لجمع اربعة ملايين من الدولارات « لنسوة ديترويت » فما مررت في شارع او ركبت قطاراً كهربائيًا او بخاريًا او باخرة على نهر الا رأيت الاعلانات عن هذه الحملة مذيلة بدعوة حارة للاقبال عليها . تؤلف في مثل هذا الظرف لجنة من بعض السيدات والرجال وترسل قائمة باسماء اعضائها الى غرفة التجارة مع بيان للغرض الذي يراد جمع المال لاجله وتحديد للمبلغ فتدرس الغرفة التجارية الموضوع وتتأكد من ان الاعضاء هم من المشهود لهم بالنزاهة والمروءة وعمل الخير قبل ان تصادق مبدئيًا على المشروع ثم يتناوله كاتما سرٍّ معيَّنان واحدٌ من قبل اصحاب المعامل والآخر من قبل اصحاب المحال التجارية او البائعين بالقطاعي فيعيدان درسه من كل نواحيهِ حتى اذا تأكدا من لزومهِ ونفعهِ صادقا على قرار الغرفة التجارية وارجعاهُ الى اللجنة القائمة بالعمل . فكل صاحب معمل او محل تجاري يطلع على هذا القرار يثق بان كاتم السرّ النائب عنهُ في الغرفة التجارية قد قام بواجبه واجرى التحريات اللازمة فليس عليهِ ان يضيع الوقت بالسؤال والجواب بل عليهِ ان يستشير قلبه وجيبه وان يجود بما تسمح نفسهُ . ولرعاة الكنائس اليد الطولى في انجاح مثل هذه الاكتتابات ولا يعرف مدى نفوذهم الا الذين وقفوا على صلتهم المتينة باعضاء كنيستهم . وقد تمشى هؤلاء الرعاة مع روح العصر فتراهم في ايام الاحاد يخطبون الجماهير لا في موضوعات دينية فحسب بل يتناولون كل مايهم سامعيهم من الامور الاجتماعية والاقتصادية حتى والسياسية .وقد سمعت الدكتور بطلر رئيس جامعة كولومبيا في نيويورك يقدم في يوم احدٍ وفي الكنيسة مشروع معاهدة بين اميركا وفرنسا وضعهُ كما صرّح بالاشتراك مع زميله استاذ التاريخ في الجامعة من غير ان يستشير حكومته او يطلعها عليهِ . قلت ان التشرق يدوم اشهراً وفي بعض الاحيان اكثر من سنة ثم يُفتتح الاكتتاب لمدة لا تتجاوز الاسبوع كما هو المتبع في القروض الدولية . في هذه المدة

الوجيزة يجتمع الناس بالمئات والالوف كل يوم لتناول طعام الغداء في احد الفنادق الكبيرة وهناك يصلون ويخطبون ويرتلون ويأتون كل نوع من اساليب الدعاية الفعالة ثم يقدم كل فرع من فروع اللجنة الرئيسية نتيجة مساعيه في اليوم السابق وتدون باحرف كبيرة على جدران القاعة. قلت «فروع اللجنة» ومعنى ذلك ان اللجنة التي زكتها غرفة التجارة تؤلف هيئة كهيئة اركان حرب وتقسم البلد الى مناطق وتضيف الى العاملين فيها كل من ترى فيه الاهلية من سيدات ورجال وتعين لكل فرقة رئيساً او رئيسة وتختص كل فرقة بالجهة التي تعرف اهلها حق المعرفة وتزورهم في منازلهم وفي محال عملهم وتقدم كل يوم حساباً عما جمعت. تناولت الغداء مع هذه الجماهير في فندق بوك كادلاك وكان ذلك يوم ثلاثاء وكان ميعاد قفل الاكتتاب يوم الخميس التالي فبلغت الاكتتابات في تلك الجلسة ثلاثة ملايين ومايتي الف دولار من اصل الاربعة ملايين المطلوبة. فنهض الرئيس وفاه بخطبة بليغة قال في آخرها ما معناهُ:

لم يبق لنا غير يومين لتغطية المبلغ الذي نريد جمعهُ. ومعنى ذلك ان كبار المكتتبين قد دفعوا ما ارادوا وانه يجب علينا ان نجمع ثمانماية الف دولار من صغار المتبرعين في يومين وهذا ما استبعدهُ جدًّا واني اخشى ان ينقضي الاجل المضروب قبل انجاز عملنا المشكور. ومن العار ان يقال بان ديترويت وهي ثالثة مدن الولايات المتحدة قد تقدمت لجمع مبلغ يصرف على تحسين حالة المرأة فيها ولم تجمعهُ في الميعاد الذي حدَّدتهُ. لذلك ارجو كبار المكتتبين ان يراجعوا حساباتهم وان يضاعفوا المبالغ التي جادوا بها او يزيدوها ولكي اعطي المثل الصالح اقول اني اكتتبت من قبل بخمسين الف دولار واليوم اجعلهُ ماية الف. وقامت سيدة الى جانبه وقالت اني اكتتب بخمسين الفاً عوضاً عن خمسة وعشرين وتبرعت سيدة اخرى باربعين عوضاً عن عشرين. وكان فورد وامرأتهُ قد تبرعا باربعماية الف دولار وابنهُ وزوجتهُ بمبلغ مثله. وهكذا ربحت ديترويت في اليوم التالي وقد غطي الاكتتاب قبل نهاية الاسبوع بيوم. هذه هي الروح الاميركية باجل مظاهرها. عندهم مال ولكنهم يجودون به لكل عمل يقتنعون ان فيه نفعاً للانسانية ويتخطون حدود بلادهم وكلكم تعرفون شيئاً كثيراً عن اعمالهم في جهات العالم الاربع فلا حاجة بي للافاضة. وانما يلاحظ ان هذا المال لم يجمع لديهم وهم نيامٌ بل هو ثمرة علم ناضج وهمة لا تعرف الملل فالاميركي على الاطلاق يدخل ميدان العمل صغيراً معتمداً على نفسه لا على مال ابيه اذا كان غنيًّا فلا يخرج

منهُ مهما كثر مالهُ الاَّ بعد ان يترك فيهِ كل قواهُ العقلية والجسدية فكأَنهُ آلة تدارُ ولا تقف الاَّ حين لا تعود صالحة للعمل وذلك يكون كما قيل لي بين الخمسين والستين من العمر . واذا تمنيت ان نتشبه بالاميركيين في امور كثيرة فاني لا اريد ان نسابقهم في هذا النوع من الاسراف في الحياة

سيداتي وسادتي : باسم جمعية الرابطة الشرقية اشكركم شكراً جزيلاً لتفضلكم باجابة دعوتها لسماع هذه المحاضرة واشكر الجامعة الاميركية التي تكرمت ففتحت ابواب قاعتها لهذه الغاية وارجو ان لا تستنتجوا من مقدمة محاضرتي اني غير مقدّر نهضتنا قدرها او ان ما ذكرتهُ عن الحالة الحاضرة يجعلني انسى الجهود العظيمة التي تبذل او المراحل التي قطعناها ولا نزال نقطعها بفضل سيدات ورجال هم موضع الفخر والاعجاب خصوصاً وانا عالم بان تعبيد السكك السلطانية اصعب من السير عليها . كل ما ذكرتهُ لم يكن سوى بيان موجز لولع الاميركيين الشديد بتنظيم اعمالهم على احدث الطرق العلمية والعملية واشارة الى ان التشبه بالكرام فلاح

طلعت حرب بك

ومن الجحود لفضل العاملين ان لا انوّه في مثل هذا الموقف بذكر رجلٍ يريد ويقول ويعمل على ان تكون مصر للمصريين . الرجل هو طلعت بك حرب وحجر الزاوية في استقلال مصر الصحيح هو بنك مصر . اذا قلت ان الرجل بعام الف فلا هو يرضى ولا انا اجسر ان اضع على اكتافهِ العريضة كل موارد مصر الاقتصادية وكل مستقبل مصر المالي. هو يعمل في وضح النهار ويتمنى ان يعمل معهُ كل محب لبلادهِ حريص على اعادة مجدها ورخائها . هو يعرف معنى التضامن وينادي قومه كي يلتفوا حول المشروعات النافعة ويسير في كل اعمالهِ بحكمة وروية ليأمن عثار التجارب الاولية. والذي اعرفهُ عنهُ ان صدرهُ يتسع لكل نقدٍ بريء يُراد بهِ الانتقال من حسنٍ الى احسن . ومن يقارن بين ما كان عليهِ بنك مصر يوم انشائهِ وما صار اليهِ في يومنا هذا بما تفرّع عنهُ من الشركات لا بد انهُ يؤمن بان « كل من سار على الدرب وصل » ومن يعامل بنك مصر ويلمس العناية الفائقة التي تُبذل لتسهيل المعاملات وراحة الجمهور وكفاءة وادب الموظفين فيهِ كبارهم وصغارهم يقتنع بان شباب مصر الناهض اذا قيّض لهُ من ينظم ويصرف جهودهُ في سبيل العمل النافع حقق كل املٍ جائزٍ فيهِ . ولكن بنك مصر مؤسسة واحدة والعاملون فيهِ قليل عديدهم وحاجة مصر ماسة لمؤسسات

كثيرة من نوعهِ . مصر اذا اقتصدت وقصدت قادرة ان لم يكن اليوم فغداً ان تدفع ديونها وان تشطب الرهونات عن اطيانها واملاكها وان تدير بنفسها حركة تجارتها وان تنمي صناعتها ولكن قبل الوصول الى هذه الغاية السامية يجب ان يكثر عدد الرجال الذين يضيفون الى علمهم الواسع انهم اذا اجتمعوا في وقت معين ولغاية معينة واذا عملوا فيداً واحدة وعلى خطة واضحة مرسومة متفق عليها . واذا قالوا كانوا الحكَم الذي تتطاول اعناق المصريين لسماع ما يقول

المرأة والنهضة

واني اعتقد بان نهضة مصر لن تكون جميلة وان الحديث عنها لن يكون حلواً الاَّ اذا ذكر نصيب المرأة المصرية . يزعمون ان للهيئة الاجتماعية جسماً ويسمّون ان المرأة هي نصفه ويقولون ان الله جميل يحب الجمال . فهل لكم ان تقولوا لي انى يتأتى للجسم ان يكون جميلاً اذا كان نصفه مشلولاً وهل من الجمال ان يكون الساعد الايمن مفتولاً غليظاً طويلاً عريضاً والايسر صغيراً ضئيلاً مقيّداً ملفوفاً لا يصلح حتى للسلام عليكم ؟ جملوا العين بالتكحّل او بالكحل فهي لن تكون ساحرة الاَّ اذا كان انسانها مرسلاً نظرات صادقة . رفيقة الحياة يجب ان تفهم كل معاني الحياة . شريكة الحياة يجب ان تقوم بنصيبها من العمل . حاملة مستقبل وطنها بين ذراعيها يجب ان يكون لها فوق قلب الام الحنون عين المرشد الحكيم ورأس المفكر الذي يكيّف ذلك المستقبل بما يُعد لهُ من العدة . ليس حجاب المرأة برقعاً شفافاً مرخيًّا فوق ملاءِ وجهها تزيحهُ خطرات النسيم . حجاب المرأة عفافها وادبها . علمها وتربيتها . ومن شاءَ فليقل دينها فالفضيلة تأمر بها كل الاديان . سمعت منذ بضعة ايام المحاضرة النفيسة التي القتها في هذه الجامعة السيدة احسان احمد القوصي عن الاتحاد النسائي وهي عبارة عن تاريخ جميل لجهادٍ حسن . يبتدئ بصرخة من المرحوم قاسم بك امين ويصل الى حيث تقف اليوم السيدة هدى هانم شعراوي حاملة علماً مصريًّا في طيّاتهِ برنامج حافلٌ بجليل الاعمال . هي تريد ايواء الطفلة اليتيمة وتشغيل الفتاة الفقيرة وهي تريد ان لا تتزوج الشابة قبل ان تعرف الخير من الشر وتريد ان تحمي الزوجة باصلاح قانون وضع في غير الزمن الذي نعيش فيهِ وتريد ان تعلم المرأة المصرية ليكون صوتها مسموعاً في المؤتمرات الدولية وفي كل مكان تتكلم فيهِ بنات جنسها وبالاختصار هي تريد ما لم ترد اكثر منهُ من قبل ايّة امرأة اوروبية كانت او اميركية . ولكن مهما كانت ظروف

السيدة هدى هانم شعراوي والسيدات اللواتي يعملن معها مساعدة لهنّ فالصعوبات التي تعترض كل جديد والبلاد في بدء نهضتها لا يمكن ان يكون لها طلاوة الجديد. فالاتحاد النسائي لم يجن شهداً الاّ ورأى دونهُ ابر النحل ولم يخط خطوة الى الامام الاّ والفضل كل الفضل فيها يرجع لاعضائه دون سواهن ولو غضب بعض الرجال الذين يريدون ان يكون لهم في كل عرسٍ قرص. واذكر اني سمعت اول محاضرة القتها النابغة ميّ في النادي الشرقي ولم اكن قد تشرّفت بمعرفتها من قبل واذا بجالسٍ الى جانبي يهمس لآخر بانها ستتلو عليهم ما خطّهُ يراع غيرها. قلت في نفسي قد يكون سوء الظن من حسن الفطن ولكن الرواية اذا لم تكن مستندة الى الواقع فآفتها راويها. وها قد مرّت الايام وصار اسم مي اشهر من نار على علم واتضح بان ميًّا تهز قلمها بيدها وتخطب بقلبها ولسانها وصار لها في عالم الادب مكانة يحسدها عليها كثيرٌ من رجاله. اذن ترون من القليل الذي ذكرتهُ عن المرأة عندنا انها لا تقل عن غيرها استعداداً ومقدرة للقيام بواجب او على كسب حق منازع فيهِ واذا كانت في بداية عهدها الجديد لم تبلغ كل ما تصبو اليهِ وكل ما ينتظر منها فكل الدلائل تبشر انها تنظم صفوفها وانها ستخرج من المعارك التي تخوضها منتصرة باذن الله

وختاماً ياسيداتي وسادتي. اذا كنت قد اشرت الى شيء مما يجب علينا اصلاحهُ والاكثار منهُ وتعميمهُ وانا عالمٌ بان للنمو والارتقاء سنّة وان التنظيم الذي انشدهُ لحياتنا العلمية والاقتصادية والاجتماعية كاساس لكل نجاح يحتاج الى وقت فارجو ان لا تحسبوني قليل الايمان بالمستقبل بل ثقوا وتأكدوا باني من الذين يجرّون سلسلة الامل حتى القبر. ولكن حبي للبلاد التي استظل سماءها واعيش من خيراتها وحنيني للبلاد التي ولدت وشبيت فيها يدفعاني لان استعجل القدر. أريد اذا تكلمنا عن نهضتنا ان تكون اعمالنا متناسبة مع اقوالنا. أريد ونحن سائرون في سبيل الرقي ان نكون خفافاً وان نوسع الخطى فالمرتقى صعب والمراحل شاقة. اريد اذا ذكرنا مجدنا الغابر ان لا ننام على ما فعل السلف بل ان نعمل وان نترك وراءنا ما يفاخر بهِ الخلف. اريد اذا تحدث الناس عنا ان لا يقال باننا امانة مقدسة في ذمة التمدن بل ان يقال باننا من حاملي لوائهِ والسائرين مع الذين يدعون احتكارهُ على قدم الشرف والمساواة. اريد حين وحيث اذكر اسم مصر وسوريا ان ارفع رأسي بهما افتخاراً وان تنحني رؤوس السامعين لهما احتراماً والسلام

نسيم صبيعة

اصباغ النقوش المصرية

شاب من حولها الزمان وشابت وشباب الفنون ما زال غضا
رب نقش كانما نفض الصا نع منه اليدين بالامس نفضا
ودهان كلامع الزيت مرت اعصر بالسراج والزيت وضا

شوقي

كيفما قلب المرء طرفهُ في الآثار المصرية القديمة يرى فيها من بدائع الصناعة ما يدهشهُ لا لانهُ يستعظم ذلك على اقوام يحسبهم عريقين في السذاجة لتوغلهم في القدم بل لانهُ لو قابلهُ بما يصنعهُ ابناء المصريين القدماء الآن لوجدهُ فوق طورهم عظمةً واتقاناً بل لوجد بعضهُ يفوق ما يأتي بهِ الآن مهرة الصنّاع في ارقى البلدان عمراناً فان فخامة الهياكل المصرية وجسامة عمدانها وكبر تماثيلها ومحاكاتها للاشياء الطبيعية كل ذلك يدهش العقول ويقضي بان صناعة البناء والنقش قد بلغت اعلى درجات الاتقان في ايام الاقدمين كما بلغت اشعارهم وحكمهم اعلى درجات البلاغة

ولقد ثبت من تحليل الاصباغ التي كان المصريون القدماء يلونون بها نقوش مبانيهم ان اكثرها معدني فالصبغ الاحمر الذي كان المصريون القدماء يستعملونهُ هو اكسيد الحديد الاحمر الطبيعي (المغرة)وقد وجد السر فلندرز بتري الاثري قطعاً كثيرة منهُ وحللت قطعة منها فوُجد فيها ٧٩ في المائة من اكسيد الحديديك وحللت قطعة اخرى فوجد فيها ٨١ في المائة من هذا الاكسيد. وجميع القطع الكبيرة التي وُجدت بين الآثار المصرية ملساء مستديرة من احد جوانبها كأنها اذيبت اولاً ثم صبت في اناء مستدير لكي تبرد لكن هذا التعليل بعيد والتعليل الاقرب انها كانت تحك مع قليل من الماء في اناء مستدير فينحل جانب منها في الماء وهو الصبغ المطلوب وبذلك يستدير سطحها وينصقل وقد ثبت ذلك بالامتحان فحُكّت هذه القطع في اناء مستدير مع قليل من الماء فخرج منها صبغ احمر جيد يلصق بما يدهن. ويشبه الاصباغ الحمراء التي على الآثار المصرية القديمة

وفي الآثار المصرية صبغ آخر اشد حمرة من الاول وأبهى لوناً وهو من قطع نقية من حجر الدم كانت تسحق وتغسل وتعرض للهواء مدة فيكون منها صبغ احمر ثابت لا تفعل بهِ الحوامض ولا الحرارة ولا الرطوبة ولا النور

والاصباغ الصفراء التي استعملها المصريون القدماء طبيعية ايضاً مثل اكسيد الحديد وهي اذا بلّت كان ملمسها صابونيًّا وقوامها لزجاً كالزبدة ويجري قلم المصور بها بسهولة ولونها ثابت لا يتغير ولو لم تقوَ على الفواعل الكيماوية كالاصباغ الحمراء . وقد وجدت قطع منها في تل العمارنة وغيرها من الخرائب القديمة. وكان المصريون الاقدمون يمزجون الصبغ الاحمر بالاصفر فيكون منهما صبغ برتقالي اللون وقد وجد هذا الصبغ في مدفن نفرمت الذي كان من اهل بلاط الملك سنفرو احد ملوك الدولة الرابعة المصرية التي حكمت منذ ستة آلاف سنة اي قبل خوفو باني الهرم الاكبر من اهرام الجيزة . والنقوش عميقة على هذا القبر ومملوءة بهذا الطلاء ويقال فيها ان نفرمت « صنعها وكتب بها لمعبوداته كتابة لا تمحى » ولقد اصاب في ما قال لان كل ما في تلك النقوش والكتابات من الاصباغ لم يزل ثابتاً الى يومنا هذا وسيبقى ابد الدهر ان لم تزله ايدي الحمقى

وكان عندهم طلاء آخر اشد صفرة وابهى لوناً من اكسيد الحديد وهو كبريتت الزرنيخ الاصفر المعروف بطعم الفار وهو طبيعي لا صناعي ولكنهم لم يستعملوه قبل ايام الدولة الثامنة عشرة من الدول المصرية . وكانوا ماهرين ايضاً بتطريق الذهب وجعله ورقاً رقيقاً والصاقه بالخشب والجبس وما اشبه كما يفعل المذهبون الآن . وكانوا يستعملون طلاء اخضر طبيعيًّا من الحجر الملكي الاخضر وطلاء ازرق من الحجر الملكي الازرق وكلاهما من مركبات النحاس

وهذا من قبيل مواد الطلاء الطبيعية لكن الطلاء الازرق الذي كان كثير الشيوع عندهم صناعي لا طبيعي «وكانوا يصنعونهُ قبل المسيح بالفين وخمسمائة سنة وهو نوع من الزجاج يصنع بمزج الرمل والجير (الكلس) والقلي ومعدن النحاس وحرقها معاً حتى يتكوّن منها زجاج ازرق . وقد حُللت قطعة منهُ تحليلاً كيماويًّا فوجد فيها جزءان في المائة من اكسيد النحاس وثمانية وثمانون جزءا من السلكا وجزء من الصودا وثمانية اجزاء من الجير وقليل من اكسيد الحديد . ومعلوم ان عمل هذا الزجاج يقتضي مشقة عظيمة واعادة الامتحان مراراً متوالية ولا ينجح الصانع مرة حتى يفشل مراراً ومع ذلك تعلم صنّاع المصريين بعد الامتحان والتكرار والمزاولة عمل هذه المادة الزجاجية واستعمالها طلاء ازرق بديعاً ولا بدَّ من انهم كانوا ينقون عناصرها ويمزجونها بعضها ببعض على نسب ومقادير معلومة فاذا كان حجر النحاس من جزئين الى خمسة في المائة

كان لون الطلاء ازرق صافياً واذا كان حجر النحاس من ٢٥ جزءا الى ٣٠ كان لون الطلاء ازرق قاتماً او بنفسجيًّا وان كان اكثر صار لونهُ اسود واذا قلّ القلي كثيراً فالحاصل مادة رملية لا قوام لها واذا كثر كثيراً فالحاصل جسم صلب لا يحك منهُ الطلاء المطلوب . ولذلك كان عليهم ان يزنوا العناصر كلها ويعلموا مقاديرها تماماً ومن ثم استعمل الميزان في الاعمال الكيماوية . وكان عليهم ان يصهروا هذه المواد في اكوار مخصوصة ويراقبوا حرارتها مراقبة شديدة زماناً طويلاً ويمنعوا الغازات من العود الى المواد المصهورة والامتزاج بها لئلا تسودّ من ذلك . وهذا كلهُ قد صنعوهُ واتقنوهُ بعد المزاولة الطويلة

ويظهر من شكل القطع الباقية الى الآن من هذه المادة الزجاجية انها كانت تحك في آنية مستديرة مع قليل من الماء فيخرج منها صبغ ازرق.وكانوا يضيفون اليها احياناً قليلاً من اكسيد الحديد وهم يصنعونها فيضرب لونها الى الخضرة او يقصّرون مدة الصهر فيكون لونها اخضر حائلاً

وكل انواع الطلاء الازرق المصنوع على هذه الصورة ثابت اللون لا تغيرهُ الشمس ولا الحوامض

وكان عندهم طلاء آخر صناعي قرنفلي اللون وهو نباتي الاصل فاذا احمي خرج منهُ دخان كثيف وزال لونهُ وبقي منهُ بقية بيضاء هي كبريتات الجير (جيسين) ومعلوم ان كبريتات الجير وكربونات الجير كانا يستعملان بكثرة كطلاء ابيض والظاهر ان المصريين القدماء كانوا يصبغونهما بمادة نباتية حمراء اللون فيصير منها طلاء قرنفلي والمادة النباتية الحمراء هي الفوّة

ومعلوم ان جذر الفوة الذي يستخرج منهُ الصبغ الاحمر الثابت الذي يصبغ بهِ القطن يحتوي صبغاً ارجوانيًّا وصبغاً برتقاليًّا وصبغاً اصفر عدا الصبغ الاحمر المشهور وتستخرج منهُ هذه الاصباغ بهرسهِ ونقعهِ في الماء مدة من الزمان فتخرج منهُ الاصباغ بعضها قبل بعض وتتغير الوانها باضافة شيء من الحديد او الجير او الشب الابيض اليها . واذا اضيف الجيسين الى نقاعتهِ صُبغ بصبغ قرنفلي ورسب في قعر الاناء . والظاهر ان المصريين القدماء كانوا يفعلون ذلك . وقد ثبت هذا ايضاً بالحل الطيفي بالسبكتروسكوب . وقد أُمتحن ذلك فثبت منهُ ان المصريين القدماء كانوا يستخرجون الصبغ الاحمر من جذور الفوّة

قبل ان يصيح الديك

قصة تبدأ في فندق ميناهوس عند سفح الاهرام وتستأنف في الموسكي
وحلوان وتختم في الصحراء

جلس ثلثة فتيان وفتاة حول مائدة صغيرة على دكة في فندق ميناهوس ، تُشرف على البادية . وفيما هم يراقبون مغيب الشمس ويمتّعون انظارهم برؤية الشفق ، تصبغ محيّا الافق المغشى بصفرة الحزن على فراق الغزالة ، أوحى اليهم جمال هذا المنظر الرائع ان يراعوا النظير ويجعلوا مدار حديثهم البحث في كلّ معنىً جميل وسامٍ كالايمان والإخلاص والصداقة والوفاء ومقتضياتها . فقالت الفتاة وعلى وجهها سيماء الرزانة والتروّي : « اما انا فقد يسهل عليّ اغتفار اية نقيصة او جريمة كانت ما عدا الغدر والخيانة . وعندي ان الصداقة تستلزم الامانة التامة بلا قيدٍ ولا شرط »

وقال روبرت مارتن ،وكان اصغر الشبان الثلثة سنًّا ،بلهجة الحماسة والاقدام:—

« هذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان . ولا يخون صديقهُ الاّ كل سافلٍ ساقط الشأن »

وقال ديفد روك وعيناهُ ناظرتان الى الغسق يرخي سدولهُ بعد تصرُّم الشفق :

« ولكن ما قولكم اذا اضطرّ الانسان الى ارتكاب الخيانة في سبيل إنقاذ نفسهِ او الدفاع عنها ؟ فالحياة كما تعلمون عزيزة وشهية . وقد يأتي على الانسان حين يرى فيهِ حياتهُ متوقفة على خيانة صديقهِ والتضحية بهِ »

فردّت عليهِ الفتاة بحزم ولطف : —

« لا يا مستر ديفد ! ما من شيء على الإطلاق يسوغ خيانة الصديق وإسلامهُ للهلكة. وان الموت لافضل جدًّا من حياة موصومة بعار الغدروالخيانة. فالنار ولاالعار»

«ولاخير في ردّ الردى بنقيصةٍ كما ردَّهُ يوماً بسوءتهِ عمرُو »

فوقع كلامها احسن موقع في نفس ديفد وفتح عينيهِ فرأى للصداقة الحقيقية صورة اسمى جدًّا وابهى من صورتها التي كانت مرسومة قبلاً في ذهنهِ .وكان الشابّ الثالث فتىً شرقيًّا مليح الطلعة تلوح عليهِ سمات النبالة والذكاء . فنظر الى صديقهِ ديفد ومن فورهِ استدلّ على تأثير كلام الآنسة لورين فيهِ واقتناعهِ بصحة رأيها في الصداقة

ثم التفتت الفتاة اليهِ وسألتهُ : « ما رأي محمود بك في هذه المسألة ؟ ألا يستحق الإخلاص في شرعك ان يكون في هذه المرتبة الرفيعة ؟ »

« بلى ايتها الآنسة الفاضلة . فلقد اصبتِ كبد الصواب في ما ذكرتهِ عن هذه الفضيلة الجليلة . وعندنا نحن معاشر الشرقيين انَّ الإخلاص — الاحتفاظ بالتقاليد ورعاية اواصر القربى وصلات الصداقة — من اسمى الفضائل . وفي وسعنا ان نضرب صفحاً عن اشياء كثيرة . وفي بعض الامور تريننا اشدَّ من الغربيين مساهلةً ومياسرة ونحن اصحاب القول « العفو من شيم الكرام » و« الكريم من عذر » ، الاَّ في نقيصة الخيانة او معرَّة الغدر فانها عندنا جريمة لا تغتفر. ففي اقترافها عار وهوان مدى الزمان ولله ما قالهُ واحدٌ من شعرائنا :

« فالمنايا ولا الدنايا وخير من ركوب الخنا ركوب الجنازه »

وقال الآخر :

« غير انَّ الفتى يلاقي المنايا كالحاتٍ ولا يلاقي الهوانا »

فقالت ايفا لورين خافضةً صوتها : « ومع ذلك تراني على الدوام شاعرة بالشفقة على الخائن الغادر . لذلك ارثي من صميم فؤادي لبطرس الرسول الذي بعد ما جاهر بانهُ مستعدٌّ لان يموت عن سيّدهِ ، انكرهُ كل الإنكار »

واقتبس ديفد روك كلام الانجيل . « قبل ان يصيح الديك مرَّتين تنكرني ثلث مرَّات » . ونظرت الفتاة الى الشابّ المصريّ بعين الخجل والاستحياء وقالت :

« لعلَّ لك بعض الإلمام بكتابنا فتذكر بقية هذه القصة وكيف ان بطرس انكر المسيح جهراً امام الجميع و » ثم اسرت تتمَّة كلامها بصوت خفي مهموس قائلة « وللوقت صاح الديك » فقال محمود بك برقة ولطف : « نعم. ولكنَّ هذا الرسول نفسهُ ما لبث ان تذكر انكارهُ لسيدهِ فبكى بكاء مرًّا ثم مات اخيراً شهيد السّيد الذي أنكرهُ » ثم نهض واقفاً وقال لها : — « لقد حان وقت رجوعي الى القاهرة . واخشى أن اكون قد أطلتُ مكثي عندك ايها الآنسة لورين وأسرفتُ في التثقيل عليك »

« لا . لم يكن شيء من ذلك على الإطلاق . ويسرنا دائماً ان تزورنا على السعة والرحب . واذا كان لابدَّ من ذهابك الآن أفلا تودّ ان تودع ابي ؟ ولعلك تروم رؤية بعض الصور التي يريد ان يطلعك عليها »

ثم ذهبت بهِ الى ابيها . فقال روبرت مارتن مخاطباً ديفد روك بلسان التبرم والتذمر

« لا استصوب الإفراط في العناية بشأن هذا الشاب الوطني . واقلُّ ما فيهِ انهُ ليس بانكليزي »

« نعم ولكنهُ من صفوة الشبان علماً وادباً وتهذيباً ، علاوة على كونهِ شريف الاصل وكريم المحتد . وما دام السر هنري لورين راضياً عنهُ وغير مبدٍ اقل مانع لمصاحبتهِ ومصادقتهِ فمن الفضول أن تعرّض لما لا يعنينا »

فذهب روبرت عابساً مقطباً وبقي ديفد وحدهُ ينظر الى الظلام المطبق على الصحراء بين القلق والاضطراب . لانهُ هو نفسهُ ودّ لو كان مشمولاً برعاية ايفا لورين وملحوظاً بعين عنايتها وبعبارة اخرى نقول انهُ احبّ هذه الفتاة الحسناء حبًّا تيّمهُ وتصبّاهُ حتى كان من دونهِ هيام قيس بليلاهُ . وكان يتوقع سنوح فرصة ينتهزها ويبوح فيها بوجدهِ وغرامهِ ويعرض عليها قبولهُ خاطباً لها

ولم يكن يشكّ في انّ العلاقة التي بين الشابّ المصريّ والفتاة الانكليزيّة لاتتعدّى حدود الصداقة . وعلم فوق ذلك من صديقٍ لهُ انّ محمود بك تجرّع خيبة املٍ مرّة في سبيل الحب من عهد غير بعيد . فإنّ الفتاة التي شغف حبّها فؤادهُ زُفّت منذ ستة اشهر الى واحد من كبار التجار الاغنياء في القاهرة ولكنهُ طاعن في السنّ . وممّا علمهُ من هذا الخبر ان محموداً باقٍ يعلّل نفسهُ بإمكان استرداد حبيبتهِ ياسمين وانتزاعها من يد المغتصب

وكان محمود صديقاً صادقاً للشابّين الانكليزيّين اللذين كانا كلاهما من موظفي الحكومة المصريّة في القاهرة ، لا يألو جهداً في عمل ما يسرّهما وقضاء ما تمسّ حاجتهما اليهِ . كان يُعيرهما جوادين من كرام خيلهِ ويدعوهما من وقت الى آخر لتناول الغداء او العشاء في بيتهِ الفخم الانيق في شارع شبرا . وكان مثلاً مضروباً في دماثة الاخلاق ورقّة الجانب ولين العريكة . فكان ديفد يأنس بهِ ويرتاح لمعاشرتهِ . امّا روبرت فوجد ، او ادّعى انهُ وجد في أثناء صحبتهِ ما أغارهُ من اختصاص الآنسة لورين لهُ بالرعاية والالتفات . وعلى توالي الايّام ظلّ محمود يتعهّد ذينك الشابّين بمعروفهِ وجميلهِ . فكان لهذا العمل الحميد احسن تأثير حتى في غيرة روبرت فاستأصل شأفتها من صدرهِ ولكنهُ لم ينفكّ غير مستحسن لسرور ايفا بصحبة محمود

٢

وفي الاسبوع الاول من العام الجديد ذهب السر هنري وكريمتهُ الى حلوان

لقضاء بضعة ايام . ودعوا ديفد وروبرت لحضور حفلة رقص في الفندق . وكان نور القمر الساطع اكبر معين على جلاء محاسن تلك الحفلة الشائقة . ولم تبدُ ايفا لورين قطّ لعيني ديفد بمثل البهاء الباهر والحسن الخالب الساحر اللذين بدت بهما في تلك الليلة . لكنّهما عند ما خرجا في فترة الرقص الى حديقة الفندق واطلا من جدارها على الصحراء الفسيحة الأرجاء كان حديثهما خارجاً عن ذلك السهل المطمئنّ الذي نشر عليه ضياء القمر بساطاً من لجين وجعلهُ طيباً للنفس وقرة للعين

كان موضوع حديثهما نبأ القتل الصادع الذي ذاع في ذلك اليوم فارتجّت له القاهرة — مقتل ياسمين الجميلة زوجة الكهل عليّ لا لا الصائغ الشهير في الموسكي . هذا الحادث الخطير استطار خبره فتناقلتهُ الالسنة مقترناً بذكر محمود بك . ولما بلغ مسمع ايفا استزادت ديفد إيضاحاً وتفصيلاً فاجابها بما خلاصتهُ ان محموداً هام بياسمين الحسناء وهي هامت بهِ . ولكن كان حبّهما سرّاً مكتوماً . ويظهر ان قلب هذه الغادة كان كالغصن يميل مع كل ريح تهبُّ عليهِ وتسرُّ حديث الوجد اليهِ . وحدث انَّ محموداً زارها مرّة في اثناء غياب زوجها ، على غير توقّع ولا انتظار فوجدها بين ذراعي محبٍّ آخر . ومن فورهِ أطلق عليهما الرصاص فقتلها وتوارى عن الابصار والى الآن لم يوقف لهُ على اثر . ولما فرغ ديفد من كلامهِ قالت ايفا والحزن آخذ منها كلّ مأخذٍ : « يالهُ من خبرٍ يبعث على الاسف والاكتئاب ! ولكن محموداً كان داعياً نموذج الرقّة واللطف وعنوان الرصانة وبعد النظر . فيصعب على من يعرفهُ ان يتصوّرهُ من زمرة القتلة سافكي الدماء »

« اظنّهُ اقدم على ارتكاب هذه الجريمة تشفّياً وانتقاماً بل بالحريّ عقاباً لياسمين على خيانتها . ولعلّ تربيتهُ الشرقيّة والعادات التي شبَّ عليها تهوّن عليهِ ركوب هذا المركب الخشن »

« ولكنّهُ كان يحبّ ياسمين محبة تفوق الوصف مع كونها زوجة رجل آخر »

« نعم . وكان قد خطبها منذ وقت طويل . وفي اثناء غياب محمود عن القاهرة زوّجها ابوها للصائغ الكهل . فعوقبت تلك المنكودة الحظ بالقتل جزاء ما كانت عليهِ من سرعة التقلّب والتحوّل . أمّا محمود فقد لا يتاح لنا ان نراهُ بعد الآن »

« اذن لاذ باطراف الفرار ؟ »

« نعم . اوغل في الصحراء . وذهب الى حيث يتعذّر اقتفاء اثرهِ والقبض عليهِ .

واسوف نشعر بوحشة وغمٍ على فراقهِ . لأنهُ كان على جانب عظيم من حسن التاول وكرم الضيافة

« هذا لسان حال الجميع — جميع معارفهِ واصدقائهِ . ولا أعلم هل هو آسف الآن على ما بدر منهُ في ساعة الغيظ والحنق ؟ ولا ادري هل زالت محبتهُ لياسمين عند ما تحقق خيانتها لهُ ؟ »

« ليست المحبَّة مما يسهل زواله بهذه السرعة »

قال ديفد هذا واستعان بضياء القمر الباهر وجلال البادية الساحر على حل عقدة لسانهِ وإعلان مالم يبق عندهُ صبر على كتمانهِ . ولم يلبث ان رفع نظرهُ اليها وقال لها :

« اعلمي يا إيفا ان تعريضك بذكر المحبة هاج بي الشوق الى التصريح بما في نفسي فعدت غير قادر على السكوت عنهُ . افلا تدرين اني أحبكِ وأني كنت هذه المدة كلها كاتماً محبتي لك غير بائح بسرها لاحد ؟ اولا تكافيني على هذه المحبة بمثلها — او على الاقل بما يساوي جزءًا منها ؟ تريثي في الجواب ولا تعجلي ! أعيري هذه المسألة ما تستحقهُ من التأمل . واذا صحت عزيمتكِ على إجابة سؤلي كنت اسعد انسان في العالم! »

ثم ساد سكوت عميق رهيب وكأنَّ البادية نفسها اشتركت فيهِ واخذت نصيبها منهُ وبعث القمر بضيائهِ فصافح محيا إيفا الجميل وكساهُ حلة لجينيَّة زادتهُ اشراقاً وبهاء . ونظر اليها ديفد وهو جالس بجانبها فرأى صدرها يخفق تحت ثوبها الحريري البنفسجيّ اللون . وبعد تأملٍ وجيز التفتت اليهِ وقالت :

« هل تعني ما تقول ؟ هل تحبّني ؟ أتروم ان اكون زوجة لك — يوماً ما ؟ »

« نعم . نعم . يا إيفا . هذا ما اعنيهِ . وانتِ — اترومين ان تجيبيني بالرضى والقبول؟ اني لشدة فرحي وابتهاجي أكاد اشكُّ في إمكان فوزي بهذه الامنيَّة العظمى ! »

فقالت وقد صبغ الحياء وجهها الناصع البياض وطبع على كل خدٍ وردة :

« اذا كنت تروم الاقتران بي وأمهلتني قليلاً فإني مستعدَّة بملء السرور ان اصرّح بالرضى والقبول ! »

ولما عُرض هذا الامر على ابيها السر هنري لورين لم يبدِ اقلَّ معارضة ولكنَّهُ اشترط كتمان خبر الخطبة مدة الاسابيع التي كان مزمعاً ان يقضيها هو وابنتهُ في القاهرة . وقال للخطيب ان ابنتهُ لاتزال دون العشرين وان انتظار بضعة اشهر لايكون لهُ اقلّ تأثير في سعادتهما المستقبلة . فوافق ديفد على ذلك شاكراً مسروراً

٣

وكان قد سبق واتفق هو وروبرت ان يذهبا الى البادية راكبين ويقضيا ثلاثة — او أربعة — ايام مجوّلين في اطرافها . ورتّبا أن يكون ذلك في اثناء غياب السر هنري وايفا في الاسكندريّة . وكان روبرت لا يعلم شيئاً عن خطبة ديفد لايفا . وفي صباح اليوم التالي ، بعد ما برح السر هنري وابنتهُ القاهرة ، امتطى كلٌّ من الشابَّين حصانهُ وأغذّا السير في طريق الصحراء

اما محمود بك فالأخبار عنهُ ظلّت الى هذا الوقت منقطعة السبب ومنطمسة الاثر مع شدة اهتمام سكّان القاهرة بها واجتهادهم في تنسّمها وتسقّطها . لانهُ كان محبوباً مكرّماً عند جميع الذين عرفوهُ وكثير ما هم . وكان الرأي العامّ مؤاسياً لهُ وعاطفاً عليهِ وقادراً لبسالتهِ حقّ قدرها . وقد بذلت الحكومة ما في طاقتها من الاجتهاد في التفتيش عنهُ فذهبت مساعيها ادراج الرياح ولم تقترن بشيءٍ من النجاح . وفيما كانت عزيمتها صائرة الى الوهن والفتور عرض لها ما شحذ حدّها وجدّد نشاطها وهو قدوم رجلين من اعيان السودان تلوح عليهما امارات النبالة والوجاهة . هذان الرجلان قالا عند وصولهما الى القاهرة انهما اخوا ياسين القتيل وقد اتيا ليقتفيا اثر القاتل ويمكّنا العدالة من معاقبتهِ على ما جنتهُ يداهُ

وهذان الرجلان كانا موضوع حديث روبرت وديفِد حينما برحا القاهرة في يوم من ايام يناير قاصدين البادية . فقال روبرت :

« اني آسف جدّاً على ما يلقاهُ محمود بك من هذين الرجلين اذا تمكنا من العثور عليه » . وقال ديفد : « نعم لانهما سوف يوقعان بهِ اشدّ ضروب النكال . ولكنني اتوقّع انهُ اصبح الآن في مأمن من هذا الخطر . وارجو من صميم فؤادي ان يصح ظني هذا وينجو صديقنا محمود من ايدي مطارديهِ . وكان يجب على اختهما ان ترعوي عن طيشها ولا تمكر بمحمود الصادق الامين »

« تلك شيمة بعض النساء . فإنَّ قلوبهنَّ كابي رياح[١] تدور باضعف هواء »

« وهي ايضاً شيمة بعض الرجال . ومن قديم الزمان اشتهر الانسان بنكث العهود ونقض المواثيق »

« نعم . ولكن شيوع هذه الخلّة الشنيعة بين النساء اكثر منهُ بين الرجال فلا

(١) مثل في الطيش وسرعة التقلب

يسهل على الرجل ان يغدر بخليله كما يسهل على المرأة ان تخون صديقتها. اما انا فيصعب عليَّ ان اتصوَّر نفسي مسلماً صديقي للهلكة في سبيل إنقاذ حياتي »

فقال لهُ ديفد برزانة ووقار : « اخاف انهُ ليس في طاقتك تحقيق هذه الدعوى العريضة . فالحياة عزيزة وغالية وليس في استطاعة احدٍ ان يعلم كم يجب عليهِ ان يفعل ليحول دون انطفاء مصباح حياتهِ ودنوّ يوم وفاتهِ »

فردّ عليهِ روبرت بلهجة الصلف والعناد وقال : —

« على كلّ حال هذا شعاري . وهذه المشكلة — مشكلة الامانة حتى الموت — قلما تعرض للناس . ولكني واثق كلَّ الثقة باني مستعدٌ للعمل بموجب قولي هذا في اية حالة كانت » . وعند هذا الحدّ وقفا في كلامهما على هذا الموضوع وقضت التقادير ان يذكراهُ عما قليل

٤

وفي صباح اليوم التالي هبَّ عليهما إعصار[1] شديدٌ انتشرت سحبهُ في جوّ البادية كلها انتشاراً كثيفاً مخيفاً حجب عنها ضياء الشمس وغشّى على الضارب في فلواتها بظلام دامس يعمي الابصار . وغادر ديفد وروبرت وجواديهما في اسوإِ حالةٍ. فلقي الجوادان ما لا يطاق من ضروب الإِعنات والإِرهاق وهما يخبطان براكبيهما على غير هدًى في ذلك الديجور المطبق ويتفصَّدان عرقاً . وعانى الفارسان ما لا يوصف من تلك الريح الهوجاء العاتية التي عصفت عليهما عصفاً عنيفاً برَّح بهما وكاد يوردهما مورد التلف . فكانت الريح تلفحهما بلهيب يُذوي الجسوم ويُذيب حبَّات القلوب وتثير الحصباء والرمال وتسفها في وجهيهما وتذيقهما امرّ كؤوس العناء والعذاب

وعند مغيب الشمس أخذ ديفد بعنان جوادهِ وثناهُ عن المسير وصاح باعلى صوتهِ منادياً رفيقهُ الذي حجبهُ عنهُ غسقُ الإِعصار ، وقائلاً لهُ :

« عبثاً تحاول يا روبرت مواصلة المسير تائهين ضالين ومستهدفين لخطر الموت جوعاً وعطشاً وإعياء . فمن الصواب ان نفتش عن ملجإٍ نعتصم بهِ ونتوقع الفرج »

فاجابهُ روبرت بصوت يشفُّ عن شدة اللغوب وفرط الاعياء : —

« ولكن اين نجد هذا الملجأ ؟ ما لعين الملاجىءِ من اثر في هذه المفازة المهلكة .

---

(١) ريح تهب من الارض كالعمود نحو السماء . ويعرف بالهبوب والعرب تسميه زوبعة والهوجاء الريح التي تقلع البيوت . والعاتية الشديدة العصف

ويلاهُ ! هوذا الإعصار يستأنف الكرّ بما لا مزيد عليهِ من الشدة والعنف ! »

وما فرغ من كلامهِ حتى ابصرا ريحاً زعزعاً تشنّ عليهما غارة شعواء وتمطرهما بوابل من الرمال والحصباء وكانا قبل تعرّضهما لها قد تقاربا ووقفا احدهما بجانب الآخر . فلما غشيتهما الزوبعة لطمت الجوادين لطمة شديدة فسقطا والقيا راكبيهما الى الارض . وكان من حسن حظّ ديفد أنهُ تمكّن من النهوض والقبض على عنان جوادهِ . لكنهُ لم يقدر ان يرى رفيقهُ . فهالهُ الامر لانّ حالتهما الحاضرة تقضي بان يكونا قريبين احدهما من الآخر ليتّحدا متكاتفين على صدّ تيّار الإعصار ودفع ما تعرّضا لهُ من الاخطار. فصاح باعلى صوتهِ منادياً رفيقهُ باسمهِ مرّة بعد مرّةٍ من غير ان يلقى مجيباً . واخيراً سمع صوت مجيب ولكن من جهة اخرى

فظل ديفد رافعاً صوتهُ بالنداء وهو يتلقّى صدمات الاعصار، قابضاً بيدهِ الواحدة على عنان جوادهِ ومتلمساً بيدهِ الاخرى طريقهُ تحت ستر الظلام الحالك. واذا بشخص عرض لهُ فجأة وخاطبهُ باللغة الفرنسية قائلاً لهُ ما ترجمتهُ : —

« أراك زائغاً عن طريق الهدى ». ثم كلمهُ باللغة الانكليزية بجدٍّ واهتمام قائلاً : —

« لم يدر قط في خلدي ان التقي السيد ديفد ضالاً في غمرة هذا الإعصار ! »

— « نعم . ولكن اصحيح انك انت محمود بك ؟ » — قال ديفد هذا لانهُ بالجهد استطاع ان يصدق ان هذا الشخص ذا اللحية والعباءة هو صديقهُ . فاجابهُ محمود هازاً كتفيهِ وباسماً بسمة التهكم والاستهزاء : —

« لك الحق ان تستغرب ذلك . ولكن هكذا قدّر فكان . وها انا الآن قاتلٌ لاجئٌ الى الفرار وهارب من وجه العدل

— « بلغني بمزيد الاسف كل ما اصابك . فهل انت بمأمن هنا او على الاقلّ سائرٌ في طريق الامان ؟ »

— نعم . فبعد ثمانٍ واربعين ساعة تراني بمنجاة من كل خطر وبين اصدقاء يفتدوني بارواحهم ولا يسلموني . اما الآن فاني لاجئٌ الى مخبإٍ قديم ريثما تنكشف غمة هذا الإعصار . ويسرّني ان اعرض عليك مشاركتي في هذا الملجإِ . اظنك لستَ وحدك هنا ؟ »

— « معي روبرت فقط . وسنقبل كلانا دعوتك هذه بشكر يقصّر عنهُ الكلام »

— « اهلاً بكما ومرحباً ! واظنني ارى صديقك من خلال سُحب الإعصار »

(البقية في الجزء التالي) ترجمة : اسعد خليل داغر

وتخذتم موج الاثير بريدا

من قصيدة لحافظ بك ابراهيم

أنشدها في حفلة كلية البنات الاميركية بمصر في ٢٥ مايو الماضي

أي رجال الدنيا الجديدة مهلاً قد شأوتم بالمعجزات الرجالا
وفهمتم معنى الحياة فأرصد تم عليها لكل نقص كمالا
وحرَصتم على العقول فخرتم عصيراً يراه قوم حلالا
وقدرتم دقيقة العمر حرصاً وسواكم لا يقدر الأجيالا
كم أحالوا على غدٍ كل أمر والمحيل الامور يبغي المحالا
قد تحديتمو المنية حتي هم ان يغلب البقاء الزوالا
وطويتم فراسخ الارض طياً ومشيتم على الهواء اختيالا
ثم سخرتمو الرياح فسستم حيث شئتم جنوبها والشمالا
تُسرجون الهواء ان رمتم السير وفي الارض من يشد الرحالا
وتخذتم موجَ الاثير بريداً حين خلتم ان البروق كسالى
ثم حاولتمو الكلام مع النجم فحملتمو الشعاعَ مقالا
ومحا (فورد) آية المشي حتى شرع الناس ينبذون النعالا
وانتزعتم من كل شبر بظهر الا رض او بطنها المحجبِ مالا
وأقمتم في كل أرض صروحاً تتطلع السحبَ شامخات طوالا
وغرستم للعلم روضاً أنيقاً فوق دنيا الورى يمد الظلالا
وحللتم بأرضنا فعرفنا كيف تنمون بيننا الأطفالا
ورأينا البنات كيف يثقفن بعلم يزيدهن جمالا

ما وراء المجرة

العوالم الجزرية وعظمة الكون

احدث المباحث الفلكية

علم الفلك او علم الهيئة من اسمى العلوم واعلقها بالنفس . واذا اريد التدقيق فيه فهو من اعوص العلوم لانه مبني على ادق القوانين الرياضية والطبيعية وهو كذلك اول علم استقرى الانسان شيئاً من قواعده وادق علم وصلت اليه معارف البشر واسمى علم يتفرغ له كبار العلماء . وفيما يلي نبذة من احدث المباحث الفلكية في موضوع يفتن كل لب وهو سعة هذا الكون وعظمة مبدعه . فقد اثبت علماء الفلك حديثاً ان في الفضاء اكواناً عديدة كل كون منها مثل المجرة التي منها نظامنا الشمسي سعة وعظمة . حتى اذا صغرت ارضنا وصار حجمها حجم الجوهر الفرد بلغ حجم الكون الذي يرى بالتلسكوب حجم الارض وبلغ حجم الكون كله على ما يقضي به مذهب اينشتين الف مليون ارض منتشرة حولها في الفضاء . فما اصغر ارضنا ازاء هذا الكون العظيم ! وما احقر امورنا ومنازعاتنا ازاء القوى التي تديره وتحركه !

ادرك القدماء ان في القبة الفلكية اجراماً غير الشمس والقمر والنجوم . لان الذين راقبوا السماء منهم في ليالٍ صافية شاهدوا قرب كوكبة الجبار وكوكبة المرأة المسلسلة تلك الغيوم المنيرة التي ندعوها بالسدم الآن . وقد اشار اليها ابو الحسن الصوفي اكبر علماء الفلك عند العرب فقال انهُ رأى سديم المرأة المسلسلة وسماهُ « لطخة سحابية » واشار اليهِ والى غيرهِ مما يماثلهُ بكلمة اللطخة او السحابي . على ان هذه الاجرام بقيت اسراراً مغلقة على الفهم البشري حتى كُشف التلسكوب فازاح اللثام عن حقيقتها

فلما استنبط غليليو تلسكوبهُ الكاسر وجّههُ الى انحاء المجرة التي تظهر فيها السدم او اللطخ السحابية فثبت لهُ انها في الحقيقة مجاميع من النجوم تظهر قريبة بعضها من بعض لبُعدها فتتعذر رؤيتها نجماً نجماً . وفي آخر القرن السابع عشر استنبط السر اسحق نيوتن التلسكوب العاكس وعكف العلماء على اتقانهِ فلما انقضت مائة وخمسون سنة على استنباطهِ صنعت تلسكوبات كبيرة واستعمل اللورد رس احدها في البحث عن حقيقة السدم فوجد ان السديم الذي في كوكبة السلاقين يظهر لدى رؤيتهِ بتلسكوب

قوي مجموعة من الكواكب منتظمة في شكل حلزوني . ومن ثم صار البحث عن السدم الجديدة والانقطاع لدرس اشكالها وبنائها من اكبر اعمال الفلكيين شأناً واعلقها بالبابهم . وقد كشفت حتى الآن مئات من السدم اللولبية وغيرها

وما كاد العلماء يكشفون هذا القدر منها حتى اخذوا يتكهنون في حقيقتها وذهبوا في ذلك مذاهب شتى . هل هي مجاميع من النجوم تظهر لطخاً سحابية لبُعْدها وانها اذا نُظر اليها بتلسكوب قويّ حلّلها الى اجزائها ؟ ام هي غيوم منيرة بنور النجوم القريبة منها ام هي غاز ملتهب منتشر في الفضاء ؟

في الجواب عن هذه الاسئلة أثبت السر وليم هجنس ان من السدم ما هو مجموع نجوم تُرى نجوماً لبُعْدها الشاسع ومنها ما هو في الحقيقة لطخ سحابية من الغاز الملتهب لان خطوطها الطيفية تماثل خطوط غاز بلغ من الحمو درجة اخذ يبعث عندها بمقادير القوة التي يتميز بها عن غيره من الغازات

ومن هذا القبيل سديم الجبار الكبير وغيرهُ من السدم المنتشرة في الفضاء . فاذا بلغت الغازات التي تتألف منها هذه السدم درجة كبيرة من الحموّ اطلقت تلك الاشعة التي لا تشعها الجواهر الاَّ حين انحلالها ، وقد اثبت علماء الحل الطيفي ان في هذه السدم عناصر الهدروجين والهليوم واحياناً النتروجين والكربون وان فيها عنصراً لم يجدوا لهُ مثيلاً في عناصر الارض فاطلقوا عليهِ اسم « نبوليوم » اي السديمي

وليست كل السدم على درجة من الحرارة تحملها على ارسال اشعتها الى الفضاء فبعضها مضيء بالنور المنعكس عنهُ الصادر من الكواكب المجاورة لهُ في الفضاء . وبعضها بارد يمتص نور الكواكب الذي يصل اليهِ فتراهُ لطخاً مظلمة في صدر الكون ومن هذا النوع سديم مظلم في جهة الصليب الجنوبي يدعى باللغة الانكليزية غير العلمية « كيس الفحم » . وقد وقف الاستاذ برنار الاميركي حياتهُ على درس هذا النوع من السدم فذكر ١٨٠ سديماً منها تتباين من اللطخ الصغيرة الواضحة الحدود الى الغيوم السديمية التي تشاهد قرب كوكبة الحوّاء

فالاجرام السموية التي تعرف بالسدم تقسم الى قسمين اولها غيوم من الغاز الملتهب والثاني السدم اللولبية وما اليها وهي في الغالب مجاميع من النجوم تظهر لطخاً لبُعْدها

وكان الرأي اولاً ان هذه السدم اللولبية مجاميع صغيرة من النجوم تحيط بشمسنا

من كل الجهات . ولكن لما اتقنت آلات الرصد والتصوير والحلّ الطيفي ثبت للعلماء انها لا تقاس بنظامنا الشمسي لسعتها بل كل منها كون مستقل كالمجرة التي تحيط بنا . وثبت ايضاً ان في الفضاء الوفاً من السدم اللولبية كل منها سعتهُ سعة مجرتنا ولا يُعقل ان تكون ضمنها لذلك قيل ان كلاً منها كون مستقل بنفسهِ خارج مجرتنا واطلق عليها علماء الفلك من الاميركيين اسم « الاكوان الجزرية ». ولما كانت لفظة « كون » تطلق عادةً على كل ما ابدعهُ مبدع السموات والارض فاستعمالها في الانكليزية والعربية يخرج بذهن القراء عن منطوقها الاصلي ولكن اصطلح عليها علماء الافرنج فجاريناهم في ذلك

فالسدم من هذه الجهة تقسم الى قسمين ايضاً الاول السدم التي داخل مجرتنا والثاني السدم التي خارجها

لا يخفى ان مجرتنا مجموعة عظيمة من النجوم والسدم الغازية وهي تشتمل على كل الكواكب التي ترى بالعين المجردة والوف من الكواكب التي ترى بالتلسكوب وملايين اخرى لا ترى الاَّ بالآلة الفوتغرافية فانها لبُعدها لا تترك اثراً في اللوح الفوتغرافي الحساس الاَّ بعد ما يتعرض لنورها الضئيل القادم من اطراف الفضاء ساعات متوالية

والثابت من رصد المجرة بكل وسائل الرصد المعروفة انها قرص عدسي الشكل طول قطره نحو مائة الف سنة نورية وسمكهُ ٢٠ الف سنة نورية وان نظامنا الشمسي في وسطها تقريباً . وفي هذا القرص نحو ٣٠ الف مليون نجمة منتشرة في فضائهِ على ابعاد كبيرة . ولما كانت هذه النجوم لا يبعد احدها عن الآخر بعداً واحداً فان بعضها يرى مجتمعاً كتلاً كتلاً في انحاء مختلفة وهذه لبعدها تظهر كاللطخ السحابية كما ترى في كوكبتي الرامي وهرقل . وفي المجرة ايضاً سدم غازية بعضها منير وبعضها مظلم على ما مرَّ

نعود الآن الى السدم التي خارج المجرة وهي تلك الغيوم الغازية المنتشرة في الفضاء خارج المجرة كانتشار الجزائر في بحر مترامي الاطراف. واشهر العلماء الذين عنوا بدرس هذه السدم هو الاستاذ هبل من علماء مرصد جبل ولسن الاميركي. فقد اشار في رسالة حديثة لهُ نشرها في مجلة « الاستروفزكس » (علم الفلك الطبيعي) الى نتيجة بحثهِ في اربعمائة سديم منها . فقال ان منها سدماً غير منتظمة الشكل اي ليس لها شكل

قياسي خاص واشهرها ما يعرف « بغيوم مجلاّن » ترى من نصف الكرة الجنوبي ويحسبها رائيها جزءاً من درب التبان ولكنها في الواقع بعيدة عنهُ بعداً شاسعاً. ولكن السدم التي لها شكل خاص اكثر من السدم غير المنتظمة الشكل واكثرها اما اهليلجي الشكل او لولبيهُ. ونور السدم الاهليلجية الذي حُلّل بالسبكترسكوب يثبت انها تماثل مجرتنا الى حدّ بعيد مما لا يترك مجالاً للشك في انها مجموعة نجوم كمجرتنا ويتعذر تصوير هذه النجوم واحدة واحدة لبعدها الشاسع . والمحتمل ان نجومها في طور التكون من الغاز الحامي الى حدّ الاضاءة وان الغاز الذي لا يدخل في تكوينها ينشاها كبرقع الحسناء

وبعض السدم في دور الانتقال من الشكل الاهليلجي الى الشكل اللولبي. والبعض الآخر لولبيّ لا غشّ فيهِ تظهر فيهِ الاذرع المكوفة التي تظهر عادة في السدم اللولبية كما ترى في الصفحة المقابلة في سديم السلاقي

وقد قيست ابعاد هذه السدم فثبت ان السديم الكبير في كوكبة المرأة المسلسلة يبعد عنا نحو ٩٠٠ الف سنة نورية وان السديم اللولبي الذي في كوكبة المثلث يبعد البعد نفسهُ تقريباً . ويظن ان الوفاً من السدم اللولبية الضئيلة تبعد عنا اضعاف ذلك . وقد وجد الاستاذان هبل وشبلي ان في جهة كوكبتي شعر برنيكي والسنبلة سدماً لا يقل بعدها عن مائة مليون من سني النور

وقد استعمل السبكترسكوب لمعرفة سرعة حركة هذه السدم في الفضاء فظهر ان سديم المرأة المسلسلة سائر نحو مجرتنا بسرعة ٣٠٠ كيلو متر في الثانية . ولكن اكثر السدم اللولبية تبتعد عنا بسرعة ٦٠٠ كيلو متر في الساعة

والطرق التي ابتكرها الباحثون لمعرفة جرم سديم من هذه السدم يتعذر بسطها هنا لصعوبتها ولكن يؤخذ من تطبيقها ان جرم السديم في كوكبة المرأة المسلسلة يساوي جرم شمسنا الفي مليون ضعفٍ وان هذا السديم يستغرق ١٧ مليون سنة للدوران على نفسهِ مرة مع ان ارضنا تدور على نفسها مرة كل ٢٤ ساعة

***

مها امعنا يبصرنا وآلاتنا في الفضاء فاننا لا نؤمل ان نصل الى نهايتهِ لا في الزمان ولا في المكان. وهذه الملايين التي تشعُّ في الفضاء تدهش العقل وتحيّر اللب. على اننا نشعر بطأ نينة حين تنظر الى ما كشفهُ العلماء عنها فنقول مع بسكال « اننا صغار ، بل من اصغر الكائنات واضعفها . ولكننا نعرف اننا صغار وفي ذلك سرّ عظمتنا »

نوغوشي : العالم الياباني

وهذا جندي آخر من جنود العلم الباسلين سقط في ميدان الجهاد !

فقد فجع علماء الطب والبكتيريولوجيا بوفاة العالم الياباني الشهير الدكتور هديو نوغوشي في ٢١ مايو الماضي . قضى بالحمى الصفراء وهو عاكف على درس اسبابها وطرق انتشارها ووسائل معالجتها والوقاية منها في مدينة اكرا على الشاطئ الذهبي بافريقية الغربية بعد ما انتصر عليها انتصاراً باهراً في اميركا الوسطى واميركا الجنوبية. ولد سنة ١٨٧٦ في بلاد اليابان وتلقى علومهُ في جامعة طوكيو ومعهد الامراض المعدية. ثم سافر الى الولايات المتحدة الاميركية واوربا للتوسع في علم الطب وفي سنة ١٩٠١ عيّن محاضراً في الباثولوجيا بجامعة بنسلفانيا ثم اتصل بعد ذلك بمعهد كارنجي ومنهُ انتقل الى معهد ركفلر سنة ١٩٠٤ وبقي من اعضائهِ الممتازين الى حين وفاتهِ

كان اول عالم تمكن من الحصول على مزدرعات نقية من مكروب السفلس اللولبي الشكل واول من اثبت ان اصل الشلل العام اتصال هذا المكروب بالدماغ باثبات وجوده في مخاخ المصابين بالشلل العام . واكتشف طريقة خاصة عدّل بها طريقة وسرمان المشهورة لتشخيص الزهري . ثم ابتكر لذلك كاشفاً خاصًّا يحقن في الجلد فاذا كان المحقون مصاباً بالزهري ظهرت مكان الحقنة بثرة صغيرة وحولها هالة حمراء ضاربة الى الزرقة في خلال مدة تتراوح بين ٦ ساعات و٢٤ ساعة واذا لم يكن المحقون مصاباً لم تحدث فيهِ الحقنة اثراً ما . وكان المعروف ان الطعم الواقي من الجدري مشوب دائماً بمكروبات اخرى غير مكروبات الجدري وكثيراً ما كانت هذه المكروبات تنقل الى المطعّم عدوى او تحدث فيهِ التهاباً. فاكبّ نوغوشي على البحث حتى كشف طريقة يستطيع ان يستحضر بها طعم الجدري نقيًّا من هذه الشوائب . وتمكن من استحضار مزدرعات نقية لمكروبات الكلب وشلل الاطفال. ولهُ في المجلات العلمية مقالات كثيرة تشهد لهُ بطول الباع في علمهِ وقد منحتهُ اكبر جامعات العالم اعلى رتبها العلمية

وفي سنة ١٩١٨ عزل مكروب الحمى الصفراء في اكوادور فوجد انهُ مكروب لولبي وزرعهُ في مزدرع نقي ثم حقن بهِ طائفة من خنازير الهند فاحدث فيها اعراضاً كاعراض الحمى الصفراء . وكان الدكتور ستمسن قد اشار الى وجود هذا المكروب في كُلْية مصاب بالحمى الصفراء ولكنهُ لم يعلق عليهِ شأناً ما . على ان نوغوشي جمع من

الادلة الوافية ما اثبت بهِ علاقة هذا المكروب (Leptospira Icteroides) النوعية بالحمى الصفراء . ثم استحضر القحة وامصلة تشفي من المرض وتقي منهُ ولكن مجلة ناتشر تعتقد انهُ لم تتح الفرصة بعد لاثبات فائدتها اثباتاً ينفي كل ريب

وكانت قد تألفت لجنة للبحث في هذه الحمى بافريقيا الغربية فوجدت ان القردة وغيرها من الحيوانات التي تقطن تلك البلاد منيعة عليها لا تصاب بها . ثم اثبتت ان مكروبها ينتقل بواسطة البعوض ولكن تعذر على رجالها العثور عليهِ . ولعلَّ ذلك ناشىء عن اختلاف طبيعة الحمى في افريقيا عنها في اميركا الشمالية والجنوبية . فكان هذا الاختلاف باعثاً حمل الدكتور نوغوشي على الذهاب الى اكرا لتناول البحث فيهِ فاصيب بالحمى الصفراء وقضى بها . وبعد وفاتهُ شرّح الدكتور ينغ احد اطباء البعثة جثتهُ فاصيب هو بالحمى الصفراء ايضاً وقضى بها . وقد نشرت مجلة اللانست الطبية في عددها الاخير مقالة للدكتور ادورد هندل من معهد ولكم بلندن اثبت فيها اكتشافهُ لقاحاً واقياً من هذه الحمى الوبيلة . فعسى ان يكون لقاحهُ فعالاً في مكافحتها فان الذين ذهبوا ضحيتها من رجال العلم لا يقوّم علمهم وفضلهم عال

وقد كتب احد اطباء الانكليز واصفاً اخلاقهُ واجتهادهُ فقال انهُ كان ادمث الناس خلقاً يجيء الى كل عامل جديد في معهد ركفلر ويحدثهُ في وداعة وطول اناة ويحثهُ على العمل ويعرض عليهِ مساعدتهُ وخبرتهُ حين يحتاج اليهما. ثم اشار الى جلده في البحث فقال انهُ يجرب التجربة مائة مرة حين يكتفي غيرهُ بعشرين وهذا سرّ نبوغهِ وتفوقهِ

كان الدكتور نوغوشي عضواً ممتازاً في معهد ركفلر الطبي بنيويورك مع انهُ ياباني الاصل ومسألة الخلاف بين الاميركيين واليابانيين على المهاجرة امر مشهور . الاّ ان العلم فوق الخلافات الجنسية والقومية ونوغوشي حين بلغ هذا المقام العلمي الرفيع صار من رجال الانسانية لان مباحثهُ تفيد الاسيوي والاوربي والاميركي والافريقي على السواء ولكنهُ لم يخرج عن كونهِ يابانيّـا تذكر اليابان معهُ كلما ذكر وينالها ما ينالهُ من فخر وتمجيد

وبعد هذا نقول ان تاريخ اليابان قديم ولكنهُ لا يضاهي تاريخ مصر في قدمهِ وعمرانها القديم زاهر ولكنهُ لا يستحق ان يقابل بعمران مصر . ونهضتها الحديثة احدث من نهضة مصر. فمتى يتاح لنا ان نذكر على صفحات مجلاتنا العلمية وصحفنا اليومية اسماء علماء لنا نفاخر بان نقرنهم الى اكبر علماء الارض ويزاحمنا على الفوز باستخدام نبوغهم مديرو اشهر المعاهد العلمية في الغرب ؟

العلم ميراث مجيد

كتاب « العلم والعمران »

[في اوائل اغسطس القادم تصدر ادارة المقتطف هديتها السنوية وهي كتاب نفيس سميناه ُ « العلم والعمران » يقع في ٣٢٠ صفحة من حجم المقتطف ويحتوي على نحو ثلاثين بحثاً علميًّا لاكبر علماء الانكليز كاللورد لستر والسر وليم كروكس والسر ميخائيل فوستر واللورد بلفور والسر جوزف طمسن والسر راي لنكستر والسر اوليڤر لدج والاستاذ شيفر والاستاذ باتسون والسر بارسنز والسر ارنست رذرفورد والسر ارثر كيث والسر ارثر اڤانس وغيرهم . ومن المواضيع التي عالجوها : العلم والطب . الخبز والعلم . العلم في مائة عام . الفلسفة والعلم . ارتقاء الطبيعيات. مبدأ الاتصال . الحياة . الوراثة . العلوم الهندسية بعد الحرب . بناء المادة الكهربائي. مذهب داروين في الميزان . مهد العمران القديم . الخ]

وفيما يلي نبذة من بحث السر ميخائيل فوستر ومنهُ يستدل القارئ على طريقة الكتاب واسلوبهِ وغايتهِ

العلم سائر الى الامام

لقد كُتب في كل صفحة من صفحات تاريخ العلم بحروف جليَّة يراها كل احد ان الحقائق العلمية لا تكشف دفعةً واحدة ولا تكون مستقلة عن غيرها بل ان كل حقيقة منها هي ابنة حقائق اخرى سبقتها وستكون امًّا لحقائق اخرى تتلوها والعالِم يختلف عن الشاعر والمصور من هذا القبيل. فان الشعر فطري في النفس والشاعر ينشأ شاعراً واذا مات لم يرث صناعتهُ احد وقد يتغنى الناس بمدحهِ ادهراً ولكنَّ قريحتهُ تدفن معهُ واما العلم فمكتسب والعالِم يكتسب العلم اكتساباً بالدرس والبحث يأخذهُ عن غيرهِ وينميهِ بنفسهِ كانهُ نتيجة معارف الذين سبقوهُ واذا مات لم يدفن علمهُ معهُ بل بقي ميراثاً لغيرهِ . وكم رأينا وكم سمعنا في اقوال القدماء آراء صارت حقائق عند المحدثين . ينطق العالِم بكلمة فتقع في ارض بور ولا تثمر لان الارض غير معدَّة لها فتبقى كامنة الى ان تتهيأ لها الافكار فيبرزها واحد من عالم الخفاء ويشتهر بها . وكان في الحقائق القديمة قوة تدفع العلماء الى اكتشاف حقائق جديدة فيكتشفونها وتنسب

اليهم والفضل في اكتشافها الى ما قبلها. ولذلك يبقى العلم متقدماً لان العالِم ليس مستقلاً بنفسهِ بل هو من خدَمة العلم الذين يطيعون دافعاً يدفعهم الى الجري فيهِ وهذا الدافع كان قبلهُ ويبقى بعدهُ الى ما شاء الله . ففي كل الامور تقدم وتأخُّر وارتقاء وانحطاط واما العلم ففي تقدُّم دائم الاَّ ان سيرهُ لا يكون في خط مستقيم دائماً بل قد يتعرَّج ويتمعَّج وتظهر حقائقهُ كأنها تعود ادراجها ثم تسير في خطتها الاولى مرة ثانية ولكن منتهى سيرها الى الامام لا الى الوراء كمن يسير في خط لولبي لا في دائرة . وزد على ذلك ان العلم لا ينمو كما يُبنى البيت بوضع حجر فوق آخر فتبقى الحجارة الاولى على وضعها الى ما شاء الله بل كما ينمو الجسم الحي بتغير اطوارهِ على ما نرى في الجنين فان صورهُ المختلفة تتعاقب وتتغير اعضاؤهُ دواماً ولكنهُ يبقى هو في ذاتيتهِ ولو زاد نموًّا كل يوم عن الذي قبلهُ . وهذا شأن العلم يختلف تصوُّرهُ من عصر الى آخر وهو واحد وينمو كما ينمو الجنين . وتتضح صورتهُ رويداً كما تتضح صورة تلقى على الستار بالفانوس السحري وتتجسم كلما احكمتَ وضعها عليهِ حتى تصير في مركز ملتقى الاشعة

وتاريخ العلوم الطبيعية في القرن التاسع عشر والقرون التي سبقتهُ تاريخ ارتقاء مستمر ليس فيهِ ما يدل على التأخر ولا على الوقوف . وما يعلم بالبحث العلمي يبقى راسخاً وقد يضاف اليهِ او يغضُّ الطرف عنهُ مدة ولكنهُ يبقى في محلهِ لا يزول . ولو ثوقنا باستمرار هذا التقدُّم ترانا ننظر الى المستقبل بعين المتشوّف لنرى ما يكون من امر العلم فيهِ وما الدرجات التي يصل اليها بمرور الايام . ولا بدَّ من ان نسأل انفسنا حينئذٍ قائلين هل يقتصر العلم الطبيعي على ما يتعلق بملابسات الانسان او يتناول الانسان نفسهُ

ان المنافع المادية التي نالها نوع الانسان من تقدُّم العلوم كثيرة جدًّا لا يرتاب فيها احد فانهُ لا شبهة في ان العلم قلل المشاق وخفَّف الآلام وفي انهُ زاد الراحة والرفاهة ومهَّد المقاب وسهَّل الصعاب ولم تقتصر فوائدهُ على الاغنياء بل عمَّت الفقراء. وهذه الفوائد المادية كثيرة واضحة حتى يظن كثيرون انها كل الفوائد التي يمكن ان تنال من العلم . ولذلك يقال عن العلم انهُ نافع ماديًّا لا غير فهل هذا صحيح ؟

منافع العلم العقلية

يخامرنا الشك في ما تقدَّم حالما نفكر في تقدُّم العلم ونرى ان ما يُحسَب من

منافعهِ ماديًّا هو ايضاً تقدُّم في المعارف العقلية فان كل ما نتج عن العلم نتج عن سيادة الانسان على الطبيعة وهذه السيادة عقلية مدارها ازدياد مقدرة الانسان على استعمال القوى الطبيعية بدل قوتهِ او قوة غيرهِ من انواع الحيوان فهي توسُّع في استعمال العقل بدل استعمال العضلات

فهل يحسب احد ان ما حوَّل العقل الى ذلك لم يؤثر في العقل نفسهِ . وهل ذلك القسم من العقل الذي يشتغل في اظهار الحقائق العلمية آلة عمياء تُنتج ولا تعلم كيف تنتجها ولا هي شريكة في النفع الذي تسبّبهُ

ما هي اوصاف ذلك العقل العلمي الذي غيَّر علاقة الانسان بالطبيعة ولا يزال يغيرها ؟ اذا اردنا الجواب عن هذا السؤال لم نضطرَّ ان نبحث عن العقول الفائقة . نعم ان العلم تقدم على يد بعض النوابغ ولكن الفرق بين هؤلاء وبين من دونهم انما هو في الكم لا في الكيف لان العالم بعصرهِ لا بنفسهِ والاوصاف التي تقود زيداً من العلماء الى اكتشاف حقيقة علمية خفية لا يعبأ بها الاَّ قليلون تقود عمراً الى اكتشاف حقيقة اخرى يطبّق ذكرها المسكونة ويقوم لها الناس ويقعدون

واوصاف العقل العلمي ثلاثة بنوع خاص

الاول انهُ يكون ميَّالاً بالطبع الى ما يبحث عنهُ اي انهُ يطلب الحق ويحب الحق والاَّ فلا يتسنى لهُ اكتشاف الحقائق الطبيعية . والحق الطبيعي حق مقرر لا شك فيهِ ولا ارتياب ولذلك ترى العالم الحقيقي لا يكتفي بكلمة «يحتمل» و «يجوز» ولا يساوي بين أمرين مختلفين ولو كان الاختلاف بينهما جزءًا من الف جزء من الشعرة . ومن يخالف ذلك يضلُّ سبيلاً ولا يزيد عن الحقيقة الاَّ بُعداً

الثاني انهُ يكون على أتم الانتباه دائماً فان الطبيعة تناجينا دواماً لتكاشفنا بأسرارها ولو باصوات خفية . وعلى رجل العلم ان يكون منتبهاً على الدوام اليها مستعدًّا ان يسمع صوتها ولو كان ركزاً ويرى اشارتها ولو خفيت عن الابصار

والثالث ان يكون شجاعاً صبوراً لان مسالك العلوم لا تخلو من العقبات وكثيراً ما يكون البحث عقيماً لا ينتج الاَّ الفشل او تتعرج سبله بعد استقامتها وتضيق بعد اتساعها فيرى الباحث انهُ ابتدأ والامل رائده والرجاء يهدي خطواته لكنهُ لا يلبث ان يقع في لجة اليأس وهناك يجب الصبر وتفيد الشجاعة الادبية فان شدد عزيمته نجا

من تلك اللجة والا غرق فيها ودفن عمله مع الاعمال التي شرع فيها الناس ولم يتموها

***

وكأني اسمع قائلاً يقول ان هذه الاوصاف غير خاصة برجال العلم بل عامة لهم ولغيرهم ممن يتوخى النجاح مهما كان مطلبه من الحياة . والقائل مصيب في قوله وهذا الذي اعنيه فان رجال العلم لا يمتازون على غيرهم بل هم مثل سائر الناس والعلم نفسه معارف عمومية منسقة ومنظمة كما حدده هكسلي والعلماء من عامة الناس ولكنهم تخرجوا في هذه المعارف العمومية وتدربوا فيها . وهم ليسوا اقوى من غيرهم ولا افضل ولكنهم يملكون قوة اكتسبوها من العلم الذي خدموه . وطالب العلم اذا تعلم ما عرفه العلماء قبله هداه علمهم في سبل الرشاد وساعده على اكتشاف امور جديدة وكانت الطبيعة نفسها خير مرشد له . وكل بحث يزيد الباحث اقتداراً على مداومة البحث سواء جاء مثمراً او عقيماً وناموس الطبيعة قاضٍ ان من يطيعها تسهل عليه الصعاب فيجد كل خطوة اسهل من التي قبلها الى ان يخضع لها خضوعاً تاماً فيجد نفسه قد صار سيداً عليها

واذا دققنا النظر في فائدة البحث العلمي لم نعد نعجب من تقدم المعارف العلمية بل نرى ان النتائج المادية التي نتجت حتى الآن لا توازي ما ينتظر من العلوم كأن خدمتها كانوا في الغالب من ضعاف العقول والعزائم . فلو دعت لخدمتها ذوي العقول الثاقبة الذين اضاعوا عمرهم سدًى في حل مسائل لا فائدة منها وفي مالا تتسع به المعارف ولو دعت المدول الذين ساروا في الطريق السوي غير مسترشدين باحد لكان تقدم العلم على يدهم عظيماً جداً ولنجا الناس من كثير الاضاليل فاذا اعتبر رجال العلم ذلك وجدوا ان ما احرزوه قليل يدعوهم الى الخجل لا الى الافتخار

واذا كان في البحث العلمي فائدة ذاتية للباحث لانه يقويه ويرشده في طريق الهدى ففائدته المادية ليس كل ما يستفاد منه . وقد نهتم بأمر الفوائد المادية اكثر مما يحق لها كما ينظر الطفل الى امه فيحبها لانها تطعمه الاطعمة الطيبة لكنه اذا كبر رأى ان عنايتها به لم تكن تقتصر على ذلك بل انها كانت تربيه ايضاً وتدربه . وهذا شأننا اذا باهينا بمنافع العلم المادية وأغضينا الطرف عن ارشاده الاصلي

ليس بالخبز وحده . . .

ولا يعيش الانسان بالخبز وحده كما قال الكتاب لكنه يجد في العلم شيئاً آخر

غير الخبز . اذا استطعنا ان تنمي سنبلتين من الحنطة حيث كانت سنبلة واحدة تنمو فذلك فوز عظيم ولكن اذا استطعنا ان نساعد انساناً حتى ينظر في اموره ويتدبّرها بعين الحكمة والروية فذلك أمرٌ اعظم . والعلم يفعل الامر الاول ويفعل الامر الثاني أيضاً . والقول الذي نقلناهُ عن هكسلي وهو ان العلم معارف عمومية منسقة ومنظمة مفادهُ ان امور الحياة العمومية التي على عامة الناس أن يتدبروها يكون تدبرهم لها بالوسائل التي يتدبر بها العالم أمور العلم الخصوصية فما يفيده يفيدهم هم أيضاً

وتنتج الفائدة من العلم على اسلوبين فقط الاول ان يعترف للعلم بالمقدرة على تعليم الناس وان يطلبهُ كثيرون من غير الخاصة ومجمعنا غنيٌّ عن تذكيره بهذا الشرط لانهُ سعى منذ اول نشأتهِ في ضمّ كل من يلبي دعوته الى حظيرة العلم . والثاني ان الغاية المقصودة من العلم ليست جمع المعارف العمومية بل التمرُّن على البحث العلمي . فان الانسان قد يعرف كل الحقائق العلمية ويذكر كل ما وصل اليهِ العلماءُ ومع ذلك لا يكون عقلهُ علميًّا ولكن ما من احد يبحث بحثاً علميًّا الاَّ وفيهِ شيءٌ من الذوق العلمي او العقل العلمي ولو لم يكن بحثهُ جديداً . وقد يصل الى حقيقة علمية دفعة واحدة من غير عناء شديد فتذيع الجرائد اسمهُ في كل الاقطار ويسعى كثيرون في اقتفاء خطواتهِ طمعاً في إحراز ما احرزهُ . وقد يبلغ اليها رويداً رويداً في الطريق الذي سار فيهِ من تقدمهُ اليها وهذا الاسلوب الاخير هو الاسلوب العلمي الصحيح الذي يبث في نفس الطالب روح البحث العلمي

وان كان في هذه المسألة خلاف فليس من غرضي الخوض فيهِ الآن ولكن ان كان ما قلتهُ صحيحاً فيخطئُ كل من يقول ان تعليم العلم لا يفيد الاَّ اذا استعمل للنفع المادي . ولا ينكر ان العلوم الادبية استعملت لتهذيب النفوس وان العلوم الطبيعية لم تستعمل كذلك حتى الآن ولكن هذا لا يمنع استعمال هذه العلوم للغاية التي ذكرناها آنفاً وهي التهذيب العقلي الذي يصلح لكل طبقات الناس . وعلى اصحاب العلوم الادبية ان لا يخشوا من وجود العلوم الطبيعية في مدارسهم لانهُ إن كان اصحاب العلوم الطبيعية يلومون اصحاب العلوم الادبية اذا قصروا نظرهم على اعمال الانسان ولم يلتفتوا الى اعمال الطبيعة فالعلوم الطبيعية نفسها تلوم ذويها اذا قصروا نظرهم على الطبيعة ولم يلتفتوا الى اعمال الانسان وهو في نظرنا محور الطبيعة

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الرجال والنساء : بين الابتكار والتقليد

هل الفريقان متساويان في القوى العقلية
والقدرة على استعمالها

اذا تناقشت مع زوجتك او اختك او صديقتك اعترفت كلٌّ منهنَّ ان النساء عامة اصغر قامة من الرجال واخف وزناً واضعف عضلاً واقل صبراً على المتاعب . ولكن اطلب اليهن ان يعترفن لك بانهنَّ اضعف ذكاء من الرجال وهناك الويل الاكبر والشر المستطير

فانهُ قد انقضت على الانسان عصور طويلة وتفوّق الرجل العقلي لا ينازعهُ فيهِ منازع. ولكن الحال انقلبت الآن. فالفتاة التي تحررت من قيود الماضي وفازت بنصيب كبير من الحرية في جميع مناحي الحياة اخذت تنازع الرجل دعواهُ بتفوقهِ العقلي

فما هي الحقيقة وهل النساء والرجال من طبقة واحدة في القوة العقلية ؟ ان الفيلسوف الالماني الكونت كيزرلنغ زار اميركا مؤخراً ولخص ما رآهُ فيها من التحول الاجتماعي بقولهِ انهُ رأى الجنس اللطيف مسيطراً على اميركا من اقصاها الى اقصاها

على ان هذا رأي مبني على مشاهدة قد تكون سطحية وتأمل قد لا تؤيدهُ الحقيقة والامتحان. ولكن الاستاذ بابز احد اساتذة جامعة كورنل الاميركية بحث في الموضوع بحثاً علميًّا . فانهُ تناول دماغ السيدة هلين جاردنر التي كانت زعيمة نسوية مشهورة قبل موتها ودرسهُ درساً علميًّا دقيقاً فكانت النتيجة التي وصل اليها انهُ وجد في درس هذا الدماغ ادلة وافرة على انهُ ليس ما يستلزم ان يكون دماغ المرأة اصغر او اضعف

من دماغ رجل من رتبتها . ذلك ان جامعة كورنل لديها مجموعة من ادمغة بعض الناس المشهورين الذين يوصون بحفظ ادمغتهم بعد موتهم فيها لتكون اساساً لدرس الدماغ وقد وهبت المسز جاردنر المذكورة دماغها لهذه المجموعة بعد وفاتها

فلما قال الدكتور پاپز قولهُ السابق تناولتهُ الجرائد ونشرتهُ باحرف كبيرة على انهُ فوز كبير للقضية النسوية . مع انهُ قول عالم حذر مقيد بقيود يصعب معها اطلاق الحكم بان دماغ المرأة ودماغ الرجل من رتبة واحدة

فقد وجد هذا الاستاذ ان دماغ مسز جاردنر يزن ١١٥٠ غراماً ولما قورن هذا الوزن بوزن دماغ المستر ويلدر احد مؤسسي مجموعة كورنل وُجد الدماغان من وزن واحد فكانت هذه المقارنة منشأ قول العالم بانهُ لم يرَ ما يوجب ان يكون دماغ المرأة اصغر او اضعف من دماغ رجل من رتبتها . ومع ذلك فوزن كل من هذين الدماغين اقل من متوسط وزن الدماغ في الرجال وهو يتباين من ١٣٠٠ غرام او ١٤٠٠ غرام وقد عرف في التاريخ ثلاثة رجالٍ بلغ وزن دماغ كل منهم ٢٠٠٠ غرام اشهرهم تورجنيف الروائي الروسي الشهير

ولما تناول الاستاذ پاپز دماغ مسز جاردنر بتحليل نوعهِ وجد فيهِ «كثيراً من المادة السنجابية التي لا تفوقها مادة سنجابية في مجموعة الادمغة التي في جامعة كورنل»

فلدينا اذاً دماغ امرأة متوسط الحجم عالي النوع ومع ذلك لا نستطيع ان نثبت من هذه المقاييس شيئاً يتعلق بموضوعنا

ان قياس ذكاءِ رجل بكبر رأسهِ او صغرهِ صار امراً لا يعبأ بهِ الآن. فقد قرأت في الصحف اليومية منذ مدة خبرين استرعيا نظري . الاول ان احد العلماء عثر على جمجمة ليس لها مثيل في سعتها والآخر يتعلق بدماغ رجل مشهور بلغ حدًّا ادنى تقريباً من الصغر . فمن هما صاحبا هذين الدماغين

ان صاحب الاول رجل من متوحشي افريقيا . وصاحب الثاني اناتول فرانس اشهر كتاب فرنسا الذي توفي منذ ثلاث سنوات . ولقد ذكرت سابقاً ثلاثة رجال بلغ وزن دماغ كل رجل منهم ٢٠٠٠ غرام والغريب ان احد هؤلاءِ كان معتوهاً!

وعليهِ لا نستطيع ان نقيس ذكاء المرءِ بحجم رأسهِ او وزن دماغهِ

فما هو السبيل الى الفصل في هذه المسألة التي تهم الرجال والنساء على السواء

لنعمد الى التاريخ . فقد جمع الاستاذ كاتل احد اساتذة الفلسفة العقلية بجامعة

كولومبيا سِيَر الف من اشهر نوابغ التاريخ فوجد ان واحداً وثلاثين من هؤلاء النوابغ كانوا نساء . اي ان نسبة الرجال العظام الى النساء العظيمات كانت نسبة ثلاثين الى واحد . وزد على ذلك ان الدكتور كاتل وجد ان ١١ امرأة من هؤلاء كنَّ ملكات ورثن الملك وراثةً وان ثمانيَ منهن حُسبن عظيمات لاسباب طارئة كاشتهارهن بالجمال وان عشراً اشتهرن بالادب وان المرأتين الباقيتين هما سافو الشاعرة اليونانية وسيرتها اشبهُ بالاساطير منها بالتاريخ المحقق والثانية هي جان دارك بطلة فرنسا المقدسة

فاكثر تفوق النساء كان بالتعبير عن معاني الحياة تعبيراً تتقد الحرارة والعاطفة في جوانبهِ . ولقد ثبت من بحثٍ حديث في مقارنة النساء المشهورات ان ٥١،٦ في المائة منهنَّ اشتهرن ككاتبات و ١١،٢ كممثلات ولم يشتهر بالعلم الاَّ سيدتان هما جاين اوفر ومدام كوري وتكادان تكونان السيدتين الوحيدتين اللتين امتازتا بذلك الاولى بعلم الاجتماع والثانية بالطبيعيات. والخلاصة ان هذا الوجه من البحث يفضي الى القول بان النساء لم يجارين الرجال في ميدان الارتقاء العقلي وترقية الفكر الانساني

فما هو السبب ؟ لماذا نجد النبوغ بين النساء نادراً

يقول بعض الرجال : « لان النساء اضعف ذكاءً من الرجال »

فيرد النساء : « ولماذا لا يظهر ذلك في مقاييس الذكاء التي ابتكرها الرجال واثبتوا بها ان متوسط ذكاء الفتاة في المدرسة اعلى من متوسط ذكاء الفتى وذلك حتى يبلغا سن المراهقة وحينئذٍ يسبقها الفتى . وانهُ اذا اخذنا متوسط ذكاء الفريقين قبل البلوغ وبعدهُ وجدناهما متقاربين » ؟

على اننا اذا نظرنا في الدروس التي تتفوق فيها الفتاة والدروس التي يتفوق فيها الفتى وجدنا الفتاة تظهر امضى ذكاءً في الدروس التي لا تحتاج الى نصيب كبير من التفكير والتحليل والابتكار كالتهجية وتعلم اللغات فانها تقبل على ما يجب ان تتعلمهُ بمحافظة قوية وتتعلمهُ للحال غير مترددة او متحيّرة فانها لا تقف مثلاً لتسأل عن سبب الاختلاف في تهجية لفظتين مع ان لفظهما واحد ؟ وذلك سبب تفوقها في نيل الدرجات المدرسية

اما الفتى فلا يسلّم بشيء لان المعلم قالهُ او لانهُ قرأهُ في كتاب ولكنهُ يطلب ان يعرف السبب . تراهُ دائماً حائراً متسائلاً فيمتاز في دروس تحتاج الى البحث والمقارنة كالطبيعيات والكيمياء والتاريخ امتيازهُ بابتكار وسائل جديدة لعمل اعمال قديمة

وهذا الفرق بين الفتاة والفتى يستمرُّ فيهما بعد خروجهما من المدرسة . وعليهِ يصح القول ان عقل المرأة اقرب الى المحاكاة والتقليد من عقل الرجل كما ان عقل الرجل اقرب الى الابتكار والاقدام من عقل المرأة

فتردّ النساء على هذه الاقوال بقولهن « ان الفرصة لم تتح بعد للجنس اللطيف لكي يبرهن عن مقدرتهِ ونبوغهِ . فقد انقضت عليهِ عصور لزم فيها مقر العائلة يرضع النوابغ ، حين كان الرجال يكتشفون المكتشفات ويستنبطون المستنبطات ويبتكرون الآراء والمذاهب ويبنون الحضارة على اسس متينة

وفي هذا الجواب نصيب كبير من الصحة . ولكن لماذا لم تتفوق النساء في اعمال هي في الواقع من اعمال النساء لا من اعمال الرجال كابتكار الازياء النسوية وفرش البيوت وفلسفة الاطفال العقلية

كذلك نرى ان النوابغ الذين بلغوا اعلى ذرى الشهرة والعظمة لم يبلغوها بالسير على الدمقس والحرير . فكم بلوا من الوان الالم والعذاب والفشل والاعراض . ان كورو المصور الفرنسي مثلاً قضى ثلاثين سنة يتقلب على فراش الفقر والجوع قبلما تمكن من ان يبيع واحدة من صورهِ . وبيهوفن الموسيقي الشهير كان على أعظم جانب من الفقر حتى انهُ لم يتمكن من صنع بذلة رسمية سوداء لدخول الاوپرا وادارة « سمفونيتهُ التاسعة » ففعل ذلك مرتدياً بذلة عادية خضراء اللون . وثيودور روزفلت كان مريضاً ضعيف البنية في حداثتهِ فغالب المرض والضعف حتى غلبهما قبلما صار رئيس امة وصيَّاداً مشهوراً . واضطر دموستينوس الاثنيّ ان يتغلب على عاهتهِ قبلما صار من اعظم خطباء التاريخ . والدكتور جورجاس الذي فاز على الحمى الصفراء تلقى علومهُ الطبية في ثوب مرقع بقطع من قبعة قديمة . واذا اراد الكاتب ان يتوسع في ذكر النوابغ الذين من هذا القبيل لزمهُ لذلك مجلد ضخم

فاحتجاج المرأة بان الفرصة لم تتح لها لتظهر مقدرتها ونبوغها تضعف ازاء هذه المصاعب العظيمة التي لقيها اشهر نوابغ التاريخ وتغلبوا عليها

فتجيب النساء ان الفتاة تولد يحفُّ بها الشعور بضعفها وعدم مقدرتها فتضعف ثقتها بنفسها ويقضى على املها في القيام بعمل مفيد فتنكمش وتتراجع في ميدان الحياة بدلاً من ان تواجه مشكلاتها وتبتكر طرقاً لحلّها

ولكن هذا القول غير كافٍ لتعليل قلة النابغات . فكل انسان يمرّ في دور يشعر فيهِ انهُ محتقر مرذول عاجز عن القيام بعمل من الاعمال . واذا رجعنا الى التاريخ وجدنا طائفة من امجد صفحاتهِ مكتوبة باقلام رجال ضعاف استمدوا من ضعفهم قوة وانتزعوا الفوز من انياب الفشل . وبرتايٍ الاستاذ لوبا استاذ الفلسفة العقلية في جامعة برن مور ان في العالم مئات من الرجال اصحاب الاعمال المجيدة دفعهم الى طلب الترقي والتفوق شعورهم بضعفهم العقلي او الجسدي . فسرّ نجاحهم ليس تفوقهم على غيرهم ذكاء ولكن تفوقهم على غيرهم مضاء في استعمال ذلك الذكاء وان كان عاديًا

وهذا هو سرّ انفراد الرجال بالنبوغ الى الآن . فذكاء الرجال ليس اعظم من ذكاء النساء . ولكن الرجال اكثر مضاء في استعمال هذا الذكاء او انهم كانوا كذلك حتى الآن

وسبب ذلك ان في جسم الرجل مقداراً من القوة البدنية اعظم منهُ في جسم المرأة . واذا سألت البيولوجيَّ عن سرِّ ذلك اجاب ان السرَّ في الغدد الصماءِ فان هذه الغدد تفرز في الدم مفرزات تجعل جسم الرجل اكبر حجماً واقوى عضلاً وامضى عزيمة . فاذا وقفت بعض هذه الغدد عن افراز مفرزاتها لسبب ما فقدَ الرجل صفات الرجولة التي يمتاز بها . وقد نقل بعض العلماء هذه الغدد من ديك وزرعوها في دجاجة فظهرت في الدجاجة صفات الديك

وحين نفكر في رجل كاديصن يشتغل ١٦ ساعة كل يوم في معملهِ او كبادروسكي جالساً الى البيانو ١٢ ساعة كل يوم للتمرن عرفنا ما هو النبوغ . وقد قال اديصن في ذلك « النبوغ واحد في المائة إلهام و٩٩ في المائة عرق »

ولكن ما هو النبوغ ؟ هل يطلق النبوغ على تلك الاعمال العظيمة التي تستلفت النظر ويشار اليها في صفحات التاريخ كاستنباط آلة او اكتشاف حقيقة طبيعية او تدويخ مملكة او حفر تمثال او تصوير صورة او نظم قصيدة او غير ذلك . ألا يصح ان نطلق لفظة نبوغ على الاعمال الوديعة الهادئة التي تتم في زوايا البيوت من غير طنطنة او اعلان وهي في لزومها لترقية العمران عظيمة وخالدة كالاعمال التي تستلفت النظر ؟ اذا اتفقنا على ذلك فلا بدَّ من ان نحسب النساء اللواتي تفوقن في محبتهن وعطفهن وتدبيرهنَّ لبيوتهن في درجة واحدة من العظمة كالمخترعين والمكتشفين ورجال الفنون

لقد كانت المرأة منذ فجر التاريخ مدفوعة بعامل خفي لتتفوق وتمتاز حبيبةً وزوجةً واماً وربة بيتٍ . ومن يستطيع ان ينكر عليها تفوقها في ذلك . حتى النساء اللواتي يوضعن في مصافّ الرجال من حيث مقدرتهن العقلية لم يفقدن هذا الشوق اللجوج . ويقال ان مدام كوري العالِمة الشهيرة كانت سائرة في اميركا بعد الحرب ولما مرَّت امام بيت صغير تحيط بهِ حديقة غناء التفتت الى رفيقها وقالت « لقد كنت اتوق كلَّ حياتي ان يكون لي بيت كهذا »

وفي هذا الشوق نعثر على السبب الاساسي لقلة النوابغ بين النساء على ما نفهم من لفظ « النبوغ » عادة . ذلك انهن لا يردن ان يكن نوابغ . بل يردن ان يكن نساء وحسبهنَّ ذلك فخراً . انتهى عن مجلة العلم العام الاميركية

تعليم الاطفال

ما يجب ان يعلّموهُ وما يجب ان لا يعلّموهُ

اول ما يلاحظ في الاطفال كثرة السؤالات التي يسألونها حالما يتعلمون الكلام ورغبتهم في ان يلمسوا بايديهم ما يرون باعينهم ويغيروا شكل كلّ ما يقع في ايديهم اذا استطاعوا ذلك ويقلدوا كل ما يرون اما بالرسم على الورق او بجبل الطين وعمل التماثيل على صور واشكال شتى

والطفل يكثر من السؤال اعتقاداً منهُ ان ابويهِ وكلَّ كبير غيرهما يحيطون علماً بكلّ شيء وقد جرت عادة اكثر الوالدين ان ينتهروا اطفالهم عند الاكثار من المسائل ظنّاً منهم انهُ من قبيل الفضول في الكلام وهذا وهم اذ لكل معلول علةٌ وعلّةُ اكثار الاطفال من السؤال تنبه قواهم العقلية ونموّها فاذا لم يجبهم والدوهم اجوبة ترضيهم لم يسكتوا بل تحوّلوا الى غيرهم واذا لم يرتضوا باجوبة هؤلاء عادوا وقد تولاَّهم الخذلان وخيبة الامل

ومن اعظم اغلاط الوالدين اشتغالهم بشؤون الحياة اليومية عن النظر في مصالح اطفالهم مهملين امر المستقبل تلهياً بالحاضر او تاركين تربية اولادهم للمصادفة او يسلمونهم الى المربيات والخادمات وهنَّ لا يعلمن مطالب الطفولة وواجباتها فيقلنَ في انفسهنَّ اذا كان الوالدون لا يهتمون باطفالهم افنكون نحن اكثر اهتماماً منهم بهم فيشرعنَ في العناية بمنظرهم الخارجي ستراً لحاجاتهم الحقيقية

ومن عادة الاطفال عند ولادة اخ او اخت لهم ان يسألوا والديهم من اين اتى هذا المولود فيحار بعض الوالدين في الجواب عن هذا السؤال لاسيما وهم لا يريدون ان يضلّوا صغارهم ويجيب آخرون عليهِ بقولهم ان الله بعثهُ وآخرون انهم اشتروهُ او ان القابلة جاءت بهِ . والغالب ان الاولاد يسكتون على امثال هذه الاجوبة ولكنها اجوبة لا تفيدهم شيئاً ولا تبيّن لهم حقيقة . والذين يجيبون بها وباشباهها يعتمدون على قول من قال ان الجهل فضيلة وان اساس العفاف والطهارة قلة المعرفة وحجتهم في ذلك ان نواميس ولادة الاولاد قد حُطت عن مقامها السامي الى الدرك الاسفل فلا يحسن بالصغار ان يطّلعوا على حقيقتها

والحقُّ ان لا ظلام الاَّ ظلام الجهل ومعظم الذين ساروا في ذلك الظلام عثروا وسقطوا سقوطاً لم ينهضوا منهُ وقليل منهم وصلوا الى سن البلوغ وقواهم سليمة من الضرّ والاذى . فهل يجب على الوالدين ان يخبروا اولادهم بسرّ وجودهم وهم صغار ويربوهم على المبادىءِ والتصورات السامية في خلال ذلك . هذا سؤال تصعب علينا الاجابة عنهُ لاننا لا نعلم ماذا تكون نتيجة ذلك . قالت كاتبة انكليزية مشهورة ما يأتي :—

« اذا سأل الولد الصغير امهُ حائراً من صنعني ومن اين اتيت فالغالب ان تجيبهُ على ذلك جواباً اولى بها ان لا تنطق بهِ وان يكن صحيحاً وهو ان الله صنعك . اذ هذا الجواب من حيث الصحة هو مثل قولها لابنها اذا افرط في الاكل واصيب بسوءِ الهضم ان الله ابتلاك بهِ . أليس خيراً لها ولهُ ان تقول انك اتيت من ابيك وامك يا ولدي فقد صنعت من جسمينا فانت جزءٌ منا . وقد نموت فينا كما تنمو البزرة في الثمرة وحملتك شهوراً طوالاً تحت قلبي حيث صوّرت ولبثت الى ان ولدتك بالتعب والالم . الا يتعلّق قلب الولد بها متى اطلع على نسبتهِ اليها بهذا القول اكثر مما يتعلق بها بالقول الآخر الذي لا يروي بهِ غليلاً فيتطلب الحقيقة حتى اذا وجدها حفظها سرًّا لا يبوح به خشية ان تعدَّ معرفتهُ لهُ جرماً عليهِ »

هذا ما قالتهُ تلك السيدة وليس في تاريخ العمران ما يدلُّ على ان افشاء سر الحمل والولادة للاولاد اسلم عاقبة من اخفائهِ عنهما الى ان يبلغا اشدهما . ويظهر لنا ان الاخفاء الى سنّ معيَّن اسلم عاقبة وان صرف الاذهان عن هذا الموضوع أفاد الامم التي تصرف الاذهان عنهُ كما ان تنبيه الاذهان اليهِ منذ الصغر اضرَّ غيرهم من الامم . اما الاطفال فليس

من الضروري اخبارهم بكل شيء ولا هم يصرون على معرفة كل شيء . واي شيء نعلمهُ حق العلم حتى نخبرهم بحقيقتهِ فاذا قلنا لهم ان اخاكم الصغير هدية من الله لا نكون أبعد عن الصواب من قولنا لهم انهُ من والديكم ولا هو اسهل عليهم ادراكاً من قولنا لهم ان سوء الهضم من كثرة الطعام

وكما يجب على الوالدين ان يطلعوا اولادهم على ما تفيدهم معرفتهُ يجب عليهم ان يخفوا عنهم ما تضرهم معرفتهُ

تهذيب النساء

معرفة النفس باب الصلاح والاصلاح وعليهِ قال احد الفلاسفة « ايها الانسان اعرف نفسك » فان الذي يرى نفسهُ كما هو يسهل عليهِ اصلاح عيوبهِ والذي يرى نفسهُ فوق ما هو تخفى عليهِ عيوبهُ ولكنها لا تخفى على غيرهِ

لا نكاد نتصفح مجلة من مجلات الغربيين الشهيرة او نقرأ كتاباً من كتبهم الاجتماعية الأ ونرى فيهما بحثاً في الموضوعات العمرانية التي هي اساس التمدن الغربي كحرية المرأة ومقامها في الهيئة الاجتماعية وما اشبه . والغريب في ما يكتبونهُ عن المرأة عندهم انهم يصفون لك حالها باوصاف لا تكاد تميزها عن المرأة الهمجية فيغضون عن حسناتها ويكبرون سيئاتها قصد الاصلاح لا غير

اطلعنا في جزء قديم من احدى المجلات الانكليزية على مقالة تحت عنوان « تدبير المنزل والامة » قالت فيها ما خلاصتهُ لانهُ ينطبق علينا في بلدان الشرق : —

اذا جلنا في قرى البلاد نرى فيها كثيرين من الاولاد ذوي الاوجه الممتقعة والاجسام الضئيلة والصدور الضيقة والافواه التي لا اسنان فيها مثلما نراهُ في اكثر شوارع لندن ازدحاماً . وعليهِ فلا يمكن ان يكون الازدحام سبب ذلك بل السبب الحقيقي الوحيد ان نساءنا لا يعلمن شيئاً من الواجبات التي فرضتها الطبيعة عليهن . فان البنات كثيراً ما يتزوجن باكراً وهن لا يعلمن ما اذا كنَّ صالحات لحمل الاولاد ولا كيف يربينهم بعد ولادتهم . وتراهنَّ يفتخرن بما تعلمن في المدارس من العلوم البسيطة فاذا سألتهن اين لندن او ما هي طريقة استخراج الفائدة المركبة فربما اجبنَ بالصواب ولكنَّ تمرينهنَّ على الاشغال المنزلية البسيطة على ايدي امهاتهن اولاً وايدي

مربيات يختزن لذلك ثانياً من الامور التي اهملت الآن بعد ماكان المعوَّل عليها في سالف الزمان . وغاية ما تسعى اليه البنت اذا لم تتزوج أن تدخل في خدمة التلغراف او تتعلم الكتابة على الآلة الكتابية لا ان تكون خادمة في المنازل. واما التي تتزوج فان في رأسها قدراً كافياً من المعرفة يجعلها تحتقر الاشغال البيتية وتكبُّ على قراءة الجرائد والمجلات الرخيصة الثمن التي تصدر بالالوف لمطالعة البنات اللواتي من طبقتها وتشتري معظم طعام عائلتها ولباسها من الخارج فلا تتعب بطبخ ولا خياطة وهمها الاول فطم طفلها باسرع ما يمكن تخلصاً من تعب الرضاع

وليس ثمت سوى وسيلة واحدة لاصلاح بنية الاولاد وهي تعليم النساء الواجبات المنزلية التي كانت فخر امهاتهنَّ وجداتهنَّ وسبب سعادتهنَّ مثل عمل الخبز والطبخ والخياطة وتربية الاولاد والعناية بانفسهنَّ قبل ولادة اولادهنَّ فان المرأة الانكليزية الآن من اكثر نساء الارض جهلاً لتدبير منزلها وقد كانت افضلهنَّ في ذلك منذ مائتي عام

وربَّ معترضة تقول لماذا اذهب الى المطبخ واراقب ما يجري فيهِ اذا كان عندي من هو اخبر مني بذلك . فالجواب انهُ اذا كانت المرأة تستطيع اقتناء الخدم وكانت الاعمال التي يعملونها على اتمّ المرام كما هي الحال عليهِ في بعض المنازل فلها بعض العذر في اهمال امور بيتها اتكالاً على همة خدمها وامانتهم . ولكن من رأيي ان تطَّلع على كلّ ما يجري في منزلها وتراقب كلَّ حركة وسكنة بنفسها ان لم يكن لقصدٍ غير القدوة فكفى

وخير حلٍّ لهذه القضية ان تعلَّم المرأة ان تدبير امور بيتها واولادها ليس امراً دنيئاً ولا هو علامة انحطاط عقليّ بل هو غاية وجودها وانهُ ما لم تدرك هذه الغاية لا يحقُّ لها ان تهتمَّ بجمعية ولا برياضة ولا بقراءة كتب الادب ولا بتعلم فنّ من الفنون الجميلة . وليس يصعب على المرأة ان تكون جميلة فتَّانة وعاملة بتدبير شؤون بيتها معاً . فان النساء الفرنسويات يجمعن بين هذين الامرين فهنَّ افتن نساء الارض للعقول ومن افضلهنَّ تدبيراً لمنازلهنَّ والنساء الالمانيات قلما يبالين بالفنون الجميلة ولكنهنَّ صاحبات علم وخبرة في جميع الشؤون وموصوفات بحسن تدبير منازلهنَّ فلماذا لا تكون المرأة الانكليزية مثل الفرنسوية في حسن هندامها وكياستها ولباقتها ومثل الالمانية في علمها وتهذيبها وحسن تدبيرها لمنزلها . انتهى

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

طاولة الزهر او النرد

في رواية « نال ودامان » الهندية

قرأت في مقتطف شهر مايو الماضي (صفحة ٦٠٠) ان لعبة النرد او طاولة الزهر استنبطت في القرن العاشر بعد الميلاد وفقاً لما نشرهُ المؤرخ الانكليزي جوزيف Strutt (سنة ١٨٠٢) فجئت بهذه العجالة لاثبات ان طاولة الزهر كانت معروفة منذ القرن العشرين قبل الميلاد فقد ورد ذكرها في رواية نال ودامان الهندية وهي من فصول كتاب مهابهاراته الشهير وهو احد الاسفار الثلاثة المقدَّسة عند الهنود ويرجع وضعهُ الى القرن العشرين قبل الميلاد. وفي روايات الهنود ان الناسك ڤياسا الذي طال عمرهُ على الارض (على رأيهم) الوفاً من السنين نظَّم ديوان مهابهاراته وهو يتضمن ٢٢٠،٠٠٠ بيت ويعدّ من اندر المؤلفات الى الآن في فصاحتهِ وقصصهِ ونوادرهِ وتمثيلهِ العواطف البشرية وآداب النفوس . فترى في ديوان مهابهاراته انباء الحروب والمعارك التي اشتركت فيها الآلهة مع البشر ومناهج الغرام وقانون الآداب وتعاليم الدين والمباحث العلمية والخطب البليغة وغير ذلك ولا يقابلهُ عند الشرقيين في بلادنا غير الالياذة والاوديسية لهوميروس الشاعر اليوناني الشرقي الشهير

ويُقسَّم ديوان مهابهاراته الى ١٩ فصلاً (او « برفان ») وفي الفصل الثالث منهُ رواية نال ودامان التي نحن في صددها وهي ترمي الى تقبيح لعب القمار وتبيين اضرارهِ

وسوء عقباه . وهي طويلة وكثيرة الابواب وتقع في الفين وخمسمائة بيت تقريباً . وحرية بان تنقل الى اللغة العربية ليرى لاعبو القمار غرورهم وغوايتهم وسوء منقلبهم فيما يسترسلون . وحسبنا ان نلمع الى مضمونها وهو انهُ كان وراء نهر الكنج في بلاد الهند مملكة نيشاداه ومملكة فيدرفه وكان على الاولى ملك حازم في شرخ الشباب مشهور بمحاسن جمالهِ ولطف خلقهِ وسرعة خاطرهِ واقدامهِ في الحروب وتضلعهِ من تعاليم « الفيدا » واحكامها حتى اصبح امام عصره ورئيس الدين في بلادهِ وكان يدعى « نال »

وكان على مملكة فيدرفه امير من افاضل الامراء اسمهُ « فيم » ولهُ ابنة فتانة المحاسن تدعى « دامان » انتشر صيتها في الآفاق وملأ خبر جمالها الاندية والاسماع حتى بلغ مقام الآلهة في السماء. فطلبوها زوجة لهم فأبت مجاراتهم فعقدوا مجلساً قرروا فيهِ ان ينتقموا منها ولا يتركوها حتى تكفّر عن معصيتها . واوعزوا الى ربّ الشر « اسكار » ان يصبّ عليها جام نقمتهُ ايان حلت وحيث رحلت . ولم يدر احد بما قرّروهُ بشأنها. ولا يخفى ان الامم في عصور الجاهلية جعلوا الآلهة كسائر الانس نفساً وجسداً ولم يميزوهم الاّ بالقدرة والخلود فجعلوا لهم طعاماً وشراباً ومجالس أنس وطرب. ونسبوا اليهم مجالسة البشر في ولائمهم وقالوا انهم يتناسلون ويستولدون الانسيات ويزوجون بناتهم من البشر ويماثلونهم بعواطفهم وشمائرهم وطرق معاشهم وملاهيهم وقصورهم ومركباتهم ومنهم البنّاء والحدّاد والساقي والساعي وهلمَّ جرّا

وحان وقت زواج نال ملك نيشاواه فاجتمع اليهِ اقطاب مملكتهِ يحدثونهُ بمحاسن دامان ويحثونهُ على الاقتران بها وهو لم يعرفها . ونما خبرهم الى فيم والدها فاحب لو تمَّ ذلك القران السعيد . وكان نال ممن يستميلهُ حب الحسان وتستهويه فتنة الجمال فيعنو لصولتهِ . فخالج قلبهُ حبها واخذ يترقب الفرص للاجتماع بها . وكان يوماً في البراري يتصيد على حسب عادة الامراء . فرّ به سربٌ من الاوزّ فاحتال على واحدةٍ منها وقبض عليها . واخذ يقلّب نظرهُ في جناحيها فتحركت شفتاها بأعجوبةٍ من السماء وقالت لهُ : دعني واطلقني ايها الامير. فان اكلتني فلا اسدُّ جوعاً وان اطلقتني خدمتك اهنأ خدمةً . قال : وما هي فقالت اني اذهب الى دامان الحسناء اقول لها ان تختارك زوجاً لها دون سائر الامراء وتهنأ هي بك هناءً لا تتمتع بهِ مع غيرك . ففرح نال وقرّت عيناهُ باقوالها وحسبها آية مرسلة من السماء اليهِ . واضمر الحبّ لدامان وبات صريع الغرام من ذلك اليوم

فذهبت الاوزة للحال الى فيدرفه ومرَّت بالروضة التي خرجت اليها دامان وحامت حولها كانها تقول لها امسكيني فمدَّت يدها وقبضت عليها واخذت تتفرَّس في محاسن خلقها وتكلمها وتأسف على وقوعها بين يديها . فتحركت شفتاها باعجوبةٍ وقالت لها . لا تأسفي على وقوعي بين يديكِ ايتها الحسناء . اني اتيت اعرض عليك الزواج بالملك نال الذي لا يليق الاَّ بك . وقد جئت اليك من عنده وسحرته بحبك فرأيتهُ مغرماً بك وقد خبلهُ حسنكِ . فاطلبيهِ يأتِ على عجل فاطلقت دامان الاوزة للحال وعادت الى قصرها مدلَّهة الفؤاد وباتت تلك الليلة رهينة الوساوس والبلبال حتى اصبحت كاسفة البال وعلى وجهها امارات الاصفرار . فوهم والدها انها مصابة بعلَّة فاراد استدعاء الاطباء فابت الاميرة فكشفت لهُ السرَّ . فاستدعى للحال « نال » امير نيشاواه ومعهُ سائر الامراء . فابت دامان الاَّ التزوج من نال فسرَّ بهِ اقطاب المملكة والامراء وتمت الافراح وبعد ان قضى نال معهم بضعة ايام عاد الى مملكتهِ فاستقبلتهُ الرعية احسن استقبال . واسرع الامراء والاشراف يهنئونهُ ويدعون لهُ بالمسرات والافراح

وكان لنال اخٌ اسمهُ بوسكار يقيم في احدى المدن وحدهُ فأوحي اليهِ ان يقصد الى قصر اخيهِ الملك يلعب معهُ بطاولة الزهر وان يكون على ثقةٍ انهُ لا يصاب بخسارة لان الزهر الذي يحكم في الالعاب يعضدهُ وينعم عليهِ بما يريد بفضل رب الشرّ «اسكار» الذي اذا دخل الزهر عكس ما يوافق عدوَّهُ وهيأ ما يوافق صديقهُ فتخيل لبوسكار انهُ ملك الملك وهان عليهِ طرد اخيهِ مع زوجته منهُ . وقام من ساعتهِ فقطع الفيافي والانجاد حتى وصل الى العاصمة ودخل القصر فسلَّم على اخيهِ نال وهنأهُ بزواجهِ ودعا لهُ بالسعد والرغد في كل أوان وزمان ثم سألهُ ان يلعب معهُ بطاولة الزهر فقبل وكان الزهر يعاكس نال في كل رميةٍ حتى حار نال في امرهِ وكانت الخسارة تداهمهُ من حيث لا يتوقعها وما شعر الاَّ بفقدهِ امواله كلها مع مملكته نفسها ثم عنَّ لهُ ان يلعب على زوجته دامان فخسرها ايضاً وخرج من قصرهِ بخفيّ حنين لا يدري ماذا يعمل والى أين فاتى بوسكار الى زوجة اخيهِ دامان وأنبأها بما جرى لزوجها من الخسائر وسألها اما ان ترحل واما ان تبقى في القصر زوجةً لهُ فأبت نفسها الاَّ ملازمة حليلها الاول وقالت لهُ لا افارق زوجي فحيث يذهب اذهب واني مشاركتهُ في احزانهِ كما شاركتهُ في افراحه . فخرجت مع زوجها نال الى البراري وغضب بوسكار على دامان من تجاسرها على ردّ طلبه ولكي ينتقم منها امر بقطعها من الشعب ومنعها مع

زوجها من كل مخالطة حتى في مقتضيات الحياة الضرورية حتى صار نال ودامان يقتاتان من عُشب البراري واوراق الاشجار وقضيا اياماً طويلة على تلك الحال وهما صابران على مضض البلوى من غير شكوى يقطعان البراري ويتسلقان الجبال ويصارعان الوحوش الضارية والافاعي الهائلة حتى التقيا بقافلة من النسَّاك فسأَلهم نال ان يحسنوا اليهِ بأَن يوصلوهُ مع زوجتهِ الى عاصمة مملكة فيدرفه وقصَّ عليهم ما جرى لهُ مع اخيهِ فأمروهُ حالاً ان يركب مركبهم نفسها وغيَّروا السير الذي كانوا يقصدونهُ واوصلوهُ الى فيدرفه مع زوجتهِ .ولبث نال زماناً طويلاً في قصر حميه الى ان جهز لهُ حموهُ جيشاً جراراً فسار بهِ الى القتال لاسترداد مملكته ولما قرب من الحدود خرج اليهِ اخوهُ بوسكار وكان جباناً « خوَّاراً » لا يرد عليهِ ذكر القتال حتى يخلع قلبهُ وتزلزل قدماهُ وقال لهُ يا اخي قد ربحت منك الملك بزهر الطاولة فما اولاك ان تستردَّهُ بزهر الطاولة كذلك . على ان الآلهة كانوا قد غفروا ذنب دامان وحسبوا ما تكبدتهُ من الاتعاب والجوع والعري في البراري والجبال كفَّارةً تامة عن معاصيها فلم يتعرَّضوا هذه المرة للزهر فغلب نال اخاهُ في كل لعبةٍ وكل رمية . فاستردَّ الملك مع امواله وخزائنه وطرد اخاهُ بوسكارخارج المملكة واصدر الامر باعدام كل من لعب بزهر الطاولة لغير التنزه وترويح النفس . انتهت الرواية

أما طاولة الزهر التي كان الهنود يلعبون بها في تلك العصور الخالية فكانت على هيئة صليب مربَّع متساوي الاطراف وحجارتها كانت نفس حجارة الشطرنج وعددها ١٦ وكانوا يسمونها « اكشنجا » من « اكشا » الحجرة الواحدة والربع الذي تدور فيهِ « اكشافاتا » والقاء الزهر « اكشاباتا » واللعبة كلها « اكشاديَّتم » واللاعب « اكشافايا » وربما اتينا على تفصيل اللعب نفسه ايضاً فنكتفي الآن بما ذكرناهُ

الارشمندريت الياس اسطفان

رئيس كنيسة السوريين الارثوذكس في الاسكندرية

علاقة التاريخ بالعلوم والآداب

ان الغرض الذي يخدمهُ التاريخ يمتُّ الى العلم والادب بسبب. ولتعرُّف هذا السبب يجب ان ندرس اغراض العلم واغراض الادب

ان اغراض العلم الخالص واضحة ، فهو يعلمنا كيف نحصل على الغذاء ، والدواء ،

والباس، وسرعة الانتقال من مكان الى آخر، والتراسل والاتصال مع ملايين الناس. وبمساعدة العلم الحديث زادت ثروة الناس المادية، وتوفرت لهم اسباب الرفه والسعادة وان كان قد احتكرها فريق من الناس دون الفريق الآخر — وعلى العموم فهذه الزيادة الهائلة في قوى الانسان في حياته الحاضرة بخيرها وشرها هي من عمل العلم الحديث . وفوائد مكتشفات العلوم الطبيعية الحديثة ومساوئها واضحة لنا جميعاً

واغراض الادب الخالصة وفوائده واضحة كذلك — فهو يدخل السرور والعزاء والانتعاش على افكار الانسان . وفيه تهذيب لعقله وروحه معاً

بقي ان نعرف اغراض التاريخ ومزاياه حتى نميز علاقته بالعلم والادب . اما التاريخ فلا يقوم بما يقوم به العلم الخالص مما اسلفناه . فباحثه لا تزيد شيئاً في قوة الانسان المادية ولا في رفهه وسعادته . حتى فرع التاريخ العلمي — التنقيب العلمي — فالجانب العلمي فيه انما هو في الاسلوب فقط . وبذلك لا يمكن ان تجاري نتائجه العملية في الاهمية نتائج المكتشفات في العلوم الطبيعية

فاكتشاف « كارتر » وزميله لمدفن « توت عنخ امون » لم يحدث أي تغير في كيان المجتمع الاقتصادي ولا زاد في مقدار تسلط الانسان على الطبيعة . وقيمة اكتشافه الوحيدة تنحصر في توسيع الفكر البشري وفي زيادة تصور الانسان للماضي . فالحلي الثمينة والاثاث النفيس والآنية التي وجدت مطمورة في قبر ذلك الملك منذ آلاف السنين كلها مناظر جديدة مثيرة لنا جميعاً ولكنها لا تحدث أي تغير مادي في العالم . فهي قد غذت أرواحنا فقط ولم تغذ جسومنا قط

فاذا اعتبرنا التاريخ كعلم . فمن ناحية النتيجة لا يمكن ان يكون له من الشأن ما للعلوم الطبيعية . فضلا عن ان التاريخ من ناحية الاسلوب والنتيجة ليس من الدقة والتحقيق كذلك الذي يمكن ان يقرره العالم في المعمل . فاي غاز او سائل لا يمكن تحليله بدقة كاملة . بعكس اي عصر من العصور او ثورة من الثورات . لان العصر او الثورة يمكن رسمهما من الخارج فقط وبطريقة غير مضبوطة ، ولو كان مؤرخ احدهما من كبار علماء التاريخ . اذ لا يمكن التحقق من اكثر من واحد من البليون من الحقائق التي كونت عوامل الثورة واحوالها او هيأت اسباب العصر الذي يراد شرحه . فمثلاً تحليل الثورة الروسية علمياً يستلزم من بين الاشياء الكثيرة اللازمة لهذا التحليل معرفة كل حركات العمال في اوربا كلها منذ عهد الثورة الصناعية الى الآن . ورغم عدم ضبط التاريخ واستيفائه

اذا قيس بالمقياس العلمي فعمل المؤرخ يستحق العناء الذي ينفق عليه لان كتابة عصر او تحليل ثورة امتع والذ واكثر سوغاً للنفس من تحليل غاز او سائل

فالتاريخ علم ما دامت الروح التي يجمع بها ويرتب روح علمية ولكنهُ عند الشرح والاستنتاج يخرج الى ناحية اخرى . فتسقط عن المؤرخ تلك الصفة التي يتصف بها العالم الطبيعي . وعليهِ اذا كان من الضروري تقييد التاريخ في الاسلوب والنتيجة اذا اريد اعتباره كعلم خالص كذلك يجب تقييده اذا اريد اعتباره كادب خالص . وان كان لا يمكن تحديد مدى هذا التقييد بالضبط . فامثال « جبون وكروبتكن » يمكنهم ان يستخدموا ما يشاءون من الادب في كتاباتهم . اذ لديهم من المقدرة والذكاء والاستعداد ما يبيح لهم ذلك

اما على العموم فليس للتاريخ من الحرية الادبية ما للادب الخالص اذ يلزم ان يكون التاريخ رق الحقيقة . والاَّ فقد اسم « التاريخ » . كما يجب ان لا يستمد في مادة سرده على المخيلة — كما في الشعر والقصة — ولكن يجب الاعتماد فيها على الاسلوب العلمي الدقيق الذي يستعمل لاخراج حقيقة الماضي الصريحة

ويندر جدًّا ان يكون المؤرخ لا بل حتى « مؤرخ الحياة » على مقربة من مناظر الدرامة البشرية كما يتهيأ للروائي او الدرامي الذي يمكنهُ ان يكون في قلب الاشخاص الذين بدعهم بنفسه . وقد يكون « كرمول » كانسان امتع من « هاملت » لان الاول كان لهُ وجود . اما الآخر فن خلق المؤلف . ولكنا لا يمكننا ان نعرف « كرمول » بالفعل كما نعرف « هملت » لان تدوينات التاريخ اقل التصاقاً باصحابها من القصة

صحيح ان « شكسبير » قد عالج موضوعات تاريخية فجعلنا نعرف « ريكاردُس الثاني » و « مرقس انطونيوس » عن طريق شروحه التحليلية لهما ولكن شروح التاريخ في العادة انقص واقل في التصوير من تصوير شكسبير لهذين الشخصين . على ان شكسبير لم يحاول قط عملاً تاريخيًّا ولكنهُ استخدم الشعر والقصة في موضوعات تاريخية . وهذا بالطبع لا يعد حقيقة تاريخية ولو ان التاريخ هو الذي اوحى بهِ

ومن جهة اخرى عند ما كتب المؤرخ الامريكي الشهير « جون ريد » عن الثورة الروسية ذكر الاشياء التي شاهدها بالفعل والاقوال التي سمعها بنفسه تاركاً للقراء الاثر الذي يحسون بهِ . فهو احد مشهوري المؤرخين لانهُ دوَّن بصدق حوادث الثورة وتأثيرها الفعلي مع الاقتراب من اشخاصها وهذا مما لا يوجد عادةً الا في القصة وحدها

وعدا تقصير التاريخ عن قوة تصوير الاشخاص عن كثب فانهُ يكابد نقائص اخرى. فترتيب الوقائع واوضاعها لا يمكن اخراجها بالضبط اذ كثيراً ما تتأخر النتائج اجيالاً فيضل الاستنتاج . وحتى تتناسب « الحقائق الفنية » مع مطالب «الحقائق التاريخية» يلزم المؤرخ ان يدور ويجتزىء

ويندر كثيراً ان تكون الحقائق التاريخية في غرابتها وتأثيرها اكثر مما عليه أية قصة . وعند ما تقع فرصة فذة في يدي استاذ من اصحاب القصص التاريخية (كثورة ١٦٨٨ في يدي ما كولي) تحصل على كتابة ممتعة غير عادية اذ يسير الفن والتاريخ معاً في تطابق تام . ولكن هذه الفرص الفذة نادرة فالتاريخ ادب في قته ادب في مصاعبه

وهذه المصاعب هي التي تعطي التاريخ قيمته ففيها تسلية للقراء ومشغلة لفراغ الطلبة. اذ لذتنا في التاريخ تتوقف على مقدار اعتقادنا في صحة الحوادث التي يمكن تمثيلها والتي كان لها مرة وجود في زمن ومكان ما ، مهما يكن التمثيل ناقصاً

واذا اراد المؤرخ ان يرسم صورة صحيحة لعصر من العصور الماضية فهو في حاجة الى روح علمية لشرح العصر وفي حاجة كذلك الى فن الادب لكي يستطيع رسم الصورة التي بناها على اساس الحقائق . لان الحقيقة التي قامت في الماضي مع كل ما احاطها من التقيدات لا يمكن ان تسرد فقط في شكل احصائيات او في عدة حقائق صامتة . لان الماضي كان حيًّا تتقد في حوادثه حرارة الحياة . فعلى المؤرخ ان يعرضهُ للقراء مملوءًا حرارة وحياة اولاً . فالتاريخ المادي تاريخ كاذب لان الماضي للواقع لم يكن هادئاً . ومع هذا يلاحظ ان التاريخ الذي تلتظي في صفحاته حرارة الحياة يميل كثيراً عن جادة الصواب وخصوصاً اذا ما كانت حرارته مستمدة من التصور الشخصي لا من حياة الماضي كما هي

وعليه فالتاريخ اصعب انواع التآليف لانهُ يستلزم اتحاد الاساليب العلمية والادبية وهذا مما لا يكمل في مؤرخ واحد وعلى ذلك لا توجد تواريخ كاملة

وعدا هذا توجد انواع مختلفة من التاريخ وانواع مختلفة من المؤرخين ففي مكنة عالم واحد ان يفهم ما يلزمهُ فهمهُ عن بعض المسائل ولكن ليس في مكنة مؤرخ واحد ان يفهم كل ما كان في عقلية عصر او امة اذ ماضي الانسانية كبير جدًّا لا يحويه دماغ فرد واحد

ومما اسلفنا يظهر مدى اتصال التاريخ بالعلم والادب وعدم مكنة تجريده عن احدهما او عنهما معاً

محمود حسني العرابي

مكتبة المقتطف

المدرسة والاجتماع

تأليف الاستاذ جون ديوي — ترجمة الاستاذ متري قندلفت — صفحاته ٢٠٤ قطع صغير
طبع بمطبعة المعارف بمصر ويطلب منها

في هذا العصر الذي ارتقت فيهِ العلوم ارتقاء سريعاً وتعددت فروعها ومناحي البحث فيها وكثرت مشاكل الحياة وتعقدت اصبح الطلاب ازاء المعارف التي يتلقاها في المدارس الابتدائية والثانوية والجامعة وعلاقتها بمعترك الحياة كركاب سفينة ضلّت طريقها وفقدت ربّانها. لان حشو الدماغ بحقائق منتثرة او منتظمة لا يفيد شيئاً في معترك الحياة الاَّ اذا جعلت مناهج الدرس شديدة الاتصال والارتباط بالحياة اذ بذلك يُعَد الطالب ليكون عضواً في المجتمع يأخذ منهُ ويعطيهِ شأن كل كائن حيّ. ولذلك نشأت فلسفة تعليمية جديدة كان الاستاذ جون ديوي الاميركي زعيمها واكبر الداعين اليها. وهذه الفلسفة تقوم على اركان كثيرة اهمها ركنان. الاول: ان التلميذ لا يتعلم شيئاً ما لم يعمله. وهذا القول يصدق على حقائق العلوم الطبيعية كما يصدق على تعلم المبادئ الادبية. والمعلم العصري يجب ان لا يكتفي بتعليم تلميذهِ «عن كذا وكذا» بل يجب ان يعلمهُ الشيء بممارستهِ. والركن الثاني هو ان التعليم يكون على اتمهِ اذا تناول كل قوى التلميذ العقلية لذلك يعمد الآن الى تدريس بعض العلوم بتدريس سير نوابغها لان للسيرة الشخصية اثراً حيًّا في نفوس الفتيان والفتيات لا تجدهُ في كتب التعليم القديمة التي تذكر الحقائق مجردة من شعلة الحياة تثيرها وتنيرها

هذه هي فلسفة التعليم الجديدة التي يقتضيها العصر وضع اركانها ودعا اليها كما ذكرنا الاستاذ ديوي الذي يحسب اعظم فلاسفة الاميركيين ومن اكبر الفلاسفة المعاصرين على الاطلاق. ويسرنا ان الكاتب المجيد الاستاذ متري قندلفت قد عني بترجمة كتاب ديوي «المدرسة والاجتماع» الذي فُصّلت فيهِ قواعد هذه الفلسفة الجديدة والبواعث عليها واساليب تحقيقها. وقد قيل انهُ كان من اعظم المؤلفات اثراً في نهضة اميركا العلمية الحديثة فاحرِ بهِ ان يكون ذا فائدة كبيرة في معاهد الشرق. وعسى ان ينال

من الذيوع بين ارباب المدارس والمعلمين والقائمين على تدبير شؤون التعليم في مصر وسوريا والعراق ما يجعلهُ ذا اثر في نهضة الشرق العلمية كما كان ذا اثر في نهضة اميركا . وحبذا لو عني المترجم بوضع ملحق لهُ يطبق فيهِ القواعد الاساسية على برامج التعليم في الشرق العربي

نسمات وزوابع

تأليف نقولا يوسف نيوفتوس — صفحاته ٢٠٢ قطع صغير — طبع بالمطبعة العصرية بمصر

مقالات من النثر الشعري في موضوعات خيالية وشعرية عناوينها تدلُّ عليها منها «صوت الامل» و«الصباح» و«اغنية الخريف» و«شجرة السعادة» وغيرها

قرأنا هذه القصائد النثرية نخيَّل الينا انها بنات خيالٍ خصب ولكنها ليست آهات نفس شاعرة متأثرة تريد ان تفرج كربها او ان تعرب عن غبطتها . لان النفس الشاعرة المتأثرة لا تعمد الى هذه الصور المبهمة اذا شاءت الاعراب عمَّا يخالجها . ولقد قرأنا من هذه القصائد عشراً او اكثر فكانت صور التعبير تخفي عنا حقيقة ما يرمي اليهِ الكاتب من وصف شعور او التصريح بحقيقة . فقد ضاعت معانيهِ وراء مصطلحات مثل «الينابيع الروحية القديمة» و«الموارد القدسية الحلوة» و«تائهاً في اشعة جمالك» و«تغريد العناصر» و«ديجور الاشواك» وما اليها

واي ظل للحقيقة في وصفهِ «للاعمى» الاَّ رصف الالفاظ في وصف العباب المربدّ واليم المظلم والعالم الادكن والفضاء الجهم

كذلك لا ندري الفائدة من ذكر عشرين إلهاً من آلهة الميثولوجية اليونانية في مقالة لا تزيد على صفحة او صفحتين من صفحات المقتطف . لا ريب في ان درس الآداب اليونانية واللاتينية القديمة اساس التعليم «المدرسي» Classical ولكن طائفة كبيرة من فلاسفة التعليم المعاصرين يقولون بغير ذلك . يقولون بتعليم الآداب القديمة لمن يريد ولكن يجب الاَّ تكون جزءًا لا مندوحة عنهُ في برامج التعليم العصري لان الحياة قصيرة وما يجب ان يتعلمهُ الانسان كثير كثير والتعليم لا بدَّ ان يكون متصلاً بالحياة ليكون ذا فائدة . وماذا يهم ابناء العصر اذا كان الاله جوبيتر تزوج من الالاهة «سري» فولدت لها بروسبرين او برسفون . وهذا لا ينطبق على اسماء الآلهة المشهورين الذين صارت اسماؤهم جزءًا من كل لغة لانها اصبحت بمثابة اعلام للمعاني التي خُلقوا لها او لاً كفينوس

للحب ومنرڤا للحكمة ومارس للحرب . وماذا يفيد ابناء العربية ان يقرأوا في مقالة واحدة اسماء هيراس وايراباس وبلاتو وبروسبرين وثيس وهيبية واتون وحرمخيس ! ونكاد نجزم اننا لا نجد احداً من شباننا المتعلمين ولو كان من خريجي كلية الآداب في اكسفرد او كمبردج يستطيع ان يدرك المعاني التي يقصد اليها بذكر هؤلاء الآلهة من غير ان يراجعها في معجم خاص بذلك

الا ايها الكتاب هاتوا في كتاباتكم اسماء غاليليو وكوبرنيكس وبكون ولابلاس ونيوتن وكانت وهلمهلتز وفراداي وباستور واديصن وفورد وامندصن وبرد، هؤلاء هم آلهة الحياة لابناء القرن العشرين. فبالانوار التي تشع من عقولهم ونفوسهم النيرة المنيرة نهتدي في طريق الحياة وعلى المبادىء التي كشفوها والمستنبطات التي استنبطوها والمذاهب الفلسفية التي ذهبوا اليها نشيد حضارتنا ونبني نفوسنا . نحن لا نقول ان الشعر ليس لهُ مكانة سامية في حضارة شعب لانا نتقدم مع شلي « ان الشعراء هم الابواق التي تنفخ بها الى القتال وانهم المشترعون الذين لم يعترف بهم الناس » ونقول مع الشاعر العربي

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بناة المعالي كيف تبنى المكارم

ولكننا نقول ان الشعر يجب ان يستمدَّ وحيهُ من الحياة ويكون مرآة لها والاَّ فهو لا يعزي ولا يسرّ ولا يثير . واية فائدة تجنى منهُ حينئذٍ

هات يا شاعر غنّنا الشعور الذي يثيرهُ فيك هؤلاء الابطال الذين يقتحمون المصاعب والاهوال في الاصقاع المتجمدة الشمالية آناً والصحارى المحرقة او عباب اليم او عناصر الهواء آونة فاخبارهم تملأُ صفحات الجرائد كل يوم . هات غنّنا بطولة الاطباء الذين يتقدمون للموت بقدم ثابتة وثغر باسم ليثبتوا سبب مرض من الامراض الفاتكة ويحققوا وسيلة لمكافحتهِ والوقاية منهُ فيكون موتهم مرقى يرتفع عليهِ العلم والعمران الى مرتبة اعلى . هات غنّنا صبر العلماء ومثابرتهم وجلدهم في البحث عن الحقيقة مهما يقم في وجوههم من المصاعب والعقبات . هات غنّنا لوعة المبدعين من موسيقيين وكتاب وشعراء وغيرهم من ابناء الفن الذين عانوا مضض الجوع والاعراض والاحتقار احياناً فلم يقعدهم ذلك عن تصعيد تلك الزفرات الالهية انغاماً شجية وصوراً فتانة وتماثيل كأنها قطع من الحياة سكنت فيها معاني الروح

بامثال هؤلاء يتمجد الانسان وتبنى الممالك وتشيد اركان الحضارة وترتفع النفوس بالتسبيح والاجلال الى عرش الاله

تقويم النيل

لصاحب السعادة امين سامي باشا

يحتاج الباحث في تاريخ مصر ولاسيما في القرون الوسطى الى مطالعة كتب شتى مطولة بعضها لمؤرخين تعوز رواياتهم الدقة وبعضها الآخر لاجانب لا يتيسر لكل طالب الوصول الي مؤلفاتهم ولذلك كانت الحاجة ماسة الى تاريخ عربي يجمع الحقائق من مختلف مظانها ويدقق في تحريها ويدع الزوائد جانباً ويقتصر على الجوهر بشرط ان يكون ممن توفروا على درس التاريخ وأقاموا على مطالعة مطولاته ووهبوا مزية التفريق بين الغث والسمين والتمييز بين الحق والباطل وقد أتاح الله لمصر هذا المؤرخ الكبير وهو صاحب السعادة امين سامي باشا عضو مجلس الشيوخ فأصدر الكتاب الموسوم « بتقويم النيل » وأتم الجزء الاول منهُ فقال جميع الذين اطلعوا عليهِ انهُ سد هذا النقص على أحسن ما يرام . وبين أيدينا الآن الجزء الثاني منهُ وهو من ابتداء استيلاء الدولة العلية على مصر الى آخر ولاية المنفور لهُ ابراهيم باشا بن محمد علي باشا وقد فصل فيهِ المؤرخ الكبير الحوادث التي وقعت في خلال هذه الفترة على طريقة علمية وأتى بها منسقة تنسيقاً حسناً واضحاً لا تعقيد فيهِ ولا ابهام ونظمها في سمط من التسلسل التاريخي الدقيق يوماً يوماً وشهراً شهراً ذاكراً أحوال مصر وما فعلهُ الولاة الذين حكموها من قبل الدولة العلية ثم اخبار الحملة الفرنسوية بقيادة بونابرت ثم رجوع مصر الى الدولة العلية وولاية محمد علي عليها بعبارات سلسة هي السهل الممتنع

وقد قال سعادة المؤلف في تقديم كتابهِ الى الجمهور ما يأتي صفحة ٢٧ :

«ولقد اجتزت القرون التي تخص هؤلاء الولاة الذين تولوا من قَبْل عصر محمد علي باشا ذاكراً من حوادثهم أهمها الى ان وصلت الى عصر محمد علي باشا الذي يهم الناس ذكر حوادثه مفصلة لأهميتها من جهة ولاتصال تاريخنا بها اتصالاً تاماً من جهة اخرى ، لذلك رأيت عند الشروع في الكلام عليه ان من الضروري ان اتوسع التوسع الكافي في إيراد أعماله المجيدة التي لايكفي لبيانها جزء من كتاب بل تحتاج الى عدّة كتب قيمة إذ سيرته الغرّاء تجذب القلوب بمغناطيسها لانه احيا مصر بعد سقوطها وانتشلها من وهدتها — هذا الرجل المتمحض في الوطنية والاخلاص في كل عمله والذي جعل مصر ترتقي الى اوج السؤدد والفلاح حتى اصبحت في عصره في مقدّمة

الدول صاحبة الشأن لانه بارتقائه أريكة الحكم جلس معه على تلك الاريكة يشاركه في حكمه العدلُ والدينُ الصحيح

« ولقد خدم الملا باسره بتقديمه له صورة عقلية تشخص للناس حقيقة الجمع بين الروحانية والشجاعة ولقد تذكرنا حوادثه الشهيرة العظيمة الشأن التي تقدّم للمطلعين فوائد غراء تنطبع في مخيلاتهم منقوشة على احجار لاتقوى معاول الدهر على محوها فلقد كان رجوع العلم الى ربوعه معقوداً بنواصيه والتأسيسات التي كانت وسيلة للنتيجة الميمونة الطالع لانشاء الجيش المصري بالنسبة للتمدين لان الحرب وان كانت مجلبة للمصائب التي تتبعها فانها كانت من اقوى البواعث على ايجاد التمدين

« فانهُ ما من انقلاب ميمون الا كان منبعثاً عن حرب متوَّجاً باسم فاتح فان أعظم الرجال الذين تركوا من بعدهم من جميل الذكر ما بهر العقول مثل الاسكندر وقيصر وشرلمان ونابليون ، كانوا قبل كل شيء محاربين وكان حضرة صاحب النبوّة والرسالة صلوات الله عليه وخليفتاه ابو بكر ، وعمر رضوان الله عليهما وساكن الجنان محمد علي باشا — كانوا قبل كل شيء مجاهدين ولا يوجد برهان على تأثير الحرب مباشرة في جميع فروع التمدين احسن مما جاءت به في حالة مصر

« ذلك ان كل شيء فيها كان على قدم الاجراء والعمل وكل شيء بدأ في عالم الوجود عقب الترتيبات العسكرية فمحمد علي باشا الذي ادرك مزايا فن تعبئة الجيوش ولزومه قبل كل شيء ان يجدَّ في البحث عن تقوية نفسه ورأى انه لاينال ذلك الا بقوة السلاح كان شغله الشاغل في تشكيل جيش فكان جيشه في احقينة جالباً لاستتباب الامن داخل البلاد ناشراً لواء سطوته في الخارج

« فتشكيل جيش منظم انتج النتائج العمومية الجزيلة الفائدة الكثيرة العائدة لمصر التي سبق التنويه بذكرها في هذا الجزء فاوجد النظام المحكم في قطر كان لايعرف الا الفوضى والهمجية وكان معرضاً لسلب ونهب وإيذاء العساكر الاشرار الظلمة الذين كانوا به من قبل وأمرائهم

« وبذلك انتظمت الامور ووجدت القوة وحل كل ذلك محل الانحلال والضعف ورفع شأن الامة العربية واهلها لسريان الروح الملية فيها واباء الضيم والتعويل على نفسها وهي الصفات اللازمة لامة مستقلة ، ومن طالع سعد مصر ان النتائج العملية التي بدت في الحال كثيرة متعددة في لفت الانظار بل ويمكن ان يقال انها كانت السبب

في جميع انواع التقدم والرقي الذي تكامل في مصر في تلك الحقبة »

وقد اهتم صاحب السعادة سامي باشا بنوع خاص بذكر مقاييس فيضان النيل من سنة ١٥١٧ الى سنة ١٨٤٨ ميلادية وعانى في سبيل جمع هذه المقاييس متاعب جمة حتى ظفر بها ما عدا بضع سنوات في اوائل حكم محمد علي وهو لا يزال مجداً في البحث عنها وقد اهتمت مصلحة المساحة على عهد الكابتن لايونس ومن اتى بعده من المديرين بكتاب سامي باشا هذا وطلبت منهُ مراراً ان يوافيها بنتائج بحثهِ في أمر المقاييس

وتوخى سعادة المؤرخ الاسهاب والتفصيل في تاريخ محمد علي فذكر اعماله الحربية واصلاحاته للادارة المصرية ولصناعة البلاد وتجارتها وجيشها وكل ما يتعلق بها وما انشأهُ من المدارس وما ارسلهُ من الرسالات العلمية الى أوربا وجمع في ذلك معلومات ثمينة من مصادر رسمية ولاسيما من دار محفوظات الحكومة ونشر بعض الوثائق في صورتها الاصلية وزين الكتاب بصور نادرة وبالجملة فان في هذا الجزء من كتاب « تقويم النيل » من المعلومات ما لم يسبق لغير سامي باشا نشره او تحقيقه فالكتاب يعد من اوثق المصادر لتاريخ لمصر في الحقبة التي اشرنا اليها

فنهنىء امين سامي باشا بما وفقهُ الله اليهِ من هذه الخدمة العلمية التي قدمها لبلاده ونرجو ان يكثر بين عظماء مصر العلماء المحققون والمؤلفون المدققون أمثاله

قبض الريح

تأليف ابرهيم عبد القادر المازني — صفحاته ٢٢٢ قطع صغير — طبع بالمطبعة العصرية بمصر

« انا الجامعة كنت ملكاً على اسرائيل في اورشليم ووجهت قلبي للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ما عمل تحت السموات . . . . فاذا الكل باطل وقبض الريح »

«وانا ايضاً كالجامعة وجهت قلبي الى المعرفة وامتحنت نفسي بالسؤال وعللت روحي بالتفتيش . بنيت لنفسي امالاً . غرست لنفسي اوهاماً . عملت لنفسي جنات وفراديس غرست فيها احلاماً من كل نوع ثمر . . . وهذا كان نصيبي من كل تعبي . . . قبض الريح

« واستنفد العناء مجهودي كما تنفد السحابة أراقت ماءها على الارض»

هكذا يتقدم المازني الى القارىء في ضعة ودعة معللاً تسميتهُ لكتابهِ قبض الريح وآثار اللوعة والالم والمرارة تبدو في كل كلمة من كلماتهِ . فهل هذه المرارة ناجمة عن كونهِ يشعر بانهُ يزداد جهلاً لاسرار الكون كلما ازداد علماً واطلاعاً . فهو اذن

الحكيم الحكيم الذي يدرك تقصيره عن ادراك اسرار الكون والحياة ولكنهُ بادراكه هذا وباعترافهِ اكثر حكمة واوسع علماً من المدَّعين . وهو لذلك حريٌّ بالمطالعة

وتلي مقدمتهُ مقالتهُ الاولى وفيها اشارة الى طريقتهِ في الكتابة والمطالعة . ولعلَّ هذه المرة الاولى يسير بنا احد كتابنا الى مخادع نفسهِ ويطلعنا على اسرار صنعتهِ . اصغ الى قولهِ : « وما اظن بي الاَّ ان الله جلت قدرتهُ قد خلقني على طراز عربات الرش التي تتخذها مصلحة التنظيم — خزان ضخم يمتلىء ليفرغ ويفرغ ليمتلىء . وكذلك انا فيما ارى . احس الفراغ في رأسي وما اكثر ما احس ذلك فاسرع الى الكتب التهم ما فيها واحشو بها دماغي . . . . حتى اذا شعرت بالكظة وضايقني الامتلاء رفعت يدي عن الوان الغذاء وقمت عنهُ متثاقلاً متثائباً مشفقاً من التخمة فلا ينجيني الاَّ ان افتح الثقوب واسحَّ » ! . . ولعلَّ الاستاذ اراد ان يشير الى طائفة من الكتاب يعمدون الى الكتب يلخصونها او يترجمونها او يجمعون فصولاً يطلقون على مجموعها اسم كتاب تأليف فلان . فعمد الى هذه الصراحة يؤدبهم بها

على ان من يقرأ المازني لا يستطيع ان يعود بكل ما يقرأهُ في كتاباتهِ الى آراء وافكار التقطها من الكتب وقدمها حبراً على ورق من غير ان يصهرها في بوتقة من التأمل والتمحيص ويمزجها بكثير من الشعور والنظر الخاص ثم يخرجها اراء هي للمازني كما هي للرجل الذي يتهم المازنيُّ نفسهُ بانهُ نقل عنهُ

والكاتب الذي يستطيع ان يقول « وكثيراً ما يدفعني الى الكتابة احساس غامض الا انهُ من القوة بحيث لا يسعني مغالبتهُ فاتناول القلم وانا كالمسحور وكان القلم هو الذي يثب الى يدي كما ينجذب الحديد الى المغناطيس . . . » نقول ان كاتباً يستطيع ان يقول هذا القول لا يمكن ان يكون الاكتظاظ المجرد سرَّ اندفاعهِ الى الكتابة كما ان الماء في عربة الرش قد يبقى فيها الى ان يأسن لا يدفعهُ الى السحّ ما « يدفع الكاتب من احساس غامض لا يسعهُ مقاومتهُ » وهذا هو سرُّ الكاتب المبدع وبهِ يختلف عن المترجم المأجور

ورأيهُ في الكتب ايضاً مشوب بشيء من المرارة فبعد ما كان في اول عهدهِ بها يذهب الى حانوت الكتب وينصرف منهُ « بأثقل من حمل حمار » « ويغرق فيها بقية الشهر الى ما فوق الاذنين ان كان فوقها شيء يستحق الذكر » انقلب على الكتب وهو يقول « فلا انا افدت شيئاً سوى قمع الشباب . . . ولا انا فهمت الحياة كما ينبغي ان تفهم

او سددت نقصاً في تجاربي او استطعت ان استغني بظاهر هذا التجريب عن التجريب الشخصي وشر من ذلك اني اطلعت من هذه الكتب صورة او صوراً للحياة ليس اكذب منها ولا ابعد» ولكنه مع ذلك «تعاوده الحمى القديمة احياناً ويتناوبهُ الحنين الماضي الى الكتب . . . »

وهذا الكتاب نظرات في كتب حملهُ هذا الحنين على النظر فيها ولا يتسع مجال هذا الباب للنظر في نظراتهِ فاكتفينا بالنظر في مقالتهِ الاول « بين القراءة والكتابة » وهي الاولى من نوعها باللغة العربية على ما نعلم

القفص المهجور

نظم يوسف غصوب — طبع بمطبعة جدعون ببيروت

قطعة من الشعر أضيف اليها عشر قطع مثلها ، وصُدرت بمقدمتين ، فبلغت ٩٦ صفحة ، ممتازة بجمال في التنسيق والترتيب والطبع ، قدّمها ناظم اياتها الاديب يوسف افندي غصوب « الى النفوس الموحشة ، المتألمة ، العطشى الى الحب والسعادة »

اما المقدمتان فلكاتبين معروفين ، أحدهما وديع افندي عقل : يصف المجموعة بانها « شعر ، لمثولها شعوراً روحانيًّا بسيطاً ، لا مركباً لفظيًّا أجوف » ويقول عن الشاعر غصوب انهُ « لم يتعدَّ في منظوماتهِ هذه حدَّ المنحى الواحد من مناحي الشعر ، اي انهُ جاء بها كلها شجية باكية تذوب أسىً وتألماً وتنتفض يأساً وقنوطاً » — والثاني عمر افندي فاخوري : يعرّفنا بان « يوسف غصوب أحد شعراء العصر الذين تأدبوا بآداب الفرنجة واقتبسوا من ثقافتهم » وان قراء مجموعتهِ يجدون « آثاراً واضحة من تلك الآداب والثقافة » ويصف اسلوبهُ بانهُ « عربي مبين لا سمة للعجمة عليهِ » « وان لهُ حظًّا من الموسيقى اللفظية غير يسير » ويرى ان القفص المهجور « حادث أدبي ذو شأن : زهرة نضرة في هذه الايام الجدبية ، في بيداء حياتنا الادبية »

وقد تصفحنا المجموعة فاذا شعر رقيق ، حسن التخيل ، هادئ ، فيهِ تصور وصناعة ، وجدّة . وربما تطرف الناظم في الحرص على الاتيان بالجديد ، فزاد شطراً في مكان لا ترى الموسيقى الشعرية ترضاهُ ، ولا الصناعة ، كما فعل في « وحشة القلب » فزاد « علني واجد شقيقة نفسي » و « عيل صبري أيا شقيقة نفسي » ولم يحسن اختيار مكانهما في القصيدة . وربما عصته الالفاظ فقال غير ما يريد او غير ما يمكن ان يراد ،

كما يُرى وهو يرقب طلوع حبيبته عليه في قصيدة « الانتظار » يقول :

أُترى من مطارف الليل تبدو كرجاء من ظلمة الأكدار (؟)
توسع الخطو خَشيةً ، وخُطاها توقظ الحب في صدور البراري (؟)

والرجاء لا يبدو من ظلمة الاكدار ، وانما يطلع من حَلَك اليأس ، كما ان الحب لا يوقَظ في صدور البراري ، وإنما يوقظ في صدور البرايا !

ومثلهُ في القصيدة نفسها :

نصلت صبغة الظلام ، وهمَّت أنجم الليل (في الضحى) بالتواري

فانهُ اراد (في الفجر) كما هو بيّنٌ ، ولم يسعفهُ الوزن فأطلع أنجم الليل في الضحى !

وربما أخطأ التعبير اللفظي خدمةً للوزن أو القافية ، كقوله في « الرؤيا » :

« فؤاد تجافاه الرجال عليل » أراد « جافاه » فأعوزه الوزن ، فزاد التاء ، وليس هذا بموضعها ، وقولهِ في « جنة الاحلام » :

عُقدت فوقهُ السماء بأوراق شقيقٍ ونرجسٍ وخزامِ

أراد « الخُزامى » فغلبتهُ القافية . والخزام وادٍ بنجد ..

***

الى جانب هذا وامثاله في مجموعة « القفص المهجور » أغاريد تسكن لسماعها النفس الثائرة ويطمئن الى نغماتها القلب الواجف ، كقوله في « جنة الاحلام » :

قلت للقلب يا رفيق شقائي وعنائي في صحبة الايامِ
قد طوينا الحياة حتى بلغنا بعد شر المسير خير مقامِ
فلنقف عندهُ ونُسبلْ ستاراً دون وادي الدموع والاسقامِ
ولندعْ عالم الحقيقة إنّا قد رضينا بعالم الاوهامِ
حيث نبني قصورنا راسخاتٍ باذخاتٍ في عاليات الغمامِ
لا ينال الزمانُ منها وليست تبلغ الريحُ برجهنَّ السامي
هذه غاية الامانيّ هلاَّ رقدة في ظلالها بسلام !

وقولهِ :

يا حبّ ما تبغي وقد ذهبت آمالنا وتقارب الأجلُ
رفقاً بقلب مات أكثرُهُ وتقاسمتْ فضلاتهِ المللُ

***

حب ابن ابي ربيعة وشعره

تأليف الدكتور زكي مبارك — صفحاته ٣٣٥ قطع المقتطف — طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر

الدكتور زكي مبارك اديب واسع الرواية شديد الملاحظة لهُ اسلوب طريف في مطالعة كتب الادب القديم واقتطاف ما يدور منها حول موضوع واحد ثم يبوبهُ ويعلق عليهِ ويخرجهُ للقراء بحثاً يجمع بين التالد والطريف . ومن هذا القبيل كتابهُ في « الموازنة بين الشعراء » وكتابهُ الذي بين ايدينا الآن « حب ابن ابي ربيعة وشعرهُ »

فعمر بن ابي ربيعة من ابلغ شعراء العرب وارقهم غزلاً وقد قيل في شعرهِ وفي الغواني اللواتي هام بهنَّ والهمنهُ اجود الشعر اخبار ونوادر متفرقة في كتب الادب العربي فجمعها الدكتور زكي الآن وبوّبها جاعلاً الباب الاول في حب ابن ابي ربيعة والثاني والثالث في شعرهِ . وقد القى المؤلف هذه الفصول الثلاثة محاضرات في الجامعة المصرية سنة ١٩١٩ تحت اشراف الاستاذ احمد ضيف . ويليها بحث مستفيض في معشوقات ابن ابي ربيعة وما اشتهرنَ بهِ من جمالٍ وذكاء وخلق واشعارهُ فيهن وتحليل هذه الاشعار . والخلاصة ان الكتاب كشكول لاخبار العشق والمجون ونرى ان تمنع مطالعتهُ عن الاحداث الذين لم تكتمل فيهم قوة النفس على تمييز الشر ومكافحتهِ . وقد اعترف المؤلف في محاضرتهِ الاولى بذلك اذ يقول « انك ايضاً في حاجة الى شيء من الخلاعة ونصيب من المجون لتفهم الشاعر الفتى عمر بن ابي ربيعة »

واسلوب الدكتور مبارك الكتابي فصيح جزل لا تعثر فيهِ ولا غموض

كلمات جبران

لا تزيد قراء المقتطف علماً ومعرفة بجبران خليل جبران . وهذه الكلمات مجموعة من الآراء وجوامع الكلم لهذا الشاعر الروحانيّ اختارها من كتاباتهِ العربية وترجمها من كتاباتهِ الانكليزية الارشمندريت انطونيوس بشير منشىء مجلة الخالدات بدترويت من اعمال الولايات المتحدة الاميركية . والى القارىء مختارات من هذه الكلمات :

« الذكرى حجر العثرة في سبيل الامل »

« القلم صولجان ولكن ما اقل الملوك بين الكتاب »

« الشهرة عبء ثقيل يضعهُ الناس على ظهر الممتاز ليعرفوا مقدار عزمهِ فان نهض بعبئهِ وظلَّ سائراً رفع الى منزلة الابطال . وان زلت رجلهُ وسقط عدَّ من المنافقين الدجالين »

« لا يحفل المبتكرُ بالناقد الاَّ اذا صار المبتكر عقيماً »

وقد عني بطبع هذه الكلمات ونشرها يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

علم المنطق الحديث

كان حضرة الاستاذ الفاضل محمد حسنين افندي عبد الرزاق استاذ التربية وعلم المنطق والفلسفة في مدرسة المعلمين العليا قد حاضر طلاب مدرسة المعلمين العليا في علم المنطق طبقاً لبرنامج عامي ١٩٢٥و١٩٢٦ وكانت هذه المحاضرات فاتحة لعصر تدريس المنطق على الاسلوب الحديث الذي يشتمل على المنطق الاستنباطي والمنطق الاستدلالي بأسلوب سهل مع الشرح العملي واستنباط أمثلة كثيرة مبكرة. وتضمنت المحاضرات طائفة كبيرة من الموضوعات التي لها اتصال بالمنطق القديم مما عني بدراسته علماء الغرب الحديثين ولم يتعرض لها مناطقة العرب . وقد رأى حضرتهُ طبع هذه المحاضرات في كتاب ليستفيد منها الطلاب وغير الطلاب من القراء فاصدر كتابهُ هذا في اواخر سنة ١٩٢٦ فاقبل عليهِ محبو علم المنطق من رجال العلم والادب فنفدت نسخهُ وقررت وزارة المعارف العمومية تدريسهُ في مدرسة المعلمين العليا فكان لا بد من اصدار طبعتهِ الثانية هذه التي عني بتنقيحها. فنثني على مجهود الاستاذ الفاضل ونعتبر كتابه في مقدمة كتب المنطق التي عني أصحابها بالمباحث العصرية المفيدة

والكتاب مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد في مطبعة دار الكتب المصرية وهو يقع في ٣٠٤ صفحات من قطع المقتطف ويباع في مكتبة هندية بشارع المناخ بمصر

روايات

﴿ الاميرة او الفتاة الفقيرة ﴾ تأليف نعمه طعيمه ابرهيم وقد عني بنشرها يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

﴿ شهداء الاخلاص ﴾ مترجمة عن اللغة الفرنسية بقلم المرحوم طانيوس عبده وقد عني بنشرها صاحب المطبعة العصرية

﴿ غابريلا الحسناء ﴾ نقلها عن اللغة الفرنسية الاديب اسكندر الخوري البيتجالي وطبعت بمطبعة بيت المقدس في القدس الشريف

﴿ عجائب الزمان ﴾ تأليف المحامي اكوب كبرئيل وقد طبعت بالمطبعة الكاظمية في العراق

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) نور الحباحب

بغداد . في جبل لبنان حيوان صغير لا يزيد طولهُ على سنتيمتر واحد ولكنهُ عند ما يسير يظهر من مقدمة رأسهِ ضوءٌ قليل لكنهُ شديد النصوع وذلك بين لحظة واخرى . اما لونهُ فاسود مائل الى اللون الرمادي قليلاً فما هو هذا الحيوان

ج . لعلكم تريدون الحباحب وهو حشرة صغيرة تكثر في سورية تضيء في الظلام من نفسها . ويشاركها في ذلك انواع اخرى من الحشرات والحيوانات البرية والبحرية كالاسماك المنيرة التي وصفناها وصورناها في مقتطف يناير سنة ١٩٢٦ والمظنون ان في الاماكن التي تنير من هذه الحشرات حويصلات دهنية يصل اليها الاكسجين من شعب دقيقة يشعل دهنها او يتحد بمادة فصفورية فيهِ فينير الاَّ ان ذلك غير محقق

والغالب ان الانارة تكون محصورة في الانثى والغرض منها اهتداء الذكر اليها وقد تكون في الذكر والغرض منها جذب الانثى اليهِ فهي من وسائل حفظ النوع

هذه الحشرات تمرُّ على الاطوار التي تمرُّ عليها الحشرات عادة فتكون بيضاً ثم دوداً ففراشاً والنور يكون في الدود والفراش معاً ولكنهُ يكون قرب الذنب لا قرب الرأس كما ذكرتم . وقد يكون النور في البيض

وقد بحث الاستاذ موراكا الياباني في نور الحباحب فوجدا انهُ يخترق الاجسام غير الشفافة مثل اشعة رنتجن ويؤثر في الالواح الفوتغرافية

(٢) جنسية اينشتين

ومنهُ . هل العلامة اينشتين انكليزي ام الماني ؟

هو سويسريٌّ الماني ولد في بلدة أُلم

عقاطعة ورتمبرج سنة ١٨٧٩ وقضى حداثتهُ في مونخ ثم هاجرت اسرتهُ الى ايطاليا ودخل هو آرَوْ في سويسرا وبقي في سويسرا يتعلم ويعلم حتى سنة ١٩١١ حين قبل ان يشغل منصب استاذ الطبيعيات بجامعة براغ وكانت حينئذٍ جزءا من امبراطورية النمسا والمجر وسنة ١٩١٣ انتقل الى معهد القيصر وهلم الطبيعي ببرلين

(٣) التقويم الغريغوري

آن اربر . اميركا . ما هو التقويم الغريغوري فقد ذكر مؤخراً في المجلات والصحف اليومية حين الكلام على اصلاح التقويم . ولماذا سمي كذلك

ج . كان القدماء يحسبون السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً وربع يوم فيضيفون يوماً الى كل سنة رابعة وهي سنة الكبيس . لكن السنة اقل من ٣٦٥ يوماً وربع يوم لانها تعدل ٢٤٢٢٤ ، ٣٦٥ فاذا اضيف يوم الى كل سنة رابعة زادت الايام يوماً كاملاً كل ١٢٩ سنة . وهذا منشأ الاختلاف بين الحساب الشرقي والحساب الغربي . وفي سنة ١٥٨٢ رأى البابا غريغوريوس الثالث عشر ان يصلح الحساب وكان الاعتدال الربيعي قد وقع في ١١ مارس بدلاً من ٢١ مارس فاسقط عشرة ايام من شهر اكتوبر فحسب اليوم الخامس منهُ اليوم الخامس عشر. ولكي لا يعود الخطأ اعتمدوا على هذه القاعدة وهي ان كل سنة لا تقسم على اربعة بدون باق هي سنة عادية ايامها ٣٦٥ وكل سنة تقسم على اربعة بدون باق هي سنة كبيس ايامها ٣٦٦ يستثنى من ذلك السنة التي تقسم على مائة بدون باق اي السنة الاولى من كل قرن فهذه تحسب سنة عادية في التقويم الغريغوري رغم انقسامها على اربعة بدون باق . ويحسب عدد ايامها ٣٦٥ وعليه حسبت سنة ١٩٠٠ سنة عادية في الحساب الغريغوري (نسبة الى غريغوريوس) على انها حسبت كبيسة في الحساب اليوليوسي (نسبة الى يوليوس قيصر) فزاد بذلك الفرق بين الطوائف الغربية والطوائف الشرقية يوماً واحداً عما كان قبلاً فصار ١٣ يوماً وسيبقى كذلك الى سنة ٢١٠٠

(٤) فائدة مدخنة القنديل

ومنهُ . ما هي فائدة المدخنة لقنديل البترول الذي كنا نستعملهُ في سورية . ولماذا اذا رفعناها عنهُ حدث دخان كثير واذا كانت موجودة لا يحدث دخان

ج . ان المدخنة تمنع مجاري الهواء من العبث بلهب القنديل ويسخن الهواء فيها فيصعد لخفته فيأتي الهواء البارد من الثقوب التي تحت المدخنة حول اسفل الفتيلة او من ثقب في اسفل القنديل اذا كانت الفتيلة مستديرة وداخلها انبوب واصل الى اسفل

القنديل . وهذا الهواء البارد يقدم الاكسجين لاحتراق الكربون الذي في الزيت . فاذا رفعت المدخنة او سدّت الثقوب المشار اليها لا يبقى الاكسجين كافياً لاحتراق كل الفحم الذي في الزيت فيصعد بعضهُ دخاناً فهي بمثابة المنفخ للنار

(٥) اختلاف مدة الحمل

المنصورة . هل تختلف مدة الحمل باختلاف الاقاليم كما يختلف سن البلوغ . وما طول اطول مدة قرّرها الاطباء

ج . ان مدة الحمل لا تختلف باختلاف الاقاليم ومعدّلها ٢٧٠ يوماً وقد تزيد يوماً او اكثر الى عشرة . وقد ذكر الاطباء اولاداً ولدوا في الشهر السادس وعاشوا واولاداً ولدوا بعد ابتداء الحمل بعشرة اشهر شمسية

(٦) حياة السمك خارج الماء

الموصل. لم لا يعيش السمك الأ في الماء

ج . لان ليس لهُ رئتان يتنفس الهواء بهما . ولكن لهُ جهاز مخصوص يأخذ بهِ الاكسجين اللازم لحياتهِ من الهواء الذائب في الماء ما دام الماء حاوياً هواء كافياً . واذا اغلي الماء حتى طرد الهواء منهُ ثم بُرّد ووضع السمك فيهِ مات كما يموت خارج الماء

(٧) تجميد زيت كبد الحوت وفيتامينه

ريوده جانيرو برازيل . هل تجميد زيت كبد الحوت يميت المواد الفيتامينية التي فيهِ كما يميتها في الخضراوات الطبخ او الاغلاء

ج . المرجح ان التجميد لا يؤثر في محتويات زيت كبد الحوت الفيتامينية

(٨) صلع الاطفال

بغداد . عرفنا طفلاً في الشهر السادس من عمرهِ اصلع الرأس منذ ولادتهِ . فهل هذا الصلع وراثي وهل يستمرُّ ام ينمو على الرأس شعر حينما يتقدم الطفل في العمر

ج . الصلع التام الوراثي نادر جدًّا في الاطفال . ولكن يقصد بصلع الاطفال عامة نمو شعر دقيق قصير على الرأس لا يلبث ان يحلَّ محلهُ الشعر الطبيعي حينما يتم الطفل السنة الاولى من عمرهِ

(٩) تحول العينين الزرقاوين

ومنهُ . عينا هذا الطفل زرقاوان وعينا والدهِ شهلاوان وعينا امهِ زرقاوان وليس في اسلافهما القريبين عيون زرقاء . فهل تبقى عيناهُ زرقاوين ام تتحولا

ج . المرجح انهما تتحولان شهلاوين

(١٠) كتاب تاريخ شامل

حيفا . ما هو اشمل كتاب عربي موجود الآن في تاريخ الممالك الشرقية في اسيا وافريقية وشعوبها من مستقلة ومستعمرة واساس رقيها وذروته وبدء انحطاطها وما دار عليها من الادوار التاريخية

ج . لا نعرف كتاباً عربياً يشتمل على

كل ما تريدون ولكنكم تجدون خلاصة طيبة في تاريخ هذه الممالك القديم الى حين سقوط رومية في القرن الخامس الميلادي في كتاب العصور القديمة. وهو ترجمة مؤلف نفيس للاستاذ برستد المستشرق الاميركي الشهير ترجمهُ الاستاذ داود قربان من اساتذة جامعة بيروت الاميركية وطبع بمطبعة بيروت الاميركية

(١١) كتاب عربي في تربية الدواجن

يافا. هل توجد كتب باللغة العربية تبحث في تربية الحيوانات الداجنة وما هي. وهل نجد في المجلات مباحث من هذا القبيل وما هي هذه المجلات

ج. نشرنا في باب الزراعة من مقتطف فبراير ومارس الماضيين مقالة نفيسة للامير مصطفى الشهابي مدير املاك الدولة بدمشق الشام موضوعها «طرق التسافد في الدواجن» وهي فصل من كتاب عني حضرتهُ بوضعهِ في «تربية الدواجن» ولا نعلم هل هو قدمهُ للطبع ام لا فنشير عليكم بالكتابة اليهِ في هذا الموضوع

(١٢) اكتساب اللغة

بونس ايرس. هل تولد اللغة مع الطفل او يتعلمها بما يسمعهُ من والديهِ والذين حولهُ

ج. المقدرة على النطق تولد معهُ ولكن التكلم بلغة دون أُخرى يتعلمهُ تعلماً من الذين حولهُ. فاذا ربي طفل مصري في بيت لا يتكلم اهلهُ الا الانكليزية نشأ وهو يتكلمها ولا يتكلم غيرها. واذا كان اهلهُ يتكلمون الفرنسوية او الروسية او الالمانية نشأ يتكلم اللغة التي يسمعها

(١٣) زرقة الجو

ومنهُ. ما حقيقة لون السماء الذي نراه حينما يكون الجوّ صحواً

ج. في ذلك رأيان الاول قديم وملخصهُ ان لون الماء الزرقة ويظهر فيهِ اذا كان مقداره كبيراً كما ترون في البحر الابيض المتوسط (بحر الروم) او كما ترون اذا وضعتم الماء في اناء من زجاج ارتفاعهُ قدمين او اكثر ووضعتم تحت الاناء ورقة بيضاء ونظرتم الى الماء من اعلى الى اسفل حتى ترى العين طبقة سميكة منهُ. وعليهِ يقال انهُ اذا كان البخار المائي منتشراً في الجوّ ظهر بهِ لون الجوّ ضارباً الى الزرقة

والثاني رأي جديد وذلك انهُ اذا مرّ نور الشمس في طبقة سميكة من الهواء تكسر هذا النور واستطارت منهُ الاشعة الزرقاء والبنفسجية والتي فوق البنفسجية فالتي فوق البنفسجية لا ترى فتبقى البنفسجية والزرقاء ولكن الزرقاء تؤثر في شبكية العين اكثر من البنفسجية فيرى بها الجوّ ازرق لانهُ لا يعكس غيرها. واما بقية اشعة النور فتخترق الهواء وتصل الى الارض

باب الأخبار العلمية

اوجه القمر

في يوليو

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	٣	٤	٤٨ صباحاً
الربع الاخير	١٠	٢	١٦ مساء
الهلال	١٧	٦	٣٥ صباحاً
الربع الاول	٢٤	٤	٣٨ مساء
الحضيض	١٤	٥	٦ مساء
الاوج	٢٦	٢	٦ مساء

في اغسطس

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	١	٥	٣٠ مساء
الربع الاخير	٨	٧	٢٤ مساء
الهلال	١٥	٣	٤٩ مساء
الربع الاول	٢٣	١٠	٢١ صباحاً
البدر	٣١	٤	٣٤ صباحاً
الحضيض	١٠	٦	٥٤ مساء
الاوج	٢٣	٨	٤٢ صباحاً

في سبتمبر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاخير	٧	٠	٣٥ صباحاً
الهلال	١٤	٣	٢١ صباحاً
الربع الاول	٢٢	٤	٥٨ صباحاً
البدر	٢٩	٢	٤٢ مساء
الحضيض	٤	٧	١٨ مساء
الاوج	٢٠	٤	٠ صباحاً

السيارات

يوليو

عطارد . كوكب صباح

الزهرة . لا يشاهد

المريخ . يشرق الساعة الاولى صباحاً

المشتري . يشرق نحو نصف الليل

زحل . يغرب الساعة الثانية صباحاً

اغسطس

عطارد . يكون كوكب صباح في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخره

الزهرة . كوكب مساء

المريخ . يشرق بعد منتصف الليل

المشتري . يشرق في الساعة العاشرة مساء

زحل . يغرب قرب منتصف الليل

سبتمبر

عطارد. والزهرة. وزحل. كواكب مساء

المريخ . يشرق في نحو الساعة الحادية عشرة مساء

المشتري. يشرق في نحو الساعة الثامنة مساء

انباء الطيران

البلون ايطاليا

روّع العالم المتمدن حين انقضت ايام في آخر مايو واوائل يونيو من غير ان ترد اخبار عن الجنرال نوبلي ورفاقه الذين كانوا قد طاروا بالبلون ايطاليا لاستكشاف القطب الشمالي والاصقاع المتجمدة حولهُ وظُنَّ ان نكبة حلت بهم . ولكن لم تلبث الصحف ان اذاعت نبأ اشارات لاسلكية التقطها بعض المحطات الخاصة والعامة اذاعها الجنرال نوبلي بالآلة اللاسلكية التي كان قد اخذها معهُ وفي هذه الاشارات عيّن موقعهُ على قطعة من الجليد الطافي على ١٥ ميلاً من جزيرة « نورث ايست لاند » وهي من جزائر ارخبيل سبتسبرجن

فلما عُرف مكانهُ هبَّ العالم المتمدن الى اعداد بعثات النجدة فقام الطياران ريزر لارسن وهولم النروجيّان على طيارة الى المكان الذي عين في الاشارات اللاسلكية فلم يعثروا له على أثر وكان انعكاس النور عن سطح الجليد يبهر عيونهما فلم يروا نوبلي ورفاقهُ مع ان هؤلاء كانوا يرون الطيارة وراكبيها رأي العين . وبعد عودتهما ابرق نوبلي قائلا انهُ رأى الطيارة ودهش لعودتها من غير ان يسعى رجالها لانقاذهم او امدادهم بالمؤونة والذخيرة . وكان الطيار الايطالي مداليتا قد وصل من ايطاليا فذهب الى المكان المعين وكان يحمل في طيارتهِ آلة لاسلكية فجعل نوبلي يديره بها حتى وصلت طيارتهُ فوق البقعة التي كان نوبلي فيها فحدّق الطيار تحديقاً حتى رآهم نقطاً سوداء على سطح الجليد ورمى لهم طعاماً ولباساً وذخيرة . وحين كتابة هذه السطور اطلعنا في الصحف اليومية ان طيارة اسوجية فازت بالطيران الى البقعة التي يقيم فيها نوبلي وبعض رفاقهِ فالتقطتهُ ورجعت بهِ الى خليج الملك حيث ترسو الباخرة شيتاده ميلانو والبحث جارٍ عن بقية الرفاق

اين امندصن

كان امندصن ونوبلي رفاقاً في الرحلة الجوية التي عبرا فيها الاصقاع المتجمدة الشمالية من سبتسبرجن الى الاسكا فوق القطب الشمالي على متن البلون نورج سنة ١٩٢٦ وحدث بعدئذ جدال بينهما قضى على رابطة الصداقة التي تربط رائدين واجها من الاخطار معاً ما واجها . فلما فُقدت آثار نوبلي كان امندصن اول من طُلب اليهِ ان يعدَّ بعثة للبحث عنهُ فلبى الطلب واخيراً سافر مع الطيار الفرنسوي جيلبو على متن طيارة مائية الى المكان الذي قيل ان نوبلي مقيم فيهِ وقد انقضى اسبوع او اكثر منذ

سافرا لم يسمع لهما خبر . واكثر خوفنا ان امندصن قد لقي حتفهُ مع الطيار الفرنسوي في البحث عن نوبلي ورجالهِ . فاذا صحّ ذلك فوتهُ مفخرة لهُ يخلد بها كما هو خالد بانهُ اول رجل بلغ القطبين. فقد كان اول من بلغ القطب الجنوبي سنة ١٩١١ ، وثالث من بلغ القطب الشمالي سبقهُ اليهِ الكومندر بيري سنة ١٩٠٩ مشياً على الاقدام والكومندر برد على متن طيارة في ١١ مايو ١٩٢٦

قهر الباسفيكي

وفي ٣١ مايو قام اربعة شجعان من الطيارين اوستراليان واميركيان على طيارة تدعى «الصليب الجنوبي» قاصدين الطيران فوق الاوقيانوس الباسفيكي الى استراليا فكانت مرحلتهم الاولى من كاليفورنيا الى جزائر هواي والمسافة بينهما ٢٤٠٠ ميل قطعوها في ٢٤ ساعة من الطيران المتواصل والمرحلة الثانية من جزائر هواي الى جزائر فيجي والمسافة بينها ٣٢٠٠ ميل قطعوها في ٣٤ مسافة وهي اطول مسافة اجتازها الطيارون فوق الماء . والثالثة من فيجي الى مدينة برزبان في استراليا وطولها ١٥٠٠ ميل قطعوها في ٢٠ ساعة لان عاصفة شديدة هبت في وجوههم فاخرتهم عن الوصول في الميعاد المضروب . وترى صورة الطيارين الاربعة امام الصفحة ٣٧ من هذا الجزء

الطيارة فرندشيب

وفي ١٧ و١٨ يونيو الماضي طارت الطيارة المائية فرندشيب من نيوفوندلند الى انكلترا وعلى متنها آنسة اميركية تدعى مس ايرهات ويصحبها المستر غوردن والمستر ستولز فوصلت اوربا ظهر ١٨ يونيو ونزلت في بوريبرت على مقربة من لانلي وفي اليوم التالي وصلت الى سوثمبتون ومنها ذهب الطياران الى لندن فاستقبلا فيها بحفاوة عظيمة . فالمس ايرهارت اول سيدة فازت باجتياز الاوقيانوس الاتلنتيكي بالطيارة

الطيران الى القطب الجنوبي

ذكرنا في اعداد سابقة الرحلة التي يعدها الكومندر رتشرد برد للطيران الى القطب الجنوبي واستكشاف ما يحيط بهِ من الارض. وقد اطلعنا الآن في مجلة نانشر ان الطيار الاسترالي ولكنز الذي طار في مايو الماضي من الاسكا الى سبتسبرجن وصل الى لندن وانعم عليهِ الملك بلقب سر وهو مهتم باعداد رحلة لاستكشاف الاصقاع المتجمدة الجنوبية من الجوّ . وعلاوة على ذلك فان الكومندر جفري من ضباط البحرية الانكليزية المتقاعدين قبل ان يتولى قيادة بعثة اميركية لريادة الاصقاع المتجمدة الجنوبية يستعمل فيها طيارتين تستطيع احداهما ان تطير مسافة ستة آلاف ميل من غير ان تنزل الى الارض

كيف تنظم الرحلات الكبيرة

كشف كولمبوس العالم الجديد في ثلاث سفن شراعية هي النينا والپنتا والسانتاماريا . وطار الكومندر برد الى القطب الشمالي اولاً على متن طيارة من ذوات السطح الواحد تدعى جوزفين فورد . انفق الاول نحو ٤٠٠ جنيه على اكتشاف العالم الجديد . ولكن جريدتي نيويورك تيمس وسانت لويس بوست دسپاتش انفقتا ٤٠ الف جنيه لتنفردا بنشر اخبار بعثتي برد وامندسن الى القطب الشمالي حين بلغتاهُ في ١١ و١٢ مايو سنة ١٩٢٦ وليس في هذا انتقاص لامندسن او لبرد . بل هو دليل على ان الرائد كما كان في الماضي اخذ يزول

كان الرائد بالامس رجلاً قويًّا مقداماً طموحاً يخترق البراريّ القاحلة مفرداً وحين يضطرّ يعيش عيشة سكانها المتوحشين فاذا كان في المناطق الاستوائية تناول التوابل في طعامهِ ليزيد مفرزات كبدهِ واذا كان في المناطق الباردة اضاف شحم الحوت الى اللحم المقدد طلباً للتدفئة واذا كان في جزائر البحر الجنوبي طلا جسمهُ بالادهان المختلفة ليقيهِ لسع الحشرات

اما الرائد اليوم فغيرهُ بالامس واول ما يجب ان يتصف بهِ مقدرتهُ على تنظيم امور الرحلة كما تنظم الاعمال المالية الكبيرة لان الرحلة في الحقيقة عمل مالي كبير ذلك ان بعثة الى القطب الشمالي او الى تبت او الى اواسط افريقية تحتاج الى نفقات تتراوح بين ٢٠ الف جنيه ومائة الف جنيه. لان بعثة لا تملك الباخرة التي تسافر عليها ولا يكون في عداد رجالها طائفة من العلماءِ الممتازين لا تستطيع ان تنشر اخبارها على صفحات الجرائد الاولى وعليهِ ترى ان زعيم بعثة علمية الى احد الاماكن المذكورة عليهِ ان يبدأ في تنظيم بعثتهِ كما يشرع صاحب صناعة جديدة في عرضها على الجمهور

ولنفرض انهُ ينوي ان يطير من نيويورك الى برلين مارًّا بالقطب الشمالي اولاً . فماذا يفعل ؟

يقدر اولاً النفقات التي لا بدَّ منها لشراءِ طيارة تفي باغراضهِ وسفينتين للنجدة ترابط احداهما من جهة اوربا والثانية من جهة اميركا ونفقات مساعديهِ من علماء ومهندسين وما يلزمهم من مؤونة وذخيرة وادوات فتبلغ النفقات نحو ٢٠٠ الف جنيه

فيعنى حينئذٍ باقناع رجال الحكومة بان هذه الرحلة لا بدَّ ان تكون ذات فائدة لرجال الحربية والبحرية فتمدهُ بمبلغ من المال ثم يتفق مع شركات الصور المتحركة

وبعض الجرائد على اختصاصها بصور الرحلة واخبارها لقاء مبلغ آخر وتتبارى شركات البنزين والزيت لتجهيز طيارتهِ وسفينتهِ بكل ما يلزمها من هذا القبيل اذا وعد ان يعلن عند نهاية الرحلة انهُ استعمل في رحلتهِ بنزينها وزيتها وتهتم الجمعيات العلمية برحلتهِ فتنتدب العلماء من اعضائها لمرافقتهِ من غير لقاء ينالونهُ منهُ

وتحاول الشركات الصناعية الكبرى ان تقنعهُ بتسمية طيارتهِ وسفينتهِ باسماء مصنوعات خاصة يريدون اذاعة شهرتها فقد قيل ان شركةً من شركات السجاير الاميركية عرضت على مدير احدى الرحلات الجوية الطويلة المدى في الصيف الماضي خمسة آلاف جنيه ليسمي طيارتهُ باسم صنف من سجايرهم. ويتقدم بعد ذلك بعض الاغنياء الذين لا يعلمون كيف ينفقون اموالهم فيهبون مدير البعثة مبلغاً لا يستهان بهِ حتى اذا كشفت البعثة ارضاً جديداً سمتها باسمهِ فيكفل لنفسهِ الخلود

وهكذا يستطيع الرائد الحديث ان يجمع مالاً يكفيهِ للقيام برحلة كبيرة كالرحلات التي سبق ذكرها

الفلم الناطق والكتب المشهورة

معروف لدى قراء المقتطف المبدأ الذي بني عليهِ الفلم الناطق . ذلك ان اصوات الممثلين تحول الى امواج كهربائية في جهاز يشبه جهاز التلفون وهذه الامواج الكهربائية تتصل بمصباح كهربائي فتتحول التغيرات الدقيقة في المجرى الكهربائي الى تغيرات في قوة الضوء وضعفهِ . وهذه التغيرات ترسم فتوغرافيًّا على جانب الفلم الذي ترسم عليهِ صور الممثلين . ولدى عرض الفلم بعكس الفعل اي تتحول التغيرات النورية الى تغييرات في قوة المجرى الكهربائي وضعفهِ وهذه تؤثر في سماعة تلفون فتعيد اصوات الممثلين وكلماتهم مسموعة

وقد اطلعنا الآن في مجلة العلم العام ان الدكتور هوتني مدير البحث العلمي في الشركة الكهربائية العامة يشتغل باتقان طريقة لصنع فلم تدوَّن فيهِ الكتب المشهورة حسبما يقرأها المشهورون بفصاحة اللفظ والالقاء وبذلك يتسنى لصاحب فلم من هذا القبيل ان يصغي في ساعتين او ثلاث ساعات الى قراءة كتاب قد تستغرق قراءتهُ يومان من غير ان يتعب عينيهِ . ومتى اتقنت هذه الطريقة صار يباع الفلم منها بما لا يزيد على جنيه واحد كما تباع الكتب ويطلب من مخازن الادوات اللاسلكية التي صارت منتشرة في طول البلاد الاميركية وعرضها الآن

فاستنباط الدكتور هوتني آلة تجمع بين مبدأي التلفون والفلم الناطق ولا يمت

بصلة ما الى ما حاولهُ المستنبط الانكليزي فورنيه دالب من صنع عين كهربائية تنظر الحرف الانكليزية وتحاول لفظها فيجيء اللفظ مشوَّهاً غير مفهوم

يوبيل جريدة الافكار الفضي

اقيمت في سان بولو بالبرازيل حفلة شائقة تكريماً للزميل والصديق الفاضل الدكتور سعيد ابو جمره صاحب جريدة الافكار لمرور خمس وعشرين سنة على جهادهِ الادبي في ميدان الصحافة

وقد خطب فيها فارس افندي الدبغي ذاكراً محامد الجالية السورية في البرازيل ومآثرها معدداً فضائل جريدة الافكار وقدم للمحتفى بهِ باسم اللجنة تمثالاً على قاعدة من المرمر وهنأهُ بفضائلهِ

وتلاهُ شفيق افندي معلوف فتلا رسالة وردت من اللجنة التي تألفت في ريو ده جانيرو وقدم باسمها قلمين من الذهب الخالص واعقب الرسالة بتلاوة ابيات نفيسة من الشعر بعث بها الشاعر المطبوع فوزي افندي معلوف . ثم وقف الشاعر المجيد سليم افندي عقل والقى قصيدة عامرة طرب لها الحضور . وتلاهُ المصور حنا افندي حلاج وقدم للمحتفى بهِ صورتهُ بالزيت ثم تكلمت السيدة سلوى سلامه ، فجورج افندي كمدي ، فحسيب افندي كمدي ، فيعقوب افندي روادي بالبورتغالية ، باسم النادي الرياضي السوري ، فخليل افندي قطيط باسم «جمعية متخرجي الجامعة الاميركية» فالآنسة الاديبة مريم زكا ، فموسى افندي كريم بالبورتغالية ، ففؤاد افندي عمر فعبد الله افندي بلحوس ملقياً قصيدة لجورج افندي مسره ، فسيادة الارشمندريت ايصائيا عبود . وبعد ذلك وقف الدكتور سعيد ابو جمره وعواطفهُ تبدو على وجههِ وتلا متأثراً عبارات الامتنان والشكر للجمهور الكريم وللصحافة والجمعيات

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يلتئم هذا المجمع في اوائل سبتمبر القادم بمدينة غلاسجو ويرأسهُ السر وليم براغ العالم الطبيعي المشهور وقد اختار لخطبة الرآسة الموضوع التالي : « التقدم الحديث في العلوم الطبيعية وارتباط ذلك بشؤون الامم ». ومن الخطب العلمية الشائقة التي ينتظر القاؤها في هذا المجمع خطبة عنوانها « اثر اللاسلكي في التعليم » للسر جون ريث واخرى عنوانها « اثر العلوم الهندسية في العمران » لرئيس قسم الهندسة السر وليم الس . واخرى موضوعها « علاقة الفسيولوجيا بالعلوم الاخرى » لرئيس قسم الفسيولوجيا الاستاذ لوفات اڤانس

شهيرات النساء

نشرنا في صدر باب شؤون المرأة وتدبير المنزل مقالة عنوانها « النساء والرجال بين التقليد والابتكار » ذهب فيها كاتبها الى ان النساء لسن اقل ذكاء من الرجال ولكنهن اقل مضاء منهم في استعمال ذكائهن وان ذلك يعلل ما ذكره من ان نسبة النوابغ بين النساء الى النوابغ بين الرجال قليلة جداً. ونشرنا امام هذه المقالة صورة تحتوي على رسوم ١٢ سيدة من شهيرات التاريخ وهنَّ كما يأتي من اليمين الى اليسار :

الصف الاول يحتوي على صور زيتية لطائفة من السيدات القديسات في العهد المسيحي الاول والقرون الوسطى . وقد اشتهرن بسمو النفس والخلق وتعلقهن بالدين المسيحي فحسبن قديسات

الصف الثاني . لوكرزيا بورجيا . كاترين ده مدتشي . مسالينا الامبراطورة الرومانية. واغربينا الصغرى الامبراطورة الرومانية وقد اشتهرن في التاريخ باجرامهن

الصف الثالث : الملكة فكتوريا. الملكة اليزابث . كاترين الثانية . ماريا ترزا النمسوية وهنَّ اربع نساء اشتهرن في التاريخ بحكمهن ممالك كبيرة

الصف الرابع . مدام ده بومبادور . نينون ده لانكلو . كليوباتره . اسبازيا خليلة بركليس وقد اشتهرن بجمالهن والتأثير به للحصول على نفوذ سياسي واسع النطاق

نوغوشي

نوغوشي عالم ياباني من اكبر علماء البكتيريولوجيا في هذا العصر . قضى بالحمى الصفراء وهو يبحث عن مكروبها في البعوض



الذي ينقلها على شواطىء افريقية الغربية وقد نشرنا سيرته وطرفاً من مباحثه في صفحتي ٧٤ و ٧٥ من هذا الجزء وهذه صورته

المرأة والبحث في السرطان

اقترحت كلية الجراحين الاميركيين ان تمنح جائزة نوبل الطبية للدكتورة مود سلاي Slye الاميركية من اساتذة جامعة شيكاغو جزاء لها على بحثها الدقيق في اسباب السرطان . وهي تحسب من اكبر الثقات في هذا الموضوع في اميركا

الوزارة المصرية الجديدة

في ٢٥ مايو الماضي صدر امر جلالة الملك باقالة الوزارة النحاسية بعدما استقال اربعة من اعضائها وكُلف محمد محمود باشا بتأليف الوزارة الجديدة فألفها على المنوال التالي :

محمد محمود باشا	للرآسة والداخلية
جعفر ولي باشا	للحربية والاوقاف بالنيابة
عبد الحميد سليمان باشا	للمواصلات
احمد خشبه باشا	للحقانية
محمد المطيعي باشا	للزراعة
علي ماهر باشا	للمالية
ابراهيم فهمي بك	للاشغال العمومية
احمد لطفي السيد بك	للمعارف
الدكتور حافظ عفيفي	للخارجية

سم الافاعي والنور

يقال ان سم الافاعي التي تقطن الصحراء هو افتك سموم الافاعي المعروفة. وقد خطر لاثنين من اعضاء اكادمية العلوم الفرنسوية ان ذلك قد يكون ناشئاً عن تعرض الافاعي لنور الشمس وان الاشعة التي فوق البنفسجي فعلت بها هذا الفعل. فاخذا مقداراً من سم بعض الافاعي المعروفة وعرضاهُ للاشعة التي فوق البنفسجي ثم امتحنا فعلهُ فوجدا انهُ ازداد فتكاً ولما حقنا بهِ حيوانات معيّنة وجدا ان فعلهُ بها اشد من فعل السم نفسهِ قبل تعريضهُ لهذهِ الاشعة

عيد هارفي

احتفلت كلية الاطباء الملكية بلندن في اواسط مايو الماضي بمرور ثلاثمائة سنة على ظهور كتاب هارفي الذي اثبت فيهِ اكتشافهُ لدورة الدم . فقد طبع هذا الكتاب في ربيع سنة ١٦٢٨ بمدينة فرانكفورت وكان مؤلفهُ في الخمسين من عمرهِ حينئذٍ

بلون ضخم للبحث العلمي

بني في برلين بلون كروي قطرهُ ٨٦ قدماً ينتظر ان يحلّق الى ارتفاع ٩ اميال فوق سطح البحر . والقصد منهُ ان توضع فيه مقاييس آلية للحرارة والضغط تدوّن من نفسها ادنى درجاتهما متى بلغ البلون هذا الارتفاع العظيم

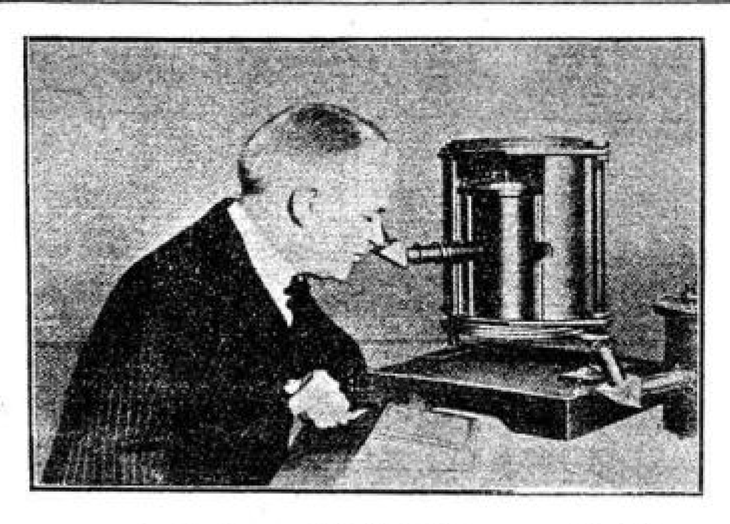
سكان الولايات المتحدة الاميركية

قدرت مصلحة الاحصاء الاميركية ان سكان الولايات المتحدة يبلغون في اول يوليو ١٢٠ مليون نسمة بزيادة نحو ١٥ مليوناً على ما كانوا عليهِ سنة ١٩٢٠

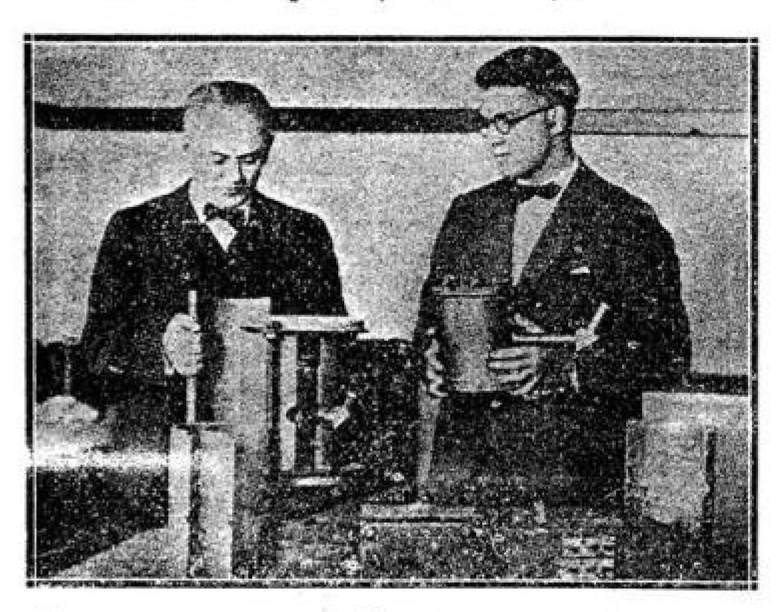


ما زال يجمع نفسهُ في زورهِ . . .
النسر يتحفز للانقضاض

انظر صفحة ٦

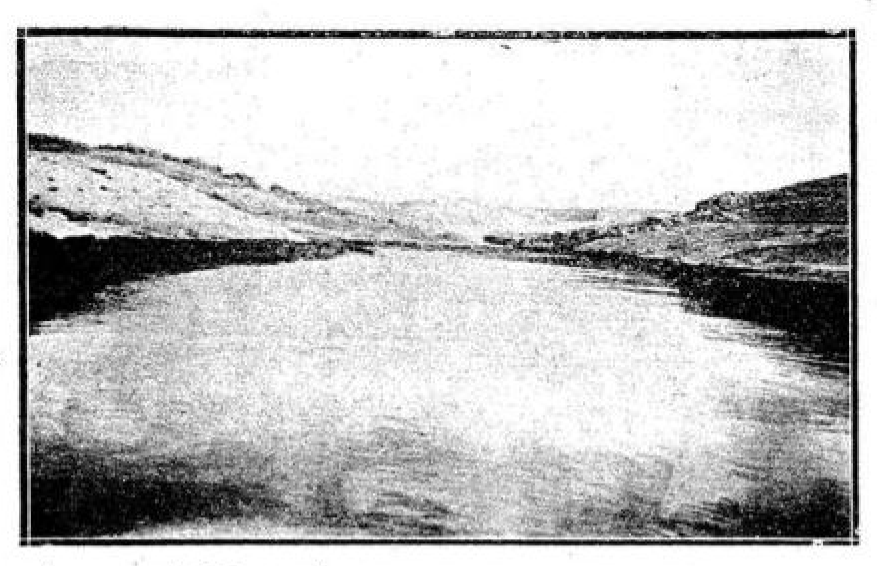


الاستاذ روبرت ملكن العالم الطبيعي الاميركي المشهور

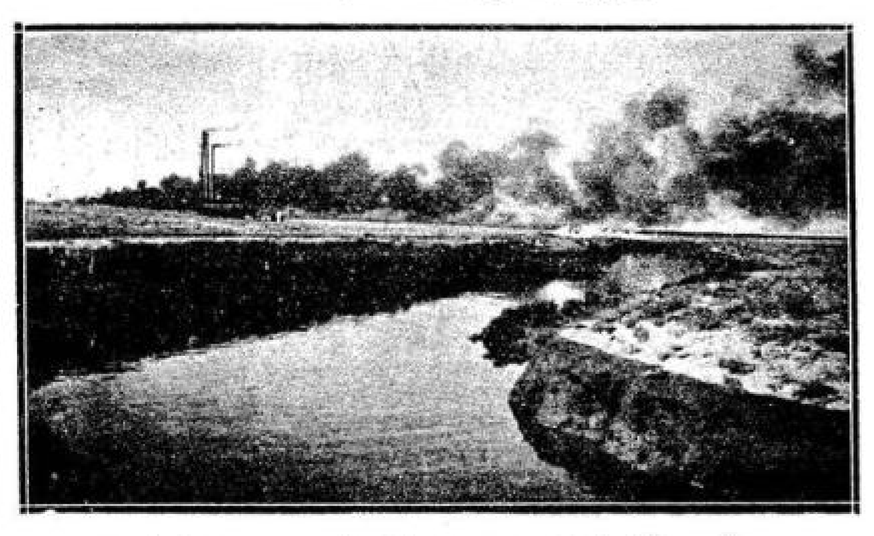


الاستاذ ملكن ومساعده الدكتور كمرون بجهزان الكترسكوباً مغلفاً بألواح الرصاص السميكة لقياس الاشعة الكونية

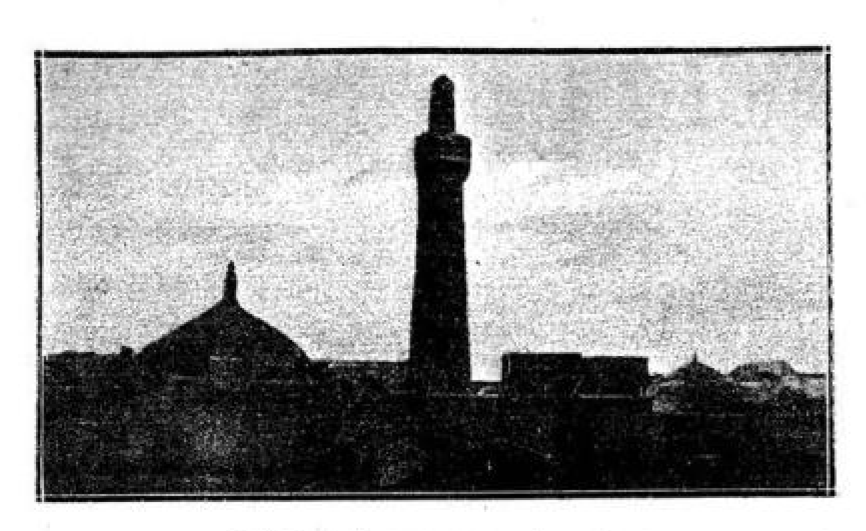
مقتطف يوليو ١٩٢٨
أمام الصفحة ٣



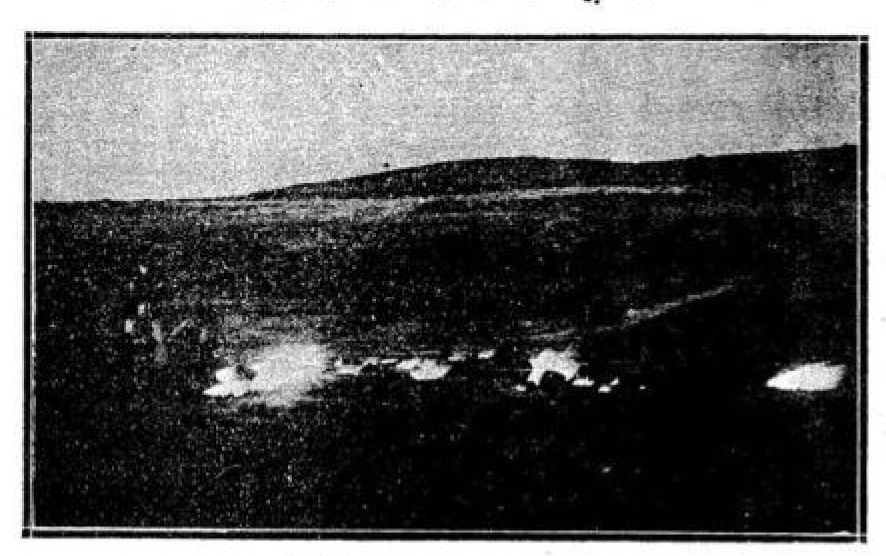
بحيرة من النفط حيث تفجرت البئر قرب بابا قرقر في كركوك
ولعل البحيرة التي رآها الاسكندر كانت هناك



صور أخرى لآبار النفط على مقربة من كركوك حيث تفجرت بئر واندفقت
فجرى النفط نهراً واشتعل بعضه كما نرى ولا يزال مشتعلا



قبر النبي دانيال والفتية الثلاثة في كركوك



اطمة في كركوك وهي عين من النار يقال لها بابا قُرقر ويظن أنها اتون النار المتقدة التي فيها الفتية الثلاثة على ما جاء في سفر دانيال

مقتطف يوليو ١٩٢٨

أمام الصفحة ٣٠

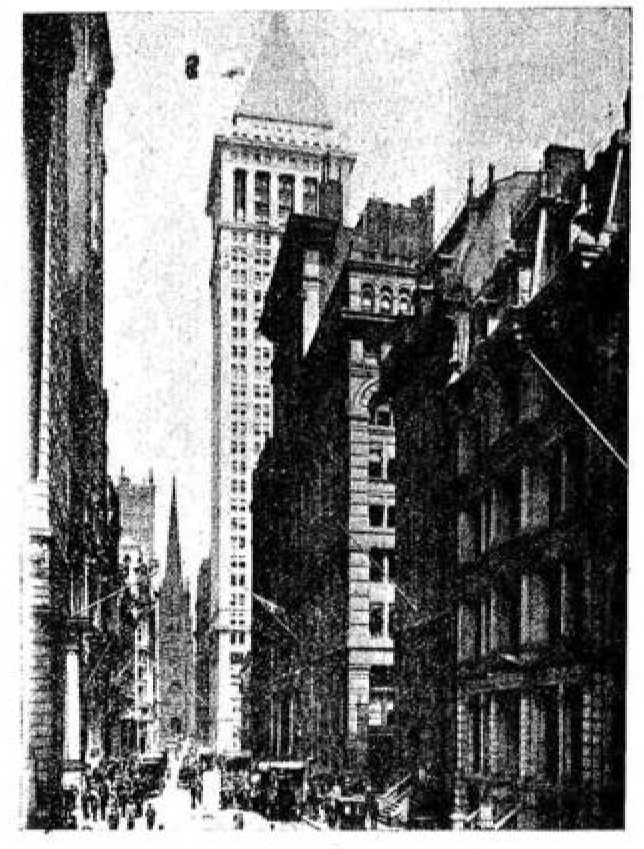
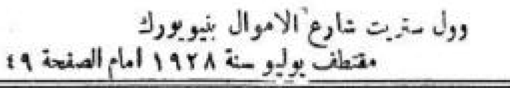


قهر الاوقيانوس الباسيفيكي بالطيارة

اربعة شجعان الاول والرابع اميركيان والثاني والثالث اوستراليان قاموا بطيارتهم « الصليب الجنوبي » من اوكلاند في كاليفورنيا الى برزبان في اوستراليا فبلغوها في ثلاث مراحل انتهت الاولى في جزائر هواي والثانية في جزائر فيجي وكانت المسافة التي اجتازوها ٧٣٤٠ ميل



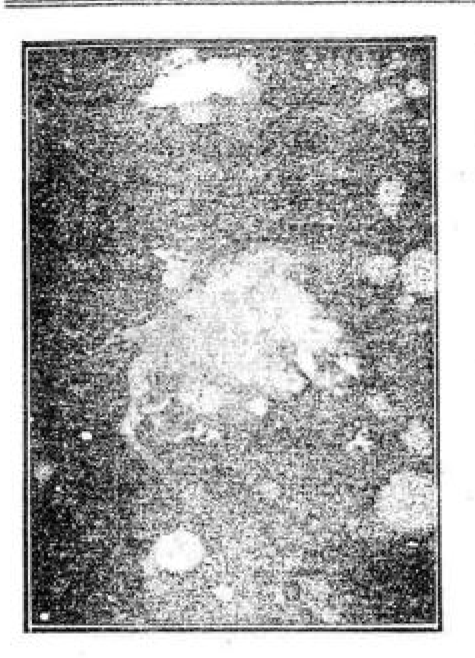
مباني نيويورك الشاهقة على مقربة من مدخل وول ستريت



وول ستريت شارع الاموال بنيويورك

مقتطف يوليو سنة ١٩٢٨ امام الصفحة ٤٩



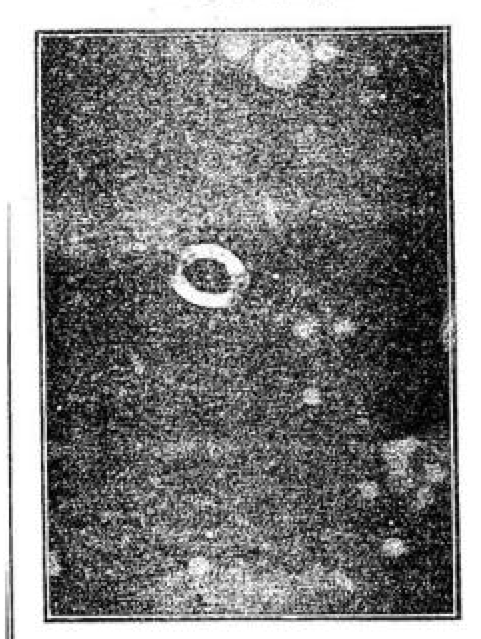
سديم السلاق اللولبي



سديم الجبار غير المنتظم

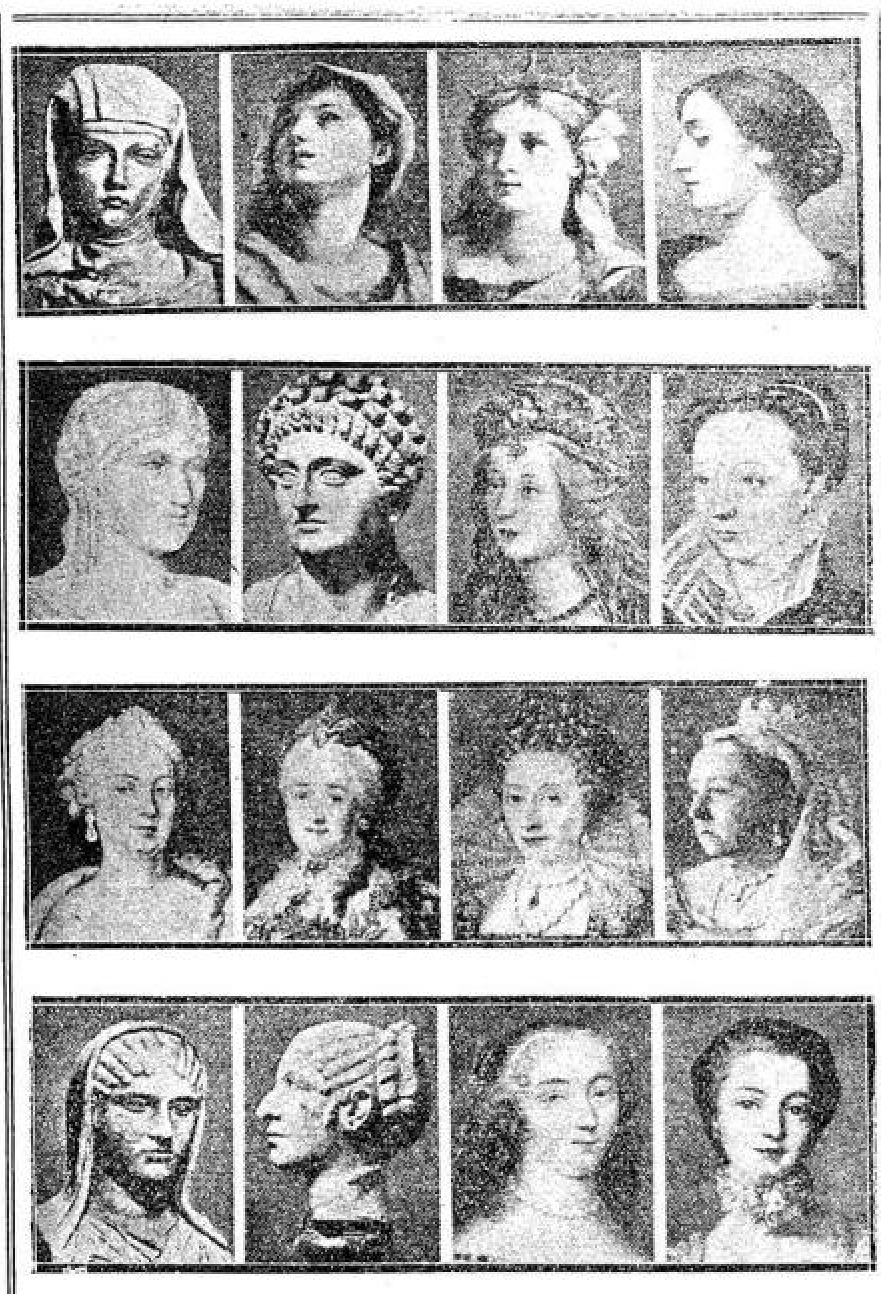


سديم المرأة المسلسلة اللولبي



سدم الشلياق الحلقي

أمام الصفحة ٧٣



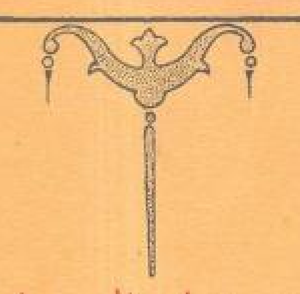
طائفة من شهيرات النساء في التاريخ . ترى اسماؤهن في باب الاخبار العلمية

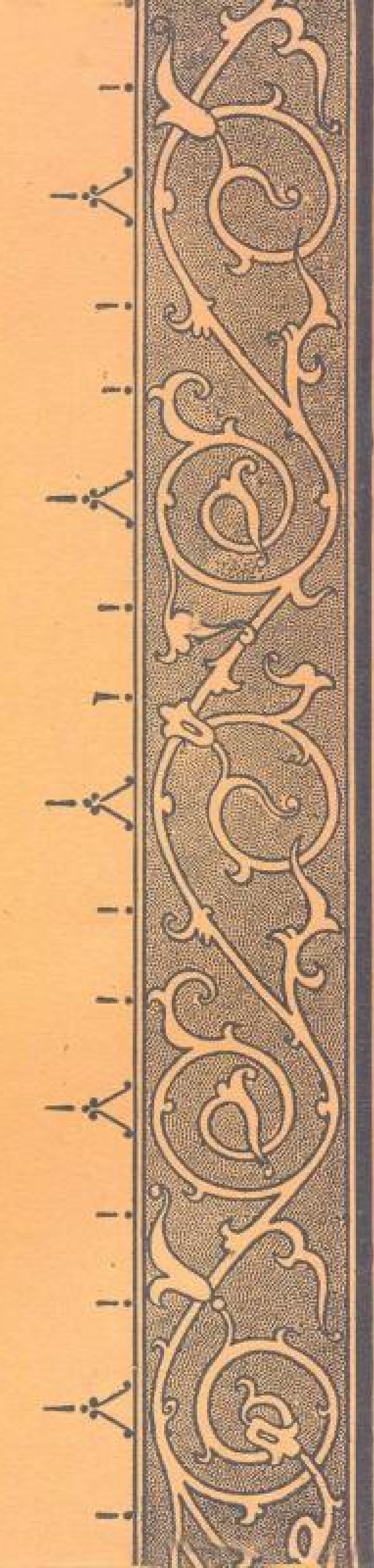


الجنرال نوبلي — الطيار ده بنيدو — السنيور موسوليني

الجزء الاول من المجلد الثالث والسبعين







مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازوورذي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثالث والسبعين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٤٧

كلمات للدكتور صروف

الجهاد سر الارتقاء

يغالب الانسان الطبيعة فيغلبها تارة وتغلبهُ اخرى . وهذا شأنهُ منذ انتصبت قامتهُ بل شأن كل الاحياء من حيوان ونبات فانها كلها في جهاد دائم مع نواميس الكون وقوى الطبيعة وفي حرب عوان بين اجناسها وانواعها . وكم من جنس تلاشى ونوع انقرض في ثنايا ازمان الدهر . اسأل طبقات الارض واحافير المتحجرات تنبئك آثارها كما تنبئك رفات المعارك وساحات القتال . ولكن كانت نتيجة هذا الجهاد التدرُّج من البسيط الى المركَّب ومن الساذج الى المتقن وبما يكثر فيهِ التبذير الى ما يقلّ . والانسان سيّد المخلوقات لم يبلغ ما بلغ من الارتقاء الاَّ بعد ان توالت عليهِ قرون طوال وهو يقاوم الجذب والدفع والحر والبرد والمطر والقيظ والرياح والانواء وعوادي الامراض واسباب الادواء وكل عوامل الضعف والفناء . واذا تغاضى عن مقاومتها قضي عليهِ . ولم يكن النجاح حليفهُ دائماً بل كثيراً ما آب بالفشل لكنهُ استفاد منهُ كما استفاد من النجاح ولولاهُ ما اتقن وسائل الدفاع ولا احسن الاساليب التي بلغ بها ما بلغ من الراحة والرفاهة

ما هو الجوهر الفرد

حديث بين عالم وعاميّ

في المعمل العلمي التابع لمصلحة المقاييس بالحكومة الاميركية

تصور نيوتن الجوهر الفرد ذرة دقيقة صلبة قاسية. وتصوره كلفن حلقة زوبعية في الاثير. وحسب الاستاذ رولند بناءه معقداً كالبيانو وصوره بوهر كالنظام الشمسي. واخيراً قال شرويدنغر انه كرة من القوة الكهربائية فما هي الحقيقة؟

الزائر: اريد ان ارى جوهراً فرداً

العالم: وهذا ما اتوق اليهِ انا كذلك

الزائر: أليس في استطاعتك ان تريني جوهراً فرداً. لقد كنت احسب ان لدى علماء مصلحة المقاييس اكثر الآلات العلمية اتقاناً واحكاماً—من مكرسكوبات وغيرها فهزّ العالم رأسهُ وقال. ومع ذلك ليس في امكان هذه الآلات ان ترينا الجوهر الفرد. فما من عالمٍ تمكن بعدُ من مشاهدتهِ. وما من عالم لهُ بارقة املٍ في رؤيتهِ يوماً ما

فقال الزائر وفي كلامهِ شيء من مرارة الفشل: احقيقة ما تقول؟

العالم—نعم. انِ حجم الجواهر الفردة من العوامل التي تمنع رؤيتها. فالمكرسكوب القوي يريك جسماً لا يزيد قطرهُ على جزء من مائة الف جزء من البوصة. ومع ذلك تستطيع ان تحشد في جسم هذا حجمهُ مائة مليون جوهر فرد. اضف الى ذلك ان الجواهر متحركة حركة دائمة فاذا استطعنا مشاهدتها بالمكرسكوب لم نستطع تبيّنها ومعرفة بنائها لاهتزازها الدائم

الزائر: ولكن كيف عرفتم كلّ ما عرفتموهُ من الحقائق المرتبطة بها؟

العالم: ان ما نعرفهُ نزر اذا قيس بما يقال اننا نعرفهُ. فقد قسنا احجامها قياساً غير مدقق ونعرف معرفة تكاد تكون تامة كيف تفعل في احوال مختلفة. والتجارب الطبيعية والكيماوية لا تثبت لنا الاَّ افعال هذه الجواهر في احوال مختلفة من تأثير الحرارة والرطوبة والبرد والمغناطيسية والكهربائية فيها وهلمَّ جرًّا. اما شكل الجوهر الفرد فلا نعلم شيئاً عنهُ

الزائر: ولكن اسمح لي بان اوجّه اليك سؤالاً. الا يقال ان الجوهر الفرد يشبهُ

نظاماً شمسيًّا نواتهُ بمثابة الشمس فيهِ وكهاربهُ بمثابة السيارات ؟

العالِم : لقد كان هذا رأي بوهر العالِم الدنماركي وكان رأيهُ مفيداً جدًّا .

الزائر : اذن جوهر بوهر صار في خبر كان ؟

العالم مبتسماً . لم يكن جوهر بوهر في وقت ما جوهراً يفي بكل مطالب العلم الحديث والاستاذ بوهر مستنبطهُ كان يعرف ذلك حق المعرفة ففي كثير من الاحوال كان يلزم ان نضرب ببعض النواميس الكهربائية عرض الحائط لنتمكن من تعليل بعض الظواهر الطبيعية بهِ . ومع ذلك قبله العلماء قبولاً وقتيًّا وهم يعلمون نقائصهُ لانهم لم يجدوا حينئذٍ ما يفي بمطالب العلم مثلهُ

الزائر : هذا غريب . لم اكن اعلم ان في جوهر بوهر نقائص فقد كنت احسب مما اقرأهُ عنهُ في الصحف والمجلات انهُ يفي بكل مطالب العلم وانهُ اكتشاف عظيم

العالِم : كان لجوهر بوهر حسنات عديدة وبها فاق كل ما سبقهُ من الآراء التي من شأنها تصوير الجوهر الفرد . وكانت هذه الحسنات مما يسهل بسطهُ في الصحف السيارة كمشابهتهِ للنظام الشمسي . ففعل الكتّاب ذلك . ولكن نقائصهُ مرتبطة بادق مسائل العلم يصعب بسطها ان لم يكن متعذراً

الزائر : ولكن بناء جوهر بوهر على ما اعلم يشبه نظامنا الشمسي . وكأنَّ بناء الطبيعة كلها قائم على هذا النمط حتى يتعذر عليَّ ان اصدق انهُ ليس كذلك. ان الصورة جميلة تستهوي العقول واكاد اجزم بصحتها

العالِم : باسماً بسمة يمازجها شيء من الحزن . لو كان في امكاننا ان نرى حقيقة بناء الجوهر الفرد لما كنا نجد بناء آخر في الطبيعية يفوقهُ جمالاً لانهُ يكون حينئذٍ الحقيقة مجردة

الزائر : بعد صمت قصير . لقد قلتَ شيئاً لم افهمهُ حين الكلام على بوهر وجوهره . قلت ان بوهر « مستنبط » هذا الجوهر ألم يكون جوهر بوهر اكتشافاً ؟

العالم : كلاَّ . ان حديث جوهر بوهر لا يختلف عن حديث الآراء المختلفة التي ابتدعها العلماء لتصوّر الجوهر الفرد . فالتجارب العلمية تدلنا على ما يجب ان يفعلهُ الجوهر في احوال معينة . عندئذٍ يعمد العلماء الى خيالهم وتصوّرهم فيستنبطون شكلاً ماديًّا يستطيع ان يفعل ما يجب ان يفعلهُ الجوهر الفرد على ما دلت عليهِ التجارب . وبعد استنباط هذا الشكل يستمرُّ العلماء في تجاربهم . فيكشفون حقائق جديدة عن

افعال الجواهر . ثم يقارنون هذه الافعال بما يستطيعهُ الجوهر المعروف . فاذا كان الجوهر المعروف قادراً ان يفعل هذه الافعال فيهِ والاَّ فيعمدون الى الخيال مرة اخرى يستنبطون شكلاً جديداً للجوهر يستطيع ان يقوم بكل الافعال المعروفة عن الجواهر الفردة . وهكذا ترى ان الآراء في شكل الجوهر الفرد وبنائهِ تتغير بتقدم العلم وارتقاء البحث

الزائر : من استنبط الشكل الاول للجوهر الفرد ؟

العالِم : ظن القدماء ان المادة مكونة من ذرات دقيقة ولكنهم لم يجربوا التجارب التي تمكنهم من ضبط ظنونهم فكان لخيالهم النصيب الاوفر في هذه الآراء . والرأي الاول الذي ابتُدع في العصر العلمي الحديث هو رأي نيوتن الذي وصف هذه الذرات في كتابهِ « البصريات » فقال انها متحركة صلدة قاسية لا تخترَق وانها صلدة الى درجة لا يستطاع عندها تحطيمها او تجزيئها « وان ما من قوى تستطيع ان تجزّىء الوحدات التي خلقها الله اولاً »

فيظهر من ذلك ان نيوتن تصور هذه الذرات صلدة قاسية وعلّل قساوة الاجسام وليونتها بترتيب هذه الذرات فيها وتفاعلها

وبعدما انقضى على هذا القول ثلاثمائة سنة قلبهُ لورد كلفن رأساً على عقب اذ قال ان صلابة الاجسام سببها ذرات لينة سريعة الحركة

الزائر : نعم اذكر شيئاً من ذلك لما كنت لا ازال اتلقى العلوم العالية . لقد شبَّه كلفن حينئذٍ الجوهرَ الفردَ بحلقة من دخان

العالِم : نعم . دعاهُ الجوهر الزوبعي وجاء بادلة كثيرة لتأييد قولهِ منها ان الماء المنطلق بقوة من فم انبوب دقيق يدير دولاباً لقوتهِ اي ان الماء السائل يكتسب قوة الجوامد من حركتهِ السريعة . وان دولاباً من جلدٍ اذا كان ساكناً كان ناعماً متهدلاً ولكنهُ متى ادير بسرعة صار قاسياً جدًّا. وكان رأي كلفن ان الجوهر الفرد ليس الاَّ حلقة تدور دوراناً زوبعيًّا في الاثير وتحمل معها النور

الزائر : وماذا حدث لجوهر لورد كلفن

العالِم : ما حدث لغيرهِ . فجوهر كلفن كان يملأ فراغاً في علم الطبيعة منذ خمسين سنة لان العلماء تمكنوا من ان يفسروا بهِ اموراً كثيرة لم يتمكنوا من تفسيرها بسابقهِ

فقد كان الدوران الزوبعي من صفات هذا الجوهر وعن هذا الدوران تنشأ اهتزازات الاثير التي دعيت بالامواج وبها علّل تموّج النور . ولكنهُ لدورانهِ الزوبعي لم يكن في صفاتهِ جذب الجواهر الاخرى اليهِ وهذا قضى عليهِ لان المادة لا تتكون من جواهر لا تستطيع ان يجذب احدها الآخر

الزائر : وماذا حلَّ محلّهُ

العالِم : انقضت حقبة من الزمن من غير رأي خاص في ماهية الجوهر الفرد . وفي اواخر القرن الماضي قام الاستاذ رولند احد اساتذة جامعة جونز هبكنز الاميركية وقال لا ادري ماهية بناء الجوهر من جواهر الحديد ولكن يجب ان يكون بناؤهُ معقّداً كبناء البيانو

الزائر : ولكن جوهر بوهر أبسط من جوهر رولند كثيراً

العالِم : يجب ان نذكر ان رولند لم يعش حتى يطلع على ارتقاء العلوم الطبيعية الذي تلا اكتشاف اشعة اكس والعناصر المشعة . ونتائج هذا الارتقاء اثبتت لنا امراً خطيراً اساسيًّا وهو ان الجوهر الفرد يجب ان يكون كهربائيًّا في بنائهِ

الزائر : ما ابعد الشقة بين هذا الجوهر وذرات نيوتن الصوانية !

العالِم : ولكن لما كنا لا نعلم حقيقة الكهربائية فبناء الجوهر الفرد منها يكاد يكون فوق أدراكنا

الزائر : هذا بديع . وان سروري بمعرفة هذه الحقائق يضاهي سروري برؤية الجوهر الفرد نفسهِ لو كان ذلك ممكناً . والآن فقط بدأت ادرك لماذا بنى بوهر جوهرهُ من الشحنات الكهربائية — الكهارب والبروتونات . ولكن هل يستطيع جوهر بوهر ان يجذب غيرهُ اليهِ

العالِم : ليست هذه الصفة من الصفات اللازمة لهُ

الزائر : (دهشاً) ليست من صفاتهِ اللازمة ! بعد ما تحطم على صخرتها جوهر لورد كلفن . ماذا حدث في تلك الاثناء مما جعل هذه الصفة التي كانت لازمة لجوهر كلفن غير لازمة لجوهر بوهر

العالِم : اينشطين !

الزائر : وماذا قال اينشطين

العالِم : قبل اينشطين كانت الجاذبية صفة من صفات المادة . فابان اينشطين انها قد تكون من صفات المكان (الفضاء) اي ان جسماً من الاجسام ينجذب الى غيرهِ لا لان هذا الغير فيهِ صفة تدعى صفة الجاذبية بل لان شكل الفضاء الذي يتحرك فيهِ الجسم المنجذب يحتم عليهِ الاقتراب من الجسم الثاني . ومن هذا القبيل ترى كل اشكال الجواهر التي استنبطت سواء

الزائر : فلماذا لا نعود الى بعض الاشكال الماضية ونحاول تطبيقها على مقتضيات العلم

العالِم : لان العلماء كشفوا حقائق كثيرة عن فعل الجواهر لا يسع الجواهر القديمة ان تفي بتعليلها

الزائر : وجوهر بوهر ايضاً لا يفي بذلك على ما قلت لي . فماذا حلَّ محلهُ ؟

العالِم : جوهر شرويدنغر الموجي

الزائر : لم إسمع بهذا الجوهر الجديد بعد

العالِم : كلاً لانهُ استنبط منذ ثلاث سنوات فقط . وكثيرون من المشتغلين بهذه المباحث المنقطعين لها لا يزال تصوُّرهم لحقيقتهِ مبهماً غاية الابهام

الزائر : وهل هو كهربائي في بنائهِ ؟

العالِم : نعم لا ريب في ذلك اذ يظهر ان هذه الصفة اساسية في بناء كل جوهر على ما يظهر لنا من اتجاهِ البحث العلمي . والفرق بين جوهر بوهر وجوهر شرويدنغر هو فرق في توزيع القوة الكهربائية في داخل الجوهر نفسهِ . ذلك ان جوهر بوهر كما تعلم مبني من نواة مركزية كهربائيتها ايجابية تدعى البروتون ومن كهارب تدور حولها كهربائيتها سلبية . فالقوة الكهربائية في جوهر بوهر مركَّزة في نقط معينة هي البروتون والكهارب . اما جوهر شرويدنغر فالقوة الكهربائية فيهِ موزعة على السواء داخل كرة من الفضاء حجمها حجم الجوهر الفرد . كذلك ترى ان الكهارب في جوهر بوهر دائمة الحركة سريعتها واما الشحنات الكهربائية في جوهر شرويدنغر فساكنة لا تتحرك ولكنها قادرة ان تغير مقدار كهربائيتها في نقط معينة واوقات معينة . وهذا التغير في قوتها يحدث امواج النور في الفضاء المجاور للجوهر الفرد

الزائر : من الصفات التي اتصف بها جوهر بوهر مقدرتهُ على اطلاق احد كهاربهِ من حين الى آخر فكأنهُ حجر رحى يدور وينطلق منهُ في اثناء دورانهِ ذرات دقيقة في الفضاء

العالِم : وكل جوهر يجب ان يكون حائزاً لهذه الصفة. لان التجارب العلمية تستلزمها وشرويدنغر يتصوّر جوهره كرة دقيقة نابضة بالقوة الكهربائية تنطلق منها مقادير دقيقة من الكهربائية كل مقدار منها بمثابة الكهرب . وقد يصطدم هذا المقدار من القوة الكهربائيـة بجوهر آخر فتتحد بهِ وتصير جزءا منهُ فيكبر بها الجوهر او تكثر قوتهُ

الزائر : يظهر ان تركيب هذا الجوهر بسيط للغاية . ترى ماذا يقول رولند لو عرف بهِ

العالِم : نعم ان تصوّرنا لبناء الجوهر الفرد اخذ يزداد بساطة ولكن القواعد الرياضية التي نبني عليها هذا التصوُّر وهذه الحقائق البسيطة صعبة ومعقدة جداً . ولمعرفة تصرُّف جوهر من جواهر شرويدنغر في احوال معينة يلزم للباحث ان يكون متفوقاً في معرفة الرياضيات العالية

الزائر : وهل يفي جوهر شرويدنغر بكل مطالب العلم الحديث

العالِم : انهُ كافٍ لتعليل كل الظواهر التي كان جوهر بوهر كافياً لتعليلها وفوق ذلك يعلل ظواهر اخرى لم يكن تعليلها قبلاً في حيّز المستطاع . ويمتاز على جوهر بوهر في انهُ لا يقتضي الاغضاء عن بعض النواميس الكهربائية المعروفة

الزائر : (في شيء من التهكم) .على اني اظن انكم لا بد ان تجدوا فيها نقصاً يوماً ما فتطرحوهُ خارجاً

العالِم : لا شك في ذلك . فاننا لا نزال بعيدين عن مرتبة الكمال . وهذا الجوهر ليس الا طفلاً علميًّا . ومن يستطيع ان يتكهن بالنقائص التي تبدو فيهِ متى شبَّ. ومن يدري انهُ يستطيع ان يفي بتعليل كل الحقائق العلمية الجديدة . ولكن مهما يكن مصيرهُ فلا ريب في انهُ الآن خطوة الى الامام

الزائر : ياليتنا نستطيع ان نرى الجوهر الفرد رأي العين ! . . . ملخصة عن السينتفك اميركان

العلم والاخلاق

الاستاذ هولدين الذي نلخص عنه هذا المقال من اشهر كتاب الانجليز وكبار مفكريهم ، كما انه من اشهر علماء البيولوجيا في العصر الحاضر . والمقال الذي نلخص عنه هذه الآراء قد سيق في قالب الرد على الاسقف انج الحكيم المعروف . فتركنا من المتن الاصلي كل ما هو خارج عن موضوع البحث حاذفين ما وجه فيه من الردود الى الاسقف مكتفين بان نعطي القراء في هذه الاسطر لب الآراء الاساسية التي تقوم في عقل الكاتب الكبير

يؤثر العلم في الاخلاق من خمس طرق مختلفة على الاقل . ولا ريب في انَّ حصرنا لهذه الطرق التي يؤثر من طريقها العلم في الاخلاق ، يساعدنا بدياً على تحديد هذا الموضوع الهام تحديداً نتوخى من طريقه ان نفصله تفصيلاً تامًّا على قدر الامكان واليك بيان هذه الطرق الخمسة

١ — ان تطبيق العلم بصورة عملية يخلق واجبات جديدة ويوقفنا امام مسؤوليات لم نكن لنفكر فيها من قبل . فان قحطاً اذا كان قد وقع في بلاد الصين منذ قرنين فرطا من الزمان ، لم يكن ليضع الرجل الانجليزي او الامريكي ازاء اية مسؤولية مهما كان نوعها ، لانهُ لم يكن في استطاعة احد ان يمدّ يدهُ الى مساعدة المنكوبين بأية وسيلة . أما اليوم فان استخدام البخار في السفر والكهربائية في نقل الاخبار ، كلاهما جعل القيام بمثل هذا الواجب مستطاعاً

٢ — قد يقيدنا العلم بواجبات ويضعنا امام مسؤوليات محدودة بما يظهر لنا من نتائج ينتظر وقوعها تبعاً لاعمال نقوم بها . فاننا جميعاً متفقون على انهُ لا ينبغي لاحد أن يلوث مياه الشرب بميكروب التيفوئيد مثلاً . وفي الجائز ان نكون منقسمين في الرأي تلقاء تطعيم اولادنا بمصل الجدري ، ونحن اشد انقساماً في الرأي لدى البحث في هل يجوز ان نمنع رجالاً ونساء من التمتع بحقوق الابوة والامومة اذا دلنا العلم على ان تزاوجهم قد ينتج اولاداً مصابين بنقص في التكوين الطبيعي او بامراض تنتقل بالوراثة

٣ — يؤثر العلم فيما نرى من قواعد الاخلاق بأن يغير من وجهة نظرنا في طبيعة الدنيا التي نعيش فيها ، كاخضاع الميثولوجيا لسلطانهِ . فان شخصاً ما قد ينظر في الحيوانات والانسان نظر القانع بان الجميع من « اخوة » واحدة او « اولاد عمومة » اذ يرجع الجميع الى اصل واحد منهُ اشتقوا ، وبذلك يزيد مقدار ما يخضع لهُ من الواجبات

والالتزامات الادبية . في حين ان آخر يرى أن أنبل ما تنمُّ عليهِ الطبيعة البشرية من الاعمال ليس الاَّ تاجاً لقانون التناحر على البقاء الذي لا يعرف اخلاقاً ولا يقبل في الوصول الى نتائجهِ المحتومة من هوادة ، وبذلك يرفض عن اعتقاد واقتناع ان يساعد الضعفاء والمرضى الذين يقاسون الآلام . وهنالك ثالث يتأثر بما يرى في الانسانية من تكالب على الحطام والمتاع ، فيلجأ الى صورة من صور الابيقورية المهذبة ويقبع في عقر دارهِ غير حافل بما يقوم حوله من جلبة الاجتماع . على انك في كل مظهر من هذه المظاهر تقع على عنصر بعينهِ من عناصر الحق الثابت

٤ — كلما تقدم علم الانسان — الانثروبولوجيا — خطوة نحو التحديد الذي يدخلهُ في منطقة العلم الصحيح ، فانهُ في كل خطوة يخطوها في هذه السبيل يؤثر تأثيراً عميقاً فيما ندرك من معنى الاخلاق وما نتصور من اصطلاح الآداب ، اذ يظهرنا كل يوم على « قانون » جديد من قوانين الاخلاق هو بذاته واحد من مجموع القوانين التي يعكف عليها ويعتقد بصحتها ويطبقها بغير تلكؤٍ اقوام تختلف نزعاتهم وطبائعهم وعناصرهم وبذلك يضع امامنا علماً جديداً يتفرع منهُ هو علم الاخلاق المقارن

٥ — واخيراً قد يؤثر العلم في الاخلاق من طريق ذلك الاسلوب الذي يعكف عليهِ رجال العلم، لدى النظر في حقيقة العالم . لان هذا الاسلوب يقوم لدى الواقع على احترام الحق ، ورفض كل النتائج التي لا تبررها البراهين والمشاهدات، تلك النتائج التي تختص بها صور الدين ومذاهب اللاأدرية . ناهيك بما يستتبع هذا الاسلوب من كبت العواطف والانفعالات على قدر المستطاع ، لان اطلاق العواطف من عقال العقل اكبر عقبة تقوم في سبيل الوصول الى الحق . فرجل العلم يستوى عندهُ الاهتمام باجل زهرة واخبث حشرة ، وان كان عملهُ النهائي يرمي الى ابقاء النوع الذي ينتج الازهار الجميلة، وافناء النوع الذي ينتج اخبث الحشرات

***

على اني اعتقد ان الوجه الثاني من اوجه هذه العلاقة التي تربط بين العلم والاخلاق هو اكثر وجوه هذه العلاقة نفعاً من طريق العلم . فان العلم بما يخلق لنا من مضاعفات شديدة في الحياة يزودنا بفرص تمهد لنا سبيل الخطيئة ، ربما يؤدي اليه تغيير في وجهة نظرنا الى العالم ، قد يحملنا على ان نلجأ الى صورة من صور الفوضى الاخلاقية. غير ان العلم على الرغم من كل هذا لا يضرُّ بنا اذ يظهرنا جليًّا على نتائج افعالنا وان

اعداء العلم يزعمون ، وذلك في الوقت الحاضر على الاقل، بان علاقته العملية بالذوات البشرية ، ما دامت قاصرة على الابدان دون الارواح، فانهُ يحملنا على ان نعنى بما هو اسفل وان نهمل ما هو اعلى ، وانهُ يصرفنا بذلك عن العناية بأمر اخواننا في الانسانية. على اني بوجه عام ارحب بهذه الاقوال ولا آنف من ان افتخر بها ، لاني على الرغم من اني لا اعتقد بوجود روح مفارقة للبدن ، اعتبر ان خير البدن مساوٍ لخير الروح ، اذ في كليهما ينحصر معنى الانسان منظوراً اليهِ من وجهة خاصة

اعتقد اني اتبع « قاعدة الاخلاق الذهبية » ما دامت واجباتي نحو اخي في الانسانية قاصرة على ان اطعمه اذا جاع واكسوه اذا عري واعتني بهِ اذا مرض . ذلك لاني اريد ان يفعل بي اذا ما اصبت بشيء من الجوع او العري او المرض مثل ما افعل بغيري . ولكني اذا اردت ان اتخطى حاجات البدن من امر العناية بأخي الانسان ، فأني اجتهد في ان اعلمهُ رغم انفه وعلى الضد من ارادتهِ ، وان اقنعهُ بما اعتقد وان اطبعه بطابعي سواء أكنت متديّناً او لا ادريًّا او ملحداً . فاذا امعنت في عملي هذا انتهيت اما بان ارسل جماعة للتبشير بين اهل الوثنية ، او اجهز جيشاً يقوم بحرب صليبية ليفني الكفار من وجه البسيطة . واني لاعترف باني لن افزع من فكرة وضع نظام اخلاقي تكون وجوه الخير التي نحاول ان نفرضها على اخواننا في الانسانية ذات صبغة مادية ، وان يحل فيهِ قانون الصحة محل فكرة الخلاص الاخروي

اذا اعتبرنا هذه الحقائق في مجموعها استبان لنا أن حفظ الصحة يحتاج الى درجة خاصة من التعليم ، ولما كان نوع التربية او التعليم الذي يحتاج اليهِ كي نصل الى هذه النتيجة تابعاً لعلم البيولوجيا بالذات ، ولما كنت معدوداً من البيولوجيين ، اصبح من الطبيعي أن اجذل اذا ما رأيت المعلومات البيولوجية تنتشر بين الناس . واذا صح أن الغاية من التعليم تنحصر في ان يعرف الانسان نفسهُ ، كان من الضروري ان يبدأ الانسان بمعرفة ما يؤدي الى هذه النتيجة ، فيعمد الى درس التشريح والفسيولوجيا . فاذا رمينا في امر اصلاح الانسانية الى غرض لا يقلُّ عن هذا شأناً بان فكرنا في جعل الناس اكثر احتمالاً للشدائد واقوى مراساً في العمل ، كان لا مندوحة لنا عن أن نلجأ الى علم الصحة نذيع قواعده ونبثها في صدور الناس. فاذا نظرت بجانب هذا الى عالم السياسة والاقتصاد الفيت ان الضرر أو سوء الطالع الذي يصيب رفيقي قد يكون فيهِ فائدتي . اما في علم الصحة فالواقع على الضد من ذلك . فما دام لدينا دساكر

في وسط المدن ومحافر تنشر الغبار في الجو ، فلدينا اوساط حسنة يربى فيها ميكروب السل ، الذي يصيب الفقير والغني على السواء . وما دام لدينـا اسر يعيش ستة افراد منها في حجرة واحدة ،فاننا عاجزون عن ان نمنع انتشار مرض الدفتيريا او الحصبة

ولا شبهة مطلقاً في اننا اذا اعتبرنا هذه النتائج في مجموعها بان لنا ان زيادة قوة الاحتمال في الناس والعمل لها ، مسألة تتعدى حدود الشعبية والسلالة والنوع . اي انها مسألة لا يجب ان يعنى بها شعب دون شعب ولا سلالة دون سلالة ولا نوع دون نوع. فكل طفل روماني يصاب بالفالج ، وكل هندي يصاب بالجدري ،وكل جرذ يحمل ميكروب الطاعون ، كل هؤلاء انما يظهرون في محنهم بمظهر يؤثر من ناحية ما في الاعمار بما ينقصها

يقول لنا بعض علماء ممن درسوا علم النفس وهم فوق ذلك متشائمون من الحياة متبرمون بها ، ان الناس لا يمكن ان يكونوا مجاميع كبيرة الا اذا غزا نفوسهم الخوف واكل صدورهم الحقد والكراهية. على اني اعتقد ما دام في جو الكرة الارضية ميكروب يسبب مرضاً وبائيـًا ،فان الناس سوف يقعون دائماً على اسباب للكراهية واخرى للخوف تفت دائماً في عضد الانسانية

لست من الماديين ، ولكن لا اعتقد ان تأثير العلم ماديـًا في قانون الاخلاق قد كان ذا اثر سلبي . فان علاقة العلم بالاخلاق لم تؤثر في نفي كثير من صور الخير والشر التي قامت في عقول الناس لا غير ، بل انها خلقت حالة ما تساوت فيهـا فكرتا الانانية والغيرية . وان دستوراً ماديـًا ، كالصحة العامة مثلاً ، له من الفوائد ما لا نستجليه في غيره من المبادىء الهيدينية — التي تقول بان اللذة غاية الحياة — كالسعادة مثلاً ، لان في استطاعتنا ان نقارن بين صحة اثنين ، في حين ان المقارنة بين مقدار سعادتهما مما يخرج عن طوق استطاعتنا

***

وهنالك وجوه أخرى من العلاقات التي ابرزها العلم بين حاجات الحياة والاخلاق . على اننا اذا نظرنا بتأمل وجدنا ان اخص هذه الاوجه انما نجتليها اذا اكببنا قليلا على التأمل في حالات اوجدها علم البيولوجيا في الحياة . على اننا نريد ان نخلص من هذا التمهيد بفكرة فلسفية لا نريد ان نفوتها على القارىء .فان هذه العلاقات الجديدة التي جدت بتجدد المعرفة بين العلم والاخلاق ، قد قلبت الفكرة في «الحقيقة». فقد تبدل الناس في الاعتقاد بان « الحقيقة » انما ترجع الى « الغيب » اعتقاداً آخر

اثبت في روعهم ان « الحقيقة » انما ترجع الى الشهادة — الى عالم الكون والفساد ، الى المادة والعلاقات المادية. ومهما اختلف الناس في تقدير فكرة الحقيقة ،فان العلم يقول بانها نسبية وهذا حد الامكان الذي يفتح فيه امام العقل البشري باب الانتاج الصحيح

نرجع لدى الكلام في علاقة البيولوجيا بالاخلاق الى الحقائق التي هي اثبت من غيرها عند العلماء . اننا نعرف النواميس التي تحكم في توريث عدد من النقائص الخلقية وبعض هذه النقائص ،كالعمى اللوني مثلاً ، غير ذات شأن كبير ، ما دمنا نستطيع ان نجعل سائقي السيارات والملاحين من غير هؤلاء . اما غير هؤلاء ، كالذين يكونون قصيري الاصابع مثلاً ، فقد نعتبرهم ضرراً ينزل بالانسانية . ثم هناك طبقة ثالثة ، كالمصابين بالهاموفيليا — امتناع تخثر الدم — والمصابين ببعض ضروب من الصمم ، فان هؤلاء يمتنع عليهم ان يعيشوا على صورة طبيعية ، ولا يمكن ان يفيدوا في الحياة شيئاً ، بل لا نبالغ اذا قلنا بانهم خطر على الحياة ذاتها

فاذا عرفنا ان هذه الامراض تتوارث في كثير من مختلف الصور والاحوال،وان الصورة التي تظهر فيها هذه الامراض موروثة قد تجعل تطبيق قواعد اليوجنية — تحسين النسل — مستطاعاً او غير مستطاع ، حُدّد اذ ذاك موقفنا ازاء المصابين بهذه الامراض وما ماثلها . فاذا اعدمنا مثلاً كل الذين هم ذوي اصابع قصيرة صبيحة الغد ، فاننا ولا شك نقضي على هذه الصفة من الانسان قضاء تامًّا . ولكن على الضد من ذلك يكون حالنا اذا نحن قتلنا كل المصابين بالهاموفيليا . فاننا ولا شك نحتاج بعد ذلك الى مئات من الاجيال حتى نستطيع ان نختزل عدد المصابين بهذا المرض الى نصف العدد الموجود الآن. والطريقة العملية في معتقدي هي ان المصابين بمثل هذه الامراض يجب ان يحذّروا من صفات النسل الذي ينتج عن تزاوجهم ، وان يمهد لهم كل سبيل مستطاع ليقنعوا بان يعيشوا بلا عقب . ولكني بجانب هذا لا أرى مسوغاً من حالات الاجتماع في الوقت الحاضر يحملنا على الاعتقاد بان تنفيذ هذه النظرية جبراً في حد الاستطاعة . على ان الوقت لا بد من ان يهيء الافكار لقبول مثل هذه المبادىء

تصح لدينا هذه النظرة ذاتها اذا نحن حاولنا تطبيقها على نسبة النسل . فان الاغنياء في انجلترا يتناسلون بنسبة اقلّ من تناسل الطبقات العاملة ، وان زيادة النسبة في موت الاطفال بين هذه الطبقات الدنيا ،لا يعوض عن الفرق في نسبة زيادة النسل ولم تبدأ هذه الظاهرة الاّ منذ جيلين فقط ، والغالب انها سوف تذهب آثارها مع

تقدم الحالات الاجتماعية . ذلك لاننا نجد في استكهولم ، حيث لا يعيش الفقراء في دساكر قذرة كما هي الحال في لندن ، وحيث تحفظ هنالك سجلات فنية تعرف بها نسبة النسل بين الطبقات ، أن نسبة النسل بين الاغنياء تزيد عنها بين الفقراء . وكذلك يخيل الينا ان هنالك علاقة بين الغنى وبين العوامل الوراثية التي تحدد كمية الذكاء ، ولو لم تثبت الابحاث العلمية هذا الامر اثباتاً قاطعاً . لان طبقة الاغنياء تتكون من مجموع من الاسر هم لدى الواقع من الطبقة ذوات المهن الفنية والذين يتوارثون الذكاء بلا ريب في حين ان افراد طبقة العمال هم الذين توجد بينهم الاسر التي اتصفت بالضعف الذهني

على ان معلوماتنا في توارث الكفايات العقلية غير كاملة حتى نستطيع ان نقضي بحكم في ان خضوعها عدة اجيال متعاقبة لفعل الانتخاب قد يقضي عليها الى حد ما ، ولو ان كل الظواهر تدل على ان الطبيعة متجهة في هذه السبيل . فاذا سلمنا مع هذا بوجهة نظر المتطرفين من المشتغلين بالديوجنية فماذا تكون النتيجة ؟ يقول الاسقف « انج » وغيره من الغلاة ان الحكومة يجب ان تعرض لسكان الدساكر معاشاً يخرج من خزانة الدولة كل سنة ليزدادوا عدداً ويكونوا عائلات اضخم . في حين ان غيرهم يقولون بان مساعدة هؤلاء على حساب الدولة جريمة

فاذا رجعنا الى تعاليم البيولوجيا وجدنا ان هناك خلافاً يقوم بين مدرستين . مدرسة تستوحي العلم وأخرى تستوحي المشاعر والوجدان . ولا جرم ان هذا الخلاف سبب من اكبر الاسباب التي جعلت كثيراً من الناس يشكون لاول وهلة في النتائج التي يصل اليها العلم وما هم منها في كثير ولا قليل

والمحصل أن الاخلاق اذا قامت على العلم لا على الوجدان ، وتحددت علاقاتها بمقتضى ما يقع في الحياة من ظروف ، وما يقوم فيها من حالات ، استطعنا ان نعتبر الانسانية كلاً أعظم ، على الفرد نحوه مسؤوليات وللفرد عنده واجبات . فالخلية في الجسم الحي تعاون في بناء الحياة ، ولكنها في حياتها الفردية أسعد حالاً ، اذا هي قورنت بفرد من البروتوزوى مثلاً . فاذا كان الكل الاعظم مستقلاً استقلالاً تامًّا عن افراده ، اي اجزائه المكونة له ، فلا جرم تكون سعادتهم بعيدة عن ان تؤثر في حالاته أو تكون ذات فائدة له . اما اذا اعتبرنا ان في حياتهم حياته ، وفي سعادتهم سعادته ، وانه لن يكون له من وجود الا بهم ولهم ، أصبحت حقوقهم حقوقه ، وواجباتهم واجباته ، ومسؤولياتهم مسؤولياته

اسماعيل مظهر

فعل المكان بالحيوان

او أثر البيئة في النشوء وبقاء الانسب

يرى الذين يضربون في البراري والقفار ويشاهدون ما فيها من الوحوش والطيور او يرقبون ما على الرياحين والاشجار من الهوام والحشرات ان لون جسم الحيوان يشبهُ غالباً لون المكان الذي يقيم فيهِ فالبلدان الشمالية التي تغطيها الثلوج اكثر السنة تكون حيواناتها بيضاء اللون غالباً . والصحارى والقفار الكثيرة الرمال تتغلب الصهبة على لون حيواناتها . والغياض الكثيرة الازهار تكثر فيها الطيور المبرقشة والحشرات المزخرفة . والآجام التي يقع ظل قصبها على الارض خطوطاً مستوية يستوطنها الببر المخطط . وكثيراً ما ترى الفراش شبيهاً بالزهر الذي يقع عليهِ والدود بالاغصان التي يدبُّ عليها . وكلُّ نوع من الحشرات شبيه بالمكان الذي يقيم فيهِ في لونهِ وقد يشبههُ في شكلهِ ايضاً . بل قد يتغير لون الحيوان الواحد اذا تغير لون المكان بتغير الفصول وذلك كلهُ من المشاهدات العيانية التي لا يختلف فيها اثنان

والبحث عن الاسباب من اول اعمال العقل فلا يكاد الطفل يفصح عما في ضميرهِ حتى يُقلقَ الذين حولهُ بالمسائل العديدة عن اسباب ما يراهُ. ولا بدَّ من ان يسأل كثيرون كما سألنا مراراً عن سبب تلوُّن الحيوان بلون ما يحيط بهِ من المكان . وقد اجاب العلماء قبلاً عن هذا السؤال بقولهم ان العناية الالهية لوَّنت الحيوان بهذه الالوان وقايةً لهُ اي حتى يختفي عن عين عدوهِ فلا يفتك بهِ . ويُردُّ على ذلك انهُ لو قصدت العناية وقاية الحيوان لوقتهُ على اسلوب اسهل واتم وهو ان تمنع بعضهُ من اكل البعض الآخر بجملتهِ كلهِ من آكلات النبات مثلاً وعدم خلقها فيهِ الميل الطبيعي الى الافتراس لانهُ ما الحكمة من جعل الاسد مائلاً بالطبع الى افتراس الحيوانات وجعل طعامهِ كلهِ من لحمها ثم حمايتها منهُ وتركهِ حتى يموت جوعاً ناهيك بان هذه الحماية غير وافية بالغرض لان الاسد لم يزل يفترس الحيوانات ولم يزل كل طعامهِ من لحمها

ثم نظر اصحاب مذهب النشوء في الوان الحيوانات فعللوهُ تعليلاً آخر اقرب الى العقل وهو انهُ اذا ولد لظبية خشفان لون احدهما مثل لون الارض التي هي فيها ولون الآخر مخالف للون تلك الارض ومرَّ بها اسد فالراجح انهُ يرى الخشف الذي لونهُ

مخالف للون الارض ولا يرى اخاهُ فيفترس ذاك ويترك هذا فيكون لون نسلهِ مثل لونهِ ومثل لون الارض التي هو فيها واذا ولد لهُ اجراءٌ لونها مخالف للون الارض فالراجح انها تُفترَس قبل اخواتها ومن ثم يصدق قول القائلين ان لون الحيوان المشابه للون المكان هو سلاح طبيعي لوقايتهِ . ولا نعني بذلك ان كل حيوان مشابه لمكانهِ في لونهِ هو بمأمن من الاعداء بل انهُ آمن من الذي لا يشابهُ لونهُ لون مكانهِ وذلك بنوع عام . ويعبَّر عن ذلك عندهم بالانتخاب الطبيعي . الاَّ ان هذا التعليل لا يحل المشكل كلهُ بل تبقى فيهِ الحلقة الاولى غير محلولة وهي كيف يتغير لون الحيوان اولاً حتى يصير مثل لون مكانهِ فان كان لذلك علة طبيعية فهذه العلة يجب ان تفعل في نسلهِ ايضاً . وهذا لا ينفي الانتخاب الطبيعي ولكنهُ يعلّلُ ما لا يُعَلَّل بهِ

وقد بحث العلاَّمة ولس الطبيعي في هذا الموضوع بحثاً استقرائيًّا فوجد ان الطيور التي تزيد فيها القوَّة الحيوية في اوقات معلومة هي اكثر برقشة من غيرها . وقد علم من قديم الزمان ان بعض الحيوانات يزول لونهُ في فصل الشتاء والبرد فلعلَّ سبب ذلك ضعف القوَّة الحيوية فيهِ . وصعد بعضهم بالارانب الى جبل يعلو عن البحر ٩٥٠٠ قدم وربى اجراءها هناك سبع سنوات متواليات فصغرت اجسامها قليلا وابيضَّ لونها وتغيَّر دمها تغيُّراً كيماويًّا فزاد فيهِ الحديد وزاد امتصاصهُ للاكسجين واذا بقي نسل هذه الارانب هناك سنين كثيرة ثبت هذا التغيُّر وزاد مقداراً فيصير منها صنف مخالف للاصل الذي أُخذت منهُ بفعل المكان لا غير . ومفاد ذلك ان زيادة القوة الحيوية تزيد الالوان ونقصها ينقصها ولعلَّ هذا هو سبب برقشة الديوك

وقد اثبت بعضهم ان لون الحيوان قد يتوقَّف على لون طعامهِ فان في بعض جهات البحر حشائش قرمزية اللون وهذه تأكلها الحلازين والمحار فتصبغ بلونها القرمزي ثم تأكلها الاسماك فيصير لونها قرمزيًّا مثلها . واخذ بعضهم يطعم الديدان اطعمةً ملوَّنة فكانت ابدانها تصبغ بلونها لكن يظهر ان ليس لذلك تأثير في الحيوانات الكبيرة او ان تأثيرهُ فيها مختلط بفعل مؤثرات أُخرى فلا ترى نتيجتهُ

وقد انتبه كثيرون الى ان السمك الذي يعيش مدة من حياتهِ في النهر ومدة اخرى في البحر يتغير لونهُ باختلاف النور النافذ في الماء فاذا كان الماء قليلاً صافياً ينفذهُ النور كان لون السمك ابيض ثم اذا انتقل الى الماء العميق المظلم اكدرَّ لونهُ وضرب الى

السواد فليس هنا محل للانتخاب الطبيعي لان هذا التغير يصيب السمك الواحد فلا بدَّ من علاقة للنور في تغيير لونهِ

ومعلوم ان الضفدع الصغيرة التي تقيم على اغصان النبات والاشجار تكون خضراء بين النباتات الخضراء فاذا وضعت على الارض او على اوراق سمراء صار لونها اسمر . وهذا التغير معروف ومشهور في الحرباء وفي بعض العظايات . وقد بحث احد العلماء في سبب تغيُّر لون الضفدع فوجد في جلدها ثلاث طبقات من الحويصلات في الطبقة السفلى منها صبغ اسود وفي الطبقتين اللتين فوقها صبغ اصفر وازرق وفوقها غشاء رقيق شفاف فاذا كانت على اوراق النبات الخضراء امتزج اللون الاصفر بالازرق فكان منهما لون اخضر وهذا اللون يضرب الى الصفرة او الى الزرقة حسب لون النبات ضارباً الى الصفرة في خضرتهِ او الى الزرقة . واذا وضعت على الارض او على شيء مظلم بدا لون الطبقة السفلى والصبغ الاسود الذي فيها . وهذا يشبه تلوُّن الحرباء فانها اذا كانت على اوراق النبات الخضراء ظهر لونها اخضر مثلها واذا مشت على الاغصان الحمرية اللون صار لونها خمريًّا واذا وضعتَ عليها اناء يحجب عنها النور صار لونها اسود . وهذا التغير اما ان يكون سببهُ فعل عصبي يؤثر في الحويصلات المختلفة الالوان او يكون سببهُ النور نفسهُ والثاني هو الارجح . وقد اثبت بعضهم ان السمك الذي يتغير لونهُ بتغير لون الماء لا يعود لونهُ يتغير اذا عمي ولو تغير لون الماء . وهذا يدل على ان النور يؤثر في عصب البصر فينتقل تأثيرهُ الى أعصاب أُخرى تنبسط بها الحويصلات الملونة او تنقبض . واثبت غيرهُ ان النور يؤثر ايضاً في الحويصلات الملونة مباشرة فانهُ وضع ضفدعاً في الظلام حتى اسودَّت والصق قطعاً من الورق الاسود باجزاء مختلفة من بدنها ثم عرضها للنور فاخضرَّ جلدها كلهُ الاَّ المكان المغطى بالورق فانهُ بقي اسود . وفقأ آخر عيون بعض الضفادع الخضراء ووضعها في مكان مظلم فاظلم لونها ثم وضع معها غصن نبات اخضر فعاد لونها الى خضرتهِ كان النور الاخضر المنعكس عن الاوراق الخضراء يؤثر في اعصاب الجلد تأثيراً خاصًّا رأتهُ الضفدع أو لم ترهُ .

وللعلماء مباحث كثيرة تدلُّ على ان الطعام والمكان يؤثران في الوان الحيوان وهم لا يزالون يبحثون في ذلك بحثاً دقيقاً مبنيًّا على التجربة والامتحان وسيكشفون غوامض هذه المسألة ويوضحون أساليبها كما كشفوا كثيراً من اسرار الطبيعة

آراء في الادب والعمران

للمرحوم الدكتور صرُّوف

وذكريات شخصية من قلم الامير شكيب ارسلان

٢

كان الدكتور صرُّوف للعلم خليلاً صافياً لا يرى بهِ بديلاً ولا يرضى الاَّ بمجالسة ذلك الصديق الذي صافاهُ الدنيا وما فيها

انقطع للعلم ولكل ما يخص العلم ونظر الى الامور الاخرى كلها من خلال العلم وبرغم هذا لم يكن يتعصب للعلم التعصب الذي يغلب العقل والعرف والعادة ويجهل مراعاة الزمان والمكان ولاسيما الذي يمس الاخلاق . بل كان كل ذلك عندهُ مسؤولاً عنهُ . وقد مرَّ بنا من قضية كتاب اناتول فرانس ما يعرب في هذا الباب عن مشربهِ اعراباً كافياً وبالاجمال كانت عندهُ المعارف والاخلاق توأمين متلازمين لا يرى هذه الاَّ بهذه

وكانت فيهِ سجية العلماء الحقيقيين من التواضع والوداعة والتحرج عن البتّ في الامور والجزم الذي يجزمهُ بعضهم كأن الحقيقة اصبحت في جيبهِ وكأنهُ لو ارتفع الغطاء لم يزدد يقيناً . كلاَّ . لم يكن من هذا النمط بل كان مشربهُ انهُ مهما كانت القاعدة العلمية نازلة منزلة الحقائق لا يتلقاها الانسان الاَّ مع شيء من التحفظ يبقى معهُ الباب مفتوحاً لنظريات جديدة . وكان كثير التأني والتروي قليل التسرُّع ابعد الناس عن التهور . هذا ما كنت الحظهُ من كتاباتهِ منذ عرفتهُ . ولا اقدر ان احكم كيف كان في عنفوان شبابهِ فإن المرء يطيب ويصفو من نفسهِ في الكهولة ما قد يكون عاتياً متعسفاً في ايام غلواء الشباب . الاَّ اني ارجح كون تلك الروح الطاهرة كانت من اصل فطرتها ونشأتها صافية رائقة رضية مطمئنة لا تحجب نظرها اقذاء الشهوات ولا تتحكم في احكامها سورة الاهواء ومما لا مرية فيهِ ان علو السن وازدياد الحنكة قد كسبا ذلك الصفاء الفطري لمعاناً

وكان لا يحتقر رأي احد ولا يزدري ولا يهزأ ولا يقابل الآراء الضعيفة بالاعراض التام ولا يقول : هكذا تقرر وجف القلم . وانما يعرض كل ما يأتيهِ على المحك ويقول

هذا الذي عندنا وهذا الذي قالوهُ حتى اليوم ويأتي بالشواهد على ذلك . ثم لا يأنف ان يقول بانهُ قد يكون الحق خلاف ذلك ولكنهُ لا يقدر هو ان يعطي الا ما عندهُ وكثيراً ما كان يدعو المعترضين ان يُدلوا بحججهم ويفيضوا ما عندهم ولو بما يخالف رأيهُ لانهُ لم يكن يهمهُ ان يفوز في الجدل ولا ان يقال انهُ هو صاحب الحقيقة بل كان يهمهُ ان تعرف هذه الحقيقة ايًّا كان صاحبها

***

ومرةً — وليس من عهد بعيد — ابديت واعدت معهُ بمراسلات خاصة فيما بيننا بموضوع العرب ومكانهم من العلم . فقلت لهُ ما معناهُ ان هناك نزعة جدية في التحامل على العرب وتنقص شأنهم واستصغار ما اتوا بهِ من مدنية وما اثلوهُ من عمران واكثر ما يستدلون على ذلك بالآراء العصرية واكثر ما يعتنون باظهار ضؤولة المدنية العربية بجانب المدنية الاوربية . وهي محاكمة غريبة جدًّا لان العرب المتمدنين والاوربيين المتمدنين لم يعيشوا في عصر واحد بل حضارة العرب ازدهرت قبل اليوم بنحو الف سنة والمعارف والاختراعات التي فاتتهم قد فاتت امماً مثلهم واجلّ منهم كالرومان واليونان والصين فلا يعيب العرب ان يجهلوا منذ الف سنة ما عرفتهُ اوربة بعد الف سنة فالزمان كالانسان كلما مرت عليهِ الايام ازداد خبرة ولا عجبٍ ان يكون الزمان الشيخ اعلم من الزمان الشاب . ولعلهُ يأتي يومٌ بعد الف سنة مثلاً تصير فيهِ معارف العصر الحاضر في جانب معارف ذلك اليوم مسخرةً من المساخر . أفيكون ذلك سبباً لاحتقار المدنية الحاضرة واتهام الاوربيين بالقصور ؟

ان العرب كانوا في ايام دولتهم حملة العلم وناشري المدنية والمثل الاعلى في عصرهم ذاك وكانوا هم الواصلين بين الشرق والغرب ثم جاءت ادوار انحطوا فيها باسباب مختلفة كما انحطت امم غيرهم بعوامل متنوعة وكما انحطت رومة مثلاً . ونهض الغرب الاوربي من نحو ثلاثمائة او اربعمائة سنة وسبقهم وهذا لا ينكر كما ان العرب كانوا لعهدهم نهضوا وسبقوا امماً عظيمة كانت في اوج المدنية في ايامها كالرومان والفرس وهذا التقدم والتأخر مشهودان في تاريخ الامم وتلك الايام نداولها بين الناس . فلم نفهم معنى هذه الشرة في غمط فضل العرب والاحنة على مدنية العرب والاجتهاد في اثبات ان العلم الفلاني لم يضعهُ العرب وان العلم الآخر انما نقلوهُ نقلاً وما اشبه ذلك . فاية امة راقية لم تنقل عن

غيرها واية امة عاقلة أنفت من استعارة الإشياء المفيدة من سواها وكيف كان الامر فالعلماء الاوربيون اجمعوا على ان هناك مدنية عربية زاهرة مزدهرة خاصة بالعرب موسومة بطابعهم كان لها المقام الاول في حقبة من الزمن

فاجابني الدكتور صروف بما يعترضهُ بعضهم على فضل العرب وما ينسبونهُ من الاعجاب بالمدنية العربية الى غلو المستشرقين المحبين للعرب وما يقال من أن العرب دخلوا على حضارات قديمة ضخمة فدمروها ومآثر جليلة فنسفوها . وقال لي ما معناهُ : اننا نشرنا ما عرفناهُ من فضل العرب ولكن لم نقدر ان نخوض في الفلسفة العربية التي قيل انهم برعوا فيها لاننا لا نعرفها فمن اولى منك بان تخوض عباب هذا الموضوع وتنشر في المقتطف ما تثبت بهِ فضل امتك وامتيازها على غيرها وتنقض آراء من يحاول تنقص العرب

وهكذا اراد الفقيد المترجم ان يستوري هذا الخاطر الصلد ويستمري هذا العارض الكزّ في هذا الموضوع الجلل حبًّا بتمحيصه وتجلية الحقيقة منهُ . ولقد كان لهُ احسن الله مآبه حسن ظن في هذا العاجز او كان حسن ظنه هذا من الباب الذي تقدم عنهُ وهو انهُ لم يكن يحتقر رأي أحد

ولقد جاوبتهُ على كتابه هذا الذي لم اجدهُ حتى هذه الساعة بين اوراقي المتلاطمة الامواج ومتى وجدتهُ لا ارى بأساً من نشرهِ . ولست بمتذكر كل فحوى جوابي لهُ لان الذين يكتبون آناء الليل واطراف النهار يستحيل عليهم ان يتذكروا كل ما تجري بهِ اقلامهم . واظن اني وعدت بتوفية هذا الموضوع حقه وشرعت باعداد الوثائق اللازمة لذلك ومن اهمّ ما لفت نظري من هذا البحث مقالة للدكتور محمد شرف منشورة في « جريدة السياسة » لخّص فيها ما قام بهِ العرب من جهة العلم العملي وما وفقوا اليهِ في العلوم الرياضية والطبيعية والكيمياء والطب واثبت بها ان عمدة العرب في العلم كانت التجربة

ولكن الاشغال والاسفار البعيدة والسياسة — قاتل الله السياسة — عاقتني عن اتمام هذا العمل الذي كنت في الحقيقة لا اتوخى فيهِ الاّ اقناع الدكتور صروف نفسه بأن مقام العرب الاولين في العلم كان اجلّ مما يتوهم وان المستشرقين لم يحلوا العرب ما ليس لهم لا بل ان اكثر المستشرقين نقصوهم ولم يزيدوهم . نعم كنت حريصاً على ان

ازيد قيمة العرب في نظره وان كنت عارفاً انهُ كان ذا رأي عظيم فيهم وانهُ انما كان يريد ان يزداد قلبهُ اطمئناناً

والحقيقة ان للعرب دورين احدهما ما قبل الاسلام والثاني ما بعده

فدورهم قبل الاسلام تحدث عنهُ مآثرهم الزراعية في اليمن ومدائنهم العظيمة في جزيرة العرب والبيوت المنحوتة في الجبال والآثار الباهرة في بتراء وتدمر والسويداء وغيرها فهذه كلها مما صنعت ايدي العرب . وان قيل ان النبط هم الذين قاموا بكثير من ذلك جاوبنا : ومن هم النَبَط ؟ ومن هم العمالقة ؟ بل قلنا اكثر من ذلك : ومن هم الفينيقيون ؟ كل هذه الامم امم سامية خرجت من جزيرة العرب وكلها تركت مآثر لا يمحوها الملوان

واما دور العرب بعد الاسلام فلا الدولة الاموية في الشام ولا الدولة العباسية في بغداد ولا الدولة الفاطمية في مصر ولا الدولة الاموية الثانية في الاندلس كانت تعاب بتدمير او نسف عمران بل جميع هذه الدول كانت معمّرة مثمرة مؤسسة مؤثّلة لا يجد مؤرخ منصف فيها مجالاً لوصمةٍ من هذا القبيل . واما تحامل بعض الافرنج ممن لا تزال في قلوبهم نزعة صليبية او ممن يقصدون بذلك اغراضاً استعمارية سياسية في انكار اهمية مآثر هذه الدول في العمران والمدنية فلن يسطو على الحقيقة ولن يطمس الواقع الراهن وهو ان هذه الدول بلغت المكان المدني الاعلى في وقتها وكانت دول الافرنجة يومئذٍ بجانبها همجاً

نعم عدت على الامة العربية عوادٍ اخذت بها الى هاوية الانحطاط اهمها اثنتان : الاولى كائنة المغول الذين نسفوا عمران المشرق كلهِ واستأصلوا ملايين النسَم وازلوا حضارة بلاد الاسلام عن درجتها العالية فلم تقم لها قائمة محمَدُ منذ عصفت تلك الريح الناسفة العاتية . والثانية حروب الافرنج الصليبية في الشام ومصر والمغرب والاندلس مما استمر مئين من السنين ونزف دماء الدول العربية التي لم يبق لها وقت ولا مال ولا رجال الا للدفاع عن نفسها

واظن اني ذكرت في جوابي للمرحوم هذين السببين وان كنت لا اقتصر عليهما بل اجد من فتور همم العرب وفشو الظلم وخلل الادارة في حكوماتهم وفساد اخلاق علمائهم الذين صاروا يفتون للامراء باهوائهم اسباباً اخرى

ولا انسى سبباً آخر لهُ التأثير الاكبر في انحطاط العرب وهو جمود الفقهاء ونفورهم من العلوم الطبيعية والرياضية ونظرهم في ذلك بدعاً في الدين وتمسكهم باسلوب من التعليم مخصوص لا يحيدون عنهُ

ولا اقول كما يظن بعضهم جهلاً ان العلوم الطبيعية والرياضية والطب والفلك والفلسفة كانت بالتمام مهملة في القرون الاخيرة في الازهر وجامع الزيتونة وجامع القرويين والاموي الخ لكني اقول انها كانت غير مرغوب فيها وكان عدد من يتلقاها نزراً بالقياس الى طلاب النحو والفقه وكان مقتصراً فيها على نظريات قديمة من القرون الوسطى اصبحت لا تساوق هذا العصر

ولقد كانت هذه النظريات بعينها هي مرجع الاوربيين الى ما قبل هذا العصر بثلاثمائة سنة او اكثر ولكن هؤلاء بحثوا ونقحوا وزادوا وجروا الى الامام ونحن جمدنا على ما كنا عليهِ

***

واعود الى كلامي وذكرياتي عن الدكتور صروف فاقول :

كتب إليَّ الدكتور صروف في تاريخ لا اقدر ان اعينهُ الآن ولكنني اظن انهُ منذ ثلاثين سنة يستمد رأي هذا العاجز في شيء يتعلق بالمقتطف وذلك انهُ قال لي : قد بلغ منا التعب مبلغهُ وأرى ان نفسح في المقتطف اكثر من ذي قبل للمواضيع الادبية والتاريخية والروايات . او ما هو بمعناهُ . فجاوبتهُ بأن لا يفعل . وقلت لهُ : أنت تعلم ان مزية المقتطف التي انفرد بها هو كونهُ مجلة علمية فنية لا يضاهيه في هذا الباب مجلة أخرى عربية فينبغي للمقتطف ان يحفظ هذا المركز الذي اختص بهِ وان لا يتحول مجلة ادبية روائية يضارعهُ في هذا الموضوع مجلات وجرائد كثيرة . فأما انكم تعبتم وان لا نفسكم عليكم حقاً وان الانسان اذا لم يوفر لنفسه نصيبها من الجمام لم يستطع ان يحسن الشغل كما يريد فعلاج ذلك ان تستكثروا من المساعدين والمؤازرين الذين يمكنهم ان يكتبوا تحت اشرافكم . ويظهر ان الاستاذ المرحوم راقهُ هذا الرأي وعول عليه . واذا عثرت على المراسلات التي بيني وبينهُ في ذلك التاريخ لا أتأخر عن نشر ما يناسب أخذهُ منها . ولم ازل اتذكر ايضاً انهُ كتب إليَّ مرة يسألني عن ما هية المخطوطات التي وجدت في حجرة كانت مغلقة من الجامع الاموي بدمشق لعل

فيها ما يستحق الاعتبار من الوثائق التاريخية او غيرها فكتبت يومئذ الى دمشق واتذكر ان الجواب الذي جاءني منها لا يفيد شيئاً فيه طائل من جهة تلك الاوراق المحفوظة في تلك الخزانة

***

هذا ما عنَّ لي ان اذكرهُ هذه المرة عن المرحوم الدكتور صروف . ولن يكون هذا المقال آخر كلامي عنهُ لان الذي انقطع لخدمة العلم خمسين الى ستين سنة متوالية لا ينبغي للذين شهدوا معاركه المتواصلة في ساحة العلم وللذين استفادوا من ثمرات عنائهِ واستضاءوا بمصابيح آرائهِ ان يجتزئوا من الاشادة بذكره بمجرد تأبين واحد او ترجمة حال تكون هي ختام القول عنهُ . بل الدكتور صروف ممن ينبغي ان يبقى ذكره ملهج الالسن ما دامت العربية وما عمر نادٍ للعلم في الشرق . وجدير بهِ ان تضاف الى اسمه الاندية الادبية وان تنسب اليهِ المدارس والمحافل وان يطلق اسمهُ على الشوارع في مدائن الشرق الكبرى لان اصحاب الاعمال الخالدة يجب لهم التخليد بالالسن والاقلام حتى يعلم المجتهد اذا اجتهد ان الانسان لا يذهب عملهُ سدًى وأنهُ إن عاش حياة واحدة بالجسم فهو يعيش الدهر كله بالروح والذكرى . كثير من المفكرين ومن ادباء الوقت يعرفون عن الدكتور صروف اكثر مما أعرف وربما كانت لهم خلطة بهِ لم تكن لي . لاننا كنا متباعدين في الاقطار فهؤلاء يقدرون ان يحكموا عمَّا إذا كنت في هذا التأبين زدتهُ عن حقهِ او بخستهُ حقهُ او اديتهُ اليهِ كما هو غير منقوص . وعلى كل حال كيف كانت احكامهم في المقابلة بين وصفي هذا وبين كنهه فانا على يقين بأن الدكتور الفقيد هو من الافذاذ النابغين في الدهر النادرين في الفضل واللامعين في آفاق الشرق لمعان الانجم الزُهر والذين لمثلهم يقال البيت الآتي :

هيهات أن يأتي الزمان بمثلهِ ان الزمان بمثلهِ لبخيل

جزاهُ الله افضل الجزاء على جهاده الطويل في خدمة اشرف شيء ترقَّت بهِ المدنية وهو العلم وافضل مزية تحقق بها الانسان وهي الانسانية

لوزان شكيب ارسلان

—✿—

الاميركيون يغزون انكلترا باموالهم

ليستأثروا بكنوزها الفنية

الفن والحرب — الفن والنهضة — الفن يسير غرباً

بقلم صحافي انكليزي

اما وقد عزم الاميركيون ان ينفقوا جانباً من اموالهم لابتياع آياتنا الفنية — فلست تجد قصراً انكليزياً في مأمن من هجماتهم المتوالية وقد أصبح الانكليزي الذي يملك صورة من تصوير ريبرن[1] او رُمني[2] اغنى من شريف يملك صوراً لاسلافهِ سواءٌ كانوا من آل سسل او آل كافندش[3]. فلماذا نرى الانكليز مقبلين هذا الاقبال على بيع نفائسهم الفنية للاميركيين وهم يعضون الاصابع ندماً وحنقاً لان هؤلاء يبارونهم في هذا الميدان

السبب بسيط معقول. لو كنت املك النسخة الخطية لرواية «أليس في بلاد العجائب» تأليف ددجسن وعُرض عليَّ ان ابيعها باربعة عشر الفاً وخمسمائة جنيه لما ترددت مطلقاً في بيعها. او لو كنت املك صورة من صور العذراء تصوير رفائيل وعرض عليَّ ثمناً لها ثروة ضخمة تساوي ١٧٠ الف جنيه لقبلت في الحال ولو قضي عليَّ ان اخصم من هذا المبلغ كل عمولة السمسرة. ولقد اشعر في الحالين بأسى عميق اصعّدهُ حسرة على نفائس الفن تخسرها بلادي ولكنني اتعزى بان العناية الالهية لم تتركني بعد هذه الخسارة مجرَّداً من قوة الدولار العظيم

ولا ادري السبب الذي يحمل بعض صحفنا على النيل من الاميركيين لاقدامهم على شراء هذه الكنوز باموالهم. فقد كنا في الزمن الماضي نُحسب امراء الفن لانا كنا نجول في ايطاليا نبحث في خزائنها وبيوتها عن آيات فنية تحدرت اليها مع الزمن ثم نفوز بها لقاء مبالغ لا تذكر. فلماذا نلوم غيرنا الآن حين يطلب الينا ان نباريه في شراء كنوزنا والاحتفاظ بها فنحجم حين يلزم الاقدام. ها هوذا هودن[4] يصنع لابنته تمثالاً صغيراً لا يزيد علوهُ عن ١٧ بوصة ونصف بوصة على ان نيويورك ترى ان قيمة

(١) ريبرن مصور اسكتلندي (٢) رمني مصور انكليزي (٣) آل سسل وآل كافندش من اسر الانكليز العريقة في الشرف (٤) مثال فرنسوي

هذه « السخافة » تساوي ٤٩ الف جنيه فتدفع الثمن وتفوز بالتمثال . وعندي ان كل رجل مستعد لان يبذل هذا المبلغ من المال لهُ الحق في ان يفوز بقطعة من الجمال المجسَّم

لكن منصفين في احكامنا . ماذا دفع لورد الجن [٥] ثمن الاعمدة الرخامية المنتزعة من هيكل البارتنون في أثينا التي نقشها فيدياس ؟ ماذا دفع نبوليون ثمناً لمجموعاتهِ الفنية المشهورة ؟ ومهما يبلغ حنقنا على الدكتور روزنباخ [٦] فيجب الاعتراف بانهُ لم يجردنا من بعض كنوزنا قبل ان يملأ جيوبنا مالاً وقيمة هذا المال في اكثر الاحيان تفوق قيمة الاثر الفني الذي ابتاعهُ

ان الولايات المتحدة تعامل انكلترا الآن كما كانت انكلترا تعامل اوربا في الماضي . إننا نفاخر ونتبجح احياناً « بصورنا » والحقيقة أن تحت هذه اللفظة نخفي اعجابنا الشديد بالمصورين الايطاليين والاسبانيين والفلمنكيين الذين صوَّروها . نفاخر بمتحفنا البريطاني ! اي متحف على وجهِ البسيطة اقل تمثيلاً لحضارة الانكليز وثقافتهم من المتحف البريطاني . ونفاخر « بالجاليري الاهلية [٧] » ! هل عرفت ايها القارئ معرضاً فنيًّا اكثر جمعاً لفنون البلدان المختلفة من الجاليري الاهلية او الانكليزية !

كلاَّ ! ان آيات الفن العالي خاصة بالجنس البشري على اطلاقهِ وليس لامة خاصة او لبلاد معينة ان تحتكرهُ . لذلك لا ادرك معنى لقول بعض الصحف بان الاميركيين يقفون في غرف المزاد صفًّا واحداً يقابلهم صف من الانكليز . فالاميركيون يبارون بعضهم بعضاً في شراء القطع الفنية البديعة في بلادهم ويدفعون اثماناً عالية كما يفعلون بانكلترا . وقد بيعت مجموعة القاضي جاري [٨] فبلغ ثمنها ٤٦٠ الف جنيه وبيعت احدى صورها — صورة عربة الحصاد لغاينزبورو [٩] — باثنين وسبعين الف جنيه

فالعامل الفاصل في هذه المزادات انما هو عامل الثمن — الثمن الاعلى سواء دفعهُ انكليزي او اميركيٌّ . والقول بان الاميركيين يفوقون غيرهم في الكلف بابتياع النفائس

(٥) لورد الجن احد ساسة الانكليز كان سفيراً لانكلترا في الاستانة سنة ١٧٩٩ — ١٨٠٤ نقل هذه الاعمدة الى انكلترا ثم دفع الانكليز ثمنها ٣٦ الف جنيه ووضعت في المتحف البريطاني

(٦) اميركي اشتهر بجمع الكتب النادرة

(٧) الجاليري الاهلية — هي معرض الصور المشهور بلندن امام ميدان ترفلغار

(٨) القاضي جاري مثر اميركي كان رئيساً لشركة الصلب وتوفي في العام الماضي

(٩) غاينزبورو مصور انكليزي

الفنية غير صحيح الآن لان كلف اميركا تعداها الى المانيا وهولانده وجمهوريات اميركا الجنوبية والاثرياء من ابناء هذه البلدان صاروا من اكبر العوامل في توجيه سوق الفنون

واني لا اقدر ظاهرة من ظواهر الثقافة الاميركية مثل هذا التعاطش للفوز بابدع آيات الجمال. فالرحالة الاوربي لا يستطيع ان يدرك انفصال البلدان الاميركية وشعبها عن ماضيهم السحيق الحافل بالذكريات الا بعد ما يجول في الولايات المتحدة الاميركية اياماً لا يرى فيها سوى مدن قامت على صدر الغبراء كما يطلع الفطر بين ليلة وضحاها. فمطمح الاميركي الاعلى الآن انما هو الاستيلاء على ما يصله بذلك الماضي الذي انجب اجداده الكرام. وهو مطمح لا يزال تحقيقه في اول عهده

وجلُّ ما يشكو منهُ الانكليز ان الحرب وما جاء في اثرها من ديون اثقلت كواهلهم منعتهم من مباراة الاميركيين في السخاء على شراء التحف والنفائس الفنية

وعندي ان حرباً تنشب في قارة من القارات لا بدَّ ان تجني ثمار الفوز فيها قارَّة اخرى. ولدى التدقيق ارى ان الفن وآثاره المجيدة تسير غرباً بعد كل حرب كبيرة. فلما سقطت القسطنطينية في ايدي الترك توزعت آثارها الفنية في كل انحاء اوربا. ولما اشتبكت ايطاليا في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر في حروبها الدامية مع نبوليون سيقت اكثر تحفها الى متاحف باريس ولندن

والعناية بالفن تؤيد صحة قول القائلين ان الآثار الفنية يجب ان تجمع في بلاد تحفظها في مأمن من غوائل الحروب. وكما ان علماء الآثار من الاوربيين كشفوا عن كنوز الحضارات القديمة المدفونة في التراب، هكذا ترى ان آيات الفن الاوربي اذا بقيت في اوربا اخنى عليها يوماً ما ما اخنى على مكتبة لوڤان وكاتدرائية ريمس فاذا اراد باحث بعد الف سنة ان يرى ما كانت عليه مدنية اوربا في القرن العشرين فعليه ان يزور متاحف نيويورك وشيكاغو وغيرها

ولما كانت اوربا قد قدّرت ان لا مندوحة لها عن الحرب فعليها ان لا تلوم الاميركيين!

تفوز الامم — كما يفوز افراد الرجال — بما يعلقون عليه الشأن الاكبر في الحياة. فاذا كانت اوربا تؤثر الذخيرة الحربية على «عذارى» رفائيل واذا كانت اميركا ترفع مقام «العذارى» فوق مقام الذخائر فالنتيجة المعقولة ان تفوز اوربا بذخيرتها الفاتكة واميركا «بعذارى» رفائيل الخالدة!

لما جاء الاميركيون فرسايل لم يطلبوا ارضاً يضمونها ولا غرامة يفوزون بها . أما طلبوا السلام مرفرفاً فوق ربوعهم وفوق ربوع العالم اذا أمكن . فاذا غضب الاوربيون لصور كورو [١٠] وكوردجيو [١١] ورفائيل وتماثيل هودن وردان [١٢] يستأثر بها الاميركيون فليذكروا انهم آثروا مشكلات دانزغ وفيومي والرور عليها

ولكن اذا استنطقنا الارقام وجدنا ان الإنحاء على الحرب واثرها في خسارة هذه الآثار النفيسة لا يقوم على اساس صحيح . فقد ثبت من احصاء قامت بهِ جمعية المشتغلين بالآثار الفنية القديمة ان قيمة ما ابتاعهُ الاميركيون من انكلترا بعد الهدنة بلغ خمسين مليوناً من الجنيهات اي بمتوسط خمسة ملايين جنيه كل سنة . وهذا يشمل الصور والتماثيل والرياش والمخطوطات وغيرها من آثار الفن . فلو ان كل انكليزي دفع كل سنة ضريبة مقدارها ١١ غرشاً صاغاً لجمعت الامة الانكليزية خمسين مليوناً من الجنيهات اشترت بها هذه النفائس واحتفظت بها في بلادها — في متاحف لندن وليدس ومنشستر وغيرها من المدن الكبيرة

ولكن اذا كانت مدينة سان فرنسسكو مستعدة ان تدفع مائة الف جنيه ثمناً لصورة غينزبورو « الولد الازرق [١٣] » ومدينة شفيلد تؤثر ان تنفق ١٠٠ الف جنيه لاقامة حلبة لسباق الكلاب والخيل فلماذا نلوم ابناء الاولى ونغض الطرف عن ابناء الثانية

كل صاحب ثروة كبيرة يقاس نفعهُ لامتهِ بمقدار النفع الذي يمهد سبيلهُ لابنائها . ففي ولاية داكوتا الشمالية مثلاً ترى رجلاً قد اثرى وبعد اثرائهِ وجّه همهُ لابتياع صورة بعشرة آلاف جنيه . تكلفهُ هذه الصورة ٧٠٠ جنيه في السنة تأميناً عليها وفائدة على ثمنها ومن حين الى آخر يرسلها الى معارض الفن فيتمتع الناس بمشاهدتها . الا ترى ايها القارىء ان رجلاً كهذا ينفق مالهُ في عمل يفيد ويسرّ مثل الغني الذي ينفق عشرة آلاف جنيه لانشاء اسطبلات يربي فيها خيل السباق ؟

كان انتشار درر الفن القديم من القسطنطينية بسقوطها بمثابة نثر بذور في تربة خصبة نمت فكانت النهضة الاوربية في القرن الثالث عشر وما يليهِ من اعمارها افلا يكون انتقال النفائس الفنية من اوربا الى اميركا بالبيع مقدمة لنهضة اخرى تساوي النهضة الاوربية وقد تبزّها ! اني ارى ان ذلك كثير الاحتمال . اه «ملخصة بتصرف»

---

(١٠) كورو مصور فرنسي (١١) كوردجيو مصور ايطالي
(١٢) رودان مثال فرنسوي (١٣) صورة مشهورة لغينزبورو

خمسة في سيارة

مناقشة في الديمقراطية والنظام البرلماني

٧

وانكفأنا راجعين من فيشي قاصدين الى ما فوقها من جبال « الاوڤرن » مارين « برويّا » معرجين على « كليرمون » وبغيتنا بلدة صغيرة تدعى « البوربول »

وجبال هذه الولاية في فرنسا يختلف عن جبال سافواي فجبالها اقلُّ ارتفاعاً واكثر اشجاراً واوديتها تنساب فيها الانهار كالحيات بهدوءٍ وتؤدة فلا عنف الطقس في سافواي ولا برده ولا جبال الالب تصطدم بها اينما سرت

***

وفاجأ الانكليزي صديقهُ الافرنسي سائلاً : — هل تؤمن بالمياه المعدنية ؟ ولماذا احتكرتم الماء الشافي من كل داء وتقاسمتُمُوهُ قراكم فيما بينها فهذه ماؤها يشفي من امراض الكلى وتلك من امراض المعدة وهذه تعيد الامعاء سيرتها الاولى وتلك تكسب الدم نشاطاً والاعصاب توتراً وجارتها تقوي الحلق والصدر وهكذا الى ما لانهاية لهُ حتى ليخيل الينا انكم لا تموتون من كثرة ما حبتكم بهِ الطبيعة من اسباب الحياة

الافرنسي — انك تحسدنا هذه المياه . وليس السر في المياه فقط بل في ما حولها من طبيعة فتانة تذهب بهموم النفس وتفرّح القلب فيعود الى المرء نشاطهُ

الانكليزي — ولقد اتقنتم تجارتها

الافرنسي — ولِمَ لايكون الامر كما تقول ؟ أمحتّم في التجارة ان تكون في الحديد والفولاذ وبناء السفن وحياكة الصوف والقطن؟ ان لكل امرء ما اعطتهُ الطبيعة والعبرة في استثمار هبتها فاذا تركت وشأنها جاء آخرون يعرفون لها حقها فيكسبون

المصري — تعال نر مَنْ في شعبيكما يفوق صاحبهُ قوةً وابتكاراً

الانكليزي — اني احترم الشعب الافرنسي احترامي لشعبي فليحمل كل واحد منا قول صاحبه على محمل النيّة السليمة او على محمل المزاح والعبث . ثم ادار غليونه في فمِهِ وقال: اعلم ياهذا اننا قوم مولـدون لا مقلـدون . واننا اقوياء صبورون لا ذكاء لنا ولا بُعْد نظر . واننا ان ننجح فبهذه الصفات وبهذه السيئات . فليس النجاح وقفاً على الذكي . لا . بل هو الى الاغبياء اقرب منهُ الى الاذكياء

فحملق صاحبنا المصري في الرجل ثم ادار وجهه وحملق في الفرنساوي كأنهُ يستنجدهُ على فهم هذه المعميّات

الانكليزي — دعني افسر ما اقول — أما اننا مولدون لا مقلدون فظاهر في تاريخنا كل الظهور. نحن خلقنا ثلاثة اشياء هي كل العالم الآن — العالم المادي والعالم الادبي

المصري — ما هي

الانكليزي — اولها النظام البرلماني — هذه بدعة نحن كوّناها ووسيلة لتسيير الامور نحن خلقناها بل هذا رداءٌ فصلناهُ وخطناهُ ولا نزال نرقّع فيهِ ونجدّد رغم ما هو عليهِ من عيب — وجاءت اوربا بعدنا تنحو نحونا ومثلها كل ممالك اميركا حتى عمّ هذا النظام مشارق الارض ومغاربها

وكأَني بالعالم رأى اننا اثرينا وامتدّ سلطاننا فنسب الامر الى هذه الوسيلة فصارت ممالكهُ تقتبسهُ الواحدة تلو الاخرى وافق مزاجها ام لم يوافق ونسي معظمها ان الوسيلة شيء والغاية شيء آخر

فنحن قوم خلقنا ربُّنا عمليين نكيّف حياتنا المادية والادبية على نظام الطبيعة الحيّ المتغير. رأينا فيما رأينا الضرائب تُجبَى منا فقلنا لا بدّ لنا من مراقبة سبل اموالنا شأن التاجر في تجارتهِ. فبرلماننا كان ولا يزال مجلس ادارةٍ لشركة تجارية يتناقش اعضاؤه ويبحثون ويأخذون ويعطون توصلاً الى خير طريق لادارة الشؤون. واما ان يخطبوا فهذا ليس اصلاً عندنا بل يقوم بهِ نفر بين حين وآخر لغرض معلوم لا يلبث ان يزول. فالخطابة ليست مناقشة او مباحثة ولا تؤدي الى اقناع ولا يلجأُ اليها قوم يرغبون في الوصول الى حلّ موفق في امر طارىء

بل انظر الى مقاعد النوّاب في برلماننا ترها مقاعد صفّت يزحم بعضها بعضاً فيجلس الاعضاء مزاحمين فلا يتيسر لمن يقف للكلام ان يتحرك مشيراً بيديهِ لان الغرض تمحيص الرأي لا قرْع الآذان بمنكر الاصوات

اما سوانا — ولا اقول هذا منتقداً اذ لكلّ خلقةٌ — فبنى المنبر ووسّع الكرسي واحضر القلم والدواة فكثر الكلام وقل العمل

فالنظام البرلماني من أوله الى آخره نظام مساومة وهو نوع من الحكومات منقول عن الاعمال التجارية في امة تقدس التجارة ونعبر عنهُ بقولنا Government by Concession. فاما ان يؤخذ وتفرَض له السلطات وتعيَّن ساعة في الامة وساعة في الناخب وساعة في

الرأي العام قامر ما خطر لنا عند ما أوجدناه ببال

المصري — اني ارى علة نجاح نظامكم في هذه الروح التجارية في اعمالكم وهي روح شريفة عندكم لان اساسها الصدق في المعاملة . والفضل في اذاعة فائدتها عائد الى فيلسوفكم باكون . اما عندنا فالتجارة غير محترمة ولا اعلم اذا كان السبب في اخلاق التجار او في اننا لم نفهم حقيقة التجارة كما تفهمونها. فانتم بتجارتكم تخلقون ثروة تبيعونها ثم تنفقون عن سعة. اما نحن فسماسرة نتوسط بين المنتج والمستهلك ونغلُّ ايدينا الى عنقنا . فترانا وقد ورثنا مذهب ابن خلدون فلا نأبه للتجارة ولا نعير التاجر التفاتاً مخافة ان تلصق بنا الاوصاف التي اختصه بها فيلسوفنا ابن خلدون[1]

الافرنسي — (مخاطباً الانكليزي)وانا غير مؤمن بالنظام البرلماني كلهِ فاني لا ارى في هذه البرلمانات الا مؤامرات على تولي الحكم واحزاباً ترمي الى زعامة هذا او ذاك. وكل ذلك على حساب هذا الرجل المسكين دافع الضرائب واسمهُ « الجمهور »

المصري — اعودةٌ اذن الى الاستبداد والى الحكم المطلق ؟

الافرنسي — أفإن قلّلنا من ضوضاء البرلمان او من سلطانهِ نُتّهم بالعودة الى الحكم المطلق — لا — لا — اننا نبغي اداة صالحة لتسيير امور الناس على أفضل سبيل وارخصهِ. فكما تطورنا من نظام الى نظام قبلاً هكذا نلبث نغير ونبدل على ما يوافق منافعنا ولماذا هذا العدد من المنتخبين ؟ أخلعنا ملوكنا لنجعل من كل عضو ملكاً تنفق عليهِ عن سعةٍ

الانكليزي — لماذا لا يقوم نظام المجالس البلدية في كل بلدة ولماذا هذا الغرام بالوحدة وبالسلطة. اذا فهم الناس ان الوظيفة العامة معناها الخدمة لا السلطان استراحت البشرية . وليس من سبيل الى هذا التفهيم الا بتنوير الجمهور ليحسن الدفاع عن مرافقهِ وليوقف خدامهُ على حدودهم لا يتعدونها . سواء كانوا افراداً او جماعات

الافرنسي — ذكرت الخطابة منتقداً ولكنكم انتم الانكليز لا تشكون منها شكوانا نحن . فعندي ان لا دواء لداء الجماعات الا الغاء الخطابة — قللوا من الكلام تقللوا الضلال . واي فائدة ترجى من خطب حماسية عقباها تضليل الجماعات ودفعهم وراء العواصف والاهواء

---

(١) راجع مقدمة ابن خلدون الفصل (في ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك)

ولا تخلط الخطابة بحسن البيان فهذا يستدعي منطقاً وحجة وعقلاً — امور لا تتوافر الاّ في جوّ هادئ من المناقشة لا تأبه به الجماهير

الانكليزي — ولا تنسَ الصحافة فمعظمها في هذه الايام ادوات دعاية فتضليل وسواء أرحم الله نورثكليف ام لم يرحمهُ فهو الذي اوصلها الى ما هي عليهِ الآن

المصري — (في سره) والله ان هؤلاء القوم ينطقون بما افكر انا فيهِ من زمان ولا اجسر ان اجاهر بهِ مخافة ان اتهم بشرقيتي الجاهلة المتقهقرة . (بصوت عالٍ) وماذا تصفون لهذه العلل

الافرنسي — تنوير الجمهور باعطائهِ الحرية التامة في امورهِ الشخصية والاكثار من العلوم الطبيعية في المدارس. ماذا اقول بل جعل العلوم الطبيعية اساس التعليم وغايتهُ. ليجرب الناس هذا بضع سنين ترَ السياسين الافاقين كيف ينقلبون

المصري — ان اعظم اثر تركتهُ في نفسي مشاهداتي الاوربية عدم اكتراث الناس لرجال السياسة الاّ من نبغ منهم وخدم خدمة عامة معروفة وهؤلاء لا يكادون يعدون على اصابع اليد الواحدة فترى الناس عندكم الآن يبجلون الكاتب المفكر ويحترمون العالم العامل ويصفقون للممثل البارع ويثنون على التاجر المجتهد ولا يالون بالسياسيين وهذا امر ما كنت اتوقعهُ لشدة ما نحن عليهِ في بلادنا من الاهتمام بالسياسة وبما الى السياسة من شعوذة. ولا تقارن كل اعمالكم باعمال رجال سياستكم

السيدة الافرنسية ضاحكة — ذكرت لنا يا سيدي (تخاطب الانكليزي) اول الامور الثلاثة المختارة فما هو ثانيها

الانكليزي — الامبراطورية البريطانية ! فهذا ملك ما بنى مثلهُ البناؤون من قبل ضخامة واتساعاً وارتباطاً وتفككاً . شيدناهُ بجهدنا وبدمنا ما قلدنا فيهِ احداً ولا اتبعنا خطوات الغير . انا بنيناهُ حجراً فوق حجر بصلابة العزم ومتانة القصد كهذا الكلب bulldog اذا امسك باسنانهِ لم يفلت

وقد قلت لكم انا قوم خالون من الذكاء وبعد النظر فانهُ لو كنا على شيء من هذا لحسبنا الحساب واخذنا العدة للامور ولكننا لا نفعل . بل نأخذ بتلابيب الامر بكل ما اوتينا من قوة فاما النجاح او الموت

وهل لك كالحرب العظمى دليلاً على غفلتنا . فانهُ لو كنا بعيدي النظر شديدي الذكاء لعلمنا ان الحرب ويل علينا اكثر مما هي على اعدائنا ولاقلعنا عن

خوض غمارها . بل كنا اخذنا لها العدة . ولكننا بدأناها فلم نتركها الاّ وقد فزنا ولكنها ضربتنا وهدّمت كياننا الاقتصادي

قل للانكليزي ما شئت من آيات الوطنية واستجده بكل دواعي الشرف فلا تحرك لهُ ساكناً

انما أبلغهُ ان لعبة من الالعاب الرياضية لم يتقنها بعض الناس واساؤوا فيها المعاملة وخالفوا القانون فانك تقيم الامبراطورية البريطانية وتقعدها [1] . وكان صاحبنا استلذّ حديث امره فاكملهُ وقال

واما الامر الثالث الذي اوجدناهُ فهو الصناعة . نحن الذين جعلنا بلادنا معامل ومصانع تقذف بمختلف البضائع في اسواق العالم . ولم يكن قبلنا شيء اسمهُ صناعة بالمعنى المعروف فما لبثت اوربا واميركا ان اقتفت آثارنا واهملت الزراعة حتى انك تكاد تحسب القارة الاوربية قد انقلبت معملاً واحداً لجميع ادوات الحياة

الافرنسي — الاَّ نحن فلا نزال نجمع بين الامرين . وها هوذا العالم قد زاحمكم وكاد يقضي على صناعتكم . فقد كنتم الوحيدين فاصبحتم وكل العالم يشارككم . فماذا انتم صانعون

الانكليزي — لا اعلم . ولكني شديد الايمان بقوة شعبي فلن يعدم وسيلة تخرجهُ من هذه الازمة فنحن لا نتمسك بشيء بل نجرّب كل شيء . فقد نحول مصانعنا الى غير ما وضعت لهُ وقد نلجأ الى نظام اشتراكي يعم العالم نحن الذين يتهمنا الناس بالانانية

المصري — لقد طال عليكم القدم فاصبحتم اجداداً لكم اولاد حلّوا محلكم وآن لكم ان تحالوا الى المعاش

***

واقتربت السيارة من ضواحي البوربول وملّت السيدتان الكلام السياسي الاجتماعي فقالت احداهما للاخرى ما قولك لو نزلنا هنا وقصدنا الى البوربول راجلتين تاركتين الرجال في حديثهم . فالمسافة قصيرة والطريق سهل . فأبى الرجال عليهما ان تفارقاهم وقالوا بل نمتنع عن الكلام بل نعمد الى الرقص ان شئتما . قالتا بل تنزلون ونذهب كلنا مشاة . فقد مللنا القعود واضنانا الجلوس — فكان امراً مقضيًّا

سامي الجريديني

---

(١) راجع كتاب : Le Silence du Col. Bramble par André Maurois

سحر في الهواء

المستنبطات المنتظر تحقيقها

العلم والصناعة والزراعة دعائم الحضارة بل روح العمران والاسباب اللازمة لارتقاء الامم . وقد وقف المقتطف صفحاته منذ انشائه على تعميم العلوم ورفع شأن الصناعة والزراعة وبسط المعارف . وفيما يلي ملخص مقالة لكاتب اميركي ذكر فيها بعض المستنبطات التي ينتظر تحقيقها في المستقبل القريب وهي جامعة بين الفكاهة والفائدة العلمية

كان معظم المستنبطات التي استنبطت بين سنة ١٨٠٠ وسنة ١٨٧٠ من قبيل الآلات والادوات الميكانيكية ، واما المكتشفات والمستنبطات التي كشفت واستنبطت في السنوات الحديثة فاكثرها كهربائي او كيماوي او كيماوي معدني

ففي الولايات المتحدة الاميركية الآن خمسة ملايين آلة لاسلكية مستقبلة . وقد أُلفت فيها الشركات لنقل الصور الفوتغرافية بالتلغراف السلكي واللاسلكي . والتلفزة المنتظمة صارت على الابواب وبعض المستنبطين عاكف الآن على اتقان الوسائل لاذاعة الصور المتحركة واستقبالها كما تذاع الخطب والاغاني والانباء والقصص وتستقبَل. ومتى اتقن نظام « البيم » اللاسلكي الذي ابتدعهُ ماركوني صار في الامكان توزيع القوة الكهربائية لاسلكيًّا فتلتقطها البواخر في عرض اليمّ والطيارات محلقة في الفضاء

والاشعة التي فوق البنفسجي تكنُّ في امواجها فوائد صحية جزيلة فتألفت شركات مالية كبيرة غرضها تنظيم استعمالها وقد لا يتأخر اليوم الذي يمكن فيه اقتناء مصابيح في الدور والمكاتب والمعامل والمدارس تفيض منها هذه الاشعة الحيوية على الناس

ان هذا العصر عصر المكتشفات والمستنبطات الكيماوية.فبالطرق الكيماوية نستطيع ان نركّب من الهواء اسمدة نسمّد بها ارضنا . وبالوسائل الكيماوية نستطيع ان نصنع جوارب حريرية وادهانًا مختلفة من الاشجار . والمادة الاساسية التي تستعمل في صبغ السيارات تستعمل لصنع الجوارب الحريرية والمتفرقعات والجلد الصناعي واشرطة الصور المتحركة وامشاط السلولويد وفرش الشعر وورق الصحف

ومع ذلك ترى ان العلماء لم يهتدوا بعدُ الى اماطة اللثام عن حقيقة السلولوس

ولكن من يدري حقيقة الكهربائية — وها هي ذي العجائب التي بنيت على ظواهر الكهربائية تكاد تكون معجزات . والبديع في صناعات السلولويد انك تستطيع ان تستخرج سلولوساً من اي شيء قديم

ولي ثقة عظيمة بمعدن الكروم واثره في مستقبل العمران .فلقد ثبت منذ مدة غير وجيزة انهُ اذا اضيف معدن الكروم الى الصلب صار الصلب قاسياً لا يفعل بهِ الصدأ . واذا قدرنا ما يخسرهُ العالم كل سنة بسبب الصدإ بلغ ملايين الجنيهات . فاذا استعمل صلب الكروم حيث كان الصلب العادي يستعمل قبلاً وُفّرت مبالغ من المال لا يستهان بها

وقد ظنَّ بعض العلماء انهُ لا بدَّ ان يجيء يوم ينفد فيهِ ما في مناجمنا من النفط . ولكني لا ارهب ذلك اليوم مع علمي ان مصادر النفط محدودة . لاني اعلم ان هذه المادة الثمينة تستخرج من القار والفحم الحجري وقد انشئ في المانيا معمل لاستقطارها من الفحم بالجري على اسلوب كيماوي صناعي يدعى اسلوب برجيوس . اما ما يستقطر من قطران الفحم الحجري فيفوق التصور . وها هي ذي ملابس السيدات الزاهية الالوان تصبغ باصباغ تستقطر من قطران الفحم الحجري . ولكن المستقبل يكنُّ عجائب لا تقاس ازاءها غرائبُ الاصباغ الزاهية

وانا حريص كل الحرص فيما اقولهُ عن مستقبل الطيران والطيارات . ولكن ما انتظرهُ من التقدم في هذا الميدان يحيّر الالباب . فصناعة كبيرة كبناء الطيارات وتسييرها في خطوط منتظمة لا تبنى بين ليلة وضحاها . على ان المعامل تخرج الآن طيّارات متينة البناء امينة الجانب وقد اخذت الحكومات تعنى باعداد ميادين الطيران لقيام الطيارات ونزولها وتجهيزها باحدث وسائل الانارة والحركة .وعندي ان مستقبل الطيران رهن استنباط يمكن الطيارة من النزول في بقعة صغيرة من الارض من غير ان تتعرض للاصطدام بما يحيط بتلك البقعة من الحواجز والمباني . كذلك نحتاج الى اداة كالهليكوبتر تمكن الطيارة من الصعود في خط قائم من مكان وقوفها فلا تضطر ان تجري على الارض مسافة قبل ذلك. ويكون من شأن هذه الآلة ايضاً ان تمكن الطيارة من النزول الى الارض نزولاً عموديًّا من غير ان تضطر الى الجري على سطح الارض قبل وقوفها

واذا القينا نظرة عامة على خريطة الارض وجدنا بقاعاً من اخصب بقاع الدنيا

وحراجاً غبياء لا يقيم الناس لها وزناً من الفائدة الاقتصادية لان سبل الاتصال بها متعذرة فمتى اتقنت وسائل النقل الجوي صارت هذه البلدان قريبة من المدن العامرة وصار استخراج خيراتها في متناول الانسان

ومن المستنبطات التي ينتظر تحقيقها قريباً «النور البارد». وكيف يكون النور بارداً ؟ ففي المصباح الكهربائي المستعمل الآن سلك معدني دقيق يحمى بالكهربائية الى حدّ الاضاءة بنور باهر . ولكن قوة هذا النور لا تبلغ سوى ٤ في المائة من القوة الكهربائية التي تنفق في اضاءة المصباح لان باقي القوة الكهربائية يتحول حرارة فقط تحمي السلك قبل اضاءته . فاذا تمكن احد المستنبطين من ابتداع وسيلة لقلب هذه النسبة فيصير ٩٦ في المائة من القوة الكهربائية يتحول نوراً و ٤ في المائة فقط يتحول حرارة صار في الامكان انارة دورنا كما نيرها الآن بجزء من عشرين من القوة الكهربائية التي نستعملها الآن . واذا استعملنا من القوة الكهربائية ما نستعملهُ الآن استطعنا الحصول على نور يفوق النور الذي نحصل عليه الآن عشرين ضعفاً

ولكن المستنبطين عاكفون الآن على ابتداع طرق لترخيص الكهربائية . وعندي انهُ لا تنقضي مائة سنة علينا حتى يصير في حكم الجنون توليد الكهربائية من الفحم الحجري او الماء المنحدر لان الكهربائية لابدّ ان تولد حينئذٍ من حرارة الشمس او من قوة المد والجزر او من حرارة باطن الارض

ففي كثير من البلدان ترى الغياسر وهي ينابيع فوّارة تنفجر منها المياه الحارة في اوقات معينة . فالاماكن التي تكثر فيها هذه الينابيع لابدّ ان تصبح في المستقبل مدناً صناعية لان حرارة باطن الارض تستخدم حينئذٍ لتوليد الكهربائية والقوة الكهربائية ركن الصناعة الحديثة

اما قوة الشمس فتفوق التصور واستعمالها متوقف على استنباط آلة تمتصُّ الحرارة ولا تشعها . والامور مرهونة باوقاتها . فكل المواد المعروفة الآن تمتص الحرارة وتشعّها وما من مادة صنعت بعد تستطيع ان تمتص الحرارة وتخزنها . فاذا كشفت او استنبطت مادة من هذا القبيل فاقت القوة التي يستطاع خزنها من حرارة الشمس حدود التصوّر . فتصبح الشمس حينئذٍ مصدراً فعالاً للقوة الهائلة الرخيصة الثمن

اما استخدام المدّ والجزر فمسألة قديمة . ولكن المستنبطين لم يعكفوا بعد عليها بجدّ وعزيمة

وقد استنبطت وسائل بسيطة في اسلوبها غريبة في نتائجها لاستحداث اصناف جديدة من النباتات والخضروات والاثمار والازهار . والاستاذ بربنك امير المستنبطين في هذا الميدان كما ان اديصن امير المستنبطين في ميدان الكهربائية

وقد استنبط بربنك مئات من الانواع الجديدة من الاثمار والازهار وادخل فيها صفات لم تعرف فيها قبلاً . فاستنبط برقوقاً (خوخاً) لا قشرة قاسية لنواته وتيناً بشوكٍ لا شوك في اغصانه . وعنده ان مجال الاستنباط في هذا الميدان متسع جداً وان غرائبهُ تفوق كل ما استنبطهُ اديصن وماركوني وبل وفورد وغيرهم

واستعمال السماد لاعادة قوة التربة اليها من ابدع المستنبطات الحديثة . ولا بدَّ ان تبتدع وسائل ميكانيكية وكيماوية تمكن جماعات الناس المختلفة من تغيير الاحوال الجوية حتى تلائم مزروعاتهم بادارة زرٍ كهربائي . والمستنبطون الزراعيون لابدَّ ان يحدثوا في عالم الزراعة من العجائب ما احدثهُ اديصن وطمسن وستينمتز في الكهربائية . فاننا لا نعلم سبباً يمنع نموّ اثمار الفراولة حتى يكون حجم كل منها حجم البطاطس . وقد تصبح اثمار الكرز والبرقوق (الخوخ) والتفاح كبيرة كرؤوس الكرنب (الملفوف) ورخيصة مثلها او ارخص

وقد قرب العهد الذي نحصل فيهِ على مطّاط رخيص الثمن لان التجارب العلمية لتركيب المطّاط تركيباً كيماويًّا او زرعهِ كما تزرع الحنطة اخذت تؤتي ثمارها ولا ريب في ان المطّاط يصبح يوماً ما رخيصاً كقطران الفحم الحجري. وحينئذٍ ترصف بيوتنا ومكاتبنا وشوارعنا بهِ

اما العجائب التي يمكن استحداثها بواسطة الامواج الصوتية فحدث عنها ولا حرج. ففي يد المهندسين الآن آلة لاسلكية تبعث في الفضاء في اوقات معينة بامواج صوتية من طول معين فتفجر مقداراً من الديناميت على ٢٠ ميلاً او ثلاثين اذا كان هذا الديناميت مجهزاً بآلة تلتقط هذه الامواج وتتأثر بها . ويستعمل مثل هذا الجهاز للبحث عن المعادن في الارض . ذلك ان سرعة امواج الصوت في احوال معينة معروفة فاذا صدرت الامواج من الآلة المرسلة في دقيقة معينة والتقطتها الآلة القابلة في الدقيقة المعينة لالتقاطها عرف المهندسون ان الارض التي مرّت فوقها هذه الامواج لا تحتوي على معادن فيها . واذا ابطأت الامواج في الوصول عرفوا ان الارض التي مرت فوقها

تحتوي على رواسب معدنية وقد كشفت بهذه الطريقة آبار كثيرة من النفط عمقها مئات من الامتار قبل ان تحفر بئر واحدة منها

ولا بدَّ ان يفوز الانسان يوماً ما بالطعام المركَّب تركيباً كيماويًّا . ففي السنة الماضية ادب احد اصدقائي مأدبة لجمهور من معارفهِ لم يقدّم فيها سوى الاطعمة المركَّبة في المعمل الكيماوي . فقدّمت « الاوردوفر » على انواعهِ شركة كهربائية معروفة واللبن والزبدة والقشدة شركة زيت مشهورة واللحوم شركة اخرى تعنى بالخمائر والخضروات المختلفة قدّمها كيماوي كبير حتى الشوربا كانت مركبة تركيباً كيماويًّا ولم يكن للفلاح او البستاني اثر في اعدادها . واعداد الطعام على هذه الطريقة كان منطبقاً على انواع الاثمار والمثلوجات وغيرها من اصناف الحلوى

***

لم اذكر حتى الآن القوى المدخرة في الجواهر الفردة . فقد قيل ان الهدروجين في مقدار من الماء يملأ ملعقة شاي يولّد مائة الف كيلو وط من الكهربائية تساوي قوتها قوة ١٣٣ الف حصان. فاذا كان في الامكان اطلاق هذه القوة الهائلة واستخدامها صار الاستغناء عن الفحم امراً محتوماً . وقد نستطيع حينئذٍ ان نقطر القوة اللازمة لادارة معمل كبير كما نقطر القطرة في العين

وبينما العلماء مكبّون على درس الجواهر الفردة والكهارب ترى علماء البكتيريولوجيا والفسيولوجيا مكبين على درس الغدد لانهُ ثبت لهم ان بين الغدد وخصوصاً الصماء منها وبين الحياة علاقة متينة تتعدى الصحة والنشاط الى العواطف والصفات الادبية كالشجاعة والمضاء

وقد ثبت لي من مراجعة كتب الباحثين في هذا الموضوع ان نتيجة هذه المباحث لا بدَّ ان تؤدي الى اطالة الحياة ولا استغرب مطلقاً اذا وجدت الرجل في ذروة نشاطهِ الجسدي والعقلي حين يكون في المائة من العمر . واذا نظرنا الى كل الوسائل الميكانيكية التي تمكّن الانسان من ان يقضي في ساعة عملاً كان يستغرقهُ اياماً من قبل عرفنا ان اطالة الحياة على هذا المنوال تؤدي الى زيادة ما ينتجهُ الرجل الواحد اضعافا كثيرة

—0:0—

التعليم الابتدائي في مصر

تاريخه ونظامه من ايام محمد علي باشا الى اليوم

[صدق البرلمان المصري على قانون تنظيم المدارس الابتدائية للبنين وامتحان شهادة الدراسة الابتدائية — بعد ان قضى كل من مجلسي النواب والشيوخ اكثر من جلسة في بحث القانون ومناقشة كل مادة من مواده بحثاً دقيقاً . ففي بدء السنة المدرسية الجديدة رأينا ان ننشر المقالة الآتية في تاريخ التعليم الابتدائي ومدارسه منذ ايام محمد علي الى اليوم]

التعليم الاولي والابتدائي

ينقسم التعليم الابتدائي في مصر الى نوعين :

الاول — التعليم الاوّلي ، وهو التعليم القومي او تعليم الشعب . والتدريس فيهِ باللغة العربية . فيتعلّم الطفل التهجئة والحساب واللغة العربية والاخلاق وتدبير الصحة والتربية الوطنية والمعلومات العامة وقليلاً من الجغرافية والتاريخ

ومدة التعليم الاولي اربع سنوات وست سنوات في نوعين من المدارس (الاول) يسمَّى التعليم الاولي القديم ، و(الثاني) التعليم الالزامي

ومن المدارس الاولية ينصرف التلاميذ إما الى الصناعة او الزراعة او الاحتراف باية حرفة للارتزاق . او الى الورش الصناعية . وأما الى النوع الثاني من التعليم وهو التعليم الابتدائي

وهناك نوع من التعليم الاولي لايزال مقصوراً على ابناء الطبقتين المتوسطة والعليا من اهالي بعض المدن . وهو « رياض الاطفال » ومدتهُ ثلاث سنوات

الثاني — التعليم الابتدائي . ويعلّم فيهِ ما يُعلّم في المدارس الاولية باسهاب مع تعليم اللغة الانكليزية (او الفرنسية بحسب القانون الجديد) ويستمد تلاميذه إما من رياض الاطفال أو من المدارس الاولية سواء كانت تابعة للحكومة او مجالس المديريات او الجمعيات

ومن التعليم الابتدائي يخرج التلاميذ إما الى التعليم الثانوي او الى مدارس الزراعة المتوسطة او الى الورش الصناعية

في ايام محمد علي باشا

وقد عني المرحوم محمد علي باشا (رأس الاسرة المالكة) بالتعليم الاولي والابتدائي

كما عني بباقي فروع التعليم ودرجاته . فلما بدأ بانتشال البلاد من وهدة الانحطاط جعل غاية التعليم جميعه تكوين الجيش . فكانت المدارس كلها تابعة للحربية . ثم اصدر امراً في ٩ مارس سنة ١٨٣٧ بانشاء ديوان للمدارس اسندت رياستهُ الى مير اللواء مصطفى مختار بك . فوضع لائحة للتعليم الابتدائي مشتملة على ٢٧ مادة . نص في المادتين الثانية والثالثة منها على انشاء خمسين مدرسة منها اربع بالقاهرة وواحدة بالاسكندرية والباقي في انحاء القطر . وان يكون عدد التلاميذ في كل واحدة من مدارس القاهرة والاسكندرية ٢٠٠ تلميذ . وفي كل من مدارس الاقاليم ١٠٠ تلميذ

وكانت ايرادات الحكومة في ايام محمد علي لا تتجاوز ثلاثة ملايين من الجنيهات يصرف منها على التعليم نحو ١٠٠ الف جنيه

وكانت مدرسة المبتديان بالناصرية (ولا تزال الى اليوم في شارع قصر العيني) اول مدرسة ابتدائية انشأها محمد علي بالقاهرة . وبلغ عدد تلاميذها في ايامهِ ٣٣٤ تلميذاً يتولى تعليمهم ١٢ معلماً . ويقوم بخدمتهم ٥٩ خادماً. ويصرف عليها ١١٠٠ جنيه في السنة

وانشئَ في الاقاليم ٣٨ مدرسة (كتّاب) كان فيها ٤٥٧٩ تلميذاً ، يقوم بتعليمهم ١٤٦ مدرساً . ويخدمهم ٦٤٤ خادماً . ويصرف عليها ٨٦٥٤ جنيهاً في السنة

وكانت مدة الدراسة في المدارس الابتدائية من سنة ١٨٣٧ — ١٨٤٧ ثلاث سنوات يتعلم فيها الطالب (بحسب المادة ٩ من اللائحة) : القراءة والكتابة ومبادئ الصرف والنحو والحساب والفرائض الدينية

في ايام عباس وسعيد

ولما تولى عباس الاول (سنة ١٨٤٨) ضيّق دائرة التعليم واغلق كثيراً من المدارس واخصها المدارس الابتدائية فلم يبق منها الا ثماني مدارس منها مدرسة المبتديان بالناصرية وكان فيها ٢٠٩ تلاميذ ونفقاتها ٨٤٨ جنيهاً . وانشأ في كل مدرسة عالية مدرسة ابتدائية واخرى ثانوية . وبقيت الحال كذلك في عهد سعيد باشا

وفي أيام هذين الحاكمين كانت مدة التعليم الابتدائي ثلاث سنوات تدرّس فيها مبادئ اللغة العربية والخط واللغة التركية ومبادئ علم الحساب ومبادئ اللغة الفرنسوية

في ايام الخديو اسماعيل

وتولى الخديو اسماعيل الحكم في ١٩ يناير سنة ١٨٦٣ . وفي ٢٦ من الشهر المذكور اصدر امرهُ باعادة ديوان المدارس (الذي عطله عباس باشا الاول) وانشأ مدرسة

ابتدائية واخرى تجهيزية بالعباسية ومدرسة ابتدائية بالاسكندرية

ولم ين لحظة عن الاهتمام بارسال البعثات العلمية الى اوربا وانشاء المدارس وتحسين حالتها . ومنح مدارس طائفة الاقباط الارثوذكس بالقاهرة الفاً وخمسمائة فدان . وقرر انشاء مدرسة ابتدائية في كل مديرية . وشجع التعليم بان وهب المعارف عشرة آلاف فدان . ثم قدم اليها جفتلك الوادي وتبلغ مساحته ٢٢ الف فدان

وانشأ مدرسة السيوفية (السنية) للبنات في سنة ١٨٧٣ لتعليمهن العلوم والاشغال اليدوية . وقد تطورت هذه المدرسة في اشكال مختلفة كان آخرها برنامج سنة ١٩١٤ الذي جعل فيه التعليم الابتدائي ٦ سنوات وادخلت فيه الاشغال اليدوية واشغال الابرة والتدبير المنزلي والطبخ وبستان الاطفال

وفي ايام الخديو اسماعيل وضعت لائحة للتعليم الابتدائي (سنة ١٨٦٧) زيدت فيها مدة التعليم سنة فاصبحت اربع سنوات بدل ثلاث يدرس فيها :

اولاً — اللغة العربية من نحو وصرف ومطالعة وانشاء وعقائد التوحيد وواجبات العبادة والادب

ثانياً — لغة اجنبية او تركية

ثالثاً — مبادئ الجغرافية والتاريخ

رابعاً — اصول الحساب وتطبيقه على التجارة ومبادئ الهندسة وتطبيقها على المساحة

خامساً — نبذة فيما يتعلق بالحيوانات والنباتات الاهلية ومقدمة لفن الزراعة

سادساً — الخط الثلث والنسخ والرقعة والرسم

في ايام الخديوين توفيق وعباس

وفي ايام الخديوين توفيق وعباس (من سنة ١٨٧٩—١٩١٤) اتسع نطاق التعليم الابتدائي واحكمت قوانينهُ ونظاماتهُ . ومع ان مدتهُ بقيت اربع سنوات كما كانت في عهد الخديو اسماعيل لم تكد تمر سنتان او ثلاث حتى دخل شيء من التغيير او التبديل في الدروس بزيادة او نقص في المقرر

والعلوم الاساسية التي لم تتغير او تتبدل هي : (١) القرآن الكريم والديانة (٢) اللغة العربية (٣) الترجمة (٤) الحساب والهندسة (٥) التاريخ (٦) الجغرافية (٧) اللغة الافرنجية (٨) الخط الافرنجي (٩) الرسم . ومن حين الى آخر كانوا يدرسون دروس الاشياء وتدبير الصحة

وكانت الجغرافيا تدرس باللغة الاجنبية . ففي اوائل عهد الخديو توفيق كانت اللغة التركية لغة اساسية ثم جعلت اختيارية منذ سنة ١٨٨٨ وابطلت في اول حكم الخديو عباس

وكان التلميذ حرًّا في ان يتعلم احدى اللغتين الفرنسوية او الانكليزية . ولكن منذ قبض المستر دنلوب على زمام وزارة المعارف اخذ يحارب اللغة الفرنسوية في التعليمين الابتدائي والثانوي حتى قضى عليها قضاء مبرماً

واهم ما حدث في تاريخ التعليم الابتدائي هو تقرير لائحة امتحان الشهادة الابتدائية في سنة ١٨٩١ وسمح للبنات في فترة من الزمن بالتقدم لنيل هذه الشهادة

وبعد ان انشىء امتحان الشهادة الابتدائية صار لا بد من الحصول عليها للدخول الى المدارس الثانوية ومدرسة الفنون والصنائع ومدرسة الزراعة ومدرسة الطب البيطري ومدرسة البوليس والمناصب الصغرى في دواوين الحكومة واخصها المديريات والبوستة وسكة الحديد . وفي مصالح الحكومة الوف لم يتعلموا غير التعليم الابتدائي . وليس في ايديهم غير الشهادة الابتدائية ولكن هذه الشهادة لم تعد مقبولة للدخول في مناصب الحكومة او المدارس الخصوصية او مدرسة الفنون . واصبحت معدودة شهادة انتقال الى المدارس الثانوية والدخول الى مدارس الزراعة المتوسطة وورش الصناعة فقط

النهضة الحديثة

واتسع نطاق التعليم الابتدائي اتساعاً مدهشاً . وارغمت المدارس الاهلية ومدارس الارساليات الدينية منذ انشاء امتحان الشهادة الابتدائية على اتباع منهاج المعارف . وكان لانشاء مجالس المديريات تأثير عملي في تنشيط حركة التعليم الابتدائي

وفي سنة ١٩٢٤ المدرسية كان لمجالس المديريات ٦٣ مدرسة ابتدائية للصبيان فيها ١٠٣٠٤ تلاميذ . تقدم منهم الى امتحان الشهادة الابتدائية ١٠٤٠ تلميذاً فنجح ٦٤٢ تلميذاً . وكان لها ١٣ مدرسة للبنات فيها ١١٩٥ تلميذة . والآن قلَّ ان يخلو احد مراكز المديريات (ويزيد عددها على مائة مركز) من مدرسة ابتدائية للصبيان تابعة لمجلس المديرية . وفي جميع عواصم المديريات (١٤ مديرية في القطر) وبعض المراكز مدارس ابتدائية للبنات

وكانت للحكومة (سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥) ٤٠ مدرسة ابتدائية للصبيان فيها ١٤٨٦٦ تلميذاً تقدم منهم الى الامتحان ٢٢٦٥ تلميذاً فنجح ١١٩٤ تلميذاً و ٧ مدارس للبنات فيها ١٠٩٣ تلميذة

وبلغت نفقات التعليم الابتدائي للاولاد بمدارس وزارة المعارف (سنة ٢٤—٢٥) ٢٦٠ الف جنيه ونفقات التعليم الابتدائي للبنات ٨٦ الف جنيه

وبلغ عدد المدارس الابتدائية التي تديرها وزارة المعارف (في سنة ٢٦ — ٢٧) المكتبية ٤٥ مدرسة للصبيان منها عشرون مدرسة في العاصمة و١٤ في الوجه البحري و١١ في الوجه القبلي ومجموع ما فيها من الفصول (الفرق) ٤٧٩ فصلاً . وعدد المعلمين ١٦٣ (يستثنى من ذلك مدرستان جديدتان بالقاهرة لم يدون بالكشف عدد المعلمين فيها) ومن هذا المجموع ٧٣ شيخاً لتعليم اللغة العربية والديانة و٣٦ للعلوم (الحساب والهندسة ودروس الاشياء ومبادىء العلوم والرسم والاشغال) و٥٤ للآداب (واللغة الاوربية والخط الافرنجي والترجمة والتاريخ والتربية الوطنية والرياضة البدنية وتدبير الصحة)

والى جانب مدارس وزارة المعارف ومجالس المديريات مئات من المدارس الابتدائية تابعة للبطريكخانات (واخصها لطائفة الاقباط الارثوذكس) والارساليات الدينية من انجيليين وفرير والجمعيات الخيرية وجمعيات التعليم والافراد والحكومة تشرف على كثير من هذه المدارس الاهلية (ما عدا مدارس الارساليات) وتدفع لها اعانات مالية . وقد اصبح التعليم الابتدائي والثانوي عملاً ماليًا وتجارة رابحة يقوم بها غير واحد من الماليين وخريجي المدارس العليا

القانون الجديد

ولما عرض القانون الجديد لتنظيم التعليم الابتدائي وامتحان الشهادة الابتدائية على مجلس النواب (جلسة ٧ فبراير الماضي) قال الاستاذ النقراشي بك مقرر لجنة المعارف:

«كانت مدة الدراسة في المدارس الابتدائية والثانوية لغاية سنة ١٩٢٤ اربع سنوات الا انهُ رئي في سنة ١٩٢٥ زيادة هذه المدة الى خمس سنوات . ولكن لما تولت الوزارة الحالية الحكم امر معالي وزير المعارف بتشكيل لجنة ضمت بين اعضائها عدداً من حضرات الشيوخ والنواب ، وقد رأت هذه اللجنة زيادة مدة الدراسة في المدارس الثانوية سنة ولكنها رأت الاكتفاء بجعل مدة الدراسة في المدارس الابتدائية اربع سنوات»

وقد نصَّ في القانون الذي اقرهُ البرلمان على ان تكون مدة الدراسة بالمدارس الابتدائية للبنين اربع سنوات . ولا يقبل بالسنة الاولى من المدارس المذكورة من نقصت سنه في اول السنة المدرسية عن سبع سنين كاملة او زادت على عشر . ولا يبقى في هذه المدارس من زادت سنه في اول السنة المدرسية على عشر سنوات في السنة

الاولى او على ١٢ في السنة الثانية او على ١٤ في السنة الثالثة او على ١٦ في السنة الرابعة

والمواد التي تدرس بالمدارس الابتدائية هي : القرآن الكريم والدين ، اللغة العربية ، الخط العربي ، اللغة الانكليزية او الفرنسية ، الخط الاوربي ، التاريخ ، الاخلاق والتربية الوطنية ، الجغرافيا ، الحساب ، الهندسة العملية ، مبادئ العلوم ، تدبير الصحة ، الرسم ، الاشغال اليدوية وفلاحة البساتين ، الرياضة البدنية والالعاب

ويجوز ان تعطى دروس في المواد الاختيارية الآتية : الموسيقى، التصوير ، الآلة الكاتبة ، امساك الدفاتر ، اللغات وغير ذلك من المواد الاخرى التي يرى وزير المعارف تعليمها بصفة اختيارية

ولا ينقل تلميذ من فرقته الى الفرقة التي هي ارقى منها مباشرة الاَّ اذا نجح في امتحان الانتقال . وتقصر امتحانات الانتقال على المواد الاساسية . واما المواد الاضافية والاختيارية فيعقد لها امتحان مسابقة قبل نهاية كل عام دراسي . ويمنح المتفوقون فيها جوائز على حسب الشروط التي يقررها وزير المعارف

ويعقد امتحان عام لمن اتموا الدراسة الابتدائية . ويسمح بالدخول الى هذا الامتحان لكل تلميذ تلقى دروسهُ بمدرسة اميرية او حرة او بمنزلهِ

ويمتحن التلاميذ لنيل الشهادة الابتدائية تحريراً في المواد الآتية : اللغة العربية واللغة الانكليزية او الفرنسية والخط العربي والخط الاوربي والحساب والهندسة العملية والجغرافيا والتاريخ ومبادئ العلوم والرسم . ويمتحنون شفوياً في اللغة العربية واللغة الانكليزية اوالفرنسية.ولا يعد التلميذ ناجحاً الاَّ اذا حصل على النهاية الصغرى لكل مادة وكذلك على ٤٠ في المائة على الاقل من مجموع النهايات الكبرى لدرجات مواد الامتحان

ويعقد امتحان ملحق يدخله التلاميذ الذين لم يستطيعوا حضور امتحان الدور الاول او اكماله لاسباب قهرية . والتلاميذ الذين رسبوا في امتحان الدور الاول في مادة او اكثر من مواد الامتحان التحريري او الشفوي بشرط ان يكونوا حاصلين في الامتحان التحريري على النهاية الصغرى المقررة لمجموع مواد الامتحان . ويمتحن المتخلفون عن حضور الدور الاول او اكماله وكذلك الراسبون في الامتحان التحريري في جميع مواد الامتحان. اما الذين لم يرسبوا الاَّ في الامتحان الشفوي فيعاد امتحانهم في الدور الثاني في مواد هذا الامتحان فقط

وما أحسن ما قالهُ الاستاذ الشمسي باشا وزير المعارف السابق في مذكرتهِ التي قدم

بها مشروعي قانوني التعليم الابتدائي والثانوي الى البرلمان :

« ان المقصد الاول للتعليم ليس تنشئة الموظفين وانما هو اعداد الوطني المستنير . ولهذا وجب ان يكون للتعليم اساس جديد يمهد السبيل لجيل جديد . له حقوق كاملة وعليه تبعات كبيرة . ولقد عنيت وزارة المعارف بمسايرة ارقى الامم في احدث الخطط والنظم . وقد فرض الانقلاب ، الذي سببته الحرب ، على الامم ان تعنى بمضاعفة الانتاج وان تربط التعلم بما لها من حاجات اجتماعية وضرورات اقتصادية فلم يبق شأن للعلم النظري المحض اذا كان عقيماً لا ينفع البلاد نفعاً محسوساً . واصبحت الثقافة العامة شرطاً لكمال الفنون والصنائع . وليس من ينكر ان فريقاً كبيراً من الناشئة تدفعهم الحاجة الى ابتغاء الرزق وهم في فتاء السن فيعالجون في ميدان العمل مختلف المهن من كتابة وزراعة وتجارة وصناعة وليس لهم في ذلك من معين الا الثقافة العملية . لهذا كله اجتمع الرأي على ان يعنى في المعاهد بتدريس المواد العلمية العملية وبان يكون التحصيل بوسائل واساليب عملية » . وقد قصدت وزارة المعارف بادخال المواد الجديدة في التعليم الابتدائي كالاخلاق والتربية الوطنية الى ان تساعد على تكوين جيل قائم على الاستقلال ، بصير بالحقوق والتكاليف ، عليم بمهمته بين الامم . وقصدت بادخال مبادىء العلوم والاشغال اليدوية الى ان تربي الطفل من الوجهتين البدنية والخلقية

واخذت الوزارة بتجارب الامم الراقية من وجوب تنويع المدارس الابتدائية والثانوية في البلاد فادخلت فيها لهذا الغرض من المواد الاختيارية ما يمكن ان يختلف باختلاف كل اقليم حتى لا تتماثل المدارس وتتركز باجمعها في افق واحد . وبتنويع المعاهد بحسب غايات التعليم ووجهة الطلاب في ميدان الحياة تصبح المدارس اكثر مرونة وحياة واقوى في المجموع على سد حاجات البلاد

واذا كان محمد علي باشا (رأس الاسرة المالكة) قد قصد بالتعليم الابتدائي اعداد التلاميذ لخدمة الجيش اولاً فالمصانع ومصالح الحكومة ثانياً . فاننا اصبحنا بعد انقضاء مائة سنة في غير حاجة الى رجال جيش او موظفين . بل الى مزارعين وصناع يطبقون العلم على العمل . واذا كانت الحكومة قد ادركت هذا الغرض فان امامها عملاً اكبر من التشريع والتقنين . وهو ايجاد عمل للجيوش الجرارة التي تخرجها سنوياً المدارس الابتدائية ولا يرضى واحد من حاملي الشهادة الابتدائية ان يحمل فأساً او يسوق محراثاً

توفيق حبيب

المرأة والتعليم عند العرب

فصل من كتاب «فضل العرب على التعليم»[١]

﴿ بعض شهيرات النساء الشرقيات ﴾ يعتقد الغربيون عامة بان المرأة الشرقية ظلت دائماً في مستوى عقلي قد لا يعلو كثيراً على مستوى دابة الحمل ويرجع بعض السبب في هذا الاعتقاد الباطل الى ما يقصهُ السياح والمبشرون وما تنشرهُ الصحف من أقاصيص مبنية على النظر السطحي أو على رواية جانب واحد من جانبي المسألة. ولسوء الحظ لم يعرض الجانب الآخر للانظار عرضاً وافياً بالمرام فبقي الرجل العادي او المرأة العادية في اوربا واميركا يقرن كلاهما ذكر المرأة الشرقية بذكر « الحريم » ويفوته ان يذكر ملكة سبأ العربية التي غادرت اليمن في جنوب بلاد العرب وتجشمت وعثاء السفر الى بيت المقدس لتسمع حكمة سليمان، وزنوبيا التدمرية المتعلمة التي كانت تلمُّ الماماً واسعاً باشعار هوميروس واستطاعت ان تدافع زمناً عن سيادتها على مدينتها الصحراوية وتدفع عنها جيوش روما، وخديجة المرأة التاجرة التي كانت لها قوافل تحمل متاجرها الواسعة بين جزيرة العرب ودمشق وقد تزوج منها النبي محمد بعد ذلك، والخنساء الشاعرة العربية وقد عاشت قبل الاسلام وبرّزت على الرجال من شعراء عصرها. أما نساء هذا العصر في تركيا وسورية ومصر فقد اخذن يشتركن بنصيب وافر في الحياة الوطنية في بلدانهن وما كنَّ في هذا الامر محدثات ولكنهن انما يُعدن نشاط النساء اسلافهن في الشرق سيرتهُ الاولى

﴿ النساء المتعلمات في أول عهد الاسلام ﴾ واذا رجعنا بنوع خاص الى تعليم المرأة عند العرب وجدنا ان بعضاً من النساء كن يقرأن ويكتبن حتى في حياة النبي. ومما يستوقف نظر القارئ انهُ الى جانب السبعة عشر رجلاً الذين ذكرهم البلاذري (صاحب كتاب فتوح البلدان) وقال انهم يعرفون الكتابة — كان يوجد أيضاً اربع نساء متعلمات او خمس في بداءة الاسلام (سنة ٦٢٢ م). ويؤخذ من رواية هذا المؤلف ان النبي طلب من الشفاء بنت عبد الله ان تعلم حفصة زوجتهُ صناعة كتابة الرُّقى لانها كانت قبلاً تعلمها الكتابة نفسها وقد كانت الشفاء تعرف الكتابة قبل مجيء الاسلام. وقيل أيضاً ان ام كلثوم كانت تعرف الكتابة. وروت عائشة بنت سعد ان

(١) وضعه بالانكليزية الدكتور خليل طوطح ونال به شهادة دكتور فلسفة من جامعة كولومبيا

اباها علمها القراءة كما كانت كريمة بنت المقداد تعرف الكتابة . وكانت ام سلمة تقرأ ولكنها كانت تجهل الكتابة — هؤلاء ست نساء وهن الشفاء وحفصة وام كلثوم وعائشة وكريمة وام سلمة عشن في بلاد العرب في النصف الاول من القرن السابع للميلاد وكنّ متعلمات

وقد عقد مؤلف آخر هو النووي (سنة ١٢٧٨ م) فصلاً في كتابه « تهذيب الاسماء » ضمنهُ قاموس تراجم — طبعه فستنفلد — لشهيرات النساء وسنذكر بعضهن فيما يلي من اللواتي كن واسطة لنقل احاديث النبي وكان لهن اثر يذكر في تاريخ الاسلام في عصره الاول . نذكر منهن اولاً الاختين عائشة وأسماء ابنتي ابي بكر اول الخلفاء الراشدين فقد كانت الاولى زوجاً للنبي وحبيبة الى قلبه وكانت ذات زكانة وفطنة في كثير من الامور، وقد قلنا قبلاً انها كانت متعلمة وفي رواية النواوي انها كانت تحفظ الف حديث من احاديث النبي . ومعلوم انها كانت من القوة بحيث اشتركت في ادارة الشؤون السياسية واخيراً خاضت غمار الحرب لمقاتلة الخليفة علي ابن طالب وقد اسفرت تلك الحرب عن هزيمتها في واقعة الجمل

وكانت اختها اسماء امرأة شهيرة كذلك ، اذ اشتركت في ترقية الثقافة الاسلامية ويعزى اليها ٥٦ حديثاً. ومما يحسن ذكره ان هذه المرأة كانت خير امّ انجبت عبد الله ابن الزبير الذي ابى ان يعترف للامويين بحق الملك فقتلهُ الحجاج صلباً ومما يدل على ما كان لاسماء من النفس العالية والقلب الجريء ذهابها مع زوجها الى واقعة اليرموك (سنة ٦٣٤ م) وهي الواقعة التي انتصر فيها العرب على الروم وكسروهم شر كسرة وملكوا جميع سورية . ويدل على ذلك ايضاً تشجيعها لولدها على تحدي الحجاج خصمه العنيد بقولها لهُ : « يابني عش كريماً او مت كريماً » وقد عمرت هذه السيدة مائة سنة وهي بتمام قواها العقلية من دون ان تسقط لها سن واحدة

وممن نذكرهن ام الدرداء وهي امرأة متعلمة كانت تؤدي صلواتها في اوقاتها المفروضة وكانت ولوعة دائماً بمصاحبة رجال العلم وقد عاشت حوالي منتصف القرن السابع والرأي مجمع على ما كان لها من مقدرة وذكاء

﴿ مدارس البنات ﴾ وهؤلاء النساء اللواتي ذكرناهن انما تلقين علومهن في دورهن كما كان ذلك شأن الرجال ولكن بعد هذا بدأ التاريخ يروي لنا ان البنات كن يذهبن الى المدارس وابعث من ذلك على الدهشة ان معلميهن كانوا من الرجال وانهن

كن يتعلمن مع الصبيان جنباً الى جنب فقد ذكرت مدرسة للبنات في الكوفة في خلال القرن التاسع ، وفي حي بني عبس في الكوفة ايضاً كانت توجد مدرسة اولية (مكتب) كان بين تلاميذها فتاة ويظهر ان النساء الشابات كن يذهبن الى المدرسة ايضا مع البنات كما تدل على ذلك قصة رجل عقد آصرة صداقة مع معلم مدرسة من الكوفة لكي يتمكّن من التزود بنظرة من محبوبته التي كانت تلميذة في تلك المدرسة وكان خليل المعلم يعلم الصبيان والبنات في ذلك الموضع عينهُ وقيل ان الوليد بن عبد الملك من الخلفاء الامويين (سنة ٧١٥ م) اجتاز ذات مرة بموضع كان معلم مدرسة يعلم فيهِ صبياناً وفي جملتهم جارية تتعلم القرآن . فالجواري كن ينلن قسطاً من العلم ويستدل على ذلك من رواية قصها المرحوم البروفسور براون من جامعة كمبردج فقد ذكر ان جارية عرضت على هرون الرشيد (سنة ٨٠٩ م) بعشرة آلاف دينار فقبل شراءها بشرط ان تؤدي امتحاناً وهنا قال البروفسور براون :

« فامتحنها اشهر اساتذة الفقه والشرع والتفسير والطب والفلسفة والادب والشطرنج بالتتابع واحداً بعد الآخر ولم تقتصر على احسان الاجابة عن جميع اسئلتهم بل كانت تعقب على ذلك بسؤال توجههُ الى كل منهم فيعجز عن الجواب عنهُ »

ولهذه الشهادة قيمة عظيمة لانها تبين لنا كيف ان المسلمين في العصور الوسطى كانوا يعنون بتعليم العلوم العامة. وقد أيد صاحب الاغاني هذه الرواية برواية اخرى جاء فيها ان خالداً بن عبدالله ابتاع ثلاثين جارية بثمن غالٍ فالفاهن يقرأن القرآن ويجدن الغناء ويحفظن الشعر حتى انهن كن يروين جميع قصائد الكُميت الشاعر. ومما يستحق الذكر ان جارية من اسبانيا تلقت عن معلمها النحو واللغات ثم صارت حجة فيها بعدهُ

فيظهر اذن مما تقدم ان البنات كن يذهبن الى المدرسة مع الصبيان كما أنهنَّ كن يتلقين العلم في دورهن . واذا استغرب احد ما قلنا عن اشتراك الجنسين في تلقي العلم واختلاطهما او اذا خدع بما يراهُ اليوم من عادة تحجب النساء فليذكر ان هذه العادة ليست من عادات العرب بعد ما اثبتنا الآن ان نساء العرب كن يرافقن ازواجهن الى ساحات القتال ويشاطرنهم عبء الحياة العامة ويقرضن الشعر ويشتركن في تدبير الشؤون العامة. وقلما استعمل الحجاب او انكرت على النساء حريتهنَّ الاَّ في مجتمعات المدن وهي ليست مجتمعات عربية صحيحة وانك لتجد النساء الفلاحات في سورية وفلسطين سافرات كما ان نساء البدو لا يغطين وجوههن

﴿ المعلمات العربيات ﴾ ومما هو جدير بالذكر ان بعض النساء العربيات في عصرهن قد اتيحت لهنّ الفرصة للاشتراك في بث العلم في بلادهن وقد استقيت البرهان على ذلك بنوع خاص مما رواهُ ابن خلكان والمقري فقد ذكرا كثيراً من النساء اللواتي احترفن صناعة التعليم واليك اسماء بعضهن : —

فمنهن شهده بنت ابي نصر كانت احدى نساء الطبقة المتعلمة واشتهرت بمهارتها في التعليم ، وتلقى العلم على يديها كثيرون من الطلبة الذكور ، ويقال ان الامام الشافعي (سنة ٨٢٠ م) لما ذهب الى القاهرة حضر على نفيسة بنت ابي محمد واستمع للاحاديث التي كانت ترويها وقد اشتهرت هذه السيدة « بالصلاح والورع » كما اشتهرت بالعلم

وقد قال ابو حيان ان في جملة الاساتذة الذين تلقى العلم عنهم ثلاث نساء وهن : مؤنسة بنت الملك العادل (اخي صلاح الدين سنة ١١٩٦ م) وشاميه بنت الحافظ وزينب بنت عبد اللطيف . وهناك معلمة اخرى هي شهده الكاتبة بنت عُبرَي التي علمت عبد الرحمن الفقيه في كتاب الحديث الشهير ونعني بهِ « صحيح البخاري »

وفي اشبيلية مريم بنت ابي يعقوب وكانت تعلم النساء آداب اللغة ولم تكن معلمة فقط بل كانت شاعرة ايضاً. وقد روى ياقوت ان ابن عساكر تلقى العلم عن ١٣٠٠ معلم ونحو ٨٠ امرأة وكانت النساء يعلمن ويمنحن الاجازات (الشهادات) ايضاً كما ذكر ذلك ابن خلكان

وروى المقري المؤرخ الاسباني ان عرب الاندلس كانوا يفخرون بنسائهم المتعلمات وقد نقل عن احدهم قوله في باب المفاخرة : « هل انجبت بلادكم نساء كشاعرتنا ولادة المروانية التي تباحث الوزير ابن زيدون في الشعر . وهل لزينب بنت زياد من ندّ عندكم » ثم استطرد المؤرخ قائلاً ان اهل الاندلس رجالاً ونساء واولاداً كانوا متضلعين من آداب اللغة

مهما تكثر النظريات الشائعة بين المسلمين عن تعليم المرأة فالواقع يدل على ان النساء شاطرن الرجال الصناعات الادبية وقد ظهر مما اسلفنا ان البنات كن يذهبن الى المدرسة مع الصبيان وان الجواري بلغن درجة عالية من الثقافة والتهذيب وان النساء كن يعلمن الطلاب الذكور الموضوعات الادبية العالية

ولست ادعي طبعاً ان تعليم المرأة كان عاماً في البلدان العربية ولكن الامثلة الكثيرة التي اوردتها تدل على ميل حقيقي الى تمهيد السبيل للمرأة لتشاطر الرجل تلقي العلوم والتثقيف العقلي . اه

قبل ان يصيح الديك

(تتمة القصة)

ثم رفع محمود عقيرتهُ وصرخ باعلى صوتهِ . وبعد هنيهة اقبل روبرت نحوهما يظلع متعثراً وهو يقود فرسهُ المرهَق وحشو اجفانهِ واذنيهِ وانفهِ رمل كثيف سدَّ عليهِ منافذ البصر والسمع والتنفُّس وكاد يقضي عليهِ خنقاً . فبادر محمود اليهِ واخذ بيدهِ ومال دون سقوطهِ من شدة الإعياء وقال : —

« على مقربة منا قرية عرب سكانها من اصدقائي . فلعلك تفضّل المبيت فيها عند شيخ القرية »

— « لا استطيع الانتقال خطوة واحدة لان التعب آخذ مني كلَّ مأخذ — والموت اقرب اليَّ من حبل الوريد ان لم يُتَح لي الآن ان اضطجع واستريح »

فحاطهُ محمود بذراعهِ وهبط بهِ كهفاً فيهِ جامع صغير محجوب عن عيون الذين هم خارج الكهف . وهذا الجامع كان قديماً ، حسب رواية محمود ، مأوى واحدٍ من اولياء الله . وفيما هم داخلون قال محمود لرفيقهِ

« هنا تحت الارض حجرة يفزع اليها طالب النجاة فيأمن الخطر . ولكن الاهتداء اليها سرٌّ قلَّ من يعرفهُ غيري » ثم ضغط عرقاً في الحائط واذا بحجر كبير مستدير انفتح على مهل عن فرجة تكفي لدخول الانسان بسهولة . واستأنف محمود كلامهُ قائلاً : —

« نترك الجوادين هنا — فلا خوف من مغادرتهما هذا الملجأ لانهُ على ضيقهِ خيرٌ لهما من التعرض لمكاره الإعصار — واذا كنتما لا توجسان خوف صحبتي والمبيت في ضيافتي فسأبذل جهدي في توفير اسباب راحتكما »

وظلَّ ديفد وروبرت سنين طويلة يذكران تلك الساعات التي قضياها في حجرة الوليّ . فان محموداً أعدَّ لروبرت الخائر المنهوك فراشاً ليّناً من جلود الضأن أضجعهُ عليهِ وأطعمهُ ما تسنى عندهُ فأكل وغلبهُ نوماً عميقاً مريحاً . وجلس محمود وديفد يدخنان ويتسامران

لم يحاول محمود إنكار ما اتُّهم بهِ بل اعترف لضيفهِ بقتلهِ للعاشقَين . وفي اثناء

اعترافهِ بما جنتهُ يداهُ نمّت عيناهُ على الالم المبرّح العابث بنفسهِ من شدة حزنهِ على المرأة التي احبها من صميم فؤادهِ

وأخبرهُ ديڤد بالوسائط المتخذة لاقتفاء اثرهِ والقبض عليهِ . ولكنهُ ظلّ ، حتى بعد ما علم بعزم اخوي القتيلة على الاخذ بثأرها ، واثقاً بنجاتهِ وسلامة حياتهِ . فقال لديڤد : —

لا بدّ ان الحظ يسعدني فانجو من كل خطر يتهدّدني . لا لاني اطمع بلذّة الحياة بعد ما سئمتها بفقد من كانت موضوع حياتي وقبلتي في صلاتي بل لانهُ يعزُّ عليَّ ان أُقاد الى الموت اذلّ من فقع بقرقر[1] . ولن يحول دون نجاتي سوى الغدر . وهذا انا في مأمن منهُ . فسأبقى هنا الى الصباح . وكان حصاني قد أُصيب بالعرج ولولا ذلك لكنتُ الآن في اطراف السودان . ولكنهُ قد شفي مما اصابهُ . وغداً ينتهي الإعصار فيصفو محيّا الجو ويسهل السفر على من ارادهُ »

— « أصحيح هذا ؟ »

— نعم . فالليلة آخر عهدنا بهذه الزوبعة . وغداً صباحاً اذهب لطيّتي . وانتما تعودانِ الى القاهرة »

« حقق الله الآمال فقد ذقنا من الإعصار الامرّين وضللنا الطريق . ولكنك قادر ان تردّنا الى سواء السبيل »

— « سأفعل ذلك بملء الرضى والمسرّة . والآن خيرٌ لك ان تلتمس الراحة من عناء يومك برقاد تنعم بهِ ولو بضع ساعات

وفي تلك الليلة قضى الإعصار انفاسهُ كما توقّع محمود وبزغ فجر اليوم التالي مبشّراً بيوم صحوٍ وصفاء لامزيد عليهما . فاستيقظ محمود باكراً جدّاً وأعدّ القهوة لضيفيهِ . وقبلما برزت الغزالة من خدرها كان اولئك الثلاثة متأهّبين للانطلاق . فوقف محمود امامهما ودلّهما على طريق القوافل وكانا قد ضلاّهُ في اثناء الزوبعة . فقال لهُ ديڤد :

« نستودعك الله ونشكر لك معروفك العظيم . ولولاك لم يسهل على روبرت النجاة من مخالب الموت فأذهب في كلاءة الله وحفظهِ . وكن واثقاً كلّ الثقة باننا بعد مفارقتنا لك سننسى انّنا لقيناك »

(١) مثل يضرب في الذل

« اشكر لكما هذا الشعور العميق الصادق . ولست بموجس أقل خوف ما دامت سلامتي متوقفة على اخلاصكما وصحة ولائكما . والآن حانت ساعة . . . » ولم يتمكن من تتمة كلامه لان روبرت صاح بصوت عالٍ قائلاً : —

« لله ما اشدَّ طيشي وحماقتي ! فقد نسيت محفظة نقودي في حجرتك . سأعدو راجعاً لآخذها واعود باسرع من لمح البصر » فاعترضهُ محمود باسماً وقال : —

« لا . ليس في إمكانك الدخول الى الحجرة . امسك حصاني ريثما اذهب واعود في طرفة عين

٤

انطلق محمود يعدو الى الحجرة ووقف ديفد وروبرت ينتظران رجوعهُ واجمين ساكتين . وما لبثا ان سمعا ضجيجاً عالياً ووقع حوافر خيل واصوات هتاف تصيح مردّدة الفاظ الوعيد والتهديد والحثّ على الثأر والانتقام . فعراهما ذعر ارتعشت لهُ اعضاؤهما . والتفتا الى جهة الصخب والجلبة فأبصرا كوكبة فرسان مقبلين نحوهم وقد اطلقوا الاعنّة واشرعوا الاسنّة . وما أبطأوا ان اطبقوا عليهما وكانوا ستّة منهم اثنان كانا اخوَي ياسمين القتيل . وكان كلٌّ من ديفد وروبرت يعرف اللغة العربية فعلما من حديث هؤلاء الفرسان انهم يجوبون اطراف البادية مفتشين عن القاتل . فأحدقوا بهما ولجوا عليهما في ان يدلاَّهم على مخبإِ محمود . ولم يصدّقوهما عندما صرّحا بانهما لا يعلمان عنهُ شيئاً وانهما قدما من القاهرة للتنزه بالطواف في الصحراء . وفي بداءة الحديث كلّمهما رئيس هذه العصابة برقة ولين فعلّل ديفد نفسهُ بأنهم صدّقوا ما قالاهُ لهم وعما قليل يطلقونهما . ولكنَّ واحداً من الفرسان — وكان سابقاً في خدمة الصائغ لا لا — عرف الجواد الثالث واخبر رفقاءه بانهُ لمحمود بك فبات الرجلان الانكليزيان في ورطة يصعب عليهما الخلاص منها . على انهما تذرعا بالحزم والثبات واصرّا على إنكار كل علاقة بالقاتل . وقال ديفد : —

« قد يكون هذا الحصان للرجل الذي تقتفون اثرهُ . واذا صحّ ذلك فليس بعيداً ان يكون فارسهُ ملقىً ميتاً في القفر . ونحن قد عثرنا على الفرس ليلة امس في اثناء الإعصار وكان عاثراً بلا فارس . فأخذتنا الشفقة عليهِ وابقيناه معنا » فردَّ عليهِ رئيس العصابة قائلاً : —

« ليس الامر كما ذكرت بل حيث يكون الفرس يكون الفارس . انكما رجلان انكليزيان لا شأن لنا بكما . ولكن اذا اصررتما على الانكار وأبيتما ان تدلانا على القاتل الذي تعلمان مقرّهُ فاننا نحتزّ رأسيكما وندفنكما في الرمل » فاجابهُ ديفد بحزم وثبات جاش : —

« لا تجسران على مسّ شعرة منا لاننا انكليزيان . وهبكم قتلتمونا فلستم بمعيدين القتيلة الى الحياة » . فصاح بهِ الرئيس صيحة الغيظ والحنق وقد قدحت عيناهُ شرر السخط والغضب : —

« صه ايها الكلب ! والا عجلت في إخماد انفاسكما ومواراتكما حيث يتعذَّر العثور على آثاركما »

فهمس روبرت في اذن ديفد قائلاً : —

« هذا صحيح ! فان فتكهُ بنا من اسهل الامور عليهِ . ونحن لا ناقة لنا في هـذا ولا جمل . فلماذا نتعرّض للخطر بلا اقل مسوّغ ؟ » فأجابهُ ديفد والغيظ آخذ منهُ كل مأخذ : —

« اتجدّ تقول هذا يا روبرت ؟ وهل مرادك ان تبوح بما نعلم طمعاً في انقاذ جسدك الحقير الدميم ؟ ومن المحقق عندي انهم لا يجسرون ان يمسونا باذى . لا تعبأ بوعيدهم وتهديدهم . فما قليل ترى انهُ برق خلّب وغيث جهام » ولكنّ واحداً من الفرسان ملّ سماع حديث بلغة يجهلها فانهال عليهما بالشتم والسبّ . وعاد الرئيس الى سابق الانذار والتهديد ناصحاً لهما ان يخبراهُ اين يختبئ محمود بك وهو يعدهما بأنهُ يطلق سراحهما ويقيهما من كل خطر وضرر . ولم يرتب ديفد في وفائهِ بوعدهِ ولكنهُ أبى ان يغدر بمحمود الذي آواهما وانقذ حياة روبرت من خطر الموت واصرّ على قرارهِ الاول لم يحد عنهُ قيد شعرة

وفيما كان واحدٌ من الرجال يجول حول البقعة التي كانوا واقفين فيهـا عثر على الجامع الصغير وخفّ مسرعاً الى رفقائهِ يبشّرهم بما كشفهُ . ولكنّ تفتيشهم للجامع لم يجدهم نفعاً لان محموداً كان عند ما نزل ليفتّش عن محفظة النقود قد احتاط لنفسهِ واغلق الحجر خلفهُ

وهذه الخيبة الاخيرة اضرمت نار السخط والاستياء في قلب رئيس العصابة . فالتفت الى ديفد وقال لهُ وشرر الحنق يتطاير من عينيهِ : —

« إن لم توضحا لنا وجود جواد محمود بك معكما على وجهٍ مقنع ببرهن صحة دعواكما بعدم معرفة مقرّهِ فاننا سنتخذ وسائل عنيفة تضطركما الى الاعتراف مكرهين ثم تكلف الرفق والهوادة وقال مخاطباً ديفد : —

« يظهر لي ان رفيقك على غير شاكلتك . واظنهُ يسهل حملهُ على ان يقول الحقّ اذا فوضتُ استنطاقهُ الى سليم » (وهو سوداني ضخم الجثة شرس الاخلاق) فلما سمع روبرت هذا الكلام وعلم انهُ هو المعنيُّ بهِ صرخ هالعاً مذعوراً وقال : —

« ويلاهُ ! يقتلونني ! أغثني يا ديفد اغثني . ليس في طاقتي احتمال هذا الامر ؟ ولا انا ممن يروم ان يسعى الى حتفهِ بظلفهِ . فحياتي وحياتك معرّضتان لخطر الموت فداء حياتهِ . يجب ان تنقذ حياتنا ولو آل الامر الى إفشاء سرّ محمود ؟ »

وحين سمع الرئيس اسم محمود لم يبق عندهُ اقلُّ ريب في صحة ما اتّهم هذين الرجلين بهِ . ومن فورهِ أهاب بسليم فانقض على روبرت وشدَّ وثاقهُ وانبرى لهُ رجلٌ آخر شاهراً خنجراً كبيراً ليطعنهُ بهِ

فحمل ديفد على حامل الخنجر . ولكنَّ اثنين من الرجال الباقين هجما عليهِ وطوّقاهُ بأيديهما وحالا دون تمكنهِ من ابداء اقلّ حركة مع كل ما اظهرهُ من البسالة وشدة البأس في محاولة الإفلات منهما . ومع وقوعهِ في قبضتهما لم يصدّق انهم يتعمدون الفتك بهِ او برفيقهِ وعدَّ عملهم هذا إسرافاً في التهديد والإرهاب ليرغموهما على الاعتراف بما يعلمانهِ عن محمود . ولكن لما شعر روبرت بوخز الخنجر في ذراعهِ انتفض متلوّياً من شدة الألم وصرخ صرخة الجزع والقنوط وما عتّم ان باح بسرّ مخبإِ محمود في قبر الوليّ

ولم يكن ثمَّ من حاجة الى البحث والتفتيش لان صراخ روبرت رجَّ طبقات الهواء وتجاوبت اصداؤهُ من جميع الجهات وعلى أثرهِ اقبل محمود صاعداً من مخبإِهِ وهو يطلق النار من مسدّسهِ دفاعاً عن الرجلين اللذين عدّهما من اصدقائهِ

وكان الفصل الاخير من هذه الفاجعة قصيراً جدًّا . فبعد هنيهة كان جثمان محمود بك ملقى على الرمال وقد غادرهُ رصاص أعدائهِ كغربلة الغربال . وغشيت الافق من ناحية الجنوب سحابة نقع[1] كثيفة دلّت على ركون العصابة الى الفرار بعد ما نالت مبتغاها

(١) غبار حوافر الخيل

وكان روبرت قد شعر ولو موقتاً بسقوط شأنهِ الادبيّ حتى في عيني نفسهِ . فخرّ على وجههِ وأمعن في النشيج والشهيق . أما ديفد فجثا بجانب جثة ذلك الذي اخلص لها الود ووثق بوفائهما واماتهما وقال بصوت تقطعه زفرات الغمّ والاسف : —

« ايها الصديق الوفيُّ الامين ! . وضعتَ ثقتك بنا . ولكنك في الساعة الاخيرة من حياتك ظننتَ أننا كلينا اسلمناك وغدرنا بك » . ثم رفع صوتهُ قليلاً وقال : —

« والله وحدهُ يعلم اني افضّل ان اموت اشنع ميتة على ان ارتكب هذا الاثم العظيم . ولكنك فارقتَ الحياة وانت جاهل لهذه الحقيقة »

ثم نهض من مجثاهُ وذهب الى حيث كان رفيقهُ . فرمقهُ بنظرةٍ شفت عما كان في قلبهِ من شدة الاحتقار لهُ وفرط الاسف على محمود بك وقال لهُ : —

« قم يا روبرت . فقد ذهبوا وزال عنا الخطر »

فقال روبرت وهو يحاول التنصل والدفاع عن نفسهِ : —

لعلك تجهل يا ديفد لماذا ابيت ان اموت ! فقد حرصتُ على حياتي لاني رمتُ العودة الى القاهرة لاشاهد ايفا لورين . فانا مشغوف بها حبًّا . وسأعرض عليها الاقتران بي . فان اجابت سؤلي . . . . . »

فاعترض ديفد تتمة كلامهِ بقولهِ لهُ : —

« لن تجيب سؤلك لاني خطبتها منذ ثلاثة اسابيع »

« ومع ذلك وطّنتَ نفسك على الموت بايدي أولئك الاجلاف الاوغاد ؟ »

« نعم . لاني لم اشأ ان اعود اليها موصوماً بعار الغدر والخيانة ! ولعلك تذكر قولك لي منذ وقتٍ قصير انك لن تُقدم على خيانة صديقك حتى في سبيل انقاذ حياتك »

ثم تحوّل عنهُ وعاد الى حيث كانت جثة محمود بك فوقف مطرقاً حاسر الرأس خاشع الطرف ينظر الى شهيد المروءة والوفاء وفؤادهُ صالٍ لظى الكآباء . وحينئذٍ صاح ديك من قرية العرب التي بين كثبان الرمال

ترجمة : اسعد خليل داغر

البلاغة في الفضاء

او الوصل والفصل في العالمين

درس اعوص المسائل الطبيعية بابسط الاساليب واوضح الامثلة
آخر مراحل العلوم الطبيعية — ملتقى العلم والفلسفة

سئل الفارسي : ما هي البلاغة ؟ فقال : هي معرفة الفصل من الوصل . فهل درى الفارسي ، ومن سأل الفارسي ، انهُ بذلك رسم كنه العلم الطبيعي ؟ .فقد سأل نبيه اعمى احد الشبان الذين شرعوا في درس الطبيعة ، قال : هل يمكنك ان تصف لي الفلسفة الطبيعية بكلمة واحدة بحيث اتصوَّرها تصوّراً اجماليًّا ؟ . قال الشاب : نعم ، فكيف تفهم الجسم البشري ؟ . قال الاعمى افهم انهُ قطعة متصلة. قال الشاب وكيف تفهم نجوم السماء ؟ . قال اتصورها اجراماً منتثرة في ساحة الفضاء . قال الشاب : ان الفلسفة الطبيعية تعلمك ان هذا الجسم الذي تلمسهُ ليس قطعة واحدة ، بل هو مؤلف من ذرات هي كالاجرام السموية ، لا صلة بين الذرَّة واختها ، وانها على ابعادٍ ثابتة كالنجوم . ومع ذلك فهي تؤلف جسماً واحداً . هذا ما قالهُ الشاب في العلم الطبيعي قولاً اجماليًّا . ولا شيء يدهشني كانطباق الاكتشافات الطبيعية الحديثة على القولين المنقولين ، قول الفارسي ، وقول الشاب الفيلسوف . فان ميدان الطبيعيات من جماد وسائل وبخار ،من اكبر الاجرام السموية الى اصغر الايونات — الذرات المكهربة — انما هو ميدان فصل ووصل ، او اتصال وانفصال . ومهما يدرس الباحث،ومهما يتعمق ويكتشف فهو لا يخرج عن حدود « الفصل والوصل »

وقد دلتنا المكتشفات الطبيعية الاخيرة ، التي محورها حل الجوهر الفرد ، الى الاجزاء التي يتألف منها ، على حكمة ذلك القول ، الذي كنا نحسبهُ من قبل قولاً شعريًّا . فقد ثبت بالاختبار والفعل ان الجوهر الفرد — الذي كان يحسب فيما سلف اصغر اجزاء المادة ، او الجزء الذي لا يتجزأ — هو نظام شمسي مصغَّر . ففيهِ جزء صلب متين مركزي يدعى « البروتون » ، هو في الجوهر الفرد كالثابت النجمي في نظامهِ . وحولهُ ذرات صغيرة تدعى كهارب ، او الكترونات ، هي منهُ كالسيارات من الثابت الذي تدور حولهُ . وان تلك الكهارب تختلف عدداً في مختلف العناصر ،

وهذا هو السر في اختلاف الجواهر وزناً وصفةً . وان لكل كهرب من الكهارب فلكا خاصًا ، يدور فيهِ حول بروتونهِ ، دوران الكواكب حول الشمس . فالجوهر الفرد نظام شمسي مصغر ، والنظام الشمسي جوهر فرد مكبر . انما يختلفان في امر واحد وهو ان الكواكب تلازم افلاكها — كل في فلك — فالارض في فلكها ، بين فلكي الزهرة والمريخ ، منذ وجد النظام حتى ينحل ويعود الى الحالة السديمية او يتفرق في الفضاء باقتراب جرم كبير منهُ يجذب بعض اجزائهِ اليهِ وهذا غير محتمل على ما يعلم . وليست الكهارب كذلك ، فانها قابلة للانتقال من فلك الى فلك. فاذا انتقلت من فلكها الى فلك داخلي هو اقرب الى الكتلة المركزية — البروتون — تقلصت المادة ، او بالحري نقص حجمها .واذا كان الانتقال من فلك داخلي الى فلك خارجي، تولد من ذلك ما يسمونهُ « مادة اضافية» وهذا الجزء من المادة الذي يسمونهُ «الاضافي» قابل للحل او الفناء—اذا صح استعمال هذه اللفظة—وحين ينحل او يتلاشى لتصادمهِ باخيهِ تتولد عنهُ الاشعة وهي متنوعة الاوصاف من الاشعة التي فوق البنفسجي الى الاشعة التي تحت الاحمر ، ومنها اشعة رنتجن ، واشعة ملكن ، وغيرها من الاشعة التي تجعل صفائح الفولاذ شفافة ، وتريك ما وراءها ، او تريك ما في الظلام . وليست هذه القضايا من بنات الخيال بل هي موضوع اشتغال اقطاب هذا الفن في المختبرات الطبيعية في انكلترا واميركا والمانيا وفرنسا وايطاليا والدانمارك واسوج وهولاندا وفي سائر الممالك المتمدنة . فانهم يحلون الجواهر الفردة ، ويرون كهاربها ، ليس بالعين بل بالفعل، بوسائل وكيفيات لا يتسنى لنا تبيانها هنا

فما الذي يصل تلك الذرات بعضها ببعض فتؤلف الجواهر الفردة ؟ .وما الذي يصل الجواهر الفردة بعضها ببعض فتؤلف العناصر المادية اوالبسائط الكيمية ؟. وما الذي يصل دقائق تلك البسائط بعضها ببعض فتؤلف الاجسام العضوية ؟ . ما هوالرابط او الجامع؟ هذا هو آخر مواطن البحث الطبيعي .قال فارادي ابو الكهربائية الحديثة ما نصه :—

«عند ما افكر بعلاقة الفضاء، بالقوة المغنطيسيّة ،واتأمّل صفة الظاهرة المغنطيسية العامة ، خارج المغنطيس ، أراني اكثر ميلاً ، الى الاعتقاد بوجود عملٍ لها خارج المغنطيس ، من التسليم بان تلك التأثيرات هي مجرَّد جذب ودفع عن بعدٍ . وعمل كهذا هو من وظائف الاثير . فلا يبعد انهُ ، اذا كان هنالك من اثير ، ان تكون لهُ وظيفة اخرى غير نقل الاشعة » : انتهى قول فارادي

وقال السر اوليفر لدج العالم الطبيعي الشهير ما يأتي : « ان اشهر اختباراتنا على سطح هذا السيار — الارض — هو مشاهدتنا تأثير جسم في جسم آخر. ترى حصاناً يجرُّ عربة ، او مغنطيساً يجتذب قطعة حديد ، او تفاحة تسقط من شجرة الى سطح الارض بفعل الجاذبية ، وترى اللاعب بكرة القدم يقذفها بقدمه ، او برأسه ، وترى البندقية ترمي طائراً برصاصها ، او ترى نفسك تنزع قبعتك عن رأسك ، او تفتح نافذة او ترمي حجراً . وقلما تتجاوز اختباراتنا في هذا الوجود هذه الاختبارات ، اعني تأثير جسم في جسم آخر

« على ان هنالك اختلافاً واضحاً بين متنوّع الاحوال ، في الامثلة المذكورة . ففي بعضها كان الجسمان المتفاعلان متصلين وفي بعضها منفصلين وبعيدين ، لاصلة بينهما . وتأثير جسم في جسم آخر عن بعد ، امر يحتاج الى ايضاح اكثر من التأثير الحاصل في جسمين متصلين

« وقد تخطر على بالك امثلة اخرى عن تأثير جسم في آخر ، ربما كانت اقرب الى فهمك من هذه الامثلة. فأنك تؤثر في كلبك عن بعد ، بان تصفر لهُ ، او ترمي عصاك في الماء فيسرع لانتشالها بفمهِ . وكذلك تؤثر في شخص آخر اما بالصراخ ، او بالكتابة ، او بارسال برقية اليهِ »

ولكن في كل هذه الاحوال تعلم ، او يجب ان تعلم ، انهُ لابد من واسطة تعمل بينك وبين من تؤثر فيه . وان تلك الواسطة تحمل التأثير وتحقق المقصد . فلا بد من واسطة بها يعالج الفاعل المفعول لوصول الاثر اليهِ . وقد ينشأ في ذهنك هذا السؤال وهو : هل يصل التأثير دائماً بطريق مباشر، او يوجد بين المتفاعلين، ما يماثل المقذوفات او الاسلاك الموصلة بين منفصلين ، وهل الواسطة مطّردة ؟

لقد حيَّرت هذه المسألة الفيلسوف نيوتن ، فلا غرابة اذا حيَّرتك. فان الارض لاتفعل بالتفاحة ، او بالحجر الساقط من الجو فقط ، بل هي تؤثر في القمر في كبد السماء . ولا ريبة في ان الفضاء بين الارض والقمر خالٍ من واسطة مادية . كذلك تسود الشمس على سياراتها وتؤثر في ابعد نجوم السماء . وان كان التأثير عن بعد امراً غير مفهوم عندنا ، نظراً الى بُعد الشقة بين الشمس والنجوم

فالذين يفكرون في هذه الامور يميلون الى السؤال : — هل ما نراه من الانفصال، بين الاجرام هو حقيقي او ظاهري فقط ؟ . وهل تؤثر الاجرام بعضها في البعض

الآخر مباشرة أو انهُ يوجد بينهما موصل ؟ وخلاصة ما ينتج عن التفكير والبحث في هذه النقطة مسألتان متضادتان

الاولى : لا تأثير للجسم خارج حدوده

الثانية : لا اتصال بين جسمين على الاطلاق

وبعبارة اوضح ، ان الاتصال بين اجزاء المادة « مستحيل » . فلا بد من فسحة بين كل جسمين ، مهما التصقا . وفي تلك الفسحة تستقر الصلة التي تحمل القوة من المؤثر الى المتأثر . ويلزم ايضاح كلٍّ من هاتين القضيتين على حدة ، وتبيان علاقتهما بموضوعنا الطبيعي الخطير

ويلوح لنا ، لدى اول نظرة ، ان انكار الاتصال بين المواد ليس امراً ضرورياً لانهُ يحوّل امراً كليَّ الوضوح، الى نوع كليٍّ الابهام والخفاء . فان الاتصال يظهر لنا معقولاً اكثر من التأثير عن بعد . فيحتاج الامر الى شيء من الايضاح والتبيان . فلنتقدم اذاً لدرس هاتين القضيتين

فان القضية الاولى « لا تأثير للجسم خارج حدوده » تنطبق على الشعور العام . ولكن هنالك مسألة تعترض بحثنا وهي : — ان الاتصال في جذب المغنطيس لقطعة من الحديد ؟ . فهل تأثير المغنطيس محصور ضمن حدوده ، او انهُ يمتد الى حدّ معين من البعد عنهُ نسميه « منطقة نفوذه » ، فتنبعث القوة منهُ ، وتصل قطع الحديد ضمن حدود تلك المنطقة ، بسرعة لا ندركها ، وعلى كيفية لا نتصوّرها ، فتجتذبها ، ولو ان الحواس لا تدرك مستقر تلك القوّة ، وكيفية فعلها ؟

والامر العلمي الخطير ، الذي لا يجوز لعالم إغفاله هو : ان انتقال التأثير من المؤثِّر (بكسر الثاء) الى المؤثَّر فيهِ (بفتح الثاء)لا بد منهُ. على انهُ قد يكون من شكل الوسط المؤلف من المؤثرين ، وقد يكون ذا شكل آخر ، او عديم الشكل الهندسي والبناء الطبيعي على الاطلاق — كالجاذبية مثلاً — ومع ذلك فهو رابط قانوني يقيني الوجود . ومنهُ جاذبية الملاصقة العاملة بين ذرات العنصر الواحد وقوة الالتصاق العاملة بين ذرات عناصر متمايزة . وقد يكون غير ذلك من الربط التي لا يزال كنهها ، الى الآن تحت البحث، كالمغناطيسية والجاذبية العامة ، وهي من اهم النقط التي تلامسها النسبية التي عني بها الاستاذ البرت انشتين الشهير

هنا نودع الكلام . وسنعود اليهِ ان شاء الله

حنا خبّاز

العلم والعمران بعد غد

قوة العناصر المشعة

ان قوة الشمس، وهي جانب من القوة الكونية، مدّخرة في الجواهر الفردة التي تكوّن منها المادة ولا بدّ ان تبنى نتائج خطيرة على اكتشاف هذه الحقيقة الاساسية

فقد كان اكتشاف مدام كوري لعنصر الراديوم باعثاً قويًّا لاستنهاض همم العلماء فاخذوا ينقبون عن الوسائل التي يتوسلون بها لاطلاق القوى الهائلة الدفينة في العناصر المشعة ثم اخضاعها لمنفعة الناس. وقامت طائفة كبيرة من علماء الانكليز والاميركيين والفرنسيين والالمان بتجارب بديعة في اسلوبها خلابة في إحكامها فكشفوا عن القوة الرائعة التي تفوق حدود التصور الكامنة في المواد المشعة وتنبعث منها انبعاثاً محدوداً واثبتوا ان الجواهر الفردة في هذه المواد تطلق في كل الاحيان قوة كهربائية تتغيّر المادة بانطلاقها من شكل مادي الى شكل آخر — فاذا كانت المادة معدناً تحوّل الى معدنٍ آخر كما يحدث في الراديوم إذ يتحول الى رصاص. ونذكر في مقدمة هؤلاء العلماء وليم رمزي وارنست رذرفورد البريطانيين ورتشردز الاميركي وبكرل الفرنسي وجيزل الالماني

هذه القوة التي كشف عنها العلماء ما زالت تنطلق من المواد المشعة منذ ملايين السنين ولكن ما انطلق منها بانحلال الجواهر الفردة لم يحدث خسارة ظاهرة بعد في المادة الاصلية

وأشار الاستاذ صدي الى ذلك في كتابه المسمى « العلم والحياة » قائلاً :

إن وجود الراديوم وهو المادة التي تولد من تلقاء نفسها اشعاعات قوية يستطاع تحويلها الى نور وحرارة — وعلاوة على ذلك لا تستطيع الانقطاع عن هذا الاشعاع — جاء مناقضاً لكل قاعدة من قواعد العلم الطبيعي

وربَّ سائل يسأل: ما مدى القوة التي تنبعث من الراديوم عند الاشعاع ؟ والجواب انهُ عند كشف مركبات الراديوم النقية قيس مبلغ القوة التي تتولد منها فاتضح ان القوة في غرام واحد منها تكفي لتسخين غرام من الماء، من درجة التجمد الى درجة الغليان في ٤٥ دقيقة وينتج من ذلك اننا اذا اخذنا قدراً من الراديوم ومثلهُ من اجود انواع الوقود تولد من الاول حرارة في ثلاثة ارباع الساعة كالحرارة التي يولدها الوقود الآخر في ثلاثة ايام

ففي خمس عشرة سنة ينبعث من الراديوم مقدار من القوة يكاد يبلغ الفي ضعف القوة التي تصدر من الوقود ومع ذلك يبقى ذلك المقدار من الراديوم حافظاً لكيانهِ لا تبدو عليهِ أية علامة من علامات الاستنفاد . ويقال ان حرارة الراديوم عند موازنتها بحرارة اشتعال الفحم الحجري تفوقها بنحو ثلث مليون ضعف . وان الرطل الواحد من الراديوم يولد قوة تساوي القوة التي يولدها ١٥٠ طنًّا من الديناميت

وفي المواد المحيطة بنا مقدار من هذه القوة لا ينفد مصدرهُ ، فاذا تيسر للعلماء السيطرة عليهِ واستخلاصهُ ثم استخدامهُ — وبعض العلماء يرون انهم موشكون على ادراك كنه ذلك السر — فيضت للجنس البشري قوة لا حدَّ لها ، اذا قيست بجميع ضروب القوى من فحم حجري ، وزيت معدني ، وماء ينحدر ، فاقتها اضعافاً ، فيضطر الناس الى اغفال تلك المصادر اذ يصبحون مسيطرين على المنبع الفعلي والمصدر الحقيقي للقوة

اخضاع القوة

ولا تمرُّ سنة الآن من غير ان يجرب العلماء طريقة جديدة من شأنها ابدال القوى المستعملة الآن بغيرها او تقويتها حتى تتضاعف فائدتها . فالكيماويون يكدون اذهانهم في ابتداع ضروب من الوقود لعلها تحل محل الفحم الحجري والزيت المعدني

ومن اولئك العلماء فرنسويان وهما الاستاذان « برودوم » و« هودري » كادا يفوزان باستنباط نفطٍ صناعي بطريقة كيماوية وذلك من اللجنيت اي الفحم الحجري الاسمر الذي تملك منهُ فرنسا مقادير كبيرة في اراضيها واراضي مستعمراتها

ويجرب مهندسون آخرون تجارب غايتها اخضاع احدى القوى التي استخدمت قديماً في الصناعة الحديثة ، ويرى بعضهم استخدام الريح من جديد لتدوير الدواليب . وقد تنبأ (هولداين) بحلول يوم تغص فيهِ بلدان الريف بالطواحين الهوائية المعدنية وهذه تدوّر المحركات الكهربائية فتولد المحركات تياراً كهربائيًّا قويًّا يجمع ثم يوزع وما يفيض منهُ يستعمل لحلّ المياه الى اوكسيجين وهيدروجين . لان هولداين يقول إن الهدروجين السائل افضل الوسائل لخزن القوى

وقد استنبط الدكتور انطون فلتنر الالماني استنباطاً جديداً لاستخدام قوة الريح في تسيير السفن ومدار استنباطهِ اسطوانتان طول كل منهما مائة قدم وقطرها ١٠ اقدام يقيمها في السفينة وتديرها الآلات التي في قعرها بمتوسط مائة دورة في الدقيقة فاذا هبت ريح ولطمت هاتين الاسطوانتين حين دورانهما سيّرت السفينة في جهة

عمودية لجهة هبوبها وكانت قوة الريح اربعة اضعاف ما تكون اذا نفخت في شراع . ويستطاع التحكم في تسيير السفينة بتغيير الاتجاه الذي توجه اليهِ السفينة وبتغيير دوران هاتين الاسطوانتين كما يستطاع التحكم بتسييرها بتغيير وضع الشراع اذا كانت شراعية

وليس الغرض من هذا الاستنباط ايجاد وسيلة جديدة لتسيير البواخر بل الاستعانة بهِ حين هبوب الريح على الاقتصاد فيما يوقد فيها من الفحم وقد بنيت في المانيا وانكلترا عدة بواخر من هذا القبيل

وتُجرَّب التجارب الآن لاستخدام الريح على هذا المنوال لتدوير الآلات البخارية وتوليد النور والحرارة بنفقات زهيدة في البلدان التي يندر فيها الوقود

وفي الوقت نفسهِ يزعم احد اساتذة مدينة بتروغراد أنهُ اخترع آلة تدور بقوة الشمس مباشرة — ولعلها ثمرة لتوسعهِ في التجارب الكيماوية التي باشرها الدكتور كوبلنتس Coblentz احد علماء قسم المقاييس بالولايات المتحدة الامريكية وهو الذي انتج مقداراً صغيراً من القوة الكهربائية بتعريض بعض العناصر الكيماوية لضوء الشمس داخل زجاج ملوَّن

والغاية من كل هذه المباحث الخاصة بالقوة هي الغاية القديمة نفسها التي من شأنها تعزيز قوة الانسان الفردية واستبدال الوسائط الميكانيكية بها استبدالاً يمكنهُ من جمع المال وتوزيعهِ في زمن اقصر من الزمن الذي كان يستغرقهُ حتى الآن فيخفف اعباء التعب البدني التي يتجشمها ويتسع امامهُ الوقت للهو والسرور والرياضة ويتاح لهُ توثيق عرى الالفة بين الطوائف البشرية

فهل زيادة القوة الميكانيكية ينشأ منها فعلاً رخاء الجنس البشري؟ وهل هي تخفف من وطأة الجهاد لاجل البقاء؟ او هل هي تذكي نار الجهاد والتنافس بين صناع الآلات في العالم؟

التراسل الفكري

ولقد ارتقت وسائل المواصلات ارتقاء مطَّرداً فقصَّرت الابعاد الشاسعة وقربت الممالك بعضها من بعض وقد صحبها في العهد الاخير اتقان وسائل المخاطبات التي جعلت التراسل الفكري بين الشعوب المختلفة في حيز المألوف من شؤون العمران . وفي ذلك كما في غيرهِ كان للعلماء والمستنبطين ابلغ اثر في تجهيز الحضارة بما يغيّر معايش الناس واحوالهم الفكرية وعاداتهم الاجتماعية وملاهيهم تغييراً يضاهي التغيير الذي طرأ على احوالهم المادية

ومع ذلك نحن واقفون عند مطلع عصر جديد وقد بدأنا فقط ندرك طرفاً من العجائب التي كشفت حديثاً — العجائب التي لو ظهرت في العصور الخالية لعدها الانام معجزات . وبها اخذنا ننتقل من عالمنا المادي الى عالم بعيد عن المادة — الى مقدس القوى الازلية

قد يكون غلوًّا في الاطناب وصف استنباط يطلق عليه اسم الراديو او اللاسلكي ونراه كل يوم في دورنا ودور جيراننا هذا الوصف . ومع ذلك نقول ان في هذا الاستنباط قوة سوف تغير قوى الانسان المفكرة ، اذا ما استطاعت قوة في الوجود تغييرها . ان المستنبطات اللاسلكية ظاهرة فذة من مظاهر القوة الجديدة التي ستمكن الانسان من السيطرة على الحياة الى حدٍّ لم يخطر له في الحلم — هذا اذا تمكن من الانتفاع بها — بل انها مثال آخر من امثلة قوة الجواهر الفردة او نموذج من نماذج تحرك الالكترونات تحركاً ازليًّا — او هي صورة من صور اشعاع القوة التي ترى العلماء مكبّين على استقصائها في كل اشكال المادة

وقد فتح اللاسلكي للجهلاء والاميين ميداناً جديداً من ميادين العلم الواسعة كما اكسبهم عواطف اسمى مما كان لهم في سابق حياتهم اذ صير البلدان والافكار متصلة بعضها ببعض . ويجب الاَّ نغض من مبلغ التأثير الذي احدثه الى الآن في الافكار البشرية اسلوب اذاعة الانباء بالطريقة البرقية اللاسلكية التي انتشرت في بلدان اوربا واميركا وأملنا ان تجعل هذه الاذاعة في المستقبل اقل ابتذالاً مما هي الآن عند بعض مرسليها

ومع ذلك ليس الصوت الذي يخرج من حنجرة المتكلم الجهير ولا ذكاء المتكلم او الخطيب او المغني هما ما يجعل اللاسلكي عجيبة من عجائب الدهر ، بل العلم باننا نملك اداة لنقل الافكار نقلاً قريباً من الاسرار الخفية يمدّ المخلوقات البشرية بقوى تكاد تفوق ادراك العقل لانها ارفع مما وصل اليه العالم المادي الذي كنا نعتقد قبلاً اننا درسناه وعرفنا اسراره وخفاياه

بيد اننا ما زلنا في فاتحة هذا العلم الحديث والعلماء يعدّون وسائل مختلفة يتقنون بها استخدام اهتزاز الجواهر الفردة فيستعملون الحرارة ، والضوء ، واهتزازات الصوت ، وسائل للتغلب على الوقت والمسافات . ثم ان نظام الشعاع الذي اخترعه ماركوني للتليفون اللاسلكي قد اجتاز دور التجربة والامتحان وتعداه الى دور التطبيق العملي فمن الممكن الآن حصر الاشعة اللاسلكية الاعتيادية وتوجيهها في جهة معينة

بنظام من شأنهِ عدم ضياعها هدراً عند ما ترسل من انكلترا الى كندا او استراليا فيمكن استقبالها فقط في منطقة ضيقة فيجتنب توزيع الامواج الاعتيادية توزيعاً عاماً في العالم . وهذا ما يفضي الى استعمال قوة أقل في الجهاز المرسِل والى زيادة الجلاء في الرسائل الملتقَطة . وقد قال مدير ادارة شركة ماركوني انهُ لا توجد صعوبة ما تحول دون انشاء نظام تليفون لاسلكي ، في هذه السنة ، بين بريطانيا العظمى وكندا وغيرها من املاك التاج البريطاني

هذا وقد اسفرت التجارب الحديثة التي جربت في اسلوب « البيم » اللاسلكي بين ثغري جرجسي في انكلترا ، وملبورن في اوستراليا عن نتائج باهرة وبذا يتمكن جُمّاعُ الناس في ربوع الامبراطورية كلها من محادثة بعضهم بعضاً بسهولة ووضوح كما يحادث الواحد الآخر بالتليفون في المدينة نفسها او القرية عينها

فاذا ما حُقّق هذا الامر في الامبراطورية البريطانية تحقق أيضاً مثلهُ في الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من ممالك العالم فتصير ذات نظام تليفوني واحد عام ينطوي على ملايين من المحادثات التي تقطع بعضها بعضاً في الفضاء في كل جهة

وقبلاً تمكن الناس من محادثة بعضهم بعضاً بالامواج اللاسلكية الاعتيادية فيما بين الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا ، وللآن كما يقول المتهكمون ، ما من احد في أي جانب من جانبي الكرة الارضية استطاع ان يقول شيئاً جديراً بالذكر يعادل سعر المحادثة . ثم ان الآلة المستعملة للمخاطبات أشد غرابة من ذكاء الانسان نفسهُ الذي يستعملها

ولكن ، ايقف هذا الذكاء البشريُّ عند مستواه الحاضر ؟ وهل تتغيَّر الاخلاق بتأثير التواصل بين فكر وآخر ، وبين امة وأخرى ؟ هذا ما لا يمكن التكهن بهِ

وقد يأتي يوم يتمكن فيهِ احد الناس ان يقول ما هو حريٌّ بالقول وجدير بأن تسمعهُ المسكونة طُرًّا راجية رجاءً جديداً في حسن مصير البشرية . اوعلى الاقل شاعرة شعوراً جديداً بالحكمة . وانا لنرجو الاَّ يكون ذلك القول انذاراً يهدد بدنو الدينونة !

تقدم الرؤية عن بعد

وما عمَّ اختراع السمع عن بعد (اي التلفون اللاسلكي) ان ظهر في حيز الوجود حتى عقبهُ الامل باتمام اختراع آخر وهو (الرؤية عن بعد) — ويسمى التليفِزن وقد عرَّبناهُ تلفزة والفعل تلفَزَ والآلة تلفاز — وبهِ ينتظر ان تذاع اقوال الناس وصورهم

في وقت واحد فيرى المرء الاشخاص ويسمع حديثهم وهو جالس في داره ، مما جعل احد العلماء يشتق لذلك الاختراع لفظاً سمّاهُ به وهو—أوريفيزن—أي الرؤية بالاذن او السمع بالعين

وبعد مضي ٢٥ سنة من اليوم كما يقول المستر تشاتّان Mr Chattan سوف تصنع آلات (الاوريفزن) من حجم واحد وشكل متجانس تنطوي كل آلة منها على جهاز عملي قد لا يُستغنى عنهُ في اكثر البيوت — وسوف تكون آلة الاستقبال مركبة في الدار بحيث لا ترى وتمتد منها ادوات جهيرة الصوت متوارية عن الانظار في غرف السكنى وهذه الادوات الجهيرة الصوت تقوي كلَّ الامواج الصوتية التي يمكن للاذن سماعها وتعيدها كلاماً مفهوماً او موسيقى شجية من غير ان تشوهها

وآلة الرؤية عن بعد — التلفاز — تسجل بأمانة وبألوان طبيعية فصول الحوادث الرائعة وشُرُط التصوير الشمسي (الفلم) والصور وما شاكلها على ستار شفاف يُعَدّ خصوصاً لهذا الغرض ويركب تركيباً فنيًّا فيصبح كلوحٍ من الواح الحائط في كل دارٍ

ولعلَّ ذلك الاختراع يبدو لنا ارفع مكانة من الالاعيب التي يلهو بها الصغار لانهُ يجعل العالم المنظور قريب المنال منا في قاعات الاستقبال فنتمكن من رؤية تمثيل الممثلين وسماع اقوالهم في حال قيامهم بها على بعد الوف من الاميال . وهذا مما يفضي حتماً الى تغيير ما نفهمهُ الآن من مقاييس الزمان والمكان . وليس هذا من قبيل التنبؤات بالحوادث البعيدة الوقوع بل من النتائج التي ستنتج من اجتهاد العلماء ومثابرتهم على التجارب التي لا بدَّ ان تظهر ثمراتها في القريب العاجل

وقد أعلن السناتور ماركوني إعلاناً ادهش الملأ وذلك عند اجتماع جمعية شركتهِ العمومية وفحواهُ انهُ احرز نتائج باهرة في المباحث التي قصد بها الى استنباط نظام لاسلكي يمكنهُ من ارسال الصفحات المكتوبة كما ترسل الصور الفوتغرافية لا كما ترسل التلغرافات العادية كلمة كلمةً فيقتصد بذلك وقتاً وقوة

اما المستر بايرد وهو اول من مهد الطريق في انكلترا للرؤية عن بعد فقد قام بعرض صور كثيرة استطاع نقلها نقلاً خاصًّا مستعجلاً

ومخترع نقل الصور بالتلغراف هو الدكتور الكسندرسون ولكن اختراعهُ يستعمَل لنقل الصور الساكنة فقط. اما جهاز الرؤية عن بعد فاسرع منهُ نقلاً بعشرين الف مرة . وهذا مما يجعل نقل المرئيّات المتحركة في مقدور الانسان

ومن المدهش أيضاً بشأن هذا الاختراع العجيب انهُ يحلل الصور الى أمواج صوتية — لان لكل شيء من المرئيات صوتاً خاصًّا بهِ عند ما تصل اهتزازاته الى الغشاء الحاجز في الميكروفون . ولبعض الوجوه البشرية عند ما تتحلل الى امواج صوتية أنغام مزعجة واضحة . وهذا مما يتوقعهُ الانسان طبعاً — كما ان البعض الآخر من الوجوه يولد أنغاماً شجية . وبناء على ذلك يرى المستر بايرد انهُ في الامكان صنع أساطين جراموفون لوجه انسان يريد ذلك فتدوَّن اهتزازاتهُ الصوتية في الشمع ثم تحوَّل الى مرئيات يهون نقلها بجهاز الرؤية عن بعد

وهذا الاكتشاف سيقلب صناعة الفلم رأساً على عقب إذ في المستقبل القريب يضحى نظَّارة دور الصور المتحركة وفي وسعهم رؤية حوادث التاريخ المعاصر برجالها ومشاهدها كما تحدث على بعد ألوف من الاميال

وهذا مما يؤول الى انقلاب كبير في انشاء الصحف لان الانسان اذا قصد الى لوح التلفاز في غرفتهِ المخصصة للمطالعة أو في قاعتهِ الخاصة باستقبال ضيوفهِ استطاع إبصار حوادث العالم وسمع أخباره في حال حدوثها . وحينئذٍ تنحصر فائدة الجرائد في كونها تظل سجلاً خالداً للحوادث قريب المنال وتذكرة لما غبر من الوقائع التي مرَّ عليها البصر وقرعت السمع مع ما يستوجبهُ ذلك من تعقيبات وشروح

ويعنُّ لي ان تأثير الكلمة المكتوبة ربما يزول إذ من المحتمل أن الرجل العامي الذي يرى انهُ يملك كثيراً من وسائل التراسل الحسي والمعنوي مع جهات العالم المحيطة بهِ قد يجد الجريدة اليومية على مائدة فطورهِ شيئاً تافهاً وما فيها من الانباء قديماً لانهُ يكون قد شاهد الحوادث نفسها حال حدوثها

وقد عانينا شيئاً من هذا القبيل في غضون الاضراب العام الذي وقع في انكلترا سنة ١٩٢٥ . وتفصيل الخبر انهُ في بدء ذلك الاضراب عند ما انقطعت الجرائد عن الظهور سادت الكآبة على النفوس إذ احسَّ كل قارىء انهُ في عزلة عن العالم فصار كل امرىءٍ في قطيعة من اخوتهِ . وكانت الحوادث الموجبة لليأس تقع بين ظهرانينا دون علمنا كأننا لا نكترث لها ولا يهمنا أمرها كما لو كنا رجعنا القهقرى الى العصور الاولية حينما كان الانسان لا يدري شيئاً من حوادث العالم . واستمرت الحال على هذا المنوال فشعرنا بتلك الوحشة اشد شعور حتى قيَّض الله لنا شركة الاذاعة اللاسلكية البريطانية

فانشأت تذيع لنا الانباء اليومية في اوقات معينة وكان رسولها في عملها المكروفون وهو الآلة التي تقوي الاصوات حين اذاعتها فرأينا إذ ذاك على كل دار صارياً من صواري المحادثات اللاسلكية

أما الآن فمتى تقدم اختراع الرؤية عن بعد وبلغ غايتهُ من الاتقان أصبح لا يصبو الى القراءة الاَّ عقول الشيوخ وكبار العلماء الذين لا تخدعهم مظاهر المدنية الحالية. ومن المحتمل ان ذلك يقضي علينا نحن الادباء ومؤلفي الروايات والصحافيين — فمن ذا يا ترى يكون لهُ حينئذٍ متسع من الوقت يمكنهُ من قراءة ما نكتبهُ لهُ في مصنفاتنا بينا تكون الحياة كلها سائرة هذا السير السريع

واذ ذاك تصير الخبرة التي لم نكسبها نحن ولم يكسبها اجدادنا الاَّ في عمر طويل من التجربة والمرانة رهن الطلب يظفر ابن العصر بخلاصتها في ساعة او ساعتين من وقتهِ

ومن ذا الذي يهوى حينئذٍ قراءة الروايات أو مطالعة التواريخ اذا ماكان في قدرتهِ الذهاب الى أماكن وقوعها بالفكر والبصر ومشاهدة حوادثها

اذن يرجح بتوالي الزمن أن تزول من العالم معرفة القراءة والكتابة متى أمسى الانسان قادراً على مخاطبة غيرهِ والاصغاء لهُ بسهولة وهو في سحيق الاقطار

ولعلَّ هذه المخترعات الحديثة تقتل الثقافة الموروثة من العصور الغابرة فنفقد بفقدها الشغف بالماضي وما لهُ من الآداب والفنون لان الحاضر سيفيض علينا بآلاف من المرافق الجديدة والملاهي الحديثة والعجائب العصرية. والمستقبل لهُ اثر فعَّال في استهواء النفوس وتشويقها

وقد جرى هذا قبلاً — فقد حلَّ اختراع اذاعة الاخبار بالوسائل اللاسلكية من تلغرافية وتليفونية محل القراءة في كثير من البيوت حيث كان افراد تلك العائلات يكبون على مطالعة الكتب في ليالي الشتاء الطويلة. أما الآن فقد تغيرت الحال وغدت دور الصور المتحركة خصماً لدوداً للمكتبات لان الرؤية أسهل بكثير من القراءة وهجر القراءة جملة اذا لم يحصل بعد غدٍ فانهُ سوف يحدث في المستقبل القريب

الرؤية في الظلام

وما زال العلاَّمة بايرد مواصلا تجاربهُ في الاشعة الخفية الكامنة وراء الاشعة الحمراء في الطيف الشمسي التي لا تراها عين الانسان. بيد انهُ يقول ان هذه يمكن اظهارها

على الواح فوتوغرافية تُعَدُّ باسلوب خاص لهذا الغرض فيتسنى بذلك رؤية الاشياء في حلك الظلام

وهذا يذكرنا برائع نبوءة ملتون الشاعر الانكليزي في قصيدته (الفردوس المفقود) اذ يقول « ان هذه الشعل تنير الظلماء بلاضياء »

وفضلاً عن الاستضاءة بهاته الاشعة في الظلمة فانها تخترق غياهب الضباب فيتاح للطيارين استخدامها كما يتيسر لربابين البواخر الاستعانة بها على اكتشاف مواقعهم عند ما يخيم عليهم الضباب

ولا بدّ ان تظهر لها منافع اخرى في اثناء الحرب — اذا دارت رحاها مرة اخرى — وعند ذلك يتمكن الجيش المحارب من تعيين محل عدوهِ ولو توارى هذا العدو وراء سحابة من الدخان

وما فتىء العلماء المخصصون للحرب جادّين في البحث محاولين استخدام الاهتزازات اللاسلكية في ادارة آلات الحرب المدمرة التي لهم او في تعطيل امثالها عند خصمهم

وفي هذا الصدد يقول احدهم وهو الاستاذ (لو) « اننا لواثقون من الظفر باختراع دبابات تدب على الغبراء وغواصات وطرابيد تخترق الماء وطيّارات تحلق في الهواء بحيث تتحكم بها عن بعدٍ بامواج لاسلكية . . . . هذا وفي الطاقة الآن ان تستخدم الطيارة طوربيداً وتوجههُ بانتظام ثم تقذف بهِ الى هدفهِ فيستطيع قائد الطيارة وهو على بعد عدة اميال من ذلك الطوربيد أن يوصى الى طوربيدهِ بإنفاذ ما يبغيهِ من التدمير بكل احكام »

والعلامة ماركوني موقن بان نقل القوة بنظام « بم » ليس بعيداً عن الامكان ولو الى مسافات متوسطة على الاقل. فاذا تحقق هذا الامل فتح لنا ميداناً جديداً لاستخدام القوة اللاسلكية في اعمال ميكانيكية عديدة . وقد يسهل على هذا المثال اذاعة القوة من المحطات المركزية الكبرى فتستعملها المصانع وتستغني بها عن استعمال الفحم الحجري والزيت المعدني والماء

ولا بدّ ان يترتب على ذلك انقلاب خطير في الحياة الاقتصادية في العالم . وعند ما يتم ذلك بتجربة واحدة خطيرة تغدو المنافسة الدولية للحصول على المصادر الحالية لانواع القوة كالفحم الحجري سخافة لا يعبأ بها

الدكتور صروف مؤرخا

لما كان علم التاريخ يرتكز على دعائم كثيرة اهمها علم الآثار القديمة وعلم النقود وعلم الخطوط وعلم أصول الشعوب وانسابها وعلم وصف المعيشة قبل التاريخ وعلم الاشتقاق اللغوي واشباهها وجب ان نرسل لمحة عامة في مباحث المقتطف التي اهتم بنشرها المرحوم العلامة الدكتور يعقوب صرُّوف احد منشئي هذه المجلة المحبوبة ولاسيما ما كان من تعريبه وانشائه . ومن هذه المقدمات نستنتج الحقيقة فيما اذا كان مؤرخاً — فلنشرع بهذه الاستقراءات

(اولاً) من هو المؤرخ ؟ هذا سؤال اجوبتهُ كثيرة ولكننا نقتصر منها على ما يأتي (١) العلوم التي يحيط بها (٢) امانتهُ في نقل التاريخ وتجردهُ لهُ (٣) زكانتهُ وبعد نظرهِ فيهِ (٤) اسلوبهُ الكتابي (٥) تفننهُ في تنسيقهِ وتبويبهِ

اذا نظرنا الى المقتطف في أوائل عهدهِ واستقرأنا مباحثهُ التاريخية الى آخر ايام المؤلف في خدمتهِ رأيناهُ يستقرئ الحفريات الاثرية ويصف عادياتها ويقتبس اخبارها من مصادرها الاصلية بصورها الرائعة حتى انك لتستخرج من المقتطف كتباً في علم الآثار ولاسيما آثار مصر التي كان يطوف بنفسهِ ليشاهدها ويكتب عنها كما مرَّ في ترجمتهِ المطولة في (مجلتنا الآثار) في المجلد الرابع منها[1] ولم تكن ابحاثهُ في النقود القديمة وتواريخها وانواعها وصورها وما يسكُّ منها حديثاً وما يتعلق بها [2] باقل تقصياً في التنقيب والوصف وضعاً وتعريباً . وكذلك علم الخطوط باللغات المختلفة ولاسيما لغتنا العربية [3] فانهُ كتب فيهِ مقالات جليلة الشأن

وهكذا الحال في علم اصول الشعوب وفروعها وانسابها وتواريخها واخلاقها وعاداتها ولغاتها[4] من قديمة وحديثة ومدنية وهمجية وشرقية وغربية معتمداً فيها على اسدّ الآراء واحدث العلوم ناظراً في اقوال من تقدمهِ وممحصاً كثيراً منها ومنتقداً ما شذَّ منها عن القاعدة الصحيحة ومترجماً مشاهيرها

---

(١) المقتطف ٤ : ١٩٣ و٣١٨ و٨ : ٢٦٥ و٣٠ : ٨٦٥ و٤٥ : ٢٨ و٤٦ : ٣٤؛

(٢) راجع مجلة المقتطف ٤ : ٢١٤ و٨ : ٨٩ و٥٩ : ٥٢٩ الخ

(٣) المقتطف ٤ : ١٨٥ و٦ : ٣٣ الخ

(٤) المقتطف ٤ : ٨٩ و٦ : ١٩٥ و٨ : ٣٣ و٤٥ : ٣٢١ و٤٧ : ١٦٣

اما وصف شؤون الشعوب قبل التاريخ [١] ففيهِ مقالات جميلة المقاصد نبيلة الاغراض جزيلة الفوائد جليلة الشؤون وكذلك في اصول الانسان وتحقيق ما ذهب اليهِ النسابون [٢] والمؤرخون فتراهُ يزيّف الآراء الواهية ويدعم اقوالهُ باصح الابحاث وامثل التنقيبات حتى يكشف القناع عن الحقائق الوهمية ويميز صحيحها من فاسدها وراجحها من مرجوحها

ولكنهُ مع كل تفرعات مباحثهِ وتوسعهِ في فنون الصحافة ، التي خُصّت بها المجلات الكبيرة ووقوفهِ على ما يكتبهُ ارباب المجلات الاجنبية الكبرى ومكاتبوها قدايق لنفسهِ حصة وافية من تحليل الالفاظ وفقه اللغة والاوضاع وارجاع الكلمات الى نصابها واصابة الرأي بمعرفة مظانها [٣]. فابدع في ما انشأ او ما اختارمن الكتابات والمعرّبات الى غير ذلك مما لا محل لتفصيلهِ الآن فنترك الحكم فيهِ لمطالعي المقتطف وكلهم من العلماء الاعلام والادباء العظام

ولا عجب اذا اجاد صرُّوف في هذه المباحث وقد تضلّع من العلوم على اختلافها واتقن اهم اللغات القديمة والعصرية ووقف على متفرق المؤلفات العربية والاعجمية فمحّص وحقق ونقّب وراجع وبحث وزيّف او وافق الى ان انجلت لهُ الحقائق ، المعروضة امام نظرهِ النقّاد وجَلَدهِ العظيم وبحثهِ الكثير وتتبعهِ الدائم . فان كبار المجلات والصحف والمؤلفات التي تلفظها لهوات المطابع الاوربية والاميركية والشرقية كانت تلقى بين يديهِ يقلّب صفحاتها ببصيرة وتدقيق ويزن اقوالها بمعيار الحكمة والتحقيق ويقتطف منها (لمقتطفهِ)اطيب ثمارها فلا يخالف بين ما اختارهُ وما كتبهُ بقلمهِ فيوفق بين الذوقين الشرقي والغربي ويهتم بالنقد التاريخي [٤] الذي هواليوم دعامة العلم الصحيح المسمى (بفلسفة التاريخ)

فهل كان الدكتور صرُّوف بعد هذا مؤرخاً ؟

لا نشك ان صروفاً كان مؤرّخاً محققاً عارفاً باصول هذا الفنّ مستقرياً لفروعهِ

---

(١) المقتطف ٨ : ٤٢٢ و٤٤ : ٣٤٤
(٢) المقتطف ٤٤ : ٤٧١ و٣٥ : ١٢٢١ و٦٥٨
(٣) راجع المقتطف ٣٥ : ٧٠٣ و٧٠٤ و٣٨ : ٢٣٥ و٤٤٢ و٤٦ : ١ الخ
(٤) راجع المقتطف ٥٣ : ٦٩٢ و٦٩٩ و٩٠٧ و١٠٧٨ و٣٨ : ٩٠ و٢٣٥ و٤٤٢ و٤٤ : ٤٠١ و٤٩ و٥٩ : ١٨٧ و٢٩٩ و٣٠ : ٩٢٧ و١٠٢٥ و٣٣ : ٨٦٢ و٣٤ : ١٩٠ و٦٠٢

واليك الآن بعض الادلة التي ندعم بها قولنا . قال في المجلد الثلاثين من (المقتطف) في كلامهِ عن (تاريخ التمدن) لزميلهِ المرحوم جرجي بك زيدان المؤرخ المعروف في الصفحة ١٠٢٧ ما نصهُ :

« والكتاب على هذا النسق من جمع زبدة القضايا التاريخية وتبويبها حتى صار بها تاريخ العرب معقولاً على نوعٍ ما . ولكن لا يزال فيهِ كثير مما لا يكاد يصدقهُ عاقل . وحبذا لو زادنا المؤلف من المقابلة بين ما فيهِ وما في تواريخ الامم المعاصرة للعرب ونبه على كل ما لا يحتمل وقوعهُ منهُ فان التحقيق والتمحيص لازمان كالجمع والتبويب ان لم يكونا الزم منهما ولاسيما في تاريخ نصفهُ منقول عن ألسنة الرواة » انتهى — وفي كلامهِ هذا ما يدلُّ على كلفهِ بفلسفة التاريخ التي تردُّ الاشياء الى المعقولات والممكنات

وفي (المجلد الرابع والثلاثين) الصفحة ١٩٠ — نقد كتاب (مشهد العيان) واشار الى انهُ قد وقف على اصلهِ للعلامة الدكتور مخائيل مشاقة الشهير فوجد طابعيهِ قد تصرفوا بهِ تصرفاً مخلاً لانهم ذكروا اشياء لا اهمية لها وحذفوا اشياء مهمة

وهو قول سديد يدل على مبلغ تقصّيهِ في البحث وتحقيقهِ وقرظ في هذا المجلد في الصفحة ٦٠٢ كتاب (معجم الادباء) لياقوت الرومي (الجزء الثاني) واقترح وضع فهرس لترتيب اسماء الاعلام بحسب شهرتها كالميداني في حرف الميم والجوهري في الجيم وهو اسلوب عصري يسهل البحث على الطالب

ومن ادقّ ابحاثهِ التاريخية التعليل عن تسمية (النحو) بمقالة شائقة في الصفحة ٢٣٥ ومجلد ٣٨. وان يحي تصحيف يوحنا واستشهد بكلامهِ بعض العلماء منهم المرحوم العلامة الاب لويس شيخو اليسوعي في مجلة (المشرق) ١٦ : ٥٤

ولا بأس من ايراد كلامهِ الذي نقلهُ في المقتطف (٥٩ : ٢٩٩) سنة ١٩٢١ جواب سؤال — فقال ما خلاصتهُ :

«فاثبتنا ببحث بضع دقائق حقيقتين جديدتين (الاولى) ان (يوحنا) الغراماطيقي هو غير يوحنا المؤرخ اسقف (نخو) ولو خلط بينهما ابن النديم وغيرهُ من الكتاب الذين سبقوهُ والذين لحقوهُ حتى كتاب الافرنج

« و (الثانية ان كلمة (نخو) او (نحو) هي اسم بلد في مديرية المنوفية في القطر المصري كان يوحنا المؤرخ اسقفاً عليها . وان العرب الذين سموا علم قواعد اللغة (نحواً) سموهُ كذلك ظناً منهم ان الرجلين رجل واحد . وان اللقب الثاني مرادف معنىً

للقب الاول محرف غراماريا Grammaria اللاتينية واليونانية بمعنى (كتب) (انتهى)

وهذا برهان آخر على عنايته باشتقاق الالفاظ وصحة توجيهها اللغوي المعقول

وعند وصفه آثار (فلسطين وسورية) في المجلد الثاني والستين والصفحة ٢٥ ذكر ما اسرّه اليه المنقب الاثري المرحوم ادمون دوربقللوسنة ١٨٧١ عن محلّ توجد فيه آثار مهمة بين صور وصيدا لانه اكتشفها وسدّ مغارتها لتحفظ في البلاد (المقتطف ٦٢ : ٢٧)

ومما ينبئ بزكنه للتاريخ واللغة وموافقتهما ايضاً قوله في جواب سؤال في (المقتطف ٦٤ : ٤٧٣) عن اصل لفظة مصر الافرنجية والعربية وهو :

« الكلمة الافرنجية مأخوذة من اليونانية اجيبتوس Aigyptos والمظنون ان الكلمة اليونانية محرفة عن كلمة مصرية تلفظ (هكپتاح) اي مدينة پتاح وهي مدينة منف . والكلمة (مصر) العربية من كلمة (مَزَر) العبرانية ومعنا المسوَّر » اه

ومن هذا القبيل رواياته التاريخية وهي (رواية فتاة مصر) وصف فيها تاريخ المجتمع المصري في مطلع القرن العشرين بعاداته وازيائه واحواله الاجتماعية والادبية والمالية طبعت ثلاث مرار . و(رواية امير لبنان) في وصف لبنان في العقد السادس من القرن الماضي استرسل فيها الى ذكر ثورة سنة الستين الاهلية ومطامع الدول السياسية فيه و(رواية فتاة الفيوم) وهي رواية عصرية تصف حالة مصر الاجتماعية والاقتصادية ومنزلتها التاريخية وآثارها النفيسة بقالب روائي

اما كتاب (سرّ النجاح) لصموئيل صميلز الانكليزي ففي تعريبه وتسميته واضافة اشياء مهمة عن مشاهير العرب اليه براهين دامغة على ولعه بالتاريخ واحتفاله بتراجم المشاهير المهمة . وهكذا تجد في ما جمعه من المقتطف اخيراً في كتابي (اعلام المقتطف) و(الروّاد) ما يحلّي جيد التاريخ بعقود الفوائد الصحيحة وكثيراً ما كان يراجع لمقالاته المعربة اقوال العرب القدماء او المحدثين فيستشهد بها ويضعها في مظانها . ويختار الرحلات المهمة العربية والاجنبية فيفيها حقها ولا يقصّر في نقدها وتذييلها بما يرفع الابهام او ينفي الاوهام

هذه لمعة مختصرة سئلت وضعها في هذا الموضوع المتسع الجوانب الكثير التشعبات وهي ثمد من قطر ونقطة من بحر تجدّد لنا ذكرى الاسف على فقيد العلم والفضل المرحوم الدكتور صروف اثابه الله وحفظ اسرته الكريمة خير خلف لخير سلف

زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف

صاحب مجلة (الآثار)

مكتبة شرقية نادرة

ونبذة من سيرة جامعها

نور الدين بك مصطفى

الموت نقاد على كفهِ جواهر يختار منها الجياد

في صباح يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٢٨ اختار الله لجواره صديقنا المرحوم نور الدين بك مصطفى فانطفأ بفقده مصباح من مصابيح العلم في مصر واندك صرح من صروح الفضيلة وركن من اركان النهضة العلمية . ففي ذمة الله ايها الصديق . فلقد كنت انس العلماء وكعبة الفضلاء ومرجع اهل الجد والنظر . كيف لا وقد كان رحمهُ الله كبير الهمة عظيم القدر . قوي العزيمة سليم الطوية غزير العلم كثير العمل لا يهدأ ليلاً ولا نهار فاثر ذلك في صحتهِ فاسرعت اليهِ منيتهُ في منتصف العقد الخامس من حياتهِ فصدق بذلك ظن ابي العلاء المعري اذ يقول :

ركوب النعش اسرع لابن دهر يريد الخير من قتب وسرج

زرتهُ قبل وفاتهِ بايام فراعني ضعفهُ وآلمني مرضهُ وهو منهك القوى مكب على عملهِ المالي والعلمي فرجعت باللائمة عليهِ لاهماله الرياضة البدنية كالاعمال اليدوية والمشي في الخلاء فتبسم وقال افعل ان شاء الله وبعد ايام سألتهُ فاجاب قد فعلت وقد اضمر في نفسهِ قول جذيمة الابرص لقصير (رأيك من الكن لا في الضح)

وقولهُ ايضاً (لا يطاع لقصير امر) فذهبا مثلين . وقول ابي تمام

ملك يرى تعب المكارم راحة ويعدُّ راحات الفراغ متاعبا

وقول المعري

ان صح لي اني سعيد فليتني ضمني صعيد

صمت حياتي الى مماتي لعل يوم الحمام عيد

لم يعقه المرض عن البحث والتنقيب في الكتب والدرس والتحصيل فكنت في نصحي لهُ ناهجاً منهج المثل المشهور (ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهراً ابقى) وكان في نفسهِ ناهجاً منهج المتنبي اذ يقول

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

ومنهج المثل «اماهلك واماملك» ومهيع امرئ القيس اذ يقول :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونهُ وايقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكاً او نموت فنعذرا

لقد كانت صداقتي لهُ رحمهُ الله اساسها العلم . والصداقة العلمية أثبت اساساً واقوى ركناً واوفى عهداً وادوم مودة واعلى شأناً لذلك اردت ان اذكر شذرة من تاريخ حياتهِ ومآثرهِ العلمية والادبية لان لسير العاملين في اخلاق الناشئين اثراً وفي صحائف اعمال الآباء للابناء مدّخراً

وانما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

سيرته

ولد المرحوم في مدينة (اوخرى) من بلاد مكدونيا سنة ١٨٨٣ ودرس فيها الدروس الابتدائية ولتلك البلاد مناظر جميلة فاثرت في نفسهِ روعة مناظرها وسحر ازاهيرها. وبهجة مزارعها البهية. واشجارها الباسقة وانهارها المتدفقة وطيورها المغرّدة فرسمت على لوحة قلبهِ صور تلك المناظر فاوحت الى عواطفهِ حب الشعر وجمال الطبيعة وانوار هذا الوجود . تلك هي المدرسة العليا التي يتربى فيها النابغون من نوع الانسان ثم سافر الى (مناستر) فتلقى هناك الدروس الثانوية ثم سافر الى الاستانة ودرس بمدرسة الحقوق في تلك العاصمة وتخرج فيها بدرجة الامتياز وفي سنة ١٩٠٣ حضر الى مصر وفيها تزوج وانتظم في سلك جمعياتها العلمية والادبية فمن ذلك (الرابطة الشرقية) وقد كان فيها مناراً يهتدى بهِ ومن اعظم الاعضاء العاملين بها و(المجمع اللغوي) و (جماعة التعليم الشرقي الاسلامي) وسبب هذه الاخيرة انهُ قدم الى مصر الشيخ حسن بن احمد العطاس من بلاد الملايو بمملكة جهور بهارو وطلب مني ان اسعى في تشكيل لجنة في مصر لبذل النصح لتلك الاقطار في ان يجمعوا المال ويفتحوا المدارس فاجبت طلبه

واجتمع الاخوان فشكلوا لجنة معي وكان الفقيد واسطة العقد ونبراس الهدى واقوى عضد لي فيها وبقيت اللجنة مثابرة على عملها الى الآن ولكن انحصر عملها في ارشاد الطالبين الذين يحضرون لتلقي العلم بمصر

﴿آثار الفقيد في اللغة﴾ منها دائرة المعارف التركية يتم منها (حرف ا) بمقدار خمسة اجزاء كبيرة خلاف الصور ووصل الى حرف صق بالمسوَّدة الكاملة ووصل الى

النهاية بمسودة مختصرة ولهُ مقالات كثيرة في جريدة اقدام التركية عن العشرين الكلمة التركية التي عجز عن تفسيرها اعظم علماء الترك وحاز في نتيجة ذلك لقب الامام الاعظم في اللغة التركية ولهُ مقالات علمية نشرت في جريدة الاهرام مثل النيل — الذئب الابيض ولهُ شعر في كل من التركية والفارسية والعربية

وليس يتسع المقام لذكر ما كان يعرفهُ من فروع اللغات الكثيرة التي لها صلة بهذه اللغات كالمامية بالشركسية والبلغارية والمغولية وغيرها وانما الذي يجدر ذكرهُ الآن ما دار من الحديث بينهُ وبين صاحب السعادة نائب سفير دولة ايران اذ توجهت معهُ في العام الماضي لرد الزيارة اليهِ مرتين ، مرة في السفارة ومرة في منزله فكانا بحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وكان من حديث الفقيد ان قال انني لما وجدت ان رباعيات عمر الخيام قد ترجمها الناس من الانجليزية الى العربية والانجليزية مترجمة عن الفارسية ايقنت انني بما لي من المعرفة بالفارسية يجب عليَّ ترجمتها نظماً ولقد علق بذهني من ذلك المجلس هذه الابيات

اكسرت ربي اناء خمري وهدمت ربي بناء عمري

افبعد شربي يثور غيري الويل لي اعداك سكري

والخطاب في البيت الثاني للغير لا لله

ومن الرباعيات ما قالهُ المرحوم ايضاً من نظمه المترجَم

لك الشكر مني بِزُورِ دُ منكْ فكيف اعيش لاقضيَ دينك

فعالي سوء فتجزى بسوء فما الفرق يا رب بيني وبينك

ومنها: ثور يقال بانهُ تحت الثرى فكذاك ثور في النجوم منورا

انا ما رأيتهما ولكن في الورى آلاف حمر صرت بينها ارى

وهذا النظم فيهِ معانٍ لم ترد في الرباعيات المترجمة من الانجليزية فيحسن نشرها بتمامها وعسى ان يُعنى بذلك ورثته الفضلاء

المكتبة التورية

وهي اعظم مكتبة في العالم من حيث الفنون الجميلة الشرقية وهو المؤسس لها وفيها نحو (٢٠) الف كتاب ثلاثة ارباعها من المخطوطات والآثار اليدوية المتنوعة ومنها اكثر من مائتي مصحف لاكبر الخطاطين والنقاشين في الشرق وبعض قطع بيد ملوك

بني عثمان مثل محمود الثاني وعبد المجيد الاول واحمد الثالث وهكذا بعض ملوك ايران والافغان وتركستان ومصر وغزنه والمغول والسلجوقيين

وفيها شيء عجيب لا نظير له وهي صورة من التوراة بالقدس الشريف التي استخرجها ملك ايطاليا (امبرتو) ومنها آثار في علم الفلك غير مطبوعة تأليف عمر الخيام وفيها صورة فريدة في العالم للرسام الشهير (ماني) الذي اسس الديانة المانية والذي ادعى النبوة وقال معجزتي هي صوري وهذه الصورة وحدها قدرت بمليون ريال من احد اغنياء الاميركيين في حياة المرحوم . ومن اعجب ما سمعته منهُ ما قالهُ لي قبل وفاته بنحو ثلاثة اشهر ما نصه : عندي كتاب بالفارسية فهاك اسمعك موضوعاته فلما سمعتها قلت هذا كتاب اخوان الصفاء بعينه فقال هو بالفارسية منسوب الى الفارابي مكتوب في القرن الرابع الهجري قلت واخوان الصفاء في نفس التاريخ ولكنهُ منسوب لغيره بالعربية ؟

ولقد انفق المرحوم في سبيل تلك المكتبة معظم ثروتهِ وربع قرن من حياتهِ القصيرة التي لم تدم اكثر من خمس واربعين سنة . هذه نبذة من حياة صديقنا نور الدين بك مصطفى ايفاء لبعض ما لهُ من حق الصداقة وحضاً على اقتفاء آثار العاملين مثلهُ وتعريفاً بقدر الفن والعلم الذي ادخرهُ في مكتبتهِ . فهل ينافس ابناء الشرق الاسلامي اهل اميركا واوربا في حفظ تلك الذخائر ببلادهم حتى تكون مشرق علم ومنبع حكمة في بلاد الاسلام ام يتركونها كغيرها فريسة الاهمال فتهرب من الشرق الى الغرب ؟ ان الفرصة سانحة والشرق قد استيقظ والآمال اليوم اقوى منها امس والله لا يضيع اجر من أحسن عملا طنطاوي جوهري

[المقتطف] ينفق الاميركيون ملايين الجنيهات لشراء نفائس الآثار الفنية في انكلترا وغيرها من بلدان اوربا على ما بيناهُ في مقالة في هذا الجزء . وقد اخذ كتاب الانكليز يعيّرون ابناء قومهم لتهاونهم في جمع النقود لشراء هذه النفائس والاحتفاظ بها في بلادهم . ويظهر لنا مما ذكرهُ الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري في هذه المقالة ان مجموعة المرحوم نور الدين مصطفى بك تحتوي على نفائس فنية وعلمية كثيرة . فعسى ان تهتم الحكومة وان يهتم الاغنياء بشراء هذه النفائس الفنية وعرضها في دار الآثار العربية او متحف آخر قبلما يفوز بها الغربيون وينقلونها الى بلادهم

القار في الشرق الادنى

القار في بلاد الترك

في بلاد الترك اماكن عديدة فيها قار منها مدينة وان باعالي دجله ففي قلمنها عين ينبع منها القار . ومنها سُميّساط باعالي الفرات وفيها عيون من القار والمومياء ذكرها بلينيوس الروماني . ومنها مرسين على ساحل البحر الرومي وفيها حجارة يقطر منها النفط . ومنها لوقية المعروفة الآن باضالية وهي الى الغرب من مرسين وفيها اطمة يسميها الترك ينار طاش اي الحجر المتقد وهي في جبل هناك تخرج منهُ غازات خلقية تتقد منذ ثلاثة آلاف سنة او اكثر وهو المكان الذي ذكر اليونان ان فيه ناراً دائمة لا تنطفئ تخرج من فم غول عظيمة سموها خيماره وزعموا ان رأسها رأس اسد وبدنها بدن عنزة وذنبها ذنب تنين فكان منها أُسطورة الخيمارة المشهورة واشتقت منها بالانكليزية والفرنسية لفظة معناها خيالي او خرافي . ولفظة الخيمارة هذه فينيقية الاصل من خمارة بالفينيقية ومعناها متقد قالهُ السر بُقرن ردُود

وفي العربية شيء مثل هذا في مادة خَمَر بالمعجمة وحَمَر بالمهملة ما يدل على الحرارة او الاشتعال منها خمر العجين اي ستره لكي تدب فيه الحرارة واختمرت الخمر غلت كذلك الخمر والخمير والخميرة . ومن مادة حَمَر الحَمارَّة بتشديد الراء والحَمارَة بتخفيفها والحَمِر والحَمْراء وكله بمعنى شدة الحرّ في الصيف . والحُمْرة للون الاحمر وللداء المعروف ، وحَمِر الرجل تحرّق غضباً واحمرّ البأس اشتدّ او اضطرمت نار الحرب واستعرت . والحمارة حرة ببلاد العرب والحميراء مصغرة موضع قرب المدينة . وسيأتي ذكر الحمارة والحُميراء والحرّة عند ذكر القار في جزيرة العرب

ولعل اصلح لفظة عربية للخيمارة اليونانية هي الحُميرة كما جاء في الياذة البستاني او الحُميراء مصغرة وبالحاء المهملة او الخميراء غير مصغرة وبالخاء المعجمة او الحَمارَة بالمهملة ولعل هذه اقربها الى الفينيقية واليونانية وقد تقدم انها حرّة في بلاد العرب

القار في الشام

القار في الشام ليس كثيراً بالنسبة الى العراق ففي جوار الاسكندرونة عيون منهُ كذلك في نواحي حلب وفي كسب وكُفرية والخِربة وعمان والحُمّيس في جبال انطاكية واللاذقية . وفي عين زحلته وجزّين من اعمال لبنان . وفي جبل الضهر بين

الليطاني والاردن . وفي جبل الشيخ والحُمَّر فيهِ مشهور . وفي سَحْمون وعين التينة على نهر الليطاني . وفي غور الاردن وبحر لوط وهناك آبار الحُمَّر التي ورد ذكرها في التوراة كما تقدم والتي كان القدماء يستخرجون الحُمَّر منها ويبيعونهُ في مصر للتحنيط فهو هناك في وادي المحوَّط ووادي سبَّة والنبي موسى . وكثير من هذه الاماكن تبعث منها غازات هدروكربونية مكبرتة . واستخرج الترك حمراً من نواحي بحر لوط في زمن الحرب لاجل الوقود

القار في مصر وسينا وجزيرة العرب

القار معروف في هذه البلاد على سواحل البحر الاحمر ففي مصر جبل الزيت المشهور وقد مرَّ ذكرهُ . اما الامتياز في البحث عن النفط فيهِ فانهُ اعطي سنة ١٩٠٥ لشركة اسمها شركة النفط المصرية المحدودة ثم خلفتها سنة ١٩٠٧ نقابة الزيت المصرية المحدودة ثم شركة اخرى سنة ١٩١٠ ثم اُلفت في سنة ١٩١١ الشركة المصرية الانكليزية وهي التي في يدها الامتياز الآن . وهاك جدولاً فيهِ ما استخرج من النفط الاسود في بعض السنين من نقاطات خمس بجبل الزيت :—

السنة	المستخرج بالطن		
١٩١١	١٢٢٠	١٩١٤	١٠٣٦٠٥
١٩١٢	٢٧٤٥٤	١٩١٥	٣٤٩٦١
١٩١٣	١٢٦١٨	١٩١٦	٥٤٨٠٠
		١٩١٧	١٣٤٥٠٠

والنفط معروف في سيناء فهو هناك في وادي غرَنْدَل على ساحل خليج السويس مقابل جبل الزيت وفي الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة وفي وادي عرَبة وفي جزيرة تيران عند مدخل خليج العقبة وفي جزيرة فرَسَان في البحر الاحمر . وفي سيناء حمَّامات كبريتية كما في العراق منها حمَّام موسى وحمَّام فرعون وربما كان فيها قديماً آطام اي عيون من نار كما في باكو وكركوك . وذكر ابن اياس في حوادث سنة ٦٥٦ للهجرة ظهور النار في وادي شطا بالمدينة (المقتطف سنة ٢٣ ص ٣٩٧) وهي اما بركانية والبراكين معروفة في الحجاز او عين من نار اي من غازات خلقية

وذكر السر بُفرتن رَدْوُد ان نماذج من القار جيء بها الى المكَلا وعدَن وروى العرب ان صخوراً في حضرموت يقطر منها النفط ولعل ذلك في بَرَهوت وهو وادٍ في حضرموت يظهر من وصفهِ ان فيهِ نفطاً قال ياقوت في معجم البلدان « بَرَهوت

وادٍ بحضرموت فيه ارواح الكفّار وفيه بئر ماؤها اسود منتن تأوي اليه ارواح الكفار» الى ان قال « وحكى الاصمعي عن رجل من حضرموت قال انا نجد من ناحية برَهوت الرائحة المنتنة الفظيعة جداً فيأتينا بعد ذلك ان عظيماً من عظماء الكفار مات فنرى ان تلك الرائحة منهُ »

وقد مر بنا في ما نقلناهُ عن المسعودي ان في بَرَهوت اطَمة ربما كانت عينا من نار كما في كركوك وباكو . ولا يعلم الاّ الله ما في حضرموت والشِحر والرّبع الخالي من الكنوز ولا سيما الذهب والنفط فجزيرة العرب صخورها نارية في سينا وعدَن والحجاز وحضرموت والشِحر وعُمَان والدهناء والنفط والذهب معروف في كثير من هذه الاماكن . ولا يخفى انهُ لا علاقة بين النفط والصخور النارية اما الذهب فيكون على الغالب في هذه الصخور وهي كثيرة في جزيرة العرب يدل على ذلك اسماؤها كالحرّة والنسفة واللاّبة والحِلاءة والحمارة والحمراء وغيرها ولا متسع لوصفها الآن وانما نختم كلامنا بترجمة بعض الالفاظ الواردة في هذه المقالة وتعريب بعضها

اطَمة (Volcano) ويقال بركان وجبل النار وقد تأتي بمعنى عين النار

اطمة صقلية (mt. Etna) .اطِيْمَة (Arch) اتّون الحمّام ويقال قمِين . نقّاطات (Oil fields) حَمّات (Thermal or hot springs) .حَمَارة او حُمَراء (Chimaera) .نَسْفة ونَسَفَة (Basalt) ويقال نَشْفة ونَشَفة حرّة (Basaltic tract) . وحَمَارة وحُمَراء. لابة (Lava) حِلاءة (Extinct volcano) . دَالِيَة او شادوف (Sweep or swipe) . سُعْن (Leather bucket) . ابو سُعْن (Marabou or Adjutant) . دُمُسْتق (Domesticus) معناها في الاصل قيم البيت او استاذ الدار ثم صار لقباً للقائد من قوّاد الروم وكان عندهم دمستقان احدهما للشرق والآخر للغرب وجرى الترك على ذلك بعد فتح القسطنطينية فسموا الاول منهما اناطولي بكلربكى اي امير امراء الشرق وسموا الآخر روم ايلي بكلربكي اي امير امراء بلد الروم ثم الغوا المنصب الاول وجعلوا الثاني رتبة بقيت الى ايامنا . بِطريق (Patricius) . شمَشقِيق (Tzimiscea) مجوسي او هربذ جمعها هرابذة (Fire-worshipper or Gheper or Parsi) لغثيط (Logothete) حاسب او امين بيت المال

بغداد امين المعلوف

حجة الاسلام : الامام الغزالي

اثرهُ في الاسلام

لقد علق بالاسلام مذ احتكَّ اتباعهُ الاولون بسكان اسيا الغربية (في العراق وسورية) عدة قواعد ومذاهب فلسفية كان لها اثر عميق في تكييف الفقه الاسلامي . فالمعتزلة في الحقيقة ظاهرة طبيعية لهذا التأثير القديم . ولما جاء الاشعري (٣٣٤ هـ.) وتم انفصالهُ عن حظيرة المعتزلة ، اخذ اتباعهُ المتكلمون يقرعون حجة الفلاسفة ، بالسلاح الذي يحاربونهم بهِ . لكن لم يلبث علماء الدين حتى عجزوا عن الذود عنهُ بسلاح الفلسفة ، فساد بين الطبقات وتفشَّى ميل صوفي يرتكز على الالهام لا العقل . هذه هي الحالة التي صادفها الغزالي . فقد عظم الفرق بين جمود المتكلمين وما يأخذون بهِ من القواعد والحدود ، وتطرف الصوفية وما يميلون اليهِ من نبذ كل سلطة او تقليد والاتكال على الالهام . فكان اجلُّ ما اتى بهِ انهُ ادمج العنصرين معاً بادخال بعض مبادئ التصوف المنعشة في علم الكلام

وبذلك صد المتكلمين عن نظام التفكير المدرسي من البحث فيما يتعلق باصول الدين كالكتاب والسنة الى البحث في هذه المآخذ نفسها . وهذه لعمري وجهة اصلاحية كبيرة ، تصادفها في جميع الاديان النامية المتطورة . وقد كانت من مميزات الاصلاح الديني في القرن السادس عشر ، حين ثار لوثر واترابهُ على القواعد الدينيــة والعقائد الكنسية السائدة حينئذٍ

فمع ان الغزالي يعد رسميًّا من الطبقة الثانية في الفقه فقد عمل على حطهِ من المنزلة الرفيعة التي كان يشغلها قبل ظهور المتكلمين . وقد لام هؤلاء لجعلهم دين العامة مجرد عقائد مركبة لا غير ، وهو في هذا الانتحاء يتبع خطى امامهُ الشافعي (٢٠٤ هـ) وقد وافقهُ الاجماع على اكثر آرائهِ في الاصلاح وعدَّ (مجدّد عصرهِ)

وقد أخذ على الغزالي تحقيرهُ علم الفقه وعدم الاعتداد بهِ ، واتخاذهُ الطريقــة الصوفية اساساً لاقتباس المعرفة (راجع تهافت ابن رشد (٥٢٠ هـ) . والحقيقة ان الغزالي يحبذ العلوم الشرعية ، بيد انهُ لا يجعلها الملجأ الاخير لانها لا تفيد اليقين شأن (الاتصال) الصوفي . والفقهاء بل الفلاسفة ايضاً كابن سينا (٤٣٨ هـ) وابن رشد وهما من اشد الخصوم لهُ كلهم يعترفون بحقيقة مثل هذا الاتصال ، الاَّ انهم يحبسونهُ على الانبياء

والاولياء ، ويقولون بوعورة مسلكهم وصعوبة التساهل به . اما الغزالي فيفرق بين علمين ، وهو يشبه القلب بالحوض تصب فيه جداول كثيرة هي انواع العلم بالحواس . لكن في قعره ينبوع يخرج منهُ ماء زلال اعذب من ماء الجداول وذاك هو العلم بالالهام . وان انت سألت الغزالي عن مصدر هذه القوى في (القلب) اجابك انها هبة ربانية واستشهد بالحديث (ان لربكم في ايام دهوركم نفحات الا فتعرضوا لها) واعطاك برهاناً على ثبوتها الاحلام والكرامات بل النبوة نفسها !!

ولكن يجب الا نستنقص من مكانة الغزالي في التفكير لهذا الاستسلام . فيوجد اليوم بين فلاسفة القرن العشرين من ينحو هذا الاتجاه فيمدّ لهُ ذلك مذهباً فلسفيًّا خاصًّا . واقرب هؤلاء الى الغزالي Mansel الذي يقول بان المعرفة مسألة نسبية وان العقل البشري يعجز لذلك عن ان يدرك او يفكر في امور قطعية لاحد لها . وهذا هو موقف الغزالي بعينه حين تقرأ ما بين سطور التهافت وتحسب للفرق بين المؤثرات اللغوية والدينية في الحالتين ، حسابها . ولئن اعترض خصوم منسل بقولهم ان مثله في نظريته هذه كمن بدأ في نشر غصن يقعد عليه ، فالغزالي قد اهتم بدعم مقعده على هذا الغصن بالاستسلام الى الوحي سواء اكان في الكتاب والسنة او في اختبارات الاولياء والصالحين . ولم تقتصر هذه النظرة في الدين وعلاقته بالفلسفة على الغزالي وحده ، لاننا نجد الفيلسوف اليهودي الاندلسي ابن ميمون الذي عاش بعدهُ بنحو قرن يحتفظ بهذا الميل نفسه

ولنا ايضاً ان نقابل الغزالي من حيث نظرياته اللاهوتية بمفكر آخر هو Ritsch من اعلام العصر الحاضر . فانهُ كالغزالي من قبله بثمانية قرون ، يمانع في كل تأثير فلسفي يطرأ على اللاهوت . ويقول بان اساس العقيدة يجب ان يكون مستقى من ظواهر دينية محضة ، لادخل للشك والتفكير فيها . ويجب ان يكون الوحي هو الينبوع الاكبر فاذا ما تعدينا الحد المعيّن في السؤال عن المعرفة وتمادينا باستعمال (كيف ولماذا) نكون قد تجاوزنا حدود المعقولات ، ودخلنا منطقة في ابحاث ما فوق الطبيعة وهي كلمات فارغة لا تجدي في كشف الحقائق فتيلا

فالغزالي اذن ، لشدة اهتمامه بالآخرة ولاعتداده بعامل الخوف في الدين ، ولامياله الصوفية المبينة سابقاً ، قد اتم ما بدأ به القشيري (٤٦٥ هـ) فجعل الصوفية من الطرق التي لا يشك في عقيدة اهلها . وهو بذلك بداية عصر جديد في تاريخ الاسلام ، كما كان

الاشعري لعلم الكلام من قبلهِ . فالصوفية كنظام في العقيدة وجدت قبل الغزالي وفي ايامهِ ولكن اقدم الطرق الصوفية المعروفة حتى اليوم ، لم تؤسس الاَّ بعد انقضاء ما ينيف على الخمسين عاماً من وفاتهِ

ومن حسناتهِ انهُ شرح الفلسفة ، وكرر نشر اعتراضاتهِ وانتقاداتهِ عليها حتى الفها العامة . فالغزالي اذن في دفاعه عن الدين ومحاولته خنق الفلسفة ، قرب بالحقيقة ابحاثها العويصة باسلوبهِ التصوري البديع من اذهان عامة الشعب الذين كان يكتب لهم . وهو بذلك قد احسن الى الفلسفة من حيث لا يشعر ، في حين انهُ كان يريد لها الاساءة . وهذه احدى النقاط التي يأخذهُ بها خصمه الالد ابن رشد ، فهو يقول انهُ افسد بذلك على العامة معتقدهم السليم ولم يستطع ان يفهمهم شيئاً . والحقيقة انهُ كان لهُ الاثر الكبير ، فيكفيك ان كلمتي فيلسوف وفلسفة لم تعد توقظ في المسلم شعور العجب والرهبة التي كان يعثها في نفسه الجهل والكتمان

والغزالي في اكثر ما اوردناهُ عنهُ لم يكن مبتكراً ، لكنهُ شأن الشخصيات النادرة المؤثرة ولج طريقاً مهملاً فجعله بهمتهِ والمعيَّتهِ المسلك المشهور ، والطريق العام

وقد شهر الدكتور Sachau في مقدمة رسالتهِ عن ابو الريحان البيروني (٤٣٠ هـ) نقداً مرًّا على الغزالي قال فيهِ : لولم يقم الغزالي وامثاله فيخنقوا روح البحث والابتداع الكامنة في العرب ، لكان هؤلاء حقاً اهل الاختراع والابتكار طرًّا ، وانجبوا من قبيل البيروني الجم الغفير . لكن البارون De Vaux انبرى للدفاع عن الغزالي ، فرد قول الدكتور بامرين الاول ان المؤهلات والظروف التي تصحب نبوغ العظماء لا تزال مجهولة لم تصل اليها يد العلم . والثاني ان النابغة الحقيقي يستحيل وان يخضع للرأي العام ومقاييسه مهما بلغت سلطته ، وان ليس اسهل عليهِ من ان يخلص من مثل هذا التأثير ليحيا حياته الخاصة في جوّ ومحيط يكونهما لنفسه . فلو جادت الايام في تاريخ الاسلام بعد البيروني ، بمن كان يحق ان يكون نابغة لما تأخر عن الظهور ابداً

ونختم كلمتنا باغرب ما جرت بهِ المقادير ، فالغزالي الذي جاهد لينبذ التقليد وثار على السلطة ليحرر الاسلام من ربقة الاسر لشبح الماضي المخيف وظلام الجمود ، اصبح هو بعينه بعد سنين قليلة من موته ، سلطة وثقة بل (حجة للاسلام) يستند اليهِ !

القدس شكري مهدي

ب . ع

باب الزراعة والاقتصاد

الحركة التعاونية بمصر [١]

﴿عمر بك لطفي﴾ : يحق لمصر أن تفخر بابنها البار المرحوم عمر بك لطفي مؤسس النهضة التعاونية الذي يعد من زعماء الحركة التعاونية في العالم من أمثال « أون » و« ريفيزن » واضرابهما . فهو اول مجاهد مصري في سبيل انقاذ الطبقات الفقيرة من مخالب الفقر وفي العمل على تنظيم جهودهم وترقية شؤونهم المادية والادبية عن طريق التعاون . واصبح من الحق أن يسمى « أبو التعاون المصري »

كان المرحوم عمر بك لطفي وكيلاً لمدرسة الحقوق ثم ترك خدمة الحكومة واشتغل بالمحاماة ليكون في جو حر يخدم فيه بلاده أجل الخدمات . وكان يقينهُ ان مصر في حاجة الى تأسيس نهضة اقتصادية عامة تنتشلها من تحكم رؤوس الاموال الاجنبية وسيطرتها على مجهودنا الانتاجي . بان يبعث في الطبقات العاملة روح النشاط والعمل ويدفعهم الى تأسيس النظم الاقتصادية والاجتماعية واهمها النظم التعاونية

اشتغل عمر بك لطفي بالتعاون من حوالي سنة ١٩٠٦ وقام برحلات الى اوربا وتعرّف في ايطاليا بزعيمها التعاوني « لوزاتي » وقد التقيا عند غرض واحد وهو رفع شأن الوطن من طريق التعاون فكانا صديقين حميمين ودأب على نشر الدعوة التعاونية بمصر نخطب الامة وحاضرها في الاندية والمجتمعات متنقلاً في عواصم القطر مضحياً براحتهِ ووقتهِ ومالهِ في سبيل بث الروح التعاونية بين أبناء وطنهِ

وقد تناولت جهوده بحث النظم والمبادئ التعاونية وتنظيم الجمعيات وطرق تسييرها والاوضاع التشريعية التعاونية بالطرق العلمية والقانونية . ولم تعن الحكومة إذ ذاك بتعضيد التعاون ووضع القوانين التي تكفل نشره وتثبيت دعائمه . فكان عمر بك مشترعاً ماهراً في استخلاص التكييف القانوني للجمعيات التعاونية من القانون المدني والحماية

---

(١) مقتطف من كتاب « الجمعيات التعاونية ونظامها في مصر » تأليف الدكتور توفيق حامد المرعشلي مدرس التعاون والتاريخ بمدرسة عابدين للمعلمين

الجميات التعاونية ومبادئها والمحافظة على حقوق الاعضاء . ولقد اعتمد على إيمانهِ التعاوني ومبادئ التعاون السامية وعكف على نشر الدعوة بين الطبقات المختلفة واشتغل بتأسيس الجمعيات التعاونية كما اشترك في تأسيس البعض الآخر . وعاون في وضع النظم والطرق التعاونية فنجحت جهوده وبشرت بثمرة عظيمة

﴿الجمعية الزراعية والتعاون﴾ : اهتمت الجمعية الزراعية بدعوة عمر بك لطفي فألفت لجنة (في سنة ١٩٠٩) كان عمر بك احد اعضائها . وقد بحثت اللجنة الموضوع ووضعت الاقتراحات التي تؤسس عليها الحركة التعاونية . فاشارت بوجوب العناية بالمنشآت التعاونية للتسليف الزراعي وبالجمعيات التعاونية الزراعية للبيع والشراء . واختارت النماذج الصالحة لمصر كقطر زراعي . ووجدت انهُ يجب ان تقوم الحكومة بمهمتها التعاونية . فوضعت اللجنة مشروع قانون لصيانة الجمعيات التعاونية وتنظيمها وشكلها القانوني . ووضعت ايضاً مشروع لائحة ونظاماً داخليًّا للجمعيات

وقد سعى رئيس الجمعية الامير حسين كامل « المغفور لهُ السلطان حسين » سعياً متواصلاً ليحمل الحكومة على إصدار هذا القانون . ولكن تعب اللجنة ذهب سدًى فقد أهملت اقتراحاتها

﴿ جمعية التعاون المالي بالقاهرة ﴾ : على ان اهمال الحكومة لم يثن عزم عمر بك . فقد أسس في سنة ١٩٠٩ «شركة التعاون المالي التجارية بالقاهرة» وهي تشبه من وجوه كثيرة جمعيات « شلس » واستصدر بها امراً عالياً من الحكومة سنة ١٩١٠ وقد قامت هذه الشركة على المبادئ التعاونية وسارت في عملها بتعهدهِ اياها بالتنظيم والعمل فنجحت وهي ما زالت قائمة الى الآن يزداد رأس مالها وتقوم بخدمات مالية لاعضائها

﴿ جمعيات التعاون للتدبير المنزلي ﴾ : وقد اثمرت الدعوة التعاونية لدى طوائف الموظفين والعمال في اكثر عواصم القطر فأسسوا جمعيات تعاونية استهلاكية للتدبير المنزلي « كشركة التعاون المنزلي لموظفي الحكومة بالقاهرة » ويرجع الفضل في تأسيس هذه الشركة الى الاستاذ احمد بك فهمي القطان (مراقب التعليم الزراعي والصناعي بوزارة المعارف في الوقت الحاضر) . وكشركات التعاون المنزلي بالاسكندرية والسويس والمنصورة وطنطا وبني سويف والعياط والمنيا وكوم امبو وغيرها وقد سارت هذه الجمعيات على المبادئ التعاونية تخدمت أعضاءها باختيار احسن انواع الحاجات المنزلية لتوزيعها عليهم بأثمان مهاودة

﴿جمعيات التعاون الزراعية﴾ : وكان من اهم ما تصبو اليهِ نفس عمر بك إن يرى الجمعيات الزراعية منتشرة في انحاء القطر لا تخلو منها قرية لانتشال الفلاح المصري من ايدي المرابين والوسطاء وترقيتهِ ماديًّا وادبيًّا فواصل سعيهُ وجهودهُ لعلمهِ أن رخاء وطنهِ وسعادتهِ متوقفان على تنظيم جهود الفلاح الذي يستحق كل عناية ومساعدة حتى ينقذ من المساوئ المادية والادبية التي تحيط بهِ من كل صوب

وكان من ثمرة جهوده أن كانت بلدة شبرا النملة من أعمال مركز طنطا اول بلدة أسست نقابة زراعية سنة ١٩١٠ وتلتها قرى اخرى في الوجهين البحري والقبلي واسست جمعيات تعاونية زراعية للبيع والشراء والتسليف. كبلاد كفر الحمام ونشيل بالغربية وسنتماي واوليله بالدقهلية وميت القرشي بالشرقية ونامول بالقليوبية وخربتا بالبحيرة وبشتيل وناهيا بالجيزة والنويرة ببني سويف وغيرها

﴿وفاة عمر بك لطفي﴾ : ظل يجاهد في تأسيس النهضة التعاونية الى ان توفي في ٤ نوفمبر سنة ١٩١١ فكان فقدهُ خسارة كبيرة على مصر

كان رحمهُ الله قبل وفاتهِ يعد تأسيس نقابة عامة (اتحاد) للتعاون المنزلي والزراعي فحقق هذا المشروع اخوهُ المرحوم احمد بك لطفي المحامي المشهور

﴿تأثير عمر بك﴾ : ولاشك انهُ يرجع الفضل الى عمر بك في تنوير العقول وارشاد المصريين الى الروح والمبادئ التعاونية حتى تكوَّنت طبقة من الشبيبة المستنيرة اشتغلت بالتعاون وجاهدت بعدهُ في صيانة المنشآت التعاونية التي أسست في عهدهِ كما حرضت الطبقات على تأسيس المنشآت التعاونية المختلفة

وممن اشربوا الروح التعاونية الاستاذ عبد الرحمن الرافعي المحامي فكان أول من وضع مؤلفاً في التعاون باللغة العربية وهو كتابهُ القيم « نقابات التعاون الزراعية » الذي ظهر في سنة ١٩١٤ وهو سفر نفيس يشهد لمؤلفهِ بالعلم وسعة الاطلاع كما انهُ يعد الاساس العلمي للنهضة التعاونية المصرية

وتقلبت الاحوال العامة بمصر من سياسية واقتصادية واجتماعية فلم تنته الحرب الكبرى سنة ١٩١٨ حتى تضعضعت حالة الجمعيات التعاونية ولم يبق من النقابات الزراعية اكثر من ١١ نقابة مع ما صارت اليهِ من ضعف وتفكك. كما افلس بعض الجمعيات الاستهلاكية الصغيرة ولم يبق الاَّ الجمعيات الكبيرة في القاهرة والاسكندرية وبعض عواصم اخرى.

اما جمعية التعاون المالي بالقاهرة فقد ناضلت فعاشت بفضل المبادىء القويمة التي شيدها عليها مؤسسها المرحوم عمر بك

على انهُ لم يغب عن الطبقة المستنيرة ان يناضلوا عن التعاون إبقاء على نهضة تعبت الامة في تأسيسها فظهر في سنة ١٩١٧ كتاب التعاون في الزراعة للاستاذ صادق بك حنين (صادق باشا حنين وزير مصر المفوض في روما في الوقت الحاضر)

﴿ النهضة العامة ﴾ : ولما قامت ثورة الاستقلال بمصر سنة ١٩١٩ كان من شأنها إحداث نهضة عامة في كل ناحية من نواحي الحياة فكان للاحوال الاقتصادية منها حظ وفير

﴿ بنك مصر ﴾ : وكان من اثر هذه النهضة ان أنشيء بنك وطني هو بنك مصر سنة ١٩٢١ بأموال مصرية . وهي امنية قديمة تاق اليها المصريون فاقبلوا على مشترى اسهم البنك غير طامحين الى ارباح يجنونها بل كان في نظرهم ان الاقدام على مشترى هذه الاسهم تضحية وطنية فحسب . وبفضل هذا الاخلاص أطرد تقدم البنك .ساعد عليهِ مقدرة مديره المالي الكبير طلعت بك حرب . ولا أدل على اطراد تقدمه من ازدياد رأس مالهِ سنة بعد اخرى حتى وصل رأس المال في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٧ الى مليون جنيه مدفوع كله وارتفع ثمن سهمهِ من ٤ جنيهات الى ٦ جنيهات وكسور في الوقت الحاضر

وقد قام البنك بخدمات مالية جليلة ومما يذكر لهُ بالفضل انشاؤه أربع شركات صناعية وهي (١) شركة مصر لغزل ونسج القطن (٢) وشركة مصر لنسج الحرير (٣) وشركة مصر للكتان (٤) وشركة مصر لمصايد الاسماك

﴿ اهتمام الحكومة ﴾ : وكان من اثر النهضة أيضاً أن نشطت وزارات الحكومة في تعضيد النهضة الاقتصادية ووضعت كثيراً من المشروعات النافعة فأنشأت مصلحة الصناعة والتجارة (تابعة لوزارة المالية) لتشجيع الصناعات وتنشيط التجارة بكل الوسائل . وكان من هذه الوسائل أن اودعت الحكومة بنك مصر لغاية ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٧ من اموالها مبلغ مائتي الف من الجنيهات لاقراضها للهيئات الصناعية وهو عامل قوي لترقية الصناعات

﴿ تجديد النهضة التعاونية ﴾ : كان من نتائج النهضة العامة أن وجهت وزارة الزراعة عنايتها نحو إحداث حركة تعاونية بالبلاد وخاصة لنشر الجمعيات التعاونية الزراعيـة . فانشأت « قسم التعاون » ليكون ادارة خاصة بسهر على نشر الدعوة التعاونية ووضع

الخطط والنظم للارشاد والتأسيس والاشراف على الحركة التعاونية حتى تنبعث الروح التعاونية في نفوس الاهلين

﴿ المؤلفات التعاونية ﴾ : ولقد قرنت هذه الحركة بعامل مهم من عوامل النهضة وهو ظهور المؤلفات التعاونية . وهي دعامة قوية يجب العناية بها ليتأصل غرس التعاون وينمو ويثمر . وهي بحسب تاريخ ظهورها

عني الدكتور حسين الرفاعي (مفتش المالية) بتعريب كتاب « روح التعاون » ظهر سنة ١٩٢٢. ثم الاستاذ ابراهيم رمزي (مفتش التعاون بوزارة المعارف في الوقت الحاضر) أخرج « كتاب الجمهور في التعاون الزراعي » سنة ١٩٢٤. ثم كتابهُ « مبادئ التعاون » سنة ١٩٢٧ . أما الاستاذ الدكتور ابراهيم رشاد مدير قسم التعاون فقد اخرج كتابهُ الممتع « التعاون الزراعي » سنة ١٩٢٥ . فضلاً عن مجهودهِ الفني في إصدار نشرات قسم التعاون

واصدر ايضاً الدكتور يحيي احمد الدرديري في سنة ١٩٢٦ كتابه « التعاون »

ولا شك أن لهؤلاء يرجع الفضل في تأسيس النهضة التعاونية بعنايتهم بالناحية العلمية منها . والامل كبير في رجال الفنون الاقتصادية والمشتغلين بالتعاون ان يبرزوا من علمهم الجم المؤلفات التعاونية فما زالت البلاد في حاجة شديدة الى الاكثار منها وحتى تتكوَّن مكتبة تعاونية عربية أسوة بالبلاد الاوربية فقد اصبح في اكثر اللغات الحية مكتبة تعاونية لا تقل في ضخامتها عن مكاتب العلوم الحديثة الاخرى

﴿ التعليم التعاوني بمصر ﴾ : يدرَّس التعاون في مصر كعلم مستقل بمدرسة الزراعة . وفي سنة ١٩٢٥ قررت وزارة المعارف تدريس هذا العلم بمدارس المعلمين الاولية . فكانت خطوة مهمة في سبيل تقوية النهضة التعاونية الجديدة . لان طلبة هذه المدارس سيكونون طبقة مستنيرة في بلاد الريف . وسيكون لاتصالهم بأهلهم وعشيرتهم في القرية تأثير كبير عليهم وساعد قوي على نشر الدعوة التعاونية فضلا عن أنهم يستطيعون القيام باعباء أعمال الجمعيات التعاونية التي تنشأ . ولا نجد غيرهم في القرية اقدر منهم على ذلك

لكن وزارة المعارف أزمعت الغاء تدريس هذا العلم من مدارس المعلمين ابتداء من سنة ١٩٣٠ . ونحن لا يسعنا بعد أن اتضحت حاجة البلاد الى التعاون الا أن نرجو وزارة المعارف أن تعيد النظر في هذا الموضوع

القطن المصري في سويسرا
وتأثره بالحرير الصناعي

تقرير

رفع حضرة قنصل المملكة المصرية بجنيف عاصمة سويسرا الى وزارة الخارجية المصرية التقرير التالي عن القطن المصري الذي تستوردهُ سويسرا وتأثرهُ بصناعة الحرير الصناعي فرأينا اثباته لما تضمنهُ من المعلومات والفوائد وهو :

القطر المصري بلاد زراعية معظم ثروتها ان لم يكن كلها راجع الى ما تنتجهُ الارض من المحاصيل الزراعية ولما كان القطن هو الجزء الاكبر من هذا الانتاج الزراعي فهو اذن عماد الثروة ولذلك تهتم الحكومة بهِ اهتماماً عظيماً فتعقد لهُ المؤتمرات في مصر وأحدثها المؤتمر الدولي الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٢٧ أو ترسل مندوبيها الى المؤتمرات الخارجية كما تفعل في المؤتمر الذي يعقد في زوريخ بسويسرا هذا العام . وفي هذه المؤتمرات يقف الغزالون على مطالب المنتجين ورغباتهم . وتنفق الحكومة كذلك المبالغ العظيمة على عمل المباحث التي تؤدي الى تحسين نوع القطن وفوق ذلك فهي تسن القوانين بشأن هذا المحصول وتسهر على تنفيذها ورائدها في كل ذلك السعي وراء كل ما من شأنه رفع أثمان القطن في الاسواق

ومن ذلك يرى انهُ يتعين على مصر مراعاة تقلبات سوق هذا المحصول ودرس أحوالها بالعناية الواجبة والدقة الكافية لتستقصي الاسباب التي تؤثر في المقطوعية التي تصدر من مصر الى الخارج ومتى وقفت عليها عملت على ازالتها لانهُ كلما ازداد الطلب على القطن ارتفع الثمن الامر الذي من شأنه مضاعفة الثروة الاهلية في بلاد القطر

وبما ان صناعة النسج في مصر ما زالت في مهدها ولم تتدرج بعد لاستنفاد جزء من محصول القطن المصري أصبح هذا المحصول بطبيعة الحال موقوفاً على الاصدار الى الخارج لنسجه وأصبح من الواجب علينا الوقوف على حركة أسواق النسج الخارجية لعلنا نتوصل الى تنشيط هذه الاسواق لتزيد مقطوعيتها السنوية عما هي عليهِ

ولما كانت واردات سويسرا من مصر تكاد تنحصر في القطن وذلك لاحتياجها اليهِ لنسجه في معاملها ولاصدار المنسوجات بعد ذلك الى الخارج بعد ما تستهلك منها

في بلادها ما يسد حاجتها رأينا أن نطرق موضوع القطن المصري الذي تستورده سويسرا في هذا التقرير لنتعرف مدى تجارته ولنقف على العوامل التي تؤثر في مقطوعية سويسرا من القطن المصري وذلك لكي نتبين الطريق الذي يجب اتباعه اذا نقصت تلك المقطوعية

تستورد سويسرا القطن لنسجه من أميركا ومن مصر وهي تميل الآن الى زيادة ما تستورده من القطن المصري وذلك لما رأت فيه من جودة تيلته ونعومة شعرته وسهولة نسجه مما لم تجده في القطن الاميركي . وعلى ذلك فهي تحل قطننا تدريجيًا محل القطن الاميركي الى حد ما ويرى من الجدول الآتي مقدار ما تستورده سويسرا من القطن موزعاً بين أميركا ومصر من جهة وقيمة هذه الواردات بملايين الفرنكات من جهة أخرى . كما يرى من الجدول الذي يليه نتيجة النزاع القائم بين القطنين لاكتساب معامل النسج في سويسرا ومن الجدول الثالث يتضح انهُ بعد ما كانت سويسرا تستورد من اميركا ثلثي ما تحتاج اليه معاملها من القطن الاميركي والثلث فقط من القطن المصري أصبحت تستورد الآن النصف من أميركا والنصف الآخر من مصر وهناك أمل في ان تستمر هذه الزيادة تدريجاً نظراً الى ما في القطن المصري من المزايا التي لا تتوافر في القطن الاميركي كما قدمنا

الواردات على سويسرا بالطن

	من اميركا	من مصر	سائر البلدان
١٩١٣	١٥٦٠٠	١٠٤٠٠	١٣٠٠
١٩٢٠	١٣٢٠٠	٠٥٩٠٠	٢٠٠٠
١٩٢١	١٤١٠٠	٠٩٧٠٠	٠٨٠٠
١٩٢٢	١١٩٠٠	٠٨٥٠٠	١٠٠٠
١٩٢٣	١١٥٠٠	١٢٥٠٠	٣٣٠٠
١٩٢٤	١٤٠٠٠	١٣٥٠٠	٢٢١١
١٩٢٥	١٦٢٦٠	١٣١١٠	١٤٩٠
١٩٢٦	١٣٤٧٠	١٢٩٨٠	١٨٤٠

القيمة مقدرة بمليون الفرنكات

١٩٢٤	٦٠	٦٥	٧
١٩٢٥	٥٢	٦٤	٤
١٩٢٦	٣٣	٥٠	٣

القيمة مقدرة بمائة كيلو جرام

العام	من مصر	من اميركا
١٩٠١	٩٩٠٠٠	١٢٦ ٠٠٠
١٩٠٢	١٠١٠٠٠	١٢٨ ٠٠٠
١٩٠٣	٩١٠٠٠	١٣١ ٠٠٠
١٩٠٤	٩٠٠٠٠	١٣٧ ٠٠٠
١٩٠٥	٩٢٠٠٠	١٣٧٠٠٠
١٩٠٦	١٠٤٠٠٠	١٣٦٠٠٠
١٩٠٧	٩٠٠٠٠	١٤١ ٠٠٠
١٩٠٨	٩٠٠٠٠	١٣٧ ٠٠٠

القيمة مقدرة بمائة كيلو جرام

١٩٠٩	٩٠٥٠٠	١٤١ ٠٠٠
١٩١٠	٨٠٦٠٠	١١٨ ٠٠٠
١٩١١	٩٨٠٠٠	١٣٨ ٠ ٠
١٩١٢	١٠١٠٠٠	١٥٢ ٠٠٠
١٩١٣	١٠٣٠٠٠	١٥٦ ٠٠٠
١٩١٩	١١٠٠٠٠	١٢٩ ٠٠٠
١٩٢٠	٥٩٠٠٠	١٣٢ ٠٠٠
١٩٢١	٢٧٠٠٠	١٤١ ٠٠٠
١٩٢٢	٨٥٠٠٠	١١٩ ٠٠٠
١٩٢٣	١٢٥٠٠٠	١١٥ ٠٠٠
١٩٢٤	١٣٥٠٠٠	١٤٠ ٠٠٠
١٩٢٥	١٣١١٠٠	١٦٢ ٦٠٠
١٩٢٦	١٢٩٨٠٠	١٣٤ ٧٠٠

تستورد سويسرا القطن لنسجه في معاملها كما قدمنا ثم تصدره الى الخارج بعد ما تحتفظ منهُ لنفسها بما يسد حاجتها ويرى من الارقام المذكورة فيما يلي النسبة بين الواردات والصادرات في المواد الاولية اللازمة للنسج

المقدار بالطن

عام	١٩١٣	١٩٢٥	١٩٢٦
واردات	٤٧٩٤٠	٨٣٨٢٠	٣٩٥٦٠
صادرات	٢١٩٩٠	٢٥٤٢٠	٢٠٩٣٠
ما تستهلكهُ سويسرا	٢٥٩٥٠	١٨٤٠٠	١٨٦٣٠

فيتضح من هذه النسبة ان مقدار ما كانت تستهلكهُ سويسرا قبل الحرب بوام من المنسوجات كانت اكبر كثيراً من المقدار الذي تستهلكهُ الآن ولو بحثنا عن سبب هذا النقص في استهلاك المنسوجات القطنية لرأينا انهُ راجع الى ما تستهلكهُ سويسرا من نسيج الحرير الصناعي بجوار نسيج القطن وهي مسألة من الواجب

رعايتها والنظر بعين الانتباه الى ما يترتب عليها من النتائج اذ انها صناعة نسج تزاحم صناعة المنسوجات القطنية ولما كانت المقطوعية من القطن في سويسرا محدودة او تكاد تكون كذلك فكلما كثر ما يعرض من نسيج الحرير الصناعي على السوق نازعت نسيج القطن ولما كانت صناعة آخذة في التقدم في جميع البلاد وسيصبح من الصعب على سويسرا في المستقبل كما كان الحال سابقاً تصريفها بالتصدير الى اسواق غير اسواقها ولما كانت صناعة مرغوب فيها لقلة ثمنها فستضطر سويسرا بطبيعة الحال الى الانقاص من الكمية التي تستهلكها من المنسوجات الاخرى لاستهلاك كمية منسوجات الحرير الصناعي المطروحة في السوق من معاملها ويترتب على هذا اقلال مقطوعيتها من القطن وفي هذا خطر

ولما تحدثهُ صناعة الحرير الصناعي في ما تستوردهُ سويسرا من الاثر كما سبق ان بينا نرى ان نذكر شيئاً عن هذه الصناعة في سويسرا لتحدد قيمة تأثيرها في القطن المستورد من الخارج . يعمل في سويسرا اربعة معامل رئيسية يشتغل فيها خمسة آلاف عامل ويخرج أحد هذه المعامل يوميًا من عشرة آلاف الى اثني عشر الفاً من الكيلوجرامات وقد حازت منسوجات الحرير الصناعي في سويسرا شهرة واسعة في الاسواق الاجنبية لحسن نوعها . [وهنا اشار جناب القنصل الى مقدار الصادرات والواردات من الحرير الصناعي في سنتي ١٩٢٤ و١٩٢٥ وتعليل انخفاض الواردات سنة ١٩٢٥ عنها في سابقتها بانشاء معامل جديدة للانتاج . ثم فسر زيادة الصادرات في سنة ١٩٢٥ عن ١٩٢٤ بقوله أولاً ان جانبا كبيراً مما صنع في سويسرا استعملتهُ معامل النسج فيها لما رأت الاقبال على هذا النوع من النسيج . . . وثانياً انهُ في يوليو سنة ٩٢٥ اصدر قانون في انكلترا يحمي تلك الصناعة فيها فاضطرت سويسرا ازاء هذا القانون وقبل ان يدخل في دور التنفيذ ان تنتج اكبر كمية ممكنة لتصديرها لانكلترا وهذا يفسر ارتفاع قيمة الصادرات في عام ١٩٢٥ على عام ١٩٢٤ كما قدمنا . . .]

ومما تقدم يرى ان صناعة الحرير الصناعي قد أثرت في ما تستوردهُ سويسرا لمعاملها من القطن ولولا انها (سويسرا) رفعت نسبة ما تستوردهُ من القطن المصري الى النصف بعد ما كان اللازم لمعاملها منهُ الثلث كما قدمنا لكانت نقصت مقطوعيتها من القطن المصري نقصاً اكثر من ذلك ولكننا نؤمل ان معامل سويسرا ما دامت تفضل القطن المصري على القطن الاميركي لجودته ان تستمر على الاقل في طلب المقطوعية التي تستوردها سنويًا من القطن ان لم تزدها على حساب القطن الاميركي

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

التعب العقلي وتأثيره في الجسم

التعب عقليًّا كان او بدنيًّا اذا زاد اضرّ فاذا احسّ الانسان بهِ فعليهِ ان يطلب الراحة قليلاً لتتجدد قواهُ قبل ان يستأنف عملهُ ثانية. واذا فعل ذلك وجد في آخر يومهِ ان ما اتمهُ من الاعمال لا يقل عمَّا يتمهُ اذا واصل الانكباب عليها كل ساعات النهار من غير انقطاع وأمن فوق ذلك السقطات التي يتعرض لها من يعمل وهو متعب. وهو ضروري للعقل والبدن لا يتقوّيان الاَّ بهِ ولكنهُ اذا زاد كان لهُ مضار جمة قد تتمكن من الجسم فتلازمهُ

وقد بحث العلماء كثيراً في تأثير التعب العقلي في الجسم فاثبت بعضهم ان طلبة الجامعات يقلُّ تناولهم للطعام وينقص وزنهم زمن الامتحانات واذا طال الامتحان كان لهُ في أجهزتهم العصبية تأثير يشبه اعراض النوراستينيا المزمنة

وبحث عالم روسي يقال لهُ اغناتيف في ٢٤٢ تلميذاً بين العاشرة والسادسة عشرة من العمر في احدى مدارس موسكو العسكرية فوزنهم ثلاث مرات المرة الاولى قبل ان يبدأُوا بالاستعداد للامتحانات والمرة الثانية بعد ان فرغوا منها والمرة الثالثة بعد ان عادوا من عطلة الصيف. وكان الفرق بين المرة الثانية والمرة الاولى ان ٧٩ في المائة من التلاميذ نقص وزنهم و١١ في المائة بقوا على ما كانوا عليهِ و١٠ في المائة زادوا وكان يجب ان يزيد وزن الجميع لانهم احداث في زمن النمو. وزاد وزن ٩٠ في المائة منهم بعد العطلة ونقص وزن ٤٫٦ في المائة فقط وكان فيهم ١٣ تلميذاً لم تكفهم العطلة لتعويض

كل ما خسروهُ في الامتحانات . وقد قال اغناتيف ان مثل هذا التأثير الظاهر في البدن لا بد ان يتناول الدماغ ايضاً

وبحث غيرهُ في مقدار الطعام الذي يتناولهُ التلاميذ في المدرسة فوجد انهُ يقل كل شهر عما كان في الشهر الذي قبلهُ. ويرى كثيرون ان سبب ذلك هو تأثير التعب العقلي المباشر في اعمال الهضم والاغتذاء لانهُ يعطلها بعض التعطيل وقال البعض ان لهُ سببين آخرين ايضاً اولهما قلة تأكسد الدم وقلة افراز غاز الحامض الكربونيك منهُ لقلة عمل التنفس عند الانكباب على العمل العقلي وثانيهما تجمع الفضلات التي تنشأ عن العمل في الدم وتأثيرها فيهِ تأثيراً كيماويًّا

وقد بحث بعضهم في ١٨ طالباً من طلبة الجامعات و١٧ ولداً بين العاشرة والثانية عشرة قبل ان يبدأُوا بالاستعداد للامتحانات وبعد ان فرغوا منها فكان كلَّ مرة يقدّر عدد الكريات الحمراء في دمهم ومقدار الهيموغلوبين فيهِ ومقاومة الكريات الحمراء فلم يظهر لهُ تغير في عدد الكريات ولكن الهيموغلوبين نقص ١٠ في المائة بعد الامتحانات في طلبة الجامعات ونقص نقصاً يقرب من ذلك في الاولاد وضعفت مقاومة الكريات الحمراء ضعفاً يقابل الضعف الذي يطرأ عليها اذا تناول الانسان بعض السموم واستنتج هذا العالم من ابحاثهِ هذه ان التعب العقلي يولد في الجسم سمًّا يضعف الدم . ثم بحث ابحاثاً اخرى استنتج منها ان سبب الانيميا في اولاد المدارس هو تجمع سموم التعب في اجسامهم وقد وجد هلوج ان التعب العقلي يقلل تجدد الكريات الحمراء في الدم وان ذلك يتوقف على صعوبة العمل وطول مدتهِ وفترات الراحة التي تتخللها ومقدار الرياضة او الحركة البدنية والهواء النقي

ولكن بورشمان الروسي اثبت ان الكريات الحمراء يزيد عددها في طلبة المدارس اذا خرجوا للنزهة في العطلات المدرسية وتقل اذا عادوا الى المدرسة واكبوا على دروسهم. وانهُ اذا نُقل الاولاد من مدرسة مسقوفة الى مدرسة تعلمهم وهم في الهواء الطلق ظهر هذا الفرق في دمهم ايضاً

وللجلوس تأثير كبير في التنفس فانهُ يقل في القسم العلوي من الصدر في اثناء الانحناء للكتابة . وقد بحث احدهم في تنفس تلاميذ المدارس وهم جلوس فوجد ان ما يتنفسونهُ من الهواء في ثلاث دقائق يقل ٨ في المائة عما يتنفسونهُ في مثلها وهم وقوف واذا طالت المدة ايضاً زاد الفرق

والطلبة الذين ينقطعون لتحصيل العلوم اللغوية والرياضية وغيرها مما لا يقتضي حركة بدنية تكثر اصاباتهم بالامراض اكثر من الطلبة الذين يدرسون الكيمياء والحيوان والطبيعيات ويجرون التجارب والابحاث فيها . وسبب ذلك ان هؤلاء يذهبون ويجيئون في اثناء اعمالهم اما أولئك فيكبون على الكتب وقلما ينهضون من كراسيهم. وتزيد الامراض بين التلاميذ في اواخر السنة المدرسية وفي زمن الامتحانات وصحة الذين يتعلمون قبل الظهر فقط اجود من صحة الذين يتعلمون قبل الظهر وبعده

وتجنب هذه المضار سهل جدًّا وذلك بان يلتفت صاحب العمل العقلي الى بدنه قليلاً ويعطيهُ قسطاً من الراحة والرياضة اليومية التي لا تقتضي بذل قوة كثيرة والخروج في الهواء الطلق . ومن راعى هذه الاعتبارات بقيت لهُ عافيتهُ وامكنهُ القيام باعباء الاعمال الكبيرة

المسز املين بانكهرست

زعيمة الانكليزيات المطالبات بحقوق النساء السياسية

بدأت شهرة « المسز بنكهرست » العالمية عام ١٩٠٣ عند ما انشأت « جمعية اتحاد النساء الاجتماعي والسياسي » وقد كانت هذه السيدة في طفولتها — وهي ابنة روبرت غولدن احد تجار منشستر — مثال الذكاء والحزم وصلابة الرأي . ولدت سنة ١٨٥٨ وفي سنة ١٨٧٩ تزوجت الدكتور رتشرد بنكهرست » من كبار المحامين الذي كان بدوره من أشد انصار كل عمل اصلاحي يعرض لهُ وكانت زوجته عند زفافها اليهِ شابة جميلة تشتعل في صدرها نار الحياة والنشاط . فاندفعت بكل قواها الى خوض معمعان المعركة في سبيل « حرية الرأي » والاشتراكية الاجتماعية . ولم تغفل حتى في بدء عهدها هذا ان تضع حق الانتخاب للنساء في برنامج الاصلاحات المؤدية الى ايجاد سماء جديدة وارض جديدة

وفي عام ١٨٩٨ توفي زوجها « الدكتور بنكهرست » تاركاً لارملته ثلاث فتيات وفتى لتعنى بتربيتهم على ايراد قليل جدًّا كان حتماً اكثر كثيراً لو لم ينفق الزوج الراحل بضعة آلاف من الجنيهات على مشروعاته الاصلاحية . فرأت « املين بنكهرست » الارملة الشابة ان لا بد لها من الالتجاء الى العمل لتستطيع ان تكفل اطفالها وتقوم

بواجب تربيتهم وتعليمهم. فحصلت على منصب مسجلة للمواليد والوفيات في « شورلتون اون ملدون » وهي مقاطعة قريبة من مدينة منشستر

على انها لم تلبث ان تركت المنصب وانصرفت الى خدمة قضية المرأة . وكانت على الارجح تتناول راتباً عن ذلك اثبتت باعمالها انها استحقت كل بارة منهُ. وبدأت « مسز املين بنكهرست » عملها السياسي في سبيل نيل المرأة حقوقها بصورة جدية في عام ١٩٠٦ فجندت جيشاً كبيراً من النساء يعمل تحت قيادتها . وانهالت عليها التبرعات من كل حدب وصوب حتى انهُ قيل ان الاموال التي جمعت للقضية النسوية تفوق اي مبلغ جمع لاية قضية او مشروع آخر

ورأت ان الاكتفاء بالخطب والمطالبة بالاساليب السلمية المشروعة لا يكسب قضيتها الخطورة التي تريدها لها ولا يلفت نظر الناس لفتاً كافياً اليها . وان الرجل لن يتنازل عن شيء من حقوقه للمرأة الا مرغماً ، فاتخذت الشدة والعنف مبدأ لها ، وانشأت من بين مناصراتها فريقاً من النساء الفدائيات اطلقت عليهن لقب المجاهدات ، فاندفعن تحت رايتها الى استخدام العنف والاعتداء والتخريب. ولم يحجمن عن الاعتداء على الوزراء والنواب وجلدهم بسياطهن بل حطمن واجهات الدوائر والمخازن ، واوقدن النار في صناديق البريد ، واتين غير ذلك كثيراً من اعمال الشدة والعنف لارغام الحكومة على الاهتمام بحركتهن واجابة مطالبهن

وكتبت الى « السر هنري كامبل بنرمان » رئيس الوزارة الانكليزية في ذلك العهد كتاباً قالت فيه : —

« ان النساء سئمن ما يظهره نحوهنَّ رجال السياسة من العطف ، وما يخدعونهن بهِ من الاقوال وانهن لم يعدن يكتفين بالوعود والمجاملات بل يطلبن الاعمال وسيمضين في جهادهن الى ان ينلن مطالبهن »

وفي سنة ١٩٠٦ ذهب وفد برياستها الى البرلمان وقابل الزعماء وافهمهم صريحاً ان النساء مصممات على نيل حقوقهن مهما بذلن في سبيل ذلك ، ومهما تحملن من عناء. وقد قاست « مسز بنكهرست » من جراء اعمالها وتحريضاتها ، وفي سبيل قضيتها كثيراً من الاضطهاد والسجن بين عام ١٩٠٨ وعام ١٩١٣

وقد حاربت « مسز بنكهرست » السجن مع كثيرات من زميلاتها بالامتناع عن

الاكل حتى اضطر رجال الحكومة مرة من المرات الى تغذيتها بالقوة بعد ان اشرفت على الموت . على ان اضرابها عن الطعام جاء بالنتيجة المرغوبة ، فلم تمض في السجن اكثر من ٢٦ اسبوعاً من مجموع المدد المحكوم بها عليها وهي تزيد عن اربع سنوات

وقد كان لهذه السيدة شخصية مغناطيسية تجتذب الناس اليها . ومقدرة خطابية تؤثر في سامعيها وتدفع بهم الى القيام باي عمل تدعوهم اليه وقد كان النساء شديدات الاعجاب بها وكثيراً ما تحمسن عند سماع خطاباتها فتقدمن ينثرن حليهن وجواهرهن تحت قدميها مساعدة للقضية التي تخدمها

وقد هذبت بناتها تهذيباً عالياً وعلمتهن العلوم الراقية ثم انشأتهن على مبادئها ، فشاركنها في جهادها واشتهرت منهن « كرستابل بنكهرست » التي تولت تحرير جريدة اسمها « بريطانيا » خصيصة لخدمة القضية النسوية ، وانشأت مقالات كثيرة في غيرها من الصحف والمجلات دفاعاً عن مبادئها

واشتهرت ابنتها الثانية « سيلفا » التي كانت تحرر جريدة « دردنوط العمال » ولها مؤلفات كثيرة عن الحركة النسوية وعن روسيا الشيوعية وغيرها

وقد بلغت الفتاتان — وخصوصاً الاولى منهما — من الشهرة في جهادها ما كاد ينسي الناس مكانة والدتهما

وظلت « املين بنكهرست » تواصل جهادها بمساعدة ابنتيها ومن التف تحت رايتها من النساء الى ان نشبت الحرب الكبرى فحولت مساعيها عندئذ الى العمل للقضية الوطنية العامة والى الدعوة للتجنيد . ويقال انه كان لمساعيها ومساعي النساء العاملات معها الفضل الاكبر في نجاح حركة التجنيد في انكلترا

ولما انتهت الحرب عادت الى الالحاف بمطالبها . وقد كان لعمل المرأة في الحرب اثر عظيم في تبدل آراء رجال السياسة نحوها فعاشت « املين بنكهرست » لترى آمالها محققة ولتشهد جهادها الطويل يتوج بالقانون الجديد الذي ابرمهُ البرلمان البريطاني وهو يقضي بمساواة المرأة بالرجل في حقوق الانتخاب

(مقتطفة عن العروسة)

المرأة وتقدم الطيران

بين عهدين

١٩١٤ — ١٩٢٨

العلم والعمران يسيران الى الامام على جثث ضحاياهما . وقد ادركت المرأة ذلك كلَّ الادراك فلم تحجم عن التقدم الى الميدان تستخفها الجرأة ويستثيرها الاقدام . وعبور الاوقيانوس الاتلنتيكي مثال بليغ على صحة ما نقول. خمس سيدات حاولن ان يجتزنهُ طيراناً مجاراة للشجعان من الرجال الذين فازوا بذلك فغرق ثلاث منهن في اليمّ قبل تحقيق الامل هنّ مسز جريسن التي حاولت اجتياز الاتلنتيكي من اميركا الى اوربا في طيارتها «الفجر» في شهر دسمبر من السنة الماضية . والبرنسس لونشتين ورذيم التي حاولت اجتيازهُ من اوربا الى اميركا في ٣١ اغسطس سنة ١٩٢٧ يصحبها الطياران الكولونل منشن والكابتن هملتن . والمس السي مكاي التي حاولت اجتيازه في ٣١ مارس سنة ١٩٢٨ مع الكابتن هنشكلف

اما السيدتان الباقيتان فهما المس روث الدر التي حاولت اجتيازهُ في ١١ اكتوبر سنة ١٩٢٧ مع الكابتن هالديمان فنزلت بهما الطيارة على مقربة من جزائر الازورس والتقطتهما باخرة اتفق وجودها هناك . والثانية المس ايرهارت التي فازت فوزاً كاملاً باجتياز الاتلنتيكي في ١٧ و١٨ يونيو الماضي على الطيارة فرندشيب على ما اثبتناهُ في مقتطف يوليو الماضي صفحة ١١٤

وعندنا ان ابلغ مثل تضربهُ المرأة لاقدامها وشجاعتها وأثرها في ترقية الطيران هو فوز اللايدي هيث الانكليزية التي طارت وحدها بطيارة صغيرة من مدينة الكاب بجنوب افريقية الى لندن . ومثلها اللايدي بايلي التي طارت وحدها كذلك بطيارة صغيرة من لندن الى مدينة الكاب وقد مرتا كلتاهما بمصر

يضاف الى ذلك المثل البليغ الذي تضربهُ الامهات والزوجات والخطيبات والاخوات اللواتي يقبلن ان يتعرض ابناؤهن وازواجهن وخاطبوهنّ واخوتهن لمخاطر الطيران ولا يكتفين بذلك بل يشجعنهم على اقتحام ميدان الجهاد بقلب ملآنٍ الشجاعة ويحدوهُ الامل

***

تم كل هذا في السنتين الاخيرتين. ولكن النساء جارين الطيران منذ نشأتهِ الاولى. واليك ما فعلتهُ سيدة انكليزية قبيل الحرب نعيد نشره الآن لمقارنتهِ بافعال اخواتها اللواتي جارين الرجال في اكثر الاعمال خطراً واكثرها استلزاماً للصبر والشجاعة والاقدام

المسز بلر احذق امرأة طيارة

هي سيدة انكليزية اولعت في صباها بركوب الاوتوموبيل ولم تكتف بركوبهِ بل جعلت تصلح في آلاتهِ ولها مخترعات فيهِ تدلُّ على حذق شديد ومهارة فائقة . واول مرة طارت في طيارة سنة ١٩١٠ ثم طارت مرة اخرى بعد بضعة اشهر ومن ثمَّ أُولعت بركوب الطيارات فدخلت مدرسة الطيران في دوي بفرنسا وكانت السيدة الوحيدة في تلك المدرسة فاقامت فيها سنة ونصف سنة درست في غضونها كل ما يتعلق بالطيران وعمل الطيارات وجعلت تعمل بيديها كل اجزاء الطيارة مثل اي ضابط من ضباط الفرقة الطيارة في الجيش الفرنسوي

وطارت اول مرة وثاني مرة في دوي مع استاذها واذن لها في المرة الثالثة ان تطير وحدها ولكن اشترط عليها ان تطير في خط مستقيم ولا تدور في الجو لانهُ حسب انها لا تستطيع الدوران فطارت ثم ادارت طيارتها قليلاً فوجدت انها تستطيع ان تديرها بسهولة فجعلت تدور بها مرة بعد اخرى واساتذة المدرسة تحتها وقوف يعجبون من جسارتها وجرأتها

ونالت الشهادة من تلك المدرسة في ٢ ابريل سنة ١٩١٢ وكانت تعد من امهر الضباط الطيارين الذين تعلموا معها لانهم كسروا ٢٧ طيارة ثمنها ٤٠٠٠٠ جنيه واما هي فلم تكسر ولا طيارة مع انها كانت تطير مثلهم . ولما جرت المسابقة لاجل كاس النساء بقيت طائرة ساعتين في عاصف شديد ثم نفد زيت الآلة المحركة فوقفت بغتة ووقفت المروحة اما هي فلم تضع صوابها كما يقع للطيارين في مثل هذه الحالة بل ادارت الطيارة ونزلت بها رويداً رويداً فوصلت بها الى الارض سالمة كأنهُ لم يصبها شيء

وكانت مرة تطير بطيارة فيها آلة قوتها ١٣٠ حصاناً فرأت وهي طائرة ان اسلاك الطيارة اطول مما يلزم ولم تكن قد فحصتها قبلما طارت بها فانحنت وضغطت على الاسلاك وانزلت الطيارة الى ميدان الطيران وكان الوقت ليلاً ولم تكن قد رأت ذلك الميدان من قبل لكنها وصلت الى الارض في الميدان المعد لنزول الطيارين . وهي عازمة الآن ان تطير من اوربا الى مصر بطريق البلقان

الفتاة المصرية والعمل

اصلاح خطإ

حضرة الاستاذ محرّر المقتطف

ذكرتم في المقال عن «ذكرى قاسم امين» المدرج بتوقيع «سفوري» في باب تدبير المنزل من عدد يونيو المنصرم ان صاحب العزّة محمد طلعت بك حرب قال في حديث معي «انهُ لا يرى مانعاً في قبول البنات للعمل في البنوك ومكاتب الاشغال»

وانا في الحديث الوحيد الذي نشرتهُ لطلعت بك في «السياسة الاسبوعية» في العام الماضي لم أذكر قط شيئاً كهذا، ولم يردْ في ذلك الحديث موضوع عمل الفتيات في البنوك والمكاتب، كما اني لم اسمع مرة من طلعت بك ما يقرب من هذا الرأي

لذلك ارجو نشر هذه الكلمة تقريراً للواقع، والسلام «مي»

فوائد منزلية

لا تستعملي ماء الصابون لتنظيف فرشاة الشعر بل اغمسيها حتى مقبضها بماء الصودا الفاتر. ثم عرضيها للشمس مقلوبة اي شعرها الى تحت وقفاها الى فوق فتنظف. اما الماء السخن والصابون فينعم شعر الفرشاة ولا ينظفهُ

لتنظيف الفرو الابيض ان كان غير شديد الوسخ امزجي مقدارين متساويين من مسحوق النشاء الابيض ومسحوق البورق وافركي الفرو بهِ جيداً ثم انفضيه في الهواء الطلق

اذا اضطررت الى وضع البرانيط في صندوق مع الثياب فاملئي داخل البرانيط قماشاً فلا تتحطم قوالبها

لتنظيف برنيطة القش بلي فرشاة بالماء الفاتر اذيب فيهِ قليل من الصابون وافركي بها البرنيطة. ثم اغسليها بماء نقي. ثم ضعي قليلاً من الحامض الليموني. او الطرطريك او الاكساليك. في اناء نظيف وصبي عليهِ من الماء الغالي ما يكفي لغمر البرنيطة. ثم زجيها في هذا الماء خمس دقائق. وبعدئذٍ دعيها تنشف في الشمس

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

شرقي ممتاز في جمهورية اميركية

الدكتور جبرائيل طربي

للبناني تحت كل سماء مآثره ومزاياه الرفيعة الكامنة التي كثيراً ما تتجلى في المهجر حيث تقدس الحرية ويصان الحق فيظهر على المسرح العام متفوقاً مبرزاً

هو ابن حنا طربي وربابه ابي منصور البسكنتاويين « لبنان » . ولد في بوكارمنكا « كولومبيا » حيث ترعرع وعلى محياه علائم النبوغ وامارات النجابة . واتمَّ دروسه العالية في الجامعة الوطنية في عاصمة هذه الجمهورية « بوغوتا » لما كان لهُ من العمر ثلاثة وعشرون عاماً . وولج عالم العمل طبيباً نطاسيًّا وجل اهتمامهِ ان يكون طبيب جماعات يعمل مبضعه الحاد في جسمها الفاسد . وهذا ما كان يجاهر به من على المقاعد المدرسية كتابة وخطابة

طربي سياسياً

ترك العاصمة آمًّا مسقط رأسه . وكان الجمهور عندئذ يتأهب للخوض في معركة الانتخابات للمجلس التشريعي في مقاطعة سانتندر . فرأى فيهِ حزب الاحرار الذي ينتمي اليه — ما يؤهله للاندماج في صفوف المنتخبين . وهكذا كان . نزل الى مضمار السياسة فكانت لهُ جولات رائعة احلته في ارفع الدرجات فاصبح والكل يخشى نزاله ذا كلمة نافذة . وكانت الغيوم متلبدة في جو المجلس ومصلحة المقاطعة تتلاعب بها الاهواء ويد الاميركين تحوك الشباك خفية طمعاً بالاستيلاء على ينابيع البترول . في هذا الوقت

العصيب دوى في القاعة صوت طربي مؤنباً منذراً وقدم الى الجموع كباكورة اعماله خذلان زميله المرتشي الذي كان آنذاك رئيس المجلس وارغمه على الاستقالة من منصبه بعد ما كشف القناع عن حقائق راهنة تؤيد حجته . فاصبح بعد ذلك مطمح الابصار ومحط الآمال . اسمه رمز الاخلاص والجهاد تتناقله الالسن وتردده الاندية

طربي رئيساً لحزب الاحرار

وحتى الآن لم تمض الا اربع سنوات وهو في ميدان السياسة عامل بهمة لا تعرف الملل نظم في خلالها صفوف حزبه ونفخ فيه روح الشباب فكافأهُ على خدماته بانتخابه له رئيساً

مكانته في الجمهورية الكولومبية

انقسم حزب الاحرار في هذه الجمهورية على نفسه وفي الانتخابات العمومية لمجلس الامة خُذل الحزب المنشق بعد ما اصلاه طربي واعوانه حرباً خطابية فاصلة فكان لهذا الفوز المبين رنة استحسان في كل الانحاء زادت في شهرته ومهدت له سبيل النجاح وما لبثنا ان رأيناهُ منتخباً عضواً لمجلس الامة عن حزب الاحرار باكثرية ساحقة

لمجلس الامة في هذا العام اهمية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الجمهورية . فكولومبيا تشغل افكار المتمولين في وول ستريت ولندن . وحكومتا الولايات المتحدة وانكلترا تتزاحمان على نيل الامتيازات لاستخراج البترول. والامة الكولومبية في تطور سريع وتيار التقدم الاجتماعي اخرجها من طور الجمود الى طور العمل. والحكومة بين حماسة شعبها ومطامع الاجانب في مأزق حرج . ولمجلس الامة ان يقرر المصير في مثل هذه الحال

دخل طربي العاصمة فاستقبله اتباعه احسن استقبال مؤكدين له اخلاصهم ومناصرتهم اياه لانه في عرفهم بطل المعركة ولانهُ قادر على تفريج الازمة المحتكمة بجرأته المعهودة

انتخابه نائباً لرئيس مجلس الامة

وفي الاجماع على انتخابه نائب رئيس دليل قاطع على تقدير الساسة لهُ حق القدر واعتباره زعيم النواب الاحرار . فيكون هو اول نائب رئيس لا يزيد عمره على سبع وعشرين سنة . هذا الشاب القائد للاقلية فاق متقدميه بجرأته الفائقة ومنطقه الصريح المقنع فهو بدون معارض خطيب مصقع وكاتب مجيد في الاسبانية . واعداؤهُ السياسيون انفسهم يقرون انهم لم يروا حتى الآن لهُ نظيراً في توقد القريحة وسهولة التعبير

ماركس فيديل سوارس الذي كان رئيساً للجمهورية واديباً مشهوراً وصف الفتى

طربي في احد « احلامه » الذائعة بين الناطقين بالاسبانية وصفاً دقيقاً جاء فيهِ على مقدرته الخطابية وغزارة مادته في هذا الفن

اعماله الحزبية

استدعى وزير الحربية ورئيس الحكومة ليقدما تقريراً عن اعمال الحكومة في الاعتصاب الذي قام بهِ العمال في نهاية العام المنصرم وعن الوسائل الصارمة التي اتخذتها لردهم جبراً الى شغلهم . فاحتدم الجدال وناقش طربي الوزيرين الحساب مقبحاً اعمالها المناقضة للشريعة ومدافعاً عن حقوق العمال غير هياب . وكان من اعجاب الناس بهِ ان حملوه بعد انتهاء الجلسة على الاكتاف بين الهتاف والتهاني

اعماله الوطنية

والقرارات التي دعمها بوقفاتهِ المشهورة وجعلها بقوة الحق شرائع معمولاً بها عديدة فهو رجل عمومي لا نفعي يتفانى في خدمة العامة وحتى الآن ليس في تاريخ حياته السياسي نقطة سوداء. وفي كل يوم ترى صحف العاصمة حافلة بالاخبار عن كل ما تيه ناطقة بفضله مجمعة على تكريمهِ على اختلاف نزعاتها

ومما استلفت انظار الوطنيين وشغل افكار المتمولين الاجانب ما جاهر بهِ عند وصولهِ الى العاصمة وملخصه ان الحكومات السابقة كانت متساهلة الى حد الضعف فيما يتعلق باعطاء الامتيازات فانتقدها انتقاداً جارحاً على صفحات الجرائد مبشراً ان زمن الخنوع مضى وشأن الحكومة اليوم في ثروتها غيرهُ بالامس . وان الامة تسفك آخر نقطة من دمها قبل ان تدع سيادتها القومية تحت رحمة لندن او نيويورك

وقد بدأت تتحقق نبوءتهُ وانتقل من القول الى العمل قائلاً مع اكثرية زملائهِ بانبساط ملكية الدولة على ما في جوف الارض الكولومبية من سائل ومعدن ثمينين. امامنا عدد من جريدة « الوقت» el tiempo احدى امهات الجرائد في العاصمة يتضمن خطاباً شاملاً لطربي يعضد بهِ الشريعة الجديدة فهي الثالثة من نوعها بعد الشريعتين المكسيكية والارجنتنية في اميركا الوسطى والجنوبية وبموجبها تحفظ حقوق الشعب وتصان ضد الجشع الاميركي الذي يهدد كيان الجمهوريات في العالم الجديد

ومجلس الامة في هذه الاونة على ابواب العطلة النيابية فاستناداً الى تصريح اقطاب السياسة في هذه الجمهورية كان لطربي القدح المعلى في المناقشات وقد تكللت مساعيهِ بالنجاح المنشود . فالمقاطعة التي يمثلها تستعد لتضع على رأسه اكليل غار تقديراً

لتضحيته وتجرده . فلبنان يفتخر به لان دمه لبناني وكولومبيا تمجده لانه تحت سمائها فتح عينيه على نور الحياة . والجالية السورية اللبنانية ترى في الفتى النابغ رمزاً للتفوق الشرقي وبرهاناً ساطعاً على مقدرة الشرقيين حيث ينفسح امامهم المجال

بوكارمنكا كولومبيا ــــــــ جورج صليبا

اصلاح التقويم

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغر

بعد التحية قرأت في عدد يوليو الجاري ردكم على السؤال الخاص بالتقويم الغريغوري من احد قراء مجلتكم باميركا فاقراراً للحقيقة رأيت من الصواب ان الفت نظركم الى ان السنين المئوية ليست كلها عادية بل تكون واحدة منها كبيساً كل اربعمائة سنة مثل سنة ١٦٠٠ وسنة ٢٠٠٠ وسنة ٢٤٠٠ وهلمَّ جرًّا وبذلك يكون الفرق بين التقويم الغريغوري والسنة الشمسية معادلاً لجزء من عشرة اجزاء من اليوم في كل ٤٠٠ سنة كما ترون ذلك من العملية الآتية :

اولاً — عدد الايام الحقيقي في ٤٠٠ سنة حسب النظام الشمسي :

ايام		سنة		
٣٦٥٫٢٤٢٢٤	+	٤٠٠	= ١٤٦٠٩٦٫٨٩٦	يوماً

ثانياً — عدد الايام في ٤٠٠ سنة حسب التقويم الغريغوري

ايام		سنة		
٣٦٥	+	٣٠٠	= ١٠٩٥٠٠	يوماً
٣٦٦	+	١٠٠	= ٣٦٦٠٠	»
			١٤٦١٠٠	»

خصم ثلاثة ايام لثلاث سنين مئوية

غير كبيس ٣

١٤٦٠٩٧	»

يتضح من ذلك ان التقويم الغريغوري يسبق النظام الشمسي بما يعادل ٠٫١٠٤ من اليوم اي ١/١٠ من اليوم تقريباً كل اربعمائة سنة — هذا وتفضلوا بقبول مزيد احترامنا

وديع خوري بشركة السكر بالشيخ فضل

مكتبة المقتطف

بهجة الافراح في مناجاة الارواح

تأليف الدكتور ابرهيم عربيلي — صفحاته ١٤٠ قطع صغير — عني بنشره يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

ما زال البحث في الروح وخلودها واستحضارها ومناجاتها وما يتبع ذلك من اسرار تحيّر اللب من الوجهتين الدينية والدنيوية يشغل بال الناس على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم من الثروة والعلم والتديُّن

والباحثون في ذلك فريقان فريق يقول: ان كل ما اطلعنا عليهِ من هذا القبيل وكل ما امتحناهُ لم نجد فيهِ ما يخرج عن التخيُّل والخداع . او ما لا يفسَّر بالاستهواء الذاتي او ببعض النواميس الطبيعية المعروفة او ما لا يمكن ردُّهُ الى غيره مما لا يتعذر تفسيرهُ او ما في صحته شبهة قوية

والفريق الثاني يقول: ان استحضار الارواح ومناجاتها امر لا ريب فيهِ . وان بعض الناس ممتاز بمقدرة خاصة على مناجاة هذه الارواح ومخاطبتها كما يمتاز المستنبط المبدع او الموسيقي المبدع بقوة قلَّ من يجاريه فيها من الناس

وبين الفريقين فريق شبيه بالفريق الاول يقول: نحن لا ننفي المناجاة ولا نثبتها وان كنا نرتاب في صحتها للاسباب التي يدلي بها اصحاب الرأي الاول وانما نقف موقف العالِم الحذِر نقول لا ندري لاننا لا نعرف كلَّ الحقائق التي نستطيع ان نبني عليها حكماً قاطعاً . ويستشهدون على موقفهم هذا بتاريخ العلم . فكم من مرة وقف المفكرون وقالوا كذا وكذا مستحيل . ثم لم تلبث الايام ان دارت دورتها وصار كذا وكذا من الحقائق الاساسية التي يقوم عليها العلم

بين هذه الفرق الثلاث يروح ويغدو جمهور كبير من الافاقين المخادعين جعلوا ديدنهم الشعوذة باسم الارواح وهم في اكثر الاحيان خادعون عن تدبر وروية . لذلك حين قدمت مجلة السينتفك اميركان جائزتها المشهورة منذ بضع سنوات وعرضت ان

تمنحها لكل وسيط يستطيع ان يقوم بعمل روحاني يثبت امام نقد لجنة من العلماء بقيت الجائزة معروضة ما يزيد على سنة لم يفز بها احد مع ان نفراً غير قليل تقدم لنيلها فكان اكثرهم خادعاً ففُضح خداعه وكان بعضهم او بالحري احدهم يخدع عن غير وعيٍ منهُ فكُشف عن حقيقتهِ

وكان من اعضاء اللجنة هوديني المشعوذ المشهور الذي وقف حياتهُ بعدها حتى مماتهِ على محاربة المشعوذين الذين يشعوذون باسم المناجاة فطاف الولايات المتحدة من اقصاها الى اقصاها يكشف عن حقيقتهم ويفضحهم للناس ولم يغنِ بعض هؤلاء المشعوذين ان شهد لهم بصحة اعمالهم رجال من علماء اوربا الممتازين يكتبون وراء اسمائهم انهم « نالوا جائزة نوبل في كذا » ففضح هوديني هؤلاء كما فضح غيرهم لان العالم الممتاز في ناحية واحدة من نواحي التفكير العلمي لا يسلم من الخطإِ في موضوع يختلف عن البحث الذي انقطع لهُ مدى الحياة . فشهادة الكيماوي في مناجاة الارواح قد لا يكون لها من الوزن ما قد يكون لشهادة المشعوذ المنصف الخاص لان هـذا ادرى بوسائل المشعوذين والنصابين واهدى الى الكشف عنها

لذلك لا نرى فائدة كبيرة من قائمة طويلة عريضة ذكرها الدكتور عربيلي في احد فصول كتابهِ وذكر فيها جمهوراً من الاساتذة «والبروفسورين» ليسوا من «الاستذة» في شيء

مثال ذلك ذكرهُ « للبروفسور ستياد العالم الاميركي الذي غرق في اللوزيتانيا » وهو في الغالب يريد المستر وليم ستيد محرر مجلة المجلات الانكليزية سابقاً الذي كان من المغالين في صحة المناجاة وغرق في الباخرة تيتانك سنة ١٩١٣

ومن الذين ذكرهم البروفسور بوث تاركنكتون . ولم نعلم من قبل ان هذا الروائي المشهور صار « بروفسوراً »

ومنهم البروفسور تيندال : احـد الاعضاء في « منتدى لحص اعمال الارواح وقوى النفس »

اننا والله نحار في امر طبيب تربى تربية علمية دقيقة يزجي الينا كلاماً من هـذا القبيل لا تدرك لهُ حقيقة او هو بالحري من قبيل الاقوال التي يقولها اصحاب المناجاة انك لا تدري على اي وجه تقلبها وكيف قلبتها فانك لا تستطيع ان تقف لها على معنى.

وهكذا نرى قائمة طويلة اكثر قوامها اساتذة من المعتقدين لمناجاة الارواح

فمن هو الاستاذ تندل . وما هو هذا « المنتدى » . ومن هم اعضاؤه . وهل تؤخذ اقوال المعتقدين بالمناجاة حجة على صحة المناجاة او على صحة التجارب التي يرونها . او لا يجوز ان يكون الاعتقاد ملك عليهم مسالك النقد السليم فغابت عنهم شعوذات كان اقل نظر سليم يفضحها ؟ قال المؤلف :

« وهنا اذكر حادثة من هذا النوع وهي : في إحدى المرات حضرت جلسة كان فيها نحو ٢٠٠ نفس فاحضروا للوسيط نحو مائة شيء من رسوم وساعات ومناديل وخواتم وغيرها ووضعوها جميعها على مائدة امامه ، فغمض عينيه لكي لا يبصر وبعد ذلك كان يقبض على الشيء ويجسه بأطراف انامله ويشرح صفات صاحبه وقصة حياته وتاريخه ومن مات له وما اسمه ويناجي له ويعرفه عن حاله ومن مات له وما جرى له في هذه الحياة وسبب انتقاله منها الى عالم الارواح ومن الجملة لمس رسماً لولد روحاني لما أخذه بيديه أخذ يشرح صفات ذلك الولد . ولما شم الرسم وقع على الارض مغشياً عليه كأنهُ في حال النزاع من اشتداد مرض الخناق وللحال صاح ، هكذا مات الولد صاحب هذا الرسم الذي في يدي . فانتصبت والدة الولد التي وضعت ذلك الرسم على المائدة وامام الوسيط وصاحت نعم هكذا مات ولدي وطفقت تبكي وهكذا كان يصف حالة كل شخص ينتسب لاحد من الحضور قضى أو لا يزال في قيد الحياة حتى تعجب كل الحاضرين واظهر افعالاً تحير العقول وهذا تم على ضوء النهار فلا نعلم كيف يتم أمر حوادث كهذه وما الذي يسببها ويظهرها » ص٣٦

لماذا لم يتقدم هذا الوسيط الى لجنة السينتفك اميركان لاثبات حقيقة ما يدعي ؟ او يعقل ان رجلاً هذه مقدرتهُ على التنبؤ بالغيب لا تتهافت عليه الحكومات ليكشف لها الاسرار التي تجهلها

لم نحجم مرةً عن ان نذكر في المقتطف ما يجدُّ من البحث العلمي في هذا الموضوع الخطير . ولكن الاندفاع في سبيل نشر هذه الآراء من غير قيد علمي خطر على الفكر اذ يغلهُ باغلال الاوهام والخرافات بينما نحن نطالب لهُ انفساح مجال الحرية بتعليمهِ العلوم الطبيعية والبيولوجية

﴿ السعيديات ﴾ وهو الجزء الاول من ديوان سعيد ابو بكر التونسي . صفحاتهُ ١٠٩ من القطع الوسط . وقد طبع بالمطبعة الاهلية نهج الديوان عدد ٥ بتونس

معضلات المدنية الحديثة

ومقالات اخرى

بقلم اسماعيل مظهر بك — صفحاته ٢٢٦ قطع المقتطف — طبعت بدار العصور بمصر

مجموعة مقالات نفيسة عالج فيها كاتبها اهمّ المسائل العلمية والفلسفية والاجتماعية التي تشغل عقول المفكرين في هذا العصر ؟ ما هو اساس الحضارة المقبلة : الرقي الادبي ام النشوء العضوي ؟ هل التاريخ علم او فنّ ؟ ما هي حقيقة النهضة الشرقية وما هي اظهر مظاهرها وابقى آثارها ؟ ما هو طابع المدنية الحديثة وهل هي مدنية فرد ام مدنيـة جمهور ؟ ما هي الاسباب التي قام عليها الانقلاب التركي الحديث وما هو اثرهُ في تغيير اساليب الفكر ؟ ما هي النسبية وما هو اثرها العلمي والفلسفي في ارتقاء الفكر الانساني ؟

لا نظن قارئاً من قراء المقتطف يطلع على هذه الاسئلة الاَّ ويدرك حق الادراك انها اخطر المسائل العقلية التي تتجه اليها افكار المفكرين. وان الاجوبة عنها من اهم المباحث التي تعالجها المجلات والكتب العلمية والفلسفية

وربَّ معترض يقول: ولكنها مباحث لا يفهمها الاَّ الافراد القلائل ففائدتها محصورة في دائرة ضيقة وكان يجدر بصاحبها ان ينفق وقتهُ في كتابة شيء يفهمهُ الجمهور ويستفيد منهُ . فنردُّ على هذا المعترض بقول السيد المسيح « ليس بالخبز وحدهُ يحيي الانسان » ولا بدَّ من الشدائد يتمرس بها الانسان حتى يبني نفسهُ على اركان من اقدام وحزم ومثابرة كما تقوى العضلات بالمرانة الرياضية. كذلك الكتّـاب والجمهور . فاذا بقي الجمهور يتلقى من ايدي الكتاب ما يريدهُ هو لم يرتق مستواهُ العقلي فوق حدّ محدود. لذلك نجد مكاناً رحباً في كل نظام اجتماعي للكاتب الذي يكتب للخاصة . ولا بأس بقلتها . فاذا تلمذ كلُّ كاتب عشرة من الشبان وعلمهم حقائق جديدة وهذبهم باساليب من التفكير يحسبها افضل الاساليب لا يلبث ان يتعدى اثرهُ العشرة لان لكل من هؤلاء العشرة رفاقاً واصحاباً يتحدثون معاً ويتناقشون في الموضوعات التي تشغل اذهانهم . فالكاتب الذي يكتب للخاصة كالبزرة تلقى في الارض لا تلبث ان تبرز نبتة طرية ثم يقوى اصلها وتمتد فروعها وتؤتي ثمارها

وكم كنا نودّ لو ان صديقنا مظهر بك يعمد الى ضرب الامثال في مقالاته العلمية والفلسفية يخفف بها ما يعتور هذه المباحث من غموض. وقد فعل ذلك احياناً فكانت الامثال

التي ضربها علاوة على صحتها التاريخية من العوامل التي سهّلت تصوير المعنى الفلسفي تصويراً واضحاً . مثال ذلك قولهُ حين الكلام على نزعة اليونان الفردية في سياق كلامهِ في «مدينة الفرد ومدينة الجماهير» :

«ان من اكبر الفضائل التي يحسد عليها القدماء وعلى الاخص الشعب اليوناني القديم هو بروز الذاتية الفردية واستقلالها فكراً وعملاً وبعدها عن التأثر بحياة الجماهير . لهذا نجد ان الفيلسوف منهم ظهر كفيلسوف على طريقة من الفلسفة ومضى ثابت اليقين فيما يوحي اليهِ بهِ عقله وتملي عليه تصوراته ولو ذاق الموت في سبيل مبدئهِ . ألم يمت سقراط لانهُ مضى طوال حياته يحاول ان يفهم الناس انهم جهلاء وأن الدعوى والغرور اكبر مفاسد النفس ، واكبر برهان على الجهل ؟ ألم ترَ كيف جلس ديوجينيس على باب الاكاديمية لافلاطون مخفياً ديكاً عراه عن ريشه ، حتى اذا ما عرّف أفلاطون الانسان بانهُ حيوان أنسل رمى بالديك الى وسط القاعة قائلا « هـذا انسان افلاطون » . وافلاطون حينئذ ذلك الرجل العظيم الذي كان يبلغ حب تلاميذه له مبلغ حب العباد الصالحين لمعبوداتهم غير المرئية ؟ وهل اتاك حديث ارسطوطاليس اذ ناقش استاذه افلاطون فأهانه بعض الطلبة فتركهم حتى اذا انتهز فرصة غيابهم كتب على السبورة هذه الجملة — « نحن نحب افلاطون ونحب الحق . فاذا اختلفا فأيهما أولى بالمحبة ؟ » وهل عرفت حديث ديوجينيس اذ وقف ازاءه الاسكندر المقدوني وهو جالس بجوار برميله الذي كان يعيش فيه وسأله هل ترهبني ؟ فأجابه هل انت صالح ام شرير . فأجابه بل صالح . قال وكيف ارهبك وأنت رجل صالح ؟ وسأله : هل تريد مني شيئاً ؟ فقال لا . بل تحول قليلاً لانك حلت بيني وبين الشمس . فهمّ بعض اتباع الاسكندر بايذائهِ . فانتهرهم قائلا . لو لم اكن الاسكندر لتمنيت ان اكون ديوجينيس »

اصول الحقوق الدستورية

تأليف البرفسور ايسمن — ترجمة الاستاذ محمد عادل زعيتر — صفحاته ٣٠٠ من قطع المقتطف طبعه ونشره صاحب المطبعة العصرية بمصر

مؤلف هذا الكتاب عضو في المجمع العلمي الفرنسي واستاذ في كلية الحقوق بباريس وفي مدرسة العلوم السياسية . والمترجم تلميذ المؤلف واستاذ لقانون المرافعات الجزائية وعلم السياسة في مدرسة حقوق فلسطين . والموضوع — موضوع الدستور والحكومات

الدستورية — يشغل بال كلّ شرقي . فكيف اجلت الطرف في بلدان الشرق العربي سمعت صوتاً صارخاً ينادي الدستور ! الدستور ! لاعتقاد شعوبها ان الدستور خير وسيلة للحكم كشف عنها الفكر البشري وايدتها حوادث التاريخ . فالكتاب اذاً جاء في وقتهِ وفي حين الحاجة اليهِ والى أمثالهِ . فعسى ان تكون مطالعتهُ برهاناً ساطعاً على ان الدستور يطلب لذاتهِ اولا لان « الذين يعشقون الحرية لا يفكرون في ترك الحكومة البرلمانية ولو كانوا من اشد الناس انتقادا لها » ص ١٥٢ سطر ١٩ . وثانياً ان مجرد الحصول عليهِ لا يكفل جني الخير المنتظر منهُ . فهو يلقي على جمهور الناخبين والنواب وغيرهم من ممثلي الامة تبعات كبيرة اذا لم يحققوها كان الجهاد في سبيلهِ والحصول عليهِ عبثاً

والكتاب مقدمةٌ في ممالك الدولة والحكومة وبابان في الاول منها خمسة فصول تتناول النظم والمبادىء التي نشأت عنها حقوق انكلترا . وكيف صار دستور انكلترا من عناصر الحرية في الوقت الحاضر . ثم بيان لقواعد الحكومة التمثيلية ونظام المجلسين الاشتراعيين — اي النواب والشيوخ — ومسؤولية الوزراء واصول الحكومة البرلمانية وارتقاؤها في انكلترا وفرنسا

والباب الثاني يشتمل على خمسة فصول ايضاً بسطت فيها المبادىء الفلسفية التي استمدت من القواعد الدستورية مثل مبادىء الفلاسفة في القرن الثامن عشر التي اعلنها رجال الثورة الفرنسية ومبدأ السيادة القومية وما يتفرع عنهُ من حقوق التصويت السياسي وشكل الدولة ، وحقوق التمثيل على انواعهِ . ومبدأ فصل السلطات والعلاقة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية وغير ذلك

والكتاب منظم ومبوَّب تبويباً مدرسيًّا واسلوب ترجمتهِ صحيح العبارة سهل المأخذ

الجمعيات التعاونية ونظامها في مصر

تأليف الدكتور توفيق حامد المرعشلي — صفحاته ١١٩ قطع وسط — طبع بالمطبعة المتوسطة بشارع العشماوي بمصر

الفقر رجل يقتلهُ التعاون

هذه هي العبارة الصريحة المرمى التي طبعها المؤلف على غلاف كتابهِ ملخصاً فيها اثر التعاون في نهضة الامة . وقد قال في مقدمتهِ حثًّا على وجوب العناية بتدريس التعاون في مدارس المعلمين الاولية ما يأتي :

« ان المجتمع المصري زراعي اكثر منهُ شيئاً آخر . لذلك كان التبشير بالتعاون الزراعي في اواسط الفلاحين أهم ناحية يعنى بها من يريد الخير لمصر

« لكن الوسط القروي ضئيل الاستنارة ، فلا نجد بهِ من تعتمد عليهِ في المهمة التعاونية وتوكل اليهِ أمرها . لان ابناء الفلاحين الذين يدرسون دراسة عالية أو فنية لايعيشون في مساقط رؤوسهم ، بل يلجأون الى مراكز الاعمال العامة في المدن والعواصم حيث يجدون عملا يلائم ميولهم . اما من درسوا دراسة ابتدائية أو ثانوية أو في المعاهد الاخرى ، فان هم استوطنوا بلادهم ، فانهم لايقبلون على مزاولة الاعمال الحيوية بالقرية أو قل لاطاقة لهم بها ، لان دراستهم لاتوجههم الى شيء منها

«وإذا كان تدريس التعاون بمدارس المعلمين الاولية عاملاً مهمًا على تقوية الحركة التعاونية في الاوساط الريفية ، فان طلبة هذه المدارس يحصّلون من المعارف العامة قدراً غير يسير ، تجعلهم يكونون طبقة مستنيرة بالقرية ، وتراهم حين يتمون دراستهم يلجأون الى قراهم ووجهتهم العمل بين اهلهم وعشيرتهم ، وقد لا تجد في القرية ارغب منهم في تحمل اعباء الاعمال الحيوية التي توجههم اليها دراستهم ، فمتى وجهتهم الدراسة الى ناحية التعاون كانوا ساعداً مهماً على نشر الدعاية التعاونية بل وكانوا خير من نجدهم بالقرية ، يستخدمون في ادارة الجمعيات التعاونية

« من هنا نحس بالخسارة التي تعود على مصر من وراء الغاء تدريس التعاون بهذه المدارس . ذلك الالغاء الذي اعتزمتهُ وزارة المعارف ابتداء من سنة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ الدراسية »

وقد اقتطفنا من هذا الكتاب المفيد فصلاً عن نشأة التعاون في مصر والرجال الذين تعهدوهُ والفوا فيهِ ونشرناهُ في باب الزراعة والاقتصاد من هذا الجزء . فعسى ان يعنى بهِ اولو الامر في وزارتي المعارف والزراعة ويفسحوا لحركة التعاون مجال التقدم والاتساع لما فيها من الخير الشامل لفلاحي القطر

﴿ دروس رسم المجسمات ﴾ لتلاميذ المدارس الثانوية تأليف صبحي افندي تادرس مدرس الرسم بالمدرسة العباسية الثانوية بمصر . طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر . صفحاتهُ ١٣٧ صفحة من قطع المقتطف . مزدان بالصور والرسوم

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في اكتوبر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاخير	٦	٧	٦ صباحاً
الهلال	١٣	٥	٥٦ مساء
الربع الاول	٢١	١١	٦ مساء
البدر	٢٩	٠٠	٤٣ صباحاً
الحضيض	٢	٠٠	٠٠ صباحاً
الاوج	١٧	١٠	٦ مساء
الاوج	٣٠	٣	٥٤ صباحاً

السيارات

عطارد . والزهرة وزحل كواكب مساء

المريخ . يشرق نحو الساعة العاشرة صباحاً

المشتري . يشاهد في اثناء الليل

اعظم الرحلات الجوية الحديثة

طيران البريمن من اوربا الى اميركا

لقد فاز طائفة من الطيارين الشجعان بعبور الاوقيانوس الاتلنتيكي من اميركا الى اوربا عبره اولاً الانكليزيان الكوك وبرون سنة ١٩١٩ وتلاهما لندبرغ وتشمبرلين وبرد وشلي والمس ايرهارت ومن صحبهم في رحلاتهم المختلفة . اما عبور الاتلنتيكي من اوربا الى اميركا فبقي مستعصياً على الطيارين حتى فاز بهِ الطياران الالمانيان كوهل وهونفلد والطيار الارلندي فتزموريس على متن الطيارة بريمن وذلك في ١٢ و١٣ ابريل الماضي

والسبب في صعوبة اجتياز الاتلنتيكي من الشرق الى الغرب هو في الغالب هبوب رياح شديدة من الغرب الى الشرق تعيق الطيارة عن التقدم بالسرعة الكافية فينفد ما فيها من البنزين قبل وصولها الى الشاطئ الاميركي فتسقط في اليم

وقد اطلعنا الآن على مقالة للكابتن كوهل الالماني ربّان الطيارة بريمن وصف فيها المصاعب التي لقيها ورفيقاهُ في طيرانهم من ارلندا الى جزيرة غرينلي فرأينا اثباتها فيما يلي لما فيها من الفكاهة والفائدة . قال:

وراء الحفاوة البالغة التي نالها طيارو الطيارة بريمن كان يجول في خاطري فكر واحد مدارهُ ما هو اثر فوزنا في مستقبل الطيران بين اوربا واميركا

ولي كلّ الامل بان فوزنا يعود بفوائد جمة على الذين يحاولون تضييق الشقة بين القارتين على اجنحة الطيارات . والطريقة المثلى التي استطيع ان اصف بها بعض الملاحظات التي عنّت لي في اثناء الطيران وبعض الحقائق التي دونتها لتكون مرجعاً للذين يتبعوننا هو ان اصف الرحلة من اولها الى آخرها مرحلة مرحلة

لا ريب في ان حالة الجوّ عند بدء الرحلة هي اهم العوامل في نجاح الرحلة او اخفاقها . ففي صباح ١٢ ابريل بلغنا أن حالة الجو فوق جانب كبير من الاوقيانوس مرضية وان الرياح التي كانت تهب من الغرب الى الشرق في اليوم السابق اخذت في السكون فتأهبنا للرحيل ونحن نعلم ان عناصر الجو هي الدّ اعدائنا . وكنا نحسب ان اخطر المناطق امامنا هي المنطقة التي بين جزيرة جرينلندا وكندا حيث تكثر الرياح والزوابع عادة وعندي ان اهمّ الامور التي يجب ان يعنى بها طيارو المستقبل هو اعداد المعدات للتغلب على الجوّ في هذه المنطقة

لما قمنا من مطار بلدونل بارلندا كانت ريح جنوبية تهب من ورائنا فكان ذلك معواناً لنا على القيام والاتجاه في الجهة التي نتوخاها . وعليه صعدنا الى الطيارة في نحو الساعة الخامسة صباحاً بعدما فحص البارون هونفلد والكابتن فتزموريس كل اجزاء الطيارة . وفي الساعة السابعة والدقيقة الخامسة كنا قد اجتزنا ارلندا الى شاطئها الغربي وصرنا نقترب من صدر اليم الواسع وكنت في اثناء ذلك ادون الملاحظات والارقام عن قوة الريح واتجاهها ومقدار ما يحرق من البنزين من الاحواض المختلفة ودوران المحرك وغير ذلك من الامور التي لا بدّ من معرفتها . ولم نلبث ان صرنا على ارتفاع يتراوح بين ٣٠ و ٥٠ قدماً فوق بحر رهوٍ فسرنا الى محجتنا بسرعة ١٠٥ اميال في الساعة

وكنا قد اخذنا معنا «قنابل دخان» فاستعملناها لمعرفة اتجاه الهواء وسرعة هبوب الريح ووجدنا ان ريحاً شرقية جنوبية كانت تهب من ورائنا بسرعة نحو عشرة اميال في الساعة فارتفعنا الى ١٤ الف قدم لنمتطي متنها ونجني من هبوبها اقصى فائدة مستطاعة

كنا في الساعات الاربع الاولى من طيراننا — اي من الساعة الخامسة الى الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والثلاثين — نستعمل البنزين من الحوضين اللذين على يمين جسم الطيارة فاقفلناها حينئذٍ وجعلنا نستعمل البنزين الذي في الاحواض المحفوظة في الجناحين . ولكني لاحظت في الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين مساء ان سيل البنزين غير منتظم نخفت سوء المغبّة .

فاطلقت البنزين من حوضي الجسم لتصلح ما قد يكون قد طرأ من الخلل على احواض الجناحين ولم تنقضِ علينا ثلاث دقائق حتى كان سيرنا منتظماً كل الانتظام

وحسبت اننا نستطيع ان نطير بالبنزين الباقي معنا ١٤ ساعة . وبينما انا افكر في الامر ويستخفني الامل بالوصول الى البر الاميركي قبل نفاد البنزين التفتنا الى الافق فرأينا خطاً ابيض يعلوه واشباحاً مظلمة فاتضح لنا اننا ولا شك سائرون الى حتفنا

اذكر هذا ليكون الطيارون الذين يجيئون بعدنا على بينة من مسالك الجوّ الحافلة بالخطر . لان هـذا الخط الذي تبيناهُ على الافق لم يكن الاّ دليلاً على تلبد الغيوم في المنطقة التي امامنا — والغيوم اعدى اعداء الطيارين ففي هـذه المنطقة نفوز او نموت او بينما نحن سائرون جعلت اسائل نفسي اتثبت البريمن في المعركة المقبلة ؟ اتستطيع ان تخرج منها ظافرة ؟

كان الليل مظلماً لتلبد الغيوم ولم يكن بد من التقدم الى الامام لاننا كنا قد اصبحنا على ٣٠٠ ميل من جزيرة نيوفوندلند

هنا بدأت المعركة بين ثلاثة رجال على طيارة من صنع الانسان وبين عناصر الطبيعة . ارتفعنا الى علو ٤٧٥٠ قدماً فوق هذه الغيوم الخفيفة وسرنا غرباً باقصى سرعتنا . ولكننا لم نلبث ان رأينا الطيارة تخترق منطقة اخرى من الغيوم المتلبدة على هذا الارتفاع فلم نرَ طريقاً للخلاص الاّ الهبوط الى سطح البحر فنسير مخترقين الضباب بدلاً من اختراق الغيوم لان خطر الضباب اقل جداً من خطر السير في الغيوم

ففعلنا ولما صرنا على علو ٧٥ قدماً عن سطح البحر اخذ رشاش الامواج يصيبنا واخذت الطيارة ترتجف وترتجّ واخذت الاجنحة تنحني وعجلة التدوير تهتز اهتزازاً شديداً حين تلطم الطيارة موجة عالية

وهنا اقول ان اقدر الطيارين فقط يجب ان يسمح لهم بمحاولة الطيران فوق الاوقيانوس الاتلنتيكي . وعندي انهُ متى انشئت مدارس لتعليم الطيران يجب ان يختص قسم منها «للطيران فوق الاتلنتيكي» فيختص بهِ الطيارون كما يختص الاطباء في فرع واحد من فروع الطب

وكان لا بدَّ لنا من الاعتماد على البوصلة لمعرفة اتجاهنا وارشاد الطيارة في سيرها فلما اقتربنا من هذه الغيوم المظلمة وجدت اننا على ارتفاع كافٍ يمكننا من الاستمرار في سيرنا بين طبقة الغيوم وطبقة الضباب ولكن لما اقتربنا من سطح الماء وصارت الامواج تضرب الطيارة احياناً فترجها رجّاً صارت البوصلة في يدي تهتزُّ اهتزازاً

لم ادر معهُ في اية جهة نحن سائرون . فلم يسعنا حينئذٍ ان نسير الى الامام من مسترشدين بالبوصلة فسرنا على غير هدىً

وهنا بدأت ادرك فائدة اللاسلكي في الطيران . ولانا لم نكن قد اخذنا معنا آلة لاسلكية شعرت بشدة الحاجة اليها حين صرنا في خطر لا ندري باباً للخلاص الاَّ بمعرفة اتجاهنا من البواخر او المنائر او المحطات اللاسلكية القريبة منا

ولكننا كنا قد قررنا الاستغناء عن الآلة اللاسلكية لثقلها مع معرفتنا بفائدتها الكبيرة . على اني اصرح الآن ان الراديو سيكون ذا شأن خطير في مستقبل الطيران

وبعد البوصلة ارى ان أهم آلات الطيران هو مقياس الارتفاع لان الاحتفاظ بارتفاع معين درءًا للاصطدام باعمدة او جبال او مبانٍ شاهقة ليس بالامر الهين

وبينما نحن كذلك رأيت نجمة القطب فقابلتها على ابرة البوصلة فوجدت ان هذه كانت قد اتجهت خطأً الى جهة اخرى واننا سرنا الى الشمال مسافة طويلة ابعدتنا عن محجتنا فاتجهنا مهتدين بنجمة القطب الى الجنوب الشرقي

وهنا رمى فتزموريس بعض قنابل النور التي معنا . لاننا كنا قد اعددنا كل المعدات اللازمة . ولم نخطئ الاَّ في اهمال اللاسلكي . وعلى نور هذه القنابل رأينا الحراج والغابات تحتنا . ثم رأينا قمم تلال وآكام فصرنا نحاول اجتنابها لئلا نصطدم بها . وعلمنا حينئذٍ اننا وصلنا الى اميركا الشمالية فكان فرحنا لا يوصف

زجاج ينكسر ولا يتشظى

من الغريب ان زجاجاً من هذا القبيل لم يصنع قبل الآن . مع ان الحاجة اليهِ كبيرة جدًّا فأكثر وسائل النقل يستعمل فيها الزجاج كالقطارات والسيارات فاذا وقع اصطدم طارت شظايا الزجاج كلَّ مطار وكانت من اكبر اسباب الخطر على المسافرين. وقد فطن لذلك صانعو الطيارات فجعلوا زجاج نوافذها من الواح السلولويد الشفافة كما فطن من قبلهم صانعو قطارات النفق في اميركا فصنعوها كلها من فولاذ حتى اذا اصطدم قطار منها بالآخر لم يتحطم كما تتحطم السكك الحديدية ولم تطر شظايا الاخشاب كانها سهام القضاء لا مفرَّ منها

وفي انباء الولايات المتحدة الاخيرة انهُ قد تمَّ لبعض ارباب الصناعة فيها صنع زجاج ينكسر ولكنهُ لا يتشظى وذلك ان يأتوا بلوحين من الزجاج العادي ولوح من السلولويد التي الشفاف يضعونهُ بينهما ثم يعالجون الالواح الثلاثة معاً في افران

كهربائية حتى تصير لوحاً واحداً ثم يحيطون كل قطعة زجاج من هذا القبيل بما يمنع تسرب الرطوبة الى ما بين هذه الالواح فتفقدها شفوفتها ويجعل خطر استعمالها اكثر من فائدته

والظاهر ان هذا الزجاج ليّن يلتوي قلما ينكسر ولكنهُ متى انكسر لم تطر شظاياهُ في الهواء لان الطبقة الوسطى ملتصقة كلَّ الالتصاق بالطبقتين اللتين على جانبيها فتمنع شظاياهما من الانتشار

وقد صنعت من هذا الزجاج الواح مؤلفة من ثلاثة الواح من الزجاج بينها لوحان من السلولويد وصوّب اليها الرصاص من مدفع مكسيم على بعد ١٥ ذراعاً منها فلم يخترقها

همُّ العالم وجزاؤه

ذكرنا في مقتطف يوليو الماضي خسارة الطب بوفاة نوغوشي العالم الياباني الذي قضى في افريقيا بالحمى الصفراء بعد ما قضى عليها في جنوب اميركا . وهكذا صح قول الشاعر العربي « ان البعوضة تدمي مقلة الاسد » . وقد قرأنا الآن انهُ في احتضارهِ طلب الى اخوانهِ اعضاء اللجنة الطبية التي ذهبت الى افريقيا للبحث في حقيقة هذا المرض ووسائل مكافحتهِ ان يأخذوا نماذج من دمهِ ويحقنوا بها القردة ليعرفوا هل الحمى الصفراء الافريقية والحمى الصفراء الاميركية مرض واحد ام لا . ومعرفة هذا الامر لا بدَّ منها لانَّ في النيَّة مد سكة حديدية من غرب القارة الافريقية الى شرقها . فاذا مدّت هذه السكة قبل كشف وسيلة للقضاء على هذا المرض انتقلت جراثيمهُ معها الى شرق افريقيا ومنها قد تتصل ببلدان الشرق المزدحمة بالسكان كالهند وغيرها

وهكذا نرى ان همَّ العالِم الحقيقي هو خدمة الانسانية عن طريق العلم خدمة مجردة عن كل مطمع مادي . ولكن عقل الانسانية الموزَّع في عقول ابنائها على ممرّ العصور يدرك قيمة هذه الخدمة ويحبو العالِم الحقيقي مجداً خالداً جزاءً لهُ

تركيب السكر بالصناعة

ذكرنا في مقتطفي فبراير ودسمبر سنة ١٩٢٥ ان الاستاذ بايلي احد اساتذة جامعة لفربول تمكن من ابتداع طريقة لتركيب السكر من الماء واكسيد الكربون الثاني وخلاصة طريقتهِ انهُ يأتي بانبوب شفاف من الكوارتز ويملأُهُ باكسيد الكربون الثاني والماء اي بمادتين فيهما كربون واكسجين وهدروجين لان السكَّر مركب من هذه العناصر ثم يصوّب الى الانبوب الاشعة التي فوق البنفسجي

فتركّب من هذه العناصر مادة كيماوية تدعى فورملدهيد وهي مادة سامة ولكن يسهل تحويلها بواسطة الاشعة التي فوق البنفسجي الى سكر العنب وهذا يسهل تحويلهُ الى سكر القصب . وقد كانت الصعوبة في تركيب الفورملدهيد من الماء والاكسيد الكربون الثاني فذللها ولكن نفقات العمل كبيرة جدًّا

وقد قرأنا الآن ان الكيماويين السويسريين آمي پكته وهانس فوجل تمكنا كذلك من تركيب السكر بطريقة أخرى . ذلك ان السكر العادي المستقطر من قصب السكر او البنجر ينحلُّ بفعل الحوامض الضعيفة الى نوعين من السكّر يختلفان عنهُ ويختلف احدهما عن الآخر . احد هذين النوعين يدعى غلوكوس وقد اخذ الاميركيون يصنعونهُ من الذرة والثاني يدعى فركتوس ويمكن صنعهُ من نبات الخرشوف « الارضي شوكي » على ما اثبت العلماء في مصلحة المقاييس الاميركية . وقد حاول العلماء من زمن بعيد ضمَّ هذين النوعين من السكّر لصنع السكّر العادي منهما فلم يفوزوا بذلك قبلا . وهذا ما حققه الاستاذان پكته وفوجل . فقد كشف الاستاذ پكته ان سكّر الفركتوس نوعان متماثلان في تركيبهما ولكنهما مختلفان في ترتيب الجواهر التي تبنى جواهرهما منها . فلما حوّل الفركتوس العادي الى النوع الآخر تمكن من جعله يتحد بالغلوكوس ففاز كذلك بصنع السكر العادي (سكروس) وقد تمَّ لهُ هذا الاتحاد باضافة اربعة جواهر من الحامض الخليك الى كل جوهرين من الغلوكوس والفركتوس فلما تمّ اتحاد هذين الجوهرين ازال الحامض باضافة قلوي اعتيادي . وهذه الطريقة علمية لا يمكن استعمالها تجاريًّا الآن لكثرة نفقاتها والاستاذ پكته من اساتذة جامعة جنيڤا وعمره ٧١ سنة

هل يستطيع كل واحد ان يطير ؟

كانت الاسئلة الاولى التي وُجّهت الى محرّر هذه المجلة بعد طيرانهِ من باريس الى لندن ذهاباً واياباً « هل أُصبتَ بالدوار ؟ وهل يصاب بهِ كل ركّاب الطيارات عادة ؟ وترى ما هو اثر الطيران في الصحة — في القلب والشرايين وغيرها من الاعضاء ؟ » وهي اسئلة تهمُّ الجماهير الآن بعدما كانت تهمّ الافراد لان المواصلات الجوية اصبحت منتشرة في آفاق الارض . وها هي ذي الخطوط الجوية تخترق بادية الشام وتصل العراق وفارس والهند بمصر وفلسطين . فالبحث في هذا الموضوع يقتضيهِ الزمن ومصالح الناس

وقد اطلعنا على مقالة وافية في هذا الموضوع نشرتها مجلة ناتشر جاء فيها ان الطيران التجاري يجب ان يكون في متناول كل انسان في حالة صحية طبيعية . فالغاية الاولى من الطيران التجاري هي الوصول الى المكان المقصود باسرع ما يمكن من غير ان تتعرض حياة المسافرين للخطر . ولذلك ترى الطيارة ترتفع عن الارض الى علو لا يزيد على ١٥٠٠ قدم ومن ثم تستوي على عرش الهواء وتسير الى هدفها لا تهتز ولا ترتج . بل نقول عن خبرة ان اهتزاز القطار السريع او السيارة السريعة في ارض غير مستوية كل الاستواء اكثر من اهتزاز الطيارة التجارية حين طيرانها

وسائقو الطيارات التجارية لا يمنحون اجازة بذلك قبلما يجتازون فحصاً طبيًّا مدققاً. كما انهم يجهّزون بادوات لاسلكية يعرفون بها اخبار الجوّ في البلدان التي ينتظر ان يمروا فوقها ولذلك ترى ان شركة امبيريال اروبز نقلت نحو ٦٠ الف راكباً على متن طياراتها مسافة نحو ثلاثة ملايين ميل من غير ان يصاب احد بما يعرض حياتهُ للخطر

وقد اشرنا الى هذا الامر مع عدم علاقته بموضوعنا الخاص لان السرور في اثناء الطيران يزداد اضعافاً اذا كان المسافر عارفاً ان حياتهُ في مأمن من الخطر

اما مسألة الدوار فهي في الغالب مسألة استعداد عقليّ والغالب ان لا يصاب المسافرون بهِ ما لم يكن الجوّ مضطرباً اضطراباً شديداً. وحينئذٍ تهوي الطيارة قليلاً بين آنٍ وآخر فيحس المسافر كأنهُ في زورق صغير هابط من ذروة موجة كبيرة . فاذا كان المسافر من الذين يصابون بالدوار حين الصعود في ارجوحة والتمرجح بها مثلاً اصيب حينئذٍ بالدوار

ويندر للطيارات التجارية ان ترتفع اكثر من خمسة آلاف قدم . وهذا الارتفاع لا اثر ضار لهُ في المصابين بامراض القلب والرئتين . انما يشعر المسافرون بان تنفسهم صار عميقاً ويميلون الى الجذل والغناء

اما اثر التحليق في الفضاء الى عشرين او ثلاثين الف قدم فوق سطح البحر فلهُ اثر في الصحة لا محلّ للتبسط فيهِ الآن

عيد جوزف بلاك

في ١٦ ابريل الماضي انقضت مائة سنة على ميلاد الكيماوي الانكليزي جوزف بلاك الذي خلد اسمهُ باكتشاف « الهواء الثابت » اي غاز الحامض الكربونيك ومبدأي الحرارة الكامنة والحرارة النوعية . وقد كان معاصراً لبريستلي وكافندش بانكلترا ولافوازيه وبرتلو وفوركروي بفرنسا وقد اشار اليهِ الاخير بقولهِ « هو حكيم الكيمياء

في القرن الثامن عشر». وقيل ان بروست صاح حين ذكر بلاك قائلاً «هذا بطريرك الكيمياء»

ولد في ١٦ ابريل سنة ١٧٢٨ من والدين اسكتلنديين وتلقى مبادىء اللغة الانكليزية على امهِ. ولما كان في الثانية عشرة ارسل الى مدرسة في بلفاست وفي السادسة عشرة من عمرهِ دخل جامعة غلاسجو ثم انتقل منها الى جامعة ادنبرج ونال منها شهادة الطب سنة ١٧٥٤ وكان حينئذٍ في السادسة والعشرين من عمرهِ. وخلف استاذهُ كلن محاضراً في الكيمياء في جامعة غلاسجو سنة ١٧٥٦ ثم خلفهُ استاذاً للكيمياء في جامعة ادنبرج سنة ١٧٦٦ على انهُ في منصبهِ هذا لم يكشف اكتشافاً جديداً بل وقف وقتهُ على اعداد محاضراتهِ. ويقال بوجهٍ عام ان عهدهُ في التلمذة وعهدهُ الاول في التعليم بجامعة غلاسجو كانا اخصب سني حياتهِ انتاجاً علميًّا. فانهُ اكتشف الهواء الثابت الذي دعاهُ لافوازيه بعدئذٍ غاز الحامض الكربونيك في عهدهِ الاول واشار الى ذلك في رسالتهِ التي نال بها اجازة الطب ثم توسع في درس المسألة في السنتين التاليتين. وفي اثناء تدريسهِ بجامعة غلاسكو اكتشف مبدأ الحرارة لما لاحظ قدراً من الجليد يمتص مقداراً من الحرارة من غير ان تتغير حرارتهُ. وابتدع تجارب علمية محكمة لاثبات رأيهِ. وفي اثناء تجاربهِ هذه لاحظ ان موادَّ مختلفة تحتاج الى اقدار مختلفة من الحرارة لترفع حرارتها درجة واحدة فادى ذلك الى اكتشافهِ مبدأ «الحرارة النوعية»

ويقال بوجه عام ان جوزف بلاك اشتهر باحكام تجاربهِ الكيماوية ودقتها وحذرهِ في استنتاج النتائج منها. وقد توفي في ٦ دسمبر سنة ١٧٩٩

اكتشافات اثرية في الفيوم

ان الماء الغزير الذي هطل في مصر في شهر نوفمبر الماضي ادى الى اكتشاف اثر كبير الشأن في الفيوم فان المس كاتن طمسن زعيمة بعثة المعهد الملكي الانثربولوجي لحظت بعد المطر ان العشب اخذ ينبت في شقة تشبه بقايا طريق روماني قديم فتساءلت عن علة ظهور العشب في هذه الشقة التي لها شكل خاص وشرعت في البحث فتبين لها بعد التنقيب ان تحت هذه الشقة مسالك مائية قديمة العهد ونظاماً لري الحياض يشمل ما مساحتهُ ٢١ ميلاً مربعاً من ارض الصحراء. وعنيت الحكومة المصرية بالامر فارسلت عمالاً ليساعدوا في اعمال التنقيب فاسفر البحث عن اكتشاف مساكن وأوانٍ من الخزف ونقود قديمة

اصلاح التقويم

اجتمعت اكادمية العلوم الاميركية واصدرت قراراً تؤيد فيه اصلاح التقويم حتى تصير السنة ١٣ شهراً كل شهر منها ٢٨ يوماً وان الشهر الجديد يتألف من الايام الثلاثة عشر الاخيرة من شهر يونيو والايام الخمسة عشر الاولى من شهر يوليو فيجتمع لدينا حينئذٍ ٣٦٤ يوماً في السنة فيجعل اليوم الزائد في السنة العادية عيداً يدعى « يوم السنة » ولا يدخل في تقويم الاشهر . واليومان الزائدان في السنة الكبيسة يدعى احدهما « يوم السنة » كما في السنة العادية والثاني « اليوم الكبيس » ولا يدخلان في تقويم الاشهر . وبذلك يتم لمصلحي التقويم جعل عيد الفصح في يوم معين وتاريخ معين كل سنة

وسيعرض على الجمعيات المرتبطة بجمعية الامم اقتراحاً يطلب فيه اليها ان تبذل مساعيها لحمل حكومات البلدان المختلفة على التعجيل في اصلاح التقويم

احدث المستنبطات اللاسلكية

استنبط السناتور مركوني والمستر ماتيو طريقة جديدة تمكنهم من استعمال نظام البيم اللاسلكي الذي ابتدعهُ ماركوني لاستقبال اشارات مورس اللاسلكية والاغاني المذاعة من محطة اخرى في وقت واحد . وامتحنوا ذلك في محطة بردجوتر الانكليزية لنظام البيم اللاسلكي فكان الحاضرون يرقصون على انغام موسيقية تذاع من مدينة منتريال بكندا وتلتقطها محطة بردجوتر من غير ان تشوشها اشارات مورس التلغرافية التي كانت تذاع وتستقبل في الوقت نفسهِ

ويمكن استعمال هذه الآلة الجديدة في كل المحطات اللاسلكية فتمكن المحطة الواحدة من مضاعفة الرسائل التي تلتقطها من غير نفقة كبيرة

الحرارة وجنس المولود

جرَّب الاستاذ اميل وتشي احد اساتذة جامعة ايوى الاميركية تجارب علمية اثبت بها ان حرارة الماء لها اثر كبير في جنس الضفادع التي تنشأ من البيض الذي يلقى فيها. فانهُ اخذ مقداراً من بيض الضفادع ووضعهُ في ماء حرارتهُ طبيعية فكانت مائة من الدعاميص التي ولدت منها اناثاً و٩٦ ذكوراً . وهي نسبة عادية . ثم اخذ مقداراً آخر ووضعهُ في ماء درجة حرارتهِ ٩٠ بميزان فارنهيت فكانت الدعاميص كلها ذكوراً

واثبت الدكتور سيمون شاندلر احد اساتذة مدرسة الطب بجامعة لويولا

(شيكاغو) انهُ يمكن تحديد جنس المولود قبل ولادتهِ بالتحكم في الغدد التي وراء الغدد الدرقية (الباراتايرويد) . فانهُ حينما ازيلت هـذه الغدد من الوالدين تضاعف عدد الذكور بين المواليـد بالنسبة الى عدد الاناث

اللغة التركية والحروف اللاتينية

جاء في رسالة لمكاتب المقطم من الاستانة ان اللجنة الحكومية المكلفة بوضع حروف هجاء لاتينية للغة التركية شرعت في عقد جلساتها وينتظر ان تتمكن من رفع تقريرها الى وزارة المعارف في اول اكتوبر ولم يعد ثمت شك في انها ستشير بابطال استعمال الحروف العربية شيئاً فشيئاً واستعمال الحروف اللاتينية تدريجاً . ولم يعد تغيير حروف الهجاء في عهد الحكم الجمهوري مسألة دينية تصدم الشعور الديني كما حدث في مسألة لبس البرنيطة. وقد جاء في التلغرافات العامة التي وردت بعد نشر هذه الرسالة ان الغازي مصطفى كمال شرع يستعمل الحروف اللاتينية في بعض مراسلاتهِ

مطر فتاك

ذكر الدكتور فرعان في مجلة « علم الاسبوع» ان الانباء الواردة من ايطاليا تشير الى وقوع مطر على جوانب بركان بزوف من شأنهِ ان يفتك بالمزروعات ويعرض النـاس لانزعاج شديد لدى استنشاقهم الهواء في اثناء وقوعهِ وبعدهُ . والظاهر ان هـذا المطر يحتوي على غاز الحامض الكبريتيك والحامض الهدروكلوريك . هذان الغازان وغيرها من المواد الكيماوية الغازية تصعد من فوهة البركان فتذوب في ماء المطر وحين وقوعها معهُ تفتك بالمزروعات لشدة فعلها الكيماوي . ولكنها في الغالب تتبدد في الفضاء لعدم وقوع المطر فينجو الناس من آثارها . ومن رأي الدكتور فرعان ان معظم الخطر في الاقتراب من فوهة بزوف هو في استنشاق هذه الغازات التي تصعد دائماً منهُ

اقدم الموميات

جاء في تلغراف ورد على الديلي ميل في ٧ يوليو ان المستر هارولد مكريكن الباحث الاثري اكتشف في جزر الوتيا الى الجنوب الغربي من ولاية الاسكا موميات من العصر الحجري اقدم من موميـات اهرام الجيزة . ويقول الدكتور وسلر مدير القسم الانثروبولوجي في المتحف الاميركي انهُ اذا كانت الموميات محنطة تحنيطاً جيداً فانها تكون اول ما عرف من هذا القبيل خارج مصر

اكرام اديصن

نشرنا على غلاف هـذا الشهر صورة ملونة لاديصن امير المستنبطين على ذكر ما قرره مجلس الكنغرس الاميركي من ضرب مدالية ذهبية تذكاراً لاعماله الخالدة وتقديمها اليه باسم الكنغرس

وهكذا تكرم الامم النوابغ من ابنائها لانَّ مجدهم مجدها وذكرهم ذكرها وآراءهم ضياؤها وسيرهم طريق المجد يترسمهُ الطامحون من ابنائها نحو مطالب الحياة المجيدة وغايات العمران العليا

الطيران بين النجوم

وضع التربيون لفظاً جديداً للطيران بين الكواكب هو لفظ « استرونتكس » يقابلهُ لفظ « ايرونوتكس » اي الطيران في الهواء . والبرهان على ان الطيران بين النجوم لم يبق حلماً كما كان حين كتب جول فرن رواياتهِ المشهورة ان الجمعية الفلكية الفرنسوية عينت جائزة سنوية قدرها ٢٠٠ جنيه تمنح لمن تؤول مباحثهُ العلمية الى ترقية علم « الاسترنوتكس »

هبة علمية

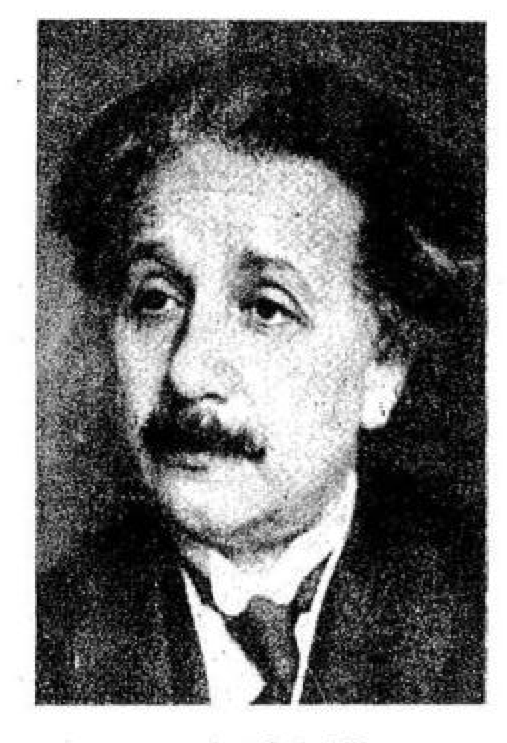
منح المرحوم المستر هنري هربرت ولز تاجر السجاير الانكليزي المعروف مائتي الف جنيه لجامعة برستول لتشيد بها معملاً للعلوم الطبيعية فقرر مجلس ادارة الجامعة ان ينشئ خطبة سنوية يطلق عليها اسم خطبة ولز التذكارية تخليداً لذكره يلقيها كلَّ سنة عالم مشهور في العلوم الطبيعية. وقد قبل السر جينز رئيس الجمعية الفلكية الملكية ان يلقي الخطبة الاولى في ٣٠ اكتوبر القادم

حل البرلمان المصري

في ١٩ يوليو استصدرت وزارة حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا مرسوماً ملكيًّا يقضي بحل مجلس النواب والشيوخ وتأجيل انتخاب اعضائهما وتعيين الاعضاء المعينين في مجلس الشيوخ مدة ثلاث سنوات. ولدى انقضاء هذا الاجل يعاد النظر في الحالة لتقرير اجراء الانتخاب والتعيين المذكورين او تأجيلهما زمناً آخر وفي تلك الاثناء تصدر القوانين بمراسيم ملكية

المغالاة في التحف

في ٥ يوليو الماضي بيعت في لندن سجادة قديمة طولها ٢٥ قدماً وعرضها ١٠ اقدام بمبلغ ٢٣١٠٠ جنيه . وقد صنعت هذه السجادة في ايران في القرن السادس عشر ثم اخذت الى ڤينا سنة ١٦٩٨ هدية لامبراطور النمسا والمجر وبعد ذلك باعتها الحكومة النمسوية



الاستاذ اينشتاين



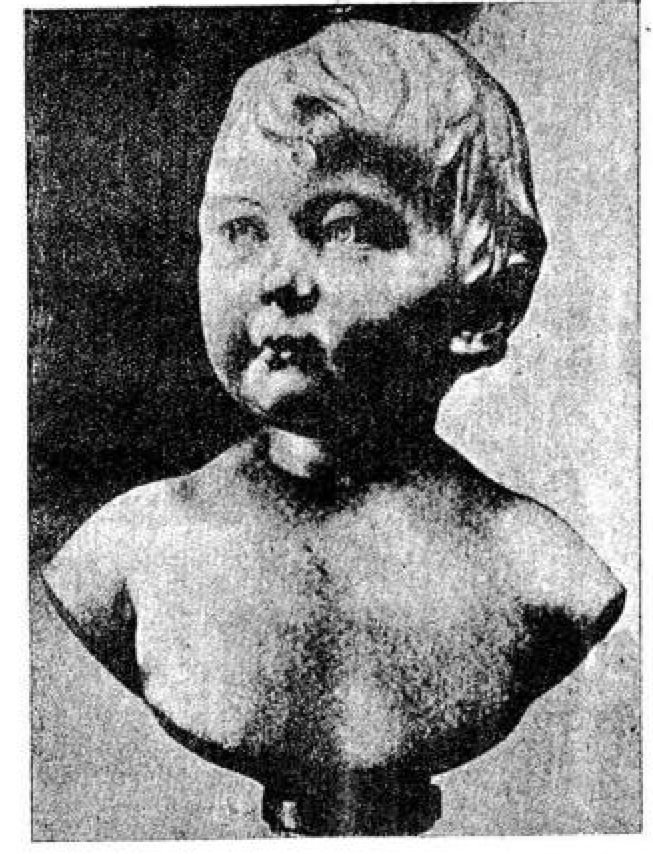
الاستاذ بوهر

امام الصفحة ١٢٥

مقتطف اكتوبر ١٩٢٨

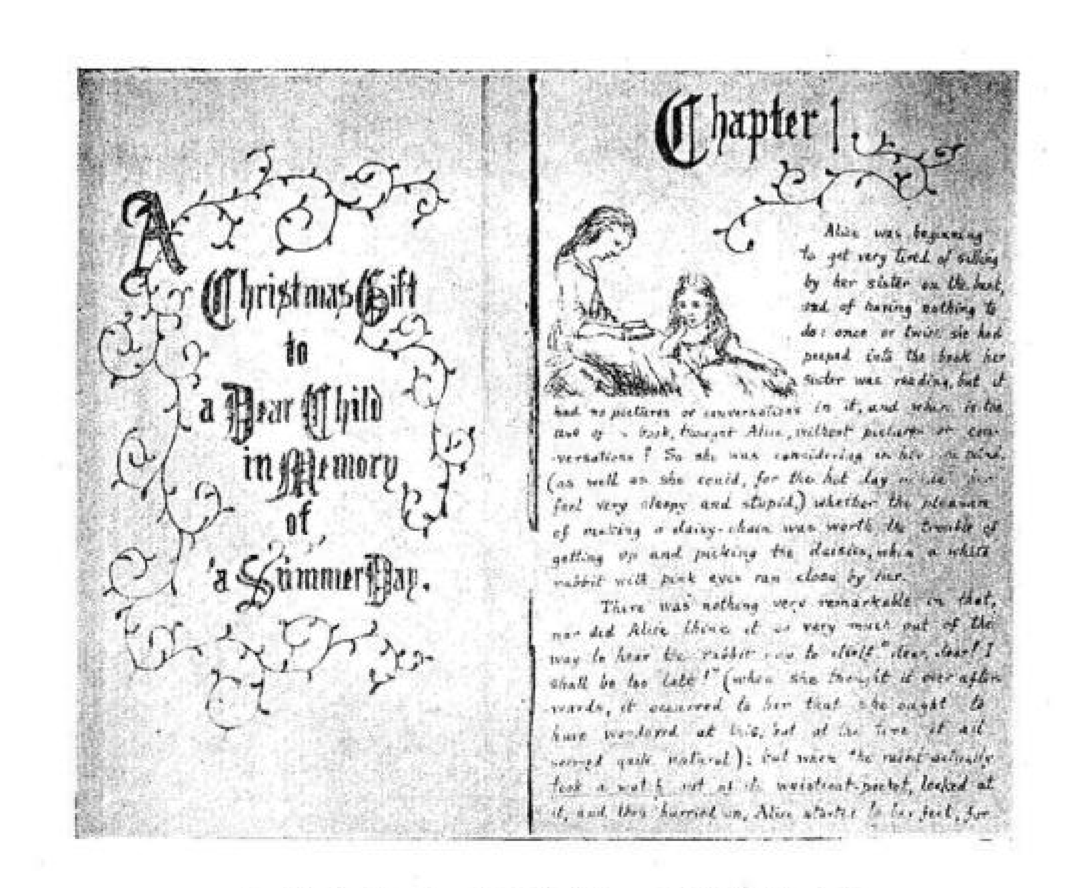


الفتاة « اليس » التي كتب لها كتاب « اليس في بلاد العجائب »
وقد بيعت مخطوطته بأربعة عشر ألف جنيه





التمثال الذي صنعه هودن لابنته بيع بتسعة واربعين ألف جنيه



A Christmas Gift to a Dear Child in Memory of a Summer Day.

Chapter I.

Alice was beginning to get very tired of sitting by her sister on the bank, and of having nothing to do: once or twice she had peeped into the book her sister was reading, but it had no pictures or conversations in it, and where is the use of a book, thought Alice, without pictures or conversations? So she was considering in her own mind, (as well as she could, for the hot day made her feel very sleepy and stupid,) whether the pleasure of making a daisy-chain was worth the trouble of getting up and picking the daisies, when a white rabbit with pink eyes ran close by her.

There was nothing very remarkable in that, nor did Alice think it so very much out of the way to hear the rabbit say to itself "dear, dear! I shall be too late!" (when she thought it over afterwards, it occurred to her that she ought to have wondered at this, but at the time it all seemed quite natural); but when the rabbit actually took a watch out of its waistcoat-pocket, looked at it, and then hurried on, Alice started to her feet, for

الصفحتان الاوليان من مخطوطة « اليس في بلاد العجائب »

مقتطف اكتوبر ١٩٢٨ — امام الصفحة ١٤٥



امير اللواء مصطفى مختار بك مدير المجلس العالي ومدير المدارس
ويصح أن يقال انهُ أول ناظر للمعارف المصرية
في عهد الاسرة العلوية



المرحوم نور الدين بك مصطفى

امام الصفحة ١٩١

مسز بنكهرست

مس ايرهارت



الفرسان الثلاثة

وهم من اليمين الى اليسار

(١) الكابتن كوهل

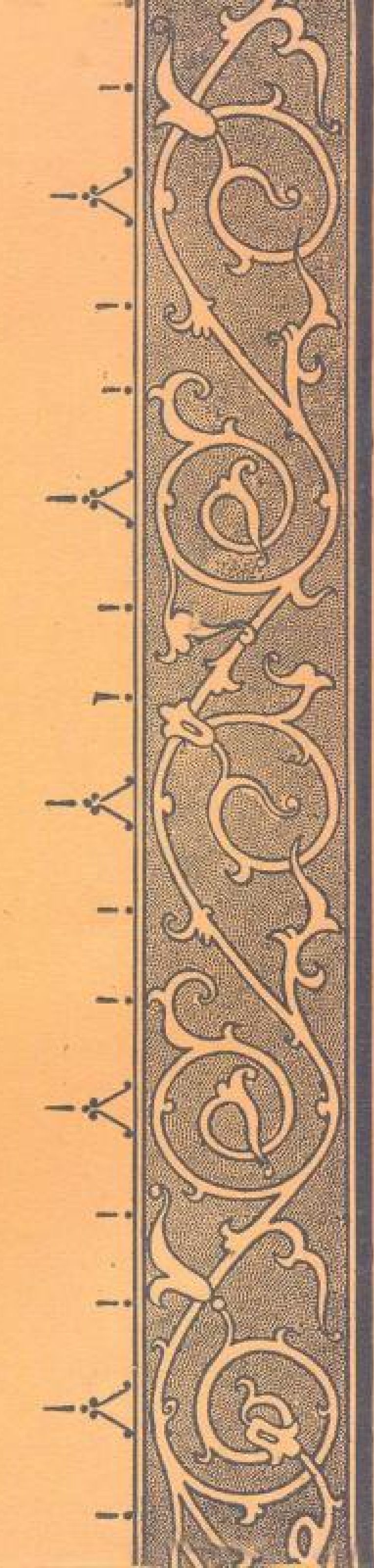
(٢) الماجور فتزموريس

(٣) البارون فون هونفلد

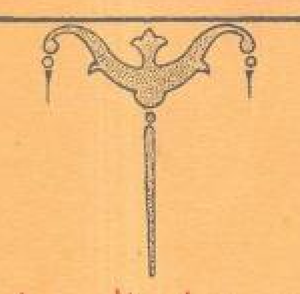
الخط الذي طارت فوقه الطيارة بريمن من برلين الى ارلندا الى جزيرة جرينلي.

مقتطف اكتوبر ١٩٢٨.

الجزء الثاني من المجلد الثالث والسبعين







مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازوردزي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثالث والسبعين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٤٧

كلمات للدكتور صروف

الاوهام وتولدها ونموها

اخبرنا صديق صادق رفيع المقام انهُ يعرف رجلاً اذا سألتهُ ان يحضر لك نوعاً من الفاكهة تفاحاً او موزاً او برتقالاً مدَّ يديهِ في الهواء واعادهما مملوءتين بالفاكهة التي طلبتها. وقال انهُ رآهُ يفعل ذلك عياناً. وطلب منهُ مرةً ان يأتيهُ بخمسين جنيهاً فمدَّ يديهِ في الهواء واعادهما مملوءتين بالذهب. ولا شبهة في انهُ قصَّ علينا ما يعتقد صحتهُ ولكن هل هو صحيح لذاتهِ. نحن تجاه هذا الخبر بين امرين إما ان نصدق ان بعض الناس يستطيعون ان يقطفوا الاثمار من الهواء وان يستخرجوا منهُ الذهب المسكوك وإما ان نسلم بان بعض الناس يتوهَّم انهُ رأى ما لا حقيقة لهُ. اما الامر الاول فينفيهِ اختبار البشر في كل العصور وكل البلدان ولو وُجد انسان واحد يستطيع ان يستخرج الذهب من الهواء لصار اغنى من قارون وتعلم الناس منهُ هذه الصناعة فصار الذهب ارخص من الماء. ولو امكن قطف الاثمار من الهواء لابطل الناس زرع الجنائن والبساتين وعاشوا بلا تعب ولا نصب. واما الامر الثاني او الفرض الثاني وهو ان يتوهَّم الانسان انهُ رأى ما لا حقيقة لهُ فكثير الوقوع وما من احد الاَّ ويرى كل يوم في احلامهِ اموراً كثيرة لا حقيقة لها وكثيراً ما يتخيلها وهو صاحٍ ومن ذلك الخيالات والتخيلات والهواجس على انواعها. واذا ضعفت قوة الحكم فيهِ حينئذٍ ولو قليلاً كما تضعف وقت التعب العقلي والنعاس والسكر والبحران حسب ان ما يخيَّل لهُ حقيقي. ويصيبهُ مثل ذلك في حالة الاستهواء سواء استهواهُ غيرهُ اواستهوى هو نفسهُ

وبديهي اننا اذا كنا بين فرضين احدها مناقض لاختبار الناس في كل العصور والآخر لا يناقضهُ الاختبار بل يؤَيدهُ وجب علينا ان نأخذ بالفرض الثاني لا الاول

ثروت باشا

بقلم تلميذه الروحي وكاتب سره الخاص الدكتور احمد فريد رفاعي مدير ادارة المطبوعات

***

قدس الله ذكراك ، وطيب مثواك ، صديقي العلاَّمة المرحوم الدكتور يعقوب صرُّوف

أذكر بجلاء ووضوح ذلك اليوم المترع بالدروس والعظات ، يوم أزمة الجيش ، حين كانت وزارة عدلي باشا ، وحين كان ثروت باشا وزيراً للخارجية ، وحين كان للحكومة الانجليزية موقفها الخاص الدقيق . اذكر ذلك اليوم تماماً ، واذكر ان المرحوم الدكتور يعقوب صرُّوف تلفن اليَّ وانا في مكتبي اثناء ساعات العمل ، وقال انهُ يود مقابلتي في شأن خاص يهمني ، واذكر اني ذهبتُ اليهِ ، وافضى اليَّ برغبتهِ في مقابلة دولة ثروت باشا ، لأمر ذي بالٍ

مرَّت ايام قليلة وكانت ازمة الجيش قد اشتدت وطأتها ، وزادت حدتها ، ومررت كعادتي في الصباح وانا في طريقي الى الديوان على المقطم ، وقابلت وقتئذٍ الاستاذ الدكتور « نمر » فقابلتُ عندهُ طيب الذكر الدكتور « صرُّوف » ، فأخذني الى حجرتهِ ، وكادت الفاظهُ تكون رحمة الله عليهِ رحمة واسعة :—

« ثروت باشا بلا ريب من اكبر ساسة اوربا . عقلية جبارة حادة ، وذكاء متناهياً ، وأصالة رأي . ولكن الشرق لا يفهمهُ الآن . وسيحملونهُ على الاعناق في القريب . يجب ان تؤمن بذلك وان تثق بهِ تمام الوثوق . انهُ وطني غيور جدًّا . ومطلع غزير المادة ، يقتل موضوعاتهِ بحثاً وتنقيباً وتقليباً على مختلف الوجوه » . ثم قال : « اتعرف لماذا ذهبت لمقابلتهِ ؟ » . قلت لا . قال : « لما حصلت ازمة الجيش : رأيتُ واجباً عليَّ ان ابحث الموضوع الذي جعل الانجليز يقفون امام سعد وعدلي وثروت هذا الموقف . . . بحثت فوجدت ان المسألة مبالغ فيها ، وانهُ ليس للانجليز ما يبرر موقفهم في تجسيمها ، وان لمصر من الحقوق ما لا ينكر حتى في كتاب مصر الحديثة للورد كرومر . .

« رأيت ذلك ، فقابلتُ ثروت باشا ، وسألتهُ عن وجهات نظرهِ ، وعن اوجه دفاعهِ وعن الحلول التي ارتآها ... فوجدتهُ لم يترك شاردة ولا واردة . . . والذي ادهشني ، ان تلك النقط التي ظننتُ اني قد وقفت على كنز حينما أطلعتُ عليها . . . كانت

بغنابة وشل من بحر ...... كانت لا شيء . حقًا انهُ لرجل عظيم . واني مسرور جدًا ياصديقي لتلمذتك لهُ، وصلتك بهِ . ستستفيد ستستفيد . »

ومات الدكتور يعقوب صرُّوف . ولم يمضِ حول حتى مات ثروت باشا بعد أن رأس حفلة تأبينهِ . فقد كان « ثروت » وفياً لاصدقائهِ . الاحياء منهم والاموات

مواهبه :

لست بمتعرض للبحث في السياسة ، وماذا كان لزعيمنا الراحل من وجهات نظر في سبيل خدمة بلادهِ ، ولا بموازنٍ اوجه النفع في اتباعها ، او اتباع غيرها ، وأوجه الضرر في التنكب عنها والأخذ بسواها . فان ذلك يجب ان يترك للتاريخ اولاً ، ولسواي ثانياً ، ولغير المقتطف ثالثاً . ولعلهُ يجدر بي العناية بمواهبهِ من حيث النواحي الشخصية فأتحدث اليك عن ثروت باشا كمحدث ، وكخطيب ، وككاتبٍ ، كما أتحدث اليك عن نواحيهِ الخلقية كحيائهِ وتواضعهِ ، ومحاسبتهِ لضميرهِ ، تاركاً لصديقي الكاتب النابغة الدكتور طه حسين ان يمتع القراء بمبحث عن وفاء ثروت ووده وصداقته ، مجتزئاً بالقليل عن الكثير، لضيق المقام في مجلة شهرية تعنى بمختلف الموضوعات وشتى البحوث

ثروت باشا كمحدث :

في عنقي ان اعترف ، باني قبل صلتي بثروت باشا ، لم اكن اعلم بطريقة عملية اثر سحر الحديث الطلي في النفوس ، واختلابهِ للنهى والالباب

نعم لقد قرأتُ ما كتبهُ « توماس كارليل » عن تلك الملكة في « روبرت بارنز » الشاعر البريطاني النابه ، وقرأت ما سطرهُ بلوتارك في كتابهِ عن اقطاب الخطابة وما عزاهُ الى الخطيب اليوناني « انتيفون » من اذاعتهِ عن نفسهِ اعلانه باستعدادهِ بتطبيبهِ امراض العقول والاذهان ، ومداواة علل النفوس والارواح ، بسحر كلامهِ ومعسول لفظهِ . وقرأت شيئاً مما كتبهُ العرب في هذا الصدد من اقبال المستمع الى محدثهِ واثر الحديث العذب من النفوس واخذه بمجامع الافئدة . . . . ولكنني ، لم ارَ ولم اسمع ولم اشاهد محدثاً في قوة ثروت ورقتهِ ، ولا من يدانيهِ فيما حبتهُ الطبيعة بهِ من اكتساب ثقة مستمعه

يتكلم ثروت باشا اليك ، واليَّ ، والى من هو اقل منا جاهاً او اصغر سنّاً ،

فتأبى عليه نفسه المرحة الطروبة ، ووجهه الوضاء البسّام ، وروحه البهجة الفرحة ، وقلبه المترع حبًّا ووداداً . يأبى عليه ذلك كله الاّ ان يكون مثلك وفي سنك ومقامك ، والاّ ان يكون السخي في امتاعك وارضائك ، لا عن تعمد واجتهاد ، بل عن سليقة واستعداد . وربما كان من العدل ان نقول ، ان هذه الناحية الجذابة من شخصيته البارزة القوية ، اكبر أثر في نجاحه في مفاوضاته السياسية

واذا جاز لنا ان نستطرد في بيان مقدرته في هذه الناحية ، وتفوقه فيها ، مع ظرف ولباقة ، ورقة وحصافة ، وايمان بالسليقة بما للقول العذب السلسبيل ، من صنع حسن جميل ، وما للحديث الشيق الطريف ، من أثر ممتع ظريف ، نقول لك ان ثروت باشا كان في مفاوضاته يعنى بتعرف نفسية مفاوضه ، ويدرس بصبر وأناة وسائل اجتذابه الى صفه . فكان يستغل تلك المنحة النادرة التي حبتهُ بها الطبيعة ، والتي كانت في سليقته ودمه — في نيل حق ودفع ظلم ورد جائحة !

لقد تحدث الى اللورد اللنبي ، وستنشر مذكرات المرحوم ثروت باشا عن مفاوضاته الخاصة بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ يوماً ما ، وسيقف المصريون منها كيف كان اللورد هائجاً غاضباً على اثر الحالة السياسية بعد مشروع اللورد كرزون ، وكيف لان ثروت باشا قناته ، وهدأ روعه ، وغير نفسيته ، وكيف اضحى اللورد الهائج من خيرة المدافعين عن مصر ، وقضية مصر ، حتى لوّح باستقالته اذا لم تنصف الحكومة الانجليزية هذه الامة الوديعة فتعلن استقلالها وترفع الحماية عنها ، وتوافق على مطالب ثروت باشا

لقد أملاني رحمهُ الله كل حديث دار بين اللورد اللنبي وبينهُ ، وأثق بأنهُ حينما تتاح الظروف المناسبة لن يتأخر انجال زعيمنا السياسي العظيم ، عن نشر تلك الاحاديث التي لا مندوحة للمصريين من الوقوف عليها ليعلموا مبلغ جهاد أبطالهم وثبات زعمائهم في الدفاع عن بيضة وطنهم

لقد أرعد اللورد وأبرق بادىء ذي بدء ، وتكلم عن قوة بريطانيا واساطيلها وعن تصميمها بالاحتفاظ بقنال السويس طريقها الى الهند ، وأسهب في بيان سلطانها وافاض في اظهار حولها وطولها . . . . واخيراً ماذا ؟

تكلم ثروت باشا مع باترسون ، ومع كليتون ، ومع ايموس ، ومع غيرهم من كبار المستشارين البريطانيين الموظفين بالحكومة المصرية واصحاب « بعض الرأي » في الوكالة البريطانية . كما تكلم مع كبار موظفي تلك الدار . . . . وكان قد درس الموضوع

بمحذافيره ، والاشخاص بميولهم ونفسياتهم واتجاهاتهم. وكان قد درس ايضاً اللنبي وما يحيط بهِ اي درسهُ شخصاً وبيئة . . . واخيراً كان لثروت النجح والتوفيق ، وكان لاحاديث ثروت الفوز الباهر . تلك الاحاديث التي جعلت وزير خارجية انجلترا الحالي « تشمبرلين » يجهر بأن لم يترك احد من وزراء خارجيات دول اوربا في نفسه من الاثر ما تركهُ فيها زعيمنا الراحل الكريم

ثروت باشا كاتب :

وقد اطلع الكثيرون بلا ريب على كتابات الزعيم الراحل ، وحكموا بما لهُ من « ذوق » خاص في تخير الالفاظ ، وجنوحهِ الى السلاسة مع الفخامة ، ونزوعهِ الى السهولة مع الطلاوة ، واني لا أرى مندوحة لي هنا من اقتطاف هذه النبذة الصغيرة من كلمتهِ الانتخابية لتبين منحى الراحل الكريم في كتابتهِ قال « إني لأخاطبكم واخاطب إخواني المصريين جميعاً بما خاطبتُ بهِ « سعداً » في كتابي اليهِ إثر دعوة الامراءِ للاتحاد. يوم تبينتم جميعاً بأتم وضوح ، وانصع جلاء ، ان تقاطعنا لم يضر بأحدٍ سوانا . أخاطبكم قبل ان تصدروا حكمكم باختيار من شئتم لينطق بلسانكم ، وليتكلم بشكانكم ، وليفصح عن مشيئتكم ، وليناضل في سبيل قضيتكم ، وليحقق آمالكم ومطالبكم . أخاطبكم مهيباً باخلاصكم :

« نحن الآن أحوج ما نكون الى أن يقف الزعماء في هذه البلاد المغلوبة على أمرها ، من قادتها قبل خصومها ، موقف الناصح البصير يمحض قومه خالص النصح فكفاهُ تناحراً وكفاهُ تهاتراً »

« اجل لقد كان اجدى واخلق ان ينادي بهم وهم على ابواب البرلمان : أن ادفنوا يا قوم حزازات الماضي ، وولوا اموركم خياركم ، وصفوة عشائركم ، وخلاصة احزابكم كوّنوا منهم مجموعة صالحة تناضل عن حقوقكم وتستخلص لكم مطالبكم ، وكم كان يجدر بكل متصدر للزعامة ان يرشد المصريين الى استخدام ما وصلنا اليهِ احسن استخدام واستغلالهِ على اكمل الوجوهِ فنتخذ منهُ عدة في المضيّ لاتمام ما بقي » اه

وقد يكون من الممتع حقاً ان تعلم ان لثروت باشا كتباً هي من المنثور المنتخب ، في كتب الادب . وقد يكون من الممتع ايضاً ان تعلم ان لهُ ذوقاً سامياً في النقد ، وان اذنهُ تسمع وتقدر ، ولعل لهذه الاذن « السميعة » المحبة لجميل النغمات ، ورخيم الاصوات ، وعذب الأغاني ، وشجي الاناشيد ، شيئاً من الدخل غير قليل حينما ينتقي

هذا اللفظ وذاك ، وحيناً يوازن ويفاضل بين جملة واخرى

ولثروت باشا سليقة مدهشة في ترتيب المعاني بطريقة تحليلية منطقية جذابة ، وله من اطلاعه الوفير وتجاربه العديدة ، وذكائه النادر خير معين على ابراز ما يريد في حلة مستحبة مستملحة تنم عن نفسيته المرحة الطروبة

ويصح لي ان استطرد هنا الى حادثة وقعت لي مع الراحل الكريم ليست الاولى من نوعها . ذلك ان دولته امرني بكتابة مذكرة في موضوع خاص . وكانت طويلة متشعبة، وكنت قد عنيت بها عناية خاصة ، وعرضتها على دولته بعد الفراغ منها،فنظر فيها دولته نظرة يحكم عليها من لا يعرفه او يباشره انها نظرة سطحية . ويؤمن من يتصل به بانها عميقة ومدبرة ومفكرة . ثم امسك ببراعته وعلّم على بعض فقرها بارقام الصحف التي يصح ان توضع فيها ، وقد خزن في ذهنه الجبار مواضع ما قرأ من عشرات الصحف في كتابتي الاصلية الى المقام السلس الذي تخيله وارتآه ..

ثروت باشا كخطيب :

وليس من شك ان ثروت باشا المحدث الرقيق الحاشية ، الجذاب الحديث ، الرشيق الاسلوب ، الشيق الكتابة ، لا بد أن يكون خطيباً مفوهاً من الطبقة الاولى . وكان اول عهد الرأي العام به خطيباً بارعاً ، مالكاً أعنة القول والبيان ، في مرافعته في قضية الورداني حين كان نائباً عمومياً . وتعتبر هذه المرافعة — الى جانب متانتها في الاسلوب وقوة السبك وفخامة اللفظ ، آية فنية من القطع الخطابية النادرة المثال

وقد رآه الجمهور في الجمعية التشريعية مع المغفور له المرحوم سعد باشا زغلول وهما في المناقشة والمحاجاة فرسا رهان

ثم استمع اليه الجمهور ايضاً في افتتاح لجنة الدستور ورآه قبلها في « الكونتنتال» حينما تكلم كلماته المأثورة الخالدة عن المعارضة

واخيراً استمع اليه الجمهور في حفلة تأبين سعد . فكان لنبرات صوته ، ولطريقة القائه ، وحسن ايماءاته ، وجميل اشاراته وصادق احزانه ، الى جانب دموعه السيالة النبيلة — كان لذلك كله مدعاة لاجماع الجمهور على مكانته الخطابية الاولى

لقد كان ثروت وطنيًّا مؤمناً بحقوق البلاد ، ومؤمناً بوجهات نظره في خدمة قضيتها الاستقلالية . وكان لهذا الايمان اثره العميق من ثروت الخطيب ، وكان ثروت

مؤدباً بطبعه ، جذاباً بنشأته ، حلو الحديث بتربيته وبيئته ، متواضعاً محبوباً بسليقته — فكان له من جماع هذا الاثر الخالد في ثروت الخطيب

والآن نتقدم الى القاء نظرة عجلى على بعض نواحيه الخلقية ، كحيائه وتواضعه ومحاسبته لضميره ، مجتزئين بالقليل من الحوادث عن كثيرها ، تاركين للصديق الدكتور طه حسين افراد بحث عن وفاء ثروت ووده وصداقته كما أسلفنا ، مقررين في الوقت نفسه ان ثروت باشا كان الزوج البر الكريم ، وكان الوالد العطوف الرحيم ، وكان الصديق الودود الحميم . واذكر اني كتبت في محليات المقطم في شهر مارس عام ١٩٢٢ بحوثاً تناولت فيها ذلك مما لا حاجة بي الى اعادة نشره ، لوفرة النواحي الخلقية الاخرى المتطلبة عناية ودرساً

حياؤه وتواضعه :

يقول الاستاذ دلاور بك صديق المرحوم ثروت باشا وكان ملازماً للفقيد في اخريات ايامه في باريس ، في مذكراته التي بعث بها الى المجال راحلنا الكريم عن تلك الايام السوداء ، ان الباشا قال له في يوم الخميس ٢٠ سبتمبر الماضي اثناء تريضهما في الشانزليزه والليدو انه يشعر بآلام في الذراع كشيء من الروماتزم ، وطلب اليه اسم طبيب اخصائي لهذا المرض ، وفي يوم الجمعة ٢١ سبتمبر خرج دولته للرياضة كعادته ولم يتمكن دلاور بك من الاتصال به ، وعند الظهر اضطرته الحالة الى تكليف بواب مسكنه بطلب « فاين بوم » طبيب الجهة الذي قرر اصابته بالروماتزم وبضعف قليل بالقلب

استمرت الحالة واشار حامة الباشا واقرباؤه عليه بتغيير الطبيب بسواه ، فقال رحمه الله « كلا . لا معنى لجرح احساس الطبيب ، لنترك له هو الاستعانة بالاخصائي الذي يختاره ان رأى لزوماً لذلك ! »

حتى في تلك الساعة الحرجة ، ابى حياؤه الطبعي ، وخلقه النبيل ، وأدبه الجم الا المحافظة على كرامة الغير محافظة ربما كان لها بعض الدخل في استفحال الحالة وتطورها

ولماذا أذهب بعيداً وأمامي خطاب دولته الاخير الذي تعطف وبعث لي به في ١٢ سبتمبر من سنت موريتز قبيل قيامه إلى باريس وقد أهمل كاتب زراعته في أداء مهام كلفه دولته بها ، قال رحمه الله ما نصه بالحرف الواحد : « لم يرد لي من الكاتب شيء عن أحوال الزراعات فأرجوك أن تكلفه بكتابة تقرير عن حالة كل عزبة وترسله

اليَّ بباريز ، ويستحسن أن لا يعلم ان هذا بناء على طلبي بل ان ذلك من فكرك ليظهر لي نشاطه مدة غيابي خصوصاً أني كلفتهُ بذلك قبل سفري . اه »

محاسبته لضميره

أما محاسبته لضميرهِ فحدث عنها ولا حرج . انها وايم الحق لتتطلب مني قبل سواي أن أفرد لها مقالاً خاصًا أذكر فيها مئات الامثلة والوقائع التي شاهدتها بنفسي عن كثب ، كموقفه من سيف الله باشا يسري حين استنصحهُ في أمر ذي بال بعد استقالة دولته عام ١٩٢٢ ، وكموقفه في الشئون السياسية الجليل منها والهين ، وكموقفه في شأن مراد بك أحمد وكلاء النيابة حينما كان نائباً عامًا ، وفي شأن الدكتور طه حسين وكتابه حينما كان وزيراً للخارجية وحينما كان رئيساً لمجلس الوزراء في وزارتهِ الاخيرة ، وكموقفه ازاء احمد مختار حجازي بك وكيل مديرية أسيوط عام ١٩٢٢ وغالب كفافي بك وكيل مديرية جرجا في ذلك الحين ، بيد ان ذكر ذلك يطول بي ، وبالقراء ، وبهذه المجلة ، ويطول جداً فلا مفر من الاكتفاء بالحادثة الاخيرة الخاصة بغالب بك كفافي

لقد ابلغ ثروت باشا من بعض اصحاب الرأي ان « لغالب كفافي » من الصفات مالا يليق معها بقاؤه في خدمة الحكومة فبعث بي الى الوجه القبلي بمهمة التفتيش وكلفني بزيارة كل مديرية من غير ان يفهمني غرضهُ الاساسي

سافرت ودرست كل حالة ثم قابلت دولتهُ بمنزله في سنت لوران حينذاك وعرضت على دولتهِ نتيجة مأموريتي وتأكد منها الزعيم براءة « غالب » وطهر ذيله .

طلبهُ المرحوم المبرور الى الاسكندرية في مهمة ما ، ووقف على حقيقة الرجل بفراستهِ وبنظرة من وراء نظارتهِ ، وما تردد بعدئذ في ترقيتهِ محافظاً لدمياط .

خرج غالب وخرجنا على اثره ، وما عتم ان قال لي الراحل الكريم :

« كيف يطلبون مني احالة موظف كهذا الى المعاش ، وكيف استقبل الله وهو سائلي بلا ريب ما جريرة هذا الموظف ؟ أما علموا اني ملزم بأن انتصف لخصومي وعداتي من نفسي بنفسي . . . ؟ هل فاتهم ان للكرسي مسئولية خطيرة امام ضميري وامام الهي ، واني مسئول عن حولي وقوتي امام حول الله وقوته »

اقسم ان ثروت باشا قال لي تلك الجملة الخالدة الاثر في نفسي ، إن لم يكن فاه بها بلفظها ونصها فبروحها ومعناها . فإنا لله وانا اليهِ راجعون « احمد فريد رفاعي »

الطيران الى النجوم : فلنستعمر الزهرة

السفر من اوربا الى اميركا في ساعة ونصف ساعة

بطيارة تنطلق كالسهم بسرعة ٤٥٠٠ ميل في الساعة

مبدأ الصاروخة في حركة الطيارات والسيارات

خذ بيضة واثقبها من رأسها ومن عقبها ثقبين صغيرين احدهما اكبر من الآخر وافرغها من محها وزلالها ثم املأها ماء الى نصفها وسدَّ احد الثقبين وخذ قطعة من الخشب ودقَّ بها اربعة مسامير حتى تستطيع ان تضع البيضة عليها مرتفعة نحو بوصة عن الخشبة وضع تحت البيضة ذبالة مشتعلة وضع الخشبة والبيضة معاً في مغطس ماء فلا تلبث ان ترى الخشبة والبيضة عليها تمخر الماء كأنها باخرة من البواخر

وتعليل ذلك ان جانباً من الماء الذي في البيضة يتحول الى بخار لا يلبث ان يتكاثف ويحاول التمدد فتمنعهُ من ذلك جدران البيضة فلا يجد لهُ منفذاً الاَّ الثقب الصغير في احد طرفيها فيخرج منهُ بقوة وفي اثناء خروجه يدفع البيضة والخشبة التي اقيمت عليها في جهة مناقضة لجهة اندفاعه . هذه هي القاعدة التي بني عليها مبدأ الحركة بآلة تندفع الى الامام بصواريخ أُقيمت في مؤخرتها . وينتظر منها ان تكون الآلة التي يستطيع ان يصل بها الانسان الى السيارات والنجوم

***

فقد ذكرت الصحف السيارة في اول الصيف ان سيارة من هذا القبيل تعرف « بسيارة الصواريخ » جربت في برلين وهي كما تراها في الصورة لها في مؤخرها اثنا عشر انبوباً يخرج منها دخان يدفع السيارة بخروجه فتنطلق كالسهم بسرعة مدهشة تكاد تفوق سرعة اسرع السيارات وينتظر ان تفوقها اضعافاً مضاعفة

ليس في هذه السيارة محرك بالمعنى المعروف يولد الحركة بالاحتراق الداخلي ثم تنتقل هذه الحركة الى العجلات . ولكنها كما يدل عليها اسمها « صاروخة » اقيمت على عجلات والصواريخ في القاموس سهام من النفط يرمى بها في الحصار لاحراق البيوت وهي التي تشعل في الاعياد والحفلات الوطنية فتنطلق في كبد الفضاء ومبدأ انطلاقها قائم على انها تحترق من مؤخرها فتنطلق منها غازات تدفعها في الجهة المعاكسة

وهذه هي الحال في السيارة الجديدة . فانهُ في اطراف الانابيب الداخ اسطوانات في كل منها مقدار من مادة متفرقعة اذا اشعلت تولدت منها غازات تضغ على جدران الاسطوانات فلا تجد لها منفذاً غير افواه الانابيب خارج السيارة فتنطل منها وفي انطلاقها تدفع السيارة الى الامام كانها رصاصة او قذيفة من فوّهة مدفع والمعروف لدى سائقي السيارات وراكبيها ان السيارة تتدرج في سرعة حركتها فتكو بطيئة اولاً ثم تكسب زخماً في سيرها حتى تبلغ اقصى سرعتها ولكن السيارة الالمان التي بنيت على هذا المبدإ بلغت سرعة ٦٠ ميلا في الساعة بعد ما سارت مائتي قدم غير مع انها لا تزال في دور التجربة والامتحان

وهنا يتبادر الى الذهن سؤال مهم . ما هي اقصى سرعة تستطيع أن تسير بها هذ السيارة ؟ لا يخفى ان المكان الذي جربت فيهِ لا يسمح فيهِ ان تتعدى سرعة السيار حدًّا معيناً . ولكن مهندس السيارة والمشرف على صنعها وسائقها كلهم يعتقدون انهُ ب استطاعتها التفوق على اقصى سرعة بلغتها سيارة الكابتن كامبل وهي ٢١٦ ميلاً في السا اذا سارت في منبسط مستوٍ من الارض . ويقال ان فون اوبل رئيس شركة سيارا اوبل يفاوض سكك حديد الدولة بالمانيا ليبني لها عربة تسير ٣٠٠ ميل في الساعة

ويمكن تطبيق هذا المبدإ على الطيارات كما يمكن تطبيقهُ على السيارات ومركبا السكة الحديدية . ويقال انهُ تبنى الآن طيارة في معامل راب في كاتزنشتاين من اعما مقاطعة كاسل بالمانيا على هذا المبدإ ينوي ان يطير بها صانعها « انطون راب » وهو مر اشهر طياري اوربا، الى طبقات من الجو لم يبلغها احد من قبل

***

اذا كان الانسان يطمح الى الوصول الى الزهرة والمريخ او الى ما وراء المريخ مر سيارات وكواكب فهذه وسيلة تنيلهُ امنيتهُ ولا تعرف الآن وسيلة اخرى تمكنهُ مر ذلك . ان الشقة بين الارض واقرب السيارات اليها تقاس بملايين الاميال . وهذ الشقة خالية من الهواء لا تفلح فيها طرق الانتقال المستعملة الآن لانها تعتمد على الهواء فالبنزين في آلات السيارات والطيارات لا بدَّ لهُ من ان يمتزج بالهواء قبل اشتعالهِ ومحركات الطيارات لا تستطيع ان ترتفع بالطيارات ولا ان تسيّرها الا اذا دارت في جوّ غازي كالهواء فاذا دارت في فراغ لم يكن في استطاعتها الارتفاع ولا السير الى الامام ولا الثبات في الجوّ

والطريقة الوحيدة التي يستطيع الانسان ان يستعملها للوصول الى القمر هي ان يقذف نفسهُ اليهِ كرصاصة بندقية . والظاهر ان السيارة او الطيارة المبنية على مبدإ الصاروخة كالسيارة الالمانية التي ذكرناها هنا هي التي في مقدورها ان تحقق هذا الامل

كان الروائي الفرنسي روني Rosny اول من اطلق على المواصلات بين النجوم لفظة «استرونتكس» اي الملاحة بين النجوم يقابلها في الفاظ العامة لفظة «ايرونتكس» اي الملاحة في الهواء. وقد اعجبت الجمعية الفلكية الفرنسية بهذه اللفظة الجديدة فوافقت عليها فصار الحلم الذي كان يجول في عقول بعض الروائيين — واشهرهم جول ڤرن — امراً تعنى بهِ الجمعيات العلمية ويقبل عليهِ المهندسون فيبذلون الوقت والمال في امتحانهِ ومحاولة تحقيقهِ . قد لا نتمكن من الوصول الى القمر الاَّ بعد قرون كثيرة ولكن التجارب الحديثة في المانيا تثبت ان امامنا مبدأً جديداً للحركة لا بدَّ ان نستعملهُ يوماً في السكك الحديدية والسيارات والطيارات

***

التملّص من قوة الجاذبية والانطلاق في الفضاء بين السيارات والنجوم مسألة اشتغلت بها عقول المفكرين من علماء وكتاب منذ اقدم الازمنة . وفي سنة ١٨٦٥ كتب اشيل ايرو وهو من معاصري جول ڤرن كتاباً موضوعهُ «من الارض الى القمر» اقترح فيهِ استعمال صاروخة للطيران من الارض الى القمر . اما جول ڤرن فتصوَّر روَّاد السماء سائرين في قذيفة كبيرة كقذائف المدافع تنطلق باحتراق مقدار كبير عن المادة المفرقعة فنظر كبراء العسكريين الى اقتراحهِ هذا شزراً مستهزئين بهِ . ولكن اقتراح ايرو كان صواباً على ما اثبتتهُ التجارب الحديثة في المانيا

وفي سنة ١٩٠٧ عني مهندس فرنسي بحساب مقدار القوة اللازمة لقذف وزن معين بسرعة معينة الى القمر او الى الزهرة او الى المريخ . هذا المهندس هو روبرت اينو بلتري احد ابناء فرنسا الممتازين ومن اذكى مهندسيها واشهر واضعي الرسوم لمحركات الطيارات . ونشر حساباتهِ هذه سنة ١٩١٢ بعدما عرضها على جمعية الطبيعيات الفرنسية. وفي السنة السابقة كان الدكتور اندره بنغ البلجيكي قد نال امتيازاً لآلة تمكنهُ من زيادة طبقات الجوّ مهما بلغت لطافة الهواء

وفي سنتي ١٩١٢ و١٩١٣ حسب الاستاذ غودَرْدْ الاميركي حسابات دقيقة شجعتهُ على محاولة تحقيق فكرهِ سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ في جامعة كلارك الاميركية فوجد

انهُ في الامكان صنع صاروخة تصل الى القمر وعند وصولها تشعل مقداراً من مسحوق المغنزيوم فيضيء بنور لامع يمكن رؤيتهُ من الارض باقوى التلسكوبات. ثم عني ثلاثة من المهندسين الالمان بدرس المسألة هم اوبرث وهوهمن وماكس قاليه كلٌّ على حدةٍ والاخير (قاليه) اشهر الثلاثة واكثرهم حماسة واندفاعاً في سبيل تحقيق امنيتهِ وهو الباعث الحقيقي على بناء سيارة اوبل التي جربت بها التجارب الالمانية اخيراً. وقد وصل هؤلاء الثلاثة في سنة ١٩٢٣ الى نتائج لا تختلف اختلافاً مهمًّا عن النتائج التي وصل اليها اينوبلتري الفرنسي وجودرد الاميركي

وقد عاد اينوبلتري الى البحث في هذا الموضوع فقدم رسالة مسهبة فيهِ الى الجمعية الفلكية في يونيو سنة ١٩٢٧ واتفق مع صديقهِ اندره هرش على ان يمنحا جائزة سنوية قدرها ٢٠٠ جنيه للباحث الذي يوسّع نطاق الاسترونتكس بمباحثهِ كما ذكرنا في باب الاخبار العلمية في الشهر الماضي

***

لقد اتفق المهندسون وعلماء الظواهر الجوية على ان الطيران على عشرة اميال من سطح البحر لهُ امتيازات لا يستهان بها . لان سرعة الطيارة على بضعة آلاف قدم من سطح البحر تحتاج الى قوة كبيرة تستلزم حرق مقدار كبير من البنزين فتقصر بذلك المسافة التي تستطيع الطيارة ان تجتازها من غير ان تحط على الارض او على جزيرة عائمة في البحر ويقلُّ عدد المسافرين الذين تستطيع ان تنقلهم . لان على الطيارة ان تقاوم ضغط الهواء في سيرها وهذا الضغط يزداد كمربع السرعة والقوة اللازمة لمقاومة هذا الضغط تزداد كمثلث السرعة

والطريقة المثلى لتقليل مقاومة الهواء هي الارتفاع في الجوّ الى عشرة اميالٍ فوق سطح البحر حيث كثافة الهواء خُمس ما هي على سطح البحر . ويسهل حينئذٍ صنع طيارة محكمة البناء تهوّى وتدفأ ويكون ضغط الهواء فيها ما هو على سطح الارض حتى يكون المسافرون في جوّ كالجوّ الذي تعودوهُ

والصعوبة في تحقيق هذا الفكر هي عدم وجود آلة تستطيع ان تطير في الجوّ على هذا الارتفاع للطافة الهواء كما بينا في اول هذا المقال. لذلك ترى المهندسين مكبّين على ابتداع وسائل مختلفة تمكن الطيارات المستعملة الآن من الطيران في جوّ شديد اللطافة منها تغذية المحركات بهواء شديد الانضغاط. ولا يعلم بعدُ هل تفي هذه الوسائل بالحاجة

ولكن سواء وفت او لم تف فالمهندس ڤاليه يؤكد ان الطيارة كما هي الآن لا تستطيع ان تطير الاَّ في هواء كثيف وانهُ متى لطف الهواء تعذَّر عليها الطيران . فالهواء لازم لحمل الطيارة ولتسييرها ولتجهيزها بالقوة بعد امتزاجه بالبنزين واحتراقهما معاً

فاذا ارتفعت الى عشرة اميال فوق سطح البحر كان في امكان الطيارات التجارية ان تبلغ سرعة تزيد على ٢٥٩ ميلا في الساعة واذا ارتفعت الى ثلاثين ميلاً او اربعين فوق سطح البحر امكنها ان تزيد سرعتها من الفي ميل الى اربعة آلاف ميل في الساعة ولكن هذا متعذر على الطيارات كما هي . ولذلك يرى انهُ لابدَّ من استنباط نوع جديد من الطيارات اذا اراد الانسان ان يجمل مسالكهُ في طبقات الجو العليا وعندهُ ان الطيارات التي تندفع بقوة الصواريخ هي الوسيلة الوحيدة المعروفة التي تستطيع ان تحقق هذا الغرض

وهكذا استنتج ڤاليه ما استنتجه ابرو وجودرد وبنغ واينو بلتري وغيرهم من قبل وهو انهُ لابدَّ للانسان من أن يستنبط لذلك صاروخة موافقة

وقد حسب ڤاليه حسابات دقيقة بنى عليها صورة خلابة لاجتياز الاتلنتيكي بطيارة من هذا القبيل . قال : لنفرض اننا عزمنا على اجتياز المسافة بين برلين ونيويورك في ثلاث مراحل الاولى بين برلين وڤيجو باسبانيا والثانية بين ڤيجو وجزيرة طبيعية او صناعية في الاوقيانوس والثالثة بين هذه الجزيرة ونيويورك

تندفع الطيارة من برلين في زاوية تكاد تكون قائمة حتى تصل الى طبقات الجوّ العليا باسرع ما يمكن ففي ١٧ ثانية يبلغ ارتفاعها نحو ميلين وسرعتها ٤٠٠ متر في الثانية ولا تنقضي عليها ٤٨ ثانية حتى يبلغ ارتفاعها نحو خمسين كيلو متراً (او ثلاثين ميلاً) فوق سطح البحر ويكون بعدها عن مكان قيامها نحو ٤٣ ميلاً وتكون سرعتها في خط افقي قد صارت ٢٠٠٠ متر في الثانية او نحو ٤٥٣٠ ميلاً في الساعة فتصل ڤيجو في ٢٧ دقيقة وتجتاز المسافة بين برلين ونيويورك في ٩٣ دقيقة او نحو ساعة ونصف ساعة

والامر الآن الذي يراهُ ڤاليه عائقاً في سبيل تحقيق هذه الأمنية هو مقدار المادة المتفرقعة اللازمة لدفع الطيارة في الفضاء . فقد حسب ان ٦٩ في المائة من كل وزن الطيارة يجب ان يكون مادة متفرقعة في المرحلة الاولى و ٧٦ في المائة في كل من المرحلتين الباقيتين وعلى ذلك لايمكن ان يكون الوزن الذي يمكن حملهُ من ركاب او امتعة اكثر من ١٥ في المائة من وزن الطيارة . فنقل ما وزنهُ طن من برلين الى

نيويورك يقتضي احراق ٥٢ طنّاً من المادة المتفرقعة . الثمن كبير ولكن نفقات السرعة لا بدَّ ان تكون كبيرة !

فطيارة ڤاليه من الوجهة الهندسية النظرية امرٌ في حيّز الامكان ؟ ولكن ماذا يكون اثر السرعة في قلب المسافر واعصابهِ ؟ هذا امر يحتاج الى تقصٍ تام لا بدَّ منهُ قبل النظر في تحقيق السفر بهذه السرعة التي تفوق ادراك البشر اذ ما الفائدة من طيارة تطير اذا كان الانسان لا يستطيع ان يطير بها

وقلما يتحقق تسيير طيارة من هذا القبيل بين برلين ونيويورك على ارتفاع ٤٠ ميلاً فوق سطح البحر وبسرعة نحو ٤٥٠٠ ميل في الساعة يجب ان يعنى علماء الظواهر الجوية بدرس احوال الهواء على هذا الارتفاع. ولما كانت البلونات التي تستعمل لقياس برد الهواء وكثافتهِ على هذا العلو لا ترتفع اكثر من عشرين ميلاً كان لا بدَّ من استكشاف حالة الجوّ على علو اربعين ميلاً بطيارة تسير على مبدإِ الصاروخة . لذلك ترى فون راب الالماني مكبّاً على صنع هذه الطيارة كما تقدم وستكون مجهزة بآلة عادية ومحركات علاوة على الصواريخ ويكون في وسعها ان تقطع من ٣٠٠ ميلٍ الى ٤٠٠ ميل في الساعة

وبعد ما تستكشف طبقات الجوّ المتوسطة الارتفاع بهذه الطيارة تبنى اخرى تستطيع ان تحلق الى ثلاثين ميلاً او اربعين ميلاً فوق سطح البحر وتسير بسرعة تختلف بين ٧٠٠ ميلٍ و ٩٠٠ ميل في الساعة

فقد ثبت من مباحث الاستاذ ده بورث الفرنسي ان جو الارض طبقتان الاولى علوها نحو خمسة اميال وتدعى بالتروبوسفير والثانية تدعى بالستراتوسفير وحرارتها ٥٠ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد . ونحن كما لا يخفى نعيش في الطبقة الاولى ولم يتمكن الطيارون ان يرتفعوا بطياراتهم الى ابعد من ثمانية اميالٍ فوق سطح البحر اي الى علوٍ يزيد قليلاً على اعلى قمم الجبال . وقد تمكن الاساتذة ده بورت وروتس واسمان من درس احوال الجوّ الى ارتفاع عشرين ميلاً بواسطة بلونات خاصة يحملونها آلات للرصد ويطلقونها في الجوّ فترتفع الى هذا العلو ثم يعيدونها الى الارض ويدرسون ما دونتهُ من الحقائق . اما ما هي حالة الجو فوق هذا الارتفاع فلا نعلم الآن وقد ادت ارصاد الشفق القطبي والرجم الى تضارب في آراءِ العلماءِ ازاء حرارة الجوّ على هذا العلو السحيق

فنحن اذن في حاجة الى رائد يمتطي طيارة تسير بمبدإ الصواريخ ويخترق طبقات الجو الى ارتفاع مائة ميل

واذا اختار ان يخترقها في فصل من السنة تكثر فيهِ النيازك والرجم فقد لا يصل الى العلو الذي يطلبهُ قبل ان يصطدم باحد هذه الرجم المنقضة في كبد الفضاءِ . وقد يتاح لهُ ان يرى الشفق القطبي في روعة جمالهِ . ايستطيع حينئذٍ ان يبقى حيًّا في مثل هذا الجوّ المكهرب ؟ وماذا يكون اثر الاشعة الكونية فيهِ ؟ فان الاستاذ ملكان اثبت انها اقوى نفوذاً من اشعة اكس اربعمائة ضعف وان جوّ الارض يحجبها عنا ويقينا منها . وماذا تكون الحرارة على هذا الارتفاع العظيم ؟ ألا يجوز ان تكون قريبة من الصفر المطلق ؟ وماذا يكون اثر هذا البرد في جسم السائق وفي معدن الطيارة ولو كانت الطيارة محماة من الداخل ؟

ومع ذلك ترى المهندسين فاليه واينوبلتري وغيرهما لا يكتفون بما تقدم بل يرمون الى بلوغ القمر والمريخ والزهرة . فيجب اذاً الانفلات من قبضة الجاذبية حينئذٍ وذلك يستلزم قوة لدفع الطيارة في الفضاءِ تفوق ادراكنا الآن

***

وقد حسب الاستاذ جودرد انهُ اذا اردنا ان ننقل على متن صاروخة من هذا القبيل ما وزنهُ كيلو واحد من مسحوق المغنيزيوم لانارتهِ حين الوصول الى القمر وجب ان نستعمل ما وزنهُ ٦٠٠ كيلو من المواد المفرقعة لتوليد القوة اللازمة لذلك. فما نحتاج اليهِ اذاً مادة تفوق افضل انواع البارود المعروف الآن في قوتهِ . ولذلك ترى المهندس اينوبلتري يجيل طرفهُ لاكتشاف مادة تصلح ان تكون مصدراً للقوة فنظر اولاً في مزيج من الاكسجين والهدروجين. والقوة التي تتولد من غرام منهُ تفوق القوة في غرام من النتروسلولوس ثلاثة اضعاف فنستطيع ان نطلق باثنين وستين كيلوغراماً منهُ ما وزنهُ كيلو غرام واحد الى حدود جوّ الارض بسرعة ميلين في الثانية . وعليهِ فهو غير كاف لتحقيق الغرض المطلوب . ونظر ثانياً في القوة المخزونة في جواهر الهدروجين. فلو كان استعمالها في حيز الامكان لكانت مصدر قوة لا بأس بها . لان هذه القوة تفوق القوة التي تتولد من اقوى انواع البارود نحو عشرة أضعاف فباحراق نحو عشرة كيلوجرامات منها يمكن ان نطلق كيلو جراماً واحداً من جاذبية الارض بسرعة ٦ اميال في الثانية . ولكنَّ توليد القوة من هذه الجواهر تصحبهُ حرارة شديدة لا يسعنا معها

ان نستعمل المعدن في انابيب الطيارة اذ اي معدن لا يصهر اذا مرَّ بهِ غاز حرارتهُ ١٨,٠٠٠ درجة بميزان فارنهيت . ونظر ثالثاً في القوة التي تتولد من انحلال المادة . وقد قيل مراراً على ألسنة علماء الطبيعيات ان في ملعقة من الماء قوة تستطيع ان تدفع باخرة من البواخر الكبيرة من اوربا الى اميركا ثم تعيدها الى اوربا . هنا لدينا اول مصدر من القوة المركزة يستطيع ان يعمل العجائب

ولكن العلماء لم يهتدوا بعدُ الى الطريقة التي تمكنهم من اطلاق هذه القوى الهائلة من مكامنها . وجولة في الكون مثل التي يتصورها اينوبلتري يجب ان تؤجَّل حتى يتمكن علماء لم يخلقوا بعد من حل المادة واعادة بنائها على طرق لا نزال نجهلها

على ان هذا المهندس الفرنسي البارع يمعن في التصوّر المبني على الحساب الرياضي الدقيق . فيقول لنفرض اذا فزنا بمصدر للقوة يدفعنا في كبد الفضاء بالسرعة التي نتوخاها افلتنا من جاذبية الارض ووصلنا الى القمر بعد مسير خمسين ساعة ثم الى الزهرة فنستغرق في سيرنا اليها ٤٨ يوماً واربع ساعات او الى المريخ فنقضي ثلاثة اشهر في الطريق

وهو يرى ما يمكن ان يعترض بهِ على تصوّرهِ هذا . فيقول ان الرجم اذا احتكت بجو الارض احترقت كانها عود ثقاب لشدة الاحتكاك وهذه الطيارة نيزك منقضّ في قلب الفضاء فماذا يحدث لها وهي تحتك بالهواء

ويردُّ على هذا الاعتراض بقولهِ اننا نتحكم في سرعة الطيارة فتكون السرعة قليلة حيث الهواء كثيف وتزيد كلما لطف الهواء ونبلغها اقصاها حين نخرج من منطقة جوّ الارض . وخطر الرجوع الى الارض اعظم من خطر القيام لانهُ يلزم حينئذٍ ان يبطأ سير الطيارة قبل دخولها في جو الارض لئلا تحترق

ولا يخفى انهُ حين ينفلت الانسان من جاذبية الارض يصبح لا وزن لهُ ولذلك يقترح المهندس ڤاليه ان تكون ارض الطيارة من المغناطيس حتى تجذب اليها الركاب فلا يعلقون في الهواء بين سقف الطيارة وارضها

***

ما هو مصير الارض ؟ يقول العلماء انهُ بعدما ينقضي عليها ملايين من السنين تصبح ذرة رماد تدور في الفضاء . وماذا يكون مصير الجنس البشري حينئذٍ ؟ ايموت آخر انسان عطشاً وجوعاً ؟ كلا : يقول علماء فرنسا (علماء الاسترنكس) فلنستعمر الزهرة او المريخ كما استعمرت اوربا اميركا وندع الارض حينئذٍ تسير في مجراها

بقدر الصعود يكون الهبوط

مَثَل حكيم

لجاكوب كاتس الهولندي

ولد جاكوب كاتس في زيلند من اعمال هولندا سنة ١٥٧٧ . وكان محامياً وسياسيًّا وسفيراً وشاعراً. وبعد ما جال في اوربا ووقف على ما شاء من شؤون الناس واطوارهم عاد الى بلادهِ واشتغل بالمحاماة. ومع شدَّة انكبابهِ في حياتهِ الطويلة على العمل بصناعتهِ هذه كان من وقت الى آخر يتفرَّغ لنظم ما يُعْرَف بالشعر الغنائيّ ووضع القصص الادبية المغزى بألسنة الطيور والحيوانات على مثال كتاب «كليلة ودمنة» المشهور. فلقيت قصائدهُ وقصصهُ استحساناً عظيماً عند قرَّائها. وكان الهولنديون، لفرط شعورهم بمحبتهِ لهم وعطفهِ عليهم وتحرّيهِ عمل كلّ ما فيه خيرهم وصلاحهم، يلقبونهُ بالأب كاتس

وكانت قصص الاب كاتس مع قصرها تمتاز ببساطتها ووضوح معانيها وكونها موضوعة على الخصوص لتثقيف العقول وتهذيب النفوس كالقصة الآتية : —

ران الغرور على قلب غيلم[1] — كما يرين على قلوب كثير من الناس — فخُيِّل اليهِ انهُ ليس كمثلهِ في عظمة الاهمية وخطورة الشأن. وسوَّلت لهُ نفسهُ ان يراعي التظير بين حالة عقلهِ وصورة جسدهِ فيستبدل بجبلّتهِ الترابية جبلّةً اكرم مادةً واسمى عنصراً وكان عشراؤهُ واصدقاؤهُ قد امعنوا في التأمل فلم يستطيعوا ان يتبينوا فيهِ اقل شيء من ادلة التفوق والنبوغ . ولكنهُ عزا حكمهم هذا الى عجزهم عن ادراك ما بلغتهُ قواهُ العقلية من السموّ والارتقاء . واصرَّ كل الاصرار على السعي في إقناعهم باستطاعتهِ ان يتألق في كرة لا يقدرون على بلوغها مهما تشرئبّ اعناقهم اليها

وحدث ذات يوم انهُ رأى نسراً واقعاً على شجرة يستريح من عناء طيران طويل المدى قضاهُ في اعلى طبقات الجوّ . فدنا منهُ . وبعدما تلطّف في تحيتهِ والسلام عليهِ سألهُ ان يحملهُ على منكبيهِ ويوغل في الارتفاع بهِ الى اسمى درجة يستطيعها لكي يبرهن لابناء جنسهِ — الغيالم والسلاحف — انهُ اهل للارتقاء الى مقام ارفع جدًّا من

(١) ذكر السلحفاة

مقامهِ على الارض . ويتمكن من الاشراف على مجالي الارض الرائقة ومظاهر البحار الشائقة ويراقب بزوغ الغزالة من خدرها في الاعالي ووقوع انوارها الباهرة على سطح الارض حيث الغيالم والسلاحف يخبطون في ليل الجهل ويسقطون الى اسفل دركات الانحطاط

فلما فرغ من كلامهِ ادرك النسر ما كان عليهِ ذلك المأفون من شدة الزهو والغرور فبشَّ بهِ وقال لهُ انهُ بملءِ الارتياح مستعد ان يجيب سؤْلهُ وينيلهُ ما تصبو نفسهُ اليهِ. وما عتمَّ ان اقلَّهُ وطار بهِ محلقاً في عنان السماء حتى بلغ من الارتفاع مبلغاً اعيا الغيلم ان يرى منهُ وجه الارض او يتبيَّن اثراً لما يدبُّ على سطحها . وما ابطأ أن اصابهُ دوارٌ شديدٌ جشأت بهِ نفسهُ وتملك الانزعاج فؤادهُ فودَّ لو انهُ كان باقياً على الارض ولم يطع نفسهُ الامَّارة بالسوءِ . ولم تكن حالتهُ هذه بخافية على النسر . لكنهُ تجاهلها وظلَّ يمعن في الصعود بهِ، قائلاً لهُ انهُ عامل بما اراد وبالغ بهِ ذروة الرفعة والسؤدد

وظلَّ النسر يسمو بهِ ويعلو حتى ارتقى الى حيث لا ترى العين سوى ضياء الشمس ولا تسمع الاذن غير حفيف النسيم . وحينئذٍ التفت الى الغيلم وسألهُ هل طابت نفسهُ وقرت عينهُ بهذه الرحلة الجوية ونال فيها ما شاء من الارتقاء الى اعالي السماء ؟ وهل يود الصعود الى ما هو اسمى وارفع ؟ وهل يعد السكنى هنا افضل منها على سطح الارض

ولكن الدوار والهلع كانا قد اخذا من الغيلم كل مأخذ وبات من جرَّائهما ينظر فلا يرى وينصت فلا يسمع ويحاول الكلام فلا يستطيعهُ . واذ ذاك زعق بهِ ابو الابرد [1] زعقة الهزءِ والاحتقار وقذف بهِ من على ظهره فهوى متخبطاً في انحدارهِ حتى سقط على صخرة صماء فتحطم وذهب ضحية غرورٍ أطمعهُ بالمحال وعلَّلهُ بنيل ما لا ينال

وفي كلّ زمان ومكان اناس كهذا الغيلم يخدمهم الحظ او يسعدهم مع ضعة اصلهم وخسَّة نفوسهم وضعف عقولهم فيرتقون بغتة الى اعلى المناصب والمراتب بلا شيءٍ من الاهلية والاستحقاق. وكثيراً ما يعقب هذا الصعود السريع هبوط اسرع منهُ ينحدرون فيهِ اشد انحدار الى قرارة الذل والعار . ولله در القائل : —

بقدر الصعود يكون الهبوط فإياك والرتب العاليهْ
وكن في مكان اذا ماسقطتَ تقوم ورجلاك في عافيهْ

(١) كنية النسر

مصر واوربا

بلادي قطعة من اوربا — الخديوي اسماعيل

الشرق شرق والغرب غرب . والاثنان لن يلتقيان — رديرد كبلنغ

الشرق والغرب

قد يضطر الانسان في بعض الاحيان الى الخوض في مسائل صارت تُعَدُّ مبتذلة . ومع ذلك ترى انهُ كيفما دار الفكر في مصر فانهُ يقع في دورانهِ على موضوع العلاقات بين الشرق والغرب

ان الشرق والغرب اللذين هما قطبا نشاط البشرية والبلاد الوسيعة التي عاشت فيها جماعات عديدة كل منها على اسلوب خاص بها قد فرَّق بينهما بعد المسافة وفواصل عديدة قروناً طويلة ولكن هذه الفواصل أخذت تزول وتلك المسافة تضيق يوماً فيوماً منذ سنين قليلة فقط والفضل في ذلك للغرب

من مميزات هذا العصر الذي يظهر ان ابناءهُ قد اخضعوا جميع القوات المادية لامرهم هو ان عوامل النقل والنشر والتوحيد تفعل فيهِ فعل العجائب وان الطيارة التي اجاد امير الشعراء شوقي بك في وصفها خير رمز لذلك فهي تحلق في كل صوب فوق البرور والبحور وتنطلق صاعدة في سبيل الجو متخطية جميع الحدود التي في جوانبهِ فتقرب وجوه النظر بين اهل الشمال واهل الجنوب وبين اهل الشرق واهل الغرب . وبينما هي تحلق في الزرقة حيث تتحد موسيقى الجو الكبرى بانغام المحرك يقف الفكر باهتاً امام امور مدهشة ستصير عما قريب عادية لدى الجميع . بل هناك ما هو اعظم من هذا فان المسافر الذي يغادر لوبورجه وهو نائم فيستيقظ وهو في نيويورك او بومباي او القاهرة يمكنهُ ان يوصل صوته الى حيث يريد ويرى بعينيهِ صور الغائبين عند ما يشاء فهو بذلك يملك قوة الوجود في كل مكان

وبناء على ذلك يمكن ان نتصور انهُ سيأتي يوم تتغلب فيهِ السرعة على المسافة والوقت ما لم يقف العقل البشري فجأة بفعل قوة غريبة عند حد معلوم من الارتقاء وما لم يحدث حدث هائل لا نتوقعهُ يعود بنا القهقرى الى درك الانحطاط الذي كانت فيهِ البشرية من قبل . فاننا نرى الكائنات التي تتنافس على وجه البسيطة تسير في سبيل التمازج المتزايد

والتوحّد الشامل ونرى جهازاً عصبيًّا واحداً سريع التأثر والاحساس تمتد فروعه في كل جهة. فنحن نسير نحو توحيد العالم توحيداً ظاهراً وقد صارت العزلة اليوم حتى العزلة اللذيذة في خبركان سواء أردنا ذلك او لم نردهُ ولا يمكن ان نتباعد عن جيراننا ولذلك يجب علينا أما ان نحاول ان نستفيد منهم واما ان نحاذر من وثباتهم علينا . فيجب ان نعرفهم وان نحبهم اذا امكننا ذلك

وبينما الحضارة المادية تسير بخطوات الجبابرة في الغرب حدث عنها مباشرة حادثان عظيمان . الاول هو ان حرباً لم يكن لها نظير من قبل حطمت برج العجرفة الذي كان يقيمهُ الغرب تمجيداً للرجل العصري. والثاني هو ان شعوباً كان يُظَنّ انها تغطُّ غطيطاً منذ الوف السنين في بلاد المشرق استيقظت واخذت تفكر في ان تنتزع من الغرب سيادة كان يعتقد انها تبقى لهُ الى الابد

قضت اوربا سنوات وهي كأنها بركان مدافع فاندفنت في حفر الخنادق انوار العقل وكنوز الادب فلم تقف الامور عند خراب البلدان بل شمل الخراب النفوس وصاح الجميع : يا للافلاس ! وفي ذلك الوقت العصيب اراد كثيرون ان يحاربوا المادية التي كانت قد ثبتت دعائم ظلمها الوحشي على اكوام من الخرائب وان يخلصوا من اضطراب ليس فيهِ من نفع فلجأُوا الى التأمل ومناجاة الروح وادارو وجوههم نحو الشرق يستوحونهُ أسرار الحكمة القديمة . ونخص بالذكر من هؤلاء سبلنجلر وكيزرلنغ في المانيا ثم رومين رولان وهنري مسيس وغيرهم في فرنسا . ثم ترجم بعضهم كتب رابندرانات طاغور وتسابقت الاقلام الى الكتابة في هذه المسألة . وكان للازياء نصيب في ذلك الميدان

ولا ريب في انهُ لم يكن يسع احداً ان ينكر ان الشرق قد اخذ يسير في مدارج النهوض. فهل يجب ان نعتقد ان في حياة الشعوب والحضارات فترة راحة وفترة نشاط وان الشرق بعد ان هجع عدة قرون ازفت ساعة يقظته ونهوضه ؟ ان هذا ممكن . بيد انهُ يجب في كل حال ان نعتقد ان للغرب في هذا النهوض فضلاً لان الشرق تعلم في مدرسة الشقيق والسيد الخصم — اي الغرب — لا فرق ان كان نور الحضارة الغربية بهره فاتجه اليهِ أو انهُ اراد ان يقاوم ظلم الاستعمار فسعى بطلب لنفسه سلاحاً. وعلى ذلك كان الانقلاب الخارجي في اليابان غريباً مدهشاً وقد أظهرها انتصارها على روسيا في مظهر اذهل اوربا حتى تنادى القوم في اوربا وامريكا بالخطر الاصفر

واليوم ترى في جميع انحاء الشرق سواء في الشرق الادنى او الاقصى او تركيا او الهند او الصين حياة جديدة بل حياة ثائرة فيها نزعة للحرب. فالقوم يقدمون على تجارب ويشعرون بحاجة الى التضام والتآلف وتزيد رغبتهم الشديدة في خلع نير الامم الغربية. وهذه حقيقة لا سبيل الى انكارها فالشرق لا يجهل الغرب ولا يريد ان يجهله

وهذا ما يجعلنا نعتقد ان الساعة أزفت للاهتمام بامر العلاقات بين الشرق والغرب وان الواجب هو التعارف

ولكن اذا كان يبدو ان بين اوربا وامريكا شيئاً من الوحدة واذا امكن ان يقال ان روحاً اوروبيًا عامًا بدأ يظهر يجب ان نعترف ان في الشرق وجوهاً من النظر تختلف كل الاختلاف وانهُ يجب تحديد ما يراد الكلام عنهُ

ان اكثر الناس في اوروبا لا يرون للشرق الا قيمة خيالية . ويكفي للتحقق من صحة هذا القول ان يطلع المرء على « نداءات الشرق » في « نشرات الشهر » وان نعلم ان المستشرق « سيلفان ليفي » وامثالهُ يحذرون الناس من الحكم على الشرق بما يراهُ السائح الغربي في الاسواق الشرقية او بما يقرأهُ في بعض الكتب . فقد قال هذا المستشرق : « من وضع في صف واحد سوريًا من بيروت وايرانيًا من فارس وبراهمانيًا من بنارس وباريًا من ديكان وتاجراً من كنتون ومندرياً من بكين ويامًيا من التيبت وياكوتيًا من سيبريا وكنيبالاً من سومطرة وزنجيًا من الكونغو وبربريًا من القبيلة يكون أشدّ الناس جهلاً بعلم الشعوب »

لا يوجد مشرق واحد بل يوجد مشارق كثيرة ولذا تقضي علينا الحكمة والنزاهة ان نحذر ونوضح موضوع بحثنا هذا

ان معرفة احد بلدان الشرق هذه ليست من الهنات الهينات ولا بدع ما دام الانسان لا يستطيع ان يعرف نفسهُ ومن حولهُ معرفة تامة . فكما انهُ قد يحكم علينا ان نبقى منعزلين الى الابد في سجن جسمنا كذلك قد يمكن ان لا تتصل حضارتان الواحدة بالاخرى

ان معرفة بلدٍ ما امر غير يسير . نعم ان الاطلاع على ما كتب عن ذلك البلد مفيد وذو قيمة ولكن لا شيء يقوم مقام معرفتهِ مباشرة اذ يجب معاشرة رجالهِ طيلة سنين عديدة واستنشاق الهواء الذي استنشقوهُ . بل ان هذا ايضاً لا يكفي فيجب تعرّف كل شيء بنشاط وبذل جهد متواصل لزيادة الاقتراب من الاشياء والاشخاص ولكشف

الاسرار . واذا فكرنا بما كنا عليهِ من الانعزال في احد احياء باريس أو في احدى زوايا الارياف في فرنسا يخيل الينا اننا اذا جئنا الى هنا وفتحنا عيوننا للحقائق قد نجونا من مصيبة كبرى . ونعود فنقول ان من يحاول ان يتحدث عن الشرق قد يتيه فيلجأ الى البلاغة والفصاحة ولذلك نقتصر على ما اختبرناهُ بشخصنا وعلى امل ان نتحف القراء ببحث منظم جلي لا نتحدث الا عن العلاقات التي بين وادي النيل واوروبا وبوجه التخصيص عن العلاقات الفكرية

مصر واوربا في التاريخ

ان تاريخ علاقات مصر الخارجية يتصل كلهُ بموقعها الجغرافي فهي باب الدخول الى افريقيا واسيا وواقعة على الطريق المؤدي الى السودان وجزيرة العرب والهند واليابان . وقد زاد في اهميتها حفر قناة السويس . ثم انها تطل على البحر المتوسط وتشترك في حياة جميع الشعوب القاطنة على شواطئه ولذلك كانت دائماً ملتقى اجناس مختلفة ومثابة اديان عديدة . ثم انها تشترك هي وسائر بلدان الشرق الادنى في اداء مهمة التقريب بين اسيا واوربا

ان تاريخ مصر يدلنا على انها كانت تارة متجهة نحو آسيا وطوراً نحو البحر المتوسط ومن ورائهِ الى بلاد اوروبا . فقد حارب الفراعنة الاشوريين وذهبت سفنهم الى الاوقيانوس الهندي ووفد الى مصر من آسيا الملوك الرعاة وفرس قمبيز وجنود عمرو ابن العاص . وجاء تجار من اليونان فأقاموا على شواطئها . وتبودلت السلع بينها وبين الجزائر واشباه الجزائر في بحر الروم . واشرق نور حضارة يهودية يونانية في مدينة الاسكندرية في عهد البطالسة . وجعل حكام رومة وادي النيل ملكاً لهم وأهراء غلال

واخيراً حتى في ابان الحروب الصليبية نزل بعض التجار الغربيين في مدن الدلتا وأذن لهم بالاقامة والاتجار فيها . ولما وقع القديس لويس ملك فرنسا في الاسر عومل باحترام . وكان بعد ذلك ان وقع السلطان سليمان وملك فرنسا فرنسيس الاول على وثيقة الامتيازات فدل ذلك على استمرار العلاقات . ثم جاء نابوليون بونابرت وجاء معهُ علماء لم يكتفوا بجمع الملاحظات والمخطوطات بل انشأوا طرقاً وانعشوا التجارة وشيدوا اسس الاصلاح وادخلوا الناس في ميدان حضارة جديدة

ولما جاء محمد علي اتجهت مصر نحو اوروبا فاهتمت فرنسا وانكلترا بشؤونها كل الاهتمام طيلة القرن التاسع عشر . فكانت انكلترا تسعى لتأمين طريقها الى الهند وفرنسا

تناوئها وتقف سدًّا في سبيل مطامعها اتباعاً لسياسة هي من تقاليدها وعطفاً على مصر. ثم وضعت الدولتان لنفوذهما في وادي النيل قواعد اتفقتا عليها

ومن المعلوم ان محمد علي لجأ خاصة الى فرنسا فطلب ان تمده بالرجال العسكريين والمهندسين والزارعين والاطباء . فجاء الكولونل سلف ونظم الجيش المصري واشتغل لينان وبلفون بسدود النيل وجسوره وشرع موجل في بناء قناطر الدلتا وحفر كوست ترعة المحمودية وجاء جومل بالقطن وانشأ كلوت بك المستشفيات والنقالات . ثم ذهبت البعثات العلمية الى مدارس فرنسا ولما عاد اعضاؤها الى بلادهم اخذوا يروّجون فيها ما كانوا قد تلقنوه في تلك المدارس . وحذا خلفاء محمد علي حذوه ولا سيما اسماعيل باشا فاستعانوا بالفرنسويين نذكر منهم فرديناند دلسبس وماريت باشا ومسبرو

ولكن بعد حوادث عرابي باشا في سنة ١٨٨٢ أخذت انكلترا تسعى لطبع مصر بطابعها فجاءت لها بمهندسين وموظفين اداريين واساتذة انكليز واتصل غزالو ليفربول بالاسكندرية اتصالاً وثيقاً . وذهب الشبان المصريون الى معاهد العلم في انكلترا لاتمام دروسهم وزاد عدد المصريين الذين يتكلمون اللغة الانكليزية بسهولة واصبحت الالعاب الرياضية منتشرة في وادي النيل و « البيبا » القصيرة شائعة الاستعمال

بيد ان العلاقات التي نشأت بين مصر واوروبا ظلت في القرن التاسع عشر لاتهم الا جماعة من علية القوم وكانت بالاخص اقتصادية وسياسية . فكانت مصر والحالة هذه منطقة نفوذ واستغلال يعدونها تابعة لهم وكانت هي تحذرهم وربما في داخل قلبها تكرههم . ثم ان عامة الشعب غير المتعلمة كانت من جهة اخرى محتفظة من وراء حصن الاسلام بحياتها الغريبة المحجبة لاتنفذ اليها تأثيرات الغرب فظلت لا تعرف شيئاً عن الغرب وظل الغرب لا يعلم شيئاً عن الفلاح المصري

***

ولم تخرج مصر عن عزلتها ولم تستيقظ وتهتم باوروبا الا سنة ١٩١٨ بعد الحرب العظمى . فمن عاش في هذه البلاد منذ ثماني سنوات قد شاهد انقلاباً عظيماً ورأى حياة جديدة تدب في ارجائها

على ان هذه الحياة الجديدة لم تظهر في الحقيقة فجأة ويجدر بنا ان نذكر اثنين مهّدا لهذه الحياة. الاول الشيخ محمد عبده مصلح الاسلام والثاني مصطفى كامل باشا ابن الوطن اما الشيخ محمد عبده تلميذ السيد جمال الدين الافغاني فهو اول من اسمع صوتاً عصريًّا

في الازهر حصن الاسلام وحارس القرآن والمحافظ على التقاليد الاسلامية والمتشبث بالعلوم الدينية الاسلامية . فأخذ يشرح القرآن على طرائق جديدة أمام صحافيين وقضاة ومحامين نال بعضهم فيما بعد شهرة واسعة — مثل سعد زغلول باشا — ويثبت لهم ان ديانة النبي محمد لاتتعارض مع دروس الحياة وتلقن العلوم العصرية مثل الحساب والجغرافية والطبيعيات فنبه عقول شيوخ الازهر

واما مصطفى كامل باشا فكان بشبابه الزاهي ولمعان عينيه وفصاحته المتدفقة الخلابة يمثل شخص الوطن العزيز الحي ويهز الحركة الوطنية هزًّا شديداً والشبان من حوله يهتفون ويصفقون . وقد تولى زعامة هذه الحركة من بعده رجل شهير هو سعد زغلول باشا ووحد بين الاقباط والمسلمين فصارت الحركة مصرية حقيقية

ولما جاءت الحرب واعلنت انكلترا الحماية على وادي النيل زادت الحركة شدة واندفاعاً . وذهب سعد زغلول باشا ورفاقه يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ بالنيابة عن مصر الى ممثل الدولة البريطانية للمطالبة باستقلال بلادهم مستندين الى المبادئ الولسنية ومعتمدين على المساعدة التي قدمتها مصر للحلفاء . والقراء يعلمون ما حصل بعد ذلك وكيف اعترفت انكلترا بتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ « بان مصر مملكة ذات سيادة ومستقلة »

***

وأول ما فعلتهُ مصر الجديدة هو انها استغنت عن موظفيها الاجانب لتثبت مبدأ استقلالها. ولكنها لم تكن تريد بذلك قطع العلاقة بينها وبين اوروبا بل بالعكس فقد اظهرت على الاثر ولا تزال تظهر رغبتها في ان تشترك مع جامعة الامم والشعوب وان تقتفي اثر ارقى امم اوروبا

ولما افتتح مؤتمر الاحصاء الدولي حديثاً في مصر قال ثروت باشا رئيس الوزارة يومئذ: « ان اجتماع معهد الاحصاء الدولي اليوم في القاهرة امر لهُ عندنا اهمية خاصة فهو يثبت من جديد دخول مصر في جامعة الامم ويعد مرحلة جديدة من مراحل اشتراكها مع ارقى الشعوب في المباحث العلمية التي تقوم بها وفي الجهود التي تبذلها في سبيل ترقي البشرية ورخائها » وان هذه الكلمات التي ترن رنيناً غريباً تماماً قد سمعناها كثيراً ويمكن ان نقول انها تعبر عن افكار علية المصريين

ماذا تعلمت مصر من اوربا

فمنذ خلعت مصر نير اوربا ادارت طرفها نحوها لكي تتعلم منها

ومن الطبيعي ان حضارة الغرب بدأت تستغويها بمظاهرها الخارجيـة كالسيارة والتلفون الاوتوماتيقي وازياء النساء الباريسية والرقص والحانات والوسكي

ثم استهوتها الحضارة الصناعية والتجارية فاشترت من الغرب آلات واتبعت طرائقهُ الميكانيكية واستوحت اساليبه التجارية وكثر الطلب على المهـندسين ورجال الاشغال . وكثرت آلات الحرث الحديثة والسواقي والطلمبات . وشاع استعمال الاسمنت المسلح وظهر بنك مصر . وبات من مبادىء الشبان المصريين العصريين ان يكونوا عمليين وان لا يضيعوا الوقت وان يسعوا وراء الغنى كما يفعل القوم في اوروبا

اما في الميدان الاجتماعي فالانقلاب ظاهر للعيان فقد تحررت المرأة وصار الحجاب يطرح شيئاً فشيئاً في زوايا المهملات . والشبان والشابات يرقصون معاً على انغام الفونوغراف والزوج يخرج مع زوجته للنزهة (وهو في اكثر الاحيان ليس لهُ الا زوجة واحدة) . ومن عوامل هذا الانقلاب ظهور طبقة متوسطة من الموظفين والاساتذة والصحافيين والقضاة والمحامين يزداد عـددها يوماً فيوماً تلبس الملابس الاوروبية وتتكلم بالانكليزية او الفرنساوية وتذهب ايضاً الى اوروبا في فصل الصيف . وهذه الطبقة الجديدة تأبى ان لا يكون لها مقام معلوم في الهيئة الاجتماعيـة وتطلب ان تتنعم في الحياة بمزايا محدودة تماماً وسيقدرها الناس حق قدرها بعـد عشر سنوات

واما في السياسية فمن العبث الاسهاب في الـكلام . ففي مصر دستور على طراز الدساتير الغربية وبرلمان يسير على خطوات البرلمانات الاوربية

ثم ان مصر لم تتردد في ان تطلب من اوروبا ان تعاونها ببعض من رجالها المفكرين فقبلت ان تستبقي المدرسين الاجانب في مدارسها الى ان تخرج طبقة من تلاميـذهم المصريين تستطيع ان تحل محلهم . وانشأت بسعي جلالة مليكها جامعة يلقي فيها اساتذة اوربيون من ذوي الشهرة العلمية دروساً ويستطيع ان يتثقف فيهـا انجب الطلاب المصريين عندما يتوطد فيها روح تعليم عالٍ معزز للثقافة . وقد ظهر نشاط المفكرين المصريين خصوصاً في ترجمة المؤلفات العديدة وهم يرمون في ذلك الى جعل علم الغرب

قريب التناول للجميع وشحن الكتب المدرسية به فترجموا في الحقوق والطب والطبيعيات والكيمياء مؤلفات الثقات وترجموا تصانيف اوربية متنوعة وروايات تمثيلية مثلت على مسارح مصر

ولاوروبا في هذه البلاد الفنية بالآثار التي لامثيل لها نفوذ فني فتفد اليها جوقات تمثيلية اجنبية تمثل الروايات الرائجة في هذا العصر وبعض الروايات القديمة . ويأتي مشاهير المغنين فيغنون هنا . ودور السينما منتشرة في كل مكان . وتقام معارض تعرض فيها طرائف الفنون الغربية . واذا كان بعض الشعراء لايزالون متشبثين بطرق النظم القديمة فان خليل مطران ينسج على منوال الغرب . ثم ان الكتاب الشبان يقتدون في كتاباتهم بزملائهم الغربيين واذا كان المصوّرون امثال محمود سعيد وناجي ومثال ممتاز مثل مختار يريدون ان يظلوا متشبثين بالتقاليد المصرية فان لهم فناً وطرقاً جديدة تضارع ما عند الاوروبيين منها

لباب الحضارة الاوربية

ولكن هل يجوز أن نقول ان مصر تعرف اوروبا ! كلّ اوروبا ؟ او هل هي تعرف من اوروبا ما يستحق أن تعرفه ؟ ان هذا غير محقق فان هناك كثيرين من المشعوذين يتصدرون المجالس ليروجوا بضاعتهم . وهناك كثير من المتشائمين الذين لا يروقهم الا ان يخلقو المشاكل ويثيروا الشقاق . وكثير من المنادين بالويل الذين ينذرون في كل مكان بقرب نهاية العالم . ولا ريب ان اوروبا التي يشكو منها طاغور هي اوروبا ذات الآلات الظالمة المغرمة بتحليل الشيء المولعة بالسيطرة . وهذا أمر قلناه معهُ غير مرة وسنقوله كلما دعت الحال لاننا نفحص أنفسنا دون محاباة . ولكن في اوروبا شيئاً غير هذا ايضاً . وانا نرى من المفيد ان نلفت نظر المصريين الى شيء في اوروبا تعلمنا نحن الذين بعدنا عنها ان نقدره حق قدره . ونريد أن نبين لهم ما هي في نظرنا نحن الغربيين قيمة اوروبا وما هو جمالها الحقيقي وان جعلناهم بذلك يزيدون شعوراً بالفرق الجوهري بيننا وبينهم

ان اوروبا تهتم أولاً بمعرفة الشيء معرفة دقيقة وقد فصلت العلم عن الدين «وتأبى المبالغات والخيالات والتصورات الغامضة الخيالية وتميل الى النقد وتحليل الاوهام تحليلا دقيقاً وتقسم وظائف الفكر تقسيماً معقولا وتنظم صوره» . وهذا ما أنشأ عندها تلك

الصفات المشكو منها وهي حب استطلاع لا يعتريه ملل وخضوع للحقائق والحذر ونزاهة في الاختبار ووضوح وتدقيق في الكلام

ثم انها خلقت الحق العام الذي وان كان غير كامل الا انه يرتكز على مبدأ كرامة الانسانية . وأبدعت لغة قضائية يعبر فيها عن مبدأ واحد للعدل الزمني والعقل

ثم ان كلمات يسوع الناصري طالما تردد صداها في قلبها فخيرة أبنائها يعدون مبدأ « أحبوا بعضكم بعضاً » أسمى مثل أعلى ويحسبونه عدلاً سرمديًّا

نعم كلٌ حرٌ في أن يقيم فرقاً بين الشخص ومعرفته وبين الفكر والروح وأن يزدري وأن ينكر مذهبنا هذا . ولكننا نقول الآن هذا بلا شك خير ما يمكن ان تقدمه أوروبا

فمن شاء ان يعرفها يجب أن لا ينظر فقط الى تجارها بل يجب ان يتجه الى من هم أعلى منهم أمثال دانتي وشكسبير وغوته وفيكتور هوجو وافلاطون ودكرت وسبينوزا وكونت وبستور وانشتين وميخائيل انجلو ورمبرنت وبيتهوفن. الى نخبة مشاهير الكتاب والفلاسفة والعلماء ورجال الفن الذين نرى ان نتائج عقولهم هو شرف للعقل البشري عامة لا للعقل الغربي فقط

ثم يجب ان ننظر الى العاملين البسيطين الذين يدفعهم حب التثقيف الزائد . أولئك الذين يقفون جسمهم ونفسهم على مهمة ما حبًّا بمثل أعلى

ثم يخلق بنا أن نشير الى الجهد الذي يبذله بعض المفكرين الاوروبيين في سبيل التقريب بين جميع الشعوب على قاعدة الاحترام المتبادل فانه يوجد في فرنسا مثلاً بعض أماكن يفد عليها من كل أنحاء الدنيا أناس حسنو الادارة ليعربوا عن وجهات نظرهم بكل اخلاص رغبة منهم في نشر الوفاق والسلام .وان هناك مفكرين لا يزالون يعتقدون ان الانسانية توجد في جميع الاوطان وجميع البلدان

***

ها نحن قد بلغنا لباب مسألة العلاقات بين مصر واوروبا . فاما الماكنات فان المصريين يحصلون عليها سريعاً . وكذلك الوثائق والنظريات والطرائف وما يصلح به الوجه . ولكن أي دم يغلي تحت الوجه المدهون ؟ وأما الروح ؟ وأما النفس ؟ واما الدعوى بالتفاهم العميق المتبادل ؟ فماذا يكون من أمرها ؟ هنا يخلق بنا أن نحذر التفاؤل الخادع والتشاؤم المثبط

يذهب البعض الى ان المصريين سيفشلون في مدرسة أوروبا وأنهم في كل الاحوال لن يقتبسوا الفكر الغربي . ومن أصغى الى كلام هؤلاء يخيّل اليه ان أولئك الذين يظهر أنهم قريبون جداً من الاوروبي في ملابسهم وتربيتهم وتصريحاتهم لا يزالون بعيدين عن الاوربي مراحل لا تحصى

ويذهب البعض الآخر الى أنهُ يجب ان لا نتخدع بحمى التقليد التي عند المصريين والى أنه اذا كانت مصر تستعين بأوروبا لصياغة موظفيها ورجالها الفنيين وتجارها واسن قوانينها وانشاء مدارسها فانما تفعل ذلك لكي تقوم على أوروبا عندما ما تسنح الفرصة فهم يشكون في وطنية المصريين ويرمونهم بالكبرياء والتصلب وحتى ببغض الاجانب

وفي الحقيقة ليس على المصريين أن يصيروا فرنسويين أو انكليزاً بل واجبهم الاول هو أن يخلقوا من جديد غير طالبين من اوروبا الا خميرة حياة. وهذا أمر معقول جداً واذا فعلوا كذلك لا نرى أنهم لن يضيعوا حتى ولو أساءوا التقليد .فان كل شيء أفضل من الموت . ومن الضروري عندما يحتكون بفكر الغرب وعقائده ومشاغله أن يقوم في أنفسهم نزاع شريف وألم يحرك حماستهم. على ان عقيدتهم الاسلامية السليمة تقريباً تكفي أيضاً زمناً طويلاً لدعم حياتهم الروحية . ولن يكون نجاح الا بعمل عجيب وهو السعي لجعل مصر اليوم ، بطرق معوجة اذا دعت الحال ، وبالرغم من أزمة وطنيـة قد لا يكون منها مفر وقد لا تخلو من الاخطار، وارثة الحضارة الفرعونية الكبرى عن أهلية

ولسنا نعتقد أن هذا النجاح مستحيل

لا ريب أن أمام المصريين عدة مراحل يجب أن يجتازوها . لكن ليس من المحتم أن يكون كل عمل عجيب سريعاً كالبرق . ان في مصر شبيبة ذات ارادة حسنة جداً تسير في سبيل النهوض . ومن المأمول أن يبلغ هذا النهوض قنته في وقت قريب. وانا نعتقد ان هذه النهضة يجب ان تقوم وستقوم تحت ظل الاتفاق مع اوروبا . اما ما يكون بعد ذلك فان الله وحده يعلمه

الى المفكرين المصريين

وهنا نوجه كلمة الى المفكرين المصريين

ان لقب المفكر ينطوي في كل مكان على واجبات شريفة ولكنها ثقيلة فهو يفرض على صاحبه في بلد يجدد حياته واجب بذل النفس بل التضحية بها في قضاء اعمال

غير ظاهرة او لا يعرف فضل فاعلها . ان جامعة الامم هي مثل حلبة الالعاب الرياضية والعصر من حديد والمدك لا ينزل على الارض الا اذا وُضع على الارض . اما الوقت الذي كان يمكن ان يتمتع الانسان فيه بالراحة التامة الطويلة فقد ولى وذهب . وفي كل مكان تتطلب الحال البطولة اذا كان البطل هو اكثر اخوانه نشاطاً وعلماً واهلية واذا كان الانزه هو الذي يطلب التفوق ويسعى الى الكمال في غير كلل او ونى

فالمهمة التي على عاتق المفكرين المصريين مثيرة للحماسة وصعبة في آن واحد

عليهم في الداخل ان يديروا اصلاح النظام الاقتصادي والمالي واصلاح الاحوال الصحية واصلاح التربية الفردية والاجتماعية والادبية

اما في الخارج فعليهم ان يتعرفوا سواهم وعلى الاخص ان يعرّفوا أنفسهم لسواهم . ويخلق بنا ان نشدد في ما يختص باوربا من حيث الامر الثاني

عند ما يتحدث مفكرو اوربا عن الشرق كما فعلوا في خلال السنين الاخيرة يعنون خصوصاً الهند والصين والفرس واليابان بفلسفاتها ولا يعنون مصر

اما مصر الفراعنة فلا يعرفها عدا السياح الذين يهتمون بآثارها وبعض رجال الفن الذين يعنون بفن الكهنة ، الا الاختصاصيون بالرغم من اكتشاف آثار توت عنخ امون . ثم ان الحضارة اليونانية التي ازهرت في الاسكندرية والتي ابقت أثراً عظيماً في الفكر الغربي مدفونة في بعض المؤلفات في مكاتب اوربا . يضاف الى ذلك ان مصر وان كان أزهرها اشهر جامعة اسلامية ليست بالبلد الاسلامي الوحيد ولا أقدم بلد اسلامي . والقرآن تعرفهُ اوربا أيضاً بطريق الجزائر ومراكش وبلاد العرب والهند : أما مصر اليوم فانها تشتغل بتجديد حياتها . ولذلك حين تثبت للمصريين ان بعض اوروبا يعطف عليهم نطلب اليهم ان يخرجوا قليلاً قليلاً من حيز بلدهم الجميل وان يعلنوا عن وجودهم بالعمل مع سائر الامم والشعوب وبالاخص بتآليفهم التي تفيدهم فائدة كبرى اذا توصلوا الى ترجمتها في القريب العاجل الى اللغات الاوربية

على ان مصر اليوم ليست بالبلد الذي لا يعرفهُ مفكرو الغرب فان عدداً كبيراً من الكتاب رجال الفن الذين يطوفون العالم يعرجون عليها ويلقون عليها نظرة وانا نذكر منهم بيير بنوى ودورجليس وبوردي وكسل والاخوان تارو وغيرهم

ومنهم من أقام فيها ردحاً مثل روبر وطراز الذي قضى فيها وقتاً وعاد الى اوروبا

يحمل معهُ ليس صوراً خيالية بسيطة او مثالاً وهمياً بل شيئاً من روحها يتحدث عنهُ في مباحثهِ ودروسه. ومثل فرنسوى بونجان الذي بروايتهِ التي وضعها بالاشتراك مع الاستاذ احمد ضيف يجعل اهل اوربا يعلمون من هو «المنصور» وما هو «الازهر» وحياة شعب كامل كانت الى الآن مجهولة لديهم. ومثل هنري توبل بك الذي عرّف عظمة المكس والصحراء. ومثل بول فندربورت الذي يتغنى بمحاسن الشرق في «رسائل الشرق»

وتذهب من وادي النيل الى اوربا مجلات ونشرات يشترك في انشائها بعض المصريين. وهذي «رسائل الشرق» التي تحمل للعالم الاوربي معلومات كثيرة دقيقة عن مصر وتنقل لهُ بعض مصنفات مصرية. وهو عمل جليل والاقبال عليها في اوربا ذو اهمية لمصر. وان ترجمة رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده الى اللغة الفرنساوية بقلم برنار ميشل والشيخ مصطفى عبد الرازق تجعلنا نتمنى ان يترجم سواها ليطلع عليهِ اهل اوربا

ولا ريب ان انشاء «منتدى ادباء مصر» خطوة جديدة في سبيل التقريب بين مصر واوربا. وكما ان مصر تشترك اليوم في عدة مؤتمرات اقتصادية دولية ستشترك متى دخلت في جمعية الامم في المؤتمرات العلمية والادبية

الخاتمة

قد قال بول موران «ان سير الآلات اسرع من سير الافكار» وهذا هو الامر الذي ينجم عنهُ الضرر. فالواجب الآن ان نقدّم الرجال والافكار وان نعتبر اثرها في هدوء ووضوح

ولسنا نريد ان نقول انهُ متى عرفت مصر واوربا الواحدة الاخرى تتعانقان هوى وغراماً. ان هذا امر مرغوب فيهِ ولكن لا يزال هناك حوائل. والمثل العامي الذي يقول «الحب لا يكون بالقوة» قول صواب. ولكن لا ريب في ان مصلحتنا هي ان نتعارف. وهذا امر واضح لان كثيراً من الاختلافات يتبدد يومئذٍ. وتصبح بعض الآراء التي نتشبث بها اليوم معتقدات قديمة. ويتسع مدى الفكر. وتقوم التربية الدولية الحقيقية بفضل التعارف والمعرفة

وليس ذلك أمراً محالاً فان الفريقين يتباريان للاتفاق والتعاون والاخاء ولذلك نرى انهُ يخلق برجال الفكر والاجتماع أن يتفاءلوا تفاؤلاً معقولاً

عن «مجلة الاسبوع المصري» لفرنان لبرت ترجمة: فريد حبيش

المخاطبات اللاسلكية والطيران

طيارة محلقة فوق البحر تتلقى الرسائل اللاسلكية من البر وتجيب عنها

عبور الباسفيكي بالطيارة فوز باهر للتخاطب اللاسلكي

ذكرنا في باب الاخبار العلمية من مقتطف يوليو الماضي نبأ فوز اربعة من الشجعان باجتياز الاوقيانوس الباسفيكي من الولايات المتحدة الى اوستراليا في ثلاث مراحل على طيارة تدعى الصليب الجنوبي. وقد اضاعت هذه الطيارة اتجاهها مرة ولقيت عواصف كادت تقضي عليها لولا انها كانت تحمل معها آلة لاسلكية استطاعت ان تتصل بها بالبواخر والمحطات اللاسلكية القريبة والبعيدة فعرفت منها موقعها واتجاهها . فكان فوزها فوزاً للاسلكي . ولما كان تقدم اللاسلكي والطيران من ابدع مظاهر العمران في هذا العصر رأينا ان نلخص مقالة في هذا الموضوع للدلالة على علاقة احدهما بالآخر . قال الكاتب :

كنا قد قضينا اربعاً وعشرين ساعة في محطة سان فرنسسكو اللاسلكية امام الآلة المستقبلة ونحن على اتصال دائم بالطيارة « الصليب الجنوبي » وهي تشق طريقها كالحمام الزاجل من كاليفورنيا الى جزائر هواي. اربعاً وعشرين ساعة قضيناها نتحدث مع مدير الآلة اللاسلكية في الطيارة المذكورة وهي محلقة في الجوّ تبعد عنا مئات والوفاً من الاميال لان المسافة بين كاليفورنيا وهواي نحو ٢٥٠٠ ميل

وبينما نحن جذلون لنجاح الطيارة في رحلتها ولاتصالنا الدائم بها ساد السكون كأنهُ سكون اهل الكهف ثم جاءت الكلمات التالية فوقعت علينا وقع الصاعقة وهي : « اظن اننا اضعنا اتجاهنا » وهل من خطر اعظم شأناً لدى طيارٍ يسير بسرعة مائة ميل في الساعة او اكثر من اضاعة اتجاهه ؟ وخصوصاً متى كان هدفهُ نقطة قائمة على صدر اليمّ اذا حاد عنها قليلاً شمالاً او جنوباً او شرقاً او غرباً فصيرهُ الى الموت المحتوم !

عرفنا ان البنزين في احواض الطيارة كان آخذاً في النفاد . وانهُ ليس في وسع رجالها ان يضيعوا الوقت جزافاً وان حياتهم معلقة على الآلة اللاسلكية التي صنعناها لهم خاصة فاذا وفت بالغاية منها تمكنوا ان يتصلوا بالبواخر التي تمخر عباب البحر وان يعرفوا مكانهم من سطح الكرة فلبثنا هنيهة ننتظر انباءهم وقلوبنا تخفق وجلاً على مصيرهم ولكن صحّ فألنا ووفت الآلة اللاسلكية بالغاية منها . فان بارجة اميركية

التقطت رسائلهم الاخيرة . ثم التقطها بارجة اخرى . وتلتها المحطة اللاسلكية في هنولولو عاصمة جزائر هواي . ولم تمض على عامل اللاسلكي بضع دقائق حتى عرف على وجهٍ مدقق مكان الطيارة ومن ثمّ سهل على قائدها ان يديرها في الجهة المرومة ويسير الى هدفهِ باسرع ما يستطيع ليصل اليهِ قبل نفاد البنزين

ولما قامت هذه الطيارة من جزائر هواي في طريقها الى استراليا لقيت عواصف شديدة اخذت تتقاذفها كما تتقاذف ريشة في مهب الريح مع ان وزن الطيارة بما فيها يبلغ نحو ١٧ طناً . ولكن الآلة اللاسلكية كانت اداة النجاة من هذا المأزق الحرج. لان عاملها استطاع ان يعرف مما التقطهُ من الرسائل ان العاصفة تدفع الطيارة في دائرة فلا تخرج من منطقة العاصفة حتى تدخل فيها ثانية . ولولا اللاسلكي لما انكشفت لربانها هذه الحقيقة ولوقعت الطيارة في اليمّ وضاع منها العين والاثر

وقد كانت الطيارة في اثناء طيرانها مسافة ٧٣٥٧ ميلاً في مراحلها الثلاث دائمة الاتصال بالبواخر والبوارج التي في عرض البحر وبالمحطات اللاسلكية التي على البر الاميركي وجزائر هواي. وقيل ان احدى المحطات في بلومفنتين بجنوب اميركا التقطت الانباء المذاعة منها مع انها كانت على مسافة تزيد على ١٢٠٠٠ ميل منها

واكبر ما يدعو الى الاعجاب ان نقرأ ان من الاميركيين اراد ارسال الرسائل الى رجال الطيارة فكتبوا رسائلهم كما تكتب التلغرافات العادية فأُرسلت لاسلكيًّا في الحال وجاءت ردودها . وهذه اول مرة في تاريخ اللاسلكي حُقِّقَ فيها شيء من هذا القبيل. وكان التخاطب مع الطيارة في كل ساعة من طيرانها واضحاً كل الوضوح ، الاّ في آخر المرحلة الثانية والمرحلة الثالثة حين صمّ صوتُ المحركات اذانَ العامل اللاسلكي فيها فلم يستطع ان يسمع كلّ الرسائل الموجهة اليهِ ولكن المحطات اللاسلكية التي كانت على اتصالٍ بهِ كانت تتلقى رسائلهُ صريحة واضحة

لم ننسَ ان طيارة لندبرغ لم تكن مجهزة بالراديو ولكن الطيارين الالمانيين اللذين اجتازا الاتلنتيكي من اوربا الى اميركا اعترفا بان اكبر خطاء ارتكباهُ هو اهمالها حمل آلة لاسلكية . ولولا الآلة اللاسلكية لما عاد احد من رجال البلون ايطاليا حيًّا ولكانت نكبة هذه الرحلة القطبية اشد هولاً مما هي . وفوائد المخاطبات اللاسلكية في الطيران التجاري تتأيد كل يوم . فعسى ان يعنى المهندسون بهذا الوجه من تقدم الطيران لانهُ يجعل الطيارات وسيلة للانتقال امينة الجانب كالبواخر والقطرات وغيرها

الرهان

لانطون تشيكوف الروسي

(١٨٦٠ — ١٩٠٤)

يعدُّ تشيكوف من اعظم كتّاب الاقاصيص في العالم . ولد سنة ١٨٦٠ في جنوب روسيا . ودرس فنّ الطب في جامعة موسكو ونال شهادة طبيب سنة ١٨٨٤ . ولكنَّهُ لم يزاول هذه الصناعة قط بل تفرّغ للكتابة . وقد وجد في العلوم التي تضلّع منها في الجامعة خير معوان على البراعة في فنّ البراعة . فبلغ من معرفة اطوار الناس وعاداتهم مبلغاً فائق الوصف ومنقطع النظير . واجاد تمثيلها في قصصهِ الكثيرة إجادة خلبت اذهان القرّاء ودلّت على ما أُوتيهُ من قوّة البلاغة وشدة الذكاء . وقد توفي في اليوم الثاني من شهر يوليو سنة ١٩٠٤ ودُفن في موسكو

وفي القصة الآتية بيان ما يؤدّي اليهِ الرهان البسيط من النتائج السيئة والعواقب الوخيمة

القصة

في احدى ليالي الخريف المظلمة اخذ الكهل الصيرفيُّ يتمشّى في مكتبهِ جيئةً وذهاباً . وقد استعاد في ذهنهِ ذكر الليلة الساهرة التي احياها في بيتهِ منذ خمس عشرة سنة ودعا اليها نخبة اهل الفضل والجاه . وكان من جملة الأمور التي بحثوا فيها وجعلوها موضوع سمرهم عقوبة القتل او الحكم على القاتل بالموت . فاستهجن معظمهم هذهِ العقوبة وعدّوها منافية للدين والادب وقالوا بوجوب الغائها واستبدال السجن المؤبد بها . فتصدّى لهم الصيرفيُّ ربُّ الدعوة وقال :

« لستُ بموافق على هذا الرأي . ومع اني لم اجرّب الحكم بالموت ولا اختبرتُ السجن المؤبّد أرى ورأيي قرين الصواب ان العقوبة الاولى [الحكم بالموت] اقرب من العقوبة الثانية [السجن المؤبد] الى مراعاة حرمة الدين وقواعد الادب . لان الموت يصرم حبل الحياة باسرع ما يستطاع . واما السجن المؤبد فهو عبارة عن قتل تدريجيّ . فايّ القاتلين ارأف وأرفق ؟ أذلك الذي ينزع الحياة في بضع ثوانٍ ام الذي يستنزفها كلّ يوم بلا انقطاع مدة سنين طويلة ؟ »

فقال واحد من المدعوين :

« عندي ان الجريمتين كلتيهما مخالفتان للدين ومغايرتان للادب . لان غرضهما واحد وهو إطفاء شعلة الحياة . والحكومة اية كانت ليست الله . فلا يحقُّ لها اخذ مالا تستطيع ردَّهُ اذا شاءت »

وكان بينهم محامٍ في الثانية والعشرين من العمر . وقد سئل ان يبدي رأيهُ في هذه المسألة فأجاب :

« أرى ان العقوبتين كلتيهما فظيعتان ومناقضتان لقواعد الادب . ولكنني لو خُيرت فيهما لاخترتُ من فوري الثانية (السجن المؤبد) وفضلتها على الاولى . لانَّ الحياة ، على اي وجهٍ كان ، خير من عدمها »

وحمي وطيس الحوار في هذا الموضوع واتسعت مسافة الخلف بين المتحاورين . وكان ربُّ الدعوة في ذلك الحين في عنفوان الشباب وعلى جانب عظيم من النزق وسرعة الغضب . فضرب المائدة بيدهِ والتفت الى المحامي وقال لهُ بلسان المغيظ المحنق :—

« ذلك كذب وبهتان . واني اراهنك على مليوني ريال ان استطعتَ الصبر على الإقامة في السجن خمس سنوات فقط »

— « اذا كنتَ في قولك هذا جادًّا غير هازلٍ فاني مستعدٌّ للمراهنة لا على خمس سنين فقط بل على خمس عشرة سنة

فصاح الصيرفيُّ :

« خمس عشرة سنة ! اتفقنا . اشهدوا ايها السادة »

وقال لهُ المحامي :

« نعم اتفقنا على مسمع ومرأى من هؤلاء السادة . فانت تُغامر بمليوني الريال وأنا اخاطر بحياتي »

وهكذا تمَّ ذلك الرهان الغريب الباعث على الهزء والسخرية . وكان الصيرفيُّ في ذلك الحين من ارباب الثروة الكبيرة واصحاب الملايين الكثيرة . لكنهُ كان تقنًا شكسًا سريع التقلّب . وفيما هم جالسون لتناول العشاء قال للمحامي :

« خلِّ عنك الغرور ايها الشابّ وارعو عن غيّك قبل فوات الوقت . لا يهمني دفع مليوني ريال . ولكن من المحقق عندي انك لا تستطيع الإقامة في السجن

اكثر من ثلث او اربع سنوات تذهب من حياتك سدًى .ولا تنس ايُّها الفتى المنكود الحظ ان السجن الاختياريّ اشدّ وطأة على النفس من السجن الاضطراريّ . ولقد أعذر من أنذر والسلام »

***

والآنَ كان هذا الصيرفيُّ يروح ويجيء في مكتبهِ ذاكراً كل ما حدث في تلك الليلة وقائلاً في نفسهِ :

« لماذا أقدمتُ على هذا الرهان ؟ وما الفائدة منهُ ؟ هذا المحامي يخسر خمس عشرة سنة من حياتهِ وانا اضيع مليوني ريال باطلاً . وهل في هذا وذاك ما يقنع الناس بان العقوبة بالموت شرٌّ او خير من عقاب السجن المؤبد ؟ لا . لا ؟ هذا كلهُ باطلٌ وغرور. أتيتهُ مندفعاً بعامل الزهو والخيلاء واتاهُ المحامي منساقاً بشهوة الطمع وحبّ المال»

ثم تذكَّر ماحدث بعد تلك الليلة . اذ ترتَّب على المحامي ان يقيم في غرفةٍ في حديقة بيت الصيرفيّ تحت اشدّ مراقبة ويكون في اثناء مدة سجنهِ محروماً حتى حقّ اجتياز العتبة لمشاهدة احد من الناس او سماع الاصوات البشرية او تسلّم الرسائل والصحف . وكان مأذوناً لهُ ان يكون عندهُ آلة موسيقية وان يطالع الكتب ويكتب ما شاء من الرسائل ويشرب خمراً ويدخن تبغاً . وبموجب الاتفاق كان يحق لهُ ان يكتب على ورقة ما يحتاج اليهِ مما سبق ذكرهُ ويلقيها من نافذة صغيرة ، انشئت في غرفتهِ لهذه الغاية ، من غير ان يفوه بكلمة . وكان في الاتفاق نصٌّ صريح على اتخاذ الوسائط الضرورية لاستيفاء شروط السجن كلها في هذه الغرفة . وتحتم على المحامي ان يقيم محبوساً فيها خمس عشرة سنة كاملة من منتصف اليوم الرابع عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨٧٠ الى منتصفهِ سنة ١٨٨٥ . واقل محاولة منهُ للإخلال في الشروط المتفق عليها والخروج من سجنهِ ولو دقيقة واحدة قبل الوقت المعين تسوّغ للصيرفيّ نقض العهد وعدم دفع مليوني الريال

***

ومن مطالعة المذكرات القصيرة التي كان المحامي يكتبها ويلقي بها من نافذة محبسهِ اتَّضح انهُ قضى سنتهُ الاولى في ما لا مزيد عليهِ من السآمة والضجر. وكان صوت

إيقاعهِ على البيانو يُسمع نهاراً وليلاً بلا انقطاع . وقد أبى قبول الخمر والتبغ في هذه السنة ، قائلاً عنها في مذكرتهِ « ان رشف المسكر يهيج الشهوات التي هي اكبر اعداء السجين . ولا شيء ادعى الى التبرُّم والانزعاج من شرب الراح على انفراد بلا نديم ولا سمير . وكفى التبغ ضرراً ان دخانهُ يفسد هواء الغرفة ويجعلهُ غير صالحٍ للاستنشاق » . وكانت الكتب التي أُرسلت اليهِ في هذه السنة مما يصلح للتفكهة والتسلية وقضاء اوقات الفراغ كالقصص على اختلاف انواعها

وفي السنة الثانية انقطع صوت البيانو ولجَّ المحامي في طلب كتب الادب . وفي السنة الخامسة استأنف الإيقاع على البيانو وارسل يطلب الخمر . وروى الذين راقبوهُ في هذه السنة انهُ اقتصر فيها على قضاء وقتهِ في الاكل والشرب والاضطجاع في سريرهِ . وكان يكثر من التثاؤب ومعاتبة نفسهِ بلسان الغيظ والحنق . اما الكتب فهجرها ولم يعل الى مطالعتها . وكان يجلس في بعض الليالي للكتابة ويقضي فيها وقتاً طويلاً وفي الصباح يمزّق كلَّ ما كتبهُ . وسمعوهُ غير مرة يُعول ويبكي

وفي منتصف السنة السادسة شرع يبذل اقصى الجهد في تعلّم اللغات والفلسفة والتاريخ وابدى في ذلك رغبة تفوق الوصف حتى شغل وقت الصيرفيّ كلهُ باعداد الكتب التي احتاج اليها . وفي اربع سنين بلغ عددها ، ست مئة مجلّد . وفي ذات يوم بعث الى الصيرفي بكتاب يقول لهُ فيهِ : « سجّاني العزيز . اني اكتب اليك هذه الاسطر في ست لغات . فارجو التفضل بعرضها على من يعرفون هذه اللغات . وان لم يجدوا فيها غلطة قطّ فتفضل باطلاق بندقية في الحديقة ومن صوتها اعلم ان تعبي لم يذهب باطلاً . فالنوابغ في جميع الازمنة والامكنة تكلموا بألسنة مختلفة لكنَّ نار العبقرية التي تأججت في صدورهم كانت واحدة . آه . ليتك تستطيع ان تعلم مبلغ الغبطة التي أنعم بها الآن بعدما تمكنت من معرفة لغاتهم وفهم افكارهم ! » وقد اجاب الصيرفيُّ طلبهُ وامر باطلاق بندقية في الحديقة

وبعد السنة العاشرة جلس المحامي كالصنم امام مائدة الكتابة وأمعن في مطالعة العهد الجديد من الكتاب المقدس . فتعجَّب الصيرفيُّ من رجل يعي في ذهنهِ خلاصة العلوم والمعارف التي جمعها في اربع سنوات من قراءة ستمئة مجلّد ثم يقضي بعد ذلك نحو سنة في مطالعة كتاب صغير الحجم سهل الفهم كالعهد الجديد . ولم يعتمّ بعد ذلك

ان استبدل بالعهد الجديد تاريخ الاديان وعلم الفقه (اللاهوت)

***

وفي السنتين الاخيرتين من سجنهِ كان يطالع ما تقع يدهُ عليهِ إتفاقاً من الكتب بلا تحرٍّ ولا اختيار . ولما اوشكت مدة سجنهِ ان تنتهي قال الصيرفيُّ في نفسهِ :

« في الساعة الثانية عشرة غداً يُقضى الامر ويحقّ للمحامي ان يخرج من سجنهِ. وبموجب الاتفاق يترتب عليَّ ان ادفع اليهِ مليوني ريال . واذا دفعت هذا المبلغ الباهظ بتُّ فقيراً معدماً لا املك درهماً »

كان منذ خمس عشرة سنة ربَّ ملايين كثيرة . ولكنهُ كان في هذه المدة قد انبعث في المضاربات والمراهنات وخسر فيها مقادير كبيرة من المال واصبح عرضة للهواجس والمخاوف

وعند افتكارهِ بدنوّ الساعة الرهيبة تبرّم وتململ وقبض رأسهُ بين يديهِ وقال بلهجة القانط اليائس :

« يا لهُ من رهان مشؤوم ملعون ! وهذا المحامي العتلّ الزنيم لماذا لم يمت ويرحني من هذا العذاب الاليم ؟ عما قليل يبتزّ مني آخر درهم املكهُ فيتزوّج ويعيش في رغد ورخاء وسرور وصفاء ويغادرني افقر من ابن المذلّق اتجرّع غصص الضنك والشقاء! لا — لا — إن هذا فوق طاقتي ولا يسعني احتمالهُ . وخير وسيلة للتخلص من هذا الضيق الخانق ان يموت المحامي . اذن لا بدَّ من موتهِ »

وكانت الساعة الثالثة بعد نصف الليل والصيرفيُّ حليف سهاد لم تذق فيهِ عيناه طعم الرقاد . وكان ظلُّ السكوت مخيماً على بيتهِ وجميع من فيهِ غارقون في لجة الكرى . فتناول مفتاح الباب المقفل منذ خمس عشرة سنة ولبس معطفهُ وخرج . وكان البرد قارساً والظلام دامساً . فسرى في الحديقة متلمساً طريقهُ بيديهِ كالاعمى حتى وصل الى جناحها حيث غرفة السجين وأهاب بالحارس مرتين فلم يكن من مجيب لانهُ كان متثقلاً بنوم عميق في المطبخ . ولما وصل الى باب الغرفة أشعل عود ثقاب ونظر فرأى الختم باقياً عليهِ كما كان منذ يوم إقفالهِ . وأطلَّ من النافذة الصغيرة وعلى ضياءِ شمعة ضئيل ابصر المحامي جالساً على كرسي بجانب المائدة وظهرهُ الى النافذة وشعر رأسهِ متدلٍّ على كتفيهِ وجانبيهِ والكتب منثورة حولهُ

فانتظر خمس دقائق والسجين باقٍ ساكناً لا يُبدي حراكاً . لانهُ كان قد ارتاض في هذه السنين الطويلة على جلوس خالٍ من الحركة كانهُ فيهِ قطعة من جماد . ونقر الصيرفيُّ باصبعهِ على زجاج النافذة فلم يسمع جواباً ولا رأى في السجين اقلَّ حركة. واذ ذاك عمد الى الباب ففك ختمهُ وادار المفتاح فيهِ فارتفع لانفتاحهِ صريف ظنهُ كافياً لتنبيهِ المحامي ان كان غافلاً او لايقاظهِ ان كان نائماً ولكنهُ ما لبث ان رأى ظنهُ في غير محلهِ وصحت عزيمتهُ على الدخول

دخل فرأى بجانب المائدة رجلاً ليس كغيرهِ من الرجال . ذا جسد هزيل نحيل لم يبق منهُ سوى عظم ذاوٍ ذابل عليهِ جلد متغضن متكمش وهو اصفر الوجه غائر الخدين اعجف اليدين مقوَّس الظهر وقد وخط الشيب شعر رأسهِ ولحيتهِ الجمدالطويل وامامهُ صحيفة مكتوبة بخطٍّ دقيق انيق . فحدَّق الصيرفيُّ اليهِ وقال في نفسهِ : —

« انهُ نائم نوماً عميقاً . ولعلهُ يرى مليوني الريال في حلمهِ وينعم بعدِّها — فما عليَّ سوى ان احملهُ واضعهُ في فراشهِ وأغمي وجههُ بالمخدة فتخمد بقية انفاسهِ . ولا اوجس خوف اتهامي بقتلهِ لان الفتك بهِ على هذا الوجه سيخفى حتى على امهر الاطباء . ولكنني اروم ان اطلع اوَّلاً على ما كتبهُ

ثم تناول الصحيفة وتلا فيها ما يأتي : —

« غداً الساعة الثانية عشرة تُفكُّ قيود سجني وتردُّ اليَّ حرية الخروج من حبسي والاختلاط ببني جنسي . ولكنني قبل مغادرة هذه الغرفة ومشاهدة ضياء الشمس ارى من الضروريّ ان اخاطبكم يا اهل العالم بهذه الكلمات . فبضمير صالح نقيّ وامام الله الذي يراني أصرّح لكم اني احتقر الحرية والحياة والصحة وكل ما تفاخر كتبكم بعدّهِ من بركات هذا العالم

« خمس عشرة سنة قضيتها في الدرس الدقيق والتأمل العميق في هذه الحياة الدنيا. نعم اني لم ارَ فيها الارض ولا الناس . ولكني في كتبكم حصلت على كلّ ما يستطاب اقتطافهُ ويستعذب ارتشافهُ ونلت كل ما تطرب الآذان بسماعهِ وتقرّ العيون بمشاهدتهِ ووقفت على اسرار الطبيعة وخفايا العلوم والفنون وجولت في الارض برّاً وبحراً وكشفت المجاهل في مفاوز الارض وما كان منها تحت الماء وفوق الهواء وعرفت ما اعتاصت معرفتهُ حتى على كبار الفلاسفة والحكماء . في كتبكم صعدت الى الاعالي وهبطت

الى الاعماق واتيت ما شئت من خوارق الآيات والمعجزات واضرمت النار في مدن غادرتها رماداً ونشرت ديانات جديدة جعلت الناس كلهم لها عبّاداً . ومن كتبكم هذه جمعت حكمة الاولين والآخرين فصرت احكم انسان تحت الشمس

« والآن اقول اني ازدري كتبكم هذه واحتقر الحكمة العالمية والبركات الارضية. فكل شيء في العالم باطل — ظلهُ زائل ولونهُ حائل . وهو احيل من ضباب واخدع من سراب . أراكم تزهون وتفتخرون بما أُوتيتم من حكمة وثروة وجاه وجمال ولكن هذه كلها وغيرها من اباطيل الارض لا تدفع عنكم يد الموت حين تمتدُّ اليكم وتمدُّ مطار الفناء عليكم

« انكم في غرور وضلال بل في جنون ما بعدهُ من جنون . تؤثرون الغيّ على الهدى والكذب على الصدق والحرام على الحلال والسماجة على الجمال وتستبدلون الخبيث بالطيب والطالح بالصالح

« ولكي أُريكم بالفعل شدة احتقاري لما تعلقون قلوبكم عليهِ وتوجهون كل اهتمامكم في هذه الحياة اليهِ ارفض المليونين اللذين راهنت عليهما والآن انظر اليهما بعين الازدراء . ولكي احول دون استحقاقي لهما عزمتُ على الخروج من سجني قبل الوقت المعيَّن بخمس دقائق فأُخلّ بشروط الاتفاق واحرم المبلغ المتفق عليهِ »

***

ولما فرغ الصيرفيّ من تلاوة الصحيفة وضعها على المائدة وقبّل المحامي في رأسهِ واوغل في البكاء والنحيب . وما ابطأ ان غادر الغرفة راجعاً الى بيتهِ وقلبهُ مثقلٌ بالغمّ ومفعمٌ بالشعور العميق بفرط سفالتهِ ونذالتهِ . واضطجع في سريرهِ يحاول النوم فلم يستطعهُ وقضى بقية ليلهِ في اكتئاب وانتحاب نادماً على ما اتاهُ من اعمال الخساسة والدناءة. وقبيل الفجر ران عليهِ الكرى فغرق في لجتهِ الى ظهر اليوم التالي حين جاءهُ الحارس مهرولاً واخبرهُ بانهُ رأى الرجل المقيم في الغرفة التي في جناح الحديقة وقد وثب من النافذة الى الحديقة ثم خرج من البوابة وذهب . فخفّ الصيرفيّ الى جناح الحديقة ومعهُ خدامهُ وقرّر فرار السجين بشهادة الخدّام . ولكي يجتنب قال الناس وقيلهم في هذا الموضوع اخذ الصحيفة التي كانت لا تزال على المائدة واقفل عليها في خزانتهِ

ترجمة : اسعد خليل داغر

المدرسة الطبية في عهدها الاول

على ذكر مرور مائة سنة على انشائها

واجتماع المؤتمر الطبي في دسمبر القادم

كان علم الطب قد اهمل في القطر المصري قبل ايام العزيز محمد علي باشا بسنين كثيرة وكان الناس متروكين الى رحمة الحلاقين والمنجمين اولئك ينزفون دماءهم بالفصادة والحجامة وهؤلاء يوهمون عليهم بخزعبلاتهم المختلفة. ورأى العزيز انهُ لا يستطيع ارغام الدجالين على ترك صناعتهم ما دام جمهور الشعب معتقداً بهم ومعتمداً عليهم ولا يستطيع ان يقطع دابرهم كما قطع دابر المماليك فعزم على نشر العلوم والمعارف في البلاد لان الظلمة تزول بانتشار النور فانشأ فيها بيوت العلم المختلفة وفي ايامهِ نهضت مصر من حضيض الجهل والذل الى اوج العلم والمجد

ولما نظم امر جنودهِ اهتمَّ بأمر صحتهم فاستحضر لهم الاطباء من اوربا واقامهم لخدمتهم . وسنة ١٨٢٥ احضر الدكتور كلوت من فرنسا وجعلهُ رئيس اطباء الجيش المصري فلم يكد يصل الى مصر حتى وجد الخلل في الادارة الطبية لانهُ لم يكن فيها قوانين للاطباء تعرفهم واجباتهم وحدودهم فأشار على بوزاري طبيب محمد علي باشا باتباع القانون الفرنسوي في امر الاطباء وبأنشاء مجلس للصحة يكون هو (بوزاري) رئيساً لهُ . وكان بوزاري من الرجال الكرماء المخلصين لاسيادهم ولكنهُ لم يخلُ من الاثرة ومحبة الذات فعرض الامر على مسامع العزيز وبعد قليل أُنشئ مجلس الصحة وكان فيهِ ثلاثة اعضاء يرأسهم بوزاري واما كلوت فلم يكن منهم . واجتمع هذا المجلس اجتماعهُ الاول في الخانقة (على سبعة اميال من مصر) وذلك في ٢٥ مارس سنة ١٨٢٥ واعطاهُ العزيز السلطة المطلقة في امر الاطباء فكتب الى كلوت يعينهُ في وظيفتهِ وبعد اشهر قليلة عين كلوت ولوبجي ألسندري (صيدلاني صيدلية القلعة) عضوين فيهِ ولم يلبث كلوت ان دخل هذا المجلس حتى ادخل اليهِ النظامات الصحية الفرنسوية واستعان بهِ على أهل المفاسد الذين وقفوا لهُ بالمرصاد . ثم وجَّه اهتمامهُ الى تنظيم احوال الجيش الصحيَّة في السلم والحرب فنظمها بحسب النظامات الفرنسوية . وكان اطباء الجيش يلبسون الملابس الرسمية كضباطهِ وتُوجَّه اليهم النياشين والقاب الشرف مثلهم

وكان مقام الجنود في الخانقة فعزم كلوت على انشاء مستشفى لهم ووجد بالقرب من ذلك المكان بناءً رحباً كان ثكنة للفرسان فاستخدمهُ لهذهِ الغاية ووضع فيهِ مرضى الجيش فقط في اول الامر ثم جعلهُ عمومياً لجميع المرضى فكللت اعمالهُ بالنجاح. وحينئذٍ خطر لهُ ان ينشيء مدرسة طبية بجانب هذا المستشفى رجاء ان يخرج من هذه المدرسة ضباط صحة للجيش من اهل الوطن وعرض الامر على مسامع العزيز فاستصوبهُ وامرهُ ان يشرع فيهِ فأنشئت المدرسة بابي زعبل

ورأى كلوت صعوبات كثيرة تعترضهُ ولكنهُ كان رجلاً حازماً اذا رأى الصعوبة قاومها بكل عزمهِ حتى يتغلب عليها . والصعوبة الاولى التي اعترضتهُ كانت مسئلة اللغة لان الاساتذة الذين عزم على استخدامهم لايعرفون العربية والتلامذة لايعرفون الفرنسوية ولا الايطالية وحسب انهُ يضيع الوقت بتعليمهم لغة من هاتين اللغتين استعداداً لدرس الطب بها فلم يرَ لهُ بدًّا من اقامة المترجمين بين الاساتذة والتلامذة . والصعوبة الثانية هي ان اهالي مصر كانوا يعتقدون ان تشريح اجساد الموتى ممنوع دينيًّا فتباحث مع مشايخ الدين في هذه المسألة ولحسن الاتفاق اقنعهم بان درس التشريح وتشريح الموتى غايتها من احمد الغايات الا وهي حفظ الاحياء ولا يمكن لاحد ان يمهر في صناعة الطب ما لم يدرس علم التشريح على هذه الصورة . وكان عزيز مصر عارفاً بحقائق الامور ومترفعاً عن التعصبات الدينية ولكنهُ لم يشأ ان يأخذ الأُمور بالعنف فلم يرخص لكلوت بتشريح الموتى ترخيصاً صريحاً ولكنهُ وعدهُ بأن لا يعترضهُ احد اذا سار بالحكمة

والتلامذة انفسهم نفروا في أول الامر من تشريح الموتى ولكنهم الفوهُ بعد حين وصاروا يشرحون عن طيب نفس ورغبة في العلم . ولولا كلوت ما امكن للوطنيين ان يقدموا من انفسهم على تشريح الموتى لان مدارس الخلفاء الاولين لم تفعل ذلك مع ما بلغتهُ من الشهرة والحرية في البحث والتعليم

ومما يذكر بالاسف والاستغراب ان احد التلامذة دنا من الدكتور كلوت وهو في فرقة التشريح وطعنهُ بخنجر في رأسهِ فلم يصبهُ فطعنهُ ثانية في جواربطنهِ فلم يصبهُ ايضاً بمكروه وللحال بادر بقية التلامذة الى هذا التلميذ وحالوا بينهُ وبين استاذهِ

ولما تغلَّب كلوت على كل المصاعب عُيّن مديراً للمدرسة الطبية وذلك في غرة سنة ١٨٢٧ بعد ان نسجت عناكب النسيان على المدارس الطبية العربية مدة خمسمائة عام . فاختار لها الاساتذة من الفرنسويين والايطاليين وهذه اسماؤهم ومناصبهم

غايتاني مدرس التشريح العام والوصفي والباثولوجي والفسيولوجيا
برنار مدرس الهيجين الخاص والعام والعسكري والطب الشرعي
دڤينيو مدرس الباثولوجيا والكلينيك الباطنين
كلوت مدرس الباثولوجيا والكلينيك الباطنين الجراحيين والعمليات وفن الولادة
برتلمي مدرس المواد الطبية والثرابيوتيا وعلم وصف الادوية وعلم السموم
سلزيا مدرس الكيمياء والطبيعيات
تماري مدرس النبات ومدير البستان النباتي
لسبرنزا محضر دروس التشريح والروامز التشريحية والباثولوجية

وسلم المستشفى لهؤلاء المدرسين وتلامذتهم لكي يطببوا المرضى فيهِ ويدرسوا سير الامراض وطرق علاجها . واختار انفس الكتب المستعملة حينئذٍ في اوربا لتدريس صناعة الطب وكان التلامذة مقسومين الى عشر فرق وجعل التلميذ الانجب في كل فرقة عريفاً لها وهذه هي الطريقة التي اختارها للتدريس

(١) يترجم الدرس الى العربية في حضرة المدرّس وهو يشرح كل الامور العويصة للترجمان . (٢) يقرأُ الدرس بالعربية على مسمع التلامذة وهم يكتبون في دفاترهم ما يذاكرهم بهِ . (٣) يشرح المدرّس للتلامذة كل ما يعسر عليهم فهمهُ . وكان مباحاً لعريف الفرقة ان يطلب زيادة الايضاح في كل فروع الدرس . (٤) يطلب من العريف ان يراجع الدرس لتلامذة فرقتهِ . (٥) يمتحن التلامذة كل شهر في الدروس التي درسوها ذلك الشهر وحينئذٍ يختار ابرع التلامذة ويجعلون عرفاء لفرقهم . ولهذا النظام مزيتان الاولى حث التلامذة على العمل والثانية القاء المنافسة الشريفة بينهم حتى يطلب كل منهم ان يفوق اقرانهُ . واضيف الى المدرسة الطبية مدرسة اخرى لتعليم اللغة الفرنسوية وأُجبر طلبة الطب كلهم على درس هذه اللغة حتى اذا اكملوا دروسهم الطبية وخرجوا من المدرسة استطاعوا ان يطالعوا كتب الطب الفرنسوية ويعرفوا كل ما يجدُّ فيهِ . الاَّ ان هذه المدرسة الغيت بعد حين

وسنة ١٨٣٢ اختار الدكتور كلوت اثني عشر تلميذاً من انجب التلامذة وسار بهم الى باريس وقدمهم الى الجمعية العلمية الطبية فاختيرت لجنة لامتحانهم من اشهر اطبائها برآسة الدكتور اورفلا وجرى ذلك باحتفال عظيم حضره طبيب الملك الخصوصي وجم غفير من الامراء والاطباء والعلماء وحُصرت المسائل في المواد الآتية وهي (١) الكلام

على المخ والاذن الباطنة والعين وخصوصاً البلورية والكتركتا والعملية اللازمة لها . (٢) الكلام على الملتحمة وامراضها. (٣) الكلام على القناة الاربية والفتق الاربي والعملية اللازمة لهُ . (٤) الكلام على العجان وعنق المثانة واسباب الحصاة واعراضها وعمليتها على طريقة كلوت بك . (٥) شرح المفاصل الكتفية العضدية وخلع العضد ورده . (٦) الكلام على جروح الاسلحة النارية التي تستدعي عملية البتر وشرح هذه العملية . (٧) الكلام على تشريح الكبد وشرح تاريخ الالتهاب الكبدي

ويظهر من ذلك ان الدكتور كلوت بك كان يهتم بنوع خاص بالامراض والآفات التي تكثر في القطر المصري ويخرّج تلامذتهُ فيها حتى يزيد نفعهم لوطنهم . ويظهر من اجوبتهم انهم كانوا قد فهموا حقيقة ما تعلموهُ وقرنوا العلم بالعمل وان لجنة الامتحان سرّت بما اجابوا بهِ ولذلك قام كاتبها وهنأهم بفوزهم وامَّل ان يعود بهم عصر ابن سينا والرازي وابي القاسم

وفي سنة ١٨٣٧ نقلت المدرسة الطبية من ابي زعبل الى القاهرة وفتحت مدرسة لتعليم القابلات فن الولادة وأُنشئت مستشفيات كثيرة في مدن القطر واستعمل تطعيم الجدري فقلّ انتشارهُ في القطر المصري وكان يفتك قبل ذلك بستين الفاً من الاطفال كل سنة . ولما انتشر الطاعون سنة ١٨٣٠ كان يموت بهِ في القاهرة وحدها الفا نفس كل يوم فقام هو وتلامذتهُ لمقاومتهِ ومعالجة المصابين بهِ الى ان تقشعت غيومهُ من سماء القطر فسرّ العزيز من اعمالهِ وانعم عليهِ برتبة بك ولم تكن تعطى لمثلهِ . ثم فشا الطاعون سنة ١٨٣٥ فنهض هو وثلاثة من الاطباء لمقاومتهِ وكان يتنقدانه غير ممدرٍ وطعّم نفسهُ بدم الخراج امام تلامذتهِ اثباتاً لقولهِ وتشجيعاً لهم ومكث على هذه الحالة باذلاً جهدهُ في معالجة المرضى ستة اشهر فبعث العزيز يشكرهُ على ذلك وانعم عليهِ برتبة جنرال

وذهب بلاد الشام لما دخلها الشهير ابرهيم باشا وزار دمشق وبيروت وصيداء وعكاء وحيفا وجبل الكرمل وتوجَّه الى الناصرة لما كان الطاعون فيها وزار نابلس وبيت المقدس وغزة وطبب المرضى وابقى لهُ في الشام ذكراً جميلاً

ولما تولى المرحوم عباس باشا اقفلت مدرسة الطب وعاد الدكتور كلوت بك الى فرنسا وبقي فيها الى ان تولى المرحوم سعيد باشا فعاد الى مصر ليعيد المدرسة الطبية الى ما كانت عليهِ من الانتظام ونجح في ذلك النجاح التام وبقي في القطر المصري الى سنة ١٨٦٠ وحينئذٍ عاد الى مرسيليا وطنهِ واقام فيها الى حين وفاتهِ سنة ١٨٦٨

العلم والعمران بعد غدٍ

هل يقضي العلم على العمران ام يهذّب اخلاق الناس فيجتنبوا شروره ?

الاهتزازات والفكر

... وهناك مسائل اخرى لا وجود لها في دائرة الحياة المادية بحالتها التي الفناها ولكنها قد تبلغ الحد الفاصل بين الزمن والازلية . ومنها ما يأتي : ما المادة ? ما الزمن? فهذان سؤالان لا يستطيع السير أوليفر لودج وأترابه الاجابة عنهما

واينشتين نفسه ، الذي لا يفهم نظريته الاَّ القليلون منا على حين يخبط بعضنا خبط عشواء في تفسير أفكاره — يؤكد ان الوقت مما يجدر الاهتمام بهِ في ما يتعلّق بالمسافة التي بين شيء متحرك وآخر . وعلى أية حال فاني اعتبر هذا القول خلاصة ما ادركهُ من نظريته ٍواسهل ما ابسطها بهِ . ألا يصح ان تكون هذه الاهتزازات التي تتقدم للبحث فيها متذرعين بما أوتينا من علم حديث يشوبهُ جهل مطبق ، جزءاً من قوة الكون الازلية ? أو ليس الفكر نفسهُ اهتزازاً يتصل بعقول الآخرين بعد اجتيازه مسافات سحيقة بأمواج من اطوال معينة دُوزنت لتلتقطها بعض العقول الذكية اذا كانت شديدة الاحساس

والاهتزازات الفكرية أيضاً يمكن ادخارها وتسجيلها على الاسطوانات ثم اعادة ترديدها فتضارع حينئذٍ قوة الجواهر الفردة من حيث عدم فناءِ قوتها فتبقى بعد مضي الوف من السنين في مكان ما

أولا توحي الينا هذه الافكار تفسيراً علميًّا للقصص القديمة الخاصة بالارواح والبيوت المسكونة بالشياطين والخيالات وما شاكلها ?

وعندي أن هذا في حيز الامكان من حيث ان بعض الفعال المهيجة من حب وغضب وسواها من الانفعالات النفسية الشديدة الماضية وظهور الشخصيات البارزة قد يستمر صدوره من طريق الاهتزازات في البيوت القديمة او في اي مكان آخر ويمكن مشاهدتها كما شوهدت هناك من مئات السنين صادرة من عقول ذات احساس شاذ واستمداد خارق للعادة حتى كأنها ميكروفونات بشرية

وقد نتمكن ذات يوم من الاصغاء الى ابناءِ العصور الغابرة فنبصر اهتزازات

الاجساد التي مضى على موتها عهد طويل — هذه ضالتنا المنشودة — ولكنها صعبة المنال . وما من امرىء يستطيع ان يقول في هذه الشؤون قولاً ويجزم بان قولهُ صواب بيد ان الجمهور يشعر شعوراً ضئيلاً بأن اسراراً عظيمة تحدق بهِ ممثلة في ألاعيب الاذاعة والتلفزة

وقد جاءتني من عهد قريب رسالة مقتضبة من احد اصدقائي، من غير العامة ، بل من أديب جليل بالولايات المتحدة الامريكية وما قرأتها حتى سُقطفي يدي—ونحواها كالآتي : — « اذكر اني منذ اشهر قليلة قد سمعت امرءًا يتنبأ بدنو الزمن الذي سنتمكن فيهِ من دوزنة آلات استقبال الاخبار في بيوتنا حتى نسمع لنكن يخطب قومه في مدينة جتيسبرج ». واستدرج من هذا الى القول :

«واتفق بعد يومين اني كنت احلق ذقني ولحيتي في الصباح إذ جال بفكري خاطر مدهش وهو اننا سوف نسمع يوماً ما سيدنا يسوع المسيح يلقي عظاته الآلهية على الجمع المحتشد على الجبل » — خواطر رائعة تنم عن جرأة وتدل على مبلغ ما وصلت اليهِ أوهام الانام مدفوعين اليها بعوامل هذه الاكتشافات التي تستجد على الدوام

وهب اننا أصبحنا وفي قدرتنا سماع عظة رب المجد على الجبل ، تلقى كما القاها في حينها نذيراً للجمهور . فهل سماعنا إياها وتأثرنا بها يجعلنا أشد تمسكاً بقواعدها الذهبية وارشاداتها الالهية ، فنرعوى عن غينا ونثوب الى رشدنا فنصبح اكرم أخلاقاً وأشد عطفاً في علاقاتنا بعضنا على بعض ؟

أو هل نغدو أقل شراهة واحتداداً في طباعنا واضعف أنانية في نزعاتنا وأقل قسوة مما جبلنا عليهِ ؟

ويبدو لي ان قراءة عظة السيد على الجبل لا تؤثر في سنن الحياة ولاتغير المستوى الادبي الذي بلغهُ البشر فهل يُحدث سماعها الاثر المنتظر ؟

تعاظم القوى وانحطاط الاخلاق

وهذا مما يثير موضوع البحث في مبلغ ما يعود من النفع على الخلق من استخدام القوى الجديدة التي خلقها وسيخلقها لهم العلماء بمباحثهم التي تنم على الاقدام والجرأة في مناقضة الاقوال التي كنا نحسبها لا تنال بتغيير او تبديل

وهذا الموضوع أعظم حلقة في سلسلة التحسين الماديّ برمتها ، فقد جعلت احوال الحياة تخطو خطوات واسعة في سبيل التغير . اذ قُيّضت للجنس البشري آلات

جديدة هائلة . وهبَّ العلماء لا يلوون على المصاعب ينشدون مصدر القوة الاساسيّ

ولكنَّ الورى بسبب ما هم عليهِ من ضعف الارادة ، ما زالوا مقصرين في اكتساب القوى العقلية بنسبة ما يسنح لهم من الفرص ، معرضين عن التحلي بأية حلية خلقية تكفل لهم السلامة من شر تلك القوى

ومن أغرب الامور التي توجب الدهشة والاسف أن الانسان الذي أخضع لسلطانهِ جميع قوى الطبيعة لم تبدُ عليهِ اعراض أية قوة من قوى الارتقاء الخلقيّ منذ فجر التاريخ ، ولم يتقدم تقدماً محسوساً بدنيًّا او خلقيًّا

ومن الثابت ان الناس ، كما هم في الهيئات الصناعية ، قد انحطت قوى ابدانهم ولم يسموا على أسلافهم في قوى الاذهان . والذي نعرفهُ ان قامة الرجل في العصور الحجرية الاولى ، عند ما كان الناس يسكنون الكهوف ، كانت تبلغ ست اقدام وثلاث بوصات طولاً . وكان دماغهُ يفوق دماغ الرجل الاوربي الحالي بمقدار السدس وزناً. وكانت حواسُّهُ من بصر وسمع وشم اشد منها الآن

ولا مندوحة لنا عن الاعتراف بكل دعة ، اذا لم نرد التغلغل في تواريخ الازمنة الغابرة بان شعوب الحضارات الاولى ، كالاغريق في ابان مجدهم ، قد امتازت بقوى عقلية بارزة ظهرت آثارها في فنونهم وفلسفتهم . واذا شئنا ان نوازنها بما يقابلها في العصر الحاضر لم يخرج الاغريق منها في الكفة المرجوحة

وما برحت غرائزنا العتيقة ، وشهواتنا وانفعالاتنا النفسية ، على حالها الاولى فتثور وتستولي علينا غيلة اذا ما غضضنا الطرف هنيهة عن شريعة الاجتماع او اذا لم يكن لنا من ديننا او شرائعنا الروحية وازع لكبح جماحنا في حياتنا . وحسبنا دليلاً على ذلك الحرب العظمى فقد كانت كارثة اثبتت لنا ان رجالاً متحضرين مثل كتبة الدواوين والنوابغ والشبان المهذبين تهذيباً سامياً — قد يصيرون وحوشاً ضارية تشتهي إراقة الدماء البشرية وتقبل على التقتيل بلا رأفة أسوة بالقبائل العريقة في التوحش التي كان بعضها يقاتل البعض الآخر بالفؤوس الحجرية والسهام ذات الرؤوس العظمية

وعندي ان هذا ما يرهبهُ العلماء اشد الرهبة حينما يتأملونهُ . أجل انهم يرتاعون عند ما يعهدون الى الشبيبة بمخترعاتهم الخطرة — واقصد بالعلماء فريقاً من صفوتهم اتيحت لي محادثتهم والتنور بثاقب افكارهم وهم روَّاد المباحث في طبيعة المادة والقوة وقد

اعربوا حديثاً عن تلك المخاوف التي يتوقعونها بسبب افضائهم الى العالم بنجاحهم في كشف مكنونات الطبيعة

ويقول العلاّمة صدي الكيماوي الشهير « ان القوة الطبيعية أسيرة العلم ، ولا بدّ ان تصبح خادمة للانسان او سيدة لهُ » . ويوضح لنا المنطق العلمي بلا مناص ان هذه المسألة اذا لم نواجهها الآن فلا مندوحة لنا من مواجهة سوء مغبتها بعدئذٍ . هذا ولم تنهض المُثُل الادبية العليا نهوض العلم لتتمشى معهُ جنب لجنب بل ما زالت قاصرة عن اللحاق بهِ والاتحاد معهُ اتحاداً . فاذا ظلت على ما هي عليهِ . وظل العلم سائراً سيرهُ الحثيث كانت النتيجة تقويض دعائم العمران

وينذر الاستاذ هولدين العالم مثل هـذا الانذار المحزن اذ يقول : — « هل خلق الجنس البشري من رحم المادة شيطاناً رجيماً أخذ يتحفز للانقضاض عليهِ حتى اذا ما تهيأت لهُ الفرصة طوّح بهِ في هاوية لاقرار لها ؟ »

ويقول برتران رسل « يزعم الجمهور أن تقدم العلم نعمة للجنس البشري ، ولكني اخشى ان يكون ذلك أضلولة من أضاليل القرن التاسع عشر التي ترتاح النفوس اليها والتي يجب نبذها من جيلنا الذي لا تجوز عليهِ الاباطيل ، لان العلم يمكّن القابضين على ازمة القوة من نيل مآربهم باسرها اكثر مما ينالونها بغير وساطتهِ . فان كانت تلك الاماني صالحة كان الظفر بها ربحاً ، وان كانت شريرة كان تحقيقها خسارة — ويلوح لنا ان نيات المسيطرين على القوة في هذا الجيل سيئة في الغالب »

ويقول الدكتور شلر من علماء كلية كُرْبُسْ كربستي بجامعة اكسفورد « إن البشرية ما زالت وحشية لأن الانسان ما برحت آدابه وطرق تفكيرهِ مماثلة لآداب اسلافه الذين عاشوا في العصر الحجري ، فتراه كما كان على الدوام ، مخلوقاً غير عاقل ، سريع الانفعال ، سفيهاً . . . .

« وبديهي أنه من الخطر استهداف جبلة غير مرنة كجبلة هذا المخلوق ، المحافظ على القديم من عادات وغيرها كلّ المحافظة ، للتطور تطوراً حثيثاً ، لانه لا يستطيع تكييف نفسه تكييفاً عاجلاً كي يلائم ذلك التطور وقد تصبح تصرفاته ، المقصود بها تبادل المنفعة ، والتي ما كانت لتضره بتاتاً او كانت قليلة الضرر له ، في أوج الخطر عليه

« ولا غرو فقد يذعر اكثر العلماء ، الذين لهم دراية بمستقبل الامور ، عند رؤية الاهواء الوحشية تثور ثوراناً جنونيّاً وهي ترفل في بزة الحضارة ! »

قوات التخريب

لقد شاهدنا أن كل تلك القوى الجديدة ، التي استغلت من الطبيعة لتكون تحت سيطرة الانسان ، تستخدم وسيلة للبلاء كما تستعمل ذريعة للرخاء الاجتماعي والرفاهية البشرية . وليس لخلاص أولادنا وأحفادنا وربما أنفسنا أيضاً من الفاجعة العالمية التي ستحدث بعد غد إلاَّ وسيلتان وهما : اما عرقلة تقدم العلم وقتل العلماء عن آخرهم ، وإما تغيير أخلاق الجنس البشري باصلاح آداب الهيئة الاجتماعية وتنقية غرائزها النفسية من أدران الاميال الشريرة »

أما إبادة العلماء ، وبعضهم في مذهبي ، أناس جديرون بالاعجاب فاني آسف عليها جد الاسف . وليس بمحق العلماء تغلق كتب العلم التي ورثناها عنهم ، لان العقول المتعطشة لها لا بدَّ من اطلاعها عليها ومواصلة الاغتراف من بحورها الفياضة التي تروي نفوسهم الظمآى

فلم يبقَ امامنا سبيل الاَّ اصلاح الانسان نفسه . فهل هذا يا ترى في حيز الامكان ؟ وهل في الاستطاعة رفع مستواه العقلي والادبي حتى لاتحارب امة اخرى ولا تنازل عشيرة سواها ؟ . وهذا كلهُ حلٌّ صعب المنال جداً

اما مستوى الذكاء البشري فانهُ آخذ في الانخفاض بسبب التناسل من غير الاصلح كما يقول انصار تحديد النسل

ويقول الدكتور شيلر « ان مدنيتنا تحمل في طياتها بزور انحطاطها وخرابها » وهذا العالم الذي يعد من المتشائمين تشاؤماً ذريعاً يعرب عن رأيه في هذا الصدد بقوله « ان الجنس البشري اذا اتيح لهُ الخلاص من الحروب الامبراطورية العالمية والحروب الطائفية والجنسية فلا يفضي هذا التخلص الى تحسين الحال في المستقبل تحسيناً كبيراً » اما محق الجنس البشري محقاً بواسطة الحرب فهو في عرفه انحطاط، ولكنهُ لا يكون اشد فتكاً من انحطاطهِ التدريجي واندثار فنونهِ وعلومه اندثاراً بطيئاً اذا ماطما عليها سيل الضعف العقلي »

وهذا كلهُ مما يؤسف عليهِ. وانا لا اقرُّ انذاراً مروعاً كهذا الاَّ اذا اضرمت نيران حرب عالمية اخرى واستخدمت فيها اسلحة جديدة اشدّ فتكاً بالارواح من الاسلحة التي استعملت في الحرب الاخيرة — وفي حيز قوة الانسان اتخاذ العلم عبداً لخدمتهِ لاماحقاً لذريتهِ — وعندي ان الانسان في وسعه زيادة مواهبه العقلية وفضائلهِ

الاجتماعية. وفي مقدوره ابادة جراثيم الانحطاط التي تنخر دعائم العمران اذا وجدت وفي مكنته استعمال جميع هذه الاسلحة الجديدة الفعّالة في توسيع نطاق العقل والمعارف حتى يبلغ العالم الروحي ويدرك الحقيقة الازلية

وانا على يقين ان بعد غد ولا اقول في الجيل الذي يلي الجيل الآتي — اذا اتيح لنا النجاة من الفواجع الى ذلك الحين قد يصبح الجنس البشري وفي وسعه علاج نفسه من بعض ادوائهِ الاجتماعية ولاسيما الحروب الجنسية والطائفية للحصول على الثروة فيرتفع مستوى الرفاهة — ولا اقول السعادة الفردية . نعم السعادة التي يصبو اليها الجمهور ولا ينالها لان الانسان بطبيعته يطمح على الدوام الى ما ليس في طاقته الوصول اليه وقلما يرضى بحالته ولا يقنع بهذه الحياة الزائلة الا اذا كان ذا مذهب روحي أو تخيلات يجد فيها سلوى لنفسه. بيد أنه قد حان الزمن للجمهور ليتنبه من غفلته كي ينجو من المصائب التي ينذره بها العلماء

تعجيل النشوء والارتقاء

ولما كان لا مندوحة لهُ عن مواجهة أحد الامرين المفضيين الى الكارثة لم يفتر العلماء انفسهم عن توجيه هممهم الى العناية بابدان الناس واذهانهم وهم يستحثون الخطو نحو اصلاح اجسام الانام قبلما يوافيهم العلم وارباسه بالحمام ويهلك العلماء ايضاً قائلين « إن الانسان لم تتغير جبلته منذ بدءِ الخليقة ، فجدير بنا البدار الى غوثه باستعجال نشوئهِ وارتقائهِ »

وقد تواطأ العلماء على هذا التغيير سواء أرغب فيه الانسان أم رغب عنه. ويتساءل علماء الفسيولوجيا قائلين « لِمَ ينشأ فريق من البشر وشيمتهم الحنو على الآخرين بينما ترى غيرهم من الشعوب طغاة قساة القلوب على الآدميين ؟

وما سبب اشتهار طائفة من الناس بالبسالة ، وجماعة أخرى بالجبانة والنذالة ؟ على حين توصم فئة غيرها بالحدة بدلاً من تحليها بالوداعة والرزانة. واذ يعاب فوج بالبلاهة ونقص العقل يزدان غيرهُ بحدة الذكاء والبديهة ؟

فيجيب الدكتور (لويز برمان) عن هذا التساؤل قائلاً « انما ذلك كله يرجع الى علة واحدة وهي المفرزات الداخلية ، لان حدة الادراك وصفو الذاكرة وعدم مخالفة الافكار لاصول المنطق وسمو التخيلات ونزاهة الآراء وتهيج الافكار وكبح جماح الاهواء وكذا سائر اعراض الوجدان انما تتأثر بتلك المفرزات الداخلية »

اذن يخيل الينا أن تغيير أخلاق البشر انما يتوقف على مبلغ تكثير المفرزات البدنية المشار اليها او تقليلها . وعندئذ يصبح المجرم أنيس العشرة وعضواً محباً لخير الهيئة الاجتماعية. ويرعوي المقامر الدنيء عن غيّه ويكف عن سكره ، ويرتدع الخليع عن تهتكه. وتنقشع شهوة مختلّي الشعور في سفك الدماء البشرية سواء أكانوا في الحرب أم في السلم فيغدون مسالمين ،رقيقي الشعور ، محبين للاطفال ،مستنكرين تيتيم العيال ، فتتحسن الحال وتتحقق الآمال كما يؤكد أولئك العلماء

والمستقبل كفيل بهذا التحسين اذا ما اسفرت هذه الآراء عن نتائجها المنطقية . وحينئذٍ لا تحكم المحاكم على السفاكين الاشرار بالموت بل بالاستهداف لعملية جراحية صغيرة قلما يتخللها ألم — وقد ينهج القضاة هذا المنهج في معاقبة اللصوص المعتادي السرقة وفي إيقاع القصاص بالسفلة من الأئمة الذين تدهورت نفوسهم في حمأة الرذيلة فلم يتسن لهم أن يعيشوا عيشة مستقيمة — فاذا تمت العملية السابق ذكرها وقضى العليل الخلقي أسبوعاً او نحوه في دور النقاهة منها ، برىء من سقمه الخلقي وعاد الى الحياة المدنية رجلاً كريم الشيم متجدداً تجديداً تامًّا فيخدم بني وطنه بدماثة اخلاق . ولعلَّ ذلك يبدو للقارىء أمراً عجاباً

وهناك معضلة أخرى يسعى فريق من علماء البيولوجيا — علم أسباب الحياة واحوالها — في حلها ايضاً وهي : « ما الباعث على جعل مدى حياة الانسان سبعين سنة مثلاً وكونه يقضي نحبه هرماً في تلك السن بينما تكون عياله أحوج الى ما اكتسبهُ من حنكة وخبرة ؟

ولماذا لا يُرجأ شرب تلك الكأس أو على الاقل لماذا لا يزاد زمن الشباب الذي فيه يزهو البدن وينبسط ، ويصفو الذهن وينشط ؟ ولماذا هذا كله ضربة لازب ؟

وجواب الدكتور ڤورونوف عن هذا التساؤل « ارسلوا توًّا هؤلاء على بكرة أبيهم الى محل جراحتي فاعالجهم بطريقتي علاجاً يجدد شبابهم كما يبغون »

أما طريقة ڤورونوف فتعتبر في وقتنا هذا من الوسائل القديمة قليلاً اذا قابلناها بالاسلوب الجراحي الذي وفق اليه الدكتور (شتيناخ) الذي يزعم ان زميله ڤورونوف لم يبلغ شأوه في تجديد الشباب

ثم يلي ذلك مسألة الوراثة وتوليد نسل أفراده سخاف العقول ، عجاف الاجسام

مما يؤول الى انحطاط البشر . وهذه عقبة كأداء تحول دون نهوض الجنس البشري . ولعله وعيد يتوعد العمران نفسه عند المتشائمين مثل الدكتور (شلر) الذي يتكهن بما سوف يحدث من هذا القبيل

وقد جال علماء البيولوجيا في هذا الميدان جولة أخرى فزعم المستر (جوليان هكسلي) ان في استطاعته تغيير صفات التذكير والتأنيث في دعاميص الضفادع : وأن في مقدوره إنماء دعموصين منها من خلية واحدة تقسم قسمين عندما يتحتم عليه اتيان ذلك

وقد درس قوانين الوراثة الطبيعية وتأثير المؤثرات الخارجية في الجنين قبل ولادته وتأثير التغيرات الكيماوية في الكائنات الحيوانية الحية . فرأى ان هذه فرصة سانحة لتعجيل نشوء الانسان وارتقائه وتغيير صفاته المميزة من بدنية وعقلية ثم وضع قاعدة صحيحة لتحسين نسله

وللاستاذ (هولدين) مذهب ايضاً في هذه المباحث مبنيٌّ على تجاربه في تربية اجنة فيران في مصل مدة عشرة ايام سنة ١٩٢٥ . وعنده ان الاستمرار في هذه التجارب سيمكن العلماء بعد غد او فيما بعد ذلك او في سنة ١٩٥١ على الابعد من انتاج اطفال بالطرق الصناعية (كذا) يطلق عليها اسم الاطفال المتولدة خارج الجسم

وانا لنخطىء اذا نحن اعتبرنا هذه النظريات برمتها ترهات لا اساس لها لان العلماء قد هموا بالعمل بل هم يمارسونه في وقتنا الحاضر وغايتهم تعديل وتبديل وسائط المعيشة وأرشاد الناس الى طرق الحياة البدنية الطبيعية كما كانت عند خلق الخليقة وفقاً لما جاء في التاريخ ، ثم التأثير في عقول البشر واجسامهم بالمؤثرات الكيماوية وبواسطة طرق علم النفس وبتباين الطعام قبل الولادة وبعدها وبالتجارب الجراحية وبنسخ القوانين المدنية القديمة والتقاليد الفكرية كي يطول بتلك الوسائط دور الصبا ويمتد اجل الحياة ويتغير القانون الاجتماعي

ولكن اتثمر هذه المساعي الثمرة المشتهاة من سعادة مقيمة في المسكونة ? او إن هنالك جحيماً جديداً يقيمهُ لنا العلماء على وجه البسيطة ? فاذا كان الامر كذلك فلا بدَّ من ثورة البرية على العلماء والوقيعة فيهم والقضاء عليهم تخلصاً من لؤمهم وخشية اعادتهم الكرة للتحكم في اجسام الناس وانفسهم

رسول للاسلام في الغرب

وفاة سيد امير علي

نعت الينا الانباء البرقية في ٤ اغسطس الماضي المرحوم « مولانا » سيد امير علي المشترع والفيلسوف الهندي الاشهر ، فطويت بوفاتهِ صفحة حافلة من انفس صفحات التفكير الاسلامي في عصرنا ، وفقد الاسلام اماماً من احدث ائمتهِ ، وأرسخهم قدماً في دراستهِ ، ومجاهداً باسلاً قضى زهاء نصف القرن في الذود عن مبادئهِ وأحكامهِ . ولعلَّ مفكراً مسلماً لم يعمل في عصرنا لبث دعوة الاسلام العلمية والاجتماعية قدر ما عمل امير علي برائع بيانهِ ، وناهض حجتهِ ، وطريف نقده وتحليلهِ . فقد خاطب امير علي الغرب بلغة غربية ، وعمد الى شرح مبادئ الاسلام الروحية والشرعية والاجتماعية باساليب الغرب العلمية ، فكان اول مسلم استطاع ان يخرج للغرب صورة صادقة من هذه المبادئ ، تضطرم بايمان مسلم أشربت نفسهُ روح الاسلام الحقة ولا تشوبها مع ذلك ذرة من التشيع او التحامل ، وأن يعرضها في ثوب علمي محدث ، يتذوقهُ الذهن الغربي ولا ينكره الذهن الاسلامي . وكان اول مسلم استطاع ان يخرج للغرب اجمل وادق صورة من المجتمع الاسلامي القديم ، ومدنيتهِ وتفكيرهِ

ويرجع ذلك بالاخص الى نشأة امير علي وتكوينهِ الفكري . فهو سليل اسرة عربية تنتمي الى آل البيت ، هاجرت في اواسط القرن الثامن عشر من فارس الى الهند واستقرت في موهان من اقليم اود (ايو دهيا) في شمال الهند . وفي موهان ولد سيد امير علي في ٦ ابريل سنة ١٨٤٩ من اب مسلم هو سعادة علي وام انجليزية هي ازابيل ادا . ودرس اولاً في كلية هوجلي في كلكوتا ، ونال اعلى درجاتها في التاريخ والادب . ونال شهادة العالمية من كلية عليكره الاسلامية . ثم ذهب الى لندن ودرس القانون ونال اجازتهُ سنة ١٨٧٣ . واشتغل بالمحاماة بادئ بدء . ثم عين استاذاً للشريعة الاسلامية في كلية الرأسة في كلكوتا ، فديراً لمدرسة الحقوق بها ، فكبير القضاة في كلكوتا . وكان قد ظهر بكفايتهِ وبيانهِ في كل هذه المناصب فعين في سنة ١٨٩٠ مستشاراً في محكمة بنغالة العليا ، فكان اول هندي جلس في هذا الكرسي . وفي سنة ١٩٠٤ اعتزل القضاء وعاد الى انجلترا ، واقام في لندن . وكان اسمهُ قد ذاع يومئذٍ ، ولفت انظار

ولاة الامر في الهند وفي انجلترا بخدماته القضائية ، وكفايته الفقهية ، ومقدرته النادرة في الكتابة بالانجليزية فعين في سنة ١٩٠٩ مستشاراً ملكيًا في المجلس المخصوص ، وانتدب للعمل في لجنته القضائية فكان ايضاً اول هندي ظفر بهذا المنصب السامي

بيد ان التدرج في مناصب الدولة ومراتبها الرفيعة ليس أعظم ما في حياة سيد أمير علي ، فان جانبها الباهر هو الانتاج الفكري ، والنشاط السياسي اللذين سلخ امير علي فيهما زهاء نصف قرن . وقد اختص فتوته وكهولتهُ بالانتاج الفكري ، ولم يأخذ قسطه من النفوذ السياسي الاّ في شيخوخته بعد ان تبوأ بظفره في عالم التفكير والكتابة مكاناً اسمى . ولم يعن أمير علي بالتفكير والكتابة الاّ في ناحية واحدة : هي الاسلام — مبادؤه وأحكامهُ وتعاليمهُ وتاريخهُ : ففي هذا الميدان برز أمير علي ، وكان الفقيه البارع والفيلسوف المحدث ، والكاتب المبدع ، وكان أول ما أخرج في هذا الباب رسالة نقدية في حياة النبي وتعاليمه[1] كتبها سنة ١٨٧٢ وهو فتى لا يجاوز الثالثة والعشرين فلفتت اليه الانظار في الهند . والظاهر انهُ آنس منذ البداية في نفسه كفاية خاصة لتحقيق تلك الامنية التي جاشت بها نفسه ، وخصها بتفكيره وبيانه ، وهي عرض الاسلام على الغرب في ثوبه الحقيقي ، والذود عنهُ مما يرمى به ظلماً في المجتمعات الغربية . قد وفق أمير علي في تحقيق هذه الغاية أعظم توفيق ، وأبدع فيما وفق اليه . فاخرج للغرب بالانجليزية سلسلة كتبه النفيسة في شرح مبادىء الاسلام وأحكامه . ولم يقتصر فضله في ذلك على تدوين الاحكام الشرعية وتنظيمها وشرحها كما فعل في مؤلفه الضخم : « الاحكام الشخصية في الاحكام الشرعية »[2] وفي « مختصر الشريعة للطلبة »[3] اللذين أملى وضعها عليه ما شاهدهُ اثناء حياته القضائية في معاهد بنغالة الفقهية ومحاكمها الشرعية من غموض وتعقيد في درس الشريعة الاسلامية وتطبيقها على يد قضاة من الانجليز قلما يدركون روح التشريع الاسلامي . لم يقتصر فضله على ذلك ، ولكنه عمد الى غاية وعرة شاقة هي شرح مبادىء الاسلام الروحية من الوجهة العلمية ، وتحليلها من الوجهة الاجتماعية ، والمقارنة بينها وبين مبادىء الأديان الأخرى ، والى حياة النبي العربي وتصوير خلاله ومناقبه ، وشرح تعاليمه السياسية ، فأخرج أقوى كتبه

(1) Critical Examination of the Life and Teachings of Mahomet
(2) Personal Law of the Mohammedans
(3) Student's Handbook of Moh. Law

وأعظمها : « روح الاسلام أو حياة محمد وتعاليمه » [١] ، وهو مؤلف ضخم يعرض فيه بالنقد والتحليل لترجمة النبي ، وأصول الاسلام وفرائضه ، وفكرته في الالوهية، وأحكامه في الأحوال الشخصية والاجتماعية ، وفكرته في البعث ، وروحه في القومية والسياسة والعلم والأدب ، والفرق الاسلامية ، وفلاسفة الاسلام . وفيه يبلغ ذروة الافتنان والاجادة في دقة التصوير ، وسلامة التدليل والتعليل ، وروعة البيان والعرض ، ولاسيما في مقدمته التي هي قطعة من أقوى وأبدع فصول التوحيد والكلام . أما ناحية الاسلام الاخلاقية فقد تناولها أمير علي في كتاب آخر هو : « خلال الاسلام » [٢] ، الذي يعتبر تتمة لكتاب « روح الاسلام »

ولم يقف أمير علي عند هذا العرض الباهر لمبادىء الاسلام وتعاليمه، وهذا الوصل الجريء الراجح بين العلم والدين ، بل شاء ان يقدم الى الغرب صورة صادقة من المجتمع الاسلامي ذاته خلال العصور المتعاقبة ، وان يقرن الصور المعنوية التي قدمها من الاسلام وروحه وأصوله ، بصور مادية من سير الدول الاسلامية ، فوضع كتابه « مختصر تاريخ المسلمين » [٣] ، وفيه يتناول تاريخ الدول الاسلامية دولة فدولة . واذا ذكرنا تشعب الموضوع واتساعه كان وصف المؤلف كتابه « بالمختصر » حقاً من حيث الايجاز في سرد الحوادث ولكن كتاب أمير علي يقدم للقارىء صورة من ابدع الصور التي وضعت في تاريخ الاسلام ، ويبذ الكتب الموسوعة بالطرافة ، والحداثة ، وحسن الترتيب ، ودقة التحليل . وفيه يبدو أمير علي المؤرخ المستنير ، والناقد المتمكن ، فيسرد تاريخ الاسلام ودوله في ضوء النظريات الحديثة سواء من حيث الدولة او السياسة ، ويعنى بالناحية الاجتماعية والفكرية، فيقدم عنهما في نهاية كل دولة لمحة قوية ممتعة . وتراه فيما يسرد وينقد يضطرم بروح اسلامي حق لا تشوبه شائبة تعصب او تحامل ، يحمد في مواضع الحمد ويحمل في مواضع الذم . واسلوبه في كل ذلك عذب قوي . وليس من المبالغة ان نقول انه كثيراً ما يسمو الى منافسة جيبون وماكولي خصوصاً في وصف الحوادث العظمى كالحروب الصليبية، وغزو التتار لبغداد ، وسقوط غرناطه، والخلاصة ان مختصر امير علي في تاريخ الدول الاسلامية من انفس ما كتب في هذا الموضوع ، وفي اعتقادنا انه قد وفق اعظم توفيق في ادراك الغاية التي قصدها بوضعه وهي « التعريف بأحدث

(1) Spirit of Islam (2) Ethics of Islam
(3) A Short History of the Saracens

الشعوب التي تركت في العالم آثاراً لا تمحى، والتي ما زالت اوربا الحديثة تتغذى من تراثه »

هذه هي الخدمات الجليلة التي اداها امير علي في سبيل نشر الدعوة الاسلامية والذود عنها بسلاح الحقائق والادلة والمنطق السليم . وقد سبق امير علي وعاصره مستشرقون تجردوا لبحث الاسلام وتاريخه ، وبذلوا في هذا السبيل جهوداً نبيلة مثمرة بلا ريب ، ولكن امير علي يفوقهم جميعاً بكونه قد تحرر من اسباب التحامل التي ترى ماثلة في كثير من مباحثهم ، وادرك روح الاسلام الحقة ، ونفذ الى اعماق العواطف والخلال الاسلامية ، فكان بذلك خير اهل المهمة التي وقف لها تفكيره وبيانه

وكان لسيد امير علي مقامهُ في الزعامة السياسية في الهند . وكان يعمل اثناء الاعوام الطويلة التي سلخها في قضاء الهند وادارتها على تحقيق امنية عزيزة لهُ هي تقدم مواطنيهِ مسلمي الهند سواء من الوجهة المادية او المعنوية ، وقد بذل في ذلك السبيل جهوداً شتى . وكان اعتداله ، وحزمه ، وكفايته ، تمهد لهُ سبيل الترحيب بآرائهِ وجهوده . وكان لهذه الجهود نصيب كبير من الفوز حينما كان عضواً بمجلس التشريع الامبراطوري ما بين سنتي ١٨٨٣ و١٨٨٥ ، على انها لم تحمل ثمرتها العامة الا في عهد اللورد مورلي في سنة ١٩٠٦ حيث رأت الحكومة البريطانية ان تدخل طائفة كبيرة من الاصلاحات الدستورية والتشريعية في حكومة الهند تحقيقاً لاماني المعتدلين وتهدئة للاضطرابات الوطنية التي وقعت يومئذ. على ان أمير علي كان في جهوده السياسية بالنسبة للاسلام دوليًّا أيضاً ، ففي جميع الخطوب التي كانت تدهم الاسلام أو الامم الاسلامية كان صوت أمير علي يرتفع في بريطانيا وفي اوربا . وكان آخر صيحة أرسلها في هذا السبيل نداءهُ المشهور الذي وجههُ ايام الحرب الريفية الى فرنسا ، وناشدها فيه أن تسالم شعباً صغيراً مجاهداً ، فالعالم كله يعرف انها تستطيع سحقهُ بايسر امر ، ولكن التسامح في احترام الاماني القومية لهذا الشعب الصغير الباسل ، يسجل لفرنسا في صحف الفروسية والشهامة ، فكان هذا النداء قطعة مؤثرة من البيان والحكمة التي عرف بهما أمير علي كل حياته

هذه هي صفحة موجزة من حياة هذا المفكر المسلم الكبير وآثاره الجليلة ، ففقده رزء للعالم الاسلامي كله . ولكن للعالم الاسلامي أن يتعزى عن خطبهِ الفادح بما اودعهُ امير علي صفحات آثارهِ الخالدة من عميق حكمتهِ ، وصائب منطقهِ وسحر بيانه

« السياسة » محمد عبد الله عنان

الرئيس المقبل

كيف ينتخب رئيس الولايات المتحدة الاميركية
لتقلد اعظم منصب من مناصب الحكم في العالم

لا يصل هذا الجزء من المقتطف الى ايدي القراء حتى تكون البرقيات العمومية قد وافتنا بنتيجة الانتخابات الاميركية لرآسة الولايات المتحدة. فرأينا ان نثبت فيما يلي طرفاً من سيرة المرشحين هوفر — مرشح الجمهوريين وسمث — مرشح الديمقراطيين ونبذة من طريقة الانتخاب لانها تختلف من طرق الانتخاب في الجمهوريات الاوربية

منصب الرآسة

كلُّ اميركي مولود في الولايات المتحدة الاميركية « واراكِ سائفةً عليك زحام » : يقول في منصب الرآسة ما قاله شوقي في ادرنة . ولا غرو ، فرئيس الولايات المتحدة الاميركية أعظم حاكم متوّج أو غير متوّج في كل انحاء الارض . لم يكن يضاهيهِ في اتساع سلطتهِ الآ امبراطور المانيا قبل الحرب العالمية . فهو الحاكم الفعلي لشعب يبلغ الآن نحو مائة وعشرين مليوناً من الانفس يملكون من اسباب الثروة والعمران ما يفوقون به كلَّ ام الارض جمعاء . ورئيسهم رئيس القوة التنفيذية في الحكومة فهو الذي يبسط للمجلسين النيابيين في رسالتهِ السنوية حالة البلاد من كل وجوهها مشيراً الى الشرائع التي يجدر بالمجلسين ان يعنيا بسنها . وهو الذي يحقُّ لهُ ان ينقض كل تشريع يوافق عليهِ المجلسان الا اذا اعادا النظر فيه مرتين ووافقا بعد اعتراض الرئيس عليه فيبرم حينئذٍ رغماً عن معارضتهِ . وهو قائد الجيش الاعلى واميرال الاسطول الاول . وهو الذي يعين السفراء ويقيلهم ويسيطر بواسطة وزير خارجيتهِ على سياسة بلاده الخارجية وتوجيهها في الجهة التي يراها لازمة . انما لا بدَّ لابرام المعاهدات من موافقة الكنغرس عليها . اما حق اعلان الحرب فيحتفظ به الكنغرس لكن الرئيس بصفته قائد الجيش الاعلى يستطيع ان يشتبك مع العدو في عمل حربي يجعل نشوب الحرب لا مندوحة عنهُ كما حدث في حرب اميركا مع المكسيك سنة ١٨٤٥ — ١٨٤٦

وهو يباشر جميع هذه الاعمال بواسطة جاس وزراء ليسوا وزراء بالمعنى الدستوري

المعروف بل هم سكرتيرون مسؤولون لديهِ فقط عن اعمالهم فهو يعينهم ويقيلهم متى شاء. وهو المسؤول عن اعمالهم لدى السلطة التشريعية. ومع ذلك يتولى كلٌّ هذه الاعمال مدة اربع سنين سواء وافق الكنغرس على خطتهِ ام لم يوافق، ولا يسقط كرئيس وزارة اوربية — في انكلترا او فرنسا مثلاً — عند ما يسحب المجلس النيابي ثقته منه. ولا تمكن اقالته الا بعد محاكمتهِ

كيف ينتخب الرئيس

في الولايات المتحدة حزبان كبيران — حزب الجمهوريين وحزب الديمقراطيين. والاختلاف بينهما الآن يتعذَّر تحديده تحديداً وافياً. فما يقولهُ الحزب الواحد يعارضهُ فيهِ الحزب الآخر مع ان اساس انفصالهما كان مسألة اقتصادية هي الاختلاف على مقدار الضرائب التي تضرب على الواردات. فالجمهوريون يقولون بوجوب ضرب ضرائب كبيرة لحماية الصناعات الاهلية والديمقراطيين يذهبون الى وجوب تخفيض الضرائب اخذاً بمبادئ الاحرار الانكليز الذين يقولون بحرية التجارة. وقد كانا من عهد الرئيس ولسن الى الآن مختلفين على مسألة الانضمام الى جمعية الامم فالديمقراطيون يدعون اليه. والجمهوريون يعارضونهم في ذلك

ولكل حزب من هذين الحزبين الكبيرين لجنة عامة قوامها نفر من ابنائهِ الممتازين يتناولون كلَّ سنة اختيار الرجال البارزين في الحزب وما هو نصيب كلٍّ منهم بالنجاح اذا رشح للرآسة ويضعون القواعد والمبادئ التي يتقدم بها الحزب الى الجمهور واعداً بتحقيقها

وقبل ان يحل موعد الانتخاب (وهو الثلاثاء الذي يلي الاثنين الاول من شهر نوفمبر كل سنة رابعة كبيسة) تدعو هذه اللجنة مندوبي لجان الحزب في الولايات المختلفة الى عقد مؤتمر عام تتلى فيهِ الخطب وتعرض اللجنة بياناً عاماً لخطة الحزب يتناولهُ الخطباء بالنقد والتحليل حتى يستقرّ على وجهٍ ينال اكثرية الاصوات. ثم يتقدم مؤيدو المرشحين المختلفين الى جمهور المندوبين يبينون مزايا مرشحيهم للرآسة ثم تؤخذ الاصوات مرشحاً مرشحاً فاذا نال أحدهم الاكثرية فاز بترشيح الحزب للرآسة. ولكن هذا الترشيح لا يتم عادة بسهولة الا اذا كان احد المرشحين متفوقاً تفوقاً ظاهراً على سائر مزاحميهِ كتفوّق كولدج سنة ١٩٢٤ وتفوّق هوفر هذه السنة والترشيح عن الحزب الديموقراطي اصعب منالاً منهُ عن الحزب الجمهوري لان

قانون هذا الحزب يقضي على المرشح بان ينال ثلثي اصوات المجتمعين في المؤتمر حتى يفوز بالترشيح : وكثيراً ما تتحطم امال المرشحين بالفوز على صخرة هذه القاعدة . وقد حدث مراراً ان مرشحاً كان على قاب قوسين من الفوز او ادنى لا يزال يحتاج الآ الى بضعة اصوات لكي يفوز بالترشيح فلما لم ينلها انقلب التيّار الى رجل آخر انفقت الاحزاب المتضاربة على ترشيحهِ كما حصل في المؤتمر الجمهوري سنة ١٩٢٠ حين رُشّح المستر هاردنغ وفي المؤتمر الدمقراطي سنة ١٩٢٤ فان اعضاءهُ اقترعوا ما يزيد على مائة اقتراع من غير ان يفوز احد المرشحين الظاهرين — ماكدو وسمث — ومن ثم انقلب التيار وفاز بالترشيح المستر دايفس الذي كان سفيراً لبلادهِ في انكلترا

وبعد الترشيح لمنصب الرآسة يتم الترشيح لمنصب النيابة. وهذا سهل عادة لان منصب النيابة ليس مما تصبو اليهِ النفوس ولم يذكر في تاريخ الولايات المتحدة ان نائباً للرئيس اشتهر في اثناء تقلدهِ لمنصبهِ الا اذا توفي رئيسهُ وحلَّ محلهُ كما حدث لروزفلت وكولدج

وبعد ما يرشح الحزبان من يريدون ترشيحهُ للرآسة يبدأ مريدوهُ وكتاب الصحف التي تؤيدهُ يروّجون لهُ في اجتماعات تعقد ومقالات تحبَّر وصور تنشر واخبار تذاع وقد يجول هو في البلاد يخطب في الجماهير عن كثب وفي وسعهِ الآن ان يخطب في جمهور صغير فتصغي اليهِ البلاد من اقصاها الى اقصاها بواسطة اللاسلكي . وفي خطبهِ يعالج المشكلات التي يعانيها الشعب والوسائل التي يقترحها لحلّها

فاذا جاء يوم الانتخاب المضروب وهو يوم الثلاثاء الذي يلي يوم الاثنين الاول من شهر نوفمبر كما ذكرنا تمَّ الانتخاب العام على المنوال التالي

ليس الانتخاب للرآسة في الولايات المتحدة الاميركية انتخاباً مباشراً ذلك ان الشعب لا يصوّت للرئيس مباشرة بل ينتخب عنهُ مندوبين ثانويين وهؤلاء ينتخبون الرئيس . ولكل ولاية من المندوبين الثانويين قدر ما لها من الممثلين في مجلسي النواب والشيوخ . والقانون ان هؤلاء المندوبين يختارون الرئيس على ما توحي اليهم ضمائرهم وما يقضي بهِ عقلهم . ولكن العرف المتبع الآن أن كلاً من الحزبين في كل ولاية من الولايات يعين مندوبين عنهُ بقدر المندوبين الذين يمثلون الولاية في الكنغرس بعد ما يقطع كل مندوب منهم عهداً بأن ينتخب مرشح الحزب الذي ينتمي اليهِ . وحينئذٍ فلا ينتخب الشعب المندوبين أفراداً بل يصوّت اما لكتلة المندوبين الذين عينهم الحزب

الجمهوري أو لكتلة المندوبين الذين عينهم الحزب الدمقراطي . فانتخاب الرئيس اذاً أصبح بعدّ الولايات التي تقترع لهُ ولكن وزن كل ولاية في التصويت يزداد بازدياد مندوبيها . فلولاية نيويورك ٤٥ صوتاً . ولولاية نيوهمشير ٤ اصوات فقط . ومجموع المندوبين ٥٣١ مندوباً فالفوز بالرآسة يقضي بأن ينال أحد المرشحين ٢٦٦ صوتاً أي يجب ان تقترع لهُ ولايات مجموع مندوبيها ٢٦٦ صوتاً

ولما كان في الولايات المتحدة أحزاب أخرى غير الحزبين الكبيرين ، وكل من هذه الاحزاب يجتمع ويعين مرشحاً عنهُ للرآسة ، وفي وسع أحد هؤلاء المرشحين أن ينال بعض الاصوات الانتخابية ، فقد تنشأ عن ذلك حالة شاذة هي ان لا يفوز أحد مرشحيّ الحزبين الكبيرين بالاصوات التي لا بدّ منها لانتخابهِ وحينئذٍ يصبح تعيين الرئيس في يد الكنغرس . وهذه حالة خُشي من وقوعها سنة ١٩٢٤ لأن الشيخ لافولت زعيم حزب الاحرار ومرشحهم للرآسة كان كثير الاتباع في الولايات الزراعية ولكن كولدج تفوق على مزاحميه وفاز في الانتخاب بأكثرية كبيرة

المرشحان

﴿ سمث ﴾ مرشح الحزب الدمقراطي : خرج الحزب الدمقراطي من الانتخاب الماضي (١٩٢٤) مخذولاً منقسماً على نفسهِ وأشد أعضائهِ نقمة أنصار الحاكم الفرد سمث لأن الحزب لم يرشحهُ عنهُ للرآسة ذهاباً منهم الى أن ذلك الامتناع سببهُ التعصب الديني . فسمث كاثوليكي وسكان جانب كبير من الولايات التي تقف في جانب الدمقراطيين يوم الانتخاب (وهي الولايات الجنوبية) بروتستانت

ولو كان الحاكم سمث رجلاً ليس لهُ من المكانة الشخصية ما يجعلهُ ويجعل انصارهُ اصحاب كلمة نافذة في حزب سياسي كبير لكان امتناع الحزب عن ترشيحهِ سنة ١٩٢٤ كافياً للقضاء على آمالهِ باعتلاء منصة الرآسة . ولكن هذا الرجل المخذول من حزبهِ خاض معركة الانتخاب لمنصب الحاكم في ولاية نيويورك ففاز بهِ على مزاحمهِ الجمهوري ابن روزفلت الشهير مع ان الولاية باسرها وقفت فيما عدا انتخابهُ الى جانب الجمهوريين فكان فوز سمث الديموقراطي في هذا السيل العرم من الانتصارات الجمهورية فوزاً شخصيًّا لهُ لا فوزاً لحزبهِ وكانت اعادة انتخابهِ مرتين لمنصب الحاكم اول حادث من نوعهِ في اميركا مدة قرن كامل وصار لا مندوحة لحزبهِ من أن يرشحهُ للرآسة في هذه السنة او يقضى على الحزب بالانقسام والفناء

وقد صحَّ ما كان ينتظر فرشح سمث عن الحزب الدمقراطي باكثرية كبيرة واملهُ بالدخول الى منصة الرآسة في هذه السنة اكبر من امل اي دمقراطيّ آخر لانهُ لا ريب قادر ان يستميل ولاية نيويورك اليهِ يوم الانتخاب وعدد اصواتها ٤٥ صوتاً واذا فاز بذلك كان فوزهُ هنا كذلك فوزاً لشخصهِ لا للحزب الدمقراطي المضعضع الاحوال الآن

وسمث هذا رجل عصامي ، ويظهر لنا ان صفة العصامية تكاد تكون ملازمة لرؤساء الولايات المتحدة . فقد ولد سمث سنة ١٨٧٣ في الحيّ الشرقي بمدينة نيويورك ونشأ فيهِ وهو حيّ المهاجرين الفقراء كيف جلت فيهِ رأيت آثار الفقر والمرض بادية عليهِ . وكان ابوهُ سائقاً لعربة نقل فتلقى شيئاً من مبادئ الكتابة والقراءة في مدرسة صغيرة هناك ثم اشتغل بائعاً في سوق السمك وكان مشهوراً بين اترابهِ محبوباً منهم . ولما كان في التاسعة عشرة من عمرهِ أُنتخب عضواً في مجلس مدينة نيويورك بعدما رشحهُ لهذا المنصب مندوب « تامني هول » (وهي جمعية سياسية ديمقراطية) في ذلك الحي وجعل يتقلب في مناصب الحكومة في المدينة اولاً والولاية ثانية حتى فاز بمنصب الحاكم سنة ١٩١٨ ثم اعيد انتخابهُ اليهِ ثلاث مرات . وكان في كل ادوارهِ مثالاً للنزاهة والعناية بشؤون الفقراء والمساكين والعمال واصلاح القوانين التي ترعاهم والاهتمام بالاعمال العامة كانشاء الحدائق والمستشفيات واصلاح نظام الحكومة وميزانيتها . وكان من اشد انصار المرأة فدعا سنة ١٩١٩ مجلس الولاية النيابي لابرام التعديل الذي ادخل على دستور الولايات المتحدة القاضي بمنح المرأة كل الحقوق السياسية اسوة بالرجل

واكبر ما يعترض عليهِ في تقدمهِ للانتخاب هو انهُ معارض لقانون « منع المسكرات » ولما كان جانب كبير من اعضاء الحزب الدمقراطي في طول البلاد وعرضها محبذاً لهذا القانون فيخشى على سمث منهم اذا حملهم ذلك على الاقتراع مع مرشح الجمهوريين . على ان الانصاف يقضي علينا بان نقول بان سمث ليس ثائراً على القانون ولكنهُ يعتقد انهُ غير صالح للشعب الاميركي وانهُ اذا فاز بمنصب الرآسة بذل ما في وسعهِ لتعديلهِ على طريقة تكفل جني الفوائد التي يسعى وراءها دعاة المنع . ومن يعرف نظام الحكومة في الولايات المتحدة الاميركية يعلم مبلغ الصعوبة التي يلقاها رئيس مهما كان نافذ الكلمة في مجلسي الشيوخ والنواب اذا شاء تعديل مادة اساسية من مواد الدستور . فسمث رجل حرّ النزعة صريح القول يقول بشجاعة وصراحة

ان القانون كما هو الآن لا يأتي بالفائدة المطلوبة ولا يخاف في سبيل قوله هذا خسارة اصوات كثيرة يوم الانتخاب . فهو يؤثر ان يبقى محترماً نفسهُ ولو خسر الرآسة من ان يفوز بها وهو يدري انهُ مراء لا يصرح بما يعتقد

والاعتراض الثاني عليهِ هو انهُ كاثوليكي . واذا فاز بالرآسة كان اول كاثوليكي نزل في البيت الابيض . ولكنَّ الاعتراض على سمث بانهُ كاثوليكي يحط من كرامة العقلاء الاميركيين لا من كرامة سمث اذ اي دخل لمذهب الرجل الديني في كفاءتهِ الادارية والاصلاحية . اضف الى ذلك ان للكاثوليك اثراً كبيراً في استعمار الولايات الاميركية القديمة كما لغيرهم من المسيحيين. فقد كان الذين استعمروا ولاية ماريلند كاثوليكاً كما كان الذين استعمروا ولاية ماستشوستس من مذهب «البيورتان» .وحقُّ الوصول الى منصب الرآسة ليس موقوفاً على ابناء مذهب خاص في دستور الولايات المتحدة الاميركية فالاعتراض على سمث لانهُ كاثوليكي نقض لكل المبادىء السامية والتقاليد المجيدة التي نشأت عليها الدمقراطية الاميركية

اما الخوف من سيطرة الفاتيكان على سياسة الولايات المتحدة لان الرئيس كاثوليكي فيقوم على جهل مطبق بقواعد السياسة الدولية ولا متسع لدينا للتبسط فيهِ

«هوفر» مرشح الحزب الجمهوري: وهوفر كخصمهِ الحاكم سمث رجل عصاميٌّ أيضاً . وُلد من والدين فقيرين سنة ١٨٧٤ وتوفي ابوهُ قبل ان يبلغ الرابعة من عمرهِ وماتت امهُ قبلما بلغ السابعة فعني بامره جماعة من اقربائهِ من فلاحي ايوى واوريغون (وهما من ولايات اميركا الغربية) .وخاض معترك العمل في الثالثة عشرة من عمرهِ يدأب ويكدح في النهار ويحضر مدرسة ليلية في الليل حتى استعدَّ لدخول الجامعة . ولما دخلها ظل يشتغل في ساعات فراغهِ ليقوم بنفقاتهِ فيها . وتخصص في العلوم الهندسية وبعد تخرجهِ منها سنة ١٨٩٥ اشتغل بهندسة المناجم في ولاية اميركا الغربية واستراليا وبرما وشغل منصب مهندس خاص لمصلحة المناجم في الصين بين سنة ١٨٩٨ — ١٩٠٠ فجنى من اعمالهِ هذا ثروة كبيرة وذاعت شهرتهُ كمهندس في انحاء العالم وكان في سنة ١٩١٤ لما انتهت سيرته كمهندس قد اشترك في انشاء شركات لتعدين المناجم عدد عمالها ١٧٥ الفاً

كان في لندن لما نشبت الحرب الكبرى فعرف ان آلافاً من الاميركيين فصلوا لدى اعلان الحرب عن اهلهم وموارد رزقهم فالّف لجنة تمدهم بالمال وسهل لهم سبل

الرجوع الى وطنهم فنجح في ذلك نجاحاً باهراً لم يضع لهُ فلس واحد مما اقرضهُ ومهّد لمائة الف اميركي كانوا منتشرين في بلدان اوربا سبيل الرجوع الى وطنهم

ولما غزت جيوش الالمان بلاد البلجيك غدا ألوف من ابنائها لا يملكون دوراً يأوون اليها ولا قوتاً يتبلغون بهِ . فأنشئت لجنة لاغاثتهم وجعل هوڤر رئيسها . ثم اتسع نطاق أعمالها حتى شملت ولايات فرنسا الشمالية. وقد وزّعت هذه اللجنة من المواد الغذائية ما قيمتهُ نحو مائتي مليون جنيه واستعملت لذلك نحو مائتي باخرة أغاثت بها نحو عشرة ملايين نسمة . وهو عمل يحتاج الى نظام دقيق في توزيع الطعام حتى لا يصل الاّ الى المحتاجين اليهِ . وقد عرف ملك البلجيك لهوڤر هذه اليد فأنشأ لهُ لقباً خاصاً قلّدهُ إياه وهو : « ابن الامة البلجيكية وصديق الشعب البلجيكي »

ويقال أنهُ ما شرعت هذه اللجنة في القيام بعملها الانساني حتى ورد على هوڤر نبأ بأن الحلفاء غير راضين عنها لأن رجالهم يذهبون الى أن القانون الدولي يلقي على المانيا تبعة العناية بالشعب البلجيكي . وانهُ اذا فعل الالمان ذلك نقصت المواد الغذائية عندهم وأضعفهم ذلك عن متابعة الحرب . فردّت المانيا على ذلك بأن القانون الدولي لا يلزمها بشيء من هذا القبيل . وظهر لهوڤر ان الضربة واقعة على الشعب البلجيكي اذا طال هذا الحوار العقيم بين الحلفاء والالمان . فزار كلَّ عضو من اعضاء الوزارة البريطانية يستعطفهم باسم الانسانية ليسمحوا للجنته باتمام عملها فأجابهُ كتشنر وكان لا يزال وزير الحربية مبيناً الضرورة الحربية التي تقضي بذلك . وكان جواب الآخرين واحداً في أساسهِ : « قد تموت البلجيك جوعاً ولكن لا مفرّ لنا من اتباع هذه الخطة »

ولما عيل صبر هوڤر ذهب الى لويد جورج وكان وزير المالية فبسط له ما يكون اثر هذا العمل الوحشي في الولايات المتحدة وكيف قد يكون من شأنهِ انقلاب الرأي العام الاميركي على الحلفاء . ومما قالهُ لهُ ان بريطانيا تقول انها خاضت غمار الحرب لتحمي حمى البلجيك . والاميركيون يعتقدون ان هذا هو غرض الحلفاء من خوض غمار الحرب . فأية فجيعة يشهدها الناس اذا انتهت الحرب بفوز الحلفاء وهلاك الشعب البلجيكي ! فنظر اليهِ لويد جورج وعيناهُ مغرورقتان بالدموع قائلاً « انك على حق » ووعده بأنهُ يبذل نفوذهُ

وليس لدينا متسع نبسط فيهِ اعمال هوڤر في اغاثة الجائعين من ابناء روسيا واوربا الوسطى بعد الحرب وكيف جمع لذلك الملايين من ابناء بلادهِ ليحسن بها

وكيف تولى ادارة مصلحة الغذاء في اميركا حين خاضت بلاده غمار الحرب فكان من اثره في كل عمل تولاه اصلاحه وضبطه بدقة المهندس واحسان لمستحق الاحسان

ولما وضعت الحرب اوزارها عاد الى اميركا ولسان حاله يقول « لقد تعلمت كيف تجمع الثروة ولا يهمني ذلك الآن لاني اريد ان انفق باقي حياتي في خدمة بلادي » . وبقي هنيهة متردداً الى اي الحزبين ينضم وكلا الحزبين فاتح له ذراعيه لان اسمه ومكانته فخر لكل حزب ينتمي اليه . واخيراً انضم الى حزب الجمهوريين وعيّن وزيراً للتجارة في رآستي هاردنغ وكولدج فرفع هذه الوزارة من مكانها الوضيع بين الوزارات واصلحها ونظم اعمالها وأشرف منها في السنة الماضية على اغاثة الاميركيين الذين طغا عليهم فيضان المسيسبي فازداد اسمه ذيوعاً وصار ينظر اليه بحق خلفاً لكولدج في زعامة الجمهوريين حين اعلن هذا في الصيف الماضي انه لا ينوي التقدم للرآسة

على ان رجال لجنة الحزب ظلّوا متخوفين من هوڤر لانه حازم مستقل الرأي وهؤلاء يريدون عادة رجلا يستطيعون ان يديروه كما يشاؤون ولكن فوزه جاء حاسماً لان الشعب الاميركي يؤيده

***

فما تقدم يثبت لنا ان هوڤر يختلف عن سمث في انه لم يخض معترك السياسة كما خاضه سمث فعرف مداخله ومخارجه. ويقول عارفوه انه اذا وقف للخطابة في جمهور كان اشبه شيء بتلميذ تعلم خطاباً وجاء يتلوه . وانه في ذلك نقيض خصمه الذي يصح فيه وصف المتنبي حيث يقول :

فكأنها نتجت قياماً تحتهم وكأنهم ولدوا على صهواتها

فسمث يفرح بمنازلة خصومه على مرأى من الجمهور لانه قوي الحجة سريع الخاطر في الجدال السياسي وهذا كثيراً ما يستهوي الجماهير. ولكن هوڤر يتفوق على سمث في ان استعداده لمعالجة مشكلات بلاده في هذا العصر — واكثرها صناعي اقتصادي — اعظم من استعداد خصمه كما أنه يفوقه في ما له من الشهرة الذائعة في بلاده وفي بلدان اوربا بسبب اعمال الاحسان والاغاثة التي تولاها . ولذلك نرجح له الفوز في الانتخاب القادم مع اننا نتمنى انتخاب سمث ليقضي الاميركيون بانتخابه على ما يُرمَون به من أنهم متعصبون ضده لانه كاثوليكي

القطب الجنوبي بعد القطب الشمالي

صورة الغلاف

يرى القارئ على غلاف المقتطف هذا الشهر صورة طيارة اميركية محلقة فوق قطع طافية من الجليد . هذه هي طيارة الكومندر برد الاميركي التي طار بها الى القطب الشمالي فبلغهُ في ٩ مايو سنة ١٩٢٦ فكان اول انسان وصل الى احد القطبين عن طريق الجوّ . وهو يعدُّ معداتهِ الآن للقيام برحلة كبيرة الى القطب الجنوبي وما يحيط بهِ من الاصقاع المتجمدة . وسيشترك معهُ في هذه الرحلة خمسة وسبعون من الشجعان من علماء وروّاد فيسافرون في باخرة تدعى « لارسن » الى بحر روس على طرف الريف الجليدي كما ترى في الصورة المقابلة وينشئون هناك محطتهم الاساسية . ثم ينشئون بينها وبين القطب الجنوبي خمس محطات صغيرة المسافة بين المحطة الواحدة والاخرى منها مائة ميل . ويضعون فيها طعاماً ووقوداً وما يلزم لاصلاح الطيارات حتى اذا اضطرت احدى طياراتهم ان تنزل على الجليد وجدوا على مقربة من مكان نزولها ما يأكلونهُ وما يستطيعون اصلاح الطيارة بهِ . ويصحبون معهم ثلاث طيارات احداها كبيرة لها ثلاثة محركات واثنتان خفيفتان كلٌّ منها مثل الطيارة التي استقلها لندبرغ من نيويورك الى باريس . فيطيرون من هذه المحطات الى مجاهل الاصقاع المتجمدة . ومتى سنحت لهم الفرصة طاروا بالطيارة الكبيرة الى القطب واذا تمكنوا نزلوا عليهِ لتدوين الارصاد الجوية . ولكن المصاعب التي تعترضهم في هذا الجانب من الرحلة كبيرة جداً لان القطب الجنوبي في مرتفع من الارض والجليد يعلو نحو ميلين عن سطح البحر فالهواء هناك لطيف تحتاج معهُ الطيارة الى قوة كبيرة للصعود في الجوّ بعد نزولها الى الارض . يضاف الى ذلك ان ما تحملهُ من البنزين والمعدات قد يعيقها عن النهوض لثقلهِ

فاذا تمَّ هذا الوجه من الرحلة على ما يرام حاول بعض رجال البعثة ان يخترقوا الاصقاع المتجمدة من محطتهم على بحر روس الى محطة اخرى يقيمونها على بحر ودل وقد صنعت لهم آلة لاسلكية يستطيعون ان يبقوا متصلين بها بالعالم المتمدن في اثناء رحلتهم التي تستغرق اكثر من سنة . فالوصول الى القطب الجنوبي غرض واحد من اغراض رحلة علمية يتعرض رجالها لضروب المخاطر حتى يوسعوا نطاق المعارف الجغرافية فتكمل سيطرة الانسان على الارض باقتحام الاصقاع المتجمدة الجنوبية وسلبها اسرارها

خواطر في اللغة

بين التقليد والفوضى

أنسلّم قيادنا لبداهة الفطرة ؟

قلب الهمزة

الهاء والهمزة تتبدَّل احداهما من الاخرى قال المتنبيّ

لَهِنَّكِ اولى لائمٍ بملامةٍ واحوج ممَّن تعذلين الى العذل

وكثيرون من عشائر العلويين في شمالي سوريا يقولون هِنْتْ وهِنْتِ اي إنتْ وإنتِ . بل سمعت من بعض العارفين الذين يُرْكَن الى ما يقولون انهُ يغلب على ألسنة كثيرين من اهل المدن الانكليزيَّة والاميركانيَّة قولهم — إيْ إزْ — اي هِيِ إزْ He is . وإزْ بوك اي هِزْ بوك His book

ويقولون وهو الشائع الآن على الالسنة في كل الاقطار العربيَّة وكان شائعاً كذلك في ايام سيبويه — كتابو وكتابا . و نظرتو وَنظَرْتا — اي كتابُهُو وكتابُها و نظرتُهو ونظرتُها وهلمَّ جرًّا

والهمزة تتبدَّل حرف علَّة واواً او ياءً او تُلَيَّن الفاً وبالعكس اذن فالحروف الخمسة هذه تتبدَّل بعضها مع بعض . وتبدُّلها انَّما هو للخفَّة وحسن الوقع في السمع فيُعْدَل اليهِ اذن وفقاً لبداهة الفطرة فانَّها هي الحاكمة في خفَّة اللفظ وحسن وقعهِ في السمع

وتُعرَف بداهة الفطرة بما يغلب على الالسنة بحيث يكون هذا تكون تلك وهي اذا لم يشوِّشها مشوِّش تسوق المتكلّم بطبعها الى الخفَّة وحسن الوقع في السمع كما انَّها تُلْزِمُهُ ايضاً البقاء على الاصل حيث العدول عنهُ يؤدي الى اللبس

ومن الامثلة على ما مرَّ اسم الفاعل الثلاثيّ من الاجوف كقائل وبائع وخائف ودائن وصائل الخ من قال وباع وخاف ودان وصال فانَّ حرف العِلَّة قُلِب في الجميع همزة . وبيانهُ — قياس اسم الفاعل من الثلاثي هو فاعل بزيادة الف قبل عين الفعل مكسورة ولما كانت عين الاجوف الفاً لا تقبل الحركة قُلِبتْ ياءً في الجميع ثم قُلِبتْ الياء همزة . ويجوز ان نقول إنَّ الالف التي هي عين الفِعل تُقلَب همزة رأساً لتُكْسَر وفقاً للقياس الذي رسخ مع الاجيال

قلت اولاً . ان عين الفعل قُلِبت ياء في الجميع وحملني على القول بذلك أنّ الياء يسهل كسرها غالباً اكثر من الواو وشاهدنا الحسّ فانّ « قايل » لا يرتاب لافظ لم يشوش عليه حكمهُ مشوّش اخف شيئاً على اللسان واسهل في السمع من « قاوِل » وامّا قايل وقائل فقلّما يُشعَر بفرقٍ بينهما في الخفّة كما يُخيّل اليّ ولذلك فبعضهم ممّن يحبّون ليونة اللفظ يجيئون بالياء ولكنّ بعضهم يفضّلون الهمز مع الكسرة لانّها اخفّ على ما اتخيّل واشهى لفظاً عند من يحسنون لفظ حروف الحلق ويحبّون النبرة التي فيها

ويُمكننا ان نحصل ممّا مرّ ضابطاً عمومياً شاملاً وهو أنّ حرف العلة بعد الفٍ وقبل حرفٍ متطرّفٍ او في حكم المتطرف حكمهُ حكم اسم الفاعل من الاجوف يجوز قلبهُ همزةً او إبقاؤهُ على الاصل ويُشترَك فيه الامر لبداهة الفطرة تقلبُ او تبقِي على الاصل اذ لم تجد داعي للقلب ادّى بها هذا الى اللبس فتقول من قال وصان وخاف مثلاً قايل وصاين وخايف او بالهمزة ولم يَرِد قاوِل ولا صاوِن ولا خاوِف ولا مَنْ يتكلم بها الآن ايضاً . ومثل ذلك منايِر وسفايِر او منائر ومغائر ومع أنّي ارى التليين فيها اخف على لساني واشهى في سمعي مع ذلك لا أخطّىء من يقول بالهمز حتّى ولا مَنْ يقول مغاوِر بالبقاء على الاصل المدلول عليه بمضارع الفعل كما يقولون

وقالوا في عَجُوز عجائز ولم يرِد عجاوِز ولا من يتكلّم به الآن ولكنّهم قالوا في جَدْوَل جداول وفي مفازة مفاوز لم يرد غير ذلك ولا من يتكلّم الآن بخلافه . فانظر الى دقّة نظر بداهة الفطرة وصحة احكامها ولا تخف من فوضى الالسنة التي يهوّل بعضهم علينا وعلى انفسهم بها . ومثل جدول ومفازة مِقوَد او مقادة ومروحة فانهُ نُقل فيها مقاود ومراوح ولا يتكلّم احد فيها بالهمز بل انت اذا اردت همز الواو او قلبها ياء تعاصت عليك وعصاك لسان البداهة فاركن اليها اذن ولا تخف ان تضلّ بها عن سواء السبيل !

ما يجوز ان يلحق بهذا الباب

مما يجوز ان يلحق بهذا الباب قلب حرف العلة (الواو والياء) في الابتداء همزة وهو قليل . ولم اعثر لهُ على صورة الاّ في باب « وكَدَ » فانهم قالوا في جميع صوره بالهمزة تارةً وبالواو تارةً فقالوا وكد واكد ووكّد واكّد وتوكّد وتأكّد وتوكيد وتأكيد . وقالوا أيس ويئس وآيس ويائس . وقالوا أكاف ووُكاف ووكف وأكف

وآكل وواكل وواسى وآسى وأهبان ووهبان . وأكنة ووكنة . لكن قالوا في « واكل » انها لغة ردية . وكذلك قالوا في تأكيد ولم يعللوا عن ذلك . وعندي ان هذا العدول هو « كما قلنا مراراً » جائز لا واجب ويعتبر اي العدول عن الهمزة الى حرف العلة وبالعكس لغة فصيحة اذا ظهرت خفتهُ وحسن وقعهِ في السمع اكثر من المعدول عنهُ والاَّ فهو لغة ردية كآكل وواكل وتوكيد وتأكيد

وفي هذا الباب ما يستحق النظر اليهِ وهو انهم لم ينقلوا وكلَ في أكل ولا العكس ولكنهم نقلوا « واكل » في « آكل » والسبب في ذلك بداهة الفطرة فانها لا تعدل عن الاصل اذا ادَّى العدول الى الالتباس مهما كان اللفظ المعدول اليهِ اخفَّ على اللسان او اشهى في السمع . ولهذا لم يعدلوا الى الابدال في مجرد مهموز الفاء ولا الى الهمز في المثال الاَّ نادراً لان في العدول التباساً . على انهم لما قامت القرينة الواضحة في وجه الالتباس عدلوا اليهِ فقالوا « وكلَ ويتاهُ » اي أكل. « ووكّلوني وياهم بالرغم عني » اي حملوني على الاكل

فان قيل هذا لم ينقل قلت يكفي ان معظم اهل القطر المصري يقولونهُ مسلموهم واقباطهم . ومن ينكر هذا الاجماع ويحتج على عدم صحتهِ بانهُ لم ينقل في الفيروزبادي ولا في الصحاح او اللسان فلا اقول فيهِ الاَّ انهُ من الذين يزعمون ان العربية دون غيرها من سائر اللغات وجدت منذ القدم على ما هي عليهِ او كانت عليهِ في ايام الرشيد والمأمون وان الاعراب من العرب خصوا بفصاحتها وبلاغتها هم وعبيدهم وآماؤهم من الزنوج فلا الفاظ الاَّ الفاظهم ولا تركيب الاَّ تركيبهم ولا معاني الاَّ معانيهم وان مواليهم الذين اشتغلوا بتدوين اللغة من الفرس والروم والسريان ووضع قواعدها وضوابطها هم من العصمة في حرز حريز

واغرب من ذلك ان هؤلاء الزاعمين هذه المزاعم التي اشرنا اليها ينكرون على من يستشهد بابي تمام او البحتري او المتنبي فيما لا يوافق ما يزعمون انهُ جاء عن نصيب[1]

---

(١) نقل المبرد في كامله عن نصيب انه كان يستعمل اللفظة ولا يعرف معناها وانما سمعهم يستعملونها فاستعملها . وكان عبد بني الحسحاس لا يحسن ان يقيم كثيراً من الحروف الهجائية كالضاد والحاء . ومتى كان اجلاف الاعراب اهل فصاحة وبلاغة يتقدمون فيهما على اهل العلم والادب من الحضر. ولكن الفتوحات الاسلامية العربية جعلت لهم مكاناً في عالم الوجود لانهم كانوا جنودها وهذا بحث لا مجال للخوض فيه الآن

مثلاً او امة بني فلان ويكبرون وايما اكبار فعلة من يجعل ابن عابدين مثلاً سلالة بيت الفصاحة والبلاغة وعلامة جيلهِ غير منازع موضع ثقة في اللغة ويقدرون ما جاء في مؤلفاتهِ قدر ما جاء في كلام نصيب وعبد بني الحسحاس الالكن او قدر ما جاء في مؤلفات الجاحظ المولى الشعوبي وابن المقفع الدهقان الفارسي . فيا لله من منطقنا وما يفعلهُ فينا التقليد

قلب حرف العلة همزة

ومن هذا الباب قلب حرف العلة همزة وهو كثير الاَّ انهُ غير واجب انما بداهة الفطرة تتلاعب فيهِ بحسب توهماتها وتبعاً لاختلاف الاشخاص او العشائر والاسر فمنهم من يستحسن النبرة في الهمزة ومنهم من يفضّل نعومة حرف المد عليها فيقال رأس وراس وبئر وبير وبؤس وبوس وسؤال وسوال ورئبال وريبال وقارئ وقاري .وقد اكثر صرفيونا من الكلام في هذا القلب وفي كتابة الهمزة بما اوجب العلامة نصر الهوريني أن يضع رسالتهُ المشهورة بل كتابه للمطابع المصرية اقتصر فيهِ على البحث عن رسم الهمزة فكان هذا البحث مثل بحث الالمان عن ال تعريفهم « كما سمعت » ان لم يزد عليها في الطول وسرعة النسيان. والبحث كلهُ يغني عنهُ في اعتقادي بداهة الفطرة اذا استرشدنا بها فكتبنا الهمزة بصورة الحرف الذي تليّن بهِ الاَّ في مثل قرآة [1] واضآة اي بالمدة على الالف ويغني عن المدة صورة العين المقطوعة بعد الالف كما ترى في إضاءة . فاذا وقعت طرفاً بعد ساكن صحيح كضوء وعبء رسمت كما ترى في اللفظين المارين ولا كرسيَّ لها كتلك التي في قراءة وإضاءة

ما ينسلك في هذا السلك ايضاً

ينسلك في سلك قلب الهمزة واواً او ياءً وبالعكس اي قلب الواو او الياء همزة وقلب الواو ياءً او الياء واواً في جمع المذكر السالم والملحق بهِ كبنون وبنين وسنون وسنين ومُؤمنون ومؤمنين . والشعرآء يعتبرون المدَّ قبل الحرف الاخير من القافية إن بالواو او بالياء واحداً قال اليشكري :

---

(١) قرآة واضآة رسمها في الاصل عند الكتاب هكذا — قرأة واضأة وهذه الصورة لا التباس في قراءتها ولا تكلف او تعسف الا انهم عادوا فجعلوا الهمزة فوق الالف مدوها عليها مداً افقياً فصارت صورتها كما كتبناها ابتداء اي قرآة واضآة ولم يكتف الكتاب بها تين الصورتين بل زادوا صورة ثالثة اي قرآءة واضآءة فاختر اي الاشكال الثلاثة اردت

فدنت وقالت يامنخّل ما بجسمك من حَرُوْرِ
ما شفّ جسمي غيرُ حُبّك فاهدأي عني وسيْري

وقال ابو الطيب المتنبّي :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلُوْبِ
اين المعيز من الارام ناظرةً وغير ناظرةٍ في الحُسْن والطِيْبِ

وهو اكثر من الكثير

ومثل الواو والنون والياء والنون في جمع المذكّر السالم الالف والنون والياء والنون في المثنى . فانّ الغالب على الالسنة اليوم هو الذي كان يغلب عليها فيما مضى اي انّ بعضهم كانوا يلزمون الالف وآخرون يلزمون الياء وآخرون يقولون بالالف تارةً وبالياء تارةً يعتمدون على بداهة فطرتهم فيعدلون الى ما يرونهُ اخفَّ على اللسان او اشهى في السمع

وهكذا اظنُّ كان الحال في جمع المذكر السالم وان لم يَنقُل الينا الاشياخُ الذين اخذنا عنهم او وصلتنا كتاباتهم مذهباً في ذلك كما نقلوهُ في المثنى . الاّ انّا لا نعدم الدلائل التي تدلُّ عليهِ ومنها انهم نقلوا في الاعلام التي الحقوها بجمع المذكر السالم كفِلِسْطِين وقِنّسرِين اللغات الثلاث على ما في المثنى اي التزام الواو او التزام الياء او التخليط وفقاً لما يتوهّمون من الخفّة وحسن الوقع في السمع

ومنها كذلك ما ورد على مثال قولنا وكانوا هم الظالمون تارةً اوالظالمين تارة اخرى . وامّا قولهم انهم حسبوا « الظالمون » خبراً عن ضمير الفصل والجملة خبراً عن كان في مثل الصورة الاولى وحسبوا ضمير الفصل زائداً والظالمين خبراً عن كان في مثل الصورة الثانية فمن باب الترقيع الذي لا يغني عن الحقيقة ولا يقبلهُ الاّ المأخوذ بحُمّاه

ومنها مثل قول القائِل ونقلهُ المبرّد في كاملهِ

إن كنت كارهةً معيشتنا هاتا فحُلّي في بني بَدْرِ
الضاربين لدى اعنّتهم والطاعنين وخيلهم تجري

ويروى البيت بالواو والنون ايضاً اي الضاربون والطاعنون . وقال آخر

لا يَبْعَدن قومي الذين هُمُ سمُّ العداة وآفة الجُزْرِ
النازلين بكل معتركٍ والطيّبين معاقد الأُزْرِ

وكأنّي رأيت البيت الثاني يروى هكذا ايضاً

النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأُزرِ

والتستر في مثل الامثلة التي ذكرناها بالقطع الى الرفع او النصب هو ايضاً من قبيل الترقيع فيا لله منهُ ومن استمرارنا عليهِ . ولا يسعني الوقت ان ابيّن فساد هـذا الترقيع ببيان فساد الاركان التي بُنيَ عليها . وإتماماً لهذا البحث لا بد لي من الملاحظة الآتية وهي ان فتح نون جمع المذكر السالم اخفُّ على اللسان من كسرها وكسرها بعد الف المثنى اخفُّ عليهِ من فتحها بشهادة الحسّ التي لا تُدفع والتي هي المرجع الاخير الذي لا يحتاج الى اقامة برهان او دليل . على انهم لمَّا احتاجوا الى الكسر في الجمع كسروا وعليه قول الشاعر

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حدَّ الاربعينِ

اخو خمسين مجتمعٌ اشدّي ونجد في مداورة الشُّؤونِ

ولما احتاجوا الى الفتح مع المثنى فتحوا قال الشاعر

اعرفُ منها الجيد والعَينانا ومِنخَرين إشبها ظبيانا

وظبيان علم لبعضهم ولعلَّ المشار اليهِ هنا هو احد فُتّاكهم ايام عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير

على انَّ كسر النون مع الياء اخفُّ على اللسان منهُ مع الواو . قال احد ادباء الريحانه —

ما نافعي إنْ كان ليس بنافعي جاه الصبا وشفاعةُ العشرينِ

فليعرض شاكٌّ الامر على ... ـه وليحكم . ولا شك انَّ الذين استشهدنا بهم قد انساقوا الى ما قالوهُ بدافع الفطرة وكانوا من اشهر فصحاء زمانهم ولا يزال هذا الدافع هو المؤثر العامل كما كان قديماً انما تعاصى عليهِ مقلدو اعاجم الموالي الذين اشتغلوا بوضع قواعد اللغة وكانوا في زمانهم العلماء الاعلام في نظر اهل الدولة من الجند والاعيان وسائر اتباعهم ولكن علمهم ولاسيما في وضع قواعد اللغة كان على ما صرنا نعلم ما هو ويكفينا في ذلك ان ننظر في تعليلات القوم التي اصبحت مضرب مثل في سخافتها وفسادها

يقول بعضهم انا لو سلمنا قيادنا الى بداهة الفطرة فقلنا في جمع المذكر السالم والملحق بهِ ما توحيهِ الينا هذه اختلط الحابل بالنابل وفاتنا سهولة الفهم ان لم نقل امتنع . قلت هذا مجرَّد وهم والواقع يعارضهُ وينقضهُ . فهذه مركبات الاعداد بين العشرة

والعشرين فانها من ثلاث عشرة او ثلاثة عشر الى التسع عشرة تلزم صورة واحدة في كل حالاتها الاعرابية كما قالوا ولكنهم اضطروا اي النحاة مجاراةً للمتكلمين ان يجوّزوا فيها بناء الجزءين على الفتح واعراب الاول مضافاً او ابقاءه مبنيا وإعراب الثاني وتنوينه تبعاً لما كان يتبادر الى الالسنة او وفقاً للحاجة ومع ذلك لم يختلط حابل بنابل ولا اختلّ الفهم على احدٍ ولا تعسّر عليه. ومن يتوقّف في فهم ما لو قلنا « عندي عشرين كتاباً » او يرى فرقاً في سهولته بين الصورتين — عندي عشرون كتاباً . وعندي عشرين كتاباً . ؟ او ماذا يقول المتخوّف المتابع في قول من استشهدنا به او بها قبيل الآن ويحسبهُ المبرّد من افصح من يستشهد بكلامهم

لا يَبْعَدَن قومي الذين هم سمّ العداة وآفة الجزْرِ
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأُزْرِ

فانهُ قال النازلين ثم عطف عليها فقال والطيبون أليس انتقالهُ من الياء والنون الى الواو والنون هو من باب انتقالنا الآن ببداهة الفطرة الى الاخف وعند التساوي او القرب من التساوي الى ما يسبق الى اللسان ؟ ومن يتوقف في الفهم الى ان يفطن الى الترقيع الذي رقعهُ القوم وسموهُ القطع الى الرفع او النصب في مثل قولهم مررت بزيدٍ الكريمُ او الكريمَ او الى التعليل الذي عللوهُ في الآية — (انّ الذين آمنوا والذين هادُوا والصّابئون والنّصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعملَ صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون) ومن بابه قول الشاعر

ومَن يكُ امسى بالمدينة رحلهُ فأنّي وقيّار بها لغريب

ابعدنا النجعة . وانما فعلنا ذلك لنبين للمتأمل ان علامات الاعراب غير ضرورية في الاعراب وانّ الذين سبقونا في الجاهلية والاسلام كانوا يجرون وفقاً لمقتضى بداهة فطرتهم كما يجري عموم المتكلمين منا الآن اي قلما يعرفون اواخر الكلمة الا في الشعر . وفي الشعر ايضاً كانوا يتركون الاعراب احياناً ولا يزال كثيرون من كبار شعرائنا الآخذين بهذا التقليد خلفاً عن سلف يقفون على اواخر اغلب كلماتهم في الحشو حيث يستقيم معهم الوزن امّا بطبيعة الكلمة او بطريقة تلاوتهم وقد سمعت امير شعرائنا الحاضرين وشاعر القطرين والرصافي شاعر العراق يجرون مع هذا التقليد المحفوظ عند اكابرهم الى اليوم. فليفتكر مفكّر قبل ان يقيم عليّ النكير فيما اعتمدت بيانهُ وتذكير اهل الفكرة والروية به

جبر ضومط

هل العالم الجديد مهد العمران ؟

وهل حضارة المايا اقدم من حضارة مصر ؟

هل قارتا اميركا الشمالية والجنوبية والبلاد التي تصل بينهما وتعرف باميركا المتوسطة والعالم الجديد على ما يقول الجغرافيون — هل هما لدى التحقيق العالم القديم حيث نشأ الانسان اولاً وانشأ حضارة امتدت آثارها فيما بعدُ الى انحاء المعمور ؟

لقد كشف البحث في الشهور الاخيرة عن اربعة مكتشفات اثرية خطيرة ايدت الرأي القائل بان الانسان وصل الى هاتين القارتين وهو لا يزال على حالته الفطرية الاولى الوفاً من السنين قبل زمن التاريخ المدوّن ان لم يكن قد نشأ فيهما اولاً ومنها انتشر في اقطار الارض

فقد عثر الباحثون الاثريون ببلدة فيرو من اعمال ولاية فلوريدا الاميركية على عظام بشرية واسلحة وادوات في طبقة من الارض قديمة جداً كما يدلُّ على ذلك ما وُجد فيها من عظام حيوان المموث الذي انقرضت آثارهُ منذ آلاف السنين. ووجد جمهور آخر من الباحثين في ولايات كولورادو وتكساس ونيومكسيكو رؤوس سهام اتقن صنعاً من رؤوس السهام التي كان الهنود الحمر يستعملونها حين وصول البيض الى اميركا . وقد كانت هذه الرؤوس مع عظام نوعٍ من الجاموس انقرض منذ زمن بعيد. ثم عثرت جماعة اخرى في بلدة فردريك من ولاية اوكلاهوما على رؤوس سهام وخمس قطع من الحجر كانت تستعمل لطحن الحنطة وصنع الدقيق منها وكان فوق هذه الآثار طبقة تحتوي على بقايا حيوانات المموث المنقرضة . وقد شاهد الدكتور هرولد كوك الامين الفخري لمتحف الآثار المتحجرة بكولورادو هذه الآثار قبل اخراجها من الارض التي وجدت فيها فقال انهُ لا يرتاب مطلقاً في ان هذه الآثار البشرية معاصرة للحيوانات المنقرضة التي وجدت مع بقاياها . فلما نظر العلماء في مدلول هذه المكتشفات الاربعة اثارت فيهم من جديد الرغبة في البحث عن اصول حضارة المايا في اميركا المتوسطة وحضارة الانكس في اميركا الجنوبية. ويعتقد الدكتور جرجوري مايسن مدير احدى البعثات الاميركية التي تنقب في اميركا المتوسطة كما يعتقد غيرهُ من المطلعين على الآثار التي وجدت هناك ان حضارة اميركا القديمة قديمة كحضارة مصر او اقدم منها وانها تفوقها من وجوهٍ كثيرة

ان معارف المصريين القدماء الرياضية والفلكية مضرب المثل. ولكن البحث الحديث في اميركا المتوسطة اثبت أن شعوب المايا كانوا يفوقون المصريين في المعارف الرياضية والفلكية فهم الذين استنبطوا الصفر الذي جعل طريقة الحساب العشري الحديثة في حيز المستطاع. وهذا مكنهم من ان يحسبوا حسابات رياضية دقيقة ويرتقوا بها الى اعلى الدرجات . فسبقوا الهنود الى ذلك بنحو الف سنة

وقد ثبت من بعض كتبهم التي لم يتلفها الاسبان حين تدويخهم لتلك البلاد في القرن الخامس عشر والتي يرجع تاريخها الى سنة ١٧٦ ب . م ان علماء الفلك في شعب المايا كانوا يفوقون معاصريهم من الرومان

ولا يخفى ان أساس التقويم هو معرفة طول السنة الشمسية معرفة مدققة . ولما كانت السنة الشمسية تتألف من ٣٦٥،٢٤٢٢ من اليوم أو ٢٩،٥٣ من الشهور القمرية فمن المتعذر قسمة دورة الارض حول الشمس أو دورة القمر حول الارض في دورانهما حول الشمس الى اقسام متساوية. فجاءت السنة في التقويم اليوليوسي الذي بقي مستعملاً في اوربا حتى سنة ١٥٨٢ وفي روسيا الى بضع سنوات خلت اثنتا عشرة دقيقة أطول مما يجب ان تكون. ولما غيرت روسيا التقويم اليوليوسي واستبدلتهُ بالتقويم الغريغوري كان هذا الفرق قد اصبح نحو اسبوعين

ولكن علماء المايا كانوا قد حسبوا طول السنة قبل ذلك بألفي سنة فجاء حسابهم دقيقاً جداً لا يخطىء الاَّ يوماً واحداً في كل ٢١٤٨ سنة يقابل ذلك في تقويمنا الحاضر خطأُ يومٍ واحد كل ٣٣٢٣ سنة

ولم يقف علماؤهم عند ذلك بل قاسوا بدقة غريبة دوران الزهرة حول الشمس والمرجح انهم قاسوا كذلك دوران المريخ ومن المحتمل أنهم قاسوا دوران المشتري وزحل وعطارد وبنوا على دوران الزهرة حول الشمس تقويماً كان يستعمل لتصحيح ما قد يقع من الخطإ في التقويمين الشمسي والقمري وكانوا يعلمون ان ثماني سنين شمسية تعدل خمس سنين من سني الزهرة وان ٦٥ سنة من سني الزهرة تعدل ١٠٤ سنين شمسية وقد وجد في بعض التقاويم المنقوشة على الصخور حسابات تمتد الى ٣٤١٥٦ سنة وكان تقويمهم يشتمل على ايام وشهور كل شهر منها عشرون يوماً وكان يدعى « وينال » وعلى سنين كل سنة ٣٦٠ يوماً وتدعى « تُنْ » وعلى عقود كل عقد منها عشرون سنة ويدعى « كاتون » وعلى عصور كل عصر منهُ ٤٠٠ سنة ويدعى « باكتون »

واذا صرفنا النظر عن تفوقهم العقلي على ما هو ظاهر في معارفهم الفلكية والرياضية رأينا انهم بنوا اهرامات تساوي اهرامات مصر في ضخامتها أو تفوقها . وكان نقشهم للاحجار وصقلهم لها من أعلى مرتبة بلغها صناع العالم القديم وامتازوا بالتصوير وصياغة المعادن وتنزيلها بالحجارة الثمينة وفاقوا في بعضها رجال الفن المصريين

وكانت اكثر مبانيهم من الحجر بلغوا فيها من الاتقان ودقة الصنع اعلى ما بلغهُ البناؤون في مصر واليونان وورومية . ولكنهم لم يوفقوا الى اكتشاف المبدإ الذي تبنى بهِ القناطر فمنعهم ذلك من الارتفاع بمبانيهم الى اكثر من طبقتين . اما البرج المبني من أربع طبقات الذي وجد في بالانك بجنوب المكسيك فخروج على القاعدة ولا يقاس عليهِ

واشتهرت دولة المايا التي نشأت في غواتيمالا بالنقش في الحجر اكثر من اشتهارها بفن البناء . واما الدولة التي خلفتها في يوكاتان وازدهرت بين القرن العاشر والقرن الخامس عشر للميلاد — قبيل احتلال الاسبان للبلاد — فامتاز البناؤون فيها على النقاشين

وتاريخ هذه الدولة الجديدة مدوّن في كتب كثيرة من كتب المايا تدعى كتب شيلام بلام وُزّعت ونُشرت بعد ما اتلف الاسبان اكثر مدوّنات كهنة المايا. ولكن المؤرخ الذي يعنى بتاريخ الحضارات الاميركية القديمة لا تهمه هذه الكتب بقدر ما تهمهُ الكتابات المنقوشة في الصخور في ايام الدولة القديمة . ففي غابات غواتيمالا لا تزال آثار فلكيي المايا ماثلة للعيان لانها منقوشة فى الصخر . والظاهر ان هؤلاء الفلكيين كانوا يقيمون كل سنة خامسة شاهداً حجريًّا ليكون جزءًا من تقويم او تاريخ عام . والمرجح ان سبع عشرة مدينة على الاقل كانت مزدهرة في غواتيمالا حينما بلغت دولة المايا الاولى ذروة مجدها نحو سنة ٥٢٠ ب.م وفي ذلك العصر كانت حضارتها من طبقة أرقى الحضارات المزدهرة حول البحر المتوسط حينئذٍ وتفوق من بعض وجوهها أرقى ما بلغتهُ الشعوب التوتونية في اوربا الشمالية في ذلك العصر

اما كيف انحطت دولة المايا وغادر الشعب مدنهُ الزاهرة تنعق فيها البوم والغربان فلا يزال سرًّا مكتوماً حتى الآن . ويسند بعض العلماء ذلك الى تفشي الحمى الصفراء بينهم ويقول آخرون انَّ حرباً اهلية طاحنة نشبت بين طوائفهم بادوا فيها ويقول آخرون ان تغييراً فجائيًّا في الطقس والتربة جعل الحصول على مقدار كافٍ من الطعام متعذراً . وما حدث في القرون الثلاثة التي تلت خراب هذه الدولة واضمحلالها وسبقت ظهور الدولة الجديدة في يوكاتان سرٌّ آخر لا بدَّ ان يكشف عنهُ البحث

الدكتور يعقوب صرُّوف

١ — الاقتصادي والعصامي

تحدث الينا الكتّاب عن المغفور لهُ الدكتور يعقوب صرُّوف كاتباً واديباً وشاعراً ومؤرخاً فذكّرونا بمكانة الراحل الكريم العلمية وبفضلهِ على لغة الضاد بما جدد فيها وحبّر والّف ونشر زهاء خمسين سنة كان صرُّوف فيها الكوكب المنير والعلَم الذي يهتدى بهِ. ونحن نرى الآن آثار اصلاحه من تهذيب في تعابيرنا الكتابية ومن انقلاب في طرق تفكيرنا فصرنا اميل الى قبول الجديد واسرع الى التمحيص طلباً للحقيقة التي كانت ضالتهُ المنشودة فلا نجفل من رأي يخالف تقاليدنا ولا نرتعش من بحث لا يتفق مع عقائدنا. الاّ ان الكتّاب الافاضل الذين كتبوا لايفاء الفقيد الكريم حقهُ من الفضل لم يتكلموا عن مكانة الفقيد في الاقتصاد وفي تمثيلهِ العصامية وما عاد من منافعهما على قراء المقتطف خاصة وعلى الشرق عامة وهذا ما أرجو بيانهِ في هذا المقال

وقبل الخوض في الموضوع ارى من الضروري ان اوضح ما اقصد من كلمة « اقتصاد » وكلمة «عصامية» تمهيداً لما اريد كتابتهُ عن مكانة الفقيد فيهما

فكلمة « اقتصاد» تساير اليوم كلمة « الادب ». هذا يشمل علوم اللغة وفنونها وكلمة «الاقتصاد» تشمل جميع الاحوال المعاشية من زراعة وصناعة وتجارة وتلك تجمع اليوم موارد المعاش للافراد والامم وعليها يتوقف رخاء الشعوب وتقدمها في مدارج العمران

اما العصامية فتطلق للدلالة على الرجل الحازم المقدام الذي يقدم على العمل لتكوين نفسهِ بنفسهِ فيشيد لهُ مكانة وفخراً بين تزاحم المزاحمين ومنافسة المنافسين لا يعول على مال ولا وسيط بل يعتمد على قواهُ ومواهبهِ الخاصة فيصل الى حيث يريد من اعتبار الناس ويبني مجده بيده

اما ان الدكتور يعقوب صرُّوف كان من رجال الاقتصاد ومن نوابغهم بل ومن زعمائهم ايضاً فتشهد لهُ بذلك كتاباتهُ في المقتطف وما والاهُ بنفسهِ من فنونهِ في حياتهِ الجامعة لاننا كلنا نشهد لهُ بالتفوُّق في كل ما كتب وعمل في باب الزراعة التي عرف لها خطورتها في البلاد الشرقية وخصوصاً في الديار المصرية فخصها بمقالات ممتعة ارشد القراء بها الى وسائل زيادة الانتاج من اصلاح التربة واختيار البزور وانتخاب

السلالات واستعمال الاسمدة واتقان طرق الري وتنقية الحشائش ومقاومة الآفات فكان يفرد لكل موضوع منها مقالات يختار للتعبير في كتابة حقائقها ابسط الكلمات حتى الالفاظ العامية لتعميم فائدتها عند الخاصة والعامة فلا تفوت البلاد منافعها . ولم يقتصر في كل ما كتب في الزراعة على نقل نتائج اختبارات الآخرين الزراعية التي كانت تصل الى علمهِ فينشرها بل كان يتحراها في زراعاتهِ الخاصة ويأتي على ذكر اختباراتهِ الشخصية فيها فكان يقرن العلم بالعمل ويعوّل الكثيرون على قولهِ حتى كان المقتطف المنبر الوحيد — الى حين — بين المجلات العربية الذي يجد فيهِ الناس وسائل الارشاد والاسترشاد في هذا الموضوع الحيوي العظيم فيتبارى فيهِ المتبارون ويتسابق اليهِ المزارعون

كذلك حال الدكتور صرُّوف في الصناعات ففي ابواب المقتطف فصول عديدة ومقالات كثيرة كان ينشرها عن الاكتشافات والاختراعات وعن الصنائع والفنون فكان من يطالع المقتطف يطلع على كل ما جدَّ منها شهراً فشهراً ولا تفوتهُ شاردة ولاواردة من تقدم الصناعات ورقيها على اختلافها . ثم انهُ لم يكتفِ بما تقدم من عنايتهِ بتنوير الاذهان بل جعل من المقتطف مدرسة يتلقى فيها طالب الصناعات دروساً علمية وعملية كمقالاتهِ في صنع الزجاج والاصباغ ومفعولها ودودة الحرير وتحليل حريرها ثم صقلهِ ونسجهِ وبصمهِ وكذلك في الجلود ودبغها والسكر وتكريره واستخراج المعادن وسبكها . ولهُ في هذا الباب اليد الطولى وآراء معلومة في وضع الحروف الكتابية المستحدثة ناهيك عن اجابتهِ عن الاسئلة العديدة التي كانت ترد على المقتطف تباعاً في الصناعات فكان يجيب عنها اجوبة صائبة تدل على معرفة وتقصٍّ في موضوعاتها كانهُ احد العاملين فيها

عرف الدكتور صروف اهمية الزراعة والصناعة كما قدمنا فعمل على تشويق الناس وترغيبهم في معاطاتها لانهما الموردان الحقيقيان لرخاء الامم ورفاهيتها ولكي يزيد تشجيع الناس على الاقبال عليها لم يتأخر عن نشر الاحصاءات العديدة في مدة مزاولتهِ للكتابة لارشاد الناس الى مقادير الانتاج في مختلف الانواع الزراعية والصناعية وعن الاتيان على ذكر مواضع الانتاج والاستهلاك ليطلع عليها صاحب الزراعة او الصناعة فيعلم منها ايضاً انتقال الغلال من بلد الى بلد في اسواق العالم التجارية حيث تنفق العروض فكان في ذلك للتاجر المصري مرشداً حتى يعمد الى اختيار اوفق الاسواق لمصالحهِ فتستفيد البلاد من استيراد انواعها الجيدة بأرخص الاثمان واقل النفقات

فالدكتور صروف كما اوضحت عمل في الزراعة والصناعة والتجارة علميًا وعمليًا. فألّف فيها ونشر في موضوعاتها كثيراً من المباحث فلا يخلو عدد من اعداد المقتطف من مقالات في هذا الباب كما انه عمل بها عمليًا فتعاطى شؤون الزراعة في اراضيهِ الواسعة وشؤون الصناعة في مطبعة المقتطف والمقطم حيث كان يراجع مسودات ما يطبع من المطبوعات فيها ويعنى العناية كلها باتقان تلك المطبوعات وجمال مظهرها وما يتعلق بترويجها بما كان يختار من الطرق لنشرها وتوزيعها ولبيع حاصلاتهِ الاخرى. فهو من هذا القبيل الرجل الجامع الذي ينطبق عليه القول انه رجل الاقتصاد بكل ما في هذه الكلمة من معنى علماً وعملاً وقد ختم حياتهُ الاقتصادية بالآراء التي كان يسديها في موضوع القطن ونحن لا نتعرض لنظرياتهِ المذكورة ومما يذكر لهُ اخيراً مجاهرته بالرأي الخاص بمبدإ الاحزاب السياسية المصرية وبوجوب جعل حزب اصحاب المصالح الاقتصادية في البرلمان هو حزب الاكثرية لانهُ عرف ان بعد نيل مصر الاستقلال لا تقوم قائمة لها الاَّ اذا نالت مكانها في عالم الاقتصاد فيجب ان تسعى اليهِ وتذب عنهُ بما تستطيع من قوة لكي تتمكن من صيانة نفسها وضمانة مستقبلها فالواجب اذاً تقديم هذا على كل ما سواه لان المال قوام الامم وسبب الرخاء كما هو مسبب الاحن وقد اسهب في هذا الموضوع في روايتيهِ فتاة مصر وفتاة الفيوم ومن يرجع اليهما يرَ كثيراً مما تحقق من آرائهِ البعيدة في حياة مصر الاقتصادية

***

وعندنا ان عناية الدكتور صرّوف بالموضوعات الاقتصادية وصدق آرائهِ فيها يرجع الى انّ الدكتور صروف درج وعاش عصاميًا وهي ميزة اهل العبقرية والنبوغ في كل الامم وفي جميع الاجيال تمكن صاحبها من استيعاب الاحكام الصادقة في نظرياتهم البعيدة التي تخفى على كثيرين ممن تربوا التربية المخالفة لتربية العصامي. فهذا يدرك الامور بما تجلى فيهِ من بداهة وذكاء لان تحصيله العلم يقترن بتحصيل المال نفسه مما يميزهُ عن ذلك السري الذي ورث المجد عن ابيهِ فاقتصرت مواهبه على معرفة الدائرة التي هو فيها فلا ينظر الى ابعد منها ولا يطلب بعدها من مزيد. اما الرجل العصامي فيخرج الى معمعان الحياة لا يستند الى سند اب او حماية قريب او الى مال او عقار موروث بل يجد بعكس ذلك ابواب التقدم مغلقة دون اماله وامانيه بل ان المعاكسين يتربصون لهُ الفرص للشل من جهوده واستغلال قواهُ في ترويج مصالحهم فيدفعهُ

حب المجد الى شق طريقهِ بنفسهِ فيعمل على ايجاد الوسائل محاولاً تذليل الصعاب ولهذا تقوى فيهِ غريزة الاعتماد على النفس كما تقوى فيهِ قوة الاستنتاج والحكم فيعمل بهما ويتقدم الى الامام لا ينظر يمنة ولا يسرة بل يرمي الى الوصول الى غايتهِ فيبلغها مهما عاكستهُ الاحوال وحالت دونهُ الصعوبات. يدلك على هذا في صروف هجرتهُ الى بلاد مصر وما تحلى بهِ من حزم وثبات رغم ما قام في وجهِ اعمالهِ من عقبات. واليك دليلاً آخر يدلك على نفس صروف العصامية وهو ترجمتهُ كتاب سر النجاح لانهُ رأى في تاريخ اولئك العصاميين الذين اتى على تراجم اخبارهم وشاد بذكر هممهم واعمالهم ما جعل كتابهُ هذا المنبه الاول في لغة الضاد والدافع للكثيرين للنهج على منهاج اولئك الاساطين في الصناعة والتجارة فاستفادوا منهُ وخلفوا ما يقارب من مجد اولئك اذا راعينا النسبة بين الاوساط والامكنة والوسائل .

هذه لمحة من حياة الدكتور صروف الاقتصادية والعصامية رأيت من الواجب اذاعتها لتكون مثالاً للشباب الناهض وليعرفوا ميزة هذا الرجل الذي بدأ حياتهُ بالتعليم والتثقيف فكان يخيل الى الكثيرين انهُ سيسير سيرة اهل العلم المعروفين في الشرق في عصره كما نعهدهم ، يخلدون الى طلب العلم على طريقة العرب من التبحر في قواعد الصرف والنحو والتوسع في البيان والبلاغة والفقه فيقف عندها يجادل في رأي سيبويه والخليل والشافعي ومالك قانعاً بهذا الرذاذ من العلم وبالكفاف من العيش كسواه من العلماء لا ينتفرون للعالِم الطمع بالحياة وبالجاه والرفاهية والمال . ولكن جاء صروف نخرج عنهم طالباً العلوم الرياضية والفلسفية معتنياً بالحياة في كل معانيها فاثبت للعالِم حقهُ منها وان طلبهُ العلم يسهل عليهِ العمل فينال حظهُ من المعرفة ومن الرخاء. فحيا الله صروف حيًّا وحيا الله صروف ميتاً فقد عاش ومات وهو مثل الاصلاح رحمهُ الله

ثابت ثابت

---

٢ — صروف في معاملاته

مثال اعلى للانسانية

« لديَّ محكمة غير المحاكم الاهلية والمحاكم المختلطة وهي محكمة الضمير محكمة الوجدان محكمتي انا هذه المحكمة تقول لي انهُ يجب عليَّ الخ »

هذا ما كتبهُ اليَّ المرحوم من جواب على خطاب في شأن عرضتهُ عليهِ من الشؤون التي كنت اشرف عليها لمصلحتهِ وهو ترديدٌ لبعض ما كان يقولهُ لي ويعمل بهِ ويريدني عليهِ — والمثل يقول : استفت قلبك وان أفتوك . لقد كان رحمهُ الله قانون نفسه

كلفني منذ سنين ان اتم عملاً لهُ بهِ علاقة كبيرة وكان الموظف المدير لهُ قد اساء تدبيره فحصلت بسببهِ منازعات يهم المرحوم فضها فكتبت مذكرة عن احدى قضاياهُ سردت فيها وقائعها باسلوب توخيتُ فيه مصلحتنا ووجهة نظرنا وأغفلت وتحيفت ذكر ما هو لمصلحة خصمنا فاعترض عليَّ المرحوم فأجبتهُ انني بهذه المذكرة ادفع مزاعم خصمنا بالاسلوب الذي كتب بهِ مذكرته فانا مضطر لمصاولته في ميدانه وأخشى ان بسطت الامر كما هو ان يأخذ الخصم من اعترافنا ما يوافق مصلحتهُ وينكر علينا مالا يوافقها فنخسر القضية بصراحتنا وانكاره ففكر المرحوم قليلاً ثم قال « لا تعرض عليَّ شيئاً كهذا فاذا اضطررت فافعل ما تراهُ فاني لا استطيع ان اوافق الاَّ على ما اعتقدهُ حقًّا وعدلاً »

وطلبت اليهِ مرة ان يتوسط لي عند احد الرؤساء في امر يهمني ورجوتهُ ان لا يخبرهُ اني بمصر اذا سأل عني فاجابني « اود ان اجيب طلبك في هذا ولكن لساني لم يتعود الاَّ الصدق فأخشى اذا سألني ان يسبق لساني الى ما تعودت . سافر أنت وأنا اخاطبك حالاً بما يكون »

« والوزن في بوليصة الشحن ١٣٢٤ كيلو ولكن يقول وكيل المحل الذي اشتريت منه هذه المواسير ان وزنها الحقيقي ١٨٣٠ ولكنه برطل الوزان بريال لكي يخفض اجرة الشحن وانا مرتاب في قوله ولو كنت موجوداً لما قبلت منه مطلقاً ان يغش الحكومة فيجب ان تزنوها »

هذا ما كتبهُ الىَّ من خطاب والامر فيهِ ظاهر انهُ لا يقبل ان يغش أحداً حتى الحكومة في امر صغير كهذا يعدّ في عرف الجمهور الآن من صغائر اللمم

واذكر انهُ في بعض القضايا التي لهُ بها علاقة كبرى — عرضت عليهِ أنهُ يمكن الصلح فيها بفائدة لجانبهِ اذا عرضهُ بنفسه على صاحب الشأن فيها وهو من كبار الاعيان فأبى قائلاً « أخشى ان لا أجد عندهُ ما احب فيشتد عليَّ الامر اكثر مما لو كان الرجاء لغيري » فراجعتهُ وطمأنتهُ وعرضت عليهِ ان لم يذهب هو فليكلف . . . . فاجابني أنا شيخ ومريض فيصعب عليَّ ان اسافر في عمل يحتمل ان لا اجد فيه ما أحب . كم يفوتنا من هذا السعي ؟ الفا جنيه . أحسبها بعض ما خسرنا او كسبنا فهذا

احب لي » فلحّ عليَّ عدم الارتياح فقال « اعرض انت اذا شئت على .... فهو اقدر مني على السفر ويستطيع في هذا الامر لي مالا استطيعهُ لنفسي »

« المبدأ الذي نجري عليهِ في تخفيض ما لنا على المستأجرين المتأخرين هو اما ان زراعتهم لم تسدّد ما عليهم حينذاك أو انهم افتقروا بعد ذلك فلم يعودوا قادرين على التسديد او انهُ لم يبقَ لي سبيل لتحصيل كل مالي عندهم فأقبل جزءا منهُ »

هذا ما كتبهُ لي لمعاملة مستأجري ارضه المدينين وكان وكيله قبلاً قد رفع عليهم قضايا فكتب اليَّ الدكتور في ذلك يقول : « وقد دفع فلان كذا جنيهاً رسماً لهذه القضايا على غير ارادتي الخ . » وكان بيد احد المستأجرين اتفاق وعلى الاتفاق كلمات تدل على انهُ (خالص من الدين) زعم انها بخط وامضاء هذا الوكيل ولكن هذا انكر ذلك في جواب ارسلهُ اليَّ فرأيت ان ارفع دعوى على المستأجر فعرضت الامر على الدكتور وقلت ان وكيله سيسأل في الموضوع بالمحكمة واذا ثبت ان الامضاء امضاؤه فربما ينالهُ شيء من الضرر ولو من وجهة ادبية فطلب ان ارسل اليهِ الاتفاق اولاً فلما اطلع عليهِ كتب اليَّ يقول : « دع المستأجر فاني ارجح صحة قوله وان يكون فلان الوكيل قد نسي ومهما يكن فاني لا أريد ان ينالهُ أي ضرر وانا لا أريد ان يضر احد بسببي الخ .. »

لقد كنت حينما اشاهد شفقتهُ ورحمتهُ بمن دونه وتسامحه مع من يساويه اذا ظفر بهِ فما احسبهُ واللهِ الا مثالاً حيًّا لروح الرحمة الشائعة في آيات الانجيل وكنت حينما ارى شدته في التمسك بحقهِ وحماستهُ في مدافعة من يدافعه عنهُ احسبني امام مؤمن يدافع عن يقينه او امام شاب تدفعهُ قوة الشباب الى الدفاع عن حرمه ومع ذلك كان لا يلبث ان يعود الى تسامحهِ ما وجد الى ذلك سبيلاً . كتب اليَّ يقول عن خلاف بينهُ وبين احد معامليه « لا بد أن آخذ حقي كلهُ . ولو قال لي ان هذا حقك واريد ان تسامحني فيهِ فلربما كنت اقبل ذلك عن طيب خاطر »

كان بينهُ وبين احد جيرانهِ في الاطيان خلاف على قطعة ارض طال النزاع بسببها حتى انقلب الى تقاطع شديد وحدث وانا عنده ان وقع ذلك الجار وهو عمدة في امر اكربهُ وانتهز ذلك بعض خصومهِ لتنضمَّ اليهم في مناوأته فأبى رحمهُ الله وقال : « لا يليق بي ان استغلَّ مصيبة جاري » وكان ذلك بدء حسن التفاهم بينهما فلما تم قال لي : « ان ما تم اليوم قضى على آخر ما كان بيني وبين جاري من سوء التفاهم وكم كنت اود ان يتم فالحمد لله »

ووجدت بخطه على كتاب اهدي الى المقتطف « لا يقرَّظ » فسألتهُ لِمَ ؟ فقال « ان مؤلف الكتاب نظر الى موضوعهِ من وجهة واحدة معتمداً على مصدر واحد فجاء الكتاب بعيداً عن الاعتدال والصواب ولا استطيع ان اقرظ كتاباً كهذا الاَّ اذا أشرت إلى ما ذكرت وحينئذٍ لا يسكت مؤلفه وانا اكره الجدل وعندي من المواضيع المحققة النافعة ما هو أولى بوقتي »

دعاني مرة لمرافقتهِ في معاينة أطيان جهة شربين بالغربية ثم عرض ما يُفضِّل معهُ تأجيل قيامهِ من مصر وكنتُ وصلت اليها مساء على نية ان نسافر معاً صباح اليوم التالي فقلت لهُ لا بأس من التأجيل وكنت حينئذٍ موظفاً في احدى المصالح فقال لي « ان وقتك ليس ملكك فلنذهب في القطار الاول ونعود في القطار التالي » ولما وصلنا الى المنصورة وكان يعرف ان أبني في مدرستها الابتدائية قال ان هذا يوم الخميس فلنأخذ ابنك معنا قلت لهُ أن ذلك يستدعي تأخير قيامنا من المنصورة ساعة ونصف ساعة قال لا بأس فلما أحضرت ابني أخذ الدكتور يمتحنهُ ويشجعهُ ويظهر لهُ الارتياح فقلت أن سنه كذا ولم يزل في سنة كذا فقال الدكتور « لا تعجل عليه ان العمر المناسب لبدء الدراسة الابتدائية تسع سنين وخصوصاً اذا لم يكن الولد قوي البنية جدًّا . ان الولد اذا دخل المدرسة صغيراً ضعف جسمه وعقله وتأخر في الدرس وسقط في الامتحانات أما اذا دخلها بعد ذلك السن وهو قوي الجسم والعقل فانهُ يعوض ما فاتهُ باستمرار تنقلهِ في الفصول بدون تأخر » وما أصح هذا !

ولما اخذنا في الاتفاق على ان اضع مشروعاً اصلاحيًّا لبعض اطيانهِ واطيان اخرى كان في النية مشتراها حصل اخذ ورد في بعض الاشتراطات فقلت لهُ لا داعي لوضع شروط واني واثق بحسن رأيك وعطفك فقال « اني اريد ان احتاط لمستقبلك فأنت ذو عائلة واخشى ان يحصل شيء فيتعبك ورثتي فاكتب التعويض الذي تريدهُ اذا ارادوا اخراجك »

وكان رحمهُ الله وانا باطيانهِ يأتي اليَّ فيمكث يوماً فاكثر فكنا اذا انتهينا من العمل نتحادث في مواضيع شتى وكان يسر حينما يرى اولادي يأنسون بهِ وقد كان يلاطفهم ويرشدهم الى الطريقة المثلى في الاستذكار وحفظ الصحة ورأى خط ابني دون ما يجب فكان يوصيهِ « بالتمرن على الاعمال اليدوية واجادتها ويحثهُ على انعام النظر في الاشياء حتى تتربى فيهِ ملكة الملاحظة والانتباه » وكان اولادي يفرحون بوجوده

ومحادثته لانهُ كان غاية في اللطف والرعاية وكان اسلوبهُ غاية في السهولة والافادة وكان يقول لي ان كتب الاحداث يجب ان تكون من وضع اكبر الاساتذة

وكنت استمدُّ رأيهُ في بعض المسائل فكان يجيبني بطريقته البديعة في التمثيل فمن ذلك « اذا كنت ساكناً في منزل لا ترضاهُ فهل تهدمهُ وتظل في العراء او تبني غيره اولاً » هذا ما يقوله في مقابلة الآراء الثائرة بعنف على بعض المعتقدات الدينية والمذاهب الاجتماعية

وقوله « ايهما احرى اذا دخلت قصراً من القصور ان تنزه نفسك في محاسن بنائهِ ومشتملاتهِ او ان تقف بجانب مرحاضه متأففاً ، لماذا لا تنظر الا مساوئ الناس دون محاسنهم ؟ يجب ان لا تذكر المساوئ الا للعبرة بها والتنفير منها اما ذكرها وحدها للحطّ من اقدار اصحابها وتسويء سمعتهم والتشفي منهم فليس من الصواب في شيء »

نهاية كل حي

كانت فكرة الموت تساوره قبل وفاته ببضع سنين وكثر ترددها على لسانه بعد وفاة اخويهِ. نظر مرة الى بستان حديث بجوار منزله فقال « اتظن اني اعيش حتى اقطف ثمراتهِ ؟ »

زار في آخر مرة اطيانهُ في الفيوم وكانت آثار المرض بادية عليهِ ثم اشتدَّ عليهِ المرض في المساء اشتداداً اقلقني فكان مما قالهُ لي حينئذٍ « انا لا اخشى الموت فـ ٧٥ عاماً قضيت منها ما ينيف على الـ ٥٠ احمل القلم عمر كبير ولكن اريد ان اموت في بيتي بمصر فاجتهد ان توصلني اليهِ حيًّا »

لقد كان رحمهُ الله يرى « انهُ ليس من المعقول ان تكون نهاية الانسان بعد هذا التطور والرقي الفناء المطلق . لا . وان قصور وسائلنا عن ادراك ما بعد الموت لا ينفي وجود تطور آخر للانسان كروح ذلك الوجود الذي يقتضيهِ النظر الفلسفي وكثيراً ما كانت الفلسفة رائد العلم الى الحقائق »

واني لارجو ان يكون الآن قرير العين في الحياة الاخرى التي كان يعتقد بها فلسفيًّا ويحاول الوصول لاثباتها او تعرفها باسلوب علمي

اتكون مثل عواطف صرّوف ، وعقله ، وحكمته ، مصيرها الى الفناء ؟ اذاً يكون هذا الخلق وتطوره عبثاً في عبث . تعالى الصانع الحكيم عن ذلك « ما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين » صدق الله العظيم

احمد الالفي

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

الموسيقى العربية أُمّ الموسيقى الاسبانية

ساعة مع الدكتور ادموندو كورايا لوبس

من حسنات النادي الفينيقي[١] في ريوده جانيرو انهُ بات مزاراً للكثيرين من ادباء البرازيل والبرتوغال وكبار رجال الفن والقلم منهم ولا غرو فهم يرون فيه صورة الثقافة الشرقية والأدب العربي فيستفزهم الشوق للاتصال به بعد ان قرأوا ما قرأوا عن حضارة العرب في الاندلس والبورتوغال وبعد ان قام فريق من لغويهم يبحث في اصول اللغات متأثراً مصادر الكلمات العربية الفاشية في اللغة البورتوغالية . ومن الذين اموا النادي الفينيقي الدكتور ادموندو كورايا لوبس البورتوغالي وهو كاتب مجيد وموسيقي مشهور له في الموسيقى مؤلف قيم تناول في بعض نواحيه الموسيقى العربية وآثارها في اسبانيا

ضمني النادي الفينيقي والدكتور لويس عصر يوم احد وكانت الموسيقى العربية مدار البحث بيننا فقلت له : اتستطيع يا استاذ وانت احد كبار الموسيقيين ان تجلو لي بعض ما غمض من تاريخ الموسيقى العربية في الاندلس

ج — لم يبق من غامض في تاريخ الموسيقى العربية فهي أُمّ الموسيقى الاسبانية واسبانيا اليوم هي أم الموسيقى العالمية وكفى . ثم قال ان الابهام ظل زمناً طويلاً يكتنف

(١) هو نادٍ أنشأته الجالية السورية هناك

تاريخ الموسيقى الاسبانية حتى قام المستشرق الاسباني خوليان ريبارا فأماط اللثام عنه واصبحنا اذا نحن احتجنا الى البحث في الموسيقى ال Classiqne لجأنا الى الموسيقى العربية واتخذناها مسنداً

س — ما الذي ادلى به هذا المستشرق الاسباني

ج — ان خوليان ريبارا[٢] يردُّ موسيقى القرون الوسطى الى اصل عربي ويقيم الادلة والشواهد على ذلك

س — ألم تكن الموسيقى معروفة في اسبانيا قبل دخول العرب . أوَلم يكن للاسبان موسيقى شعبية كسائر الامم ؟ ؟

ج — ان الموسيقى قديمة العهد وقد رافقت النشؤ الانساني لانها مظهر من مظاهر الحالات النفسية وقبل دخول العرب اسبانيا لم يكن هناك سوى الموسيقى المدعوة Ficta وهي مجموعة الحان كنسية مأخوذة عن اليونان وكان القسوس يحرصون عليها جد الحرص ولم تكن الموسيقى الشعبية الا فرعاً ضئيلاً منها. ولما جاء العرب وازدهرت حضارتهم وتموجت انغام الزجل والحجاز في افق اسبانيا اتصلت بها الموسيقى الشعبية واكتسبت روحاً جديداً فنشأت عند ذلك الموسيقى الاسبانية ونحن ندعوها الاسبانية العربية

س — الم يقم قبل خوليان ريبارا من دعا الى حفظ ذمام الموسيقى العربية والاعتراف بفضلها على الموسيقى الاسبانية على كثرة المشتغلين بهذا الفن تحت سماء اسبانيا ؟

ج - نعم ولا شك ولكن خوليان ريبارا كان ادقهم نظراً وأوسعهم بحثاً وقد قصر همهُ سنين عديدة بعد ان تولى تدريس العلوم الشرقية في جامعة مدريد على درس العربية وحذق موسيقاها وقد ساعداهُ في ذلك ان Juan Roiz و Julio Vicente الاسبانيين رسما له الطريق حتى ان هذا الاخير كان يقول ان الموسيقى الغربية مدينة بسلمها الى Orabi وهو مغنٍ اندلسي كان يتغنى بأزجال تكثر فيها كلمة (قلبي) Calby ولو قيست مقاطع هذه الازجال لكادت تكون دو ره مي فا سو لا سي

س — يبدو لي يا استاذ ان كلمة orabi هذه لا تدل على اسم مغنٍ اندلسي فهي عندي ترجمة للفظة (عربي)

---

(٢) في كتابيه La musica de las cantigas . La musica Andaluza

ج — لا اخال ذلك لان Julio Vicente يقول Este es el calby orabi وهو يزعم ان هذا الزجل الذي كان يغنيه « اورابي » Ei calby solfamifaredo في انتظام ديوانه ينطبق على sol fa mi fa ré do

س — ولكن الموسيقى العربية لم تكن ذات روابط بل كانت سماعية أليس كذلك

ج — ان الموسيقى العربية لم تكن لها رسوم خطية notes ولكنها ذات روابط وضوابط وقد كانت عند العرب علماً رياضيًّا كما هي اليوم عندنا وقد افاض (الفارابي) العلامة العربي المشهور في شرح قواعدها وعنهُ اخذ المشتغلون بالموسيقى الغربية . ولو كانت الموسيقى العربية خلواً من النظام الفني لما استطاعت ان تخلف لاوروبا هذه الموسيقى التي تتمتع بها الآن

س — اني على قلة إلمامي بهذا الفن اعلم ان للموسيقى العربية سبع مراتب ولكل مرتبة سبع درجات فالاولى : يكاه . عشيران . عراق . رست . دوكاه . سيكاه . جهاركاه . والثانية : برج النوى . الحسيني . الاوج . الماهور . الحير . البزرك . الماهوران الخ . . . فما الذي اخذتموه عن هذه الاوضاع وهل يصح القول ان هذه المراتب او الابراج كانت من الموسيقى العربية بمنزلة الرسوم الخطية (Notes) من الموسيقى الغربية

ج — هو كذلك وقد اقتبسنا كل قواعدها على وجه التقريب وتعرف عندنا بـ Gammes خذلك مثلاً قياسات الابعاد بين كل برج واخر وضبطها وعدد الاهتزازات وتقسيم الالحان وافتراقها ورجوعها بحيث ترى ان كل لحن ينتهي في برجهِ وهو ما ندعوه finir dans le ton ثم قلب اللحن والقرار transposition و changement

زد على ذلك ان التقسيمات التي نوعها الفارابي ووضع لها اسماء منها الشحاج الاعظم والصياح الاعظم والكمال الاعظم (هكذا في الاصل العربي) تجدها في الموسيقى الغربية تحت اسماء octave, quinte, tierce, واتصال المراتب بعضها ببعض في الجواب والقرار فيما نسميهِ octave supérieur, octave inférieur وهكذا دواليك . . فترى اننا احطنا بكل اصول الموسيقي العربية مع اضافة وحذف ما قضى بهِ التطور الفني ودعا الى ايجاد آلات حديثة لهُ

س — اتعتقد بان الموسيقى العربية الصرفة هي اطيب وقعاً من الموسيقى الغربية الجديدة وهل هي اغنى وارحب منها . والى اي حدّ من حدود الابداع وصلت

ج — ان الموسيقى العربية هي عندي اوسع واغنى من الموسيقى الغربية لولا ان

لهذه ميزة اجتماع الالحان الكثيرة في وقت واحد ولكن هذا في عرفي انق لجمال اللحن mélodie فالموسيقى العربية هي الطف روحاً واشد استثارة للشعور النفسي واؤكد لك انها بلغت في عهد خلفاء بغداد وعلى عهد ازدهار الاندلس اقصى حدود الابداع فقد كان كبار المغنين يضحكون الناس ويبكونهم فجأة وكانت الآلات تحيبهم بين ايدي العارفين الى مثل هذا التحول الغريب بل قام بين اولئك المغنين من كان يتميز بين مئات الاوتار وعشرات العازفات نغماً شاذاً فيقول يافلانة اصلحي الوتر الفلاني من عودك

س — ولكننا اليوم لا نرى بين ايدينا شيئاً من بدائع هذا الفن فما هي انجع الوسائل لكي تستعيد الحضارة العربية فنها المفقود

ج — يجب ان تعنوا اولاً بوضع الخط الموسيقي notation ثم بترويض البيانو وتعديله ليصير صالحاً لموسيقاكم لان ما لديكم من ذوات الاوتار وآلات النفخ والايقاع على كثرتها لا تفي وحدها بالغرض ولكن قبل كل شيء يجب ان يقوم فيكم من يعنى جد العناية بالموسيقى العربية فيدمجها بالثقافة لتصبح واضحة مجلوة لاني الى الآن لا اعرف موسيقيًّا عربيًّا عني في هذه الايام بدرس الادب الموسيقي ونشر الابحاث عنهُ

س — ان منا افراداً درسوا هذا الفن في معاهد اوربا وهم يعملون اليوم للتوفيق بين الموسيقى الغربية واختها الشرقية

ج — ليس هنا مجال العناية فالذين يدرسون في اوربا يخرجون موسيقيين غربيين اكثر منهم شرقيين فعلى الشرق ان يجمع بنفسهِ آثار فنهِ المبعثرة . واذا كان لا بد من الاستعانة بالغرب فاسبانيا هي وحدها التي تستطيع ان تعيد الى العرب موسيقاهم

انا اليوم ندعو مدريد ام الموسيقى وقد بزّت ڤينا وبرلين وهي تحمل في صدرها بذور الموسيقى العربية بل ثمارها . فارسلوا البعثات الى اسبانيا وانا اكفل لكم النجاح

البريد . ريو ده جانيرو عقل الجر

وادي برهوت

خطأُ وصف المسعودي

حضرة الفاضل محرر المقتطف الأَغر

جاء في المقتطف ج ٦ م ٧٢ في الصفحة ٦٣٤ فيما كتبهُ الفاضل امين معلوف نقلاً عن المسعودي رحمهُ الله تعالى ذكر وادي برهوت بحضرموت فقال :

وبعدها أطمة وادي برهوت وهي نحو بلاد أسفار وحضرموت من بلاد الشحر وذلك بين بلاد اليمن وبلاد عمان . وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة تقذف في قعرها بجمر كالجبال وقطع من الصخور سود حتى يرتفع ذلك في الهواء : انتهى بحروفه ولعله لا يخلو من سقط . وقوله نحو بلاد أسفار لعله بلاد ظفار أي ظفار الحبوظي لا ظفار اليمن فليراجع. ولأني من مستوطني حضرموت وقد وصلت الى وادي برهوت لرؤية تلك البقعة لكثرة سماعي عنها وحدثني عنها عدد ممن عرفتهم ممن دخل الى جوف المغارة منهم والدي رحمهم الله تعالى فاشتبه عليَّ حديثهم فذهبت اليها لأرى بعيني أحببت أن أقصَّ خبر ما رأيت مختصراً

فأقول أن وادي برهوت وادٍ بأسفل حضرموت بالشرق الشمالي يسيراً عن بلد تريم التي هي أشهر مدن حضرموت يبعد عنها نحو ٤٥ ميلاً وبعد وادي برهوت الجبل الذي يقال ان بهِ قبر النبي هود عليه السلام يبعد عنهُ نحو خمسة أميال وهو على يمين المنحدر من تريم. يدخل مريد الوصول الى ما يسمونهُ بئر برهوت من وادي عَدِم الى وادي برهوت وهو أحد الأودية التي تصب في وادي عَدِم وفيهِ آبار يحرث عليها بعض البدو وفيهِ شروج [1] يسقيها سيله اذا سال. وجبال الوادي غير عالية جداً وقد زرت عدداً جماً من البراكين في آسيا وأوربا فكانت الجبال التي بها البراكين أعلا مما جاورها وليس كذلك جبل برهوت وكانت فوهاتها في قممها وليس كذلك برهوت . ويوجد بقرب تلك البراكين المواد المصهورة والحمم ولا يوجد بجوار برهوت شيء من ذلك فيما رأيت وكانت زيارتي لهُ في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٣١ ه

وقد كان معي عدد من الرفاق والخدم فتركنا الدواب في بطن الوادي وصعدنا الجبل على الاقدام في طريق كانت صالحة لصعود الابل ولعلهم كانوا يأخذون الرماد من المغارة فيجعلونهُ سماداً للحرث ولكن الامطار خربت الطريق فتعذر صعود الابل فيها. وبعد تسلقنا في الجبل ربع ساعة وصلنا فم المغارة المسماة بئر برهوت وقد بقي الى رأس الجبل اكثر مما صعدناه لأن المغارة كانت في جنب ذلك الجبل وهي مغارة واسعة فيها بعر الاوعال ومساحب الحيات وفيها صخور غير ثابتة بل يخاف من تزحلقها وسقوطها الماشي عليها وهناك عدة منافذ أو هي منافس قد سد بعضها ما جمعتهُ السيول

(١) أي الاراضي الزراعية

من صخور ووحول وما تجلبهُ الرياح وتصده الابخرة من جوف الجبل ولم تكن معنا آلة نرفع بها الانقاض ونفتح لنا بها مسلكاً ووجدنا أحد تلك المنافذ يمكن الدخول فيهِ فتسلقنا الصفا ثم مشى زحفاً على البطن او على الظهر من شاء الدخول من الرفقة ووقف في فم المغارة البعض كما تخلف عند الدواب بعض الخدم وبعد قطعنا مسافة لا تزيد عن بضعة امتار في محل مظلم خلصنا الى محل واسع وفيه حفر كثيرة مختلفة السعة والعمق فيها رماد كبريت وحواليها صخور غير ثابتة وكان معنا فانوس وسرج وشمع فحملنا جميع ذلك وتقدمنا الى داخل الجبل وبعد كل هنيئة يتخلف بعض الرفقة وفي المحل الذي مررنا فيه تعاريج قليلة واتجاه سيرنا كان الى جهة المغيب غالباً وبعد دخولنا الى مسافة لعلها نحو ٥٠ متراً سطعت رائحة الكبريت فتخلف من بقي معي وتوهموا ان هناك طيوراً و. و. وليس هناك اثر لما توهموه. نعم في فم المغارة يوجد زبل الخفافيش وقد مشيت ومعي رجل واحد الى ان ضاق السرداب الذي نمشي فيه وظهرت امامنا عدة منافذ وسراديب حاولنا الوصول الى منتهى احدها فلم نصل ولم نمش بعد عود الرفقة الا نحو ١٥٠ متراً في المضيق. ولا يبعد ان ما بقي منه اكثر من ذلك والاقدام تغوص في الرماد الناعم الذي بأسفل السرداب كما تغوص في الماء وسقف السرداب اسود وفي بعضهِ مواد مترشحة لعلها مومياء جبلية ولم يحس أحد منا بثقل في التنفس ولا صداع ولم يؤذنا شيء سوى الحر ولو كنا اعددنا حبالا نربط بها بعضنا ببعض او أخشاب يمكننا استعمالها كقناطر فوق الحفر ومشاعيب نتمكن بها من دفع الحيات ونحوها لان الرمي بالبارود يخاف منه ان تنهار السقوف وتطفى السرج ولو كنا تأهبنا لدخلنا الى مسافة ابعد. وتوجد بجوار ذلك الوادي آثار قديمة ضئيلة. وليس هناك دخان البتة فضلاً عن نيران وجمر ولا هناك صوت البتة ولم أر فيما قرأته من تواريخ بلادي ذكر شيء من هذا فلا ادري من أين ذكر ذلك المسعودي رحمهُ الله — وما آفة الاخبار الا رواتها — اما اخبار من خبرني عن برهوت وما رآه في مسالكها وكان دخولهم قبل دخولي بنصف قرن او ازيد فيختلف بعضه عما رأيتهُ. وبيسير من الادوات يمكن كشف جميع تلك السراديب وفتح المغلق منها وليس في ذلك صعوبة ولا كبير مشقة

حضرموت محمد الباقر العلوي

باب الزراعة والاقتصاد

فورد يتكلم : العمل قبل المال

لماذا لا يعتزل العمل وهو على هذا الجانب من الغنى

عظة لرجال المال والاعمال

اعظم المشكلات التي يعانيها ابناء العصر هي المشكلات القائمة على علاقة العمال بأصحاب المال . وفي ذلك نرى فورد نسيج وحده يضرب المثل الابلغ قولاً وعملاً بأن هذه المسائل يجب الا تكون . فما هي فلسفته المالية والصناعية التي يطبقها في أعماله ؟ اليك جوابه ملخصاً من حديث دار بينه وبين صحافي أميركي

يبقى الرجل في دور المرانة والتمرس بالعمل حتى يبلغ الاربعين [١] . فهو يجمع في تلك الاثناء الادوات التي لا بدَّ منها للعمل المنتج . ومتى اجتمعت لديه استعملها في تحقيق الغايات التي يقف حياتهُ على تحقيقها . فاذا ترك هذه الادوات بعد جمعها من غير ان يستخدمها فتركه لها هو الفشل بعينهِ . واذا اعتزل العمل لانهُ جمع ثروة طائلة فاعتزاله امرُّ انواع الفشل على الاطلاق

تقول اني بلغت من النجاح مبلغاً قصيًّا ولكني في الحقيقة لست سوى جامع ادواتٍ للعمل . والرجل الخائب هو الذي يجمع ادواتهِ ثم يودعها خزانة حديدية يوصد بابها ويقف عن العمل . والمال ليس سوى اداة للعمل . ومتى تحول المال عن ان يكون اداة للعمل فقط صار خطراً على المجتمع . ان الثروات الطائلة التي لا تستعمل في الانتاج . . . ولكن لقد قضي على هذه الثروات لان كل ثروة تقف عن الانتاج تبيد وتتلقفها ايدٍ تعرف كيف تستعملها فتفيد بها وتستفيد منها

تعطي فتىً طيارة من الورق وتنتظر منهُ ان يطيّرها . او تعطيه رفشاً ومنكاشاً فتنتظر منهُ ان يحرث قطعة من الارض تعينها لهُ . ثم تعطيهُ وقد صار رجلاً رفشاً تديرهُ قوة بخارية وتنتظر منهُ ان يشترك مع غيرهِ في حفر نفق لقطار يسير تحت

(١) قارن هذا القول بقول الشاعر العربي

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين

الارض . ومتى رأيت انهُ تمرس بالعمل وصار حكيماً محنكاً تقيمهُ مدبراً على مبلغ كبير من المال وجماعة كبيرة من العمال وتنتظر منهُ ان يدبر بناء نفق كبير . انك في كل حال تنتظر منهُ ان ينفق عملهُ مع الادوات التي تسلمهُ اياها ليستخدمها

والعمل الذي اتولاهُ ليس سوى اداة . وهو اكبر اداة من نوعها في التاريخ . فكلما ازداد عمالنا عاملاً واحداً وادواتنا اداة واحدة ازدادت التبعة الملقاة على عواتقنا. ولما كان عملنا الآن قد اتسع عما كان عليهِ قبلاً فعلينا ان نحقق بهِ غاية اكبر من الغايات التي حققناها من قبل . انك ولا شك تذكر ذلك المثل الوارد في الانجيل حين اعطى السيد احد خدمهِ وزنة من المال فطمرها في الارض خوفاً عليها فحكم عليهِ بانهُ لا يستحقها وجُرّد منها. ان هذا المثل يشير الى مبداء اساسي ينطبق على احوال العالم الآن كما كان ينطبق منذ الفي سنة ونحن نريد ان نحقق هذا المبدأ في اعمالنا

من القواعد الاساسية التي يقوم عليها عملنا هو ان ما نحسبهُ الآن اجوراً عالية لعمالنا قد يصير في نظرنا ونظرهم اجوراً واطية بعد انقضاء عشر سنوات . ما من احد يعرف الى اية درجة يمكن ان تبلغ اجور العمال كما اننا لا نعرف الى اي حدّ نستطيع ان نخفض نفقات الانتاج . فقد نتمكن من مضاعفة اجورنا وتخفيض اسعارنا الى نصف ما هي عليهِ الآن . وقد نتمكن من زيادة اجورنا اربعة اضعاف وتخفيض نفقات الانتاج في معاملنا الى رُبع ما هي . لا ندري . اما ندري ان الاجور لم تبلغ حدها الاعلى بعد كما ان نفقات الانتاج لم تبلغ مستواها الادنى بعد . وندري ايضاً ان هاتين الحركتين زيادة الاجور وتخفيض نفقات الانتاج لا بدّ ان تؤولا يوماً ما الى القضاء على الفقر والمسكنة وجميع جمعيات الاحسان . فلقد وجدنا بالاختبار ان النجاح في العمل ليس وليد العطف بل وليد الاجتهاد . ان المال لا شأن لهُ في زيادة الرخاء لان المال لا يُنتج ما يحتاج اليهِ الناس . بل العمل يفعل ذلك . وزّع كل ما في بلادنا من الاموال على الناس بالتساوي فلا تزداد ثروتنا الاهلية فلساً واحداً ولا نلبث ان نقع في احضان الفاقة اذا اكتفى رجالنا او نساؤنا بما يوزع عليهم واضربوا عن العمل

ولكن ما يكسبهُ العامل من المال مقياس لحقهِ في الاشتراك مع سائر العمال في انتاج ما يحتاج اليهِ الناس . فاذا كان كل الناس يكسبون مالاً ولا ينتجون فما هي فائدة المال ؟ ماذا نشتري بالمال اذا لم تصنع المعامل المصنوعات التي نطلبها او لم تخرج المزارع المواد الغذائية التي نحتاج اليها

وقد تعلمنا ايضاً ان التفوق والاتقان امر نسبي. فالآلة التي نحسبها اتقن آلة صنعت حتى الآن ليست سوى « اتقن آلة » صنعت بالامس بعد ادخال عناصر التحسين عليها . وغداً نرى ان الآلة التي نحسبها اليوم « اتقن الآلات » صارت غير متقنة اذا قيست بآلة الغد . وما يقال في الآلة يقال في الاجور والاسعار . فما يحسب الآن اجراً عالياً للعامل او ثمناً واطئاً للسيارة قد يحسب بعد عشر سنين اجراً واطئاً جداً للعامل وسعراً عالياً جداً للسيَّارة لان اتقان وسائل الصناعة لا بدَّ ان يؤول الى رفع اجور العمال وتخفيض اسعار المصنوعات

لذلك ترانا لا ننظر بعين الفخر الى ما عملناهُ حتى الآن لاننا ننظر اليهِ من وجهة الاتقان النسبي واثقين ان ما يجيء بهِ الغد سيكون اكثر اتقاناً واكمل نظاماً. ولذلك نرقب المستقبل دائماً ونعدّ لهُ العدة لاننا نحسب عملنا امانة في اعناقنا للجمهور يجب ان نتولاهُ لمصلحتهِ بكل ما اوتيناهُ من حذق وعناية . ولذلك اقول اننا وقد صنعنا ١٥ مليون سيارة لانزال في بدء عملنا . اه. وهذا ينطبق على قول مثال مشهور اذ دخل عليهِ احد المشاهير وسألهُ ابن « آيتك في فنك » فنظر اليهِ المثال وعلى شفتيهِ بسمة الازدراء وقال « تمثالي القادم »

محصول القطن في السنة الحاضرة

مساحة المزروع وسير الزراعة

ترددت الاشاعات في اول الصيف الماضي بان الزراع الاميركيين زرعوا حوالي ٤٨ مليون فدان قطناً فخاف منتجو القطن في جميع انحاء العالم ولاسيما في مصر عاقبة هذا التوسع وحسبوا لهُ الف حساب لعلمهم ان متوسط ما ينتجهُ الفدان في اميركا لا يقل عادة عن قنطار ونصف قنطار فاذا صادفهُ جو معتدل وسلم من الآفات زاد هذا المتوسط الى قنطارين فاكثر فيأتي المحصول من ١٨ مليون الى ٢٠ مليون بالة فيكون اكبر محصول عرف حتى الآن ويزيد على المقطوعية العالمية ما لا يقل عن ٤ ملايين بالة اذا اضيفت الى المخزون المتخلف من المحصول الماضي وقدرهُ ٥ ½ مليون بالة بلغ المجموع ٩ ½ مليون بالة او نحو ثلثي محصول كامل متوسط في كميتهِ وحينئذٍ تدهور الاسعار حتماً وتعود الى اقل مما كانت عليهِ في سنة ١٩٢٦ لما زاد المحصول الاميركي على ١٨ مليون بالة

وظل منتجو القطن مضطربي البال من هذا القبيل وزادهم قلقاً ان حالة زراعة القطن في اميركا سارت سيراً حسناً في ابان نموها بخافوا ان يتحقق ما خشوا منهُ وبينا هم في هذه الحال صدر تقرير وزارة الزراعة الاميركية عن مساحة الزمام المزروع قطناً في بلادها فاذا بهذه المساحة لا تتعدى ٠٠٠ ٦٢٢ ٤٦ الف فدان اغفل منها ٣،٨ في المئة اي ٨٠٠ ٧٠٦ ١ فدان فلم يبق سوى ٢٠٠ ٩١٥ ٤٤ فدان يجنى المحصول منها . ومن ثم اخذت تسوء حالة الزراعة القطنية في اميركا من كثرة التقلبات الجوية عليها وفتك دودة اللوز وسائر الآفات فيها فانحطت درجة نموها انحطاطاً كبيراً وسرى عن زراع القطن في العالم وفي اميركا نفسها وزالت مخاوفهم واحتفظ القطن باسعاره تقريباً بعد ما كان يخشى ان تتدهور تدهوراً كبيراً

هذا في اميركا اما في مصر فقد سارت زراعة القطن سيراً محموداً الى ان ترعرعت شجيراته وازهرت واخذت في العقد وحينئذٍ توالى على القطن السكلاريدس من الآفات ما لم يكد يسبق لهُ مثيل فساءت حاله وانحط محصوله بعد ما كان يبشر باقبال عظيم ولم تسلم زراعة الاصناف الاخرى من القطن بل اصيبت بضرر يذكر ولكنهُ لا يقاس باصابة السكلاريدس ولا باصابة الزاجوراه

وقدرت وزارة الزراعة مساحة الزمام المزروع قطناً في هذه السنة بنحو ٠٠٠ ٧٢٢ ١ فدان اي بزيادة ٠٠٠ ٢٢٠ فدان عن المساحة التي زرعت في السنة الماضية وعللت هذه الزيادة باقبال زراع الوجه القبلي على زراعة القطن وتوسعهم فيها غير ان العارفين يرتابون في صحة هذا التعليل ويقولون انهُ يتعذر ان تزيد المساحة في سنة واحدة مثل هذه الزيادة الكبيرة لاسيما ان قانون الثلث الذي كان معمولاً بهِ في السنة الماضية نفذ بالدقة في هذه السنة

من اين اتت هذه الزيادة

والمشهور عن زراع القطن الاميركيين انهم يزيدون دائماً في تقدير مساحة ما يزرعونهُ من القطن وما ينتظر ان يجنوهُ منهُ عشرة في المئة واشتهر في الوقت عينه عن زراع القطن في مصر انهم يقللون من ذلك ما يزيدهُ الاميركيون . ومن المعروف ايضاً ان التقارير الرسمية اعتادت ان تنقص مساحة المزروع من القطن في مصر في السنوات الماضية عن حقيقتها للسبب المتقدم ومبالغة في توخي الحيطة . ومن رأي كبار تجار القطن والعارفين بشؤون زراعته في مصر ان محصول الفدان في السنة الماضية كان

أقل كثيراً مما يستخلص من تقدير وزارة الزراعة للمساحة وجملة المحصول وان ولاة الامور في هذه السنة عمدوا الى التدقيق الشديد في تعيين المساحة اكثر مما فعلوا في السنوات الماضية عملاً بالعهد الذي قطعتهُ الحكومة لمؤتمر القطن الدولي الذي عقد في القاهرة

ومن عادة وزارة الزراعة الاميركية ان تصدر عند انتهاء موسم القطن وسواهُ من الحاصلات الزراعية تصحيحاً لارقام المساحة وكمية المحصول وكثيراً مالا يتعدى الفرق بين ارقامها التمهيدية والارقام الختامية المصححة اكثر من ٢ الى ٥ في المئة غير ان وزارة الزراعة المصرية لا تصدر ارقاماً مصححة في نهاية كل موسم قطن ولم تصدر ارقاماً عن مساحة زراعة القطن ومحصولها في السنة الماضية (١٩٢٧ — ١٩٢٨) حتى يتيسر مقابلتها بالمساحة والمحصول الحاليين ومعرفة الفرق بينهما من سنة الى اخرى

المحصول الاميركي

قدرت وزارة الزراعة الاميركية محصول القطن الاميركي في تقريرها التمهيدي في ٩ اغسطس الماضي بنحو ١٤ ٢٩١ ٠٠٠ بالة ثم عادت فقدرتهُ في تقريرها الثاني في ٨ سبتمبر بنحو ١٤ ٤٣٩ ٠٠٠ بالة أي بزيادة ١٤٨ ٠٠٠ بالة عن تقديرها السابق. وعادت فقدرتهُ في ٨ اكتوبر بنحو ١٣ ٩٩٣ ٠٠٠ بالة اي بنقص ٤٤٦ ٠٠٠ بالة

المحصول المصري

وقدرت وزارة الزراعة المصرية في تقريرها التمهيدي محصول القطن في مصر بنحو ٦ ٨٨٩ ٠٠٠ قنطار وايدتها في ذلك ضمناً شركة المحاصيل العمومية في تقريرها الشهري عن حالة الزراعة في شهر سبتمبر الماضي. وقدرهُ محل الخواجات شيكوريل وبارد بنحو ٧ ٣٨٠ ٠٠٠ قنطار غير ان بعض كبار الزراع وفي مقدمتهم البدراوي باشا انكروا صحة تقدير وزارة الزراعة وقالوا ان المحصول لا يتعدى ستة ملايين قنطار. ومن رأي مندوب المقطم التجاري ان المحصول سيجيء حوالي ٢/١ ٦ مليون قنطار

تأثير التقدير في الاسعار

كانت أسعار القطن المصري في بورصة الاسكندرية في ٧ سبتمبر الماضي ٣٦،٥٩ ريال السكلاريدس لنوفمبر و ٢٢،٧٠ ريال الاشموني لاكتوبر وكانت اسعار القطن الاميركي في اليوم عينهِ في بورصة نيويورك ١٩،٠٥ سنت الليبرة لاكتوبر وفي ٨ منهُ صدر تقرير وزارة الزراعة بوشنطن مقدراً المحصول الاميركي بـ ١٤ ٤٣٩ ٠٠٠ بالة

أي زيادة ١٤٨٠٠٠ بالة عن تقديرها الاول فأحدث ذلك رجة في اسواق القطن في العالم لم يكد يعهد لها مثيل من قبل

وفي يوم الاثنين هبطت الاسعار في بورصة الاسكندرية ١،٤٦ ريال السكلاريدس لنوفمبر و٩٠ بنطاً الاشموني لاكتوبر تبعاً لهبوط الاسعار في بورصة نيويورك اذ هبطت ٨٨ بنطاً لاكتوبر

واخذت الاسعار من ذلك الحين تتقلب وكفة النزول ترجح كفة الصعود كثيراً حتى اقفلت يوم الاربعاء ١٩ سبتمبر في بورصة الاسكندرية بـ ٣٢،٨٨ ريال السكلاريدس لنوفمبر و٢٠،٢٠ ريال الاشموني لاكتوبر وفي بورصة نيويورك ١٧،٦٨ لاكتوبر أي ان سعر السكلاريدس هبط ٣،٧١ ريال والاشموني ٢،٥٠ ريال في حين ان سعر الاميركي لم يهبط سوى ١،٣٧ ريال لاكتوبر

هذا ما وقع في بورصتي الاسكندرية ونيويورك أما في بورصة لفربول فكانت اسعار القطن المصري فيها في ٧ سبتمبر ١٨،٢٥ لنوفمبر و١٨،٣١ لينابر واسعار القطن الاميركي ٩،٩٨ لاكتوبر و٩،٨٩ لينابر فلم يحل يوم الخميس ١٨ منه حتى اقفلت بسعر ١٦،٤٠ لنوفمبر و١٦،٤٧ لينابر في القطن المصري و٩،١٠ لاكتوبر و٨،٩٨ لينابر وفي القطن الاميركي أي ان سعر القطن المصري هبط فيها في هذه الفترة ١،٨٥ ريال لاكتوبر و١،٨٤ ريال لينابر في حين ان سعر القطن الاميركي لم يهبط سوى ٨٨ بنطاً لاكتوبر و٩١ بنطاً لينابر

وفي هذا التباين العظيم في هبوط الاسعار في اسواق القطن الكبرى دلالة قاطعة على شدة الضغط على بورصة الاسكندرية وضعف مركز المشتغلين فيها

والسؤال الذي يتبادر الى الاذهان في هذا المقام هو هل هناك داع حقيقي لهذا الهبوط وهل زيادة ١٤٨٠٠٠ بالة في التقدير الثاني للمحصول الاميركي على تقديره الاول تسوغ حدوث مثل هذه الرجة العظيمة

كان المحصول الاميركي في السنة الماضية حوالي ١٣ مليون بالة والمخزون المتخلف من المحصول السابق والمحصولات التي قبله اكثر من ٧ ٣/٤ مليون بالة ومجموع ذلك ٢٠ ٣/٤ مليون بالة او ٢١ مليون بالة تقريباً

والمحصول الاميركي يقدر الآن بنحو ١٤٠٠٠٠٠٠ بالة يضاف اليه المخزون من المحصول السابق والمحصولات التي قبله وقدره نحو ٥ ١/٤ مليون بالة فيكون مجموعها حوالي ١٩ ١/٤ مليون بالة اي ان الموجود من القطن الاميركي في الموسم الحالي ينقص

عما كان موجوداً منهُ في الموسم الماضي نحو مليون وثلاثة ارباع مليون بالة

وكان محصول القطن المصري في السنة الماضية حوالي ٠٠٠ ٠٨٠ ٦ قنطار وكان المخزون المتخلف من المحصول السابق ٠٠٠ ١٧٨٠ قنطار ومجموع ذلك ٠٠٠ ٨٦٠ ٧ قنطار

وهب ان محصولنا الحالي جاء في آخر الامر ٦½ مليون قنطار فاذا اضفنا اليهِ المخزون المتخلف من المحصول الماضي والمحصولات التي قبلهُ وقدرهُ نحو ٠٠٠ ١٢٥ ١ قنطار كان مجموعها ٠٠٠ ٦٢٥ ٧ قنطار اي ان الموجود من القطن المصري في الموسم الحالي ينقص عن مثله في الموسم الماضي ٠٠٠ ٢٣٥ قنطار

فهل هذا النقص في الموجود المنتظر من القطن الاميركي والقطن المصري يسوغ مثل هذا التدهور في الاسعار

لو كان الناس يتوقعون ان يكون محصول القطن الاميركي أقل من ١٤ مليون بالة وجاءت وزارة الزراعة الاميركية وقدرتهُ بما يزيد نصف مليون بالة على ذلك لما استغربنا وقوع هذا الهبوط في الاسعار ولكن آراء العارفين كانت كلها مجمعة تقريباً على ان المحصول سيكون بين ١٤ مليون و١٥ مليون بالة بل ان ٧٣ من اكبر المشتغلين في بورصة نيويورك قدروا المحصول بـ ٠٠٠ ٣١٦ ١٤ بالة أي ما يقل ٠٠٠ ١٢٣ بالة عن تقدير وزارة الزراعة لهُ وقدره آخرون باكثر من ذلك الى ١٥ مليون بالة . فالرأي كان مستقراً والحالة هذه على تقدير المحصول باكثر من ١٤ مليون بالة والمؤكد ان المشتغلين في بورصة لفربول لم يفتهموا هذا الامر ايضاً

تعليل هذا الهبوط

والحقيقة ان هـذا الهبوط في الاسعار لم يكن ناشئاً من الزيادة اليسيرة في تقدير المحصول الاميركي وانما كان نتيجة النضال القائم بين الصناعة والانتاج او بين اصحاب المغازل والانوال وتجار المصنوعات القطنية وبين زارعي القطن وانصارهم من البنوك والجمعيات التعاونية التي تمد هؤلاء الزراع بالمال اللازم لهم والمضاربون بين هؤلاء واولئك ليسوا سوى مسترزقة يميلون مع الكفة الراجحة . ومما يؤيد ذلك ان الاسعار لم تتأثر تأثراً يذكر عقب صدور التقدير الرسمي الثالث بنقص المحصول نحو ٤٥٠ الف بالة عن التقدير السابق

ولا يبعد ان يقع في موسم القطن الحالي ما وقع في موسم سنة ١٩٢٣ فتنهض الاسعار من كبوتها الحالية وتسترد مستواها السابق ان لم تتجاوزه

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

العلاج بنور الشمس

المنزل الذي يدخله نور الشمس لا يدخلهُ الطبيب

أول من اعتمد على معالجة المرضى بنور الشمس ابقراط ابو الطب الذي كان يطبب في هياكل اسكولابيوس بن ابلون فوبيوس اله الشمس والطب والموسيقى . وقام بعدهُ جالينوس في بداءة التاريخ المسيحي واعتمد على المعالجة بنور الشمس . ثم أُهملت هذه المعالجة في القرون الوسطى لانها حسبت من الشعائر الدينية الوثنية وصار المرضى يُعالجون بظلمة الجهل حتى شاع الاعتقاد أنهُ اذا لمس الملكُ مسلولاً شفي من السل لقوة الهيبة فيهِ

وفي النصف الأخير من القرن التاسع عشر بدت تباشير الاهتمام بالنور فاعترضت فلورنس نيتنغايل (الممرضة الشهيرة) سنة ١٨٥٦ على بناء مستشفى نقلي لأن اتجاههُ يمنع اشعة الشمس من الدخول الى أسرَّة المرضى

وسنة ١٨٧٦ مدح السر بنيامين رتشردصن نور الشمس في كتابهِ الشمسي «هيجيا مدينة الصحة» . وأبان ددنز وبلنت سنة ١٨٧٧ أن نور الشمس يقتل ميكروب البثرة الخبيثة . وأطنب جون رسكن في فائدة نور الشمس والضرر الناتج من انتشار الدخان فوق المدن الانكليزية . وسنة ١٨٩٠ اثبت الدكتور ثيوبولد ادريان بام بالادلة الجغرافية أن الكساح الذي يفتك بالاطفال سببهُ عدم التعرض لنور الشمس لان هذا الداء يكثر في الاماكن التي يقل فيها نور الشمس ويقلُّ أو يُعدَم في غيرها . وأبان روبرت كوخ وغيره أن نور الشمس يقتل ميكروب السل

وسنة ١٨٩٣ أخذ فنسن يعالج مرض الذئب الاكّال (وهو نوع من التدرن) بجمع نور الشمس عليهِ . وسنة ١٩٠٠ بدأ مستشفى لندن يعالج هذا الداء بنور الشمس

وسنة ١٩٠٣ فتح الدكتور روليه أول عيادة طبية لمعالجة ما يسمى بالسل الجراحي ببلدة ليزان بالالب ثم أنشأ ما سماهُ « مدرسة في الشمس » ونشر كتاباً سنة ١٩١٤ موضوعهُ « الشفاء بنور الشمس » ولكن جاءت الحرب وجاراهُ بعض الاطباء في المعالجة بنور الشمس ولم يبلغ أحدهم مبلغهُ في استخدامهِ نور الشمس والانتفاع بهِ وما منهم من علل فائدة هذا النور التعليل الوافي المقنع

وقد ظهر ان كل طبيب من الاطباء كان يعتمد على خصائص المكان الذي يصفهُ في العلاج ويحسبها ضرورية لحصول الفائدة من نور الشمس فالذي مستشفاهُ في الجبل يحسب ارتفاع المكان أمراً ضرورياً لحصول الفائدة من النور والذي مستشفاهُ قرب شاطيء البحر يرد الفائدة الى هواء البحر . ولما رأى الدكتور كالب ولبمز صليبي الاطباء الذين يعالجون بنور الشمس مختلفين في حقيقة فعله كتب في ناتشر الصادرة في ٨ دسمبر سنة ١٩٢١ و ٥ يناير سنة ١٩٢٢ طالباً تعيين لجنة للبحث في هذا الموضوع فاهتم مجلس البحث الطبي لذلك وعينت لجنة خصوصية برآسة السر وليم بايلس الفيزيولوجي المشهور وكان من أول اعمالها ترجمة كتاب الدكتور روليه الذي موضوعهُ « العلاج بالشمس »

ويظهر الآن ان الاطباء قد اثبتوا ان الفائدة ناتجة من نور الشمس لا من حرارتها ولكن التعرض لنورها يجب أن يجري على نظام معين لان الاشعة الكيماوية التي فيهِ (الاشعة التي فوق البنفسجي) تفعل بالجلد فعلاً قويًّا فاذا تعرض كل جسم الانسان عارياً لنور الشمس دفعة واحدة ومدة طويلة أصابتهُ صدمة قد لا يقوى على احتمالها . فالمعالجة بنور الشمس يجب أن تجري على يد طبيب خبير . والا انقلبت الفائدة المطلوبة الى ضرر . على ان التعرض لنور الشمس في أثناء التنزه والرياضة أمر لا بدَّ منهُ لكل انسان وخصوصاً للاطفال والفتيان والفتيات . ولكن يجب أن يكون الرأس مغطى ببرنيطة لئلا يصاب المتعرض لهُ بالرعن (ضربة الشمس)

الاسنان تحفر قبور الناس

قضي على الانسان ان يشقى باسنانهِ من المهد الى اللحد وان ينغّص عيشهُ بكثرة ما يطرأ عليها من العلل . ولو اقتصر الامر على ما تحدثهُ الاسنان من الآلام المبرحة

حين بروزها في الطفولة وخلعها في الشيخوخة وما يتتابها من الامراض المقضة للمضاجع في السنين الطوال التي تتخلل هاتين المرحلتين لاحتمل الناس بلواهم بالصبر الجميل ولكن الاسنان تحفر قبور ملايين من الخلائق في كل عام وتوردهم موارد الحتوف

ان الالم الاول الذي يشعر بهِ الانسان في سن من اسنانهِ او ضرس من اضراسهِ يكون بدء المرحلة الاولى الى القبر فانِ نصف قبور بني البشر حفرتها الاسنان فاهمال اي الم يطرأ على الاسنان يكون اغفالاً لنذير القبر

فاذا آلم الانسان سن من اسنانهِ فخير ما يفعلهُ ان يبادر الى طبيب الاسنان فان في وسعهِ ان يرى في داخل فمك بعينهِ الخبيرة ما لا تستطيع ان تراه انت بعينك في المرآة ومن الحكمة ايضاً ان تدع طبيب الاسنان ان يكشف عن اسنانك حيناً بعد آخر ولو لم تشعر بألم فيها فاذا كانت سليمة تطأْ نت وامنت شرها واذا كانت مستهدفة لعلة تداركتها بالوقاية فان درهم وقاية خير من قنطار علاج

ونظافة الاسنان من اهم ما يجب ان يعنى بهِ الناس وكثيرون يعتقدون انهم اذا نظفوا اسنانهم في الصباح بالفرشاة والمساحيق او الغسول والصابون او الماء ادركوا الغاية من النظافة ووقوا اسنانهم من السوس والطرطير وهذه العادة وان تكن حميدة فانها غير وافية وحدها بالمرام بل يجب ان يكرر هذا التنظيف قبل النوم مباشرة وان يغسل الفم بعد كل اكلة ولاسيما بعد الفطور واسهل غسول يمكن تحضيره واقربهُ تناولاً لجميع الناس هو ملعقة من ملح الطعام تذاب في كاس ماء ساخن

والطريقة المثلى لتنظيف الاسنان بالفرشاة هي ان تنظف من الداخل الى الخارج وان تمر الفرشاة على الاسنان في الفك الاعلى من فوق الى تحت وعلى الاسنان في الفك الاسفل من تحت الى فوق على مثال ما يفعلهُ ناشر الخشب بمنشارهِ

والسبب الاكبر في ضعف أسنان المتمدنين وشدة تعرضها للعلل والامراض الكثيرة مع كل ما يبذلونه من العناية بها هو أن الطبيعة أوجدت الانسان ليأكل المآكل الخشنة القاسية التي تقتضي لوكاً كثيراً وطحناً شديداً وركبت له فكين كبيرين قويين فلما تحضَّر البشر وأخذوا يعنون براحتهم ورفاهتهم أغفلوا المآكل الخشنة التي أعدتها لهم الطبيعة وعمدوا الى تناول الاطعمة اللينة التي يسهل لوكها وطحنها فقلَّ بذلك عمل الفكين وضمر عظمهما على مر الزمان وأخذت الاسنان تقرب بعضها من بعض ويزول ما بينها من الفتحات التي كان يمر فيها الطعام في أثناء الاكل من غير أن تترك فضلات بين

الاسنان . أما وقد اكتظت الاسنان الآن في الفكين ولم يبق بينها الا فتحات ضيقة جداً فان فضلات الطعام تعلق فيها ثم تختمر وتتولد منها السموم التي تؤذي الاسنان نفسها وتسم الجسد وتفتك به على مر الايام

وتناول الاطعمة الخشنة القاسية لا يفيد الاسنان وحدها بل هو انجع علاج في مداواة الامساك فقد اثبت السر جون ارثبوت لاين الجراح الانكليزي وصاحب الدعوة الصحية المشهورة في انكلترا انهُ لا بد للانسان من تناول شيء كثير من المواد الخشنة التي لا تهضم حتى تحرك الامعاء وتدفعها الى العمل . ومن رأيه انه من اكبر الاسباب في انتشار مرض السرطان هو الامساك واغفال الناس لمداواته بالمآكل الخشنة واقتصارهم على الاطعمة التي لا تحوي من المواد الخشنة ما يكفي لتحريك الامعاء واكثارهم من المآكل المحفوظة والمقددة بطرق كياوية ومن المؤكد ان الاطعمة الرخوة ولا سيما اللزجة منها تضر الاسنان أشد ضرر كما انها تؤذي القناة الهضمية أيضاً وتعوّدها الكسل فتحدث الامساك

والسكر الصناعي او السكرين الذي يستعمل في صنع الشكولاته او الحلوى هو أعدى اعداء الاسنان فأكل الشكولاته او الحلوى عموماً قبل النوم يفسح المجال للسم الذي يتولّد منها لان يفعل فعله الضار في الاسنان في اثناء النوم

والطعام الذي لا يمضغ جيداً يحدث سوء هضم كما ان الاطعمة التي لا يحسن تناولها تحدث تسمماً ذاتيًّا وامساكاً والسم الذي يتولد من ذلك يصيب اللعاب الذي هو سائل الهضم الموجود في الفم فيعقد غشاء لزجاً على الاسنان يكون منهُ وسطاً حسناً لنمو البكتيريا فتسوس الاسنان وتصاب اللثة ويتلو ذلك الداء العضال المعروف بالبيوريا

الملح في الطعام وضرره

الشائع ان الملح ضروري للطعام وكل طعام يملح بملح وان الانسان لا يعيش من غير ملح ولقد كنا نسمع قصصاً يقال فيها ان قوماً من الاسرى اجبروا على اكل طعامهم من غير ملح فتولّد الدود في ابدانهم وقتلهم . وهذه القصص موضوعة . فان بعض هنود شمالي اميركا لم يكونوا يملحون طعامهم بالملح ولا يزال جمهور منهم يعيش من غير ان يملح طعامهُ . وكثيرون من سكان اواسط افريقية لا يملحون طعامهم . والناس الذين يملحون طعامهم متفاوتون جدًّا فبعضهم لا يأكل شيئاً الا وفيه كثير من

الملح وبعضهم يكره الملح حتى في الطعام الذي لا يؤكل عادةً الاَّ مملحاً بهِ . ونحن نعرف كثيرين لا يأكلون الموز ولا التفاح ولا البرتقال ولا البطيخ الاَّ وهي مملحة بكثير من الملح مع ان اكثر الناس يأكلون هذه الاثمار من غير ملح او مدروراً عليها السكر بدل الملح

والظاهر ان استعمال الملح عادة يعتادها المرء فيصير يشعر بالحاجة اليهِ والحيوان قد يعتاد اكل الملح كما يعتادهُ الانسان فيصير يستطيبهُ ويفتش عنهُ ولكنهُ اذا لم يعتدهُ لم يعبأ بهِ فترى المواشي التي اعتادت لحس الملح تستطيبهُ جدًّا والمواشي التي لم تعتدهُ لا تلتفت اليهِ والاولى ليست اصلح من الثانية

والملح مهيج للغشاء المخاطي فاذا اذبته بالماء ومصصتهُ بانفك كثر افراز المخاط منهُ فهو يفعل بالغشاء المخاطي في الفم والمعدة كما يفعل بالغشاء المخاطي في الانف فاذا اكثر الانسان من استعمال الملح فلا بدَّ من ان يصيبهُ منهُ زكام مزمن في معدتهِ وامعائهِ . والمقدار الكبير من الملح مقيِّئ ومسهل لهذا السبب عينهِ . ويقال ان بعض امراض القلب والكليتين مسبب عن الاكثار من اكل الملح ولذلك يستفيد المصابون بامراض الكليتين من الاقتصار على اكل اللبن لانهم يمتنعون عن اكل الملح وهذا هو السبب في فائدة الاقتصار على اكل العنب

ولا دليل مطلقاً على ان ملح الطعام لازم للهضم لأن يهضم بدونه وفي الأطعمة الطبيعية ما يكفي من الاملاح . وقد قدر بعضهم ان الملح الذي يجوزان يأكلهُ الانسان في اليوم يجب عليهِ ان لا يزيد على ثلاثين قمحة فاذا زاد على ذلك اضطرت الكليتان واضطر الجلد الى افراز الزيادة . فالقليل من الملح مفيد ولكن الكثير منه ضار

ثم ان الاكثار من الملح يدعو الى العطش كما لا يخفى لان الملح يخرج السوائل من الجسم فيشعر بالحاجة اليها

والخلاصة ان الاكثار من الملح لايخلو من الضرر والاقلال منهُ لايضرُّ بل ينفع

الاستحمام

انشأ الناس الحمامات للاستحمام من قديم الزمان فتفنن اليونان والرومان فيها وبلغوا من اتقانها حدًّا لم يصل اليهِ ابناءُ هذا العصر وجرى العرب مجراهم لما امتلكوا بلاد الروم وحماماتهم في مدائن الشام من اعظم مبانيها واجملها

والغرض الاول من الاستحمام تنظيف الجلد وتنشيط الدورة الدموية ولاسيما في الذين اعمالهم البدنية قليلة

اما الحمام الذي يراد بهِ تنظيف الجلد فيجب ان يكون بالماء الحار والوقت الأصلح لهُ في المساء قبل النوم ولكن درجة حرارتهِ معتدلة وينظف الجلد حينئذٍ بالليفة والصابون ويحسن ان ينتهي بغسل البدن باسفنجة مبلولة بماء بارد وفركهِ وتنشيفهِ جيداً وفائدة الماء البارد تقليص مسام الجلد بعد تفتحها بالماء الحار لكي لا يكثر العرق من الجلد

والحمام الذي يراد بهِ تنشيط الدورة الدموية وانعاش الجسم هو الحمام البارد سواء كان بالماء البارد او الهواء البارد ووقتهُ الصباح حال القيام من النوم ويجب ان لا تطول مدتهُ اكثر من دقيقة ونصف دقيقة ولاسيما اذا كان الانسان لم يعتد الماء البارد ولابد من فرك الجسم كلهِ جيداً بعد صب الماء البارد عليهِ حتى تعود الحرارة اليهِ ويحمر سطحهُ واذا كان الانسان ضعيف الجسم فليس من الحكمة ان يغتسل بماء شديد البرودة . ومن هذا القبيل الاغتسال بماء البحر وبالهواء البارد فانهُ يجب ان يكون قصير المدة ولاسيما اذا كان الجسم ضعيفاً ويجب فيهِ كلهِ فرك الجسم جيداً بعد الاغتسال حتى يحمرَّ

والحمام البخاري من قبيل الحمام السخن وهو يكاد يكون دواء للزكام والتهاب الشعب والتهاب اللوزتين والروماتزم فيغني عن الدواء وهو من قبيل التنطيل بهبلة الماء السخن والغرض منهُ تفتيح مسام الجلد وتعريقهُ فان العرق الكثير الذي يخرج منهُ يأخذ معهُ كثيراً من الفضول المتجمعة في الجسم

اهتمام المرأة بمنظرها

ان كانت مشاغل البيت وهموم الحياة قد جعلتكِ تهملين منظركِ فسلمتِ للاقدار ولم تعودي تهتمين كيف تظهرين للذين يرونكِ فاعلمي ان المرأة تسرُّ دائماً بان لا تظهر عليها امارات الكبر والاهمال لا في قامتها ولا في وجهها ولا في ثيابها . واعتناء المرأة بنفسها ليس من قبيل التباهي والعجب الباطل كلا بل هي مضطرة اليهِ لكي تسر زوجها واولادها فانهم يحبون ان يروها على احسن ما تكون وهذا لا يكلفها من الاهتمام الا دقائق قليلة كل يوم

فعليكِ إن تغتسلي يوميًّا اذا استطعت ذلك وان تكثري من استعمال الفرشاة لشعرك وان تستريحي بعد الغداء ولو ربع ساعة استلقي فيها على ظهركِ واغمضي عينكِ ونزهي افكارك عن كل المشاغل والهموم ولو لم تنامي

واخرجي الى الهواء النقي كل يوم فان الهواء والشمس لازمان لصحة الاجسام وانتعاش الابدان لزومهما للازهار والرياحين واذا كنت تكثرين المشي في البيت فلا داعي للمشي الكثير خارجاً لان زيادة تعب الجسم لا تفيد ولكن اذا كنت قليلة المشي في البيت فعوضي عنهُ بالمشي خارجاً في نور الشمس والهواء الطلق

واذا ظهرت الغضون حول منخريكِ وعينيكِ فافضل الطرق لازالتها فرك الجلد هناك بمادَّة مغذية مثل قشدة اللبن فركاً لطيفاً بالتأني

والاكثار من شرب الماء نافع لانهُ ينظف الامعاء . ونظافة باطن الجسم ضرورية كنظافة ظاهرهِ

والرياضة الجسدية ضرورية لقليلات الاشغال البيتية ولكن المرأة التي تتحرك كثيراً في بيتها لا حاجة بها الى الرياضة بل هي محتاجة الى الراحة

واذا خفت من ان تسمني كثيراً فلا أسهل من مقاومة السمن بتقليل الاكل ولاسيما المآكل الدهنية والنشوية والسكرية وتكثير الرياضة . وامضغي طعامكِ جيداً

فوائد منزلية

لكي تحفظي قطعة اللحم جيدة علقيها بخيط بدلاً من وضعها في قصعة (صحن) لانها اعا تفسد من السوائل الناضحة بها

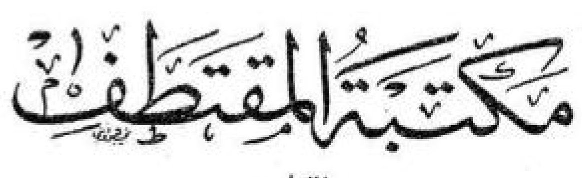
بعد قلي (البفتاك) المملح ضعي قطعاً من الجزر في السوائل الباقية فيمتص الجزر ملحها فيصير صالحاً للشورباء

عند شيّ قطعة من اللحم اغمسيها بمزيج من الزيت والخل والخمر فيجود طعمها ورائحتها وتلين

عند شيّ اللحم اجلي الجانب الاول يجف قليلاً ثم اشوي الجانب الآخر جيداً فيكون ذلك افضل من تتميم الجانب الاول ثم قلب الثاني

لمنع سيلان الدهن عن قطعة لحم الخنزير اغمسيها قبل شيّها بالدهن قليلاً

لحفظ لحم الدجاج نظيفاً ابيض عند غليهِ ضعي في الماء عصير نصف ليمونة حامضة



اللباب

وهو المختار مما قرضهُ جميل صدقي الزهاوي

من الشعر في ادوار حياته

الاستاذ الزهاوي عَلَم خافق من اعلام الحرية — حرية الاعتقاد وحرية الفكر وحرية القول — في بلدان الشرق ، لم يخَف يوماً في سبيل رأيهِ لومة لائم ولاسجن مضطهد . يدلك على ذلك قولهُ من قصيدة في الدولة العثمانية يوم كانت لا تزال سيدة العراق وسورية وفلسطين فسجن بسببها

وما هي الاَّ دولة مستبدةٌ ... تسوس بما يقضي هواها وتعمل
فترفع بالاعزاز من كان جاهلاً ... وتخفض بالاذلال من كان يعقل
فمن كان فيها اولاً فهو آخر ... ومن كان فيها آخراً فهو اول
ألا انما بغداد قد اصبحت بهم ... يهددها داء من الجهل معضل
وقد عبثت بالشعب اطماع ظالمٍ ... يحمّلهُ من جورهِ ما لا يحمّل

كذلك قولهُ في تهنئة المقتطف بعيدهِ الذهبي

واشجع الناس كل الناس في نظري ... ذاك الذي قلبهُ في الحق لا يجف
يبدي الحقيقة للاقوام عارية ... وان اهانوا وان سبوا وان قذفوا

وقوله :

ظنوا بان الشعر الفاظ لها ... اغـلال اوزان وقيد قوافي

وقوله :

والشعر ليس بنظمهِ ذو قيمة ... اتظنُّ شعراً كل ما هو ينظم

وقد اثبت فعلاً انهُ لا يرهب ان ينظم شعراً مطلقاً من قيد القافية فنظم قصيدتهُ الطويلة « بعد الف عام »

كذلك تراهُ نصيراً للمرأة في نهضتها ومن القائلين بالسفور حيث يقول

مزقي يا ابنة العراق الحجابا واسفري فالحياة تبغي انقلابا
ليس بالناهض المهذب شعب هو لم يجعل احترامك دابا

***

قد يختلف الكتاب والنقاد في نظرهم الى الزهاوي وشعره على ما اشار اليه في مقدمته حيث يقول « وقد كثر اللغط في مصر وسورية والعراق حولي فمن قائل انهُ لا فيلسوف ولا شاعر بل هو عالم يحكم العقل والمنطق فيما يكتبهُ او ينظمهُ وقائل انهُ شاعر لا فيلسوف وقائل انهُ فيلسوف لا شاعر ومحب يقول انهُ فيلسوف وعالم وشاعر معاً وحاقد يقسم باحرج الايمان انهُ لا عالم ولا فيلسوف ولا شاعر »

نقول قد يختلف الناس في هذا الامر ولكننا لا نظن اثنين يختلفان ان الاستاذ الزهاوي كان رائداً مقداماً من رواد حرية الفكر في الشرق سواء بما نظمهُ من القصائد او كتبهُ من الرسائل او القاهُ من الخطب او قام بهِ من الاعمال حتى في اشدّ ايام الاستبداد هولاً

ومع ذلك لا ندري سبباً يوجب هذا التقسيم بين الشاعر والعالم والفيلسوف. فقد كان علماء النفس القدماء يظنون ان عقل الانسان اشبه شيء بخزانة كبيرة فيها ادراج كل درج منها يحتوي على موهبة خاصة من مواهب الفكر. ولكن علماء النفس المحدثين اثبتوا بعد ما درسوا اصول الفيزيولوجيا واتصال الجهاز العصبي بالعقل والادراك والعواطف وما اليها ان الانسان كلهُ يكون ساعةً مفكراً يبني تفكيرهُ على اصول العلم وقواعد المنطق فاذا استفزّ شعورهُ مستفزٌ ثار ثائرهُ وضرب بالعلم والمنطق عرض الحائط وهبَّ يذود عن كرامتهِ مثلاً او يدفع عن وطنهِ. كذلك الاديب تراهُ آناً يتأمل في اوضاع الاجتماع والغاز الحياة فتغلب عليهِ صفة المفكر المتأمل فاذا كتب او نظم جاءت كتابتهُ او منظوماتهُ اقرب الى تفكير الفيلسوف او الحكيم. واذا اثار الحبُّ كوامن الوجد في صدرهِ او ضرب الوطن على وتر الكرامة والعزة القومية او حرّك مشهد الكواكب معاني الاجلال والاحساس بالعظمة والجمال جاءت منظومتهُ وقد غلب فيها جانب الشعور والوصف على جانب الفكر والرأي. فيقول فريق انهُ في كتابتهِ او شعرهِ الذي من النوع الاول عالم او فيلسوف. ولكنهُ في الثاني شاعر شاعر. والحق انهُ شاعر في كلا الحالين ولو قال في كلا الحالين «انا ابن عقلي وحده» لان الشعر لم يوقف

يوماً على الشعر الوجداني او الوصفي بل هو في رأينا كل تأملٍ وكل شعور يثير صاحبهُ الى إلباسهِ ثوباً من الجمال نظماً كان هذا الثوب او موسيقى او تصويراً او حفراً

ولكننا لا نخفي ان شعر المتأمل يغلب في «اللباب» على شعر الوجدان والوصف وذلك لان نشأة الاستاذ الزهاوي انما كانت نشأة عالمٍ حكيمٍ وقد تناول في رسائلهِ ومباحثهِ وقصائدهِ الفلسفة والعلوم والتاريخ والسياسة . وليس لدينا متسع في هذا الباب نجيء فيهِ على وصف المطالب الكثيرة التي تناولها فلهُ في القصص والحوادث عبر ومواعظ وفي الوصف وبثّ الشكاة والحث على التقدم وتأييد المرأة آيات بينات

ثروة الحبشة

بلاد الحبشة الى الجنوب الشرقي من السودان المصري مساحتها نحو ٣٥٠٠٠٠ ميل مربع اي انها اوسع من فرنسا وايطاليا معاً ولكن عدد سكانها قليل لا يزيد على اثني عشر مليوناً ويقدرهُ بعض الباحثين بعشرة ملايين فقط وهي ممالك صغيرة ولذلك يلقب صاحبها امبراطوراً وفي لسانهم نغوس نغستي (نجاشي النجاشيين) وتفصل البلاد عن البحر الآن مستعمرات دول الاستعمار الكبرى انكلترا وفرنسا وايطاليا . وواضح ان هذه المستعمرات حديثة لم يكن منها شيء في اوائل القرن الماضي . وفي البلاد جبال شاهقة يبلغ ارتفاع بعضها عن سطح البحر نحو ١٥٠٠٠ قدم ونجود واسعة في انحائها الشرقية والجنوبية تتخللها انهار كبيرة يجري بعضها جنوباً الى بلاد الصومال [1] وبعضها غرباً الى السودان المصري ومنها نهر القاش ونهر الاتبرا والبحر الازرق بروافدهِ الكثيرة واهمها البحر الازرق احد فرعي النيل وعليهِ يتوقف الفيضان ومبدأهُ بحيرة صانا في الجانب الجنوبي الغربي من بلاد الحبشة . وهذه البحيرة كبيرة جدًّا مساحتها ١١٠٠ ميل مربع وعمقها في بعض جهاتها ٢٥٠ قدماً فهي اوسع من مديريتي القليوبية والمنوفية معاً

واقليم الحبشة حارٌّ رطب في السهول معتدل في النجود بارد جاف في الجبال فلما ترتفع درجة الحرارة في نجودها على ٨٠ درجة بميزان فارنهيت . نشر بروس ارصادهُ

(١) يقال ان كلمة الصومال عربية محرفة واصلها الشمال لانها على شمال من يدخل البحر الاحمر كما ان اليمن عن يمينه

الجوية سنة ١٧٧٠ في كتابهِ المطبوع سنة ١٧٩٠ فكان أعلى درجات الحرارة ٩١ وذلك في ١٢ ابريل عند الظهر واخفضها ٣٢ وذلك في ١٤ يناير الساعة السادسة صباحاً واعلى درجات الحرارة في السنة كلها بين الستين والثمانين فاقليمها معتدل كاقليم سورية وهي مثل لبنان وسواحلهِ يرتقي فيها الانسان في بضع ساعات من اقليم حار بكل مميزاته الى اقليم بارد بكل مميزاتهِ

والسنة هناك ثلاثة فصول فصل الشتاء من اكتوبر الى فبراير وهو اشد الفصول برداً ويتبعهُ فصل حار جاف ثم فصل المطر من يونيو الى اكتوبر. ويشتد وقوع المطر في يوليو واغسطس وقد يدوم الى اواسط سبتمبر او اواخرهِ والغالب انهُ لا يمرُّ شهر من غير ان يقع فيهِ مطر . اما فصل المطر الحقيقي فمن يونيو الى اواسط سبتمبر وعلى هذا المطر يتوقف فيضان النيل وفلاح مصر . فتكون بلاد الحبشة اعلق البلدان كلها بالقطر المصري فاذا استطاعت ان تحول جانباً من انهارها الى ري اراضيها فقد تضرُّ بالقطر المصري ضرراً كبيراً

فبلاد الحبشة ترتبط بالبلاد المصرية بروابط جغرافية وتاريخية وسياسية ولا بدَّ من بيان هذه الروابط على وجهٍ وافرٍ ليقف عليها الخاص والعام

ويسرنا ان الدكتور عبد الحليم الياس نصير قد عني بوضع كتاب مسهب في هذا الموضوع وصف فيهِ جغرافية بلاد الحبشة الطبيعية والاقتصادية وعلاقاتها السياسية فجاء في اربعة اقسام يحتوي القسم الاول منها على النظام السياسي والاجتماعي السائد في بلاد الحبشة مثل نظام الحكم والكنيسة القبطية والرقيق الاسود . والقسم الثاني يشتمل على بحث زراعي مستفيض والثالث يتناول التجارة والصناعة وفي الرابع يعرض لعلاقة الحبشة بمصر بالدول الاوربية وجمعية الامم ويلي ذلك ملحق يحتوي على نص المراسلات السياسية التي دارت بين الحبشة والدول الاوربية المختلفة التي لها مصالح في بلادها او فيما يجاورها . فالكتاب لا يستغني عنهُ مشتغل بالسياسة المصرية لشدة ارتباط مصالحنا الحيوية بمصالح الحبشة.وما الضجة التي قامت حول سد بحيرة صانا في الخريف الماضي الاَّ دليل على ذلك

وهو مكتوب باللغة الفرنسية ويقع في ٢٧٢ صفحة من القطع الكبير مزدانة بصور كثيرة وحبذا لو عني المؤلف بنقلهِ الى العربية ونشرهِ بين ابنائها

زلات الوالدين

الكتاب للاستاذ فيلكس توما استاذ الاخلاق في جامعة فرسايل باريس وقد « الم فيه بكل اساليب التربية في العائلة من قبل المهد اي من قبل تكوُّن الجنين الى ان يصير الطفل رجلاً ويتزوج وقد جاء فيه على وصف ما تترك الزلات التي يقترفها الآباء في تربية اولادهم من السيئات التي تلازم الحياة . وليس من الغرابة ان نقول ان معظم الاباء والامهات في هذه الديار يجهل جهلاً مطبقاً واجبات الابوة والامومة» لذلك جاءت عناية الامير وديع شهاب بترجمته ونشره في وقت الحاجة اليه . وقد طبعهُ طبعة اولى سنة ١٩٢١ فنفدت نسخها . فاعاد طبعهُ في آخر السنة الماضية طبعاً متقناً ببيروت فجاء في ٢٢٦ صفحة من قطع المقتطف تحتوي على اجلّ الفوائد في تربية الاولاد وتهذيبهم ولا نكون مغالين اذا قلنا ان كلّ ارباب العائلات يجب ان يقتنوهُ وان لا يكتفوا باقتنائه بل نتمنى ان يكبوا على مطالعته وتطبيق احكامه فالممالك تسقط ، على ما يقول المؤلف ، والعروش تثلّ ولكن مملكة واحدة نشأت في القرن التاسع عشر ورسخت يوماً فيوماً هي مملكة « الولد » . فنهوض كلّ امة رهن العناية باطفالها فاذا شبّوا صحاح الاجسام مهذبي النفوس مثقفي العقول كان لها منهم في شبابهم ورجولتهم زعماء اقوياء يتقدمون صفوفها في معترك الحياة والعمران . والاّ اذا نشأوا ضعاف الاجسام منحطي الاخلاق اغبياء العقول فقد قضي عليها بالخذلان والتقهقر فما اكبر التبعة الملقاة على عواتق الآباء والامهات وما اشرفها

المدنية والحجاب

كتاب بليغ ينطوي على آراء مفكري الشرق والغرب في قضية المرأة وعلى معارضة مسهبة لكتاب « السفور والحجاب » الذي وضعتهُ الآنسة نظيرة زين الدين . وكان المؤلف يشك في نسبته اليها فكرر لفظة « المنسوب » الى الآنسة ...حين ذكر الكتاب

ويتلخص رأيهُ في العبارة التالية المقتطفة من مقدمة الكتاب ومنها يتبين القارىء أسلوبهُ العربي البليغ في ايراد آرائه

«ان النقاب عند المسلمين امر عظيم الشأن نهت عن ابتذاله الشريعة ، واثبت نفعهُ الاختبار ، ولذلك تراهم اليوم مهتمين لقضيته كل الاهتمام ، معتصمين بأهدابه جد الاعتصام ، وكيف يتهم المسلمون للحجاب وداً ، او يخفرون لهُ عهداً وفي ايامه وضع العرب

لروائع الحضارة صوراً وبسطوا في وجوه السؤدد غرراً، فلا عصبت يومئذ لشوكتهم سلمات ولا قُـرعت لمزتهم صَفاة ،غير ان جهري بواجب حفظه ، واشادتي بذكر مناقبه لا يعنيان اني اقصد النحت من اثلة شعب لم يأ لفهُ ،ولا القول بان ديار الفضيلة عافية الرسوم عند من ابتذله فاني اعترف بحسن سجية سيدات غير محتجبات واتغنى بادب مصونات غير منقبات ، ولكن اعترافي بفضل المحصنات منهن والفاضلات لا يجعل المسلمين ولا سيما منهم من خبر الحالة الاجتماعية في الشرق والغرب يتراخون في خلع النقاب وهم غير اولياء امورهم ، وتيار الشوائب على الابواب

وأيضاً قولهُ :

ولا يظنن احد اني خصم رقي المرأة فاني من أوائل الجاهرين بواجب تعلمها اصول تربية الاطفال وتدبير المنزل والتمريض والاقتصاد وغير ذلك من امور تستدعيها مصلحة البيت وطما نيئته فالى اولئك السيدات الفاضلات محجبات كنَّ او سافرات اردد آيات الثناء والاعجاب سائلاً للوطن العزيز بفضل مساعيهنَّ ونهضة ابنائهِ الابرار ابعد العزة والفلاح

الهندسة المستوية

النهضة العلمية في العراق ماضية في سبيلها غير حافلة بما يقوم في وجهها من العقبات. ولا ريب في انها بالغة نصيبها من النجاح اذا ظلَّ الدأب والاقدام ديدن اربابها. نقول هذا وامامنا الجزءان الثاني والثالث من هندسة ونتورث وسمث المستوية نقلها الى العربية الاستاذان علي وجلال امين زريق مدرسي الرياضة في المدرسة الثانوية المركزية ببغداد ودار المعلمين العليا فيها . وقد قررت وزارة المعارف تدريس هذا الكتاب في السنة الثانية من الدراسة الثانوية . فنشكر للاستاذين عنايتهما بنقل كتب التدريس العلمية الى اللغة العربية ونشكر لحكومة العراق عنايتها بتشجيع المترجمين قولا وفعلا

الرجل الذي لا يعرفه أحد

تحليل عصري لشخصية السيد المسيح ومبادئهِ وتعاليمهِ وكيفية تطبيقها على احوال الناس ومعتقداتهم واعمالهم في هذا العصر بقلم الكاتب بروس برتون الاميركي. وقد نقله الى العربية بتصرف قليل الارشمندريت انطونيوس بشير صاحب مجلة «الخالدات» ومحررها وقد عني بطبعهِ ونشرهِ يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) بوز العالم الهندي

الاسكندرية . لهجت الجرائد اخيراً بذكر العالم الهندي بوز فمن هو واين تلقى علومهُ وبماذا يشتغل الآن

ج . اليك ترجمتهُ ملخصة عن الطبعة الاخيرة من دائرة المعارف البريطانية . عالم طبيعي ولد في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٨ وبعد ما تخرج من كلية سانت زافيه بكلكتا التحق بكلية كريست في جامعة كمبردج ففاز بشهادة الامتياز العليا سنة ١٨٨٤ . وانتظم في السنة التالية في سلك ادارة المعارف بالهند فعين استاذاً للطبيعيات في كلية الرآسة بكلكتا . وخطب سنة ١٨٩٦ في مجمع تقدم العلوم البريطاني عارضاً آلة لدرس صفات الامواج الكهربائية تشبهُ من وجوهٍ كثيرة جهاز الرابط Coherer المستعمل الآن في المخاطبات اللاسلكية . واستنبط جهازاً لتحقيق قواعد انعكاس الامواج الكهربائية وانكسارها واستقطابها . وخطر على بالهِ حينئذٍ ان فعل المستقبِل الكهربائي يشبه من وجوهٍ كثيرة فعل العضلة في جسم الانسان فحملهُ ذلك على البحث في تأثر الجمادات والنباتات بانواع مختلفة من المهيجات سواءٌ كانت كهربائية او ميكانيكية فادى بهِ ذلك الى مباحثهِ البديعة في اعصاب النباتات. وهو اول هندي فاز بلقب « عضو في الجمعية الملكية البريطانية» F.R.S. وذلك جزاءٌ لهُ على مباحثهِ العلمية والرياضية . واسس معهداً للبحث الطبيعي في كلكتا سنة ١٩١٥ تولى ادارتهُ ونال لقب سر سنة ١٩١٧

(٢) مباحثه في اعصاب النباتات

ومنهُ . وما هي مباحثهُ

ج . من النباتات ما تتحرك اوراقهُ اذا لمستها كانها تشعر واشهر الامثلة على ذلك السنط الحساس . هذا النبات تتبسط

اوراقهُ في الصباح وتتجه الى الشمس وتبقى منبسطة الى اواخر النهار فتنطبق حينئذٍ وتبقى كل الليل كذلك الى الصباح . واذا لمستها في النهار انطبقت ايضاً كما تنطبق ليلاً . واذا اطلتَ لمسها او لمست ساقها لم تكتفِ بالانطباق بل تدلت على اغصانها كأنها ماتت

هذه ظاهرة طبيعية لم يهتد علماء الغرب الى سببها الحقيقي ولكن الاستاذ السر جاغادس بوز استنتج بالامتحان ان في السنط الحساس اعصاباً تتأثر بالمؤثرات كاعصاب الحيوانات . فانهُ وجد ان هذا السنط يشعر بالكهربائية ولو كانت عشر ما يلزم لشعور الانسان بها . وتختلف سرعة شعورهِ باختلاف الاحوال فاذا برد قلَّ تأثرهُ واذا اصابتهُ مادة مخدرة انقطع تأثرهُ الى ان يزول المخدر فيعود تأثرهُ كما كان . وعندهُ ان هذا الشعور عصبي لا ميكانيكي . وقد تمكن من تحقيق ذلك بواسطة آلة كهربائية دقيقة استنبطها للبحث في حركات النبات

وقد عرف الاستاذ بوز محل هذه الاعصاب من النبات وتأثر فروعها بالكهربائية وباستعمال الاصباغ . هذه هي خلاصة ابحاثهِ ونتائجها من اغرب الغرائب كما ترون لانها تخالف المشهور بين الناس

(٣) اكل الطيور للحجار

مونتريال . كندا . يقال ان بعض الطيور ولاسيما الحجل يهضم الحجارة حتى الصوان فهل لهُ فائدة من ذلك

ج . تلتقط الطيور الحجارة الصغيرة مع طعامها لكي تساعدها على هضم الطعام وبعضها يهضم مع الطعام حقيقة كالحجارة الكلسية الرخوة وتتناول ابدانها الكلس منهُ لتكوين قشور بيضها

(٤) هل تضيق الارض بسكانها

بونس ايرس . هل يأتي يوم تضيق فيهِ الارض بسكانها نظراً الى ما نراهُ من مساعي الدول في تسهيل اسباب العمران وتقليل الوفيات بنشر التعليم الصحي والوسائل الصحية

ج . لا نظن لان الذين تقلُّ وفياتهم بانتشار الوسائل الصحية تقلُّ ايضاً مواليدهم باحجامهم عن اخلاف النسل على الاطلاق او اخلاف نسل قليل وهو ما يعرف لدى علماء الاجتماع الآن بتحديد النسل . ودعاة هذا المذهب الآن كثارٌ لانهم يرون في الجري عليهِ فوائد اجتماعية كبيرة. وقد نعود الى معالجة هذا الموضوع الحيوي في مقالة على حدةٍ في احد الاجزاء التاليـة

ومما يسوء ذكرهُ ان الدول التي تسعى الى تلافي النقص في عدد سكانها انما تفعل

ذلك لغرضين الاول حتى لا تقلَّ دخلها بقلة شعبها وثانياً حتى لا يقلَّ جنودها منهم. ونشير عليكم ان تراجعوا مقالة نشرناها في هذا الموضوع في مقتطف يونيو الماضي صفحة ٦١٢

(٥) المكروبات والماء الغالي

جوها نسبرج . هل للماءِ البارد جدًّا قوة على قتل المكروبات كالماء الغالي

ج . كلاَّ فان الماء الغالي يقتل كل المكروبات تقريباً واما الماء الذي يصل الى درجة الجليد فقلما يقتل شيئاً منها

(٦) الخوف

بغداد . لماذا يخاف الانسان وهل الخوف يشمل الناس كلهم وهل يعمُّ الحيوان والنبات

ج . الخوف طبيعي في الانسان والحيوان تولَّد من ملكة حفظ النفس والهرب من الخطر اي اذا وجد في مكان مائة حيوان وهرب خمسون منها من الخطر والخمسون الاخرى لم تهرب فسلالة الاولى مضمونة اكثر من سلالة الثانية وبقاء نسل الاولى اضمن من بقاءِ نسل الثانية فتزيد فيها صفة الهرب من الخطر رويداً رويداً لانها مفيدة لحفظ النوع . هذا اذا صحَّ مذهب وراثة الصفات المكتسبة . والاَّ فيمكن تعليلهُ بمذهب التحول الفجائي فان الحيوان الذي يولد وفيهِ صفة غريزية جديدة ظهرت فيهِ فجأة mutation تحملهُ على الهرب من الخطر تكون سلالتهُ مضمونة اكثر من سلالة الباقين الذين لم تنشئ فيهم الطبيعة هذه الصفة . وسلالتهُ تتوارث هذه الصفة لانها اساسية فيهِ لا مكتسبة فتكثر واما سلالات الحيوانات الاخرى فتبيد

والظاهر ان هذه الصفة اي الخوف او الابتعاد عن الخطر موجودة جراثيمها في النبات فترى الصنوبر يثخن قشرهُ لكي ينجو من برد الشتاءِ والسنط يطبق وريقاتهِ لكي لا يكثر التبخر منها

(٧) الجغرافيا الطبيعية

الموصل : ما هي احسن الكتب والمجلات والمصوَّرات الانكليزية التي تبحث في الجغرافية الطبيعية

ج . تتناول الجغرافية الطبيعية كما تعلمون تكوُّن الارض وبناءها وحالة جوّها وما يخترق سطحها من انهار وما يرتفع فوق منبسطاتهِ من آكام وجبال وما يفصل بين البلدان والقارات من بحار واوقيانوسات. فهي بطبيعتها تقسم الى ثلاثة اقسام الاول يتناول سطح الارض ويطلق عليهِ اسم « جيومورفولوجيا » وفيهِ يتصل بحث الجغرافي ببحث الجيولوجي . والثاني الاوقيانوسات والبحار وكيف تكونت والاحياء التي فيها ويعرف بالاوقيانوغرافيا. والثالث يشمل احوال الجوّ وتقلبها ويطلق

عليهِ اسم الظواهر الجوّية. ولكل من هذه الموضوعات مطولات نظنكم تجدونها موفاة البحث في الكتب التالية

Geikie's Text Book of Geology
Dana's Manual of Geology
J. Johnston's Introduction to Oceanography
Sir. W. N. Shaw, Forecasting Weather: the Air and its Ways
Morris, Descriptive Meteorology

اما المجلات الجغرافية فنشير عليكم ان تشتركوا في مجلة The Geographical Review التي تصدرها الجمعية الجغرافية الاميركية في نيويورك

(٨) سرعة النور وسرعة الصوت

اسيوط . عندما نطلق بندقية او حينما تطلق الجنود مدفعاً نرى نور الطلقة قبل ان نسمع صوتها بزمن فما سبب ذلك وكم يكون المدة بينهما

ج . سببهُ ان النور اسرع من الصوت. فالنور يجتاز نحو ١٨٦ الف ميل في الثانية واما الصوت فلا يجتاز اكثر من ٣٤٠ متراً في الثانية اذا كانت حرارة الجوّ عادية اي نحو ٢٠ درجة بميزان سنتغراد . فاذا كانت المسافة بين البندقية والمشاهد ٣٤٠ متر انقضت ثانية قبلما يسمع صوت الطلقة ولكنهُ يرى النور حالاً لان النور يجتاز مسافة ٣٠٠ متر في جزء صغير من الثانية لا يمكن قياسها بساعة الآن

(٩) تنقية الدم

ومنهُ . ما هو أفضل دواء لتنقية الدم

ج . الدم نقيّ من طبعهِ ما لم يكن الانسان مصاباً بأحد الامراض التي تدخل جراثيمها في الدم. فالدواء اذاً يتوقف على ماهية المرض . فاذا كان الدواء الحمى الملارية مثلاً فالكينا تنقيهِ من جراثيمها واذا كان المرض المعروف بالزهري فافضل ما ينقيهِ من جراثيمه مركبات الزئبق واليود ولكن ذلك يجب ان يكون برأي طبيب . اما الادوية التي يعلنون عنها في الجرائد انها منقية للدم فلا يمكن الحكم بفائدتها قبل معرفة تركيبها وامتحان فعلها امتحاناً دقيقاً

(١٠) مؤلفات الرافعي

تلمسان الجزائر . ماهي مؤلفات الاستاذ مصطفى صادق الرافعي . واين ينشر معظم مقالاتهِ

ج . تاريخ آداب العرب . حديث القمر . المساكين . رسائل الاحزان . السحاب الاحمر . اعجاز القرآن . المعركة (وهي مقالات ردّ بها على كتاب الدكتور طه حسين في الشعر الجاهلي). ولهُ ديوان مطبوع

اما مقالاتهُ التي يتناول فيها البحث في الادب العربي ورجالهِ فينشر أكثرها في المقتطف

(١١) رواية مانون ليسكو

ومنهُ. هل ترجمت رواية مانون ليسكو (Manon Lescaut) من الفرنسية ومن ترجمها

ج . لم نرها مترجمة ولم يبلغنا انها ترجمت . ونظنكم تحسنون فعلاً اذا ترجمتموها فانها من آيات الادب الفرنسي في القرن الثامن عشر

(١٢) الشعر في المرأة والرجل

صافيتا سوريا . ما السبب في حرمان انثى الانسان من شعر العارضين وبعض الجسم مع ان الحيوانات العليا متساوية ذكورها واناثها فيهِ وهل فيهِ فائدة حقيقية نالتها المرأة من وراء ذلك . او هل يستدلُّ من هذا الحرمان ان المرأة ترقت قبل الرجل بدليل قول علماء النشوء ان الانسان كما تغلغل في المدنية ازداد تقلص الشعر عنهُ حتى يتلاشى . وما فائدة شعر الابطين وهل يبدو على جسم بعض الحيوانات العليا امثال هذه الظواهر من مميزات البلوغ . والاَّ فما علة اختصاص الانسان بها

ج . بين الرجل والمرأة فروق كثيرة غير نمو الشعر الطويل في وجه الرجل وعدم نموهِ في وجه المرأة . ونمو الشعر في وجههِ ليس من الفروق القديمة جدًّا كولادة الاولاد مثلاً بل هو من الفروق الحديثة بينهما بالنسبة الى غيرهِ . ولذلك نجد الشعر قليلاً في وجوه الهنود والزنوج والمغول . اما كيف حدث هذا الفرق اولاً او كيف نزع الشعر من بدن الانسان عموماً فرأي دارون فيهِ ان اناث الانسان اخذت في نزعهِ منذ عهد بعيد جدًّا قصد الزينة فبدت البشرة في اكثر الجسم وورث ذلك الذكور والاناث. ولكن شعر الذكور كان اقوى واغزر لسبب تعرضهم للمشاق فبقي في وجه الرجل او عاد اليهِ بعد زوالهِ

وقد ظهر لدى البحث ان لشعر الوجه علاقة باعضاء التناسل فلا يظهر الاَّ بعد البلوغ فاذا نزعت اعضاء التناسل لم يظهر كما في وجوه الخصيان والخناث وذلك مطرد في الحيوانات. اما كيفية العلاقة فغير معروفة وكل مسألة الشعر لا تزال في مجال البحث والتحقيق

(١٣) الحركة الدائمة

سانتوس بالبرازيل . هل وفق احد من العلماء الى استنباط آلة للحركة الدائمة . وهل هذا متعذّر عليهم

ج . نعم هو متعذر ما دمنا نستعمل المواد التي لها ثقل أي التي تجذبها الارض والتي تحتك بعضها ببعض مهما يكن احتكاكها قليلاً . فان ثقلها واحتكاكها يزيلان بعض القوة التي تلزم لتحريكها اولاً فتضعف رويداً رويداً حتى تقف الآلة

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في نوفمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	٤	٤	٦	مساءً
الهلال	١٢	١١	٣٥	صباحاً
الربع الاول	٢٠	٣	٣٦	مساءً
البدر	٢٧	١١	٥	صباحاً
الاوج	١٤	١٠	٦	صباحاً
الحضيض	٢٧	٣	٣٠	مساءً

السيارات في نوفمبر

عطارد . كوكب صباح

الزهرة . وزحل كوكبا مساء

المريخ. يشرق نحو الساعة الثامنة مساءً

المشتري . يرى كلَّ الليل

كسوف الشمس

تكسف الشمس في ١٢ نوفمبر كسوفاً جزئيًّا يشاهد من القاهرة

يبدأ الكسوف الساعة ١٠ والدقيقة ١٨ من صباح الاثنين في ١٢ نوفمبر ويبلغ اعظمهُ الساعة الحادية عشرة والدقيقة الرابعة والعشرين فيغطى حينئذٍ ٢٢٣ جزءًا من الف جزء من قرص الشمس وينتهي الساعة ١٢ والدقيقة ٣٤

خسوف القمر

ويخسف القمر خسوفاً كليًّا في ٢٧ نوفمبر ولكنهُ لا يشاهد من القاهرة

احدث وسائل الانتقال واغربها

لا يصل هذا الجزء من المقتطف الى ايدي قرائهِ حتى يكون المهندسون الالمان قد اخرجوا الى ميدان المواصلات البرية والجوية اسلوباً جديداً من اساليب النقل والانتقال فهم يعدون المعدات الآن ليبنوا سكة حديدية جديدة في شكلها ومبدإ سيرها فهي اولاً اشبهُ شيء ببلون من بلونات زبلن المستطيلة وبدلاً من ان تسير على خطوط حديدية في الارض تعلق من سطحها الاعلى بسلك ممدود بين محطتين تجري عليهِ فيحل الخطوط الحديدية . اي انها ستكون بلوناً معلقاً في الفضاء يسير بقوة الكهربائية والكهربائية تتصل بالمحرك من السلك الذي تعلق بهِ . وينتظر ان تبلغ سرعة هذه القطارات نحو ٢٠٠ ميل في

الساعة وهي قريبة من اقصى سرعة بلغتها سيارات سيجريف وكامبل وراي كيتش. ويبنى الآن خطان من هذا القبيل الاول بين برلين وهال والثاني بين كولون ودسلدورف

بيت دارون

فكّر المثري الاميركي الشهير اندرو كارنجي منذ ربع قرن تقريباً ان يبتاع بيت داروِن ويقف عليهِ مبلغاً من المال للبحث في مسألة النشوء والحكم في صحتها او عدمها حكماً نهائيًا . ولكنهُ لما عرض هذا الاقتراح على مستشاريهِ الماليين اشاروا عليهِ بعدم الاقدام عليهِ لكثرة نفقاتهِ . ثم عني بهذا الموضوع السر ارثر شپلي مدير كلية المسيح بجامعة كمبردج حيث قضى دارون جانباً كبيراً من ايام تلمذتهِ فكتب وخطب كثيراً حاثًا ارباب الاحسان على التبرّع بمبلغ من المال لشراء بيت دارون وجعلهِ مزاراً وطنيًا . ولكنَّ طلبهُ لم ينل اقبالاً كافياً يتفق ومكانة دارون العلمية . وتلا السر ارثر شپلي الاستاذ اسبورن رئيس متحف التاريخ الطبيعي الاميركي بنيويورك واحد علماء الآثار المتحجرة الذين يشار اليهم بالبنان فحثَّ الاغنياء والمحسنين على ابتياع منزل دارون ووقف مبلغ من المال عليهِ وجعلهِ دارًا للبحث البيولوجي بوجهٍ عام والبحث في مسألة النشوء بوجهٍ خاص واشار الى احتمال اشتراك المثرين الاميركيين في جمع المال اذا عُنيت الجمعية الملكية الانكليزية بالموضوع ووضعتهُ تحت رعايتها . ولكن مجلس الجمعية قرّر انهُ يحتاج الى مبلغ كبير من المال لتحويل بيت ريفي بسيط الى معهد علمي حديث وانهُ اذا جمع هذا المبلغ كان انفاقهُ على البحث العلمي اجدى كثيراً من انفاقهِ على بناء دارٍ للبحث العلمي . وهكذا ذهبت كل المساعي لجعل منزل دارون مزاراً وطنيًا او تحويلها الى معهد علمي ادراج الرياح

لكن السر ارثر كيث العالم الانثروبولوجي المشهور ورئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني في السنة الماضية نشر نداءٍ حارًّا الى محبي العلم يحثُّ فيهِ الاغنياء على الاكتتاب بمبلغ من المال لشراء بيت دارون وحفظهِ كما هو تذكاراً لاعظم عالم طبيعيٍّ انجبتهُ انكلترا

فكان للنداءِ اثر بليغ في نفس احد الذين قرأوهُ وهو الدكتور بكستن برون احد جرّاحي لندن الذي تقدم الى رئيس المجمع طالباً ان يُسمح لهُ بشراء بيت دارون ووقف المال اللازم لهُ لحفظهِ كما كان في حياة صاحبهِ وان يكون البيت ملكاً للامة الانكليزية ويُعهد الى مجمع

تقدم العلوم البريطاني في الاشراف عليهِ والعناية بهِ . فقبل مجلس المجمع هذا الاقتراح وتقدم افرادٌ من اسرة داروِن لمساعدتهِ في اعادة غرف البيت الى ما كانت عليهِ حين كان داروِن يكبُّ فيها على كتابة « اصل الانواع » « وتسلسل الانسان » وغيرها من الكتب الخالدة . وقد جمعت الطبعات المختلفة التي طبعت ونشرت من كتبهِ لتحفظ في هذا البيت اثراً ناطقاً بصبر العالم وجهادهِ وفوزهِ النهائي

عجائب التلغراف والصحافة

زار محرّر هذه المجلة في الصيف الماضي ادارة جريدة المانشستر جارديان بمدينة مانشستر فشاهد فيها آلة تلغرافية جديدة هي من اغرب الآلات الصحافية التي شاهدها في اوربا واميركا. ذلك ان لادارة الجارديان مكتباً خاصًّا في مدينة لندن ويصل بين هذا المكتب وادارة الجريدة في مدينة مانشستر خط تلغرافي خاص يستطيع ان ينقل عدة رسائل تلغرافية في آن واحد سواء كانت ذاهبة من مانشستر الى لندن او آتية اليها او ذاهبة وآتية معاً. واغرب من ذلك ان في غرفة الاستقبال في مانشستر خمس آلات كاتبةٍ (طيب ريتر) تراها تكتب الانباء المرسلة من لندن من تلقاءِ نفسها . وتفسير ذلك ان في مكتب لندن خمس آلات مثلها يكتب بها الكتاب الانباء التي يجمعها المخبرون او المقالات التي ينشئها الكتّاب فترسل كلها في وقت واحد على السلك التلغرافي الخاص المشار اليها آنفاً وحين وصول هذه الرسائل الى المكتب التلغرافي في مانشستر تمرُّ بآلة خاصة تفصل احداها عن الاخرى وتوزعها على الآلات الكاتبة المختلفة فتطبعها على الورق من تلقاء ذاتها

وفيما كان المدير التلغرافي يشرح للمحرّر عمل هذه الآلة العجيبة قال اريد ان اضرب لك مثلاً الآن فاسأل عن حالة الجوّ في لندن . وتحوّل الى آلة صغيرة على الطاولة امامهُ . وهي آلة تلغراف مورس العادي ونقر عليها بضع نقرات وفي اقلّ من ثانية كانت احدى الآلات الكاتبة تكتب ما يأتي « الجوّ صافٍ والشمس مشرقة » فالرسالة التلغرافية التي ارسلها ذهبت الى لندن على السلك الخاص مع ان بضع رسائل اخرى كانت آتية على هذا السلك نفسهِ من لندن الى مانشستر وعاد جوابها عليهِ مع رسائل اخرى ايضاً

السابحات في الهواء

الطيارات التي كثر استعمالها الآن في النقل والانتقال والحرب في كلٍّ منها آلة قوية يحترق فيها البنزين وهي التي تحركها

في الصعود والنزول والسير. وقد استنبطت منذ سنوات طيارات يحركها الهواء فتجرُّ على الارض بسرعة اما بان يمسك بها الناس بحبل ويعدون عدواً سريعاً او يربطوها بسيارة تجري بسرعة وفي الحالين يقاومها الهواء وهي جارية ويرفعها عن الارض ويكون فيها طيار يديرها يمنة ويسرة حسب اتجاه الريح فتثبت في الجو او تسير فيه. فاعتماد الطائر على مجاري الهواء وعلى مقاومته للطيارة

وقد قدمت جريدة الديلي ميل منذ ست سنوات جائزة قدرها الف جنيه تمنحها للطيار الذي يطير بطيارة من هذا النوع ويقيم في الهواء اكثر من غيره. ففاز بها طيار فرنسي اسمهُ ميرول اذا اقام في الجو ثلاث ساعات و٢٢ دقيقة

ولكن اطلعنا الآن في مجلة العلم العام الاميركية ان طيَّاراً المانيًّا يدعى فردينان شولتس طار بطيارة من هذا النوع على شواطىء المانيا الرملية المحاذية لبحر البلطيق فبقي في الجوّ ١٤ ساعة من الصباح حتى بعد غروب الشمس. وكان قد حلق قبلاً بها الى ارتفاع نصف ميل عن سطح البحر

وقد كثر الراغبون في هذه الطيارات بالمانيا حتى يقال ان نحو ١٥ الف من ابنائها رجالاً ونساء شباناً وكهولاً قد اخذوا يزاولون الطيران بها من قبيل اللهو والرياضة. وأُنشئت لذلك اندية خاصة. يضاف الى ذلك ان شركة اللفت هنسا الالمانية ترى ان هذه الرياضة افضل ميدان لتمرين سائقي الطيارات الذين لابدَّ ان يكثر الطلب عليهم لتسيير الطيارات التجارية

ويتوقف نجاح الطائر بهذه الطيارة على دقة شعوره واسراع اعضائهِ الى استخدام مجاري الهواء. فهو من هذا القبيل يشبهُ الطير المحلق في الفضاء

مجمع تقدم العلوم البريطاني

اجتماعهُ السنوي

التأم مجمع تقدم العلوم البريطاني هذه السنة في مدينة غلاسجو برآسة السر وليم براغ الذي نال جائزة نوبل للطبيعيات مع ابنهِ الاستاذ وليم براغ لبحثهما في «اشعة اكس والبلورات». وكان موضوع خطابهِ «الصناعة والعلم» اثبت فيهِ ما طالما رددناهُ على صفحات هذه المجلة من ان البحث العلمي اساس لارتقاء الصناعة وان اصحاب المعامل يجب ان يجودوا على العلماء والباحثين النظريين بمبالغ طائلة من المال لكي يتمكنوا من النفوذ الى مكامن الغاز الطبيعة واسرار الحياة. وان المنافع المادية تجنى بعد ذلك لان تاريخ العلم اثبت ان النتائج التي هي نفع محض نتجت غالباً من

الدرس والتجارب التي جرّبت على اسلوب علمي محض . وابان ان الصناعات الناجحة في بريطانيا هي الصناعات التي قامت على المباحث العلمية مثل الهندسة الكهربائية والطيارات والمواد الكيماوية وغيرها . وقال ان صناعات الفحم والحديد والفولاذ وما اليها قد تنهض عن كبوتها بفضل المباحث العلميـة

ثم توزع اعضاء الجمعية على اقسامها المختلفة فخطب رؤساء الاقسام خطبهم واشترك الاعضاء في مناقشة الرسائل المختلفة التي تليت عليهم . وسنلخص منها ما يسهل فهمهُ في اجزاء المقتطف التالية

ولما التأم مجلس الادارة لانتخاب الرئيس للسنة المقبلة اجمع اعضاؤهُ على انتخاب السر توماس هولند مدير كلية العلم الامبراطورية بلندن واستاذ الجيولوجيا وعلم المعادن في جامعة مانشستر سابقاً . وقرّر ان يلتئم المجمع في جنوب افريقية في السنة القادمة

حادث خطير في الطيران

ذكرنا في المقتطف منذ سنتين التجارب الخطيرة التي جربها الطيار الاسباني السنيور ده لا شيرڤا لاستنباط دولاب يُربَط بسطح الطيارة الاعلى فيقوم فيها مقام الجناحين ويمكّنها من القيام من ميدان الطيران في خط عموديّ والنزول الى الارض في خط عمودي والوقوف من غير ان تجري على الارض شوطاً بعيداً

وقد اكبَّ السنيور ده لا شيرڤا على اتقان استنباطهِ ما يزيد على السنتين وفي ١٨ سبتمبر الماضي طار من مطار كرويدن في ضواحي لندن الى مطار لوبورجه في ضواحي باريس فقطع المسافة بينهما في ثلاث مراحل واستغرق اجتيازهُ لبحر المانش ٢٠ دقيقة فقط ولما وصل الى لوبورجه حام فوقهُ قليلاً ثم هبط في خط عموديّ من علو ٤٥٠ قدماً وبعد ما جرت الطيارة ثلاث اقدام وقفت . وكان معهُ في الطيارة محرّر جريدة الايستراسيون الفرنسية . وعندنا ان هذا الحادث في تاريخ الطيران يعادل اجتياز بلريو لبحر المانش وقد يفوقهُ وانهُ بلا شك فاتحة عصر جديد في المواصلات الجوية

جبارة الطيارات

تعنى شركة دورنيه الالمانيـة ببناء طيارة مائية ضخمة لاجتياز الاتلنتيكي يسيرها اثنا عشر محركاً قوة كل منها ٥٠٠ حصان والمسافة بين طرفي جناحيها ١٥٨ ووزنها ٤٤ طنًّا وفيها متسع لخمسين مسافراً عدد تسعة رجال لتسييرها والعناية بشؤون المسافرين

اكتشاف اثري في العراق

عثر العملة على نقوش على مقربة من رأس العين في العراق تمثل رجلا ممطياً بعيراً ومتقلداً حساماً وحاملا ترساً مستديراً وقد وجدوا شبهاً بين هذا الرسم والرسوم التي وجدوها في تدمر فهو ليس الا مارس اله الحرب وكان الجنود الذين يخفرون القوافل ويخدمون في الجيش الروماني يعبدونهُ عبادة خاصة

الآثار العربية في مصر

اعتمد مجلس الوزراء مبلغ ٤٠٠٠٠ جنيه لاصلاح جامع احمد بن طولون الاثري على ان يصرف هذا المبلغ في الاصلاح والترميم على اربع سنوات وان يدرج منهُ مبلغ ١٠٠٠٠ جنيه في ميزانية الدولة لسنة ١٩٢٨ وسنة ١٩٢٩ المالية والباقي يصرف تدريجاً في خلال ثلاث سنوات ويقول مندوب المقطم ان لجنة الآثار العربية في وزارة الاوقاف مهتمة الآن باعداد مقايستين عن الاصلاحات اللازمة لهذا الجامع العظيم الاولى بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه لرفع الانقاض والتراب من الزيادات واعادة العقود بالوجهتين البحرية والغربية واعادة بناء الباكية المعقودة المشرفة على الصحن . والمقايسة الثانية بمبلغ ١٥٠٠٠ جنيه لعمل الاسقف الجديدة بالايوان الشرقي واعادته الى حالته الاولى بما كان فيه من النقوش العربية البديعة وان تكون كل مقايسة على حدة وان لا يتجاوز الصرف عليهما في ميزانية هذا العام ١٠٠٠٠ جنيه فاذا زادت النفقات على ذلك فقد تؤخذ من مشروع ميزانية السنة القادمة

تطوع الابطال

الف الصليب الاحمر البريطاني فرقة من المتطوعين تبذل دمها لا في ساحة القتال — وكل منا ينفر من هذه الساحة — بل في المستشفيات ففي كل سنة تخلص حياة المئات من الناس بنقل دم جديد اليهم وقد اظهر الاحصاء ان متطوعي الصليب الاحمر الذين جادوا بدمهم لانقاذ الذين كان الضعف يهدد حياتهم جادوا به ١٢٩٣ مرة في سنة ١٩٢٧ وكان معظم هؤلاء المتطوعين من الكشافة فهذه الشجاعة المراد بها النفع المرتجى خير من الشجاعة التي تجر في غالب الاحيان الويلات والآفات

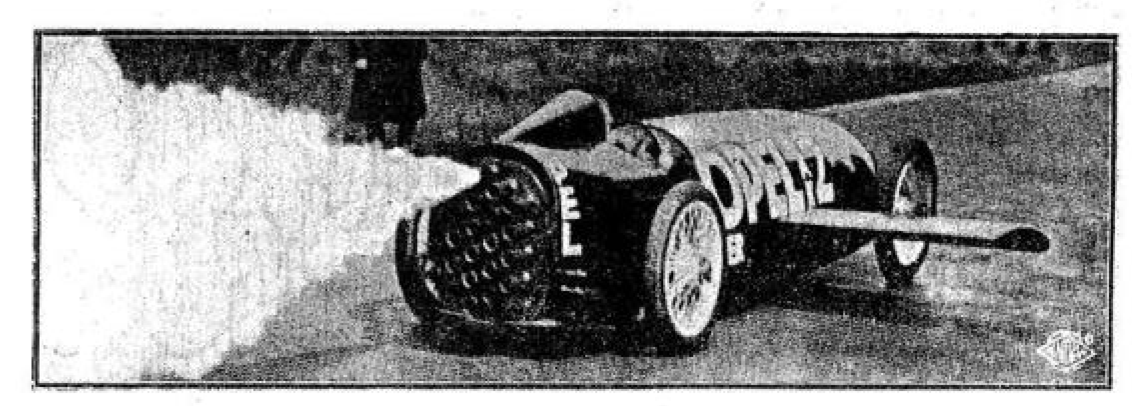
اغلى حديث تلفوني

في اواخر سبتمبر الماضي استدعى احد الاميركيين المقيمين في لندن شريكهُ في نيويورك وخاطبهُ بالتليفون اللاسلكي مخاطبة مالية استغرقت ٩٣ دقيقة وكلفت ٢٨٥ جنيهاً اي نحو ثلاثة جنيهات في الدقيقة



المغفور لهُ عبد الخالق ثروت باشا

مقتطف نوفمبر ١٩٢٨
امام الصفحة ٢٤٢



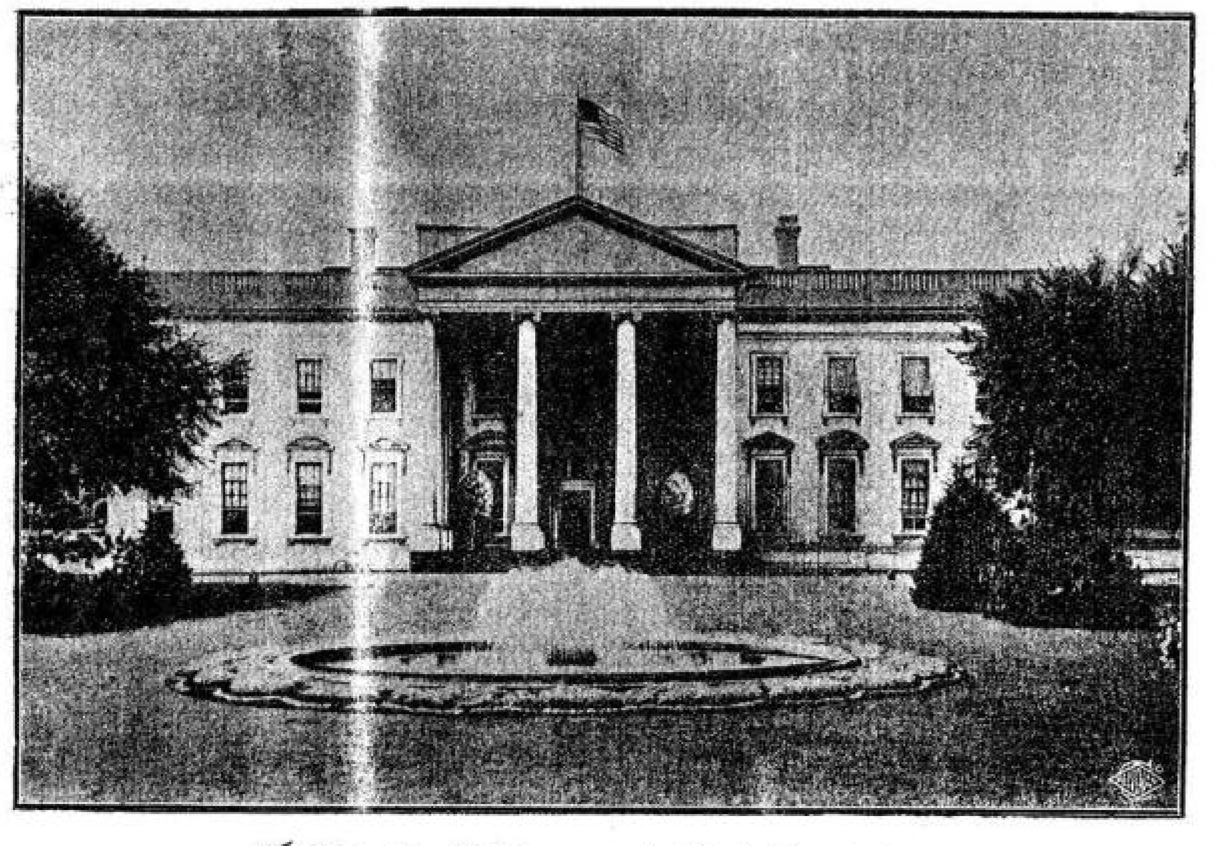
منظران لسيارة « اوبل » المبنيّة على مبدأ الصاروخة



كلوت بك منشىء المدرسة الطبيه بمصر

مقتطف نوفبر ١٩٢٨

امام الصفحة ٢٨١

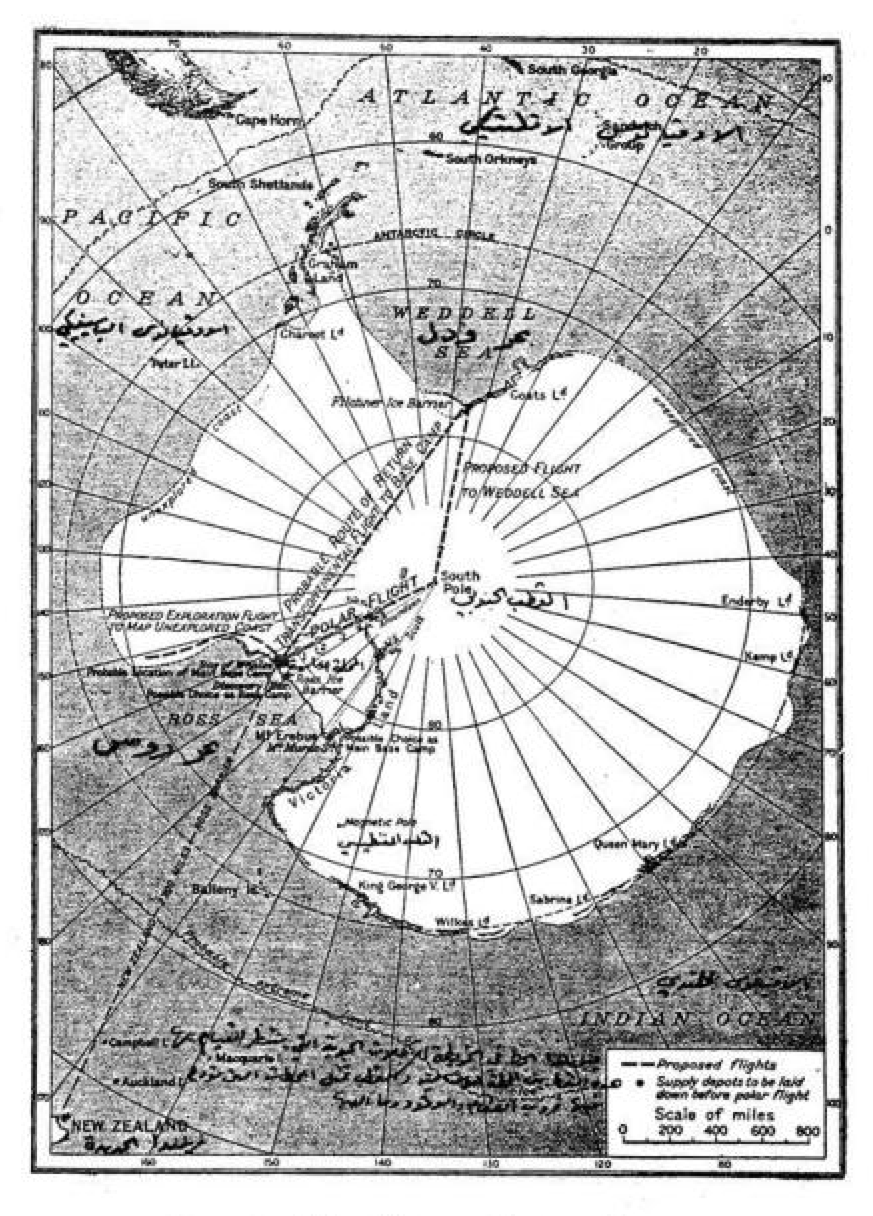


مدخل البيت الابيض منزل رئيس جمهورية الولايات المتحدة الاميركية

الحاكم الفرد سمث : مرشح الحزب الدمقراطي

المستر هربرت هوڤر : مرشح الحزب الجمهوري

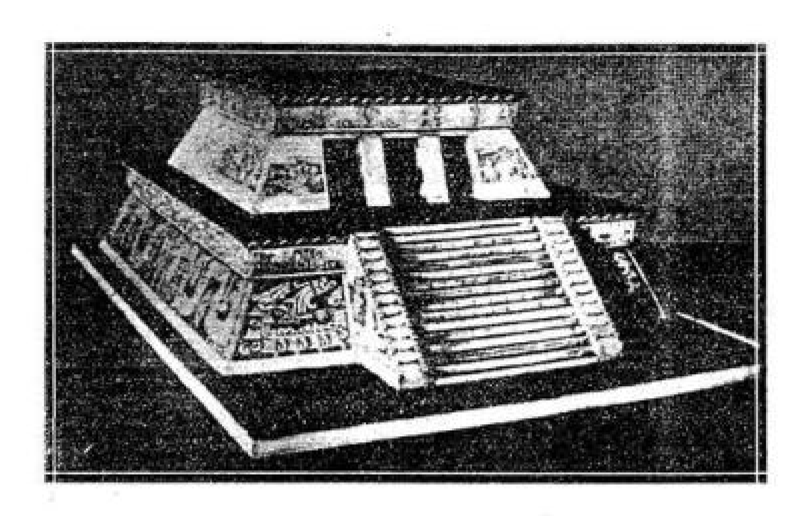
مقتطف نوفمبر ١٩٢٨ امام الصفحة ٣٠٠



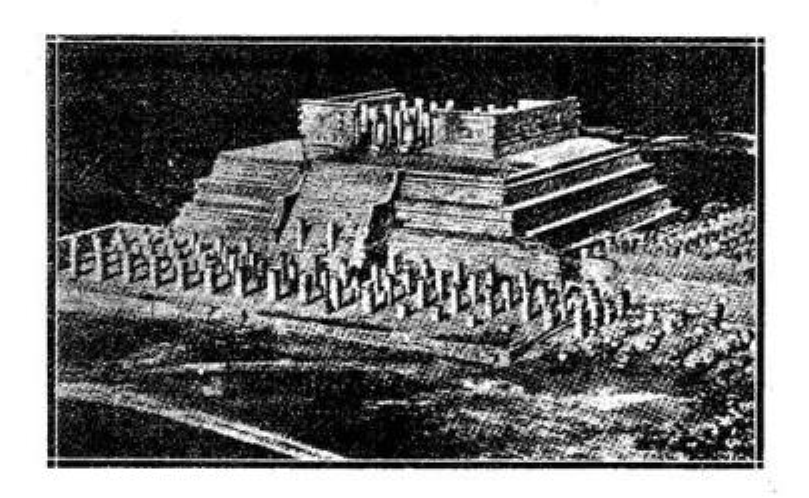
خريطة للاصقاع المتجمدة الجنوبية التي تنوي بعثة
برد أن تخترقها على متن الطيارات

مقتطف نوفمبر ١٩٢٨

امام الصفحة ٣٠٤



مثال مصغر لاحد هياكل المايا



هيكل قديم من هياكل المايا كشف في حرج كثيف طغت
عليه اشجاره واعيد ترميمه على ما ترى والاعمدة امامه
كانت تستعمل لحمل سقف الفناء الخارجي

مقتطف نوفمبر ١٩٢٨
امام الصفحة ٣١٢



رأس حجري منقوش في جدار
هيكل بوكاتان . ويكاد يكون ناطقاً على قدمه

تمثال اقيم على مذبح هيكل في
بلدة پالانك بوكاتان (اميركا المتوسطة)
مقتطف نوفبر ١٩٢٨

امام الصفحة ٣١٤

الجزء الثالث من المجلد الثالث والسبعين


المقتطف
AL·MUKTATAF

مذكراتي

في المقتطف والمرحوم الدكتور صروف

من سنة ١٩١٣ — سنة ١٩٢٦

في اوائل فبراير تقام حفلة التأبين الكبرى لفقيد العلم والادب المرحوم الدكتور يعقوب صرّوف . فقدمت مقالتي التالية الى مجلة المقتطف لتنشر فيها اجلالاً لذكرى الراحل الكريم . فتعذّر نشرها في جزء هذا الشهر فرأيت أن أطبعها على حدة واوزعها معهُ اعترافاً بما له في نفسي من الأثر الجليل

الدكتور صروف فقيد الشرق

مذكراتي فيه

ليس من شك ان المصاب بالدكتور صروف اكبر من ان يعد مصاباً عادياً تنحصر آلامه وأحزانه وما ينشأ عنه من الاوجاع والتفجع بآل صروف وحدهم وليس من شك ان الدكتور صروف ما كان من الرجال العاديين حتى يكون التفجع به منحصراً في دائرة الاهل والاصدقاء والمعارف وانما كان من الافراد الافذاذ الذين يغمرون العالم باضواء أعمالهم الصالحة وينهضون بالامم والشعوب المنتمين اليها من الحضيض الى الذروة العليا من المجد ويخرجون بها من ظلمات الجهالة الى اعلى مراتب العلم والعرفان وما كان صروف في حياته العملية وصدق نزعته للعلم وشدة حرصه على تبليغ رسالته يختلف كثيراً عن الرسل والاولياء في حياتهم العملية وصدق نزعاتهم وحرصهم على تبليغ رسالاتهم أو اقل شأناً في اخلاصه ونزاهته وايمانه من العظماء الخالدة اسماؤهم في بطون التاريخ للاعمال التي قاموا بها والجهاد الذي بذلوه عليها والثبات الذي افنوا أعمارهم فيه. وهل من ينكر على صروف جهاده العظيم في نشر راية العلم خمسين عاماً في الاقطار العربية الشرقية ؟ او لا يعجب برأيه وصلابة عزيمته وثباته في العمل الذي رسم خطته منذ خمسين سنة واستمر فيه الى ان بلغ ما بلغه من منزلة رفيعة المقام محترمة الجانب في نفوس العلماء والادباء جميعاً فكان للشرق من هذا الجهاد الكبير الفذ اعظم معوان على بث روح العلم الصحيح في نفوس بنيه وامتن ركن من اركان نهضته العلمية وأحسن ثروة في مختلف العلوم والفنون والاخلاق والآداب العربية والغربية يحفظها في تاريخه الحديث درة لا ينهض الى منافسها ومحاكاتها في قيمتها ناهض بل كان من هذا الجهاد المستمر نصف قرن هذا الاثر الخالد على الدهر وأي أثر أولى بالخلود من هذه الاسفار الغوالي او الكواكب الساطعة بما حوته من علوم زاهرة فياضة وفنون وآداب وأخلاق وعادات . سبعون مجلداً من المقتطف هي دائرة معارف كبرى بل سبعون كوكباً من الكواكب المضيئة كانت تطوف العالم العربي مرة في الشهر فتضيء

له طرق الحياة وترشده السبيل القويم وتثقف عقله وتهذب خلقه وتغرس في نفسه الاخلاق الطيبة والصفات الحسنة والعادات الشريفة فما عرف الشرق رجلا من رجالاته انصرف للعلم وخدمته عهداً طويلا كصروف ومن يلقي نظرة على هذا الأثر ولا يحني بهامته اجلالا له واحتراماً لقدره ؟ امن عاقل ينظر الى هذه المجلدات او الكواكب ولا يحس بحرارة الايمان الذي اظهرها وقوة العقيدة التي دفعتها الى الظهور؟ لقد وهب صروف حياته للشرق منذ ادرك ان في حياته قيمة تسمو على ما في الحياة من مظاهر ومطامع وان لها مقصداً اعلى وغاية أنبل من المقاصد المادية والغايات الدنيوية التي ترمي الى ترقية الجسد من ناحية واغراقه في بحر شهواته وملاذه من ناحية أخرى وان به قوة وموهبة لمحاربة الفاسد وتعضيد الصالح وادرك انه لا يتم له شيئاً من ذلك إلا في نشر العلوم والمبادىء الصحيحة والاخلاق العالية فنهض للعمل والشرق غارق في ظلمات الجهالة والاوهام فصدر المقتطف ولمع نجمه في الثلث الاخير من القرن الماضي في مدينة بيروت وطار صيته وذاعت شهرته وكان من يوم صدوره الى يومنا هذا قطب النهضة العلمية في الشرق والصلة العلمية والادبية والاخلاقية بين الشرق والغرب وكان وليس بالكثير ان يكون للدكتور صروف هذا الاثر البعيد المدى الذي احس بفوائده كل متعلم في الشرق وغير الشرق وانصفه وعرف قدره كل متعلم سواء كان عربياً أو غير عربي. ومن لا يذكر المقتطف فضله واثره في نهضة الشرق ومن يكابر ولا يعترف انه كان الركن الاكبر في نشر المعارف واثارة الاذهان في ربوعه واقطاره. اما تأثير المقتطف في نفوس قارئيه فكان عظيما جداً انه تجاوز هؤلاء الى نفوس اصدقائهم ومن كان على صلة بهم فكان اذا دخل دار المشترك في غرة الشهر تلقفته الايدي ورحبت به الخواطر وانزلته النفوس ارفع منزلة منها ومن كان على اتصال بمنشئه ولا يشعر بما كان عليه رحمه الله من علم غزير مطمئن وخلق دمث واطلاع واسع ونفس كريمة ولطف فطري وتواضع بريء فهو بذلاته اقرب الى الكمال الانساني من أي رجل عرفته أو سمعت به ولو كان روح الاعتراف بفضل العلماء والعظماء في الشرق سائداً وتقدير الرجال على أقدار اعمالهم شائعاً لكان تمثال الدكتور صروف قائماً الآن ليس في بلدة الحدث مسقط رأسه فحسب بل في بيروت ومصر والعراق والشام وفي جميع هذه المدن والعواصم كان يجب ان يقام لصروف العالم الناضج هذا التمثال اذ في إقامته دلالة حقة على الخدمات التي قام بها للشرق عموماً وللعربية خصوصاً والتي قال عنها الاستاذ الاديب العقاد انها

تضاهي ما تقوم به مئات المدارس في عشرات السنين فرجل يقوم بعمل كبير هذا شأنه وهذا أثره ومدى منافعه هو خليق بان تنصب له التماثيل في كل قطر من الاقطار الشرقية وجدير بان يدون فضله ويخلد ذكره على مر الاعوام والاجيال وحري بالعلماء والادباء واهل المروءة وجميع من تأثر بالمقتطف ان يقوموا بهذه المكرمة بل الواجب نحو فقيد العلم والانسانية فقيد الشرق . نعم ان المصاب بصروف الذي كان في حياته وأعماله مثالا عالياً في الانسانية وقبساً مضيئاً في ربوع الشرق وعلماً من اعلامه المرفوعة بعيد عن ان يعد مصاباً عادياً انه مصاب تفجع له الشرق كله وتفجع له كل عالم وأديب من علماء وأدباء وآلم كل من اتصل بالمقتطف على نسبة ما كان للمقتطف عليه من تأثير. اما تأثيره عليَّ فأعرض للقارىء مذكراتي فيه من سنة ١٩١٣ ومنها يقف على مقدار ما كان للمقتطف ومنشئه من محبة واحترام في نفسي يشاركني فيهما السواد الاعظم بل جميع من كان على صلة بالفقيد العظيم تغمده الله برحمته ومنحنا العوض وجميل العزاء على خسارتنا فيه

الدكتور شخاشيري



المذكرات

سنة ١٩١٣

٩ نوفبر — طالعت المقتطف ويزداد اعجابي بمقدرة صروف كل مرة أتصفح مجلته ولعمر الحق سيأتي الزمن فنذكر فيه المقتطف بكل ورع وخشوع أسأل الله أن يطيل بعمر صروف عشرات السنين رحمة بالامة وضناً بعلمه وحباً بالانتفاع منه. يحق ويجب على الحكومة المصرية أن تنصب له تمثالا في شوارع القاهرة اقراراً بفضله وتقديراً لعلمه

١٤ ديسمبر — طالعت أمير المجلات وقائدها وأنفعها وأصلحها المقتطف فكدت أسكر ببلاغة قلم صروف أستاذ كتاب العصر ولا أدري لماذا لاينادى به كذلك وهو حي إذ لاريب بتقدير فضله واكبار قدره وهو ميت أسأل الله أن يمد بأجله ويزيدنا منفعة بعلمه وفضله . لو خيرت لما بخلت عليه بخمس سنين من أجلي تضاف على أجله

سنة ١٩١٤

١٣ يناير — المقتطف امام المجلات العربية وقائدها على الاطلاق واقراري بعلو قدره لايمنعني عن النظر اليه والتشبه به والاقتداء بخطته وأسلوبه

٤ اكتوبر — أخذت المقتطف وكلما أتناول المقتطف وابدأ في مطالعته يتبادر الى ذهني خاطر واحد لا أرى وجهاً لدفعه وهو من يحل محل الدكتور صروف بعد ربع قرن وارجع كئيباً حزيناً لعلمي أنه لا يوجد من يحل محل الرجل في تحرير المقتطف ورجوت له العمر الطويل. الحق يقال أنه لايوجد في عالم الانشاء العربي كاتب يجاريه أو يوازيه في الانشاء والبلاغة وحسن السبك

سنة ١٩١٥

٥ فبراير	أخذت المقتطف أستاذ المجلات وأفضلها وأغزرها مادة وعلماً
٧ فبراير	مقتطف فبراير ملآن فوائد وطافح بالمقالات العلمية الناضجة شأن صروف في كل ما يكتبه وينشره على صفحاته وهو أحسن المجلات وأغزرها مادة بلا منازع
٤ مايو	أخذت المقتطف أستاذ المجلات وأميرها على الاطلاق
٣ ديسمبر	أخذت المقتطف أستاذ المجلات
١٠ ديسمبر	طالعت المقتطف أمير المجلات فلذ لي مجالسته وعجبت كل الاعجاب من مقدرة يعقوب صروف على الترجمة والانشاء .

سنة ١٩١٦

٩ يناير	أخذت المقتطف وصروف أطال الله بأيامه أقدر كاتب عربي وأوسعه علماً وأرحبه صدراً وشهادتي لا تزيد الرجل عما هو عليه من المقام السامي والقدر الرفيع فهو أكبر قدراً منها وانما قصدي الاقرار بفضله كما أشعر نحوه عند ما أطالع المقتطف وأجدني ميالا الى ذكر فضله في رأس كل شهر أو عند ما أستلم المقتطف واقرأ الرجل فيه
٥ ابريل	لو كان قراء المقتطف يقدرون قدر الاتعاب التي يكابدها صروف الرجل الاكبر لاجمعوا على اقامة تمثال له اعترافاً بفضله عليهم وعلى اللغة العربية ولما كان ذلك كثيراً
٤ نوفمبر	أخذت المقتطف سيد المجلات وزهرة الآداب العربية

سنة ١٩١٧

٣١ يناير	أخذت المقتطف أستاذ المجلات
٧ ديسمبر	أخذت المقتطف الزاهر فرحبت به

سنة ١٩١٨

٣١ يناير	المقتطف مجلة لها المقام الأول عندي وهي الأولى في العالم العربي ولها الفضل الكبير عليَّ وعلى كل عربي ولا ينكر فضلها إلا المارق
٢٠ فبراير	قصدت ادارة المقتطف وقابلت الدكتور صروف في شؤون علمية والرجل أطال الله بأجله ومتعه بصحة تامة كله منافع وفوائد وبحر لا قرار له في كل مسألة من المسائل العلمية والفنية
٢ مايو	أخذت المقتطف أستاذ المجلات
٤ نوفمبر	أخذت المقتطف شيخ المجلات

سنة ١٩١٩

٧ يونيو	صروف رجل عاقل واسع الادراك نسأله تعالى أن يمد في حياته وينفع الامة بعلمه واختباره
١٤ يونيو	أخذت البروفا من ادارة المقتطف عن الدوسنطاريا الاميبيه وزيت رجل الاوز وكان زيت الشيخ فأصلح هذا الخطأ الدكتور صروف
٣ يوليو	أخذت المقتطف أمير المجلات في ابحاثه والابواب التي يبحث فيها أطال الله في حياة الاستاذ صروف ان الزمان لبخيل بمثله

٧ فبراير — لاريب عندي وعند كثيرين وكل من عرفوا المقتطف ان هذه المجلة أرقى مجلة عربية في إبحاثها وعلو كيانها في العلم والأدب

٢٠ نوفمبر — قصدت الدكتور صروف وعرضت عليه الرسالة في النقد والرجل فاضل

سنة ١٩٢٠

٤ يناير — المقتطف أستاذ المجلات العربية وأغزرها مادة وفائدة أطال الله في حياته النافعة وأمده بعونه وبركاته

٥ يناير — طالعت المقتطف ولا يعجبني شيء مثل كلام الدكتور صروف فانه نابغة زمانه

٢١ يناير — قصدت الدكتور صروف فقدمت له صورة التوأمين والمقالة عنهما فقال ان خطك لا بأس به وأما القلم الرصاص شحيح لا يظهر حبره وقرأنا المقالة ولما أتى الى النهاية قال خذ هذا القلم إذا كان لا يوجد عندك غيره أحسن من هذا الذي كتبت به هذه الرسالة وضحك فشكرته وسلمها الى المنضد وأبقيت الرسم عنده وقابلني الدكتور صدقي فقص عليَّ خبر امرأة تكشف المخبوء وأصبح معتقداً بها بعدأن زارها مرتين تأكد فيهما صدق دعوتها فقلت له لا أسلم ولا أعتقد اعتقادك وسوف أدعو الدكتور صروف الى امتحانها فقبل وعرضت اقتراحي على الدكتور صروف فقال أحضره الى الادارة يوم الجمعة وسوف اتفق مع الدكتور صدقي

٣٠ يناير — قرأت وافتكرت بالكتابة في موضوع الوقاية أفضل من المعالجة وسوف أعرض الفكرة هذه على الدكتور صروف في أول مقابلة تصدف لي ولا ريب انه يفيدني اختباره ورأيه مفضل على رأي آخر

٢ فبراير } أخذت المقتطف الامير وورد لي فيه رسالة واعتراض والاستاذ صروف عالم فيلسوف

١٥ مارس } قصدت الدكتور صروف وقابلته في الادارة وكان نجيب افندي شاهين حاضر وعرضت على الدكتور صروف العمل معنا في الاتحاد فقال لا أشتغل إلا إذا كان هناك بارقة أمل في النجاح ووعدني بالجواب القاطع يوم السبت القادم والذي وقفت عليه في هذه المقابلة لهو ثمين جداً . رأيت الدمع يجول في عيني صروف الرجل العالم الأكبر تأسفاً على بلاده ومسقط رأسه يود ويريد ومستعد أن يبذل المال في تحريرها من نير الاجنبي ويريد السفر الى حيث ترنى وترعرع لتمضية الصيف ولا يقدر لان الظروف الحاضرة لا تريد مايريده فقال ماذا نعمل والبد المقاومة أقوى من يدنا وكرر قوله أعدك أني أدرس المسألة درساً دقيقاً ونتكلم معاً يوم السبت القادم وسوف أكون عنده في ذلك اليوم الذي إذا كان جوابه به بالقبول كان يوماً عظيما

١٨ مارس } لا نخاف إذا قبل الدكتور صروف الرئاسة على حزب الاتحاد اللبناني ولا يبعد أن يصير رئيساً لجمهورية لبنان المقبلة

٢٠ مارس } قصدت الدكتور صروف الرجل الاعظم فترحب بي حسب عادته وتبادر لذهني من وقوع نظري عليه أنه غير مجيب طلبي وفعلا انه صرح بأفكاره واعتذر عن قبول طلبي وخرجت من منزله وعدت بالأسف على عدم قبوله الاشتغال معنا

٢ مايو } أخذت المقتطف حبيبي

١٢ يونيو } قصدت ادارة المقتطف وقابلت الدكتور صروف وعاتبته لتخلفه عن الحضور لجلسة الاتحاد اللبناني فاعتذر وقال انه سها عن باله ولم ينتبه لذلك إلا من المقطم حيث ذكر عن عقدها وقال لا تزيد فالذي حصل فات وذكرت له ماتم وجرى في الجلسة وأخيراً بحثنا في ترجمة

كلمة بتو لزم أو التسمم الذي ينشأ عن المقانق والسجق وسائر اللحوم فاستغرب الكلمة واستغرب ما أخبرته عما جاء من الحوادث تحتها فقال ان التسمم لا يحدث من الفاكهة وهذا غريب فقلت له حدث في الولايات المتحدة حوادث عديدة فقال اكتب عنها وفتش وفتش معه نجيب افندي عن الكلمة فلم نعثر لها على ترجمة وتكلمنا في مواضيع أخرى وقرأ لي المقالة التي أرسلتها الى المقتطف فحذف منها بضع كلمات لم تكن على ذوقه واعترض على كلمة تورم وردت فيها وأخيراً وجدها صحيحة وقال ان خلات الرصاص معادن كيف يصح أن يكون محل العلاج القلوي الذي تعنيه وغير ذلك. هو بحاث عالم يتصلب احياناً ولكنه يلين ويرضخ للحقيقة

٢٦ يونيو — قصدت ادارة المقتطف الحادية عشرة ، قابلت الدكتور صروف العالم وتباحثنا في موضوع التسمم بالزيتون وهو لايزال مستغرباً حدوث الاصابات فدفعت اليه التقرير الثاني أو المقالة الثانية فقال قد نشرت بالمقتطف المقالة الأولى وهذه ننشرها في العدد الذي يلي .

٣ يوليو — قصدت ادارة المقتطف قابلت الدكتور صروف وقرأت له مقالة عن المعالجة الروحية وقال ننشرها في العدد الآتي مع المقالة الثانية عن التسمم بالزيتون وذكرت للدكتور الاتفاق الغريب الذي وقع لعزيزي في حلمها مرتين فطلب مني أن ادقق في تاريخ حدوثه وأفيده

٥ يوليو — قصدت ادارة المقتطف قابلت الدكتور صروف الرجل المثل الأعلى في الانسانية وعرضت له بعض الامور

٢ اكتوبر — اخذت المقتطف استاذ المجلات

١٣ نوفمبر — زرت الدكتور صروف في مكتبه وسألته رأيه في مجلة صحية فقال ما ملخصه ان العبرة في معرفة كيفية توزيعها وقال ان النجاح موقوف على ترغيب الناس بالقبول على الاشتراك

سنة ١٩٢١

٣ فبراير } اخذت المقتطف استاذ المجلات واميرها .

٩ ابريل } قصدت الدكتور صروف وقابلته في ادارة المقتطف والرجل عالم فاضل كريم الخلق دمث الطباع

٢ اغسطس } قصدت ادارة المقتطف وقابلت الدكتور صروف العالم المدقق .

سنة ١٩٢٢

٤ فبراير } قصدت الدكتور صروف في ادارة المقتطف فوجدته كفتى في أول عمره مكباً على عمله بنشاط واجتهاد

٥ فبراير } أخذت المقتطف وتلذذت به كعادتي ومحرره له عندي أكبر احترام واجلال

سنة ١٩٢٣

١٢ ابريل } أخذت مقتطف هذا الشهر فاذا هو حافل بالموضوعات الخطيرة .

٣٠ اكتوبر } وصل المقتطف شيخ المجلات ونبراسها

٢٠ نوفمبر } سأكتب الى المقتطف وهو خير مايكتب له

سنة ١٩٢٦

٢٧ مارس } ان الدعوة للاحتفال بيوبيل المقتطف نجحت نجاحاً باهراً في كل مكان فقد نزلت على كل من عرف المقتطف وتأثر به برداً وسلاما وكلها

نزلت على أرض خصبة فقاموا يروجون بالفكرة ويستعدون للاشتراك بالاحتفال والذي لا يستطيع الاشتراك قرر أن يحتفل في مكانه احتفالاً رسمياً بيوبيل شيخ المجلات العربيـة . والجالية في البرازيل من بلدة راشيا اهدت نمر وصروف دوانين وفي بيروت وطرابلس وفي كل مكان فيه جماعة ينطقون بالضاد عزموا على اقامة الاحتفال بيوبيل المقتطف في اليوم الذي يحتفل به في مصر

٢٩ ابريل

غداً تقيم مصر حفلة المقتطف في الاوبرا تـكريماً لخدماته الجليلة واعترافاً بفضله على العلم واللغة والادب ليس في مصر فحسب وانما في سائر الاقطار الشرقية وغيرها النازل فيها أبناء هـذه اللغة ولمصر ان تفتخر بالمقتطف لانه ترعرع في جوها ونما عوده في حماها وانتشر اريجه في هواها الصافي ولمصر الحق كله بهذا الفخر كما كان لها الحق ان تفتخر بالمعرض الصناعي الزراعى العام التى اقامته في الجزيرة وليس معرض المقتطف باقل اهمية وشأناً من أي معرض غير معرض الجزيرة بل هو أهم المعارض ومعروضاته ارفع قدراً من غيرها من غير منازع

٣٠ ابريل

قصدت الاوبرا وحضرت الاحتفال بعيد المقتطف الخمسيني وشاهدت كما شاهد غيري من الحاضرين حفلة فخمة تـكريماً للعلم وهل مصر تبخس حق العلماء ولا تعترف بفضلهم أو هل مصر لا تقدر قدر العلماء حتى لا تحتفل بالمقتطف شيخ المجلات ومن ينكر على هذه المجلة النافعة خدماتها للعلم وللشرق وللغة أنها اشتغلت خمسين عاماً جادة مخلصة في عملها وكم هو جميل من ادب مصر ان يحتفل بمجلة العلم والادب والاخلاق فمصر جديرة بمثل هذا الاحتفال ؟

الدكتور شخاشيري

صورة « وراء الاهرام » للمسيو جون رالف اجازتها وزارة المعارف العمومية